يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ – ربيع الثاني ١٤٠٤

المختار



من ريدرز دايجست

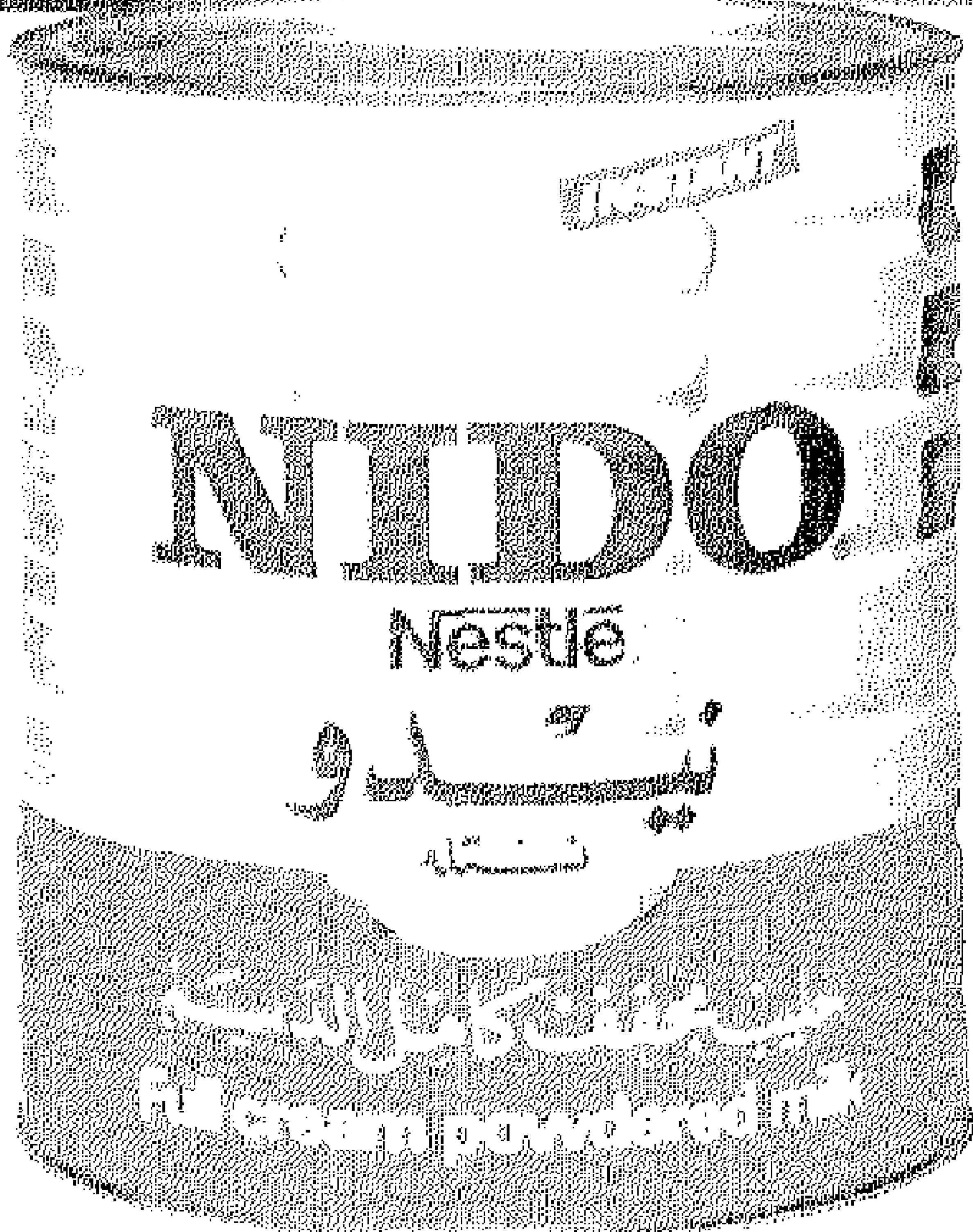
لبنان ٦٠٠ق – سورية ٧٠٠ق – الاردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعودية ١٠ر – مصر ٥٠٠م – السودان ١ج – ليبيا ٧٠٠د – اليمن ٤ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – تونس ١٠٠٠م – المغرب ٥د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وأمريكا الشمالية ٢٫٥٠د

أمّنوا لأولادكم نموًّا صحيحًا









نيدو السريع الذوبان هو حليب كامل الدسم يحتوي على كافة العناصر الغذائية التي توفر لأولادكم نموًّا متكاملاً. فالبروتين والكالسيوم وفيتامينات "أ" و"د" وغيرها من العناصر الضرورية المتوفرة في نيدو السريع الذوبان تجعل عظامهم صلبة وأسنانهم متينة وأبدانهم صحيحة قوية.

نيدو السريع الذوبان هو حليب بقري صافٍ ونقي من الجراثيم، يخضع قبل تجفيفه وتعبئته الى عدة تحليلات مخبرية دقيقة ليصبح خاليًا من كل شائبة.

نيدو السريع الذوبان طعمه لذيذ، يحضر بسرعة، ويحبه أولادكم باردًا أو ساخنًا في الصباح وفي المساء وفي أي وقت من النهار.

نيدو السريع الذوبان

ليسمو اولادكم وينعموا بالعافية

Nestlé. تصنع نستله



المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ادمون صعب •
امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري •

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست":
رئيس التحرير: ادوار ت • طومسون • مدير التحرير: آلان دوليرو • المدير العام: جون ا • اوهارا •

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس، الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية ـ بيروت • الخدمات الصحافية: شركة النهار ش•ت•م•ل• بيروت • التحرير: شارع روما، بناية هاشم • ص•ب• ٤٤٦ ـ ١١ التلكس ANAHAR 22322 LE بيروت • التلفون ٣٤٠٥٥٦• الادارة والاعلانات والاشتراكات: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، ص•ب ٨٧٠٧ ـ ١١• التلكس 22288 LE التلفون ٣٤١٥٩٧ ـ ٣٤٥٧٣١•
مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V.75008 Paris,FRANCE
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت • الطباعة: سيكو، بيروت ـ لبنان • التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات •

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية اضافة الى العربية •



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

الغلاف: "بابا جينو" (اليونور لونتشر ـ امريكية)

AL MUKHTAR min Reader's Digest
January 84 N° 62 (New Series) Vol. 6

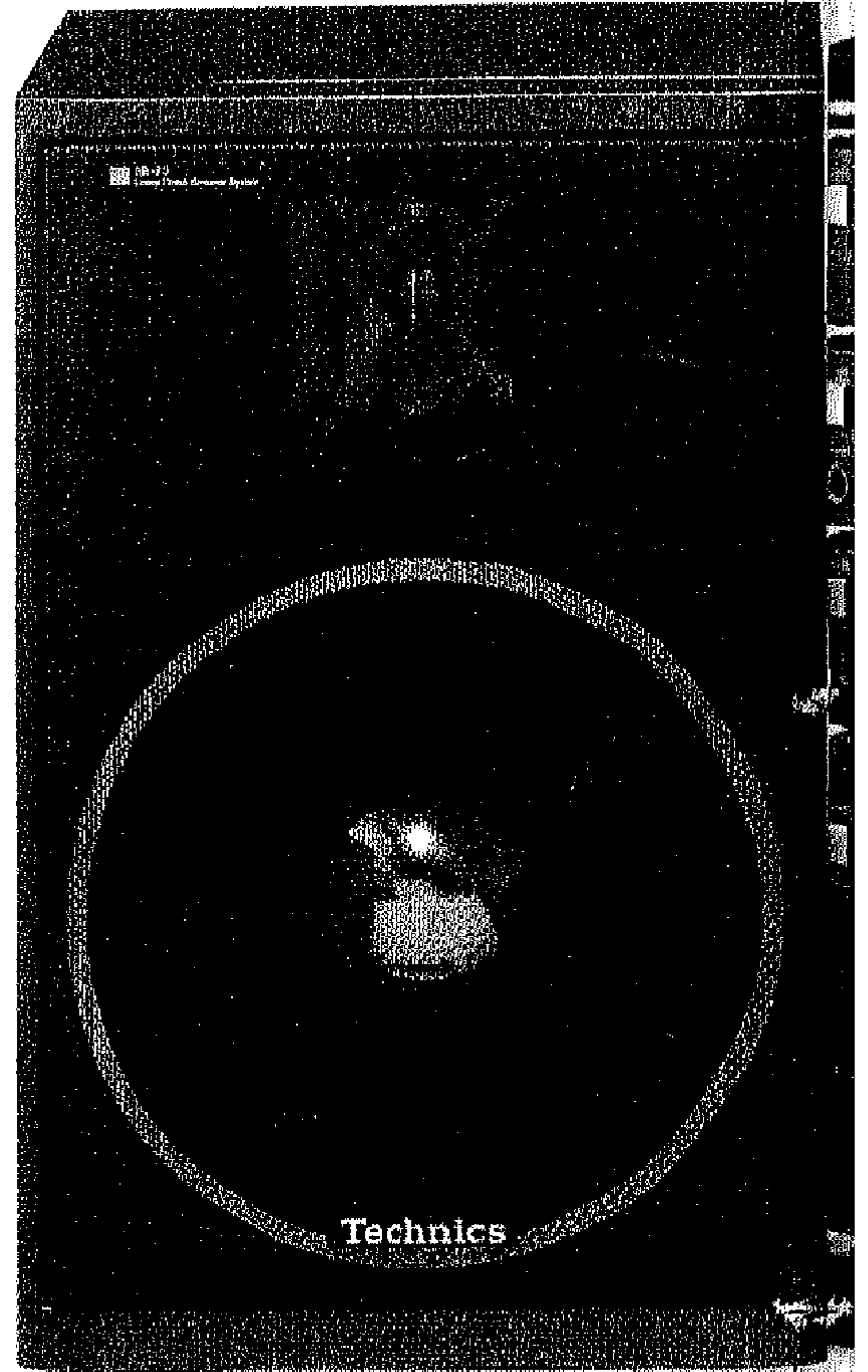


اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة •


Technics
Technics

صوت رخيم
بطريقة مبسطة

تتميز اجهزتنا فئة ٣١٥ (315) بأنها متناسقة تماماً ورقيقة محجمة وجميلة (بعرض ٣١٥ مللمترا)، تعادل في تأديتها ماتؤديه الاجهزة الكبيرة صممت لتشغل في اناقة ركناً صغيراً فوق مكتبك يزيد قليلاً على ماتشغله مجموعة صغيرة من الاسطوانات. أزلنا في هذه الاجهزة مشكلة تشابك اسلاك الوصل، وزودناها بوصلات

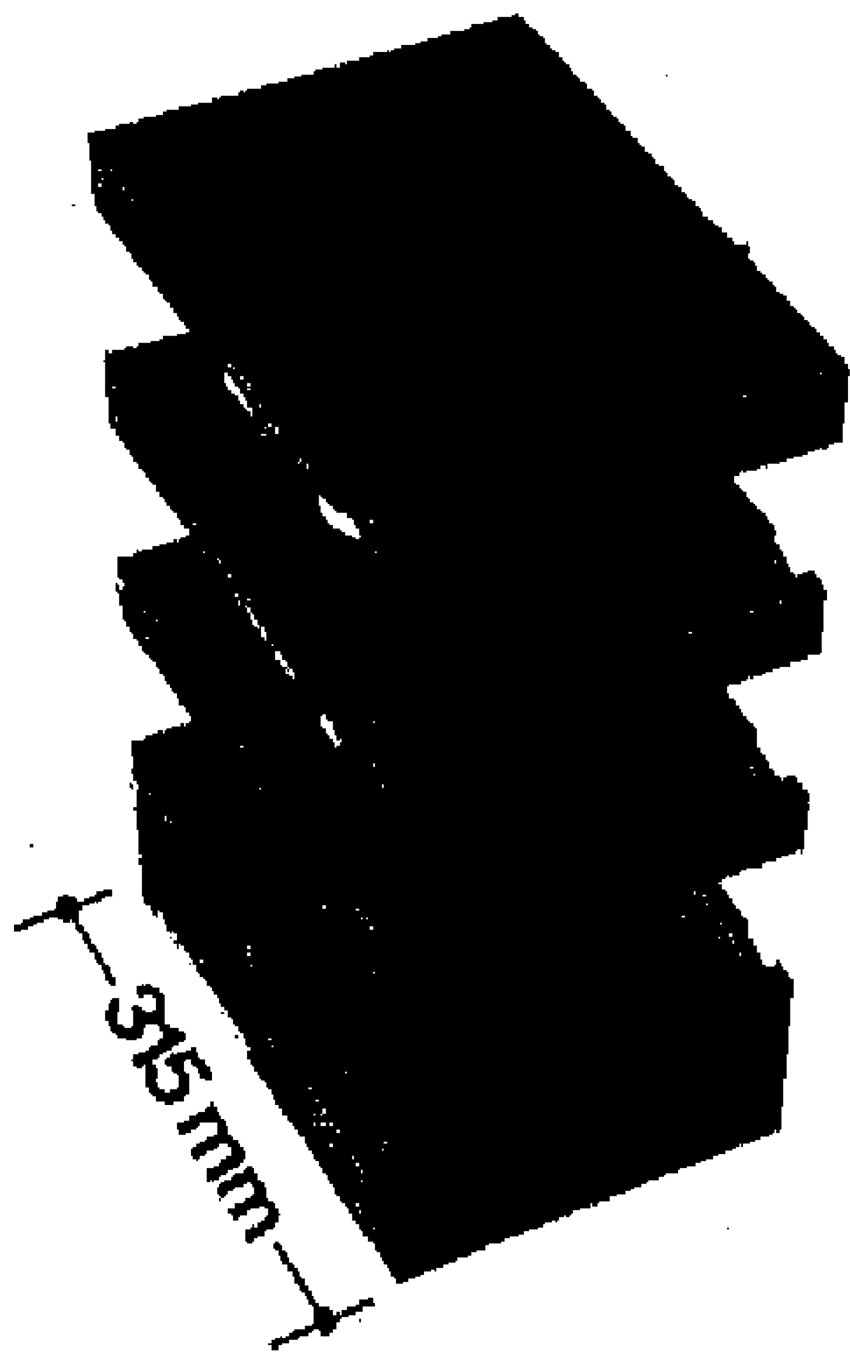


مباشرة وسهلة تربط بين جهاز الراديو (موجات اف ام / متوسطة قصيرة اولى / قصيرة ثانية) وبين مضخم الصوت والمنغم وجهاز الكاسيت. ويتميّز مضخم الصوت بأنه محجّم بقوة ١٣٠ واط (PMPO). أما المنغم فيسيطر على ٢٤ موجة فوق لوحة بيانية واضحة. وجهاز الكاسيت معد بنظام دولبي بي ان ار (BNR) لخفض التشويش ومجهز بميكروفون صغير دقيق ومكبران للصوت باتجاهين. كل هذه المعدات معاً تشكل: جهاز فئة ٣١٥ (315) الذي يعتبر شبكة رائعة فخمة تعطي اصواتاً رائعة رخيمة وهو باللونين الاسود والفضي.

دولبي هي العلامة التجارية لمختبرات دولبي.

315 series

جهاز فئة ٣٣ اس (33S) المبين في الصورة وجهاز فئة ٥٥ (55) و٧٧ (77) متوفرات ايضا



رمز الثقة

Technics

تكنيكس

اداء عالمي يلائم رقي الدرجة الاولى

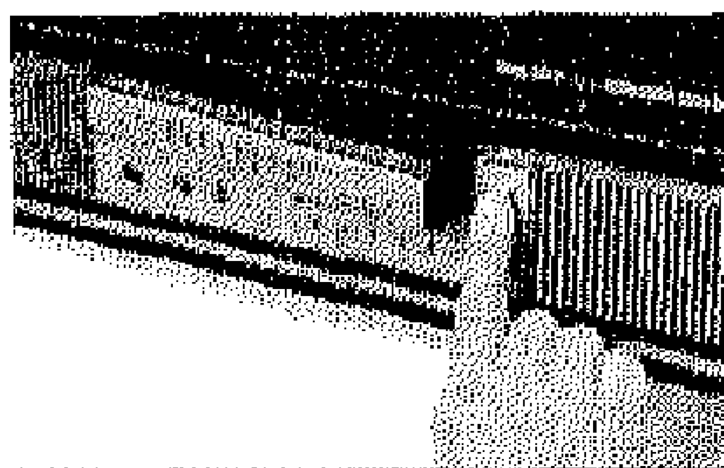
إمكانية ريموت كونترول يعمل بالأشعة تحت الحمراء، أداء رائع للبث التلفزيوني العالمي. كل تلك المزايا الجديدة تجدها في التلفزيونات ذات الأنظمة السبعة... للاعمن شارب.

استمتاع بالعروض التلفزيونية والأشرطة واسطوانات الفيديو

7-SYSTEM

تستطيع التحكم بتلفزيونك ذي الانظمة السبعة من شارب عن طريق جهاز الريموت كونترول الذي يعمل بالأشعة تحت الحمراء وتمتع بالراحة والاسترخاء امام تلفزيون يلائم رقي الدرجة الاولى.

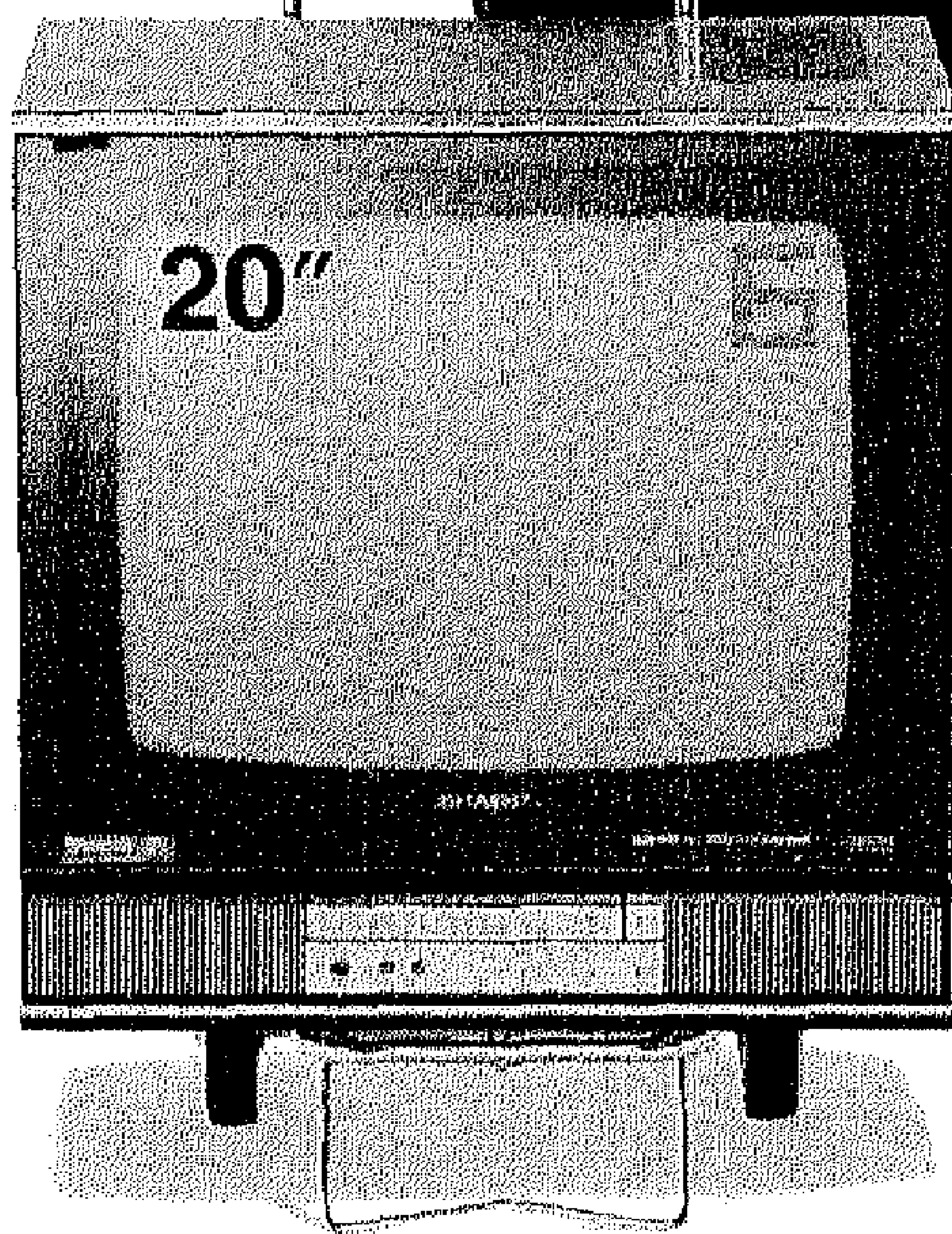
أضف الى ذلك تفاوق الانظمة السبعة مقارنة بكل مستوى اداء فني يستخدم في عالمنا اليوم فبه ستحوز على الاداء الراقي. استلق على كرسيك وتحكم بتلفزيون شارب الجديد ذي الانظمة السبعة فهو لك أينما تريد أن تكون..





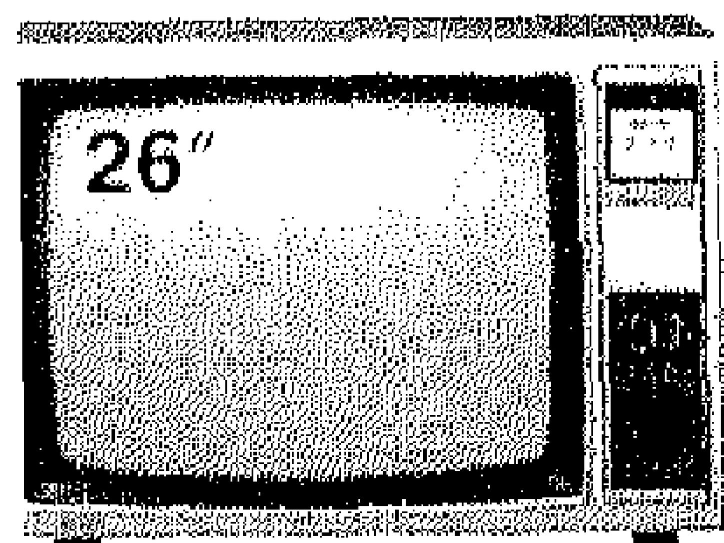
DV-2100SPN

تلفزيون ملون ٢٠ (٢٠ بوصة) مع ريموت كونترول قابل للانفصال يعمل بالأشعة تحت الحمراء ويقوم بأداء ١١ وظيفة، ... يحتوي على فتحات لتوصيل أجهزة الفيديو ... رقم القناة على الشاشة. ريموت كونترول ... قابل للانفصال من شارب. DV ١٦٠٠ - ١٥٠٠ أيضاً ...



DV-262SPN

تلفزيون ملون ٢٦ (٢٦ بوصة) مع ريموت كونترول يقوم بأداء ٢٦ وظيفة، يحتوي على فتحات لتوصيل أجهزة الفيديو، ... ذاكرة ... قناة.



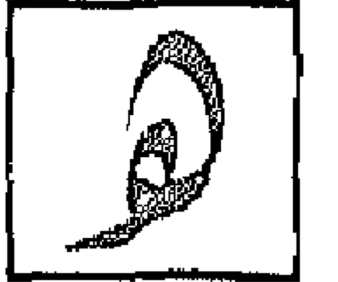
بكل فخر نقدم لك الترقي الى السعادة

شارب SHARP

شركة شارب اليابانية

لقاء وجيز في فندق كشف عن اسمى معاني الاخوّة الانسانية

تحيّة الى الصغير



هز الموظف الليلي كتفيه آسفا: "هذا جل ما يسعنا ان نوفره لك الليلة. ففي هذه الساعة المتقدمة لن تجد غرفة مستقلة في اي مكان. الامر متروك لك طبعا اذا شئت ان تراجع فنادق اخرى، واسمح لي بان اكون صريحا معك، فالسرير الخالي في الغرفة المزدوجة سيكون مشغولا على الاغلب اذا قررت العودة في وقت لاحق".

— حسنا، سآخذه. ارجو المعذرة، لكنك تفهم الوضع حتما. هل لي ان اعرف شيئا عن الشخص الذي يشاركني الغرفة؟ اعني ليس الامر ارتيابا او خوفا فلا داعي الى ذلك. ولكن هل شريكي في الغرفة الآن."

"اجل. والارجح انه في سبات عميق."

ملأ شوام البطاقة واعادها الى الموظف ثم صعد السلم.

وما ان لاح له رقم الغرفة المقصودة حتى ابطأ دونما وعي منه. وانصت مصغيا الى اي صوت قد يحدثه ذاك الغريب، ثم انحنى قليلا يبحث عن ثقب المفتاح. كانت الغرفة المظلمة غارقة في السكون. اغلق شوام الباب وراءه وبدأ يتلمس طريقه بحثا عن زر اضاءة. وتجمد في مكانه فجأة اذ ناداه صوت عميق كاد ان يلامس مرفقه: "ارجوك! لا تشعل النور. سأكون ممتنا لك اذا ابقيت الغرفة في ظلام."

سأله شوام مجفلا: "أكنت تتوقع حضوري؟"

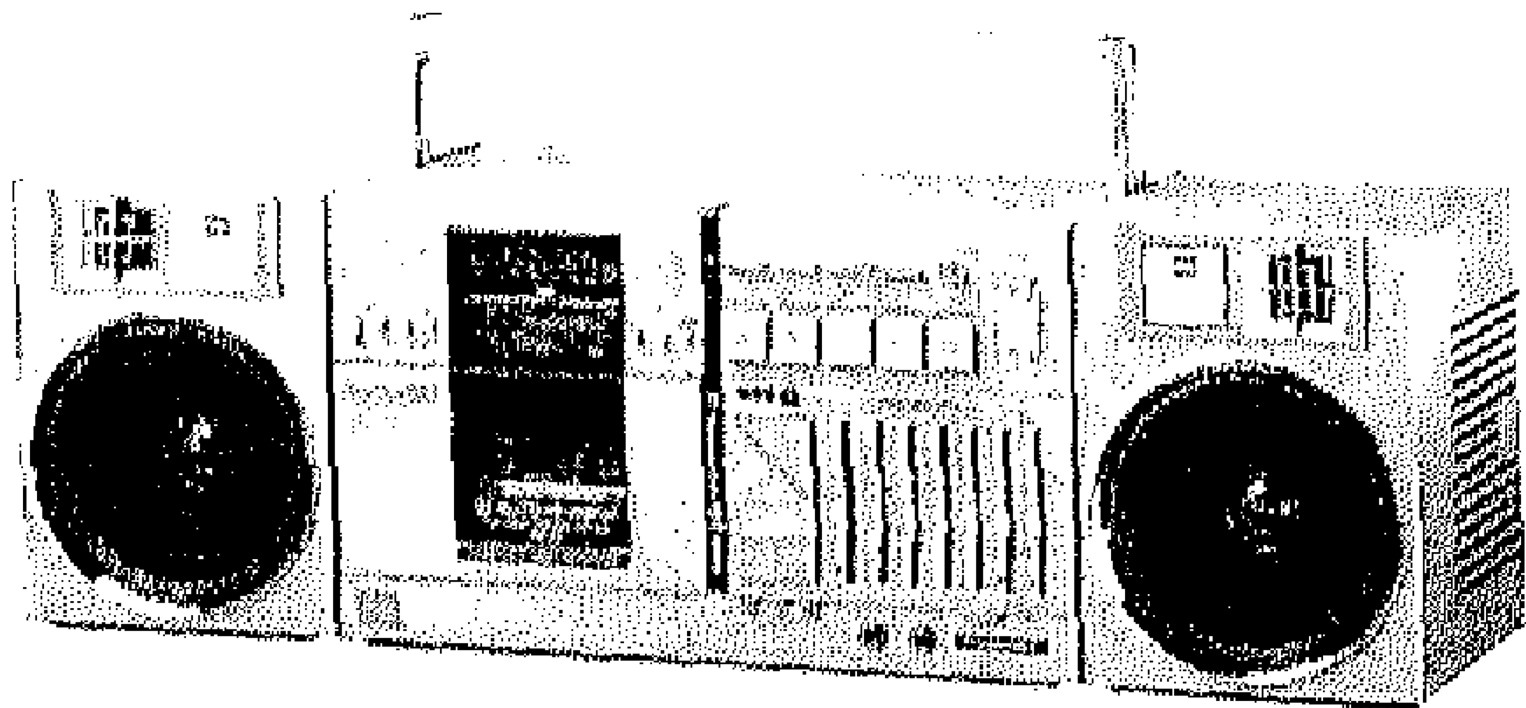
لم يجبه الغريب ولكنه اضاف: "ارجو الا تتعثر بعكازي او بحقيبتي التي وضعتها في مكان ما في الغرفة سأرشدك الى سريرك. امش ثلاث خطوات في موازاة الحائط ثم استدر

BomBeat 150
AUTO REVERSE

Toshiba : صاحبة ابتكار الـ Auto Reverse

الراديو كاسيت والمسجلة الستيريو Toshiba كانت الرائدة في استعمال auto reverse والاولى في اعطائكم تسجيلا مستمراً من دون انقطاع ولذة في الاستماع سواء على دورة واحدة او باستمرار، ويمكنكم ايضاً تغيير جهة التسجيل من دون قلب الشريط.

ولدى Toshiba تشكيلة كاملة من الراديو كاسيت والمسجلات مع auto reverse. من المونو الى الستيريو وفي تصاميم صغيرة او كبيرة، ولكن ايا يكن القرار الذي اخترتم فيمكنكم ان تعتمدوا على حقيقة واحدة: انها رائعة لانها Toshiba



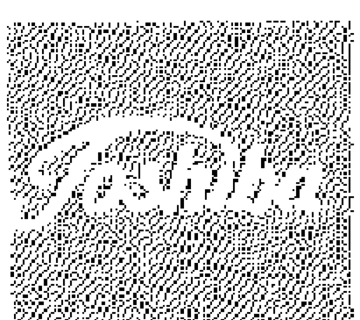
BomBeat SX7
AUTO REVERSE



BomBeat 170
AUTO REVERSE



BomBeat 483
AUTO REVERSE



TOSHIBA توشيبا

TOKYO, JAPAN

يسارا، وبعد ذلك تقدم ثلاث خطوات اخرى فتلامس حافة السرير.

اطاعه شوام فوصل الى سريره سالما. ثم نزع ثيابه وتمدد. ولسبب ما، ولعله ادرك ان نعمة النوم لن تأتيه سريعا، اخذ يصغي الى صوت الآخر فتأكد له انه يعاني جفاء النوم مثله تماما. وبادره بعد برهة مترددا: "بالمناسبة، اسمي شوام."

– حقا؟ أتراك اتيت لتحضر مؤتمرا؟

"كلا. ولعل سبب مجيئي الى المدينة غريب كل الغرابة ولا يخطر في بال احد."

وتابع شوام: "لي صبي صغير فيه شيطانية الاولاد جميعا. وقد طرقت من اجله ابواب هذه البلدة. انه مفعم الحساسية، وكزهرة السنط ينفعل لادنى إثارة او ازعاج. وكأني بنفسه مصنوعة من زجاج شفاف. كل صباح، وهو في طريقه الى المدرسة، ينتظر قرب تقاطع السكة الحديد ليمر قطار الصباح الباكر. يقف هناك ذاك الولد الصغير، ويلوح بيده متشوقا يائسا غاضبا."

– نعم، ومن ثم...؟

"يذهب الى المدرسة. لكنه حين يعود الى البيت يتصرف كالحائر المنذهل. وقد يدفعه الامر الى ذرف الدمع مدرارا. يعجز عن تأدية فروضه المدرسية ويرفض اللعب او مجرد التكلم مع احد. وقد تتابعت هذه الظاهرة يوما بعد يوم لاشهر طويلة. انه يدفع نفسه الى شفير المرض والانهيار."

– وما الداعي الى تصرفه هذا؟

"ان الجواب لأمر غريب. يلوح الصبي كما حدثتك، ولكن تتولد الخيبة في ذاته ويعتمره الاسى حين يدرك ان احدا من الركاب لا يبالي بمبادلته التحية. يتأثر للامر وينقبض قلبه الصغير فيدمي قلوبنا جميعا ويثير قلقي ومخاوف زوجتي."

– فأنت يا سيد شوام تبغي ان تلطف شقاء الصبي، وذلك بان تستقل قطار الصباح وتلوح له.

"نعم، تماما."

– ستستقل قطار كورنباخ، أليس كذلك؟

"أجل."

استلقى شوام في سريره وشد الملاءة فوق رأسه وقد تضاربت افكاره فأرخى جفنيه وغاب في عالم الحلم.

وعندما استيقظ صباح اليوم التالي الفى نفسه وحيدا في الغرفة. ونظر الى ساعته فهاله ان قطار الصباح سيغادر المحطة بعد خمس دقائق، ولن يمكنه مهما فعل ان يلحق به.

بعد ظهر ذلك اليوم لم يسعه ان يمكث يوما آخر في البلدة. فعاد الى البيت مكسور الخاطر مخيب الرجاء.

قابله ابنه على الباب وملامح وجهه تشع سعادة وفرحا. ألقى بنفسه على ابيه واخذ يضرب كتفيه بقبضتيه الصغيرتين وهو يصيح:

"لقد لوح لي رجل اليوم! لوح طويلا حتى غيبته المسافة."

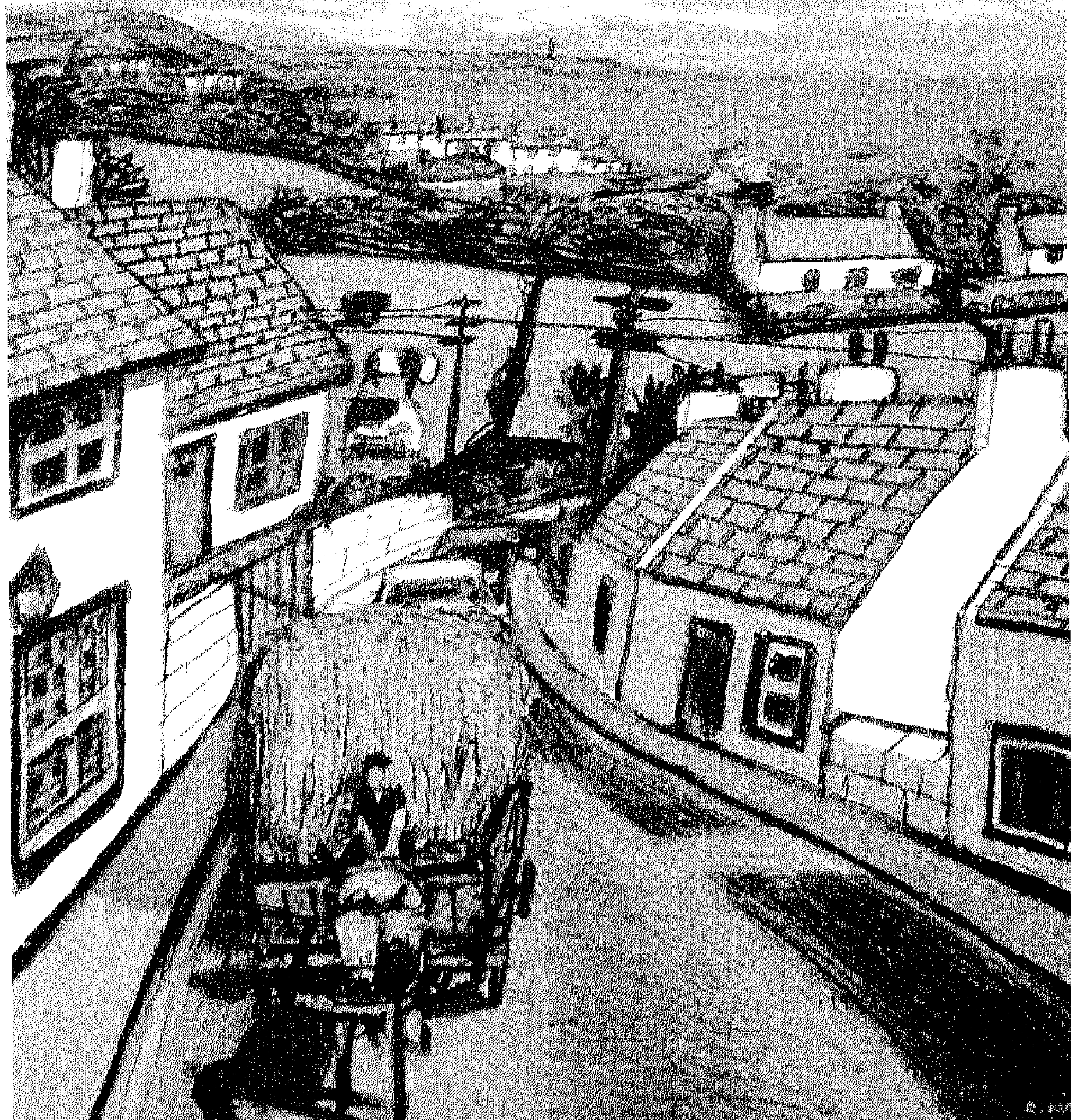
– بعكاز؟

"نعم، بعكاز. ثم ربط به منديله واخرجه من النافذة وبقي يلوح حتى توارى عن ناظري."

■ سيغفريد لنز

ير (كانون الثاني) ١٩٨٤ السنة السادسة (سلسلة جديدة)

مقالات وكتب مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

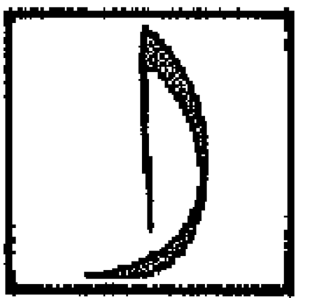


من يدري ان وراء عبقرية هذا الفنان
"تخلفاً" عقلياً ونزعة انطوائية؟



ظاهرة تفوق الوصف


تيد فافرو ينظر باعجاب الى لوحة لابنه.

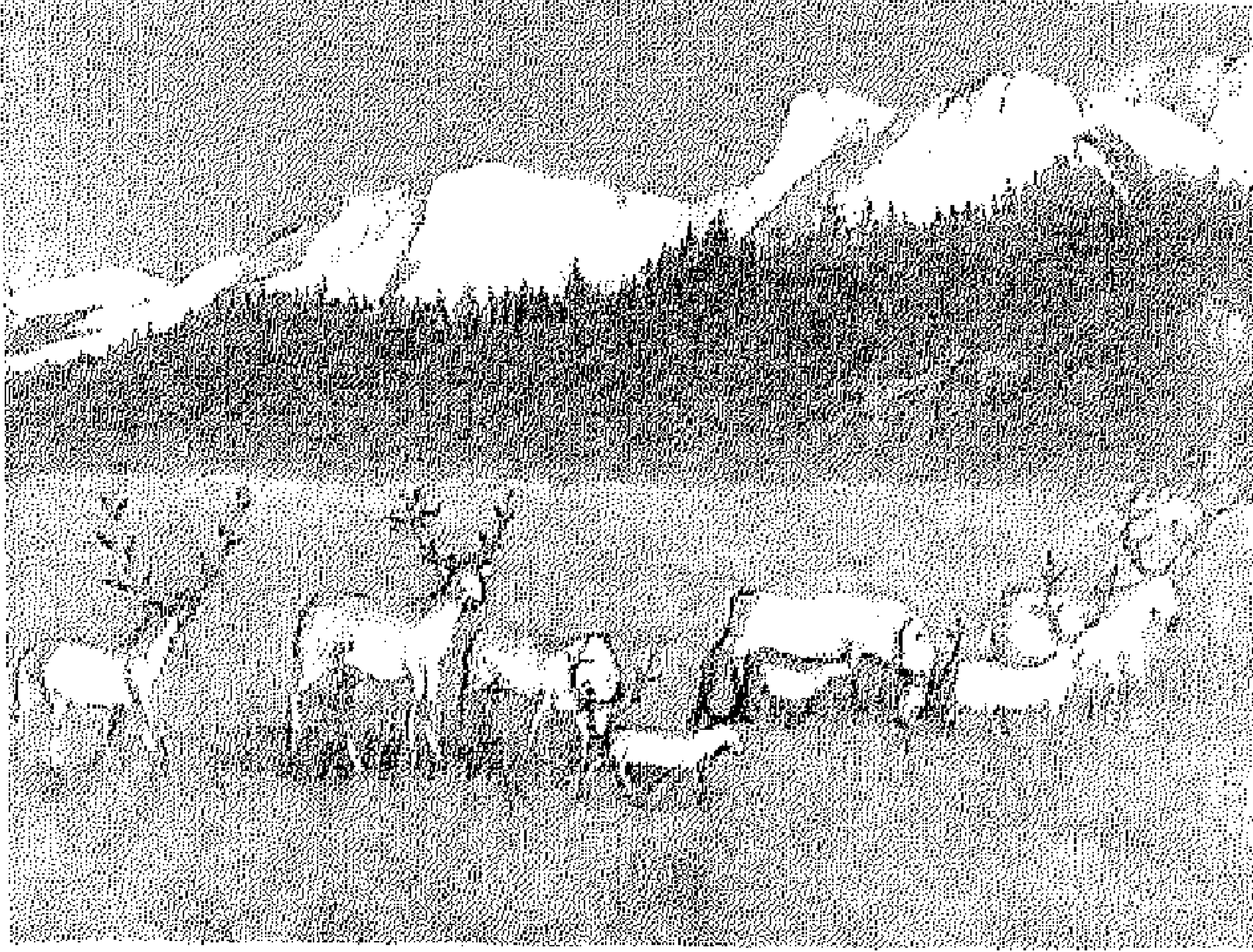


أعمال الرسام الاسكوتلندي ريتشار فافرو عُلقت في أكثر من مئة معرض في اوروبا وأمريكا الشمالية، وبيع منها ما يزيد على الف لوحة بأسعار تراوح بين مئة دولار وألفي دولار.

وتجدر الاشارة الى أن فافرو، ذا البنية الجسدية الضئيلة والعينين الزرقاوين والشعر الكستنائي الشعث، المولود في ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٥٢، كفيف البصر من الناحية القانونية، وهو كذلك مصاب بداء السكر ومتخلف

Painting: Collection of Richard Pryor

Collection of Dr. and Mrs. T.E. Swate.



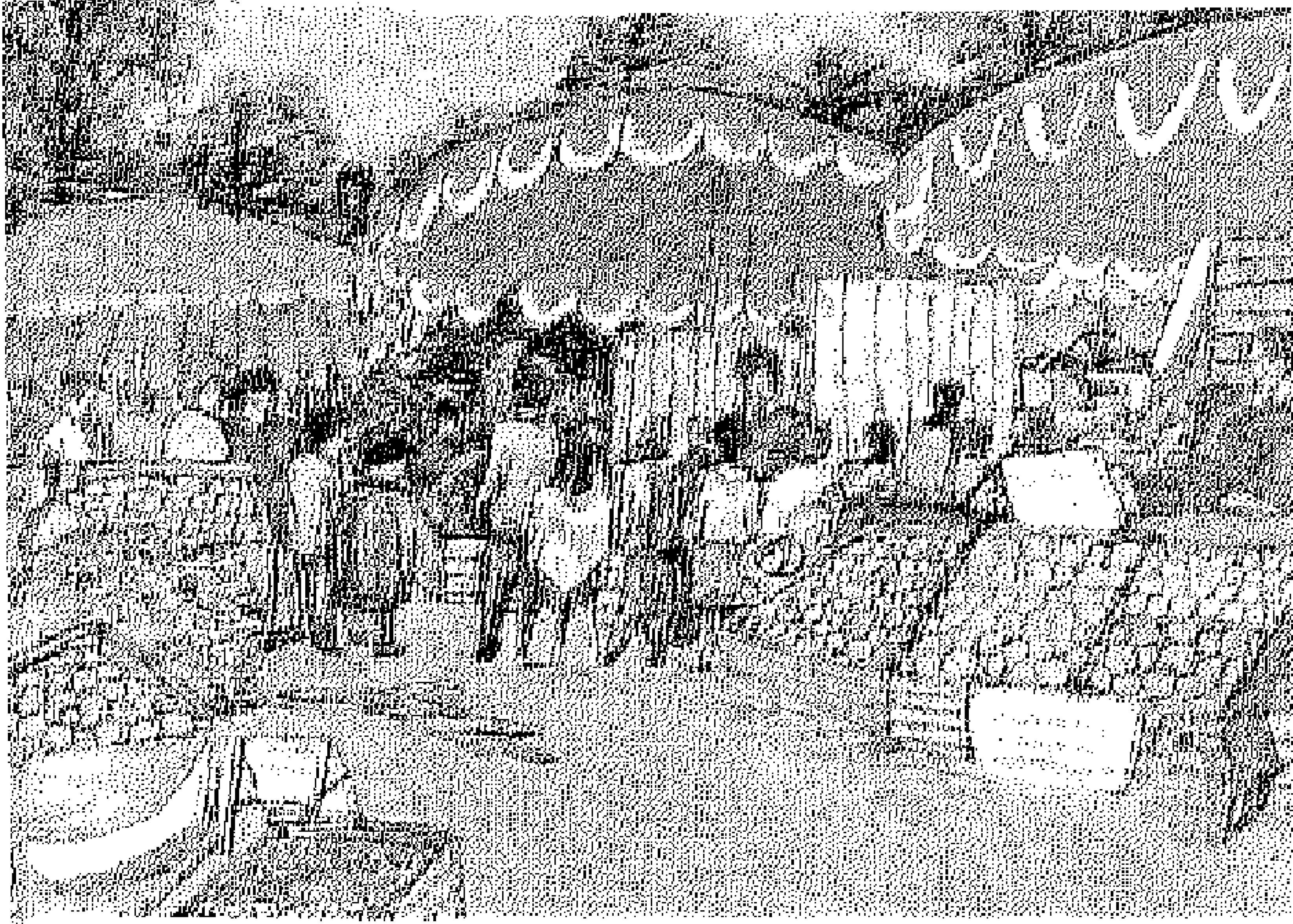
عقليا، وبقي لا ينطق كلمة مفهومة حتى بلغ سنته الحادية عشرة.

وبعد سبعة أشهر من ولادته خضع ريتشارد لجراحة في عينيه الاثنتين بقصد مكافحة الزَّرَق، تلتها عمليات ثلاث فصلت بين إحداها والاخرى مدة ستة أشهر. وكان طفلا شديد الاهتياج، لا ينال من النوم سوى ثلاث ساعات يوميا. وكان يتنهد ويزعق ويهتز مضطربا على الدوام. وكان يزحف الى البيانو ويضرب المفتاح نفسه طوال ساعات. وفي هذا يقول والده تيد، المهندس المدني المتقاعد، "انه ضرب من اختبار العذاب الصيني القديم."

وفي نهاية السنة الاولى من عمره، كاد ريتشارد أن يقود امه اوليف الى حافة الانهيار. وقال لها زوجها آنذاك: عليك أن ترتاحي قليلا. وأنا أنصحك باستئناف التعليم، فيما نجد من يعتني بالصبي خلال النهار."

ووجدا ضالتهما المنشودة في شخص امرأة رقيقة العواطف وقوية الصبر.

إلا أن والدي ريتشارد لم يستطيعا تحمل نوباته المسائية. وفكر تيد أحيانا كثيرة في إرسال ابنه الى مؤسسة مختصة، لكنه لم يفعل البتة. وكان ريتشارد رد في الثالثة عندما استنتج الاطباء أنه "في مرحلة من التخلف تقع بين الوسط وأسفل السلم،" وأن حاصل ذكائه يقف عند حدود الثلاثين. وكشفت تصرفاته عن شيء من الانطوائية، أي الانعزال عن العلاقات الاجتماعية. وطالما سمع تيد واوليف النصيحة الآتية من الاصدقاء: "أرسلاه الى مؤسسة. ففي هذا خير لكما وله."



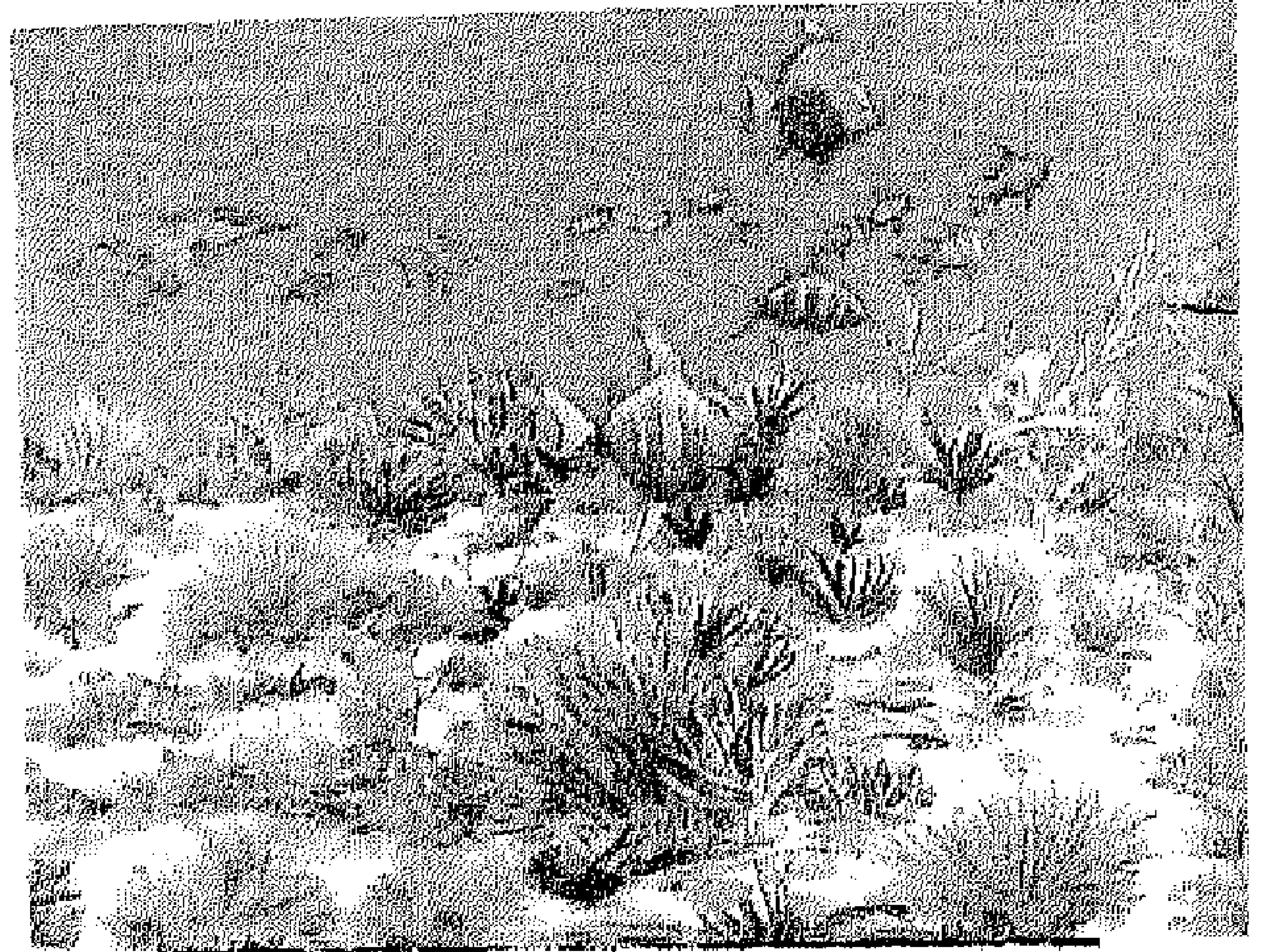
"السوق في كراكوف، بولونيا"، ١٩٧٤.

لوحة انطباعية — يقول تيد: "شبكت وزوجتي الايدي وقلنا ان أمرا كهذا قد يكون حسنا لسوانا، لكنه ليس هكذا بالنسبة الينا. فالصبي ولدنا، ونحن نحبه. وربما كانت عنايتنا ذات اثر في حاله."

وبعد سنوات ثلاث أنجبت اوليف ذكرا آخر سمي مايكل، وجاء مثال الصحة والعافية.

ولدى بلوغ ريتشارد السادسة، بات

Reproduction of all paintings courtesy
Dr. Lawrence A. Becker / Creative Learning Environments.


"الحياة البحرية قبالة الساحل الاوسترالي"، ١٩٨٣


"احتراق مكتبة جيمس ثين"، ١٩٧٤.

لا يرى إلا إذا وضع نظارتيه الكثيفتين ودنا كثيرا من الشيء الذي يود رؤيته. وعرضته امه على مولي ليشمان، وهي مدرسة وفنانة في مركز لتأهيل المعاقين نفسيا وعقليا بالقرب من مدينة ادنبره. وتتذكر ليشمان: "بدا العذاب واضحا على وجه رينشارد. ورق قلبي للطفل ووالدته، ووعدتها بأن أبذل وسعي لمساعدتهما."

وخلق وجود الصبي مشكلة في المركز، إذ كان زعيقه يخترق آذان التلاميذ ويشتت أفكارهم. وكان أحيانا يقف صامتا وقد أسره منظر النور على قطعة أثاث براقة. ولم يكف عن غزل كل ما يراه أمامه من كرات واقلام وقناني، وحتى جسده بالذات. وتقول ليشمان: "راودتني فكرة نفض يدي من ريتشارد. إلا أن ثمة شيئا فيه جعلني أقاوم تلك الفكرة."

ذلك "الشيء" اكتشفته المعلمة عندما أعطت الصبي قلم رسم. وبعدما رفضه ورماه، أعادته الى يده وأعانته على حمله ورسمت خطوطا بارزة على ورقة بيضاء كانت ثبتتها على طاولته. وسرعان ما استوعب الفكرة واستحوذت الالوان عليه.

وتضيف ليشمان: "تقدمت يوما لأنظر الى خربشة أقلامه. وإذا بي أمام لوحة انطباعية لمنظر يبدو أنه شاهده من حافلة المدرسة. ولم أذكر الامر لاحد، ظنا أنه مصادفة محض. إلا أن الورقة التالية حملت رسما لا يقل عن سابقه، بل يظهر افتتان ريتشارد بالضوء واللون والحركة. وأخيرا حملت بعض رسومه الى زوجي الفنان من غير أن أذكر له شيئا عن عاهة الصبي. فقال ان صاحب تلك اللوحات يتمتع بموهبة عظيمة تفوق سنه."

دافع على البكاء ــ تلك كانت فاتحة عالم من السلام والامتلاء في حياة ريتشارد، علما أن نوباته العصبية ونزعته الانطوائية بقيت حيث هي.

ومن غير نصيحة أحد، بدأ ريتشارد يتقن فنه ويستخدمه أداة للتعبير عن



"كورس الكلية الملكية"، ١٩٧٤.

ذاته. وكان في الثانية عشرة عندما اكتشفه ماريان سيسكو، مؤسس المدرسة الولونية للفن في لندن، لدى زيارته ادنبره. وصعق الرجل لعبقرية الفتى، وقال ان رسومه "ظاهرة تفوق الوصف،" وانها تزاوج بين "دقة العامل الآلي ورؤيا الشاعر."

ولدى عرض لوحاته للمرة الاولى، كان ريتشارد في السابعة عشرة. وقد كرس صاحب صالة مرموقة في ادنبره قاعة كاملة من مؤسسته لتعليق عشرين لوحة من أعمال ريتشارد على جدرانها. ويقول والد ريتشارد: "حين رأيت اللوحات معلقة هناك لم أصدق عيني. وفي ليلة الافتتاح هرع ريتشارد إلي، قائلا: "يا أبي، لقد بيعت لوحة." وقد دفع أحد الزوار ١٦ جنيها ثمنا لتلك اللوحة التي أنجزها ابني المتخلف عقليا. وأحسست ما يدفعني على البكاء. وما كاد المعرض ان ينتهي حتى بيعت ثماني لوحات من أعمال ريتشارد."

والفتى يعتمد مصادر وحي متنوعة. فهو أحيانا يرسم ما رآه بعينيه الضعيفتين أو عبر منظار وهو في نزهاته مع أبيه وأخيه، علما أن امه قضت بالسرطان عام ١٩٧٩. وأحيانا اخرى يصور على الورق منظر بلدة



"قرية انكليزية"، ١٩٧٤.

رآها من نافذة سيارة أو سلسلة جبال لاحت له وهو يحلق بطائرة. ومن مصادره الاخرى برامج التلفزيون والكتب والمجلات التي يحملق فيها عن كثب لكي يراها جيدا.

ومثله مثل العديد من الانطوائيين، يبدو أن ريتشارد لا ينسى شيئا. ويقول لورنس بيكر وهو مستشار تربوي من اوستن في ولاية تكساس الامريكية أنجز شريطا وثائقيا عن ريتشارد: "إن ذهنه يشبه مكنسة كهربائية، تمتص كل ما يأتي في طريقها. وهكذا يبقى كل شيء في عقله حتى يحين وقت استعماله."

ولقد وقفت معجبا قبل مدة قصيرة أمام لوحة رسمها فافرو، تمثل ساحة سوق زاهية الالوان في مدينة كراكوف البولونية، لبث فيها ريتشارد ربع ساعة فقط في صحبة امه.

ولما سألته عن تاريخ زيارته قال ببطء وبصوت أجش: "في ٢٨ يوليو (تموز) ١٩٧٤."

ـ ومتى أنجزت الرسم؟

"في نهاية سبتمبر (أيلول)."

خيال واسع ـ إن ريتشارد لا ينسخ ما يراه. والواقع أن كلا من لوحاته تنقل افكاره ومشاعره وأخيلته. وربما

ظاهرة المتخلف - الموهوب

في رأي عالم النفس الويس هول من معهد نيويورك للابحاث في معوقات النمو، أن واحداً من كل ألفي متخلف يتمتع بموهبة خارقة من نوع معين. وقد درجت العادة على اطلاق اسم "العارف المغفل" على هذا الصنف من الناس. وهي تسمية لا يقرها علماء النفس اجمالا. وعلى رغم أن اولئك المتخلفين ـ الموهوبين قد يعجزون عن المضي في محادثة بسيطة، فانهم يظهرون تفوقاً في نطاق أو آخر قد لا يجاريه انجاز أكثر الاشخاص ذكاء في المضمار ذاته (★).

ومن الامثلة على هذا أن توأمين متخلفين أدهشا خبراء معهد نيويورك للطب النفسي في الستينات بقدرتهما على اجراء حسابات تقويمية دقيقة. فاذا سئلا، مثلا، في أي الاشهر والسنوات من هذا القرن صادف أو سيصادف الحادي والعشرون يوم خميس، تمكنا من الاجابة الصحيحة على الفور. ولا بد من لجوئهما الى عملية حسابية معقدة للحصول على الجواب، علماً أنهما يعجزان عن حل بعض أبسط المسائل الحسابية.

ويخبر برنارد ريملاند، مدير معهد الابحاث السلوكية للاطفال في سان دييغو (كاليفورنيا) والحجة العالمية في امكانات المتخلفين ـ الموهوبين، عن صبي متخلف عقلياً لكنه متعدد المهارات. ففي امكانه العثور ذهنياً على الجذر التربيعي لأي رقم، وعزف أي قطعة موسيقية سمعها على البيانو، وتأليف الاغاني.

ولقد عجز العلماء عن تفسير هذه الظواهر. ويقول ريملاند ان معظم العارفين انطوائيون. وثمة نظريات تشير الى أن مواهبهم قد يمكن تفسيرها بنشوء بعض الخلايا العصبية في الدماغ. ويعزو آخرون تلك المواهب الى مبدأ توزيع العمل بين نصفي الدماغ. فالتخلف في أحد النصفين قد يقابله نمو مضاعف في النصف الآخر.

ويعتقد ريملاند أن سر موهبة اولئك الاولاد هو قابليتهم على التركيز. "ففي امكانهم، بفضل عاهتهم العقلية، اغلاق منافذ التشتت الذهني الذي نتعرض له جميعاً، وتركيز جهدهم الكلي على ما يفعلونه. ويمكن تشبيه عقل المتخلف ـ الموهوب بدماغ الكتروني أو شريط تسجيل أو آلة تصوير. فهذا الجهاز يلتقط تفاصيل الصورة أو الاغنية او العملية الحسابية، ثم يكررها أو يعيد تنظيمها بأمانة مذهلة."

وليم شميدت، صحيفة "نيويورك تايمس"

★ ملاحظة: راجع "الحب صانع المعجزات" في عدد يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣ من "المختار".

صور مرفأ سفن كما يبدو له من مستوى العين، أو ربما صوره وهو على قمة تلة. ولا تخلو أي من لوحاته من مصدر نور، سواء أكان الشمس المشرقة وهي تبعث أشعتها الى الارض عبر الاثير أم ألسنة النار تأتي على مكتبة أحبها.

وهو يستهل عمل الرسم في البيت إما جالسا وإما واقفا أمام طاولة بالقرب من نافذة. ويروقه الاصغاء الى الموسيقى الكلاسيكية خلال عمله. وينتقي لنفسه نحو ستة أقلام مختلفة الالوان، ويخفض رأسه ليدنو ٢٠ أو ١٥ سنتيمترا من الورقة. ويأخذ قلما

ويباشر رسم صورة أنجزها قبلا في ذهنه، كأنه يعلم علم اليقين كيف سيبدو ذلك الرسم على الورقة التي يبلغ طولها ٦٠ سنتيمترا وعرضها ٤٥ سنتيمترا.

وتستغرق كل من لوحات ريتشارد وقتا يراوح بين بضع ساعات وأربعة أيام. وفي تلك الاثناء تغدو اللوحة حياته ويتوقف الزمن عن الدوران بالنسبة إليه. وينصب ذهنه كليا على اللوحة حتى وهو نائم. وأحيانا ينهض في الثالثة فجرا ويتسلل الى المطبخ للعمل.

وكلما عبر مشاهد عن إعجابه باحدى اللوحات، أشرق وجه ريتشارد ابتساما، وربما مد يديه الى المعجبين علامة تقدير وفرح. وكالانطوائيين عموما، يجد ريتشارد صعوبة في التعبير عن أفكاره ومشاعره. إلا أنه أحيانا يستطيع تخطي ذلك الحاجز. وهو يقول: "لكم هو جميل أن يكون المرء سعيدا. وإني أجد سعادتي عندما أخلق شعورا حسنا لدى الآخرين... وهو شعور لا تخونني عيناي في إدراكه."

■ جوزف بلانك



بلا لف ودوران

قبل سنوات فتحت مشغلا صغيراً في منزلي لصنع أدوات الزينة، ومنها تماثيل الحيوانات الصغيرة المزخرفة. ومما اقتضاه عملي انزال كل تمثال في محلول حليبي لختم الجص.

وكنت افعل ذلك يوماً حين طرق بابي بائع متجول. وبعد اصغائي الى ترغيباته التجارية وقتاً بدا لي دهراً، رن جرس المنبه في مشغلي. ووجدت فيذلك فرصة سانحة لصرف البائع، فقلت له: "اعذرني يا سيدي، فان علي حلب البقرة في الساحة الخلفية." وقال وهو يغادر: "كان يكفي أن تقولي "لا" في البداية."

غ.ي.

آيزنهاور عند "تيفاني"

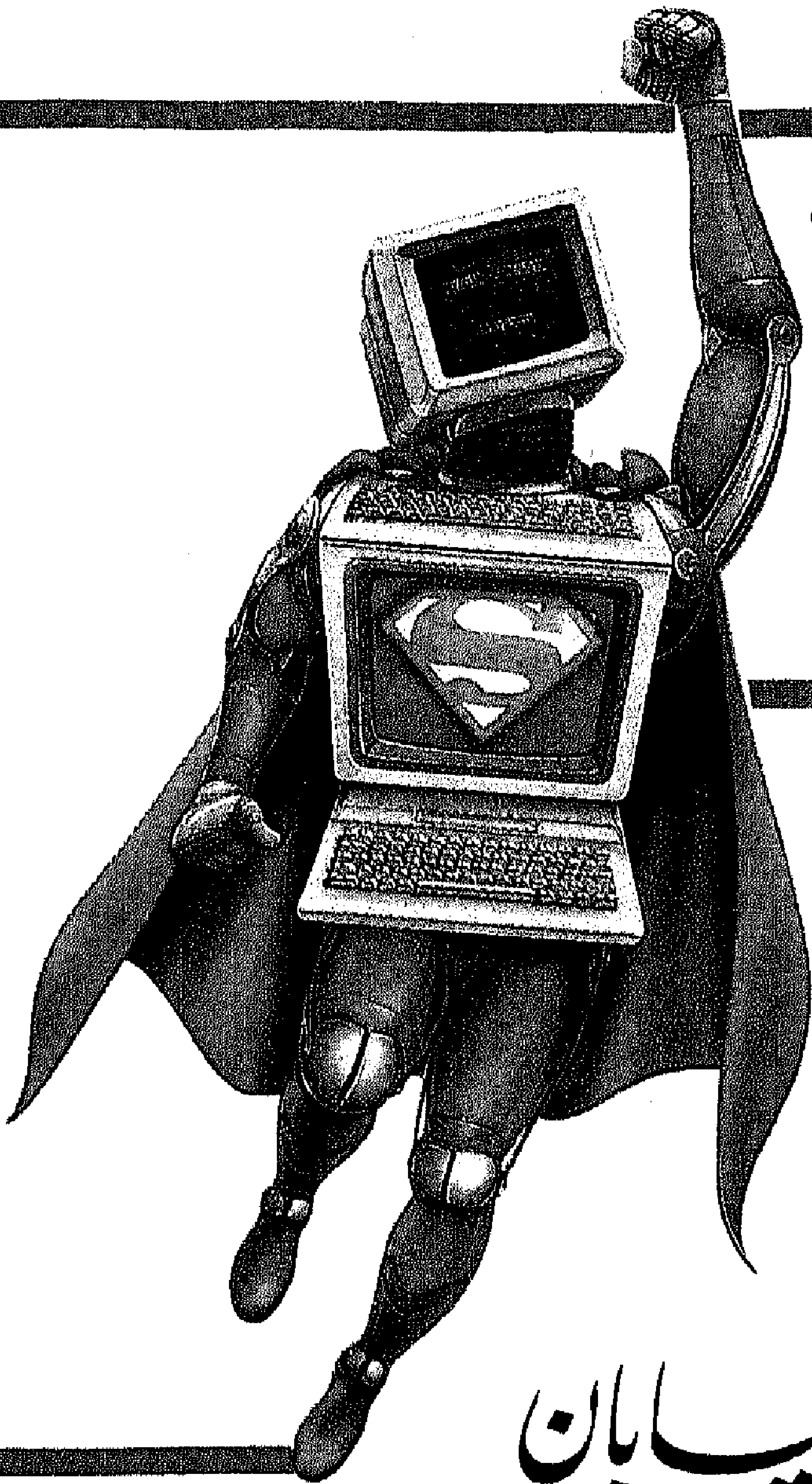
دخل رئيس الولايات المتحدة الأسبق دوايت ديفيد آيزنهاور محل "تيفاني" الشهير للمجوهرات لشراء هدية لزوجته مامي. وبعد اختياره هدية سأل مدير المؤسسة آنذاك ولتر هوفينغ: "أيحصل رئيس البلاد على حسم من محل تيفاني؟".

وبعد تفكير قليل أجاب هوفينغ: "المعذرة، سيدي الرئيس، لكننا لم نعامل ابرهام لينكولن معاملة خاصة."

ر.د.

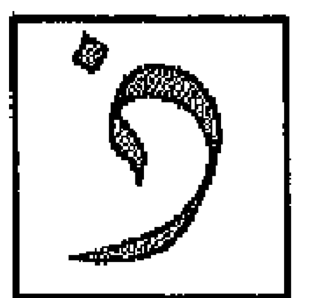
أطلق جارنا على كلبه اسم "مرّتين". ولما سئل عن السبب، قال: "انه لا يأتي اليك اذا دعوته مرة."

ا.د.



بعد سباق السيارات تخوض اليابان والولايات المتحدة سباقاً في صناعة ادمغة الكترونية "مفكرة" قد تكون لها السيطرة على عالم المستقبل

الدماغ الإلكتروني «المفكّر» بين أمريكا واليابان



ذات يوم من العام ١٩٨١ تلقى مايكل درتوزوس مدير مختبر المعلوماتية في معهد مساتشوستس للتكنولوجيا دراسة من زميل له عاد لتوه من اليابان. حددت هذه الدراسة الخطوط العريضة للاقتراحات اليابانية لصنع ادمغة الكترونية ثورية تتصف بالذكاء الاصطناعي وادمغة متفوقة تعمل بسرعة تزيد بمئة الى الف ضعف على سرعة الآلات المتوافرة حالياً. واحس درتوزوس في الوثيقة شيئاً مألوفاً لديه. ويتذكر ذلك قائلا: "تملكني الهلع وقلت: يا الهي! انه البرنامج المعد لمختبري. لقد سرقه اولئك الاوغاد."

في الواقع لم يأخذ اليابانيون سوى المبادرة، ومع ذلك أدرك درتوزوس

للحال الخطر الداهم. فالخطة اليابانية كانت تصميماً للابحاث والهندسة الضرورية للقفز فوق صناعة الادمغة الالكترونية الامريكية وانهاء تفوقها العالمي. والأسوأ من ذلك انه على رغم ان الجامعات الامريكية هي التي وضعت الابحاث الاساسية التي ستعتمدها اليابان، فان فريقاً كبيراً من العاملين في حقل الادمغة الالكترونية الامريكية لا يزال غير مدرك خطورة الوضع.

واليوم ارتسمت خطوط الصراع. فالولايات المتحدة بدأت تتأهب متسلحة بالتزامات مالية جديدة وقوى عاملة للامساك بزمام التقنيات المتقدمة التي ستسيطر على صناعة الادمغة الالكترونية في اواخر الثمانينات وفي التسعينات من هذا القرن. وهذا الامر ليس مجرد تنافس على صناعة، بل ان اقتصادات كبرى برمتها سيتقرر مصيرها في ضوء التغيرات المقبلة في مجال تطوير وسائل المعلوماتية. فالادمغة الفائقة السرعة تستخدم الآن تجارياً في مجالات تصميم الطائرات والتنقيب عن النفط والمعادن وتوقع الاحوال الجوية وتصميم دارات الادمغة الالكترونية نفسها. وهذه كلها تتطلب مقادير هائلة من الاحتساب. ويمكن استخدام الادمغة الالكترونية الفائقة السرعة في صناعة السيارات وبناء السفن كما في هندسة الجينات الوراثية والتكهنات الاقتصادية.

ووكالة الامن القومي في الولايات المتحدة التي تتمتع بأعلى درجات السرية هي احدى الجهات التي تستخدم الادمغة الالكترونية المتفوقة على نحو متزايد. وتقوم عليها كذلك اسلحة اللايزر التي تخطط وزارة الدفاع الامريكية لوضعها في قواعد فضائية. ويحذر درتوزوس قائلا: "ان هذا الهجوم هو أخطر كثيراً على مستقبلنا من السيارات اليابانية. لان الدماغ الالكتروني سيكون في أساس كل تبدل رئيسي في المستقبل. ومن يسيطر على ثورة المعلوماتية ستكون له سيطرة سياسية وجغرافية متزايدة."

من الرابح؟ — لا تزال الولايات المتحدة هي المسيطرة على التقنيات المتقدمة في صناعة الادمغة الالكترونية. فالادمغة المتفوقة كلها في هذه الايام من صنع امريكي. وثمة ٨٤ منها في الخدمة الآن، بعضها يتضمن اكثر من ٤٠٠ الف رقاقة سيليكون ويملك القدرة على انجاز بضع مئات الملايين من العمليات في الثانية.

مع ذلك يرجو علماء الادمغة الالكترونية ان يتمكنوا قبل نهاية هذا القرن من تطوير آلات لا يقتصر عملها على اختصار "الارقام"، بل تظهر ذكاء اصطناعياً ايضاً. اي انها ادمغة الكترونية قادرة على التفكير وتحليل المسائل مثل البشر وتفهم المعلومات التي تتلقاها من طريق الرؤية أو المخاطبة او الحركة.

السؤال الآن هو: علماء اي دولة سيحققون ذلك الانجاز قبل سواهم؟

أعلن اليابانيون خطة ذات شقين: المشروع الاول، وقد ارصد له ٤٠٠

مليون دولار، هو مشروع ثماني سنوات للدماغ الالكتروني الوطني ذي السرعة الخارقة ،ويهدف الى انتاج آلات أسرع بمئة الى الف مرة من الادمغة الامريكية المتفوقة العاملة في الوقت الحاضر. اما المشروع الآخر فقد ارصد له ٥٠٠ مليون دولار وهو مشروع العشر السنين لانتاج الجيل الخامس من الادمغة الالكترونية الذي يركز على الذكاء الاصطناعي. وكلا المشروعين تواجههما جهود امريكية.

وفي الولايات المتحدة حالياً ثلاثة مشاريع في طور الانطلاق:

شركة تكنولوجيا الالكترونيات المصغرة والادمغة الالكترونية. عام ١٩٨٢ وضعت ١٢ شركة من كبرى الشركات الامريكية، وبينها "هانيويل" و"موتورولا" و"آر.سي.آي." و"كونترول داتا"، خطة مشتركة لضم مواردها وتقاسم التكاليف لانجاز الابحاث الطويلة الاجل. وجاء هذا خروجاً جزئياً على النهج المتبع في مجال البحث العلمي في الولايات المتحدة، لان الخطة تحاكي الاسلوب الياباني. فالشركات المؤتلفة ستقرض هذه المؤسسة المشتركة ما لديها من علماء وبحاثة، كما سيوفر اصحابها الاموال اللازمة لاجراء البحث العلمي في مقابل اعطائهم حق الافادة من نتائج الابحاث. ولا يمكن الحدس الآن بنجاح هذه الخطة او اخفاقها. فالشركات المؤتلفة في المؤسسة المشتركة تزاحم بعضها بعضاً في السوق السريعة التقلب، والمسؤولون فيها يحرصون عادة على اخفاء اي تقدم تقني يحرزونه عن منافسيهم. وقد احجمت شركات امريكية عدة عن المشاركة في هذه الخطة. وقيل ان شركة "آي.بي.أم." وهي القوة الكبرى في هذه السوق استنكفت من المشاركة خوفاً من قانون حظر الاحتكار.

وستكون للمؤسسة المشتركة موازنة سنوية تبلغ ٧٥ مليون دولار وقوة عاملة من ٢٥٠ شخصاً. ومن اكثر مراميها طموحاً برنامج من عشر سنين يهدف الى تحقيق انجازات خارقة في هندسة الدماغ الالكتروني وبرامجه والذكاء الاصطناعي. وستملك المؤسسة المشتركة جميع الاجازات والبراءات المتعلقة باي تقنية تطورها. اما التصنيع والتسويق فيبقيان من شؤون الشركات المؤتلفة التي ترعى المشروع. وستحتفظ هذه بالحقوق الحصرية لمدة ثلاث سنوات قبل ان يسمح للشركات الاخرى بشراء اجازات استثمار.

شركة ابحاث المواد شبه الموصلة. خلال السنوات الثلاث المنصرمة استولت اليابان على جزء حيوي من صناعة المواد شبه الموصلة في العالم هو سوق الـ"٦٤ كرام" (ذاكرة التوصل العشوائي) وهي تقنية ابدعتها الولايات المتحدة. ومن اجل مواجهة هذا التحدي عمدت ١٣ شركة امريكية، وبينها "كونترول داتا" و"شركة الاجهزة الرقمية" و"هيوليت - باكارد" و"آي.بي.أم." و"انتل" و"موتورولا"، الى ضم جهودها عام

١٩٨٢ لتشكيل ائتلاف لاربحي لتقاسم تكاليف ابحاث الرقائق الالكترونية وتطويرها. وعلى نقيض المؤسسة المشتركة لا يجري هذا الائتلاف ابحاثه بنفسه، بل يرعى الابحاث التي تجرى في الجامعات. وقد انفق ٨،٢ ملايين دولار عام ١٩٨٣ وخصص ١٥ مليوناً بالسنة ١٩٨٤.

وكالة مشاريع ابحاث الدفاع المتقدمة. هذه الوكالة تدريها وزارة الدفاع الامريكية وهي اكثر من اي وكالة اخرى في العالم مسؤولة عن توجه المعلوماتية في هذه الايام، كذلك عن تقنيات اخرى كثيرة هي الآن واسعة الانتشار تجارياً. وأول دماغ الكتروني متفوق صنع عام ١٩٦٤ كان من انتاجها. كذلك الشبكات المتآلفة لنقل المعلومات وبيانات الادمغة الالكترونية في الآلات المكتبية الصغيرة التي توضع فوق المكاتب وفي العاب الفيديو وأجهزة القيادة في الطائرات المقاتلة "ف - ١٦". كل هذه جاءت من اختراعات تحققت برعاية هذه الوكالة.

الاولوية التالية للوكالة والتي من اجلها تسعى الى الحصول على مليار دولار في السنوات السبع المقبلة من الكونغرس (البرلمان) الامريكي، هي زخم جديد لتطوير الادمغة الالكترونية المتفوقة وتقنيات الذكاء الاصطناعي. وحالما يتم صنع هذه الآلات يغدو من الممكن انتاج جيل جديد مدهش من الاسلحة والمعدات العسكرية ومن بينها "أسلحة الانسان الآلي" كطائرات من دون طيار وغواصات غير مأهولة وسيارات تجري من تلقائها، تجمع بين الذكاء الاصطناعي والادمغة الالكترونية العالية القدرة التي يمكن ان توكل اليها مهمات يتعرض الانسان فيها للخطر. ويمكن استخدام آلة الذكاء الاصطناعي كمستشار في ميادين القتال، كما يمكن الادمغة الالكترونية الفائقة الذكاء ان تنسق بين اجهزة أسلحة معقدة.

الموجة الكبرى - في حين تحفز حاجات الامن الوطني تقدم تقنيات الادمغة الالكترونية المتفوقة، ثمة ايضاً سوق متنامية للاستعمالات التجارية. وتقنية الدماغ الالكتروني تستخدم الآن لانتاج الاعلانات التجارية في التلفزيون وألعاب الفيديو، كذلك في خلق تأثيرات خاصة في الافلام السينمائية الفضائية.

ان اعمق التغيرات التي ستنجم عن التقنيات الجديدة ستكون تطوير ادمغة الكترونية تحاكي تفكير الانسان. ويعمل العلماء اليوم في صنع ما يسمونه "الاجهزة ذات الخبرة" التي تحاكي خبرات الانسان في مجالات محددة. فعلى سبيل المثال صنعت شركة "تكنوليدج" في بالو ألتو (كاليفورنيا) لحساب شركة النفط الفرنسية "الف آكيتان" جهاز خبرة يمدها بالمشورة حول اكثر المشاكل الفنية كلفة في تلك الصناعة، اي ما يجدر فعله مثلا حين يعلق رأس الحفارة على عمق ألف متر تحت سطح الارض.

من اجل صنع هذا الجهاز اجتمع

مهندسو شركة "تكنوليدج" بالمسؤول الاعلى عن الاصلاحات في شركة "اكيتان" ويدعى جاك - ماري كورتاي. بعد ذلك برمجوا اجوبته والقموها دماغاً ألكترونياً. والبرنامج ليس سوى نسخة طبق الاصل عن خبرة كورتاي في هذا المجال. يطرح الدماغ الالكتروني اسئلة على رئيس فريق العمل في برج الحفر، تماماً كما يفعل كورتاي، ثم يقدم توصياته من طريق بيانات على شاشة ضوئية، ويعطي اقتراحات حول طريقة استخراج رأس الحفارة العالق. ونظراً الى تكاليف الحفر اليومية الباهظة فان شركة "الف - أكيتان" تسترد كلفة تطوير البرنامج بعد استخدامه بضع مرات.

وتعد شركة "جنرال الكتريك" برنامجاً يقدم مشورة في اصلاح القاطرات. كما ترغب وزارة الدفاع الامريكية في وضع برامج ذكاء اصطناعي تخدم كمساعد طيار في قمرة القيادة. كذلك سيتسنى لوسطاء الاسهم المالية وعملاء شركات التأمين الحصول على اي عون يطلبونه. ويتوقع مصممو برامج الادمغة الالكترونية الشخصية هجوم الذكاء الاصطناعي في موجة عارمة تكتسح السوق.

الاسلحة العجيبة - اذهل الانسان دائماً وارعبه احتمال ابداع آلات ذات قدرة على التفكير. ويقول هربرت سيمون استاذ المعلوماتية وعلم النفس في جامعة بتسبرغ في بنسلفانيا والحائز جائزة نوبل: "لا أرى حدوداً لقدرات الذكاء الاصطناعي. فكل مستلزمات الذكاء البشري متوافرة له. الآلات يمكنها الآن ان تفكر كالناس في مجال محدود."

ولكن ثمة مجالات واسعة في التفكير الانساني، كالارادة والانفعال والحس الاجتماعي، لا تزال بعيدة عن خبرات الادمغة الالكترونية. كما لا يزال العلماء بعيدين عن هدفهم النهائي، وهو دماغ الكتروني مشابه للدماغ البشري.

ومع ذلك فان التسابق على صنع الادمغة الالكترونية الفائقة الذكاء خليق بأن يرفع هذه التقنية الى مستويات عالية جديدة. وقد حث التحدي الياباني الولايات المتحدة على العمل. ويقول درتوزوس: "اذا استيقظنا من غفلتنا، فسنقهرهم بسهولة."

لا يعرف أحد الى أين سيؤدي هذا التنافس. ولكن اذا نجح هؤلاء المخططون في احداث ثورة في الادمغة الالكترونية، فان أسلحة "حروب النجوم" لن تكون بعيدة المنال.

■ عن "نيوزويك"



ذكاء آلي

"ما الذي يجعلك تظن أن هذا أعظم دماغ الكتروني تم ابتكاره؟"
- انه يضحك كلما لقمته أسئلة غبية.

صحيفة "دير شتيرن"، المانيا

لئن يكن انهيار الزواج امراً مؤسفاً، الا انه
لا يجوز ان يكون النهاية

الحياة بعد الطلاق



صباح ذلك السبت الشتوي أشعلنا النار في الموقد ونظر واحدنا طويلا الى الآخر، ثم دعونا أولادنا الى اجتماع عائلي. وجلسوا، وهم آنذاك في العشرين والتاسعة عشرة والخامسة عشرة، يستمعون الينا وقد وجه كل منهم أفكاره الى مكان آخر. ولكن ما أن شعورا بالخطر حتى ران صمت عميق على الغرفة. واذ ذاك ضبطنا أعصابنا، والدهم وأنا، لنذيع عليهم خبرا لم يتوقعوه البتة، وهو أننا عقدنا العزم على الطلاق.

وجمدت لوري وأخوها بوب واحتجا معا بعبارة "لا" جازمة. أما أصغر أولادنا، كريس فقال "لا" هو الآخر وأسرع نحو الدرج وهو يشهق ويبكي. وجاء صوت صراخه من الطبقة الثانية: "الطلاق أسوأ كلمة في اللغة."

وإذا سألت أحدا من عائلتنا عن

أقسى تجاربه حتى ذلك الحين، لأجابك أنها تلك اللحظة بالذات. والوقاع اني وزوجي لم نتخذ ذلك القرار على أثر خصومة أو جدل. لكن كلا منا عاش انفصاله وتعاسته وقتا طويلا من غير كلام. وأمضينا السنتين الأخيرتين ونحن نتكلم ونحاول أن نجد حلا، علما أن أيا منا لا يؤمن بالطلاق. إلا أن وقتا جاء أدركنا أن الطلاق سبيلنا الوحيد الى الخلاص، من أجلنا نحن الاثنين ومن أجل أولادنا أيضا.

وكان كل قرار نتخذه في ذلك الشأن ينطوي على انفعالات جمة، ورائدنا تأمين جو مريح لدراسة أولادنا، علما أن اثنين منهم في الجامعة والثالث في المدرسة الثانوية. واتفقنا على أن يبقى زوجي في البيت لرعايتهم وتأمين النفقات، وأعتمد أنا على ما يأتيني من نشر قصصي الواقعية. كما اتفقنا على أن أعيش قريبا لتأدية دوري في رعاية الأولاد.

غير اني وجدت التنفيذ عسيرا جدا. فمنذ طفولتي وأنا اوجه أفكاري شطر الحياة البيتية العائلية. وكلما تناولت القلم لأكتب، كان البيت موضوعا لمقالاتي. فكيف لي أن أتعزى إذا أنا غادرت العش؟ ترى ما الذي أكتب عنه، وكيف أعيش؟ وكيف لي أن أؤدي واجبات الامومة؟

على العتبة – حكم اتهامي قرأته في أعين أولادي الثلاثة: الامهات لا يغادرن البيت! لكني منحتهم وعدا: "سأبقى امكم على الدوام. وان هذا الحل هو لأجلنا جميعا... اني احبكم، ولسوف تعرفون ذلك." ووقفوا يحدقون إلي كأني ختنتهم أو حرمتهم شيئا، ثم أشاحوا بأنظارهم عني وأطبق على المنزل صمت رهيب.

ووجدت شقة صغيرة في القرية المجاورة. وفي اليوم المحدد لانتقالي إليها كان زوجي غائبا في رحلة عمل. وخرج الاولاد من المنزل قبل طلوع النهار وهم يرفضون أن يكونوا شهودا على تركي إياهم. وأخذني الارتجاف والبكاء وأنا أقف على العتبة لحظة خلتها دهرا قبل ذهابي.

وعدت الى المنزل عند الغسق مع عودة أولادي. وفتح أحدهم الباب وهو يبكي، ولم يكن لديه ما يقوله لي.

وكان ذلك في شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٢... نهاية وبداية.

لقد تم زواجنا عام ١٩٥٠، في مرحلة مثالية من هذا العصر. وكان زوجي شابا نشطا رائق الطباع. وتقبل كل منا دوره كما تلقاه: هو للسيادة والعمل خارجا وتأمين العيش، وأنا لتلبية رغباته وتربية الاطفال.

وما هو إلا وقت حتى غدونا أسيرين لهذه الادوار. وكان أن كوّن كل منا اهتماماته بعيدا عن الآخر. ولكن على رغم ذلك كانت لنا أوقات رائعة معا. وكان أهم نشاطاتنا الكلام. غير أننا لم نتطرق البتة الى المسائل المهمة. اسوة بالذين نعرفهم. وكنا نواجه الخيبة بالسخرية ونتصدى للتعاسة بنصيحة جاءتنا من كل حدب وصوب، وهي أن على المرء أن يحاول أكثر وأن يستر تعاسته بقناع السعادة.

وفي العام ١٩٦٠ انتقلنا الى الريف. هناك أتت علي وحشة مؤذية حيث لم تكن لي سيارة ولا أصدقاء ولا موارد. وكانت رغبات زوجي مختلفة عن رغباتي الى الحد الذي غرّبني سنة بعد سنة. وبات أولادي لا يكترثون لنصائحي، مما أقصاني عن البيت أكثر فأكثر. وتملكتني نزعتان متناقضتان: فأنا، من ناحية، احب الحياة العائلية والعمل البيتي. لكنني، من ناحية اخرى، وجدت أن صوتي ليس مسموعا في ذلك المنزل.

اختيارات شخصية – إذ ذاك باشرت الكتابة، دونما اكتراث لمبدأ توزيع الادوار التقليدي. وجاءت الكلمات تعبيرا عن كل الفرح والحنان الذي تختزنه نفسي والذي رفضته خاصتي. ورحت أكتب كما لو شئت أن أقول لهم: "انظروا! ها أنذا بينكم! إنني افكر وأشعر وأحتاج... انني موجودة."

إلا أن جمهوري الاشد إدراكا وجدته خارج المنزل، لا داخله. وظللت أطمح الى الامر الآخر ولا أناله، حتى لجأت أخيرا الى استشارة ذوي الاختصاص. وتبين لي بعد وقت أن في إمكاني أن احقق ذاتي وأكون نفسي. وهكذا عدت الى عائلتي وأنا أشعر بالقوة والسعادة.

ولكن يبدو أن العائلة من أشد المؤسسات الاجتماعية لصوقا بالعادات. وهكذا كان نصيب التبدل الذي طرأ على حياتي المقاومة العائلية. وحاولت وزوجي عبثا اكتشاف طرائف من شأنها إعانتنا على تعديل الادوار التي اقتدى بها كل منا طوال ٢٢ سنة من الحياة الزوجية.

في اليوم الاول من حياتي الجديدة حصل أمر غريب بيّن أن مخاوفي لم تكن في محلها. فقد قمت في العصر أتفقد شقتي لتفاجئني السكينة في زواياها جميعا. فهنا صحون امي نظيفة على الرفوف، وهناك رسوم أولادي، وفي ركن آخر كرسي هزاز سلطت الشمس ضوءها على بعضه، وها هو الستار يتحرك قليلا مع الهواء.

وسمرتني تلك السكينة في مكاني بعدما أدركت أنها تنتمي إلي شخصيا لأنها من صنعي. وفرحت كثيرا لمعرفتي ذلك... لقد عشت أيامي السابقة وفقا لاختيارات الآخرين. وأنا اريد اليوم أن أبقى امرأة فاضلة، ولكن وفقا لاختياراتي.

واستمرت سعادتي في الايام اللاحقة على رغم الدموع التي ذرفتها لما فقدته عبر الطلاق. وكان الاولاد يشغلون أفكاري معظم الوقت، وأنا أتمنى لهم أن يكبروا بالحب وفي الحب.

وذات يوم سمعتُ وقع خطاهم على السلم وقد جاؤوا معا ليروا كيف أعيش. وإذ وجدوني سعيدة ومبتهجة بزيارتهم، تقدموا إلي أكثر، وقالت لوري: "يا له من مكان هادىء." وأضاف كريس بكآبة: "انه يشبهك." ووجدت تعليقه من الصحة بحيث رقص قلبي في داخلي.

ورأيت بوب يرفع وعاء أحببته. وراح يتفحصه بتؤدة ليتأكد أنه ذلك

الوعاء نفسه. ثم أعاده بعناية الى مكانه ونظر مباشرة الى عيني وهو يبتسم، وكأنما شاء أن يعبر عن اكتشافه، لحسن الحظ، أن امه لا تدع ما تحبه جانبا.

وفي اللحظة نفسها اكتشفت بدوري شيئا، وهو أن أولادي الثلاثة علّقوا حكمهم علي، علهم يكشفون الحقيقة من زاويتها الصحيحة. وضممت كلا منهم إلي، وأحسست للمرة الاولى منذ زمن أنهم لا يبتعدون عني.

أمل جديد ـ أمضيت الايام القليلة التالية وسط شعور من الحب والدهشة، افكر في أولادي وفي زيارتهم التفقدية. وأدركت إذ ذاك معنى اللين المفاجىء الذي أظهروه جميعا نحوي: إنهم لم يكتشفوا حضوري في حياتهم إلا بعد تركي إياهم.

وأتبعوا زيارتهم تلك الاولى بزيارات كثيرة ما لبثت أن تجاوزت مفهوم الزيارة التقليدي. فباتوا يأتون كمن يأوي الى بيته، ونقطع معا شوارع القرية ومنعطفاتها عائدين بما اشتريناه من محلاتها. وكانوا يعبرون عن التذاذهم بطعام امهم، ثم يتبارون على غسل الاواني بعد الاكل.

وما برح الاولاد يدرسون الجوانب التي خفيت عليهم مني. وظلوا يتبعونني بنظراتهم أينما ذهبت، وهم لا ينفكون عن طرح الاسئلة: ترى ما سر السعادة التي استيقظت فيّ؟ أتراهم جزءا من سعادتي؟ إذا كان الطلاق تجربة انكسار، فما الذي نفعله بالاجزاء المتكسرة؟

ورحنا نتحدث من غير أن نتطرق كثيرا الى المسائل الكبيرة. لكن كلا منا سر بكوننا معا من وقت الى آخر. وكلما ضممت أحد أولادي الي، أحسستني أحلق الى السموات العلى، حيث أنظر دوني فأرى مشاهد تجل عن الوصف.

إنه الأمل يشع حولنا ويتيح.

وفي حين يخيب الطلاق آمالا كثيرة، وربما حطم الأمل كله، فان ثمة أنواعا من الطلاق تترك مجالا لبعض الآمال.

وبعدما عجزتُ وزوجي عن حل مشكلاتنا بمفردنا سعينا الى نصح المختصين. وذلك أعان كلا منا على تأكيد ثقته بنفسه وبكونه فردا صالحا، وإن تكن العلاقة في ما بيننا غير سعيدة. لقد حلمنا معا ذات يوم، وفي إمكاننا اليوم أن نبكي أسفا على موت ذلك الحلم. لكن المهم أننا استطعنا تدبر أمر طلاقنا بحكمة، حتى توصلنا الى اتفاق مدروس لمصلحتنا نحن الاثنين ومصلحة أولادنا الثلاثة. وهنا بعض نقاطه:

لقد اتخذنا تدابير عملية بالنسبة الى كلينا، وإن تكن غير تقليدية. واتفقنا على أن يبذل كل منا قسطه في تربية الاولاد، على رغم اختلاف آرائنا في هذا النطاق. إلا أن ذلك الاختلاف لم يسبب مشكلة للأولاد أو لنا.

ومما تضمنه اتفاقنا أن نبقى على اتصال، وأن يحصل ذلك في ظروف مناسبة لجميع الاطراف المعنية. وبقينا، بعد الطلاق، نذهب أنا وزوجي والاولاد معا في بعض

المناسبات كالاجازات والاعياد والدعوات والتسلية. وكان ذلك غريبا بادىء الأمر، إلا أنه غدا متعة لنا جميعا.

وتجنبنا الحد من حرية أولادنا. وتبين أنهم أهل بثقتنا وبالحرية التي أتحناها لهم. وبقيت اذكر نفسي بأن هذه الحرية يجب أن ننعم نحن بها كذلك، فلزوجي حياته الخاصة، ولي أنا حياتي. أما أولادنا فلنا معا.

مائدة محبة – إذ انظر اليوم الى سنوات طلاقي، أجد أن نصف السنة الاولى كان بمثابة شهر عسل نعمت خلاله مع أولادي بالمحبة والفرح. وكانت أحاديثنا متعة لنا جميعا. واكتشفنا تجارب جديدة وزوايا جديدة من حياتنا.

غير أن القلق بدأ ينتابني مع دنو الشتاء. فالطلاق يؤذي كل من يأتي في نطاقه. وقد تبين لي أن أولادنا لم يسلموا من ذلك الاذى. وبدلا من التعبير عن همومهم تحت سقف واحد، راحوا يتنقلون بين منزل أبيهم ومنزلي للتنفيس عن تلك الهواجس. وأهم ما في الامر فقدان أملهم بالمحبة المثالية التي تعهدت وأباهم على تأمينها لنا جميعا.

وارتأيت أول الامر أنه من الضروري أن أفعل شيئا، أن أقدم على خطوة ما. وسرعان ما أدركت أن تلك الخطوة ينبغي أن تكون الاصغاء. فعندما يكون المرء شديد الاضطراب، ألا يحتاج أن يصغي أحد إليه أكثر من حاجته الى أي أمر آخر؟ لذلك رحت أصغي إليهم كما تمنيت على الدوام أن يصغي أحد إلي. وتعلمت الكثير مما سمعته.

لقد كان أولادي الثلاثة حانقين وقانطين، لكنهم لم يفقدوا قدرتهم على الكلام والتعبير عن ذلك. ولم تكد تنقضي عاصفة حتى تهب سواها. وكان ذلك من مآسي الطلاق. لكننا استعطنا تجاوز تلك المرحلة ولذنا كلنا بالمحبة.

وبعد انقضاء السنة الاولى وجدنا أنفسنا نقف فوق أرض أكثر ثباتا. وأظهر الاولاد موهبة لحل المشاكل والتصدي للصعوبات من الزاوية الحقة. وذات يوم أتوني وأعلنوا بفرح: "إنك وأبي مختلفان في ما تبتغيانه من الحياة. ونحن لا نعلم كيف استطعتما البقاء هذه السنوات كلها معا."

وتحدثنا عن المثل والعهود وخوف السقوط وكل ما يعترض العلاقات من عراقيل. ولم نلبث أن وجدنا أنفسنا نقلّب رسوما تمثل ثلاثة أجيال من عمر عائلتنا. خضنا في حديث عن المناسبات السعيدة والتعيسة في تجربة كل منا، وعن أسباب السعادة والتعاسة هنا وهناك. وتطرقنا الى التنوع الانساني الذي تنطوي عليه العائلة، وحللنا خبرتنا في ضوء ذلك التنوع.

بعد ذلك لم يبق الطلاق هاجسا في حياتنا. وعاش كل من أولادنا الثلاثة خبرته، وكان ينهض كلما كبا، كما يشرك الآخرين في ابتهاجه.

وانقضت سنوات ثلاث. بيع المنزل القديم ووزع ثمنه بالتراضي. ووجد زوجي السابق امرأة اخرى. وعدل

أولادنا مفهوم العائلة ليشمل زوجة أبيهم وأخواتهم الثلاث الصغيرات. وبقيت وأولادي تواقين الى اختبار كل جديد. وانطلق كل منا في طريقه لهذه الغاية.

وعاش كل منا حياته في أمكنة متباعدة. وظللنا على اتصال بالهاتف الى أن باشرنا مرحلة جديدة بانتقالنا جميعا الى منطقة نيو إنغلاند على الساحل الشرقي للولايات المتحدة،

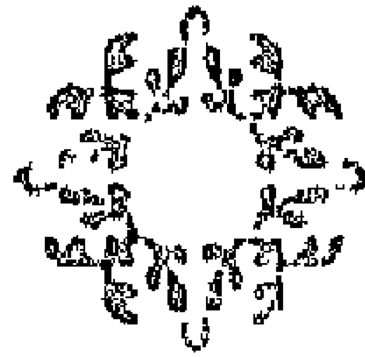
وفي ليلة ضمتنا جميعا الى مائدة محبة، غمرنا شعور بالسعادة يفوق الوصف. ومد بوب ذراعيه وقال بجذل: "انظروا الى هذه العائلة السعيدة!"

أجل، إنها معجزة صنعناها بأيدينا.

إلا أننا لسنا متفردين في هذا المجال. فهناك سوانا من العائلات التي كسرها الطلاق، ثم استطاعت جمع أجزائها لتبني منها كلًا جديدا. وتبدلت الاشكال، لكن الوحدة تحققت من جديد آخر الأمر، وبقيت العائلة عائلة. وهي في أحيان جاءت أقوى مما كانت في شكلها القديم.

ولكن لا أريد أن يساء فهمي، فيظن اني أتخذ من الطلاق قاعدة لتسوية كل خطأ في الحياة الزوجية. واني وأولادي كنا نتمنى الوصول الى سعادتنا الراهنة عن غير هذه الطريق وعبر إبقاء الروابط الزوجية قوية. والحق أن أولادي يطمحون الى زواج ثابت متين. وأتمنى أن تكون تجربتنا لقنتهم المبادىء الاساسية لجعل هذه الغاية ممكنة، ولأبقاء الاواصر العائلية حتى وسط ما يعترضها من أزمات. وإن أملي كبير في أن يتمكنوا من ذلك.

■ جوان ميلز



ذوق بليد

جلس زملائي في ورشة البناء يتحدثون عن البرامج التلفزيونية التي شاهدوها المساء الفائت، وراح أحدهم يصف جهاز التحكم عن بعد الذي يتيح له تبديل المحطات وهو في مقعده. فقاطعه آخر قائلا: "هذا من الكماليات التي أستطيع الاستغناء عنها. فان زوجتي وابنتي تلبيانني فوراً كلما شئت تغيير محطة التلفزيون."

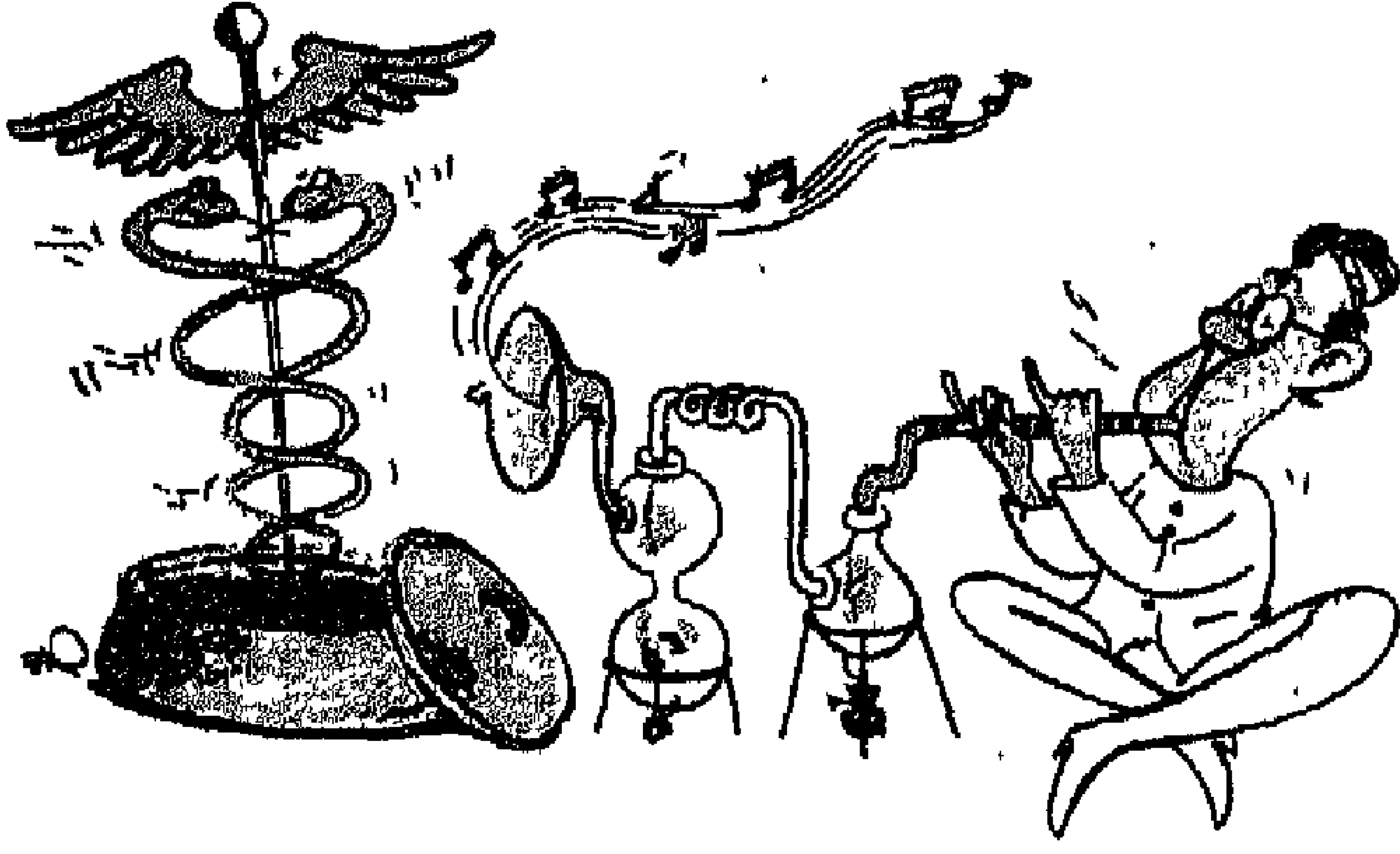
ا.ر.

جدة نادرة

حين وجدت، لخوفي، أن جدتي العجوز ما زالت تتسلق سياج الحديقة لزيارة جارتها، سألتها لماذا لا تذهب على الطريق الأبعد والأضمن. فقالت: "اسمع، في آخر هذه السنة أبلغ الثامنة والتسعين، ولا أريد اضاعة الوقت."

ز.ه.

أصداء من عالم الطب



الرياضة القسرية

ان بعض الرجال المتوسطي العمر الذين يمارسون الركض يفعلون ذلك لدوافع خطرة، كما تبين لثلاثة باحثين من جامعة اريزونا في تكسون نشروا تقريراً حول الموضوع في مجلة "نيو انغلند الطبية". والباحثون هم الاطباء النفسيون الين ييتس وكيفين ليهي وكاترين شيسلاك الذين وجدوا، بعد مقابلتهم ستين رجلا متوسطي السن ممن يمارسون الركض، نقاط تشابه قوية بينهم وبين النساء الصبايا اللواتي يعانين الاضطراب العصبي الناجم عن فقدان الشهية.ووجدواان أولئك الرجال منطوون على ذواتهم وانهم يعانون الوحدة والكآبة والقاء اللوم على الذات وعدم التعبير عن الغضب على نحو مباشر.

وبما ان النساء يحكم عليهن اجتماعياً بمقاييس الجمال فيما يحكم على الرجال بمقاييس القدرة الرياضية، فالفتيات اللواتي يلجأن الى الحمية لتخفيف السمنة يتعرضن لفقد القابلية للاكل، بينما يجد الرجال الذين يمارسون الركض للبرهان عن رجولتهم انهم يركضون رغماً عن ارادتهم. ويقول التقرير ان "سلوك هؤلاء الرجال واولئك النساء يغدو مرضياً وتكرارياً وفاقد المرونة".

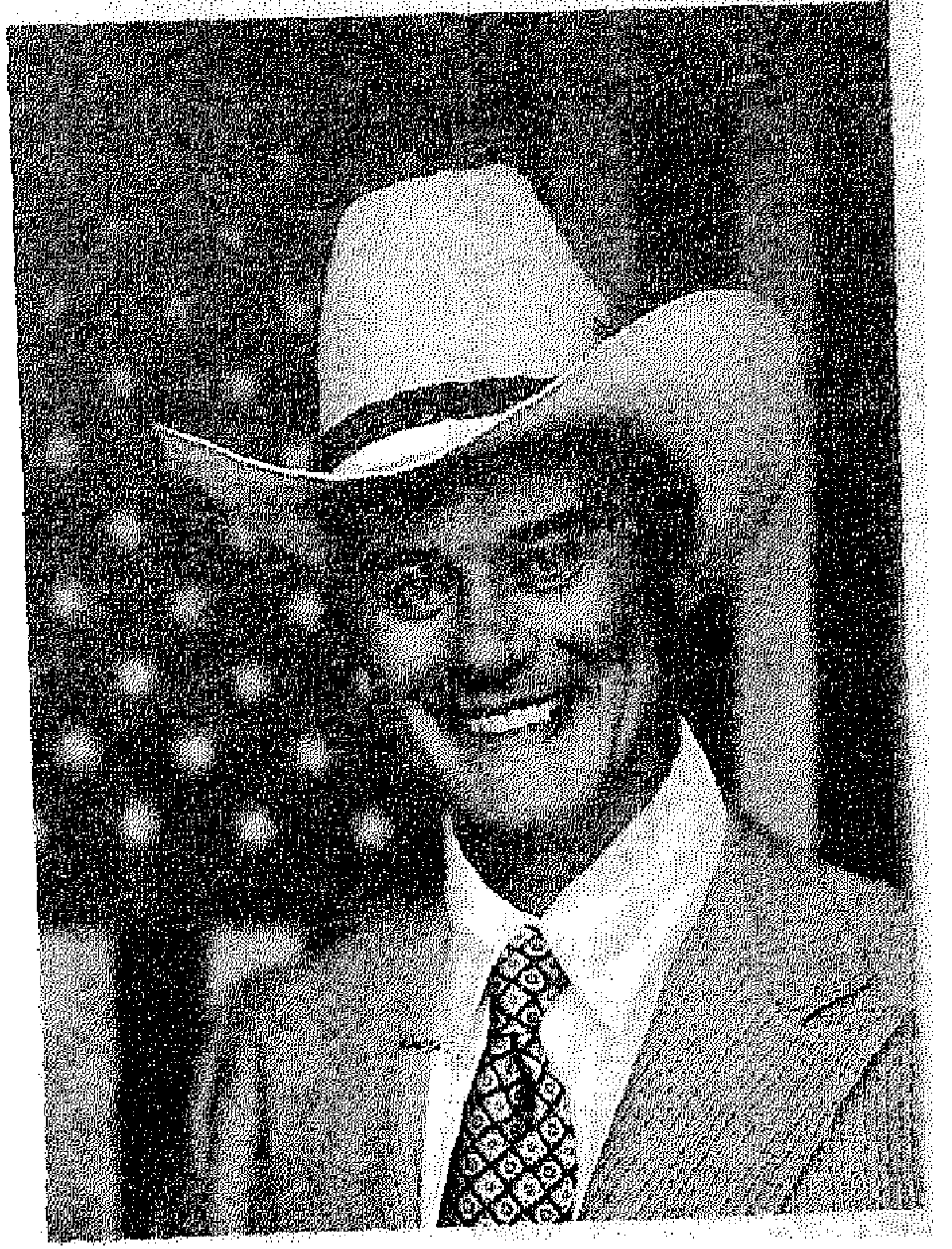
صحيفة "اخبار نيويورك اليومية"

السد لدى الاطفال

يقدر ان طفلا واحداً من بين عشرة آلاف يولد مصاباً بسد حاد، وهو اعتام في عدسة احدى العينين او في العدستين معاً. وعلى رغم ان الجراحة اللاحقة تكسب العينين مظهراً طبيعياً فأنها لا تحل المشكلة طبياً. ويظن الخبراء ان هذه العلة من شأنها - ما لم تعالج فوراً - ان تعطل اعصاب الرأس المتعلقة بالبصر خلال الاسابيع او الاشهر القليلة التالية للولادة. ومن اجل معالجة الامر قبل فوات الاوان، يقترحون اجراء جراحة لازالة السد قبل تزويد الاطفال بنظارات رقيقة او عدسات لاصقة. ويقول الدكتور كريغ هويت، استاذ طب العيون في جامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو الذي اجرى اختبارات في هذا الحقل دامت اربع سنوات، ان الجراحة ينبغي ان تتم خلال ثمانية اسابيع تعقب الولادة اذا كانت العينان مصابتين وخلال ١٦ اسبوعاً اذا كانت عين واحدة هي المصابة.

ويقول هويت الذي اجرى العملية على ٣٤ طفلا ولدوا بعلة السد في عين واحدة قبل بلوغهم الاسبوع السادس ان واحداً وعشرين منهم يتمتعون اليوم بحاسة بصر تمكنهم من القراءة.

وكالة "اسوشيتد برس"



في انحاء العالم قاطبة حيث يعرض المسلسل التلفزيوني "دالاس" ذاع اسم ج٠ر٠ يوينغ، ذلك الرجل الذي يحب جميع الناس ان يكرهوه

ج.ر. يوينغ: بطل "دالاس" الذي يُحبّ أنْ يَكرَهَه النّاسُ

Photos: Nancy Ellison / Gamma - Liaison, Fotos International / Pictorial Parade, Zimmerman / Girard Studio Group, Mark Sennet / Gamma Liaison, Zimmerman / F.P.G.



داخل أحد فنادق دالاس الفخمة في ولاية تكساس كانت قاعة الرقص تعج بالمدعوين الى الحفلة التي أقامها أقطاب النفط في الولاية. وفيما بقي بعض المدعوين من علية القوم في حلبة الرقص تفوح منهم رائحة عطور باهظة الثمن، جلس آخرون الى طاولات مزينة بقطع من الفضة في شكل آبار نفط.

والواقع أن أقطاب النفط لا يقيمون حفلات راقصة في مدينة دالاس. لكن الراقصين دعوا للمساهمة طوال يوم كامل في حفلة راقصة كي يتاح لمنتجي مسلسل "دالاس" التلفزيوني تصوير مشهد من ١٥ دقيقة يختلط فيه الممثلون بعدد من نجوم المجتمع الحقيقيين. وهذا العمل جزء من حلقة بعنوان "الحفلة الراقصة الكبرى." وتساءل بعض الحاضرين هل يمكن ان يلاحظ المشاهدون وجود طبقة من الأثرياء الحقيقيين بين الممثلين؟ وأجابت ليندا غراي التي تمثل دور سو ايلين يوينغ، زوجة ج. ر. التي طال عذابها: "هذه الحال شبيهة بحال من يرتدي ثياباً داخلية من حرير، اذ ليس ضرورياً أن يعرف ذلك أحد سواه."

وقد يكون الالتفات الى مثل هذا التفصيل الدقيق ضرورياً للايهام بالواقع في قصة عائلة يوينغ التي يتابعها ٣٠٠ مليون شخص في ٨٦ بلداً. لقد بات "دالاس" أكثر المسلسلات نجاحاً في التلفزيون الامريكي منذ بدئه عام ١٩٧٨. وهو يعد في كندا أحد البرامج الثلاثة الاكثر حضوراً. وفي بريطانيا والمانيا الغربية يعتبر من بين البرامج العشرة الاوسع انتشاراً. أما في مصر حيث أصاب نجاحاً منقطع النظير عام ١٩٨١، فقد بات الاكثر رواجاً في محلات الفيديو وأمسى يشكل تجارة رابحة في القاهرة بعدما اوقف عرضه في التلفزيون.

والى ذلك بلغ عدد مشاهدي احدى حلقات "دالاس" عام ١٩٨٠ رقماً لم يسبق له مثيل في تاريخ التلفزيون الامريكي اذ كشف في تلك الحلقة عن مطلق النار على ج.ر. الخسيس الذي مثل دوره ببراعة لاري هاغمان. ومنذ ذلك الحين انتشرت ظاهرة "من قتل ج.ر؟" في أرجاء العالم. ففي لندن رابط أحد المراسلين في المطار واعترض حامل نسخة الحلقة الحاسمة الى التلفزيون البريطاني وحاول استجوابه عن هوية قاتل ج.ر. وعرفت المانيا "من المجرم" في ربيع ١٩٨٢. ولم تعرف فرنسا السر الا في خريف العام نفسه.

الغنى الفاحش – لماذا يهتم هذا العدد الكبير من الناس بما يحدث لشخصية ج.ر. يوينغ الوهمية ولأفراد عائلته الوهميين؟ في رأي كاتب "دالاس" ومنتجه ومخرجه لين كاتزمان، يرجع السبب "الى أن البرنامج هو في ضخامة ولاية تكساس، أي انه اعظم وأكثر كلفة من جميع أشباهه من القصص المثيرة الرائجة التي تبثها الاذاعة والتلفزيون." فموازنة الحلقة الواحدة من "دالاس" تزيد على ٧٠٠ ألف

دولار، وهي من أعلى الموازنات في البرامج التلفزيونية. اما غنى شخصيات "دالاس" فيتجاوز بما لا يقاس معدل الغنى العادي.

ويقول منفذ الانتاج فيل كابيس: "غير ان عائلة دالاس لا تعرف طعم السعادة على رغم جميع ما تملكه، مما يحدو المشاهدين على القول: قد يعوزنا ما لديهم من مال وسلطة، لكننا في الوقت نفسه لا نعاني مشكلاتهم." ويضيف هوارد كيل الذي يمثل دور كلايتون فارلو: "ان مفتاح نجاح برنامجنا هو ان المشاهدين يرون الشخصيات تفعل كل ما يتمنون هم فعله ويحجمون عنه. ووقوع هذه الشخصيات في مآزق هو عزاء لهم."

وقد يكون انتهاء حلقات "دالاس" بمواقف حابسة للانفاس من بين أسرار نجاحه الهائل. فعلى المشاهد ان ينتظر الحلقة التالية لمعرفة ما سيحدث أو من هو المجرم. وقد ذكرت مجلة تلفزيونية سويسرية أنها تلقت رسالة من زوجة رجل يعالج في المستشفى لاصابته بمرض خطر، وجاء في الرسالة انه سأل بعد وعيه من غيبوبة: "ألا يزال ج.ر. خسيساً؟"

الانطلاقة – يمكن تلخيص مسلسل "دالاس" للذين لم يشاهدوه قط او الذين شاهدوه في مراحل متقدمة على النحو الآتي: انها قصة عائلة يوينغ التي أصابت الغنى والسلطة من النفط والماشية ومصالح أخرى. وترك هذا كله أثراً في أجيال ثلاثة من العائلة وفي عدد لا يحصى من الناس الذين تتداخل حياتهم مع حياة العائلة.

وقد نشأت فكرة المسلسل على نحو أبسط كثيراً مما هو الآن. ففي العام ١٩٧٧ عنّ لكاتب قصص تلفزيونية في الولايات المتحدة يدعى ديفيد جاكوبس ان يكتب مسلسلا عن جماعة من الاثرياء في جنوب غرب البلاد ليبتعد عن أجواء الطبقة الوسطى في ولاية كاليفورنيا التي تدور حولها معظم برامج التلفزيون الامريكي. وتركزت حبكة جاكوبس على امرأة شابة من الطبقة الفقيرة تزوجت ثرياً من أقطاب النفط في ولاية تكساس. وتولت شركة "لوريمار" انتاج القصة في شريط تلفزيوني. وما كاد الموسم الاول لتقديمها ان ينقضي حتى كان الكتاب والممثلون والمشاهدون حولوا مسلسل "دالاس" عن غايته الاولى، ودخلت قصة عائلة يوينغ عناصر بالغة التعقيد لم ترد في خاطر جاكوبس لدى شروعه في كتابة القصة.

وأسوة بالعائلات الكبرى كان لعائلة يوينغ رئيس اسمه جوك يوينغ. وفي العام ١٩٨١ مات جيم ديفيس ممثل دور جوك بداء السرطان، فعمد المؤلف الى اماتة الشخصية التي يمثلها جيم. (أصيبت حديثاً بربارة بل غدس التي تمثل دور أرملة جوك بنوبة قلبية حادة وقد يكون للحادث أثر في تغيير نص المسلسل). غير ان خلفاء جوك من عائلة يوينغ لا تعوزهم القدرة على ادارة مملكة العائلة.

وكر افاع – خلف جوك ابنين هما ج.ر. وبوبي. ويصف مبتكرو شخصيتيهما الاول بأنه مفرط في استغلال سلطته الى حد الغرور والثاني

بأنه كان زير نساء اختار ان يجعل حياته وقيمه أكثر استقراراً٠ أما باميلا زوجة بوبي فهي الفتاة الفقيرة التي ساعدت المؤلف ديفيد جاكوبس في الانطلاق بقصته٠ وأما أخوها كليف ارنز فبات شخصية ذات شأن في القصة لأنه يمثل عدو ج٠ر٠ الرئيسي الذي يحاول ان يضع حداً لسلطة عائلة يوينغ٠

وبات بوبي يوينغ نفسه أعظم شأناً مما اختير له ان يكون٠ فقد أراده المؤلف ان يقضي بحادث بعد تزوجه باميلا بوقت قصير ويترك عروسه تكافح وحدها لتحفظ منزلتها في عائلة يوينغ٠ يقول كابيس: "كان يفترض في المسلسل ان يكون قصة امرأة بريئة في وكر أفاع سامة، الا ان الانسجام التام بين بوبي وباميلا (مثل دوريهما باتريك دوفي وفيكتوريا برنسيبال) جعلنا نقرر الاحتفاظ بشخصية بوبي٠"

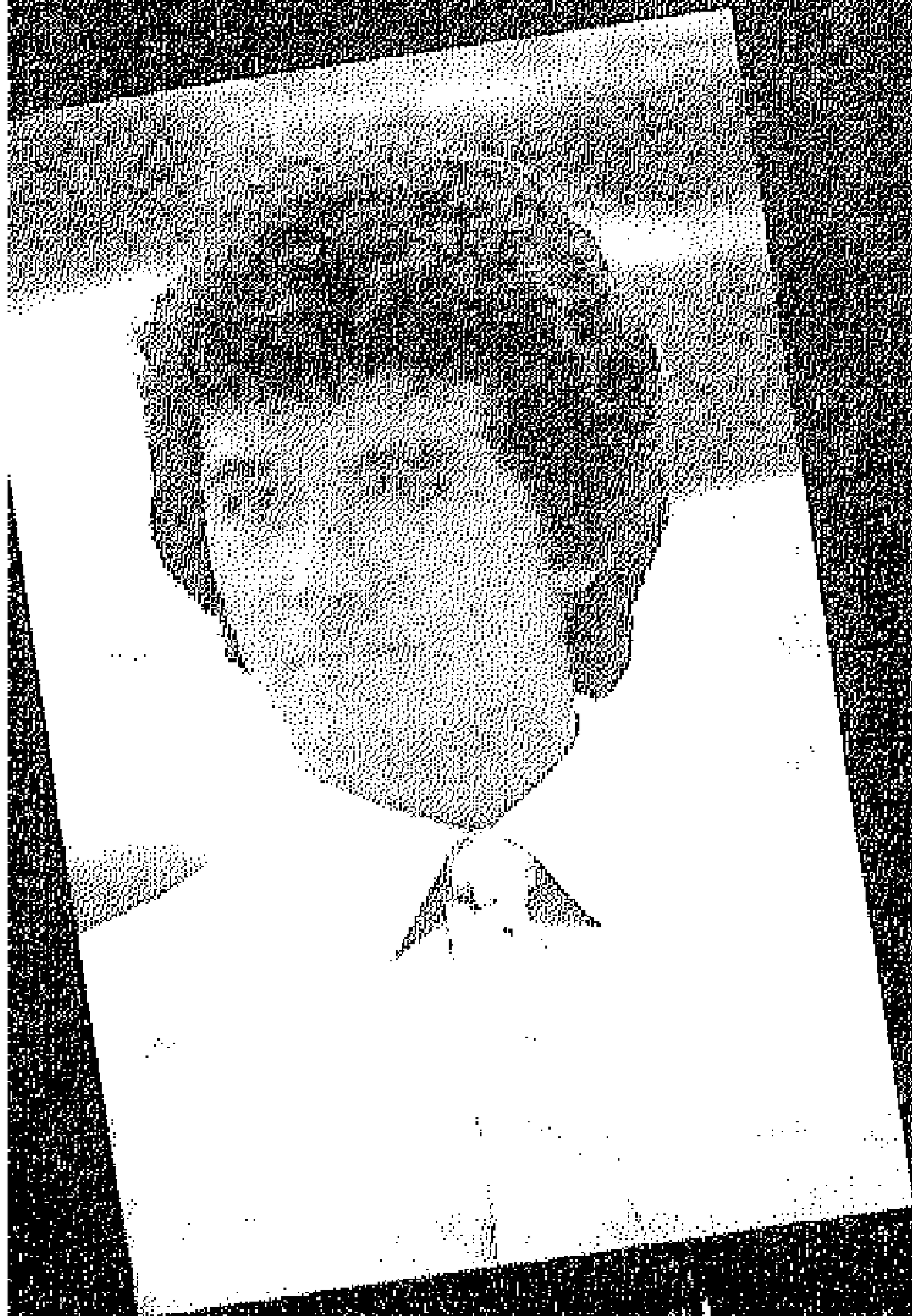
أما زوجة ج٠ر٠ سو إيلين فكان المنتجون مزمعين على التخلص منها في وقت مبكر٠ فهم أرادوها أصلا شخصية ثانوية تمثل دور ضحية طال عذابها بسبب انصراف ج٠ر٠ عنها الى غيرها من النساء٠ ولكن عندما بدأت ليندا غراي تمثيل الدور ولمعت مع لاري هاغمان، باتت سو إيلين شخصية محورية٠

ولم يكن أحد يقدر مدى تأثير ج٠ر٠ يوينغ في نجاح المسلسل على رغم كونه رجلا ماكراً يحب الناس ان يكرهوه٠ فقد حاول ان يسجن زوجته في مصح ويرهن مزرعة العائلة "ساوثفورك" من دون ان يخبر والديه٠ كما أنه باع مدير المصرف الذي تتعامل معه العائلة عقود استثمار آبار نفط ناضبة ونبذ خليلاته كما يلقي القمامة٠

عطور ج٠ر٠ – غير ان ج٠ر٠ كما يمثله هاغمان لا يخلو من بعض الاحاسيس الانسانية٠ وكثيراً ما اختلى رجال متزوجون في أنحاء العالم بمبتكري مسلسل "دالاس" ليعترفوا لهم بأن ج٠ر٠ لا يختلف عن رؤسائهم في العمل٠ وسرعان ما تقاطعهم زوجاتهم ليشكين من ان ج٠ر٠ يشبه ازواجهن٠

وقد لاقت شخصية ج٠ر٠ رواجاً كبيراً في المانيا الغربية مما حدا احدى محطات التلفزيون المحلية على تقديم برنامج انتحل فيه أحد الممثلين تلك الشخصية وراح يعيث فساداً بين زارعي الكرمة في منطقة راين هسيان٠ وسجل مغن الماني شعبي يدعى مايك كروغر أغنية جاء فيها: "أنا أخو ج٠ر٠ من المانيا الغربية٠" وفي بريطانيا وحدها بيع ٣٧٦ الف زجاجة عطر لما بعد الحلاقة تحمل اسم ج٠ر٠ والى ذلك طبع اسم ج٠ر٠ ورسمه على قمصان وقبعات وسراويل جينز وأوراق شدة والواح سهام مريشة واوراق مصمغة٠

ومع ذلك فأن ثمة من لا يحب عائلة يوينغ٠ ففي مؤتمر ثقافي عقد حديثاً في باريس برعاية الحكومة الفرنسية وحضور مثقفين من انحاء العالم أبدى بعض الحاضرين استياءهم الشديد من مسلسل "دالاس"٠ وفي رسالة مشتركة الى صحيفة "النيويورك



باتريك دوفي
"بوبي"



جيم ديفيس
"جوك"



بربارة بل غيدير
"مس ايلي"

ستيف كانالي
"راي"





هوارد كيل
"كلايتون"



ليندا غراي
"سو ايلين"

شارلين تيلتون
"لوسي"

فكتوريا برنسيبال
"باميلا"



سوزان هوارد
"دونا"



كين كيرشفال
"كليف"

تايمس" قال المؤلفون الامريكيون نورمان مايلر ووليم ستايرون وتوم بيشوب وسوزان سنتاغ: "لقد أصبح دالاس رمزاً للمستوى الثقافي الذي تمثله الافلام السينمائية والتلفزيونية الواسعة الانتشار والذي يترك أثراً سيئاً في ثقافاتنا المحلية٠ وليس ضرورياً ان يكون المرء خصم الامريكيين كي يندب المستوى الرديء لهذه المنتوجات الثقافية٠"

وفي الاجتماع السنوي للمجلس الثقافي الاوروبي الذي عقد في شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٢ في المانيا الغربية شكا المعلمون من ان طلابهم يتأثرون ببرنامج "دالاس" واشباهه من البرامج التي تمثل جانباً معيناً من أمريكا والامريكيين أكثر مما يتأثرون بالتعليم الذي يتلقونه في الصف مهما بلغت جودة هذا التعليم٠

اخفاق ياباني – على رغم هذه الانتقادات فقد استطاع بلد واحد فقط هو اليابان مقاومة جاذبية "دالاس" الذي اصاب هناك اخفاقاً ذريعاً٠ ويرى بعض كبار موظفي التلفزيون الامريكي ان اليابانيين الذين نشأوا على احترام العائلة لا يمكن ان يرتاحوا الى مشاهدة النزاعات القائمة بين أفراد عائلة يوينغ٠

ولكن ما دام المشاهدون في بلدان أخرى يولون مسلسل "دالاس" اهتمامهم فلن يسمح مبتكرو هذا البرنامج بنضوب معين البلايا الحالة في عائلة يوينغ٠ وفي العام ١٩٨٤ ستبدأ شركة "لوريمار" بالاشتراك مع شركة "يونيفرسال" تصوير فيلم سينمائي مقتبس عن "دالاس"، يمثل فيه لاري هاغمان ومعظم زملائه وتقدر كلفته بثمانية ملايين دولار٠ ويعلق أحد انصار البرنامج في ولاية تكساس: "اذا كنت تظن ان ج٠ر٠ يبدو على الشاشة الصغيرة شخصاً خسيساً، فانتظر حتى تراه على الشاشة الكبيرة٠ فسوف ترى الشيطان يعتمر قبعة٠"

■ جون كالهان



طالب تقاعد

مدير الشركة لطالب الوظيفة: "لا شك أن لدينا تعويضاً للتقاعد٠ واذا عملت معنا، فلسوف تبلغ سن التقاعد سريعاً٠"

ب٠ت٠

مختصر مفيد

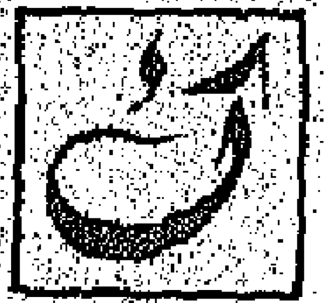
في اجتماع لأحد النوادي نالت خطيبة الاحتفال اعجاب الجمهور على أثر جملتها الافتتاحية الآتية: "بعدما أخبرني منظمو اللقاء أن في امكاني الكلام طوال عشرين دقيقة، سألتُ زوجي عن طريقة لتحديد الوقت، فأجاب: "عندما تظنين أنك تكلمت دقيقة واحدة، توقفي٠ فهذا يعني انقضاء عشرين دقيقة٠"

ر٠ب٠

نجوم الصحراء



العيش الشظف اكسب بدو الطوارق فلسفة ومرحاً وقسوة ولطفاً في آن



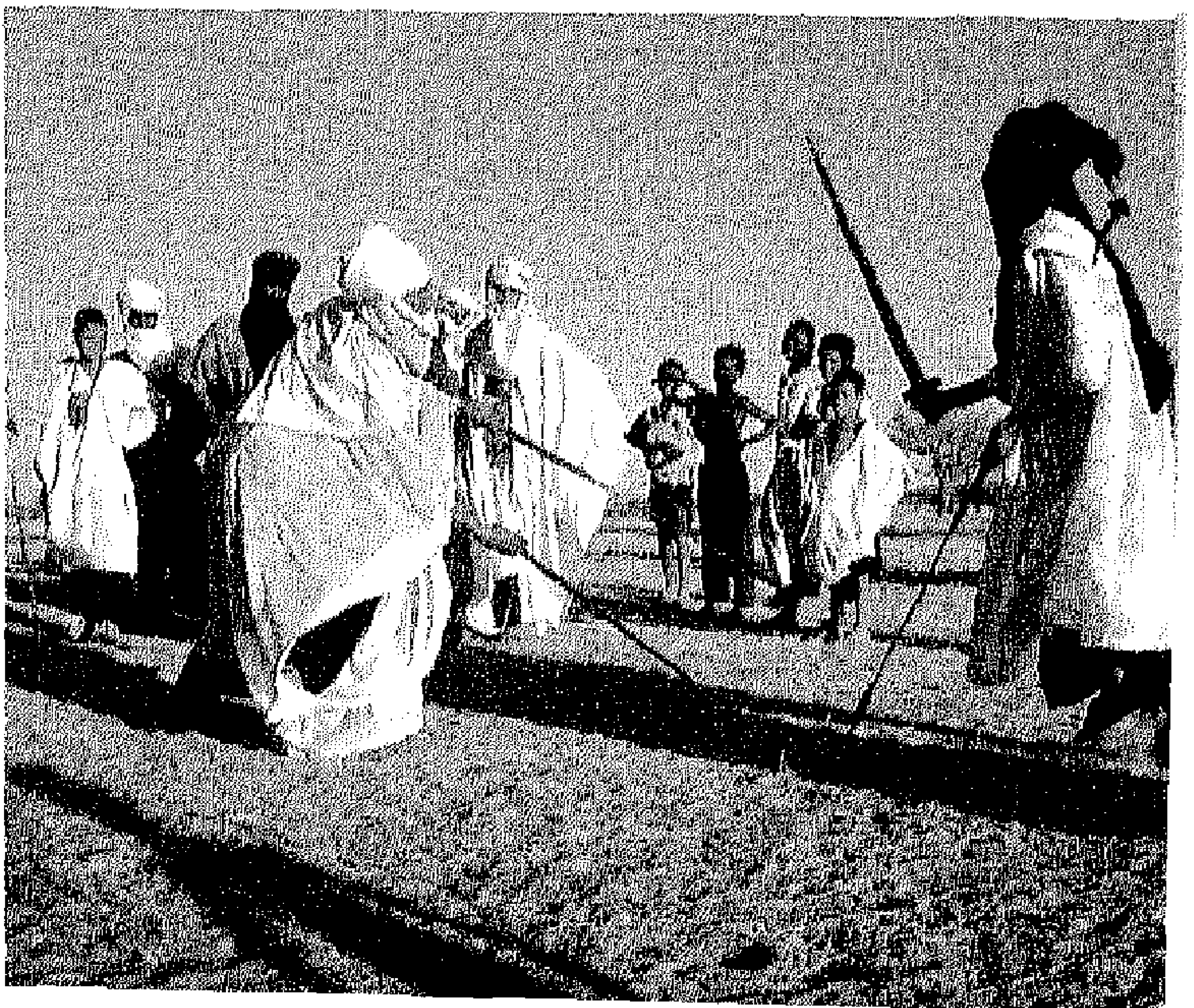
كثيراً ما يُشبّه الغريب في الصحراء بالمبحر الذي لا يحسن السباحة، أما سكان البادية فلا يجدون اي صعوبة في التجوال فيها، فالعميان من بدو الطوارق مثلا يرشدون القوافل التي تعبر صحراءهم، ولا يحتاج البدوي الى كبير عناء ليهتدي الى سبيله اذ يستدل عليها بعلامات واضحة بالنسبة اليه، ككثبان الرمل والصخور والاعشاب، وقد يضل الغريب طريقه في الصحراء، أما البدوي فيتنقل فيها براحة تامة.

عاش بدو الطوارق الذين يتحلون بالمروءة والانفة والصبر قروناً عدة بعيداً عن طرق القوافل من تونس الى كاو ومن تلمسان الى تمنكتو، وقد تعلموا عبر عيشهم الشظف الاتكال على ارادتهم التي لا تقهر بمقدار اتكالهم على ما تجود به واحاتهم من

حين الى آخر · وولد فيهم هذا النمط من العيش نزعة رواقية وقسوة ولطفاً في الوقت نفسه · والى ذلك برعوا في الفراسة والقيافة وبات في استطاعتهم معرفة دقائق الأمور وتفصيلات الحياة · فمن المألوف عندهم ان يعرف احدهم هوية شخص آخر بالنظر الى أثر ابهامه في الرمل، أو أن يميز جمله من مسافة بعيدة من خلال صعوده الكثيب بطريقة معينة، أو ان يعرف شخصاً محجباً من الطوارق بالنظر الى عينيه وحدهما · كما ان لديهم شعوراً بالانتماء الى وطن ضمن هذه الرمال الشاسعة ·

لقد سكنت مدة قصيرة في احدى قرى البدو القائمة على الرمال والتي تحيط ببيوتها المصنوعة من الحصر منحدرات من الرمل الاصفر الضارب الى البياض · وكلما نظرت الى ما وراء سياج العشب المحيط بفناء

ابن الطوارق يميز افراد عشيرته من عيونهم ·



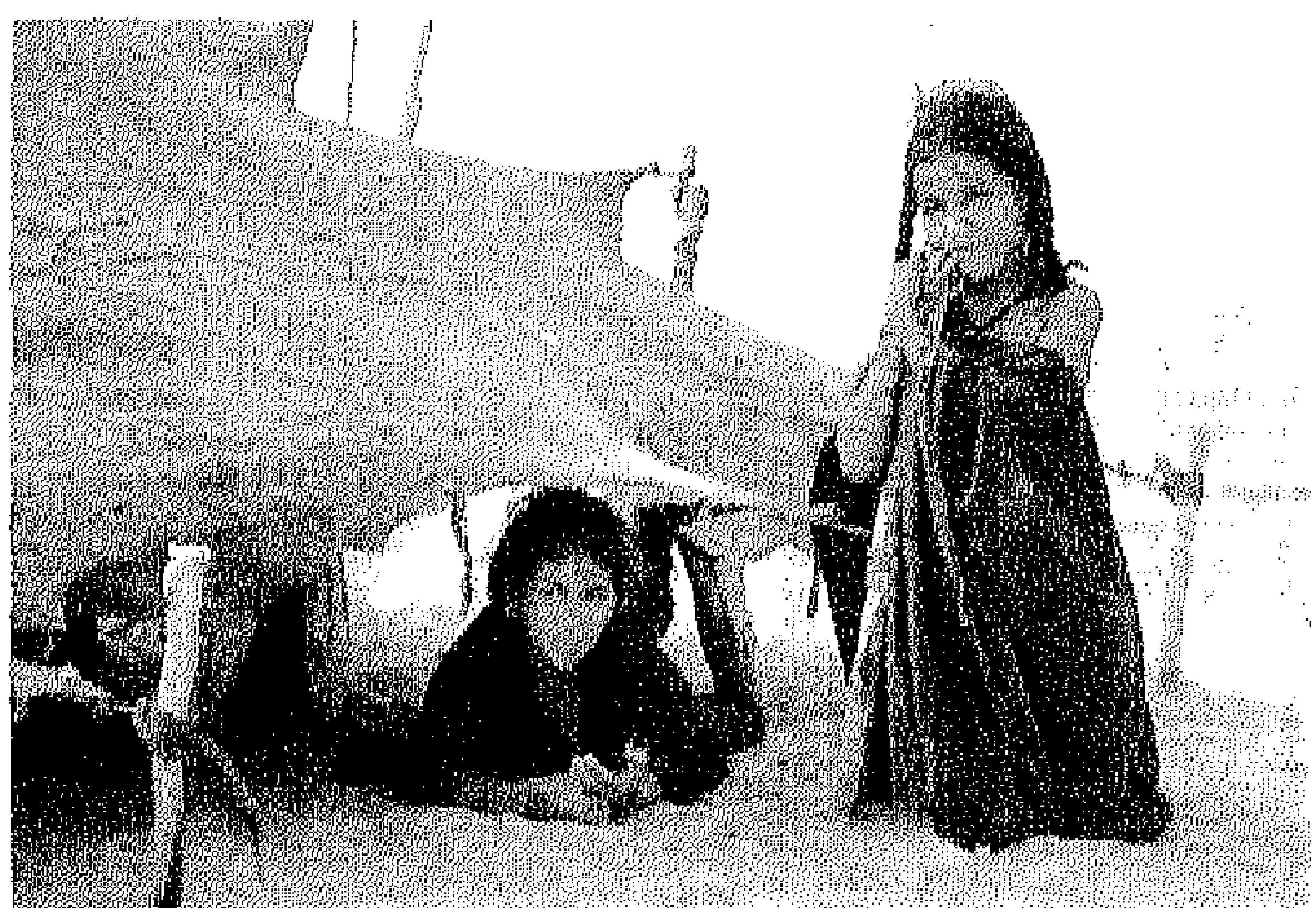
ا اشراف الطوارق في مبارزة ودية ·



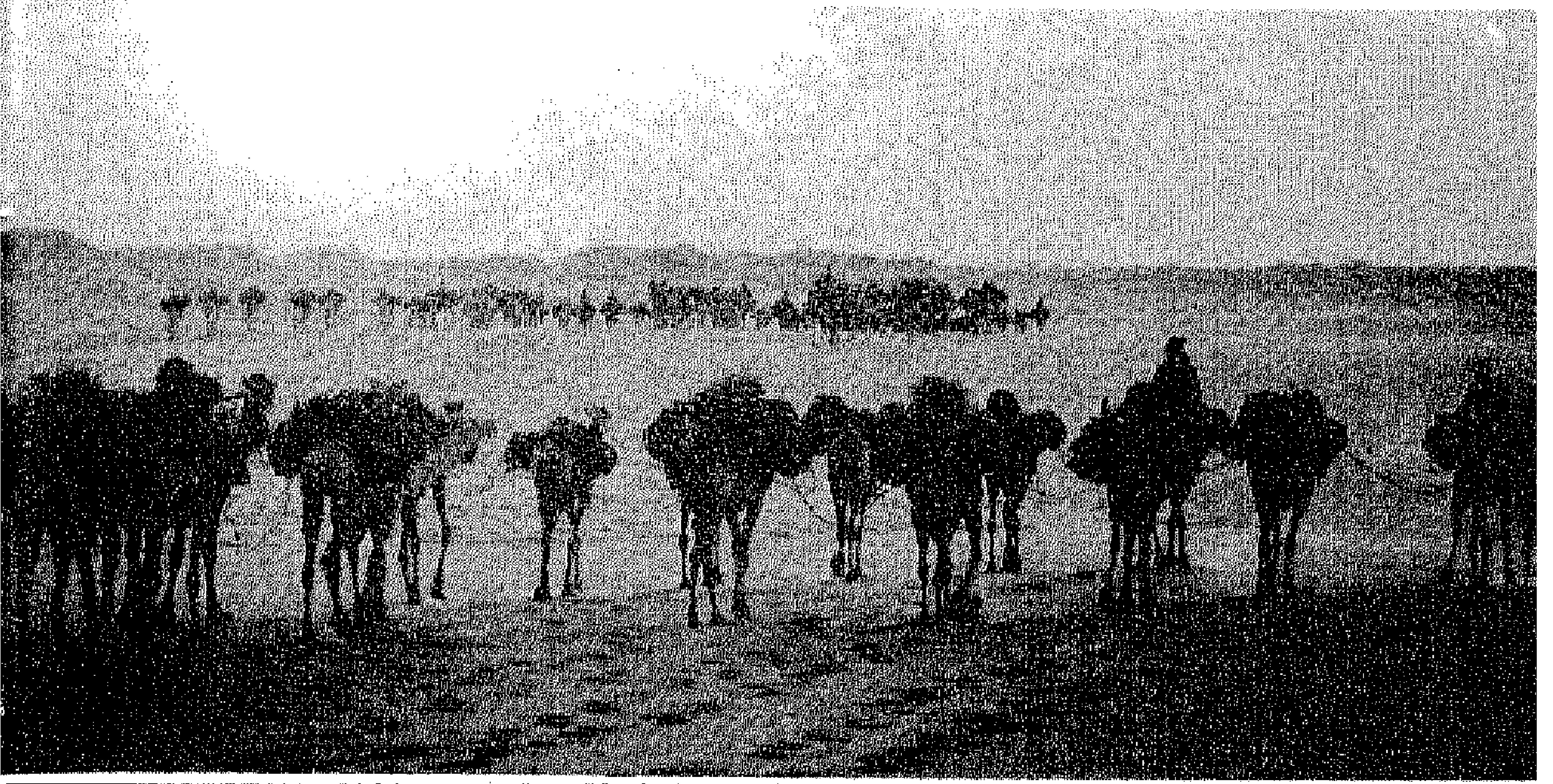
فتاة من الطوارق
تسقي الدواب عند بئر ·



فتاة من الطوارق ·



اطفال الطوارق تحت خيم من حصر ·



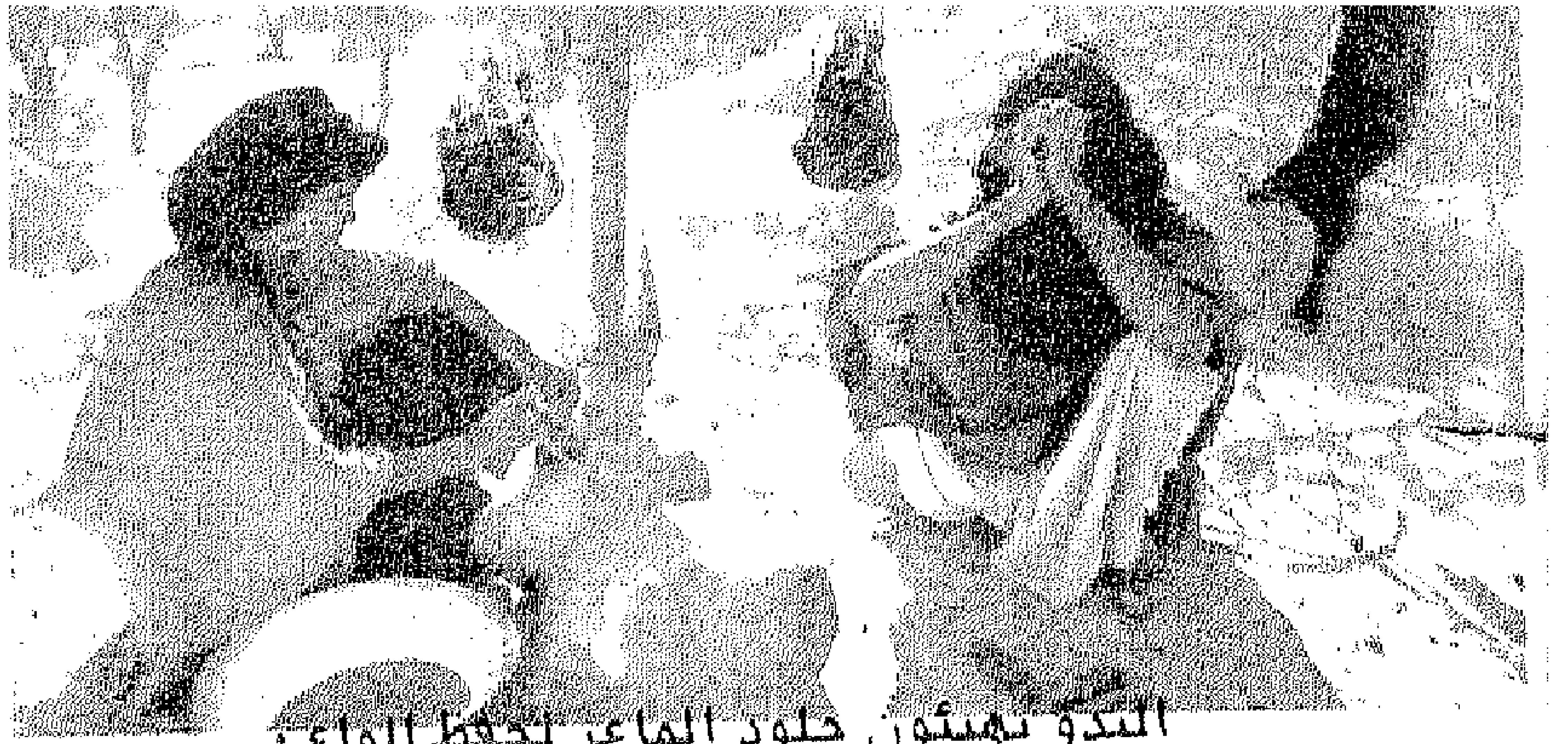
قافلة ملح للطوارق.



بدو الطوارق في طريقهم الى ليبيا لبيع الغنم والمعزى.

منزلي الفيت الكثبان القاحلة وأيكات السنط المتناثرة التي تثير في النفس انطباعات يأس متفاوتة. وكنت ما أزال غريباً فلم أدر كيف أتعامل مع الصحراء أو مع سكانها وانتابني الحنين الى بيتي المريح. وعلى رغم كون المنازل في الصحراء أماكن موقتة للاقامة فالغريب ان لدى الذين يبتونها احساساً عميقاً بالانتماء اليها. فكأن هذه البيوت هي حقاً جزء من هؤلاء البدو، يحملونها معهم بجميع محتوياتها وينصبونها اينما وجدوا الماء والكلأ. ويبدو انهم يتنقلون في الصحراء لا كمالكيها الحقيقيين بل كمسافرين في رحلة مستمرة الى دواخل نفوسهم. والحق ان رحلتي لم تكن سهلة لكنها أتاحت لي ملاحظة حقيقة شائقة هي ان البدو لا يسعهم العيش الا بالتجاوب مع بيئتهم وأخذ متطلباتها في الاعتبار.

ذات مساء بدت الثريا متألقة في السماء كعيون عذارى في ثياب مخملية فيما بانت المجرة كهالة رمادية على رأس الليل الشديد



البدو يميئون جلود الماعز لحفظ الماء .



فتاة تطحن القمح .



شيخ من الطوارق يقرأ على احد الصبية تعاليم القرآن الكريم .



بدويون حول نار المخيم .

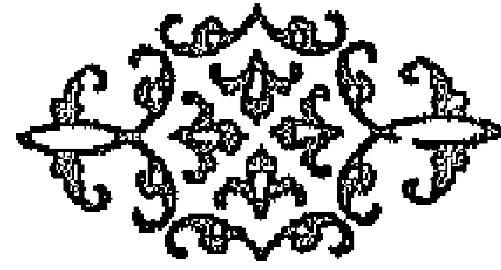


امرأة تعزف على الامزاد وهو شبه كمان بوتر واحد .

السواد. وفي مكان ما وسط هذا الظلام الدامس سمعت صوت يدين لا تنقطعان عن الطقطقة وتعالى الصياح وانطلقت الاصوات بالغناء. وسرت الى حيث تنبعث هذه الاصوات فرأيت حلقة للبدو وبحراً من الثياب الزرقاء والسوداء المتلاطمة فوق الرمال. أما الاطفال فكانوا يلبسون اثواباً نيلية تبين منها أقدامهم السمراء وشعورهم السوداء ويغنون متلاصقين ومتمايلين طرباً. فانضممت الى الحلقة وجعلت أراقب البدو وهم يغنون ويرقصون. وكانت عيون الفتيات تلمع بين حواجبهن وخدودهن المكشوفة كأنها حفنة من النجوم. وبدا منظر اولئك البدو تعبيراً عن جمال السماء في الليل. والواقع ان هؤلاء الناس شديدو التكيف مع محيطهم ولا ينظرون اليه بعداء او استغراب. وقد عرفوا كيف يرقصون مع النجوم.

وفيما كنت جالساً وسط ظلام الصحراء أجيل طرفي في السماء أحسست ان نجوم القطب باتت في متناولي، فأخذت قدماي تطقطقان وفي تلك اللحظة تبدد شعوري بالغربة.

■ بني ماكبرايد



في أي حال...

الناس أنانيون وغير منطقيين... ولكن أحبَّهم في أيّ حال.

واذا فعلت حسناً وأظهرت لهم الخير، فهم سيرمونك بالغرور وحب الذات... ولكن لا تتوقف عن فعل الخير.

وان نجحت في أعمالك، فلسوف تكسب أصدقاء زائفين وأعداء حقيقيين... ولكن اسعَ أبداً الى النجاح.

واياك أن تهجر الصدق والصراحة بحجة أن العثرات تأتي منهما، ولا أن تترك الصالحات لأنها تنسى.

ولئن ظل ذوو الافكار والعقول التافهة ينصبون الاشراك للعظماء، فلا تطرح أفكارك العظيمة، بل هب العالم أفضل ما لديك على الدوام.

ولا يوقفنَّك عن البناء أن ما تبنيه طوال عمرك قد يتقوض بين ليلة وضحاها.

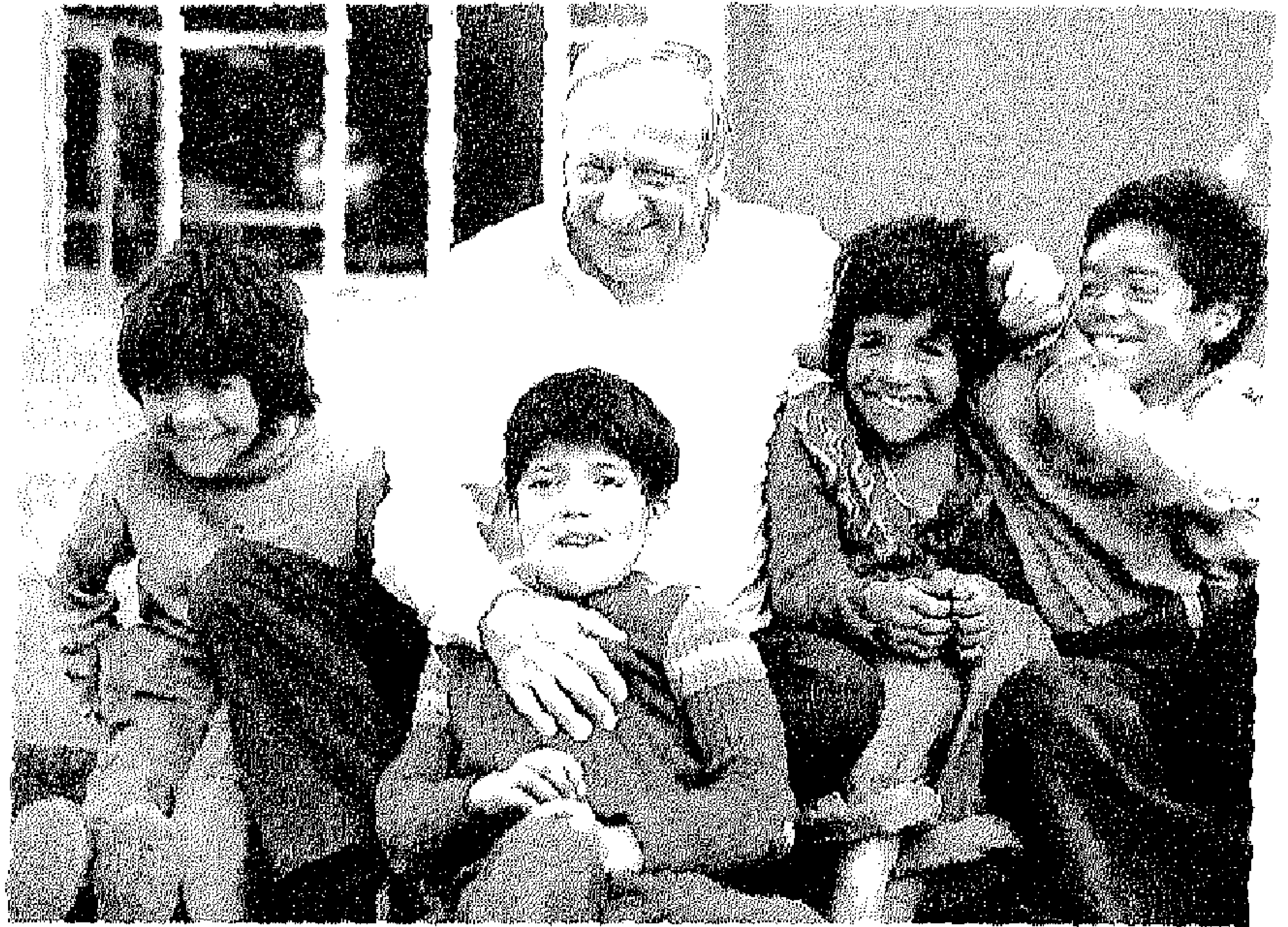
ر.ب.

الدوافع الخفية

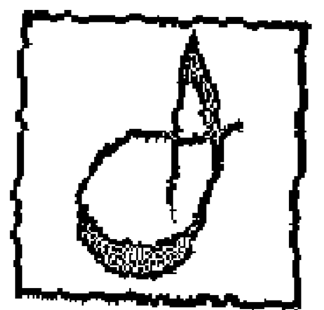
ثمة خفايا وألغاز يجدر بكل عاقل عدم السعي الى حلها. وأذكر أن جدتي كانت، كلما سُئلت عن دوافعها الحقيقية للقيام بعمل ما، تجيب: "هذه لا يمكن البوح بها، ولكن أستعيض عنها بذكر دوافع اخرى مقنعة."

ا.ش.

تنتشر قرى الاطفال "اس.او. اس." في لبنان ومصر والسنغال وكمبوديا وعشرات البلدان الاخرى لتمنح الوف الابتسام التعساء الحنان والامل



قرى الأطفال واحة حُبّ وحَنان



لم يجد صراخ الطفلين المذعورين وهما يهزان امهما ويناديانها:
"ماما... ماما... إنهضي يا ماما!"
فالأم المسكينة لفظت أنفاسها وقضت برصاصة طائشة حين كانت المقاومات الارضية تتصدى لطائرات اسرائيلية مزقت سماء بيروت بهديرها الصاعق وهي في طريقها الى ضرب الاهداف الفلسطينية هناك.

كان ذلك في السابع من يونيو (حزيران) ١٩٨٢. يومئذ كتب على ذينك الطفلين الشقيقين، حسن (أربع سنوات) وعلي (سبع سنوات)، أن ينضما الى ألوف الاطفال المنكوبين الذين فجعتهم الحرب بأهلهم

وشردتهم طوال ثماني سنوات وأمعنت في بلدهم لبنان تجريحا وتمزيقا .

وزاد في بؤس الطفلين أن والدهما كان مريضا عاجزا عن تقديم العناية لهما . لكن القدر كان رحيما ، فقد قيض لهما أن يلتحقا باحدى قرى الاطفال "اس . او . اس" وينزلا في احد بيوتها السعيدة .

هذه القرية تابعة لحركة اجتماعية راقية هدفها العناية بالطفولة المشردة .

أسس الحركة نمسوي يدعى هيرمان غماينر قبل ٣٤ سنة ، وهي تضم اليوم نحو ثلاثين ألفا من الاطفال ينتمون الى خمس وسبعين دولة . وجميعهم يفيدون من هذه الحركة الواسعة الانتشار التي لا طابع سياسيا لها والتي عمت فائدتها العالم كمؤسسة خيرية اجتماعية .

قرية الاطفال التي نقل اليها الطفلان حسن وعلي تقع في بلدة صفاريه التي تبعد ٦٥ كيلومترا الى الجنوب من بيروت ، في منطقة تنعم ببعض هدوء لان ويلات الحرب لم تصل اليها . بيوتها ذات الواجهات الحجرية الصلبة قائمة وسط كروم العنب والزيتون . وهكذا وضع الطفلان في رعاية إحدى "امهات" القرية التي حضنتهما بحنانها وضمتهما الى سائر الاطفال الذين ترعاهم كما لو كانت لهم أما حقيقية رؤوما .

زرنا قرية الاطفال في صفاريه والتقينا السيدة جاكلين بالتزار التي تقوم بمهمات "الام" في أحد بيوت القرية منذ فترة طويلة . أخبرتنا أن الاشهر الاولى هي الاصعب في حياة الطفل الوافد حديثا الى القرية . فمأساته لا تزال حية في مخيلته ، وبصماتها منطبعة في نفسيته ، وحزنه لذلك شديد . إلا أن هذا الطفل لا يلبث أن يعود الى طبيعته ويهدأ روعه بعد أن يستقر في القرية ويشعر بدفء العاطفة التي تغمره بها عائلة "اس . او . اس" .

كان هاجس هيرمان غماينر طوال حياته أن يوفر لاطفال العالم المحرومين حياة سعيدة . وهو ابن فلاح نمسوي ، قصير القامة مع بعض بدانة ، صرف اهتمامه الى انشاء مؤسسات للعناية بالطفولة المشردة المحرومة .

إن حركته توفر المأوى لعدد كبير من هؤلاء . كل منزل فيها يضم بين ستة اطفال واثني عشر طفلا متفاوتين في السن ، يعيشون أخوة وأخوات في اشراف "الام" التي ترعاهم كما لو كانت ترعى أولادها وعائلتها الخاصة . وكل قرية من قرى "اس . او . اس" تضم بين ١٥ و ٢٠ منزلا . وهي تشكل ضاحية لبلدة صغيرة . والى هذه البلدة يذهب أطفال "اس . او . اس" ليختلطوا بالاطفال الآخرين في مدارسها وينضموا الى النوادي الاجتماعية فيها وينشئوا صداقاتهم ويلعبوا ويمرحوا دونما وجل أو ارتباك . وهذه هي رغبة غماينر : أن يختلط هؤلاء الاطفال بمحيطهم بدلا من أن ينشأوا في محيط منعزل ، وأن يعتبرهم أهل البلدة منهم لا غرباء عنهم .

ويختلف أطفال "اس . او . اس" عن

سواهم في المؤسسات الاجتماعية الاخرى التي ترعى شؤون الايتام والمشردين في أنهم ليسوا للتبني بل يبقون في إشراف الحركة ورعايتها حتى يبلغوا الثامنة عشرة أو اكثر ثم ينتقلون من منزل القرية الى "بيت الشباب" التابع للحركة في أقرب مدينة أو بلدة لمتابعة تحصيلهم العلمي أو تدريبهم المهني، ولا يحرمون التوجيه الصحيح، ومتى اصبحوا قادرين على اعالة انفسهم وتأمين نفقاتهم، يسمح لهم بمغادرة القرية.

يقول غماينر في هذا الصدد: "يعرف الاطفال أننا لن نتخلى عنهم فجأة أو نطلب منهم مغادرة القرية الى مكان آخر. ولن يستيقظوا ذات صباح ليكتشفوا أن من كان يقاسمهم البيت من الاشقاء أو الشقيقات غادر فجأة. لقد مر غيرهم من الايتام بتجربة مريرة في الانتقال من بيت الى آخر، فدخل بعضهم ١٦ دارا للايتام. لكن هذا غير وارد على الاطلاق في قرى "اس. او. اس."

بعد الحرب العالمية الثانية وجه غماينر اهتمامه الى مساعدة الاطفال الذين غدوا بلا مأوى. كان طالبا في كلية الطب في مدينة اينسبروك وقد دمرت القنابل المدينة وأصبح آلاف الأطفال مشردين يجوبون الشوارع على غير هدى. فقرر الشاب العطوف أن يبحث عن طريقة مجدية لمساعدتهم. وفي صيف ١٩٤٩ ترك كلية الطب وبدأ يجمع التبرعات المالية ليضيفها الى مدخراته الشخصية التي بلغت ٦٠٠ شلن نمسوي (١٣ دولاراً آنذاك). وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٩ أسس حركته التي تعرف اليوم بقرى "اس. او. اس" (S.O.S.) للأطفال.

تتلخص حركة غماينر بالآتي: هناك العديد من الارامل اللواتي خلفتهن الحرب بلا ملاذ، والعديد من الشابات العازبات اللواتي لم يجدن الزوج المناسب لنقص في عدد الشبان من جراء الحرب. فكان عليه أن يثير اهتمام بعضهن ليتقدمن لرعاية الاطفال المشردين وايجاد مأوى لهم يعيشون فيه في رعاية هؤلاء النسوة في مجموعات تشبه العائلة في تركيبها. وكان غماينر واثقا بأن النتيجة الحتمية ستكون لمصلحة الاطفال الذين ستضمهم عائلة سعيدة ترفرف عليها المحبة.

إنها لفكرة مناسبة في الوقت المناسب. ولم ينته العام ١٩٥٠ حتى كان غماينر تعاقد مع من يلزم من النساء وجمع ما يحتاج إليه من المال وشرع في بناء خمسة بيوت فوق قطعة أرض تبرعت بها بلدية إمست، وهي بلدة صغيرة على بعد ٧٥ كيلومترا الى الجنوب من مدينة اينسبروك. وتمت حفلة افتتاح القرية ليلة عيد الميلاد عام ١٩٥١ وقطع غماينر الشريط وهو متفائل ومغتبط. ولم يدر في خلده آنذاك أن هذه القرية ستكون الفاتحة لقرى عدة يتجاوز عددها المئتين وتنتشر في أنحاء المعمورة.

كانت فكرة العائلة كركن أساسي للمجتمع تروق الجميع، وهكذا انتقلت في العالم بسهولة. كما نجحت قرى

"اس٠ او٠ اس" في اتباع تقاليد البلدان الذي شيدت فيها وعاداتها كذلك٠ وفي اواسط الخمسينات انتشرت الحركة خارج النمسا حتى وصلت الى فرنسا والمانيا الغربية وايطاليا واسبانيا٠

وفي العالم الثالث تسببت الازمات الاقتصادية والسياسية في تشريد العديد من الاطفال والايتام٠ فكان أن اتسع نطاق الحركة خلال عقود ثلاثة ليشمل آسيا وامريكا الجنوبية وامريكا الوسطى وافريقيا٠

وفي العام ١٩٨٢ زار غماينر اثنتين وعشرين دولة ليفتتح أربعين قرية جديدة لأطفال"اس٠او٠اس"٠

بدأ انتشار الحركة في العالم الثالث عام ١٩٦٣٠ وكان في كوريا الجنوبية التي مزقتها الحرب، مئات الاطفال البائسين ،ينامون تحت الجسور أو بين أنقاض المنازل المتهدمة٠ فوضع غماينر خطة لتأسيس قرية "اس٠ او٠ اس" هناك وبدأ يجمع لها المال٠ واعلن انه سيدفع دولارا واحدا لكل طفل كوري يحمل اليه حفنة من الرز٠

وفي النمسا تطوع كثيرون لصنع بطاقات صغيرة ألصقت عليها حبات الرز بالصمغ بحيث باتت تروق للشارين٠ وقد بيعت البطاقات في أوروبا الغربية والولايات المتحدة بما يساوي دولارا واحدا للبطاقة٠ وتحت شعار "حبة رز من اجل كوريا" كانت حصيلة التبرعات خلال أسابيع قليلة ثمانين ألف شلن نمسوي (١٩٦٣ دولارا)٠

وبعدما تجمع المال من أجل البناء والرواتب، قامت قرية "اس٠ او٠ اس" على قطعة ارض تبرعت بها ابرشية في مدينة ديغو، وهي تضم اليوم ١٣٠ طفلا، وقد تم بعد ذلك بناء قريتين، واحدة في ضواحي العاصمة سيول وأخرى في مدينة سن شون في الجنوب٠



وفي مايو (أيار) ١٩٨٢ التقى غماينر رجلا عاش طفولته في قرية ديغو، وهو اليوم في السابعة والثلاثين من عمره ويعمل ضابطاً برتبة لواء في سلاح الطيران في كوريا الجنوبية٠ أخبره هذا الرجل انه لم يكن يعرف من هو قبل أن تحدث له "المعجزة" ويلتحق بقرية الاطفال حيث أصبح له "أم" ترعاه ومنزل

يؤويه مع الاشقاء والشقيقات. لقد انتمى الى القرية وأعطي اسما لا يزال يحمله الى اليوم. قال: "أنا مدين بكل ما حققته في حياتي لقرية "اس. او. اس" للاطفال ولأمي التي رعتني فيها وغمرتني بمحبتها وحنانها."

حقا إن "الام" هي الركيزة الاساسية في قرية "اس. او. اس". لذلك كان لا بد من حسن اختيارها. ولما لم يكن يسيرا ايجاد زوجين يتفرغان لخدمة أطفال الآخرين، فقد ركزت الحركة اهتماما على اختيار النساء العازبات أو الارامل او المطلقات في بعض الاحيان على أن تراوح أعمارهن بين الخامسة والعشرين والاربعين. وليس ضروريا أن يحملن شهادات علمية أو اختصاصا بالتربية أو حتى إفادة تدريب في الخدمات الاجتماعية. كان الاهتمام في اختيار الام يركز على المؤهلات العاطفية التي تجعل من المرأة أما مثالية حقيقية تتحلى بالحنان والعطف والاهتمام والمسؤولية، ولا بأس إذا كانت تحسن الطبخ.

تبدأ الام فترة تدريبها باعتبارها "عمة" تساعد في أعمال المنزل وتهتم بشؤونه عندما تكون "الام" الاصيلة مريضة أو في إجازة. وتنتهي مرحلة التدريب بعد سنة، فتصبح العمة اما بعد موافقة المسؤولة عن القرية واستشارة "امهات" المنازل الاخرى، عندئذ تعطى منزلا يضمها الى عائلتها الجديدة.

تتقاضى الام راتبا شهريا متواضعا اضافة الى علاوة مخصصة بادارة شؤون المنزل. ولها ملء الحرية في صرف المال بالطريقة التي تراها ملائمة. كما تتولى تزيين المنزل وشراء ما يلزم الاطفال من طعام وكساء. وتشرف بنفسها على الطبخ والتنظيف وسواهما. ولا تنسى أن تضع القواعد الاخلاقية التي ترغب في أن يتبعها "اولادها". وغايتها القصوى أن يسود البيت جو من الحب والحنان الحقيقيين، جو عائلي يشعر به كل زائر لقرية "اس. او. اس" مهما اختلفت أشكال بيوتها. فهناك بيوت مبنية بالحجار الخشنة في نيبال وبالقرميد في هندوراس وبخشب التيك في تايلاند. وفي جميع هذه البيوت المحبة هي وحدها السائدة.

اكتشفنا هذا الجو المميز ونحن في زيارتنا للام باتريسيا في منزلها الجصي المؤلف من طبقتين في قرية "اس. او. اس" في احدى ضواحي نيروبي عاصمة كينيا. كانت باتريسيا تطبخ في قدر كبير فوق فرن المطبخ، بينما جلس أربعة أطفال الى طاولة في غرفة الجلوس يكتبون فروضهم المدرسية، واقتعد طفلان آخران أرض الغرفة يلعبان الدومينو بهدوء. ومن سطوح بعض المنازل تدلت أزهار البوغنفيلية الارجوانية. وقرب هذه المنازل حديقة كبيرة مرتبة ومقسمة في شكل يسمح لكل عائلة بأن تزرع بعض الخضر.

في عودتنا من نيروبي عبر الطرق الترابية لقرية "اس. او. اس" كان الاطفال يودعوننا مبتهجين فرحين، حتى ليصعب علينا أن نتخيلهم تعساء

ضائعين يوم وصلوا الى القرية. لكن الحقيقة كانت غير ذلك. وإليكم قصة الفتاة الصغيرة سوزان التي التقيناها ذلك اليوم:

توفيت والدتها بعد بضعة أيام من ولادتها. ولما كان والدها معاقا، فقد أرسلت الى جدتها العجوز التي لم تكن تملك من الدنيا سوى اليسير. وبعدما بلغت الطفلة عامها الاول نقلت الى مؤسسة حكومية تعنى بالاطفال المتخلفين جسديا وعقليا. كانت تشكو من سوء التغذية، فتستلقي على ظهرها ساعات محدقة الى الفضاء دونما حراك. فألحقت سوزان - المولودة في ابريل (نيسان) ١٩٧٥ - بعائلة في قرية "اس. او. اس" للاطفال في يونيو (حزيران) ١٩٧٦. وبعدما أنقضت عليها سبع سنوات أصبحت فتاة ذكية مشرقة فرحة، تملك من الثقة بنفسها ما جعلها تبدو على أحسن حال. أنها اليوم مثل صارخ لما يفعله الحب والاهتمام بالطفل.

قال هيلموت كوتن رئيس حركة "اس. او. اس" في آسيا، وهو متخرج في مدرسة إمست، ومؤهل لخلافة غماينر عندما يتقاعد بعد سنوات قليلة: "الحاجة ماسة الى حركة "اس. او. اس" في العالم الثالث. لقد مر أربعون عاما على الحرب العالمية الثانية التي دمرت أوروبا. ونحن نعتبر ان كل بلد هو صاحب القرار في طلب مساعدتنا أو امتناعه عن ذلك."

وكان طبيعيا بعد ذياع صيت "اس. او. اس" في انحاء العالم أن تنهال عليها طلبات المساعدة. فالملكة نور في الاردن طلبت من غماينر المساعدة في تأسيس قرية أطفال في الاردن عام ١٩٨٣. كذلك السيدة جيهان السادات في مصر التي تدبرت الحصول على قطعة أرض في إحدى ضواحي القاهرة عام ١٩٧٧ لبناء قرية "اس. او. اس" تضم اليوم ثلاثين منزلا تؤوي ثلاثمئة طفل، وقد أضحت من أكبر قرى الاطفال في العالم. وتبعتها قرية ثانية بالقرب من الاسكندرية عام ١٩٨٠. وهناك مشاريع لبناء قرى أخرى في مصر.

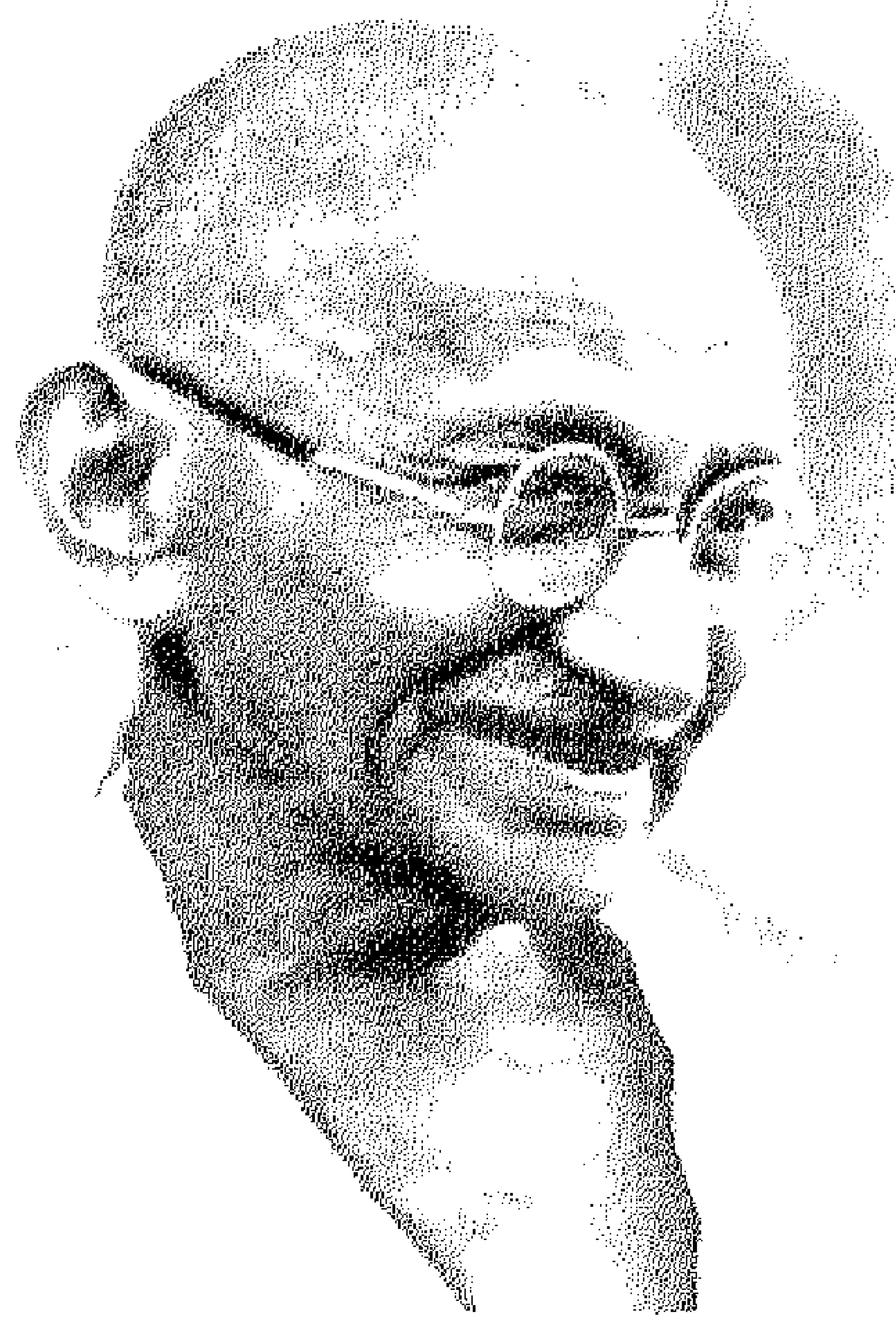
ولما كانت نفقات العائلة الواحدة تتطلب المال الوفير، فاضافة الى ما تجمعه الحركة في البلد الذي تزمع اقامة القرية فيه، هناك اثنتا عشرة فرقة لجمع المال في أوروبا الغربية واميركا الشمالية. يضاف اليها اكثر من خمسة ملايين من الاصدقاء والمتبرعين. وتبلغ الموازنة السنوية للحركة نحو مئة مليون دولار.

ولد غماينر في ٢٣ (يونيو) حزيران ١٩١٩. وهو لا يزال نشطاً، متدفق الحيوية، لا يعرف الوهن الى جسده سبيلا وقد رشح مراراً لنيل جائزة نوبل للسلام، وحاز اكثر من مئة وسام عالمي تنويها بخدماته الجلى، ومنها جائزة "واتلر للسلام" من مؤسسة كارنيغي. ومع ذلك فهو يأبى أن ينام على امجاده، ويسعى الى تحقيق هدفه الاوحد: أن تكون هناك قرية "أس. او. اس" في كل بلد في العالم لمساعدة الاطفال المساكين ورعايتهم.

■ اميلي وبير دولير

كان غاندي بشراً، وكالبشر كانت له عيوب. غير أن اعتماده اللاعنف والسلم سلاحاً ومحاولته تنقية السياسة من الشوائب واعتباره الهند كلها عائلة له جعلته من أعظم الابطال المعاصرين

المهاتما غاندي



في ذلك الهندوسي الاصلع الناحل الذي يلبس مئزرا يستر عورته، قطع على قدميه خلال ٢٤ يوما مسافة ٣٨٥ كيلومتراً الى داندي، شمال مدينة بومباي الهندية، وهو يؤلب القرويين للانضمام الى مسيرته السلمية بقصد الاحتجاج على الأسياد البريطانيين. وابتكر للمسيرة عبارة "ساتيا غراها" التي تعني "قوة الحقيقة."

وكان قد اعلم نائب الملك بأنه سيخالف القانون برفعه قبضة ملح جاف عن الشاطىء، علما أن الحكومة البريطانية حظرت إنتاج الملح على الهنود وقصرته على رعاياها.

وكما قال الرجل فعل.

ولو شاء الحاكم تطبيق القانون، لأطلق الشرطة المحلية لتبديد الحشود. وهذا يعني أن الهند برمتها كانت ستثور، فتقفل المكاتب وتتوقف القطارات وبقية مرافق الحياة.

إلا أن شرطيا واحدا لم يكن هناك، مما حمل المهاتما غاندي على التفكير في وسائل اخرى لاثارة الحكام. وما لبث أن أعلن خطته الوشيكة، وهي أنه وأتباعه سيقتحمون مصنع الملح الحكومي في دهاراسانا باسم الشعب.

واعتقل في أثناء تنفيذ خطته. لكن ٢٥٠٠ رجل من أتباعه تابعوا الزحف على مصنع الملح، حيث وقف نحو ٤٠٠

Photo The Bettmann Archive Inc

شرطي ينتظرونهم· وانهالوا على رؤوسهم وأجسادهم بالهراوات· وكتب ويب ميلر مراسل وكالة "يونايتدبرس": "لم يرفع أحدهم يدا ليتقي الهراوات، بل تابعوا سيرهم وهم يتلقون المزيد من الضرب·" واستمرت الملاحقة ساعتين لقيت خلالهما تلك الكتائب المسالمة صنوف التنكيل، فألقي أفرادها أرضاً وديسوا بالأحذية ودفعوا الى الخنادق والحفر· وتناثروا هنا وهناك وهم يئنون وقد غاب بعضهم عن الوعي·

حدث ذلك في ٢١ مايو (أيار) عام ١٩٣٠· وسرعان ما ارتحل تقرير الوكالة حول العالم· وكانت "مسيرة الملح" نقطة فاصلة في تاريخ الهند، كما في تاريخ العالم·

العصيان السلمي — ذاك الرجل العجيب المسمى "المهاتما غاندي" أربك الحكام المستعمرين الذين دعوه مختلا ومنافقا ومتصوفاً· أما الامراء الهنود في قصورهم فنظروا إليه كمثير للفتن، فيما اعتبره الساسة الهنود المتنافسون على الزعامة المحلية محرضا للعامة· ونظر إليه البرلمان في لندن كصاحب مشاكل·

وراح يطوف مدن الهند المكتظة وأريافها القذرة جامعا الأتباع وهو يعدهم بسلاح ثوري جديد اسمه العصيان السلمي·

وكان يظهر في أفقر أنحاء الهند ومعه معزاة يشرب حليبها· وكان غاندي نباتيا لا يأكل اللحم· وأحيانا كان يجلس صامتا على منصته بين الجموع وهو يشبك ساقا بساق، فيما الحشود صامتة أيضاً وشاخصة إليه·

ولم يكن لذلك الرجل وظيفة ولا هو كان قائد جيش أو صاحب سلطان رسمي· ولكن كان في إمكانه أن يشل الهند، إذ كان أتباعه يكتفون بكلمة واحدة منه ليوقفوا العمل في المكاتب والمصانع ومحطات القطارات· وقد تعرضوا للاعتقال بعشرات الالوف· وهو نفسه أمضى ٢١٠٠ يوم في سجون الهند، بعد ٢٤٩ يوما في سجون جنوب افريقيا· وفي ذلك يقول: "السجن سجن للصوص· أما لي فهو معبد·"

ولجأ الى الصوم كضربة معلم· وكان ذلك بمثابة كابوس في نظر حكام دلهي والبرلمان البريطاني، خوفا من حدوث أشنع العواقب، في طول الهند وعرضها، في حال قضاء ذلك "المحرض الفقير"، كما دعاه ونستون تشرشل، بفعل الصيام·

ترى ما الذي يمكن فعله برجل كهذا!

الصدق والتضحية — ولد موهنداس كرمشند غاندي عام ١٨٦٩ في بلدة بور بندار الهندية· وكان ذووه من أتباع الديانة الهندوسية ومن الطبقة الوسطى اجتماعيا التي تأتي مباشرة بعد البراهمة، أي الكهنة والعلماء والأشراف· واسم "غاندي" يعني البقال، مما يشير الى مهنة العائلة· والعائلة، التي تنتمي الى عشيرة الفايشيا، كانت تمقت إراقة الدم وتعاف القتل، وإن يكن متعلقا بأصغر الحشرات·

وفي حداثته اتخذ غاندي مثالا له

بطلين من الأساطير الهندوسية، يمثل أحدهما الصدق والآخر التضحية. وفي الثالثة عشرة زوج فتاة في مثل سنه. وأرسلته عائلته الى لندن لدراسة القانون، وهناك عاش على غرار البريطانيين التقليديين. ودرس فن الخطابة واللغة الفرنسية، كما أخذ دروسا في الرقص.

وبعد ثلاث سنوات في لندن تخرج في الحقوق وعاد الى الهند. وسرعان ما طلبت منه شركة اسلامية التوجه الى جنوب افريقيا بدعوى قضائية. وهناك تعرض لحادث قاس غير مجرى حياته.

وكان موكله قطع له تذكرة سفر للدرجة الاولى في القطار الى بريتوريا. وعند وقوف القطار في المحطة الاولى، وهي بيترماريتسبورغ، دخل رجل اوروبي المقصورة. ولدى رؤيته شخصا ملونا، على رغم ملابسه الانكليزية، ثارت ثائرته واستدعى المفتش. ورفض غاندي الانتقال الى قسم الشحن وطرد من القطار. وقال في تلك الاهانة انها كانت "أعظم تجربة خلاقة في حياتي. وإليها تعود دعوة اللاعنف التي انتهجتها."

وباشر ذلك المحامي الناحل دعوة بني قومه المهاجرين الذين تنقصهم صفة المواطنية الى "العصيان السلمي." وكان استمد ذلك المبدأ من قراءة الروائي الروسي ليو تولستوي والكاتب الامريكي هنري ديفيد ثورو داعية الاحتجاج المدني.

وسرعان ما دعا غاندي الى مذهب الـ"أهيمسا"، أي اللاعنف. وراح يحض الهنود في جنوب افريقيا على تنقية ذواتهم من التعصب الديني الذي يفرق بين الهندوس والمسلمين. ودعا العوام الى تنقية ذواتهم من ناحيتين: النقاوة الجسدية التي كانت أمراً شاذا في الهند، والنقاوة الخلقية التي تسعى الى منتهى الصدق.

واستنكر غاندي التدابير المجحفة التي لجأت إليها السلطات في جنوب افريقيا، ومنها حظر ركوب مقاصير الدرجة الاولى على الهنود واعتبار الاضرابات خرقا للقانون وعدم الاعتراف بالزيجات خارج الكنائس المسيحية. وأصدرت الحكومة مرسوما إصلاحيا تاريخيا بعد انضمام ٥٠ ألف هندي الى حركة غاندي.

ومع الوقت اعتزل غاندي السياسة واتجه شطر الحياة الروحية. وأنشأ مختلى في بيئة زراعية مخصصا بالصلاة والتأمل والتواضع. وفي العام ١٩١٥، بعد مرور ٢٢ سنة على وصوله الى جنوب افريقيا، اعتزل المحاماة وعاد الى الهند.

تعددية هائلة – الهند؟ انه اسم مضلل حقا. فالهند ليست امة، لكنها خليط من المناطق والأديان والمعتقدات والعشائر التي يحارب بعضها بعضا ويذبح بعضها البعض الآخر كلما ثارت حدة التعصب. وحتى اليوم، نجد في الهند ٣١٢ لغة، منها ١٥ لغة قومية، فضلا عن ١٤٠٠ لهجة محلية.

وأثقلت الأرض بالاساطير والخرافات ومنيت مرارا بالطاعون والمجاعة حتى بدت أحيانا بلداً

للأموات. وأحط سكانها المنبوذون الذين بلغ عددهم خمسين مليونا، وكانوا يمارسون أحقر الأعمال ولا يجوز لهم العيش في القرى وارتياد أمكنة الشرب العامة ودخول المعابد، كما أرغم كل منهم على الصياح: "قذر، قذر" اذا شاهد أحداً في طريقه.

الى تلك الهند بالذات عاد غاندي، الى الهند التي أتت فيها الكوليرا والتيفوئيد والتهاب الكبد على ملايين، في حين بقي الأثرياء ضمن أبراجهم العاجية. أجل، عاد غاندي وقال: "الهند كلها عائلتي."

أقام غاندي معتزلا آخر وأعلن بهدوء أنه يرحب بالمنبوذين. وهلع أتباعه من تحديه السافر للتقاليد، حتى ان زوجته المطيعة حذرته من أن الهيكل المدنس عرضة للسقوط.

وما فتىء الهندوس التقليديون وعصابات الاحداث يزعجون غاندي باستمرار طوال سنوات، فيعترضون سيارته بأجسادهم أو يرجمونها. وكان غاندي، كلما انهال المحتجون بالحجار على سيارته، خرج منها ومشى وسطهم وقال: "ها أنذا بينكم، فاقتلوني! لماذا تخشون قتلي؟"

والحق أنه لم يهب الموت قط، ولا هو اضطرب لوفاة الآخرين اذا كانت ميتتهم "بريئة" أو إرادية. وكان الموت بالنسبة إليه تحقيقا للسكينة التامة والتطهر من الخطيئة.

ونما هيكله الجديد حتى ضم مئتي شخص، بينهم الملحد والعرقي والمتعصب وداعية العنف. واذا سأله زائر عن الدافع الى قبول اولئك القوم في معتزله، كان يجيب: "هذا بيت مجانين، وأنا هو المجنون الأكبر. ولكن من عجز عن تلمس الخير في اولئك الناس، فعليه أن يفحص عينيه."

وبعد نفاد الاعتماد الذي فتحوه للاختلاء في ذلك المكان، ذهب غاندي وجماعته الى حي المنبوذين. وهناك استهل حملة لأقناع مواطنيه الهنود بمقاطعة البضائع البريطانية. وكان لحملته تلك صدى غير متوقع. وفي بلدة شاوري شاورا اصطدمت الجموع مع رجال الشرطة في معركة قتل فيها ٢٢ شرطيا.

وعلى الأثر أوقف غاندي حملته احتجاجا على اللجوء الى العنف، مما حط من قدره لدى اولئك الذين ظنوا أن استقلال الهند يجب أن يحصل على نحو دموي وسريع. وتعرض غاندي للرجم والتوبيخ وأوشك أن يقضي اغتيالا. لكنه في الوقت نفسه أصبح زعيم المؤتمر الهندي القومي بلا منازع وأبا الهند الحديثة.

السياسة والاجلال – عمت شهرة غاندي العالم وتحلق حوله المثاليون والمتبرمون من العقائد التقليدية.

ودعا أتباعه الى محبة اولئك الذين يشتمونهم. وقال لخصومه السياسيين الذين انتقدوه لعدم تسميته البريطانيين أعداء: "إذا عاملناهم بعدالة، فلا بد من كسب تأييدهم."

أما تصرف غاندي خلال الحرب العالمية الثانية فقد أربك العديد من الغربيين. وحين بدت اليابان على

وشك اجتياح الهند، نصح غاندي أتباعه بأن يدعوا اليابانيين يأخذون ما شاؤوا من أرضهم، "ولكن دعوهم يشعرون أنكم ترفضونهم." وإذ هبت انكلترا للدفاع عن الهند، ارتأى غاندي أن يدعو الى حملة عصيان من شأنها التعجيل في الاستقلال. ولم يأبه الى أن دعوته تلك تضعف إنتاج السلاح الذي احتاج إليه العسكريون الهنود والبريطانيون على السواء. ووجه رسالة مفتوحة الى الشعب البريطاني المحاصر جاء فيها: "دعوهم يستولون على جزيرتكم الجميلة وبناياتكم الأنيقة. فالتخلي عن هذه المقتنيات لا يعني التخلي عن نفوسكم وعقولكم." ومرة كتب الى نائب الملك: "إن هتلر ليس بالشخص الرديء."

وأدهى من هذا كله تلك الرسالة التي كتبها غاندي الى أدلوف هتلر في ٢٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤١: "لسنا نشك في إخلاصك لوطنك، ولا نظن أنك ذلك المسخ الذي يصوره أعداؤك. إلا أن الكثير من أفعالك يبقى فظيعا. وإننا نقاوم الاستعماريين البريطاني والنازي، ونعدّ الفرق بينهما في الدرجة فقط."

ودعا المهاتما يهود اوروبا الى الرد على هتلر بالانتحار الجماعي. فهذا استشهاد نبيل من شأنه تأليب الرأي العام العالمي الى جانبهم وترك "إرث ثمين" للبشرية جمعاء.

قتلى بالملايين – من ناحية اخرى ظل محمد علي جناح، زعيم الرابطة الاسلامية المتمردة، يدعو طويلا الى تقسيم الهند من أجل إقامة وطن مستقل للمسلمين هو باكستان. وأُثرت عنه العبارة الآتية: "لن أقبل أن يحل طغيان الهندوس محل طغيان الانكليز." إلا أن غاندي قاوم التقسيم بضراوة، متوقعا أن يؤدي الى اراقة دماء كثيرة. وأعلن جناح الخامس عشر من شهر اغسطس (آب) ١٩٤٦ يوما حاسما في مقاطعة البنغال. وكان من نتائج ذلك الاعلان اندلاع أعمال عنف لا مثيل لها في كلكوتا.

وبعد شهرين توجه غاندي ذو السنوات السبع والسبعين الى مدينة نواق هالي التي أريق فيها دم كثير، وراح يهدىء الخواطر بمعاونة ترجمان وأمين سر. وبقي يتجول في المنطقة حافي القدمين أربعة أشهر. ولئن أثمرت مساعيه هناك، إلا أن العنف استشرى كالنار في أجزاء اخرى من الهند.

ونالت الهند استقلالها في ١٥ اغسطس (آب) ١٩٤٧. وفيما جماعات الهندوس والسيخ يزحفون شرقا بعيدا عن الكيان الباكستاني المستحدث، اصطدموا بالمسلمين المنطلقين من شرق البنجاب الى بلدهم الجديد. ولا نجانب الصواب اذا قلنا ان الملايين قضوا في المذابح التي تتالت.

وصُعق غاندي وأعلن أنه سيصوم "حتى النهاية" ما لم توقف المجازر فورا. وتوافد الى سريره زعماء المسلمين والسيخ والهندوس قاطعين عهدا بوقف المعارك إلا أن أعمال شغب شنيعة اندلعت في دلهي خلال شهر سبتمبر (أيلول). وأعلن غاندي الصيام من جديد.

والواقع أن دعوة المهاتما أتباعه الى محبة المسلمين أثارت سخط الهندوس التقليديين، وانفجرت قنبلة في أحد اجتماعات غاندي المسائية للصلاة، وإذ راحت الشرطة تفتش الآتين الى الاجتماعات التالية، احتج غاندي على ذلك قائلا ان سلامته الشخصية لا تهمه: "إذ كتب لي الموت، فما أحلاه وسط الصلاة."

وهذا عين ما حدث، فقد لقي غاندي مصرعه وهو في طريقه الى اجتماع حاشد للصلاة عام ١٩٤٨، ولم يكن قاتله مسلما، بل هندوسيا متعصبا مقت أساليب غاندي وعزا إليه أمر تقسيم البلاد، وصرخ المهاتما بعدما مزق الرصاص صدره وبطنه عن مسافة قريبة: "هاي راما" (يا ألله).

ووزع رماد المهاتما بعد إحراق جثته على حكام المناطق، وألقيت نثر منه في أنهار الهند، ووقف تلميذه الاكبر وخليفته جواهر لال نهرو يخطب في ملايين لا تحصى من الأتباع ويقول: "لقد ذهب النور من حياتنا وعمت الظلمة كل مكان."

ضعف بشري – ان سيرة غاندي اليوم – ولما تنقض أربعة عقود على وفاته – تبدو كالأساطير الزاخرة بأعمال البطولة، لكن أحكام التاريخ ينبغي أن تكون أكثر صدقا من أحكام الأفلام السينمائية، ويرى بعض الدارسين أن تصرفات غاندي الغريبة وغير الواقعية أرجأت تحقيق استقلال الهند الذي كان وشيكا.

والواقع أن نجاح المقاومة التي لجأ إليها غاندي – وإن تكن سلمية – كان وقفا على البريطانيين بمقدار ما كان وقفا على أتباعه، وهو نفسه اعترف بالآتي: "يخامرني الشك في أن نجاح دعوتي كان ممكنا ضد أي امة اخرى."

أما طبقة المنبوذين فلم ترفعها مُثُل غاندي كثيرا، ولا منعت هذه المثلُ من خوض حروب دموية مع باكستان بلغ عددها ثلاثا في ثلاثين سنة.

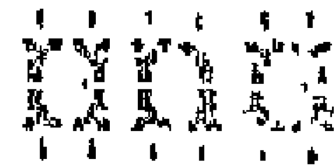
وعلى رغم الاجلال الذي لقيه غاندي من أتباعه ونبل غاياته، فانه لم يكن كاملا، فهو كان حاد المزاج ولاذع الطباع، وقد رفض التعاون مع كثيرين كرسوا أنفسهم للخدمة العامة، وذلك بسبب تسلطه، ولم يردعه ولعه بالخطابة عن القول ذات مرة: "لن احجم عن التضحية بمليون نفس من أجل استقلال الهند،" علما أن أخذ حياة نملة كان شراً في نظره.

وفي السياسة كان غاندي أعنف كثيراً مما بدا، وانطوت فترات صيامه على قوة سياسية عظيمة، فمن كوخه الحقير أغرق العالم بالنداءات والأحاديث الاذاعية والمقابلات الصحافية، وكان كل خبر متسرب من معتزله كافيا لأطلاق المسيرات من بومباي الى بوسطن وبرلين.

ولم تكن معاملة غاندي لعائلته تثلج الصدر، فقواعده الخلقية الصارمة أبعدت أبناءه الأربعة عنه، وكان في السابعة والثلاثين عندما اعتزل الحياة الجنسية كليا وأمر ابنيه الكبيرين بان يحذوا حذوه، وحين أراد ابنه البكر هاريلال الزواج، رفض أن يمنحه

بركته، وتحول هاريلال الى الاسلام.
ولم يمنح غاندي أبناءه العلم الكثير. وحرم زوجته العلم الابتدائي، كما فرض عليها العفة طوال السنوات الاثنتين والأربعين التي تلت قرار اعتزاله الحياة الجنسية. ومرة علق على كآبتها بالآتي: "ان وجهها يبدو كوجه بقرة ساذجة."
وقد انطوى اعتزال غاندي الجنس على مفارقات كثيرة غير أن تلك "الانحرافات" لا تنتقص من إنسانية غاندي وشجاعته الفائقة. وهو استهل ثلاث حركات شعبية عظيمة في بلاده، ضد الاستعمار وضد العرقية وضد التعصب الديني. ووهب العالم الحديث مثلا صارخا على سطوة اللاعنف. واعتبره العديد من القادة، ومنهم مارتن لوثر كينغ، مثلا أعلى. وقال البرت اينشتاين: "ان أجيالا كثيرة مقبلة لن تصدق أنّ رجلا كهذا كان بشراً من لحم ودم ومشى على الأرض."
لقد كانت لذلك الرجل عيوبه، كما لكل إنسان. ولكن تملّكه سَعْيٌ الى الكمال لا يعطى كثيرين. ولقد غدا اسطورة في عطفه الانساني وتسامحه الديني ونصرة الفقراء والمحرومين وأهل الطبقات الدنيا الذين أغدق عليهم حسا باحترام الذات فقدوه طويلا.
ومهما تكن أخطاء ذلك الرجل، فهو سوف يبقى في نظر الوف الملايين، المهاتما، أي الروح العظيمة.

■ ليو روستن



شريط الاشواق

ذهبت زوجتي الى باريس بموجب منحة دراسية، لكني لم أستطع مرافقتها لضآلة المنحة وقلة مواردنا. وبعد تبادل الرسائل طوال خمسة أشهر قررنا الاستعاضة عنها بتسجيل ما نود قوله على شريط، وصادف وصول شريط زوجتي الاول يوم عيد ميلادي، وقد دعوت أنسبائي الى منزلنا. وبت مرتبكاً لاضطراري الى اشراكهم في سماع الشريط، علماً أن زوجتي تعبر عن أشواقها وعواطفها من دون مواربة. وسرعان ما استقر اضطرابي لدى وضعي الشريط في الآلة وسماع العبارة الاولى: "هذا الوجه مخصص للعائلة والاصدقاء."

ا.غ.

عذر عكسي

ذهب جدي، وهو في الخامسة والثمانين، الى منزل جارنا ليقتل بعضاً من الوقت قبل الغداء. وعاد متأخراً وهو يعتذر: "ما أن بدأت أكلمه حتى وجدت أنه لا يكف عن الإصغاء."

غ.ل.

هـذه التمـاريـن الرياضـيـة البسيطـة يستطيـع كـل منـا ممارستها وهو ينتظر دوره أمام شباك تذاكـر او فـي عـيـادة طبيب او في اي مكان آخر

تمارين بسيطة لغير المستعجلين



ما هو ذلك الشيء الذي لا ينجـو منـه أحـد، فيقـع ضحيته رؤسـاء الشركـات وتجـار السيـارات وموظفـو أسـواق الاسهـم المالـيـة وعمـال الادمـغـة الالكترونية وربات البيوت، بل كل واحد منا؟

ذلك الشيء اسمه الانتظار. وكلنا يقضي ساعات أسبوعياً اسرى تلك العملية المقيتة التي ينتج منها الملل والخيبة وفقدان الوقت والطاقة.

لكن ثمة حلا لتلك المشكلة وهو أن نمارس الرياضة خلال انتظارنا. واذا نحن فعلنا ذلك، ففي امكاننا تجنب الازعاج واعانة ذواتنا على تحقيق الصحة الجسدية والنفسية.

فاذا وجد احدنا نفسه، من الآن فصاعداً، في طابور أو سيارة أو على الهاتف او في أي مكان آخر، فليباشر هذه التمارين البسيطة.

هز المعصم

اذا كنت منتظراً دورك أمام مسرح أو صالة سينما، فحاول التمرين الآتي:

١. احزم قبضتك ثم أرخها، مطلقاً لاصابع يدك العنان.

٢. هز معصمك يميناً ويساراً.

٣. حرك معصمك صعوداً ونزولا.

٤. هز يدك بقوة.

مارس هذا التمرين بكلتا يديك. والفوائد التي تجنيها منه هي تحسين الدورة الدموية ومنح يديك ومعصميك

Condensed from «Waiting Games: How to Get Rich, Powerful, Sexy and Healthy While You're Killing Time» Copyright (c) 1983 by Eleanore Rowe, Illustrated by Jack Ziegler, published by Facts on File Publications, New York, N.Y.

المرونة والقوة. وهذا التمرين يفيدك على نحو خاص اذا كنت من هواة العاب المضرب.

وقت الدعاية

اذا قطع البرنامج التلفزيوني لبث اعلان ممل، فاصرف هذا الوقت على النحو الآتي:

١. استرح في كرسي، شاداً أسفل عمودك الفقري الى ظهره وشابكاً يديك وراء عنقك.

٢. ارفع ركبتك اليمنى والمسها بمعصمك الايسر، ثم بدل الوضع بمعصمك الايمن وركبتك اليسرى.

الفائدة: معدة أقل انتفاخاً ذات عضلات اشد.

تورد الوجنتين

اليك طريقة حسنة لتمضية الوقت انتظاراً لقدوم حبيب العمر:

١. احنِ القسم الاعلى من جسمك نحو الارض، وابقَ هكذا بضع دقائق.

٢. انهض ببطء، كأنك ترفع عمودك فقرة فقرة.

الفوائد: تورد طبيعي على خديك وتحرير أسفل ظهرك من الضغط.

رياضة على الهاتف

اذا كنت ممن يستعملون الهاتف كثيراً، فمارس رفع الاثقال بيدك الحرة. وفي امكانك رفع آلة الهاتف او دليله، او يمكنك شراء كتلة معدنية تزن كيلوغراماً واحداً وحفظها بالقرب من الهاتف.

مارس هذا التمرين وأنت في مقعدك.

احمل الثقل قريباً من صدرك، كل مرة بيد. زد عدد المرات مع الوقت، كذلك الثقل:



١. ارفع الكتلة المعدنية نَصْباً نحو السقف، ثم أنزلها وراء رأسك أبعد ما يمكن.

٢. مدّ يدك، وأنت حامل الكتلة، الى الجانب الايمن أو الايسر (بناء على اليد التي تستخدمها)، ثم حرك ذراعك على هيئة دائرية، أولا الى الامام ثم الى الوراء.

٣. مد يدك جانبياً كما في التمرين السابق، ثم أعدها الى صدرك.

٤. دلّ يدك ببطء نحو الارض لتلامسها.

الفائدة: تقوية الجزء الاعلى من جسمك.

رياضة للقدمين

حين تكون على الهاتف أيضاً، اخلع حذاءك وحرّك قدميك الى الامام والوراء، على قنينة مضلعة. فهذه الضلوع تمسّد أخمص قدميك.

الفوائد: اراحة القدمين وتسريع الدورة الدموية.

الاسترخاء

هذا التمرين يمكنك تأديته في أي مكان، من غير أن يلاحظك أحد:

١٠ شد أجزاء جسمك المختلفة ثم أرخها، مبتدئاً بقدميك وربلتي رجليك وفخذيك صعوداً، وأعطِ كل ناحية خمس ثوان٠

٢٠ مع ارخاء كل جزء، ركز انتباهك على شعورك بالاسترخاء واختزن هذا الشعور في ذاكرتك٠ وعندما يحين دورك بعد انتظار، حافظ على استرخائك، واستدعه الى أي ناحية من جسمك يخالطها التوتر٠

الفوائد: تقليص الالم واختزان الطاقة وتنقية الذهن٠

في المطارات

لدى انتظارك في مطار، حاول التمارين الآتية:

١٠ ضع يديك على جانبي العربة التي تجرها٠ حركهما الى الوسط ثم باعدهما٠

٢٠ شد قبضتيك جيداً قبل ارخائهما٠

٣٠ ضع يداً على كل جانب عمودي٠ انزل بواحدة وأنت رافع الاخرى، ثم انزل بالاخرى فيما الاولى مرتفعة٠

الفوائد: تقوية الذراعين والمعصمين واليدين والجزء الاعلى من الجسم٠

رفع الوجه

على الهاتف أيضاً، يمكنك انجاز حركات خاصة برفع الوجه المتغضن والمتهدل:

١٠ افتح فمك على نحو بيضوي محكم٠ ثم حاول اطباق شفتيك على أسنانك٠

٢٠ في الوقت نفسه، أغمض عينيك وارفع حاجبيك٠

٣٠ مع ابقاء فمك مشدوداً، الجأ الى عضلات خديك العليا لترسم ابتسامة عند طرفي فمك٠

٤٠ عد الى وضعك رويداً رويداً٠

٥٠ املأ فمك، وهو مطبق، هواء كما لو كنت تنفخ بالوناً٠ ابق هكذا بضع ثوان ثم استرخِ٠

الفوائد: اقصاء التجاعيد حول الفم مع تقوية عضلات الوجه٠

وراء الطاولة

اذا كنت تنتظر قدوم أصدقائك للذهاب الى الغداء، فحاول بعض التمارين وأنت واقف وراء طاولتك أو أي قطعة أثاث اخرى ثابتة:

١٠ قف على بعد متر وراء الطاولة٠ انحنِ نحوها وأرح يديك عليها، ولتكونا في موازاة كتفيك٠

٢٠ انصب جسمك٠ تنفس بهدوء، ثم اثنِ ذراعيك لانزال جسمك دفعة واحدة٠

٣٠ ازفر الهواء فيما أنت تشد ذراعيك لاعادة جسمك الى وضعه٠

الفوائد: تقوية العظام والجزء الاعلى من الجسم٠

في الصف

اذا كنت واقفاً في طابور، فاستغل الوضع لانجاز الآتي:

١٠ تظاهر بأنك متكىء على جدار٠ احنِ ظهرك قليلا الى الامام وأنت تثني ركبتيك٠ حافظ على انتصاب

جذعك ورأسك فيما أنت تفعل ذلك.
٢. اسحب كتفيك الى الوراء ما استطعت. ابق هكذا قليلا ثم استرخ.
٣. خذ نفساً عميقاً. شد عضلات بطنك وأنت تزفر، واصمد هكذا بضع ثوان.
الفوائد: تحسين وقفتك وتجنب التعب من جراء الوقوف.

الضوء الاحمر

عندما توقف سيارتك أمام اشارة حمراء أو بفعل ازدحام حركة المرور، اسحب بطنك الى الداخل. حاول البقاء هكذا حتى يأتي النور الاخضر أو ينفتح السير أمامك.
الفوائد: تجنب انتفاخ البطن والانزعاج من توقف السير.

في الحمام

لدى انتظارك المياه الساخنة لأخذ حمامك الصباحي، افعل الآتي:
١. اشبك يديك وراء ظهرك موجهاً ذراعيك نحو الارض.
٢. خذ نفساً وأنت تشد كتفيك الى الوراء وترفع صدرك ما استطعت.
٣. انحن قليلا الى الامام وأنت تزفر، رافعاً ذراعيك فوق رأسك ما أمكن. حاول تقريب رأسك الى ركبتيك، مع ثنيهما قليلا اذا وجدت في ذلك ما يجهد.
الفوائد: اضافة الى التنشيط الوقتي، يؤدي هذا التمرين الى تخفيف التوتر في عنقك وكتفيك. وهو طريقة جيدة لاستهلال نشاطك اليومي.

■ اليانور رو



كل على ليلاه

لدى خروجهما من حانة قال رجل لرفيقه: "المشكلة هي أنه لا يمكنك العيش معها كما لا يمكنك العيش من دونها."
ـ أجل، انها المرأة! وقديماً قيل: "فتش عن المرأة."
"ومن قال شيئاً عن النساء؟ اني أتكلم عن النقود."

ج.د.



غير معقول

امتعض رجل وزوجته من عبارات تستعملها ابنتهما، فهي تكرر "هائل" و"غير معقول" عشرات المرات يومياً. وذات يوم فاتحها والدها بالامر: "هناك تعبيران يا حبيبتي أود الا أسمعهما منك بعد الآن، أحدهما هائل والآخر غير معقول." فقالت: "وما هما؟"

ا.غ.



ان هذا الناقد دودة كتب حقاً! فهو يقرأ حتى الكتب التي ينشر آراءه حولها.
صحيفة "دي زايت"، هامبورغ

قصة قصيرة

قصة صداقة مؤثرة بين عجوز انكليزية وهندي صغير لا يحب المدرسة

باقة حبٍّ وحنان

فوق تلة قرب احدى المدن الهندية بيوت شيدها المستوطنون البريطانيون لمئة سنة خلت. وقد تداعى عدد كبير من هذه البيوت فأصبحت ملجأ للقطط البرية والبوم والماعز، وللمكارين بين الحين والآخر. وبين تلك المساكن المهملة كوخ نظيف يغطي جدرانه طلاء أبيض، تعيش فيه عانس انكليزية عجوز تدعى الآنسة ماكنزي، وهي تخطت الثمانين، ومع ذلك فما من أحد يلاحظ حقيقة سنها، لأنها بقيت مفعمة بالحيوية والنشاط. كانت تقصد القرية مرة كل أسبوع لشراء الزبدة والمربى والصابون، وزجاجة عطر أحيانا.

عاشت الآنسة ماكنزي في ذاك المكان منذ حداثتها، وذلك قبل الحرب العالمية الاولى. اما والدها وشقيقها وشقيقتها فماتوا جميعا، ولم يكن بقي لها من الأقارب أحد في الهند. وأما مورد رزقها الوحيد فراتب تقاعد ضئيل وبعض طرود ترسلها إليها إحدى صديقات طفولتها. ولم يكن زائروها كثرا، فهي لا تقابل من الناس غير رجل الدين وموزع البريد وبائع الحليب.

والآنسة ماكنزي، على غرار الكثيرين من المسنين الذين يعيشون في عزلة، اتخذت لها أنيسا هرة كبيرة سوداء ذات عينين براقتين صفراوين. وفي حديقة كوخها

الصغيرة كانت تزرع الاضاليا والاقاحي والسحلبيات النادرة. وكانت تعرف الكثير عن الازهار البرية والاشجار والطيور والحشرات. وهي لم تتعرف الى تلك الكائنات من خلال دراسة رزينة متطورة، لكن صداقة حميمة كانت تربطها بكل ما ينمو ويزهر حولها.

قاطف الازهار ـ نحن في شهر سبتمبر (أيلول) وموسم الامطار شارف نهايته، وقد بدأ القرنفل الهندي يزهر في حديقة الانسة ماكنزي. وجل ما تمنة العجوز آنذاك ألا يكون الشتاء قاسيا لأن مناعتها ضد البرد كانت تتضاءل سنة بعدسنة. وذات يوم فيما كانت تتمشى في أرجاء حديقتها شاهدت تلميذا يقطف الأزهار البرية على المنحدر فوق كوخها. فنادته سائلة: "ماذا تفعل يا فتى؟."

اضطرب الصبي وحاول العدو صعودا صوب الهضبة، إلا أن قدمه زلت على مسلات الصنوبر وانزلق حتى استقر على بساط من زهر الكبوسين في الحديقة. وإذ وجد الصبي أن لا مجال للفرار، نظر الى المرأة وقال بابتسامة عريضة: "صباح الخير يا آنسة."

كان تلميذا في مدرسة إنكليزية متوسطة، يرتدي السترة الخاصة بالمدرسة وربطة عنق. وهو نادى مخاطبته بكلمة "آنسة" كما يفعل معظم التلاميذ الهنود المهذبين.

"صباح الخير،" أجابت الآنسة ماكنزي بلهجة قاسية. "هل لك أن تبتعد عن زهوري؟"

نهض الولد وخطا فوق الزهور بحذر شديد وهو ينظر الى السيدة بعينين متوسلتين.

قالت له: "المفروض أن تكون الان في المدرسة، فماذا تفعل همنا؟"

ـ إني أقطف الأزهار يا آنسة. ورفع نحوها باقة من السرخس والزهور البرية.

فاجأها جواب الصبي فأثر في موقفها، لأنها منذ زمن بعيد لم تلتق صبيا يبدي اهتماما بالزهور. وسألته: "هل تحب الزهور؟"

ـ نعم يا آنسة، أريد أن أصبح نبا... نباتاتيا!

"تعني أنك تريد أن تصبح نباتيا أي عالم نبات، أليس كذلك؟"

ـ أجل يا آنسة.

"هذا تفكير غريب بالنسبة الى صبي في مثل سنك هل تعرف أسماء هذه الزهور؟"

أجاب الصبي وهو يشير الى زهرة ذهبية صغيرة: "هذه ازرار الذهب." ثمّ أردف وهو يشير الى زهرة حمراء لها أوراق في شكل قلب: "ولكن ما هذه؟"

قالت الآنسة ماكنزي: "إنها زهرة البيغونية البرية، وهذه الأرجوانية اللون هي زهرة المريمية. هل لديك كتب عن الأزهار؟"

ـ كلا يا آنسة.

"تعال معي الى الداخل لأريك واحدا من هذه الكتب."

زيارات اسبوعية ـ دخلت العجوز برفقة الصبي غرفة صغيرة قرب مدخل البيت، ملأى بخليط من الأثاث

والكتب والزهريات وعلب المربى، وجلس الصبي خجولا مرتبكا على طرف أحد الكراسي، وللحال قفزت الهرة وربضت على ركبتيه وهي تحدث خرخرة ناعمة.

سألته الآنسة ماكنزي وهي ممعنة في التفتيش بين مجموعة كتبها: "ما اسمك؟"

ـ أنيل يا آنسة.

"وأين تقيم؟"

ـ عندما تقفل المدرسة أبوابها أذهب الى دلهي، إن والدي تاجر هناك.

"وأي تجارة يتعاطى؟"

ـ يتاجر بالمصابيح الكهربائية.

"آه لقد وجدته." ثم سحبت مجلدا ثقيلا عن أحد الرفوف، وقالت: "عنوانه فلورا هيمالينسس، وقد نشر عام ١٨٩٢. والأرجح ان هذه النسخة هي الوحيدة في الهند. إنه كتاب ثمين يا أنيل. فما من عالم طبيعة استطاع تدوين عدد كهذا من أزهار حملايا. إلا أن ثمة نباتات كثيرة لا يعرفها علماء النبات الذين يقتلون أوقاتهم في ابحاث مجهرية بدل تمضيتها في التنقيب والبحث في الجبال. من يدري، فقد يمكنك أنت أن تفعل شيئا في هذا الخصوص في المستقبل."

ـ أجل يا آنسة.

أشعلت العجوز الموقد ووضعت عليه ابريقا لتحضير الشاي. ثم جلست بجانب الصبي الهندي واستغرق الاثنان في الكتاب. وأشارت الآنسة ماكنزي الى ازهار عدة كانت تنبت في محيط الهضبة حول منزلها، فيما كان الصبي يسجل معلومات حول أسماء هذه الزهور ومواسمها.

وبعدما هم أنيل بالانصراف قال: "هل تسمحين بأن أعود لزيارتك؟"

أجابته: "نعم، إذا شئت ذلك، ولكن ليس خلال دوام المدرسة. عليك أن تواظب والا تنقطع عن صفوفك أبدا."

بعد تلك المقابلة راح أنيل يزور الآنسة ماكنزي مرة في الاسبوع، وكان في معظم هذه الزيارات يأتيها بزهرة ويطلب منها أن تتعرف إليها. وأما هي فكانت ترتقب زيارات الصبي بفارغ الصبر. وعندما كان صديقها الصغير يتخلف عن القدوم أسبوعا كانت تشكوه الى هرتها.

هدية ثمينة ـ في أواسط اكتوبر (تشرين الأول) لم يبق من الدراسة غير أسبوعين. وتساقط الثلج على الذرى البعيدة. واشرأبت إحدى هذه القمم شامخة فوق رفيقاتها، كقبة بيضاء منصوبة في صدر السماء. وبعيد غروب الشمس كان لون تلك الذروة البرتقالي يستحيل ذهبيا فزهريا فأحمر قانيا.

وسأل أنيل: "كم يبلغ ارتفاع ذاك الجبل؟"

أجابت الآنسة ماكنزي: "لا ريب في أن ارتفاعه يزيد على اربعة آلاف متر. لقد تمنيت دائما أن اذهب الى هناك، ولكن ليس ثمة طريق مناسبة للوصول إليه. إنك تجد على تلك المرتفعات زهورا لا وجود لها هنا، كالجنطيانا الزرقاء والكولومبين الارجوانية وشقائق النعمان."

ـ سوف أذهب لزيارة تلك الذرى في يوم من الايام.

"أنا واثقة من ذلك."

وعشية انتهاء العام الدراسي جاء أنيل ليودع الآنسة ماكنزي. وقبيل انصرافه وضعت الانكليزية العجوز كتاب "فلورا هيمالينسس" بين يديه وقالت له: "إنه هدية اليك."

ـ لكنني سأعود في السنة المقبلة وسيتسنى لي عندئذ أن أقرأه. ثم أن الكتاب ثمين جدا!

"إنني اعطيك إياه لانه كتاب ثمين. فأنا أخشى أن يقع في يد بائع جاهل لا يقدر قيمته."

دس الصبي كتابه تحت إبطه ووقف وقفة تأهب وقال: "وداعا يا آنسة ماكنزي." وكانت تلك المرة الاولى التي يلفظ اسم السيدة العجوز.

الفراش البارد ـ هبت ريح قوية حملت معها المطر وكتل الثلج، فذهبت بأزهار الحديقة كلها. وأقلعت الهرة عن الخروج واتخذت لها من قاعدة السرير ملاذا. وتدثرت الآنسة ماكنزي بشالات ولفاعات عدة لم تقها البرد القارس كما كانت ترتجي.

ثم اثلجت السماء وتخلف بائع الحليب عن مواعيده اياما عدة.

أمضت الآنسة ماكنزي معظم أوقاتها في الفراش لأنه أكثر مواضع البيت دفئا. وكانت تحتفظ بكيس ماء ساخن تضعه خلف ظهرها، والهرة تتكفل بتدفئة قدميها. وراحت تحلم بالربيع والصيف. فبعد ثلاثة أشهر تشق زهرة الربيع بطن الأرض وتخرج الى النور... ويعود أنيل.

وذات ليلة انشق كيس الماء الساخن وبلل السرير. واحتجبت الشمس طوال أيام وبقيت بطانيات السرير مشبعة بالرطوبة. وأصيبت الآنسة ماكنزي بقشعريرة البردية فاضطرت الى ملازمة سريرها البارد غير المريح.

وفي ليلة أخرى عصفت ريح عاتية ففتحت نافذة غرفة النوم على مصراعيها. وجرفت الريح المطر وكتل الجليد الى داخل الغرفة. واندست الهرة بسيدتها تلتمس الدفء. وفي الصباح فقد جسد العجوز المسكينة كل حرارة، وغادرت الهرة مرقدها في الفراش.

جاء بائع الحليب فيما كان شعاع الشمس يتسرب من نافذة الغرفة. وسكب البائع بعض الحليب في الوعاء الموضوع على عتبة الباب، فقفزت الهرة الى الارض.

رفع بائع الحليب صوته بتحية للآنسة ماكنزي. لكنه لم يلق أي جواب. وإذ كان الرجل يعلم أنها تنهض قبل بزوغ الشمس، أطل برأسه من خلال النافذة المفتوحة ونادى مرة أخرى. ولم ترد الآنسة على ندائه. لقد فارقت الى الجبل حيث منابت الجنطيانا الزرقاء والكولومبين الارجوانية.

■ راسكين بوند

❊❊❊

لكي تضع ولدك على الطريق التي تختارها له، حاول سلوك هذه الطريق من وقت الى آخر.

ج.ب.

هل صحيح ان من واجب الاب تعليم اولاده قيادة السيارة؟

دَرسٌ في القيادة

اعتقد انه من واجب المدرسة ان تكتفي بتعليم القراءة والكتابة والرسم والحساب وتترك للوالدين الاهتمام بالمواد الاخرى كقيادة السيارة ومشاكل المراهقة وآداب الهاتف. وتوافقني زوجتي ماغي على ذلك فتقول: "لنتقاسم المسؤوليات. انت تعالج مشاكل المراهقة وانا اعلم القيادة. اما آداب الهاتف فنتولى تعليمها مناصفة."

توزيع المسؤوليات هذا بدا لي سيئا للغاية. فالتغيرات الجسدية مثلا ليست واضحة لي ولا يعادلها وضوحاً الا استيعاب ماغي فكرة حشر السيارة بين سيارتين في الموقف.

قالت ماغي: "منذ مدة وانا افكر. جيني تمر بفترة حرجة من عمرها. ولدى المدرسة موظفون تدربوا على تدريس هذه الامور."

سألتها هل تتكلم عن القيادة ام عن المراهقة، فقالت: "جيني في السادسة عشرة. واذا كانت هناك امور لا تعرفها، فمن المستبعد انها ستتعلمها منا."

قلت اني مع ذلك ارى من واجب الأب تعليم اولاده فن القيادة. انه تقليد متعارف عليه في الاسرة. فانا تعلمت القيادة من والدي.

قالت ماغي: "يبدو أن والدك كان اسوأ سائق في العالم."

– بل هناك من كان اسوأ منه. والدتي.

"ومن علمها؟"

– والدي.

اشارات غبية – كانت جيني تستمع الى راديو السيارة عندما جلست بجانبها. قلت: "اريد ان اقاطعك لحظة عن الاستماع الى برنامجك

هذا. الخطوة الاولى هي ان نضع المفتاح في مكانه. انه الآن في مكانه على كل حال. الخطوة الثانية هي ان ندير المفتاح" سمعت للحال تأوهاً عالياً وقالت جيني: "سبق ان علمتني والدتي ادارة المحرك."

- ادرك ذلك تماماً، ولكن تأكدي من الا تديري السيارة الا اذا كان المحرك مطفأ.

"حسناً. ثم ماذا؟" رفعت صوت الراديو ثم قشرت حبة علكة (لبان).

- يكفي هذا الآن. اذا تذكرت ما تعلمته حتى الآن، فهذا يعني انك ستفلحين في ما بعد.

السائقون الرجال، خلافاً للمعتقدات الشائعة، لا يعتبرون السائقات صنفاً من البشر دونهم شأناً. ولكن من العبث ان تقنع امرأة بذلك. وكما قلت لزوجتي، فليس هناك سبب على الاطلاق يمنع المرأة من ان تكون على مستوى الرجل في القيادة. كانت ماغي اثناء ذلك تقود السيارة.

قلت لها: "خذي مثلا سكرتيرة الرئيس الآنسة اوغلثورب. انها تقود سيارتها السبور وكأنها في سباق دولي. يجب ان تشاهديها بعينيك."

- كم بودي ان افعل.

"حاذري تلك الشاحنة!"

والظاهر ان النساء السائقات يعتبرن اشارات المرور اقتراحات اكثر منها اوامر. ماغي مثلا لا تستعمل موقف السيارات الكائن خلف مبنى البريد. "وما الغرض من ذلك؟" تقول لك. "من السهل دائماً ان تجد مكاناً امام المبنى."

"طبعاً" اقول انا، "فالوقوف ممنوع هناك."

تعتقد ماغي ان ٩٠ في المئة من اشارات المرور لا مبرر لوجودها. تقول: "هدوء: مستشفى!" الاجدر ان توضع تلك الاشارة داخل المستشفى نفسه. فالضوضاء تأتي من هناك."

اقول: "يمكنك ان تتابعي السير. فالشرطي يشير اليك."

- "انتبه: طيران منخفض!" بحق السماء، ماذا ينتظرون منك ان تفعل في هذا الشأن؟

"تمهلي. كدت ان تصدمي ذلك الشرطي."

- نعم؟ اخبرني المزيد عن الآنسة اوستندورب."

"اسمها اوغلثورب. حسناً..."

- "انتبه: معبر غزلان!" حتى الآن لم اشاهد غزالا واحداً، فقد يصدمك احدهم من الخلف. ربما كان صياداً اطل برأسه من النافذة بحثاً عن قرون وعل ما."

"حاذري عامل الحفريات!"

- انها كالرجال تماماً تلك الاشارات، دائماً تقول لك اموراً تعرفها." الطريق زلقة عندما تكون رطبة!" كل الاشياء تكون زلقة عندما تكون رطبة. لا بد ان واضع الاشارة مهندس طرق يظن نفسه الوحيد الذي اكتشف ذلك."

"تلك الشاحنة على وشك الانعطاف!"

اساليب النساء - كانت ماغي تحادث جيني في المطبخ: "هل تعرفين ما هي العلامة الفارقة للمرأة السائقة؟ انها تعجب الرجال."

- ماذا تعجب؟

"ان اتقانك القيادة كالرجال لا

يستغرق وقتاً طويلا. اما تعلمك ان تكتمي الأمر، فذلك يستغرق العمر كله."

- لكن ماذا افعل عندما يتصرف أبي كالأبله؟ كأن يعطي الاشارة الضوئية في الاتجاه المعاكس او يوقف السيارة مرتقياً الرصيف؟"

"لا شيء، تجاهلي الامر. تحدثي عن الطقس، ولكن اياك ان تنتقدي اخطاء والدك."

- واذا كان المخطىء شاباً يترنح بالسيارة ويقلع ثم يقف بارتجاج؟

تضحك ماغي قائلة: "حاولي الخروج مع سائق أفضل منه."

- ولكن لنفرض ان هذا الشاب يعجبك كثيراً.

"حسناً، اضبطيه وهو يؤدي حركة على النحو الصحيح ثم اخبريه كم هو سائق متأن. قولي انك تتمنين فقط لو امكنك ان تقودي مثله."

قالت جيني انها لا يمكن ان تفعل ذلك، بل تفضل ان تبقى صامتة. فاكدت لها امها: "بل يمكنك ان تفعلي اذا كنت تحبين الشاب حقاً وبا خلاص."

كنت انتظر ماغي في السيارة. لم اكن حانقاً، بل ربما مستاء قليلا لان زوجتي احست بضرورة تلقين ابنتي كيف تحادثني، كأني انا الطفل لا هي.

اعتذرت ماغي لانها تركتني انتظر، وانطلقت في الشارع اقود على طريقتي المعهودة وانا مسترخ ولكن على حذر. ولأني كنت اقود بانتباه زائد فقد تمكنت من رؤية السيارة المقبلة من شارع جانبي فضغطت الكابح بشدة. لكن ذلك لم يكن ضرورياً لأن تلك السيارة توقفت. التقطت ماغي محفظتها من ارض السيارة فقلت: "انا آسف."

قالت: "لا داعي الى الأسف. لقد باغتني وقوفك لأنك في العادة سائق متأن." ثم تناولت محرمة من المحفظة وقالت: "طالما تمنيت ان اكون ماهرة مثلك في القيادة."

نظرت بطرف عيني لأرى ما اذا كانت تسخر مني. ولم يكن الامر كذلك، انما كانت تحاول ان تكون لطيفة. واعتدلت في جلستي وانا اقود بأهدأ ما يكون. ربما بهدوء اكثر من اللزوم، لان السيارة توقفت. لا، لم تزعجني الملاحظة. فالمرء يشعر بالارتياح حين يعلم ان هناك من يحبه حقاً، وبا خلاص.

■ **ويل ستانتون**

رجل في الدار

فتحت خادمتنا الجديدة الباب، وكان الطارق صديقاً حميماً للعائلة لم تبصره من قبل. وبادرها بقوله: "أخبريهم أني هنا."

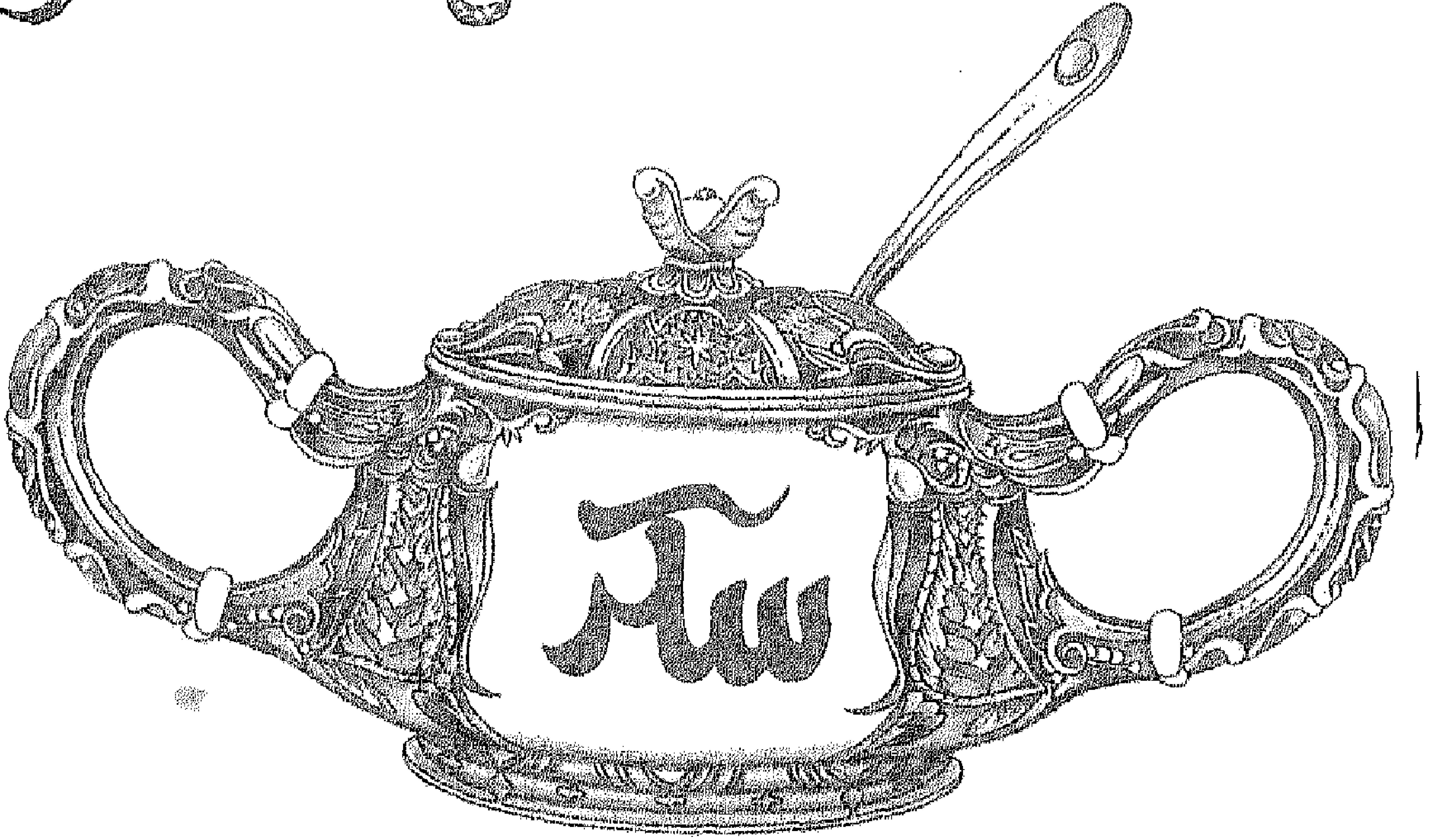
وجاءت الي تقول: "سيدتي، في الباب رجل يقول انه هنا."

م. غ.

الكل يوافق على أن الغفران فكرة رائعة، الى أن يواجه موقفاً يقتضي الغفران.

سي. اس. لويس

حقائق حلوة عن السكّر



تلك المادة اللذيذة التي يطلقون اسمها على الحسناوات اخذت تكتسب سمعة سيئة يقول هذان الخبيران انه لا مبرر لها

في السنوات الاخيرة زادت الاقاويل ان السكر من اشد الآفات هولا، واصبح يتردد ان السكر اصل كل علة، بدءا بالسمنة وانتهاء بصعوبات التعلم، فيكاد لا ينجو من هجماته الفتاكة معمر او رضيع.

حتى الحكومة الامريكية نفسها كانت على اهبة الاستعداد لتعزيز هذا الاعتقاد. فبعدما اعلنت لجنة التغذية والحاجات البشرية المنبثقة من مجلس الشيوخ، في تقريرها الصادر عام ١٩٧٧، ان السكر شر يمكن تلافيه، اقترحت الوكالة الاتحادية للتجارة حظر الاعلانات التي تروج للسكاكر في برامج الاطفال (لكن الاقتراح

سقط لاحقا) • وانضم مصنعو الاطعمة الى القافلة واصبحت اعلاناتهم التلفزيونية تهتف قائلة: "مقدار منخفض من السكر•" وبات الناس يتبجحون بانهم اقلعوا عن استعمال هذه المادة، كأن ذلك فضيلة في ذاته•

هذا الخوف من السكر مرده في الغالب الى معتقدين خاطئين يسودان الولايات المتحدة• اولهما ان استهلاك الامريكيين السكر بلغ حدا لم يسبق له مثيل• وثانيهما ان السكر يسيء الى الصحة•

لكن الاحصاءات الرسمية تشير الى ان معدل استهلاك السكر العادي (السكروز) في الولايات المتحدة لا يزال على حاله منذ سبعين سنة، بينما زاد استهلاك المحليات الاخرى بنسبة كبيرة،خصوصا مركز" الذرة الذي يضاف الى الاطعمة المصنعة• وتشمل الاحصاءات المتعلقة بالمحليات ايضا المواد التي تضاف الى منتجات مثل صلصة البندورة (الكتشاب) وصلصة السلطة المعلبة، كما تشمل المشروبات غير الكحولية والحلويات• لذلك تتباين كثيرا التقديرات حول الكميات التي يستهلكها الناس من مادة السكر•

ولكن ما هو السكر؟

كيميائيا يطلق اسم السكر على مركبات عدة، الا ان قلة منها تتوافر في الاطعمة التي نتناولها• والاكثر شيوعا بين المحليات التي تضاف الى الاطعمة هو السكروز المستخرج من الشمندر او قصب السكر، ومركزات الذرة• ومن انواع السكر المتوافرة طبيعيا اللاكتوز الموجود في الحليب، والغلوكوز والفروكتوز وكلاهما متوافر في الخضر والفاكهة عموما• ولكي يتمكن الجسم من هضمها يجب ان تتحول كل هذه الانواع الى غلوكوز، وهو السكر الموجود في الدم• وهكذا فكل الانواع متساوية بالنسبة الى الجسم البشري الذي لا يهمه المصدر الذي يأتي منه السكر•

اما الناس الذين يولون صحتهم اهتماما فائقا فيرتأون ان السكر الابيض المكرر يشكل خطرا على الصحة، الا انه لا بأس بالمحليات ذات المصدر الطبيعي• لكن الواقع ان جزيء السكر هو جزيء سكر، سواء أكان مكررا ام لا• ومن المسلم به ان سكر الطعام لا يحتوي على اي فيتامينات او املاح او بروتيينات، في حين ان المغذيات في السكر الاقل نقاوة – كالسكر الاسمر او العسل – ضئيلة الى حد تكون معه عديمة الاهمية• فاذا كنت تفضل طعم السكر الاسمر او العسل على السكر العادي، فلا بأس من تناوله• لكن لا تظنن انك تتناول شيئا اكثر قيمة من الناحية الغذائية•

والمفاهيم الخاطئة السائدة تتعدى الاعتقاد الغامض ان "السكر مضر بصحتك•" وفي ما يأتي نلقي نظرة على "التهم" الموجهة الى السكر•

السمنة• الوحدات الحرارية الزائدة على اللزوم، بصرف النظر عن مصدرها، تسبب السمنة• وليس هناك نوع معين من الوحدات الحرارية يسبب السمنة اكثر من سواه• الا ان

غراما واحدا من الدهن يحتوي على ضعفي الوحدات الحرارية الموجودة في كمية مماثلة من الكربوهيدرات (بما فيها السكر) والبروتيين. وهكذا فان مسحة من الزبدة على قطعة من الخبز المحمص تسبب ضعفي السمنة التي تسببها الكمية نفسها من الهلام (جيلو). فمن العبث اذاً اعتماد وجبة طعام خالية من السكر ثم ابدال السكر بمرق اللحم او البطاطا المقلية او اي من الاطعمة الدهنية الاخرى.

داء السكري. يهضم الجسم السكر الموجود في الدم بواسطة هرمون الانسولين الذي تفرزه غدة البنكرياس. ولدى حصول داء السكري يعجز البنكرياس عن افراز الكمية الكافية من الانسولين، او يكون الانسولين الذي يفرزه عاجزا عن اعطاء التأثير المطلوب. فمرضى السكري معرضون لارتفاع معدل السكر في دمهم، خصوصا بعد تناول السكر. ولكن لم يثبت حتى الآن ان تناول المواد السكرية يسبب الداء.

نقص السكر في الدم (هايبوغليسيميا). وهو نقيض مرض السكري. في هذه الحال يفرز البنكرياس كمية زائدة من الانسولين مما يخفض معدل السكر في الدم. وهذا المرض نادر الحصول، وتشبه اعراضه على نحو عجيب اعراض القلق المرضي، كأن هذه الحال المرضية وجدت خصيصا لمرضى الوهم الذين يصرون على ان يكون لهذه المجموعة من الاعراض الغامضة اسم معين.

وينخفض معدل السكر في الدم لدى مرضى الوهم الحقيقيين، وهم قلة ضئيلة، بسبب اورام في البنكرياس. ومن الاقوال الشعبية "الحكيمة" ان تناول وجبة غنية بالسكر (خصوصا المكرر منه) يثير البنكرياس فيفرز كمية زائدة من الانسولين، مما يؤدي الى تدني معدل السكر في الدم. ولكن من الواضح ان هذا الكلام عار من الصحة.

تسوس الاسنان. لا شك في ان السكر يسبب نخرا في الاسنان. ولكن من الخطأ الاعتقاد ان مشاكل التسوس يمكن ان تحل بمجرد ابدال سكر الطعام بالعسل "الطبيعي" او الفاكهة المجففة. فأهم ما في الامر الفترة الزمنية التي تتعرض فيها الاسنان للسكر. فكلما كانت المادة السكرية دبقة، طالت فترة تلامسها مع الانسان، وزاد بالتالي الضرر الناجم. والطريقة الوحيدة لاختصار مدة تعرض الاسنان للسكر هي في عدم تناول السكاكر اللزجة بين وجبات الطعام وتنظيف الاسنان مرارا. فالجراثيم الكامنة في الفم لا يهمها على الاطلاق نوع السكر الذي تعيش عليه. فبعض الاطعمة "الصحية" كالزبيب يمكن ان تستقر بين الاسنان طوال النهار مؤمنة طعاما شهيا للجراثيم.

امراض القلب. عام ١٩٦٤ اطلق طبيب بريطاني تهمة انتشرت على نطاق واسع عبر وسائل الاعلام، وهي ان السكر عامل مسبب لامراض

القلب. وقد توصل يودكين الى فرضيته هذه من طريق مقارنة مقدار السكر الذي يتناوله ٤٥ مريضا بالقلب باستهلاك ١٣ من ضحايا حوادث السيارات الذين كانوا يعالجون في المستشفى نفسه و٢٤ رجلا آخر ممن يقيمون في المنطقة. واظهرت هذه الدراسة ان مرضى القلب يستهلكون من السكر اكثر بكثير من سواهم. وهكذا استنتج ان هذه المادة مضرة بالقلب.

الا إن نظرة سريعة على بعض الاحصاءات البسيطة تظهر لنا بطلان هذه الفرضية. فلو كانت هناك فعلا علاقة بين استهلاك السكر وامراض القلب، لوجب ان ترتفع نسبة الاصابات في البلدان التي تستهلك نسبة عالية من السكر. لكن الواقع ان عددا من هذه البلدان، مثل فنزويلا وكوبا والبرازيل وكوستاريكا، تنخفض فيها نسبة الاصابات بهذه الامراض الى حد ما.

عوائق التعلم. كثيرا ما نسمع ان السكر يسبب صعوبات في التعلم، وليست هناك اي دراسات علمية تدحض هذه الفرضية. وما يروج عن هذا الموضوع ليس سوى نتيجة دراسات غير دقيقة وتقديرات وآراء شخصية. كذلك ليس هناك ما يثبت المزاعم القائلة بان السكر ومشتقاته تسبب انحرافات سلوكية. فقد حدث في سان فرنسيسكو (كاليفورنيا) ان اغتال احد المراقبين عمدة المدينة ومراقبا آخر، ثم ادعى في شهادة الدفاع انه كان تناول الكثير من الحلوى والسكاكر قبل الجريمة مباشرة.

وتزعم سيدة من دعاة "الطعام الصحي" ان افراد "عائلة" مانسون المشؤومة الذين قتلوا الممثلة شارون تيت كان غذاؤهم الرئيسي اصابع السكاكر. وتقول: "لا جريمة حيث يكون الطعام جيدا."

هذه الفرضية ومثيلاتها لا تزال تنقصها البراهين العلمية المحسوسة.

الوحدات الحرارية "الفارغة". الادعاء ان السكر مشحون بالوحدات الحرارية "الفارغة" هو قول سخيف. فكل الوحدات الحرارية هي وحدات "ممتلئة" اي مشحونة بالطاقة. واستعمال السكر بدل المغذيات الاخرى يحدث خللا في التغذية. ولكن لا بأس من تناول بعض الاطعمة الجاهزة والسكاكر بين حين وآخر لسد حاجة الجسم من الوحدات الغذائية، بشرط ان يعتمد المرء نظاما غذائيا متوازنا.

الشواهد واضحة اذاً: السكر حلو المذاق، لكن ذلك لا يعني انه مضر بالصحة.

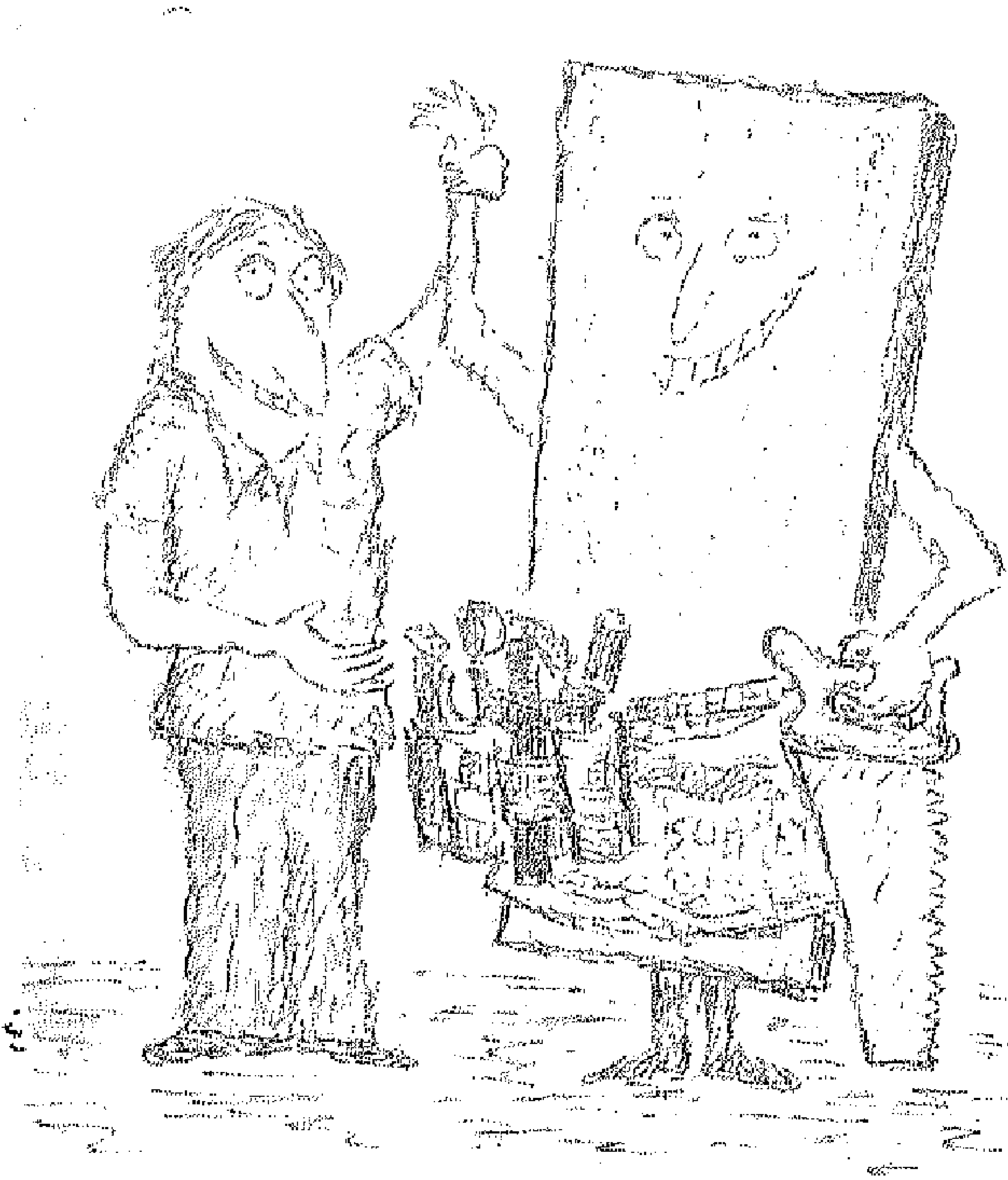
■ اليزابيت ويلان وفردريك ستار

بعض الخير يؤذي

اياك أن تؤدي خدمة لأحد الناس اذا كانت تجرّ الاذى على سواه. فالذي يتلقى الحسنة ينسى، أما الذي يتلقى الاذية فلا ينسى.

ف.ج.

هاوي نجارة يقدم ارشادات سهلة وعملية



النَّجار الشَاطِرُ



معظم ما اعرفه عن النجارة – وهو لا شيء تقريباً – تعلمته في مشغل المدرسة .

بدأت التدرب في المشغل في الخمسينات حين كان الصبيان يتدربون في المشاغل والفتيات يتدربن على الاقتصاد المنزلي، وهذه تسمية رمزية للطهو... ولم يعد يسمح الآن للمدارس بفرز الصبيان والفتيات على هذا النحو .

كذلك لم يعد يسمح بوضع رؤوس التلاميذ بين فكي ملزمة، كما فعل معلمنا في المشغل السيد شميدت بروبي وليمس الطالب في الصف الابتدائي الخامس حين ارتكب خطأ واستعمل الازميل بدلا من مفك البراغي . كان المعلم شميدت متشدداً في استخدام الادوات على الوجه الصحيح، وانا اعتقد انه ما كان يجوز له ان يضع رأس روبي بين فكي الملزمة، لكنني اراهن على ان روبي لن يرتكب هذه الغلطة مرة اخرى حتى نهاية عمره، هذا اذا عاش ليبلغ نهاية العمر .

في اشراف المعلم شميدت صنعنا بالتطريق اشياء على جانب من البشاعة والتفاهة يفوق ما يمكن ان يتصوره عقل انسان . اول مشروع

رئيسي نفذناه كان صنع رف كتب صغير يمكن استخدامه ايضاً كمقعد. فذات يوم وانت تبحث عن كتاب، يخطر في بالك فجأة ان تجلس. فتلقي بالكتب جانباً، وهاك المقعد بين يديك.

وطوال السنوات التالية استخدمت المهارات التي اكتسبتها في المشغل لصنع اشياء جمة نافعة. وعلى سبيل المثال صنعت اخيراً لوحاً من الخشب.

أفدت من هذا اللوح في اغراض عدة. اني اقف عليه حين اضطر الى تناول جواربي من المجففة عندما تكون ارض غرفة الغسل مغمورة بالماء. وغالباً ما تعلو هذا الماء طبقة كثيفة من الحثالة القذرة. كذلك استخدم هذا اللوح لأهشم عنكبوتاً... كل فصائل العنكبوت حشرات قاتلة، فلا تصدق ذلك السخف الذي تقرأه في المجلات العلمية. وبعد ان اهشم العنكبوت أبقي اللوح مغموراً بالماء وسطحه الذي هشم العنكبوت الى أسفل لكي تزول عنه بقايا ذلك الوحش الكريه.

من اجل صنع لوح من الخشب تحتاج الى ما يأتي:

المواد: لوح من الخشب، طلاء.

المعدات: ازميل، مثقب يدوي.

يمكنك ان تحصل على قطعة الخشب من احد العنابر الخاصة. ولكن حذار، فعنابر الخشب زاخرة بالغرائب. فاذا كنت تعرف تماماً حجم القطعة التي تنشدها، فاسأل الرجل عن حجم مغاير. واذا لم تكن تعرف اي حجم تريد، قل له انك تبغي لوحاً من الخشب لتهشيم عنكبوت، عندئذ يدرك ما انت في حاجة اليه.

عليك ان تطلي اللوح لكي يفهم الناس انه من انتاج نجار منزلي. وانصحك باستعمال لون قاتم، اي لون احشاء العنكبوت. استخدم الازميل لفتح علبة الطلاء وابق المثقب اليدوي جاهزاً قربك خشية ان يكون المعلم شميدت يرصد نشاطك عن كثب.

بعد ان تفرغ من صنع اللوح يمكنك ان تتدرج نحو مشاريع اكثر تطوراً، كالقيثارة مثلا. ولكن اذا كنت حقاً عازماً على ممارسة النجارة المنزلية، فيجدر بك ان تجهز نفسك بمشغل منزلي. وستجد هذا المشغل مفيداً جداً لتخزين مرشة الماء التي تروي بها ازهار الحديقة وسواها من الاشياء التي تنوي ان تصلحها قبل ان تقضي اجلك في هذه الدنيا. ولقد اتفقت وزوجتي على خطة من ثماني مراحل لتقرير الاشياء التي يجب اختزانها هناك:

١. تبلغني زوجتي ان شيئا ما في البيت تعطل. فتقول: "المصباح على الطاولة بجانب سريري لا يضيء."

٢. انتظر بضعة اشهر على أمل ان تكون زوجتي مخطئة في شكواها.

٣. تبلغني زوجتي انها ليست مخطئة: "المصباح لا يزال معطلا."

٤. اجري تحقيقات أولية. ادير المفتاح والاحظ ان المصباح لا يضيء حقاً، فأقول لزوجتي: "انك على حق. المصباح معطل."

٥. انتظر مدة تراوح بين ستة وتسعة اشهر على أمل ان يصلح الله المصباح او أن يشن الاتحاد السوفييتي هجوماً على الولايات

المتحدة فيتحول العالم كله كتلة متوهجة من الرماد النووي ولا يبقى ثمة من يأبه لمصباح معطل.

٦. تنذرني زوجتي بأن المصباح لا يزال معطلا وتصيح في ساعة متقدمة من الليل: "المصباح لا يزال معطلا" (مشدّدة على عبارة "لا يزال").

٧. احاول اصلاح المصباح في موقعه، ثم انهال عليه ضرباً. هذا غالباً يجدي في محاولة اصلاح المصابيح، لكنه نادراً ما يفيد في اصلاح الافران الكهربائية.

٨. اذا لم ينجح الاصلاح في الموقع أقول: "سيتعين علي ان انزل هذا المصباح الى المشغل المنزلي." وهذا اسلوبي في افهام زوجتي انه يجدر بها شراء مصباح جديد.

اذا اتبعت هذا النهج ستجد بعد بضع سنوات ان مشغلك المنزلي امتلأ بالاشياء المعطلة. حتى ذلك الحين يبدو المشغل خاوياً، ولذا يجدر بك ان تحصل على معدات وادوات. ولكي تضفي على مشغلك مظهراً جذاباً ينفي عنه صفة الخواء، اشتر ادوات باهظة الثمن وعلقها على لوحات في ترتيب جميل.

انك تحتاج اساساً الى اربعة اصناف من الادوات:

- ادوات تصيب بها نفسك (مطارق، فؤوس).
- ادوات تجرح بها نفسك (مناشير، سكاكين).
- ادوات تخز بها نفسك (مفكات براغ، ازاميل).
- ادوات اذا سقطت منك بالوضع المناسب تخرق قدمك (مخارز).

يجب التنبه الى ان كل هذه الادوات خطرة ولذا اياك ان تلمسها ابداً.

اذا حدث في اثناء حال طوارىء عمومية ان اضطررت الى استخدام ادواتك، فعليك باتخاذ اقصى درجات الحيطة. انا مثلا املك منشاراً آلياً دواراً له شفرة قاطعة تدور بضعة مليارات الدورات في الثانية ويمكنه ان يبتر احد اطرافك في أقل من رمشة عين. وحين اضطر الى استعمال هذا المنشار احتاط بأتباع أسلوب أمان وضعه فنيو الاشعة السينية (اكس). قبل كل شيء اغادر الحجرة واقطع التيار الكهربائي عن البيت كله. اضع قطعة من الخشب قرب المنشار ثم ادخل شريطه في المقبس الكهربائي. بعد ذلك اتراجع بحذر الى الحجرة الاخرى وأعيد التيار الى المنزل.

اني املك كذلك مسحاجاً وهو آلة أشدد في التوصية على اقتنائها، مسحاجي لم يسبب لي اي متاعب، حتى وان فعل لما دريت بذلك لأني لا املك ادنى فكرة عن الغرض منه. وقد اشتريت هذا المسحاج لأنه كان معروضاً للبيع.

يقول كتاب التعليمات الذي جاء مع المسحاج انك تستطيع استخدامه في صنع شيء ما. ربما كان هذا الشيء يصنع من قطعة خشب.

■ ديف باري

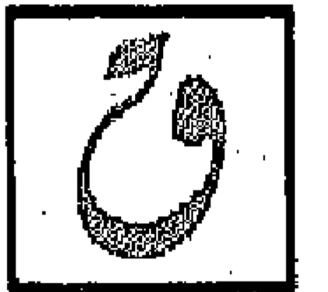
السر في بيع منزلك أن تجعله يبدو كأن أحداً لم يسكن فيه البتة. ا.ب.



تقف تلك الارض
بين شفق
الامل وفجره
ويتطلع ابناؤها
بلهفة وقلق
الى المستقبل

جندي من جنوب افريقيا يحرس ليلا تحسباً لهجمات الثوار ،

ناميبيا أيّ مُستقبل



قضى محاربو البشمان الليل كله يرقصون حول النار وبدت اجسادهم الصفراء أشبه باللهب وسط جلبة الطبول وغناء النساء ، فهذا المرح الصاخب مظهر من مظاهر حضارة في طريق الزوال يهدف الى تحدي الارواح الشريرة التي تستقر في ظلام ادغال ناميبيا .

كان البشمان يملكون معظم أجزاء افريقيا الجنوبية الغربية، ثم حلت محلهم قبائل سوداء شديدة البأس هاجرت من الشمال قبل زمن يراوح بين ثلاثمئة وخمسمئة سنة ، وكثير من راقصي البشمان يلبسون الآن بزات القتال الخاصة بقوات دفاع جنوب افريقيا ، وهم يستخدمون براعتهم القديمة في القتال لمقاومة فدائيي المنظمة الشعبية لجنوب غرب افريقيا الذين يتخذون انغولا قاعدة لهم ويقاتلون لانهاء سيطرة جنوب افريقيا على ناميبيا .



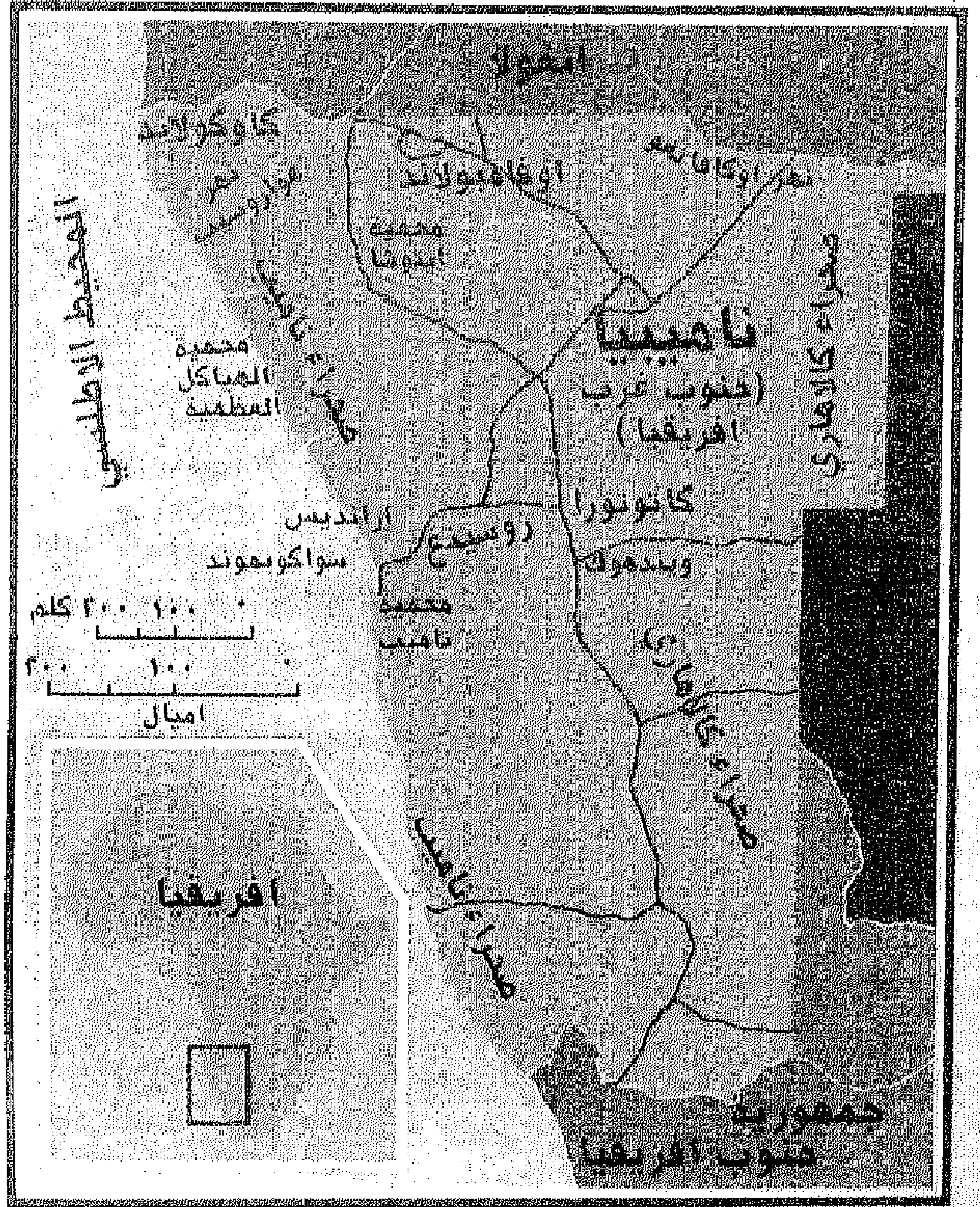
زوجان يرفعان قبضتيهما تحية للمنظمة الشعبية لجنوب غرب افريقيا.

وهؤلاء الفدائيون ليسوا سوى ارهابيين في نظر الفرق العسكرية الكثيرة التابعة لافريقيا الجنوبية والمتمركزة على طول الحدود الشمالية مع انغولا التي تمتد ١٥٥٤ كيلومتراً. غير ان الامم المتحدة ترى في هذه المنظمة "الممثل الشرعي والوحيد للشعب الناميبي". وقد حكمت جمهورية جنوب افريقيا المنطقة التي تبلغ مساحتها ٨٢٤،٢٦٩ كيلومتراً مربعاً والتي تسمى ايضا جنوب غرب افريقيا منذ ما انتزعتها قوات الحلفاء من الالمان في الحرب العالمية الاولى.

تعني كلمة ناميب "الارض المستباحة" لكن هذا المعنى لا ينطبق على ناميبيا اذ ان ٩٠ في المئة من سكانها ينتمون الى قبائل من السود تختص كل منها بحضارة وتاريخ متميزين. وفي ناميبيا ايضاً قبائل من البيض متحدرة من المقيمين الألمان او الافريقانيين او البريطانيين. وقال لي احد علماء الانثروبولوجيا (★): "اننا نتكلم في ناميبيا ٢٧ لغة ولهجة مختلفة فيجب الا تتوقع منا التعبير عن انفسنا بطريقة واحدة."

اما اذا نجحت المفاوضات الدولية في السنوات القليلة المقبلة، فسيكون لناميبيا موقف موحد في اشراف الامم المتحدة يؤدي الى انتخابات دستورية تقود الى الاستقلال. وسوف يكون ذلك اول امتحان سياسي حقيقي للمنظمة الشعبية التي قد تناهض اندماج الاحزاب القبلية في الاحزاب المنشقة كما حصل في التحالف الديموقراطي

(★) علم الانسان.



الذي قاد البلاد مدة اربع سنوات الى ان استأنفت حكومة جنوب افريقيا حكمها المباشر في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣. وقد رفضت الامم المتحدة الاعتراف بهذا الحزب لكونه دمية تعمل على تشجيع العداوات القبلية والحفاظ على سلطة ٧٦ ألف شخص من السكان البيض.

التمييز العنصري – بعد اقامتي شهرين في ناميبيا أظن ان من الصعب اطلاق تعميمات مماثلة. فقد التقيت زعماء بعض القبائل الذين يؤيدون فعلا حكومة جنوب افريقيا كما التقيت رجالا من البيض يندّدون بها. كذلك اتيحت لي محادثة ثائرين من المنظمة الشعبية لجنوب غرب افريقيا واشخاص من قدماء المناضلين عادوا من المنفى ليمارسوا العمل السياسي في وطنهم. فاذا صح ان هناك دمى، فمن العسير تتبع خيوطها بدقة.

لقد الغيت في ناميبيا قوانين مجحفة تتعلق بالتمييز العنصري. "الا ان التمييز العنصري الحقيقي ما زال قائماً" على حد تعبير سليمان ميفيما

احد مؤسسي "المنظمة الشعبية الديموقراطية لجنوب غرب افريقيا"، "فالسود لا يتقاضون اجوراً عادلة ويعانون الامية ويفتقرون الى بيوت صالحة للسكن."

في كاتورا احدى ضواحي العاصمة وندهوك التقيت عاملا شاباً من قبيلة هيريرو. وعرفت انه يسكن على نحو غير قانوني مع أربعة اشخاص راشدين وعشرة اطفال في بيت من ثلاث غرف يبلغ ايجارها ٤٠ دولاراً في الشهر. وهو موظف في وندهوك يتقاضى راتباً شهرياً مقداره ٢٨٠ دولاراً اي نصف ما يتقاضاه زميله الأبيض. ويقول هذا العامل: "انهم يعللون ذلك بقولهم اني لا احتاج الى مزيد من المال لأن نصيبي من ايجار البيت زهيد، لكن هذا يعني اني لن استطيع السكن في مكان آخر."

والملاحظ في ناميبيا تعدد الولاءات ضمن المجموعة الواحدة. غير إن معظم افراد قبيلة الهيريرو الذين يبلغ عددهم سبعين الفاً هم من الانصار المتحمسين لحزب الاتحاد الديموقراطي. اما قبائل اوفمبو السبع القوية فتنزع الى مناصرة المنظمة الشعبية لجنوب غرب افريقيا. ويبلغ عدد افراد هذه القبائل ستمئة الف اي ما يزيد على عدد افراد القبائل الاخرى جمعاء. لقد زرت جوزيا شيكونغو تابوبي رئيس قبيلة كوالودي في قريته الكبيرة التي تبعد مسافة أربعين كيلومتراً عن حدود انغولا. وهناك رأيت السلال الممتلئة بالحبوب والنساء اللواتي يعملن بكد طوال اليوم ليحصلن على نصيب من الثريد يسددن به رمقهن.

اما رجال ميليشيا القبيلة المدججون بالسلاح فوظيفتهم تذكير الاعداء باستعداد رئيس القبيلة لمحاربتهم.

وقال لي الرئيس: "ان افراد قبائل اوفمبو هم الضحايا الحقيقية لهذه الحرب. فالارهابيون يخيفون شعبنا ويخطفون اطفالنا الى انغولا ثم يعيدونهم الينا وقد باتوا ثواراً يحملون السلاح." وعلى اثر زيارة اعضاء من المنظمة الشعبية مدرسة الارسالية الكاثوليكية في اومبالانتو اختفى فرانس (١٨ سنة) ابن رئيس القبيلة. ويقول والده: "لم يبلغني منه شيء منذ العام ١٩٧٧ وأرجو الا يعود ليحارب ابناء قومه."

صحراء كالاهاري — في شرق أراضي أوفمبو يقع نهر أوكافنغو الذي يمتد مسافة ٣٥٥ كيلومتراً على حدود انغولا وناميبيا ثم يجري جنوباً الى مستنقعات بوتسوانا. وفيما كنت أقود سيارتي شرقاً في محاذاة ضفة النهر رأيت قطعاناً من البقر الاسود تساق الى المراعي وحقول الذرة. وهذا جزء من خطة زراعية تمولها الحكومة بدأت قبل ثلاث سنوات وتهدف الى تعليم المزارعين المحليين كيف يحسنون انتاجهم. وتعرضت هذه الجهود للنقد لكونها وسيلة لابقاء السود "في مكانهم". الا أن تحسين انتاج المزارعين قد يكون في المستقبل علاجاً ناجعاً لجنوب افريقيا حيث ولدت محاولات التصنيع والمكننة الزراعية بطالة في الارياف وأدت الى ازدياد عدد الاحياء الفقيرة في المدن وتركت نقصاً فادحاً في الغذاء.

وفي ناميبيا أيضاً صحراء رائعة غنية على نحو عجيب بالالماس والاورانيوم والفحم والنحاس وبمعادن أساسية أخرى. ويزخر هذا البلد بمظاهر ساحرة من حياة أفريقيا البدائية. وتتجلى هذه المظاهر بأروع صورها في صحراء كالاهاري في الشرق وفي صحراء ناميبيا التي تعترض مسافة ١٦٠٠ كيلومتر من ساحل الاطلسي المهجور.

وفي عالم قاحل مفعم بالكثبان والسهول البركانية شاهدت الزرافات والنعام والاسود والمها تهيم ككائنات أسطورية وسط السراب فتقطع المسافات الطويلة سعياً الى الماء.

ومن الشاطىء المهجور سافرت شرقاً عبر الجبال القاحلة وسهول كووكو الصخرية موطن قبيلة من بدو "الهمباس" الرحل الذين يعيشون من رعي الماشية. فبعد لأي شديد وجد مئتان من هؤلاء ملاذاً في وادي نهر هواروسب. فاقتادوا ماشيتهم الى هذا المكان لينجوا من موت محتم في أرض قاحلة. ولم يجدوا في مقرهم الجديد زوناً يسدون به أكواخهم ولا لبناً لاطفالهم ولا سمناً يصنعون منه مراهم حمراء تقي أجسادهم الشمس المحرقة. فعمدوا الى حفر قنوات للري في رقع صغيرة من حقول الذرة التي لم تنضج بعد.

قال قائدهم: اسحق: "اننا نبذل قصارانا لنعين أنفسنا. فالحكومة تعطينا بعض الذرة ونحن لدينا بعض الماعز. غير أن رجالنا عاطلون عن العمل. ومن العسير أن يفكر المرء في المستقبل عندما يكون جائعاً."

ان معظم أفراد الهمباس أميون. وقبائل السود الاخرى تزدريهم بسبب وسائلهم البدائية. وهم الآن ينظرون بحسد الى الجنوب حيث يبلغ معدل أجر العامل من قبائل داماراس وأوفمبو وهيريرو ٤٠٠ دولار شهرياً اضافة الى اعانات السكن ومكاسب أخرى في منجم روسينغ الذي يعد أكبر مناجم الاورانيوم في العالم.

يبلغ انتاج روسينغ السنوي خمسة آلاف طن من اوكسيد الاورانيوم أي ما قيمته ٣٥٠ مليون دولار. وتملك جمهورية جنوب افريقيا ١٣ في المئة من المنجم فيما تملك شركة بريطانية ٤٦ في المئة.

بين الشفق والفجر - افتتح المنجم عام ١٩٧٦ وبلغت كلفته ٣٥٠ مليون دولار. وقد استنكرت الامم المتحدة هذا العمل باعتباره استغلالا غير قانوني لموارد ناميبيا وعمالها. يقول طوني غب الناطق بلسان مدير المنجم: "اننا نستخدم ٢٣٠٠ رجل أسود وملون معظمهم من دون خبرة أو من ذوي الخبرة المحدودة كما نستخدم ٨٧٠ رجلا أبيض. ونحن نصرف ثلاثة ملايين دولار في السنة لتدريبهم ونستعين على ذلك بستة وخمسين معلماً يشغلون وظائف دائمة. وعلى هؤلاء تعليم العمال المبادىء الاساسية للقراءة والكتابة واعداد بعضهم لتشغيل الآلات والاشراف عليها وبعضهم الآخر للعمل في المصفاة."

ومعظم عمال الشركة الزنوج يعيشون في أرنديس وهي بلدة جديدة ساهمت شركة روسنغ في الجزء

الاكبر من كلفة انشائها . وفي هذه البلدة بيوت من ثلاث غرف نوم أو اربع وشقق سكنية صغيرة . وفي وسطها مدارس ومتاجر ومستشفى حديث فيه (٤ سريراً . ويتمتع هؤلاء العمال برعاية طبية مجانية ويخضعون لفحوص دورية .

وعلى مسافة سبعين كيلومتراً الى الجنوب الغربي تقع بلدة سواكوبموند التي تعد ذكرى حية لامبراطورية القيصر الالماني فيلهلم التي لم تنجز . وتضفي عمارات القرن التاسع عشر جمالا على شوارع هذه البلدة . ويقوم فيها صرح أمامه بركة ماء تحية لابنائها الذين ماتوا في سبيل وطنهم أثناء الحربين العالميتين . والحق أن بين الالمان وناميبيا علاقة وثيقة . فكثيرون ممن يتكلمون الالمانية اليوم في ناميبيا ينتمون الى مهاجرين وصلوا اليها بعد الحرب العالمية الثانية . وهم ينظرون نظرة أوروبية الى الوضع السياسي المعقد في ناميبيا . يقول محافظ البلدة يورغ هنريتشسن: "اننا ببساطة نؤيد أسطورة الابقاء على ((تنظيماً ادارياً منفصلا . فالاتحاد الديموقراطي قد يجد نفسه منقسماً وغير فاعل ازاء القرار الموحد للمنظمة الشعبية لجنوب غرب افريقيا ."

وعند رجوعي الى وندهوك عدت الى العالم الحقيقي . فقد وردت أخبار في الصحف المتعددة اللغات ان المفاوضات الدولية قد تجعل ناميبيا الدولة الافريقية المستقلة الثانية والخمسين . وتكلمت هذه الصحف على رجال بيض يؤمنون بالتمييز العنصري وعلى آخرين استطاعوا قراءة خط الانسانية الجديد على جدار الاستعمار المنهدم . أما الزنوج فناقشوا بحماسة شديدة الاحكام القبلية المتحيزة والسلطة الجديدة .

وفي ليلتي الاخيرة في ناميبيا لخص لي أحد مواطني وندهوك حقيقة ما يجري وبدا كلامه ترنيمة بالنسبة الى أرض تقف بين الشفق والفجر . قال: "اذا كنت تحب هذا البلد، فانك بلا شك واقع في حيرة شديدة ."

■ بريان هودغسون



كتب الحقوق

خلال اسبوع الامتحانات النهائية غصت مكتبات الجامعة بالطلاب من جميع الفروع بما فيها مكتبة الحقوق التي يحظر استخدامها عادة على طلاب الدوائر الاخرى . وضاق طلاب الحقوق ذرعاً بمنافسيهم وحاول بعضهم ردعهم عن دخول المكتبة . وحين سئل طالب حقوق كيف استطاع تمييز الوافدين عن الزملاء اجاب: "هذا بسيط، اذ ان كتبهم مصورة في حين ان كتبنا نحن لا تحوي رسوماً ."

ر . ش .

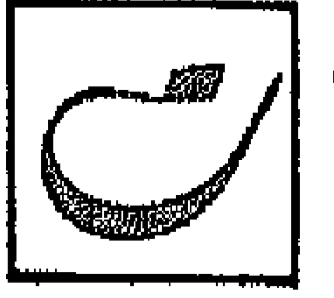
ليكن أفضل ما في هذه السنة اسوأ ما سيكون في السنة المقبلة . ب . د .



أيّها الرجُل ماذا يُعجبُك في المَرأة؟

ما هي المواصفات التي تلفت الرجل في المرأة؟ هنا بعض اجوبة صريحة

Photo: Al Francekevich



تجمع بين النساء والرجال صفات من أبرزها نزوعهم الى الرومنطيقية وحاجتهم الى الحنان، والى ذلك فهم يشتركون في التطلع الى أشخاص من الجنس الآخر ذوي إحساس مرهف وخيال واسع، ومن بين صفاتهم المشتركة أيضا نزعتهم الى الاستسلام وشعورهم بعدم الاطمئنان، وعلى رغم هذه الصفات المشتركة فان بين الرجال والنساء أوجه اختلاف عميقة من الناحية الجنسية إضافة الى اختلافاتهم البيولوجية،

لقد قابلت ما يزيد على مئتي رجل أمريكي من أعمار وبيئات مختلفة لأدرك على نحو أفضل مواقف من الجنس معينة، وسألتهم عما يجعل امرأة بعينها تحرك فيهم الشهوة الجنسية، فذهبوا الى ان ذلك يرجع الى ثقتها بنفسها ورزانتها وذكائها وجودة صحتها وجاذبيتها وأنوثتها،

لذلك، خلافا لما هو شائع في وسائل الاعلام، يمكن ان تتمتع المرأة بجاذبية جنسية من دون ان تكون جميلة ممشوقة القوام، ولا ريب في ان تركيز التلفزيون والسينما ومجلات الازياء النسائية على ان الجاذبية الجنسية وقف على ذوات الوجوه والاجساد الجميلة يزيد في شعور المرأة بعدم الاطمئنان،

إن إحساس المرأة بجاذبيتها لجنسية لا يشترط سوى مصالحتها ذاتها وجسدها، ●

لقد قال الرجال الذين قابلتهم انهم يؤثرون المرأة التي تجهد لبرز جمالها على المرأة الفائقة الجمال، فهم يلاحظون في المرأة تفاصيل دقيقة كمستحضرات التجميل والشعر والاظفار والبشرة، ويقول أحدهم: "انني اتطلع الى ما يدل على أنها امرأة تعنى بنفسها، وأظن ان لهذا العامل أثرا كبيرا في جاذبيتها"،

التوازن العادل — ورد في اكثر الاحصاءات إثارة للدهشة ان ٧٥ في المئة من الرجال اليوم يطلبون من المرأة مشاركة أكبر قبل الجماع أو أثناءه، فهم يريدون امرأة تبدي اهتمامها ومتعتها وتشارك في الجماع بفاعلية، ولئن يكن رجال الاجيال الماضية يجدون في تلك المشاركة ضربا من "الاسترجال"، فان معظم الرجال اليوم يشعرون بالحاجة الى فترة من الراحة تعتقهم المرأة فيها من الخضوع لامتحان إثبات الرجولة،

غير ان عددا كبيرا جدا من النساء يشعر بأنه إذا ملكت المرأة زمام المبادرة وجعلت الرجل يعرف حقيقة ما تريد، فسوف تبدو فاقدة أنوثتها أو عدوانية، وقد أثارت العبارة الاخيرة انفعالات حادة لدى كثيرات من النساء اللواتي حادثتهن،

وسبب ذلك ان بعض الرجال يحمّل عبارة "امرأة عدوانية" مدلولا سلبيا على حد تعبير موظف إداري كبير سعد بزواج "امرأة ينعتها معظم الناس بأنها ذات نزعة عدوانية شديدة،" وفي رأيه ان الرجال الذين يعارضون المساواة مع المرأة يستخدمون هذه العبارة على نحو يفيد الازدراء، ويضيف: "ان ما يخيف

هؤلاء الرجال حتى الموت ليس امرأة واثقة بنفسها بل امرأة ترفض تمثيل دور الاذعان التقليدي."

يقول أحد الرجال: "العدوانية في رأيي تعني الثقة بالنفس والاقدام وعدم الاستسلام ونوعا من التفكير متقدما." ويذهب آخر الى ان المرأة العدوانية هي "تلك التي لديها احساس بشخصيتها المستقلة." فهذان الرجلان يجدان في هذه الصفات "منحى إيجابيا واضحا." ويرى أحد الرجال الذين يستحسنون عدوانية النساء "ان المشاكل تنشأ عندما تحاول المرأة ان تصبح الشخصية المسيطرة في علاقتها بالرجل. قد يكون هذا ممكنا أحيانا الا ان التوازن العادل يجب ان يتحقق في تلك العلاقة."

اغواء ووقاحة ـ السؤال المطروح الآن هو: كيف يمكنك ان تدعي الرجل يعرف ما تريدين وتعطيه ما يريد من دون ان يتسم فعلك "بالوقاحة"؟

تستطيعين ذلك باستخدام ذكائك وحساسيتك ورقتك وأنوثتك. وهذا يعني ان عليك تجنب الادعاء الكاذب والمضايقة والمناورة وتمثيل الادوار.

من أفضل الوسائل التي تستطيع المرأة ان تلجأ اليها لتعبر عن اهتمامها بالرجل، ان تنظر اليه نظرات صريحة. وقد يبدو هذا ضربا من السذاجة، غير ان كثيرا من النساء يتحاشين النظرات المباشرة إذ يرين فيها تعبيرا عن الوقاحة. ومع ذلك فكثير من الرجال يرون في تلك النظرات مظهرا بارزا من مظاهر الاغواء،

وتستطيع المرأة إظهار اهتمامها بالرجل من خلال طريقة حديثها معه. فعليها ان تتحاشى الكلام على نفسها أو عملها. ويمكنها ان تسأله إبداء رأيه في إحدى اللوحات المعلقة في الزاوية أو في مقبلات الطعام. كما يمكنها ان تسأله عن اسم العطر الذي يستعمله بعد الحلاقة.

وإذا أرادت المرأة اعتماد وسيلة مبتكرة لتوحي الى الرجل بأنها تود توثيق معرفتها به، فبوسعها ان ترسل اليه هدية.

وعلى سبيل المثال تستطيع المرأة ان ترسل فنجان قهوة بتركيبة معينة الى الرجل الذي يحب القهوة، أو صورة من معرض فني لمن يهوى الفن، أو طبقا من المعكرونة البيتية لمن يحبّ هذا اللون من الطعام.

إن الرجال يعرفون على نحو قاطع ما يجعل المرأة غير مثيرة جنسيا. فهم يكرهون مثلا المرأة المبتذلة التي تعوزها الحساسية. وفي ما يأتي نماذج من النساء اللواتي يجفل منهن الرجل:

المرأة التي تشبه القدر الضغطية. هذه المرأة لا تفتأ تتصل بالرجل وتطارده بحيث لا تترك له ما يفعله، مما يحدث خللا في العلاقة بينهما. فالعلاقة بين شخصين تقضي بتشاركهما كليهما لبلوغ الهدف الخاص الذي يتوخيانه.

المرأة اللاصقة. هي التي لا تنفك تطارد الرجل علانية. وقد قال لي أحد الرجال الذين قابلتهم: "إذا تحرشت

بي امرأة بحضور أشخاص آخرين، فلا أظن انني استطيع الاستجابة الى طلبها٠ فمثل هذا التصرف غير مستحسن٠"

المرأة المترددة٠ هي التي تعوزها الثقة بالنفس٠ وفي هذا الصدد ينصح أحد العزاب المرأة قائلا: "على النساء الا يخجلن مما يفعلنه أو يقلنه عندما يكن في صحبة رجل٠ فالمرأة الخجولة تعكس شعورها على شريكها٠"

المرأة التي لا تحسن اختيار الوقت المناسب٠ إن هذه المرأة لا تملك إحساسا بالتوقيت الصحيح٠ فهي قد تكون بالغة الرقة والرومنطيقية والاثارة لكنها لا تستطيع ان تجذب الرجل اليها عندما يكون منصرفا الى مشاهدة مباراة في كرة القدم أو منهمكا في تأدية تمارين رياضية٠

وإذا سألت مئة رجل عن سبب الجاذبية الجنسية في المرأة، فأغلب الظن ان تسعة وتسعين منهم سيجيبون انه "الثقة بالنفس٠" فهم في الحقيقة لا يأبهون بجمال المرأة وروعة قدها بل يؤثرون المرأة التي يمتلكها شعور بالراحة في ما يخص ذاتها وجسدها٠ وقد عبر أحد الرجال عن ذلك قائلا: "ان المرأة التي يصح القول انها تتمتع بجاذبية جنسية هي تلك التي تعلم انها خليقة بالحب٠"

■ **الكسندرا بيني**



ركاب مستعجلون

معظم المسافرين لا يطيقون الانتظار بعد هبوط الطائرة، بل ينهضون من مقاعدهم فيما الطائرة تتحرك على عجلاتها نحو المحطة الأخيرة٠ وهذا يسبب أخطاراً بعض الأحيان٠ غير أن ربان احدى الطائرات حل المشكلة باعلانه الآتي: "بما أن هذه الطائرة ستستأنف رحلتها، فنحن نطلب من كل راكب يود مساعدتنا في تنظيف المقاعد أن يقف لدى هبوط الطائرة٠" وهكذا لم يقف أحد قبل وصول الطائرة الى نقطتها الأخيرة٠

ب٠ك٠

العطلة ضرورية!

أجمل ما في العطلة أنها تستغرق الكثير من وقتك٠ فاذا أخذتها في شهر اغسطس (آب)؛ فالصور الفوتوغرافية تأتيك في سبتمبر (أيلول)؛ والفواتير في اكتوبر (تشرين الاول)؛ وصحتك المستعادة في نوفمبر (تشرين الثاني)؛ وحقائبك في ديسمبر (كانون الاول)٠

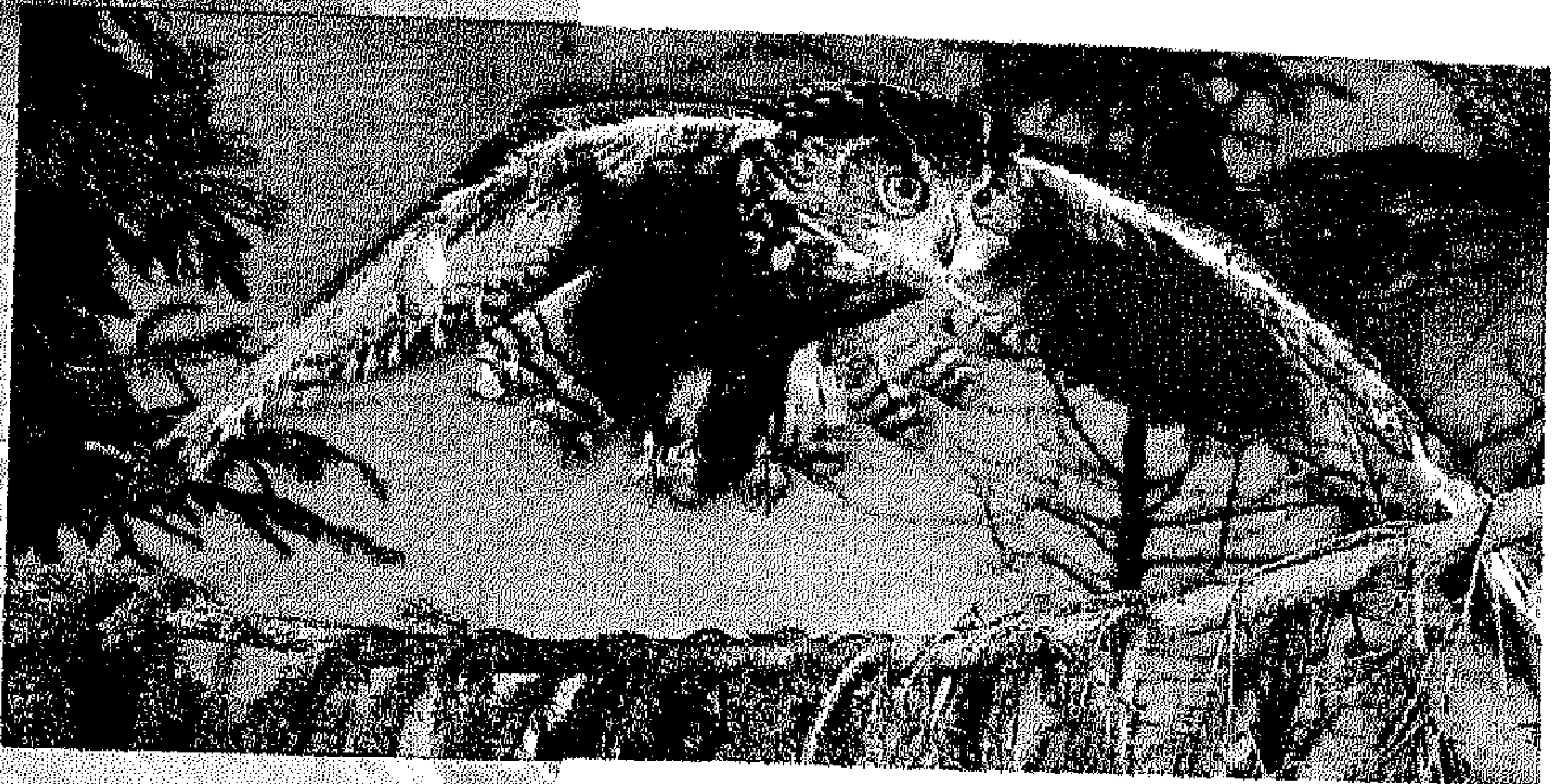
ر١٠

اني أحسد الشبان على الاخطاء الكثيرة التي ما زالت في انتظارهم٠ ر٠ك٠



الساعة الرابعة والنصف من صباح احد ايام يناير (كانون الثاني)، والظلمة حالكة لا يلوح فيها قمر ولا نجوم، والحرارة ١٠ درجات تحت الصفر. وكنت جئت مع صديق لي الى خليج بلهام، وهي منطقة واسعة وعرة على اطراف مدينة نيويورك. فقد كنا نأمل القاء نظرة خاطفة على البوم الكبير الاقرن، او على الاقل سماع نعيبه المميز الذي وصفه الشاعر توماس فوتور بأنه "نواح الارواح المائتة."

وعثرنا على اجمة من شجر الشوكران الذي يحبه البوم. فجلسنا فيها ولبثنا ننتظر. وفي غضون ساعة استحال لون السماء ازرق قاتماً وبدأت الحياة تدب في الغاب. كان الاوز الكندي في جوارنا يقوقىء بصوت شجي والسناجب تستهل ثرثرتها الصباحية، فجأة تناهى الينا نعيب سلطان الغاب. لقد عاد الاقرن الكبير من رحلة صيده الليلية، وهرعت السناجب مذعورة صعوداً ونزولا على افنان الشوكران، وارتقى طائر



Hans Reinhard / Bruce Coleman, Inc.

البوم ـ النسر طائراً.



بوم الثلوج ●

القيق (ابو زريق) اعلى الاغصان وهو يطلق نفيره منذراً بخطر داهم.

جثم البوم على غصن شجرة عارية، فرحنا نراقب هذا المخلوق المثير عبر منظار. كان طوله ٦٠ سنتيمتراً وله عينان صفراوان كبيرتان.

وكان انتباه البوم منصباً على اعماق الغاب حيث استجاب لنعيبه بوم اقرن آخر. وتوالت النداءات باشارات ناعمة خفيضة، فللبوم نظام معقد من الاشارات الصوتية لا نعرف عنه سوى القليل. وبغير جهد او اهتمام انساب فوق رؤوسنا باسطاً جناحيه متراً ونصف متر، فحام في دورة صامتة حول الشجرة التي اختبأنا تحتها ثم عاد الى مجثمه.

هذا هو الطائر المكروه بين الطيور. وكان المزارعون الاسبان يعتبرونه نذير شؤم. لكن البوم الكبير الأقرن، بريشه الزاهي بالالوان الكستنائية والرمادية والصفراء، لا يسع المرء الا ان يعتبره بطل الغاب المجلي بلا منازع.

رأس رادار – يعرف الانسان عن البوم اقل مما يعرف عن بقية الطيور، ربما لانه تحمل دائماً غموض الليل. فهذه الجوارح طيور ليلية تحوم فوق الغابات والحقول باجنحة لا تبعث اي صوت. وفي النهار تلجأ الى اماكن منعزلة، مثل زاوية مخزن مهجور او قبة برج قديم، حيث تبني اعشاشها من دون ان يراها احد وتنام طوال النهار حتى يتلاشى الضوء. اما ريشها الادكن فيوالف محيطه حتى ليتعذر تمييز الطائر عن لحاء شجرة.

وقبل ان يقترب المرء من مربض البوم الطويل الاذنين، يكون هذا سمع وقع خطاه. فيضيق حدقتي عينيه اللامعتين لتصبحا مجرد شقين رفيعين، ويضم ريشه ويمط جسده حتى يغدو بضعفي طوله ونصف عرضه العاديين، وينصب ريش اذنيه. وهكذا يخيل الى الناظر انه مجرد جدعة في غصن يابس.

اما بوم الثلوج، وهو طائر ارضي يقطن في سهول التندرا القطبية، فله ريش ابيض جميل مرقط بلون بني غامق لتتعذر رؤيته فوق الثلج. وكل بضع سنوات تتناقص اعداد الجرذان القطبية (اللاموس) التي يعيش البوم على اقتناصها، فتغادر هذه الجوارح مواطنها الطبيعية في هجرة قسرية الى الجنوب. وحين تقف على الشواطىء الامريكية الشمالية ومدارج المطارات، يمر بها الناس من دون ان يلتفتوا اليها حاسبين انها كتلة من الثلج او صحيفة حملتها الريح الى هناك.

وثمة اكثر من ١٣٠ نوعاً من البوم منتشرة فوق سطح الكرة الارضية. وهي تراوح بين البوم السمين القزم، وهو في حجم العصفور الدوري ويدعى الخَبَل، والبوم الاقرن العملاق الامريكي وابن عمه الاوروبي البوم – النسر. هذه الجوارح كلها تتآلف على نحو مدهش مع مهمتها الطبيعية في حفظ الدورة الغذائية في الغاب.

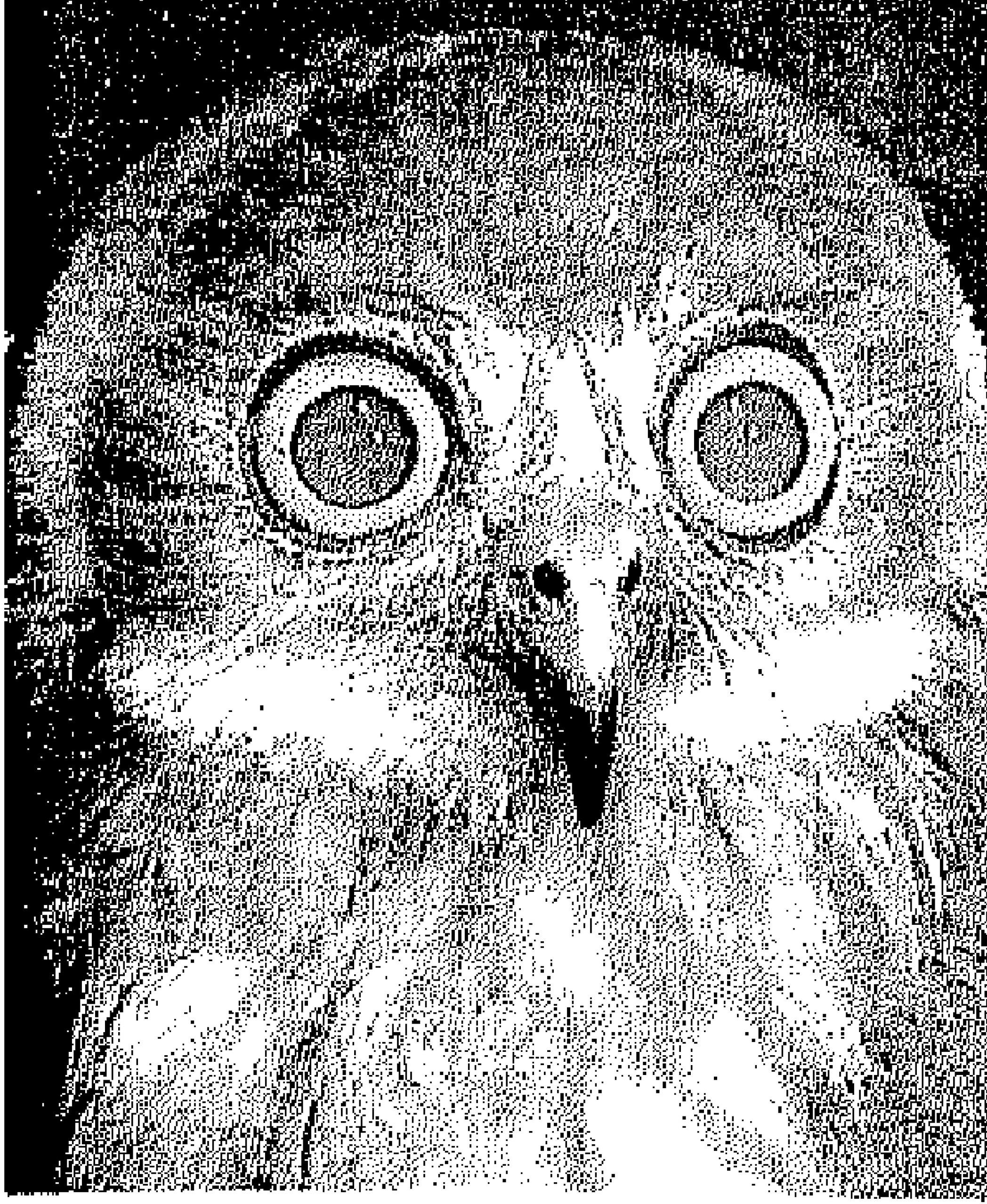
والبوم يرى الاشياء على مقدار من الضوء يقل مئة مرة عما يحتاج اليه الانسان للرؤية. فعيناه المتجهتان الى الامام خلقتا للتحديق الى ظلمة



دامسة. وعلى غرار البشر يتمتع البوم بنظر مزدوج. فكل عين ترى المنظر نفسه من زاوية مختلفة قليلا، وهذا يعطي الرؤية عمقاً لكنه يحد من اتساع مداها. ولتعويض ذلك انعم على البوم بعنق طويل لين يسمح له بان يدير رأسه كأنه كاشف رادار. وتقول الاسطورة ان البوم يمكنه ان يدير رأسه دورة كاملة حتى ينقطع عنقه وهو يتابع بعينيه انساناً يطوف حول الشجرة تحته. وهذا ليس صحيحاً، غير ان حركة الارتداد لديه سريعة وخاطفة ولذا يبدو كأن راسه دار دورة كاملة. كذلك تزعم الاسطورة ان البوم يعمى في النهار. والحقيقة ان البوم يتمتع برؤية جيدة في جميع الاحوال الضوئية.

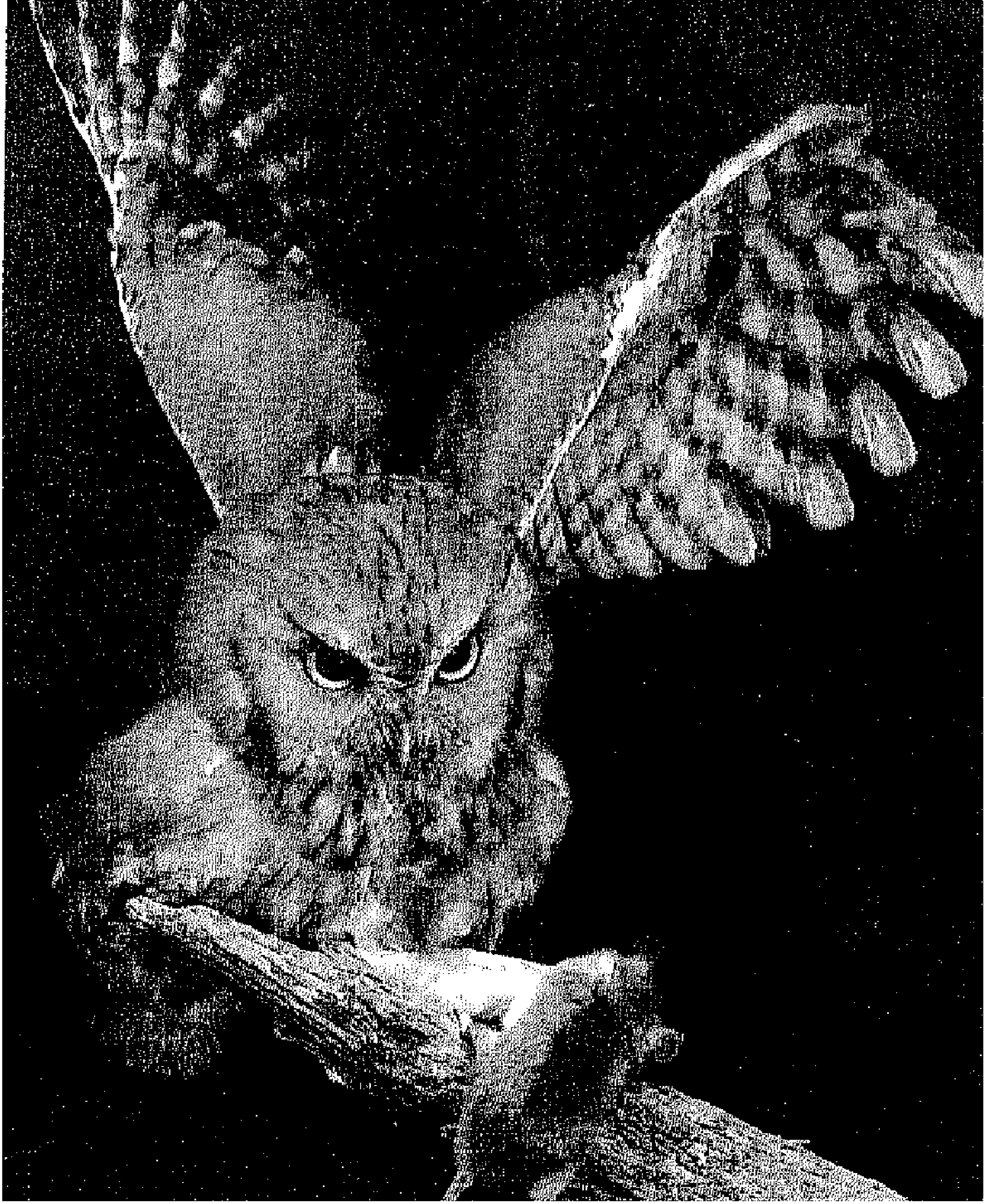
ان بصر البوم الحاد يتكافأ مع سمع فريد قد لا يفوقه رهافة سمع اي مخلوق آخر. فأذناه المختبئتان تحت صفحة وجهه كبيرتان جداً. وفي بعض الانواع تكون احداهما ادنى من الاخرى في موقعها في الجمجمة، فتتوجه الاذن اليمنى الى اعلى واليسرى الى اسفل، ونتيجة لذلك تتلقى كل اذن الموجات الصوتية في وقت وجهارة مختلفين قليلا. وبمقارنة الاصوات المتباينة يكون البوم انطباعاً دقيقاً حول موقع صدورها عمودياً وافقياً.

بوم بوبوك
Eric Lindgren / Adrea Photographics





Robert P. Carr / Bruce Coleman, Inc.
بوم زعاق٠

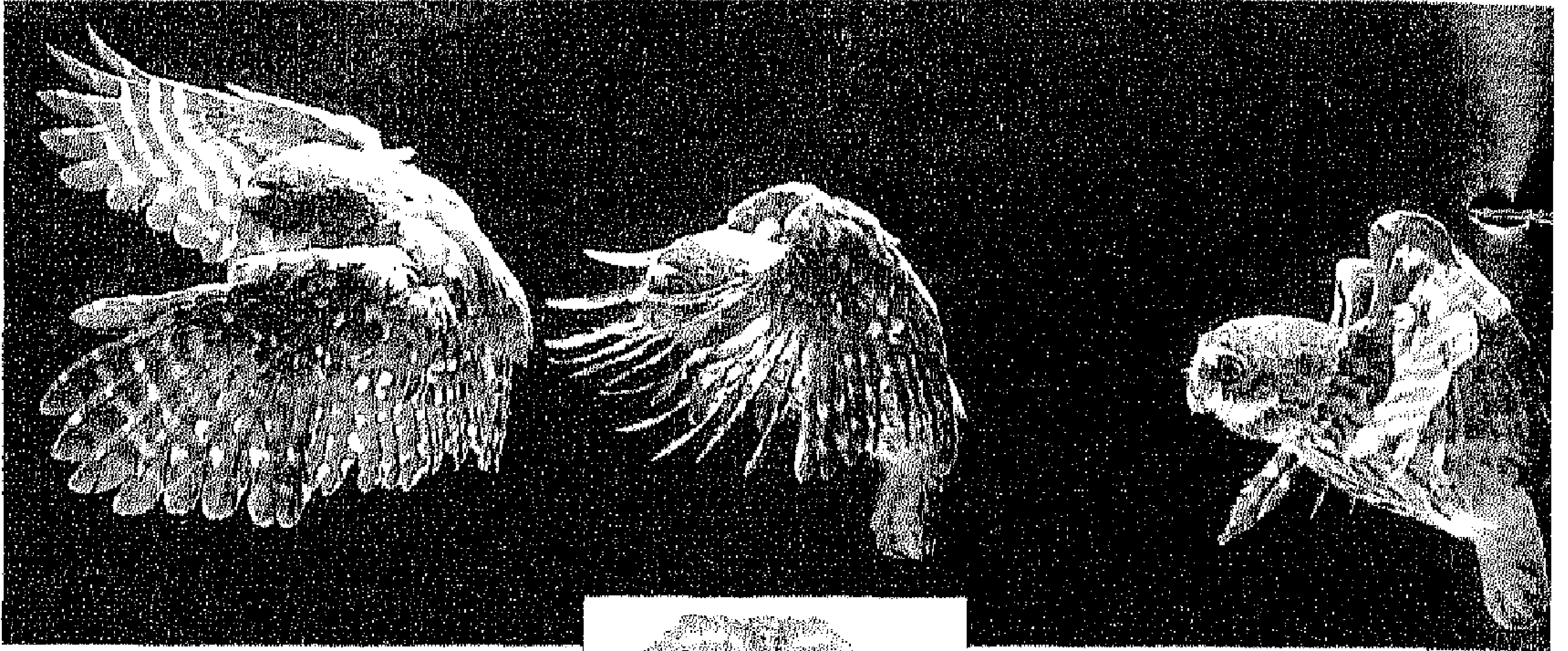


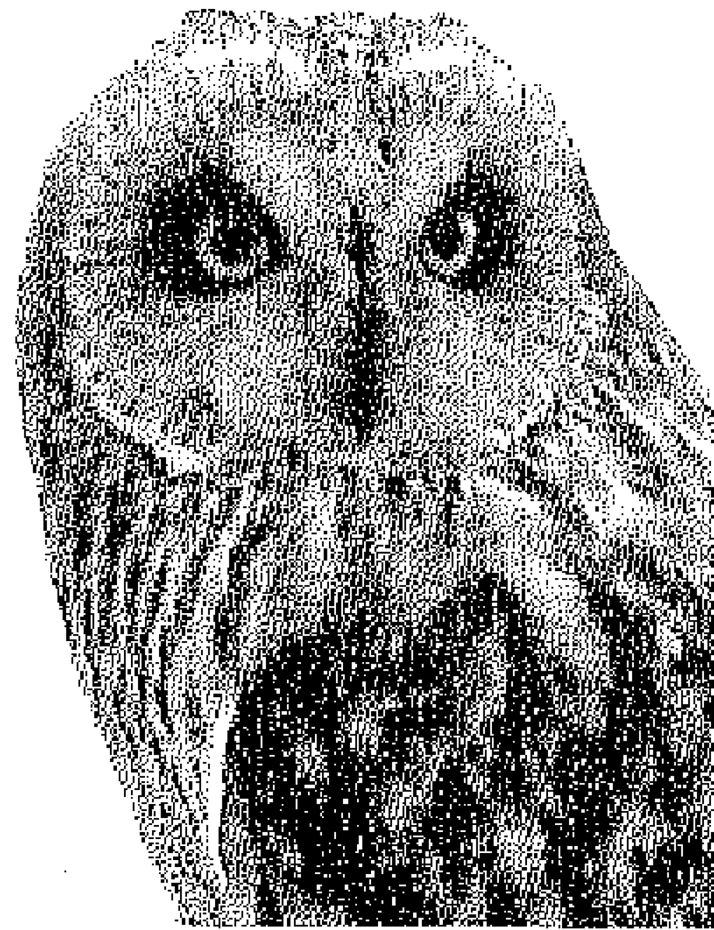
بوم زعاق ينشب براثنه في طريدة٠

زواج مدى الحياة ـ هناك انواع قليلة، مثل بوم الحظائر و"مسن المنشار" الصغير، تحوم على علو منخفض فوق الحقول والمروج حتى تسمع وقع قوائم فأر او جرذ٠ ومعظم انواع البوم يجثم ساكناً على غصن او جدعة شجرة بانتظار سماع خفيف او سقسقة تكشف ان طريدة دسمة اضحت في متناوله٠ واذ يندفع الجرذ الماكر نحو جحره، يعدل البوم مساره بسرعة فائقة وينقض على فريسته٠

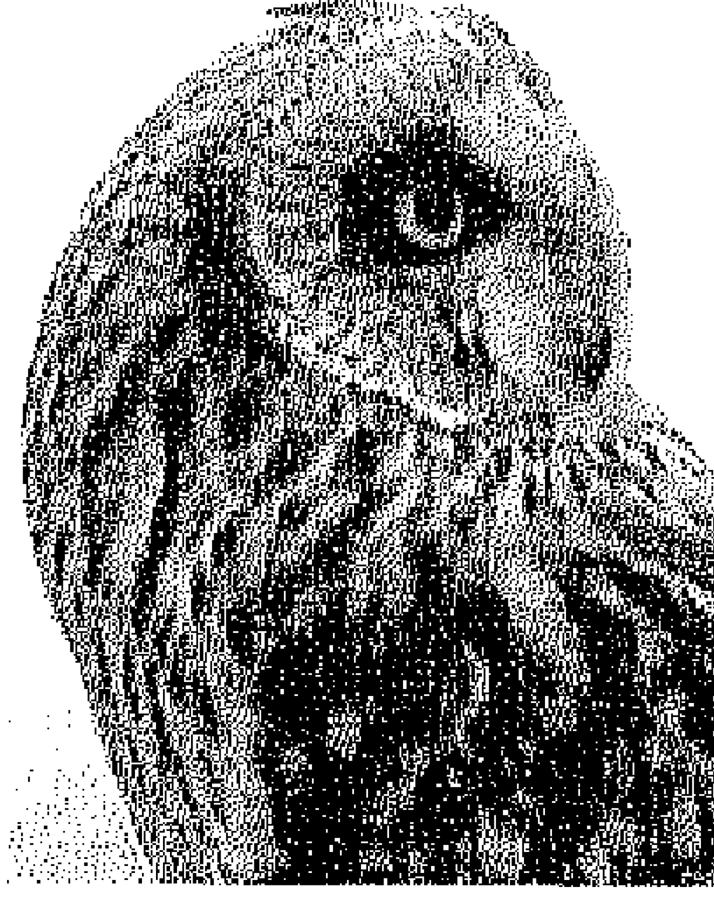
وجناحا البوم ضخمان جداً بالنسبة الى وزن جسمه، ولذا يوفران له قدرة على الطيران مع حاجة قليلة الى صفق جناحيه٠ كما ان الاطراف الناعمة للارياش تمتص الامواج الصوتية التي يحدثها سريان الهواء اثناء الطيران مما يتيح للبوم طيراناً صامتاً٠

ما ان يقترب البوم من فريسته حتى يباشر استخدام الاسلحة المكتملة التي وهبته اياها الطبيعة: منسر حاد معقوف واربعة براثن





فوق: الجناحان العملاقان والارياش الناعمة الاطراف تمنح البوم خفة وطيراناً صامتاً.



تحت: خلافاً للاسطورة، يستطيع البوم ادارة رأسه بزاوية ٢٧٠ درجة فقط.

كالابر، اثنان اماميان واثنان خلفيان مثل الملقط المسنن. ويهاجم البوم ووجهه الى الامام ورأسه ممتد في خط مستقيم مع الطريدة لكي يحافظ على اتصاله السمعي بها. وفي اللحظة الاخيرة من المطاردة ينحرف الرأس الى الوراء وتبرز البراثن هابطة كعجلات طائرة. ثم تنشب في جسم الطريدة وتعمل فيها قبضاً وغرزاً وتمزيقاً. وبعد ذلك يبدأ المنسر عمله.

هذا الطائر الفذ بين الطيور لا يهتم لبناء اعشاش، بل يستولي غالباً على اعشاش مهجورة للغربان والصقور او يجد مكاناً ملائماً في زوايا الابنية. ولا يتورع البوم الكبير عن طرد الطيور الاخرى من وكناتها اذا راقته الفكرة. وقد عرف عن البوم الكبير الاقرن انه يطرد النسور من اعشاشها.

حين يعثر البوم على شريك يبقى وفياً له طوال الحياة. لكنهما قد يفترقان بعد فترة احتضان البيض والفراخ ويذهب كل في سبيله سعياً وراء رزقة بمهارته، فيهاجر جنوباً او يطوف في اصقاع الصيد الشتوية. وقد تستأنف الحياة الزوجية في الربيع التالي حين يعود الزوجان الى اماكن الاحتضان المألوفة.

اما فراخ البوم المكسوة بالزغب الابيض الناعم فتقارب حجم البلوغ بعد عشرة اسابيع. وهي تعلم ابويها بجوعها من طريق اطلاق خليط من الصراخ والرغاء والقوقأة والصفير والسقسقة. لكن الام التي يمضها

الالحاح النهم تنفر اخيراً من العش وتلتحق بزوجها القابع في مجثم قريب. وبعد اربعة اسابيع يكتفي الابوان بزيارة العش لماماً لألقاء ما يحملان من غذاء. وتهاجم البومة الحاضنة اي معتد على حرمها. وهذا مبعث شكاوى العابرين الابرياء الذين يتعرضون فجأة لانقضاض تشنه عليهم بومة حاضنة.

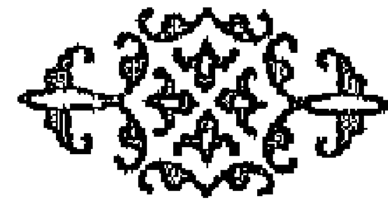
والبوم غالباً يراقبنا اكثر مما نراقبه. فقبل سنتين كنت في الريف، فأجفلت ذات ليلة من نومي حين سمعت صوتاً غريباً هو نعيب البوم المخطط: "هو و و و و!"

وهرعت الى الخارج في مثل لمح البصر ووقفت فوق كومة تراب امام كوخي. وكان مطر ربيعي انهمر وخلف ستاراً من الضباب يخترقه بين حين وآخر شعاع من ضوء القمر. وفيما كان ذلك البوم النائي عن موطنه الاصيل يردد نداءه، اخذت احاكيه مجيباً: "هو و و و و." فيرد: "هو هو هو هو و و و و."

طوال خمس دقائق ممتعة استمرت هذه المناجاة. واحسست برعشة مألوفة تتملكني حين مر فوق رأسي طيف اجنحة صامتة عبرت واختفت.

ترى هل كان الواحد منا يتحدى الآخر ام يغويه؟ ام اننا كنا مجرد شقيين نتعب لنبث احزاننا في الظلام؟

■ جوناثان ايفان ماسلو



السائحة والدجاجة الهرمة

رست سفينة سياحية في احد الموانيء، فاستغلت سائحة الفرصة للذهاب الى المسرح. وهناك جلست الى جانب رجل متقدم في السن. وتعجب هذا لرؤيتها وحدها، فسألها: "كيف تسيحين وحدك؟"

وأشارت المرأة الى شعرها الرمادي وقالت: "عندما يكتسي رأس المرأة هذا اللون، فلا خوف عليها."

ـ لكن في بلدنا مثلا شعبياً يقول: "من الدجاجة الهرمة يصنع افضل حساء."

ب.د.

ما قال لا إلا"...

اعتذرت شابة عن المشاركة في مباراة للتزلج على الجليد، قائلة: "اني لا أحب النشاطات الرياضية التي تدعى اليها سيارات الاسعاف."

رفض الروائي الامريكي وليم فولكنر حضور حفلة عشاء في البيت الابيض لتكريم حائزي جائزة نوبل، معللا رفضه بالآتي: "ان سني لا تسمح لي بقطع هذه المسافة الطويلة للاكل مع اناس غرباء."

ج.ب.

وسط هذا العالم المكسور والزمن الرديء، لا تزال تأتينا من هنا وهناك بوادر من الشهامة والتضحية والمحبة

مُغامِرون مُعاصِرون

الشفاء بالعمل

فريمان ريد رجل لا كالرجال. ففي العام ١٩٦٥، عندما كان بحكم وظيفته كمحلل للتكاليف ومهندس انتاج لدى شركة "نورث اميريكان روكويل" يعمل على برنامج "ابولو" الفضائي، بينت الفحوص المخبرية انه مصاب بتصلب مضاعف في أنسجة جسمه، وهو مرض يؤدي الى شل الجهاز العصبي.

وبدلا من ان يقعده المرض وفقدان الوظيفة، ادار ريد ظهره لميدان التنافس الأحمق في كاليفورنيا وتوجه الى ويلاميت فالي في ولاية اوريغون، حيث استهل عملا تطوعياً شاقاً مع الأفراد والمؤسسات، بما فيها المدارس والمستشفيات ودور العجزة في بلدة ليبانون (لبنان) وجوارها. ومن اعماله الجديدة، وهو في الخامسة والخمسين، مساعدة المعلمين في التدريس والاولاد المتخلفين في التعلم.



والناظر الى فريمان ريد، البالغ ١٨٨ سنتيمتراً طولا و٩٠ كيلوغراماً وزناً، يظن انه مثال الصحة. لكن الواقع نقيض ذلك. ويقول ريد: "بت لا احس بيدي الا قليلا. وفقدت معظم حاسة السمع وبدأت حاسة البصر تخونني. واذا تعبت، ظلعتُ في المشي. والتكهنات الطبية غير مشجعة."

والحق ان تصميم ريد على قهر المرض انتقل كالعدوى الى الذين يعمل معهم. وامكنه ان يحمل العديد من الضعفاء الأجساد على الوقوف والمشي. ويبلغ افتخاره ذروته بما انجزه مع امرأة في الثمانين في دار للعجزة، ظنت انها لن تستطيع النهوض او المشي على الاطلاق. وهو تصدى لمشكلتها اول الأمر بالقول انها طويلة القامة، مما يعني ان في امكانها النهوض عن كرسيها بالاتكاء على قضيب.

"ولما وقفت، قلت لها ان في امكانها ان تخطو خطوة واحدة الى الأمام، فثانية فثالثة. وما ان فعلت حتى انهمر الدمع من عينيها بعدما كانت تظن انه قضي الأمر.

"بعد ذلك وضعتُ علامات في الممر، وهي بمثابة مراحل تجتازها واحدة بعد الاخرى. ووعدتها بأن ادعوها الى العشاء متى استطاعت قطع خمسين متراً. وهكذا كان، مما أدخل الفرح الى قلبها.

"واذا سألني الناس لماذا افعل هذه الامور، أجبتهم اني لا اود الانكفاء على ذاتي أمام شاشة التلفزيون. لكن هذا ليس عين الحقيقة. والواقع اني اتصرف على هذا النحو لأن مساعدة الآخرين تمدني بالبهجة. وهذا يرضيني أكثر من إي وظيفة شغلتها في حياتي."

صحيفة "ذي اوريغونيان"

البطل بو

في السادس من يونيو (حزيران) ١٩٨٢، قرر روب ولوري روبرتس من بلدة غلينوود سبرينغز في كولورادو ان يتنزّها بالقارب في نهر كولورادو. ومن حسن حظ الزوجين انهما اخذا كلبهما، وهو كلب صيد من فصيلة اللبرادور عمره تسعة اشهر. وجلس روب (٣٤ سنة) في مؤخر القارب المعدني يجذف، فيما جلست لوري والكلب بو في مقدم المركب ذي الامتار الخمسة يستمتعان بالمشهد وبهدوء الماء.

وفجأة بات القارب وسط تيار جامح قلبه. وجرف روب نحو المياه المتدفقة بينما سقطت لوري وبو تحت القارب.

وظنت لوري انها هالكة غرقاً لا محالة. وكلما حاولت البروز فوق الماء صدها القارب بكل ثقله. وفي احدى محاولاتها، صدم القارب رأسها وأفقدها حس الاتجاه. وقالت لنفسها: "يا الهي! أليس من طريقة لمغادرة هذا المكان؟"



ثم حصل أمر مدهش. كان روب على مسافة مئة متر يحاول التقدم متعثراً نحو زوجته لمساعدتها، حين شاهد بو يبرز فوق الماء بالقرب من القارب. وغطس الكلب من جديد ليعود بعد نحو ١٥ ثانية وهو يجر لوري وقد احكم عض شعرها بأسنانه.

وتتذكر لوري الحادث بالآتي: "لم اعرف ان بو كان يفعل ذلك، بل حسبت ان شعري علق بشيء. وكنت

فاقدة الوعي آنذاك. غير اني ما لبثت ان ادركت ان بو هو الذي يسحبني. ولما برزنا فوق الماء، راح يدور حولي كأنه اراد ان يقول: "انتظري. سأساعدك في الخروج كلياً من الماء." وامسكت بذيله فيما سبح الى الشاطئ.»



ويضيف روب: "تلك كانت عجيبة عجاباً. لقد انقذ بو حياة لوري. واظن انه اعظم كلب في العالم."

صحيفة"ناشونال انكوايرر"

آندرو الشريف

يوم افتتاح المباراة الامريكية اللغوية لتلاميذ المدارس للعام ١٩٨٣، كان الفتى آندرو بين الذين اقصوا في المرحلة الاولى بعدما اخبر الحكام انهم لم ينتبهوا الى احد اخطائه في التهجئة.

ويقول آندرو فلوسدورف (١٣ سنة) من بلدة فوندا في ولاية نيويورك: "أجابني اعضاء اللجنة التحكيمية اني شخص شريف صاحب مبادئ. والحق اني أرفض تمثيل دور الشخص القذر."

ولما عرف الصحافيون بقصة آندرو تحلقوا حوله لمقابلته، ومعهم ممثلو شركات التلفزيون الذين طلبوا ظهوره على الشاشة. وأدهشته تلك الضجة، وعلق بالآتي: "أيشكر الانسان لأنه يؤدي واجبه؟ أوليس مبدأ الكشفية الأول هو الشرف؟"

وكالة "يونايتد برس"

شهم بلا اسم

عندما توقف قطار مدينة نيويورك الجوفي (المترو) في محطة بروكلين بعد تأخر ١٥ دقيقة، تزاحمنا نحن المنتظرين بالمناكب للصعود اليه. وما ان اقفلت الابواب حتى علا الضجيج بكاء طفل.

وادرت وجهي نحو مصدر الصوت لأرى اماً شابة تحاول تهدئة ابنها. وقال جاري متذمراً: "يا الهي! ما هذا؟" وتبعه آخرون في التعبير عن انزعاجهم. وبعد ما رأته الام من امر الركاب، راحت تخاطب طفلها بلغة انكليزية مكسرة وتحاول تهدئة روعه، ولكن من غير جدوى.

ولما بلغ القطار المحطة التالية ازداد الصراخ. وسكت الطفل قليلا لدى فتح الابواب واقفالها، ثم استأنف عويله بصوت اقوى.

وكان بين الركاب الذين صعدوا من تلك المحطة رجل متقدم قليلا في السن وغير متقن اللباس، وقد اعتمر قبعة سوداء قديمة على قامته الطويلة الضامرة. وشق ذلك الرجل طريقه بين الركاب متخذاً مكاناً له مع الواقفين. وبدا انه لم يأبه لصراخ الطفل.

وانطلق القطار من المحطة، الا ان صراخ الطفل طغى على قعقعته. وما هو الا قليل حتى ارتفع عواء كلب فوق ضجة القطار وزعيق الطفل.

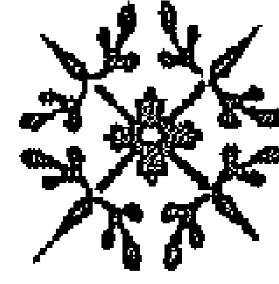
واخذ كل منا ينظر بهدوء حوله والى الآخرين للتأكد من اننا كلنا سمعنا الصوت نفسه. ووسط تلك البلبلة انطلق الصوت مرة اخرى. ولاحظنا جميعاً ان الطفل كف عن البكاء وراح ينظر مشدوهاً الى الرجل

الطويل امامه. غير ان الرجل بدا كأنه لا يفقه شيئاً.

وبعد هنيهة دس الطفل رأسه في كتف امه. وللحال سمعنا النباح من جديد. وفي اللحظة عينها رفع الطفل نظره الى الرجل الذي بقي في مكانه بلا حراك. واخذ الطفل يضحك مسروراً وهو يتمتم كلمات على مسمع امه ويشير الى ذلك الرجل. وراقته تلك اللعبة كثيراً. وكلما خبأ رأسه في صدر امه، عاود الرجل النباح.

وراحت الام تبتسم كأنما هي اعتقت من حمل ثقيل. ووجهت ابتسامها الى طفلها والى الرجل الغريب والى الركاب حولها. وما كان منا، نحن الركاب المتذمرين، الا ان ابتسمنا فرحاً وفرجاً. ونسينا التجربة الأليمة التي عشناها من محطة الى اخرى ذلك اليوم. واخترقت بادرة ذلك الرجل الشهم اعماق انسانيتنا حتى الجذور.

صحيفة "بيورداي"



مدح الامير فيليب

مرة استقبل الامير فيليب، زوج ملكة بريطانيا الحالية، في حفلة عشاء ببيتين من الشاعر جون درايدن:

"لقد تعددت جوانبه
حتى بدا مجموعة رجال في واحد."

وأعجب دوق ادنبره بالبيتين، فتحرى لاحقاً موقعهما في القصيدة ليجد الآتي بعدهما:

"متحجر في آرائه، ودائماً على خطأ،
مليء البدايات، فارغ في النهاية،
وقبل أن يكمل القمر دورته،
يأخذ دور الطبيب والعابث والسياسي والمهرج."

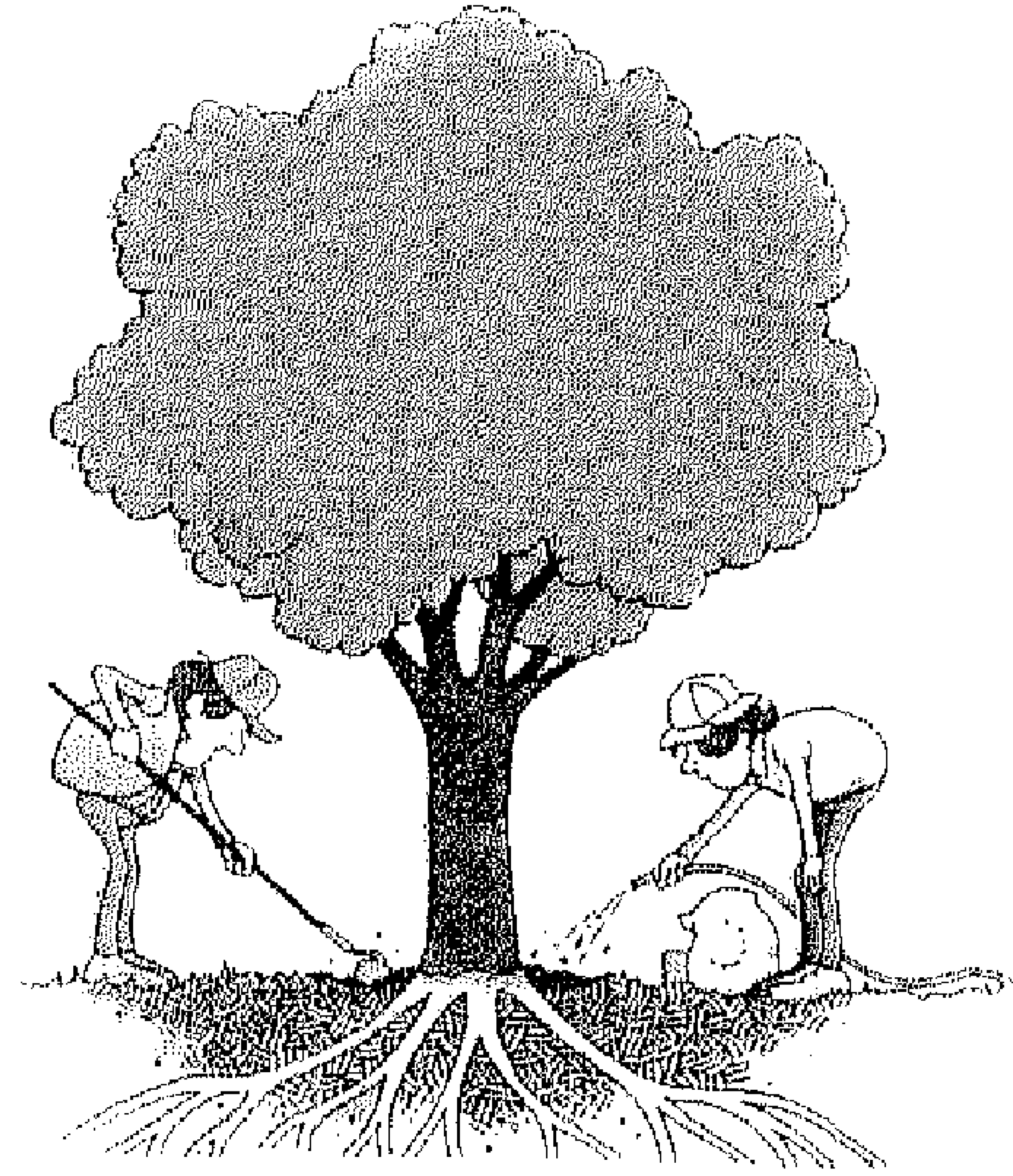
بول ديكسون، كتاب "الأنخاب"

اغلى فنجان قهوة

حددت محامية الساعة التاسعة صباحاً موعداً لمقابلة زبون جديد. ورغبة منها في اضفاء جو من البهجة على اللقاء، آثرت مقابلته في احدى الغرف العامة بدلا من مكتبها. ووصل الى الموعد قبلها. ولما دخلت بادرها بطلبه فنجاناً من القهوة.

ومن غير أن تنطق بكلمة، نزلت الى المقهى في الطبقة السفلى وعادت ومعها طلبه. وحين شكرها قالت: "لا شكر على واجب. اني أتقاضى مئة دولار على الساعة. ولقد كلفك فنجان القهوة هذا ٢٥ دولاراً."

ن.ن.



دائرة المعارف

كلمات الدائرة لهذا الشهر مأخوذة من الاعداد الثلاثة الاخيرة من "المختار"، وقد وضع امام كل كلمة اربعة معان، واحد منها صحيح، والمطلوب من القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه،

١ ، **خوى:** جاع ـ عامل معاملة الاخ ـ ارتشى ـ خلا ،

٢ ، **انبلج:** اشرق ـ ضاق صدره ـ زال ـ انفجر ،

٣ ، **عَنْوَة:** خلسة ـ قهراً وقسراً ـ خصوصاً ـ قصداً ،

٤ ، **الفلول:** الاطفال ـ ظلمة آخر الليل ـ الاثلام ـ الحراب ،

٥ ، **اللأي:** الشدة ـ التردد ـ الحيرة ـ الرأي الضعيف ،

٦ ، **عوّل:** اكثر العيال ـ اطعم ـ اعان ـ اتكل ،

٧ ، **مضّ:** هز بعنف ـ اوجع ـ اضجر ـ حفز وحرض ،

٨ ، **دَلَف:** دخل ـ قارب الخطو ـ رشح ـ اخلف بوعده ،

٩ ، **الاوار:** غبار الحرب ـ الجوع ـ الحر والعطش ـ القدر ،

١٠ ، **الزخم:** الدفع الشديد ـ الذكاء ـ المطر الغزير ـ الزحمة ،

١١ ، **انبرى:** خرج ـ ادار ظهره ـ شفي ـ اعترض ،

١٢ ، **مخر:** نفخ ـ شق الماء ـ ثقب ـ مشى مختالا ،

١٣ ، **الجأش:** الجندي ـ الغضب الشديد ـ القلب ـ ولد الحمار ،

١٤ ، **الخِضَمّ:** الكآبة ـ السر الدفين ـ الصدر ـ البحر العظيم ،

١٥ ، **هصر:** كسر ـ نظر بحقد ـ وبخ ـ اكل بشراهة ،

١٦ ، **بصبص:** فتح عينيه ـ اشرق ـ نظف ـ نظر خلسة ،

١٧ ، **ذَرِب:** فصيح ـ فاسد ـ كثير التملق ـ مهذب ،

١٨ ، **الغليل:** الارض القاحلة ـ الجوع ـ العطش الشديد ـ الغالي ،

١٩ ، **تحيّن:** اعمل الحيلة ـ تظاهر ـ طلب الموت ـ ترصّد ،

٢٠ ، **قَدَح:** عاب ـ كد في العمل ـ ثقب ـ عرج ،

٢١ ، **اوعز:** ازعج ـ اوغر الصدر ـ اشار ـ احتاج ،

٢٢ ، **المنقبة:** المرأة الصالحة ـ الواحة ـ الخصلة الحميدة ـ الكنز ،

٢٣ ، **اضطلع بالشيء:** تفحصه ـ نهض به ـ عرفه ـ نظر اليه ،

٢٤ ، **تقفّى:** نظم الشعر ـ تخطّى ـ غاب عن النظر ـ تتبع ،

٢٥ ، **الردَح:** المدة الطويلة ـ العناء ـ اللحظة ـ الشهر ،

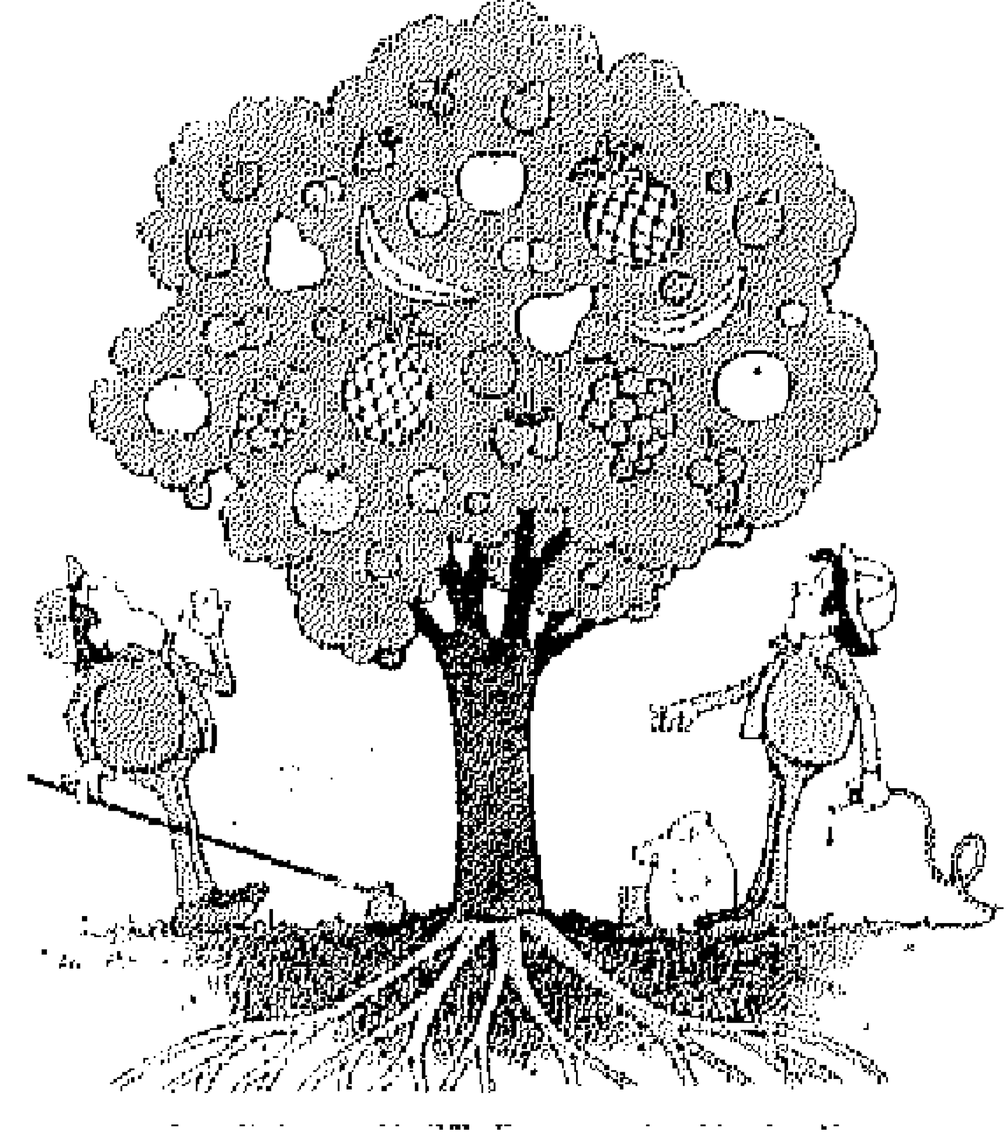
٢٦ ، **القَسَمة:** القطعة ـ الاصبع ـ الوجه ـ النصيب ،

٢٧ ، **العُباب:** العطش ـ الموج ـ الغيم الكثيف ـ الحرب ،

٢٨ ، **برّح:** ترك ـ حنث بيمينه ـ شتم ـ اجهد ،

٢٩ ، **الثُمالة:** الحافة ـ البهجة ـ الهذيان ـ ما بقي في الاناء ،

٣٠ ، **التسويف:** المماطلة ـ الخبث ـ النميمة ـ التعذيب ،



الأجوبة الصحيحة

١٠ خوى البيت: سقط وتهدم، ايضاً: فرغ وخلا.
٢٠ انبلج الصبح: اشرق واضاء، بلج الحق: وضح وظهر.
٣٠ عنوة: قهراً وقسراً، العاني: السائل من ماء او دم.
٤٠ الفلول: الكسور او الاثلام في حد السيف، ايضاً: المنهزمون.
٥٠ اللأي واللأى واللأواء: الشدة والمحنة، اللأى: الترس والثور الوحشي.
٦٠ عوّل على فلان وبه: اتكل عليه، العالة: النعامة.
٧٠ مضّ وأمضّ: اوجع، المضض: وجع المصيبة.
٨٠ دلف: مشى كالمقيّد وقارب الخطو، ايضاً: تقدم، اندلف عليه: انصبّ.
٩٠ الأوار: الحر والعطش والدخان، الآرة: الموقد.
١٠٠ الزخم: الدفع الشديد، زخم اللحم وأزخم: انتن.
١١٠ انبرى له: اعترضه، الباري: ناحت السهم، ومن الامثال: اعطِ القوس باريها، اي فوض امرك الى من يحسنه.
١٢٠ مخرت السفينة: جرت تشق الماء مع صوت، الماخور: بيت الريبة والفسق.
١٣٠ الجأش: القلب والصدر، يقال: رابط الجأش، اي شجاع، جأش قلبه جأشاً: اضطرب من حزن او فزع.
١٤٠ الخضم: البحر العظيم، ومن السيوف: القاطع.
١٥٠ هصر: كسر، الهاصر: الاسد لانه يهصر فريسته.
١٦٠ بصبص الجرو: فتح عينيه، والكلب: حرك ذنبه.
١٧٠ ذرِب: فاسد، لسان ذرب: فاحش وبذيء.
١٨٠ الغليل: العطش الشديد، ايضاً: الحقد وحرارة الحب او الحزن.
١٩٠ تحيّن منه غفلة: ترصّد حينها، الحين: الوقت والمدة.
٢٠٠ قدح في عرضه: طعن فيه وعابه.
٢١٠ اوعز اليه في كذا: تقدم وأشار.
٢٢٠ المنقبة: الفعل الكريم والخصلة الحميدة، جمعها مناقب.
٢٣٠ اضطلع بحمله: نهض به وقوي عليه.
٢٤٠ تقفّى: تتبع، ايضاً: اختار، تقفى به: بالغ في اكرامه.
٢٥٠ الردح: المدة الطويلة.
٢٦٠ القسمة والقسيمة: الوجه والحسن، القسامة: الحسن.
٢٧٠ العُباب: معظم السيل، ايضاً: موج البحر، العبّاب: شرب الماء.
٢٨٠ برّح به الامر: اتعبه واجهده وآذاه اذى شديداً.
٢٩٠ الثمالة: ما بقي في الاناء من ماء وغيره، ايضاً: الرغوة.
٣٠٠ سوّفه تسويفاً: ماطله وقال له مرة بعد اخرى "سوف افعل".

المستوى
٢٥ ــ ٣٠: ممتاز
١٩ ــ ٢٤: جيد جداً
١٣ ــ ١٨: مقبول

غرائب طريفة عن السلوك الجنسي في المجتمعات المائية

غرائب جنسيّة عند الأسماك



نحن الآدميين المغرورين بأنانيتنا نفترض ان الحب والغزل والعلاقات الجنسية تبلغ أوجها في جنسنا ، لكن الواقع غير ذلك ، ففي محيطات العالم وبحيراته وانهاره اسماك وكائنات لافقارية تمارس اساليب متنوعة من الجماع تتسم غالباً بالحذق والغرابة والرونق وتفوق اساليبنا .

خذ مثلا السمكة القمّامة ذات اللون الزاهي التي تدعى "لابرويدس ديميدياتوس" وتقطن في منطقة الجرف العظيم الممتد ازاء شواطىء اوستراليا الشرقية. يبلغ طول الذكر من هذه الفصيلة ١٠ سنتيمترات وهو شرس جداً في الدفاع عن قطاعه الخاص الذي يضم "حريماً" من سبع او تسع اناث، فيصد عنه اي ذكر آخر من الفصيلة نفسها. ولكن ليس هذا بالامر السهل لانه، اضافة الى تجواله حول حدود قطاعه، عليه ان يبقى ممسكاً بزمام اناثه. فاحدى هذه الاناث تفرض سيطرتها على رفيقاتها ويتخذ الذكر تجاهها مسلكاً عدوانياً لانها تهدد هيمنته على الحريم كما تهدد - ويا للغرابة - دوره الجنسي ايضاً.

في الواقع، بعد ساعات قليلة من موت الذكر تبدأ هذه الانثى ممارسة دوره. فهي (التي اصبحت هو) تخضع الحريم لأمرها وتتخذ لنفسها سلوك الذكر. والقضية ليست تحديد المسيطر فحسب، ففي غضون شهر واحد تصبح الانثى المهيمنة ذكراً بالمعنى الوظيفي الكامل. وهكذا يؤدي موت هذا الذكر الجديد الى تحول الانثى المهيمنة التالية الى دور الذكر في سعي انثوي سرمدي الى بلوغ القمة في هرم الهيمنة.

وعلى رغم الغرابة التي يتسم بها السلوك الجنسي لأسماك "لابرويدس" فانه يؤدي غرضه الوظيفي. وقد نجحت هذه الاسماك القمّامة في تأمين بقاء نسلها عبر اجيال لا حصر لها. وكما في بقية الفصائل، يتطور السلوك الجنسي ليتلاءم مع المتطلبات البيئية المتعددة. فالصعوبة في العثور على قرين او على طعام لتغذية الصغار وتفادي الاسماك العدوة التي تفترسها وسوى ذلك من الدواعي تأتلف لتكون العادات التناسلية في هذه الفصائل. وتجاوباً مع الاختلاف الهائل في البيئات المائية طورت الاسماك تنوعا عجيباً في اساليب الجماع.

ذكور مرتزقة - بالنسبة الى الاسماك من فصيلة "سيرانيدا" التي يبلغ طول الواحدة منها ٢،٧٥ متر ووزنها ٣٠٠ كيلوغرام، يتقرر الجنس على اساس السن والحجم. ففي صغرها، حين تكون الاسماك صغيرة الحجم وضعيفة، تكون كلها من الجنس اللطيف. ومع نموها وتقدمها في السن، اي بين الخامسة والعاشرة، تتحول كلها ذكوراً. وهكذا فان الاسماك الكبيرة هي جميعها ذكور.

وربما كانت أسرع الفصائل في تحقيق التحول الجنسي الفصيلة الخنثوية من سمك القاروس الرملي المخطط "سرانوس سوبليغاريوس" الذي يتوالد في خليج المكسيك. تعمد احدى هذه الاسماك المخططة باللون البني الى طي جسدها في شكل حرف " S " وتبسط زعانفها على مقربة من جارة لها. هذه السمكة المطوية المغازلة هي ذكر كما يبدو. اما الاخرى التي تراقب هذا الغزل فهي انثى. يقذف الذكر منيّه وتقذف الانثى بييضاتها. وهكذا يتم الجماع بين سمكتين من اسماك الجرف.

ولكن هذه ليست سوى البداية. فبعد ذلك يتحول الذكر الى دور الانثى الخجولة بينما تعمد "السيدة" السابقة الى طي جسدها في شكل حرف "S" . هذه المرة يقذف الذكر السابق البييضات وتتولى الانثى السابقة تلقيحها.

ويبدو ان لا شيء يحد من تصميم هذه الفصيلة الصغيرة على البقاء. وعندما يلتقي "ذكران" يتخذ احدهما وظيفة الجنس الآخر. وبعد الجماع يمكن ان يتبادل الاثنان دوريهما ويكررا الجماع على نحو جديد. ويحدث الامر عينه حين تلتقي "أنثيان."

هكذا تصبح الحياة محيرة في خضم العباب. وعلى رغم ان الذكر يتصف بالشراسة، فهو في بعض الفصائل الجنس المهدد بالخطر. فسمك "المولي" الذي يعيش في نهر الأمازون ويدعى "بيسليا فورموزا"، وهو نوع قريب من سمك "الغوبي" الصغير الذي يربى في الاحواض المنزلية، خطا الخطوة الاولى نحو التكاثر بمعزل تام عن الذكور.

تتألف هذه الفصيلة من الاناث فقط. ولكن كيف تتناسل من دون ذكور؟

في فصل الجماع تستخدم الاناث ذكوراً خانعة وغير مجربة من فصيلة قريبة مزدوجة الجنس (لأن الذكور القوية والأبية من تلك الفصيلة تكرس نفسها لخدمة الاناث من فصيلتها). ويقتصر دور هذه الذكور "المرتزقة" على تنشيط نمو البييضة، وهي لا تدخل في الحقيقة اي جينات وراثية منها. اما النسل المتأتي من هذا الجماع الفاتر العاطفة فيكون كله من الاناث ومتماثلا الى حد بعيد.

الزوج الكسول — هناك ذكور سمك تعيش على ما تجنيه أناثها. ففي الاعماق الباردة تطوف صغار الذكور من سمك "ابو شص" بحثا عن انثى ترافقها لتعيلها. واذا لم يعثر الذكر على انثى، فانه يموت. ولكن حين يجد واحدة يجتهد كي لا يضيعها في تلك الاغوار السحيقة، فيغرز اسنانه عميقاً في رأسها او بطنها او خياشيمها ويتعلق بها حفاظاً على حياته.

مثل هذا الذكر يأخذ في التحول حتى يصبح مجرد طفيلي. ثم تتصل الدورة الدموية في جسم انثى هذه الفصيلة بالدورة الدموية في جسم "زوجها" وبذلك يتغذى الذكر بدم أنثاه. في هذه الاثناء تنمو خصيتاه وتتضخمان حتى يغدو جسده كله مجرد هيكل لأعضائه التناسلية مما يؤمن التلقيح الجنسي لهذه الفصيلة التي تقطن في بيئة خالية. وقد عثر في شمال المحيط الاطلسي على اناث من هذه الفصيلة يبلغ طول الواحدة منها ١،٧٥ متر وتحمل الذكور الأسرى الهزيلة التي لا يزيد حجمها على تسعة سنتيمترات.

ولكن ليست جميع ذكور الكائنات البحرية على هذه الحال المخزية في حياتها الجنسية. خذ الاخطبوط مثلا. فالذكر هو الذي يباشر عملية الجماع بمداعبة انثاه بمجساته الطويلة. حينئذ تظهر هي تجاوبها بتبديل

ألوانها واشكال جسمها، فتحمر خجلا اول الامر كأي فتاة طاهرة، واخيراً تشعر الذكر بقبولها مبادرته. وحين تصبح هي قابلة للجماع يستخدم الذكر ذراعاً متطورة على نحو خاص ليضع كمية من المني داخل تجويف في جسدها. وهكذا يظلان متصلين ذراعاً بجسد. وقد يدوم الاقتران على هذا النحو يوماً كاملا.

اما الجماع عند فصيلة سمك القد (الحدوق) فيمتاز بظاهرة غريبة كذلك. خلال فترة التفريخ الربيعية يستدعي الذكر انثاه باستخدام اكياس هوائية في جسمه يطلق منها ما يشبه الموسيقى العسكرية التي تحاكي قرع الطبول. واذا كان في المكان ذكور عدة، ربح الجولة الذكر الذي يكون عزفه أقوى وأطول. وحين تقترب الانثى منه تدب فيه الحماسة فيتسارع القرع ليغدو نوعاً من الطنين

وغني عن القول ان الامانة الزوجية خلة نادرة في فصائل السمك باستثناء فصيلة واحدة تقطن الاغوار العميقة قبالة ساحل اليابان. فثمة نوع من القريدس (الاربيان) يعيش الزوجان منه طوال حياتهما معاً. وحين يصلان الى سن البلوغ يحشران نفسيهما داخل نوع من الاسفنج يدعى "سلة أزهار فينوس" لكي يتغذيا داخلها. وبعد ان يعجزا عن الخروج لكبر جسميهما يبقيان حبيسين أبداً في ذلك القفص الزجاجي. (هذا النوع من الاسفنج يقدم كهدية عرس في اليابان اذ انه يرمز الى تمني حياة طويلة في رفاء دائم.)

الجماع الجنسي، كما رأينا، يسبب مشاكل في مملكة الكائنات المائية. ووجود جنسين منفصلين طبيعياً يؤدي، كما يبدو، الى تضارب في المصالح. والسؤال هو: لماذا يتطور الذكور الى اناث حين يكون ممكناً من الناحية النظرية ان تؤمن "الأناث" التناسل المستمر؟

السبب هو التنوع الوراثي. ففي الفصائل التي لا جنس فيها يأتي الصغار نسخاً طبق الاصل عن الأمات، بينما في الفصائل الجنسية يتقاسم النسل الجينات الوراثية التي تتحدر اليه من الأب والأم معاً.

وهذا الاختلاط والتبادل في الجينات الوراثية في كل جيل يعزز احتمال بقاء بعض النسل حياً مهما تكن الأحوال البيئية التي يواجهها، وهكذا نرى ان الجنس هو وسيلة الطبيعة لمواجهة المستقبل غير المضمون والدائم التبدل في حياة هذه الكائنات. لذلك، وسواء سبحنا في مياه البحار ام درجنا على اليابسة، يجب ان نحمد كلنا خالقنا العظيم.

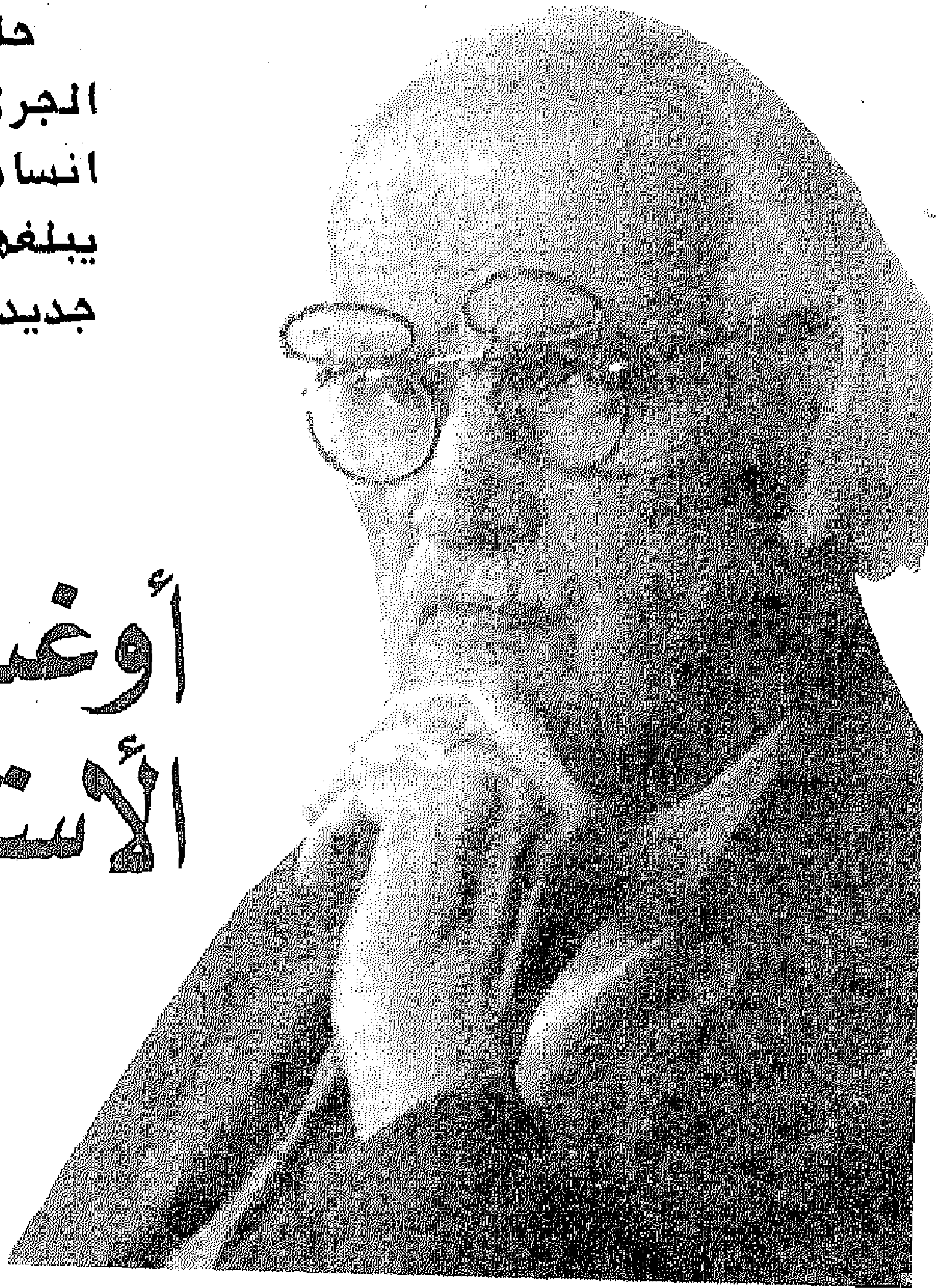
■ هنري لي



نظرية اقتصادية

قيل للاقتصادي الامريكي جون كينيث غالبريت ان آراءه تثير الجدل، فأجاب: "هذا يحصل فقط بالنسبة الى اولئك الذين لا يشاركونني في الرأي."

صحيفة "الحرية"، كندا



حلق هذا العالم السويسري الجريء الى أعلى اجواء بلغها انسان وغاص الى اعماق لم يبلغها أحد قبله وفتح آفاقاً جديدة للانسانية جمعاء

أوغسْت بيْكار الأستاذ المغامِرُ

اوغست بيكار.



بدا الاستاذ اوغست بيكار لطلابه في جامعة بروكسل (بلجيكا) بقامته الناحلة الفارغة وجبهته النافرة كأي استاذ جامعي مثالي شارد الذهن دائما. وهو سأل ذات مرة احد طلابه في اي اتجاه كان يسير حين التقاه، فأشار الشاب الى قاعة المحاضرات. عندئذ قال بيكار: "اذاً فانا تناولت طعام الغداء حقاً." وبعد لحظات من هذا الشرود ادهش استاذ العلوم الفيزيائية طلابه حين رسم على اللوح شكلا هندسياً معقداً باحدى يديه بينما هو يكتب الشرح العلمي لذلك الرسم باليد الاخرى.

وبالبراعة نفسها طور هذا الاستاذ في مختبره أدق موازين صنعت حتى الآن لوزن المواد الكيميائية، وابدع أرهف جهاز لقياس التيار الكهربائي واكثر الاجهزة حساسية لتسجيل

الزلازال. غير ان مغامراته خارج المختبر هي التي جعلته شخصاً شهيراً، حيث كان يسعى الى كشف المجهول.

قال ذات مرة في صغره: "أريد ان ابلغ ارتفاعاً في الجو لم يبلغه انسان قبلي وأغور الى اعماق لم يصل اليها احد بعد." وبعد سنوات حقق رغبته.

بيكار وآينشتاين – ولد في مدينة بال في سويسرا عام ١٨٨٤، وظهرت دلائل نبوغه في سن باكرة جداً. كان في العاشرة حين أخذه ابواه الى السيرك واستحوذ على انتباهه مروض الأسد الذي سار من القفص الداخلي الى القفص الخارجي وهو يغلق باب الاول قبل ان يفتح باب الثاني. كان اوغست الصغير يحاول تطبيق مبدأ الصمام الهوائي الذي يتعين عليه استخدامه في تجاربه المستقبلية في طبقات الجو العليا.

التحق اوغست بالمعهد التقني السويسري في زوريخ لمتابعة دراسته، وهناك التقى العلامة ألبرت آينشتاين (١). ثم انتقل عام ١٩٢٢ الى بروكسل للتدريس. واستقطب اهتمامه الاشعاع الكوني الذي كان موضوع اهتمام رئيسياً في ذلك العهد. وكان الاعتقاد حينئذ ان هذا الاشعاع يسبب مرضاً اشعاعياً واختلالات وراثية في الجسم. وكان يفترض ان جو الارض يقي الانسان بعض هذه التأثيرات، ولكن كيف؟

الطريقة الوحيدة للتأكد من ذلك هي الصعود فوق الغيوم أعلى مما بلغه انسان من قبل. وكان بيكار يعتقد ان الأسفار الجوية في المستقبل ستكون في طبقات الجو العليا، اي على ارتفاع ١٢ كيلومتراً فوق سطح الارض حيث مقاومة الهواء ضعيفة جداً.

ولكن من اجل اقناع الآخرين يتحتم عليه اولا ان يثبت ان الانسان يمكنه ان يبقى حياً في تلك الاعالي الزاخرة بالاشعاعات الكونية مع فقدان الاوكسيجين وانخفاض الحرارة الى ٦٠ درجة مئوية تحت الصفر.

رائد الفضاء – منذ نعومة اظفاره كان بيكار مولعاً بالطيران. وعند بلوغه الثلاثين حصل على اجازة طيار منطاد. من ثم أخذ يستخدم هذه المهارة في اجراء تجاربه على الاشعة الكونية. استعان بمنحة مالية للابحاث من بلجيكا لبناء كرة من الألمنيوم محكمة الاغلاق قطرها ٢،١٠ متر، كما صمم منطاداً يعتمد الهيدروجين ويعادل ارتفاعه ١٥ طبقة سكنية ليحمل هذه الكرة. وكان اكبر منطاد في الوجود. وفي ٢٦ مايو (أيار) ١٩٣١ كان كل شيء جاهزاً للاقلاع في تلك الرحلة التاريخية من اوغسبرغ في ألمانيا. وفي الثالثة والنصف من صباح اليوم التالي ولج بيكار ومساعده بول كيفر القمرة المضغوطة الاولى في العالم وهما يعتمران

(١) بعد سنوات طويلة من هذا اللقاء، حين كان آينشتاين في الولايات المتحدة وقد غدا بيكار طيار منطاد شهيراً، ألقى بعض العلماء ظلالا من الشك على نظرية النسبية التي وضعها آينشتاين. فطلب هذا من بيكار اثبات نظريته من خلال رحلة بالمنطاد الى أعالي الجو حيث يستطيع قياس سرعة الضوء على نحو ادق مما يتيسر على سطح الارض. فلبى بيكار رغبة صديقه العلامة واثبت بتجارب لا تدحض صحة هذه النظرية.

خوذتين واقيتين صنعاهما من السلال والوسائد الصغيرة. وكانت خطتهما تقضي بالعودة الى الارض ظهراً.

واجه الاقلاع بعض المصاعب بسبب الريح الشديدة التي هبت، فمد العاملون على الارض حبالا اضافية ليثبتوا المنطاد في مكانه، لكن محاولتهم جاءت متأخرة. وحين نظر بيكار من النافذة ليعطي اشارة الانطلاق كان منطاده يحلق فوق مداخن المدينة. وارتفع المنطاد الى علو ٤٠٠٠ متر بسرعة، ثم حدث خلل اذ كشف مقياس الضغط الجوي ان ضغط الهواء في الداخل والخارج كان متساوياً. اذاً، أخذ الهواء "الثمين" يتسرب من داخل القمرة الى الخارج عبر فتحات المقياس. وعمد بيكار الى سد الفتحات بنتف الالياف مع الشحم.

وكان مقياس الضغط سقط الى ارض القمرة وتحطم نتيجة خضة قوية عند الاقلاع، ورأى بيكار الزئبق يندلق على الارض، وادرك للحال انه سيؤدي الى تآكل ارض القمرة المصنوع من الألمنيوم فيفتح فيها ثغرة. وتمنى في تلك اللحظة لو ان لديه جهاز تفريغ يمتص الزئبق. وفجأة لمع في خاطره ان لديه مثل هذا الجهاز، بل هو اضخم جهاز تفريغ في الوجود وعلى عتبة نافذته تماماً. وصل انبوباً من المطاط بأحد المصارف الهوائية في القمرة، واذا بالضغط المنخفض يمتص الزئبق ويلقيه خارجاً فوراً.

عند مستوى ١٥،٧٨٠ متراً في طبقات الجو العليا عاد الهواء يتسرب. فصمم بيكار على الهبوط الى مستوى ادنى. وجذب صمام تصريف الغاز ليفرغ بعض ما في المنطاد من الهيدروجين، لكن الصمام كان معطلا اذ اشتبك احد الحبال الاضافية التي ألقيت الى المنطاد عند الاقلاع بحبل الصمام فتعطل عن العمل. ولو جذب بيكار حبل الفتحة الرئيسية ليفرغ المنطاد كلياً من الغاز، لأدى ذلك الى سقوطهما الى الارض كصخرة تنحط من عل.

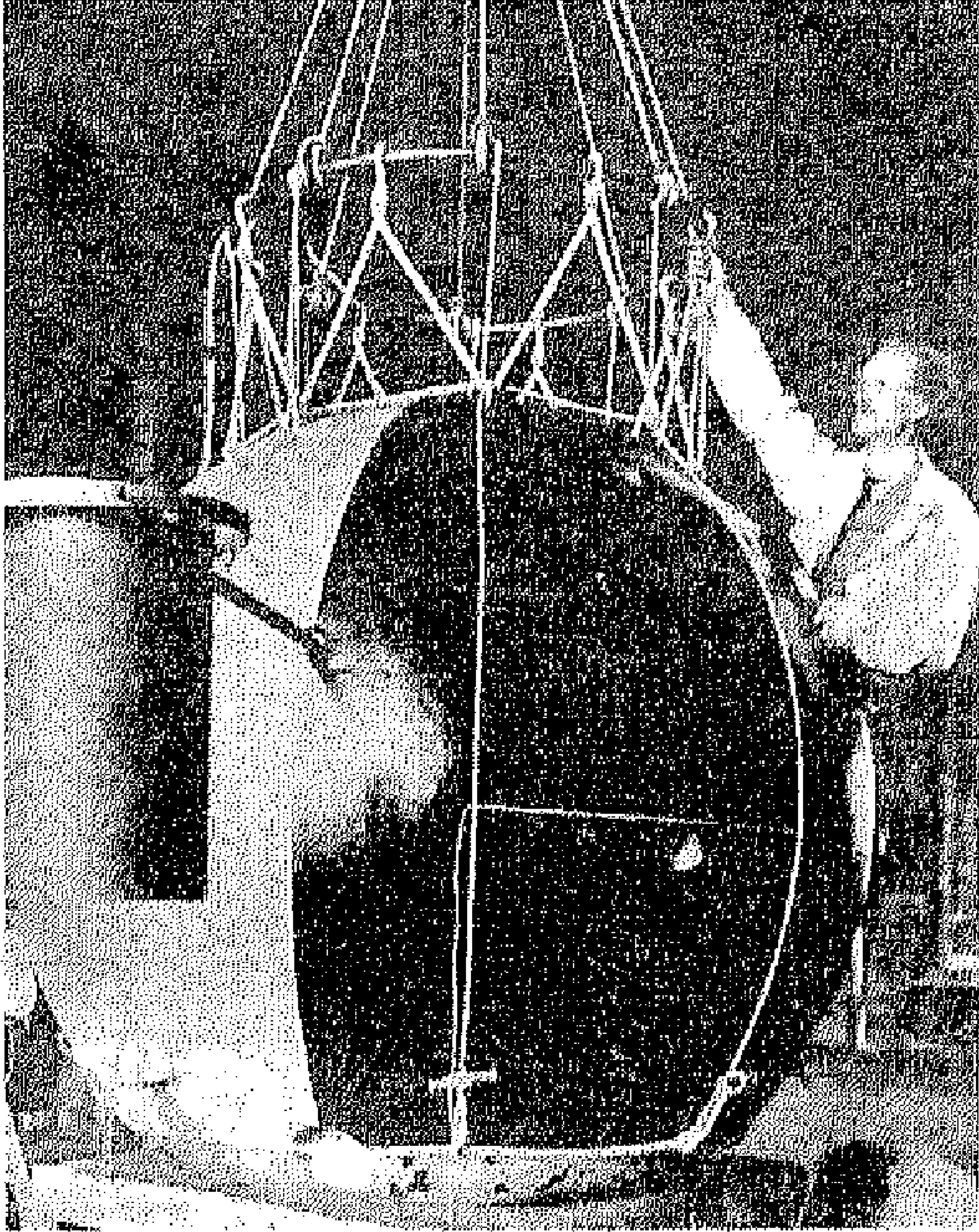
هكذا وجد بيكار وكيبفر انفسهما في مأزق واصبحا حبيسين فيطبقات الجو العليا التي راودهما الامل في قهرها. واخذا يهيمان على غير هدى في كرتهما الالمنيوم فوق جبال الألب في اتجاه البحر الادرياتيكي بين يوغوسلافيا وايطاليا. وكان بيكار مدركاً انه لو اتيح لهما الصمود حتى مغيب الشمس فسيهبط بهما المنطاد مع تدني الحرارة الخارجية وبرودة الغاز في جوفه.

منظر رائع ـ أخذت الشمس المتوهجة ترفع حرارة القمرة حتى بلغت درجة لا تطاق.وكان أحد جانبي القمرة مطلياً بالابيض ليعكس حرارة الشمس، غير ان الجهة المواجهة للشمس في هذا الموقف كانت مطلية بالاسود فأخذت تمتص الحرارة القوية لأن المحرك الكهربائي المعد لادارة القمرة في الاتجاه الصحيح تعطل ايضاً. وبلغت الحرارة داخل القمرة ٤٠ درجة مئوية واستحال اجراء كل التجارب المقررة، لكن بيكار قال في ما بعد: "كان المنظر رائعا."

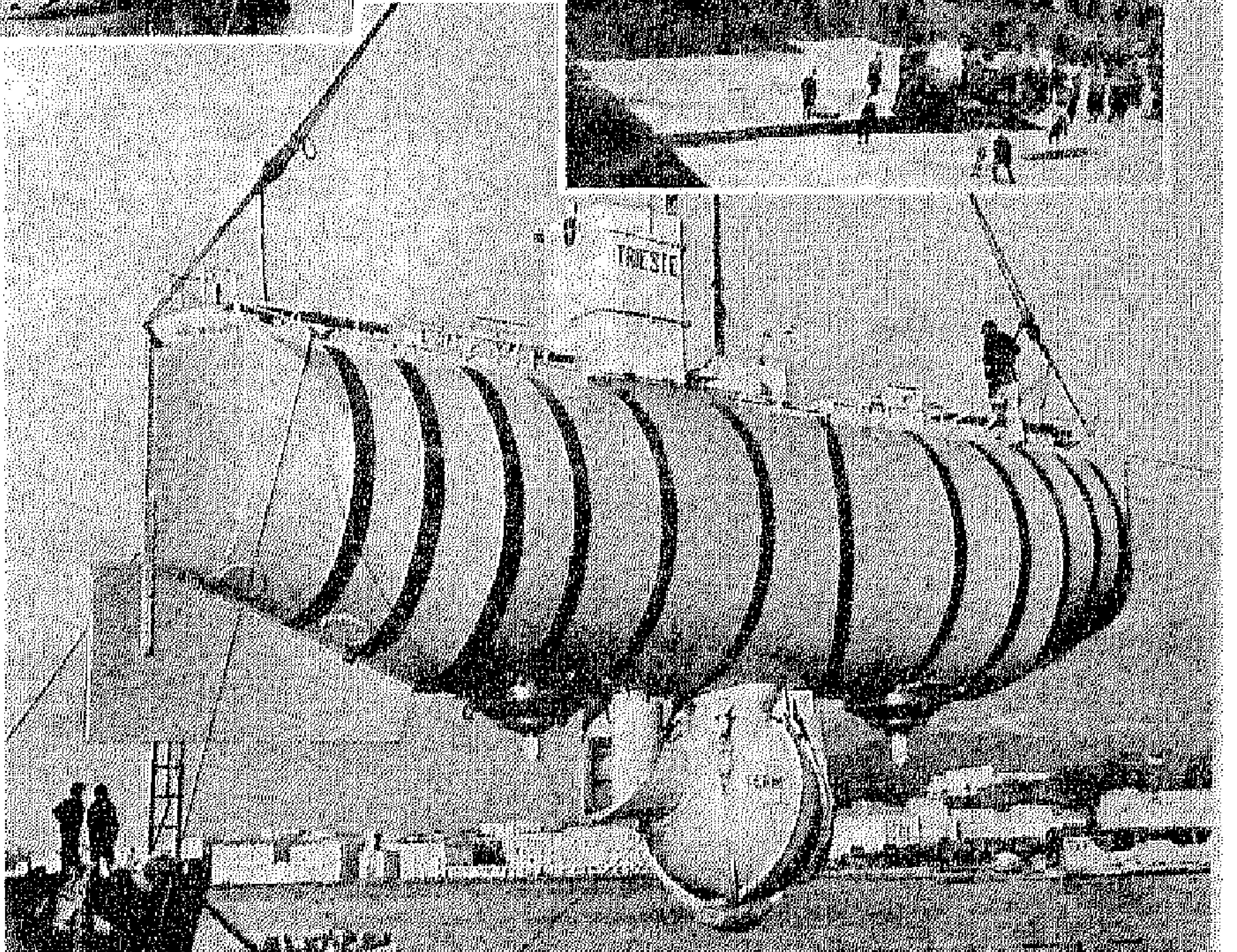
بيكار وكيفر يعتمران خوذتيهما الواقيتين، وهما سلتّا تسوّق مقلوبتان ومبطنتان بالوسائد.



المنطاد الذي يبلغ ارتفاعه ١٥ طبقة سكنية خلال تجهيزه للرحلة التجريبية في اوغسبرغ، ألمانيا، في ١٤ سبتمبر (ايلول) ١٩٣٠.



بيكار يتفحص كرة الالمنيوم التي ستحمله الى ارتفاع ١٥،٧٨٠ متراً.



سفينة الاعماق "تريستا" تنزل الى البحر.

مرت الساعات بطيئة واخذت الصحافة العالمية تنعت رحلة المنطاد الذي تأخر موعد عودته الى الارض بأنها كارثة. وتملك الخوف زوجة بيكار واولاده الاربعة.وأخيراً غربت الشمس ولكن لم يحدث شيء. كتب بيكار في سجل الرحلة في قمرته: "ليس من المعقول الا يأخذ المنطاد في الهبوط."

اخيراً في الثامنة الا ربعاً مساء أخذ المنطاد يهبط ببطء ثم بسرعة متزايدة. وفي التاسعة بلغ مستوى ٤٥٠٠ متر، وكان مخزون الاوكسيجين قارب النفاد. وحين أحس بيكار ببوادر النعاس المميت سارع الى فتح الكوة ليندفع الهواء النقي الى الداخل. ومر المنطاد فوق القمم الصخرية المسننة ورأى بيكار قرية صغيرة فحاول ان يرسل اليها اشارة ضوئية بمصباحه اليدوي الكهربائي.

اخذ المنطاد يهوي بسرعة ونجا الرجلان بأعجوبة من الاصطدام بحافة جرف في الجبال. عندئذ تأهب بيكار لتفريغ الغاز من المنطاد في اي لحظة تسنح له. وما ان مرا فوق هضبة مكسوة بالثلج حتى صاح: "الآن" وجذب كيبفر حبل كوة التفريغ وهبط المنطاد الى الارض. كان الهبوط عنيفاً لكن الحظ حالف الرجلين فلم يصابا بأذى.

قضى بيكار وكيبفر بقية ليلتهما فوق الجرف الثلجي ملتحفين قماش المنطاد الفارغ من الغاز. وفي الصباح وصل فريق انقاذ الى قرية أوبرغورغل في النمسا وعثر على الرجلين سالمين. وتبين ان اشارة بيكار بمصباحه اليدوي التقطت في القرية.

بين ليلة وضحاها أصبح بيكار وكيبفر بطلين شهيرين على رغم ان ابحاثهما في الاشعة الكونية لم تكتمل. واستحوذ على اعجاب العالم بلوغهما ارتفاع ١٦ كيلومتراً في الجو. وقال وليم اودونيل المسؤول في وكالة الفضاء الامريكية الوطنية (ناسا): "كانت هذه حقاً الكبسولة الفضائية الاولى."

عاد بيكار الى الجو في السنة التالية وانطلق المنطاد هذه المرة من زوريخ في سويسرا ولم يواجه اي عقبات. واثبت بيكار بالبرهان القاطع ان الاشعة الكونية لا تعيق غزو الانسان الفضاء. وهو افتتح في الواقع عصر الاسفار الجوية الحديثة والاكتشافات الفضائية.

ريادة الاعماق - بعد اقتحام طبقات الجو العليا تحول بيكار الى البحر. وكان في الثالثة والخمسين من عمره. ومع ان احداً لم يغص الى عمق يزيد على ٩٢٣ متراً فقد راود خياله ان يجعل اعماق المحيطات أماكن سهلة الرياد كما جعل طبقات الجو من قبل. وعمد في اول الامر الى ربط كرة فولاذية بعوامة مملوءة بالبنزين الذي هو أخف من الماء. ولكي يجعل سفينة الاعماق هذه تغوص، وضع كتلا من الحديد في أوعية الصقها بالعوامة بفعل مغناطيسية صادرة عن تيار كهربائي. فاذا اراد الغواص العوم، فهو يضغط زراً فيقطع التيار الكهربائي وتنعدم المغناطيسية وتسقط الكتل الحديد.

اوقفت الحـرب العالميـة الثانيـة مشروعه موقتاً. وفي العام ١٩٤٨ عاد بيكار الى تجاربه قبالة ساحل غرب افريقيا. وبلغ في غوصه الاول ٢٥ متراً وفي الثاني (الذي كان غوصاً غير مأهول) ١٣٨٨ متراً وهو رقم قياسي. ولكن قبل ان يحاول بيكار تحطيم رقم قياسي في غوص مأهول أصيبت سفينة الاعماق بعطب في اثناء سحبها من بحر هائج.

وفي ١٩٥٣ كان بيكار بلغ التاسعة والستين واستعد وابنه جاك (٣١ سنة آنذاك) للغوص في سفينة اعماق جديدة دعاها "تريستا" قبالة ساحل ايطاليا الغربي. وغاصا في اليوم الاول الى عمق ٤٠ متراً، ففي هذا العمق يمكن الغواصين ان ينقذوهما اذا طرأ خلل ما. لكن الغواصة ادت واجبها على اكمل وجه. فقررا الغوص الى عمق ١٠٨٠ متراً. وتم كل شيء على ما يرام وهما يهبطان من الضوء الخافت الى الظلمة الحالكة. واخيراً اصطدمت انوارهمـا الكاشفـة بقـاع البحر وغدا كل ما حولهما أسود. الا ان الغواصة استقرت في سبخة من الوحل وادرك الرجلان أنهما غرقا في متر ونصف متر على الاقل من الطين لأن نافذتهما غطيت تماماً. وكانت هذه المرة الاولى التي يلامس انسان حي قاع البحر.

اطلق اوغست الاوعية التي تحوي كل الحديد، لكن السفينة ظلت ثابتة في مكانها. ترى هل غرقا في الوحل الى عمق يتعذر معه الافلات؟ وبعد مضي دقائق بدت لهما دهراً شعرا بارتجاج خفيف ورأيا الماء الموحل حولهما يعتكر. انهما يرتفعان!

بعد بضعة اسابيع غاص اوغست وابنه الى عمق قياسي مذهل هو ٣١٥٠ متراً وافتتحا بذلك عهد اختبارات اعماق البحار (٢). وربما كانت تلك اعظم لحظة في حياة بيكار. فقد بلغ في صعـوده وهبوطـه أعلـى وأعمـق نقطتين وصل اليهما انسان. وهكذا حقق احلام طفولته. وتقاعد بيكار من مهنـة التعليـم وعـاد الـى موطنـه سويسرا. وفي ٢٥ مارس (آذار) ١٩٦٢ مات في نومه عن عمر ناهز ٧٨ سنة.

خلال حياته كرمت بلدان عدة بطل المغامرات هذا، اذ ان طبعه الجريء والارقام القياسية التي حققها جعلته ذا شهرة واسعة. وكان عمله غريباً بالنسبة الى استاذ متواضع. وكان يجد متعة غامضة وبعض الحرج في ما لقيه من تنويه وتشريف. وقال مرة: "كل ما اردت ان افعله كان تسليط الاضواء على الظلمات. ان ذلك يجعل حياة المرء خليقة بأن تعاش."

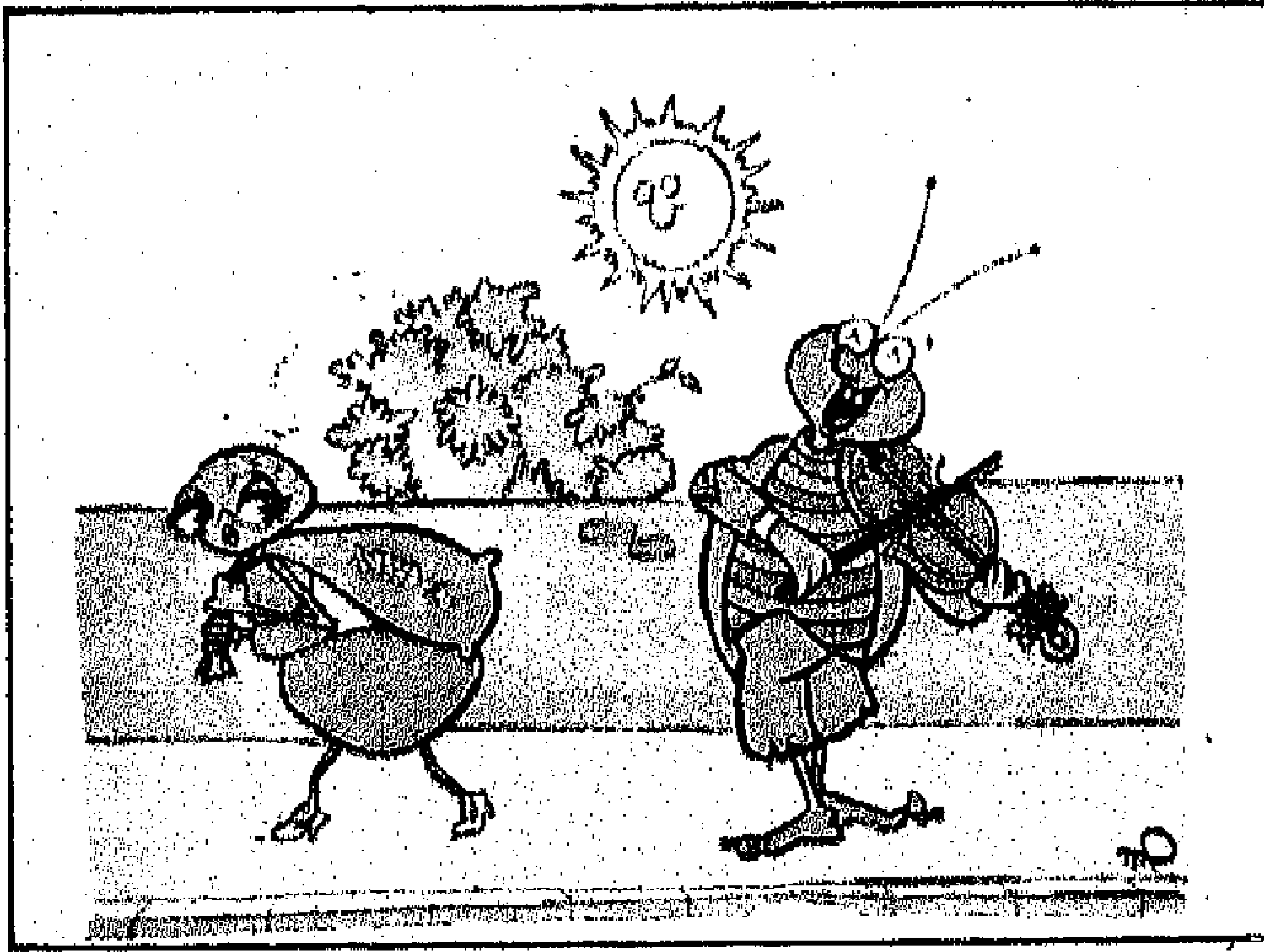
ولعمري انها لعبارة جديرة بأن تنقش على شاهدة ضريح هذا الرجل الخارق.

■ راوول تانلي

(٢) قدمت الغواصة "تريستا" في ما بعد الى اسطول امريكا الشمالية. وفي ٢٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٠ انحدر جاك بيكار والملازم في البحرية الامريكية دون والش الى عمق ١٠،٩١٢ متراً في خندق ماريانا.



الدماغ عضو يباشر العمل منذ نهوضك من النوم، ولا يتوقف الا عند بلوغك المكتب.
ر.ف.



حديقة أفكار

- الوالدان هما القوس التي ينطلق منها الاولاد سهاماً حية.

جبران خليل جبران، "النبي"

- ان معنى الصداقة ليس في مصافحة أو بسمة أو كلام عذب، بل هو في الشعور الذي يتولد لدى المرء عند ادراكه أن شخصاً آخر يقبله ويثق به.

رالف والدو امرسون

- التاريخ لا يدور بالطبق نفسه مرتين.

ل.ف.س.

- من المدهش أن نقع على مزايا متناقضة في الشخص الواحد، وفي الوقت نفسه على انسجام ملحوظ.

سومرست موم

- لا تخشَ الظلال قط. فهي تعني أن ثمة نوراً يشرق في مكان قريب.

ر.ر.

- أمرّ الدموع التي تذرف فوق القبور تفيض من الكلمات التي لم نتفوه بها والافعال التي بقيت أفكاراً.

هارييت ستوي (كاتبة امريكية)

- أصدق تعبير لشعب ما عن نفسه نجده في ما يبتكره من رقص وموسيقى. فالأجساد لا تكذب البتة.

انياس دو ميل (مصممة رقص امريكية)

- الامل يبتسم على عتبة السنة الجديدة، هامساً انها ستكون خيراً من الماضية.

الفرد لورد تنيسون

مرض سار جديد يثير الذعر في الاوساط الطبية

ايدز
الداء الرهيب

عنوان يتصدر الصفحة الاولى في احدى صحف نيويورك ويحذر: "التلامس وحده قد يكفي لنشر ايدزا" (١). ومحطة تلفزيون تتساءل في نشرتها المسائية: "هل لديك المناعة ضد ايدز؟" وبمثل هذا الرعب يعم انذار الخطر انحاء الولايات المتحدة.

كادت هذه التقارير المثيرة والمضللة احياناً توحي ان هذا المرض الغامض الذي يصيب في الدرجة الاولى الرجال اللوطيين والمخنثين ومدمني المخدرات وسكان جزر هاييتي والمصابين بسيلان الدم، سوف ينتشر بين سكان امريكا. فكانت النتيجة ان شاع الخوف من مرض ايدز بسرعة اكبر من شيوع المرض نفسه.

ومرض ايدز مخيف حقاً، فهو يهاجم جهاز المناعة في الجسم فيفقده حصانته ضد المرض وبعض انواع السرطان. والمرض في ذاته لا شفاء منه ويقتل اكثر من ٧٥ في المئة من ضحاياه خلال سنتين.

لقد مرت سنتان على تسجيل الاصابات الاولى في مركز مراقبة الامراض في اطلنطا، ولاية جورجيا، لكن اسباب هذا المرض ما زالت مجهولة.

وحتى تعرف هذه الاسباب فان افضل ما ينصح به الاطباء الجماعة الاكثر تعرضاً للخطر - اي الرجال اللوطيين - ان يخففوا من عدد شركائهم الجنسيين. لانه من الثابت قطعاً ان انتقال ايدز يتم من طريق المضاجعة الجنسية، ولذا فالعلاقات غير المشروعة تزيد احتمال تعرض الرجال لهذا المرض. وحتى الشركاء الذين يبدون سليمي الصحة يكونون من حاملي الجرثومة. وكثيراً ما تتأخر

(١) Acquired Immune Deficiency Syndrome
«AIDS» اي اعراض نقص مكتسب في المناعة.

اعراض المرض بين ستة اشهر و٣٦ شهراً بعد التعرض للعدوى.

والاطفال ايضاً – حتى الآن يؤلف اللوطيون والمخنثون نحو ثلاثة ارباع المصابين في الولايات المتحدة. اما مدمنو المخدرات الذين قد يصابون بالمرض من طريق الابر الملوثة فيبلغون ١٧ في المئة، بينما يكون سكان جزر هاييتي خمسة في المئة لاسباب مجهولة. وهناك واحد في المئة من المصابين بسيلان الدم الذين ينتقل اليهم المرض من الاشخاص الذين يتبرعون بدمهم. اما بقية المصابين فليس من تفسير لسبب اصاباتهم، بمن فيهم اولئك الذين قضوا قبل ان يتمكن الاطباء من معرفة ما اذا كانوا لوطيين او مدمنين.

وفي اواخر مايو (ايار) ١٩٨٣ اعتبرت دائرة الصحة العامة الامريكية مرض ايدز شاغلها الاول. وفي بداية اغسطس (آب) افاد مركز مراقبة الامراض ان عدد الاصابات بلغ ٢٠٠٨ توفي من اصحابها ٧٧٤. وكان عدد المرضى يتضاعف كل ستة اشهر.

ويستبعد معظم الاطباء ان ينتشر مرض ايدز بين الناس عموماً، اذ يبدو ان سببه يكمن في الدم. ويقول الدكتور جيمس كوران رئيس فريق مكافحة ايدز في مركز مراقبة الامراض: "ان انتقال العدوى يتطلب احتكاكاً حميماً – كالجنس – مع شخص مصاب، او اتصالا بدم مصاب. ونحن لا نجد المرض لدى زملاء المصابين في العمل او لدى الاشخاص الذين يحتكون بهم في حياتهم اليومية."

ويبدو ان الضحايا الذين ليسوا من الجماعة الاكثر تعرضاً لمرض ايدز حصل لهم اكثر من احتكاك عابر مع احد افراد هذه الجماعة. فهناك ما لا يقل عن عشر اصابات في اناث لهن علاقة جنسية مع رجال مصابين بالمرض، كذلك هناك عشرون اصابة بين الاطفال. فقد اصيب احد الاطفال بمرض شبيه بمرض ايدز بعد نقل الدم اليه، كما اصيب ١٢ رجلا بالطريقة نفسها. اما بقية الاطفال الذين اصيبوا بالمرض فيبدو ان امهاتهم التقطنه من طريق المخدرات او الجنس او الاثنين معاً. ولان هناك اعتقاداً بان العامل المسبب لمرض ايدز موجود في الدم، يظن الدكتور كوران ان المرض إنتقل الى الاطفال من طريق الدم وهم في ارحام امهاتهم.

وظهور مرض ايدز في مجموعات من غير اللوطيين اقنع علماء مركز مراقبة الامراض بان عاملا آخر لنقل المرض قد يكون جرثومة. وهم يقدرون انه فيروس جديد او فيروس عادي طرأت عليه تغيرات جينية.

فيروس رجعي – الاذى الاول الذي يصدر عن مرض ايدز يصيب خلايا "ت" وهي كريات دم بيضاء مهمتها الاساسية مساعدة الجسم في مقاومة الامراض الجرثومية. وهناك نوعان من هذه الخلايا: المساعدة التي تحفز جهاز المناعة على مقاومة الاجسام المهاجمة، والكابتة التي تحول دون

اندفاع الجهاز في رد فعل متطرف، وفي الاحوال الطبيعية تكون الخلايا المساعدة ضعفي الخلايا الكابتة عدداً. اما في مرض ايدز فيطغى عدد الكابتة على المساعدة مما يشل قسماً من جهاز المناعة. وقد وجد الباحثون في جامعة روكفلر في مدينة نيويورك نوعاً من البروتيين في دم عدد من ضحايا المرض يعمل ككابت قوي للمناعة. وقد يكون الجسم نفسه هو الذي صنع البروتيين تحت تأثير المرض الفيروسي.

واحد الفيروسات التي قد تسبب خللا في خلايا "ت" هو ذلك الذي يسبب لوكيميا الخلايا "ت" (٢) في الانسان. وهي لوكيميا غريبة جداً. وقد وجد هذا الفيروس لدى اقل من واحد في المئة من اشخاص اصحاء تم فحصهم في اميركا الشمالية، لكنه اكثر انتشاراً في جزر الكاريبي. واجرى علماء المعهد الوطني للسرطان في جامعة هارفرد ومعهد باستور في باريس دراسات على اهالي جزر هاييتي، لصلتهم بمرض ايدز. فوجدوا فيروس لوكيميا "ت" في نسبة عالية - ٢٥ في المئة في دراسة هارفرد - من المصابين بمرض ايدز او المعرضين للاصابة به.

وبما ان الفيروس لم يثبت وجوده لدى جميع ضحايا الايدز، يشك الكثير من الباحثين في ان يكون هو سبب المرض. بل نقيض ذلك قد يكون صحيحاً، اي ان وجوده ناتج من مرض ايدز اذ تنعدم المناعة في الجسم فينتهز الفيروس الفرصة للظهور، كما يقول الدكتور كوران. وينتمي فيروس لوكيميا "ت" الى نوع من الفيروسات الرجعية التي تسبب السرطان في الحيوانات وتكبت جهاز المناعة، مما حمل الدكتور كوران على الاعتقاد ان مرض ايدز قد تسببه "بعض الفيروسات الرجعية المماثلة لفيروس لوكيميا "ت".

تجارب انبوبية - يلاحق الباحثون دلائل اخرى لكشف اسباب المرض. وهناك دليل يبعث الامل برز في مختبر آلان غولدشتاين في كلية الطب في جامعة جورج واشنطن، اذ اكتشف غولدشتاين لدى بعض المصابين في المراحل الاولى من المرض نسبة عالية من هرمون الغدة الصعترية (٣). وهذا ما ركز البحث على الغدة نفسها التي تفرز مواد اساسية لتكوين خلايا "ت".

كما ان عدداً من العلماء يعتقد ان لفيروس "سيتوميغالو" من عائلة فيروسات القوباء صلة بمرض ايدز. فهو يستطيع كبت جهاز المناعة موقتاً وهو شائع في الرجال اللوطيين، كما ثبت انه السبب في وفاة بعض ضحايا مرض ايدز. ويعمل الباحثون الآن على التفتيش عن نوع جديد منه ربما كان اكثر خبثاً.

وفي كلية الطب في جامعة البرت اينشتاين ومعهد مونتيفيور الطبي في مدينة نيويورك يقول الباحثون انهم وجدوا فيروساً آخر في بول سبعة عشر مصاباً بمرض ايدز. وهذا النوع من الفيروس المعروف باسم

(٢) اللوكيميا هي ابيضاض الدم.

(٣) غده صغيرة صماء قرب قاعدة العنق.

"ادينوفيروس ٣٥" هو واحد من ٤١ فيروساً متقاربة تسبب انواعاً عدة من الاضطرابات لدى الانسان بما فيها بعض مشاكل التنفس.

وأملا في انارة المستقبل الكئيب لضحايا مرض ايدز عمد بعض الباحثين الى استخدام بعض العوامل البيولوجية كالانترفيرون، وهي مجموعة من نحو ٢٠ مادة تصنعها خلايا متنوعة وتقاوم الامراض الجرثومية والسرطان. ويجري الآن صنع بعض من هذه العوامل في المختبرات بواسطة البكتيريا الموجهة جينياً، وهي طريقة حديثة معقدة. ويأمل الاطباء ان يكون الانترفيرون عاملا مساعداً في استرجاع جهاز المناعة وظيفته.

ولكن ما زالت النتائج غير ثابتة. الا ان الانترفيرون يبدو مفيداً ضد سرطان "كابوزي"، وهو نوع من سرطان الجلد شائع لدى المصابين بمرض ايدز وكان من الصعب معالجته لان المعالجة العادية للسرطان تضعف هي ايضاً جهاز المناعة في الجسم.

واثبتت دراسة نشرت في مجلة "نيو انغلند الطبية" ان ١٢ مصاباً بمرض ايدز وبسرطان الجلد عولجوا بالانترفيرون. فكانت النتيجة ان شفي ثلاثة منهم وظلوا اصحاء حتى بعد اشهر من توقف المعالجة. كما تحسنت كثيراً حال مريضين آخرين وطرأ تحسن بسيط على ثلاثة غيرهم. اما الاربعة الباقون فلم تتبدل حال السرطان لديهم.

وهناك دراسة حديثة اجراها باحثون في الادارة الامريكية للغذاء والدواء ومعاهد الصحة الوطنية تبين ان "انترلوكن - ٢"، وهو عامل عضوي آخر تصنعه كريات الدم البيضاء، يزيد من فاعلية المقاومة في الخلايا المعطوبة لدى ضحايا ايدز، على الاقل في التجارب الانبوبية. وليس معروفاً بعد ما اذا كان هذا العامل يساعد المرضى انفسهم ام لا. غير ان هناك تجارب قيد الدرس لمعرفة فاعليته وسلامة استعماله لدى البشر.

وربما كانت الاخبار الاكثر تشجيعاً ما يتعلق بالمصابين باعتلال الغدد اللمفية. وهو مرض مزعج بدأ يكثر لدى اللوطيين ومدمني المخدرات.

وتشمل اعراض هذا الداء تورم الغدد اللمفية والحمى والتعب والعرق الليلي، وفي بعض الحالات خسارة في الوزن وتضخماً في الطحال، وهي جميعاً تشير الى بداية مرض ايدز.

كذلك تضطرب نسبة خلايا "ت" في مرضى الغدد اللمفية مما اثار خوف الاطباء الذين اكتشفوا ذلك من انهم امام بداية مرض ايدز.

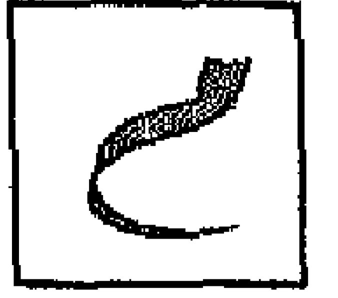
ولكن بعد وضع المصابين باعتلال الغدد اللمفية قيد المراقبة لمدة سنتين وجد بعض الباحثين ان اقل من ١٠ الى ١٥ في المئة منهم اصيبوا بمرض ايدز على رغم استمرار التورم اللمفي سنوات. ويبدو ان المرضى الذين لم يصابوا بمرض ايدز استطاعوا ان يحصروا مرضهم في الغدد اللمفية.

ومهما يكن اتجاه مرض ايدز فانه احتل مكانته كواحد من اعجب الالغاز الطبية في هذا العصر.

■ **دنيز غرادي وكيلي تاسكر**

يتنادى العلماء من اصقاع العالم لدراسة
هذه الظاهرة الطبيعية المخيفة
والتكهن بزمن وقوعها
والاستعداد لتفادي
ويلاتها المرتقبة

«النينو»



مناخ المحيط الهادىء معتدل عادة، لكنه لا يلبث ان يجن فجأة منذراً بأخطار داهمة وخراب رهيب.

وقد اعلنت جوان هوك من ادارة المحيطات والاحوال الجوية في الولايات المتحدة، انه ما بين الأشهر الاولى من عام ١٩٨٢ وسنة ١٩٨٣ تسبب الطقس الرديء العاصف في خسائر مادية فاقت قيمتها الملياري دولار في الممتلكات وبلغت نحو ستة مليارات في القطاع الزراعي في عشرات البلدان في القارات الخمس، وذلك من جراء الفياضانات والجفاف والحرائق والاعاصير الغريبة النادرة التي ضربت ولاية هاواي في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٢.

ومع نهاية ١٩٨٢ وبداية ١٩٨٣ غمرت الامطار الغزيرة مساحات صحراوية كبيرة في بلاد الاكوادور وشمال غرب البيرو. فقطعت السيول الجارفة الطرق العامة واغرقت المواسم الزراعية وأزهقت ارواح المئات. كذلك تسبب الطمي والاوحال في تدمير عدد من قرى البيرو. ودام الطوفان حتى شهر مارس (آذار). وفي الاكوادور غمرت الفيضانات ثلث البلاد، بحسب ما اعلنه مسؤول اداري. اما في مدينة غوياكيل فبلغ معدل المطر نحو ٦٠ سنتيمتراً في يونيو (حزيران) مع ان متوسط المطر لا يتجاوز السنتيمتر الواحد في مثل هذا الوقت.

قحط وفيض ـ في الشمال ضربت ولاية كاليفورنيا عواصف عاتية نتجت منها فيضانات هائلة جرفت الطمي والاوحال، وارتفاع في حركة المد والجزر. وكانت الخسائر جسيمة اذ تعدت ٣٠٠ مليون دولار في الممتلكات، واجلي عشرة آلاف من السكان عن بيوتهم وقضى منهم ما لا يقل عن اثني عشر شخصاً.

وفي الطرف الآخر من المحيط الهادىء، في جنوب شرق اوستراليا، بلغ الجفاف اقصاه وعم القحط البلاد. فصوّحت المراعي وظمئت المواشي وشبت الحرائق فالتهمت مساحات واسعة في القسم الجنوبي من البلاد وتسببت في موت ٧١ شخصاً. اما الاضرار المادية فتجاوزت الاربعمئة مليون دولار. وكانت حصيلة الأضرار الزراعية اكثر من مليار دولار.

واصاب الجفاف ايضاً سري‌لانكا وجنوب شبه الجزيرة الهندية حيث تدنى معدل الانتاج الزراعي الى النصف. ولم ينج القطاع الصناعي من بعض الاضرار. وعانت ولاية تاميل نادو الهندية الكثير بسبب شح المياه وما نجم عنه من نقص في الطاقة الكهربائية. فانخفض انتاج الاسمنت والسماد الكيميائي والصودا الكاوية بنسبة راوحت بين ٢٥ و٤٠ في المئة، مما ادى الى تسريح ما بين ١٠٠ الف و١٥٠ الفاً من عمال المصانع. اما كمية المياه القليلة المتبقية فحولت لري الاراضي الزراعية.

وفي بداية ١٩٨٢ ضرب الجفاف اندونيسيا ايضاً فأودى بحياة ٣٤٠ شخصاً قضوا جوعاً وعطشاً. كما انتشر وباء الكوليرا نتيجة تلوث المياه، فادخل اكثر من الف شخص

المستشفيات. وفي جنوب جزر الفيليبين قاسى السكان من شح المياه والنقص في المواد الغذائية لأن معدل المطر لم يتعد الـ٢٠ في المئة من متوسط الامطار. وهذا يعني ان خمسمئة الف هكتار من الاراضي المزروعة غدت غير صالحة للاستثمار.

وفي جنوب شرق آسيا حصل اسوأ جفاف عرفته البلاد. فحدث ارتفاع غير عادي في درجة الحرارة وانخفضت نسبة الامطار فلم تزد على نصف المعدل المعتاد في الفترة ما بين نوفمبر (تشرين الثاني) وابريل (نيسان)، اي في فصل الامطار.

اما في زمبابواي وموزمبيق وجنوب افريقيا فتدنى انتاج المواد الغذائية بين ٤٠ و٧٠ في المئة، مما حدا سلطات موزمبيق التي تضرر اربعة ملايين من سكانها، على طلب مساعدات غذائية طارئة في شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣.

غير عادي – يظن العلماء ان لهذه الكوارث التي نزلت بالعالم علاقة وثيقة بقوة هائلة غامضة تنبعث من المحيط الهادىء وتتفاعل مع طبقات الجو. ويتولد وسط المحيط تيار دافىء يعرف شعبياً بأسم "النينو" ومعناه في الاسبانية "المولود الجديد". ويظهر هذا التيار كل سنة تقريباً مع اقتراب عيد الميلاد، ويبدأ في العادة دافئاً خفيفاً على شواطىء البيرو والاكوادور. اما في الفترة ١٩٨٢ – ١٩٨٣ فقد اندفع التيار الدافىء على نحو غريب ومرعب لتشمل رقعته ربع الكرة الارضية ابتداء من البيرو والاكوادور. وكان ظهوره المخيف يختلف كلياً عما كان في السابق. والتقلبات الرهيبة في الضغط الجوي التي رافقت ظهوره نبهت الى وجوده غير العادي.

تحصل في طبقات الجو كل أربع أو خمس سنوات تغيرات وتقلبات تدوم احياناً بين ثمانية عشر شهراً وسنتين. ومن الدراسات السابقة نعرف ان تيارات دافئة من نوع "النينو" حصلت في الاعوام الآتية: ١٨٧٧، ١٨٩١، ١٩١٨، ١٩٢٥، ١٩٤٠ – ١٩٤١، ١٩٥٧ – ١٩٥٨، ١٩٦٥، ١٩٧٢ – ١٩٧٣، ١٩٧٦ – ١٩٧٧، ١٩٨٢ – ١٩٨٣. والتيار الأخير كان الأقوى خلال القرن العشرين اذ ارتفعت حرارة المياه السطحية في بعض الاماكن اكثر من سبع درجات مئوية فوق الحرارة العادية.

ومعلوم ان حركة الرياح والتيارات المائية تتفاعل بطريقة علمية واضحة. تهب الرياح التجارية فوق المحيط الهادىء عادة من الشرق الى الغرب. وهناك تيارات مائية تتحرك على خط الاستواء في الاتجاه نفسه. وتشبه حركة المياه ما يحصل متى نفخ المرء في فنجان قهوة، اذ يرتفع السطح الساخن في الطرف المقابل لاتجاه النفخ. على المنوال نفسه تتحرك الرياح والتيارات. فتتجمع المياه على الشاطىء الجنوبي الشرقي من آسيا وعلى شواطىء الجزر الكثيرة التي تقع بين المحيط الهندي والمحيط الهادىء، ويرتفع منسوب المياه على شواطىء آسيا حوالى نصف متر عن معدله في شواطىء امريكا الجنوبية.

تتجمع المياه في القسم الغربي (او الآسيوي) من المحيط الهادىء وتتشكل طبقة كثيفة من المياه الدافئة فوق السطح. ويحصل العكس في القسم الشرقي من المحيط الهادىء حيث تكون طبقة المياه الدافئة ضحلة.

الشتاء الطويل - يتكون تيار "النينو" عندما يبدأ الضغط الجوي المنخفض فوق بلاد اندونيسيا في الارتفاع تدريجياً، بينما الرياح التجارية الهوجاء التي تهب على خط الاستواء تأخذ فجأة في الركود، فيقل نشاطها وتخف سرعتها مما يغير اتجاهها العادي فتصبح حركتها من الغرب الى الشرق.

ويصرح أوجين راسمسون من ادارة المحيطات والاحوال الجوية في كامب سبرنغز (ولاية ماريلاند) ان العلماء لم يتوصلوا بعد الى تحليل الأسباب.

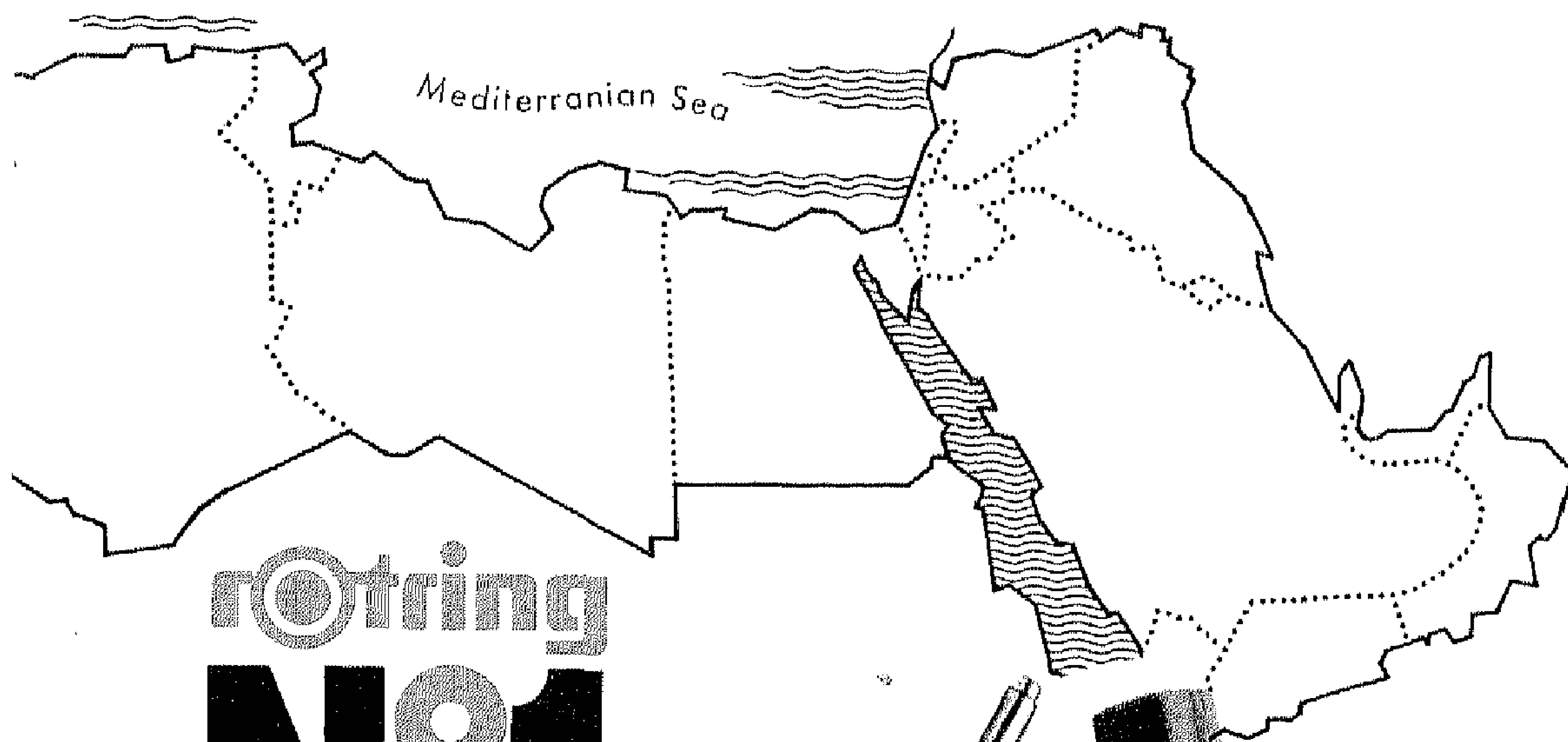
ومع ذلك يلاحظ ان المياه المتراكمة تتحرك بعنف وشدة من دون اتجاه وهي تعود الى امريكا مارة عبر خط الاستواء حيث تكتسب قوة حرارية شمسية هائلة تزيد من دفء التيار المائي الذي يغوص في النهاية الى اعماق المحيط. عندئذ تزداد كثافة المياه السطحية الدافئة التي كانت ضحلة سابقاً، وتتوسع في القسم الشرقي من المحيط الهادىء. ويمنع هذا التيار وصول الغذاء الى الأسماك كما يمنع المواد الغذائية من ان تطفو على السطح لتتلقفها الطيور البحرية. وفي العام ١٩٨٢ تسبب تيار "النينو" في رحيل ملايين الطيور البحرية التي كانت معششة في جزيرة كريسماس فوصلت الى شواطىء البيرو في امريكا الجنوبية. فكان ان تدهورت صناعة تعليب الأسماك الصغيرة (آنشوا). وقد سبق لهذه الصناعة ان تأذت عام ١٩٧٢ - ١٩٧٣ للسبب نفسه.

ان ارتفاع حرارة المياه فوق سطح المحيط يرافقه تغير في الضغط الجوي ودرجة الحرارة وحركة الرياح. وهذا ما يسبب تغيراً جذرياً في المناخ. وقد فاقت التغيرات المناخية الاخيرة كل التوقعات. فغمرت الامطار الغزيرة نصف الكرة الارضية، خصوصاً شمال شرق المحيط الهادىء. ورافقت السيول الغزيرة رياح شديدة على ارتفاع ١١ كيلومتراً وبسرعة ١٩٠ كيلومتراً في الساعة.

ومن امريكا الشمالية الى امريكا الجنوبية اندفعت السيول بسرعة غير مألوفة. وكان اطول فصل للأمطار دام حتى الربيع في كوبا والمناطق الجنوبية من الولايات المتحدة.

وهاجم الطمي والسيول الناجمة عن ذوبان الثلوج ولاية يوتاه حيث تدفق السيل في الاودية في جبال واساش جارفاً معه الطمي والصخور، مما اضطر اكثر من خمسمئة شخص الى اخلاء منازلهم.

وفي كوبا والولايات الامريكية على خليج المكسيك اجبرت السيول عشرات الالوف على ترك منازلهم. وارتفع منسوب المياه في نهر بيرل مترين فوق معدل الفيضانات في نهر المسيسيبي. وبلغت الخسائر المادية نحو ٢١ مليون دولار. اما القسمان


Mediterranian Sea

الشمالي الشرقي والغربي الاوسط من الولايات المتحدة فتمتعا بشتاء معتدل تبعه ربيع ماطر، بينما انحصرت الرياح القطبية الباردة في شمال شرق كندا.

ابحاث مستقبلية — يربط العلماء بين التغيرات المناخية والتيار الدافىء "النينو" الذي كان وراء الشتاء العاصف في امريكا الشمالية والجنوبية، من جهة، والقحط الذي اصاب المكسيك وقسماً من امريكا الوسطى في صيف ١٩٨٣ من جهة اخرى. كذلك هم واثقون بعلاقة هذه التغيرات بالجفاف في اوستراليا واندونيسيا. وقد اعلن راسمسون ان تأثير التيار الدافىء في التغيرات المناخية يطول اكثر من ثلث العالم وقد يصل تأثيره الى نصف العالم.

كذلك ربط العلماء بين التغيرات المناخية في الشرق الاوسط وتيار "النينو". وربما كان هو سبب الشتاء البارد والمثلج في الشرق الاوسط، والفيضانات الهائلة في البرازيل والباراغواي وشمال الارجنتين، والامطار الغزيرة في الصين، والجفاف الخانق في افريقيا الغربية وشبه الجزيرة الايبرية.

ويرى العلماء ايضاً ان هناك مؤثرات اخرى متداخلة تتفاعل وتعدل في المناخ، كالتغيرات التي حدثت ربيع ١٩٨٣ على اثر انفجار بركان شيشون في المكسيك الذي زادت ثورته العارمة في اندفاع التيار الدافىء "النينو" لكثرة الحمم التي قذفها من جوفه والتي غطت الفضاء بغيوم كثيفة من الرماد الحالك. واستناداً الى دراسات سابقة، فان ثورة البركان تصحبها تغيرات اكيدة في المناخ ودرجات الحرارة والضغط الجوي.

ويقول راسمسون: "ان كل تيار دافىء يختلف عن سابقه باختلاف مسبباته، فتترتب عن ذلك حالات متباينة وغير ثابتة النتائج. الا انه يؤكد ان خمس كوارث الجفاف في الهند منذ ١٨٧٥ حدثت في السنوات التي ضرب تيار "النينو" البلاد. ويتطابق توقيت الكوارث ايضاً مع حصول كوارث الجفاف في جنوب شرق افريقيا."

ان زيادة المعرفة العلمية لتيار "النينو" ضرورية للتكهن بوقوعه. وهذا سيساعد هيئات التخطيط الزراعية والمدنية في تلافي ويلاته على شواطىء المحيطين الهادىء والهندي.

ويتم حالياً جمع المعلومات الاحصائية كما تجرى رقابة شديدة للاحوال المناخية. وهناك سفينة ابحاث تراقب تيار "النينو" منذ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٢، اضافة الى ١٧ طوافة للارشاد تبث المعلومات بواسطة قمر اصطناعي تابع لادارة المحيطات والاحوال الجوية في الولايات المتحدة، وتهتم مؤسسة "سكريبس" في مدينة لايولا في ولاية كاليفورنيا لدراسة هذه الظاهرة والتعمق في تحليلها. وهناك المؤسسة الوطنية للعلوم التي تجري ابحاثاً مماثلة وتتبادل نتائجها ومعلوماتها مع مؤسسة "سكريبس" وبعض

الجامعات. وستجري مؤسسة "توغا" ابحاثاً مكثفة لمدة عشر سنين حول ظواهر المناخ في المحيطات الهادىء والهندي والاطلسي وستباشر عملها مطلع ١٩٨٥. وسيشرف "برنامج ابحاث المناخ العالمي" في جنيف على هذه الابحاث بالتعاون مع علماء من اكثر من خمسين دولة.

اهمية هذه الابحاث كبيرة نظراً الى ما يمكن ان يحدثه هذا التيار من ضرر عام. ويخشى ان تفوق اضراره المستقبلية تلك التي أوقعها في شتاء ١٩٨٣. ولقد قال ميشال موزلي، وهو عالم آثار في متحف التاريخ الطبيعي في شيكاغو، ان "النينو" هو الذي تسبب في فيضانات البيرو التي حصلت في القرن الثاني عشر وادت الى تدمر نظام الري فيها واحالت سهولها أرضاً بلقعاً. هذه الكارثة الكبرى كانت في رأيه وراء المجاعة التي أضعفت حضارة "شيمو" الهندية هناك ومهدت الطريق لانهزام شعبها.

ان راسمسون مقتنع بان حسن التكهن بحدوث تيار "النينو" يساهم في الاستعدادات الوقائية ومنع الكوارث. وهو متفائل بأنه خلال عشر سنين من الابحاث سيصبح في الامكان التكهن لابعد من موسم واحد.

يشبه تيار "النينو" طفلا شرساً متقلب المزاج يحمل المناخ القاسي المهلك، انه على نقيض اسمه لا يحمل الخير والكرم. لكن الانسان بفهمه هذه الظاهرة او قدرته على التكهن بوقوعها يمكنه ان يتقي ويلاتها، ودراسة احوال التيار عن كثب تمكننا من حل مشكلة عالمية غامضة في تقلبات الطقس.

■ جاي ستالر



ما لا تعرفه تجهله

كعادتي لدى زيارة اختي، حملت معي بعض الحلوى لطفلتيها. وهرعت الي احداهما تريني كتيباً وزع على صفها في المدرسة، وهو يدور على العناية بالاسنان والامتناع عن بعض المآكل، ومنها الحلوى التي حملتها.

ولما قلت للصغيرة اني سآخذ الحلوى معي، أجابت: "ولماذا تفعلين هذا؟ ان اختي لم تحصل بعد على نسخة من هذا الكتاب."

ج.ب.

صدق في غير محله

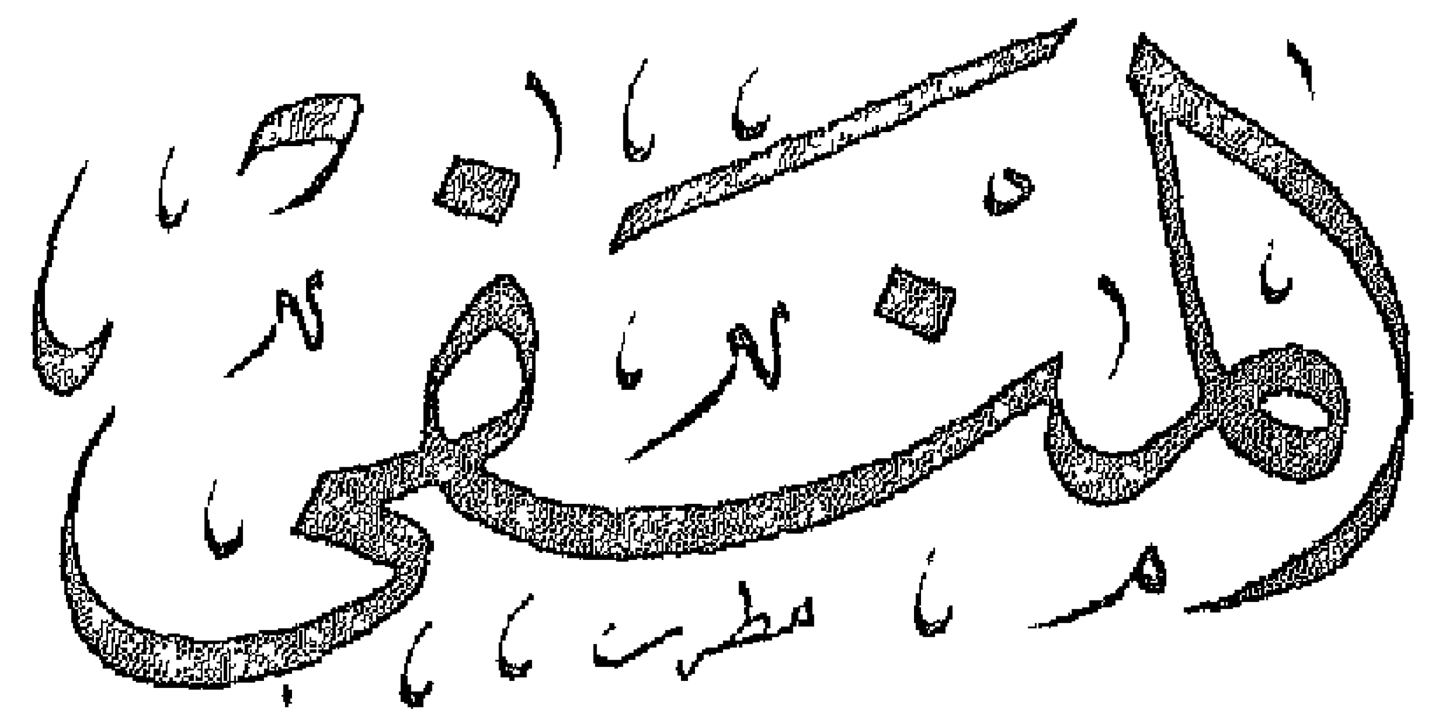
قالت المرأة لزوجها وهما يدفعان بسيارتهما الى مرآب التصليح: "لقد صدق المالك السابق اذ قال وهو يبيعنا السيارة انها لا تستهلك الكثير من الوقود."

صحيفة "دير شتيرن"، المانيا

كتاب الشهر

المنفى





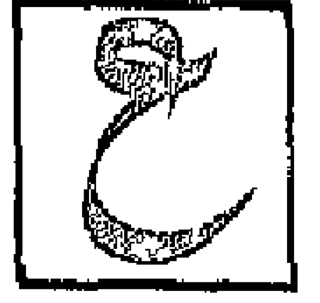
انها سيبيريا، أرض المنفى واللارجوع والصراع المرير من أجل البقاء...

وسط الشتاء السيبيري عام ١٩٤٢، وجدت حفنة من أسرى الحرب الايطاليين ظروف الحياة قاسية جداً أمامها. وكان أفراد تلك المجموعة ـ والكاتب أحدهم ـ مبتوري الاطراف.

الا أنهم صمدوا، لا بل وجدوا لأنفسهم مكاناً في قلوب شعب كان يملك كل ذريعة لمقتهم. ولكن ما الذي قرب بين الايطاليين والروس في ذلك المكان النائي؟.

من عوامل ذلك التلاقي رفعة الخُلُق الروسي والحس الانساني العميق لدى الطليان. يضاف الى هدا وداك تعلق الروس بالفن الايطالي وشمس المتوسط الدافئة التي لا تشرق على فلادبفوستوك ونوفغورود.

Condensed from Vengo dalla Siberia (c) 1973 by Carlo Silva and published by Bietti·Milan
Illustrations by Joe Krush



عند الفجر حملني جنديان من غرفة الجراحة الميدانية التي أقامها أطباؤنا العسكريون في بلدة شيرتكوفو المتنازع عليها، والتي تبعد ٨٠ كيلومتراً أو نحوها غرب نهر الدون.

كان ذلك بعد مضي يومين على عيد الميلاد للعام ١٩٤٢، وقد توقفت فرقتنا الايطالية الصغيرة لاستراحة موقتة في شيرتكوفو، وهي تكوّن مؤخر جيش قوي، عدده عشرون ألف جندي من المان وطليان، أمروا بالتراجع غرب الدون.

وكانت جدعة ساقي اليسرى تؤلمني كثيراً. وقد بتر جزء منها على أثر قضمة صقيع أصابتها خلال تراجعنا عبر السهوب الروسية الجليدية. وعلى رغم أن رجلي قُصت من تحت الركبة، فقد خيل الي أني احس الألم في الاعصاب والاوتار والعضلات، وان ذلك الالم يمتد عبر ربلة ساقي الى أصابع قدمي التي لم تبق حيث كانت.

وحملني الجنديان الى غرفة صغيرة، حيث مدداني على أرضيتها بالقرب من أربعة زملاء بتر لكل منهم أحد أطرافه.

وبادرني أحدهم، وهو رجل ضئيل الجسم بترت ساقه اليمنى: "أهلا وسهلا. أنا تونينو فانتي من ساباوديا.... من أنت ومن أين اتيت؟"

فقلت له: "اسمي كارلو، وأنا من ميلانو."

وكنا جميعاً مرهقين ألماً. غير أن تعارفنا تم في تلك اللحظة. وبدا أن تونينو فانتي من الاشخاص الذين يمكنهم بث الفوضى في لواء كامل من جماعة القوازق. وهو كان قبيح المنظر، ملحاً في طلبه، أو ربما كان الحاحه متنفساً لحيويته وحماسته. لكنه، في الوقت ذاته، كان كريم النفس قريباً الى القلب.

وكان بين الجماعة جيوفاني من نوفارا، وقد بترت قدمه اليسرى و٢٥ سنتيمتراً من رجله اليمنى. كذلك انطونيو بريزيو من ليتشي الذي فقد ذراعاً. أما تونونو، من نابولي، فقد احتفظ بأطرافه الاربعة. الا أن رجله اليمنى مزقتها الشظايا وما زالت في داخلها.

وعند الظهيرة جاءنا جندي بالطعام من البسكويت واللحم المعلب والشوكولاته. واذ لم أكن جائعاً، ظللت بعيداً عن الطعام. فانبرى تونينو قائلا: "ينبغي أن تأكل، وان أرغمت نفسك. وحين نعود الى ايطاليا يوماً سأدعوك الى منزلي للطعام. ان امي تصنع المعجنات بنفسها، وهي خبيرة في هذا المجال. ان الحروب لا يجوز أن ينتصر فيها غير ذواقي الطعام، لأنه عندئذ يكسب حتى الذين هزموا."

وابتسمت ورحت أنظر اليه وهو يلتهم وقعته وقد تدلت نظارتاه فوق أنف يحمل طابع سيرانو فيما بدا وجهه كوجوه مهرجي البلاط تحت ضوء الشتاء البارد.

وأطلت السنة الجديدة كالحة كسابقتها ونحن نترقب الهجوم الروسي الذي أدركنا أن لا مناص عنه. وكان في مساء ١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٣ أن قذيفة مدفعية انفجرت على السطح فوقنا.

وسمعنا في الشارع دوي الانفجارات والصياح وجلجلة الاحذية الثقيلة.
وفتح الباب وظهر جندي. وترك لنا خمسة أكياس من البكسويت وخمس علب من اللحم قبل أن يعود من حيث أتى.
وصاح فيه تونينو وهو يدير ظهره: "خذنا معك."
الا أن وقع خطى الجندي غاب في الممر، وتلاه صمت نظرنا وسطه بعضنا الى بعض.
وقال انطونيو: "كل من يستطيع المشي غادر المكان."
وعلقت أنا: "ترى من سيفتح هذا الباب تالياً؟".
ومع اطلالة النور الاولى رأيت فانتي يفتح علبة سردين بسكين لا يبارحه. وفجأة توقف ووقعت العلبة من يده وسال زيتها على غطاء سريره. ومن الخارج سمعنا نشيداً عسكرياً بدأ خافتاً ثم ارتفعت نبراته... انهم الروس!
وصرختُ في زملائي: "انهضوا حالا من أسرتكم. ولنخرج الى العراء ليعرفوا أننا مشوهون."
وجلسنا على القش، خمسة رجال متداعين ألقوا ظهورهم على الجدار وفتحوا أعينهم نحو الباب. وانطلقت المسدسات في الممر وفتح الباب على مصراعيه استجابة لرفسة قوية.
ودخل رجل ضخم يلبس معطفاً من فرو أسود وقد شد حزاماً حول خصره علق فيه سيفاً معقوفاً. وتدلى عن جانبي أنفه الكبير شاربان طويلان. وحمل في يده مسدساً ايطالياً.
وصاح فينا: "أأنتم ألمان؟"
وأجابه تونينو: "كلا، بل نحن طليان."

ولم يجرؤ أي منا على التنفس. وتفرس الجندي فينا وبصق على الارض. ونظر الى جروحنا وهز رأسه الضخم وتمتم كلمات غير مفهومة. ثم صوب طلقتين من مسدسه الى السقف وصرخ: "طليان." وخرج صافعاً الباب.
وقال تونينو: "انه روسي. واذا لم يسحبنا خارجاً ويقتلنا، فان أحداً سواه لن يفعل." ونظر الي وأضاف: "أتريد شيئاً من السردين؟"
وكنت أمضغ لقمتي الاخيرة عندما فتح الباب مرة اخرى. ودخل هذه المرة رجل قاسي الملامح متوسط الحجم يرتدي بذلة سوداء. وحدق الينا ملياً وهو يصر أسنانه. ثم ابتسم قليلا وقال بلغة ايطالية مكسرة: "أصحيح أنكم طليان؟"
وأجابه فانتي: "نعم."
- حسناً. الايطاليون ليسوا كالالمان. فهم أقوى عاطفة وأشد احساساً!
وهززنا رؤوسنا معاً، كأنما شئنا القول: "انك لم تتفوه بعبارة أصدق من هذه."
وأضاف: "أنا مفوض سياسي في الجيش السوفييتي. ثقوا أن الروس لا يقتلون الاسرى. وهم يحترمون الجرحى والمبتوري الاطراف. أجل، انكم لن تموتوا، بل ستعودون يوماً الى بلادكم لتخبروا بني قومكم أن الروس شعب قويم. ابقوا هنا ولا تخافوا.... والى اللقاء."
وأجاب فانتي عنا جميعاً: "الى اللقاء."
وخرج المفوض الروسي ووقع خطاه يتبعه.
بقينا طوال ذلك الشهر طريحي

الارض في غرفتنا الصغيرة ونحن نفكر في ما عساه يكون المستقبل. ولم يكن الجيش الاحمر قرر بعد أن يأخذنا على عاتقه. الا أن العديد من المدنيين الروس عادوا الى شيرتكوفو. وكان بين اولئك نسوة حملن الينا الخيار والملفوف والخبز تحت ستراتهن المضربة.

كانت النساء متقدمات في السن وقد أخفين شعورهن تحت المناديل. ولم يتكلمن البتة، بل اكتفين بمد أيديهن الينا لنأخذ ما حملنه، كما هززن رؤوسهن بابتسام ليبعثن فينا الطمأنينة. لقد كن امهات، تشهد على ذلك طريقة نظرهن الى جروحنا بلا خوف ولا اشمئزاز. وكن، بعد تأديتهن ما جئن من أجله، يغادرن بهدوء وقد اختبأن ضمن معاطفهن المتسخة. ثم يقفن هنيهة عند الباب وينظرن نحونا قائلات: "الى اللقاء."

وذات مساء من يناير (كانون الثاني) فتح باب غرفتنا وبرز فيه ضابط من الجيش الاحمر. وأمر بنقلنا على حمالات الى مركز صحي، حيث غسلنا وحُلقت ذقوننا وأزيل القمل من شعرنا. وبعد ذلك أخذنا الى المستشفى الخاص بأسرى الحرب.

كان المستشفى عبارة عن ثكنة خشبية كالحة. وما فتئت الحمالات تأتي من المبنى المجاور وتعود اليه، وفيه أقام الروس غرفة جراحة. هناك كانت الاصابع والايدي والاقدام تستأصل من أجسام أصحابها، عضواً بعد آخر على نحو سريع، حتى أطلقنا على تلك الغرفة اسم "براد اللحوم". ان عذاب الآخرين لم يعد يعني لنا شيئاً. وأتت علينا اللامبالاة.

وكان المدنيون الروس يدخلون المكان بحرية وقد أخفى الواحد منهم تحت ثيابه رغيفاً يزن نصف كيلوغرام. ومن الممر حيث يصطفون، كانوا ينظرون نحونا ويشيرون الى ما يحملون. أما نحن فنذهب اليهم بحذر ويسأل الواحد منا أحدهم: "أتحب قلم الحبر هذا ايها الصديق؟".

وهكذا تتم الصفقة، فيعطي الروسي رغيفه ويأخذ في مقابله أي شيء: قلم حبر أو ساعة أو عقداً أو سواراً أو محفظة نقود أو خاتماً أو ولاعة أو سكين جيب أو زوج أحذية. وذلك، لعمري، مكسب أغلى ثمناً من رغيف أسود.

وأخيراً جاءت الاوامر بنقلنا الى مخيم خاص بأسرى الحرب. وفي صبيحة ٢٦ فبراير (شباط) الجليدية الدكناء، حمل بعضنا وظلع البعض الآخر الى محطة السكك الحديد القريبة. وانهالت أوامر الضباط الروس على رصيف المحطة: "بسرعة! اصعدوا الى القطار! اقفزوا اليه سريعاً."

وفي نصف ساعة أو نحوها، ملأنا قاطرات شحن القطعان التي غصت الواحدة منها بسبعين أو ثمانين رجلا. ومن حسن حظي أني صعدت الى قاطرة أقل ازدحاماً من سواها. هناك كنا نحو خمسين أسيراً ابيضت وجوههم كالطبشور. وما أن اصبحنا داخلا وصرّ الباب الصدىء حتى سمعنا رنين قفل وصوت جندي روسي يقول: "لقد أوصد الباب."

وكانت فوق رؤوسنا أربع كوى مشبكة يدخل عبرها نور ضئيل. وراحت عيوننا المئة تنظر بعضها الى

بعض بصمت، ولم يتحرك أي منا، لكن فانتي سرعان ما شق طريقه على رجل واحدة الى احدى الكوى، وأطل من بين قضبانها ليخاطب حارساً: "أيها الصديق، الى أين نحن ذاهبون؟"

وجاء جواب غير مبال من الرصيف خارجاً: "الى سيبيريا."

وأبقى توتينو فانتي رأسه هناك الى أن تحرك القطار أخيراً... في اتجاه سيبيريا!

بقينا ٢٩ يوماً نقطع السهوب الروسية في قطار شحن القطعان، واذ أتذكر تلك المرحلة من حياتي اليوم، لا يأتي الى ذاكرتي أكثر من ستة وجوه، الا أن حدثين يوميين لا يبارحان مخيلتي.

كانت حصتنا من الغذاء توزع قرابة الحادية عشرة يومياً، بعد وقوف القطار وسط السهوب الخالية. وكان الباب يفتح نصف فتحة، ويأتي اثنان من الاسرى يرافقهما حارس، ويفرغان كومة وسخة من الخبز الروسي العفن على أرضية القاطرة. وأحياناً كان يبلغ عدد الارغفة الخمسة، وهي من النوع الالماني الطويل الاسود، ويزن الواحد منها كيلوغرامين.

ويقتضي الانصاف القول اننا، في مناسبتين اثنتين، تسلمنا بعضاً من سمك الرنكة المجفف، والشحم المدخن.

والحق أن عملية توزيع الخبز كانت أهم احداث النهار، وهي عملية دقيقة. كان الخبز طعامنا اليومي الوحيد، وحصة الواحد منه ٢٢٥ غراماً. لذلك كنا ننظر وننتظر بخشوع تقطيع الارغفة خمسين كسرة. وكانت المشكلة الاولى التأكد من أن كل قطعة تأتي في حجم الاخرى، علماً



أن بعض الكسر يقتصر على القشرة وبعضها على الاطراف.

واختير تونينو فانتي مقسماً للخبز وأنا معاوناً له. وعلى رغم انتخابنا شعبياً فان الشعب لم يثق بنا اطلاقاً. وكانوا كل صباح يتحلقون حولنا، ثم ترتفع رؤوسهم، وعددها ثمانية وأربعون، كلما أعمل فانتي سكينه في رغيف. وكانوا يلاحقون يد فانتي بأنظارهم حتى خيل الي أن أعينهم هي التي تقطع الخبز، لا نصل السكين.

وكان تونينو، في الايام القليلة الاولى، يقدر حجم الكسر بالنظر. ولما أقررنا بأن العين البشرية تخطىء، أبدلنا طريقة التقدير بميزان. وكان الميزان بدائياً، صنع من قطعتي خشب علقت احداهما عمودياً بالاخرى من الوسط، وجعل للقطعة الافقية كفتان.

ووضعت في الكفة اليسرى القطعة الاساسية التي شذبت بدقة ليغدو وزنها ٢٢٥ غراماً. أما في الكفة الاخرى فكنت أضع كل قطعة يعطيني اياها تونينو، ثم اضيف اليها أو آخذ منها لتعادل القطعة الدقيقة وزناً.

وبرهن المتحذلقون بيننا أن تلك الطريقة لا تروقهم أيضاً. وأخيراً قر الرأي على الطريقة الآتية: يقطع الخبز ويوزن أولا، ثم تصف الكسر الخمسون على جدار القاطرة، وبعد ذلك يتم التوزيع: وهذه الخطوة الاخيرة كانت الاكثر طرافة، اذ اقتضت أن أتناول بكل يد كسرة وأضع يدي وراء ظهري، ثم يطرح تونينو على كل زميل، بحسب التسلسل الابجدي للاسماء، السؤال الآتي: "أي قطعة تختار: اليسرى ام اليمنى؟"

وكان الجواب يأتي بعد طول تأمل، كأنما نحن في مباراة دولية. وبعد ذلك نجلس للأكل بسلام وهدوء، على غرار النساك الممتنعين عن الكلام. وكان كل منا يعلك اللقمة حسناً، ويقلبها يمنة ويسرة في أنحاء فمه قبل أن يدخلها معدته. وهكذا كانت الوقعة، وقوامها كسرة خبز من ٢٢٥ غراماً لكل منا، تدوم لا أقل مما تستغرقه مأدبة في قصر باكنغهام الملكي البريطاني.

أما الحدث اليومي الآخر فكان يرافق نهاية كل "وقعة" ووشوك اغلاق الابواب. اذ ذاك كان يأتينا النداء الآتي من رصيف المحطة: "أهناك موتى معكم في القطار؟"

ومع الوقت فقد ذاك النداء وقعه علينا. ومع اشتداد جوعنا وعطشنا في تلك القاطرة المتسخة، وليس لنا سوى موقد صغير على الحطب يقينا صقيع سيبيريا، قوي لدينا الاعتقاد أن ثمة باباً واحداً يفصل الاحياء عن الاموات. وكانت بعض القاطرات أقل حظاً من الأخرى. والحق أن قاطرتنا، التي شهدت وفاة رجل واحد طوال ٢٩ يوماً، كانت من القطارات السعيدة. الا أن المغضوب عليها كانت أكثر عدداً. ولم ينقض صباح واحد الا مع وفاة أربعة رجال أو خمسة ودفن جثثهم في مقبرة جماعية حفرت بسرعة قرب السكة. وكنا، من كوانا الصغيرة، ننظر الى الرؤوس الممرغة بالتراب والحجار فيما تجر الجثث الى مثواها الأخير ككلاب مسعورة قتلت بالرصاص. وبعد وضعها في الحفرة كان التراب يهال عليها بالمجارف.

وكان الهالكون، معظم الاحيان، يدفنون عراة، وأحياناً في قمصان قطنية ولكن من غير بزات أو شارات عسكرية.

وكنا نحدق مذهولين الى كومة التراب التي ترتفع قليلا ثم تغور وسط سهوب لا تنتهي. وربما عبرت الفكرة نفسها أذهاننا آنذاك، وهي أسفنا لاولئك الرجال يموتون ويدفنون في أرض غريبة بعيداً عن بلادهم وأحبائهم.

مستشفى في سيبيريا

بلغنا منطقة شوميخا في ليلة قاسية البرد في أواسط شهر مارس (آذار). وكنا عانينا الأمرين، جسديا ونفسياً، على أثر ٦٩٦ ساعة أمضيناها في القطار، وكادت عظمانا ان تخرج من جلودنا. وأتى علينا الخوف وبتنا سريعي الغضب. أما اللحى التي نمت على وجوهنا فاحالت أسفلها أقنعة سوداء. وغلفتنا القذارة وغزت جحافل القمل شعورنا واجسادنا وثيابنا. ولم يبقَ من طريقة لقتلها سوى الشد عليها بين ظفرين.

أما شوميخا فهي بلدة صغيرة جنوب سيبيريا، تنتمي الى السهوب الشرقية المنحدرة من جبال الاورال. ولم يكن من طريق تؤدي إليها أو منها سوى معابر للمشاة ضاعت وراء خط القطار.

ولما فتحت أبواب قاطراتنا أخيرا، كانت الحرارة خارجا ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر. ولم يقو أحدنا على الخروج إلا بعدما انتابت حارسا أوكرانيا نوبة غضب وانهال علينا بالصراخ. وكنت وفانتي، وكلانا برجل واحدة، بين الذين انتظروا حتى النهاية. وأعاننا أكبر أفراد فريقنا سنا، وهو جوزف بريتي، ذو العينين المشرقتين والبشرة النضرة. وفيما نحن نظلع نحو رصيف المحطة، أشار الحارس الى عربتين يجرهما حصانان اوقفتا هناك، وقال انهما للمبتوري الاطراف. وكانت المسافة بيننا وبين العربة ٢٥ مترا، غير أن الخطى الاولى في صقيع سيبيريا تمت ببطء ومشقة.

وقال لي بريتي: "أسرع وإلا فقدت رجلك الاخرى." ووضع ذراعه على صدري ليسندني وأنا أقفز. ثم ساعدني لتسلق إحدى العربتين. وما أن أصبحت فوق حتى لذت بزملائي طلبا للدفء. ولكن حتى ذلك لم يكن كافيا لدرء الصقيع. فقد اجتاحت الريح الجليدية أمعاءنا. وفي ثوان معدودات استحال جلدنا قاسيا وأزرق. وسالت دموع الالم من جروحنا المفتوحة، كما من جلدنا المجلد وأعيننا.

وقال تونينو فانتي للحارس، "بربك دعنا نذهب من هنا." وأضفنا صراخنا الى صراخه. وربما أثارت وجوهنا الصفراء كالموت عطف الحراس فاحصونا سريعا وأمروا الحوذي بالانطلاق. واذا بنا وسط شوارع البلدة غير المضاءة. وكان عسيرا تخيل اناس "حقيقيين" نائمين في تلك المنازل الصغيرة المعتمة. ولم نلبث حتى توقفنا خارج مبنى كبير من خشب. وترجلنا وقفزنا الى الداخل. وهناك استحممنا تحت

وشل من الماء الفاتر. وبعد إزالة القمل من أجسادنا، أجري لنا كشف طبي سريع، ثم أخذنا الى بناية من طبقتين هي مستشفى الاسرى في شوميخا. وظهرت، بحجارها الامامية من الآجر الاحمر، كقلعة ملطخة بالدم وسط السهوب وبين المنازل الخفيضة.

وسمح الروس للاصدقاء أن يبقوا جنبا الى جنب. ووجدتُ، مع فانتي وبريتي وآخرين، مأوى لنا في غرفة كبيرة في الطبقة الارضية خالية من الاسرة. وكانت تحوي فرشا من قش، غطيت كل منها بحرام خشن ولحاف محشو قشا. وكان في الغرفة نافذة صغيرة يدخل عبرها النور.

لم يكن ذلك بالمكان الانيق المريح، لكنه المكان الاول، منذ القبض علينا، نسند فيه رؤوسنا الى وسائد حقيقية ألقيت على جدران حقيقية. وكان ذلك مكسبا عظيما، يضاف إليه حصولنا على أربع حصص من الطعام يوميا، وإن لم تكن أي منها تشكل وقعة تامة.

ففي التاسعة صباحا، كانوا يحملون إلينا أكوابا من الشاي الروسي القوي مع ٤٥٠ غراما من الخبز الاسود لكل منا. وفي الحادية عشرة والنصف كان يأتينا حساء الملفوف المخلل مع مغرفة كاشيا، وهي عنصر غذائي روسي مصنوع من دقيق الذرة أو الرز ومطهو بشحم الجمل. وكان الروس يضيفون الى الكاشيا كتل اللحم المسلوق. غير أننا لم نذق طعم اللحم سوى مرة في الاسبوع. وفي الرابعة كانوا يأتوننا بفنجان آخر من الشاي، يتبعه في السابعة طبق آخر من حساء الملفوف المخلل.

ويبدو أن أحدا منا لم يحب ذلك الحساء بورق الملفوف الطافي فوقه. وكنا دائما نعد الاوراق، فلا تتجاوز العشر أو الاثنتي عشرة. وكانت رائحتها الكحولية القوية تقلب أمعاءنا. لكن حسنتها السخونة.

وجاءنا نبأ جعلنا ندرك كم نحن محظوظون. ففي أواخر مارس (آذار) أخبرنا حراس السجن بما حل بزملائنا الآخرين الذين ركبوا قاطرات القطعان من شيرتكوفو. فقد تركوا في القطار المتوقف في محطة شوميخا لأن مستشفى البلدة هو من الصغر بحيث لا يستوعبهم جميعا. وتحت أثر البرد الشديد أتى عليهم داء التيفوس وحصدهم كلهم.

ولم يعطنا أحد الرقم الحقيقي للقتلى. ولكن يبدو أن ثلث الاسرى الايطاليين قضوا من جراء ذلك الحادث. وكان من أثر ذلك النبأ أن انقسم نزلاء غرفتنا فريقين متضادين، يقول أحدهما ان الروس لم يفعلوا شيئا لمنع انتشار المرض، بينما يقول الآخر ان الروس أنفسهم هم الذين سببوا الوباء. وفي أي حال، ربما عجز الروس عن رد المرض إما لأنه فاجأهم وإما لأن الحرب حجرت مشاعرهم الانسانية. ويجب ألا ننسى أن الروس قَدَريون بطبيعتهم.

سحب الملفوف المخلل

نحو منتصف شهر مايو (أيار) غدا الصقيع السيبيري أخف حدة والحياة أسهل. وفي العشرين من ذلك الشهر ربت الطبيب الروسي ظهري علامة الصداقة. وهو كاد يرميني أرضا، إلا

أن الصداقة الروسية تعبر عن نفسها هكذا. وابتسمت له ورحت أقفز على رجل واحدة كالنغارو.

وصاح الطبيب: "انتظر." وذهب الى عيادته ثم عاد ومعه عكازان جديدان، لكل منهما سناد مبطن بثوب رمادي اللون. وقال: "خذ هذين العكازين اللذين أتمنى أن تذهب بهما الى وطنك صحيحا معافى."

ونظرتُ الى عينيه، وقرأ شعوري من غير مواربة حين شاهد الشكران في عيني لا للعكازين بمقدار ما هو لكلماتــه الانسانيــة العميقــة، وهــي الاولى من نوعها أسمعها من شخص روسي وتــرد فيهــا عبارات الوطـن والصحة والعافية.

وفي اليــوم نفســه تلقــى تونينــو عكازين هو الآخر. وكانا أجمل من عكازي انا وأكثر ملاءمة، إذ كان عكازاي أطول من المطلوب.

وسألته: "كيف حصلت عليهما؟"

فأجاب: "إن لي سحرا أفرضه على الممرضات. ففي هذا المكان، يا صديقي، هناك أمران مهمان: كونك ايطاليا، خصوصا إذا كان منظرك كمنظري، ومعرفتك الروسية الى حد. وبهذين الرصيدين أستطيع كل شيء بواسطة الممرضــات، فأغازلهــن أو أغمزهن أو اغني مقطعا من احدى أغاني نابولي الشهيرة لديهم، ثم امطرهــن بــوابــل مــن الاكــاذيــب، فتمطرنــي السمــوات عصيــا أتكــىء عليها والكثير غير العصي..."

وبقي يتكلم دونما انقطاع بلهجته الغريبة المهجنة، وهي خليط من لهجة روماغنا حيث ولد ولازيو حيث عاش. وأصغيتُ إليه باعجاب بعدما سمعت صوتا خفيا وراء كلماته المتلاحقة وهزله غير المرتبك وتعابير يديه الجنوبية، ألا وهو صوت الامل. والامل ذاك كان مفتاح شجاعتنا.

ومع تحرر حياتنا في شوميخا من بعض قنوطها، انتقل حديثنا من حياة السجن الى موضوعات أخف وطأة، كالأفلام والكتب والرياضة والنساء، والطعام. ويمكن القول ان بديهتنا أخذت تطغى على جوانب حياتنا المظلمة. وفي غياب البديهة لا يبقى شيء مستطاعا.

صحيح أن طعامنا كان حقيرا. غير أننــا ابتكرنــا "شرائــح الملـفــوف المخلل"، وهي لعبة سهلة التنفيذ، وجل ما تقتضيه أن يقدر المرء عدد أوراق الملفوف الطافيةَ في صحن تيزيو اليوم وفي صحن كايو غدا وصحن سمبرونيو بعد غد. وكان كل منا يختار رقما لا يتجاوز الـ١٥، يدون الى جانب اسمه. وما أن يصب الحساء حتى يتولى فانتي عد الأوراق.

ولنقل ان العدد الصحيح في صحن من وقعـت عليـه القرعــة هو ١٠. هــذا يعني أن كل من اختار الرقم المذكور يمكنه إضافة الى صحنه، أن يشرب مقدار مغرفة من قاع الطنجرة الغني بالخواص، مع قطعة خبز إضافية. وذلك كان منّاً من السماء ينزل في أحشائنا على الرحب والسعة.

التخرج في المستشفى

هكذا أعانتنا الاحاديث المسلية والطعام الافضل وجريدة الحائط التي ابتكرناها وصفــوف تونينــو فانتــي المضحكة في مبادىء اللغة الروسية على تمضية الوقت حتى في شوميخا.

وفي نهاية سبتمبر (أيلول) جاءت الاوامر بنقلنا · فالصيف لا يدوم طويلا في سيبيريا، ومعظمه بات وراءنا · وكانت السماء تحمل رائحة الثلج، فيما أشجار البتولا ذات القضبان تنحني لأقل الرياح الشمالية · وعلى أبراج المراقبة كنا نرى الحراس يضرب بعضهم أكف بعض وقد غلفوها بالقفافيز طلبا للدفء ·

وانطلقنا من معتقلنا، أولا في القطار ثم في شاحنات · وبعد وقوف قصير في نقطة لجمع أسرى الحرب في جوار كاراغندا، على الطرف الجنوبي لسلسلة سهوب كيرغيز، تابعنا طريقنا نحو باختا ـ آرال في اوزبيكستان ·

وبعد ثلاثين يوما من السفر في شاحنات القطعان ذات الرائحة الكريهة ، شل الألم عضلاتنا وعظامنا وسحقت نفوسنا في داخلنا · ثم انحرف خط الاسرى الطويل نحو الجنوب الروسي الواسع المليء بالغبار، ومشوا مجهدين على الضفة اليسرى لقناة واقعة ضمن جدارين من الاسمنت المسلح، يرتفع الواحد منهما ثلاثة أمتار · وقد بنيت تلك القناة لري منطقة شبه قاحلة، تزرع فيها الحبوب وأشجار القطن · وكانت قوافل الجمال تعبر بين الفينة والاخرى، وقد امتطى بعضها رجال من الاوزبيك ذوي الوجوه العريضة والبشرة الصفراء، وحمل بعضها الآخر بالات من القطن ·

كان ذلك في شهر فبراير (شباط) ١٩٤٤ · وعلى رغم حدة الطقس، إلا أن الربيع أشبع الهواء وفاحت رائحته من العشب الدافىء · وبقينا نتبع القناة بتعرجاتها · وقال لنا الحراس ان طريقنا تؤدي الى مجموعة معتقلات أقيمت في منطقة باختا ـ آرال · وما لبث الطابور أن توقف عند الجسر الاول على القناة ·

وجعلنا الروس في خمسة صفوف، قادوا أربعة منها عبر الجسر · أما الصف الخامس، وأنا منه، فقد تابع سيره المجهد في محاذاة القناة · وراح كل منا يصيح في الآخر: "أهلا وسهلا · " إلا أن الارهاق كان أقوى من تأسيس الصداقات في تلك اللحظة · ومن حسن الحظ أني وفانتي ما زلنا معا ·

وقال لي: "أنت وأنا أسيران توأمان · "

وأخيرا، بعد مسيرة ثلاث ساعات، صرخ أحدهم: "هذا هو المعسكر · " وجاء صوته كأصوات مرافقي كولومبوس لدى اكتشافهم اليابسة ·

وتوقفنا خارج بوابة المعتقل · وظهرت خلف الاسلاك الشائكة وجوه ألمانية، كانت عشرة ثم ارتفعت الى عشرين فالى خمسين · وقد ارتدى اصحابها بزات نظيفة وأنيقة، ولاحظنا أنهم لم يغفلوا تعليق الشارت والاوسمة ·

وتساءل تونينو: "كيف يمكن أن يحدث هذا؟" وقفز عبر الاسلاك الشائكة وفتح حديثا مع مجموعة منهم · ثم عاد ليخبرنا ما سمع: "انهم المان كانوا في ستالينغراد · وقد سمح لهم الروس بالمحافظة على شاراتهم وأوسمتهم وكل ما له علاقة ببزاتهم العسكرية · · · "

ـ وكذلك أكياس المؤونة الميدانية؟

"أجل، هذه أيضا ."

وسرعان ما سرى الخبر في صفوفنا . وسمعت حولي أصواتا تبينت فيها خدعة وشيكة. وتمتم تونينو، كأنما هو يتكلم الى نفسه: "لا شك في أني أود رؤية ما تحويه هذه الاكياس."

مزحة اكياس ستالينغراد

فتح الروس الابواب وهرعنا كما القطعان الى حظيرة. وبينما وقف الحراس ينادوننا بأسمائنا، ظهر آمر المعسكر، وهو ضابط في الجيش الأحمر متوسط السن ضئيل الجسم.

وقبل إلقاء كلمته فينا، أرسل المسؤول الروسي في طلب الضابط الالماني الذي أنيط به الاشراف على النظام داخل المعتقل. ووصل هذا بسرعة في مظهره المعصوم عن الخطأ، وقد ارتفعت سترته العسكرية حتى بلعومه وعلق شاراته على كتفيه وأوسمته على صدره، والتمع حذاؤه كمرآة. وضرب الارض بعقب قدمه وحيا . ورد الآمر التحية، فوقف الضابط الالماني على نحو طبيعي.

واستهل الآمر خطابه،وهو موعظة تقليدية حول النظام والمهمات التي تنتظرنا في حقول القطن والفاشية التي جرتنا الى وضعنا الحالي البائس وامور اخرى.

وخلص بالآتي: "تذكروا هذا الامر حسنا: انكم في هذا المعسكر تحت إمرة ضابط ألماني، وعليكم أن تمحضوه طاعتكم العمياء."

وما أن غادرنا الآمر الروسي حتى قرر الضابط الالماني أن يؤوينا جميعا في قبو واحد كبير، حيث كان الاسرى الالمان يحتلون الاسرة العالية. وهذا يعني أن على الاسرى الطليان النوم في أسرة الطبقة الدنيا، حيث يسقط الغبار والقش من فوق باستمرار.

وكان الالمان فوقنا ينامون على فرش من قش، وقد وضع كل منهم صرته الميدانية وسادة تحت رأسه. وظهرت تلك الوسائد واضحة لأعيننا من بين ألواح الخشب التي تفصل الطبقتين.

وبمشاهدتنا تلك الاكياس المنتفخة، طرأت للعديد منا، وربما لمعظمنا، الفكرة الآتية: "الألمان لديهم كل شيء، ونحن لا شيء لدينا. والواقع انهم يبذلون كل ما في وسعهم لتعسير امورنا. ولقد حان الوقت لتحصيل شرفنا الضائع."

وهكذا امتدت الايدي الرشيقة تلك الليلة، بما فيها من خناجر ومدى، الى الصرر وأعملت فيها حزوزا صغيرة أخرجت عبرها المقصات والمبارد والولاعات ومحافظ علب السجائر ومعدات الحلاقة والصابون وسواها من الاشياء الصغيرة. ووصلت الايدي الموهوبة عميقا واستخرجت الملابس الداخلية وكنزات الصوف والجوارب والمناشف والمناديل. وبدت صرر الالمان ضروع أبقار تحلبها أيدي الطليان.

إلا أن العمل كان بطيئا وشاقا. والى ذلك، كان ينطوي على خطر تنبيه الالمان الى ما يحصل مع هبوط الوسائد تحت رؤوسهم. لذلك انطوى العمل على مقدار عظيم من الدقة والبراعة، لا يقل عن دقة الجراح وهو يشق بطنا. ودامت العملية ساعة كاملة، كانت خلالها طيوف الحراس

تتحرك باستمرار في أرجاء القبو.
وأفاق الالمان صباحا ليجدوا رؤوسهم تتكىء على أكياس فارغة. وانهالت الشتائم واللعنات على الفور. غير أننا انتظرنا ولم نتفوه بكلمة واحدة.

وبدا واضحا كالشمس أن مقترفي ذلك الفعل الشنيع كانوا اولئك القابعين في الاسرة الدنيا. وأدرك الروس حقيقة ما حدث عندما دعاهم الضابط الالماني المكلف بالنظام. إلا أن التفتيش الفوري أظهر أن أحدا منا لا يحمل أو يخفي سلعا المانية. أين هي، إذا، الاشياء المنهوبة؟

وأخرجنا من القبو لتمشيطه على نحو أدق وأتانا ضابط شاب ضعيف الجسم وقال ببراءة شجاعة: "أتأتون بما سلبتموه فورا، أم تذهبون الى الداخل؟"

ونظر أحدنا الى الآخر من هول تلك الكلمة. فالداخل يعني الزنزانة... أيعقل وضع خمسين شخصا ضمن زنزانة؟

وكان آمر المعسكر أشد عنفا إذ قال: "إلى أن تظهر كل السلع المسروقة،سيقصر طعام الطليان على وقعة واحدة من خبز وماء."

تلك كانت صفعة قاسية. غير أن قلوبنا بردت لدى إدراكنا أن آمر المعتقل، وهو روسي يكن مشاعر معادية للألمان، لم تضايقه مزحة نهب الاكياس حقا. وقبل أن ينقضي النهار غسل يديه من المسألة وقال: "ستبقون أياما ثلاثة على وقعة الخبز والماء، نرى بعدها ما نقرر."

وعند انتهاء أيام الصوم الثلاثة عاد طعامنا كما كان، وأيقنا أن الآمر لم يقصد أن ينفذ تهديده. ولم يدر في خلده ـ أو ربما بدا لنا الامر هكذا ـ أن يأمر رجاله تفتيش ميازيب الماء المنتفخة تحت سطح القبو. ومن حسن الحظ أن المطر نادر في باختا ـ آرال. وقبل انقضاء الشهر كان أسرى الحرب الايطاليون يحلقون ذقونهم بالشفرات الالمانية.

مدير فني مرتجل

في باختا ـ آرال أرسل جميع الرجال القادرين جسدياً الى حقول القطن. وكانوا ينطلقون مع طلوع الشمس ويعملون النهار كله، متناولين حصتهم من الطعام في الحقل، ثم يؤوبون نحو الخامسة منهكين وقد رزحت أجسادهم تحت وطأة الارهاق.

وكان الارهاق نتيجة لاستحواذ فكرة "مقياس العمل" على عقول الروس. وبالمقياس عنوا الحد الادنى من الحصاد الذي يؤهلنا للحصول على الطعام والعناية من لدنهم.

أما الاسرى المرضى فمكثوا داخل المعتقل، ينظفون المكان ويصنعون فرعات الاحذية النسائية. وكان ذلك عملا مملا، لم أستطع اتقانه البتة. بل خرجت جميع الاحذية من بين يدي اما منحرفة واما غير صالحة قياساً، وهي لا تلائم حتى أقبح الاقدام. لكن اخفاقي لم يكن مبعث قلق بالنسبة الي لولا نقد المراقب الروسي المستمر واشارته الى اني أفعل ذلك عمداً من أجل التخريب.

وذات يوم، وهو يتذمر كالمعتاد، سمعتني أقول: "اصغ يا صديقي: اني لا أخرب شيئاً على الاطلاق. وثق أن هذا العمل يتجاوز معرفتي ويختلف

تماماً عن اعدادي المهني. فأنا فنان، ولست صانع أحذية."
- فنان؟
"أجل، فنان اذاعي." قلت هذا لأستر كذبتي، وتابعت: "والفنان لا يستطيع صنع الاحذية ... والمهم الآن أن يعرف الآمر بالمسألة."
وبعد عودة الاسرى من حقول القطن قرابة السادسة مساء، استدعيت الى مكتب الآمر الذي نظر من وراء طاولته بابتسامة مدروسة وقال وأنا واقف أمامه: "اذاً لا يمكنك صنع الاحذية لانك فنان... أهذا صحيح؟"
- نعم يا سيدي.
"حسناً! أتعزف على الغيتار؟ "
- كلا، بل أقرع الطبول. ألديكم طبول هنا يا سيدي؟
ولحسن حظي أني اخترت الآلة المناسبة، أي تلك التي لا وجود لها في المعسكر. وتابعت وقد قواني النجاح: "الواقع يا سيدي ان المسرح هو اهتمامي الفني الاول. فأنا اغني وأكتب الاسكتشات. وهذا، في ايطاليا، يعد الكمال الفني بعينه."
وسأل: "حسناً! ما تظن أنك تستطيعه هنا؟"
- في امكاني تنظيم عرض متنوعات للاسرى كل يوم أحد، كذلك لرجالك يا حضرة الآمر اذا شئتم ذلك.
وبقي الآمر برهة لا يعرف ماذا يقول. وراح يسكب لنفسه ببطء كوباً من شراب الفودكا. ثم قال: "فنان... حسناً.... اذاً لنجرب الطريقة الآتية: أنا أزودك بغيتار وآلة بلالايكا، وأنت تجمع المغنين والموسيقيين وتنظم حفلة ليوم الاحد. فاذا كانت ناجحة، أعتقتك من مصنع الاحذية. واذا كانت سيئة فاني سأضعك عندئذ في الثلاجة! أتوافق؟."
- أجل، أوافق. وأشكرك يا سيدي الآمر.
وحييته وسرت نحو الباب. الا أن صوته تبعني: "احرص على أن تكون الاغاني من نابولي."
ان الروس لا يدخرون فرصة للتباهي باطلاعهم على حضارة الغرب. أما معرفتهم ايطاليا فتقوم على عناصر أربعة: الفن والاوبرا وغاريبالدي وأغاني نابولي. ومن هذه الاربعة، يحبون غاريبالدي، ربما لقميصه الاحمر، لكنهم يعشقون أغاني نابولي. ومرد ذلك الى ألحانها أولاً، ولكن كذلك الى ذكرها الشمس والمدائن البيض المتألقة على شاطىء البحر. والشمس، بلا شك، هي شمس ايطاليا الكريمة التي لا تشرق على فلاديفوستوك أو مينسك.
تم اتفاقنا يوم خميس. وللحال باشرت البحث عن موسيقيين، وهذا ليس بالامر العسير في جيش يعزف ثمانون في المئة من جنوده على آلة الهارمونيكا أو الغيتار. الاصعب من هذا كان اختيار الموسيقيين. فليس من السهل أن نقصد رجلا أمضى عشر ساعات في حصاد القطن ونسأله: "أتعطينا اغنية؟" غير اني، بمساعدة فانتي، اقنعت الزملاء المؤهلين بأن نجاحنا الفني من شأنه اعتاقنا من الاشغال الشاقة: "ان الروس يضعفون أمام الفنون. ومن يدري ما قد يحدث اذا نحن استطعنا النجاح والتأثير عليهم؟ "
ويبدو اننا اتبعنا المنطق الصحيح.

وكان لصلواتي ولالحاح فانتي أكبر أثر في الاتفاق مع مغنين من نابولي، واستهللنا وضع برنامج على الفور. وأعد فانتي لوحة اعلانية مزخرفة وأضاف اسمه اليها، لما له من شهرة شعبية، كمشرف على نظام المسرح. وما أن جاء الاحد حتى كنا كلنا على أتم استعداد للافتتاح الكبير.

وفي الثالثة تماماً دخل الآمر، يتبعه ضابط الصف المسؤول عن نوبات العمل، مع عدد من الحراس وعشرة مدنيين من رجال ونساء. وكانوا كلهم، بمن فيهم الآمر، يحملون الكراسي الصغيرة.

وأخذ فانتي على عاتقه مهمة مدير التشريفات، وحيا الزوار ثم سأل الضابط: "سيدي الآمر، أين تريد أن نضع خشبة المسرح؟"

ونظر الآمر حوله ثم أغمض عينيه نصف اغماضة بفعل شمس ابريل (نيسان) وأشار الى جدار القبو وقال: "هناك."

وأجابه فانتي بشهامة: "عظيم يا سيدي الآمر."

وجاء دوري للكلام فقلت: "اجمع الاسرى يا تونينو."

ـ بمن فيهم الالمان؟

"أجل، اذا شاؤوا المجيء."

لكنهم لم يشاؤوا. وهكذا كان معظم الحضور من الاسرى الطليان.



وأعطى الآمر كلمته، وبدأ العرض المسرحي في باختنا ـ آرال.

افتتحت الحفلة بمناجاة هزلية قصيرة، لكنها، كما أظن، بليغة وزاخرة بالقوة. ثم أدى المغني النابوليتاني الاول، موناتشيلا، اغنيتين: "او سولي ميو" و"سانتا لوتشيا". وتبعته بمونولوغ شعري حزين. وأدى المغني الآخر سكوغنا ميغليو عرضاً قصيراً، تلاه بأغنية "او زابوتوري." وختم موناتشيلا الحفلة باغنية ذات لحن متنوع من خليج نابولي.

واستمر العرض ما يزيد على ساعة. والحق أن الحفلة كلها لم تحو ما يستحق الكتابة عنه الى أهلنا وأصدقائنا في الوطن. الا أني ما زلت أتذكر شيئاً مهماً منها.

حدث ذلك عندما افتتح موناتشيلا وفرقته اغنية "او سولي ميو"، محافظاً على أدق التفاصيل المتعلقة بالتنهدات وتوقيع النغمات التي يحرص عليها أهالي نابولي في تأدية اغنيتهم المفضلة. واذ ذاك نهض المدنيون الروس معاً على أقدامهم احتراماً لحسن الاداء، وظلوا هكذا حتى انتهاء الاغنية، مما أذهل الايطاليين. وربما ظنوا أنهم يستمعون الى نشيد مملكة نابولي القومي.

رجل عصامي

في نهاية شهر مايو (أيار) ١٩٤٤ بدل الروس سياستهم تجاه أسرى الحرب. وولت الأيام التي شهدت مناكفات بين الايطاليين والالمان.

ولا يستبعد ان يكون معسكرنا أحدث اثره في القرار الروسي. وكان الشجار ينشب يومياً بيننا وبين الالمان، ويستخدم فيه كلا الطرفين قطع الأثاث. وتنتهي المعارك وقد لويت مفاصل أصابعنا وجرحت رؤوسنا ورضت أعيننا وأنوفنا.

ولم ندر ما الذي حدا الروس ذات صباح على اخراجنا نحن الخمسين مع أمتعتنا من القبو وصفنا في محاذاة الاسلاك الشائكة استعداداً لنقلنا الى مكان آخر. وكان الوداع بيننا وبين الالمان قبيحاً.

ووجدنا أنفسنا نقطع الطريق التي جئنا عليها قبل ثلاثة أشهر. غير أننا، هذه المرة، لم نشعر بوطأتها. فعندما يمشي المرء وسط الحقول الواسعة في صبيحة يوم من مايو (أيار) وتحت شمس قوية ويشم النسيم المشبع برائحة السنديان والمياه الجارية ويسمع حفيف الاوراق في كل مكان حوله وتختفي الاسلاك الشائكة كلياً عن أنظاره، ترتفع معنوياته ويرقص قلبه في داخله. واذ ذاك يفارقه قلق السجن وتغمره حاجة الى الغناء.

وهكذا بدأت الاصوات ترتفع. لا، لم تنطلق الحناجر كلها بأغنية واحدة. لكن كلا منا اختار الاغنية المحببة في منطقته. وفجأة ارتسمت خريطة ايطاليا على مياه القناة الجارية بالقرب من باختنا ـ آرال، صاعدة من ألحاننا المتقاطعة.

وكان معسكرنا الجديد قريباً من هناك. وهو لم يكن بديع الجمال، لكنه بدا على هيئة قرية بمنازله البيضاء الصغيرة المتناثرة هنا وهناك والتي اقيمت على مقربة من القناة.

وأضاف الجسر المتحرك، المبني من الواح خشب ذات عقد طبيعية، جواً ساحراً على المكان.

وتابعنا مسيرتنا أمام أجنحة النوم والمستوصف والمطبخ والمراحيض والمشغل وغرفة الحرس قبل أن نتوقف. وفي انتظار عملية عدنا، وقفنا ننظر الى معسكرنا الجديد وجواره. وفجأة انصبت أنظارنا على مكان واحد. فالى جانب المطبخ كان هناك كوخ متداع لا يتجاوز المترين ونصف متر طولا ومثلها عرضاً، وقد علقت اشارة تحمل كلمة ايطالية على بابه المكسور. والكلمة تعني: "حداد".

وسرعان ما عرفنا أن ذلك الكوخ يخص شخصاً من نابولي، وسأسرد قصته تماماً كما رويت لي: هذا الرجل، واسمه فينتشنزو، كان جندياً في فرقة مشاة تورينو. وقد عمل في حقول القطن بحماسة منقطعة النظير، لكنها أمر طبيعي بالنسبة الى أهالي نابولي. وفضلا عن حماسته الفطرية، كان رأسه مستودعاً لا ينضب للافكار العميقة.

وفي ليلة من شهر مارس (آذار) نهض فينتشنزو من سريره ورفع كميه واختلس أربعة الواح خشب، متوخياً ألا يحدث أي صوت، ثم غادر المهجع وبنى كوخاً لنفسه.

وعلق الاشارة التي تحمل عبارة "حداد" فوق الباب، بعدما خط الكلمة ببراعة. واستخدم ما بقي له من خشب لبناء طاولة صغيرة أمام الكوخ. وفي السابعة صباحاً، عندما بدأ الاسرى يصطفون استعداداً للذهاب الى حقول القطن، جلس صاحبنا على طاولته.

وكان الضابط الروسي المسؤول عن نوبات العمل حديث السن قليل الخبرة. ورفع نظره الى الكوخ الذي لم يكن قائماً في اليوم السابق، والى فينتشنزو الجالس أمامه.



ولم يزعجه الكوخ أول الامر. فالاكواخ تأتي وتذهب لاسباب شتى. كذلك لم تزعجه الكلمة التي لم يفهم معناها. لذا ركز نظره على فينتشنزو وصاح: "انهض على قدميك، وانضم فوراً الى نوبة العمل."

وأجاب الايطالي برصانة: "لا أستطيع. ومن الآن فصاعداً لن أذهب البتة الى حقول القطن."

واذ فوجىء الضابط الشاب بجواب يسخر من جميع القوانين المعروفة، تابع كلامه: "ماذا تقصد قوله؟ أأنت مريض؟"

– وهل تظن أني أحتاج الى المرض أيضاً؟

"اذاً ما الامر؟"

– ألم تقرأ العبارة فوق الباب؟

"وما الذي تعنيه العبارة؟"

– ألا تستطيع قراءتها؟

"قل لي ماذا تعني."

– حداد.

"اذاً؟"

– اذاً من اليوم فصاعداً، ستؤوي الجياد هنا.

"لكن الجواد الوحيد في المعسكر هو جواد الآمر."

– ألا تدري أن الخطوة الاولى هي أصعب الخطوات؟ ثم لا تنس أن هذه الخدمة لم تكن مؤمنة في هذا المكان قبل اليوم. لكنها ليست الخدمة الوحيدة التي أستطيع تأديتها. فمنذ اليوم سآخذ على عاتقي تصليح جميع أقفال المعسكر.

"أقفال؟ لا أقفال البتة لهذا المعسكر."

– هذا خطأ. يجب صنع أقفال.

وضاق الضابط الروسي ذرعاً بما يسمعه. وربما اكتشف أن الرجل الايطالي يحاول الكذب عليه وخداعه بالاعيبه المهنية. وفي محاولته العثور على مخرج تابع فينتشنزو: "ألا ترى، يا سيدي، أنه بعد ابرازي هذه الخدمات الى حيز الوجود، لا يجوز أن أضيع وقتي وأوقات الآخرين في حقول القطن؟ ان مستقبل معسكرنا معقود على هذا الكوخ."

– وماذا في الداخل؟

"لا شيء. لا شيء اليوم. ولكن انتظر حتى الغد ..."

– ما الذي تزمع على فعله غداً؟ أتريد أن...

"أجل."

في تلك الاثناء كان جميع الاسرى قد اصطفوا استعداداً للانطلاق. ووجد الضابط أن عليه اتخاذ قرار سريع. فقال: "حسناً. يمكنك البقاء هنا اليوم. لكنني سأرفع المسألة الى الآمر."

ومهما يكن من شأن اقتناعه أو عدمه، فقد فضل الضابط الروسي ابقاء المسألة حيث هي. وفي أي حال، للآمر وحده حق اتخاذ القرار.

وبما أن الآمر محض حصانه الحب كله، فقد حل الأمر بسهولة. وهكذا غدا الدون فينتشنزو من نابولي حداد المعسكر المطلق الصلاحية.

"ميداغليا"

كنا خمسمئة أسير ايطالي في المعسكر ٣/٢٩، وكنا كلنا نطلق على الآمر اسم الكولونيل ميداغليا. واذا كان له اسم حقيقي، فأني لم أعرفه البتة. وقد دعوناه "ميداغليا" لأنه نال ميدالية بعد خوضه الحرب على

جبهة اوكرانيا. وتذهب الرواية الى أنه حصل على الوسام بعد معركة خاضها ضد الفرقة الايطالية وخلفته جريحاً لا يستطيع القتال مدى حياته.

ولم يقل ميداغليا كلمة عن الأمر. ولكن بدا لنا أن تلك الاشاعة لم تكن عارية من الصحة لأن ميداغليا، كلما سمع ضباطه يتحدثون عن الجيش الايطالي، كان يقول: "الايطاليون؟ انهم فنانون وليسوا محاربين... باستثناء فرقة بيرساغلياري،" وهي الفرقة التي خاض المعركة ضدها.

وبدا ميداغليا، ذو القامة الطويلة والوجه الجاف الخالي من العاطفة، أقرب الى اللورد الانكليزي منه الى الجندي، بعدما أضفت عليه بزته التي صنعها خياط أسير من صقلية الكثير من الوسامة والاناقة. كما جعلته مشيته الرزينة يشبه الاشراف الانكليز.

وكان ميداغليا يعشق المسرح. وما أن أعلم أن بين الاسرى الوافدين حديثاً فرقة فنية حتى استدعاني وقال: "اننا نود، في المخيم ٣/٢٩، أن نقيم حفلة فنية من وقت الى آخر. ولكن من الافضل ان تأتي البادرة من..."

ـ لقد فهمت يا سيدي الكولونيل. ولكن أتريد مسرح محترفين؟

"أجل، ليكن هكذا."

وكان يحسن اللغة الايطالية، وهو لم يكن بالمغفل حتماً. وسألته: "أنقيم حفلة، اذاً، كل يوم أحد؟"

ـ ولم لا؟

"لا أجد مانعاً لذلك. ففي ذهني أفكار كثيرة لمقاطع استعراضية ومسرحيات غنائية. وفي امكاني تأليف مسرحيات عادية أيضاً. وأظن أن في امكاننا مباشرة "ال بايزي دي كمبانيلي."

ـ وما هذه؟

"انها مغناة قصيرة جميلة. وهي مسلية وفيها موسيقى جيدة. وقصتها تدور على ملاحين حسني المنظر وحوريات هولنديات فاتنات."

ـ بايزي دي كنتانيلي؟

"كمبانيلي... ألا تسمع رنينها؟"

ـ اعمل عليها اذاً.

"هذا يعني أننا نحتاج الى ملابس."

ـ لماذا؟

"لأن الملابس هي جوهر هذا العمل المسرحي."

ـ الملابس غير ممكنة.

"لماذا؟"

ـ من أين نأتي بها؟

"أليس ثمة أقمشة في باختا ـ آرال؟ اعذرني يا سعادة الكولونيل، ولكن أليست هذه جمهورية القطن؟ وحيث القطن، هناك الاقمشة."

ـ هذا صحيح. لكن القطن ملك الدولة.

"لا شك في هذا. ولكن لننسَ بايزي دي كمبانيلي التي كان يمكن أن تكون مسرحية رائعة يا سعادة الكولونيل.... أتعرف أن هناك سفينة تأتي الى المسرح؟"

ـ سفينة بأكملها؟

"أجل، جانب كامل من سفينة. وفي امكاني تشييدها على مرحلتين، ثم..."

ـ لا، لن تكون هناك أقمشة.

"ينبغي أن يؤمن لنا ما نحتاج اليه... ألا تستطيع يا سيدي

الكولونيل؟ الا يمكنك كتابة طلب خطي؟ "

ـ هذا مستحيل.

"اذاً لنحصل على القماش بلا طلب."

قلت هذا سريعاً، وبالروسية لكي أتجنب سوء الفهم. ونظر ميداغليا مباشرة الى عيني وقد اختفى التعبير من وجهه ... أتراه فهم ما قلت أم لم يفهم؟ وتراءى لي أنه من الدهاء بحيث لا يمكن أن تفوته ملاحظة كهذه. الا أنه بقي من غير حراك على عادة الروس. وقال باصرار: "بلا ملابس." فأجبت: "آسف سعادة الكولونيل. ولكن صدقني أن افتقار المسرحية الى الملابس الخاصة من شأنه ان يقضي عليها. وسأحاول التفكير في شيء آخر.

ـ حسناً. أفعل ما تشاء.

وحييته وأدرت ظهري وعدت الى المهاجع. لكنه استدعاني مرة اخرى ظهراً، وبادرني بالآتي: "حسناً. ماذا فعلت؟"

فأجبت: "ما زلت أبحث عن بديل يا سعادة الكولونيل."

ـ انس البديل، وقل لي كم من القماش تحتاج؟

"لنقل عشرة أطوال."

ـ خمسة.

"اذاً خمسة أطوال."

وكان يذرع مكتبه جيئة وذهاباً. ووقف وأشار الي باصبعه كي أتقدم نحوه. ولما دنوت منه قال: "أتعرف الرجال في هذا المعسكر الى حد الثقة بهم؟"

وأجبته بسرعة: "سيدي الكولونيل، هناك خمسمئة ايطالي موالون في هذا المكان. وأياً تختر منهم، تكن على صواب."

ـ أنت، اذاً، تختار. وأود أن تأتيني بثلاثة رجال وتوافوني الى مكتبي هنا في السابعة من مساء هذا اليوم، بعد العشاء. أتفهم حسناً؟

"حسناً سيدي الكولونيل... في السابعة."

وفي السابعة الا عشر دقائق وقف ثلاثة أسرى أمام مكتب ميداغليا، وكنت وفانتي في انتظارهم. وهو شاء مرافقتي لأن القصة راقته بحيث لم يستطع ألا أن يأخذ دوراً فيها.

وعند السابعة تماماً وصل ميداغليا. ونظر الينا، ثم تفرس ملياً في فانتي وقال لي: "رجلان كسيحان..."

وقاطعته: "هذا خبير، سيدي الكولونيل. وهو يضاهي خمسة رجال، وان يكن أبتر."

ـ جيد. لنباشر مهمتنا فوراً.

وكانت خارج المعتقل عربة يجرها حصان. وتسلقنا العربة، وجلس ميداغليا الى جانب الحوذي المدني.

وبعد عشرين دقيقة توقفنا خارج معمل قماش. وقال لنا ميداغليا: "تعالوا معي." ودخل وأخذ يتكلم بلا انقطاع مع أحد المراقبين. وقدم اليه ورقة ممهورة بامضاء، وأظن أنها طلب اذن مزور. وأخيراً دعانا وقال: "أنقلوا سبعة أطوال من هذا الثوب الى العربة."

سبعة؟ لا بد انه بدل رأيه. الا أننا، نحن الايطاليين، ترجمنا السبعة الى عشرة. وهكذا حملنا عشرة أطوال قماش الى العربة التي انطلقت بنا من حيث أتت.

وفي طريق العودة توقفنا أمام محل

أغذية. وقال ميداغليا: "تعالوا معي. يجب أن نأخذ كيساً من السكر يحوي ٢٥ كيلوغراماً."

وبعد محادثات شبيهة بتلك التي أجريت في مغزل القماش، خرجنا سريعاً بكيسين من السكر، أي بخمسين كيلوغراما وانطلقنا وكان الليل أرخى سدوله والهواء رائقاً وعاطراً. وعن ضفتي القناة سمعنا زيزان الحصاد تطلق صيحات ثاقبة. ولم يتكلم أحد منا طوال الطريق. ولكن ما أن دخلنا المعسكر حتى ذهبت ثلاثة أطوال من القماش الطحيني مع كيس من السكر الى مكتب ميداغليا، فيما حملنا الاطوال السبعة والكيس الآخر داخل الاسلاك الشائكة.

وتنهد فانتي وقال: "من كان يحلم أن ...؟"

فأجبته: "انه المسرح يا عزيزي تونينو... انه المسرح."

- وماذا عن السكر؟

"حسناً. أليس من يقسم بالقسطاس هو الانسان المستقيم؟"

وهكذا حصل ميداغليا على المسرح الذي سعى اليه.

"أحبني، يا ألفريدو"

لم يكن المعسكر ٣/٢٩ يفتقر الى الاشخاص الغريبي الاطوار، وفي طليعتهم الطباخ الجنوي برونو بيفا. وهو رجل قصير ممتلىء الجسم، ذو خصلة شعر متدلية فوق جبهته النافرة. وكان دائماً على وشك فقدان أعصابه، ومستعداً للصراخ في أي لحظة.

الا أن برونو لم يكن بالرجل البخيل الخسيس. وجل ما في الامر أنه سريع الى الغضب لادنى الاسباب. وويل لمن يفوته رد تحية برونو أو تصدر منه ايماءة غريبة نحوه أو يخاطبه بعبارة غير مفهومة. أما في أوقاته الهادئة فهو صديق كريم مسعف. وينبغي الاقرار بأن غضبه لم يقتصر على زملائه الأسرى، بل تعداهم الى الروس أيضاً.

ولم تلبث موهبة برونو على الرقص والتمثيل أن جعلت منه نجم المعسكر ٣/٢٩ في تأديته احدى القطع المحببة كل يوم أحد. وغالباً ما لعب دور المرأة، يعنيه على ذلك منظره وطبعه. وأدى أدواره بنجاح، علماً أنه مارس التمثيل الغنائي في ايطاليا. وكان في امكانه تأدية أي ضرب من الرقص، سواء أكان الرومبا أم الكاريوكا أم الفالس. الا أن مهارته تجلت أكثر الامر في الباليه. وكلما ظهر فوق الخشبة ليدور على رجل واحدة وهو في تنورة الباليه المنتفخة القصيرة، كان المكان ينفجر بالتصفيق، مما يدفع برونو على متابعة دوره بمهارة منقطعة النظير. وسواء أكان دوره كلاسيكياً أم غنائياً، فأنه كان ينهيه من غير وجل، مجتذباً هتاف الروس والطليان.

وسرعان ما تجمعت لدى برونو خزانة ملأى بالمعدات المسرحية: ثلاث تنانير باليه وأردية مسائية وقفافيز رقص وأحذية وفضيات لترصيع الملابس وشالات وقبعات عريضة الاطراف. ومرة قال في تفسير ذلك: "اذا فرض علي تأدية دور المرأة، فيجب ألا أبدو كالرجل."

وقر رأيي على تقديم المشهد الثالث من مسرحية "لا ترافياتا"، على أن أعطي النظارة فكرة موجزة عن المشهدين السابقين قبل ارتفاع الستارة. وذروة المشهد لحن "أمامي الفريدو" الذي يعزف على كمان منفرد. وكنت دونت كلمات الحوار كما علقت في ذاكرتي، مبتكرا ما نسيته منها ليلائم الموقف. ووزعت الادوار الرئيسية، على أن يلعب برونو بيفا دور فيوليتا ومونانتشيلا دور الاب وأنا شخصيا دور ألفريدو.

الا أن مشكلة واجهتنا، وهي من أين نأتي بشعر فيوليتا لنضعه على رأس برونو. ولم تواجهنا المشكلة قبل ذلك الحين، لأن برونو اعتاد ستر رأسه على الدوام بقبعة أو منديل لتأدية أدواره الانثوية. غير أن فيوليتا لا تستغني عن الشعر. فدورها يقتضي أن تضطجع على سرير وهي مريضة وفي حال النزاع. وكيف يمكن أن تموت امرأة وهي تلبس قبعة؟

وحللنا المسألة بالطريقة الآتية: كان لدي "مساعد شخصي" وهو أسير سرديني قليل المواهب اسمه كونغيو. وكان على استعداد ليفعل أي شيء من أجلي، لأن وظيفته كمساعد خولته الحصول على المزيد من الطعام.

وذات صباح دخل ميداغليا بجواده عبر بوابة المعسكر، وربطه في الظل وتوجه الى مكتبه. ولم يكن ذلك بالامر المألوف، اذ أن آمر المعتقل اعتاد ربط حصانه خارج مكتبه. ووجدت في ذلك فرصة ذهبية وناديت كونغيو: "تعال وانظر! أيمكنك أن ترى ذيل الحصان؟"

ـ أجل، اني أرى الحصان.

"صدقني، ان لهذا الحصان ذيلا."

ـ وما معنى هذا؟

"معناه أن تذهب وتأتيني بالذيل."

ـ أتريده كله؟

"لنقل ٤٥ سنتيمتراً منه."

وأسرع كونغيو الى المهاجع لاحضار مقص، ثم ذهب نحو حصان الكولونيل وقد أبقى عينيه مفتوحتين لئلا يبصره صاحب الحصان أو الحراس. وعاد وقد خبأ قصاصة الذيل ضمن سترته. وقال: "أين أضعها؟"

ـ لفها جيداً واذهب بها الى تونينو.

وسأل كونغيو الذي كان موظف بريد في سردينيا: "أتريد جواباً منه؟".

ـ كلا.

وما أن خرج كونغيو حتى ظهر ميداغليا خارج مكتبه. وانضم الى دلفو بيليتي، وهو من قدامى الاسرى في المعسكر. وبادرني: "انه صباح جميل يا كارلو." فأجبته: "سنرى."

وفي اللحظة عينها وصل ميداغليا الى حصانه المشوه. وللحال نادى بيليتي، وهو عملياً معاونه كونه الضابط الوحيد بين الاسرى الايطاليين في المعسكر ٠٣/٢٩.

واذ لم يعرف شيئاً عن السرقة، لم يكن ثمة ما يقوله لميداغليا. الا أن حذقه التوسكاني جعله يتوقع ما حدث، كما تذكر ما قلته له بعد كلامه عن جمال الطقس. ونظر الى عيني ميداغليا مباشرة وقال: "لا بد، يا سعادة الكولونيل، من أن يكون أحد ضباطك لعب معك هذه المزحة."

ورفع ميداغليا حاجبيه شكاً وقال: "أتظن الامر هكذا؟"

فأجابه: "ان أحداً منا، يا سيدي

الكولونيل، لا يجرؤ على هذا العمل."
وبعدما استعاد ميداغليا هدوءه هز كتفيه بتؤدة. وربما ظن أن اقتطاع ٤٥ سنتيمترا فقط من ذيل حصان لا يكفي لرفع دعوى. وعندئذ حل وثاق الحصان وأخرجه عبر البوابة.
وسألني دلفو: "أين هو ذلك الذيل؟"
- إنه مع تونينو.
وابتسم دلفو وتابع: "إذا ستموت فيوليتا تحت ذيل حصان؟ حسنا، لنقو إيماننا بالله."
- كذلك بصديقنا سكوغنا ميغليو الذي يصنع من الذيل شعرا مستعارا.
وفي اليوم التالي كان الشعر جاهزا. وإذا به ضفائر فاحمة السواد تتدلى بكثافة من فروة. وجاء الشعر رائعا، لا يضيره ظهور الفروة هنا وهناك. لكنه يلائم فيوليتا وبرونو معا.
وكان المسرح مكتظا ذلك الاحد، لأن النظارة سمعوا جميعا بتلك القطعة، وبعضهم عرفها حق المعرفة.
وفي تمام الثالثة والنصف عزفت الفرقة لحن "لاترافياتا" الافتتاحي. ومشيت في محاذاة أضواء الخشبة الامامية وأنا في زي الفريدو وهيئته. وبصوت خفيض وتعابير مسرحية، أعطيت الجمهور فكرة عما سيأتي، حتى مرض فيوليتا القاتل. ولما ضمنت انجذابهم بالرواية، أشرت الى الفرقة الموسيقية كي تباشر العزف.
وقلت بصوت متهدج: "أيها السادة، إليكم أمامي ألفريدو."
وانطلق اللحن وارتفعت الستارة لتكشف عما بدا كمحبس راهبة، مع سرير وكرسي بجانبه. وقد اضطجع بيفا على السرير ووقفت خادمته آنينا الى جانبه. وتلا حوار موجز:
- كيف حالك يا سيدي؟
"حسن."
- هذا يسعدني جدا.
وفيما خفت اللحن، ظهر موتشيلا على الخشبة في دور والد الفريدو وهو يعتمر قبعة تيرولية، وهي أفضل ما أمكننا الاتيان به لاعطاء صاحب الدور مسحة الشخص الآتي من مكان بعيد.
ومثل المشهد العاطفي الصارخ على خير وجه، فيما الوالد جاث أمام السرير وفيوليتا قابعة بلا حلاك وقد التصق شعرها الاسود بالوسادة. ثم غادر العجوز الغرفة ترافقه آنينا الى الباب. وبينما الفرقة الموسيقية تؤدي لحن "أمامي ألفريدو" للمرة الرابعة، ظهرت على الخشبة وأنا انادي: "فيوليتا." وأجابت هي: "ألفريدو."
وكان ينبغي أن يبقى بيفا، وهو يمثل دور فيوليتا، حيث هو بلا حراك. لكن من يمثل دورا مسرحيا ينزع الى نسيان الاعتبارات العادية. وهكذا رفعت رأس بيفا قليلا وأنا اكرر النداء: "فيوليتا" وأهم بتطويقها. وأحسست ثقلا في يدي. ونظرت لأرى خصل الشعر الفاحمة تسقط من يدي الى الارض. وفجأة بات رأس برونو عاريا. وعلت صيحات الاستنكار من النظارة. وقفز ميداغليا على الفور الى الخشبة وتوقف الموسيقي الذي كان يعزف لحنا منفردا على الكمان عن عزفه.
وأشار ميداغليا الى رأس بيفا وقال: "هذه ليست لا ترافياتا... إنها ذيل حصاني."

وكان العقاب احتجازي أياما في زنزانة معزولة.

ميلاد مجيد

لا شك في أن المعسكر ٢٩/٣ كان أفضل سجن عرفته. وربما كان من حسن حظنا الوصول إليه في تلك المرحلة الاخيرة من الحرب، بعد انقضاء الفظاعات التي كانت المعتقلات السوفييتية مسرحا لها في وقت سابق.

ويبدو أن الاشهر التي أمضيناها هناك بدلت المكان على نحو ملحوظ. والواقع أن الايطاليين، بعد عملهم النهاري في حقول القطن، لجأوا الى العمل خلال الليالي وأيام الآحاد، فأحدثوا مستشفى ومستوصفا ومحلا للخياطة وآخر لصنع الاحذية ومخبزا. وهذه كلها أضيفت الى البيوتات الصغيرة التي كانت أساسا لدى وصولنا.

أما إنشاء مخبز خاص بنا فكان نهاية عهدنا بالخبز الاسود الرديء. وهكذا أدخل الخبز الايطالي الخفيف الى المعسكر ٢٩/٣ بفضل فريق من أسرى روماغنا الذين صمموا الافران واستطاعوا، بمهارتهم، التغلب على رداءة الدقيق الروسي.

وكما فعلنا كلنا، هلل برونو بيفا للخبز الايطالي، واقترح أن يطهو لنا وقعة خاصة بعيد الميلاد للعام ١٩٤٤. وعرض على ميداغليا أن يعطينا، للخامس والعشرين من ديسمبر (كانون الاول)، ثلاثة أضعاف ما نحصل عليه عادة من الطحين والسكر والرز واللحم والخبز ودهن الجمال والخضر، على أن نعوض هذه الكمية بعملنا خلال شهر يناير (كانون الثاني).

وتردد ميداغليا وحار جوابا. فالميلاد "عيدنا" نحن، لا عيد السوفييت. وربما اعترض أحد المسؤولين في موسكو على هذا السلوك "الرجعي" داخل المعتقل. إلا أن ميداغليا لم يستطع مقاومة توسلات الطباخ الجنوبي طويلا. وبعد إبقائه طلب برونو معلقا أياما، وافق أخيرا عليه. وبدأت الاستعدادات. ولم يقتصر ذلك على المأدبة. فقد نسي ميداغليا أن تنازله للايطاليين باعطائهم ثلاثة أضعاف ما كانوا يحصلون عليه يعني قبول النتائج وهكذا، في الايام القليلة التالية، حصل بيليتي على إذن التعطيل يومين، هما ٢٥و٢٦ ديسمبر (كانون



الاول)، كما حصل طبيبنا الخاص، الدكتور فيلومينو بيلوسيو على اذن باقامة مغارة الميلاد، وسمح لرفيقنا فانتي بانجاز الاضاءة. -

وحل مساء الرابع والعشرين من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٤ كأمسية شتاء في حوض البحر الابيض المتوسط، ولم يكن في السماء نجم ليهدي المجوس الى المذود، إلا أن الدب الاكبر لاح من البعيد وسط سماء حالكة الزرقة، وتجمعنا في العراء، منتظرين نصف الليل، إذ كان بيلوسيو مزمعا أن يفتح المغارة ويلقي عظة الميلاد، وذكرتنا أنوار فانتي بزينة الميلاد في شوارع ايطاليا، وفاحت رائحة الطعام الشهية من مطبخ بيفا، حيث كانت المأدبة في الطور الاخير من الاعداد،

وفي منتصف الليل تماما دخل بيلوسيو محل الاحذية حيث بنى المغارة والمهد وصنع شخوصا تمثل مولود بيت لحم ومن له، وتبعه نحو ثلاثين أسيرا، وإذ لم يستوعب المكان عددا أكبر، بقي معظمنا عند الباب، وكنت وتونينو من الذين ظلوا خارجا، وخلعنا قبعاتنا خشوعا،

وبارك بيلوسيو المكان، ثم توجه الى الجمع وطلب منا المشاركة في الصلاة، وجاءت كلماته لا لتمثل كلام كاهن أو محارب، ولا حتى كلام مواطن إيطالي، وإنما كانت كلمات إنسان طيب يؤمن بالله كما يؤمن - على رغم الحرب والاسر - بالارادة الصالحة لبني البشر،

وخلص بالدعاء الآتي: "...من أجل أن تعودوا كلكم سالمين الى بيوتكم،" فقلنا جميعا: "آمين،"

ومن غير سابق تصميم، انطلقنا بفم واحد ننشد ترنيمة ميلادية والغصة في حلوقنا جميعا، وران صمت بعد انتهاء الانشودة، لكن احداً لم يتحرك، وما برح بيلوسيو جاثيا أمام المهد، وبقي الرجال في الداخل واقفين كما هم، والذين في الخارج أبقوا أنظارهم داخلا بلا حراك،

وبينما نحن كذلك، وكل منا مستغرق في أفكاره، تقدم الضابط المسؤول نحونا ثم ألقى نظرة من النافذة وبعد ذلك نظر الى رؤوسنا المطأطأة، ولم يعن ذلك شيئا له، لكنه أدرك أنه يحمل إلينا معنى كبيرا،

وراح يمشي جيئة وذهابا وهو لا يدري ما يفعل، ووقف ثم مشى بضع خطوات في الاتجاه المعاكس، ليعود بعد ذلك نحونا وينظر إلينا، ومخط في منديل، وأخيرا رفع يده اليمنى بتحية عسكرية صارمة،

وبينما نحن نستعد للتوجه الى المأدبة، تقدم الضابط من تونينو وسأله: "ماذا تقولون في ايطاليا في هذه المناسبة؟"

- نقول "بون ناتالي" (ميلاد مجيد)،

"إذا، بون ناتالي،"

قولوا لايطاليا سلاما

في يوليو (تموز) ١٩٤٥ سرت في المعسكر اشاعة تقول ان الروس على وشك إطلاقنا وإعادتنا الى بلادنا، وعلى رغم معرفتنا بانتهاء الحرب في اوروبا فان أحدا منا لم يصدق الخبر، إذ ان الاشهر الاخد والثلاثين التي أمضيناها في الاسر جعلت منا أناسا مشككين وهازئين،

ولكن فيما نحن مصطفون لعد الرؤوس صبيحة ٢٩ يوليو (تموز)، قرأ الضابط المسؤول أسماء خمسين أسيرا مبتوري الاطراف، بمن فيهم تونينو وأنا، وأمرنا بالوقوف في صف على حدة.

وجاء ميداغليا نحونا وقال: "حسنا. اننا سنرسلكم الى موسكو للحصول على عناية طبية لائقة ونحن نتمنى لكم جميعا حظا سعيدا."

وكان كلامه شديد الاقتضاب ذلك الصباح. وخاطبني تونينو: "ألم أقل لك ان عذابنا لم ينته؟ ان الذهاب الى موسكو يعني أربعين يوما في القطار... أوليس هذا موسم السياحة يأتينا من جديد؟"

واستعددنا من غير حماسة. فالوقت الذي أمضيناه في المعسكر ٣/٢٩ لم يكن سيئا. والاسير يعتاد نمطا من الحياة بحيث لا يرغب في تبديله.

ومن أجل ملاحقة شؤوننا في القطار، عين ميداغليا مهاجرا ايطاليا اسمه ساسي، عاش في روسيا منذ ١٩٢٥. وكان الرجل توسكانيا كما أظن. وقد أحبه بعضنا فيما أبغضه البعض الآخر، لأسباب سياسية في الدرجة الاولى. وكان حقق أمرا أو اثنين لراحتنا داخل المعسكر، ولم يحاول إزعاجنا بمبادئه السياسية.

ولما حان وقت الانطلاق ظهرا، وقفنا خارج البوابة على ضفتي القناة. وبينما نحن نودع زملاءنا وراء الاسلاك الشائكة، بدوا أكثر سعادة منا. ورأيت بيليتي بينهم يلوح علما ايطاليا. فقلت له: "الى اللقاء يا دلفو." وأجاب بأعلى صوته: "الى اللقاء."



وقادنا حارسان يحمل كل منهما بندقية. وكان الجو حارا والمعنويات منخفضة. وحرص ساسي على أن يقف في أول الطابور كل عشر دقائق ليؤكد لنا أن محطة القطارات قريبة جدا.

وأخيرا بلغنا ما يشبه المحطة، حيث العشب يحجب السكة. وهناك رأينا قاطرات القطعان تنتظر.

وأشار فانتي الى اثنتي عشرة قاطرة مكتظة بالركاب وقال: "هناك آخرون إذا."

وأجاب ساسي: "أجل انهم يأتون من معسكرات اخرى."

وسأله فانتي: "أنت آت معنا؟"

ـ نعم، ولكن بعض المسافة.

وكنا قد حفظنا طريقة عمل القطار. فبعد صعودنا أقفلت البوابة الحديد وجلسنا على الارض المفروشة قشا. وما أن أقفل الباب حتى أخذ القطار يتحرك.

وقال فانتي: "إنهم في عجلة من أمرهم هذه المرة."

وبدا هذا صحيحا، إذ راح القطار ينهب الارض نهبا وسط السهوب.
وقال أحدهم: "لا يمكن أن يبقى القطار هكذا على غير هدى."
وفجأة فتح الباب ليظهر ساسي ومعه حارس. وكان وجه ساسي مختلفا عن الاول، وقال: "لدي أخبار طيبة أيها الاولاد. فمنذ الآن يمكنكم إبقاء هذا الباب مفتوحا إن شئتم. كما تستطيعون النزول في المحطات إذا كان لديكم روبلات تصرفونها. ولكن احرصوا على عدم البقاء خارجا، لأني لا أدري متى يوجه الروس قطارا آخر الى ايطاليا."
وصاح تونينو: "ماذا تقول؟"
ـ أجل، ايطاليا. فانكم لم تبقوا أسرى حرب. أنتم أحرار الآن. وها هم الحراس سيعودون من حيث أتوا، وأنا أيضا. وسيبقى معكم مراقب آخر لتنسيق اموركم، مع خمس ممرضات. لا تقترفوا أي حماقة، بل ابقوا جنبا الى جنب. وسيأخذكم هذا القطار الى فرنكفورت. وهناك تعرفون كيف تتابعون الطريق الى ايطاليا... حظا سعيدا أيها الصبيان. ولا تنسوا أن تقولوا لايطاليا سلاما.
وصرخنا كلنا: "سينيور ساسي! سينيور ساسي."
وسألنا: "ما المسألة؟"
غير أننا لم نقل شيئا. فالمرء لا يستطيع أن يتكلم ويبكي في آن.
■ **كارلو سيلفا**



ارملة روزفلت

يتذكر مايكل بورك، الرئيس السابق لفريق "نيويورك يانكيز" للبيسبول، أنه أمضى أحد فصول الصيف مع عائلة الرئيس الامريكي الراحل فرانكلين روزفلت في بلدة هايد بارك من أعمال ولاية نيويورك:
كان الاطفال يملأون المكان، وبينهم ولدانا ولم يسمح لأحد بالسباحة قبل الثالثة عصراً، حين يتبع الاولاد اليانور روزفلت، أرملة الرئيس، الى حوض السباحة. وعلى رغم بلوغها أواخر السبعينات، فانها كانت تتقدم الاطفال كل يوم وتقفز بجرأة الى الماء.
ومرة قلت لها: "هذه شجاعة عظيمة يا سيدتي! لا شك أنك تحبين الغطس."
فأجابت: "لا بل أكرهه. غير اني اريد اعطاء مثل صالح للاولاد."

ج.ج.

ميزة الاعتذار

كلما أجلت التفكير في نزعة الناس الى الاعتذار، تبين لي أنها ربما كانت أهم الميزات الحضارية التي يتمتع بها الانسان.

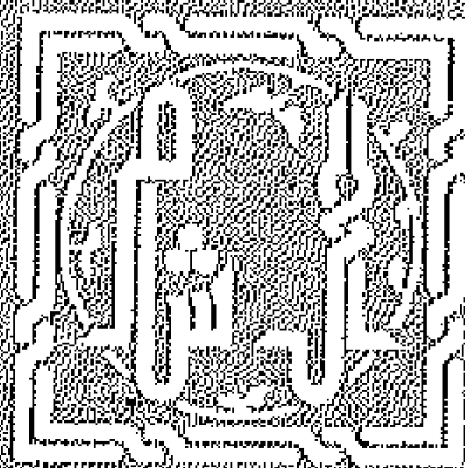
ا.ل.

فندق الشام



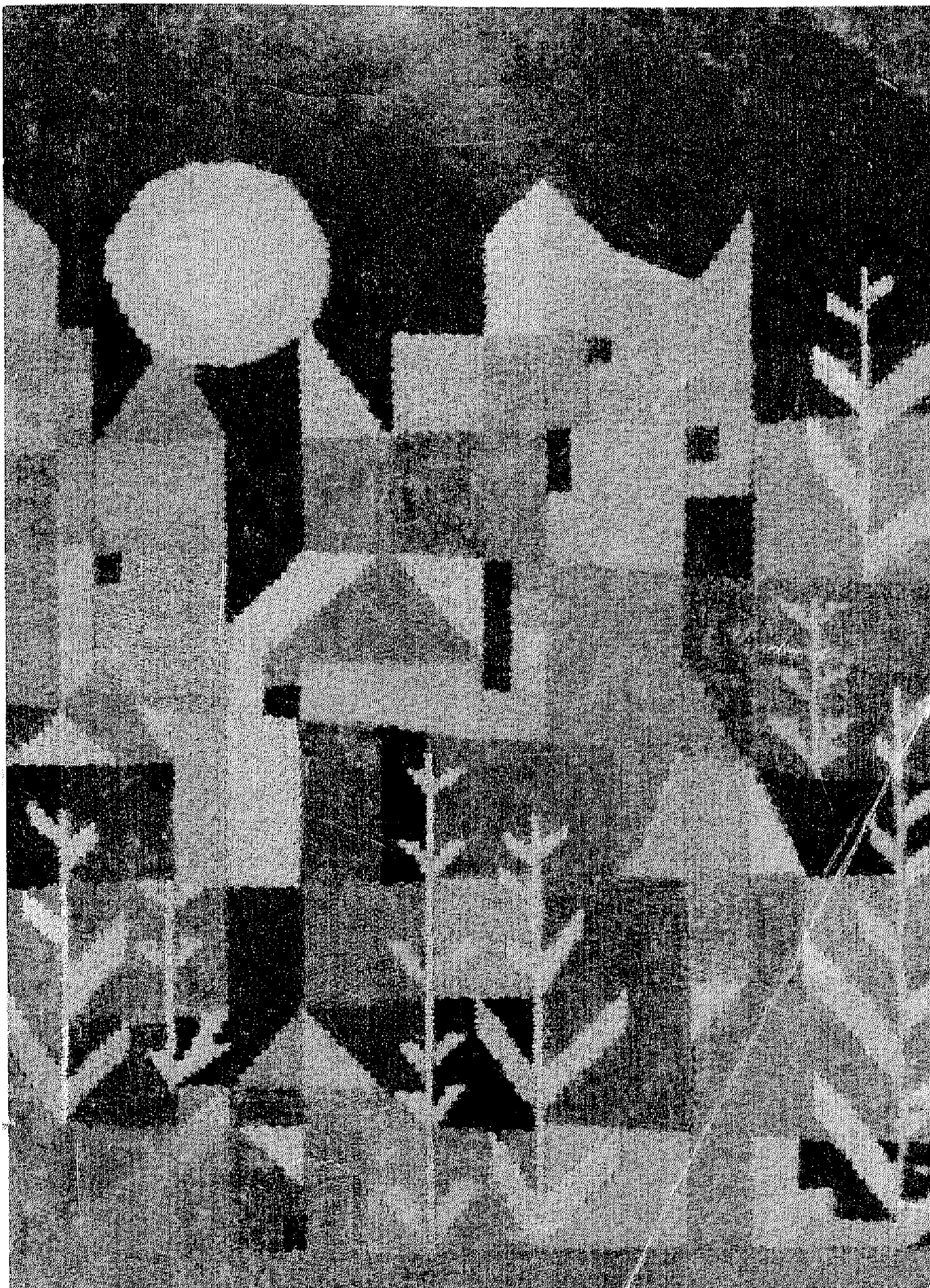
أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة .. بل إنه مدينة قائمة بذاتها .. صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك أو كنت منهمكاً في عملك .. فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمقاهي بالإضافة الى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية .. ولا ننس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لا زلنا نفاخر بها ونحافظ عليها

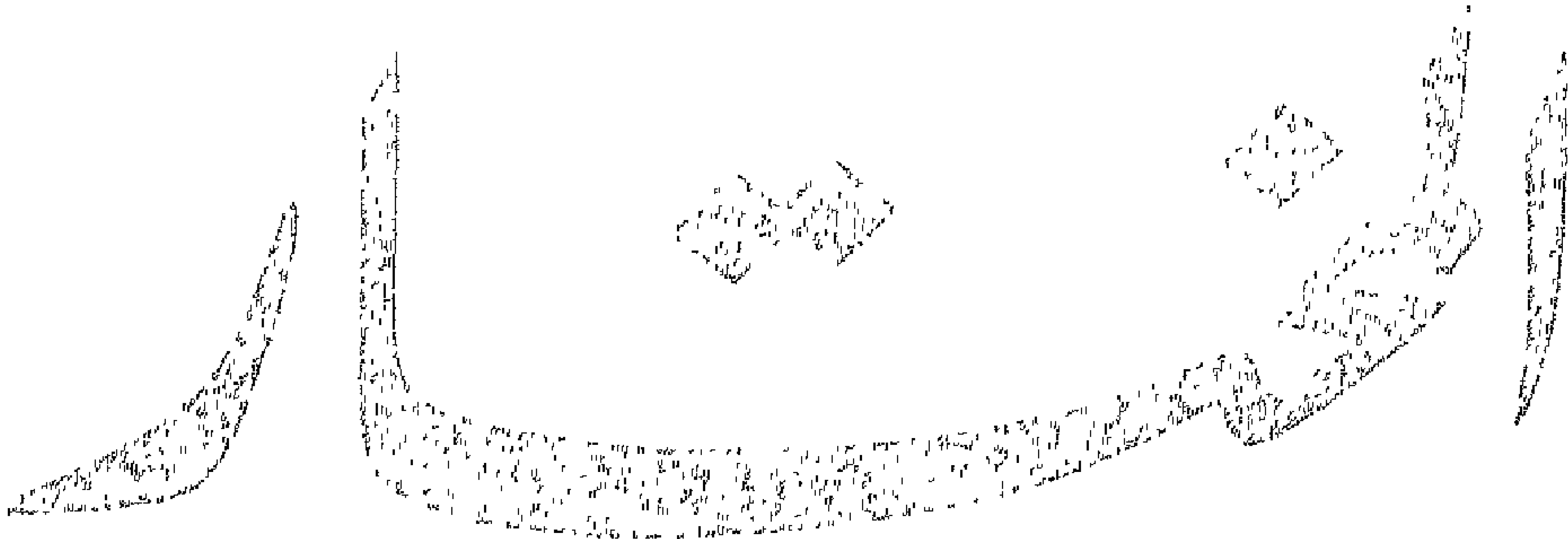


للحجز: فندق الشام - ص.ب ٧٥٧٠
تلكس: ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف: ٢٣٢٣٠٠ (١٠ خطا)
تلكس الزيبانفل: ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام
عراقة في التقاليد



فبراير (شباط) ١٩٨٤ ـ جمادى الاولى ١٤٠٤





من ريدرز دايجست

(ص ٣٤)



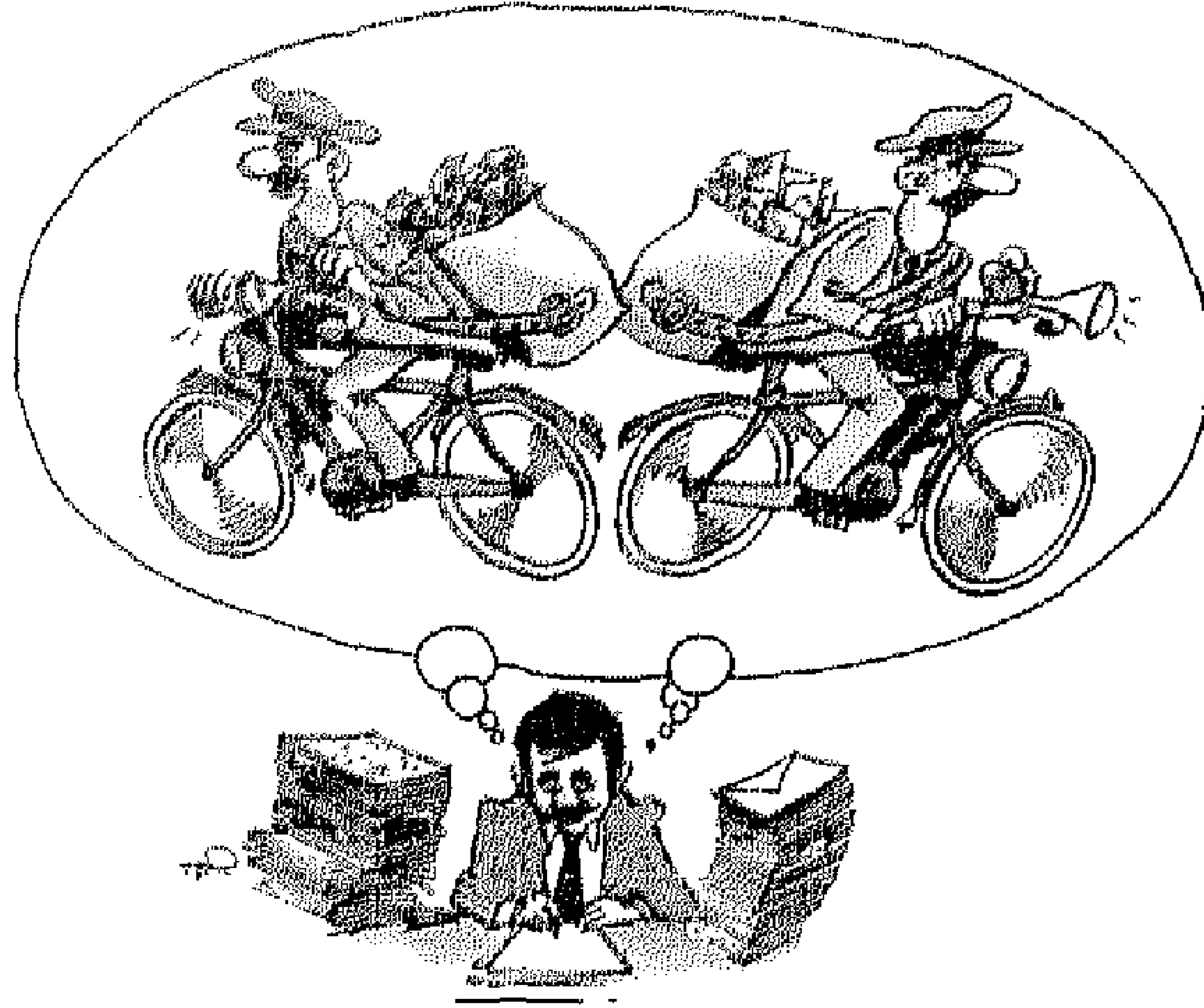
(ص ١٣)

قوة الاقناع

(ص ١٩ و ٦٦)

لبنان ٦٠٠ق ـ سوريا ٧٠٠ق ـ الاردن ٧٠٠ف ـ الكويت ٧٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٩د ـ قطر ٨ر ـ البحرين ٨٠٠ف ـ السعوديه ١٠ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ١ج ـ ليبيا ٧٠٠د ـ اليمن ٤ر ـ مسقط ٨٠٠ب ـ العراق ٨٠٠ف ـ تونس ٦٠٠م ـ المغرب ٥د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ١٠ف ـ انكلترا ١ج ـ اليونان ١٣٠د ـ كندا وامريكا الشمالية ٢٫٥٠د

AL MUKHTAR min Reader's Digest February 84 N° 63



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

اكتب واربح

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة، تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة من حياة مجتمعاتنا العربية. تدفع عن القصة الواحدة ٥٠ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. وتستبعد في هذا الباب النكات غير المهذبة. تدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية تدفع ثلاثة دولارات عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

المسدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل. يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: **مجلة المختار من ريدرز دايجست ـ شارع المقدسي ـ بناية الشرتوني ـ ص: ب ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان.**



المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ادمون صعب ·
امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري ·

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست":
رئيس التحرير: ادوار ت· طومسون · مدير التحرير: آلان دوليرو · المدير العام: جون ا· اوهارا ·

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس · الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية ـ بيروت · التحرير والادارة: بناية حنا للمكاتب، الطابق السادس، شارع المقدسي ـ بيروت · ص·ب· ٨٧٠٧ ـ ١١ التلكس (الموقت) 22288 LE.

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت · الطباعة: سيكو، بيروت ـ لبنان · التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ·

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V.75008 Paris,FRANCE

الغلاف: جسر وستمنستر (زيتية لمونيه ـ فرنسا)

AL MUKHTAR min Reader's Digest
February 84 N° 63 (New Series) Vol. 6



اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة ·

كاديلاك فليتوود. براحة عن

صُمّمت سيّارة كاديلاك فليتوود بروهام ١٩٨٤ لتوفّر لك بيئة متكاملة وخاصّة. بيئة مستقلة ومريحة لا تتأثّر بالعوامل الخارجيّة.

سوف تتلمّس الراحة في فليتوود منذ اللحظة التي تقفل فيها باب السيّارة إذ إن مقصُورة الركاب قد صُمّمت لتوفر لك الهُدوء التام. فهي مجهّزة بعوازل صوتية في السقف ولوحة القيادة والأرضيّة والأبواب للحد من ضوضاء الطريق.

ويُشكل هيكل فليتوود وقاعدتها وحدة متكاملة للحدّ من الصليل ولتأمين ثبات الحركة. تؤمّن لك فليتوود النعومة والثبات وتعزلك عن ارتجاجات الطريق.

كما ان جهاز تكييف الهواء الالكتروني اللمسي يؤمّن لك الحماية من الحرارة الخارجيّة. ما عليك سوى لمس مستوى الحرارة على العداد وسوف يقوم الجهاز الالكتروني بتعديل الجوّ أوتوماتيكيًا ليعطيك درجة الحرارة التي عيّنتها.

بالاضافة إلى ذلك فإن كاديلاك فليتوود تقدّم لك جميع مزايا الرفاهية التي تتمتّع بها سيّارات كاديلاك وهي على أعلى درجة ممكنة من الراحة.

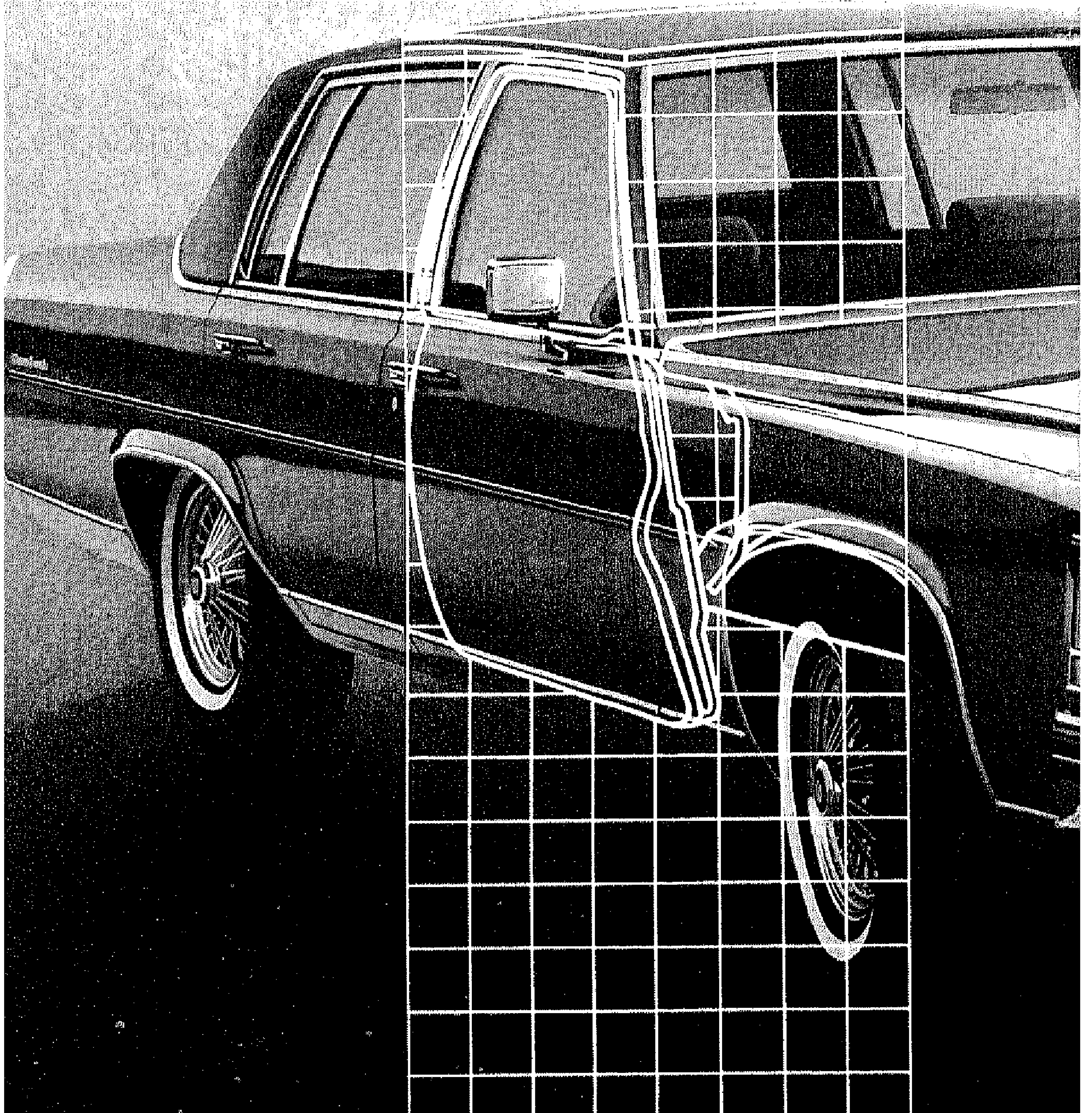
ندعوك لزيارة الوكيل المعتمَد لسيّارات جنرال موتورز الأمريكية.
تلمّس بنفسك الراحة التي تؤمّنها فليتوود.

تلمّس الفارق
لدى جنرال موتورز



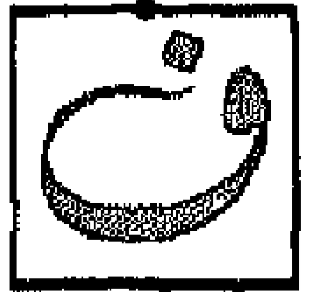
CHEVROLET • PONTIAC • OLDSMOBILE • BUICK • CADILLAC • GMC

صُمِّمت لتعزلك
العالم الخارجي.

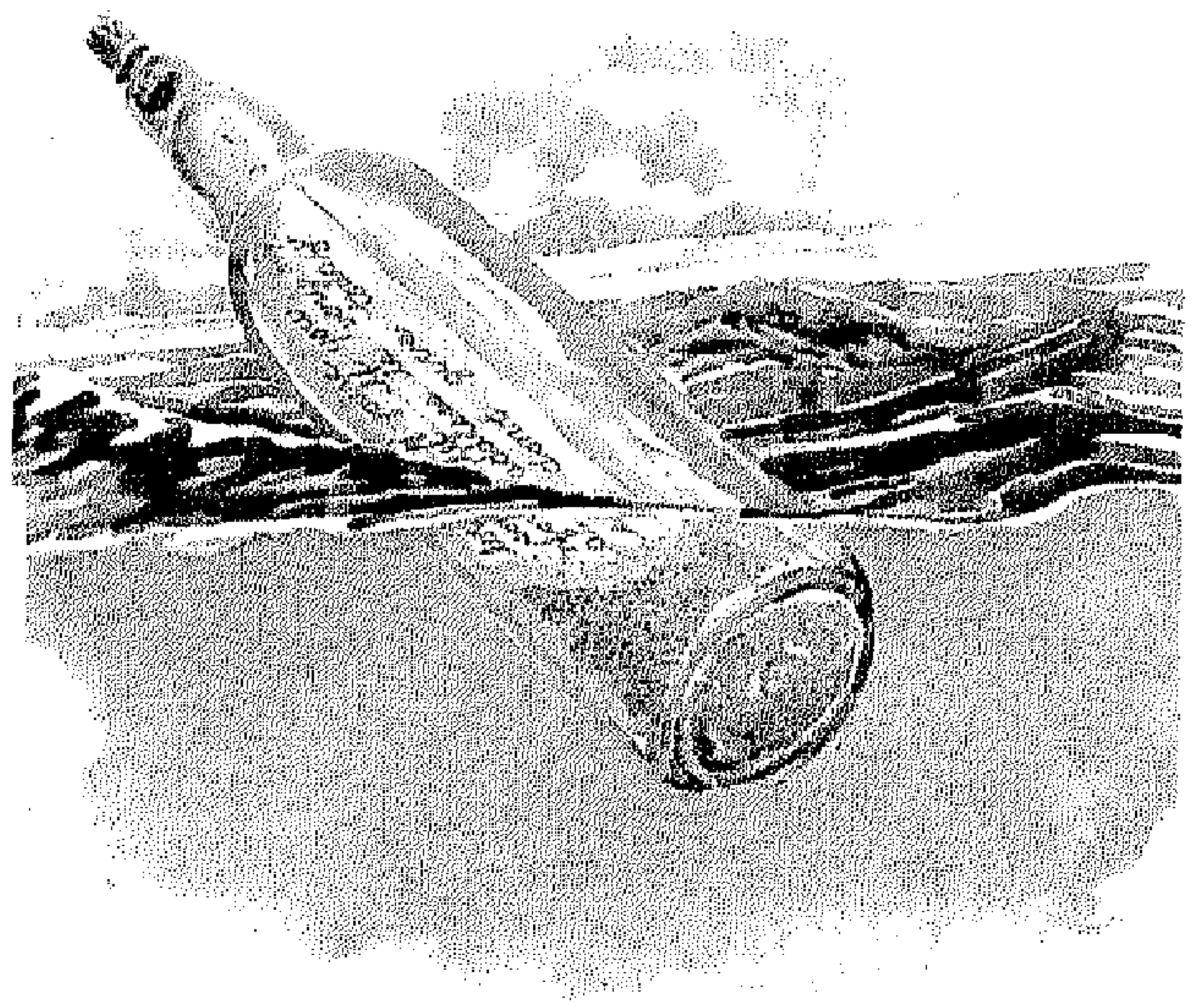


حين تسير على رمل الشاطىء انظر حولك جيداً ... فقد تعثر على زجاجة فيها رسالة تلتمس النجدة

بَريدُ نبْتون



في الخامس من اغسطس (آب) ١٩٦٧ عثر صياد شاب في جزيرة تونغاتابو جنوب المحيط الهادىء على زجاجة



في شبكة صيده. ووجد داخلها رسالة تعذرت عليه قراءتها لان اشعة الشمس محت كلماتها.

وكانت طيها ورقة نقدية بقيمة٥٠٠ دولار اذهلت الشاب. فأسرع بكنزه الى المصرف حيث تحقق المدير من دليل العملات العالمية وعاد اليه بالخبر المؤلم. فتلك كانت ورقة نقد اصدرها اتحاد الولايات الاميركية عام ١٨٦٤. ويا أسفاه.

ولدى تفحص الزجاجة وما التصق بها من عوالق بحرية ونوعية الشريط المستعمل لأحكام سدادتها تبين انها القيت في المحيط الهادىء ابان الحرب العالمية الثانية، وربما القاها

احد الجنود الامريكيين على سبيل المزاح.

إرسال الرسائل في زجاجات هوايتي منذ سنوات. وكنت كلما زرت بلداً اجنبياً، يجاوره محيط أمارس هذه الهواية ثم اجيل نظري على امتداد الشاطىء وانا اتمشى هناك وكلي عيون منفتحة علني اعثر على زجاجة قذفتها الامواج على الرمال. انها هواية مسلية، لأن مثل هذه الطريقة في المراسلة التي سادت زمناً معيناً يمكن ان تتكشف عن مؤامرات او حكايات غرام او خدمات انسانية او مغامرات او علم من العلوم. حتى انه في اواسط القرن السادس عشر عينت ملكة بريطانيا اليزابيت الاولى مسؤولا رسمياً يتولى فتح سدادات الزجاجات الواردة من المحيط بحيث اصبح من غير القانوني لسواه ان يفعل ذلك. وكان عملاء استخباراتها يعمدون الى هذه الوسيلة للاتصال بها وتزويدها بمعلومات عن الاعداء.

وهكذا كان "بريد نبتون" يأتي بمفاجآت كثيرة وغير متوقعة. فبعض الزجاجات لا يقطع اكثر من كيلومتر واحد في الشهر، في حين ان البعض الآخر قد يقطع بسهولة اكثر من مئتي كيلومتر في اليوم. انما يعتمد ذلك على حال البحر. كما لا يمكن التكهن بمن سيتلقف زجاجة رميتها. وربما بعد سنوات من القائها في بانكوك او لشبونة او مونتفيديو او سيدني يأتيك رد من الطرف الآخر من العالم يخبرك فيه احدهم بتسلم رسالتك.

كما ان احداً لا يجزم اين سينتهي المطاف بالزجاجة وهو يلقي بها في المحيط. ففي ابريل (نيسان) ١٩٧٧ رمى شاب زجاجة في مياه خليج سكاين في ميامي (ولاية فلوريدا). وبعد اربعة اشهر تلقى جواباً من احد صيادي الاسماك في بوسطن (ولاية مساتشوستس) يقول فيه: "لقد عثرت على رسالتك في جوف سمكة قرش تزن اكثر من مئة كيلوغرام اصطدناها من اعماق البحر في فالموث في مساتشوستس، وذهلنا لمثل هذا النوع من الرسائل."

وفي صيف ١٩٦٠ القى تشارلي هوستلر (٨ سنوات) ابن الملحق العسكري في السفارة الامريكية في بيروت زجاجة في مياه البحر الابيض المتوسط طالباً الرد ممن يعثر عليها. وبعد شهر واحد تلقى جواباً من ستيفن كلارغيروس (١١ سنة) من سكان جزيرة أنديباروس الصغيرة في بحر إيجه واصفاً له حال الفقر المدقع لعائلته التي تضم ثلاثة عشر شخصاً. فبدأ والد تشارلي على الفور تنظيم حملة خيرية لسكان تلك الجزيرة الذين يبلغ عددهم ٦٠٠ نسمة. وعشية عيد الميلاد اقلعت احدى طائرات سلاح الجو الامريكي الى الجزيرة حاملة ٧٠٠ كيلوغرام من الغذاء والملابس والألعاب والحلوى.

اما صديقي الاسوجي ليونارد كليرمونت فطار في رحلة جوية الى جزر ازور في شمال المحيط الاطلسي حيث القى زجاجة في المياه. وعندما وصل الى منزله في كاليفورنيا بعد اربعين يوماً وجد في انتظاره رسالة من مدرس اسكوتلندي يوضح فيها انه

11 x	3.000 DM	12 x	3.000 DM	13 x	3.000 DM	14 x	3.000 DM	15 x	3.000 DM	1.200 x	3.000 DM
110 x	2.000 DM	120 x	2.000 DM	130 x	2.000 DM	140 x	2.000 DM	150 x	2.000 DM	2.000 x	2.000 DM
1.100 x	1.000 DM	1.200 x	1.000 DM	2.300 x	1.000 DM	2.400 x	1.000 DM	2.500 x	1.000 DM	10.000 x	1.000 DM
11.100 x	240 DM	11.200 x	360 DM	11.300 x	480 DM	12.400 x	600 DM	12.500 x	720 DM	66.000 x	720 DM
12.378 =	8.292.000 DM	12.607 =	10.058.000 DM	13.827 =	12.773.000 DM	15.047 =	15.097.000 DM	15.267 =	16.950.000 DM	78.335 =	70.770.000 DM

Start of next Lottery: October 1984

How to participate:

① You order your ticket with on the order coupon below.

② Within days you receive your ticket together with an invoice and the official drawing schedule with rules and regulations.

③ PLEASE INCLUDE PAYMENT WITH YOUR ORDER. You can also pay for your ticket after receipt of the invoice. Payment can be made by personal check,travellers check, bank transfer (add remittance bank charge) or in cash via registered air mail (cash at your own risk).

④ After each class you will receive the official winning list together with the ticket of the next class via air mail.

⑤ If your ticket has been drawn, you will immediately receive a winning notification. Your drawn ticket is eliminated from the game, therefore we will offer you a new ticket (replacement-ticket) so that you can keep on playing right up to the 6. class.

⑥ Your prize-money will be transferred to you within one week of your request by check or any other way you desire. Of course, if you hit a jackpot you can come in person to collect your prize in cash.

⑦ If you are already our customer, please do not order, because you receive the ticket automatically for the next lottery.

You can be sure you will receive fast, honest and confidential service. Now it is up to you, therefore order and mail the coupon today.



HANS HERZOG
Hans Herzog Alsterdorfer Str.326
D-2000 Hamburg 60 W.-Germany

Lots of Luck

Your chance to win: 1:3

If coupon is missing, write for information.



I try my luck and order!

All classes (1st - 6th class) 72. Lottery, beginning
April 6, 1984 to September 28, 1984

Please fill in number of tickets you want to order.

		DM	or	US$*	or	£*
	1/1 ticket	741.00	●	276.50	●	190.00
	1/2 ticket	381.00	●	142.20	●	97.70
	1/4 ticket	201.00	●	75.00	●	51.55

* US$ prices and £ prices are subject to rate of exchange.

Prices are for all 6 classes including air mail postage and winning list after each class. No additional charges. Rate of exchange: Dec. 1983



Mail coupon to

Hans Herzog
Alsterdorfer Str. 326
D-2000 Hamburg 60 W.-Germany

Please write in German ☐ English ☐

Please print in clear letters.

72/57 Mr. ☐ Mrs. ☐ Miss ☐

First Name

Last Name

Street

P. O. Box

City

Country

Do you want to become a millionaire?

You can. Now we offer this opportunity 25 times 1 MILLION DM!



NEW

2 Million DM guaranteed Super Jack Pot

400.000 tickets – 147.461 prizes
Total prize money over 133 million DM

39.603 ADDITIONAL PRIZES
A prize of DM 20.000 up to 2 million DM falls on almost every 1000. ticket number.

This is exceptional. An inheritance or business venture could never offer you such a chance! The NORTH-WEST-GERMAN-STATE-LOTTERY offers you the possibility to belong to an international group of clever participants. All prizes are quoted and paid out in German Marks (DM). This is where your advantage is. The West German Mark has been one of the strongest currencies in the world for years.
Each lottery runs over a period of 6 month, one class per month. There are 400.000 tickets with 147.461 prizes totalling over 133 Million DM. A total of 242 jackpots ranging from 100.000.– to 1 Million DM are raffled-off plus plenty of medium and smaller prizes. It is also possible that 10 prizes of 100.000.– DM will be combined into a **Super-Jackpot of 1 Million.**– determined in pre-drawings. That means that 24 prizes of 1 Million DM plus 2 guaranteed prizes of 1 Million and 2 Million each will be drawn = **26 Super Jack pots = 26 Millionaires.**
Name us another game where this is possible! The drawings are held in public and supervised by state auditors. All prizes are guaranteed by the German Government. The great thing is that nobody will find out about your winnings, because you – as a player – remain anonymous.

PRIZE-SCHEDULE

400.000 ticket numbers in the game
147.461 winning numbers

37 out of 100 numbers are winners

1. Class April-Drawings '84	2. Class May-Drawings '84	3. Class June-Drawings '84	4. Class June/July-Drawings '84	5. Class July/Aug.-Drawings '84	6. Class - Main draw Aug./Sep.-Drawings '84
1 MILLION DM main price guaranteed	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM
1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM
1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM
1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM
					1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM
					2 MILLION DM SUPER JACK POT
1 x 50.000 DM	5 x 50.000 DM	6 x 50.000 DM	7 x 50.000 DM	8 x 50.000 DM	14 x 50.000 DM
1 x 25.000 DM	2 x 25.000 DM	6 x 25.000 DM	7 x 25.000 DM	8 x 25.000 DM	14 x 25.000 DM
1 x 20.000 DM	2 x 20.000 DM	3 x 20.000 DM	7 x 20.000 DM	8 x 20.000 DM	14 x 20.000 DM
1 x 15.000 DM	2 x 15.000 DM	3 x 15.000 DM	4 x 15.000 DM	8 x 15.000 DM	4 x 15.000 DM
11 x 10.000 DM	12 x 10.000 DM	3 x 10.000 DM	14 x 10.000 DM	15 x 10.000 DM	14 x 10.000 DM

عثر على الزجاجة اثناء جمعه الخشب الطافي على الشاطىء. ولما كان كليرمونت افاد في رسالته انه مصور في هوليوود فقد طلب منه المدرس بعض الصور. واستمرت المراسلة بينهما ردحاً من الزمن كان كليرمونت خلاله يبعث بالكثير من الصور والمجلات السينمائية الى اسكوتلندا. وبذلك تمكن المعلم من اقامة نادي سينما لتلاميذه.

وعندما أغرقت الباخرة "لوزيتانيا" في الحرب العالمية الاولى وشرعت تغوص بركابها الذين بلغ عددهم ١١٩٨ الى اعماق المحيط الاطلسي، خط احدهم رسالة ووضعها في زجاجة. وقد جاء في تلك الرسالة الحزينة ما يأتي: "لوزيتانيا، ٧ مايو (أيار) ١٩١٥، اصابنا طوربيد. ارسلوا نجدة." وعثر على الزجاجة وقد غمرها رمل الشاطىء البريطاني بعد غرق السفينة ببضع سنوات.

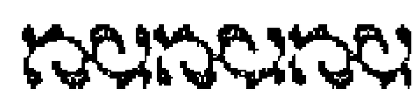
وربما كانت الدوافع لارسال مثل هذه الزجاجات روحية ايضاً. فالفس بيرس من غادسدن في ولاية الاباما كان يضع فيها كراسات تحث في معظمها على الامتناع عن الكحول ويلقيها في نهر كوزا الذي يصب في خليج مكسيكو. وهو ارسل حتى الآن اكثر من ٥٠٠ زجاجة وتلقى اكثر من ٣٠٠ رد من اشخاص في الامريكتين.

ولما كنت مولعاً بالسفر في اصقاع العالم فاني اطلقت عدداً كبيراً من زجاجات الرسائل في خضم امواج البحور السبعة وتلقيت ردوداً كثيرة. فهل تنضم إلي في هذه الهواية؟ إليك بعض الافكار المفيدة:

- تأكد من ان الزجاجة جافة من الداخل فلا تتسبب الرطوبة في اتلاف الرسالة.
- تحاشَ الزجاجات الملونة لانها تشكل صعوبة في اكتشاف الرسالة.
- إختر زجاجة ذات عنق ضيق ليسهل وضع فلينة تمنع تسرب الماء. ولمزيد من الحرص اربط عنق الزجاجة بشريط لاصق واحكم حولها سلكاً مقاوماً للصدأ.
- ضع في الزجاجة نحو ثلاثة سنتيمترات من الرمل الخشن الجاف او بعض الحصى للتأكد من انها ستأخذ وضعاً عمودياً وهي طافية على سطح الماء.
- حاول مقدار المستطاع ان تطلق الزجاجة في بحر مفتوح وليس في خليج او كهف يتحكم به ممر ضيق او حيث قد تتسبب الصخور في كسرها.

مع تمنياتي بان يسدي اليك بريد نبتون افضل الخدمات وايسرها.

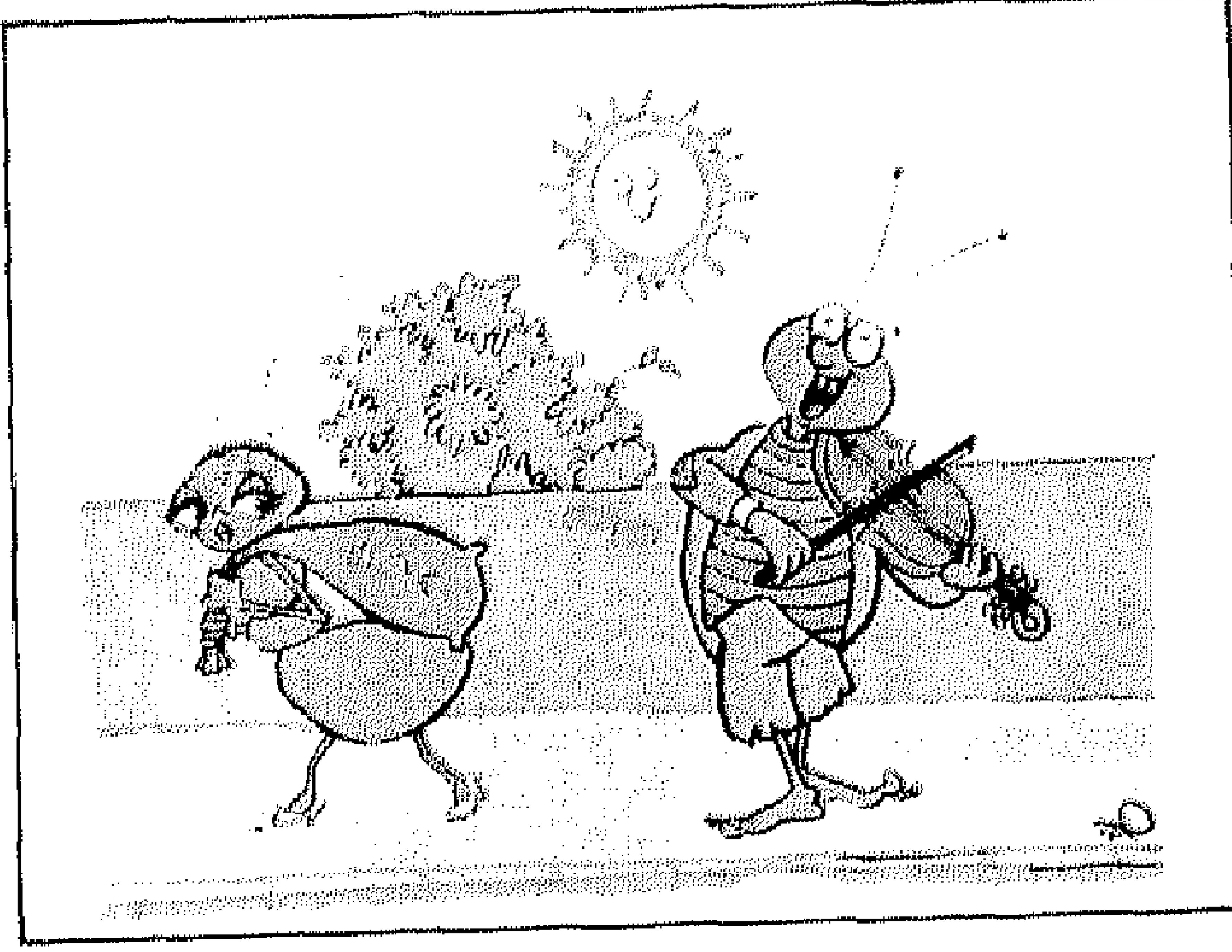
■ ولمون مينارد



فرضيات فيزيائية

شاء فيزيائي أن يفسر نظرية جديدة لفيزيائي آخر، لكنه لم يكن يعرف خلفيته العلمية. ولما سأله أجاب الزميل: "يمكنك أن تفترض جهلا لا نهاية له وذكاء غير محدود."

ل.ف.



حديقة أفكار

- قدرة الانسان على العدالة تجعل الديموقراطية ممكنة. أما قدرته على الظلم فتجعلها ضرورية.

رينولد نيبور

- طالما تساءلت عن معنى الحياة وقيمتها. أما اليوم فقد وجدت الجواب في كوني حياً.

جوانا فيلد

- الازهار تجعل الناس، على الدوام، أفضل وأسعد وأكثر عوناً. انها شمس الروح وغذاؤها والدواء.

لوثر بربانك (بستاني امريكي)

- القوة لا تصنع الحق، وان تكن تصنع التاريخ.

جيم فايبيغ

- ثمة نوع واحد من الضرائب يرضي الجميع: انه الضريبة التي لا يدفعها سوى الآخرون.

ايرل ولسون

- لا نستطيع أن نمنح أولادنا المستقبل مهما فعلنا لتذليل العقبات في طريقهم. ولكن يمكننا أن نعطيهم الحاضر.

كاثلين نوريس (كاتبة امريكية)

- لا أحد يصغى حقاً الى سواه. ولو حاولت أن تفعل، لعرفت السبب.

م.م.

- السلام العالمي يبدو خرافة بالنسبة الى رب عائلة متوسطة العدد.

ك.هـ.

- أعظم الاخطاء أن تكف عن العمل لأنك لا تستطيع سوى القليل. والاجدى أن تفعل ما تستطيع.

سيدني سميث (كاتب بريطاني)

اداء عالمي يلائم رقي الدرجة الاولى

إمكانية ريموت كونترول يعمل بالأشعة تحت الحمراء، أداء رائع للبث التلفزيوني العالمي. كل تلك المزايا العديدة تجدها في التلفزيونات ذات الأنظمة السبعة... كلها من شارب.

استمتاع بالعروض التلفزيونية واشرطة واسطوانات الفيديو

7-SYSTEM

تستطيع التحكم بتلفزيونك ذي الانظمة السبعة من شارب عن طريق جهاز الريموت كونترول الذي يعمل بالأشعة تحت الحمراء وتمتع بالراحة والاسترخاء امام تلفزيون يلائم رقي الدرجة الاولى.

أضف الى ذلك تفاوق الانظمة السبعة مقارنة بكل مستوى اذاعي فني يستخدم في عالمنا اليوم فيه ستحوز على الاداء الراقي. استلق على كرسيك وتحكم بتلفزيون شارب الجديد ذي الانظمة السبعة فهو لك أينما تريد أن تكون..

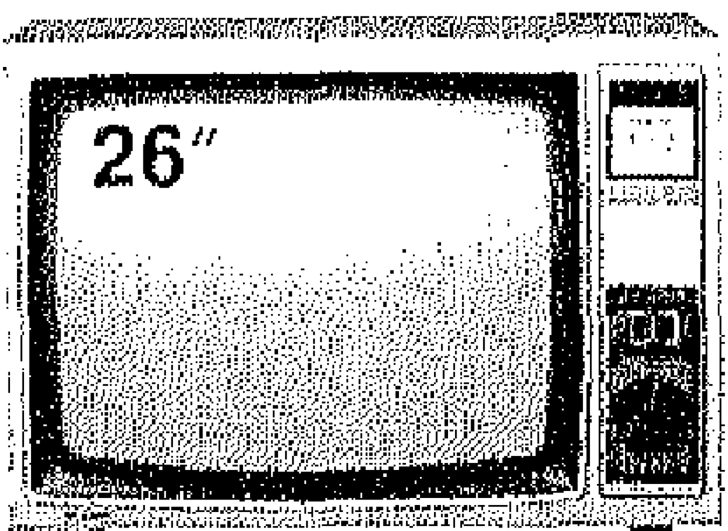
ShotVision

DV-2100SPN

تلفزيون ملون ٥١ سم (٢٠ بوصة) مع ريموت كونترول قابل للانفصال يعمل بالأشعة تحت الحمراء ويقوم بأداء ١٧ وظيفة. [illegible]

DV-262SPN

تلفزيون ملون ٦٦ سم (٢٦ بوصة) مع ريموت كونترول يقوم بأداء ١٦ وظيفة، يحتوي على فتحات لتوصيل أجهزة الفيديو، مجهز بذاكرة برمجة لـ ١١ قناة.



بكل فخر نخدمك لترقى الى السعادة

شارب SHARP

شركة شارب، اليابان

لمزيد من المعلومات يرجى بالاتصال بوكيل شارب المحلي.

العربية السعودية: [illegible]
الكويت: شركة التجهيزات الفنية المحدودة [illegible]
الامارات: [illegible]
البحرين: [illegible]
عمان: شركة عمان للالكترونيات المصرية [illegible]
قطر: شركة المفتاح التجارية [illegible]
لبنان: الشركة التجارية العامة [illegible]

منع الحمل: أي وسيلة تختارين؟

يوم يرزق الزوجان طفلا يرغبان فيه يعتبر هذا الحدث من عجائب الحياة البهيجة. اما الحمل غير المرغوب فيه فينطوي على اعباء مالية وآلام نفسية مبرحة وان يكن حدث ضمن الزواج. هذه الامور المهمة والخطيرة تحتم على الناس معرفة وسائل منع الحمل.

ان الامتناع كلياً عن ممارسة الجنس هو الطريقة الأكيدة لمنع الحمل. لكن غالبية الناس تجد ذلك مثالياً ومخالفاً للطبيعة البشرية، وبالتالي فلا بد من اللجوء الى بعض الوسائل الواقعية. وقد استشار محرر الـ"ريدز دايجست" والتر روس ما يزيد على عشرة خبراء في وسائل منع الحمل لمعرفة اسلم الطرائق وافعلها فخرج بهذا الدليل العصري الشامل المفصل لوسائل منع الحمل.

الاسفنجة. روكسانا امرأة في الحادية والثلاثين من عمرها ووالدة لطفلين. كل صباح تخرج الاسفنجة من مهبلها وتبدلها بأخرى نظيفة ومحفوظة في كيس من البلاستيك، تبللها بالماء قبل ادخالها. ويبلغ قطر الاسفنجة حوالى خمس سنتيمترات وسماكتها سنتمترين.

لقد سمحت دائرة الغذاء والدواء في الولايات المتحدة باستعمال الاسفنجة بعد سبع سنوات من التجارب. ويعتبر اسفنج المهبل احدث وسائل منع الحمل في الاسواق. انه يباع من دون وصفة طبيب ويبلغ ثمن العلبة التي تحوي ثلاث اسفنجات نحو ثلاثة دولارات. والاسفنجة المذكورة هي من النوع الرقيق اللين المرن الذي يستخدم في الشرايين

وصمامات القلب الاصطناعية. ويتناسب شكل القسم الداخلي للاسفنجة مع شكل عنق الرحم، ويحتوي القسم الخارجي على عروة من القماش تسهل اخراجها. وتوضع كل اسفنجة لفترة اربع وعشرين ساعة.

يمزج بالاسفنجة غرام من قاتل المني "نونوكسينول - ٩" الذي تسمح به دائرة الغذاء والدواء وتستعمله حالياً ملايين النساء منذ اكثر من عشرين سنة في شكل كريم او رغوة او هلام. ويعتبر "نونوكسينول - ٩" وسيلة ناجعة لمنع الحمل ومطهراً لمعظم الامراض السارية كالزهري والسيلان وقوباء الاعضاء التناسلية والتهاب مجرى البول وداء الوحيدات المشعرة، كما انه يمنع نمو جرثومة "ستافيلوكوكس اوريوس" المرتبطة بصدمة التسمم.

ولان الماء ينشط قاتل المني والاسفنج، ترطب الاسفنجة بالماء قبل ادخالها المهبل مما يساعد في تدفق المواد الكيميائية، كما تشكل الاسفنجة عازلا يحول دون وصول المني الى عنق الرحم.

واثبتت التجارب ان الاسفنجة تضاهي في فاعليتها الحجاب الذي يحتوي على قاتل للمني، اي انها تؤدي وظيفتها في ٨٥ في المئة من الحالات العادية. ويمتاز الاسفنج على اللولب بان اختياره لا يتطلب مساعدة الطبيب، فقياسه موحد لجميع النساء. ويجب التأكيد على ان استعمال الاسفنجة او الحجاب او الكوندوم (الكبوت) ليس كافياً للنساء اللواتي يمنعن عن الحمل او لا يرغبن فيه.

ومن سلبيات الاسفنجة انها ليست وسيلة اكيدة لمنع الحمل، اضافة الى رائحتها الكريهة اذا تركت في المهبل اكثر من ١٨ ساعة (يجب ترك الاسفنجة ٦ ساعات على الاقل بعد الجماع). وهناك صعوبة في اخراجها لان ملمسها يشبه ملمس الجسد، وربما تتعرض للتمزق. ثم ان لدى ٢ في المئة من الرجال والنساء حساسية ضد قاتل المني، وينشأ لديهم طفح جلدي موضعي. ومع ذلك تصر ٨٥ في المئة من النساء اللواتي يعتمدن هذه الطريقة على الاستمرار في اتباعها كوسيلة ناجعة لمنع الحمل.

الكوندوم (الكبوت). تقول نشرة اعلامية صادرة عن جامعة جونز هوبكنز في ولاية ماريلاند: "استعمال الكوندوم لا يشكل ضرراً كوسيلة فعالة لمنع الحمل، ويمكن الامتناع عنه في حال الرغبة في الحمل. انه يحمي النساء والرجال من الامراض السارية ولا تنشأ عنه اي اعراض جانبية وهو سهل الاستعمال ولا يحتاج الى مساعدة طبيب.

عام ١٩٨٢ وافقت دائرة الغذاء والدواء الامريكية على طرح الكوندوم الجديد في الاسواق وبيعه من دون وصفة طبيب. انه مصنوع من المطاط الرقيق ومدهون بقاتل المني "نونوكسينول - ٩" زيادة في الوقاية في حال انسكاب المني من الكبوت لدى اخراجه. وقد افادت التجارب ان هذه الوسيلة تخفف كثيراً من سرعة

تحرك المني الضرورية لحدوث الحمل.
ويعتبر الكوندوم وسيلة فعالة بنسبة ٩٠ في المئة في الحالات الطبيعية، وتباع كل ثلاثة منه بدولار ونصف دولار.

اقراص منع الحمل. الاقراص هي عقاقير متنوعة ذات معادلات عدة. واكثر الانواع استعمالا تلك التي تجمع بين الاستروجينات والبروجستينات وهي هرمونات انثوية تمنع الاباضة. وهناك نحو ٥٠ معادلة منذ ما نزلت اقراص منع الحمل الاسواق.

والاقراص هي افعل وسائل منع الحمل التي تمكن العودة عنها متى قررت المرأة الحمل من جديد. واستعمالها ناجح بنسبة ٩٨ في المئة في الاحوال الطبيعية. ولكن في اواخر الستينات صدر بحث مخيف جاء فيه ان تعاطي الاقراص يضاعف خطر الاصابة بالجلطة الدموية مما يسبب الموت بالتهاب الوريد أو السكتة القلبية. كما انه يزيد احتمال ارتفاع ضغط الدم واختلال عملية تأيض المواد النشوية. وقد ادى ذلك الى انخفاض الاقبال على الاقراص حتى العام ١٩٨١، ثم استقرت نسبة استخدامها بعد ذلك. وتراوح كلفة الاقراص بين ٧ و١٠ دولارات في الشهر.

وفي العام ١٩٦٨ بوشرت ثلاث دراسات تناولت ٣٩ الفاً من النساء اللواتي يتعاطين الاقراص و٤٢ الفاً من اللواتي لا يتعاطينها في الولايات المتحدة وبريطانيا. وتفيد الدراسات ان الاخطار التي تواجهها النساء اللواتي يتعاطين الاقراص تكاد تكون مقصورة على المدخنات، خصوصاً اللواتي تجاوزن الخامسة والثلاثين من العمر. وتشير الحقائق الى ان جميع النساء دون الخامسة والثلاثين، والنساء دون الاربعين اللواتي لا يدخن، يتساوى لديهن متوسط الوفاة بالامراض السارية سواء اكن يتعاطين الاقراص او لا يتعاطينها. وقد جاء في "دليل ميرك" الطبي ان "على جميع النساء اللواتي يتناولن اقراص منع الحمل اجراء فحوص طبية قبل تعاطيها مباشرة وبعد تناولها بثلاثة اشهر، ومن ثم مرة في السنة على الاقل."

وتعود معظم المشاكل الصحية المتعلقة باقراص منع الحمل الى النوع الذي يحتوي على ٥٠ ميكروغراماً من الاستروجين (حبوب منع الحمل الاولى كانت تحتوي على ١٥٠ ميكروغراماً من الاستروجين وعشرة مليغرامات من البروجستين). وتحتوي جميع انواع اقراص منع الحمل اليوم على أقل من ٥٠ ميكروغراماً من الاستروجين ومليغرام واحد من البروجستين.

وتشير دراسات حديثة الى بعض منافع اقراص منع الحمل. انها تحمي من التهاب عنق الرحم وتمنع الحمل خارج الرحم كما تمنع بعض امراض الثدي والتهابات جدار الرحم وسرطان المبيض. وتساعد ايضا في انتظام الدورة الشهرية والتخلص من الاوجاع المرافقة لها.

وتتوافر في الاسواق اقراص صغيرة

جداً لمنع الحمل تحتوي على البروجستين وتخلو من الاستروجين. وتزيد هذه الحبوب النزف اثناء الحيض وهي أقل فاعلية من النوع الذي يجمع البروجستين والاستروجين، لكنها تفيد المرأة التي لا تستطيع تناول الاستروجين بسبب اعراض جانبية كالاستسقاء والصداع والغثيان وارتفاع ضغط الدم.

اللولب داخل الرحم. قبل خمس وسبعين سنة عرف ان وجود جسم غريب داخل الرحم يمنع الحمل. ولقد صنع اول هذه الاجسام عام ١٩٠٩ من احشاء دودة الحرير.

اما الانواع الحديثة فمصنوعة من البلاستيك الخامل (الذي لا يتفاعل كيميائياً). ويضاف الى بعضها سلك نحاسي وهناك صنف يحتوي على كمية من البروجستين تكفي لسنة كاملة. وهي ذات اشكال متنوعة: بعضها في شكل "S" أو "T" او "7".

وتبلغ فاعلية اللولب كمانع للحمل ٩٥ في المئة. لكن هذه الفاعلية ليست اكيدة في الاسابيع الاولى من وضعه في الرحم، لذلك يستحسن اللجوء الى مانع اضافي خلال هذه الفترة. كما ان ادخاله واخراجه يجب ان يتما على يد اختصاصي.

وتنجم عن هذه الوسيلة اخطار نادرة، ولكن خطيرة، اهمها التهاب عنق الرحم خصوصاً اذا حصل حمل قبل اخراج اللولب. وأحياناً ينجم ثقب في الرحم حين يدخل الطبيب اللولب، وعندئذ يتطلب الامر جراحة لاخراجه (يشكل هذا الخطر واحداً في الالفين). والنساء اللواتي يعتمدن هذه الوسيلة هن اكثر تعرضاً للاسقاط.

ويحتوي اللولب على ذيل مصنوع من خيوط النايلون يتدلى من عنق الرحم ويساعد المرأة في التأكد من وجوده في موضعه، لكنه يشكل ممراً لدخول الجراثيم الجسم.

ولا ينصح باستخدام اللولب كوسيلة لمنع الحمل للنساء اللواتي اصبن حديثاً او تكراراً بالسيلان او التهاب عنق الرحم او حصلن على نتيجة غير طبيعية في فحص "باب" او حملن خارج الرحماو يعانينمنروماتيزم في القلب او مصابات بالسكري (لأنهن عرضة لالتقاط المرض بسهولة). كذلك لا تنصح به النساء اللواتي يمارسن الجنس مع اكثر من شريك او هن دون الخامسة والعشرين ويرغبن في الحمل لاحقاً.

هناك انقسام في الرأي حول استعمال اللولب كوسيلة لمنع الحمل. ويؤكد المعارضون ان المرأة التي تصاب بالتهاب من جراء استعمال اللولب قد تصاب بعقم دائم او قد تحتاج الى جراحة لاستئصال بيت الرحم. لكن الوفيات الناجمة عن اللولب هي أقل عدداً من الوفيات الناجمة عن اقراص منع الحمل. كما ان قدرة المرأة على استعمال اللولب مدة سنة كاملة هي اكبر من قدرتها على تناول الاقراص للمدة نفسها.

الحجاب الحاجز. تم اختراع هذا الحجاب في اوروبا قبل مئة سنة تقريباً. وهو مصنوع من المطاط الرقيق في شكل قبة قليلة الارتفاع،

وقد ثبت "رفاص" حول محيطه، يثبته الطبيب المختص فوق القسم الاعلى للمهبل حيث يسد عنق الرحم من دون احكام. ولا يشكل عازلا تاماً للمني، لذلك يستعمل معه قاتل المني الذي يساعد ايضاً في الحماية من الامراض السارية.

وهناك موجة جديدة لتحسين الحجاب لقلق الناس حول سلامة الاقراص واللولب. ومع ذلك لا تنصح به النساء اللواتي يعانين الحساسية ضد المطاط او قاتل المني او اللواتي ابتلين مراراً بالتهاب في قناة البول او يعانين هبوطاً في الرحم. وهناك بعض المشاكل الاخرى كنقص الاشخاص المدربين على تثبيت الحجاب اذ ان المرأة لا يمكنها ان تثبته بنفسها. كما انها وسيلة غير مضمونة اذ بلغت فاعليتها ٨٣ في المئة، بشرط استعمال قاتل المني قبل كل جماع.

قاتل المني. قاتل المني المستخدم في الاسفنجة او الكوندوم او الحجاب يأتي ايضاً في شكل كريم او هلام او رغوة او اقراص او حتى تحاميل. ويتكون العقار من جزءين: قاتل المني لابطال عمل المني، والهلام او الكريم او الرغوة لسد المنفذ على المني ومنعه من الوصول عبر عنق الرحم الى الرحم.

وتبلغ فاعلية هذه المستحضرات ٨٥ في المئة في الحالات العادية. وتعتبر الرغوة اكثرها نفعاً. ويجب خض الوعاء جيداً لأكثر من عشرين مرة قبل الاستعمال (لنشوء الرغوة) ثم ادخال الرغوة جيداً الى عمق كاف واتمام الجماع خلال نصف ساعة. وتستخدم رغوة اضافية في حال تكرار العملية الجنسية.

ويجب التفريق بين الكريم والهلام اللذين يستعملان في الحجاب وذينك اللذين يستعملان كوسيلة منفردة لمنع الحمل. وهناك ايضاً بعض المحاذير، من ذلك ان اقراص الرغوة قد تقصر عن التفاعل ولا تفي بالمطلوب، او ان التحاميل قد لا تذوب كما هو متوقع.

وقد لا تكون النتائج ايجابية كما هي الحال مع اقراص منع الحمل، وقد لا توفر هذه الوسيلة حماية من الامراض السارية. لكنها متوافرة باسعار معقولة وتناسب الازواج الذين يمارسون الجنس باعتدال.

الامتناع الدوري وتنظيم الاسرة طبيعياً. الامتناع الدوري عن الجنس هو وسيلة شائعة لمنع الحمل.

ويتبع الرجل احياناً وسيلة القذف خارج المهبل. لكن هذا ينطوي على بعض اخطار، لان القضيب خلال عملية الانتصاب يفرز قطرة لزجة تحتوي على بعض المني مما يبقي فاعلية هذه الوسيلة دون ٧٥ او ٨٠ في المئة.

وهناك وسيلة طبيعية اخرى لتنظيم الاسرة تعرف بوعي الخصوبة. وهي تعتمد التقويم الشهري وحرارة جسم المرأة والافرازات المهبلية للتعرف الى ايام الخصوبة التي تكون المرأة خلالها قادرة على الحمل.

وتشير الدراسات الى ان هذه الوسيلة ناجحة بنسبة ٧٥ الى ٨٠ في المئة. وفي كتاب "جسدي وصحتي"

يقول الطبيبان فيليسيا ستيوارت وروبرت هاتشر: "معظم خبراء تنظيم الاسرة لا ينصحون بالاتكال على وعي الخصوبة، لان العديد من النساء لا ينعمن بنظام حراري واضح او بعادة شهرية منتظمة او بافرازات متميزة."

الارضاع. يقول الطبيب كارل جيراسي احد رواد اقراص منع الحمل: "ان الارضاع هو من أفضل وسائل منع الحمل على صعيد عالمي." اذ يؤدي انتاج الحليب الى احتباس عملية الاباضة فتقل فرص الحمل. ومع ذلك فهذه وسيلة غير مضمونة.

الجراحة. تقتضي الجراحة ربط انابيب المرأة او قطع القناة الدافقة لدى الرجل. وفي كلتا الحالين تمكن اعادة الخصب الطبيعي بواسطة جراحة ثانية، لكن نسبة الحمل عندئذ تنخفض ٥٠ في المئة عن السابق.

تستدعي عملية قطع القناة الدافقة عند الذكر تخديراً موضعياً وتستغرق نحو ٢٠ دقيقة، ويتم فيها تحويل مجرى القناة التي تحمل المني من الخصيتين، كما يمكن قطعها او ربطها. ولا تحدث العملية عقماً فورياً، بل ان فاعليتها تظهر بعد ١٥ الى ٢٠ قذفاً طبيعياً.

أما عملية ربط الانابيب التي يتم داخلها اخصاب البييضة في الانثى فهي اكثر تعقيداً لأنها تحتاج الى تخدير عمومي وقضاء يوم كامل في المستشفى. ولا تتعدى حالات الاخفاق في هذه العملية واحداً في الالف، كما تشكل الحوادث الجانبية البسيطة واحدا الى ستة في المئة. وفي ٢،٠ من الحالات تحصل مضاعفات خطيرة كالنزف او تمزق الاحشاء.

وتستخدم في بعض الحالات آلات لربط الانابيب، كالملقط او الخيط القطني "سيلاستيك"، بدلا من القطع لتمكين الانثى من الحمل في المستقبل بفك هذه القيود بجراحة اخرى. وتنخفض نسبة الحمل عندئذ ٥٠ في المئة عن السابق.

الخلاصة هي ان وسائل منع الحمل ليست سليمة او مضمونة ١٠٠ في المئة ولا يمكن تحديد وسيلة فضلى للجميع.

ويتوقف اختيار وسيلة معينة لمنع الحمل على عوامل شخصية عدة. فمعظم الناس يحددون وسيلتهم بحيث تتماشى مع مبادئهم الاخلاقية اوالدينيةاو الجماليةاومع نمط حياتهم، وقد يتأثر ذلك باهدافهم ومفهوم الحب والجنس لديهم.

■ والتر روس



فواتير... فواتير

قانون المال الطبيعي: كل مبلغ تضعه جانباً ستحتاج اليه غداً لتسديد فاتورة غير متوقعة.

ب.ك.

الكثيرون يظنـون
ان ابـواب النجاح
موصدة معظم الأحيان.
ولكن ايكون النجاح أقرب الينا مما نظن؟

مَفاتيح النجَاح


بعد سنوات طويلة قابلت خلالها أناساً حققوا نجاحاً اجتماعياً، وبينهم أبطال رياضيون وزعماء سياسيون ورجال اعمال ورواد فضاء، وجدت أن ثمة خيطاً رفيعاً يشد أفراد هذه المجموعة بعضهم الى بعض، وقد سميته خصوصية المنتصر أو شخصيته.

هذه الخصوصية ليست نتيجة بيئة متميزة أو حاصل ذكاء مرتفع أو ثقافة متفوقة أو موهبة خارقة، ولا هي مسألة حظ. لكنها في نظري ترتكز على موقف الشخص المعني.

ثمة عناصر كثيرة تدخل في تكوين هذا الموقف. غير أن أهمها أن يكون المرء صادقاً مع نفسه. وهذا يقتضي اتباع ثلاث نصائح رئيسية هي الآتية:

١. تحمل مسؤولية أفعالك

الاديان تخبرنا أن ما يزرعه الانسان فإياه يحصد أيضاً. والعلماء يتكلمون عن أسباب ونتائج. إلا أن كلا المعنيين واحد، وهو أن ما نحصل عليه لا يأتي هكذا، وإنما هو ثمرة ما فعلناه. والشخص نفسه مسؤول، سلباً أو إيجاباً، عما آل إليه. ومن اعتاد تحمل المسؤولية ينظر الى القيود التي ارتضاها لنفسه ويدرك استقلاليته تمام الادراك.

وللدلالة على ما نقول نضرب مثل جو سورنتينو الذي نشأ في ضاحية مدينة

وغدا في سني مراهقته زعيم عصابة. ثم لم يلبث أن أمضى فترة عقوبة في إصلاحية للأحداث. وهناك تذكر استاذاً في المدرسة الابتدائية وضع ثقته في مقدرته العلمية. وأدرك جو إذ ذاك أن الثقافة هي أمله الوحيد في النجاح، على رغم مستواه المتدني في مرحلة الدراسة الثانوية. وما أن غادر السجن حتى التحق بمدرسة مسائية وهو في العشرين. ثم دخل جامعة كاليفورنيا حيث تخرج بامتياز. ومن هناك انتقل الى دائرة الحقوق في جامعة هارفرد. وسرعان ما أصبح قاضياً بارزاً في محكمة الاحداث في لوس أنجلس.

٢. اكتشف مواهبك واتبع أهدافك

في مسرحية "هاملت" يضع شكسبير الكلمات الآتية على فم بولونيوس وهو يخاطب ابنه: "ضع هذا المبدأ فوق مبادئك جميعاً: كن صادقاً مع ذاتك (...) وعندئذ لا يمكن أن تكذب على أي إنسان." والواضح أن النصيحة التي أسداها بولونيوس الى ابنه هي أن يعيش وفقاً لأعمق قناعاته وإمكاناته، فلا يخشى أن يكون مختلفاً عن الآخرين بشرط أن يحترم حقوقهم.

إن الابحاث التي أجريتها، مشفوعة بخبرتي الشخصية، تؤيد أهمية الرأي القائل بأن يتعلم المرء ما يجد نفسه أهلا له بدل أن يترك للأهل أو المربين أو الأصدقاء أو الدوافع الاقتصادية تقرير أهدافه في المدى البعيد.

بعد قبولي في الاكاديمية البحرية الامريكية في أنابوليس (ولاية ماريلاند) بناء على تفوقي في المدرسة الثانوية، وجدت صعوبة بالغة في متابعة الدراسة حتى التخرج. والواقع أني انضممت الى تلك المؤسسة التي تركز على الهندسة لارضاء والدي بعدما انحرفت، من غير أن أدري، عن اهتمامي الطبيعي الاساسي ألا وهو العلاقات والاتصالات الانسانية. ولئن تكن وظيفتي في سلاح البحرية علمتني الانضباط الشخصي ووضوح الرؤية والعمل الجماعي، إلا أنها اخرتني ربع قرن عن ممارسة المهنة التي أهواها حقاً والتي أستطيع من خلالها التعبير عن مواهبي.

ولقد حرصت وزوجتي على مواجهة أولادنا الستة بنشاطات تربوية وثقافية متعددة من أجل إثارة اهتماماتهم وإعانتهم على اختيار الأهداف والأعمال التي تلائم شخصياتهم والتي يجدون فيها خير تحقيق لمواهبهم وإمكاناتهم ومعارفهم المكتسبة.

٣. لا تهرب، بل تكيف

إن مفتاح النجاح والصحة النفسية والجسدية هو قابلية المرء على التكيف. والواقع أن العديد منا يرزح تحت الضغط ويفقد حوافزه على العمل وبهجته في العيش. وحينئذ ينزع الى الافراط في الشراب والتدخين وأخذ المسكنات لمساعدته في تحمل الواقع. وفي حين ان الكحول والعقاقير الاخرى التي تخفف القلق والاضطراب تفعل فعلها وقتياً في

خفض ردود الفعل النفسية حيال الألم أو الاخفاق، سوى أنها تضعف قدرة المرء على احتمال هذه المواقف.

ومن أفضل الطرائف لمواجهة ضغوط الحياة أن نقبلها كأمور طبيعية. وإذا نظرنا الى عراقيل الحياة وعثراتها كعوامل لاصلاح الخلل، فهي عندئذ تولد لدينا مناعة ضد ردود فعلنا الهوجاء حيال المواقف المعادية.

وفي كتابه "تجديد الذات" يقول جون غاردنر إن الذين يعقد لهم لواء النصر في هذه الحياة لا يدعون شؤونهم في يد الأقدار، بل يتحرون الانتصار عبر المقارنة والموازنة الدائمة بين إمكاناتهم الذاتية والواقع الخارجي الموضوعي.

ويجدر، ونحن نعد ذواتنا لتحقيق النجاح، ألا يغيب عن أذهاننا أن الحرية الاجتماعية اليوم هي أقوى منها في أي وقت مضى. وهذا يعني أن لدينا فرصة أكبر للتعبير عن مواهبنا وآرائنا. أما اولئك الذين يشعرون أنهم مرغمون على العمل أو الهروب فقد أفلت زمام حياتهم من أيديهم. إلا أن المنتصرين، من ناحية اخرى، ينطلقون من المواهب أو الامكانات الكامنة لديهم ويستثمرونها لتحقيق الأهداف التي تمنحهم الشعور بجدوى الحياة. وبكلمة، الخاسرون هم الذين يدعون الامور تحدث لهم، في حين أن الفائزين هم الذين يجعلون هذه الامور ممكنة.

■ دنيس ويتلي

خطاب يثير هزة ارضية

خلال نزهة مدرسية وقف تلاميذ صفنا في الهواء الطلق يلقي كل منهم خطاباً يعبر فيه عن انطباعاته. وجاء دور زميل خجول، فتقدم بعد الحاح شديد منا. وبشق النفس تفوه ببعض جمل قصيرة قبل حدوث هزة أرضية. وبعد خمود الهزة حثثناه على المتابعة، فقال: "ألا يكفيكم خطاب واحد تهتز له الارض؟"

ك.ب.

طباخة عازفة

قالت الام لطالب يد ابنتها: "أتسمعها كيف تعزف البيانو؟ انها تطهو الطعام بالطريقة نفسها."

ـ اذاً سنأكل في مطعم.

ص.د.

ترى لماذا لا يملك الزعماء السياسيون اجوبة عن جميع الأسئلة إلا حين يكتبون مذكراتهم؟

ج.ف.

البحّار وحارسُ المنارة

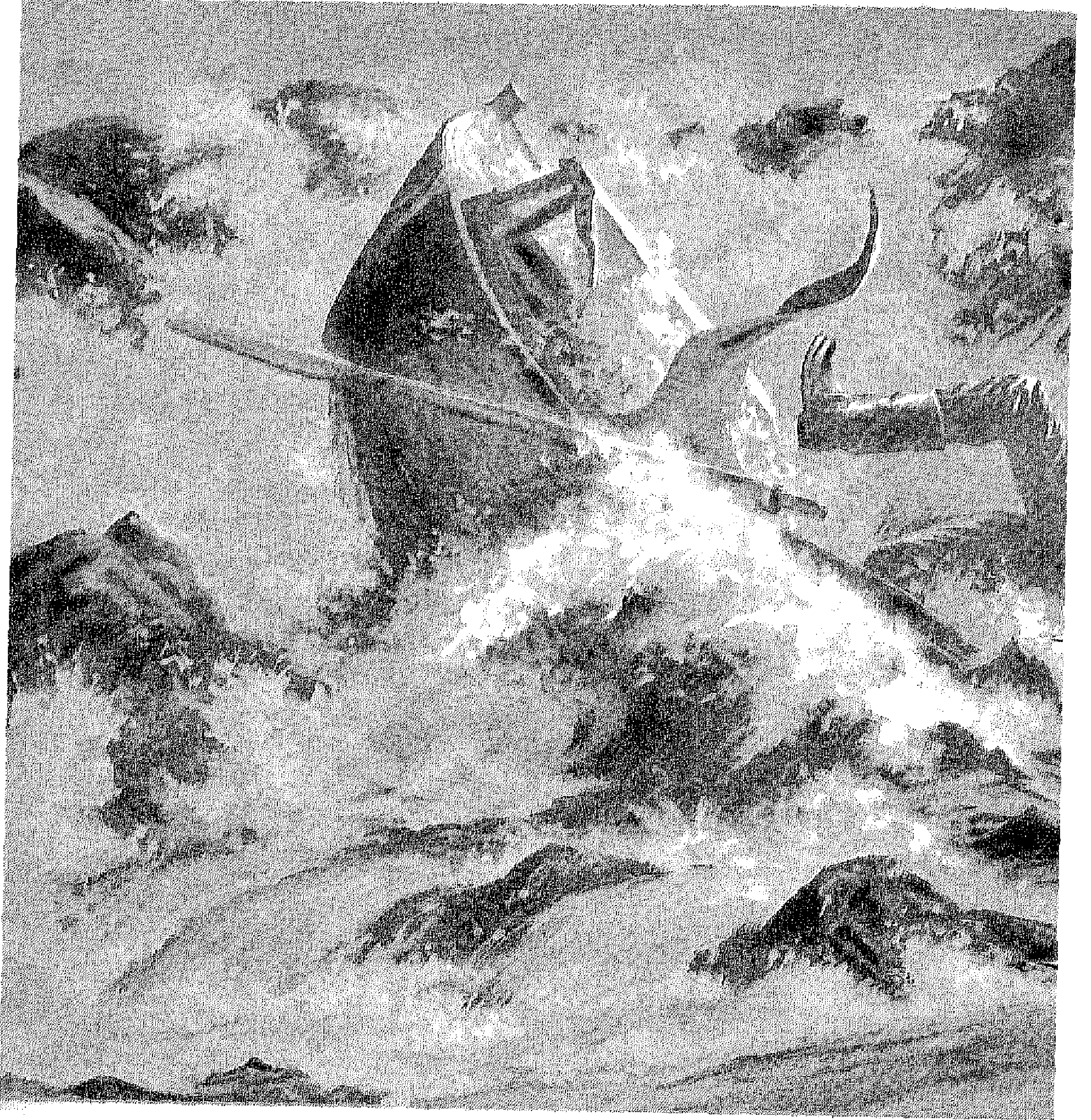


ج

جلس سفير بورنس تحت الظلة القطنية الزرقاء وقاربه الذي يبلغ طوله خمسة أمتار يترجح في صعود وهبوط فوق الامواج بين جزيرتي أسكروفا وسفانوي في النروج. ومن ميمنة القارب رأى سفير في البعيد ركستا وكن وهما الجزيرتان الأخيرتان قبل شمال الاطلسي. بعدهما لم يبق غير منارة إيتريان وجرفان صخريان ثم البحر الممتد حتى ايسلندا.

في الثالثة من بعد ظهر ١٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٣، وكان يوم أحد قارس البرد، غادر سفير (٣٥ سنة) منزله في فلوروي، وهي مركز لصيد الاسماك وبناء السفن شمال برغن. ويمم في قاربه شطر جزيرة سكوربا الواقعة على بعد ستين كيلومتراً الى الجنوب حيث كان يملك كوخاً صغيراً لقضاء الاجازات. وهو اراد أن يجدد طلاء ذلك الكوخ قبل حلول الشتاء. وكان يتوقع ان تستغرق رحلته زهاء ثلاث ساعات. وفي طريقه كان عليه أن يجتاز ثلاثة ممرات بحرية ويتوغل عبر الجزر المتقاربة للوصول الى اليابسة. ولم تكن الاحوال الجوية المرتقبة جيدة، لكنه كان يأمل أن يلوز بالجزر قبل حلول الليل وهبوب العاصفة.

ثلاثمئة متـر فـقط كانـت تفصل بينه وبين المنارة٠
لكن تلك المسافة القصيرة بدت في امتداد الاطلسي العاصف



ارتدى بورنس سروال "جينز" وسترة فرو مزودة بقبعة واخذ معه عدته ومصباحاً كهربائياً ومنظاراً. وقبل أن يصعد الى المركب عاد ليحضر بندقيته القديمة وهي من نوع "موزر" مع قليل من الذخيرة علّه يصادف صيداً جيداً. وخلف في المنزل زوجته ليل وابنتهما آن البالغة من العمر عشر سنين.

طيف جزيرة – توقف محرك القارب فجأة ولما تمضِ على رحيل سفير ساعة واحدة. وواجه الرجل الحال الطارئة من دون دهشة او ذعر. فهو مهندس سفن قادر على اصلاح أي عطل يطرأ على آلة أو محرك في قارب.

لجأ سفير الى مجذافيه واتجه بالقارب شطر جزيرة أسكروفا وألقى المرساة على بعد سبعين متراً من الشاطىء. ثم رفع المحرك وراح يعالجه. وتبين له أن صماماً في مضخة الوقود انكسر وحال دون وصول الوقود الى المحرك. ولم يكن يحمل قطع غيار او أدوات مناسبة، لذلك أعاد تركيب المضخة بعدما انتزع الصمام المكسور آملا في أن يعود المحرك الى عمله.

وفيما كان سفير يعيد ربط المحرك في موضعه باحكام أدرك أن أضواء ركستا ابتعدت عنه أكثر. فهو أثناء انهماكه بمحركه لم يلاحظ أن مرساته تحركت وسحبت الزورق الى منطقة المياه الصاخبة فانجرف نحو عرض البحر.

كان نور النهار يتلاشى بسرعة والحرارة تنخفض على نحو ملحوظ وبدأ الهواء يلسع بقسوة. وجذب سفير حبل تشغيل المحرك الذي دار للحال، لكنه ما لبث أن توقف بعد لحظات كما توقع سفير. ولم يبق له والحال هذه غير المجذافين لقيادة مركبه.

من وراء ركستا ومنطقة الامواج المتلاطمة في الخليج كان منظر الاطلسي مهيباً بأمواجه العملاقة المتدافعة. وأدرك بورنس أن أمله الوحيد هو في بلوغ شاطىء كن. كان التيار ينساب برفق حول الجزيرة، غير ان القارب كان ثقيلا وصعب التوجيه على رغم عضلات سفير التي اكتسبت صلابة خلال سنتين من التدرب على الكاراتيه.

وظل سفير يكافح بعناد حتى أوصل قاربه الى بعد خمسين متراً من الجزيرة. لكن التيار كان أقوى منه، وما هي الا دقائق حتى رأى طيف جزيرة كن يتلاشى ثم يختفي.

الماء المتجلد – حاول سفير ان يوجه قاربه شطر منارة ايتريان على بعد ثلاثة كيلومترات في عرض البحر. ومع أن الريح كانت تهب في اتجاه المنارة فقد حملته التيارات بعيداً نحو الغرب. وهكذا لم يتمكن بورنس من بلوغ هدفه بل بقي على مسافة ٢٥٠ متراً منه. ولم يبق أمامه غير أمل وحيد هو الوصول الى كتلتين من الصخور تدعى احداهما "ديب ساوند" والاخرى "سليد"، وهما ملجأ للنوارس وتشكلان خطراً عظيماً على السفن التي تمر في تلك المياه. وأيقن

بورنس أنه هالك حتماً ان لم يتمكن من الوصول الى احدى تينك الصخرتين.

كانت الامواج ترتفع فوقه سوداء مهددة. وتناثر الرذاذ من كل صوب يلسع وجهه كالسوط، وشعر بالخدر يكاد يشل يديه اللتين بقيتا تجذفان بقوة. ثم لاحظ أن صخرة "ديب ساوند" بدأت تبتعد عن ناظره وتبدد طيفها تحت غطاء من الزبد الابيض. وحمل التيار القارب في مدار حول صخرة "سليد". وبمحاولة يائسة راح بورنس يجذف بكل ما أوتي من قوة حتى أفلت من التيار، واندفع قاربه عبر خليج صغير ضيق في أقصى الطرف الغربي من الصخرة، وهو الطرف الاخير للصخرة الاخيرة في النروج.

انقلب القارب وقذف بورنس الى المرجل الثائر وسط الصخور. وحاول أن يتسلق صخرة لكنها كانت زلقة كالصابون، فانتزع حذاءه وتسلق بصعوبة فائقة حتى بلغ أعلى الصخرة. الا أنه بعد لحظة تفكير وجيزة أدرك أنه سوف يحتاج الى ظلة القارب ليتقي البرد الذي قد يقضي عليه خلال الليل، وكانت درجة الحرارة انخفضت الى الصفر. فعاد ونزل الى المياه القارسة. وبعد فترة أمضاها يسبح تارة وينزلق أخرى تمكن من سحب القارب المغمور الى اليابسة، ثم انتزع غطاء الظلة وحمله الى موضع من الصخرة مرتفع عن سطح الماء. بعدئذ غاص ثانية ليحضر بندقيته، وفي المرة الثالثة حمل معه علبة العدة المحتوية على منظاره وذخيرة بندقيته. وشعر بورنس بالوهن بعدما قضى في الماء المتجلد ساعة كاملة، فجر خطاه الى قمة الصخرة وهناك لف جسده بغطاء الظلة وغاب عن الوعي.

بعض دفء — عند الفجر استيقظ بورنس وأوصاله ترتعد من شدة البرد، وتخلص من غطائه المثقل بالماء ووقف بصعوبة فائقة. كانت قدماه متقرحتين وقد اختفى حذاؤه الايمن، وحاول أن ينتعل الأيسر فلم يستطع بسبب تورم قدمه. أدار ظهره الى الريح الجليدية ومشى وهو يعرج الى طرف الأخدود حيث وجد أن القارب اختفى.

كانت جزيرته الصخرية الصغيرة بقعة مستطيلة من الصوان الغرانيت قدر طولها بمئة متر وعرضها بـ٢٥ متراً، وهي في قمتها تعلو عن سطح البحر حوالى ١٥ متراً. وكانت تلك الصخرة قاحلة لا نبات فيها ولا خضرة. وذاق بورنس طعم المياه المتجمعة في حفر الصخور فوجدها مالحة لكنها صالحة للشرب. ونظر الى منارة ايتريان التي كانت تبعد حوالى ٣٠٠ متر في اتجاه شمالي شرقي، فأيقن انه لن يقدر ابداً على الوصول اليها سباحة بسبب الامواج الهائلة والمياه الصاخبة. ومع ذلك اطمأن الى أن أحد حراس المنارة سيلاحظ وجوده هناك عاجلا أم آجلا.

خلع سترته ووضعها على طرف مجذاف رفعه وراح يلوح به. لكن محاولته لم تلفت احداً. وفكر بورنس بواقعية في أن أحداً لن يراه قط وهو

كهرباء غبراء ملتصقة بصخرة رمادية. فأطلق من بندقيته عياراً نارياً، لكن الدوي ضاع وسط العاصفة.

جلس على خشبة وجدها فوق الصخرة وراح يتأمل وضعه ويفكر في خياراته. لم يكن يحمل عيدان ثقاب أو ولاعة لاشعال النار. وكانت المياه تسربت الى مصباحه الكهربائي فعطلت بطارياته. أما منظاره فتشقق وامتلأ هو أيضاً ماء. ولم يكن بورنس حمل معه طعاماً أو سكيناً. وخيل اليه أن انتظار النجدة هو الخيار الوحيد الباقي.

في تلك اللحظة قطع حلمه طائر نورس كان مقبلا نحوه، فتناول بندقيته وبات ينتظر. واستمر النورس في طيرانه نحوه متهادياً بجناحيه المنبسطين على علو عشرين متراً. صوب بورنس بندقيته وأطلق عياراً واحداً أصاب من الطائر مقتلا فسقط بالقرب منه.

كان بورنس جائعاً لكنه قدر على التريث. وضع الطائر تحت رأسه لينعم فترة وجيزة ببعض دفء بقي فيه.

طعنة خنجر — بعد انتظار طويل اتصلت ليل زوجة بورنس بأحد الاصدقاء المقيمين قبالة سكوربا تسأله عن زوجها. فاجابها انه لم يره وانه سيسأل عنه ويعود ليتصل بها هاتفياً. وكانت ليل تتوجس من الأمر شراً وتشعر داخلياً أن زوجها لم يصل قط الى الجزيرة. وظهر اليوم التالي تولت السلطات البحث عن البحار المفقود.

في تلك الصبيحة شعر بورنس بآلام مبرحة في قدمه اليمنى، ورأى ان لونها يأخذ في الاسوداد. ولاحظ حركة البحث التي بدأت جواً، فشاهد طائرة مروحية وبعض الطائرات الخفيفة الصغيرة، لكنها ظلت كلها تحلق الى الشمال في خط الريح الجنوبية الشرقية بعيداً من مجرى التيار الغربي الذي دفع به الى عرض البحر.

صبيحة يوم الاربعاء اشتدت الريح. وخلال النهار حلقت طائرة الانقاذ المروحية مرتين على بعد ١٥٠ متراً من الصخرة، فخلع بورنس سترته ولوح بها لكن المروحية تابعت طريقها. وزادت وطأة اليأس والجوع على بورنس، فأخذ النورس الذي اصطاده ونتف ريشه ثم مزقه باظفاره والتهم لحمه الشحيح القاسي.

في المساء خلع سترته وأدخل قدميه في كميها. وطوال الليل ظلّ يضرب بقبضته قدمه اليمنى المسودة المتورمة محاولا تنظيم الدورة الدموية فيها. وكان هاجس الغنغرينا يروعه ويقض عليه مضجعه.

بعد ظهر الخميس خف نشاط عمليات الانقاذ واخبرت ليل ان الأمل في العثور على سفير حياً غدا ضئيلا جداً. ففي المساء تم العثور على قاربه على بعد ثلاثين كيلومتراً شمال الصخرة. فكان وقع تلك الانباء على ليل كطعنة خنجر في قلبها.

الرصاصة الغامضة — توقف بورنس عن عدّ الايام وهو في وضعه اليائس يواجه العاصفة التي أبت الا أن تستمر

بلا هوادة· وحاول أن يبقى محتمياً ومن دون حراك، ولم يكن يجول الا بحثاً عن طعام فيلتقط بعض الاصداف أو الطحالب البحرية التي يعثر عليها بين الصخور· وكان يطلق رصاصة من بندقيته كل يوم خوفاً عليها من الصدأ·

ويوم الجمعة تلاشى كل أثر لعمليات البحث الجوية· الا أن بريق أمل تسرب الى قلب بورنس المتلفع بغطائه الثقيل عندما لاحظ أن جروح قدمه بدأت تلتئم وأن سوادها بدأ يختفي وأعاد اليه الامل بعض شجاعته ونشاطه فأدى بعض الحركات الرياضية لتنشيط دورته الدموية·

يوم الاحد، وبدافع من اليأس والقنوط، اطلق بورنس النار في اتجاه المنارة·ولم يصوب ناره على مصباح المنارة أو نوافذها، بل اكتفى باستهداف الصخر والاسس التي تقوم عليها غرفة المراقبة· وأصابت رصاصته هدفها فرأى دخاناً وغباراً يتصاعدان من موضع الاصابة· لكن هذه المحاولة لم تسترع اهتمام أحد· ويوم الاثنين أعاد الكرة فلم يلق جواباً·

كان في المنارة رجلان هما الحارس ليف بيورنسن (٥٦ سنة) ومساعده تريغفي سترومن (٤١ سنة)· ولم يكن أي منهما دارياً بصراع الحياة والموت على بعد يسير من نوافذ منارتهما· لكن بيورنسن سأل سترومن مساء الاثنين: "سمعتك اليوم تطلق النار، فهل أصبت الهدف؟" وكان سترومن مولعاً بالرماية وكثيراً ما كان يطلق النار على الصخور وراء المنارة· لكنه اجاب: "أنا لم أطلق اليوم رصاصة واحدة·" فقال بيورنسن متعجباً: "أمر غريب· لقد سمعت بعض الطلقات·"

وانتهى الحوار عند هذا الحد، فيما فكر بيورنسن في امكان وجود صيادين منعزلين توغلوا الى منطقة المنارة· لكن سترومن بقي مرتبكاً وحائراً· وفي صبيحة اليوم التالي خرج الى الرصيف الحجري الصغير عند قاعدة المنارة وسرح بصره في الاطلسي، لكنه لم يستطع رؤية شيء ذي أهمية·

مزاح ثقيل – في وقت لاحق من ذاك النهار سمع سترومن صوتاً غريباً فظن أن شيئاً ما في المنارة كان يحدث ذلك الصوت تحت وطأة الريح· وخرج يستطلع الخبر فسمع رجع طلقين ناريين· لقد عاد من أطلق النار أمس الى اطلاقها اليوم· ونظر سترومن مرة أخرى الى الصخرتين قبالة المنارة يتفحصهما بدقة، وبعد فترة أبصره: أبصر رجلا يلوح بحركات يائسة· كان واقفاً على صخرة قبالة المنارة· وتسمر سترومن في مكانه ثم لوح للرجل ليعلمه انه رآه·

صاح سترومن منادياً بيورنسن وأعلمه أن ثمة رجلا على الصخرة المواجهة للمنارة· ولم يمض ربع ساعة حتى كان الاثنان في زورقهما على مسافة قصيرة من الرامي الغريب· وهما لم يفكرا ابداً في انه قد يكون سفير بورنس الذي فقد الجميع كل رجاء في العثور عليه· ولدى وصول القارب الى الصخرة صاح فيه بيرونسن: "هل كنت على صخرتك

طوال هذه المدة؟ المفروض أن تكون الآن في عداد الاموات."

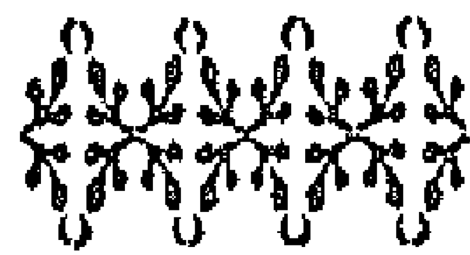
عاد الثلاثة في القارب الى منارة ايتريان وجلس بورنس ينعم بالدفء ويرتشف فنجان قهوة بعدما ابدل ثيابه بثياب جافة. ثم نهض واتصل هاتفياً بزوجته. قال لها: "هذا انا، زوجك."

كادت ليل أن تنفجر بكاء وتوسلت الى المتحدث أن يكف عن مزحه الثقيل. عندئذ ضحك بورنس فأيقنت للحال أنه زوجها وقالت بانفعال شديد: "لم أعرف صوتك." فأجاب: "ربما تغيرت قليلا."

في الواقع كان التغيير الذي حل به طفيفاً مذهلا. فخلال محنته التي استغرقت عشرة أيام خسر تسعة كيلوغرامات من وزنه. وباستثناء ذلك أكد له الاطباء في مستشفى فلورو أنه في صحة ممتازة. وأبدى بورنس رغبته في العودة الى البيت، فسمح له بذلك في اليوم التالي.

العاصفة التي هبت عشية لجوء بورنس الى جزيرته الصخرية استغرقت ثلاثة أسابيع ويوم الثلثاء في ٢٦ اكتوبر (تشرين الاول) وهو اليوم الذي سمع سترومن الطلقات، كان الوحيد طوال تلك الفترة الذي شهد هدوءاً نسبياً للعاصفة، مما اتاح سانحة فريدة لسماع دوي الطلقات.

■ رودلف شلمنسكي



نادل فندق "ريتز"

استدعي نادل يعمل في فندق "ريتز" الشهير في بوسطن الى غرفة الممثلة روث غوردون التي طلبت مآكل خفيفة في وقت متقدم من الليل. ولما دخل الغرفة وجد الممثلة متكئة على وسائد السرير وهي تنهي مخابرة هاتفية مع هوليوود.

وبعدما قدم اليها الطعام أخبرها أن" عليه القاء خطاب في اجتماع للموظفين، وأنه يود" أن يختمه بفكرة تضحك المستمعين. وراحت تصغي اليه وهو يقرأ الخطاب عليها.

وصادفته في اليوم التالي وسألته عن صدى كلمته. فأجاب: "لقد ضحك الجمهور في بداية الخطاب، لا في نهايته. ذلك أني استهللته بالآتي: "كما أخبرت" روث غوردون في السرير الليلة الماضية..."

ب.س.

اكاذيب عصرية

أكثر أكاذيب هذا العصر شيوعاً ثلاث: "انك لم تتغير على الاطلاق"، "لم أتسلم الرسالة قط"، "لقد وضعت لك الحوالة في البريد أمس."

ب.ك.



العالم كله يحب الانسان العاشق، او هكذا يقال. وانا هنا في هذا النهار الرطب من شهر اغسطس (آب) احاول ان اضع هذه النظرية الرومنطيقية على المحك. هذا يوم زفافي. وهذه ايضاً موسكو عام ١٩٦٩. كم من الحب يا ترى تكن الهيئات الرسمية لأجنبي، بل لصحافي يطمح الى الاقتران بفتاة سوفييتية؟

القانون لا يمنعك من ان تغرم بسوفييتية. الا ان الاماكن العامة ليست بمنأى عن المخبرين، فمن المحتم ان تلفت اللقاءات الشرطة

السرية. فقد حدث اكثر من مرة اثناء لقاءاتنا ان اقتيدت تانيا للتحقيق معها في شأن العلاقة التي بيننا.

وقانون الزواج هناك لا يميز بين الاجانب والمواطنين من اهل البلاد. ولكن يبدو ان لا علاقة للقانون بالموضوع. فالسلطات تغير الشروط على هواها لتقرر من الذي يسمح له بالزواج ومن الذي يمنع عنه.

قررت انا وتانيا ان نحاول، مع علمنا ان في ذلك مجازفة. جمعت كدسة من المستندات (شهادة ميلاد ورخصة سوق دولية) سبق للسلطات ان طلبتها من اجانب اعرفهم. كان حصولي على ترجمات رسمية لهذه المستندات عملية صعبة جداً. وبعدما قدمتها طلب مني ما يثبت اني قادر على اعالة زوجة. وبعد عشرين يوماً عصيباً تسلمت كشف الضريبة من الولايات المتحدة وبدا ذلك وافياً بالغرض.

لكن سرورنا لم يدم طويلا. فقد طلب مسؤول آخر اثباتاً اني لست متزوجاً. وعلى حد علمي فان اثبات النفي امر مستحيل عادة، لكني انا وتانيا رفضنا الاستسلام. وبقينا نتسكع بعناد من مكتب الى آخر الى ان اقتنع احدهم اخيراً بأني عازب حقاً.

وحدد موعد الزفاف الساعة الرابعة بعد ظهر التاسع عشر من اغسطس (آب)، اي بعد نهار واحد من انتهاء اذن اقامتي. ولم تلق طلباتي لتمديد الاقامة اذناً صاغية مما سبب لنا قلقاً كثيراً، حتى اني قررت ان اخاطر بالبقاء يوماً آخر مع يقيني اني قد اتعرض للملاحقة الجزائية. ولكن في الدقيقة الاخيرة، في آخر ساعات ١٨ اغسطس (آب)، مددت اقامتي اسبوعاً آخر.

بذلة العرس — كنت نزيل الفندق الوطني وهو يقع قبالة قصر الكرملين وسط موسكو. كان هذا الفندق فخماً في ما مضى، اما الآن فتنقطع فيه المياه الساخنة احياناً كثيرة وتتعطل المصاعد ومفاتيح الكهرباء وخلافها من التمديدات. كنت معجباً بهذا الصرح ذي السلالم المنمقة والمغاسل المشققة، وقد درجت على النزول فيه عبر السنين. فعماله، خلافاً لبقية العاملين في قطاع الخدمات، فخورون بوظائفهم ويحاولون اضفاء طابع شخصي عليها.

ولذلك لم تساورني الدهشة عندما دخلت الخادمة غرفتي في السابعة من صبيحة يوم الزفاف من دون ان تقرع الباب. وبينما هي تضع طبق الفطور على الطاولة تفحصتني بنظرة الناقد محاولة ان تتحرى اي تردد لدي، ثم تمنت لي حظاً سعيداً.

وبعد برهة اتصلت "العمة آنا" وهي العجوز القيمة على الطبقة الرابعة. قالت بصوت الجدة: "عم صباحاً ايها العزيز." جاء صوتها دافئاً ومريحاً مثل غرفة جلوس روسية. واضافت: "لا بد انك تشعر بالبهجة هذا النهار." فمنذ سنوات وهي تؤنبني لعزوفي عن الزواج، اما الآن وقد حل اليوم المنشود فهي تعتبر ذلك نصراً شخصياً.

قلت: "انا بخير ايتها العمة.

وستكون حالي افضل عندما اجد بذلتي."

كنت قبل يومين ارسلت الى التنظيف البذلة الوحيدة التي احضرتها معي الى موسكو، وهي قاتمة اللون تصلح لحفلة الزفاف. كنت اعلم ان ارسالها مجازفة كبيرة. الا اني شرحت الوضع لعمال المصبغة الذين وعدوا جازمين باعادتها في اليوم نفسه، ثم في اليوم التالي، ثم هذا الصباح.

اردت ان اشتري لتانيا اثنتي عشرة وردة طالما حلمت بها على ذراعيها يوم الزفاف. ونظرت الي العمة آنا بحبور من خلف مكتبها المواجه للمصاعد ووعدتني بوصول البذلة قبل ايابي. ولما لم تكن هناك اي سيارة اجرة فقد اخذت الوح جزافاً للسيارات العابرة. واتفق ان توقفت سيارة تابعة لوزارة الزراعة. وكان السائق الشاب البشوش واحداً من المواطنين الذين يقتنصون مشاريع خاصة كلما سنحت لهم، وهم غالبية ساحقة. وفي مقابل التعريفة الرسمية البالغة روبلا واحداً اخذني الى سوق المزارعين حيث وجدت ورودا غاية في الرونق. وبدا هذا البذخ الزائد اجلالا يليق بعروستي. سألني البائع وهو يعد الدراهم عن المناسبة السعيدة التي احتفل بها. وعندما اجبته صافحني بحرارة واضاف وردتين الى الباقة.

نصائح زوجية ـ لدى عودتي الى الفندق قطعت لي العمة آنا وعداً مبرماً بان بذلتي ستكون جاهزة قبل الثانية عشرة ظهراً. وكانت الساعة العاشرة، فقررت ان استحم في هذه الاثناء. ولكن بعد ثلاث دقائق بدأت المياه الساخنة تتلاشى ثم انقطعت كلياً. ولأن خبرة سنوات طويلة علمتني ان اتوجه الى اعلى سلطة في المكان فقد اجريت اتصالا ملحاً أحلت بنتيجته على مدير الفندق ثم على نائب المدير. ولما كانا كلاهما غائبين فقد توجهت بالمشكلة الى سكرتيرتهما التي اجابتني بسخط: "وما الغاية من استحمامك في هذه الساعة المجنونة من النهار؟ الكي تقلق راحة عمال المراجل؟"

كان الحل الوحيد ان اذهب الى "بانيا" اي الى حمام للعموم. واخترت اضخمها واكثرها فخامة، الا وهو حمام ساندونوفسكي، ويقع في مبنى شيد قبل الثورة تزينه سلالم رخامية وثريات منمقة. استقبلتني غرفة البخار عابقة برائحة اغصان البتولا الزكية التي يخبط بها المستحمون انفسهم. تحملت الخبط هذا ما استطعت ثم فركت جسدي حتى غدوت نظيفاً على نحو لم اعهده في حياتي. وعدت الى الفندق قبيل الاولى بعد الظهر. كانت تفصلني عن العرس ثلاث ساعات، وعن موعد لقاء تانيا ساعتان فقط. صافحني عامل المصعد الملتحي بينما لوحت لي العمة آنا تعبيراً عن النصر: لقد كانت البذلة في الغرفة.

لكنها لم تكن نظفت. بل انها كانت اوسخ واكثر تجعيداً. وفي محاولة يائسة هرولت الى غرفة الغسيل في الطبقة الرابعة حيث

يفترض ان اجد مكواة. كان الباب مقفلا، ولم اعثر على اي من عاملات الغرف.

غمرت العمة آنا حال من اليأس ورجتنني ان انتظر ريثما تتصل بصهرها، فهو يملك بذلة قاتمة اللون. لكن الاوان فات وسيارة الاجرة في الانتظار. ارتديت قميصاً نظيفاً وسروالا مكوياً. وبينما انا متجه نحو الباب رن جرس الهاتف: كانت غرفة الغسيل مفتوحة. دفعتني العمة آنا الى هناك، وبينما كانت الخادمة تتمتم وهي تكوي وقفت انا اتلقى شتى النصائح عن الحياة الزوجية من اثنتي عشرة موظفة.

كانت البذلة لا تزال ساخنة عندما ركبت سيارة الاجرة، ولكن يمكن القول انها كانت مكوية. ووضعت احداهن باقة الورد بين يدي، وانطلقت مسرعاً متأخراً عن الموعد عشرين دقيقة فقط.

لتعش الصداقة! – قصر المراسم الزوجية الجميل كان في الماضي مسكنا خاصاً في شارع غريبويدوف الانيق. ولدى وصولي لم اجد تانيا، ولم يجب احد على الهاتف في الشقة التي تسكنها مع والدتها. لابد ان امراً مريعاً منعها هي ايضاً من الحضور.

كانت الساعة الرابعة تقريباً. خرجت اجوب الشارع المكسو باوراق الشجر محاولا ان ابدد مخاوفي العارمة شاغلا ذاتي بممارساتي الصحافية المعهودة. اخذت ادون ملاحظات عما يجري حولي: سائقو الاجرة وهم يلعبون الورق (الشدة)، العمارات القديمة الكئيبة بطلائها المصفر المقشور، وقد اوحى الي جوها الحزين باني وتانيا قليلا الحظ فعلا.

على مسافة قريبة من قصر المراسم الزوجية دخلت فناء وشاهدت رجالا من البحرية يحرسون احد الابواب. لكني تراجعت مسرعاً لعلمي بالشكوك الهائلة التي تساور السلطات لدى رؤيتها اجنبياً يقترب من مؤسسة عسكرية. وقبل ان اتجاوز زاوية المبنى تلقفني بحاران امسكا بذراعي بينما واجهني ملازم سمين بقدري: "انت... قيد... الاعتقال... بتهمة... التجسس... على... موقع... عسكري... محظور." كان يرتدي بزة صيفية مجعدة والكلام يخرج من فمه نفخاً.

اني في الحالات العادية ارتاع حتى درجة الشلل لفكرة ان اكون محط اتهام العدالة السوفييتية. لكني ادركت ان كل شيء سيضيع اذا سجنت وان لفترة قصيرة. قلت: "لا" نافية حادة.

أجفل الملازم من روحي القتالية فاضفت كاذباً: "السفير الامريكي صديقي وسأتصل به للحال."

شعر الملازم ان زمام الامور اخذ يفلت من يديه، لكنه حاول ان يبدو عاقد العزم فقال: "ارني الخرائط التي كنت تخططها في ذلك الدفتر الصغير." وشرع يدرس ما دونته، فطالعته ملاحظات عن الشارع والاشجار وموسيقى الافراح التي تعزف في القصر، ثم عنوان الصفحة: "دن سفادبي" أي: يوم زفافي. نظر

الى باقة الورد وسألني: "تقصد انك ستتزوج اليوم؟"

عندما علم ان خطيبتي سوفييتية وان العرس سيتم بعد عشر دقائق احاطني بذراعيه الضخمتين وقبل خدي ثلاثاً على الطريقة الروسية ثم دفعني الى قصر المراسم وهو يرنم: "هنيء العروس عني. ولتعش الصداقة السوفييتية - الامريكية!"

اصوات الماضي - وصلت تانيا ووالدتها اثناء سيري الى القصر. فقد تخلفت سيارة الاجرة التي طلباها عن الحضور فاحتالتا لايقاف سيارة عابرة، تماماً كما فعلت انا.

ان رؤية عروس عادية كان ليثير مشاعر الابتهاج في ظروف كهذه، فكيف وتانيا على هذا الجمال؟ القى سائقو الاجرة ورق اللعب وطفقوا يصفقون. وتوهجت الورود الحمراء على فستانها الابيض فلم يسبق ان شاهدت في حياتي احداً يتألق هكذا.

داخل قاعة مراسم الزواج حبست انفاسي عندما اخذ الكاتب يدقق في اوراقنا، لكنه لم يعثر على اي نواقص. كان الكتبة على جانب من الانشراح واقل اكتئاباً من الموظفين الذين اعتدت مقابلتهم في الدوائر الرسمية. وكانت ممثلة حاكم بلدية موسكو التي اجرت مراسم الزواج ترتدي وشاحاً قرمزياً فوق فستانها المهيب. وتحت نظرة قاسية من تمثال لينين تلت نصاً عن مهابة الزواج ومدى اهتمام الحكومة بنجاحه. وبسرعة بديهة اغفلت القسَم الذي ينص على تأسيس "عائلة سوفييتية صالحة". ثم هنأتنا "رسمياً باسم الأمة السوفييتية."

لقد تم زواجنا وشعرت باعتزاز وسعادة غامرين، كما تملكني العجب من قبول تانيا التخلي عن اشياء كثيرة كي تكمل العمر معي.

الا ان الزواج من مواطنة سوفييتية لا يشكل ضماناً بالعيش سوياً. فالواقع ان عدد الازواج الذين يرغمون على الانفصال بعد الزواج يوازي عدد الذين يرغمون على الانفصال قبله. وقد اصدر جواز سفر تانيا بسرعة (بالمقارنة مع الوتيرة التي تسير عليها الامور) وما هي الا تسعة اشهر حتى لحقت بي الى لندن حيث كنت اعمل وحيث ولد ابننا وابنتنا لاحقاً.

الآن وانا اخط هذا المقال يتناهى الي صوت زوجتي وولدي من خارج منزلنا في هذه البقعة من شمال شرق امريكا. ومن البعيد، عبر الاميال والسنين، ترن في اذني اصوات "العمة آنا" وعاملات الفندق الوطني وبائع الورد في سوق موسكو والملازم الضخم الذي ضمني اليه بدل ان يعتقلني.

حقاً ان ليوم الزفاف ما يميزه في كل مكان!

■ جورج فايفر



الغني ليس من يملك المال، بل من يصرفه. فالنقود لا قيمة لها الا عندما تخرج من جيبك.

ساشا غيتري

"إذا كان الزمن ذكياً، فهو سيمحو كل شيء قبل ان يهدم تاج محل، فيبقيه دليلا على النبل الذي يشكل عزاء الانسان الاخير"

ويل دورانت

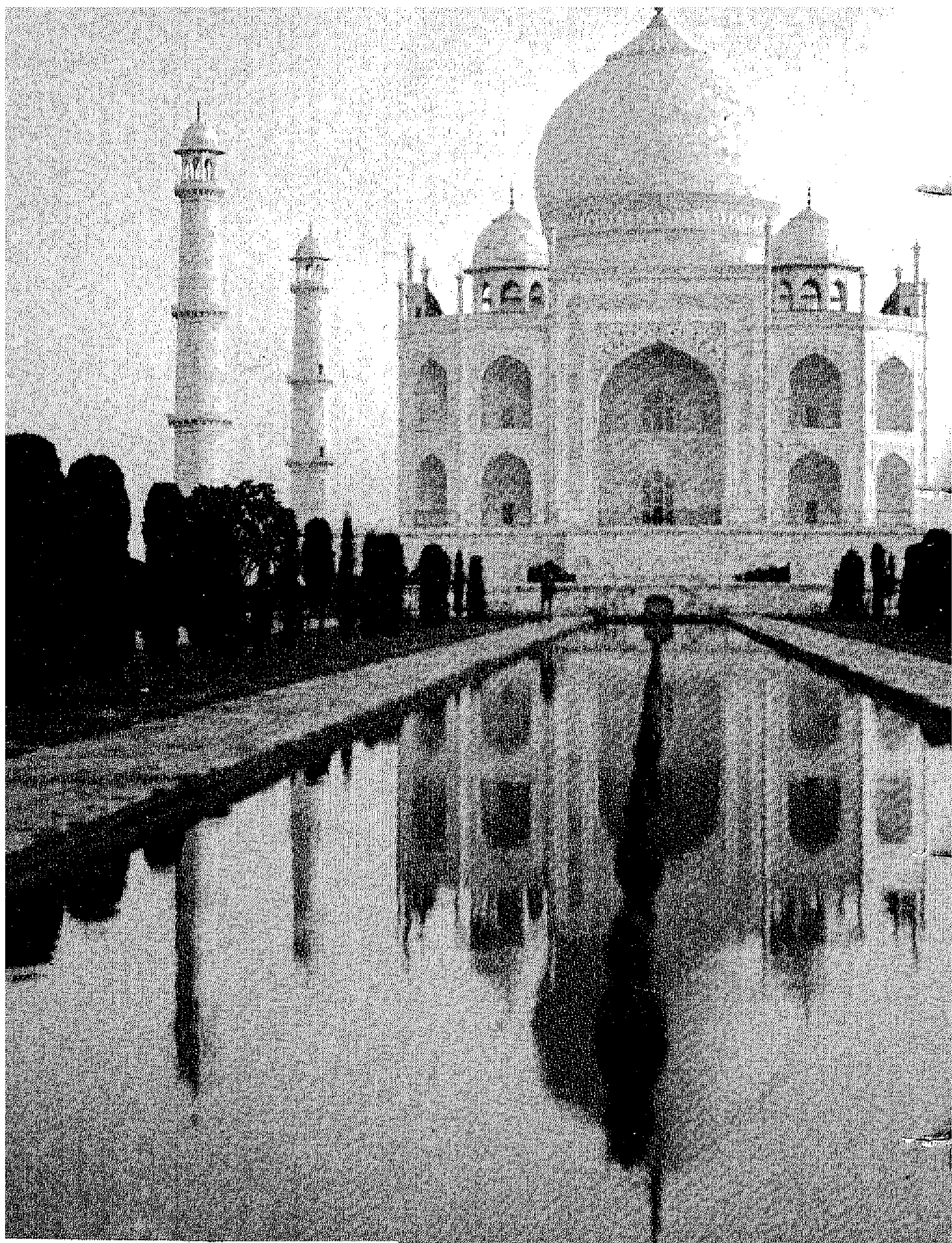
أجمل عجائب العالم



ي يعد تاج محل من المشاهد الاكثر إثارة في العالم٠ وقد استدعى بناؤه تشغيل ٢٢ ألف رجل وامرأة ٢٤ ساعة يومياً مدة ٢٢ سنة٠ ومع ذلك فان قصة هذا الصرح العجيب الذي يرتفع في

عظمة تاج محل معكوسة على المياه٠

This article was adapted from «The Taj Mahal,» a film produced by the Goodyear Tire & Rubber Co. Insets: Courtesy Archaeological Survey of India



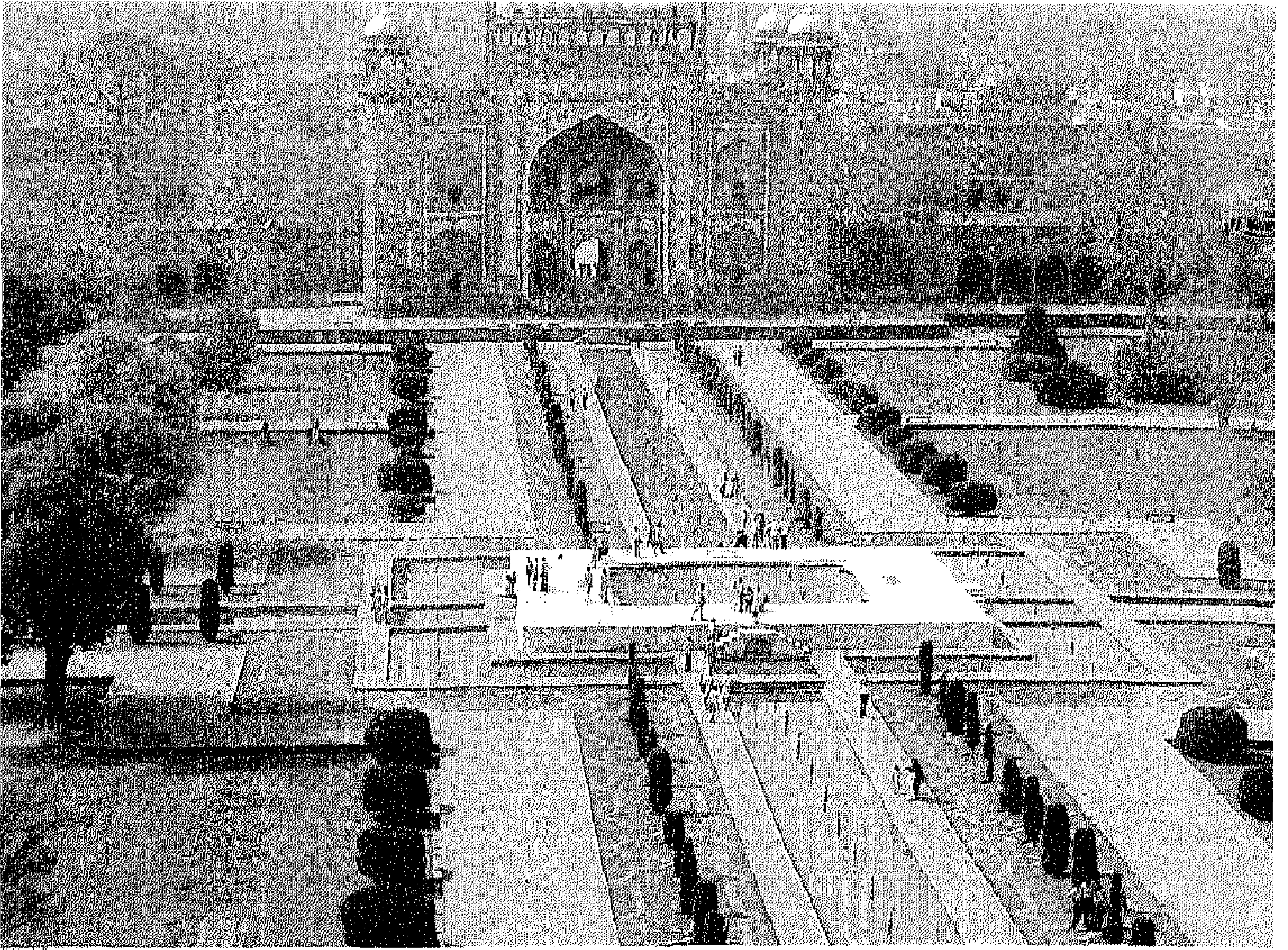
يبدو في الصورتين المرفقتين الامبراطور شاه جهان والامبرطورة ممتاز محل منحوتين في العاج.

Photo: From the book «Taj Mahal and the Glory of Mughal Agra» by John Lall and D.N. Dube, published by Lustre Press, New Delhi





Photos, pages 36 and 37, clockwise from above: J. Brenneis / FPG, «Taj Mahal and the Glory of Mughal Agra» by John Lall and D.N. Dube, Scala / Editorial Photocolor Archives, E. Harris / Photo Researchers.



فوق: مدخل في شكل قنطرة، علوه ٣٠ متراً ويفضي الى الحدائق الفارسية المسورة، وتبدو أيضاً البرك الصافية المؤدية الى تاج محل .

أعلى اليمين: زخرفة قرب المدخل وقد ظهرت نقوش رخامية بارزة وأزهار من الحجار شبه الكريمة .

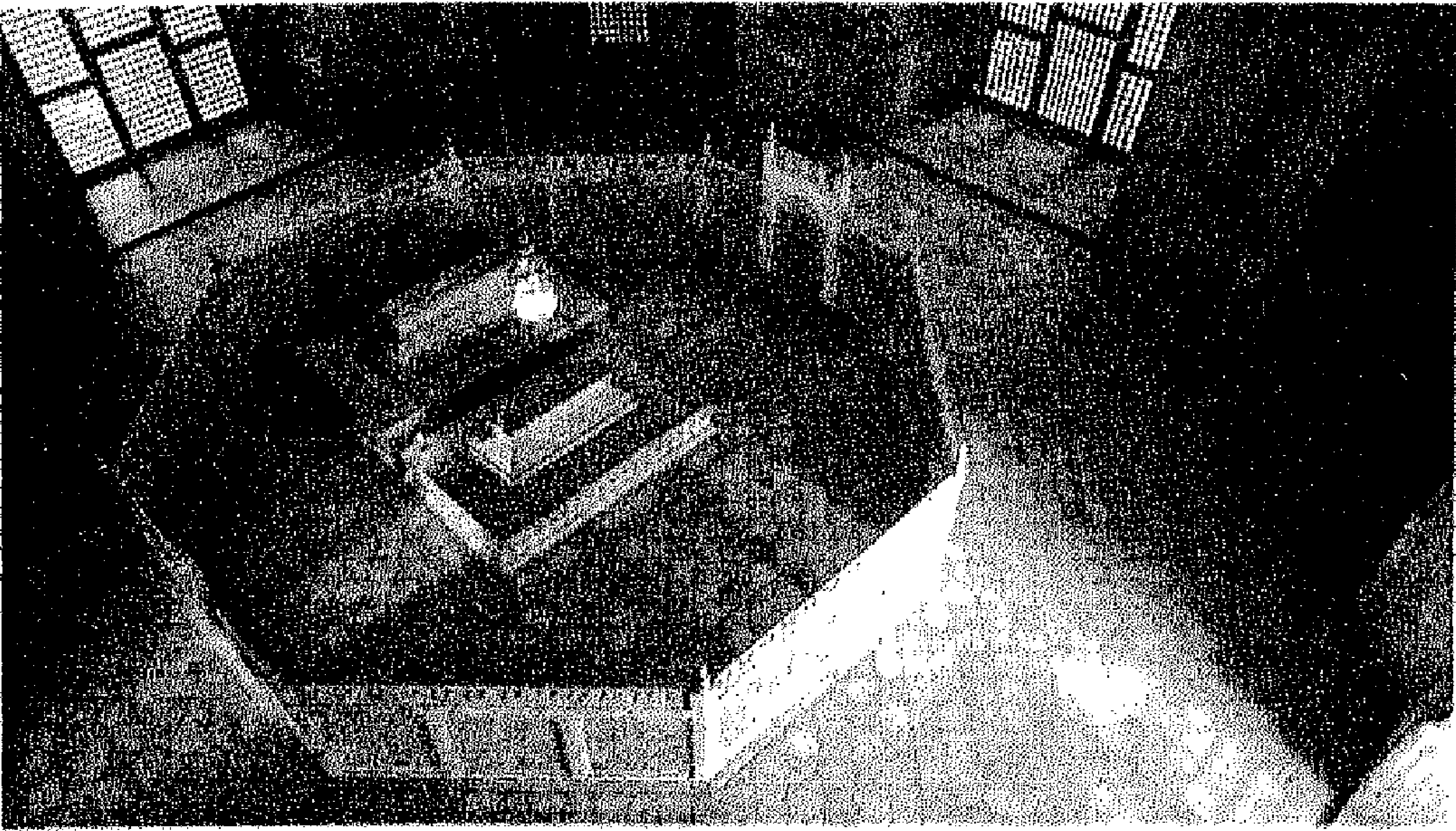
أسفل اليسار: زائران يجلسان في الفناء الاسفل على مصطبة من الفسيفساء ذات شكل هندسي .

اسفل اليمين: جزء من الواجهة الرخامية المحيطة بضريحي ممتاز محل وشاه جهان، هنا زهرة فريدة في موضع غني بالورد والخشخاش والازهار الاخرى .

Background Photo, pages 38 and 39 and inset top page 39: «Taj Mahal and the Glory of Mughal Agra» by John Lall and D.N. Dube. Inset bottom page 39: C. Salman / Shostal Associates. Inset page 38: Roland & Sabrina Michaud / Woodfin Camp & Associates.

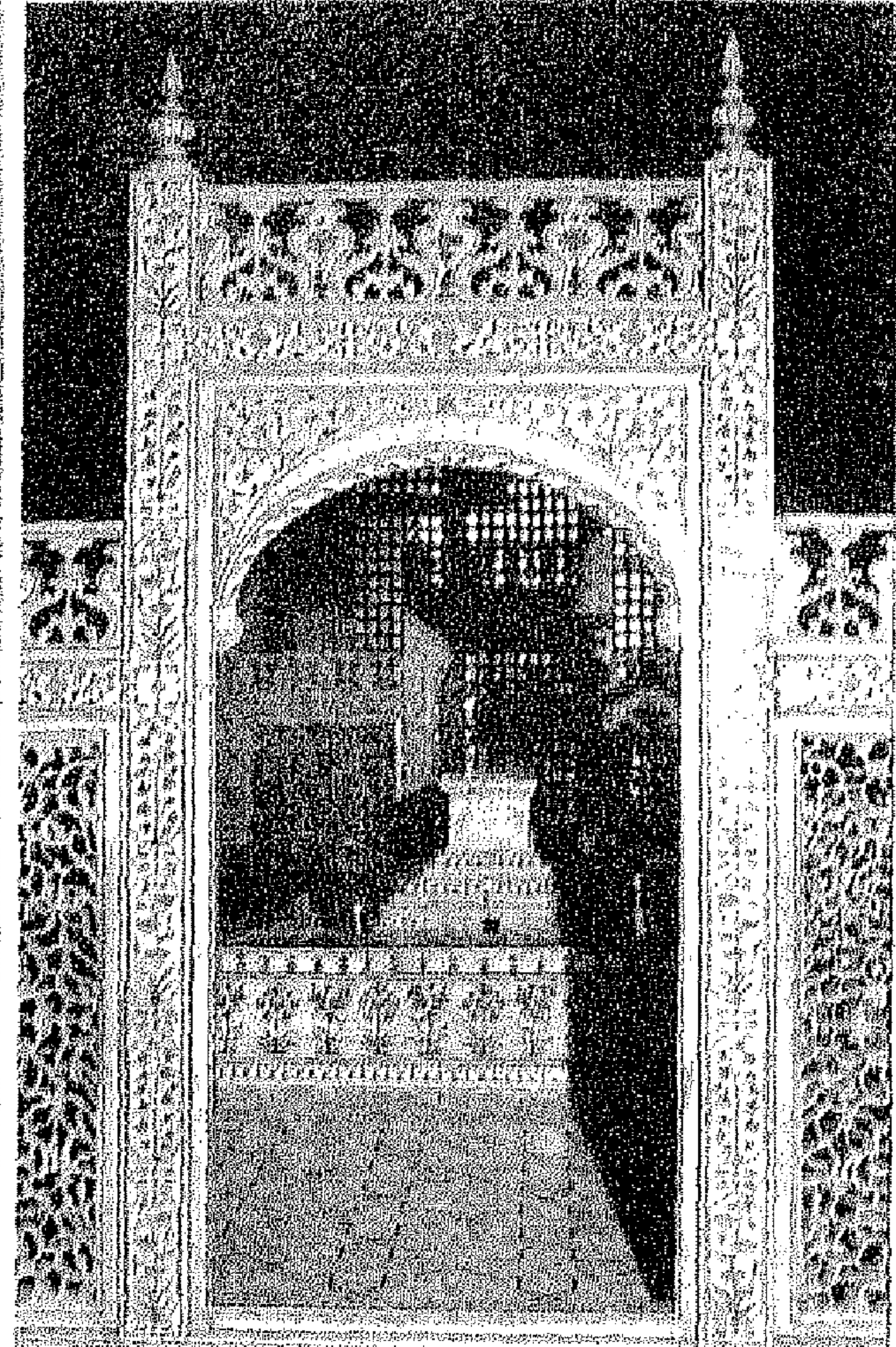
سهول أغرا الغبراء على مسافة ٢٠٠ كيلومتر جنوب شرق مدينة دلهي تكاد تكون مجهولة خارج الهند. فتاج محل هو تراث ثابت صنعه هيام الامبراطور شاه جهان بزوجته ممتاز محل (سيدة القصر المختارة) التي امضى معها ١٩ سنة والتي قضت وهي حامل بطفلهما الرابع عشر.

كان شاه جهان (الذي حكم من ١٦٢٨ الى ١٦٥٨) الامبراطور الخامس من سلالة المغل "موغال" الذي يحكم الهند. واغلب الظن انه من نسل تيمورلنك الفاتح وجنكيزخان المحارب المغولي الشهير. وعندما ذهب شاه جهان الى الجنوب لقتال بعض القوات المتمردة عام ١٦٣١ اصطحب كعادته ملكته الجميلة ذات العينين السوداوين

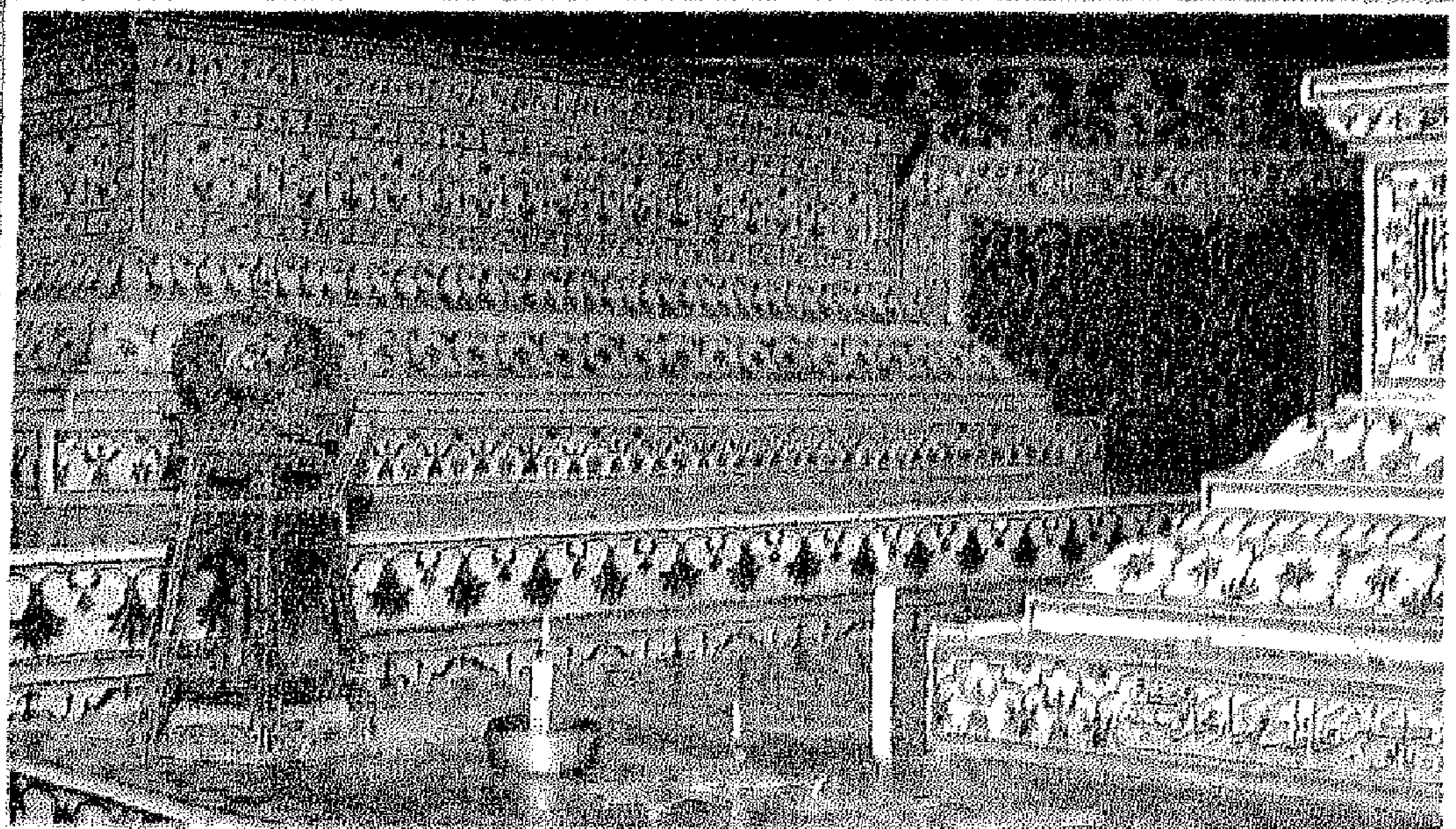


الضريحان المسيجان بواجهة رخامية . وفي خلفية الصورة تاج محل وسط الضباب كما يبدو من نهر جمنا .





الواجهة الرخامية المخرمة التي استغرق نحتها عشر سنين.



ضريحا الامبراطور والامبراطورة. التناسق التام في تاج محل – نصفه صورة طبق الاصل لنصفه الآخر – اختل عندما دفن ابن شاه جهان والده الامبراطور قرب الامبراطورة.

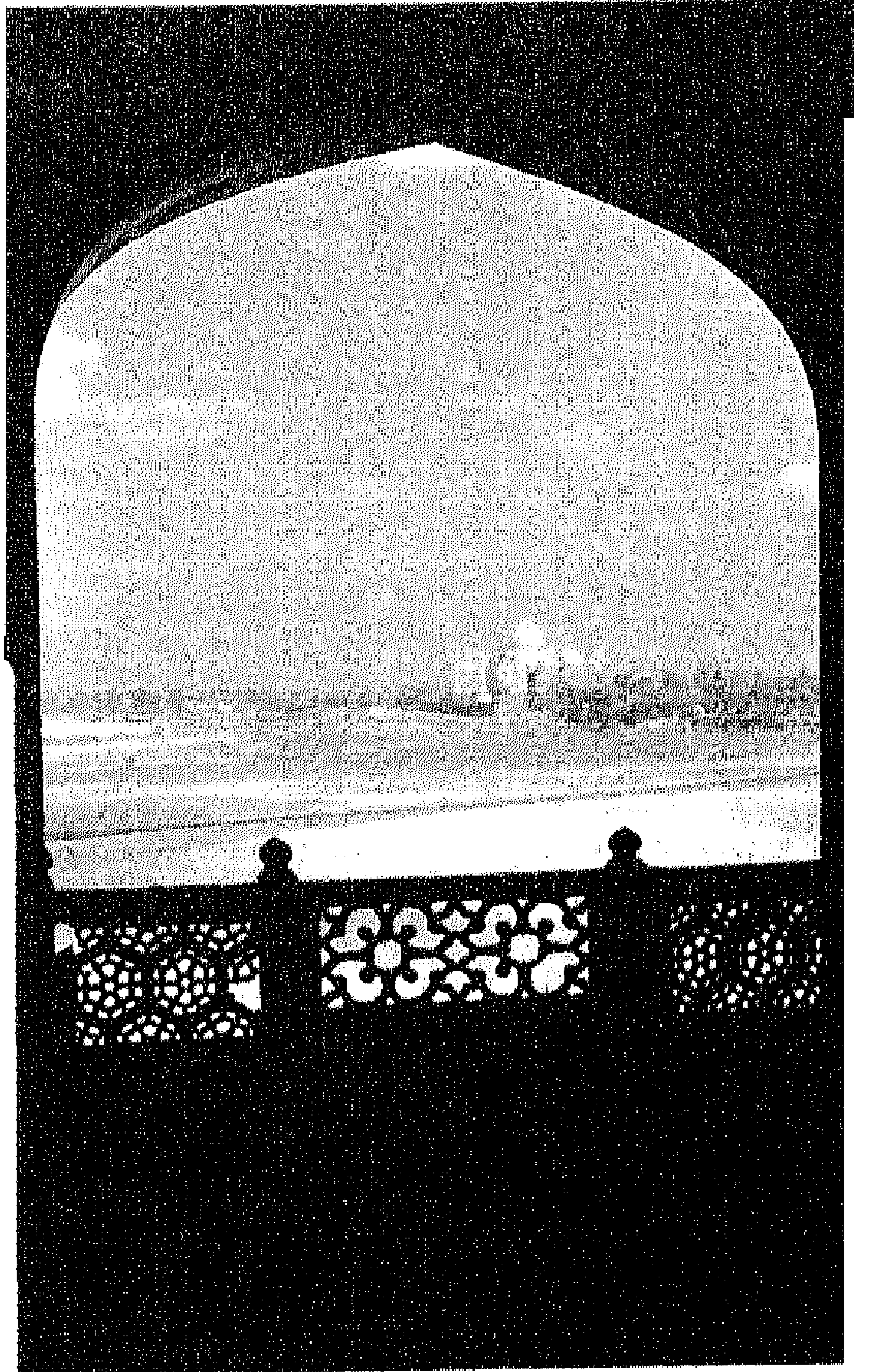
على رغم كونها حاملا، وحلت المأساة بموت ممتاز محل وهي تضع طفلها في مخيم في منطقة برهنبور.

ترك شاه جهان زوجته على فراش الموت ورجع الى مسكنه وأقفل على نفسه الابواب، وبقي في الداخل ثمانية أيام من دون طعام أو شراب، ولم يكن هناك ما يشير الى بقائه حياً سوى أنين خافت لا ينقطع، وأخيراً عاد شاه جهان الى الظهور في اليوم التاسع وقد ابيض شعره الذي كان أسود فاحماً.

وبعد رجوع الامبراطور الى عاصمته أغرا اختار موضعاً لضريح زوجته في مكان على نهر جمنا بحيث يراه من شرفات قصره، ورصع الصرح المشيد بالرخام الابيض بثمانية وعشرين نوعاً من الحجار الكريمة من بينها العقيق واليشب، وعندما اكتمل بناء الضريح غطي التابوت بملاءة مطرزة باللؤلؤ، وصنعت الابواب التي تفضي الى الضريح من الفضة الخالصة، اما الحاجز المحيط به فصنع من الذهب الخالص، غير انه لم يعد لتلك الاشياء الثمينة وجود الآن في الصرح.

وكان شاه جهان ازمع على ان يشيد لنفسه ضريحاً من الرخام الاسود مماثلا لتاج محل، لكن رغبته تلك لم تتحقق اذ استولى ابنه على العرش عام ١٦٥٨ وأجبره على ملازمة قصره فبقي في ذلك القفص المذهب ثماني سنوات يحدق الى المكان الذي تستريح فيه زوجته الحبيبة.

وعندما وجده حراسه ميتاً في الرابعة والسبعين من عمره كانت عيناه لا تزالان مفتوحتين تحملقان في جوهرة تاج محل المضيئة.



Good year Tire & Rubber Co.

تاج محل كما يبدو من الغرفة التي مات فيها شاه جهان.

قرر الأطباء ان الطفل يعاني تخلفاً في النطق والاستيعاب، لكن تعلقه بالأفاعي احدث معجزة في حياته

سحرُ هرقل

و دخل "هرقل" حياتنا
أحد من شهر ابا|تنا ذات
(نيسان) ونحن نتنز ابريل
الحديقة العمومية، وقد عثر تنزه في
آندي؟ابني الذهبي الشعر ذو الاثر عليه
عشرة سنة، الاحدى

وكنت أسكب عصير الليموز
حين سمعت نداء آندي الذي مون
ركض نحونا وهو يحمل ما ي
بدا مثل عصا طويلة معقوفة،
ثم تلوت العصا واندلق
العصير على الطاولة،

وإذ ذاك صرخ آندي: "إنه ذكر
الغرطر غير السامة يا أمي، وأ ذكر حية
أن تسمحي لي بالاحتفاظ به،" وأرجوك

ودفعتني غريزتي الى رفض"
ابني، إلا أن نظرة التوسل في ض طلب
جعلتني أتردد، وكان آندي ي عينيه
ي أصغر

أولادي الثلاثة وقد أقلقتني حاله. ففي الرابعة أجريت جراحة لأذنيه، أعقبها علاج للنطق. وفي الخامسة مات أبوه واكتشف الأطباء نقصاً في مقدرته على التعلم. وكان آندي وما زال يحتاج الى مدارس متخصصة ومعلم خاص. وكسائر الأطفال الذين هم في مثل حاله، نما وهو يشعر أنه "مختلف" أو "متخلف"، على رغم الذكاء الذي يتمتع به. وقال أحد الاطباء آنذاك: "لابد من أن يكتشف طاقته على التعلم يوماً."

وطالما سمعت أن الاطفال المتوحدين تجذبهم الحيوانات، ربما لأنها تقبلهم دونما قيد أو شرط. ولقد ظهرت تلك النزعة لدى آندي وهو في سن مبكرة. وكانت الكلاب والقطط الهائجة تهدأ لدى اقترابه منها. غير أنها كانت محظرة في المجتمع السكني حيث نعيش.

وسألت آندي: "أين ستضعه؟"

فقال: "في الحوض المائي. وسأضع فوقه غطاء ولن أدعه يزعجك البتة يا أمي." ورفع الحية السوداء المخططة الى وجهه وقال: "أرجوك، أمي، أرجوك."

ولا أدري حتى اللحظة لماذا وافقت على طلبه. إلا أن "هرقل"، وهو الاسم الذي أطلقه آندي على الغرطر، رافقنا الى البيت.

هرقل في المدرسة — باشر آندي تنظيف الحوض المائي الذي تبلغ سعته ٧٥ ليتراً، ثم وضع في قاعه بعض الحجار والتراب. وفي إحدى زواياه ثبت غصناً ليتسلقه هرقل، وعلق في الغصن مصباحاً كهربائياً للنور والدفء.

وأعجبتني مهارة آندي. وما أن وضع هرقل ضمن الزجاج حتى رحت أنظر إليه بإعجاب وقد فارقني الخوف. وكانت حراشفه تتألق تحت أشعة الشمس كما الذهب. وكلما تراجعت من حركات لسانه كان آندي يهدئني بقوله: "إنه لا يحاول عضك يا أمي. فالحيات تستخدم ألسنها لتتحسس الأشياء حولها."

والمعلوم أن القراءة قد تشكل مهمة شاقة للأولاد الذين يعانون عسراً في النطق. ولم يكن آندي أقدم على القراءة بلذة، على رغم أن معلمه أخبرنا أنه تجاوز العراقيل التي كانت تحول بينه وبين القراءة. غير أن دخول هرقل المنزل حفز آندي على مراجعة كل كتاب على رفوفنا يتكلم عن الأفاعي. ودهشنا كلنا لذلك الشغف الذي أظهره حيال التعلم.

وأكثر عجباً من هذه التبدلات التي طرأت على آندي بعدما دعا معلم الصف الابتدائي السادس هرقل الى المدرسة. وكان آندي أصغر من أكثرية أترابه. غير أني لاحظت صلابة كتفيه وهو يحمل الحية باعتزاز الى المدرسة.

وأمضى هرقل فصل الربيع كله في الصف في عناية آندي، وأظهر انسجاماً حسناً بوضعه الجديد. ولم ينقض وقت طويل حتى بات هرقل يقفز الى يدي آندي لمجرد وضعهما داخل حوضه، ثم ينزلق من أصابعه الى ذراعيه. وفي ملعب المدرسة كان يلتف بجلال حول عنق آندي ويسترح

مطمئناً تحت شمس كنساس الدافئة وهو يداعب خده بلسانه المائج.

ولدى انتهاء العام الدراسي أعيد هرقل الى البيت ليجد نفسه في رفقة أصلتين أهديتهما الى آندي في عيد ميلاده وأطلق عليهما اسمي مايبل وسام.

وسألت آندي: "كيف تعرف أنهما ذكر وانثى؟"

فأجاب بثقة: "إنني أعرف ذلك جيداً. وأود دخول الجامعة بالمال الذي أدخره من بيع الأصلات الصغيرة."

ودهشت مرة اخرى للمعجزة التي حققتها الأفاعي في حياة ولدي. فها هو آندي الذي كان يظن نفسه متخلفاً يتحدث فجأة عن دخول الجامعة.

ثقة بالذات — مع إدبار الصيف وإقبال الخريف غدا هرقل رفيق آندي الدائم. وبات يأخذه معه في معظم نزهاته على الدراجة، فيربطه أحياناً بالمقود ويضعه أحياناً اخرى في حقيبة خاصة.

وفي صبيحة أحد من شهر اغسطس (آب) اخترقت صيحة حادة الهواء. ورأيت آندي في مدخل البيت يشد هرقل الى صدره ويقول: "لقد علق في دولاب الدراجة!"

وطوال الساعات الأربع والعشرين التالية سهر آندي على هرقل وهو يراقبه قلقاً. وإن أنس لا أنس دهشة الطبيب البيطري الدكتور غوغليلمينو صباح الاثنين عندما فتح باب عيادته ليجد فتى حاملا حية معصوبة. وسأله آندي بهلع: "هل سيموت؟"

وسعل الطبيب وقال: "إنها المرة الاولى تحمل إلي أفعى مريضة." وفك الرباط بحذر وأضاف: "ينبغي أن ندع الأمور تأخذ مجراها الطبيعي."

وصمد هرقل في معركة البقاء.

إن الصف الابتدائي السابع هو سنة قاسية في حياة التلاميذ. ولولا العجيبة التي أحدثها هرقل لما استطاع آندي اجتياز تلك المرحلة، علماً أنه انتقل الى مدرسة اخرى.

وما برحت الأفاعي تمد آندي بالمعنويات وهو في عامه الدراسي السابع. وبات الصبي، الذي كان كئيباً ومنطوياً على نفسه قبل سنة، يبتسم. بات يدخل قاعة المدرسة المزدحمة مرفوع الرأس وهو يدري أن الآخرين يقولون: "انظروا! هذا هو الصبي الذي يربي الأفاعي."

الخروج من الجلد — باتت الأفاعي جزء لا يتجزأ من حياتنا. وذات يوم اختفى هرقل من غرفة الحمام بعدما أدخله آندي إليها لتأدية بعض التمارين الرياضية. وانطلق أفراد العائلة جميعاً في أثر هرقل. وعثرنا عليه أخيراً في خزانة الثياب وقد التف باطمئنان حول أحد أحذية آندي الرياضية.

ووقفنا كلنا نراقب بدهشة كيف خلع هرقل جلده القديم لينكشف عن حراشف فتية تتألق ببريق جديد رائع. ورفع آندي الجلد المنزوع بتؤدة ووضعه في علبة للأحذية يجمع فيها أشياءه الثمينة.

ولم نعرف السبب الذي دفع هرقل الى الاضطراب الشديد ذلك الربيع.

ويمكننا القول ان بيئته بقيت خالية من أي تبدل. إلا أن آندي هرع نحوي عصر يوم جمعة وهو يزعق: "أسرعي يا امي! ثمة سوء أصاب هرقل."

وفيما اضطجع مايبل وسام بهدوء داخل الحوض، راح هرقل يتلوى ويقفز وقد أصابته نوبة حادة. وجعل يضرب الهواء بلسانه.

وانتزعت مفاتيح السيارة بسرعة بينما أخرج آندي أفعاه الى الكيس. وهناك أخذ آندي يترجح باضطراب كما لو كان مسكوناً.

وحقنه الدكتور غوغليلمينو ببعض الكورتيزون الذي بدا أنه فعل فعله. وهدأ هرقل تدريجاً وراح آندي يلامسه برفق. وما لبث هرقل أن لحس خد آندي بلسانه والتف بأمان حول عنقه.

وظل هرقل مطمئناً طوال الاسابيع اللاحقة، الى أن عاودته النوبة. وأسرعنا من جديد الى عيادة الطبيب الذي حقنه مرة اخرى بالكورتيزون فعادت إليه صحته.

لكن المرة الثالثة لم تكن سليمة العاقبة. وعلى رغم أن حقنة الكورتيزون هدأته فقد بدا هرقل في طور النزع ونحن في طريقنا الى البيت. وأراح جسده الناحل الهزيل في حضن آندي. وبدت حراشفه رمادية قاتمة بعدما كانت مرآة تعكس النور.

وحاول رفع رأسه فيما آندي يلامسه، غير أنه لم يقو على ذلك. وأبرز لسانه مرة واحدة. لكنه أعاده بوهن كالشمعة المنطفئة، ثم كف عن الحراك.

وسح الدمع بهدوء على خدي آندي، وعلى خدي أنا أيضاً.

وما انقضت سنة حتى دخل آندي المدرسة الثانوية وقد أصبح طول قامته ١٨٣ سنتيمتراً. وهو اليوم طالب جامعي يستعد لدخول كلية طب الحيوان ويحوز علامات جيدة في مختلف الموضوعات.

والواقع أن آندي لم يعمل على استيلاد الأصلات وبيعها كما فكر يوماً. غير أن مايبل وسام بقيا معنا طوال فترة دراسته الثانوية. وفي النهاية أهداهما الى مختبر البيولوجيا. إلا أنهما لم يحتلا مكانة هرقل البتة.

ولا يزال الجلد الذي خلعه هرقل يوما في درج آندي الأعلى. وقبل مغادرته المنزل الى الجامعة العام الماضي، سألته هل ان الوقت حان للتخلص من ذلك الجلد. فنظر الي بهلع وقال: "كيف تتجاسرين على هذه الفكرة يا أمي؟"

ولمس الجلد برفق وقال: "آه يا هرقل! لقد كنت رائعاً... أليس كذلك؟"

أجل، ان هرقل كان رائعاً. فهو منح آندي، الفتى الخجول، فكرته الاولى عما هو وعما يمكنه أن يكون.

آه يا هرقل، أيها الصديق القديم... شكراً لك وألف شكر.

■ بربارة بارتوتشي



الوحدة مكان تجدر زيارته، ولكن لا تطيب الاقامة فيه. ج.ب.

الضحك خير دواء



"سينيوريتاس"، "سينيورس"

في أحد مطاعم المكسيك نزل سائح الى الطبقة السفلى لقضاء حاجته، لكنه كان يجهل اللغة الاسبانية، ففتح الباب المكتوب عليه "سينيوريتاس" ليفاجأ بامرأة صادف أنها سائحة هي أيضا. وفيما وقف مرتبكا، ضربت المرأة يدها على رأسها وتوجهت فورا نحو الباب الذي يحمل عبارة "سينيورس".

ج.م.ش.

كهربائي التاريخ

في حصة التاريخ في المدرسة الثانوية، سأل الاستاذ شاباً واقفاً عند باب الصف: "في أي سنة وقعت معركة "الطرف الاغر"؟"

ـ لا ادري.

"لكنك تعرف تاريخ معركة واترلو."

ـ واترلو؟ لم اسمع بهذا!

"اذاً، من الذي احرق مدينة روما؟"

ـ هذا اجلهله تماماً.

"وماذا فعلت أمس بدلا من قراءة دروسك؟"

ـ كنت ألعب الورق!

"حسناً أيها الشاب. ولماذا جئت اليوم الى الصف؟"

ـ اني كهربائي المدرسة. وقد جئت لابدال المصباح بناء على طلب الادارة.

ر.ك.

مريضة عند الطلب

كشرطي سير: انا اسمع كثيراً من اعذار المخالفين. ومرة قال لي أحدهم انه ينقل مريضة الى المستشفى. وعندما رفض ان يرافقه احد رجال الشرطة لمساعدته، شككت في صحة ما يقول وقررت اللحاق به شخصياً.
وانتابني الندم على عدم ثقتي بالرجل لدى بلوغنا مدخل الطوارىء في احد المستشفيات. وحين رأيته يحاول بمشقة اخراج امرأة متقدمة في السن من باب السيارة، اسرعت اليه لمساعدته. وسمعت المرأة تحتج قائلة: "لماذا لا تلعب أنت دور المريض؟" عندئذ ملأت قسيمة المخالفة.

د.غ.

هوس الطعام

قال الطبيب النفسي للمريضة: "ان سبب سمنتك هو توجيه حياتك كلها نحو الطعام. فأنت تحبين الحفلات من اجل الطعام. والرياضة تعني لك المآكل والمرطبات التي تلي التمارين. كذلك مشاهدة التلفزيون والذهاب الى السينما و..."

ـ انتظر لحظة! الا تقدمون ضيافة خلال جلسات العلاج؟


م.و.

يوم مع رجل قيل فيه انه اعظم جراحي القلب في العالم

دنتون كولي أعظم جرّاحي القلب في العالم

الساعة الآن الثامنة والدقيقة الاولى صباحاً واليوم هو يوم الاثنين. وقد مضى نحو ساعتين والمريض الفيليبيني لا يزال على طاولة العمليات في مستشفى القديس لوقا في هيوستون (ولاية تكساس). وكان المريض في الخامسة والخمسين من العمر، يشكو آلاماً مبرحة في الصدر وتصلباً في شرايين القلب، فعمل اثنان من الجراحين على فتح صدره بتؤدة.

وما لبث الدكتور دنتون كولي ان دخل الغرفة، كأنه كان ينتظر دوره ليفعل. وأسرع بقامته الطويلة وجسمه الناحل الى ارتداء ثوب من الورق خاص بالجراحين يرمى بعد الاستعمال. واضاءت له احدى الممرضات مصباح الرأس ودب النشاط والحيوية في الغرفة. وتقدم كولي الى طاولة العمليات وأخذ يجيل بصره بين قلب المريض المكشوف ورسم تخطيطي لشرايين القلب المسدودة. ثم عمد الى الصدر وأمسك بلطف



القلب الذي انتفخ ليبلغ حجمه ثلاثة اضعاف حجم قبضة الانسان، وجعل يحدق اليه عن كثب.

ثم ثبت كولي المريض الى الآلة التي تضخ الدم الى القلب والرئتين اثناء العملية، مستعيناً بمساعده الجراح جون نورمان. وتجدر الاشارة هنا الى ان عامل الوقت مهم جداً لأن المريض لا يستطيع البقاء حياً اكثر من خمس ساعات او ست حين يكون مربوطاً الى آلة الضخ تلك، بل من الممكن ان يصاب الدم وأنسجة الجسم بأذى بعد ساعة واحدة فقط. لذلك فان كل دقيقة تختصر من الضخ الاصطناعي تعني تقليلا من امكان حصول مضاعفات بعد الجراحة كما تعني اسراعاً في تماثل المريض الى الشفاء. والمعروف ان "وقت الضخ" في الجراحات التي يجريها كولي يراوح بين النصف والثلثين بالقياس الى الوقت الذي يحتاج اليه معظم الجراحين الآخرين.

الدودة العنيدة - رفع كولي عينيه وسأل: "هل أنتم مستعدون؟" فهز اختصاصيو الضخ رؤوسهم بالايجاب، وارخى كولي ملقطاً. فجأة توقف الدم وتقلص قلب المريض، فأعمل فيه كولي مبضعه برفق واعاد الكرة مرتين الى ان أحدث شقاً طوله ٢،٥ (سنتيمتر، وظهر جزء من القلب سليم فيه عدد من الشرايين. واعطته احدى الممرضات وريداً طوله ١٥ سنتيمتراً كان انتزع من ساق المريض قبل نصف ساعة. فأخذ كولي مقصاً وسع به الشق عند احد طرفي الشريان وتناول ابرة معقوفة وكلاباً وبدأ يخيط الوريد في شريان القلب.

كانت يداه تنتقلان من عمل الى آخر برشاقة ومن دون جهد كبير. وكان يعقد بالخيط ما يراوح بين ست عقد وثمان. وعندما يصبح أحد طرفي المجرى الجانبي محكماً يحدث كولي شقاً ثانياً في شريان آخر. ويأخذ قطعة مناسبة من الوريد ويخيطها في الشريان المفتوح. الساعة الآن الثامنة والدقيقة العشرون وقد بات المجريان الاولان مفتوحين تماماً.

من الواضح ان جراحة القلب المفتوح عملية دقيقة وخطرة، غير ان كولي لا ينفك يمازح اثناءها مساعده نورمان والممرضات بسيل من النكت الذكية. لقد انتهى العمل في المجرى الجانبي الثالث قرابة الثامنة والدقيقة الاربعين، ولم يبق سوى شريان واحد مسدود. الا انه صغير الى حد جعل كولي يقرر عدم مسه وتعويض ذلك بانتزاع الصفيحة المتكلسة التي تسده. وفجأة لزم كولي ونورمان السكون وانحنيا فوق طاولة العمليات وبات وجهاهما على بعد سنتميترات قليلة من صدر المريض.

بدت الصفيحة التي تسد الشريان كدودة ترفض الخروج من مخبئها. فاذا حاول كولي انتزاعها بشدة، فقد تنقصم داخل الشريان مما يستدعي مزيداً من الوقت لانتزاعها او يؤدي الى تعذر اعادة الشريان الى حاله الطبيعية. ولم يظهر على كولي اي انفعال بل بقي محتفظاً بهدوئه واخذ يشد الصفيحة بلطف. فطاوعته قليلا

ثم اظهرت مقاومة وما لبثت ان خرجت من الشريان. فهب كولي واقفاً وبدت عليه علامات الانتصار وهو يحمل في احد طرفي مبضعه مادة صفراء طولها ١،٢٥ سنتيمتر. أما نورمان الذي ساعد كولي في عمله مدة عشر سنين فتنهد وقال: "لقد كان ذلك من روائع فن الجراحة."

وفيما كولي يبعد المريض عن آلة الضخ تدفق الدم الى القلب وبدأ هذا ينبض. وانتهت الجراحة في الثامنة والدقيقة الخامسة والخمسين فأطفأ كولي مصباح الرأس وخرج قاصداً غرفة عمليات أخرى. فمن المقرر ان يجري في فترة ثماني ساعات ونصف ساعة احدى عشرة جراحة لمرضى من انحاء في العالم مختلفة اتوا يطلبون الشفاء على يديه.

شهرة عالمية — بات دنتون آرثر كولي وهو في الثالثة والستين نجم جراحات القلب المتعلقة بالأوعية الدموية منذ قرابة ٣٥ سنة. والحق انه أجرى ما يزيد على ٨٠ الف جراحة، نصفها في القلب المفتوح، وهذا ما لم يفعله قط اي جراح آخر. وفي نهاية الستينات وبداية السبعينات انجز كولي ٢٢ عملية زرع قلب وركب اول قلب اصطناعي (أبقى صاحبه حياً يومين ونصف يوم الى ان وجد من يتبرع له بقلبه). وأجرى احدى اوائل العمليات الكاملة لزرع القلب والرئة. وهو حصل على اكثر من ٥٠ جائزة كبرى طبية واجتماعية وقلد اوسمة في احد عشر بلداً. ويرئس كولي الآن ما يشبه منظمة أمم متحدة لجراحة القلب. ففي معهد تكساس للامراض القلبية الذي اسسه عام ١٩٧٢، نلاحظ ان ثلث مرضاه يأتي من تكساس والثلث الآخر من بقية الولايات الامريكية والثلث الأخير من انحاء العالم. فهو جراح يفيد منه العالم أجمع مما يبعث فيه شعوراً بالسرور والاعتزاز. وفي جولة له على مرضاه يقول: "هذا المريض تاجر من نيجيريا وذاك رجل من الهند وتلك امرأة من جزيرة آروبا."

وليست خدمات كولي وقفاً على المرضى، اذ يقصده جراحون من انحاء العالم — من ايطاليا والهند والارجنتين ومصر والمكسيك — ويتتلمذون له فترة تراوح بين ستة اشهر وسنة. وقد يؤمه جراحون آخرون لمدة اقصر وربما اكتفى بعضهم بلقائه ومراقبته وهو يعمل في غرفة العمليات. وايا يكن الأمر فهو يرحب بهم جميعاً.

جسر جوي — ان كولي رجل رياضي وقدرته على الاحتمال تفوق التصور. فهو يشرف شخصياً أو من خلال جهاز تلفزيوني على ١٨ جراحة يومياً اضافة الى الجراحات الاثنتي عشرة التي يجريها. وقد يبلغ معدل عمله اليومي ١٦ ساعة او اكثر. ولا عجب في ذلك اذ يجري جراحو معهد تكساس للامراض القلبية ٥٠٠٠ جراحة قلب مفتوح في السنة اي ما يقارب نصف عدد الجراحات المماثلة التي تجرى في بريطانيا كلها.

وقد تصل كلفة جراحة القلب المفتوح في معظم المستشفيات الى

٤٠ الف دولار. غير ان كولي يرضى باجراء العملية في مقابل كلفة اجمالية تراوح بين ١٢ و١٣ الف دولار. وفضلا عن ذلك فانه لم يرفض مريضاً قط بسبب عجزه عن دفع كلفة الجراحة. وهو يقول: "لا يجوز ان يدفع شخص فقير او متقاعد ما يدفعه صناعي غني. وعلى اصحاب الملايين دفع المزيد لتغطية نفقات المحتاجين من المرضى."

ونظراً الى عدم وجود لائحة انتظار في المعهد عمدت الهيئة الوطنية الهولندية للخدمات الصحية في السنوات السبع الماضية الى ارسال اكثر من ١٢٠٠ مريض وزوجاتهم الى هيوستون لتحاشي التأخير القائم في المستشفيات الاوروبية المزدحمة. وهناك خطط لتوسيع نطاق هذا "الجسر الجوي" الى بلدان اخرى. يقول كولي: "ولم لا؟ ففي كثير من البلدان يوضع المرضى المحتاجون الى الجراحة على لائحة الانتظار سنة كاملة. أما هنا فيمكننا استقبالهم من فورنا."

كان والد كولي طبيب أسنان ناجحاً. ويقول كولي انه "كان رجلا صارماً لا يطيق اساءة التصرف او الاخفاق وربما عبر عن استيائه باستعمال السوط." وفي جامعة تكساس حيث درس مواد تحضيرية للطب وتفوق في دراسته، كان يجد وقتاً للعب في فريق كرة السلة (يبلغ طوله الآن ١٩٠ سنتيمتراً ووزنه ٧٤ كيلوغراماً، وهو الوزن نفسه الذي كان عليه عندما كان لاعباً في فريق الجامعة). وبعد تخرجه في كلية الطب التحق بالخدمة العسكرية وبات كبير الجراحين في مستشفى للجيش في النمسا. وفي العام ١٩٥١، بعدما عمل فترة محددة في بريطانيا مع جراح القلب المبدع اللورد راسل بروك، عاد الى هيوستون للعمل في كلية الطب في جامعة بايلور باشراف الدكتور مايكل دبغي اللبناني الاصل. الا ان العلاقة السيئة بينهما تحولت منافسة فقرر كولي ترك عمله وانشأ معهده لأمراض القلب.

كلمات مطمئنة – في يوم الاثنين هذا انتقل كولي الى غرفة العمليات الرقم ٨، وهي واحدة من عشر غرف تحيط بمنطقة معقمة ملأى بالمستحضرات الجراحية. وهناك كان احد الاطباء المقيمين ثبت الى آلة الضخ التاجر الفنزويلي خوان كوردوفا(١) ذا السنوات التسع والستين. وغير كولي للمريض احد صمامات قلبه. وبعد نصف ساعة ذهب الى غرفة العمليات الرقم ٩ وانتزع من قلب رجل صفيحة سدت الشريان السباتي. وكان رجل يوناني في الحادية والثلاثين يعاني منذ ولادته خللا في قلبه، فاصلحه كولي في ١٥ دقيقة فقط.

وفي وقت متقدم من الصباح ذهب كولي ليرتاح في مكتبه الخاص المؤلف من غرفة دافئة حافلة بالكتب واللوحات الزيتية والبسط العجمية. وكان غداؤه طبقاً من الحساء. واثناء تناوله الطعام ينجز بعض الاعمال

(١) اسماء المرضى الواردة في النص مستعارة.

المكتبية والمكالمات الهاتفية. وعلى رغم وقته الضيق فمن السهل جداً ان يحظى به مرضى بعيدون عنه. فقد تلقى مثلا مكالمة من طبيب في فنلندا يسأله هل من الضروري ان يأتي احد الاولاد الى هيوستون لاجراء جراحة.

وفي فترة بعد الظهر يعود كولي مرضاه الذين ينتظرون اجراء الجراحة. ومن بين هؤلاء فرانك آلن (٤٥ سنة) وهو رجل اعمال طويل القامة قادم من اركانساس يشكو من الانوريسما (٢) في الشريان الاورطي الصاعد وخللا في الصمام الاورطي، والجراحة التي تقتضيها هذه الحال دقيقة وغير شائعة. ويبدو آلن عصبي المزاج كمعظم المرضى الآخرين ويسأل كولي متردداً: "هل اجريت هذه الجراحة من قبل؟" فيجيبه كولي مؤكداً: "لقد أجريت نحو مئة منها." ولا يبدد هذا الكلام سوى نصف ما بالمريض من قلق فيعود الى السؤال: "وماذا بعد؟" فيضيف كولي: "وقد حققنا نجاحاً عظيماً خصوصاً بعد العمليات الخمسين الأولى."

والحق ان حظ كولي في النجاح يبقى أقوى من حظ سواه من الجراحين حتى في الحالات التي تبعث على اليأس. ويذكر الدكتور فرنشسكو ركيا الذي كان زميلا للدكتور كولي وهو الآن جراح في ايطاليا، ان احد الجراحين كان ينشر مرة عظم صدر مريض فأخطأ وأحدث ثقباً في الشريان الاورطي الذي بات متصلا بعظم الصدر بعد جراحة سابقة. ويقول ريكا "يموت المريض عادة في أقل من دقيقة في حال كهذه. فوضعت اصبعي في الثقب لايقاف الدم. وخلال دقيقة او اثنتين كان كولي ثبت الرجل الى المضخة وأصلح الخلل. ولو لم يكن كولي حاضراً لرجح ان يموت الرجل."

الجزاء الحقيقي – في ما تبقى من بعد ظهر الاثنين أصلح كولي انوريسما لطبيب متقاعد من نيويورك (٧٢ سنة) وابدل صماماً تاجياً لعامل في أحد حقول النفط في تكساس (٥٧ سنة) وخاط بنجاح صماماً وشرياناً جديدين للمريض فرنك آلن. وهكذا يمضي كولي وقته منتقلا من غرفة عمليات الى أخرى.

انهى كولي جراحاته في الخامسة والنصف. وقبل ان يقوم بجولته المعتادة على مرضاه اخذ لائحة بأسماء هؤلاء وتوجه الى غرفة الانتظار فوجدها مزدحمة بعائلات المرضى واخذ يقرأ الاسماء. ثم ردد بعض العبارات بلغات كثيرة من بينها الاسبانية واليونانية والايطالية وبضع لهجات يوغوسلافية مما أدخل سروراً كبيراً نفوس المرضى الأجانب وعائلاتهم.

وما كاد ان يلفظ اسم "مندس" حتى قفز افراد عائلة مكسيكية عن كراسيهم، فرفع أربعاً من اصابعه مشيراً الى عدد المجاري الجانبية التي فتحها في قلب المريض. واضاف: "السيد مندس في حال جيدة وليست هناك اي مشكلة." فصاحت

(٢) تمدد في جدار الشريان يتكون بنتيجته كيس نابض وترافقه آلام بسبب الضغط غير الطبيعي.

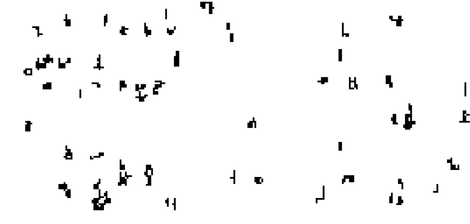
العائلة بصوت واحد: "شكراً، شكراً يا سيدي."

وبات من قبيل العادة ان يخبر كولي هؤلاء الناس ان في وسعهم رؤية مرضاهم في الثامنة مساء. فكان بعضهم يصافحه من دون ان يطيل الكلام وبعضهم الآخر يتنهد بارتياح.

ومن الطبيعي الا يبدي كولي انفعالات كهذه في غرفة العمليات. غير ان هذه اللحظات تولد فيه احساسات أوفى جزاء من المال اذ يعود اليه نشاطه ويتلاشى تعبه.

وما ان قرأ اسم العائلة الأخيرة على اللائحة حتى اقتربت منه امرأة تبكي (كان أجرى لزوجها بنجاح عملية فتح ثلاثة مجار جانبية في القلب) وأمسكت يديه بلطف وضغطت على اصابعه الطويلة فابتسم. ثم قالت متنهدة: "ليباركك الله ويبارك يديك."

■ جاي ستلر



رجل يحب الزبدة

أصاب رجل نجاحاً مادياً واجتماعياً كبيراً، لكنه كان يقف عاجزاً أمام بعض الامور البسيطة. ومرة كان يتناول الغداء في مطعم مع صديق، ولم يتمكن من اتخاذ قرار حول وضع الزبدة أو عدم وضعها على الخبز. فبادر صديقه قائلاً: "لا احب الخبز من دون زبدة."

ـ اذاً عليك بالزبدة.

"كيف لي أن أفعل ذلك وقد وضعت لي زوجتي نظاماً للطعام خالياً من الزبدة تماماً؟"

ـ كُل خبزك اذاً من غير زبدة!

"لكني احب الزبدة ولا أعد الخبز شيئاً اذا خلا منها."

ـ أرجوك يا صديقي ان تتخذ هذا القرار البسيط بنفسك.

وهكذا كان له ما يشاء، وأكل الزبدة مع الخبز. ولما جاء وقت الدفع تنصل صديقه قائلاً: "ادفع أنت، والا أخبرت زوجتك عن الزبدة."

ت.ت.

استراحة بوب هوب

الممثلون والكوميديون يؤثرون حياة العمل على الحياة الهادئة. ومرة أشار الطبيب على الممثل الامريكي بوب هوب بأن يخلد الى الراحة بعض الوقت. واقترح عليه تمضية شهر في رحلة بحرية. ولكن لم ينقض اسبوع حتى عاد هوب الى لوس أنجلس. ودهش الطبيب وسأله عن سبب عودته السريعة، فأجاب: "السمك لا يصفق يا صديقي."

ج.م.

بضع نصائح مفيدة تجعل اعمال المنزل اكثر سهولة وامناً واقل اتعاباً

نصائح منزلية

التنظيف

لتلميع الادوات الفضية ضعي طبقة من ورق الالمنيوم في وعاء زجاجي. صفي الفضيات في الوعاء مع التأكد من عدم ملامسة احداها الاخرى. صبي فوقها ليتراً من الماء الساخن الممزوج باربع ملاعق كبيرة من بيكربونات الصودا. اتركي الفضيات لفترة من الزمن في المحلول قبل تشطيفها بالماء جيداً وتجفيفها. تتفاعل الفضة مع الالمنيوم مما يساعد في التخلص من الاوساخ العالقة. (يحذر من تلميع الفضيات المزخرفة او ذات المقابض المصنوعة من مواد اخرى بهذا المحلول).

لتنظيف زجاج لوحة فنية امسحي عنه الغبار بدقة ثم لمعيه بقطعة قماش خاصة من النوع الذي يستعمل في تنظيف النظارات الطبية. تجنبي السوائل المنظفة كي لا ترشح من جوانب الاطار وتتلف اللوحة الفنية. ولكن يمكنك بل" قطعة قماش بهذه السوائل وتنظيف الزجاج بواسطتها.

النوافذ

اذا تعذر فتح احدى النوافذ، ضعي قطعة خشبية على الاطار ومن ثم اطريقها طرقاً خفيفاً بالمطرقة حتى تفتح النافذة.

بعد غسل زجاج النافذة بالماء وتجفيفه يمكنك تلميعه بممحاة لوح اسود جافة مما يكسبه لمعاناً براقاً.

Condensed from «The Ultimate Householder's Book,» by the editors of Consumer Guide (R), copyright (c) 1982 by Publications International, Ltd., published by A & W Publishers, Inc., New York, N.Y.

الغسيل

يستحسن قلب الثياب ذات الالوان القاتمة او المصنوعة من المخمل المضلع مما يساعد في عدم تجمع نسالة الاقمشة الاخرى او نثرات الخيطان.

لغسل الثياب الرقيقة السريعة العطب ضعيها في كيس وسادة واحكمي اغلاقه بربطة قوية قبل وضعه في الغاسلة في دورتها البطيئة.

اطلي الاحذية الرياضية المطاطة بالنشاء قبل انتعالها لأن ذلك يمنع التصاق الاوساخ بقماش الحذاء ويسهل عملية تنظيفه في ما بعد.

الحيوانات المدللة

يمكنك تنظيف بول القطة على السجادة بتجفيف البقعة بمحارم ورقية ثم مسحها بقطعة قماش مبللة بماء الصودا او بمزيج متساو من الماء والخل الابيض. واذا جف البول، رطبي البقعة قليلا بالماء قبل معالجتها بماء الصودا.

يمكنك ان تتركي كلبك في المنزل منفرداً لبضع ساعات اذا ادرت جهاز الراديو بصوت منخفض مما يخفف عليه الشعور بالوحدة.

ازيلي وبر الحيوانات عن الاثاث بواسطة اسفنجة مبللة بالماء او بواسطة ورق السلوفان الرقيق.

الروائح

للتخلص من روائح السجائر في الغرفة ضعي وعاء مليئاً بالخل او محلول النشادر (الامونيا) واتركيه مفتوحاً طوال الليل. ومن المفيد ايضاً ان تلوحي في جو الغرفة بمنشفة مبللة بالخل.

رشي بيكربونات الصودا على السجادة قبل كنسها بالمكنسة الكهربائية للتخلص من الروائح الكريهة. تأكدي من ثبات الوان السجادة برش رقعة صغيرة قبل رش السجادة بكاملها.

ضعي قطع فحم داخل البراد او الثلاجة، فهي تساعد في امتصاص الروائح الكريهة.

الاثاث

يستعمل الشاي كمادة منظفة في تلميع الاثاث.

رشي دقيق الذرة النشوي (كورن فلاور) بعد تلميع الاثاث وافركي سطح الاثاث لتحصلي على البريق المطلوب. بعد ذلك امسحي الاثاث بقطعة قماش لتتخلصي من بقايا الدقيق الذي يمتص الزيت ويترك الاثاث لامعاً براقاً خالياً من البصمات.

لشد الارتخاء في الاثاث المصنوع من أماليد مجدولة اغسليه بالماء الساخن والصابون على الشرفة واتركيه ليجف تحت اشعة الشمس بعد غسله جيداً من الصابون.

السلامة

ابقي بيكربونات الصودا في متناولك لمعالجة حريق صغير طارىء في المطبخ. احذري من استعمال الماء لاطفاء الحريق الناجم عن

الكهرباء او اشتعال الزيت. اياك واستعمال بيكربونات الصودا او الماء عندما يشتعل الزيت في مقلاة عميقة لأن ذلك يساعد في اتساع رقعة النار.

الصقي رسوماً ملونة في مستوى نظر الكبار والصغار على الابواب الزجاجية الكبيرة التي تفتح وتغلق متداخلة، فذلك ينبه الى كونها مغلقة او مفتوحة.

اضيفي بعض الرمل الى الدهان قبل طلي سلالم القبو، فذلك يساعد في عدم الانزلاق.

الارضية

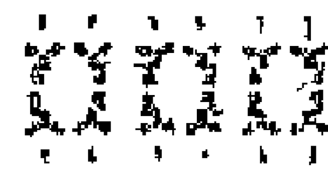
ضعي ورقاً مشمعاً تحت الممسحة قبل مسح الارض مما يساعد في تلميع الارضية بين فترات التشميع.

استعملي ممحاة القلم للتخلص من آثار جر الاقدام التي يتركها كعب الحذاء فوق الارض الملمعة حديثاً. ويمكنك تنظيف خطوط الاقلام الملونة بمسحها بخرقة رطبة ممرغة بمعجون الاسنان.

اتركي حذاء الحديقة خلف باب المطبخ لانتعاله لدى خروجك. وهذا يساعد في ابقاء ارضية المطبخ اكثر نظافة.

استخدمي المدمّة الخشبية (اداة ذات اسنان لقلب التربة) لتقويم الشعر المائل في دعاسة المنزل.

غلفي مكنسة الريش المخصصة بمسح الغبار بجوارب نايلون نسائية قديمة. وكلما اتسخت يمكنك التخلص منها وابدالها مما يطيل عمر مكنسة الغبار.



رنين الهاتف

ترى لماذا كلما رن الهاتف نهب اليه جميعاً حتى في الاوقات غير الملائمة؟ فهو احياناً يقطع خلواتنا وأحاديثنا وطعامنا ويجعل ضيوفنا ينتظرون وهم يفركون أصابعهم تبرماً. وعلى رغم أن الواحد منا قد لا يسمح لغريب بدخول منزله من دون موعد فان هذا الغريب عينه يكلمنا على الهاتف في أي وقت يشاء.

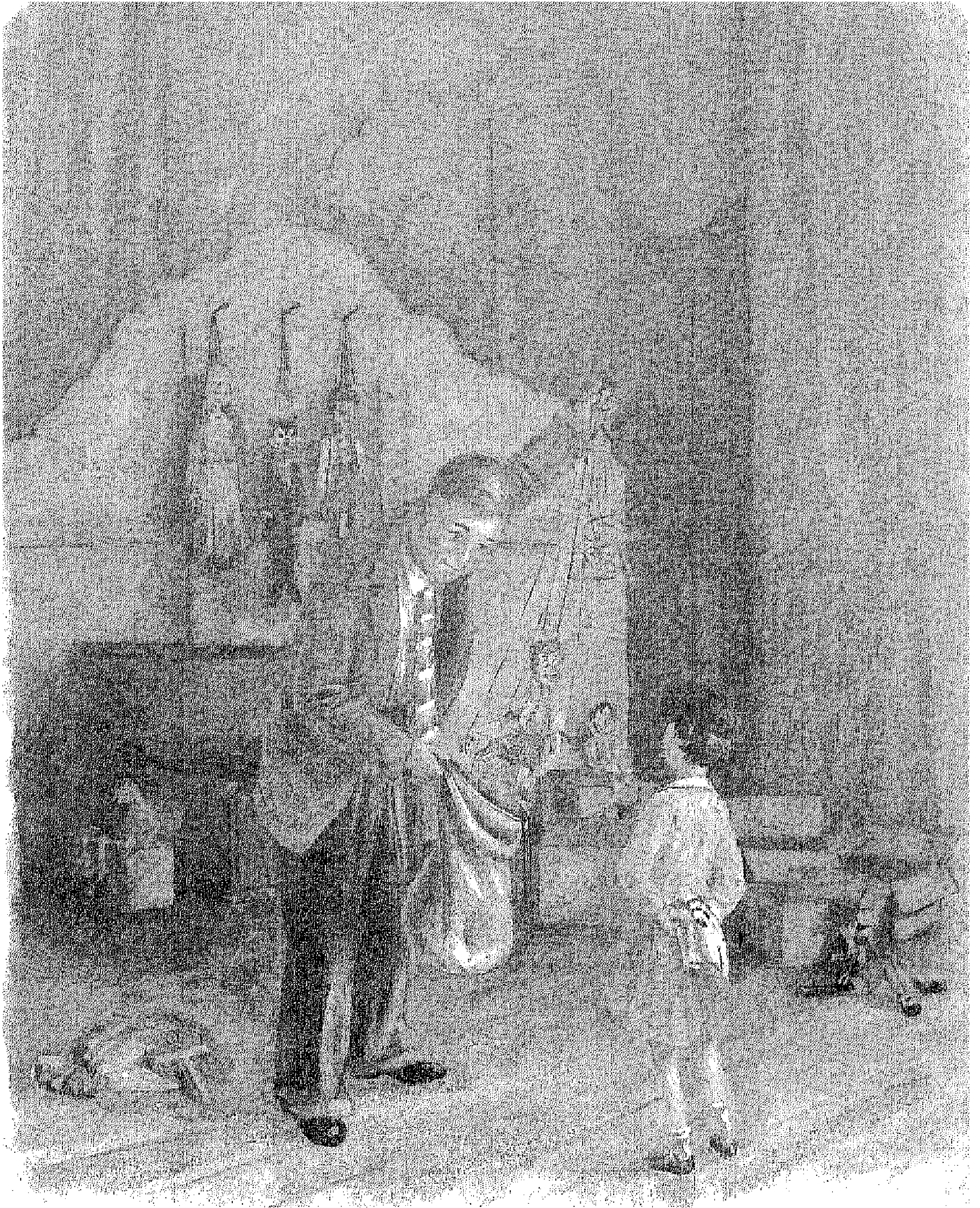
ترى أننتظر ضربة حظ من مخابرة هاتفية غير متوقعة؟ أهي خيبة الأمل لدينا تأمل التعويض، أم الرجاء يستيقظ فينا؟ ان السبب الحقيقي هو... المعذرة، ان جرس هاتفي يرن، وعلي أن أنهض للاجابة!

صحيفة "دي زايت"، هامبورغ

الصابون غير النظيف

اذا دخلت منزلا ووجدت أن الصابون فيه يحتاج الى تنظيف قبل استخدامه، فاعلم أن بين سكان المنزل ولداً في الخامسة من عمره.

ر.س.



قصة فتـاة صغيـرة حاكـت لدمية خشبية
كنزة تقيها برد الشتاء

كَنزة لِسَامي



كان اول نجم مسرحي في حياتي، وكانت ترتسم على وجهه علامات دهشة خفيفة وتتدلى على جبينه خصلة شعر حمراء ويبرز في وجهه انف مدبب.

ظهر سامي في اوائل الخمسينات في فرقة متجولة حيث بدأت عملي كمحرك للدمى. وفي مستهل عملي هذا جعلت سامي يبدو على شاكلة بينوكيو ثم اصبح في ما بعد شخصية مستقلة حيكت حولها سلسلة من المغامرات.

كل سنة كان سامي يخرج منتصراً من مآزق جديدة. فحين تحطمت سفينته اشتبك في معركة حامية مع أخطبوط في قاع المحيط وسارعت حورية بحر فأنقذته. وحين امتهن السحر انتصر على الاشباح. تراه في مسرحياته يمشي بخطى مترددة بسبب التواء في ركبتيه عجزت مهارات الجراحين عن تقويمه.

وفي ختام كل عرض كان سامي يقفز الى مقدم المسرح حيث الانوار الساطعة ويلوح للاطفال وقد غمزهم الفرح لان سامي يعرفهم، فيهتفون ويلوحون له والحبور يملأ قلوبهم. وكنت اذ ذاك استشف الحزن في نظرات تلف وجوههم وهم يغادرون المسرح في حيرة من امرهم: ترى متى يشاهدون سامي ثانية؟

في تلك الايام طفنا في مناطق ريفية في اوستراليا. ولابقاء سامي وبقية الدمى نظيفة وضعتها في اكياس من قماش قطني وربطتها جيداً.

وذات امسية شتائية باردة بعد الانتهاء من احد عروض الدمى في هاملتون غرب فكتوريا، وكنت على وشك وضع سامي في الكيس، دخلت المسرح من الباب الجانبي فتاة صغيرة في نحو الثانية عشرة من عمرها وتقدمت نحوي وحيدة والتردد يغالبها حتى وقفت بجانبي قائلة: "سوف يبرد، فالكيس مصنوع من قماش رقيق."

نظرت الى عينيها وقد بدا الاهتمام واضحاً فيهما وطمأنتها قائلا: "سوف يدفأ داخل الشاحنة، فهناك الكثير من الدمى." وهممت بوضعه في الكيس فصاحت: "انتظر!" ثم سحبت يدها من وراء ظهرها ومدتها إلي قائلة: "هذه لسامي، لقد حكتها بيدي." فإذ هي كنزة صغيرة مطوية بعناية واناقة، اخذتها وبسطتها فرأيت حرف "س" مطرزاً على الصدر بلون ازرق جميل.

واضافت الفتاة: "لن يشعر بالبرد بعد الآن."

فشكرتها وسألتها عن اسمها، لكنها توارت خلف الستائر.

تلك الامسية في غرفتي في الفندق اخرجت سامي من الكيس وألبسته الكنزة. كانت من الصوف الجيد وقد غطت اكمامها راحتيه الكبيرتين.

بعد سنة من هذا الحدث تقاعد سامي من عمله المسرحي، وراودني طموح قوي الى صنع دمى جديدة استوحيت ادوارها من الحيوانات المعروفة في اوستراليا كالكنغر والكوالا والابوسوم وهي حيوانات جرابية. وهكذا ظهرت جماعة الاقزام "تنتوكي" التي تعيش في التلال الرملية وأدى نجاحها الى نجاح فرقة صغيرة جوالة فاصبحت كبرى شركات الدمى المتحركة في البلدان الناطقة الانكليزية في العالم. ورعت برامجها حكومات دول الكومنولث وذهبت في جولات عدة في ارجاء العالم لحساب وزارة الخارجية. وطاف سامي في كثير من البلدان وكأنه رمز سعد هذه الشركة، على رغم بقائه في كيسه في احدى زوايا الصندوق حيث قبع لاكثر من عشرين سنة.

وفي غضون هذه السنوات تضاءل اتصالي بالمشاهدين اذ شغلت بالنواحي الادارية. ولم اعد احرك الدمى، وقلما شاركت الاطفال في فرحتهم بمشاهدتها.

واخيراً صممت على أنهاء عرض الاقزام والعودة الى سابق عهدي بالمهنة فاحرك عدداً من الدمى التي اعتبرتها صديقاتي.

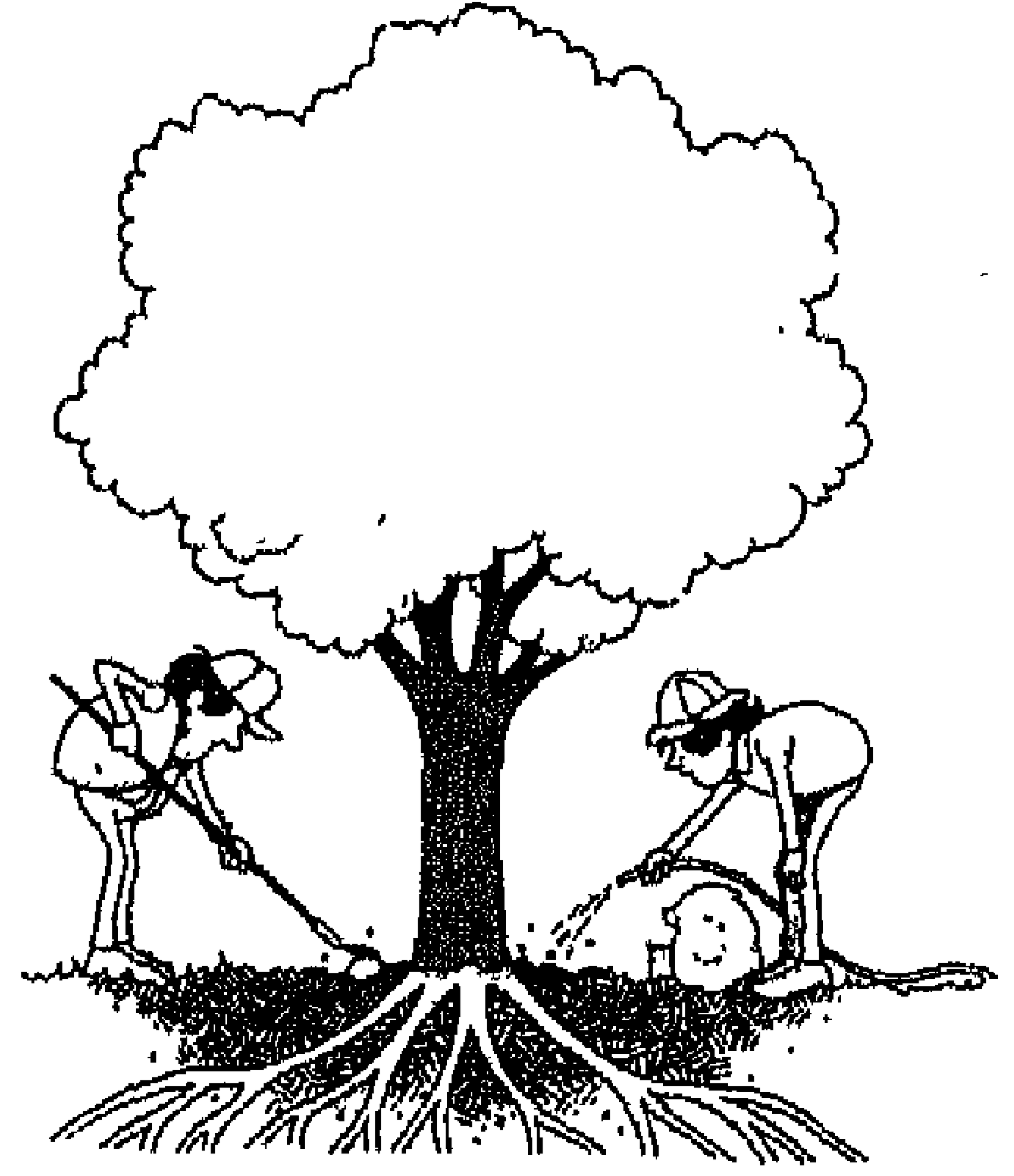
وهكذا أخرج سامي من الكيس وأعيد صبغه وعدنا لنمثل في هاملتون. وكنت اضع سامي في كيسه بعد الانتهاء من احد العروض عندما سمعت صوتاً خلفي: "لا يبدو ان سامي هرم." فقلت: "إن الدمى لا تكبر ولا تهرم." واستدرت لأرى امرأة في العقد الرابع وقد تسلل بعض الشيب الى شعرها ولمست وجهها بعض التجاعيد وهي تمسك يد طفلة صغيرة جميلة في نحو العاشرة من عمرها.

ابتسمت المرأة وقالت: "لم تتذكرني." ونظرت الى الفتاة الصغيرة بجانبها وتابعت: "لقد أعطيتني ذات مرة شيئاً ما اضعته ابداً. لم تكن حياتي خلواً من الصعوبات..." ثم ابتسمت ثانية ونظرت الى الدمية التي في يدي وتابعت: "حتى في اسوأ الظروف كنت اخترع قصة عن سامي احكيها لأبنتي." وانحنت على الطفلة الصغيرة قائلة: "هذا هو سامي." ولمست رأسه وانحدرت اصابعها الى عنقه وتوقفت وهي تتحسس كنزته البالية. ثم رأيت الدموع تترقرق في عينيها، وفجأة تذكرت. لكنها سارعت بالقول: "آمل أنه ما زال يعني لك بمقدار ما يعني لي."

فقلت: "نعم انه كذلك."

وانحنيت وقد غشت الدموع عيني وحملت الطفلة بين ذراعي الى جانب سامي واخبرتها قصة حقيقية عن طفلة صغيرة في عمرها حاكت له ذات يوم بعيد كنزة تدفىء قلبه الخشبي الصغير.

■ بيتر سكريفن



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد تنطوي على معاني الشدة والكثرة، وقد وضع امام كل كلمة اربعة معان، واحد منها صحيح، والمطلوب من القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١٠ **الأوار**: الحر ـ الجوع ـ لوعة المشتاق ـ الكتمان.

٢٠ **الغيهب**: البعد ـ السر الدفين ـ الظلمة ـ الطغيان.

٣٠ **القحل**: السواد ـ اليبس ـ الارض السخية ـ الصمت.

٤٠ **السُعار**: الجنون ـ الغضب الاعمى ـ الغلاء ـ الجوع.

٥٠ **الدثْر**: الفقر ـ التأنق ـ المال الكثير ـ الاسراف.

٦٠ **الغمْر**: الماء الكثير ـ العطف ـ الحرب ـ المجازفة.

٧٠ **العُضال**: المفاجىء ـ المرض المعدي ـ الواهن ـ الشديد المعيي.

٨٠ **اللدد**: الشبه ـ الخصومة ـ العون ـ الصداقة الواهية.

٩٠ **الجشع**: الشراهة ـ الحرص والطمع ـ التهور ـ الكراهية.

١٠٠ **الانهلال**: عَبّ الماء ـ الضرب ـ شدة الانصباب ـ التأنيب.

١١٠ **النَصَب**: التعب ـ العداء ـ الحظ التعس ـ الاحتيال.

١٢٠ **الزُعاق**: السم ـ البكاء ـ العجلة ـ الماء المر.

١٣٠ **القَرس**: العذاب ـ البرد الشديد ـ اللوم ـ السخرية.

١٤٠ **الهلع**: الاعجاب ـ الحب المكتوم ـ الاسراع ـ الجزع.

١٥٠ **الخفر**: الحياء ـ التستر ـ الجمال ـ الخبر الكاذب.

١٦٠ **النَثُور**: الكثيرة الاولاد ـ الثرثارة ـ البدينة ـ اللبقة.

١٧٠ **الهدّ**: التهديد ـ القد الرشيق ـ الفناء ـ الهدم الشديد.

١٨٠ **المأق**: العين الواسعة ـ البكاء ـ الجهل ـ النفس الاخير.

١٩٠ **الشنَف**: الذل ـ الصوت الرخيم ـ البغض ـ الكبرياء.

٢٠٠ **الصِرّ**: شدة الاصرار ـ التقتير ـ الصوت الثاقب ـ البرد.

٢١٠ **الوارف**: الواسع الممتد ـ البائد ـ السعيد ـ القوي النظر.

٢٢٠ **اللجوج**: العاشق ـ المتطفل ـ العنيد ـ راكب البحر.

٢٣٠ **المترع**: الملتاع ـ الخصيب ـ الملآن ـ الحزين.

٢٤٠ **الدَرور**: الكثيرة اللبن ـ الذكية ـ العطوف ـ المزينة بالحلى.

٢٥٠ **الرَزاح**: المصيبة ـ الهزال ـ التمر الناضج ـ الرضوخ.

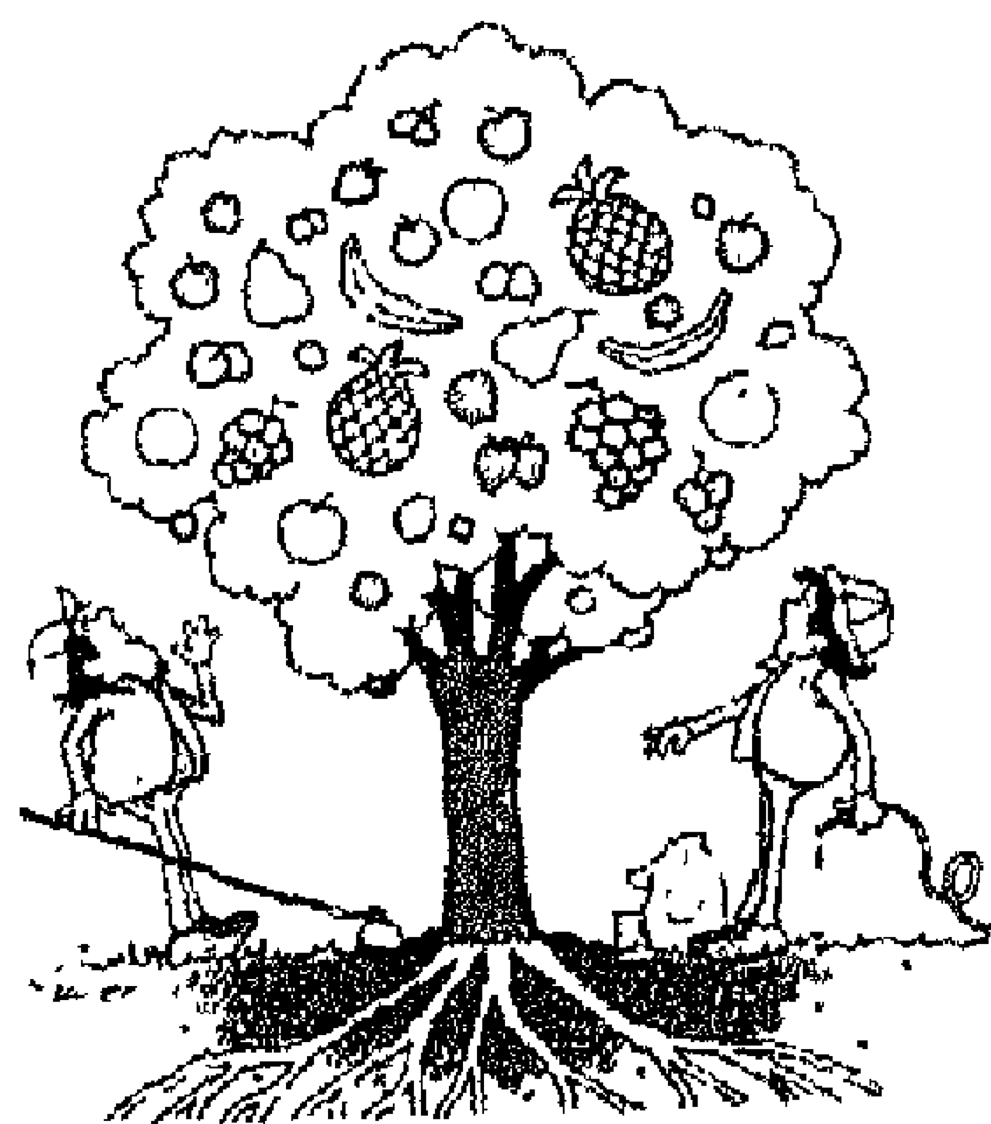
٢٦٠ **المهزاق**: المبذر ـ السفاح ـ الضحوك ـ المتهور.

٢٧٠ **الشذا**: الصبا ـ الغناء الجميل ـ الشذوذ ـ ذكاء الرائحة.

٢٨٠ **الوَصَب**: الشك ـ القذارة ـ الغاية المنشودة ـ الوجع.

٢٩٠ **الصدى**: الشهرة ـ العطش ـ الانتقام المريع ـ الرفض.

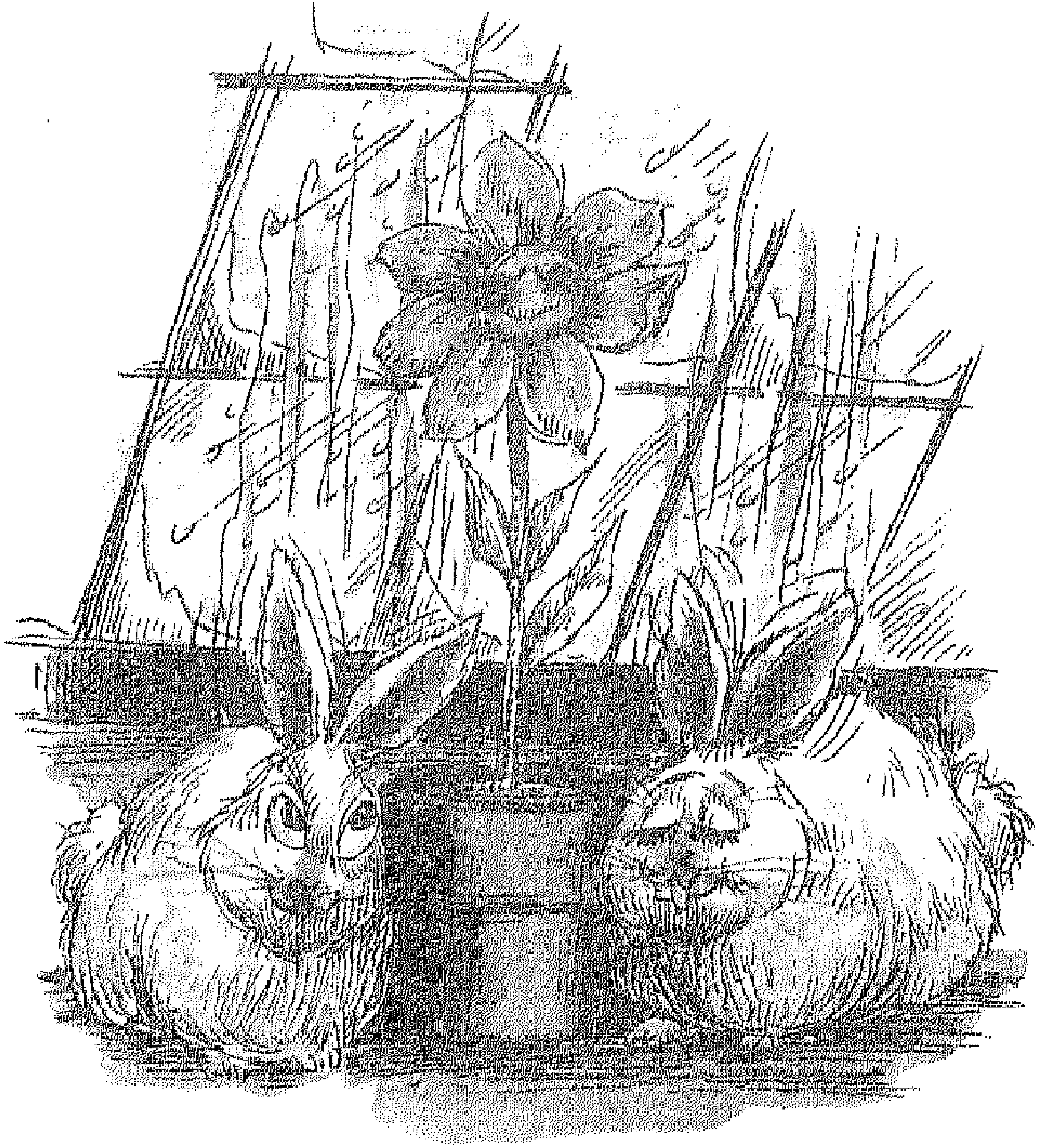
٣٠٠ **الغيطل**: الشجر الملتف ـ الغضوب ـ الكريم ـ البطل.



الأجوبة الصحيحة

١٠ الاوار: حر النار والشمس٠ ايضاً: العطش والدخان واللهب٠
٢٠ الغيهب: الظلمة والشديد السواد من الخيل٠ جمعها غياهب٠
٣٠ القحل: شدة اليبس٠
٤٠ السّعار: حر النار وشدة الجوع٠ السّعْر: الحر والجنون والجوع٠
٥٠ الدّثْر: المال الكثير٠
٦٠ الغَمْر: الماء الكثير٠ ايضاً: من لم يجرب الامور والجاهل الابله٠
٧٠ داء عُضال: شديد مُعْيٍ غالب ويزيد على مر الايام٠
٨٠ اللدّد: شدة الخصومة٠ تلدّد الرجل: تلفت يميناً ويساراً٠
٩٠ الجشع: اشد الحرص واسوأه والطمع في نصيب الآخرين٠
١٠٠ انهلّ المطر انهلالا: اشتد انصبابه مع صوت٠
١١٠ النصَب: الوجع وشدة التعب٠
١٢٠ الزّعاق: الماء المر الغليظ لا يطاق شربه٠
١٣٠ المقْرس والقارس والقريس: البرد الشديد٠
١٤٠ الهلَع: الجزع وشدة الاضطراب٠ الهيلع: الضعيف٠
١٥٠ الخَفَر: شدة الحياء٠
١٦٠ امرأة نَثور: كثيرة الاولاد٠ نثرت بطنها اي اكثرت ولدها٠
١٧٠ الهَدّ: الهدم الشديد٠ هدّ الرجلُ: هرم٠
١٨٠ المأْق: البكاء الشديد٠ مأْق العين ومؤقها: مجرى الدمع٠
١٩٠ الشّنَف: البغض٠
٢٠٠ الصِرّ: شدة البرد٠ ريح صِرّ: شديدة الصوت او البرد٠
٢١٠ ورَف الظل: اتسع وطال وامتد٠ والنبات: نضر واهتز٠ فهو وارف٠
٢٢٠ اللجوج: العنيد الذي يتمادى في الامر ويأبى الانصراف عنه٠
٢٣٠ اناء مُتْرع: ممتلىء٠ يقال ايضاً: جفن مترع٠
٢٤٠ شاة دَرُور: كثيرة اللبن٠ ديمة مدرار: غزيرة السيلان٠
٢٥٠ الرّزاح: الضعف وشدة الهزال٠ الرازح: الهالك هزالا٠
٢٦٠ المهزاق: المرأة الكثيرة الضحك او التي لا تستقر في موضع٠
٢٧٠ الشذا: قوة ذكاء الرائحة٠ الشذو: المسك او ريحه٠
٢٨٠ الوَصَب: المرض والوجع الدائم٠ الموصّب: الكثير الاوجاع٠
٢٩٠ الصدى: العطش٠ الصوادي: النخل الطوال او التي لا تشرب٠
٣٠٠ الغَيْطَل: الشجر الكثير الملتف٠

المستوى
٢٥ ـ ٣٠: ممتاز
١٩ ـ ٢٤: جيد
١٣ ـ ١٨: مقبول



طاقة حرارية من آذان الأرانب!

ما هو الشيء الذي يدفىء البيوت الزجاجية وله اذنان طويلتان وانف مرتعش؟ الجواب يصور بعضاً من الجهود التي يحاول بها العقل المبدع ايجاد حلول لازمة الطاقة

Condensed from National Wildlife (August - September '83),
(c) 1983 by National Wildlife Federation, Vienna, Va.

حرارة ارنبية

خلال أزمة الطاقة التي اكتسحت الغرب فكر بعضهم في ايجاد بديل من النفط لتأمين الحرارة الضرورية، مثل الطاقة الشمسية ومواقد الحطب. لكن بيل شولتز من غرانت باس في ولاية اوريغون الامريكية فكر في طريقة مختلفة، فزود البيت الزجاجي الذي يزرع فيه، باربعمئة جهاز تدفئة يمتاز كل منها باذنين طويلتين وانف مرتعش.

كان شولتز يعرف ان الارانب تتميز بارتفاع حرارة أجسادها التي يبلغ معدلها ٣٩،٢ درجة مئوية. لذلك قرر تربيتها داخل البيت الزجاجي. كانت الارانب تطلق اشعة حرارية من أذنيها وتعمل كنظام تدفئة طبيعي يؤمن للبيت الزجاجي الحرارة الضرورية. فعندما تكون الحرارة صفراً في الخارج تكفي الارانب لرفع الحرارة الداخلية الى ١٣ درجة مئوية.

انتهت تجربة شولتز مع الارانب بعد ثمانية عشر شهراً عندما هبطت اسعار الارانب في السوق المحلية. في تلك الفترة تمكن شولتز من خفض مصاريف الطاقة ٢٥ دولاراً يومياً بعد حسم التكاليف. كذلك كان يبيع ارانب بقيمة ٣٥٠ دولاراً اسبوعياً.

تجربة شولتز مع الارانب كوسيلة للتدفئة في البيت الزجاجي هي مثال صارخ على عبقرية الانسان. وكان حافز شولتز ارتفاع اسعار الوقود والتهديد العربي بحظر تصدير النفط الى الغرب، مما حداه على استنباط وسيلة بسيطة قديمة الطراز للتدفئة.

تبريد طبيعي

توصل يوجين نيمان من مدينة ابلتون في ولاية ميسوري الى تطبيق فكرة ترتكز على الافادة من طرفي نقيض الحرارة في الطبيعة. وهو يمارس مهنة السمكرة، وكان يعمل مع ابنه كيلي في اصلاح آلة لضغط الهواء في يوم بارد من العام ١٩٧٩ حين قال كيلي: "الا نستطيع يا والدي دفع الهواء البارد عبر انابيب تصل الى الداخل وتستعمل لتبريد المأكولات؟"

صمم نيمان جهازاً يحمل الهواء البارد الى داخل المخزن واقنع سماناً بتجربة الجهاز.

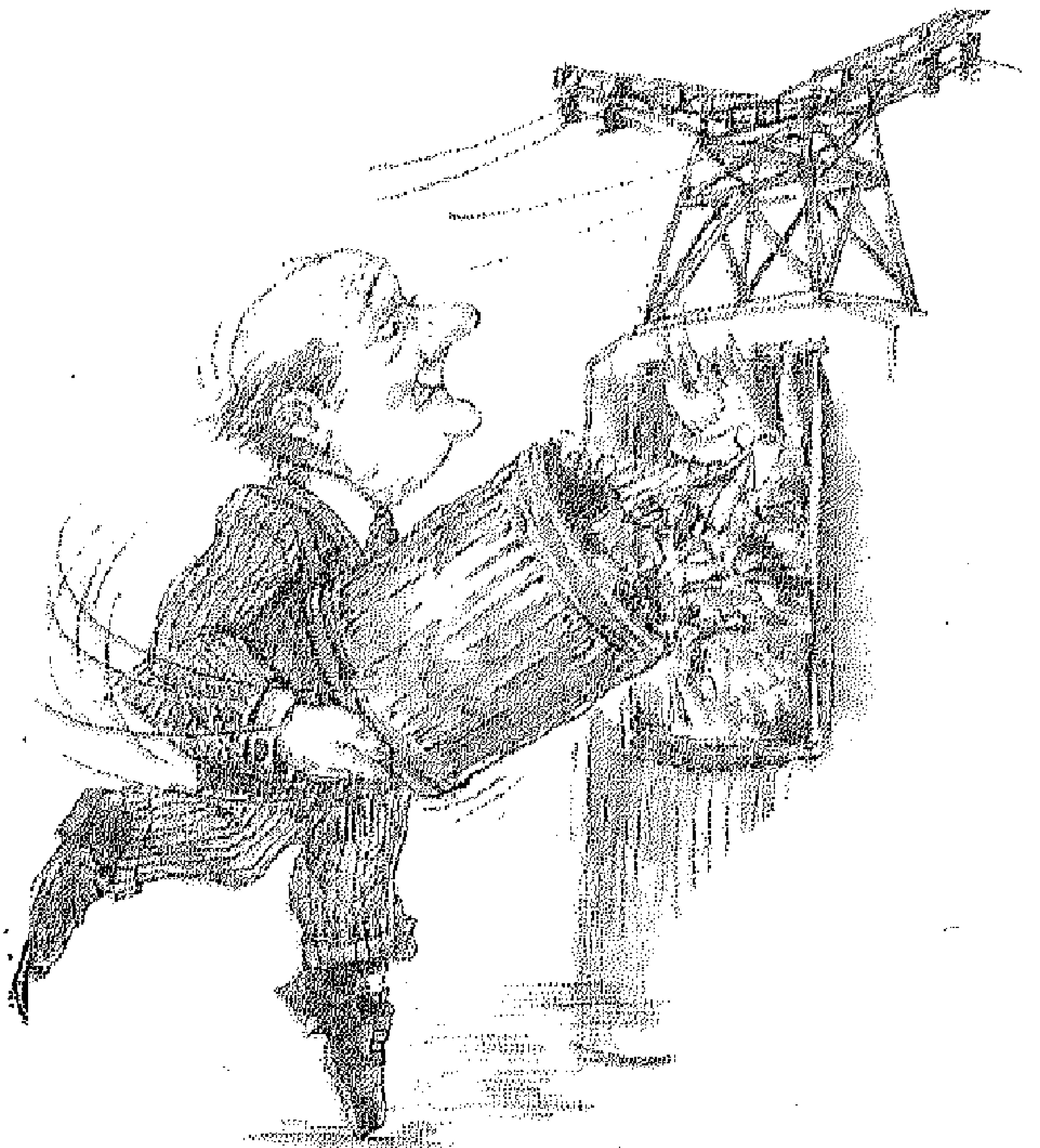
في فصل الشتاء يسحب الجهاز الهواء البارد الى الداخل حيث يمر عبر صناديق الالبان والاجبان والمعلبات ويخرج بعد ان ينهي دورته، وعندما تكون الحرارة في الخارج دون ١،٧ درجة مئوية تتم عملية التبريد تلقائياً ولا يتكلف السمان سوى ثلاثة دولارات يومياً ثمناً للطاقة الكهربائية. وعندما ترتفع الحرارة في الخارج فوق ١،٧ درجة مئوية تعمل آلة لضغط الهواء على تأمين بعض الهواء البارد. واستمرت التجربة ثلاث سنوات تقدم نيمان بعدها بطلب قرض من الحكومة لتصنيع اختراعه وبيعه في الاسواق.

جبل الثلج

ثيودور تايلور مستشار تقني في جامعة برنستون طوّر التبريد

الطبيعي بابتكاره بركاً جليدية كبيرة لتبريد المصانع والابنية التجارية. وترجع فكرة برك الجليد الى تصميم قديم يقضي بتخزين ثلوج الشتاء لاستعمالها في التبريد في فصل الصيف.

وفي العام ١٩٧٩ وافقت شركة "برودنشال" للتأمين على تمويل المشروع ووضعه قيد التجربة. واستخدم تايلور وزملاؤه آلة لصنع الثلج مماثلة لتلك التي تستعمل في منتجعات التزلج، وبنوا جبلا من الثلج بلغ قطره ثمانية عشر متراً وجعلوا له غطاء عازلا للحرارة. وما ان بدأ الثلج يذوب ببطء في فصل الصيف حتى بدأت المياه الباردة تتسرب من سفح الجبل الثلجي حيث تضخ لتمر عبر انابيب تبرد الهواء في مجاري المبنى المجاور. ويقوم نظام تبريد "برك الجليد" هذا فوق مساحة من



الفي متر مربع، ويضمه اليوم بناء مغلق. وهو يعمل بفاعلية مذهلة جعلت شركة "برودنشال" للتأمين تفاخر بان نظام التبريد الجديد يوفر ١٢ الف دولار من كلفة التبريد العادي في البناء الواحد في السنة الواحدة.

الروث الحيواني

اكثر الحقول خصباً للافكار الجديدة في انتاج الطاقة نجده في تحويل النفايات والمواد غير المرغوب فيها كروث البقر والاعشاب وقوداً قابلا للاستعمال. وفي عدد من المدن الامريكية المزدهرة يحرق عمال البلدية النفايات لانتاج طاقة بخارية بدلا من تجميعها في ركام يرتفع في الضواحي ويشوه المناظر الطبيعية الريفية.

دوغلاس روبي المهندس في الوكالة الامريكية لحماية البيئة، يقدر ان نحو مئة مدينة توصلت الى بناء مصانع لتحويل النفايات طاقة. وهو يعتقد ان حرق النفايات هو الوسيلة الافضل للتخلص منها، وذلك "بعد استبعاد الاشياء الضخمة كالغسالات وهياكل السيارات." والطاقة الناتجة من حرق ٢٢ في المئة من نفايات شيكاغو تكفي لتشغيل مصنع كبير للحلوى وموقف للسيارات ومصنع حرق النفايات نفسه.

ويجري الباحثون الزراعيون في جامعة ميسوري تجارب غريبة ومعقدة للحصول على الطاقة التي تجعل المزارع في حال اكتفاء ذاتي. ويقوم النظام الجديد على ٦٠٠ رأس



ماشية حيث يتحول الروث الى غاز الميثان الذي يشغل مولداً يوفر الكهرباء لزريبة الحيوانات، كما يدير آلة للتقطير تحول الذرة الى ميثان يساعد في تأمين الوقود لاجهزة المزرعة والى علف تأكله الحيوانات التي تنتج الروث.

وهناك نظام مماثل تبيعه في الاسواق شركة "هادلي وبينيت" في مدينة هانيكر في ولاية نيوهامشير، يحول روث البقر مزيجاً ملتهباً من غاز الميثان وثاني اوكسيد الكربون. وتعمل الشركة حالياً على تصميم نظام بسعة ٧،٥ ملايين ليتر ينتج من الغاز ما يكفي لتوليد طاقة كهربائية لادارة اربعين مزرعة ومئة منزل. والجدير بالذكر ان المواد المتبقية من الروث بعد تحويله غازاً تصلح سماداً طبيعياً للارض. ويحتاج النظام الى قطيع من مئتي بقرة. وهناك نحو خمسين مشروعاً مماثلا في الولايات المتحدة.

نفايات المصانع

يمكن تحويل مخلفات المصانع مصدراً للطاقة. في اواخر السبعينات اضطر عدد كبير من المطابع الى الاقفال نتيجة نقص في الغاز الطبيعي. فشرع المستشار الهندسي ستيف هاريس من مدينة ميدلوثيان في ولاية فرجينيا في محاولة انتاج الطاقة عبر حرق النفايات الورقية. يقول هاريس: "الاوراق التي تحويها الصحف تمثل ٧٥ في المئة من الورق المستعمل. اما الورق الباقي فيقص ويُرمى في سلال المهملات او يباع لاعادة تصنيعه بخمسة عشر دولاراً الطن الواحد. اما انا فوجدت ان الطن يستحق ١٤٠ دولاراً كوقود لتوليد الطاقة الحرارية."

استنبط هاريس نظاماً جديداً لتجميع النفايات الورقية وقصها

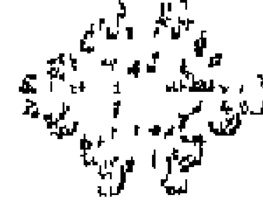
طاقة حرارية

وتخزينها لاستعمالهـا وقـوداً ينتـج طاقة حرارية تدير المصانع وتنير المنازل. ومع ان المشروع يكلف مليون دولار، فانه يوفي ثمنه بعد عشر سنين. وهناك حالياً ثلاث مطابع كبيـرة فـي ولايـة ايـوا وكارولينـا الشمالية وايلينوي بدأت تحصد ثلث مصادر طاقتها من مشاريعها الخاصة التي تعتمد حرق النفايات الورقية كمصدر للطاقة.

في بلد يقبل اهله على توليد الطاقة الكهربائية من روث البقر تتساءل: ما الذي سيحققه الانسان بعد من اعمال غريبة تتفتق عنها عبقريته الفذة؟

وكما قال بيل شولتز صاحب بدعة الأرانب: "ايهما أسخف: ان ندفع الاموال الباهظة لشركات النفط ام ان نستخـدم الارانـب لتدفـئة البيـوت الزجاجية؟"

■ فيليس ليمان



صرصار نيويورك

كان بين المجندين الامريكيين في فيتنام شاب ولد ونشأ في مدينة نيويورك. وخلال حراسته في الثالثة من فجر أحد الايام، سمع صوتاً في الغابة فطلب النجدة على الفور. وما أن وصل الضابط المسؤول الى موقع الخفير حتى طلب منه أن يدله على مصدر الصوت. ولما فعل سأله: "من أين أنت؟"

ـ من مدينة نيويورك.

"أما سمعت صوت صرصار قبل اليوم؟"

ا.س.

أكل الحديد

بينما كنت اسيح في كلكوتا مع صديق، وقفنا في شارع نراقب مشعوذاً وهو يبتلع كرات الحديد وقطع الفحم المشتعلة. ولدى انتهاء عرضه دار بقبعته على الجمهور يستجديه المال لشراء طعام يسد به رمقه. وصرخ فيه أحدهم: "ألا تزال جائعاً بعد كل الذي التهمته؟"

س.ب.

سيارة خصوصية

الرجل لزوجته: "أتحبين ركوب سيارة صفراء كبيرة ومتينة ويقودها سائق خاص؟"

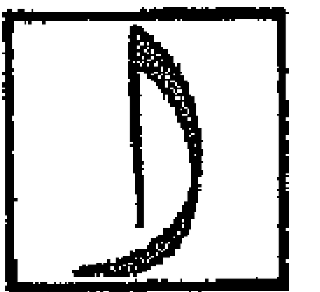
ـ وكيف لا؟

"اذاً، هيا بنا الى حافلة النقل العمومية."

د.ش.

اذا شئت ان تقنع الآخرين بآرائك،
فاليك السر عبر هذه الوسائل الست

قوّة الإقناع كيف تكتسبها؟



انضممت يوماً الى ناد لكرة المضرب اعتاد أفراده أن يحققوا أفضل إنجازاتهم ليس على الملاعب، بل في قاعات الاجتماع حيث كنا نتداول القوانين والموازنات. وفي حمى المناقشات كان بعضنا يستعطف والبعض يثور، كما كان بعضنا يلوذ بالسخرية والبعض الآخر يحتج بالمنطق. وفي نهاية كل جولة كان زميلنا لاري، وهو محام مختص بالمفاوضات، ينال ما يرجوه.

وتجدر الاشارة الى أن لاري كان يحقق غايته بهدوء ومن غير لجوء الى أي حيلة ظاهرة. صحيح أن آراءه كانت منطقية، لكنه لم يضمن لها القبول عبر المنطق. والواقع أن قدرته على الاقناع جاءت من مهارته في الوصول الى الآخرين.

إن القدرة على كسب الآخرين أمر مهم جداً. وان نحن لجأنا الى أساليب ذوي الاقناع، لاستطعنا شقّ حياتنا اليومية بمقدار أوفر من النجاح، كأن نطلب علاوة على راتبنا أو نسوي خلافاً مع أحد الجيران أو نساعد أولادنا في اختيار الأفضل.

إلا أن المقْنعين الكبار لم يستطيعوا حتى وقت قريب البوح لنا بسر نجاحهم. لكن الباحثين استطاعوا، بعد مئات الدراسات في

هذا النطاق، أن ينقلوا إلينا بعض هذه الأسرار التي يمكن اكتسابها وتطبيقها بذكاء. وفي ما يأتي عرض لست طرائق تعيننا على ان نكون اكثر اقناعاً في المواقف اليومية:

١ . كن المضيف لا الضعيف .

لنقل انك مزمع على مقابلة جارك للكلام عن شجرته التي تسد حديقة منزلك الخلفية. فهل تذهب إليه أم تدعوه الى منزلك؟

العديد من الناس يكون أشد إقناعاً في محيطه هو. لذلك يسعى دهاة المفاوضين الى عقد الجلسات في مكاتبهم وليس في مكاتب الأطراف الآخرين.

وفي اختبار أجري أخيراً في بالتيمور في ولاية ماريلاند الأمريكية، تولى عالما النفس رالف تيلور وجوزف لاني دراسة ستين طالباً من جامعة جونز هوبكنز من حيث قابليتهم للسيطرة على الآخرين. وجعلوا المجموعة في أقسام من ثلاثة أشخاص، واحدهم ضعيف التأثير والثاني متوسطه والثالث قويه، طالبين من كل قسم الاتفاق حول عشر نقاط من شأنها خفض موازنة الجامعة.

واجتمع نصف المشتركين في غرف الأعضاء الأقوى تأثيراً، فيما اجتمع النصف الآخر في غرف الأعضاء الأضعف تأثيراً. وجاءت النتيجة في مصلحة المضيفين، بغض النظر عن قوة حجتهم.

هذا يعني أنه إذا لم يستطع واحدنا عقد اجتماع في داره أو مكتبه، فلأفضل أن يقابل الآخر في مكان محايد إذا شاء ضمان التأثير عليه.

٢ . امنح نفسك خير مظهر .

إذا كنت تجمع تواقيع على عريضة، فهل من الضروري أن ترتدي ثياباً أنيقة، أم ان هذا ثانوي لأن الناس يهمها ما تقول أكثر مما تلبس؟

في البلدة الصغيرة حيث كنت أعيش اعتاد رسام أن يرتاد دار البلدية لابداء آرائه في مختلف المسائل المحلية. وكان يدخل القاعة غير حليق الذقن وفي ثياب رثة تخللتها الألوان هنا وهناك، معلناً ازدراءه للمواطنين المتأنقين. وطالما قال ان الناس لو كانت لهم عقول راجحة لاكتشفوا قوة حجته بصرف النظر عما يلبس من ثياب. إلا أن الناس صموا آذانهم عنه سنة بعد سنة، مما حداه على الظن أنهم مغفلون.

نحن ننزع الى الظن أننا نتأثر بما يقوله الآخر أكثر من تأثرنا بمظهره. غير أن التجارب تدحض هذا الاعتقاد. ومن هذا القبيل أختبار أجراه عالم النفس شيلي شايكن على ٦٨ متطوعاً في جامعة مساتشوستس في آمهرست، فتبين ان الأكثر أناقة وجاذبية بينهم هم الأشد إقناعاً.

٣ . تعاطف مع المستمع .

تصور أنك تحاول بث الحماسة في مجموعة من الأحداث في حملة نظافة محلية. فما هي الطريقة لأثارة اهتمامهم ببرنامجك؟

مرة أنشأت وصديقي آل بروان مسرحاً صيفياً، ودهشت للتجاوب الذي حصل عليه زميلي، وهو مختص بالفيزياء النظرية، من موظفي المسرح والممثلين والمسؤولين في البلدة. ومرة سمعت حديثه مع اثنين من العمال، وقد تخلله الكثير من الثرثرة ونافل الكلام.

وأنبته لاحقاً بقولي: "يا لك من إنسان زائف! ألا تدري أنك ممثل وانك لا تنتمي الى طبقة العمال؟"

ونظر الي متعجباً وقال: "هذا ليس زيفاً يا صديقي، بل هو المودة تجاه الآخرين. ولقد شئت التأكيد لهم أني لا أختلف عنهم. وهذا عين ما يحتاجون إليه لتبقى علاقتنا وطيدة ويكمل أحدنا الآخر."

وقد وجد الباحثون أننا، في محاولة تعديل أذواق الآخرين ومواقفهم، لا بد لنا من التعاطف وإياهم قبل طرح آرائنا عليهم. وبعض التفسيرات من نزعة طبيعية لدى الناس الى تصديق ما يقوله "واحد منهم".

ومما سجله الباحث دونالد موين الذي يدير مؤسسة خاصة تعنى بتلقين العلائق أن أكثر البائعين نجاحاً هم الذين "يقلدون صوت الزبون وحركاته ووقفته وحاله النفسية. وربما شهقوا وزفروا مثله من غير قصد." وهذا من شأنه إحداث الأثر الاكبر في الزبون.

٤. اعكس تجارب المستمع.

إذا شئت زيارة الزوجين اللذين انتقلا حديثاً الى جيرتك بغية كسب دعمهما لأحد المشاريع المحلية، فما أفضل الطرق لاثارة اهتمامهما؟

إن غير المتمرس يقفز تواً الى موضوعه الرئيسي. أما المتمرس فيحرص باديء الأمر على إشاعة جو من الثقة بينه وبين الآخر. فإذا عبر المستمع عن قلقه حيال أمر ما، حسن بمن يحاول إقناعه أن يعطي جواباً كالآتي: "إني أفهم ما الذي يبعث لديك هذا القلق. ولو كنت مكانك لراودني الشعور نفسه." إن جواباً كهذا يكشف عن احترامنا للمرء الآخر، ولا بد من أن يخلق جواً من الثقة في ما بيننا.

كما ان صاحب الاقناع يتفهم اعتراضات المستمع على آرائه بدل أن يدحضها. ويجدر به أن يعيد صياغة هذه الاعتراضات بوضوح وإظهار حسناتها قبل الانتقال الى الدفاع عن آرائه هو وإظهار تفوقها. ويروى عن وكيل شركة تأمين أنه أقر رأي زبون يقول ان التأمين على الحياة ليس استثماراً حكيماً: "الحق معك يا صديقي. إنه استثمار لا يمت بأي صلة الى الحكمة." ومضى يقول ان للتأمين على الحياة أهدافاً غير الاستثمار. فهو يحمي المرء في وجه الكوارث والاحداث المحتملة والممكنة.

والواقع أن دراسات عدة أجريت حول هذا الجانب من عملية الاقناع وبينت أن الاصغاء الحسن الى رأي المستمع يجب أن يتم قبل عرض آرائنا عليه.

٥. لتكن حجتك قوية.

تخيل أنك عضو في مجلس امناء إحدى المدارس وأنك ذاهب الى اجتماع بقصد معارضة رفع الموازنة.

فأي الحجج هي التي تعينك أكثر من سواها على كسب الموقف؟

لا شك في أن موقفك يعززه طرح المعلومات الاكيدة أكثر مما تعززه الآراء الشخصية. ولكن لا تنسَ وأنت تفعل هذا أن اولئك الذين لم يتخذوا موقفاً بعد يتساوى لديهم مصدر المعلومات بالمعلومات نفسها. فإذا دعمت معلوماتك بمصادر قوية، كانت أدعى الى القبول. ولكن لا تكثر من تسمية الخبراء، إذ ان كثرة الاستشهادات من شأنها إثارة اشمئزاز المستمع.

٦. الجأ الى القصص والأمثلة.

إذا كنت تحاول بيع سيارتك شخصاً لا تعرفه، فماذا تقول له حول استهلاكها الوقود: أتعطيه الأرقام المتبعة إحصائيا أم تلجأ الى خبرتك الخاصة، أي الى ما استهلكته السيارة في رحلة نهاية الاسبوع الأخيرة؟

ان اللجوء الى الخبرة الشخصية من شأنه إحداث أثر أقوى لدى المستمع. ومن هذا القبيل أن طبيبي نصحني مرة بأخذ عقار معين لمعالجة علة بسيطة. وحين سألته هل لذلك الدواء آثار سلبية، حدثني قليلا عن تركيب الدواء ثم أضاف انه هو نفسه يأخذه. وكان ذلك كافياً لأقناعي.

وهكذا يتبين أن قوة الاقناع بعدما كانت تبدو وقفاً على أقلية موهوبة ظهرت اليوم على حقيقتها، وهي أنها فن يمكن اكتسابه. ومن شاء برهاناً على ما نقول، فليجرب الطرائق الست التي عالجناها.

■ مورتون هنت



مغفرة الخطايا

حين مرضت امي وهي في عقدها التاسع، رحت وأخواتي نتناوب على خدمتها وهي تنتقل من غيبوبة الى اخرى. وذات صباح كنت نصف نائمة بجانب سريرها حين أيقظتني قائلة: "أتظنين يا عزيزتي ان الله يغفر خطايانا؟"

ونزل الدمع من عيني وأنا أطمئنها بقولي: "لا شك في أن الله تعالى يغفر لنا خطايانا... ولكن ما الذي اقترفته يا امي؟"

وأطبقت عينيها وقالت: "هذا ليس من شأنك."

ه.ك.

خير فائض

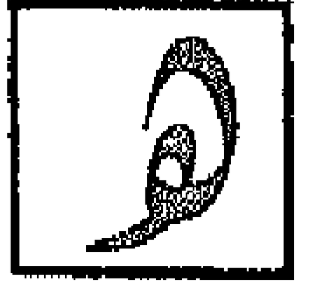
لمناسبة حفلة ابني المدرسية الاولى، أعددت كمية من الكعك تكفي أولاد صفه الخمسة والعشرين. لكنه عاد الى المنزل ومعه نصف الحلوى تقريباً. ولما سألته عن السبب أجاب: "لقد انتفخت مما أكلته."

ب.ب.

هوذا آت من غياهب الضباب، يسبح ببطء
في اتجاه الضوء الوامض في المنارة



الزائرُ العَجيبُ



هناك وسط المياه الباردة بعيداً عن اليابسة كنا كل ليلة ننتظر حلول الضباب. ومن أعلى البرج الذي كنا نسلط منه الضوء الوامض كنت وصديقي ماكدان نشعر كأننا طائران سابحان في قبة السماء الغبراء. وكانت الاضواء الكاشفة تحدق الى المحيط فتهدي السفن التائهة بنور وامض يتعاقب فيه الاحمر والابيض. واذ كانت السفن القريبة من المنارة عاجزة في بعض الاحيان عن رؤية أضوائنا، كنا نلجأ الى بوق الضباب ذي الصوت الاجش العميق الذي ينطلق مخيفاً فيمزق رقع السّديم ويروع الطيور البحرية فتنتشر في مهب الريح.

كانت الساعة السابعة والربع من مساء يوم بارد من نوفمبر (تشرين الثاني) وقال ماكدان: "انها لحياة موحشة حقاً، حياتنا هذه. لكنك اعتدت عليها، أليس كذلك؟"

أجبته: "نعم، هذا صحيح. والفضل في ذلك عائد إليك لأنك محدث لبق."

ابتسم وقال: "غداً يوم عطلتك، فتذهب الى اليابسة حيث تمضي وقتاً طيباً."

سألته: "ما هي الافكار التي تراودك عندما أتركك وحيداً ههنا؟."

أشعل ماكدان غليونه وقال: "أفكر في أسرار البحر ومجاهله وخفاياه. ذات مساء لسنوات خلت كنت هنا وحدي عندما لاحظت أن السمك صعد من جوف الماء ليبقى طافياً على سطحه. وكان ثمة سبب جعل تلك الاسماك تتصرف على ذاك النحو وتبقى هامدة داخل الخليج، مرتعدة وهي ترمق الضوء المنعكس عليها من قبة البرج أحمر ثم أبيض ثم أحمر.

بقيت الاسماك هكذا لفترة ثم اختفت. وخيل إلي آنذاك أنها اقتربت من الشاطىء كأنها تبتغي الوقوف أمام المنارة وقفة تأمل. ألم تفكر قط في ما قد يدور في خلد تلك الاسماك في وقفتها امام برج عال ينبعث منه ضوء عجيب وامض وصوت رهيب؟"

شعرت ان ماكدان كان مضطرباً طوال ذاك اليوم من غير أن أعرف لاضطرابه سبباً قال: "بعد عشرة آلاف قرن من الآن لن تصل غواصات الدنيا الى الاعماق الحقيقية حيث يرجع عهد الاراضي المغمورة الى ثلاثمئة ألف سنة خلت. تعال معي، اريد ان اخبرك سراً احتفظت به طويلا."

هبطت وماكدان درجات البرج الثمانين. كان الضوء يهمهم ويدور برفق ودقة. وكان بوق الضباب يطلق صوته بانتظام مرة كل خمس عشر ثانية.

قال ماكدان بلهجة المقتنع: "هذا الصوت شبيه بصوت حيوان. الا تعتقد ذلك؟ صوت حيوان رابض على شفير عشرة مليارات سنة يصيح من الاعماق منادياً: أنا هنا أنا هنا. وتجيب الاعماق نداءه. لقد مضى على وجودك هنا ثلاثة أشهر يا جوني. لذلك يجدر بي أن اعلمك بالأمر لتستعد لمواجهة الواقع."

وبعدما حدّق ماكدان الى الضباب كأنه يريد سبره قال: "في هذا الوقت من كل سنة يخرج من الاعماق كائن عجيب يأتي لزيارة المنارة. وإذا صح

ظني وصدق ما أذكره من تواريخ السنة الماضية، فان الليلة هي موعد مجيء الزائر العجيب. والحدث هذا تكرر على مدى السنوات الثلاث الاخيرة، وكنت في كل مرة وحيداً في المنارة من دون شاهد أو رفيق."

اسرار الدهور — مضى على انتظارنا نصف ساعة، وبأدنا نشعر بالملل. عندئذ راح ماكدان يشرح نظرياته حول بوق الضباب.

"ذات يوم قبل سنوات عدة وقف رجل في المضيق على مدخل المحيط وقال: "نحن نحتاج الى صوت تستأنس به السفن. ولسوف أصنع أنا هذا الصوت. سأبدع صوتاً فيه نبرة العصور المتراكمة والضباب الذي لف الارض منذ الازل، صوتاً كصفير الريح وكغضب مياه البحر المتكسرة على الشاطىء البارد الصلب. وسيبكي كل من يسمعه وتأنس له القلوب. وسيطلق عليه إسم "بوق الضباب" وسيكون شاهداً على كآبة الابدية وقصر الحياة."

واضاف ماكدان بهدوء: "هذه القصة من وحي خيالي. وقد الفتها محاولا تبرير عودة ذاك الكائن مرة بعد مرة. وأنا أظن أن بوق الضباب يناديه فيأتي ملبياً نداءه."

حاولت أن أقول كلمة لأستزيد من صديقي، إلا أنه قاطعني مشيراً الى عرض البحر: "انظر! هناك!"

في قلب اللجة رأيت المياه تضطرب قليلا. ثم كانت موجة وزبد. بعدئذ شاهدت رأساً يخرج من الماء قاتم اللون بعينين جاحظتين كبيرتين. ثم ظهر العنق. وخرج الرأس كله وارتفع حوالى اثني عشر متراً عن سطح الماء. ووجدت العنق قاتماً أيضاً وناحلا. وفجأة خرج الجسم يقطر ماء، شبيهاً بجزيرة صغيرة يغطيها المرجان الاسود. وقدرت طول الوحش من رأسه الى ذيله بين ٢٧ و٣٠ متراً.

قلت مذهولا: "هذا مستحيل!

— كلا يا جوني، ليس بمستحيل! إنه أمامك كما كان قبل عشرة ملايين سنة.

علقت إحدى عيني الوحش بضوء منارتنا فعكسته كالمرآة، احمر فأبيض فأحمر.

"إنه ولا ريب من فصيلة الدينوصور. لكن هذا الحيوان انقرض منذ عهد بعيد."

— كلا يا جوني. إنه لم ينقرض، بل كان مختبئاً في أعماق الاعماق. إنها الكلمة السحرية. كلمة "الاعماق" تعني الكثير وتنطوي على أسرار الدهور.

في تلك اللحظة أطلق البوق نداءه المعهود. وأجاب الوحش النداء، بصوت آت عبر مليون سنة من الماء والضباب. كان صوتاً رهيباً تشوبه نبرة كآبة ووحشة وكرب، فارتعد له رأسي وأوصال جسدي كلها. وانطلق نداء البوق من جديد. وجأر الوحش هو أيضاً من جديد. وفي المرة الثالثة فتح فمه الكبير المليء بالأسنان فجاء الصوت الذي انطلق من حنجرته كصوت بوق الضباب تماماً.

بريق العذاب — قال ماكدان: "إن هذا الوحش يعيش وحيداً على بعد آلاف الكيلومترات وعلى عمق عشرة

كيلومترات تحت الماء. ويبقى هكذا طوال السنة ينتظر فرصة سانحة. من يدري؟ قد يكون عمره مليون سنة، ولعله آخر نموذج من جنسه.

"وقبل خمس سنوات جاء رجال وبنوا هذه المنارة وأقاموا فيها بوقاً للضباب يوجه صوته الى حيث يبقى الوحش حبيس نومه وذكرياته البحرية، في عالم لا صنو له فيه بعدما كان في الماضي حافلا بأمثاله.

"وينطلق صوت البوق، ويتحرك الوحش صعداً من الاعماق الموحلة وعيناه جاحظتان كعدستي آلة تصوير عملاقة، بطيئاً بطيئاً وعلى منكبيه عبء المحيط بكامله. ومع حلول الضباب يدوي صوت البوق بعيداً ومألوفاً، فيذكي النار في جوف الوحش الذي يواصل الصعود من الاعماق طوال أشهر الخريف. ويستمر على هذه الحال في شهر سبتمبر (أيلول) مع بدء موسم الضباب، وفي شهر اكتوبر (تشرين الاول). وأخيراً قبيل نهاية نوفمبر (تشرين الثاني) يكون الوحش أتم تكيفه مع الضغط صاعداً بضعة أمتار كل يوم، فيقترب من سطح المياه.

"تصور يا جوني أنك أنت ذلك المخلوق العجيب، هناك في الخضم وفي غمرة الليل، أكبر وحش عرفته الخليقة! وتخيل أن المنارة تناديك بعنقها المتطاول كعنقك وصوت كأنه صوتك. هل تفهم الآن كنه هذا الحدث يا جوني؟"

رأيت كل شيء وعرفت كل شيء. مليون سنة من الوحشة في انتظار من يعود، لكنه لا يعود أبداً. مليون سنة من العزلة في أعمق أعماق البحر. ودوى صوت البوق مرة أخرى.

قال ماكدان: "السنة الماضية ظل المخلوق يسبح في حركة دائرية طوال الليل. وبقي بعيداً عن المنارة. ربما كان خائفاً أو حانقاً بعد تكبده مشاق رحلته الطويلة. وفي اليوم التالي تبدد الضباب وأشرقت الشمس، فغاص الوحش مبتعداً عن الحرارة ولم يعد. واخاله رجع الى مستقره ليبقى طوال هذه السنة مخلداً الى السكينة وهو يفكر في ما عاشه من أحداث جديدة خلال رحلته."

رأينا الوحش يقتحم المياه متوجهاً بسرعة نحو المنارة.

وعاد البوق يطلق نداء آخر.

قال ماكدان: "سنرى ما سيحدث الآن" وأطفأ جهاز تشغيل البوق.

تسمر الوحش في مكانه فاغراً فمه وعيناه الزجاجيتان تطرفان تساؤلا وعجباً. ثم أحدث صوتاً هو أشبه بالقعقعة أو الهدير، وتطاير الشرر من عينيه. وتراجع قليلا وضرب الماء بغضب ثم انقض على البرج. في تلك اللحظة لمحت في عينيه بريق قلق وعذاب.

صحت بزميلي: "أعد تشغيل البوق فوراً." ولمحت هنيهة قوائم الوحش الهائلة وأظلافه المبطنة بالجلد التي راحت تضرب البرج وتخدشه ببراثنها. ووجدت نفسي وجهاً لوجه مع رأسه المضطرب وعينه اليمنى الهائلة تلتمع أمامي كأنها مرجل عظيم يوشك أن يجتذبني ليبتلعني. واهتزت قواعد البرج اهتزازاً عنيفاً. وأطلق البوق صيحة جديدة، فأجابه

الوحش بصيحة عظيمة. ثم أمسك البرج وصر على الزجاج بأسنانه فتناثرت شظاياه وتساقطت علينا.

قبض ماكدان على يدي وقال: "هيا بنا الى أسفل البرج."

العالم الخاص — وصلنا الى تحت فيما البرج ينهار فوق رأسينا، فاحتمينا تحت السلّم ثم دخلنا القبو الحجري الضيق. وفي تلك الاثناء كانت الحجار تنهال غزيرة من كل صوب.

وكانت النهاية، واعقبتها ظلمة حالكة وصمت لا يشوبه سوى صوت مياه البحر وهي تغسل الصخور. لكن الصوت الآخر عاد ليعكر السكينة مروعاً كئيباً.

بلغ مسامعنا صوت فحيح ناتج من امتصاص الهواء، ثم انتحاب الوحش المنذهل الكئيب وهو جاثم فوقنا برائحة بدنه الكريهة القوية التي كنا نشتمها على رغم سماكة الجدار الذي يفصله عنا. وراح الوحش يلهث ويصرخ. فالشيء الذي ناداه واجتذبه على مدى مليون سنة اختفى. وها هو الآن يفغر فاه ثانية ويطلق أصواتاً مرعدة، أصوات بوق الضباب عينه. أما السفن التي كانت تعبر في تلك اللحظة فلا بد ان بحارتها فكروا: هوذا الصوت المكتئب الوحيد وبوق الخليج المنعزل. كل شيء على ما يرام، لقد اجتزنا المحيط بسلام.

بعد ظهر اليوم التالي كانت الشمس ساطعة محرقة عندما قدم المنقذون لانتشالنا من تحت الأنقاض. وكانت أسئلتهم تنهال علينا غزيرة، تستفسر عن تفاصيل الحادث.

قال ماكدان وهو يضغط يدي: "لقد تداعى البناء فجأة. شعرنا قبل ذلك بامواج عملاقة تلطم البرج بعنف، ثم كان الدمار الذي ترونه أمامكم."

انقضت سنة على الحادث تم بعدها بناء منارة جديدة. لكنني كنت انتقلت الى عمل جديد وتزوجت وأقمت وزوجتي في منزل صغير ننعم فيه بالدفء والأمان.

وذات عشية من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ركبت سيارتي وتوجهت الى الشاطىء وسرحت بصري في المياه الرمادية منصتاً الى صوت البوق الجديد الذي كان يرسل نداءاته بعيداً منعزلا وسط المياه. ترى هل هذا صوت بوق الضباب أم انه صوت الوحش؟

قال ماكدان: "لقد اختفى الوحش وعاد الى عالمه الخاص في أعمق أعماق المحيط."

أصبح ماكدان المسؤول الاول في المنارة الجديدة التي بنيت وفقاً لمواصفاته الخاصة من الاسمنت المسلح بالفولاذ، وذلك "من قبيل الاحتياط" على حد قوله.

■ راي برادبوري



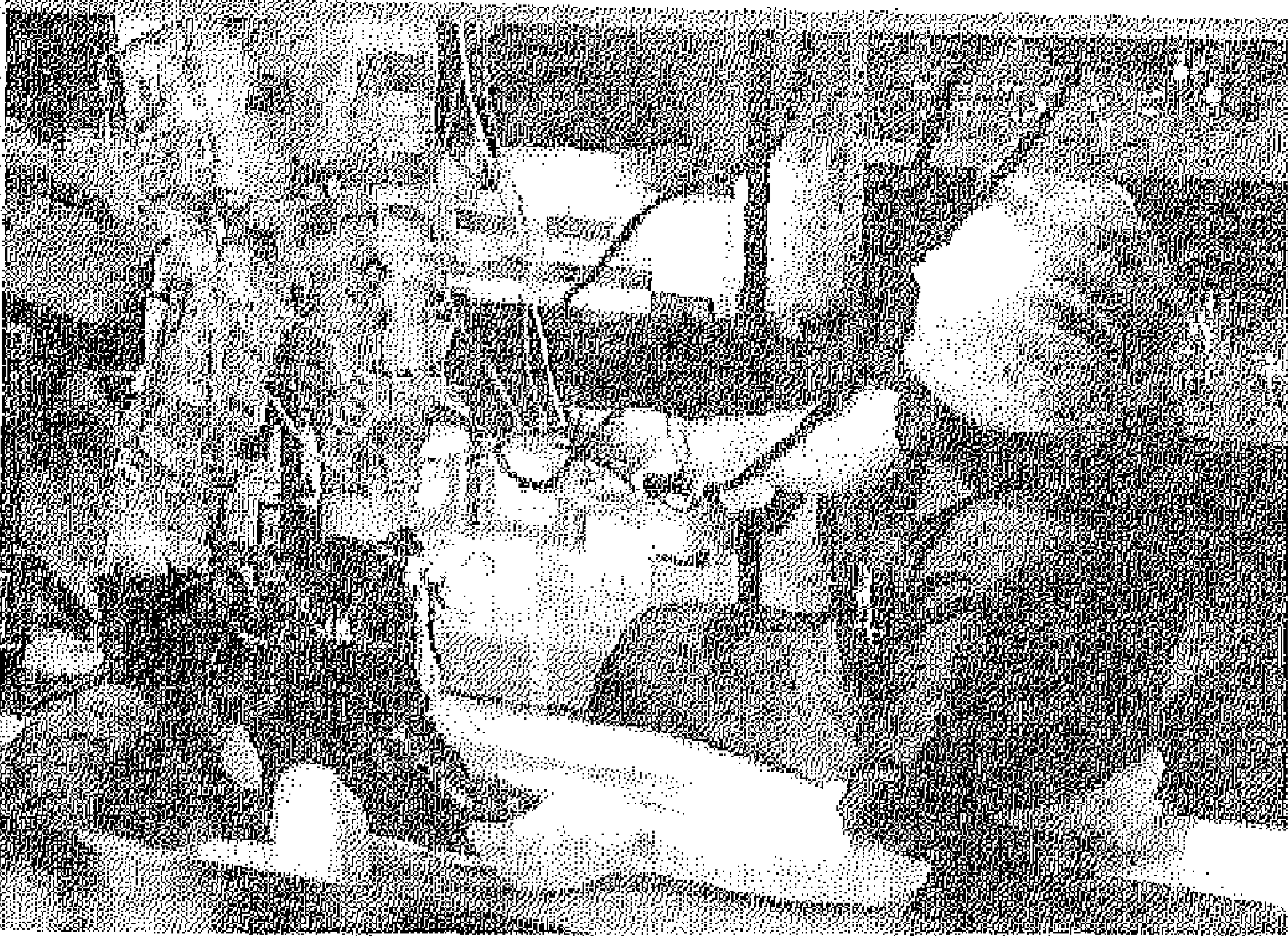
المريض للطبيب النفسي: "اني أسمع على الدوام هذه الاصوات الغريبة. وهي تقول لي انك تتقاضى مني مبالغ كبيرة."

ش.ر.

«بَلى، سَأمشيْ!»

أصرت الفتاة المشلولة على التشبث بالامل وخضعت لتجارب ثورية في حفز العضلات بواسطة الدماغ الالكتروني





جيم هاغنز مساعد بتروفسكي ينظر الى نان ديفيس الواقفة بقوة عضلاتها وبمساعدة الدماغ الالكتروني ·



نان ديفيس شابة في الثانية والعشرين من العمر · وفي العاشر من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٢ دخلت مختبراً في جامعة رايت الحكومية في مدينة دايتون (ولاية اوهايو) وجلست في كرسي متحرك بين قضيبين متوازيين لتباشر التجارب التي ستغير مجرى حياتها ·

بدت نان مثل فتاة آلية سريعة العطب وقد ربط جذعها الأعلى باشرطة حازمة الى ما يشبه مظلة مثبتة فوق رأسها ، ووضع في رجليها عدد من الاقطاب الكهربائية واجهزة الاحساس البلاستيكية التي علقت باسلاك موصلة الى المعدات الالكترونية المعبأة داخل علب معدنية وخشبية يدوية الصنع وموضوعة فوق خزانه صغيرة للدماغ الالكتروني ·

هزت الشابة رأسها معلنة

استعدادها لبدء التجربة التي سيجريها جيرولد بتروفسكي (٣٤ سنة) وهو عالم فيزيولوجيا ومهندس ادمغة الكترونية. مشى بتروفسكي للحال ليشغل الدماغ الالكتروني الذي سيرسل اشارات كهربائية مفاجئة الى عضلات ساقي نان، وهذه الشحنات ستحفز عضلاتها على الحركة.

لقد عمل بتروفسكي سنوات عدة لهذه اللحظة الحاسمة، ونجاح التجربة سيحقق حلماً كان مستحيلا وسيمكن نان التي شل نصفها الاسفل من المشي.

كان جيرولد بتروفسكي في بداية السبعينات يتابع دراساته العليا في جامعة سانت لويس في ولاية ميسوري حين بدأ دراسة ضعف عضلات القطط للتوصل الى وسائل لتنشيطها والتحكم بحركتها، خصوصاً في حالات شلل القوائم الخلفية.

ولم يكن لديه اي مشكلة في تنشيط الحركة لأن عالماً ايطالياً في القرن الثامن عشر توصل الى استنتاج هو أن الشحنات الكهربائية يمكنها ان تحفز العضلات المشلولة وتحركها.

تساءل بتروفسكي عما اذا كان يسع الدماغ الالكتروني تقليد الطبيعة في بث اشارات تشبه اشارات الدماغ الى الجهاز العصبي الذي يولد الحركة كما يحصل في جميع الكائنات الحية، وبعد ذلك ترسل اجهزة الاحساس في جسم الانسان المعلومات التي تأمر الدماغ بتنفيذ الاشارات. وتعرف هذه العملية بدارة كهربائية مقفلة وتمثل تدفقاً دائرياً لا ينفصم للمواد.

كان بتروفسكي يفكر في التحكم بحركة القطط ووضع هذه المعلومات في بيانات مفصلة في الدماغ الالكتروني، وبذلك يصمم دارة كهربائية مقفلة تطلق اشارات حساسة يؤمنها جسم الانسان.

كانت نان ديفيس في ذلك الوقت تقطن في مكان يبعد ٥٠٠ كيلومتر في مدينة سانت ماري في ولاية اوهايو حيث كانت تهوى تسلق الاشجار والسباحة والتخييم والسباق. وفي العام ١٩٧٦ كانت في الصف الثانوي الثاني وحطمت الرقم القياسي المدرسي في الركض لمسافة ٤٠٠ متر. وفي ١٩٧٧ كانت امنيتها ان تشترك في سباق الركض الذي يقام سنوياً في جامعة كولومبوس في اوهايو.

أما جيرولد بتروفسكي فاصبح الآن استاذاً مساعداً في الفيزيولوجيا في كلية الطب في جامعة سانت لويس. وهو عرض النتائج الأولية لابحاثه في العضلات وناقش علناً، للمرة الاولى، امكان تطوير نظام لمشي الانسان يرتكز على دارة كهربائية مقفلة ينشطها دماغ الكتروني.

وأكد له زملاؤه ان الحركة في جسم الانسان عملية معقدة وأن تجربته لن تنجح. لكن بتروفسكي لم ينثن عن عزمه. وفي مؤتمر علمي في اوهايو اقترب منه الدكتور شاندلر فيليبس وهو باحث في جامعة رايت الحكومية وطلب منه المزيد من التفاصيل حول الدارة الكهربائية المقفلة واكد له اهتمامه بها.

وبعد بضعة أشهر في مختبر جامعة سانت لويس ربط بتروفسكي الاقطاب

الكهربائية الى صدره وبطنه وفخذيه ثم ربط نفسه الى الدماغ الالكتروني، وكانت امامه قطة مزودة باقطاب مماثلة ممددة على الطاولة.

كان بتروفسكي يعلم انه كلما حرك ساقيه فهو يستجيب لاشارات من اعلى جسده، وكان على الدماغ الالكتروني ان يسجل الاشارات ويحللها ويرسل اشارات بحركة متطابقة الى قائمتي القطة، ولكن هل تنجح التجربة؟

تحرك بتروفسكي وتحركت القطة معه، ثم طوى ركبته ففعلت القطة ذلك، وبقيا على هذه الحال مدة ساعتين في رقصة فريدة متجانسة.

احلام المشي – في الرابع من يونيو (حزيران) ١٩٧٨ نالت ديفيس شهادتها في مدرسة فيموريال الثانوية، وفي المساء، وهي في طريقها الى حفلة اقيمت لمناسبة التخرج، جنحت بها السيارة وسقطت في واد حيث كسرت رقبتها وعمودها الفقري.

وأخبرها والدها جيم بعد يومين، والدموع تسيل من عينيه، أنها لن تمشي على رجليها ثانية بحسب رأي الاطباء، لكن نان حدقت الى والدها وقالت بهدوء: "بلى، سأمشي."

بقيت نان ستة أشهر في المستشفى حيث تابعت تمارين رياضية طبية، فتعلمت كيف تستعمل القسم الاعلى من جسدها الذي بقي سليماً، وتدربت على استعمال الكرسي المتحرك وقيادة سيارة معدلة للتشغيل اليدوي، وحين عادت الى البيت زودت بمشبكين لساقيها لمساعدتها في الوقوف من أجل تنشيط الدورة الدموية، وقيل لها ان تقبل بقدرها لأنها لن تمشي من جديد، وكرر لها الاطباء والممرضات والمرشدون حقيقة وضعها الوف المرات، الا ان كلماتهم كانت تشدد من عزيمتها فتردد في نفسها: "بل سأمشي."

وبعد رجوعها الى البيت بدأت نان تفقد الأمل وتبكي واحياناً ترفض وضع المشابك في ساقيها، وبعد سنة على الحادث أحست بأن تحقيق امنيتها ممكن اذا ناضلت واظهرت المزيد من النشاط والحيوية والشجاعة والتصلب وهكذا احكمت قبضتها وادخلت ساقيها في المشبكين المعدنيين ووقفت بين كرسيين وبدأت تمارين قاسية لمدة ساعتين يومياً من أجل تقوية عظام الساقين، وفي يونيو (حزيران) من تلك السنة التحقت بفرع التربية والتعليم في جامعة رايت الحكومية.

وبعد ثلاثة أشهر وقف بتروفسكي فخوراً وهو يلقي نظرة شاملة على مختبر أبحاثه الجديد في حرم جامعة رايت الذي لا تتعدى مساحته سبعين متراً مربعاً، فهو تعاقد مع الجامعة كأستاذ مساعد في الهندسة والفيزيولوجيا، وكان بتروفسكي وشاندلر فيليبس يتعاونان في ابحاثهما عبر المسافات البعيدة طوال الاشهر الاثني عشر السابقة، لكنهما الآن يعملان معاً في جامعة واحدة وفي وسعهما ان يضاعفا جهودهما.

وفي سبتمبر (ايلول) ١٩٨١ عرض بتروفسكي نتائج ابحاثه في مؤتمر

طبي في واشنطن وابدى استعداده لتجربة برنامج الدماغ الالكتروني الذي صممه لتدريب الاطراف المشلولة في الحيوان. فما كان من تشارلز كارسون، مؤسس جمعية النخاع الشوكي ورئيسها الحالي واحد المشاركين في المؤتمر، الا ان حض بتروفسكي على مباشرة تجاربه على الانسان ووعده بتمويل البحث. وكان كارسون كسيحاً من جراء اصابته في حادث طيران، ويعرف تماماً اهمية أبحاث بتروفسكي والحاجة الماسة الى اتمامها.

خلال شهرين تمكن بتروفسكي من تعديل برنامج الدماغ الالكتروني ليلائم عضلات الانسان. وفي ديسمبر (كانون الاول) اعد للتمارين بوضع كرسي قديم فوق منصة من الخشب المعاكس مزودة باجهزة احساس مع بكرات واوزان مصنوعة يدوياً. وبدأ تجاربه على الانسان المشلول في فبراير (شباط) متوخياً ان تقوى عضلات الساق المشلولة بعد التمارين وأملا ان تكون الاجراءات سليمة طبياً. وقد تأكد له نجاح تجاربه لانها تؤدي إجمالا الى تحسين قدرة الاحتمال لدى المريض. وفي الربيع صمم برنامجاً يقوم على دراجة ثابتة اجرى عليها بعض التعديلات.

منتصف الطريق – في العاشر من يونيو (حزيران) ١٩٨٢ حضرت نان برفقة والدتها المؤتمر السنوي لجمعية النخاع الشوكي في مدينة مينيابوليس في ولاية منيسوتا حيث عرض بتروفسكي آخر ما توصلت اليه ابحاثه. وعندما عرض على الحضور شريطاً يمثل تلميذاً مشلولا يشغل دراجة ثابتة ويسجل سرعة ٤٥ كيلومتراً في الساعة انتصبت نان في مجلسها متيقظة وسمعت بتروفسكي ينطق كلماته السحرية: "في آخر المطاف يمكن هذه التمارين ان تقود المشلول الى السير على قدميه من جديد."

وهرعت نان الى بتروفسكي بعد العرض وهي تشق طريقها بصعوبة لكثرة المتحلقين حوله، وقالت له مازحة: "لا يجوز ان اقطع ١٣٠٠ كيلومتر لاجتمع بشخص تضمني واياه جامعة واحدة."

ضحك بتروفسكي واعجبته روحها المرحة وحيويتها ودعاها الى مشاركته في تجاربه بعدما تأكد له ان اعصاب ساقيها سليمة وان لديها حوافز قوية للنجاح. ولبت نان دعوته بعد اربعة ايام وقادت سيارتها الى دايتون للمعاينة.

كان فيليبس يشرف على التجربة ويراقب التقنيين وهم يرفعون نان عن كرسيها المتحرك ويضعونها فوق الكرسي المخصص بتمارين الساقين. ثم ثبتوا آلة ضغط الدم على ذراعها وربطوا الاقطاب الكهربائية في ساقيها وضمدوا كاحليها بشريط جلدي متين وشدوا وثاقه. ووصلوا الاسلاك الكهربائية البارزة من الاقطاب الى الدماغ الالكتروني، وتدلت حبال من ضمادي الكاحلين ومررت في بكرة بسيطة لتصل الى قضيب من الفولاذ الذي لا يصدأ.

أخبرها بتروفسكي ان التقنيين

سيفيسون الاثقال التي يمكن كل واحدة من ساقيها ان ترفعها ليعرفوا القوة المتبقية لديها بعد اصابة عضلاتها بالشلل.

تمسكت نان بذراعي الكرسي ونظرت الى ساقيها، فرأت اليمنى تتحرك. سر بتروفسكي للنتيجة لأنها كانت أفضل مما توقع. ورفعت ساقها اليمنى ثمانية كيلوغرامات واليسرى عشرة كيلوغرامات، واعترف بتروفسكي بأنها الأقوى بين الاشخاص الذين شاركوا في تجاربه وتمنى ان تكون قدرتها على الاحتمال قوية ايضاً.

وبعد يومين دخلت نان المختبر ثانية وشدت بطوق الى الدراجة الثابتة، كذلك ربطت الاقطاب الكهربائية والاسلاك واجهزة الأحساس كل في موضعه وبوشر تطبيق البرنامج. وبدأت نان تحرك الدواسة وهي لا تصدق عينيها: "أنا اقود الدراجة من جديد واستعمل ساقي!"

وهكذا عادت نان فجأة الى التمرين وهي تأمل النجاح وتقول في نفسها: "سأمشي في يوم من الأيام."

بعد اسبوعين من التجارب على برنامج بتروفسكي باتت نان تحرك الدواستين ربع ساعة. وما أن انتصف شهر يوليو (تموز) حتى بدت ساقاها صحيحتين معافيتين.

وفي السابع من اغسطس (آب) تمكنت نان من الوقوف على رجليها من دون عكازين. وقفت مستعينة بقوة كهربائية غير منظورة وبقوة عضلاتها. وكان بتروفسكي مبتهجاً ومعجباً بنفسه وهو يخاطبها قائلا: "لقد قطعنا نصف الطريق."

الأماني المشتركة ـ بعد أربعة أشهر كان مقرراً أن يحاضر بتروفسكي في المؤتمر العالمي للنخاع الشوكي المنعقد في لندن. ورغب في ان يحمل معه شريطا يصور اولى خطوات النجاح في تجربة نظام الدارة المقفلة. وبعدما حصل على دعم مالي من الجمعية الامريكية للشلل اتخذ المشروع زخماً جديداً.

وبينما كانت نان تؤدي تمارينها الخاصة بتقوية عضلات الساقين فوق الدراجة الثابتة كان بتروفسكي ينقح برنامجه ويبدل دماغة الالكتروني ويصمم هيكلا للمشي يبلغ طوله ٣،٥ امتار وارتفاعه ٢،٥ متر.

في منتصف اكتوبر (تشرين الاول) كانت نان تتدرب يومياً على استعمال الهيكل الجديد بينما بقي بتروفسكي يعمل على برنامجه ويكافح بجهد وعناد ليزيل النواقص التي يمكن ان تعيبه.

وفي التاسع من نوفمبر (تشرين الثاني) وقفت نان وخطت خطوتها الاولى بساقها اليمنى، ورفضت ساقها اليسرى ان تنصاع.

وفي اليوم التالي اعاد بتروفسكي تنقيح برنامج الدماغ الالكتروني الذي كان يعمل على نظام الدارة المقفلة التي تحمل موجة من دوافع الحركة من الدماغ الالكتروني الى الجسم بواسطة شبكة من الاسلاك والاقطاب الكهربائية موجهة الى العضلات المحورية. وكان النظام يعود

بالاشارات الجوابية من الجسم الى الدماغ الالكتروني بواسطة شبكة اخرى من الاسلاك وأجهزة الاحساس. وكان لديه دماغ بديل يؤمن عمليتي التوازن والجاذبية مع بث القوة الكهربائية المحركة الى العضلات كل جزء من الف من الثانية. وكان البرنامج مؤلفاً من ٢٧٢١ خطوة تتكرر تلقائياً ٢٥٠ مرة في الثانية. وتبين لبتروفسكي ان هناك خطأ في النظام.

في الرابعة بعد الظهر وصلت نان وجرب معها بتروفسكي البرنامج مرة بعد اخرى. وفي كل مرة كان يحدث خلل ما. كانت العملية مثبطة للعزيمة، لكنه توصل اخيراً في الثامنة مساء الى طبع تعديلات جديدة في البرنامج وطلب من نان تجربته من جديد.

انحنت نان وامسكت القضيبين المعدنيين، ثم نهضت عن الكرسي المتحرك ووقفت منتصبة وحدقت الى الاشارة الضوئية في علبة معدنية صغيرة الصقت بالهيكل الذي يساعدها في المشي. كل اشارة ضوئية كانت تعلن خطوة اخرى في البرنامج فتستعد لها نان بالتنسيق بين افكارها وحركة اعلى جسمها من جهة والاشارات التي يطلقها الدماغ الالكتروني من جهة اخرى.

رفعت نان ساقها اليمنى عن الارض وطوت ركبتها وخطت الى الامام. وقال بتروفسكي بصوت هادىء: "حسناً فعلت يا نان."

وتساءل ان كانت ساقها اليسرى ستعمل ايضاً.

حدقت نان أمامها ورفعت ساقها اليسرى ببطء وطوت ركبتها ثم اعادت ساقها ببطء الى الارض.

صمت الجميع بينما تابع بتروفسكي طبع الأوامر في الدماغ الالكتروني وتابعت نان بنظرها الاشارات الضوئية كما هو مقرر.

هز بتروفسكي رأسه طالباً منها ان تتابع. وتقدمت ساق نان اليمنى وخطت خطوة الى الامام، كذلك فعلت ساقها اليسرى مرة تلو مرة. وفجأة وصلت نان الى نهاية المطاف وهلل لها الحاضرون بينما وقفت هي مشدوهة ثم انفرجت اساريرها عن ابتسامة رائعة.

في ١١ يونيو (حزيران) ١٩٨٣، بعد خمس سنوات من وقوع الحادث، مشت نان ببطء الى المنصة لتتسلم شهادة تخرجها في جامعة رايت الحكومية. كانت لحظة فخر واعتزاز وهي تستند الى ذراع بتروفسكي ويساعدها جهاز يدوي لنظام الدارة المقفلة للتدريب على المشي، وكانت هذه المرة الاولى تسير نان خارج المختبر، كما انها قربت بتروفسكي من الوصول الى هدفه في ابتكار آلة عملية فعالة تمكن ضحايا الشلل من المشي وربما امكن زرعها في الجسد.

لقد اقتربت نان من تحقيق حلمها بأنها ستمشي يوماً بحرية في العالم.

■ **باتريسيا سكالكا**



لا قيمة للحرية اذا لم تكن، في أحد وجوهها، تفسح مجالا للخطأ. غاندي



اجسام طائرة أم موجهة؟

في العام ١٩٨٠ بدأ الناس يرون اجساماً عملاقة مضيئة تمر فوق امريكا الجنوبية والاتحاد السوفييتي. ونشر بعضهم تقارير حول كون تلك الظهورات من الاجسام الطائرة غير المحددة (UFO) التي تلاحق السيارات وتتدخل في البث التلفزيوني وتطلق مركبات صغيرة آهلة بكائنات غريبة.

اما اللجنة الامريكية المختصة بتحري صحة الدعاوى التي تتجاوز المألوف فتعزو ذلك الى شبكة فضائية سوفييتية وظيفتها حفظ مراقبة شديدة على قواعد اطلاق الصواريخ الامريكية. وقد تمكن عضو اللجنة جيمس اوبيرغ من مركز جونسون الفضائي في هيوستن – وهو احد المطلعين الثقات على برنامج الفضاء السوفييتي – من البرهان على ان رؤية تلك الاجسام كانت تتم كل مرة بُعيد اطلاق مركبة سوفييتية. كما لاحظ ان جميع الصواريخ السوفييتية المعنية اُطلقت من قاعدة بليسيتسك الجوية السرية وتبعت مداراً اوصلها فوق الارجنتين والبرازيل بعد ساعة من اطلاقها.

الا ان الحكومة السوفييتية لا تقر بوجود قاعدة بليسيتسك وبالتالي تنكر توجيه اقمار اصطناعية في ذلك الاتجاه. ويضيف اوبيرغ ان الكلام عن اجسام طائرة يضفي غطاء ملائماً على الامر ويبقي المواطنين السوفييت في الظلام بما يخص هذا الموضوع. وقد ذهبت السلطات السوفييتية في مجال التعمية هذا الى حد استجوابها عدداً لا يحصى من شهود العيان الذين ادعوا رؤية اجسام غريبة كهذه عارضة شهاداتهم على الملأ.

صحيفة "كريستشن سايِنس مونيتور"

عودة عصفور

ان اعادة اكتشاف العصفور المعرّش في غابة مطر نائية في غينيا الجديدة، على يد عالم الطيور جاريد دايموند من جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس، يتجاوز احياء الامل في نوع من الاحياء ظُنّ منقرضاً. فهذا الطائر يعزز الفكرة العلمية القديمة بأنه كلما فتح لون الريش تمكن الطائر من اغراء شريك من الجنس الآخر في وقت اقل. ومن اجل اغراء الاناث تتولى ذكور الطيور المعرّشة اقامة عش بديع من الاماليد والقش والطحالب يرتفع احياناً ثلاثة امتار.

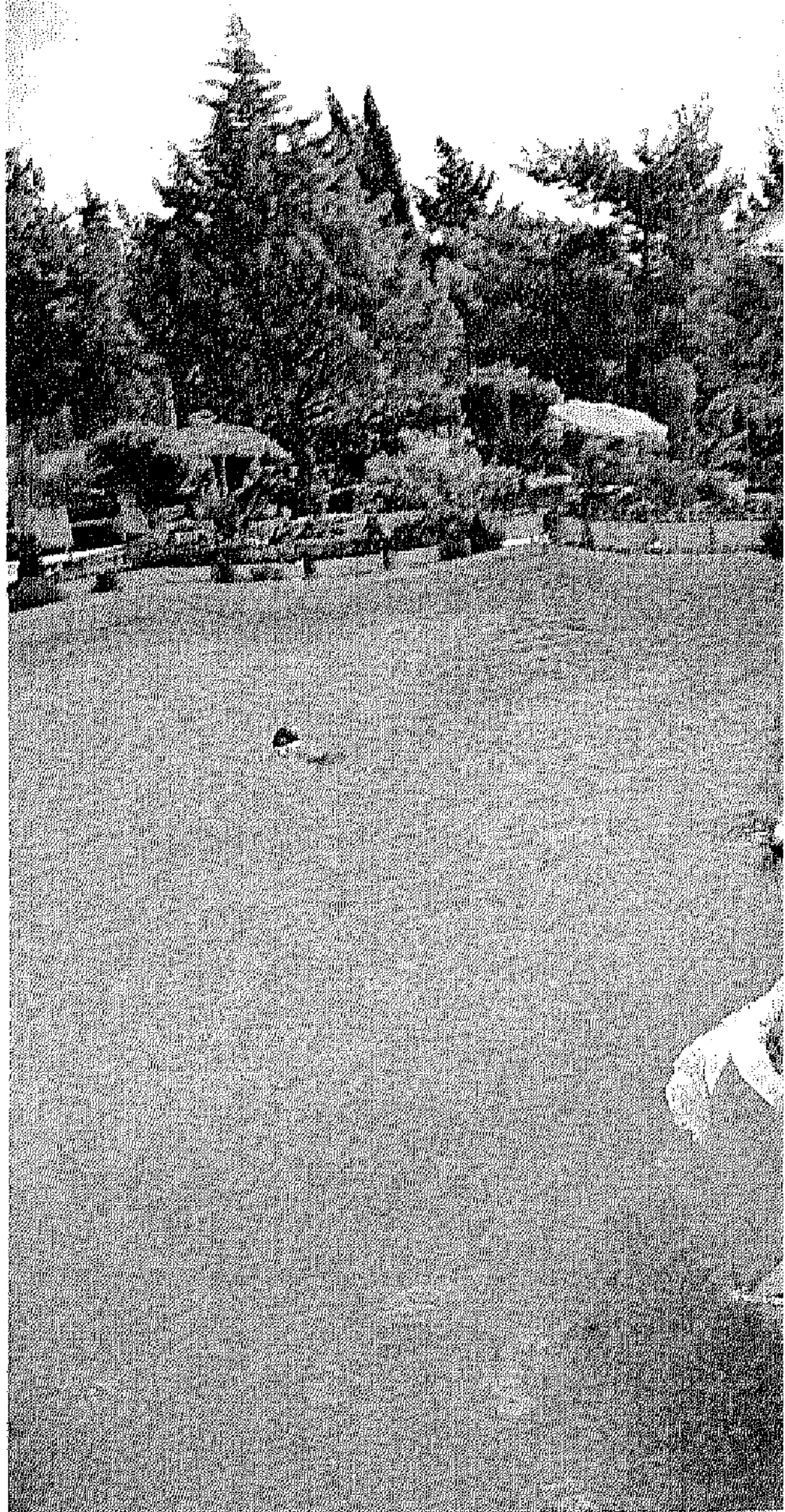
غير ان النوع الذي أعيد اكتشافه حديثاً هو افتح ريشاً من الانواع الاخرى في الفصيلة نفسها. والعش الذي يقيمه عند شجرة صغيرة لا يتجاوز المتر ارتفاعاً. ويقول دايموند ان الطيور المعرّشة ذات الريش الافقر لوناً تلجأ الى التعويض عبر بناء عش اكبر من شأنه اغراء اناثها. وشأنها في ذلك شأن الشاب الخامل غير الموهوب الذي يجد تعويضاً في سيارات السباق وما شابهها.

صحيفة "العلم ٨٢"

نَافذة تركيّة
عَلى العَالم القدَيم

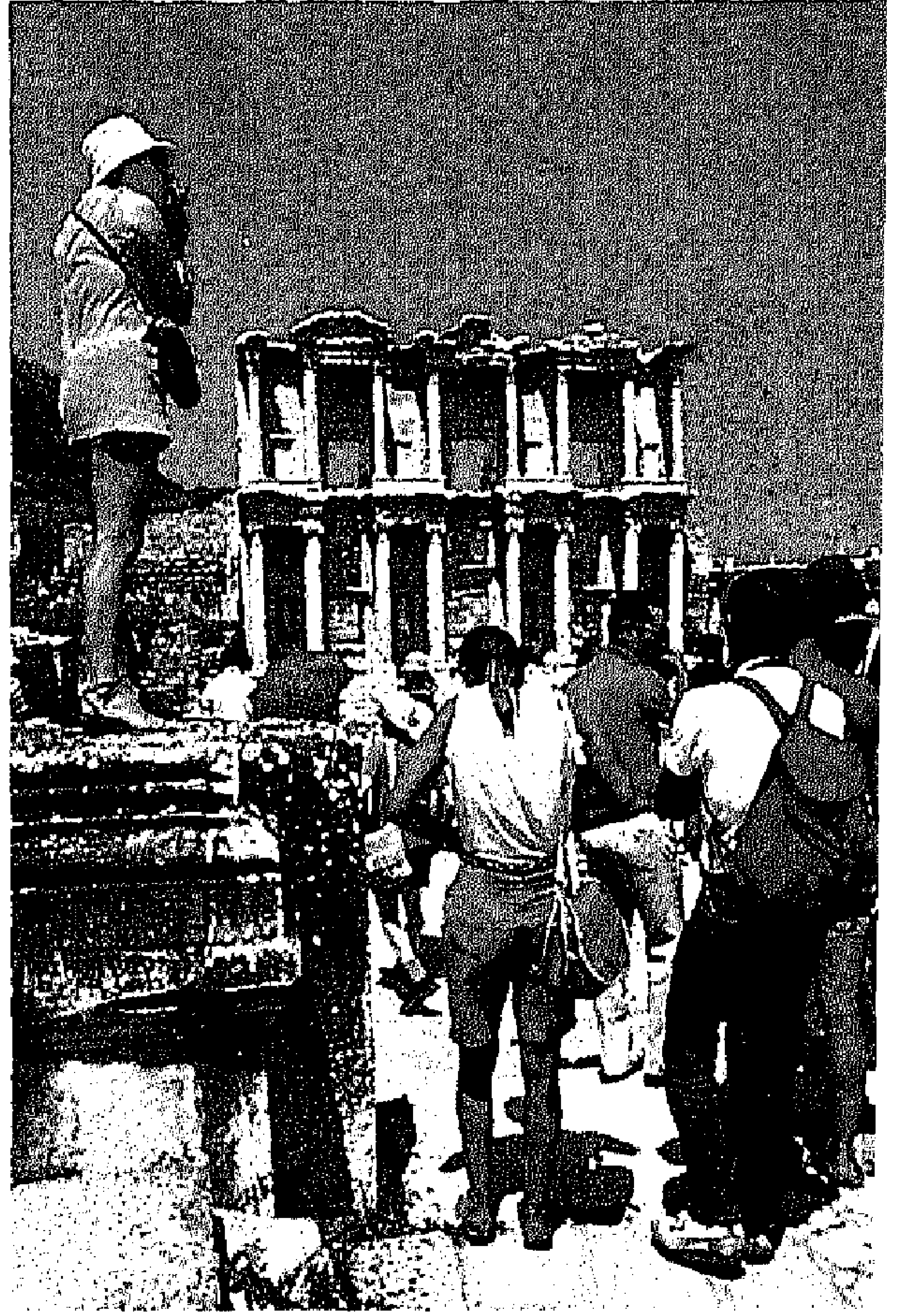


هـل يخدمـك الـحظ يومـاً فتمضي عطلتك على الساحل الايجي لتركيا ؟





بدأت تجوالي في تركيا بزيارة موقع شهد هزيمة نكراء للحلفاء خلال الحرب العالمية الاولى، وهو شبه جزيرة غاليبولي على الساحل الشمالي لمضيق الدردنيل الذي يفصل بين بحر مرمره وبحر ايجه. هناك وقفت في مقبرة عسكرية فخيل إلي أني أسمع لعلعة البنادق الرشاشة وأنين الجرحى. ولو انتصر الحلفاء في غاليبولي لتمكنوا من اختراق الدردنيل والاستيلاء على اسطنبول وارغام تركيا على إلقاء السلاح.



كانت قوات الغزو في معظمها مؤلفة من جنود أوستراليين ونيوزيلنديين. وثبت الحلفاء أقدامهم على الجرف الرملي لكنهم بقوا عاجزين عن التقدم. وكان القائد التركي مصطفى كمال أمر جنوده بالقتال حتى الموت، فلبوا وأطاعوا. وظلوا يقاومون، لكن صمودهم كلفهم ثمناً باهظاً. وخلال الحملة التي استغرقت أحد عشر شهراً بلغت خسائر الاتراك ٢٥٠ الف اصابة وخسائر الحلفاء ٢١٤ الفاً.

وما زلت أذكر صوراً مأسوية عن الحملة عرضها حديثاً فيلم "غاليبولي" الاوسترالي الذي حاز إعجاب النقاد، وهي التي عكرت صفو ذكرياتي الرائعة عن رحلتي التي قطعت خلالها ٣١٠٠ كيلومتر، معظمها في السيارة، على طول الجزام الصخري التركي على ساحل بحر ايجه.

في امكان السائح الذي يزور المنطقة المتوغلة الى الداخل مسافة ١٥٠ كيلومتراً أن يشاهد كنوزاً أثرية تضاهي في روعتها آثار اليونان وإيطاليا، ومناظر طبيعية تبهر الأبصار. كما يمكنه التمتع بلقاء أناس طيبين لا يضنون بجهد لمساعدة المسافرين. إلا أن ساحل تركيا الغربي الساحر بقي محتفظاً بجماله الطبيعي، والسياحة فيه رخيصة التكاليف لأنه لا يزال بعيداً عن اجتياح جماعات السياح. وفي هذا الصدد يحضرني كلام لناسي سوناي قبطان الباخرة السياحية "اسطنبول" التي كنت على متنها في احدى جولاتي البحرية هناك. وهو قال: "إن لدينا أفضل منطقة سياحية في أوروبا، لكنها بقيت حتى اليوم خافية على معظم الناس."

كنت أودّ أن أتكبد مشاق الزيارة الى مقبرة غاليبولي، إلا أن الغروب كان وشيكاً. لذلك هرعت نحو مرفأ اتشيبات في رفقة نيسيف أكرا السيدة التركية اللطيفة التي كانت دليلي في الرحلة. هناك يفصل الدردنيل الشطر التركي الواقع في أوروبا، وهو يشكل ثلاثة في المئة من مساحة البلاد، عن شطرها الاعظم الواقع في آسيا الصغرى. ويبلغ عرض الدردنيل في ذلك الموضع كيلومترين

أو أقل، والرحلة البحرية من هناك الى كاناكالي لا تستغرق أكثر من نصف ساعة. وعلى متن الباخرة جلسنا نرتشف الشاي ونـنظر بصمـت الـى وميض الانوار على الساحل الآسيوي الذي كان يقترب منا. وصدقت آنذاك بصعوبة أننا استطعنا العبور من قارة الى أخرى على متن باخرة بسيطة.

طروادة القديـمة - على ثـلاثـيـن كيلومتراً شمالي كاناكالي تقع أنقاض مدينة طروادة الاثرية. أتذكرون قصة هيلانة الجميلة والوجه الذي كان وراء حملة أسطول الألف سفينة؟ أتذكرون قصة حصار طراودة الذي دام عشر سنين وكيف كان النصر من حظ الاغريـق بعدمـا سـمح الطرواديـون بادخال حصان خشبي ضخم مدينتهم وقد اختبأ داخله نخبه من أبطال الاغريق المدججين بالسلاح؟

توقعت أن أرى بقـايـا حـاضـرة كبيرة، لكن آثار طروادة التي تعود الى ٥٠٠٠ سنة خلت كانت تمتد فوق دائرة لا يزيد قطرها على مئتي متر. بيد أن علماء الآثار لم يكشفوا عن طروادة فحسب، بل تثبتوا من قيام تسع مدن مختلفة بـُنيت على الاسس نفسها. ويعتقد المؤرخون أن هذه المدن دمرت كل بدورها بفعل الحرائق أو الحروب أو الزلازل. وقد تبرر هذه الاحـداث تخلـي المستوطنيـن عـن العيش في منطقة طروادة التي ظلت غير مأهولة منذ العام ٤٠٠.

إن في تركيا اليوم بين خمسين وستين موقعاً اثرياً رئيسياً في طور التنقيب. ويقوم اكثر من نصف هذه المـواقع داخـل الحـزام السـاحلـي الايجي. وبرفقة نيسيف زرنا ثمانية منها، دخلنـا بعضهـا وطفنـا حـول بعضها الآخر. وبعض هذه المواقع، مثل ميليتوس وديديما وبريين، يحوي بقايا مدرجات قديمة وهياكل وقاعات للرياضة، وما عدا ذلك فقليل لا قيمة أثرية له. وثمة مواقع أثرية أخرى أغنـى بكثيـر مـن سواهـا، ومنهـا برغاموم على بعد بضعة كيلومترات الى الجنوب من طروادة.

أسست مدينة برغاموم قرابة العام ٤٠٠ قبل الميلاد، وكانت مركزاً ثقافياً وحضارياً. وكان الجراح غالـيـنـوس يعيش فيها، كذلك الملك - المهندس اومينس الثاني الذي صمم الكثير من المباني المهمة. واستولى الاسكندر الكبير عليها عام ٣٣٤ قبل الميلاد، وفيها اخترع الرق او البرشمان (★). أما مكتبتها فكانت في وقت ما تحوي زهاء ٢٠٠ الف كتاب، قبل أن يأتي الحاكم الروماني ماركوس انطونيوس ويشحن هـذه الكتـب ليقدمهـا الـى كليوبترا عربون تقدير.

اغنى الشعوب - لعلّ اشهر آثار الساحل الايجي موجودة اليوم في افسس على بعد سبعين كيلومتراً جنوب إزمير.

كان نشؤ افسس قبل مولـد عيسـى (المسيح) عليه السلام بألف سنة على الاقل. وكان هيكلها الذي زال اليوم عن الوجود إحدى العجائب السبع في العالم القديم. وخلال العصر الذهبي

(★) ورق نفيس.

الذي عاشته افسس في القرن الثاني كان مواطنوها البالغ عددهم ٣٠٠ الف من أغنى شعوب الشرق الاوسط. ويشهد على عظمة تلك الحقبة ما بنوه من مسارح وأبنية وهياكل نتمتع بمشاهدة بقاياها في عصرنا. والمدينةاكبرمنبومبيي في ايطاليا، علما أن ٢٥ في المئة منها تم اكتشافه حتى الآن.

مع ذلك فان آثار المدنية التي كشفها العلماء مذهلة حقاً. فالمسرح الضخم الذي يتسع لأربعة وعشرين الفاً من المشاهدين والذي أنجز بناؤه في عهد الامبراطور تراجان (٩٨ - ١١٧ ميلادية) أعيد ترميمه بكامله تقريباً ويقام فيه اليوم مهرجان سنوي. والى يمين المسرح هناك الطريق الاركادية المرصوفة بالرخام والمزينة بأعمدة من الطراز الدوري. وتمتد الطريق ٦٠٠ متر نزولا الى حيث موقع المرفأ القديم.

وثمة لافتة من حجر نحت فيها وجه امرأة مع سهم يشير الى منتجع حمامات سكولاستيكيا. هناك في أحد العصور كانت بغاياالمدينة يستقبلن ضيوفهن. وتروي القصة أن سرداباً سرياً كان يصل بيت الدعارة بمكتبة افسس. وقالت نيسيف موضحة: "كان الازواج يخبرون زوجاتهم أنهم ذاهبون الى المكتبة للمطالعة، ثم يستعملون السرداب لزيارة البغايا. والامور لم تتغير كثيراً منذ ألفي سنة."

تاريخ وطبيعة - على بعد مئة وخمسين كيلومتراً جنوب غرب أفسس تقع بقايا أفروديسياس بعيداً عن الطرق والاماكن الرئيسية المعروفة. ولا وجود للفنادق والمطاعم في المنطقة أو في جوارها. أما موقع تلك المدينة القديمة فليس مدوناً على الخرائط العادية التي يستعملها السياح. وفي العام ١٩٦١ جاء عالم آثار تركي أمريكي الجنسية يدعى كنعان إريم. وبمساعدة من جمعية "ناشونال جيوغرافيك" بدأ عمليات الحفر وكشف عن مدينة من العصور القديمة غنية بالكنوز الاثرية. في ذلك الموقع ترى أجمل النحوت مشرئبة على جوانب الحفر أو متدفقة من الجدران المتآكلة. وحتى اليوم لم يكشف إلا عن ١٥ في المئة من أفروديسياس،ومع ذلك فان هذا الجزء الضئيل منها قدم الينا كنزواً أثرية رائعة منها مسرح بقي في حال جيدة وقاعة للحفلات الموسيقية ومزار شيد تكريماً للاباطرة الرومان الأوائل. أما الاستاذ اريم فقال لي انه لا يشعر البتة أنه ينقب عن"حجار ميتة"، بل هو في عمله إنما يحافظ على تراث شعوب أحبت وبكت وحاربت قبل خمسة آلاف سنة. كما أنه، وهو اليوم في الرابعة والخمسين من عمره، يعتزم الاستمرار في العمل في أفروديسياس لسنوات عدة مقبلة.

غير أن الآثار ليست الروائع الوحيدة التي تشاهدها في زيارتك الشطر التركي من بحر إيجه. ففي مرفأ بودروم الحديث يخوت لا تحصى جاءت من انحاء المتوسط وإيجه لتبقى هناك أسابيع طويلة. وذات نهار خرجت من مرفأ بودروم بعد الظهر في قارب بخاري وألقيت

المرساة في تايكونز كوف (أي خليج أقطاب المال والسلطة) الذي سمي هكذا لأنه ملاذ لكبار الموسرين. وعندما نزلت الى الماء لأسبح وجدت المياه مالحة (٣٩ جزءاً في الالف) الى حد أني تمكنت من العوم على ظهري من دون أن أبذل أي جهد على الاطلاق.

من هناك تلوح لك جزيرة كوس اليونانية التي تبعد مسافة عشرة كيلومترات. وفيما كنت أنعم بالسباحة وأرقب قوارب المتعة تمخر الماء في ذهاب وإياب، فكرت في أن تركيا سوف تقدر في مستقبل غير بعيد على منافسة اليونان سياحياً. فالشواطىء على طول الساحل التركي رائعة الجمال، والمناظر الطبيعية خلابة، والخلجان المنعزلة المنتشرة من كوساداسي تحت إزمير مباشرة ونزولا حتى فتحية حيث يلتقي بحر إيجه المتوسط هي حقاً جنة لليخوت.

شمس ايجه - يعتقد الكثير من الغرباء أن الاتراك أناس شرسون لا يحبون الاجانب ولا يرحبون بوجودهم. وما من اعتقاد باطل كهذا وتحضرني الآن ذكرى بهية من ذكريات رحلتي. كان ذلك بعد ظهر أحد الايام قبيل نهاية زيارتي. وكنت غادرت مرفأ أنطليا على المتوسط برفقة دليلتي واتجهنا بالسيارة شمالا الى إزمير للحاق بسفينتنا السياحة "إسطنبول". وكان المطر ينهمر خفيفاً من سماء رصاصية اللون عندما توقفت سيارتنا المستأجرة بعدما أحدث محركها فرقعة مفاجئة. وعبثاً حاولنا إصلاح العطل بانفسنا. كنا في مكان ناء لا أناس فيه ولا بيوت. وكان اقرب مرأب يبعد عنا حوالى أربعين كيلومتراً. وفجأة توقفت وراءنا سيارة "فيات" بنية اللون وترجل منها تركيان شابان عرضا علينا المساعدة. وبقيا دقائق طويلة تحت المطر يحاولان اصلاح المحرك. ثم طلبا منا أن نمكث حيث كنا وركبا سيارتهما وانطلقا بسرعة. ولم تمضِ ساعة حتى عاد الشابان ومعهما ميكانيكي إسمه محمد كهرمان ابدل حزام المروحة المقطوع بآخر جديد في مقابل أجر بسيط. وعلمنا أن محمداً أقفل المرأب الذي يملكه ليحضر لمساعدتنا. وقصتي هذه عن الكرم معبرة ونموذجية.

وعندما خرجت بنا الباخرة "اسطنبول" من خليج كورفيزي، كنت أمضيت في البلاد أربعة عشر يوماً من المتعة والاستشكاف. وعلى متن الباخرة شعرت بكآبة عميقة لأن رحلتي أوشكت أن تنتهي. كانت السماء صافية واشعة الشمس المائلة الى المغيب تتراقص فوق مياه بحر إيجه التي تبهر العين بصفاء زرقتها.

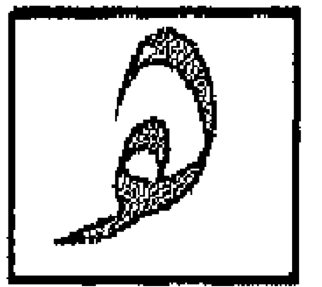
وقطعت نيسيف علي أحلامي فقلت لها: "إنها لمغامرة رائعة هذه التي عشناها." وفكرت أيضاً في الأماكن التي كنت أرغب في مشاهدتها فحال ضيق الوقت دون ذلك. وأجابت رفيقتي كأنها قرأت ما كان يجول في خاطري: "لا تحزن. فسوف تعود في العام المقبل."

ولربما كانت على حق.

■ تريفور آرمبريستر

تكمن هذه الهباءة الخارقة في نواة الذرة حاملة الآمال والمخاوف التي تكتنف مستقبل الجنس البشري

النيوترون الحيادي العجيب



هباءة النيوترون هي جزء من كل شيء: من النباتات والصخور والمياه والهواء وحتى من اجسادنا نحن. انها القاسم المشترك في الكائنات. وهذه الهباءة التي تكمن في نواة الذرة هي احد حجار البناء في عالم الفيزياء، فمن دونها لا وجود للتفاعل النووي والعناصر الكيميائية والنجوم والمجرات والكواكب وحتى كرتنا الارضية. فلا يبقى سوى كون بارد موحش من الهيدروجين الصرف محروم من بذور الحياة.

والنيوترون مهيأ على نحو ممتاز لتأدية دوره كأحد عناصر البناء في الطبيعة. ويبلغ قطره ٠،٠٠١٦٩٣٣ ميكروميكرون (١). وهو في حجمه وتركيبه مماثل للهباءة الاخرى – البروتون – رفيقه في نواة الذرة، ولكن على نقيض البروتون ذي الشحنة الكهربائية الايجابية يبقى النيوترون محايداً كهربائياً. وهذا الاختلاف الذي يبدو غير ذي شأن يعطي

(١) الميكروميكرون جزء من مليون من الميكرون، والميكرون جزء من الف من المليمتر.

النيوترون في الواقع ميزة بارزة على رفيقه في المبارزة النوويّة.

حين يطلق بروتون الى جوف مادة صلبة - لسبرها مثلا - فانه لا يجد امامه سوى مجال ضيق جداً للتحرك في الكون الذري. فبعد ان ينطلق مسافة لا تزيد على ٠٠٢، مليميكرون يقع تحت سيطرة قوى كهربائية فيلتقط الكتروناً هائماً او اثنين ويخلد للحال الى حياة هادئة نسبياً كذرة مستقرة.

لا يواجه النيوترون مثل هذا المصير. فهو لا يأبه للجواذب الكهربائية ويندفع غير هياب في المسارات النووية بسرعات تبلغ ١٤٤٥ كيلومتراً في الثانية، ككرة "بولنغ" مندفعة، فيبدد في طريقه الذرات كأنها القوارير التي تصف في هذه اللعبة. واذا بالنتيجة فوضى نووية. تتطاير بعض النوى الذرية من تحت دروعها الالكترونية لتغدو قذائف مكهربة فتاكة. وثمة نوى أخرى تمتص النيوترون كأنه نواة خوخ تسقط في صفحة من الهلام. مثل هذه النوى"المسمنة"التي تدعى النظائر(٢) يمكن ان تستوعب الهباءة الداخلية من دون ان تحدث في سلوكها اي تبديل محسوس. لكن بعضاً من تلك النوى لا يقوى على احتمال هذا العبء الدخيل فيطلق اشعاعات مميتة في محاولة لأزالة "السمنة" الطارئة. وهذا اسلوب من "الحمية" النووية يحولها ذرات من عنصر آخر. تلك البراكين المتناهية في الصغر التي تدعى النظائر المشعة (٣) هي الآن من بين الادوات العجيبة في العلم والصناعة.

مكافحة السرطان - من طريق الاثارة النيوترونية أمكن حتى الآن ايجاد نحو ١١٠٠ نظير مشع، لكل منها سمته الاشعاعية الفريدة. وتأتي هذه النظائر - الطبيعية منها والاصطناعية - على تنوع واسع النطاق من حيث كيميائيتها وخصائصها الاشعاعية، حتى انه يمكن عادة إيجاد واحد او اكثر منها للاستخدام العملي.

فالنظائر المشعة مثلا تستخدم كمرشدات فتطلق اشارات تعلن اماكن وجودها في المواد الكيميائية وفي الاجهزة الميكانيكية التي يتعذر سبرها بالطرق العادية. انها تظهر مثلا كيف تساهم العناصر في التفاعلات الكيميائية وكيف تتحرك الاسمدة المخصبة مع النسغ في جذور النباتات وجذوعها وكيف يتم تأيّض الغذاء في الكائنات الحية.

ولكونها مصادر مباشرة للاشعاع تستخدم النظائر المشعة كذلك لغايات كثيرة، ابتداء بقياس كثافة هيكل سفينة من طريق مقدار الاشعاع الذي يتسرب عبره وانتهاء بتطوير محاصيل زراعية متفوقة باحداث تغييرات في الخصائص الوراثية للنباتات. وثمة اجهزة صغيرة تدعى "المولدات الكهروحرارية بالنظائر المشعة" تستخدم الحرارة التي تنطلق من انحلال النظير المشع لتوليد الكهرباء. هذه المولدات تشغل الاجهزة الدقيقة في محطات الرصد

(٢) Isotopes

(٣) Radioisotopes

الجـوي والعوامـات البحـريـة فـي المناطـق النائـيـة. وقـد جـهـزت المركبات الفضائـيـة الامريكيـة مـن طراز "فوياجر" التي اطلقت حديثاً لاستكشاف اجـواء المشتـري وزحـل بمولدات نووية صغيرة من هذا النوع.

أهـم حقـول استخـدام النظـائـر المشعة هو معالجة لأمراض. فالقذائف "القاتلـة" المنطلقـة مـن المصـادر الاشعاعية مثل الـ"كوبالت – ٦٠" تدمر الأنسجـة السرطانـيـة وتـحـد مـن النشاطات الجسدية المفرطة. ويمكن النظائر المشعة ايضاً ان تكشف العلل في الاعضاء الحيوية وتشخص الاورام الخبيثة في الدماغ وتقيس حجم الدم.

وربما بز النيوترون قريباً مولـدَه – النظير المشع – كسلاح رئيسي في مكافحة السرطان. وقد نجح العلماء في تحقيق نتائج مدهشة من طريق "قصف" الاورام الخبيثة التي ظلت حتى الآن غير قابلة للشفاء بشعاع دقيق موجه من النيوترونات ذات الطاقة العالية. فقد تبين انه لأسباب يتعذر ادراك كنهها تماماً تتجدد الخلايا السرطانية من تلقائها بسرعة بعد تعرضها للاشعاعات العادية. لكن هذه الخلايا لا تقوى على الصمود امام "القوة الضاربة" للنيترون نفسه. كما ان ذلك يعني للمريض تعرضاً أقل للاشعاع وجرعات أصغر ولكن ذات فاعلية أعلى.

ويفيـد الباحثـون الطبيـون فـي مستشفى هامرسميث في لندن، وهو الرائد في مجال المعالجة بالشعاع النيوتروني، عن تحقيق نتائج مشجعة في مكافحة سرطان الغدد اللعابية والسرطانات المتقدمـة فـي الـرأس والعنق. كما يعلن العلماء في مختبر فيرمي الوطني في ولاية ايلينوي الامريكية تحقيق نتائج مماثلة. وقد عولج هناك اكثر من الف مريض مصـاب بسرطـان مـوضـعـي خـلال السنوات الخمس المنصرمة بشعاع من النيوترونات.

يقول الدكتور فرانك هندركسون مدير مختبر فيرمي للعلاج النيوتروني: "لم تتوافر لدينا بعد النتائج البعيدة الامد للعلاج بالنيوترون، ونحن نتابع التجـارب علـى انـواع مختلفـة مـن السرطان، ولكن ما نكتشفه يثيرنا ويشجعنا الى أقصى الحدود."

ثمة حقل آخر جديد للنيوترون هو البحث عن الوقود. فالسبر النيوتروني أسلوب يكشف احتمالات وجود النفط والغـاز الطبيعـي فـي التشكـيـلات الصخرية في جوف الارض، وهو يغني عن كثير من البحث الذي يستند الى الحدس والتخمين ويوفر كثيراً من النفقات التي تهدر في حفر الآبار. ويقول احد الجيولوجيين: "لقد أصبح النيوترون مسبار استكشاف الطاقة."

آمال ومخـاوف – حـيـن يشـتـبـك النيوترون بنواة مثقلة، اي بنظير غير مستقر مثل "اليورانيوم – ٢٣٥" او "البلوتونيوم – ٢٣٩"، بدلا من نواة مستقرة، تكون النتيجة اكثر تفجراً. فالنواة المتخمة اصلا بما ابتلعته من النيوترونـات تنشطـر وتطلـق دفقـاً عنيفاً من الطاقة، كما تقذف ببعض النيوترونات. واذا وجد في الجوار

مقدار كاف من النوى ـ وهذا ما يسمى "الكمية الحاسمة" ـ فان النيوترونات المنطلقة تحافظ على عملية الانشطار في تفاعل تسلسلي متسارع. وهكذا يستخرج النيوترون المخزونات الضخمة من الطاقة النووية مع كل ما تحمله من آمال كبيرة واحتمالات مرعبة.

غير ان التحفة المثالية للطاقة الذرية، وهي توليد الطاقة الكهربائية، تعثرت بالشكوك في جدواها اقتصادياً مع مراعاة السلامة البيئية وجزع الرأي العام. ومن سوء الحظ ان الامور غير ذلك في ما يختص باستخدامها في صنع الاسلحة المدمرة. فمن الانشطار النووي وندّه الالتحام النووي (حيث تلتحم الذرات بعضها ببعض) نشأت المرعبات في عصرنا: القنبلة الذرية والقنبلة الهيدروجينية والقنبلة النيوترونية.

ان الغموض والعجب اللذين يكتنفان قوى النيوترون يحملان الفكر الى ما وراء علوم الفيزياء والكون حتى يبلغ حافة اللامحدود. ويبدأ اللغز بالسؤالين الآتيين: ما هو النيوترون؟ ولماذا اختص بين كل الهباءات الأساسية في المادة بمثل هذه الخصائص الفريدة؟

الأجوبة ـ في حال وجودها ـ لا تزال خافية تحت قناع من تقلبات طباع النيوترون نفسه. ومع انه يبدو محايداً كهربائياً فان حركته يمكن توجيهها ضمن حقل مغناطيسي. وفي صلب النواة يبقى النيوترون كائناً خالداً حقاً. اما في الخارج فانه يضمحل بعد نحو عشر دقائق تاركاً وراءه الكتروناً وبروتوناً وهباءة تدعى "نيوترينو" وهي نسخة يافعة من النيوترون تقرب من "اللاشيء" الى أقصى حد يمكن المرء ان يتصوره. ولكن اذا حطمت نيوتروناً، فسوف تندلق منه مجموعة مذهلة من الهباءات الصغيرة التي تدعى "ميزونات".

ربما يكون النيوترون، بحسب نظرية بعض العلماء، مجرد مجموعة ديموقراطية من الهباءات، كل منها تشكل انقساماً لامتناهياً من نفسها وتبرز من حجرة ما حيث لا "شيء" موجوداً سوى علاقة رياضية بين الفضاء والزمن. وفي اي حال فان تلك الحجرة الداخلية في النيوترون ستبقى حتى فترة من الوقت خارج مدى ادراكنا.

في الوقت الراهن يمكننا ان نستخدم هذه الهبة الطبيعية بتعقل، كما يمكننا ان نفنى بها.

■ ك. ا. كريستوفرسن



مغامرة صحافية

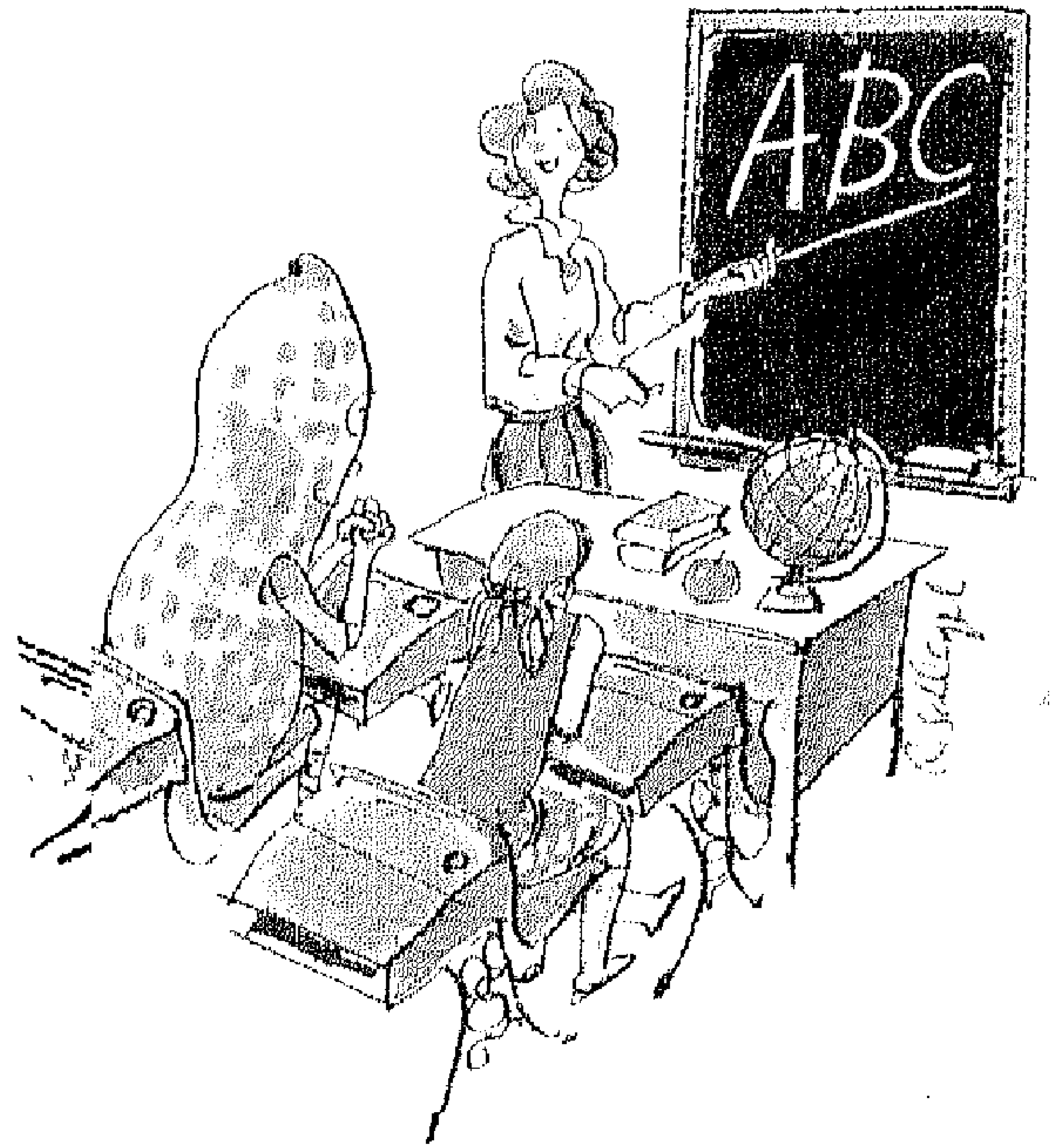
قال فتى ذو ثماني عشرة سنة لوالده: "آه يا أبي، لقد قدت سيارتك اليوم للمرة الاولى. أتود أن اخبرك عن مغامرتي، أم تؤثر القراءة عنها في صحف الغد؟"

صحيفة "دير شتيرن"، المانيا

أفضل الأماكن وأسوأها في العالم



اين هو المكان الافضل في العالم لاحتساء فنجان قهوة؟ وأين هو المكان الاسوأ لاتباع حمية غذائية أو وضع شعر مستعار؟ الجواب أمامك!



١- المكان الامثل لاجراء مخابرة هاتفية خاطئة:

الكويت، حيث المخابرات الهاتفية مجانية.

٢- المكان الاسوأ لارتداء تنورة قصيرة:

دولة مالاوي الافريقية حيث يحظر ارتداء الثياب التي تكشف عن الركبتين في الاماكن العامة، باستثناء المنتجعات. كذلك يحظر على النساء ارتداء السراويل القصيرة والثياب الفضفاضة. كما يحظر على الرجال تطويل شعورهم او وضع شعر

مستعار او ارتداء السراويل الفضفاضة.

٠٣ المكان الأحق باعلان اضراب وسائل النقل:

المسافة التي تكلفك ٨ دولارات في سيارة اجرة في فرنكفورت (المانيا الغربية) لا تزيد كلفتها على ١،١٠ دولار في فرصوفيا (بولونيا).

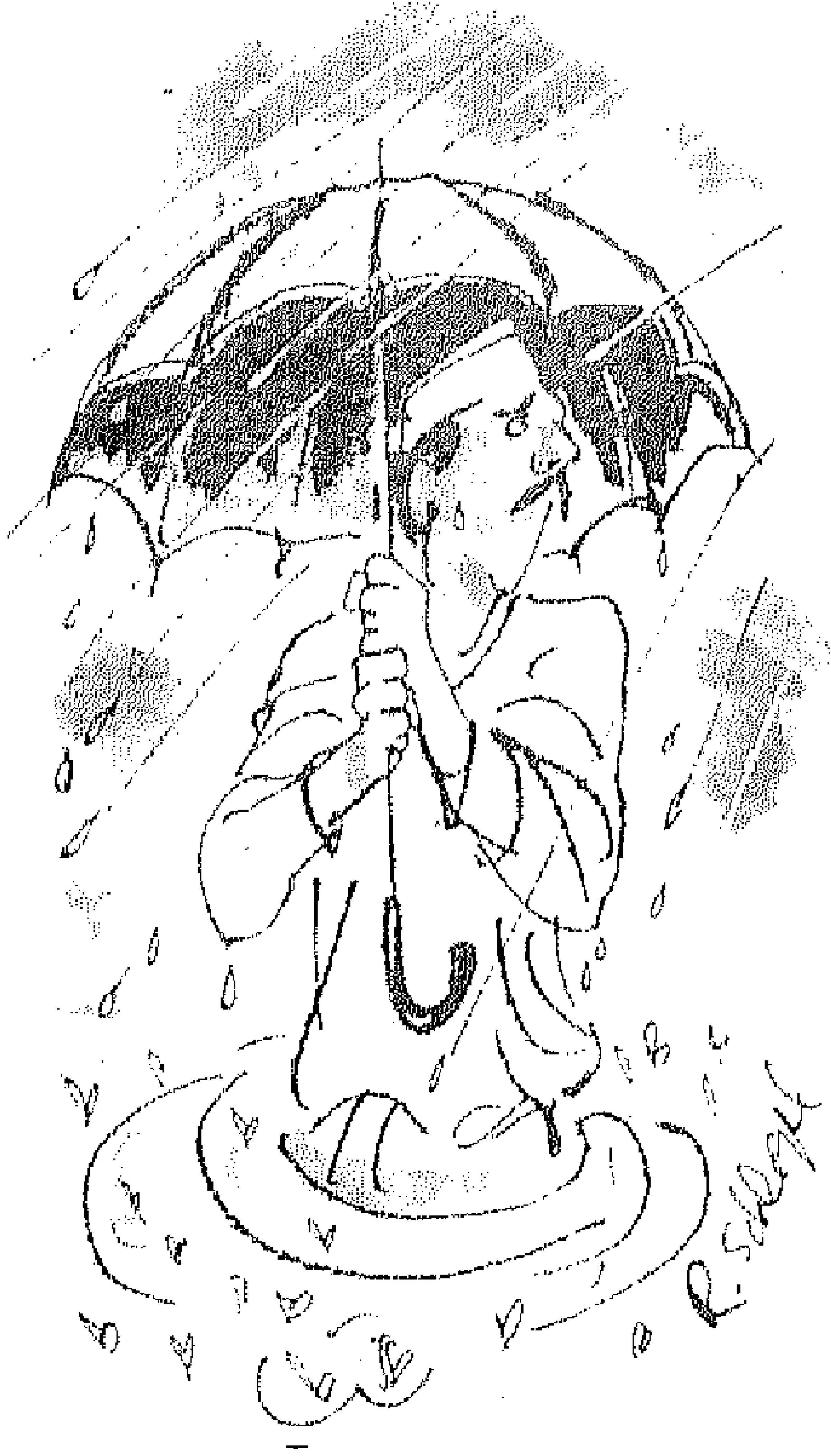
٠٤ المكان الافضل لمطعم يقدم مأكولات بحرية:

يبلغ معدل ما يستهلكه الفرد الياباني من السمك ٣٥ كيلوغراماً سنوياً. اما معدل ما يتناوله السوري من السمك فلا يزيد على ١،٢ كيلوغرام سنوياً.

٠٥ المكان الاسوأ لنسيان مظلتك:

اذا بلغ معدل هطول المطر في مدينة تشيرابونجي في مقاطعة ميغاليا الهندية ١،٢٥ سنتيمتر يومياً على مدار السنة، فسوف يأخذ السكان في الحديث عن فترة من الجفاف. ذلك بأن المعدل اليومي لهطول المطر





في تشيرابونجي يزيد على ٢،٥ سنتيمتر. اما الرقم القياسي لهطول الأمطار فهو ٧،٦ سنتيمترات في اليوم الواحد.

٠٦ المكان الاسوأ لاتباع الحمية الغذائية:

تتصدر ايرلندا وبلجيكا ولوكسمبور بلدان العالم في معدل ما يستهلكه الفرد من الوحدات الحرارية، اذ يبلغ هذا المعدل ٣٧٨٣ وحدة يومياً. اما اخطر ما يواجهه عاشق الحلوى فهو في جزيرة باربادوس في البحر الكاريبي حيث يزيد معدل الاستهلاك الفردي للسكر على ٦٤،٢ كيلوغراماً في السنة.

٠٧ المكان الاسوأ للاسترشاد:

تستقبل اسبانيا العدد الاكبر من

السياح الأجانب، اي ما يزيد على ٤٠ مليون شخص. لكن المكان الامثل لتجنب المطارات المزدحمة فهو امارة قطر على الخليج العربي. ففي هذه الامارة مطار واحد وطائرة واحدة مسجلة للخدمة المدنية.

٨. المكان الافضل لتحاشي سماع الاعلانات التجارية:

ينفق العالم نحو ٢١١ مليار دولار سنوياً على الاعلان التجاري. واكثر من نصف هذا المبلغ ينفق في الولايات المتحدة، اي ما معدله ٤٣٦ دولاراً لكل رجل وامرأة وطفل في البلاد. وفي بريطانيا تبلغ هذه النسبة ١١٨ دولاراً للفرد، وفي اليونان نحو ١١ دولاراً. اما المكان الذي تواجه فيه ادنى اغراءات الدعاية التجارية فهو اثيوبيا، حيث يقل معدل الانفاق على الاعلان عن ١٠ سنتات للفرد.

٩. المكان الافضل لتناول فنجان قهوة:

يحتسي الأسوجي العادي اكثر من خمسة فناجين ونصف فنجان من القهوة يومياً. اما في تركيا فيحتسي الشخص العادي اقل من فنجان واحد كل اسبوعين، سواء اكانت القهوة تركية ام غير ذلك.

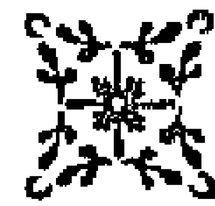
١٠. المكان الافضل لصناعة الافلام السينمائية:

بعدما ظلت الولايات المتحدة زمناً طويلا عاصمة الافلام السينمائية في العالم، اصبحت اليوم في المرتبة الثانية بعد الهند التي تنتج من الافلام سنوياً اكثر مما تنتجه اي دولة اخرى.

١١. المكان الافضل لتناول شطيرة بزبدة الفستق:

ولد الفستق (الفول السوداني) في امريكا الجنوبية واكتشفت خصائصه في افريقيا وتم تهذيبه في الولايات المتحدة ثم استقر في الشرق. فالهند تنتج اليوم نحو ٣٤ في المئة من المحصول العالمي، وتنتج الصين نحو ٢٠ في المئة.

■ جيمس مايرز



السعادة والمرح

تقول بيفرلي سيلز، مديرة دار الاوبرا في مدينه نيويورك، عن حياتها: "لست سعيدة، لكني مرحة. والفرق بين المرأة السعيدة والمرأة المرحة أن الاولى لا هموم لها على الاطلاق، أما الثانية فقد تعلمت كيف تعالج همومها."

ر.ف.

نحب أصدقاءنا لا لقدرتهم على تسليتنا، بل لقدرتنا على تسليتهم.

ايفلين وو (كاتب بريطاني)

ممثل هزلي معروف يروي
تجربته الاذاعية الاولى

الرابح

كان ابي يبحث دوماً عن طريق سريعة الى الشهرة والثروة، وكانت لديه خطط ومشاريع متنوعة منها الاشتراك في المسابقات الاذاعية. وفي احدى هذه المسابقات طلب المذيع من المستمعين ان يحزروا من اي مكان يتكلم. قد يكون مثلا داخل خزينة في مصرف أو فوق دراجة نارية. وكان المذيع يعطي كل اسبوع تلميحات واشارات صوتية تساعد في معرفة المكان. فيرسل المستمعون بطاقات بريدية بأجوبتهم مع أسمائهم وأرقام هواتفهم. واذا جاءت اجابة المستمع صحيحة، وضعت بطاقته في اسطوانة دوارة. واذا تم اختيارها، ربح صاحبها جوائز بقيمة ١٠٠٠ دولار. وفي احدى تلك المسابقات بقي والدي طوال اسبوعين متأكداً من ان المذيع يتكلم من داخل غواصة.

واليكم القصة من بدايتها: في احدى الأمسيات شد انتباهي شيء ما

في واجهة محل للالكترونيات، وهو مذياع (ميكروفون) بسيط يمكن أن يوصل بأي جهاز راديو. وبضغط الزر كان في امكاني ان أوقف صوت الراديو واجعل صوتي انا مسموعاً.

دفعت ١٨ دولاراً ثمناً للمذياع. وهو سعر غال، ولكن ماذا يفعل صبي في الرابعة عشرة بالمال من أجل خداع والده؟ وقد ركبت المذياع عندما لم يكن في البيت أحد وخبأته على رف فوق سلم القبو.

ثرثرة ودوران — في الليلة الاخيرة من مهلة المسابقة جلس والدي مسمراً الى الراديو. فانتهزت الفرصة وأسرعت خارج البيت وركضت عبر الممر الى الفناء الخلفي، وتسللت من نافذة القبو. كنت أسمع صوت الراديو بوضوح: "...وهذه اشارة صوتية أخرى: كلانغ، كلانغ."

وسمعت ابي يقول لأمي: "هل سمعت؟ ألم أقل لك يا ستيل إنها غواصة؟"

— كل ما سمعته هو ذلك الصوت كلانغ. وكيف يكون غواصة؟

"لن تفهمي، انا كنت في البحرية."

— ولكن عندما كنت فيالبحرية يا لو لم تكن ثمة غواصات.

"... وقبل ان نعلن الجواب الصحيح ونختار الرابح، هاكم الاشارة الأخيرة: ما ارتفع شيء إلا وانخفض. ولكن، والحمد لله، كل ما انخفض يعود فيرتفع."

وصرخ ابي: "ألم أقل لك يا ستيل؟ هل تسمعين هذه الاشارة؟"

وأدرت مذياعي فاختفى صوت الراديو. وأمسكت المذياع قريباً من فمي وهمست مموهاً صوتي: "سيداتي سادتي، اليكم الجواب الذي تنتظرون. اليكم الكلمات التي تعني جوائز كبيرة لبعض الاشخاص المحظوظين في منطقة فيلادلفيا..."

لم يعد والدي يطيق صبراً فصاح: "هيا، هيا، كف عن الثرثرة وأعطنا الجواب."

— صبراً أيها السادة.

"ستيل، هل سمعت ذلك؟"

— أنا الآن على وشك أن أكشف المكان الغامض... نحن الآن... في...

وهنا قلدت صوت التشويش، فقام ابي وسدد بقبضته لكمة قوية الى الراديو. واضطررت الى حشو فمي بمنديل كي امنع نفسي عن الضحك.

"... ولم يحزر سوى ٣٥ شخصاً اننا كنا في..." (تشويش).

— التشويش مرة أخرى... لا... لا أصدق. هل تصدقين يا ستيل؟

"أجل يا لو... أصدق."

"... والآن لنختر احد المحظوظين الخمسة والثلاثين الذين حزروا ان المكان هو غواصة."

— هل سمعت ذلك يا ستيل؟ انها غواصة! لقد كنت متأكداً من ذلك.

"... الاسطوانة تدور... وتدور..."

— كفى دوراناً!

"...تدور...و..." (تشويش)

— آه بحق السماء، سيفوتني اسم الرابح.

"...تدور ...وتدور..."

— الحمد لله انها ما زالت تدور.

"... ثم تقف، يدي تمتد الى الداخل وسأختار بطاقة بريدية واحدة... رابحاً واحداً. لقد أمسكت البطاقة... الرابح هو ..." (تشويش)

ـ لا ... لا ... لا !

"... من جنوب فيلادلفيا، تهانينا الى السيد..." (تشويش)

ـ لا، هذا كثير. يا لسوء حظي، لو أمطرت السماء عسلا لكنت حاملا شوكة !

"... والآن، لنهلل جميعاً للسيد لويس برينر."

الرابح الحقيقي ـ علا صراخ والدي حتى كاد يسمع في البلدة المجاورة. وراح يعدو في غرفة الجلوس واحتضن والدتي بين ذراعيه. وارتقيت سلم القبو مسرعاً وتسلقت النافذة وقفزت فوق سور الفناء الخلفي وعبرت الممر مهرولا... وبكل براءة دخلت غرفة الجلوس.

وزعق ابي: "لقد ربحت !"

ـ ماذا ربحت؟

"الغواصة."

ـ وماذا سنفعل بغواصة في جنوب فيلادلفيا ؟

"لا أيها الأحمق، الغواصة هي الجواب. لقد اختاروا بطاقتي. انا الفائز! خذ، هذه خمسة دولارات. إذهب واشتر ما تشتهيه. أصبحنا أغنياء. ابتعدوا كلكم عن الهاتف لكي يستطيعوا الاتصال بي. لقد ربحت !"

اشتريت قرني بوظة (جيلاتي) بالشوكولا وعدت الى البيت. رأيت ابي جالساً قرب الهاتف، وكانت امي حولت الراديو الى محطة أخرى تبث موسيقى كلاسيكية لتهدىء من روعه. وتسللت الى القبو وأخذت المذياع وأدرت المفتاح: "... نرجو الانتباه. على رغم اننا لسنا في المحطة الاذاعية نفسها فاننا نود ان نعلن ان برنامج "اين نحن؟" وقع في خطأ كبير. فالجواب ليس غواصة كما أعلن سابقاً، بل هو مصعد. والرابح الحقيقي ليس لويس برينر صاحب العنوان ٥٨٣٠ شارع سانسوم في جنوب فيلادلفيا، بل هو صهره اللعين ايرفن روزنفلد. عذراً يا لو... تهانينا يا ايرفن."

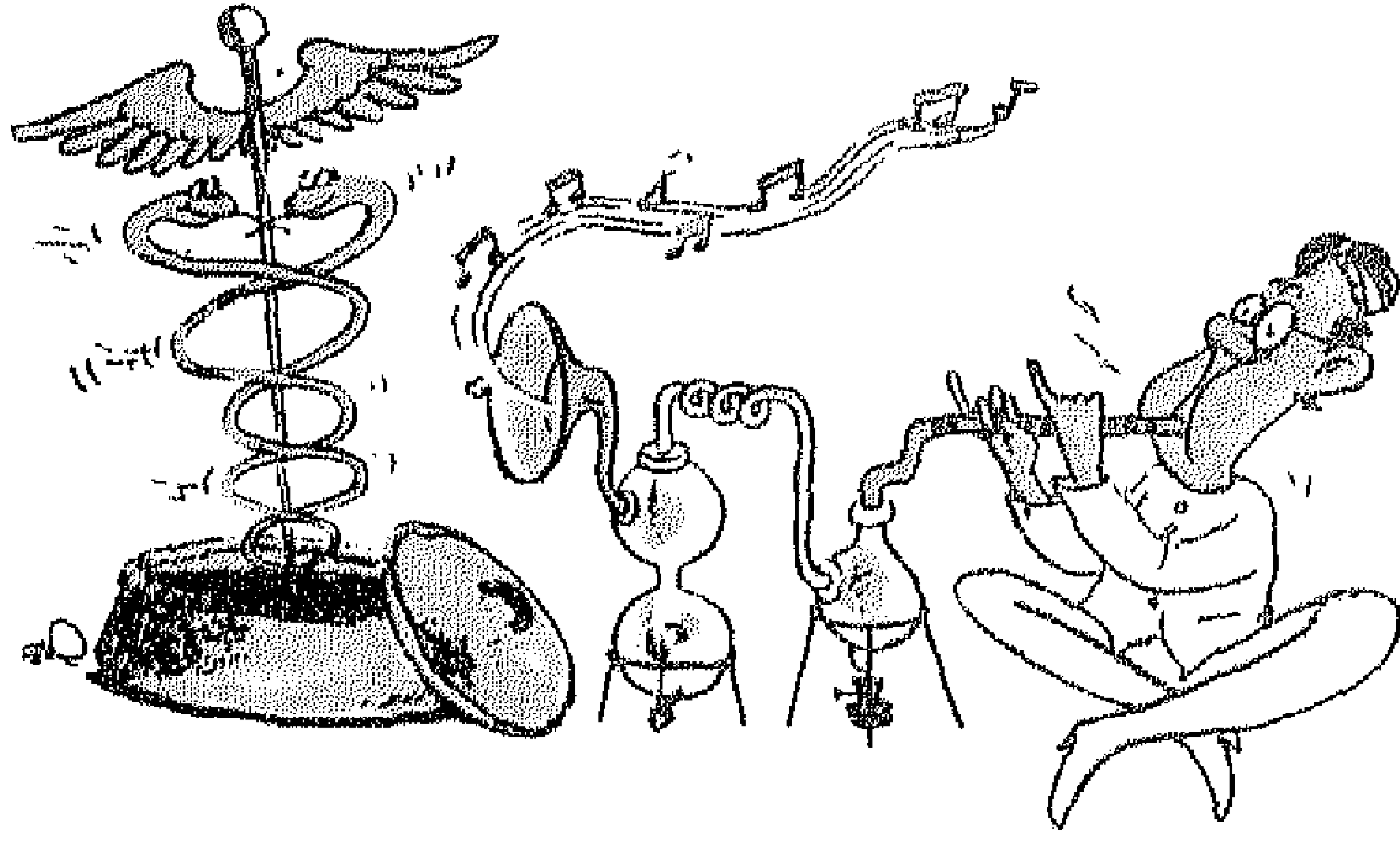
وضغطت الزر فعاد صوت الموسيقى الكلاسيكية. وأخفيت المذياع وعدت أدراجي. فرأيت والديّ واجمين في مقعد هزاز. ولم يقولا شيئاً عندما دخلت عليهما.

بعد تسلية أصدقائي بقصة المسابقة الاذاعية عدت الى البيت وتمددت على الفراش وأدرت الراديو الصغير كما كنت أفعل كل ليلة. ولم اكد أغفو حتى قطع البث صوت أجش: "ان لم يعد الفتى المدعو ديفيد الدولارات الخمسة التي استدانها هذه الليلة، إضافة الى دولار واحد تكفيراً عن الاساءة التي سببها، فإنه سيندم كثيراً. اسعدتم مساء وفي رعاية الله."

جن جنوني. وقفزت من الفراش ونظرت تحت السرير. كان ابي هناك منبطحاً على ظهره والمذياع في يديه وعلى وجهه ابتسامة عريضة.

■ **ديفيد برينر**

أصداء من عالم الطب



الحمى المفيدة

الدراسات الحديثة لظاهرة الحمى اقنعت عدداً من الأطباء بأنه خير للحمى المعتدلة ان تأخذ مداها وتزول تلقائياً من ان تقتل سريعاً بالعقاقير.
وعندما يكشف جهاز المناعة عن جرثومة ما فهو يدفع عدداً من كريات الدم البيضاء الى تطويقه واعتاق هرمون البيروجين الذي يرتحل عبر مجرى الدم الى الدماغ. وهناك يفعل البيروجين فعله، فيوعز الى الأعصاب الواقعة تحت السرير البصري Hypothalamus برفع حرارة الجسم. كما يؤدي هذا الهرمون الى خفض نسبة الحديد والزنك في الدم.
وقد بينت الدراسات التي تولاها الدكتور ماتيو كلوغر وزملاؤه في جامعة ميشيفان في آن آربور ان الحمى ترفع كمية الحديد التي تطلبها الجراثيم، وان اجتماع الحمى المرتفعة ونسبة الحديد المتدنية يؤدّي الى وقف نمو الجراثيم.
وبينت دراسات اخرى ان ارتفاع الحرارة قد يسرع عمل المضادات العضوية ويخفض انتشار المرض.
لكن الخبراء يشيرون الى ان الحمى ليست بالعارض البسيط على الدوام، وانها قد تسفر عن نتائج غير مستحبة بالنسبة الى بعضهم، كالكبار في السن ومرضى القلب والمولودين الجدد، اذا هي تركت لتكمل دورتها. كما ان الحرارة المرتفعة جداً قد تؤدي الى الهذيان والقشعريرة وتلف الانسجة، فضلا عن آثارها السلبية في الشخصية.
غير ان الدكتور كلوغر يقول ان العلم على وشك برهان نظرية الطبيب البريطاني توماس سيدنهام (القرن السابع عشر) القائلة بان "الحمى هي آلة الطبيعة للتخلص من اعدائها".

صحيفة "نيويورك تايمس"

التدخين عبر الاذن

في دراسة نشرتها مجلة الاتحاد الطبي الامريكي ان تدخين الاهل للسجائر قد يؤذي اذني الطفل. وقد تولى الدكتور مايكل كرامر وزملاؤه من مستشفى سياتل في واشنطن المقارنة بين مجموعتين من الاطفال الخاضعين للجراحة، اولاهما في قسم الاذن والثانية في الاقسام الاخرى. وتبين لهم ان افراد الفئة الاولى الذين يعانون التهابا مزمنا في الاذن واحتقانا في الانف وضروبا من الحساسية، اكثر عرضة لدخان السجائر من سواهم. كما تبين ان امراض الاذن ترتفع لدى الاطفال الآتين من بيوت يدخن فيها الكبار اكثر من ثلاث علب سجائر يوميا.

اذاعة "وستنفهاوس"

أبو المحرومين

هذا الرجل الشهم بات أباً لمئة وخمسين فتى وفتاة بايوائه اياهم وعنايته بهم وتكريس حياته من أجلهم



ذات صباح من شهر يوليو (تموز) ١٩٦٣ قالت لي زوجتي: "اخبرتني جارتنا ويدجي لافل ان توم باترفيلد يحتاج الى مساعدة. فلماذا لا تحمل مطرقتك وتذهب لتتحرى الأمر؟"

كان توم شاباً أعزب في الثالثة والعشرين، وقد تخرج حديثاً في الجامعة وأنشأ مؤسسة خاصة غير تجارية لايواء الاحداث. وكانت ويدجي من أمناء المؤسسة. وكنت أنا، بصفتي مدرساً ومدرباً كشفياً وأباً لثلاثة أولاد وهاوي نجارة، أرغب في مراقبة الاحداث ومساعدتهم ما استطعت الى ذلك سبيلا.

لكنني، وأنا أقود السيارة نحو

المؤسسة وسط الحر اللافح، أدركت أن توم أقدم على محاولة شاقة جداً. فهو نفسه لم يتجاوز طور الفتوة كثيراً. ووجدت مدرسته، وهي ناد مهجور في ضاحيـة المدينـة، أسـوأ حـالا ممـا توقعت. فالابواب مخلعـة والنوافـذ مكسورة والسقوف مشققة. وعرفت عندئذ أن الحاجة الى أدوات لرفع الركام تفوق الحاجة الى مطرقتي الصغيرة.

وبرز أمامي شاب ناحل يتجاوز الـ١٨٣ سنتيمتراً طولا وقد قص شعره الاحمر حتى فروة الرأس. وحياني بابتسامة وشدة قوية من يده وقال: "أنـا تـوم باترفيلـد"، معرفـاً عـن الصبيين اللذين في معيته باسمي آندي ودان (★).

وبادرته: "أنا بيل وستبروك. وفي رأيي أن مؤسستك لن تصمد."

وأجاب توم وهو ما زال يبتسم: "حسناً! اجلس ودعنا نتحدث في الأمر."

ولدى مغادرتي المكان بعد عشرين دقيقة لاحضار شاحنة محملة الواحاً خشبـية لكسـو السقـوف، وجدتنـي أنضم الى ويدجي لافل كواحد من أقوى أنصار توم.

فراغ موجع ـ كان توم منتدباً من الدولة الى معهد ميسوري فالي في بلدة مارشال عندما صادف آندي ذا السنوات الست الذي اصبح "تلميذه الاول". ووصف ذلك بالآتي: "وجدتني أمام فتى مذعور يعاني تخلفاً في النطق. ولم يكن ثمة سبب لارساله الى مستشفى للامراض العقلية سوى أن والديه قضيا في حادث سيارة ولم تجد الدولة مكاناً آخر لايوائه. ووقفت أمام ذلك الامر مذهولا."

والواقع أن توم الذي يبدو حسب الظاهر مرحاً وسهل المعشر، يحمل فراغاً موجعاً في دخيلاء ذاته لازمه منذ وفاة امه بـالسـرطان وهـو فـي الثانية عشرة. وها هو الآن أمام طفل يعاني تجربة مماثلة، وربما كان في اعانته ملء لفراغ الاثنين معاً. وقـال لي ونحن نجلس في الفناء الضيق: "نظـرت الـى آنـدي فرأيـت فـيـه نفسي."

وطلب توم من مدير المستشفى السماح له بأخذ آندي الى بيته. وحدق اليه المدير بنظرة قاسيةطويلة ثـمّ لان وجهه وقال: "ما الذي يجعلك، يا توم، تظن أن في امكانك الاعتناء بهذا الولد؟"

أجاب توم برقة: "وما الذي يجعلك أنت، يا سيدي، تظن انك تستطيع الاعتناء به في مكان كهذا؟"

وكان أن أعتق آندي من مستشفى الامراض العقلية على نحو غير رسمي ووضع في عهدة توم.

ولكن ما لبث أحد المسؤولين في المستشفى أن خابر توم قائلا ان مفتشاً من الدولة عرف بقصة آندي وطلب اعادته فوراً. ولما رفض توم التقيد بالاوامر هدد بملاحقته بتهمة الخطف. وأعاد توم الولد الباكي الى المستشفى وتوجه لتوه الى عاصمة الولاية لمراجعة الدوائر المختصة علها

(★) جميع اسماء تلامذ المؤسسة مستعارة، باستثناء اسم جوني كبتس.

تسمح له، وهو لما يتجاوز التاسعة عشرة، بابقاء آندي في رعايته.

وبعد انتظاره الصباح بطوله أدخل توم مكتب المسؤول الذي ما أن سمع الرواية حتى هدد باحضار الشرطة. وصاح فيه توم: "هيا، خذني الى السجن. ولكن تأكد أن قاعة المحكمة ستغص بمراسلي الصحف. واذ ذاك سيدرك المواطنون ما هو مصير الاولاد المحرومين."

وهكذا أعيد آندي الى عهدة توم الذي أصبح الاعزب الاول في تاريخ ولاية ميسوري الذي يتاح له تبني ولد عبر معاملات قانونية. وبعد سنة أتيح له تبني دان وهو ابن سكير قتل زوجته. وللحصول على المال خلال دراسة توم الجامعية، باشر الثلاثة غسل ملابس التلاميذ وبيع الشطائر في البيوت

وما أن تخرج توم حتى زار جورج موشك وهو خبير تأمين في مارشال أبدى اعجابه الشديد بذلك الشاب "ذي الفكرة العظيمة والجيب الخاوي." وعرفه موشك على عدد من أصدقائه واختار له مستشارين منهم ما لبثوا أن أمدوه بالمال اللازم لبدء مشروعه وأمنوا له مكاناً يؤوي الاولاد المحرومين فيه ويربيهم كعائلة.

وعندما جئته بألواح الخشب والمطرقة رحب بمساعدتي أيما ترحيب.

البريء والجانح – طوال فصول الصيف الستة التالية بقينا نعمل بمساعدة الاولاد على تحسين المكان، مستخدمين الاسلاك والرصاص والاوراق والمواد اللاصقة والدهان. وازداد عدد المتطوعين. وبفضل رجال الدين والشرطة والمسؤولين عن المدارس والمستشفيات ارتفع عدد الاولاد الى ستة عشر. وكان بينهم البريء الذي لا يد له في محنته، والجانح الذي أوقف مراراً بتهمة السرقة واحراق الممتلكات وتعاطي المخدرات، وذاك الذي لقي صنوف العذاب من اهله او من الآخرين.

ولم ترد المؤسسة سائلا واحداً، بمن فيهم مارك الشقي ذو الاحدى عشرة سنة الذي وجده توم رازحاً تحت جسمه البدين وهو يكاد يقضي من تنشق المواد المخدرة، كذلك جوني كيتس (١٣ سنة) الذي فر مرتين من المؤسسة في سيارة مسروقة.

ولما أقفل توم باب القبول شرع في جمع المال من أجل رفع نوعية العناية. ولم يدع انساناً او مكاناً ممكناً الا طلب منه العون. وكان يقول لهم جميعاً : "تعالوا الى المؤسسة وتحققوا بأنفسكم من العجائب التي تجترحها أموالكم ومساهماتكم." والواقع أن كل من زار المدرسة غدا من أنصار توم المتحمسين.

ولم يقطع توم نفسه من الرسائل الجاهزة التي يخاطب فيها "عزيزي الآخر." وبعدما اقتصر مردود الرسائل المادي على تغطية نفقات البريد، بات يعطي ثماره المرجوة بفضل براعة توم في كسب التأييد. وشهد العام ١٩٧٠ تحولا نحو الدعم القوي. وفي تلك السنة استعفيت من مهماتي التعليمية لأنصرف كلياً الى المؤسسة.

ومع ارتفاع عدد الاولاد زاد العمال الاجتماعيون والمفتشون جولاتهم التفقدية في المؤسسة مدققين بكل شاردة وواردة قانونية من حيث المساحة والعدد والتغذية وما شابه. ومرة سمع توم الكلام الآتي من أحد المراقبين: "اسمع أيها السيد باترفيلد، ان مؤسستك تكلف أكثر مما تستحق. واذا لم تتقيد بالقوانين، فسأتولى اغلاقها عنك."

والحق أني لم أجد توم أكثر كآبة مما وجدته بعد ذلك الحديث. ولكن من حسن الحظ أن لاري آروود أحد زملائه الجامعيين أمده بالعون المالي من مؤسسته الخيرية. وما لبث لاري بتشجيع من توم أن أصبح مديرنا المالي. ولم ينفك توم عن جلب الآخرين. وهكذا انضم الينا العديد من الطلاب الجامعيين وأهالي المدينة النافذين عاماً بعد عام، يساعدون التلاميذ في فروضهم ويهبون المؤسسة خدماتهم من حيث الطبخ والخياطة والتنظيف وما الى ذلك من أعمال يومية أو دورية.

السيطرة على الذات - كان توم مقتنعاً بأنه لا يجوز الاعتناء الشخصي بأكثر من اربعة وعشرين ولداً في الوقت نفسه، اقتداء بالمبدأ البسيط الآتي: "كل ما يحتاج اليه الفتى المحروم هو شخص آخر يتبادل واياه المحبة." لكنه ظل على قناعة بأن وسائل نقل المحبة الى الاولاد قد تتجاوز ادراكه. لذلك ما فتىء يتابع دروسه الجامعية حتى حصل على درجة ماجستير في العمل الاجتماعي عام ١٩٧٠. لكن الواقع أن ما استمده توم من الاولاد، وما استمددته أنا من توم نفسه، يفوق ما استخلصه كلانا من الكتب.

واذا أخذنا الفتى مايك مثلا، لوجدناه ذا تاريخ طويل من حدة الطبع. الا أن ذكاءه كان يتجاوز سنواته السبع عشرة. وقد لجأ توم مرة الى تصويب مايك، لكن هذا قاومه بشدة. فما كان من توم الا أن دخل في عراك يدوي مع مايك خلف الاثنين في حال جسدية مرهقة فضلا عن تخريب الغرفة. وبعد الدوام المدرسي مساء ذلك اليوم ذهب مايك الى مكتب توم الذي بادره: "انسيت يا مايك أن جميع المؤسسات التي ارتدتها ردتك خارجاً لعنفك حيال الآخرين؟ أما آن لك أن تسيطر على نفسك؟"

ونظر مايك الى توم وأجاب: "كيف تطلب مني هذا الامر وأنت أيضاً لا تتمالك نفسك؟"

ومنذ ذلك الحين غدا توم مثالا حياً في السيطرة على الذات. وقد علمته خبرته مع مايك امثولة شاء تلقينها للاولاد، ألا وهي سيطرة المرء على انفعالاته وعدم تجاهل خيبات الآخرين.

ونجد مثلا آخر في الفتى بيلي الذي كان وهو في السادسة عشرة ذا موهبة خارقة في الاعمال الالكترونية، لكنه سخر موهبته لأفعال شريرة، كأن يخفي سلكاً مكهرباً تحت مقبض الباب بقصد ايذاء كل من يعارضه. وارتأى توم تعزيز موهبة بيلي، ولكن بعد توجيهها في ناحية بناءة. وهكذا

وجد له مشغلا صغيراً في دهليز المبنى بات يصنع فيه مبتكرات نافعة.

وفي العام ١٩٧١ كان توم جمع مقداراً من المال كافياً لشراء منزل ذي غرف نوم ثلاث أعيد تجهيزها بحيث باتت تحوي أسرة وضع بعضها فوق بعض، وبعد خمس سنوات اشترى منزلا قديماً آخر وجدده ليؤوي عدداً من الفتيات المحرومات. وفي العام ١٩٧٧ اشترى بيتاً قديماً بني وسط مزرعة، وتولينا تجديده لاستيعاب المزيد من الفتيان. وبتشجيع من رئاسة الجمهورية وذوي الإرادة الطيبة، باتت مؤسسات باترفيلد الاربع تضم ٤٦ فتى وفتاة، وأضيفت اليها مجموعة صفوف وسط المدينة لاعطاء دروس خصوصية، مع قاعة للرياضة ومحترف للرسم.

ثم طرأت فكرة جديدة على رأس توم: لماذا لا يسعى الى انتاج شريط سينمائي يتناول المشروع كله؟

ومن أجل تنفيذ فكرته بقي طوال السنتين التاليتين يلاحق أهل الاختصاص في هوليوود، كما فعل قبل عشرين عاماً بطرقه أبواب المسؤولين دونما انقطاع. وكانت النتيجة شريطاً تلفزيونياً يحرك أعمق المشاعر الانسانية، عرض في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨١ بعنوان: "الاطفال الذين لا يريدهم أحد."

اكرام المعلم ـ كان توم آنذاك في الثانية والاربعين وقد وخط الشيب لحيته الكثة. ولم يفتأ كعادته يعمل ليل نهار. وعندما شاهدته ليلة افتتاح الفيلم في مارشال، وجدته أكثر نحولا وشحوباً وارهاقاً. لقد أثقلت المسؤوليات كاهله.

وعاد الى الساحل الغربي للولايات المتحدة من أجل اقناع شبكات التلفزيون بتحويل الشريط مسلسلات تعرض حلقة بعد حلقة. وفي خريف ١٩٨٢ تلقت اخته بيغي مخابرة هاتفية من لوس انجلس تقول ان توم أدخل المستشفى. وطارت الى حيث هو لتجده يعاني ذات الرئة اضافة الى التهابات قوية. ولم تكد تفتح معه حديثاً حتى انقلب وجهه الى لون الرماد وتوقفت رئتاه عن العمل.

وطار عدد من "أولاده" البالغين لتفقده. وكان توم يتلقى الهواء عبر آلة وهو لا يقوى على الكلام. ودخل مارك ـ وهو الفتى الذي انتشله توم من عالم المخدرات والذي بلغ السادسة والعشرين وبات خبيراً في التنفس الاصطناعي ـ ليقف أمام توم والدمع في عينيه.

وقبل اثني عشر يوماً من عيد الميلاد للعام ١٩٨٢ مات توم باترفيلد والى جانبه شقيقته. وأقميت خدمة تذكارية في مارشال، اصطف فيها معظم الشبان والشابات المئة والخمسين الذين ارتادوا مؤسساتنا. وفي الصف الاول جلس آندي، وقد تزوج وغدا عامل مزرعة، والى جانبه دان وهو اليوم طباخ في مطعم فضلا عن عمله التطوعي مع المتقدمين في السن. ومع الاثنين كان بيلي الذي بات يملك بيته الخاص ويتقاضى راتباً لائقاً في مقابل عمله الالكتروني. ولم يكن مايك بين الجماعة لأنه قضى في حرب فيتنام.

ابو المحرومين

وبعد اتمام المراسم سأل الكاهن ان كان أحد يود الكلام · فنهض جوني كيتس الذي اصبح راعياً دينياً في الحادية والثلاثين، وقال: "بُعيد انضمامي الى المؤسسة سرقت سيارة مع زميلين وفررنا بها · ثم فررنا مرة اخرى في سيارة مسروقة وحطمناها · ولما أعادنا رجال الشرطة قال توم اننا سنتلقى العقاب الذي نستحق· ووفى بتعهده وضربنا · الا أن الدمع راح ينهمر من عينيه وهو يفعل·

"انني سأبقى شاكراً ما حييت بادرة توم النبيلة، ألا وهي ايوائي في بيت ما أزال أشعر أني جزء منه ولن أنقطع عنه البتة، فهو بيتي·"

وما أن عاد جوني الى مكانه حتى حدث أمر لم أره أو أسمع به من قبل في الخدم التذكارية· فقد وقفنا كلنا وأخذنا نحيي ونصفق اكراماً للمعلم·

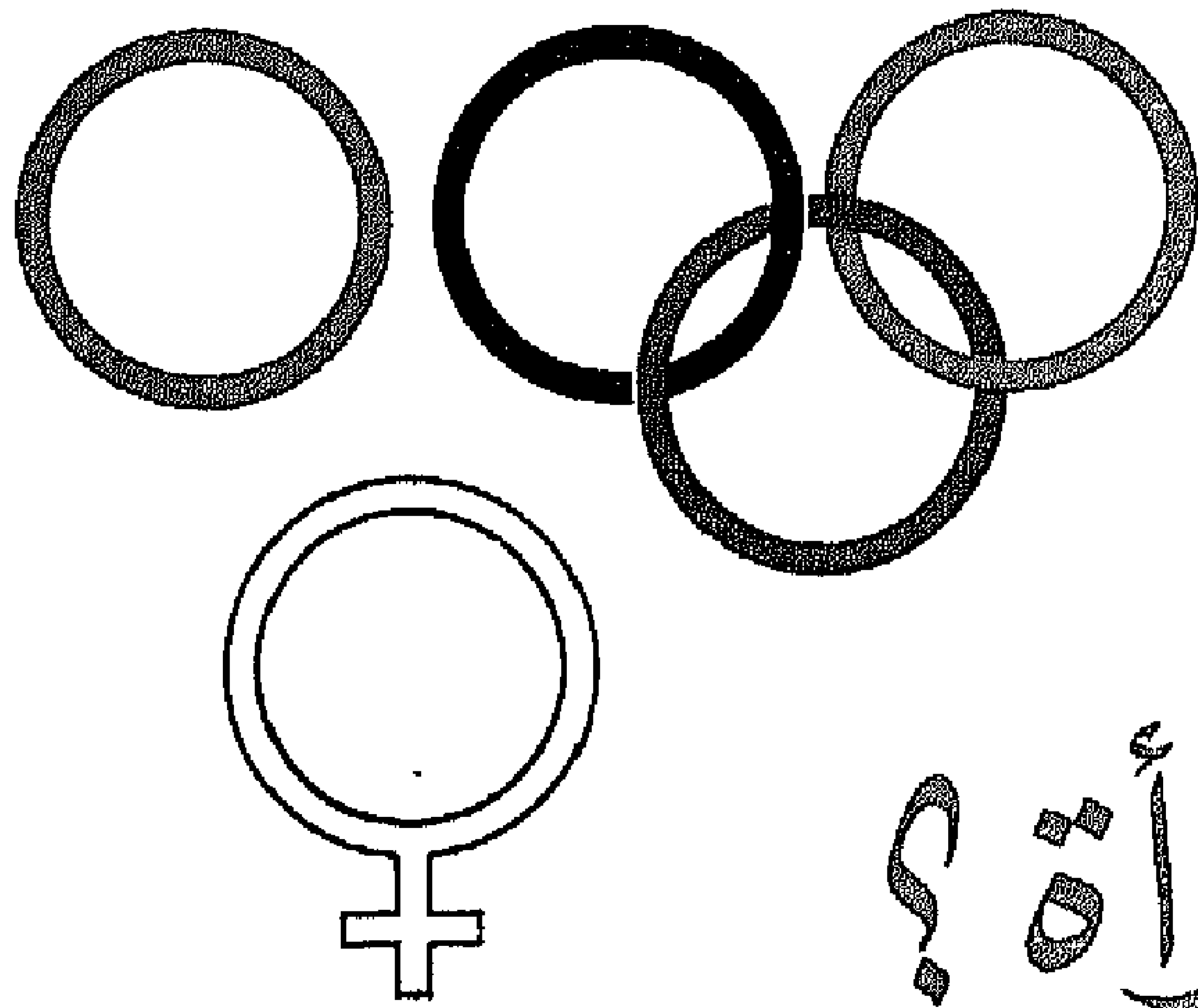
■ بيل وستبروك

الاناقة الجاهلة

الذين يحملونك على الظن أن ملابسهم باهظة الثمن هم في العادة اناس يجهلون كيف يرتدون تلك الثياب·

ر·ب·

الألعاب الأولمبية هل ظلمت المرأة؟



يسود اعتقاد ان المرأة عاجزة عن المنافسة الرياضية، فهل هذا صحيح؟



المرأة ممنوعة من المشاركة في تسع من اصل سبع وعشرين فئة من الالعاب الرياضية الاولمبية: الملاكمة وكرة القدم والجودو والمصارعة والمباراة الخماسية ورفع الاثقال والمباراة الثنائية وسباق الزلاجات والهوكي على الجليد. كما انها ممنوعة من الاشتراك في سباقات المسافات الطويلة (خمسة آلاف وعشرة آلاف متر) والقفز بالزانة (العصا) ورمي المطرقة. وهناك ١٦٨ لعبة مقصورة على الذكور و٧٣ لعبة مقصورة على الاناث. ويشترك الجنسان في ١٥ لعبة. وفي المباريات المشتركة تفوقت المرأة على الرجل وحازت ميداليات في سباق اليخوت والعاب الفروسية واصابة الهدف بالمسدس والبندقية.

ويعود اقصاء المرأة عن بعض

الالعاب الى القانون ٤٤ الصادر عن اللجنة الدولية للالعاب الاولمبية والذي ينص على ما يأتي: يسمح للمرأة بالمشاركة في الالعاب الرياضية التي تمارسها النساء على نطاق واسع في ما لا يقل عن خمس وثلاثين دولة في ثلاث قارات. لكن هناك بلداناً تحظر على المرأة ممارسة اي لعبة رياضية، كما ان نساء امريكا الجنوبية نادراً ما يشاركن في الالعاب التي تنطوي على منافسة شديدة مع الرجال مثل ركوب الخيل. وهكذا يصبح الامر غاية في الصعوبة اذا اردنا ترتيب جدول يضم خمسة وثلاثين بلداً تمارس فيها المرأة لعبة رياضية على نطاق واسع في ثلاث قارات.

وتمكن اضافة لعبة جديدة الى لائحة الالعاب الاولمبية بناء على طلب يتقدم به اتحاد رياضي دولي. غير ان الاتحادات الرياضية الدولية تخضع كلياً لسيطرة الرجال، وغالباً ما يتميز هؤلاء بآراء متخلفة رجعية عن الانثى الرياضية. كذلك يسيطر الرجال على اللجان الاولمبية الوطنية واللجنة الاولمبية الدولية. ولقد بقيت اللجنة الاولمبية الدولية مقصورة على الرجال حتى العام (١٩٨١). اما الآن فهي تضم ٨٦ رجلا وثلاث نساء.

بعض الاسباب الاخرى لمنع المرأة من المنافسة الرياضية يمكن تصنيفها كأسباب نفسية او جسدية او جمالية. هناك فكرتان دائمتان حول هذا الموضوع: اولا، ان الرياضة تؤذي القدرة الجنسية للمرأة وقد تحرمها نعمة الحمل والتوليد. وثانياً، ان المرأة هي اضعف جسدياً واقل واقعية في التفكير من الرجل. لكن خبراء طب الرياضة وعلمي النفس ووظائف الجسد لا يوافقون عموماً على هاتين الفكرتين، بل انهم يعلنون رفضهم هذه الاسباب. واليوم حان الوقت للتفريق بين المعتقدات والحقائق:

الظن: النساء اللواتي يمارسن الرياضة يصبن بضرر عضوي يحول دون ادائهن الوظيفة التناسلية.

الحقيقة: التمارين الرياضية لا تنقص من قدرة المرأة على الحمل والولادة. والحقيقة ان المرأة التي تمارس بعض التمارين الرياضية تتعرض اجمالا لمشاكل اقل ساعة الوضع من المرأة التي لا تؤدي اي حركة. وبينت دراسة على ٧٢٩ رياضية مجرية (هنغارية) ان المرأة الرياضية تمر بمدة مخاض اقصر، وان حاجتها الى الولادة القيصرية تقل بنسبة ٥٠ في المئة.

الظن: على المرأة الحامل الا تشارك في الالعاب الرياضية.

الحقيقة: لا تمنع الرياضة عن المرأة الحامل في بداية الحمل، كما ان الحمل لا يقلل من فاعليتها في تأدية التمارين الرياضية. ولقد ذكرت الدكتورة اليزابيت فارس التي تحمل ميدالية برونزية في الغوص في الالعاب الاولمبية البريطانية للعام ١٩٦٠)، ان عشر نساء حوامل فزن بميداليات في العاب ١٩٥٦).

وتشير دراسات في عالم الحيوان الى ان ارتفاع درجة حرارة جسم الانثى الحامل ربما يعرض الجنين

للاذي. ولكن لا تتوافر اي دراسات احصائية تثبت حدوث خلل عضوي لدى الاطفال نتيجة ممارسة المرأة الحامل تمارين رياضية. ولقد استطاعت المرأة مقاومة ارتفاع ضغط الحرارة في تأديتها بعض التمارين. وتضيف بربارة درنكواتر المتخصصة بضغط الحرارة في جامعة واشنطن في سياتل: "اذا كانت المرأة الرياضية تعرف انها حامل، فعليها الا تجهد نفسها بالتمارين فترفع الحرارة الداخلية في جسدها الى ما يزيد على ٣٩ درجة مئوية." وهذا بالطبع لا يعني ان على المرأة الحامل الا تمارس الالعاب الرياضية او تشترك في سباقات الركض في الفصول الباردة، بل عليها الا تبالغ في ممارستها.

الظن: القفز او الارتجاج المفاجيء او الصدمة التي يتلقاها البطن تتلف بيت الرحم.

الحقيقة: بيت الرحم محمي داخل الحوض. ويقول الدكتور دنيس بارو وهو طبيب في المعهد الوطني الفرنسي للرياضة والتربية البدنية: "لقد تولت الطبيعة حماية بيت الرحم والمبيضين لدى الانثى افضل من حمايتها للاعضاء التناسلية للذكر."

الظن: اي ضربة عنيفة يتلقاها صدر المرأة تسبب سرطان الثدي.

الحقيقة: في اسوج (السويد) نحو ٣٤ الف انثى مجازة لممارسة لعبة كرة القدم. ومع ذلك تقول الدكتورة انجيلا بالمكفيست طبيبة الفريق الوطني النسائي الاسوجي لكرة القدم: "لم اقع على اصابة خطيرة واحدة في صدر اي لاعبة او على ما يشير الى ارتفاع في نسبة الاصابة بسرطان الثدي في الفريق النسائي لكرة القدم."

وتعلن الجمعية الامريكية لمكافحة السرطان ان سرطان الثدي ليس نتيجة ضربة يتلقاها الصدر، لكن هذه الضربة قد تنبه الجراحين الى ورم موجود.

الظن: توهن الدورة الشهرية قوة المرأة وتجعلها غير مهيأة عاطفياً لمنافسة عنيفة.

الحقيقة: نالت النساء ميداليات وحطمن ارقاماً قياسية وهن في مراحل مختلفة من الدورة الشهرية. لكن بعض النساء يعانين تشنجاً للعضلات او احتباساً للسوائل قبل بدء الدورة الشهرية مما يزيد من وزنهن. وقد عالج اطباء الرياضة هذا الموضوع بحقن الانثى هرمونات خاصة لتتماشى الدورة الشهرية مع برنامج الالعاب الرياضية.

وقد تعوق المنافسة والتمارين الرياضية المكثفة انتظام الدورة الشهرية او تؤدي الى انقطاعها كلياً. ولقد توقف الحيض عام ١٩٧٩ لدى النروجية بيروغ ايفا جنسن (٢٣ سنة) التي حازت الميدالية الذهبية في التزلج لسباق الـ٣٠٠٠ متر للنساء في الالعاب الاولمبية عام ١٩٨٠، وكانت آنذاك تتبع نظاماً غذائياً خاصاً وتمارين مكثفة. وقد رجعت عادتها الشهرية الى طبيعتها لاحقاً، وهي اليوم تتمرن بين ثلاث وخمس ساعات

يومياً على رفع الاثقال والتمارين الهوائية وسواها، وتؤدي في موسم التزلج نحو ٧٠ دورة يومياً٠

لا نعرف جميع الاسباب المؤدية الى اختلال الدورة الشهرية لدى الرياضيات٠ ربما يعود بعضها الى الوزن او الى نسبة المواد الدهنية في الجسم او الى ضغط نفساني او خلل هرموني٠ وفي دراسة على ٤٥ امرأة يمارسن هواية الركض وتراوح اعمارهن بين ٢٠ و٣٥ سنة، وكن يركضن بمعدل ١٥ كيلومتراً في الاسبوع، رفعت هذه المسافة تدريجاً الى نحو ١٠٠ كيلومتر٠ ودامت الدراسة ١٨ شهراً وتبين في نتيجتها ان ٨٠ في المئة من هؤلاء النساء عانين اختلالا في الدورة الشهرية، وحدثت تغييرات هرمونية لدى الجميع٠

والانخفاض في معدل الافرازات الهرمونية لا يشكل خطراً، لكن الانخفاض الكبير في افرازات الاستروجين، كما هي الحال في سن اليأس، يؤدي الى اصابة نساء كثيرات بتخلخل العظام نتيجة نقص الكلسيوم، وهو السبب الاهم في الكسور العظيمة لدى العجائز من النساء٠ فهل هذا يعني ان المرأة التي تمارس الركض، او المرأة الرياضية عموماً، تصاب اكثر من غيرها بتخلخل العظام؟

المهتمون بشؤون المرأة الرياضية قلقون من ان بعض النساء معرضات لذلك٠ والانثى التي تصاب بانقطاع الطمث يمكن ان تعالج بالاستروجين٠ وفي هذا المجال لم يتوصل خبير



كرة قدم نسائية٠

صحي واحد الى ايجاد برهان اكيد على ان المرأة الصحيحة البنية يجب ان تمتنع عن ممارسة الرياضة والتمارين البدنية بسبب انقطاع الطمث، بل هناك دراسات كثيرة تؤكد ان الرياضة البدنية تحفظ العظام من التخلخل٠

الظن: الرياضة تحرم المرأة انوثتها٠

الحقيقة: تقول الاستاذة دوروثي هاريس من جامعة بنسلفانيا الحكومية في كولدج بارك " ان التجارب النفسية تشير الى ان الرجال والنساء الذين يمارسون الالعاب الرياضية نفسها يتشابهون كثيراً، ويصعب التفريق بين اداء الجنسين استناداً الى النتائج التي حصل عليها كل منهما٠" ان المنافسة في الالعاب الرياضية تتطلب الكفاح والجرأة والعدوانية، لذلك نراها تستهوي الرجال والنساء الذين يملكون مثل تلك الصفات٠ ولا نرى وجوداً للمرأة المائعة البليدة في هذه الرياضات٠

الظن: النساء اضعف بنية من الرجال٠

الحقيقة: تشير الدراسات العلمية (لدى مقارنة رجال ونساء في حجم متساو) الى ان متوسط قوة ذراع المرأة اقل من متوسط قوة ذراع الرجل بينما متوسط قوة ساق المرأة يساوي متوسط قوة ساق الرجل. ويقول جاك ويلموز مدير المختبر العلمي للرياضة والتدريب في جامعة اريزونا ان نوعية العضلات - اي صفاتها التقلصية وقوتها - هي واحدة عند الجنسين. وهو يعتقد ان النساء يمكنهن بالتمارين الرياضية مضاعفة حجم العضلات، وان تكن العضلات في القسم الاعلى من جسم الانثى تقل عن العضلات في القسم الاعلى من جسم الذكر.

وقد عمدت استاذتان للتربية البدنية، هما كارول اوغلسبي من جامعة تامبل في ولاية فيلادلفيا وجاكي هدسون من جامعة رايس في هيوستن، الى دراسة هذه النظرية قبل سنوات. فدخلتا مباريات رفع الاثقال التي يتقدم اليها رجال الاطفاء في ولاية فيلادلفيا. وكان طول كل منهما ١٦٣ سنتيمتراً ووزنها ٥٤ كيلوغراماً، وكلتاهما لم تمارسا رفع الاثقال من قبل. وبعد تدريب دام شهرين بمعدل ثلاث ساعات في الاسبوع اتت نتائج اوغلسبي افضل من ٥٥ في المئة من الرجال ونتائج هدسون افضل من ٦٩ في المئة منهم.

الظن: احتباس الاوكسيجين في صدر المرأة اقل بكثير من احتباسه في صدر الرجل. وتعتبر هذه الخاصة من اهم عوامل النجاح للرياضي في اي لعبة تستغرق اكثر من خمس دقائق.

الحقيقة: يتساوى الفتيان والفتيات في بداية حياتهم بالمقدرة على امتصاص الاوكسيجين من الهواء. لكن مقدرة الفتيات تبدأ في التناقض بعد البلوغ بينما تزداد المقدرة لدى الشبان حتى منتصف العشرينات ثم تبدأ في التناقض. وبمقارنة المقدرة على احتباس الاوكسيجين لدى النساء والرجال من حجم ووزن متساويين، نجد ان مقدرة النساء تقل ١٥ في المئة عنها لدى الرجال. ويعود ذلك الى ان حجم القلب هو اصغر لدى النساء، وان كمية الهيموغلوبين في دمهن - وهي المادة الحمراء التي تحمل الاوكسيجين - تقل ١٠ في المئة عنها في الرجال.

والمقدرة على احتباس الاوكسيجين ذات علاقة بكمية الدهن في الجسم: ونجد ان متوسط جسم النساء يحتوي على ٢٥ في المئة من المواد الدهنية بينما يحتوي متوسط جسم الرجال على ١٥ في المئة فقط. ويمكن انقاص كمية المواد الدهنية من الجسم بواسطة التمارين الرياضية العصرية. ونجد ان كمية المواد الدهنية لدى فئة الاناث المشتركات في مباريات الركض الدولية تتساوى مع المتسابقين الذكور.

وقد سجل الطب الرياضي دراسات تشير الى ان انتظام جهاز التنفس وضخ الدم الى القلب ومنه لدى الاناث والذكور يتأثر بطريقة واحدة هي التمارين الرياضية المنتظمة. ولكن بعد التمارين المكثفة نجد ان كمية ضخ الدم الى القلب في الدقيقة الواحدة تزداد لدى النساء، فلا

نستغرب ان نجد قدرة النساء على احتباس الاوكسيجين في حلبة سباق الركض اقل ٤ في المئة منها لدى الرجال في الحلبة نفسها، وذلك نتيجة فحص اجري على ابطال الركض من الجنسين.

وقد اعلنت الكلية الامريكية للطب الرياضي عام ١٩٧٩ توصيات ثورية بعد دراسات شملت المشتركات في سباقات المسافات الطويلة. وجاء في هذه التوصيات: "يجب السماح للاناث بمشاركة الذكور في سباقات المسافات الطويلة في المباريات الوطنية والدولية." ولم يكن يسمح قبل ذلك التاريخ باشتراك النساء في الالعاب الاولمبية لمسافات اطول من ١٥٠٠ متر. لكن النساء ينافسن الذكور في سباقات المراثون منذ ما اقتحمت كاترين شفايتزر مراثون بوسطن عام ١٩٦٧ بمساعدة مدربها الذي سجلها في لائحة المتبارين باستعمال الاحرف الاولى من اسمها، وهي خضعت لفحص طبي في عيادة خاصة ولم يعرف انها امرأة الا بعدما خلعت سترتها الخارجية بعد انتهاء السباق. ولقد علق الاتحاد الرياضي للهواة عضويتها بسبب دخولها الاحتيالي السباق.

وفي العام ١٩٧٢ تساهل الاتحاد وسمح للنساء بالاشتراك في سباق المراثون. وكانت النتائج مذهلة للرجال اذ سجلت افضل المتباريات في مراثون بوسطن عام ١٩٧٢ الرقم ٠٣:١٠:٢٦ واليوم وصل الرقم الى ٠٢:٣٠ وفي ابريل (نيسان) ١٩٨٣ سجلت الامريكية جوان بينوات الرقم القياسي: ٢:٢٢:٤٢ في مراثون بوسطن، اي اسرع بثلاث دقائق من اي رقم سجلته امرأة في التاريخ.

ووافقت اللجنة الاولمبية الدولية عام ١٩٨١ على تنظيم المراثون الاولمبي الاول للنساء. وسيجري السباق عام ١٩٨٤ في مدينة لوس انجلس (كاليفورنيا).

لقد حقق تنظيم مراثون اولمبي للنساء انتصاراً كبيراً للرياضيات. لكن طريق المساواة بينهن وبين الذكور في الميدان الرياضي لا تزال شاقة. اما رأي خبراء الطب الرياضي فهو انه لا يجدر بالنساء منافسة الرجال في الالعاب الرياضية التي تنطوي على اتصال مباشر، وذلك للتفاوت في البنية والوزن وكمية العضلات مما يسبب الاذى للنساء. وفي اعتقادهم ان النساء حرات في منافسة بعضهن بعضاً في جميع الرياضات، كما انهم موافقون على اشتراك النساء مع الرجال في الالعاب الحرة كسباق المراثون. وليس هناك مبرر علمي او طبي او وظيفي او اجتماعي او نفساني او جنسي يحول دون اشتراكهن في معظم الالعاب الاولمبية.

■ والتر روس



لقد بلغ سوء التفاهم بين الاهل والاولاد هذه الايام مبلغاً جعلنا نتساءل اي جيل يربي الآخر.

ا.ب.

كتاب الشهر

الجريمة الغامضة



تقرير خاص

بقلم موريس شادبولت

الجريمة الغامضة

خارج محكمة اوكلاند في نيوزيلنده، راحت الجموع تقاوم رجال الشرطة والريفيون الطيبون يطلقون الهتافات المعادية للسلطة، فيما النسوة ينتحبن ويزعقن: "أين العدالة؟" وقال أحد المراقبين الهلعين ان المشهد ذكره بما قرأه عن الثورة الفرنسية.

وحقيقة الامر أن المحكمة جرّمت مزارعاً نيوزيلندياً لطيفاً يدعى آرثر توماس في قضية مقتل رجل وزوجته، في حين كانت الشواهد ضده موضوع شك. واليوم، بعد انقضاء ١٣ سنة على الحادث، لا تزال شواهد التهمة حيث كانت، والآلاف المؤلفة من مواطني توماس مقتنعة بان هذا الرجل امضى تسع سنوات في السجن لجريمة لم يقترفها.

والقضية التي نروي تفاصيلها هنا أثارت لغطاً واسع النطاق حول عدالة السلطة القضائية وباتت قصة ذات أبعاد ملحمية وإنسانية عميقة.

الزمان أمسية عاصفة في منتصف فصل الشتاء، تحجب فيها الغيوم المسننة قمراً عمره اثنا عشر يوماً. والمكان منزل من طبقة واحدة بني بالآجر فوق مزرعة في مقاطعة بوكيكاوا الريفية التي تبعد سبعين كيلومتراً غرب اوكلاند. الريح والامطار المتقطعة تسوط المنزل الذي تملكه جانيت وهارفي كرو، وكلاهما في الثلاثين.

ربما هيمن جو من الغضب على ذيّاك المنزل مساء ١٧ يونيو (حزيران) ١٩٧٠. ومما لا شك فيه أن الاصوات لعلعت ثم جاء شخص ثالث. وأطلقت رصاصتان على الأقل، استقرت إحداهما، وعيارُها ٢٢ مليمتراً، في جمجمة جانيت بعدما اخترقت جانب رأسها الأيمن. وكان وجهها سحق ضرباً. أما الرصاصة الاخرى فأصابت هارفي خلف أذنه اليسرى وانتشرت شظاياها داخل رأسه. وما لبثت الجثتان النازفتان ان لفتا بملاءات بيضاء وحزمت كل منهما بأسلاك وحملت خارجاً.

وفي إحدى غرف المنزل راحت طفلة تنشج.

وبعد أيام خمسة من المقتلة، في الثاني والعشرين من ذلك الشهر، وجدت روشيل ابنة المغدورين ذات الاشهر الثمانية عشر وحيدة في المنزل وهي حية. ولا بد من أن شخصاً ما تولى إطعامها والعناية بها في ذلك المنزل الخاوي إلا من بقع الدم.

وفي غرفة الجلوس كانت وقعة من السمك لاثنين فوق طاولة. كما كان هناك ما حمله البريد في السابع عشر من يونيو (حزيران)، ومعه بضع فواتير، في مواجهة كرسي ثالث. ووجدت على الارض إبرة حياكة معقوفة ورماد في الموقد. ولم يبقَ إلا علامات ضئيلة لمحاولة محو آثار الجريمة.



آرثر توماس يغادر المحكمة العليا في اوكلاند في حراسة رجال الشرطة بعد اعادة محاكمته وتجريمه.

Photo New Zealand Herald / Weekly News

ولما استدعي رجال الشرطة الى المكان حاروا أمراً في الأدلة. فهناك شخصان مفقودان وطفلة حية في مهدها.

ترى كيف تسنى للطفلة روشيل أن تصمد خلال تلك الأيام الخمسة القارصة البرد؟ حقاً ان الطبيب الاختصاصي الذي عاينها لم يجد عليها أثراً لاهمال شديد، على رغم ما عانته من نقص بسيط في الوزن واستنزاف سوائل الجسد والبثرة الحمراء المتقلصة التي ظهرت على بشرتها. من ذا الذي اعتنى بالطفلة وأمدها بالطعام والسوائل وبدل أقمطتها؟ فقد وجدت أقمطة متسخة فوق الثلاجة وواحد في سريرها، في حين لم يبقَ في المنزل قماط واحد نظيف.

وأخذت الالغاز تزداد. فالزوجان شوهدا حيين للمرة الأخيرة يوم الأربعاء الواقع فيه السابع عشر من يونيو (حزيران)، عشية الذكرى الرابعة لزواجهما، في بلدة تجارية قريبة، ومنذ ذلك الوقت لم يمس أحد قوارير الحليب والرسائل والصحف على عتبة منزلهما. ولم يستجيبا للمخابرات الهاتفية بدءاً من السابعة مساء ذلك اليوم.

إلا أن شهوداً سرعان ما برزوا ليقولوا إنهم رأوا امرأة خارج مزرعة آل كرو يوم الجمعة في التاسع عشر من ذلك الشهر، وانهم قرابة السابعة والنصف من مساء اليوم نفسه رأوا دخاناً متوهجاً يتصاعد من مدخنة المنزل، كما لاحظوا في اليوم التالي طفلا في سن روشيل يعدو خارجاً.

ومما زاد الحيرة أن كلاب المزرعة لم يظهر عليها الجوع. ووصفها أحدهم بأنها بدت "سمينة كالفقم" وانها لو لم تطعم للفت نباحها الناس الى المنزل في وقت مبكر. وعلى رغم أن الابقار راحت تخور جائعة فوق سياج المزرعة المجاورة، فقد بدا أنها نالت حصتها من التبن ليوم الجمعة.

وبوشر البحث عن الجثتين، وقد أفرزت له طائرات مروحية من سلاح الجو فضلا عن عدد من رجال الشرطة والبحرية. وبلغ عدد الرجال مئتين، بين عسكريين ومتطوعين مدنيين، انطلقوا في أرض مساحتها ألف كيلومتر مربع من المزارع والأنهر حول بلدة بوكيكاوا.

ثراء غريب

على رغم اخضرارها وهدوئها تبدو بوكيكاوا مكاناً منعزلا. ولم تكن تحوي عام ١٩٧٠ إلا محلا واحداً ما لبث أن أقفل، بعدما كان يرتاده كبارها الذين يقاربون المئتين. وكان في البلدة أيضاً مرآب سيارات ومدرسة صغيرة ومكتبة محدودة ودار بلدية. وربما عبر السائح ذلك المكان من غير أن يلاحظ وجود تلك الدسكرة على الاطلاق.

وهناك نهر وايكاتو العريض ذو الضفتين المزروعتين صفصافاً الذي يعزل القرية عن الطرق الرئيسية المزدحمة. وبالقرب من ذلك النهر شمالا تقوم مزارع صغيرة لانتاج الألبان وحدائق عمومية. أما المزارع الأكبر حجماً وازدهاراً فهي في الجنوب حيث منزل آل كرو، وحيث



الزوجان المغدوران هارفي وجانيت كرو.

تسرح وتمرح آلاف الاغنام والأبقار. وبين الشمال والجنوب تقوم تلة ترتعي فيها الماشية وترتفع ٢٧٥ متراً. تلك هي تلة بوكيكاوا في مقاطعة ماوري، وهي أعطت البلدة اسمها ومعناه "التلة الأليمة."

وكان أحدهم تكهن في أواخر القرن التاسع عشر بأن تشتهر المنطقة بالمآسي. وهذا عين ما حصل. ففي العام ١٩٢٠ أردي المزارع سيدني آر قتيلا من خلال نافذة مخدعه. وقبض على رجل كان يوماً عشيق زوجته، بعدما بينت الأدلة، وهي حوافر حصان وغلاف قذيفة، علاقته بالجريمة. وبعد تبرئته في المحاكمة الاولى جرم في الثانية وأعدم شنقاً وهو يصرخ انه بريء. وها هي جريمة ١٩٧٠ تظهر، بعد خمسين سنة، شبهاً قوياً بين اليوم والأمس.

والواقع أن أقلية من مزارعي الجيرة الذين شاركوا في عملية التفتيش عن الجثتين عرفوا هارفي وجانيت كرو عن كثب، بمن فيهم أقرب الجيران. فقد كان الزوجان منكمشين حتى الانعزال. ولئن قبلا دعوة الى طعام أو شراب، فهما لم يبادلا الداعي بالمثل. ولم يتردد على منزلهما حتى أقدم الأصدقاء.

وكانت جانيت الابنة البكر للمزارعين اللذين يملكان الارض المجاورة، وهما لينارد وميزي دملر.

وفي العاشرة من عمرها ورثت جانيت واختها الاصغر هيذر أرضاً من عم أعزب تبلغ مساحتها ١٣٧ هكتاراً. وتلقت الشقيقتان علمهما ـ وهما على مقدار لائق من الثراء بالنسبة الى المقاييس المحلية ـ في إحدى مدارس نيوزيلنده المتميزة. وامتهنت جانيت التعليم وسافرت الى اوروبا، ثم عادت لتصبح مدرسة في القرى. وتعرفت على هارفي كرو، وهو راع طويل القامة يمارس الرياضة. وفي العام ١٩٦٦ تزوجا وأخذا مزرعة جانيت التي انتقلت إليها بالوراثة. واستدان هارفي مبلغاً كبيراً لشراء حصة هيذر.

وانقضت سنوات أربع على زواجهما وغالبية أهل الجيرة لا تعرف الوافد القوي البنية الذي يبلغ طوله ١٨٥ سنتيمتراً، ولم يرقه ما بلغه منهم، وهو أنه تزوج جانيت طمعاً بالمزرعة. والواقع ان هذه أسرّت مرة الى صديقة ان غناها لم يفعل خيراً لحياتها الزوجية. وراح هارفي يعمل بكد ومثابرة ليبرهن عن نفسه مزارعاً جديراً. والقليلون الذين رأوه ـ ومعظمهم مقاولون زراعيون وتجار ماشية ـ فاجأتهم أحياناً حدة طبعه. ومرة صب جام غضبه على تاجرين لأنهما حضرا عشر دقائق... قبل الموعد! وطالما نعته عارفوه بعبارات من نوع "فظ" و"جاف" و"عنيف" و"سريع الغيظ."

أما جانيت التي كانت تقيم وزناً للصداقة قبل زواجها فقد أقصاها الزواج عن الناس. وبعضهم يقول انها غدت عصبيةالمزاج. وقبل المأساة الاخيرة شهدت مزرعة آل كرو أحداثاً غريبة، إذ تعرضت للنهب عام ١٩٦٧ وللحرق عامي ١٩٦٨ و١٩٦٩. وشب الحريق الاول في المنزل والآخر في حظيرة التبن. والغريب في الأمر أن هارفي أصر ـ متحدياً الشواهد ـ على أن حريق المنزل نتج من عطل كهربائي. واسدعت حماته ميزي دملر محرر الصحيفة المحلية وطلبت منه عدم نشر تفاصيل حول السرقة والحريق. وهي فعلت ذلك من غير تعليل.

وفي العام ١٩٦٩ حصل خلل عائلي من نوع آخر إذ أقدمت هيذر، شقيقة جانيت الأكثر انفتاحاً، على الزواج برجل مطلق ومفلس مما أثار حفيظة امها فعمدت الى حرمانها حصتها من الارث. ونتيجة لذلك ثار الأب فحرم ابنته جانيت حصته هو. وما هي إلا أشهر قليلة حتى قضت ميزي بالسرطان، وكان ذلك في فبراير (شباط) ١٩٧٠.

وفي ١٦ يونيو (حزيران)، قبل يوم واحد من اختفائها، زارت جانيت محاميها وحصلت على نسخة من وثيقة الملكية التي تمنحها نصف مزرعة أبيها. وهذا يعني أنها عندما ماتت في اليوم التالي كانت تملك ما يزيد على ١٥٠ ألف دولار أموالا غير منقولة. وكان لها ثلاثة حسابات مصرفية شخصية تبلغ قيمتها ٤٦٤٠ دولاراً، فضلا عن حساب مشترك مع زوجها قيمته ١٦٦٧ دولاراً. أما رصيدا هارفي الخاصان فبلغ مجموعهما ٣٤ دولاراً.

أيعقل أن تكون الخلافات المادية

أسفرت عن فورة غضب ذلك المساء؟

مما لا شك فيه أن المال كان أحد الموضوعات التي تكلم فيها الزوجان خلال عشائهما الأخير، كما تشهد الفواتير والحسابات على طاولة الطعام.

غير أن منزل جانيت لم يحمل أي علامة تشير الى انه ملك امرأة ثرية أو سعيدة. وعلى رغم أن الاصدقاء يتذكرون جانيت كفتاة "أنيقة" و"ربة منزل قديرة"، فان بيتها الحقير لم يشهد على ذلك. فالجدران خالية من الرسوم وبعض النوافذ لا تغطيه الستائر. ولم يعثر في البيت على صور زفاف أو على أشياء تذكارية جمعتها جانيت في رحلاتها. ولم يكن من المجلات الصغيرة الا ما ندر، علماً أن السلع الانثوية، كالعطور وأدوات التجميل، لا أثر لها على طاولة غرفة النوم. أما غرفة الطفلة فلم تبد أحسن حالاً. وكانت الملابس المتسخة مرمية على الارض، وليس في الغرفة الجرداء أي أثر لشخصية جانيت أو هارفي. وهذا يعني اختفاء الزوجين ليس بالمعنى الجسدي فحسب، بل بالمعنى المجازي أيضاً.

جمع الادلة

لم يخف رجال الشرطة انطباعهم الاول، وهو القاء التهمة على والد جانيت لينارد دملر، الرجل الناحل الأعجف البالغ الحادية والستين، تدفعه الى جريمته الخلافات العائلية والانتقام من خطوة زوجته الراحلة. أما نقاط الدم التي وجدت في سيارة الأب مطابقة لدم ابنته القتيل فقال ليناردانها من جرح في اصبعها. وتجدر الاشارة الى أن المسافة بين بوابة دملر وبوابة كرو هي ٩٠٠ متر.

يضاف الى هذا أن سلوك لينارد بدا مربكاً. فهو الذي لفت الشرطة أولا الى الجريمة. وقال ان تاجر ماشية خابره يوم الاثنين في ٢٢ يونيو (حزيران) شاكياً هاتف آل كرو الذي لا يعمل. وتعجب دملر لذلك وقاد سيارته نحو مزرعة صهره. ودخل المنزل ليجد الدم الجاف في كل مكان ويكتشف اختفاء ابنته وزوجها. وهناك رأى حفيدته بقماطها المتسخ وقد غطى الدمع وجهها.

الا أنه لم يستخدم هاتف ابنته لاعلام الشرطة بالامر، بل ترك الطفلة المسكينة كما وجدها وعاد الى منزله. ومن هناك خابر تاجر ماشية كان مزمعاً على تحميل بعض الرؤوس من مزرعة آل كرو لالغاء موعده. واذ لم يجد التاجر في منزله، انتظر رجوعه بعد عشرين دقيقة. وبعد ذلك اصطحب لينارد جاراً له وعاد الى مزرعة ابنته.

وقال الجار لاحقاً انه سمع الآتي من ليناردـ: "لقد قتلها ابن الحرام ثم قضى على نفسه... اني متأكد من أن هارفي قتلها." ودخل الاثنان غرفة الجلوس ثم غرفة الطفلة. وفيما الجار يتفقد بقية أرجاء المنزل انتظره دملر خارجاً. وأخيراً تولت زوجة مزارع من الجيرة أمر روشيل واستدعيت الشرطة. وعاد دملر الى مزرعته لفرز عدد من رؤوس الماشية.

ولم يشأ ليناردـ الاشتراك في عملية البحث عن الجثتين. وفي السادس من

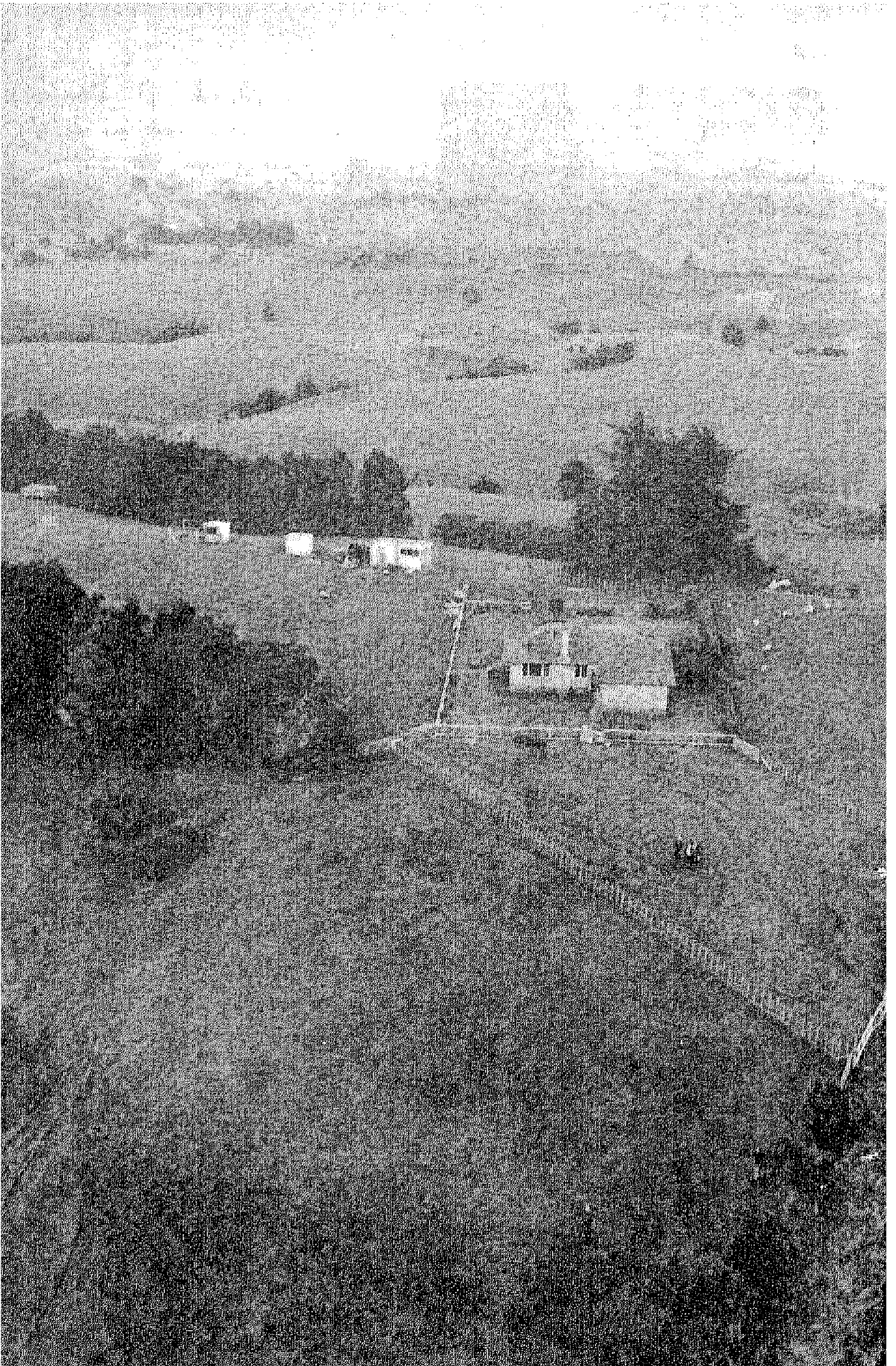
يوليو (تموز) احتفل بعيد ميلاده كالمعتاد مع عدد من الانسباء والاصدقاء، بينما فريق التفتيش يمشط الامكنة المحيطة بالمزرعة وقد بلل أفراده المطر. واستجوبه رجال الشرطة مطولا مرة بعد اخرى الى أن وكّل محامياً للدفاع عنه.

وكان بروس روديك، وهو مساعد زراعي خجول في الرابعة والعشرين، أخبر الشرطة أنه شاهد امرأة غامضة المنظر خارج منزل آل كرو في التاسع عشر من يونيو (حزيران) بعد يومين من اختفاء الزوجين. واستجوبه رجال الشرطة بدقة وعنف. واحتفظوا ببصماته وحذروه من مغادرة البلدة وتركوه فاقداً معنوياته.

وفي مكان آخر من البلدة تم استجواب أكثر هدوءاً. ففي الثاني من يوليو (تموز) توقفت سيارة شرطة أمام منزل آرثر توماس وهو مزارع سهل المعشر في الثانية والثلاثين يملك أبقاراً حلوباً ويسكن على بعد ١٥ كيلومتراً من مزرعة آل كرو. وقد أراد المحقق حمل آرثر على الاعتراف بأنه عرف جانيت وحاول خطب ودها يوماً. وأقر الشاب سريعاً بذلك قائلاً انه حصل قبل ثماني سنوات وهو لما يعرف زوجته بعد. الا أنه لم يستطع مقابلة جانيت التي بخلت عليه بموعد واحد.

وحين سئل هل عرف المزرعة أجاب بالايجاب، قائلا ان متعهداً زراعياً وظفه للعمل هناك قبل انتقال الارض الى ملكية الزوجين المغدورين. وهو لم يعرف هارفي كرو شخصياً، لكن ما سمعه عنه يشهد على أنه رجل خلوق.

منزل آل كرو حيث وقعت الجريمة الغامضة وامامه سيارات الشرطة.
Photo from police evidence



ولم يمانع آرثر في أن يفتش رجال الشرطة سيارته ويحتفظوا ببصماته.

وتحدث مع المحقق بمرح. وغادر المسؤول وقد نسي الدفتر الذي دون عليه الملاحظات هناك، فيما استأنف توماس علف أبقاره الحاضنات.

وبعد مضي اكثر من شهر جاءه محقق آخر، وذلك في ١٢ اغسطس (آب) بعد العثور على عدة تمشيط وتصفيف شعر في منزل آل كرو. وكانت العدة في علبتها المغلفة بورق خاص بهدايا عيد الميلاد، وضمنها بطاقة كتب عليها: "من آرثر".

وللحال قال آرثر توماس: "أجل، هذا هو أنا. وقد أهديت اليها تلك العلبة عام ١٩٦٢ كما أذكر، وذلك قبل زواجي."

سمع المحقق ذلك الكلام وغادر. وبعد أربعة أيام ظهرت قرائن جديدة، اذ طفت، على أثر فيضان استثنائي لنهر وايكاتو، جثة جانيت المنتفخة وهي ما زالت ملفوفة بالملاءة ومعصوبة بأسلاك. وكانت ملابسها غير ممزقة ولم يظهر عليها اي اثر لاعتداء جنسي. واستقدم دملر الى ضفة النهر وشهد على أن تلك الجثة لابنته جانيت، من غير أن يظهر عليه أي انفعال. وتلا ذلك استجواب طويل لم يفصح خلاله الأب عن أي شيء ايجابي.

الا أن رجال الشرطة تأكدوا من وسيلة القتل، وهي قذيفة بندقية من عيار ٠،٢٢ صوبت الى رأسها. وشرعوا يجمعون البنادق من هذا العيار من جميع البيوت التي تقوم على شعاع ثمانية كيلومترات دائرية

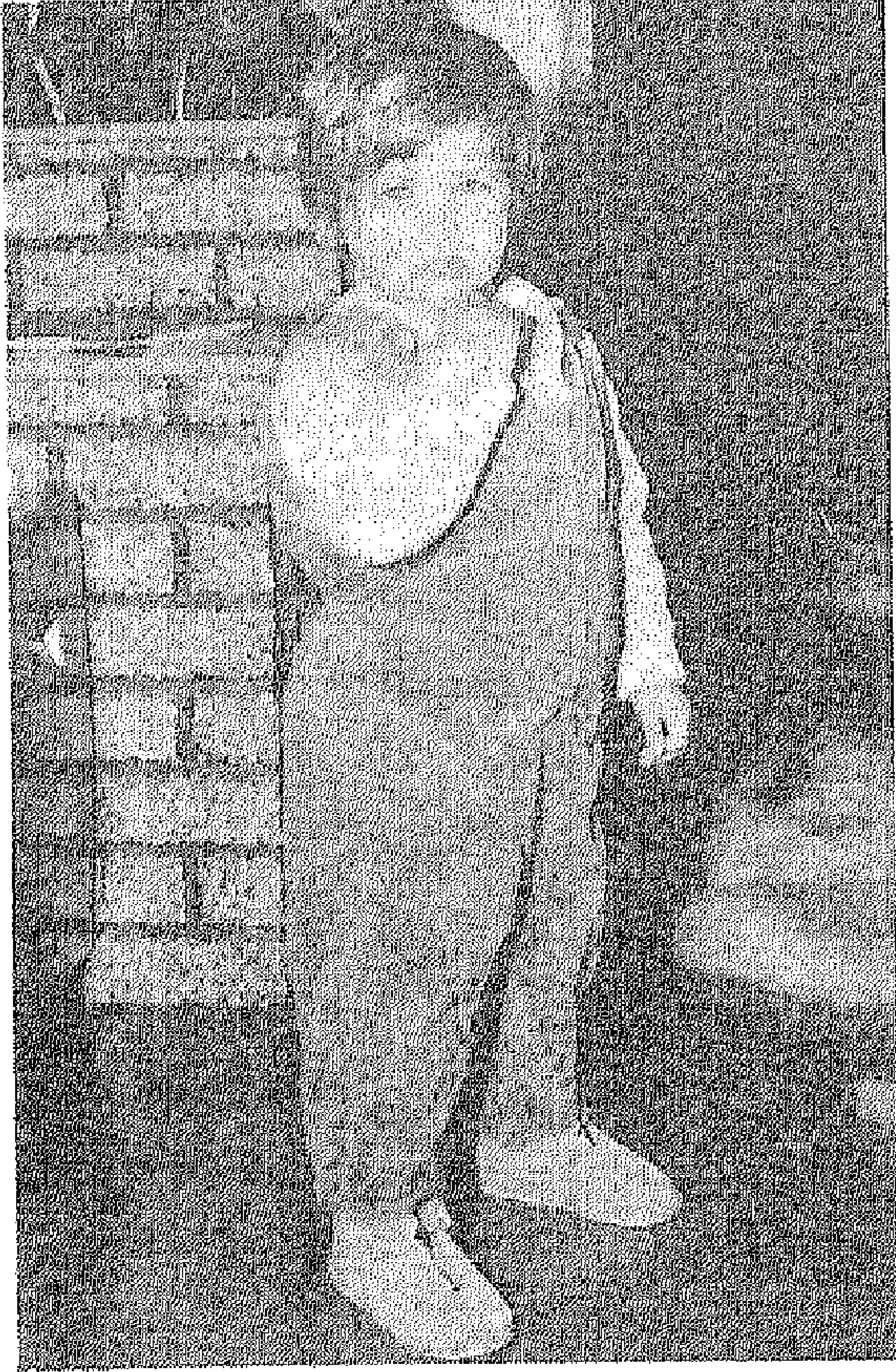


Photo from police evidence

الطفلة روشيل كرو بعد ايام من العثور عليها في البيت الملطخ بالدم.

من مزرعة آل كرو. وتجاوزوا تلك المسافة في بعض الاتجاهات فوصلوا الى منزل آرثر توماس الذي يملك بندقية من النوع نفسه. وأظهرت التحريات اختفاء بندقية من مزرعة المغدورين.

وفيما رجال الشرطة يفحصون البنادق المصادرة في اوكلاند، اعلن الربيع بشائره في بلدة بوكيكاوا. والواقع ان المزارعين المحليين الذين شغلهم الموسم الجديد استبعدوا ان يكون في الامر جريمة. لكن رجال الشرطة زادوا نشاطهم في مزرعة آل كرو. وأخذوا يزيلون العشب ويمشطون

المكان بحثاً عن كل غلاف قذيفة من عيار ٢٢، وبعد ذلك نخلوا التراب ولكن لم يحصلوا على شيء.

وهب الى نجدتهم غريم هيوسون الذي قطع مسافة ٥٦٠ كيلومتراً الى بوكيكاوا مع عم هارفي يوم انتشر خبر الاختفاء، وهو جاء بناء على طلب لينارد دملر للاعتناء بالمزرعة، وكان غريم من أصدقاء هارفي القدامى، وقد شاء أن يكتشف الجاني ويعاقب.

ولم تقل عنه حماسة دوائر الشرطة، ففي العام ١٩٧٠ ارتفع عدد جرائم القتل الغامضة في نيوزيلنده، وولد ذلك جواً ضاغطاً لدى رجال الشرطة.

وفي السابع من سبتمبر (أيلول) شعر آرثر توماس بذلك الضغط على كاهله هو أيضاً، فالبنادق الاربع والستون التي تم اختبارها استبعدت كلها ما عدا اثنتين، وكانت احداهما تخص عائلة آرثر التي تسكن على بعد كيلومترين من منزل آل كرو، وفي تلك العائلة شاب أصم يعاني تخلفاً في النطق، وهو ميكي البالغ الثامنة والعشرين والذي عمل يوماً في مزرعة آل كرو وعرف حدة الطبع التي تميز هارفي، وقد شوهد ميكي يطوف الطرق ليلا وفي يده أحياناً بندقية، ومن غرائب المصادفة أنه حفيد المزارع الذي اغتيل في بوكيكاوا عام ١٩٢٠.

أما مالك البندقية الاخرى فكان آرثر توماس، وتوجه محققان الى منزله وطلبا منه أن يرافقهما بضع دقائق، فوافق آرثر من غير تردد، وفي دائرة الشرطة وجه اليه الكلام الآتي: "يبدو أن بندقيتك، يا آرثر، قتلت آل كرو، فما جوابك؟"

وقال توماس على الفور: "طبقوا علي أي امتحان أردتم، وسترون أني لست الفاعل... أليست لديكم آلة لاكتشاف الكذب؟"

واستجوب توماس بعضاً من الوقت قبل أن يعيده المحققون الى منزله وهم يقولون: "كنا نختبر ردود فعلك،" وسألوه وهم يغادرون: "أتدري ما اذا كان لينارد دملر يملك بندقية؟"

وفي اليوم التالي أعيدت اليه بندقيته، مع قول أحد الرجال: "ليست هذه البندقية التي نبحث عنها."

القذائف ذات الرقم ٨

في تلك الاثناء كان لينارد دملر المتهم الرئيسي، الا أن غواصي الشرطة الذين كانوا يفتشون قاع النهر عثروا على جثة هارفي ضمن ملاءتها في ١٦ سبتمبر (أيلول)، ووجدوا تحت الجثة، ولكن بانفصال عنها، محور عجلة لسيارة "ناش" من العام ١٩٢٩.

وأصبح لدى الشرطة شظايا قذيفة من نوع تخطاه الزمن، لكنها كانت تحمل الرقم ٨، فضلا عن الاسلاك التي ربطت بها الجثتان، ولكن أيكون المحور الذي وجدوه أخيراً شاهداً بيناً؟

في ١٣ اكتوبر (تشرين الاول) قرع محقق باب آرثر توماس ليريه المحور مع رسم قديم غائم لقطيرة يظن أن تلك القطعة المعدنية تنتمي اليها، ولم يكن آرثر رأى المحور من قبل،



نهر وايكاتو يلفظ اشلاء هارفي كرو ملفوفة بملاءة، والمفتش هاتون يحمل محور سيارة انتشل من النهر.

غير أن القطيرة بدت كتلك التي كانت لوالده آلان توماس الذي يملك اليوم مزرعة على بعد ١٥٠ كيلومتراً شمالا والذي نقل ملكية مزرعته في بوكيكاوا الى ابنه آرثر قبل أربع سنوات. وطالما قصد هواة المركبات القديمة مزرعة آرثر طلباً لقطع الغيار، علماً ان الابن والاب يحبان العمل الآلي، وقد اشتهر الوالد بعدم رميه كل قديم توقعاً لقيام الحاجة اليه لاحقاً.

وسأل المحقق عن نماذج من الاسلاك المعدنية، فأجابه آرثر: "خذ ما شئت." وحين طلب قذائف من عيار ٢٢، مليمتراً أجابه: "اليك بها كلها." وذكر المحقق علبة تصفيف الشعر التي أهداها آرثر الى جانيت. فهز توماس كتفيه وقال: "انها ما زالت في ورقتها على حد علمي." ودون المحقق ذلك الجواب مركزاً على عبارة "على حد علمي" التي استخدمت لاحقاً ضد توماس.

أما آلان توماس فقال للشرطة ان قطعة من ذلك النوع كانت فعلا في سيارته التي تعود الى العام ١٩٢٩، لكنها ابدلت عام ١٩٦٥. وربما أبقيت القطعة القديمة لدى المهندس الذي أبدلها. ويعقل أن تكون وجدت

طريقها مرة اخرى الى المزرعة وأن تكون توابعها هناك.

وانطلق آرثر والمحقق يبحثان عن تلك التوابع واذ لم يجدا شيئاً ذهبا الى مستودع المزرعة. وأحضرت فيفيان توماس زوجة آرثر الشاي. ولم يعثر الرجلان على شيء.

وفي مزرعة آل كرو، على بعد ١٥ كيلومتراً جنوباً، أخذ رجال الشرطة يعجون من جديد. وكان المسؤول الاول عن عملية التحقيق منذ البداية المفتش الصارم بروس هاتون (٤١ سنة) الذي سبق أن كشف عن ثلاثين جريمة قتل. وقد اشتهر هاتون لاقدامه وطموحه والترقيات السريعة التي حصل عليها. وطبيعي ألا تكنّ عصابات الاجرام في اوكلاند أي حب له.

وها قد انقضت أربعة أشهر على دخول المحقق المذكور منزل آل كرو من غير أن يثبت اتهامه ضد أحد. ولا بد من أن يكون رجاله، في سعيهم الى الشواهد، قارنوا جريمة اليوم بجريمة ١٩٢٠. وقد قتل سيدني آر آنذاك باطلاق النار عليه من خلال نافذة. فلماذا لا يكون امر مماثل حصل اليوم؟ وهكذا وضع رجال الشرطة هذه الفرضية: لقد قتل هارفي كرو، وهو لا يدري، عبر نافذة في المطبخ. وبعد ذلك ضربت جانيت بعنف وقتلت هي الاخرى.

في جريمة ١٩٢٠ كان الدافع الى القتل هو الغيرة. وأخذ رجال الشرطة يقنعون أنفسهم بأنْ الدافع الى الجريمة الجديدة هو الغيرة أيضاً. وقد عاشرت جانيت قبل زواجها عدداً قليلا من الفتيان. وها هو آرثر توماس الذي كان يسعى الى ودها وان صدته.

وفي ٢٠ اكتوبر (تشرين الاول) عاد المحققون الى مزرعة توماس طلباً للمزيد من الاسلاك، واخذوا البندقية مرة اخرى من غير تعليل. وراحوا، بينما فيفيان تدير عليهم المرطبات، ينقبون مستودع المزرعة من جديد تحت حر الربيع. وفتشوا المكان دونما جدوى. وساعدهم آرثر في قلب الركام بمجرفة معدنية مسننة يستخدمها لتنظيف المجاري. واذ لم يعثر على ما طلبوه استأذنهم قائلا: "دعوني أستأنف حلب الابقار".

وبعد قليل أعلن رجال الشرطة أنهم وجدوا ما يبحثون عنه، وهو قطعتان معدنيتان تطابقان تلك التي عثر عليها في قاع النهر. ولم تؤخذ صورة في حينه لتينك القطعتين، ولا أعلم آرثر وزوجته بالامر.

وفي اليوم التالي عاد رجال الشرطة أفواجاً وفي حوزتهم أمر بالتفتيش. ونقبوا منزل آل توماس بدقة وحملوا معهم قطعاً من الحديد ودفتراً وحزمة رسائل تلقاها آرثر من صديقاته القدامى قبل زواجه. ومما عثروا عليه في المرآب قذيفة بندقية من عيار ٢٢، غير مطلقة. ولدى فتح القذيفة وجدت في قاعدتها العلامة ٨. وهي القذيفة الوحيدة من نوعها التي وجدت في المزرعة.

"أنت في مأزق"

مساء السبت ٢٤ اكتوبر (تشرين الاول) ذهب آرثر توماس وزوجته فيفيان الى سهرة راقصة لمناسبة

ختام الموسم الرياضي وعادا متأخرين. وفي الصباح التالي نهضا باكراً لحلب الأبقار. وإذ ذاك قدم رجال الشرطة وأخذوهما الى دائرة للشرطة بالقرب من اوكلاند حيث أخضعا لاستجواب مطول، كل منهما على حدة. وتم استجواب آرثر على يد المفتش بروس هاتون ودام خمس ساعات.

سأله هاتون: "ألم تخرج في السيارة مساء السابع عشر من يونيو (حزيران)؟"

- كلا. وفي إمكانك التأكد مما أقول من طريق طرح السؤال نفسه على ابن عمي بيتر الذي يعيش معنا. فهو كان في المنزل تلك الليلة.

وعرضت على توماس بندقيته والاسلاك والقطع المعدنية، وقيل له انها كلها وجدت في مزرعته. وبعد ذلك وضعت أمامه عدة تصفيف الشعر.

وإذ ذاك قال المزراع الصريح لمستجوبه: "أجل، هذا يذكرني بشيء حملته إليك." وسحب من جيبه رسالة كتبتها اليه جانيت من لندن، ولم يكن رجال هاتون وجدوها في منزل توماس. وتناولها هاتون مندهشاً وهو يقول لنفسه ان احتفاظ آرثر بالرسالة تسع سنوات لم يكن عبثاً.

وراح المحقق يتحدث مع توماس عن الضائقة المادية التي عاناها صغار المزارعين تلك السنة. وسأل توماس عن زواجه، فقال انه سعيد وراض. وطرح عليه أسئلة حول جانيت وثروتها، مستأنفاً أسئلته عن أمسية السابع عشر من يونيو (حزيران). ومرة اخرى قال توماس انه لبث في مزرعته يعالج بقرة مريضة وضعت عجلا، علماً أنه كان لا بد من قتلها بالرصاص بعد خمسة أيام. وأمضى السهرة برفقة زوجته وابن عمه الصغير.

وأحس آرثر وهو يغادر مركز الشرطة أن لدى هاتون قناعة باقترافه الجريمة. ولكن ما أن عاد وزوجته الى مزرعتهما حتى طمأنها قائلا: "من الواضح أن جريمة وقعت، لا بل جريمتان. والواضح أيضاً أن رجال الشرطة يؤدون واجبهم كما ينبغي."

وأمضى رجال الشرطة نهاية ذلك الاسبوع في زيارة جيران آل توماس لسؤالهم عما إذا رأوا آرثر ليلة السابع عشر من يونيو (حزيران). وهذا يعني أن المزارع الشاب بات أحد المتهمين بالجريمة وذلك أزعج بريان موراي وهو جندي سابق انتقل الى العمل في البلدية. وقد عرف آرثر منذ صغره فتى متهللا مهذباً، وهو الولد الثاني في عائلة من تسعة أولاد. ولم يكن آل توماس بالعائلة الغنية، لكنهم حازوا احترام جميع عارفيهم. وكان آرثر شاباً نشطاً مقداماً يمكن اعتماده، وهو يتمتع بحس لاذع من المرح. كما كان محبوباً في المناسبات الاجتماعية، حيث لا يتورع عن حمل الغيتار والغناء. وعرف عنه تعلقه بزوجته البريطانية فيفيان... لذلك كله لم يصدق موراي أن آرثر يرقى إليه الشك في جريمة كتلك.

وزار آرثر وفيفيان ذلك المساء ووجدهما أمام شاشة التلفزيون، وقد غفت قطتا فيفيان السياميتان على الارض بالقرب منها. وبادر موراي

صديقه بصراحة: "أنت في مأزق، ولا يستبعد أن تلصق بك الشرطة تلك التهمة. وهذا يعني أنك تحتاج الى محام."

وأجاب آرثر: "تلك مضيعة للوقت والمال. والواقع أن المفتش هاتون تولى الأمر. وعلى رغم ان القطع المعدنية التي عثر عليها قد تكون من مزرعتي، فذلك لا يعني علاقتي بالأمر."

لكن موراي رفض مبارحة المكان قبل أن يعده آرثر وزوجته بأنهما سيوكلان الأمر الى محام.

ودخل محققان مزرعة آل كرو صبيحة السابع والعشرين من اكتوبر (تشرين الأول) وشرعا يفتشان حوض زهر في المزرعة. وقالا ان جميع الأحواض نقبت بدقة في ما مضى إلا هذا الحوض. وهو كان على بعد خمسة أمتار فقط من النافذة التي ظن أن طلقة البندقية صرعت هارفي عبرها.

وجاءت نتيجة البحث إيجابية حين وجد الرجال على عمق ١٥ سنتيمتراً غلاف قذيفة من عيار ٠٫٢٢ بعد نخل التراب بأيديهم. وكان تراب الحوض رطباً. لكن أحد المحققين قال لاحقاً ان التراب داخل الغلاف كان جافاً. وفي ٢٤ ساعة أصدر المحققون قرارهم الظني القائل بأن الرصاصة القاتلة أُطلقت من بندقية آرثر توماس التي صادرها رجال الشرطة قبل اسبوع.

وبذلك تكون نقاط الشبه اكتملت مع جريمة ١٩٢٠ التي جاء دليلها القاطع من غلاف قذيفة.

وفي ٣٠ اكتوبر (تشرين الاول) وقفت فيفيان توماس في صف طويل من النساء لتثبيت علاقتها بالمرأة الغامضة التي اعتنت بالطفلة بعد الجريمة. ولم يستطع بروس روديك ربط فيفيان أو أي امرأة اخرى بتلك التي رآها خارج منزل آل كرو.

وكان ذلك الحادث حافزاً لآل توماس على توكيل محام. ووقع اختيارهما على أحد كبار محامي اوكلاند وهو بول تيم الذي وصل اليوم التالي للبحث في المسألة مع آرثر توماس ووالده آلان. وتبين للرجال الثلاثة أن استجواب آرثر أمر هامشي وان التهمة بعيدة عنه كثيراً.

وإذ راح الوالد وابنه يذرعان المزرعة في وقت لاحق من اليوم نفسه، نظر آلان الى رؤوس الماشية القوية وهنأ ابنه على براعته في ادارة شؤون المزرعة. الحياة اذاً تتجاوز رجال الشرطة وملاحقاتهم.

"ما الذي دهاك؟"

الايام العشرة الاولى من نوفمبر (تشرين الثاني) كانت فاتحة صيف حار باكر. وإذ توقفت زيارات رجال الشرطة أعلن آرثر أمام أحد جيرانه: "انهم الى جانبي الآن." واستأنفت فيفيان حياتها الطبيعية. وكانت كلما خابرت جارتها القريبة مارغريت سميث حدثتها عن الطبخ وشؤون المزرعة اليومية والعناية بالحديقة.

وفي ٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ذهب آرثر وفيفيان الى اوكلاند لحضور مهرجان للموسيقى المحلية والغربية. وكان معهما الصديقان دوغ فيزي وزوجته روز من العاصمة.

وأمضى الأربعة سهرة جميلة راح آل توماس في ختامها يحيطان آل فيزي علماً بآخر ما استجد بالنسبة الى قضية بوكيكاوا، بما في ذلك الاستجوابات التي أخضعتهما الشرطة لها. وتذكر دوغ فيزي لاحقاً تلك الأمسية بقوله: "إذا كان آرثر هو حقاً صاحب تلك الجريمة المزدوجة الذي ينتظر إلقاء القبض عليه عاجلا أم آجلا، فلا بد من أنه يضع الممثل الكبير السيد لورنس اوليفييه في جيبه."

وكان أن قصد المفتش هاتون مزرعة آل توماس في الحادي عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) وهو يوم حار وعاصف. وكانت فيفيان على وشك أن تأخذ قطاً لها الى طبيب بيطري ولما سئلت عن آرثر قالت انه "في الحديقة الخلفية يمد أنابيب ماء." وانطلقت في سيارتها من غير أن ينتابها أي قلق.

وبعد قليل كان آرثر نفسه، وهو غير قلق أيضاً، في طريقه الى اوكلاند بعدما طلب منه الذهاب مرة اخرى الى دائرة الشرطة. ولوح بيده للجيران فيما السيارة تغادر. ولكن ما أن وصل الى هناك حتى تبدلت الامور، إذ وقف يصغي الى قرار اتهامه بقتل هارفي وجانيت كرو.

وقال للمفتش هاتون: "إني بريء. وسوف تتحقق من هذا الأمر."

وفي تلك الاثناء سمعت مارغريت سميث جارة آل توماس من صاحب حانوت محلي أن رجلا قبض عليه بتهمة قتل آل كرو. فخابرت فيفيان وقالت لها: "يمكنك أن تستريحي الآن... لقد قبض على المتهم."

وأجابت فيفيان وهي مصعوقة: "أجل، أعرف ذلك لقد أوقفوا آرثر!"

وفي تلك الليلة لم تعرف الجارة طعم النوم. ودونت الآتي في مفكرتها: "إنه يوم مروع. والحق أني لا أصدق ما حصل." إلا أن أياماً مروعة اخرى كانت على الطريق وحملت الكثيرين على نسيان محنة آل كرو نفسها.

أما المزارع الشاب فقد احتجز في سجن ماونت إيدن في اوكلاند، وهو قلعة بنيت في أواسط القرن التاسع عشر لتلك الغاية ولم يمكنه أن يرى شيئاً من غرفته المعزولة. ولكن سمح له باستقبال الزوار. وبادره أخوه راي لدى دخوله: "أحقاً انك اقترفت ذلك العمل؟"

وأجاب آرثر: "لو كان ذلك حدث حقاً، لتوقعت أن أبيت هنا." ونظر الى زوجته وسألها عن المزرعة وعما إذا كانت امورها تجري كما يرام. وظهر عليه الأرق والشحوب، ودمعت عيناه. وسأله أبوه: "أتتذكر ما كنت تفعل في ١٧ يونيو (حزيران)؟" وغادر الوالد السجن أبيض الوجه وهو لا يفقه حقيقة الامر، وإن يكن واثقاً من أن ثمة خطأ فادحاً ارتكبه رجال الشرطة، وانهم لا بد مكتشفون خطأهم قريباً.

أما دوغ فيزي الذي سهر وزوجته مع آل توماس قبل أيام فكان يؤمن بعصمة الشرطة، خصوصاً بعد استجواب دام خمسة أشهر. وسأل آرثر: "قل لي ما دهاك يا آرثر، وما الذي دفعك على تلك الفعلة؟"

الا ان فيزي غادر السجن مقتنعاً ببراءة صديقه ومصعوقاً الى اقصى الحدود، وهو يتأسف في السريرة والعلن للوضع السيىء الذي آل اليه المجتمع.

ولم ينقطع الجيران عن استجواب فيفيان وبيتر توماس، ابن عم آرثر، عما حدث تلك الليلة. ووقف الاثنان موقفاً صلباً بتأكيدهما ان آرثر لم يبارح المنزل تلك الليلة.



توماس في حفلة قبل وقوع الجريمة بسنوات.

هذا كله أبقي بعيداً عن بول تيم، كذلك لم يعلمه رجال الشرطة بأن آرثر احتفظ برسائل الفتيات اللواتي عرفهن قبل الزواج، بما في ذلك رسالة جانيت. وكانت الشرطة صادرت تلك الرسائل.

وهكذا عندما باشرت المحكمة البدائية جلساتها في منتصف ديسمبر (كانون الاول) للاستماع الى الشهادات ضد آرثر توماس، وجد

وفي تلك الاثناء واجه المحامي بول تيم عراقيل كثيرة. ذلك بان دائرة الشرطة حجبت عنه إضباراتها التي تعطيها عادة لمحامي الدفاع للاطلاع عليها. وفي حين حجب رجال الشرطة الحقائق، فقد أعطوا محامي الدفاع معلومات خاطئة. ولم يعرف تيم إلا بعد سنوات أن أحد جيران آل كرو اعترف بأنه سمع ثلاث طلقات نارية ليلة السابع عشر من يونيو (حزيران)، أو انه شاهد الدخان يتصاعد من مدخنة المنزل قرابة السابعة والنصف من مساء ١٩ يونيو (حزيران) بعد يومين من المقتلة. وربما كان في ذلك دليل على أن أحداً تولى إحراق اثباتات الجريمة. وفي ذلك الحين كان آرثر وفيفيان في الطريق لحضور حفلة على مسافة بعيدة.

محامي الدفاع نفسه مضطراً الى استجداء الوثائق للحصول على أبسط المعلومات. وأنكر أحد كبار مصوري الشرطة التقاط أي صورة لبقع الدم في سيارة لينارد دملر. ومنعت ادارة الشرطة المحامي تيم من رؤية الجثتين، كما حجبت عنه القائمة التي دون فيها ما تم استخراجه من النهر. والواقع أن تيم لم يشاهد تلك الاشياء قبل شهر فبراير (شباط) لدى رفع الدعوى الى المحكمة العليا.

وقوي الاتهام عندما أعلنت شاهدة عيان انها رأت آرثر توماس في حفلات راقصة في بوكيكاوا عامي ١٩٥٦ و١٩٥٧ وهو في ثياب متسخة،من غير أن يكف عن ملاحقة جانيت وإظهار "عاطفته" أمامها علناً. وقصدت الشاهدة بكلامها ذلك

ان "عاطفة" الفتى ذي الثماني عشرة سنة استحوذت عليه وقادته الى اقتراف جريمته النكراء بعد ١٤ سنة.

وفي فترة استراحة قصيرة وجه آرثر الى شقيقه راي السؤال الآتي: "هل فرغت من مد مواسير الماء في حديقتي الخلفية؟ وماذا تخبرني عن المزرعة؟"

ولما جاء دور لينارد دملر للادلاء بشهادته تفوه بكلام غريب. فبعد قوله مراراً انه كان في مزرعة آل كرو يوم الاربعاء في ١٧ يونيو (حزيران)، عاد لليصحح التاريخ بحيث بات السادس عشر. وحول تعرفه على جثة صهره قال: "الواقع أني لم أعرفه من ملابسه، بل من حذائه المطاط الطويل."

وتجدر الاشارة الى أن جثة هارفي كرو أخرجت من غير حذاء، بل بقي في قدميه جوربان.

والغريب في الامر ان تلك التناقضات لم تعنِ شيئاً لرجال الشرطة وهيئة المحكمة. الا أن غلاف القذيفة بدا برهاناً قاطعاً لالصاق التهمة بالمزارع الشاب.

أيعقل إذاً أن يكون غلاف القذيفة أقحم في حوض الزهر الذي استخرج منه؟

في جوابه عن هذا السؤال قال المحقق مايكل تشارلز إن الفكرة لم تطرأ على ذهنه لدى عثوره على الغلاف. غير أنها طرأت لاحقاً.

وبعد هذه الشهادة بدا كل شيء ثانوياً. وهي كانت كافية لاحالة آرثر توماس على المحاكمة.

وصادف خلال انعقاد المحكمة البدائية أن جورج ماغواير رئيس بلدية تواكاو، وهي بلدة صغيرة على ضفة النهر المقابلة لبلدة بوكيكاوا، زار محل صائغ برفقة زوجته ايلا في قرية بوكيكوهي القريبة. وراح الثلاثة يتحدثون حول الجريمة. وكان على طاولة الصائغ مجلة محلية مصورة نشرت رسم آرثر وفيفيان توماس في الحفلة الراقصة مساء ٢٤ اكتوبر (تشرين الاول). وطرح الزوجان، فضولاً، السؤال الآتي على صاحب المحل: "اتعرف آرثر توماس؟" فأجاب الصائغ: "كلا، لم أبصره البتة." ولكن لم يمضِ وقت طويل حتى قصد ذلك الرجل دائرة الشرطة وأدلى بشهادة مناقضة لما قاله لرئيس البلدية وزوجته.

المحاكمة

بدأت محاكمة آرثر توماس في محكمة اوكلاند العليا يوم الخامس عشر من فبراير (شباط) ١٩٧١ الشديد الحرارة والرطوبة. وتجمع أهالي بوكيكاوا من جديد في قاعة المحكمة. إلا أن انقساماً بيناً ظهر في صفوفهم هذه المرة. فالمزارعون الذين يقطنون جنوب التلة حيث يعيش آل كرو ودملر وآر نزعوا الى تصديق الاتهام. أما الذين يقطنون الشمال والذين يعرفون آرثر توماس فلم يراودهم شك في براءته. وتعجبوا كثيراً لدى ملاحظتهم أن القاضي في الأيام الرطبة اللاحقة أخذ يميل الى جانب الاتهام.

ولكن ما الدليل ضد آرثر؟

أين بقع الدم؟ أين بصمات

الأصابع؟ أين خصل الشعر ـ شعره هو أو شعر الهررة التي تربيها فيفيان؟ أضف الى ذلك أن أحداً لم يشاهده أو يسمع صوته خارجاً ليلة الجريمة، علماً أن لسيارته أعظم هدير في الجيرة وان محركها يوقظ النائمين أينما مرت. وفي تلك الليلة كان العديد من أهل القرية عائدين من لقاء في دار البلدية.

إلا أن البندقية كانت هناك، وهي خير دليل. لكن حقيقة الأمر أن بنادق اخرى في الجيرة كان ممكناً كذلك أن تطلق القذائف القاتلة أن أكمل التفتيش. وهناك أيضاً الاسلاك التي لفت بها الجثتان والتي تحاكي تلك التي وجدت في مزرعة آرثر وإن لم تطابقها تماماً. كما وجدت القطعة المعدنية من القطيرة وهي، أو ما يشابهها، كانت يوماً متصلة بقطيرة والد آرثر وإن اختفى أثرها منذ ١٩٦٥. لكن تلك القطعة لم تكن متصلة بجثة هارفي، بل وجدت تحتها في قاع النهر.

ولكن أين هي الشواهد التي لا تُرد" في هذا كله؟ نعم، هناك غلاف القذيفة الذي يطابق بندقية آرثر، بغض النظر عن احتوائها التراب الجاف وامتناع الصدأ عنها بعد انقضاء أشهر على الحادث. لكنها كانت هناك، وهي وجدت في مزرعة آل كرو.

ولكن ما الدافع الى الجريمة؟

الحسد. انه الحسد على البحبوحة المادية. وهناك أيضاً "عاطفة" آرثر نحو جانيت، كما جاء في شهادة تلك المرأة المبنية على ملاحظة تعود الى العام ١٩٥٧ أو ١٩٥٦. ولم تعر هيئة المحكمة اهتماماً شهادات الكثيرين الذين قالوا ان آرثر لم يرتد الحفلات الراقصة آنذاك لجهله الرقص، ولا لشهادات عارفي جانيت الذين قالوا انهم يجهلون كل شيء عن تلك "العاطفة". وأقر آرثر نفسه بأنه حاول خطب ود جانيت عام ١٩٦٢، وقدم اليها هدية أو اثنتين، كما احتفظ برسالة كتبتها إليه من لندن.

أما عدة تصفيف الشعر التي أهداها يوماً الى جانيت، فقد اعترف آرثر نفسه أمام أحد المحققين بأنها "لا تزال في ورقتها على حد علمي." فكيف علم ذلك لو لم يلمحها في منزلها ليلة اقتحمه، بعد قتل زوجها، ليضربها ثم يقتلها؟

وتابع محامي الاتهام قوله ان عاملين سيطرا على آرثر قبل الجريمة: عاطفته تجاه جانيت وعدم ازدهار عمله. وأقنع نفسه بأنه لو تزوج جانيت لكان في مكان هارفي، مزارعاً غنياً. وذلك حداه على التخلص منهما معاً وطرح جثتيهما في النهر.

ولكن من ذا الذي أطعم الطفلة؟

لا شك في ان فيفيان توماس تولت ذلك، وهي المرأة الحانية و"المخلصة لزوجها والقوية الارادة"، وقد شاءت تخفيف حدة المأساة. ولم تعر هيئة المحكمة اهتماماً كون العامل الزراعي الذي قال انه شاهد امرأة خارج المنزل لم يتعرف على فيفيان توماس حين رآها لاحقاً.

وتمت محاكمة غير رسمية داخل المحاكمة. فقد وجه الدفاع سؤاله الى لينارد دملر حول أوضاعه المالية

وعلاقته مع ابنته وزوجها. وأقر دملر بأن أصابع الشك وجهت إليه بادىء الأمر. وسئل عن مصير البندقية التي كان يملكها، وهي من عيار ٢٢،٠، وعن ذخيرتها، فلم يستطع جواباً. وقال انه لا يعرف شيئاً عن قطعة سلاح فقدت من منزل آل كرو. كما قال انه اعتاد زيارة ابنته دورياً، لكنه لم يذهب البتة الى منزلها بين ١٧و٢٢ يونيو (حزيران).

وبرز شاهد غير متوقع في قاعة المحكمة وهو الصائغ وليم ايغلتون. قال ان رجلا في قميص داخلي أسود دخل محله في بوكيكوهي بعد اسبوع من حدوث الجريمة، وفي يده ساعة ذهب مغطاة بالدم واللعاب، شاء بيعها. وأضاف الصائغ أنه تعرف على الرجل نفسه في صورة شاهدها لاحقاً في مجلة، وان الرجل ما هو إلا آرثر توماس (★). والواقع أن أحداً لم يشاهد ساعة من ذلك القبيل في حوزة آرثر توماس أو هارفي كرو. وعلى رغم أن الصائغ لم يحتفظ بأوراق تثبت عملية شرائه الساعة، إلا أن شهادته هزت المحكمة.

كما ان الشهادة عينها هزت رئيس بلدية تواكاو وزوجته اللذين توجها الى اوكلاند وطلبا مقابلة المفتش بروس هاتون في أحد مكاتب المحكمة. وهناك قالا له: "إن شهادة الصائغ لا يمكن أن تقوم لها قائمة. فهو أخبرنا في ديسمبر (كانون الأول) أنه لم يشاهد آرثر توماس في حياته قط."

وكان جواب هاتون على حد قول جورج ماغواير وزوجته ايلا: "هذا أمر لا يهمني." إلا أن المفتش ينكر أن يكون أجاب هكذا.

وما كان من رئيس البلدية وزوجته إلا أن غادرا المكتب هلعين لما يحدث.

وارتقى آرثر وفيفيان توماس منصة الشهود يصفا ما فعلاه في السابع عشر من يونيو (حزيران). فقد باشرا النهار بزيارة عيادة طبيب الأسنان، ثم أسرعا عائدين للاعتناء ببقرة مريضة. وتناولا العشاء مع بيتر ابن عم آرثر. ثم سهرا أمام التلفزيون قبل أن يأويا الى السرير. وجاءت شهادات الجيران لتؤكد رواية البقرة المريضة، كذلك عدم سماع سيارة آرثر تهدر على الطريق تلك الليلة.

ووقف وكيل الاتهام من غير أي دليل ثابت يتلو قراره الأخير أمام لجنة المحلفين: "هذا غلاف القذيفة التي صرعت هارفي كرو. وهذه هي البندقية التي أطلقت منها القذيفة."

أما وكيل الدفاع فطرح إمكان الجريمة الانتحارية، مما يعني أن هارفي قتل زوجته ثم أطلق النار على نفسه، وان شخصاً ثالثاً رمى الجثتين لحماية الطفلة روشيل، ثم أطعمها واعتنى بها. وأشار بول تيم الى الوضع الزوجي الغريب الذي عاشه آل كرو والى أن الخلافات المالية من شأنها أن تؤدي الى أسوأ العواقب، مستغرباً ألا يكون غلاف القذيفة ظهر

(★) في ١٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٧١، بعد ستة اشهر من وقوع الجريمة وقبل شهر من المحاكمة، اصلح ايغلتون ساعة ذهبية لرجل يدعى جون فيشر، وكانت الساعة ملوثة بالدم واللعاب، فقد كان فيشر جزاراً، واعاد ايغلتون الساعة الى صاحبها.

إلا بعد أربعة أشهر من بدء التفتيش.
لكن ذلك كله لم يبدل قرار القاضي. وهكذا وقف آرثر توماس في قفص الاتهام، في الثاني من مارس (آذار)، يستمع الى قرار المحكمة الأخير وقد أصابه الدوار وجف حلقه بعد إلصاق الجريمة به وصدور حكم بسجنه مدى الحياة.

الضغط الشعبي

اقتناعاً منهم ببراءة المتهم لم يستطع الأصدقاء والجيران من آل موراي وسميث وفيزي وباين الوقوف مكتوفين. واولئك جماعة لم تشترك في أي تظاهرة قبل ذلك الحين أو تشك في نية السلطة وقدرتها. غير أنهم استهلوا حملة لجمع التواقيع ضد القرار ولتجميع شواهد من شأنها إثبات براءة آرثر، على رغم ما ينطوي عليه ذلك من تعريض أنفسهم للملاحقة ووضع سمعة أولادهم موضع الشك. إلا أنهم استطاعوا تأليب مئات المواطنين النيوزيلنديين، وفي ما بعد الآلاف، من مزارعين وعمال وأصحاب حوانيت وحتى من رجال شرطة متقاعدين للتظاهر معهم. وبعد أسابيع ملأت عرائض الاحتجاج الشوارع.

وأخفقت محاولتهم في دعوة المحكمة العليا الى الالتئام من جديد، لكنهم ما لبثوا أن جمعوا ٤٢ ألف توقيع على عريضة تطالب بإعادة المحاكمة. وفي سجن باريموريمو، حيث كان توماس يمضي فترة عقوبته، وقع ١٥٠ سجيناً عريضة تقول ان ذلك الرجل لا مكان له بينهم.

وعلق أحد الكتاب الصحافيين بالآتي: "صحيح أن محاكمة آرثر توماس انتهت، لكنها خلفت محاكمة جديدة، المتهم فيها هو النظام."

وكان غريم هيوسون الذي اعتنى بمزرعة آل كرو منذ حصول الجريمة من المؤمنين بالنظام، وحتى من القائلين بأن المجرم يستحق الشنق فوراً عوضاً عن السجن المؤبد. لكنه ما لبث أن شاهد كتيباً يتحدث بانفعال عن الجريمة ويحوي رسماً أزعج هيوسون كثيراً، وهو يظهر الحوض الذي وجد فيه غلاف القذيفة في ٢٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٠.

وتذكر هيوسون أنه ساعد رجال الشرطة في نقب ذلك الحوض نفسه ونخل ترابه في شهر اغسطس (آب) فور العثور على جثة جانيت. إلا أن شيئاً لم يظهر آنذاك. وحداه ضميره على الاتصال باولئك الذين يدافعون عن آرثر توماس.

وطلب النائب مارتن فينلي، وهو محام، أن يرى وثائق المحاكمة كاملة، إذ لم يستطع تصديق نظرية الشرطة القائلة بأن هارفي كرو قتل عبر النافذة. فالمنطق يشير الى أن إطلاق النار حصل داخل المنزل. وهو لم يعرف تفسيراً البتة لظهور غلاف القذيفة في ذلك الحوض على بعد خمسة أمتار من النافذة.

ووجدت فيفيان توماس صعوبة في قيادة الحملة الشعبية وتعريض نفسها للأضواء، وهي السكرتيرة البريطانية الخجولة التي هاجرت الى نيوزيلندة وتزوجت مزارعاً جيد الطبع لم تلبث أن وجدته متهماً بارتكاب جريمة.

وبات لزاماً عليها أن تتعلم الكلام في لقاءات عمومية وتجيب عن أسئلة المراسلين الصحافيين المبطنة وتظهر أمام عدسة التلفزيون، فضلا عن تلقيها مخابرات هاتفية تقول: "يجب أن تسجني أنت أيضاً أيتها..." أضف الى هذا كله مسؤوليتها عن المزرعة، بمعاونة عائلة آرثر طبعاً.

وبذلت فيفيان جهدها لابقاء جذوة الأمل في نفس زوجها. وهو لم يفقد اهتمامه بالمزرعة. وكان يتألم كلما سمع أن الأبقار شردت ويصرخ في وجه زوجته. وإذ باتت على شفير الانهيار ولم يبقَ العلاج الطبي مجدياً في حالها، نصحت بنسيان شؤون المزرعة كلياً. وفي مايو (أيار) ١٩٧٢ سافرت في رحلة قصيرة الى بريطانيا.

وفي تلك الاثناء أدلى بعضهم بشهادات خطية ممهورة بإمضاءاتهم. ومن اولئك غريم هيوسون وجورج وإيلا ماغواير. كما أرسل تقرير من خبراء وزارة الداخلية البريطانية يقول انهم لم يستطيعوا تثبيت علاقة بندقية آرثر توماس بالجريمة، وان في حوزة الوزارة ١٥ بندقية من عيار ٠،٢٢ يمكن وضع الشك في أي منها. وعلى رغم قوة تلك الشهادات لم تتورع محكمة الاستئناف النيوزيلندية عن رفض مبدأ إعادة المحاكمة غير آبهة بالتظاهرات الشعبية.

والواقع أن إعادة المحاكمة تعني تعريض سمعة اولئك الذين أصدروا الاتهام للخطر، كذلك سمعة النظام السياسي برمته. لذلك وجد اولو الأمر أن تجريم آرثر توماس يجب تثبيته بأي ثمن.

شهادات جديدة

عين موعد بدء المحاكمة الجديدة في السابع والعشرين من مارس (آذار) ١٩٧٣. وفي حين ان مراجعة قائمة المحلفين عملية اعتيادية، إلا أن دائرة الشرطة أولتها عناية استثنائية قبل أسابيع ثلاثة من موعد الجلسة. وزار المحققون جميع أعضاء الهيئة متطرقين الى قضية آرثر توماس.

من جهة اخرى لم يحصل جانب الدفاع على تلك القائمة إلا قبل يوم واحد من موعد الجلسة. والقانون لا يجيز الطعن إلا في ستة أسماء من أصل تسعين اسماً. أما جانب الاتهام فقد أتيح له رفض أي اسم أبدى صاحبه تعاطفاً مع قضية توماس. وكانت النتيجة هيئة محلفين من اختيار الشرطة، في محاكمة وضعت فيها سمعة الشرطة نفسها موضع اتهام. وهذا يعني كسب الدعوى سلفاً.

وجعل المفتش بروس هاتون مقراً له خارج مبنى المحكمة لكي يتسنى له الاشراف على كل شاردة وواردة. ووضع رجاله على اهبة الاستعداد للذهاب الى موقع الجريمة وكل ما يمت إليها بصلة من أجل الحصول على دلائل جديدة قد تدعو الحاجة إليها. أما آرثر توماس فلم يكن من يعمل له سوى المحاميين الأخوين كيفين وجيرالد ريان. وهما أعلنا لاحقاً أن خط الهاتف في مكتبهما عطل وأن

محادثاتهما الخاصة وقعت كلها في أيدي المحققين في ذلك المركز الذي أقاموه خارج المحكمة۰

وأظهر قرار الاتهام تعديلا بيناً، اذ أنكر أن شخصاً غامضاً اطعم الطفلة روشيل۰ وقد احتفظ المحققون بتقرير من طبيب أطفال يؤكد انها أطعمت من غير أن يذكروا ذلك التقرير أمام محاميي الدفاع۰ وغاية ذلك التحول واضحة، وهي تجنب الامور التي لا يمكن برهانها، ومنها أن فيفيان توماس اعتنت بالطفلة۰

ولم يكف شهود الاتهام عن تبديل شهاداتهم۰ فها هو لينارد دملر يدعي أنه مد يد العون "مرتين أو ثلاثاً" للتفتيش عن الجثتين۰ وذلك مناقض حتى للشواهد التي يملكها رجال الشرطة۰ كما أنكر دملر أنه تقاضى أي مبلغ من المال في مقابل نقل نصف ملكية مزرعته الى اسم زوجته عام ۱۹٦٤۰ الا أن حجة النقل القانونية ما زالت موجودة، وهي تشهد على المبلغ الذي تسلمه دملر وهو ٩٥٤٠ دولاراً۰

وها هو أيضاً يقف في منصة الشهود ليقول ان ابنته جانيت قصدت عام ۱۹٦۳ مدينة وانغانوي التي تبعد ٥٢٥ كيلومتراً جنوباً للعيش فيها هرباً



الامساك بعم توماس لتمديته وسط موجة الاستياء والغضب التي عمت الجمهور بعد اعادة تجريم توماس۰

من ملاحقات آرثر توماس. ولكن لماذا لم يتذكر دملر هذه الحقيقة المهمة في محاكمة ١٩٧١؟ السبب، كما قال، انه لم يفكر فيها.

والواقع أن ذلك الاعتراف، وان ناقض ما قيل سابقاً، كان له وزنه آتياً من والد الضحية.

واتضح هذه المرة أن أحد ضباط الشرطة أخبر آرثر توماس في ١٢ اغسطس (آب) ١٩٧٠ أن هديته الى جانيت ما زالت ضمن غلافها. واذ ذاك بدت ملاحظة توماس أمام ضابط آخر وفي وقت لاحق غير ذات خطر، وهي اقراره بأنه يعرف أن الهدية ما زالت في غلافها. فهو يعرف ذلك لأن أحدهم أخبره. والمؤسف أن القاضي عول كثيراً على ذلك التعليق في اصدار حكمه.

وظهرت أدلة جديدة تدحض علاقة الاسلاك بتلك التي وجدت في مزرعة توماس. وتبين أن الشبه بين أسلاك توماس والاسلاك التي لفت بها الجثتان لا يتجاوز قولنا ان ثمة "تشابهاً" في الطول بين رجل طوله ١٥٠ سنتيمتراً وآخر طوله ١٨٠ سنتيمتراً.

أما آرثر توماس الجالس في قفص الاتهام فلم يستطع تحمل المزيد من تلك المساخر. وهو أمضى الاسبوعين الاخيرين في زنزانة خالية الا من مصباح قوي دائم الاشتعال، مما حرمه النوم وأضنى جسده ووجهه. وصاح في وجه هاتون: "كلا... هذه أكاذيب." وما كاد يقول هذا حتى انهار. وفي الوقت نفسه التأمت هيئة المحكمة.

على بعد ٥٠٠ كيلومتر جنوب اوكلاند كان يقوم محل لبيع الأسلحة يملكه محقق سابق في الشرطة اسمه جاك ريتشي لم تقنعه الرسوم التي نشرت للقذيفة وغلافها اثر المحاكمة الاولى كبرهان على صحة التهمة. فقد قيل آنذاك ان تلك القذائف التي تحمل الرقم ٨ قديمة الصنع وان إنتاجها اوقف. لكن ريتشي وآخرين وجدوا أنها لا تزال متداولة، وهي على الأقل تباع في محل ريتشي نفسه.

وامتحن ريتشي بعض النماذج التي في حوزته. ودلته عينه الخبيرة على فروق في الأحرف التي تحمل اسم الصانع والتي نقشت في قاعدة القذائف من عيار ٠،٢٢ . وإذ وجد وجد أن هناك أنواعاً مختلفة من القذائف ذات الحجم نفسه، راح يقارن في ما بينها. وتبين له أن أحد الانواع لا يحمل الرقم ٨ على غلافه، وان ذلك النوع عينه هو الذي عثر عليه في حوض الزهر خارج منزل آل كرو. وهذا يعني أن غلاف القذيفة الذي استخدم كذريعة لا يقدم أي برهان على مقتل هارفي وجانيت كرو.

وجهز جاك ريتشي بعض نماذج من أغلفة القذائف من عيار ٠،٢٢ وارسلها في البريد الى لجنة الدفاع عن آرثر توماس التي تلقت نماذج كثيرة من أنصار آخرين في انحاء البلاد.

جلبة

في قاعة المحكمة كان بات بوث مساعد رئيس تحرير "اوكلاند ستار"، أوسع صحف نيوزيلندة المسائية انتشاراً، جالساً على مقعد مخصص

بالصحافة. وهو خبير في محاكمات المجرمين، إذ شاهد العديد من الذين حكموا بالاعدام يوم كان هذا الحكم قائماً. إلا أنه لم يشهد اتهاماً أكثر تجنياً من ذلك الاتهام. واعترف بانه اضطر الى حرف عينيه لدى استجواب آرثر توماس الذي، وإن تلعثم أو ارتبك، بدا صادقاً طوال الوقت.

ولكي يرد التهمة التي رماه بها والد جانيت، وهي أن ملاحقته لها أرغمتها على الذهاب الى وانغانوي عام ١٩٦٣، قال توماس: "اني أقول الحقيقة الخالصة يا سيدي. ولا شك لدي في ما اقوله، إذ اني أتكلم عن نفسي بالذات."

وإذ ذاك سأله المحقق: "وهل تعرف أحداً يمكنه أن يحسد هارفي كرو أكثر منك؟"

وعجب الصحافي بات بوث من جانب الدفاع كيف لم يتصد لذلك السؤال ويرفضه لخلوه من المنطق.

غير أن آرثر توماس، الذي أربكه السؤال وأدرك أنه يستطيع التخلص من الجواب، قال أخيراً: "كلا، يا سيدي، لا أعرف."

واستخدم المدعي العام ذلك الجواب في قراره الأخير، واضعاً إياه على لسان توماس كالآتي: "لا أحد في بوكيكاوا لديه دافع أقوى من دافعي على حسد هارفي كرو." وعد ذلك دليلا قاطعاً ضد توماس، في حين انه لا يشكل دليلا من أي نوع.

وبدأ شهود الدفاع يتقدمون واحداً واحداً.

واعتلت فيفيان توماس التي عادت من بريطانيا المنصة لتؤكد من جديد أن زوجها كان يعتني ببقرة مريضة في ١٧ يونيو (حزيران). وأكد طبيب الاسنان أنهما زارا عيادته ذلك النهار وانهما رفضا القهوة بحجة الاسراع لمعالجة تلك البقرة. وشهد بروس روديك الذي قال انه شاهد امرأة غامضة خارج منزل آل كرو في ١٩ يونيو (حزيران)، ان تلك المرأة ليست فيفيان توماس أو أي شخص آخر من عائلة توماس. كما شهد محبو السيارات القديمة أنهم نقبوا مستودع المزرعة قبل أشهر ثلاثة من وقوع الجريمة من غير أن يعثروا على قطعة معدنية كالتي وجدت في حوض النهر تحت جثة هارفي كرو، وانهم لو وجدوا قطعة كتلك لأخذوها حالا. وقال ثلاثة شهود إنهم اعتادوا أن يروا الشاب المتخلف ميكي آريمشي ليلا وفي يده بندقية. وقال آخرون انهم رأوه يعامل الحيوانات بقسوة، اذ رفس مرة كلباً هائجاً حتى الموت وخنق مرة اخرى حملا جامحاً.

ولكن كما حصل المرة السابقة توجهت أفكار هيئة المحكمة هذه المرة أيضاً الى غلاف القذيفة. وأصر هيوسون وكيل مزرعة آل كرو على انه ساعد رجال الشرطة في تنقيب ذلك الحوض نفسه الذي قالوا انهم وجدوا الغلاف فيه، من غير أن يجد شيئاً. إلا أن المحققين أنكروا أن يكون هيوسون فعل ذلك.

وفي وقت لاحق تولى الدفاع فحص النماذج التي أرسلها إليه ريتشي، محيلا أغلفة القذائف على جيم سبروت الذي وظفه كخبير كيميائي. وراح هذا ينظر بدهشة الى الانواع المختلفة

للقذائف ذات الحجم الواحد. ولكن لم يبق وقت للبرهان عن صحة نظرية ريتشي القائلة بأن الغلاف الذي وجد في حوض الزهر في مزرعة آل كرو ليس من النوع الحامل الرقم ٨ والذي قتل الضحيتين.

وطلب جانب الاتهام أن يجتمع قليلا من الوقت. وفي ذلك الاجتماع تم الاتصال هاتفياً بصانعي تلك القذائف في مدينة ملبورن الاوسترالية. وبناء على الجواب الذي تلقته اللجنة من أحد موظفي المصنع، وهو لا يملك معلومات موثوقاً بها، عاد أعضاؤها ليؤكدوا أن ثمة نوعاً واحداً من تلك القذائف. وجاء ذلك التأكيد على لسان الخبير الكيميائي المعتمد لدى الحكومة. ولكن أنى لهيئة المحلفين أن تحل مسألة تقنية من ذلك القبيل؟

وسرعان ما وقف الناطق باسم الاتهام لالقاء كلمته الأخيرة في المحكمة. وعلى رغم نبرته الخطابية فهو لم يقدم أي دليل حسي على كون آرثر توماس صاحب تلك الجريمة. بل ان المتكلم خرج على جميع الأدلة القائمة ليشير الى احتمال تعرض جانيت كرو للاغتصاب في ساعات حياتها الاخيرة على يد آرثر توماس.

وصعق الدفاع بذلك الخطاب الرنان. ووجد في رد تلك التهمة تأكيداً على أهميتها. لذلك ارتأى المحامي كيفين ريان عدم التطرق الى تلك النقطة في دفاعه.

ولكن ما أن نهض ريان ليلقي كلمته حتى قرأ في أعين المحلفين أنهم أصدروا حكمهم سلفاً وانه أمام قضية خاسرة. وذكر على مسامعهم الآتي: "إذ يعسر على فرد أن يحارب الدولة، احذركم من أن تدعوا شبح آرثر توماس يقرع أبوابكم."

ولم ينقض وقت طويل حتى أصدرت اللجنة قرارها بتجريم آرثر توماس. وارتفعت الجلبة في قاعة المحكمة وخارجها. وراحت النسوة يبكين وينتحبن. واغتاظ الرجال وقد سال دمعهم بلا خجل أو وجل. واختلط العويل الذي وصفه أحد الصحافيين بأنه يشبه "انتحاب النظارة في أعقاب كارثة منجم." ونهضت والدة آرثر توماس وقالت وهي تبكي: "لا، ليس من عدالة في هذا المكان." وهرعت فيفيان توماس نحو المحلفين وصاحت فيهم: "أي نوع من الناس أنتم؟ ألم تعرفوا أن هذا الانسان بريء، وان حكمكم عليه إنما هو الجريمة الفعلية؟"

وسمح لها بالبقاء قليلا مع زوجها في زنزانة تحت قاعة المحكمة قبل أن تحمله سيارة شرطة الى السجن. ولم ينفك آرثر عن القول بينما هو وزوجته يتعانقان ويبكيان: "إني لا أفهم شيئاً! ترى ماذا حدث، وما الذي يحدث الآن؟"

وحاول محاميه لاحقاً أن يعزيه قائلا: "انك تكاد تنهي نصف فترة عقوبتك يا آرثر."

فأجاب بمرارة: إنها نصف عقوبة شخص آخر."

شك منطقي

جاء قرار المحكمة خيبة أمل كبيرة بالنسبة الى آلاف النيوزيلنديين الذين

صديق العمر

اشتركوا في المختار

NAME	:	الاسم
ADDRESS	:	العنوان
....		
PROFESSION	:	المهنة
SIGNATURE	:	التوقيع

NAME	:	الاسم
ADDRESS	:	العنوان
....		
PROFESSION	:	المهنة
SIGNATURE	:	التوقيع

تملأ القسيمة ـ بالعربية او الاجنبية ـ وترسل بالبريد الجوي المسجل (المضمون) مرفقة بشيك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً، وهو بدل الاشتراك بـ١٢ عدداً لمدة سنة، الى العنوان الآتي:

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت. لبنان

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:

اشتراك في مجلة "المختار".

تحوّل همسك صراخاً...



إنطلاقاً من قناعتها بأنها مجلة القارئ أولاً، تفتح النهار العربي والدولي صدر صفحاتها منبراً تستطيع أن تعرض آراءك من خلاله بحرية كاملة فتصبح، وأنت في موقعك، واحداً من محرريها.

عالج أي موضوع تشاء - في السياسة أو الاجتماع أو العلم أو الأدب أو الفن أو شؤون المرأة وارسل مقالاتك (في ٣ أو ٤ صفحات بالآلة الكاتبة)، وأرفقها بصورتك إلى العنوان التالي:

صندوق البريد ١١٦٨٨ بيروت - لبنان P.O.BOX 11688 BEIRUT-LEBANON

تتبعوا القضية بحماسة والذين أصروا بعد اصدار الحكم الجديد على ايصال صوتهم. وفي مدينة نابيير الصغيرة اشترك ١١٠٠ مواطن في مسيرة احتجاج وسط أحوال جوية رديئة. واجتمع نحو ألفي محتج في مركز بلدية اوكلاند، فيما بقي المئات خارجاً لأن القاعة لم تستوعبهم. وأجرت جريدة تصدر أيام الآحاد استفتاء بين قرائها حول الأمر، فتبين أن ٩٨،٤ في المئة مقتنعون ببراءة آرثر توماس.

وارتأى الصحافي بات بوث أن الحقيقة يجب اعلانها خارج قاعة المحكمة. وشرع يعمل بصمت وصبر على جمع الأدلة حول القضية، وقابل أصدقاء للمغدورة جانيت كرو وبحث عن براهين جديدة ووثائق مفقودة وشواهد حجبت سابقاً عن العموم. ونشر مجموعة مقالات في "اوكلاند ستار" جمعها لاحقاً في كتاب بعنوان "محاكمة أم مكمن؟" وهي تشير الى المغالطات والتناقضات التي سقطت فيها المحكمة. وأعلن شكه في قرار الشرطة الظني حول الجريمة. وقال انه لا يعقل أن يفتح شباك المطبخ في ليلة ماطرة وباردة كتلك التي حصلت فيها المقتلة. الا أن تلك النافذة كان لا بد منها لانجاح فرضية الشرطة وادخال القذيفة المزعومة عبرها.

وانضم الى الصحافي بوث في مسعاه الى تبرئة ساحة آرثر توماس الخبير الكيميائي جيم سبروت الذي حاول، في اللحظة الاخيرة، اقناع هيئة المحكمة بأن الغلاف الذي وجد في حوض الزهر لم يحو قط القذيفة القاتلة.

ومنذ ذلك الحين لم ينفك سبروت عن فحص الوف القذائف من عيار ٠،٢٢. وبمساعدة المصنع الذي ينتج تلك القذائف في ملبورن تمكن من البرهان على ان ثمة أربعة أنواع من تلك القذائف وان الاغلفة التي تحمل الرقم ٨ بطل انتاجها منذ ١٩٦٣. أما الغلاف الذي وجد في حديقة آل كرو فلم يباشر المصنع انتاجه قبل ١٩٦٤.

وتولى مارتن فينلي فحص تلك الادعاءات بعدما اصبح مدعياً عاماً ووزيراً للعدل في نيوزيلندة. ودعا الى اعادة النظر في غلاف القذيفة الذي خدم دليلا للاتهام. ولكن من الغريب ان ذلك الغلاف اختفى. والمعلوم انه نظف بعد المحاكمة الاولى لعرضه في متحف الشرطة في ويلنغتون، ومر ذلك العرض من غير اكتراث. ولم يبق منه سوى الرسوم.

واذ ذاك أعلن المدعي العام "الأسى والأسف العميق حيال ذلك" قائلا انه لا يستطيع أن يفعل شيئاً.

وفي تلك الاثناء كان آرثر توماس، السجين الاشهر في تاريخ بلاده، يجلس في زنزانته وسط الحراسة المشددة بينما زوجته فيفيان تعيش في شقتها في المدينة. ومع مرور الزمن شقت فيفيان لنفسها طريقاً خاصة من غير أن تألو جهداً في تكريس جهدها ووقتها الخاص للجنة اوكلاند المخصصة بالدفاع عن قضية آرثر والسعي الى اطلاقه. الا أن طلاق الزوجين تم عام ١٩٧٨ وتزوجت فيفيان رجلا آخر.

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٧٥ احيلت قضية توماس من جديد على محكمة الاستئناف في نيوزيلندة بعد ظهور الأدلة الجديدة حول أغلفة القذائف. وكان ثلاثة من القضاة الخمسة الذين رأسوا تلك الجلسة على علاقة بالمحاكمة السابقة.

وارتأوا، "في حدود المحتمل"، أن تكون فرضية بوث ـ سبروت صحيحة. الا أنهم في الوقت نفسه وجدوا من "المحتمل والمعقول" أيضاً أن يكون غلاف القذيفة الذي عثر عليه هو الذي احتوى على الطلقة الجانية.

ورأى المدعي العام فينلي شكاً منطقياً في الشواهد الجديدة. لكنه شك ظل بلا جواب. وفي وقت لاحق من ذلك العام، بعد انتهاء مدة وظيفته، وجد فينلي نفسه في حل من ارتباطه بالسلطة القانونية. لذلك تحدى قرار محكمة الاستئناف قائلا ان البرهان على الجريمة وقف على الاتهام لا على الدفاع.

وفي العام ١٩٧٦ كان الكيميائي المتعقل جيم سبروث امتحن ٢٥ ألف قذيفة من غير أن يجد أي علاقة حتمية بين الغلاف الذي عثر عليه في الحوض والقذيفة التي تحمل قاعدتها الرقم ٨. وفي حين عرف المسؤولون في المصنع في ملبون ذلك الأمر، فان عمل سبروث الشاق جاء برهاناً قاطعاً على ذلك. وهكذا، بفضل نشاط سبروت وبوث، باتت شواهد الاتهام ضد آرثر توماس في حاجة الى برهان.

وفي تلك الاثناء كان المفتش بروس هاتون استقال من الشرطة واتخذ الزراعة مهنة، على رغم الترقية التي نالها بناء على "الاجتهاد والحماسة" اللذين بذلهما في قضية آل كرو. أما لينارد دملر فتزوج ثانية واعتزل الزراعة وهجر بوكيكاوا. ومن جهته بات بروس روديك لا ينام الا وقد وضع سلاحاً تحت سريره بعدما هيمن على أفكاره طيف تلك المرأة الغامضة خارج منزل آل كرو. وهو كذلك غادر المقاطعة ليختفي عن الانظار في اوستراليا.

وما برح النيوزيلنديون في العام ١٩٧٦، بعد مضي ست سنوات على مقتل هارفي وجانيت كرو، يعقدون الاجتماعات وينظمون التظاهرات احتجاجاً على احتجاز آرثر توماس. ولما أرسل بوث وسبروت نسخة عن تقريرهما الى مجلس الوزراء، تبين ان قضية توماس ما زالت تشغل بال الجسم السياسي. وبعد تأجيل القرار مراراً ارتأت الحكومة عام ١٩٧٧ ألا تتخذ أي خطوة حول الامر. وفي وقت لاحق أطرى رئيس الوزراء، روبرت ملدون تحريات بات بوث وأعلن "عدم الاقتناع" بنتائج القضية، لكنه لم يشأ أن يتحدى القرارين الصادرين فيها عن المحكمة.

وفي الوقت نفسه تولت شرطة نيوزيلندة تحقيقاً برأت نفسها فيه من اختلاف الشواهد ومن وقوعها ضحية أخطاء في قضية تجريم آرثر توماس. وكتب بات بوث آنذاك: "انه انتصار القوانين على العدالة... وهل أكثر من هذا يطمح اليه المرء؟"

وشعر بوث بالارهاق بعدما ذهبت جهوده سدى. غير أن الكاتب

البريطاني ديفيد يالوب حل مكانه وراح يجمع الشواهد ويقابل الشهود من جديد. وفي العام ١٩٧٨ صدر كتابه "أبعد من الشك المعقول؟" الذي لقي رواجاً منقطع النظير في نيوزيلندة. وتخللته نبرة انسانية عميقة خلفت العديد من رجال الشرطة والقانون والدولة في حيرة من أمرهم بوضعها سمعتهم موضع الشك.

أما النتيجة التي خرج بها يالوب فهي هذه: "المسألة ليست فقط أن آرثر آلان توماس ليس مذنباً، بل انه بريء الى ابعد من حدود الشك. والواقع أن آرثر توماس لم يقتل هارفي وجانيت كرو."

جرأة خلقية

قبل اسبوعين من صدور كتاب يالوب نقل آرثر توماس الى سجن مفتوح، وهو مزرعة في قلب نيوزيلندة البركاني. ومن خلال كوة في قطيرة السجن التي أقلته الى هناك أمكنه أن يلمح مزرعته وقد أشرق اخضرارها تحت شمس الربيع عبر نهر وايكاتو.

غير أن تلك الرؤية الجميلة غامت لدى وصوله الى سجنه الجديد على بعد ٣٣٠ كيلومتراً جنوباً. لكنه ما زال يشعر بدوار جميل خلفته في نفسه رؤية الارض الطيبة والعشب تحت قدميه في مزرعة السجن الجديد. كما ابتهج لرؤية الاشجار والعصافير والنهر الجبلي الذي يخترق تلك الارض.

وراح المدعي العام السابق فينلي يطالب باطلاق توماس "بهدوء ومن غير ضجة"، كما تعهد رئيس الوزراء ملدون فتح تحقيق جديد في قضية مقتل آل كرو.

وأخذ آرثر توماس يستعيد قوته الجسدية على أثر تعرضه للشمس والهواء بعد تسع سنوات من العزلة. وبدأ ينسى مرارة الماضي بفعل الصداقات التي جسدها مئات الوافدين اليه. وكان الزوار يصلون بالعشرات ويتنزهون معه في مزرعة السجن في ظل قوانين أقل تشدداً من سابقتها. وكانت الرسائل تفده بمعدل ستين رسالة في الشهر. ولم يتورع بعض المسؤولين في السجن عن الاسرار اليه بأنهم مقتنعون ببراءته. كما لم يكف مواطنو نيوزيلندة عن تنظيم الحملات لاعلان براءة توماس. وكان ذلك التأييد العارم حكماً شعبياً رائعاً لا يغض النظر عنه البتة.

وأعجب أصدقاء توماس القدامى من بوكيكاوا بقوة عزمه وارتفاع معنوياته. وقال ديفيد باين لزوجته يولاند: "قبل تسع سنوات كان آرثر شاباً غير مجرب. أما اليوم فهو رجل."

وبدت صلابة آرثر توماس جلية في الحادي والعشرين من مارس (آذار) ١٩٧٩، يوم ظهر أمام لجنة كانت تتوقع الاستماع اليه وهو يدلي بوعد شرف يتعهد فيه عدم مغادرة البلاد بعد اطلاقه المشروط. وكان جميع المراقبين يتوقعون ان يمنح توماس حرية غير مشروطة للتأييد الذي ناله من الامة بأسرها. وكان توماس، البالغ الحادية والاربعين، تحدث أمام أصدقائه عن مشاريعه لدى مغادرة السجن وعن عزمه على العودة الى

مزرعته والاعتناء بها من جديد، من غير أن ينسى زيارة محبيه وشكرهم على كل ما فعلوه من أجله طوال تلك السنوات.

ولكن ما أن أعطي دوره للكلام حتى أذهل الجميع بما قاله وباتخاذه موقفاً لم يسبق له مثيل في تاريخ بلاده الجنائي. فقد أعلن أنه يرفض العفو المشروط ولا يقبل بأقل من الحرية المطلقة.

وقال أمام لجنة العفو وهو يرفض الجلوس الا بعدما امر بذلك: "اني لم أقترف ذنباً كي أنال عفواً مشروطاً. ولا بد من أن تظهر الحقيقة يوماً. وحتى ذلك اليوم، سوف أبقى في السجن."

ونقلت وسائل الاعلام، من اذاعة وتلفزيون وصحف، موقف آرثر توماس الى الامة. وعبر له مسؤولون في السجن وزملاؤه الاسرى عن حسن نيتهم تجاهه. وانهالت عليه برقيات الاعجاب ورسائل التأييد من كل حدب وصوب.

وبالنسبة الى بات بوث وآخرين كان ذلك الموقف خير برهان على ما آمنوا به طويلا: انهم امام رجل على مقدار عظيم من الشجاعة والجرأة الخلقية. ولم تمض تسعة اشهر حتى اثمر موقفه الحازم وانجلت الحقيقة واخذت العدالة مجراها. ففي ١٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٩ منح آرثر توماس عفواً ملكياً لعدم توافر الادلة القاطعة على ضلوعه بالجريمة.

وفي يوم مشمس من آخر الصيف، بعد مرور قرابة ثلاثة آلاف يوم على سجن آرثر توماس، قدت سيارتي جنوباً الى سجنه، وذلك في نهاية الاسبوع التي تلت رفضه العفو المشروط. ولم تكن تلك زيارتي الاولى له. ففي اعدادي هذه القصة أمضيت مع توماس ما يزيد على عشر ساعات ونحن نتحدث في شؤون تخص حياته والجريمة التي الصقت به. ولم تعد براءته موضع اهتمامي، اذ باتت حقيقة لا تقبل الجدل بالنسبة الي.

وذهب آرثر ليلعب كرة المضرب قليلا ثم عاد. وكانت زوجتي مدت الطعام الذي أعدته على طاولة تحت شجرة. وبادرته بسؤالي: "حسناً يا آرثر. أخبرني، لماذا رفضت مبدأ العفو؟".

وتردد قليلا ثم قال وهو يبتسم: "بعد تفكير في الأمر تبين لي أن الحرية والعدالة تسيران جنباً الى جنب. انهما توأمان. وأنا أرفض الحرية من غير عدالة، وأريد الاثنتين معاً."

وفي طريق عودتنا انا وزوجتي الى اوكلاند عرجنا على بوكيكاوا التي ما زالت آثار جريمة ١٧ يونيو (حزيران) ١٩٧٠ بادية في طرقها. فكم من صداقة دامت ثلاثين سنة قضت عليها مواقف أصحابها المختلفة من تلك القضية. وكم من عائلة تفرق شملها للسبب نفسه. ويقول بعضهم ان جراح بوكيكاوا لن تبرأ قبل انقضاء جيل كامل على الجريمة وذيولها.

ودنوت من أرض توماس بعد اجتيازي التلة، ثم من مزرعة آل كرو التي انتقلت الى مالك آخر. واذا بالاشجار ارتفعت حول المنزل الذي كان يقف عارياً وسط تلك المزرعة،

واذا بالحديقة التي لعبت الطفلة روشيل كرو يوماً فوق تربتها الجرداء ينبت فيها الزهر. وها هي تلك الفتاة في الخامسة عشرة من عمرها تعيش مع خالتها بعيداً عن بوكيكاوا.

ويبقى السؤال الملح: من أطعمها خلال تلك الايام الخمسة من العام ١٩٧٠؟ أيكون هو الشخص نفسه الذي اعتنى بالكلاب، وربما بالقطيع أيضاً، في المزرعة؟ ثم أيكون هو القاتل عينه؟

وفيما أوقفت سيارتي على الطريق خارجاً تراءى لي أن ذلك الشخص الغامض لا بد من أن يكون عرف الضحيتين حق المعرفة في حياتهما الشخصية المنعزلة، كما عرف أنه من العسير اكتشاف الطفلة روشيل سريعاً بعد المقتلة. ولا يعقل أن يكون ذلك الشخص يسكن أبعد من مسافة كيلومترين عن منزل آل كرو. فان أحداً وراء تلك المسافة لم يعرف الكثير عنهما. وهذا يقصي آرثر وفيفيان كرو عن المشهد، وهما بعيدان جغرافياً واجتماعياً عن الضحيتين.

وأسلمت سمعي الى الريح الراحلة فوق أعشاب الصيف، فترددت في ذهني تلك الطلقات التي أودت بحياة هارفي وجانيت كرو، كما أودت بسنوات من عمر آرثر توماس.

ورن في رأسي السؤال القديم عينه: "من قتل آل كرو؟"

■ **موريس شادبلوت**

تولت لجنة حكومية برئاسة القاضي المتقاعد روبرت تايلور التحقيق في ظروف توقيف آرثر توماس وتجريمه عام ١٩٨٠. وجاء في تقريرها ان "آرثر توماس اتهم وسجن لان الشرطة لفقت دلائل ضده واخفت معلومات مهمة في الدفاع عنه." وبناء على توصية اللجنة دفعت حكومة نيوزيلندة لآرثر توماس مبلغ ٩٥٠ الف دولار بدل عطل وضرر. واشترى آرثر بالمال مزرعة في مقاطعة وايكاتو حيث يعيش اليوم. كذلك دفعت تعويضات لافراد اسرته ولآخرين ممن طاولتهم القضية.

الصحيفة المذنبة

تسلمت معلمة مدرسة العذر الآتي من والده احدى تلميذاتها: "أرجوك ان تغضي النظر عن تغيب هيام عن صفها البارحة. فقد نسينا أخذ صحيفة الاحد من أمام المنزل. ولما وجدناها صباح الاثنين، ظننا أنه الاحد."

ر.ك.

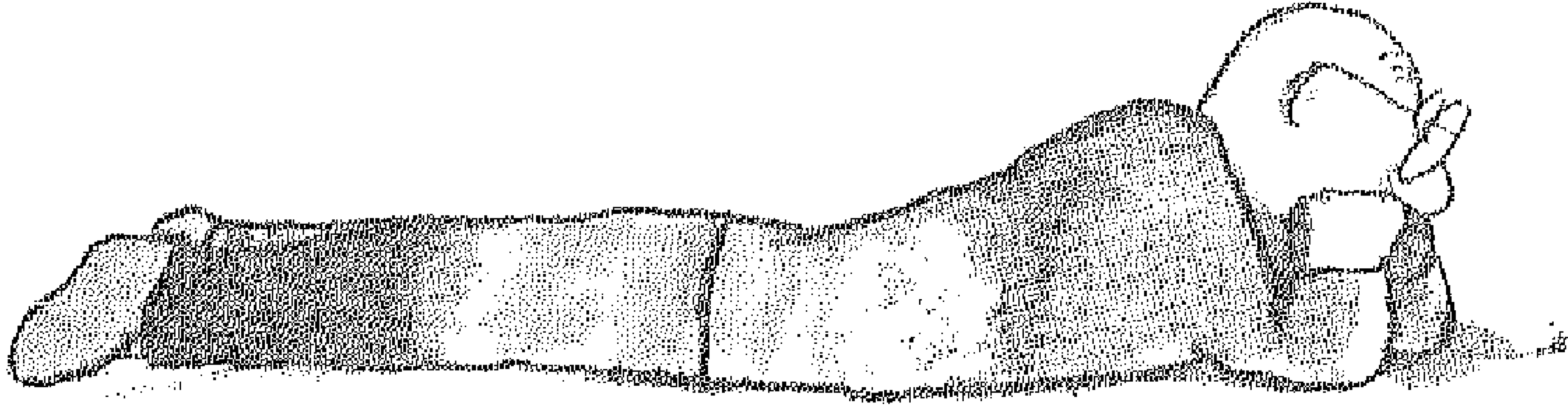
مكاتب سائبة

قال زائر لمضيفه وقد اعجب بمكاتبه الكبيرة: "كم شخصاً يعمل في هذا المكان؟"

ـ آه! نصفهم تقريباً.

د.ش.

تأملات معاصرة



الكلمة المكتوبة

أليس غريبا أن نأخذ تلك العلامات السوداء على الورق كأمر مفروغ منه؟ تلك الحروف الهجائية التي تتفاعل في ما بينها لتؤلف كلمات لا حدود لها تبقى مجهولة الى أن تقع العين عليها.

وإذ ذاك تحدث معجزة،فتنتقل هذه الرموز الصغيرة بسرعة الضوء الى أعصاب البصر، ومنها الى الذهن حيث تستحيل افكارا ومفاهيم ومعاني.

وهذا يحدث تغييرا في صاحب العين أيضا. فالرموز السود الضئيلة قادرة على أن تثير فيه الحب أو البغض، الضحك أو البكاء، القبول أو الرفض.

ولكن ماذا نسمي هذه المعجزة؟

إنها القراءة. فالكلمة المنطوقة تتلاشى وتزول. أما الكلمة المكتوبة فتبقى. وهي لا تكف عن اجتراح المعجزات.

آرثر غوردون

المسافرون جواً

الرحالة دائماً مكتشفون، ولاسيما اولئك الذين يسافرون جواً. ونظراً الى خلو السماء من اللافتات والمحطات، فهم دائماً يعبرون أماكن جديدة وان كرروا الرحلة الواحدة عشرات المرات.

آن لندبرغ، زوجة الطيار تشارلز لندبرغ

نسيج الحياة

يستيقظ المرء صباحا وبين يديه ٢٤ ساعة غير مشغولة من نسيج حياته، وهي أغلى ما يملكه. ولا أحد يستطيع سلبه هذا النسيج، كما أن أحدا لا يتسلم مقدارا منه أكثر أو أقل.

آرنولد بينيت، كاتب بريطاني

اصبحت اما يا امي!

لم ادرك مقدار تضحية امي من أجلي إلا بعدما غدوت أما. وإذ ذاك عرفت أيضا ما تعانيه الام من ألم عندما يعصي أولادها أوامرها. ولقد علمتني الامومة أن اقدر افتخار امي بما كنت انجزه، وأن ادرك مدى حبها لي.

ف. ف.

حدائق الفلاسفة

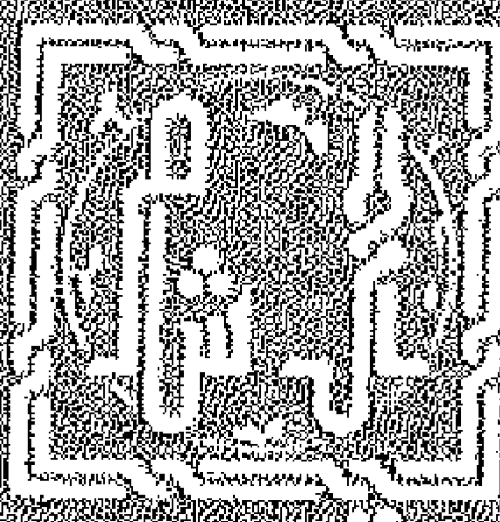
لقد لاحظت أجيال من الناس أن العناية بالحديقة عمل لا يستغني عنه الفلاسفة. والحق أن غرس النبات واقتلاع الطفيليات يجعلان من المرء مفكرا بالمعنى الصحيح للعبارة، إذ يوقظان لديه الادراك العميق والتمييز بين الامور.

جون ارسكين، مرب وكاتب امريكي

فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فندقاً أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة، بل إنه مدينة متكاملة بذاتها.. صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت تستمتع في عطلة أو كنت منهمكاً في عملك... فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالإضافة الى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية... ولا تنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتشهد بآثارها لتعلي أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لا زلنا نفاخر بها ونحافظ عليها.



فندق الشام

عراقة في التقاليد



مارس/آذار ١٩٨٤ - جمادي الثانية ١٤٠٤ هـ

المختار

من ريدرز دايجست



لبنان ٦٠٠ق - سوريه ٧٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ٥٠٠م - السودان ١ج - ليبيا ٧٥٠د - اليمن ٨ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٦٠٠ف - تونس ٦٠٠م - المغرب ٩ - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وأمريكا الشمالية ٢٫٥٠د

AL MUKHTAR min Reader's Digest March 84 N° 64

اداء عـــالمي يــلائـم رقي الــدرجة الاولى

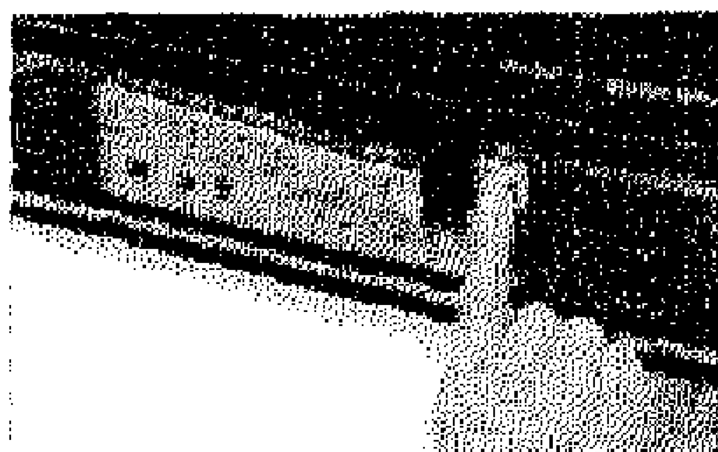
إمكانية ريموت كونترول يعمل بالأشعة تحت الحمراء . أداء رائع لجهاز التلفزيون العالمي .. كل تلك المزايا المميزة تجدها في التلفزيونات ذات الأنظمة السبعة .. للأجهزة من شارب .

استمتع بالعروض
التلفزيونية والأشرطة
واسطوانات الفيديو

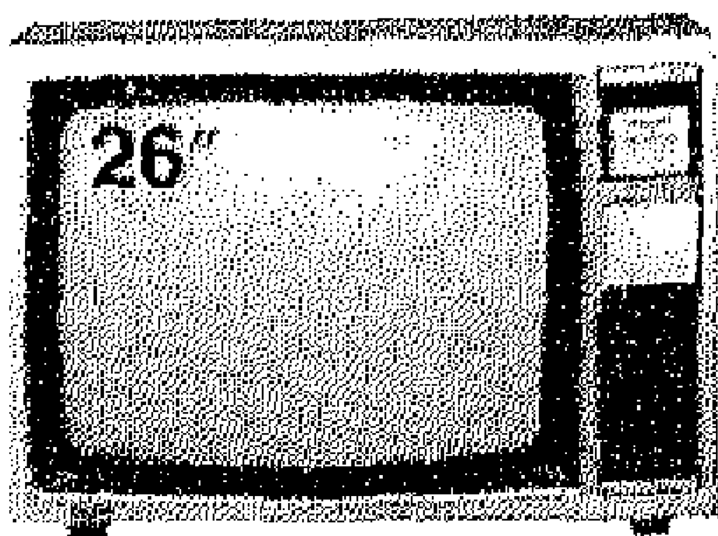
7-SYSTEM

تستطيع التحكم بتلفزيونك ذي الانظمة السبعة من شارب عن طريق جهاز الريموت كونترول الذي يعمل بالأشعة تحت الحمراء وتمتع بالراحة والاسترخاء امام تلفزيون يلائم رقي الدرجة الاولى .

أضف الى ذلك تفاوق الانظمة السبعة مقارنة بكل مستوى اذاعي فني يستخدم في عالمنا اليوم فيه ستحصل على الاداء الراقي . استلق على كرسيك وتحكم بتلفزيون شارب الجديد ذي الانظمة السبعة فهو لك أينما تريد أن تكون ..



DV-2100SPN



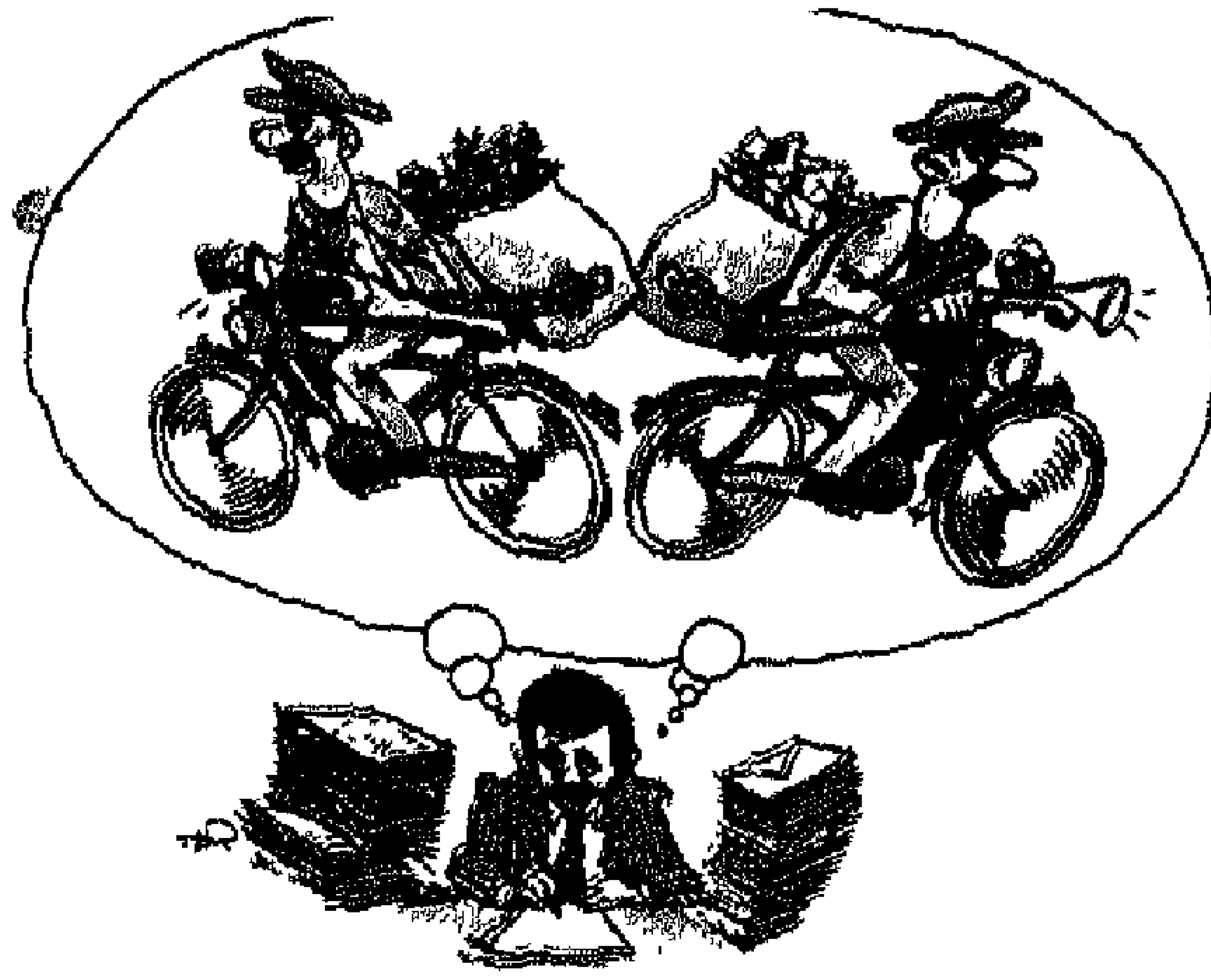
DV-262SPN

20"

بكل فخر نقدم لك لترقى الى السعادة

شـــارب SHARP

شركة شارب اليابان



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

اكتب واربح

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة، تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة من حياة مجتمعاتنا العربية. تدفع عن القصة الواحدة ٥٠ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. وتستبعد في هذا الباب النكات غير المهذبة. تدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية تدفع ثلاثة دولارات عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدادات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل. يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة المختار من ريدرز دايجست ـ شارع المقدسي ـ بناية الشرتوني ـ ص: ب ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان.

شفروليه كابريس.
ليست مجرد سعة لستة أشخاص.
بل راحة تامة لستة أشخاص.

من الواضح أن سيارة شفروليه كابريس قد صُممت لتكون على درجة عالية من الرحابة. فهي تتسع لستة أشخاص و ٠،٥٦٦ متر مكعب من الأمتعة.

ولكن شفروليه كابريس هي أكثر من سيارة رحبة. ولقد صُممت لتكون عملية ومريحة.

تبدأ مظاهر الراحة في نعومة جهاز التعليق الذي يعتمد على النوابض والذي صُمم بمساعدة الكومبيوتر. وتظهر أيضاً في السكون الذي توفره العوازل الصوتية التي تقلل من الضوضاء. وتتوفر أقصى هذه الراحة في المقاعد الناعمة الوثيرة.

إن الوجه العملي لسيارة كابريس يتجلى في كل مزاياها. فهي مجهزة بمكابح آلية ومقود هيدروليكي ومحول سرعة أوتوماتيكي. وتتم قدرة كابريس بكل التجهيزات الممكن تصورها من جهاز ضبط السرعة إلى جهاز تكييف الكتروني للهواء يعتبر من أكثر الأجهزة المتقدمة في العالم.

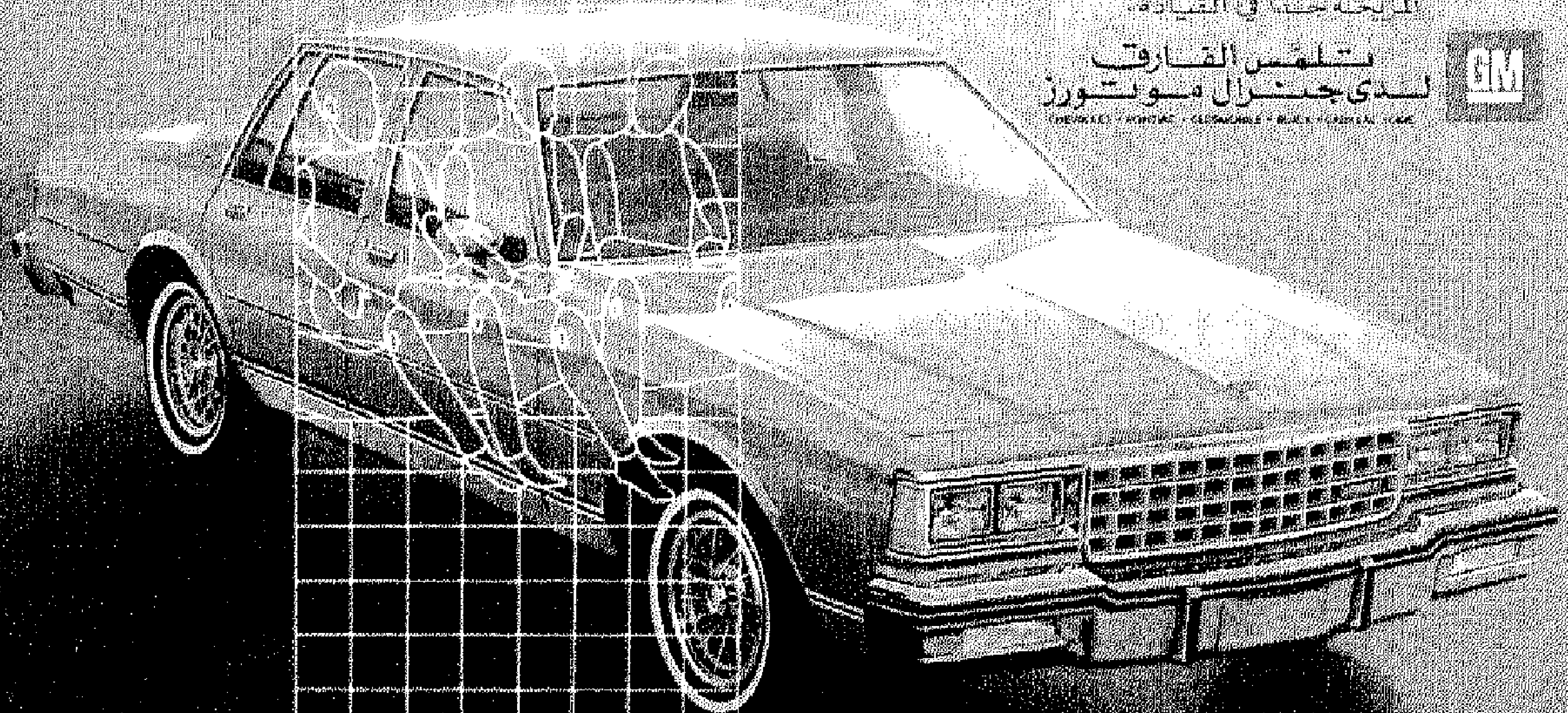
بالإضافة إلى الرحابة، فإن العناية بأدق التفاصيل جعلت من كابريس سيارة مريحة وعملية وناعمة وهادئة.

ندعوك لزيارة الوكيل المعتمد لسيارات جنرال موتورز الأمريكية.
لتلمس بنفسك الفارق
المريحة حقاً في القيادة.



تتلمس الفارق
لدى جنرال موتورز

CHEVROLET · PONTIAC · OLDSMOBILE · BUICK · CADILLAC · GMC





المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ادمون صعب،
امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري،

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست":
رئيس التحرير: ادوار ت، طومسون، مدير التحرير: آلان دوليرو، المدير العام: جون ا، اوهارا،

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس، الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية ـ بيروت، التحرير والادارة: بناية حنا للمكاتب، الطابق السادس، شارع المقدسي ـ بيروت، ص،ب، ٨٧٠٧ ـ ١١ التلكس (الموقت) LE 22288.

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت، الطباعة: سيكو، بيروت ـ لبنان، التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات،

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V.75008 Paris,FRANCE

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية اضافة الى العربية،



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

الغلاف: مزهرية شقائق النعمان (بيتر تيلينغ ـ هولندا)

AL MUKHTAR min Reader's Digest
March 84 N° 64 (New Series) Vol. 6

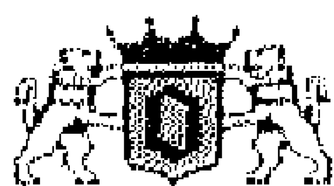


اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة،

وقع خطأ في كلام غلاف العدد الماضي، والصواب ان اللوحة هي "عالم احلام داني"، للاميركي فرانك بلاي،

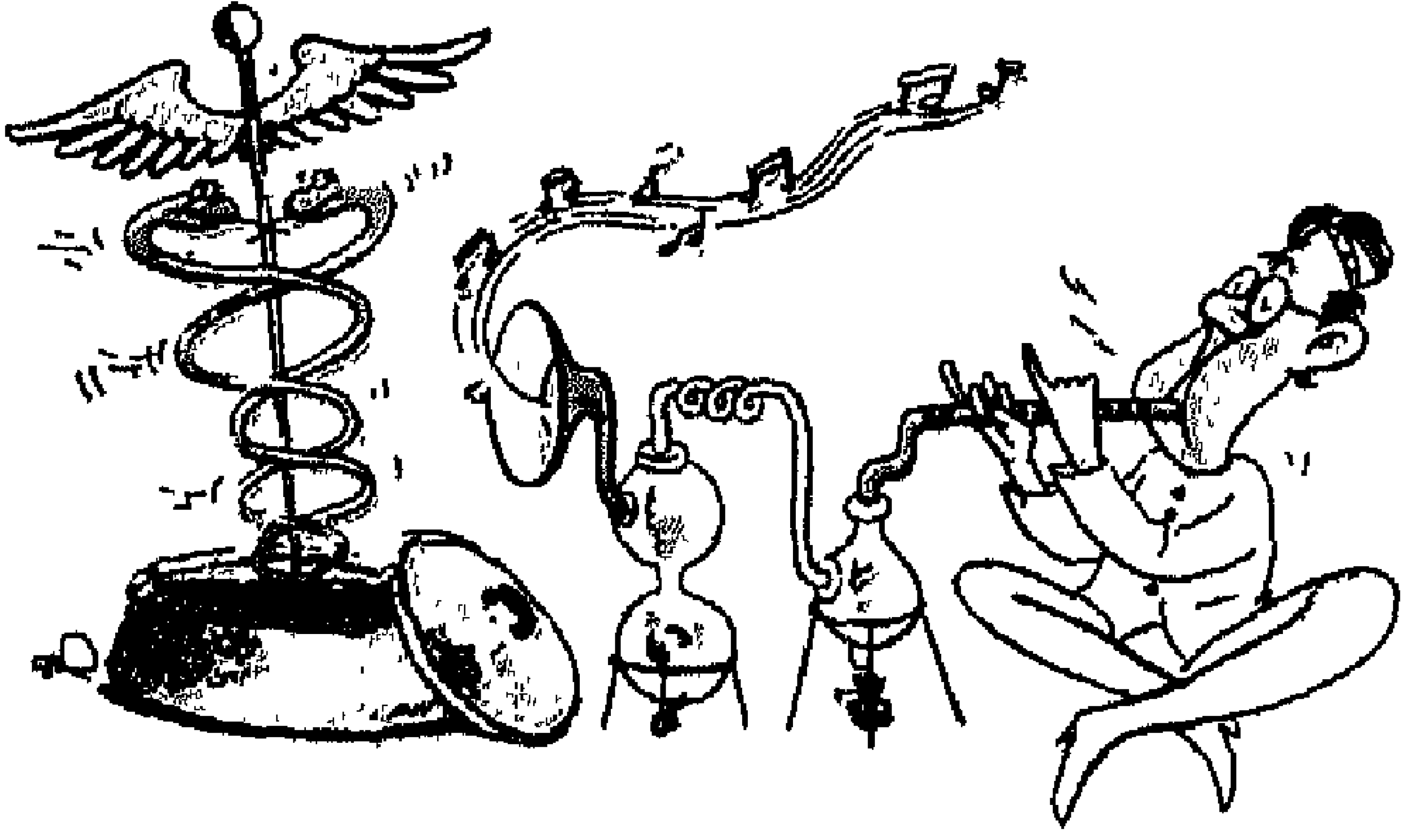
الجمال الحقيقي الأصيل
أورينت كوارتز

الأناقة في منتهى الرقة . مع أداء في غاية الدقة .
بتصاميم فريدة لمجموعة واسعة من الساعات المقاومة تماما للماء.
أورينت تقدم تشكيلة جديدة من الساعات
المترفة التي لا تخشى الماء.
إنها رائعة بكل معنى الكلمة . أورينت كوارتز.



ORIENT اورينت

ORIENT WATCH CO., LTD., Tokyo, Japan



أصداء من عالم الطب

حياة من الموت

على رغم وفاة الشابة البالغة السابعة والعشرين قانونيا، من جراء الضغط البالغ في دماغها، إلا أن الاطباء في أحد مستشفيات شمال كاليفورنيا قرروا إبقاءها حية في غرفة العناية الفائقة لأنها كانت تحمل جنينا. وتم ذلك بعد استشارة زوجها وشقيقته. وبعد اسبوعين نقلت بالطائرة الى قسم الحمل في مستشفى موفيت التابع لجامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو.

وتمت مراقبة المرأة والجنين بدقة طوال الاسابيع السبعة اللاحقة، خصوصا من ناحية تأمين الاوكسيجين الضروري لدم الجنين. ونقلت التغذية عبر الحقن الوريدية التي تحمل السكر والبروتيين والدهن. كما حقنت المرأة بالهرمونات لأن العطل الطارىء على دماغها أضعف عمل الغدة النخامية. وتولت الممرضات تدليك بطنها وإسماعها الكلمات المهدئة والموسيقى لخلق جو ملائم لعملية التوليد.

وفي ابريل (نيسان) ١٩٨٣، بعدما أظهرت الفحوص الصوتية وسواها أن نمو الجنين بلغ ذروته الممكنة، أخرج من بطن امه بعملية قيصرية، وهو يزن كيلوغراما و٤٥ غراما. وبعد ساعة سحبت الانابيب من جسم الام وماتت بسلام. ويقول الدكتور روبرت كريزي الذي تولى العناية بالمرأة: "ان حظ الصبي في العيش كبير جدا."

مجلة "نيوزويك"

بشرى لضحايا الاختناق

في مجال معالجة ضحايا الاختناق ابتكرت طريقة يُظَنّ انها اكثر جدوى من الجراحة التي تجرى على القصبة الهوائية في هذه الحالات. والطريقة بسيطة وسريعة وغير جراحية، وهي عبارة عن فتح مجرى في القصبة الهوائية بواسطة ابرة واداة توسيع. وبعد فتح القصبة يوسع الشق قليلا ثم يدخل فيه انبوب لاحداث المجرى الهوائي.

وهذه الطريقة التي سُميت "بيرتراك" ابتكرها جراح الأعصاب الامريكي الدكتور فردريك توي من كاليفورنيا. وهو يقول انها من البساطة بحيث يتمكن اي طبيب في غرفة الطوارىء من اجرائها في اقل من نصف دقيقة. اما الجراحة التقليدية فتستغرق نحو ٤٥ دقيقة وتترك اثراً في العنق، ولا يمكن اجراؤها الا على يد جراح مختص. وقد طبق الدكتور توي طريقته على اكثر من خمسين مريضاً من دون اي صعوبة.

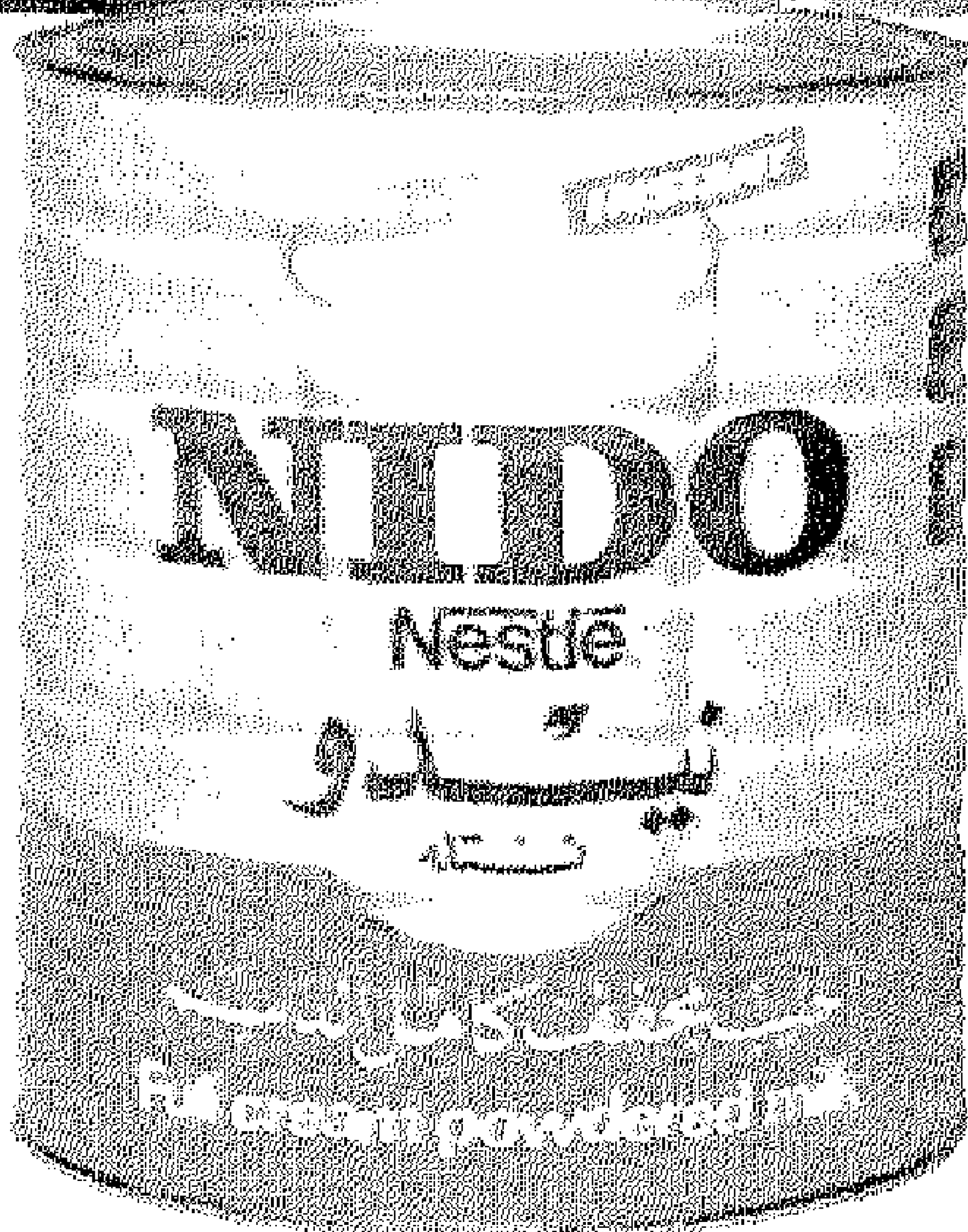
مجلة "اخبار امريكا والعالم"

أمّنوا لأولادِكُم نُمُوًّا صَحيحًا









نيدو السريع الذوبان هو حليب كامل الدسم يحتوي على كافة العناصر الغذائية التي توفر لأولادكم نموًّا متكاملاً. فالبروتين والكالسيوم وفيتامينات "أ" و"د" وغيرها من العناصر الضرورية المتوفرة في نيدو السريع الذوبان تجعل عظامهم صلبة وأسنانهم متينة وأبدانهم صحيحة قوية.

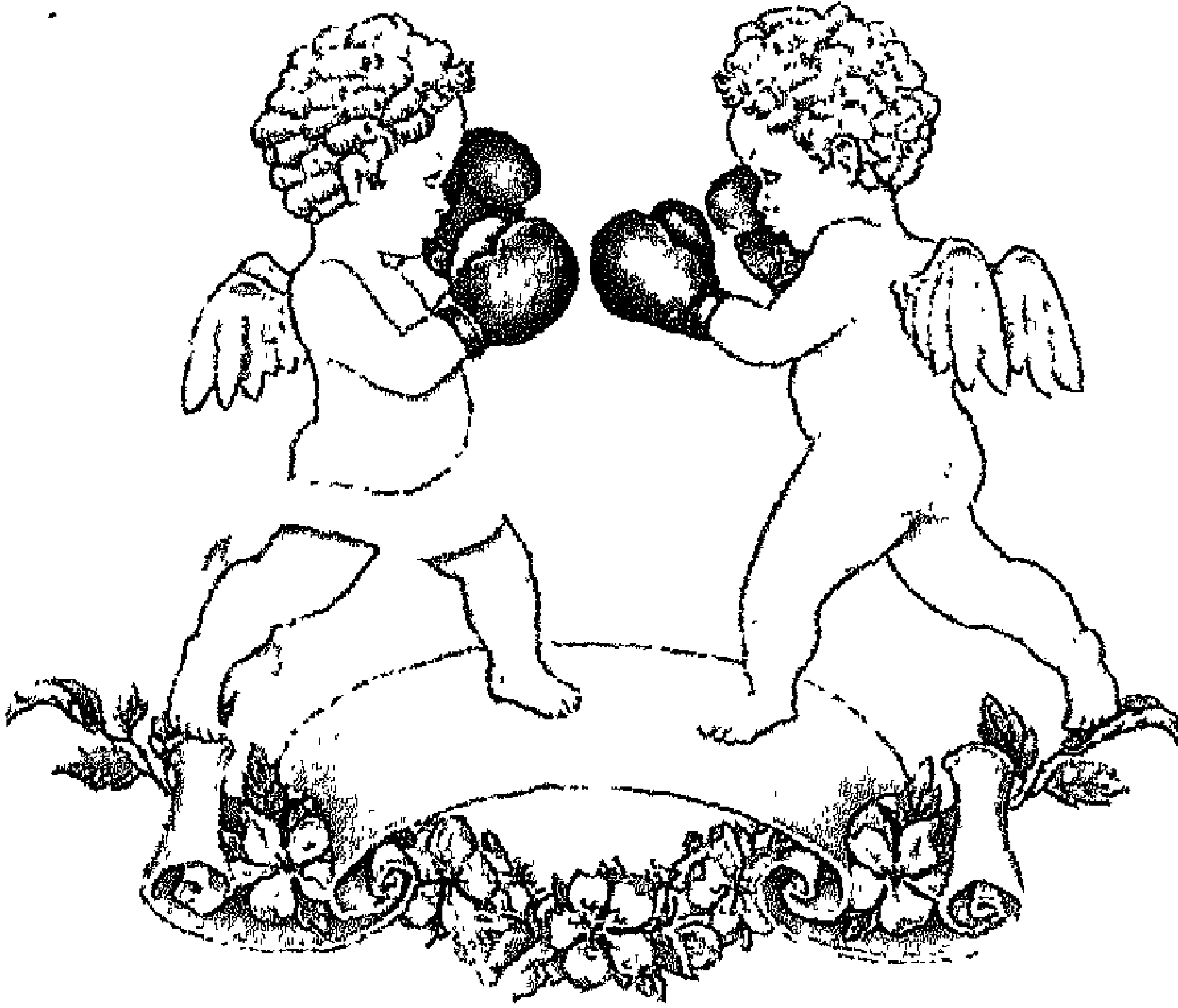
نيدو السريع الذوبان هو حليب بقري صافٍ ونقي من الجراثيم، يخضع قبل تجفيفه وتعبئته إلى عدة تحليلات مخبرية دقيقة ليصبح خاليًا من كل شائبة.

نيدو السريع الذوبان طعمه لذيذ، يحضر بسرعة، ويحبه أولادكم باردًا أو ساخنًا في الصباح وفي المساء وفي أي وقت من النهار.

نيدو السريع الذوبان

لينمو اولادكم وينعموا بالعافية

Nestlé تصنيع نستله



إذا كانت المناوشات جزءاً من الحياة الزوجية، فلا يجوز أن تدور في حلقة مفرغة

الحربُ والسّلمُ في العلاقاتِ الزوجيّة



لا شيء يمنع أن تبدأ المشادة بين الزوجين حول شراء مصباح أثري. وسرعان ما يتهم أحدهما الآخر بأنه لا يستطيع الثبات على رأي، فينبري هذا ليتهم الشريك بالتبذير. وينتهي تبادل التهم فجأة عندما يغادر أحد الزوجين الغرفة، وقد تولد لدى كل منهما شعور بأن الآخر يرفضه ولا يفهمه. ويفكر كل منهما في الآتي: "لماذا نعود على الدوام الى مناقشاتنا القديمة عينها؟"

هناك العديد من الازواج الذين يدورون في حلقات من الصراع العديم الجدوى الذي يمقتونه من غير أن يستطيعوا التخلص منه. إلا أن الباحثين المعاصرين في مسائل الحياة الزوجية ألقوا نوراً جديداً على

العناصر المشتركة في المشكلات الزوجية، وأهمها ثلاثة:

١ • الحاجة الى الكرامة الذاتية

تقول ليندا هاريس استاذة الدراسات العائلية في جامعة كونتيكت الأمريكية: "يشعر أحدنا، وهو في خضم النقاش مع زوجـه، أن ثمة صورة لذاته يتهددها الخطر وينبغي الدفاع عنها، وإن يكن يدري جيداً أن الجدل لن يوصله الى مكان." وإذا رمى زوج زوجته بأنها، مثلا، كثيرة التذمر أو ضيقة الخلق، فهذا يستدعي صورتها الذاتية الى الدفاع وقد يحدوها على اتهامه بالعنف. وهذه التهمة تضع صورته لذاته موضع الخطر، فيلجأ الى الدفاع عن نفسه. وإذ ذاك يكون الزوجان نسيا الحادث الاساسي الذي ولد المشكلة.

٢ • سوء التفاهم

ما يقوله أحد الزوجين ليس بالضرورة ما يسمعه الآخر. فربما قال رجل لزوجته: "أهذه كنزة جديدة؟" ظناً منه أنها تبدو جميلة جداً. إلا أن جوابها قد يأتي هكذا: "أتعني أني عدت الى تبذير المال؟"

وتقول ليندا هاريس: "الأزواج الذين يعيدون توليد المشاكل ينزعون اما الى قراءة معان في الكلام الذي يسمعونه من غير أن تكون تلك المعاني حقاً هناك، واما تفوتهم المعاني التي يتضمنها الكلام. وهذا يشير الى أن سبب المشكلة ليس في الكلام المتنازع عليه بمقدار ما هو في سوء فهمه." والمؤسف أن ذوي العلاقة لا يرون المسائل هكذا. ولو فعلوا لزال الخلاف.

٣ • الظاهر والباطن

من عناصر الجدل الرئيسية أن السبب الظاهر قلما يتلاقى مع السبب الحقيقي. وهناك نوع من الخلاف أطلق عليه بعض علماء النفس اسم "التذمر والانسحاب". ومن هذا القبيل ما يحصل عادة بين السيد راي فلين وزوجته دونا، وهي معلمة في السادسة والثلاثين. تقول دونا: "طالما تذمرت أمام راي من عدم ترتيب المنزل ومساعدتي ما فيه الكفاية. أما هو فكان يعمد الى الدفاع عن نفسه والانسحاب، الأمر الذي كان يدفعني الى المزيد من التذمر لشعوري بالخيبة القصوى."

وكان للنصائح التي تلقاها الزوجان من ليندا هاريس فعل لفتهما الى سبب الصراع الحقيقي. وسرعان ما اعترفت دونا بأن إهمال زوجها لحاجاتها العاطفية يضايقها: "كنت أود أن يضمني ويقبلني أكثر مما يفعل. وأظن أن الكثير من تذمري كان سبيلا الى إظهار حقيقة شعوري. والواقع أنه أدى الى نقيض ذلك."

ويقرّ راي بأن زوجته على حق: "صحيح أني لم أمنحها العطف الكافي. غير أن ذلك عسير وسط الشكوى المستمرة. أما وقد أدركنا هذا الدافع الكامن الآن، فبات في استطاعتنا ضبط الخلافات أكثر من قبل."

ولئن تكن هذه الخلافات اموراً سطحية في بعض الاحيان، فهي

تشكل أخطاراً جسيمة أحياناً اخرى. ويقول جون غوتمن استاذ علم النفس في جامعة إيلينوي: "الأزواج الذين تسود هذه الخلافات حياتهم يشعرون عادة بالتباعد والحرمان. لكنهم، على أثر مواجهة الامور وحلها، يشعرون بالارتياح، ويقول العديد منهم ان جو الحب، عاد يسيطر على حياته."

وهذا ما حدث للزوجين كارين وبوب كارلسون اللذين كانت خلافاتهما تصبّ في محيط الربح والخسارة. وكانت كارين، وهي ممرضة، تظن أن زوجها الطبيب يعير اهتماماً بالغاً البهارج التي تدلّ على الطبقة الاجتماعية، كنوع السيارة التي يقتنيها والنادي الذي ينضم إليه. وهي تقول: "لقد ثرتُ على ذلك كله وكرست أوقات فراغي للعمل الاجتماعي." أما بوب فقد ظن أن كارين تتمسك بالمبادىء أكثر مما ينبغي. وهو يقول: "هل غاب عن بالها أني أصرف بين ستين وثمانين ساعة اسبوعياً في مساعدة الآخرين؟"

وتضيف كارين: "معظم خلافاتنا انصبت على الوقت الذي يخصصه بوب بكرة المضرب في نهاية الاسبوع." فهو يريد أن يمارس رياضته المفضلة صباح السبت وصباح الأحد. أما هي فتودّ أن يتناوبا على العناية بأولادهما.

وأخيراً قالت له إنها تفهم أهمية كرة المضرب بالنسبة إليه، وتعهدت ألا تضيق ذرعاً بذلك: "رحت أُسمي صفات بوب الحسنة. ثم وجدت أن زواجنا من الأهمية بحيث لا يجوز تخريبه." وما هي إلا أسابيع حتى اقترح بوب، من تلقائه، توزيع المسؤوليات في نهاية الاسبوع، بحيث يمارس الرياضة يوماً ويعتني بالأولاد يوماً آخر.

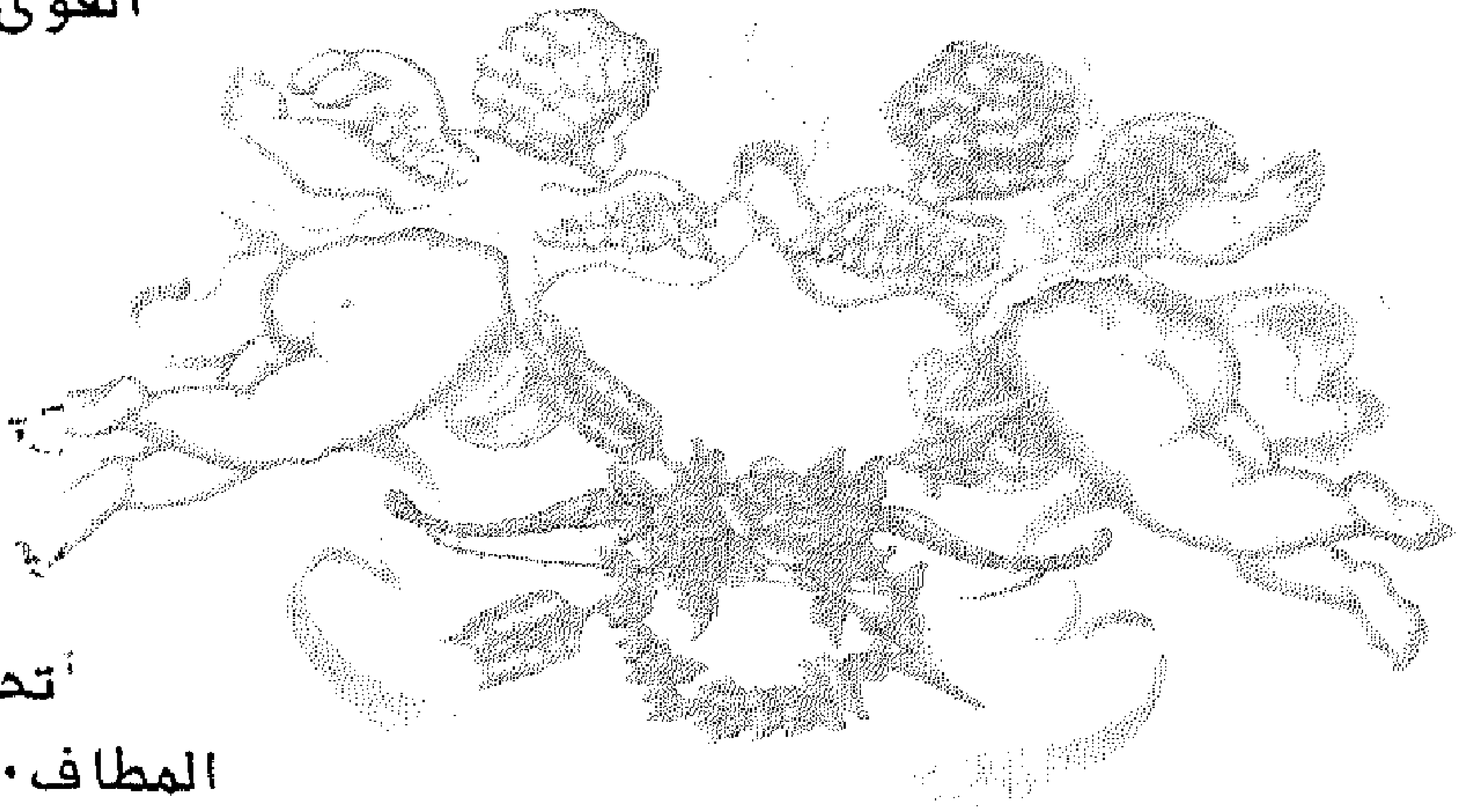
وفي رأي ليندا هاريس ان هذا النوع من المساومات يفعل العجائب في نطاق العلاقات الزوجية. وأقل تبذل في هذا المجال من شأنه أن يسفر عن نتائج إيجابية كبيرة. ويقول هارولد روش استاذ علم النفس في جامعة مساتشوستس: "بعد تعديل المواقف، يكف الواحد من الزوجين عن التصرف وفق الطريقة القديمة عينها إذا لم يرقه ما يقوله الآخر."

ومن هذا القبيل يقول بوب كارلسون: "إذا انتقدتني كارين الآن، فاني لا ألجأ فوراً الى رد التهمة، بل أقول: "دعيني افكر في الأمر." وهي أحياناً تكون على صواب وأحياناً على خطأ. وإني أبين لها ذلك في حينه."

وفي رأي غوتمن أن الأزواج غير الحكماء الذين ينزعون الى المناوشات يقترفون، معظم الاحيان، أحد هذه الأخطاء الثلاثة:

١. الغموض

ربما كان أحدنا يحتاج الى المزيد من الوقت والعناية. ولكن اذا اكتفينا بالتلميح الى حاجاتنا هذه، فالغالب أن تأتي النتيجة سلبية. والأفضل نبذ الغموض واعتماد الصراحة، كأن يقول واحدنا: "يا حبيبي (أو يا حبيبتي) لكم أودّ أن نقضي وقتاً أطول معاً في نهاية الاسبوع،" بدلا من أن يقول: "لماذا لا تجد (أو لا تجدين) وقتاً أطول لي؟"



٢• الطلب السلبي

هذا يعني أن يعمد الزوج مثلا الى القول: "إنكِ لا تسألينني البتة عما جرى معي هذا اليوم،" عوضاً عن قوله: "اني احب كثيراً أن تسأليني عن هذا اليوم." والأفضل كثيراً أن يصوغ المرء احتجاجه في قالب إيجابي بناء بدلا من صوغه في قالب سلبي هدام.

٣• عدم الاصغاء

الاصغاء الحسن هو أهم قواعد العلاقات وأسهلها تعلّماً. وهذا مثل عن حوار بين زوجين يؤكدان فيه على إصغاء أحدهما الى الآخر:

هي: "كان عملي متعباً اليوم. وانت الشخص الوحيد الذي يمكن أن أشكو إليه همي."

هو: "أجل، لكني أسمع الناس يتحدثون عن همومهم طوال النهار في العمل، حتى اني أعاف المزيد من ذلك عندما أعود الى المنزل."

هي: "أسمعت الكثير من المشاكل اليوم؟"

هو: "نعم. والحق أني خائر القوى."

هي: "حسناً... لماذا لا تستعيد نشاطك؟"

هو: "إذاً لنتحدّث عما جرى لكِ اليوم."

ان الأزواج الحكماء يسخرون مشاداتهم للبناء، حارصين على تحسين العلاقة في نهاية المطاف. وأهم ما في الأمر عدم التعرض لصورة الآخر عن ذاته. وهذا يلزمه بعض الخيال والمساومة.

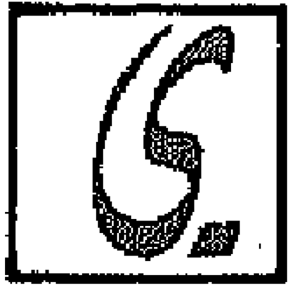
ولا شك في أن العديد من الأزواج المتحاربين لا يبلغ مرحلة الحل، بل ينتهي جدله بنوبة غضب، أو يقفز من الجدل الى الحل متجاوزاً مرحلة المفاوضات المهمة، وهي تعني أن يحاول كل من الزوجين التعرف على وجهة نظر الآخر. وتجاوز هذه النقطة يمنح كلا من الزوجين الشعور بأن الآخر فرض إرادته عليه فرضاً، مما يوقظ الجدل من سباته بعد وقت.

غير أن بعض الخلافات لا يمكن إخضاعه بسهولة للمفاوضة والحلّ. وإذا وجد أحدنا نفسه في موقف كهذا، فيجدر به أن يضع قائمة من الحلول، وإن يكن بعضها بعيد المنال. هذه القائمة، بالطبع، يضعها الزوجان ثم يشرعان في امتحان بنودها واحداً واحداً الى أن يتفقا على حل مشترك يرضيهما معاً. ولنتذكر أن المحادثات الزوجية مهمة على الدوام، وإن تكن لا تدور على موضوع الحرب والسلام.

■ نورما بيترسون

تصور نفسك في سباق يائس
مع كتلة هائلة
تطاردك بسرعة لا تقهر

الكابوسُ الثَلجيّ



يـوم السـبـت السـابـع والـعـشـرون مـن مـارس (آذار) ١٩٨٢ هبت عاصفة ثلجية على جبال سييرا نيفادا شرق كاليفورنيا استمرت اربعة ايام. وفي منتجع التزلج "الباين ميدوز" قرب بحيرة تاو (بين ولايتي كاليفورنيا ونيفادا) راوحت كثافة الثلج قبل العاصفة بين مترين واربعة امتار. وفوق هذه الطبقة اهالت العاصفة الجديدة غطاء ثلجياً ثقيلا الى حد مقلق. فقد بلغ تراكم الثلج خمسة الى ثمانية سنتيمترات في الساعة.

وطوال ٩٦ ساعة واكثر استمر الثلج ينهال على نحو خطر على قمم الباين

ميدوز، تحمله ريح بلغت سرعتها ٢٠٠ كيلومتر في الساعة. وبحلول الساعة السابعة من صباح الاربعاء تكونت على سفح الجبل طبقة ثلجية جديدة بكثافة ٢،٣ متر بينما تكونت على القمم طبقة من ٤،٥ امتار.

ان عبارة "الثلج الجديد" تحضر الى الاذهان صورة غاية في الجمال والنعومة والهدوء. لكن هذا مغاير للواقع. فدليل الانهيالات الثلجية الذي تصدره مصلحة الغابات الامريكية يحذر من "ان الثلج الجديد هو اقل المواد الطبيعية ثباتاً على وجه الارض."

وفي الباين ميدوز تتخذ جميع الاجراءات الاحترازية الممكنة وتعتمد جميع الوسائل للحد من الانهيالات الثلجية. فكل صباح يركب رجال دورية التزلج المصاعد وسط العاصفة الباهرة، وتزرع كل يوم عبوات ناسفة يزن كل منها ٢٢٧ كيلوغراماً في الاماكن المعرضة للانهيالات على جوانب الجبل المحاصر بالثلج. ويهدف الارتجاج الناجم عن الانفجار الى نسف اي تراكم ثلجي وتحويله منحدراً اصطناعياً آمناً.

وتبقى على رغم ذلك بعض اماكن حساسة فوق مواقع التزلج لا تمكن رؤيتها او بلوغها على زلاجتين. ومن اجل هد الثلج المتراكم اعدت فرق العمل مواقع اقيمت عليها مدافع صغيرة متحركة سددت فوهاتها الى اهداف ترتفع ٢٠٠ متر. وقد اطلقت نارها ٤٨ مرة بين الاثنين وصباح الاربعاء.

ولسبب غامض مرتبط بتركيبة ذلك النوع من الثلج واتجاه الريح ودرجة انحدار الجبل، بقي الثلج معلقاً فوق القمة يتراكم طناً بعد آخر.

محاصرون في الثلج — في الساعة الثالثة من بعد ظهر الاربعاء لم يكن بقي في المنتجع الا قلة من الناس. كانت مسالك المنحدرات اقفلت ولم يحضر سوى عشرين موظفاً من اصل ٤٢٥ يعملون في المنتجع. وانهى رجال دورية التزلج ما امكن من اعمال وقف الانهيالات. وكانت احدى فرق العمل غادرت الى وادي سكوا المجاور الذي يبعد ثمانية كيلومترات على طريق السيارات، ليركب رجالها المصاعد هناك ويتزلجوا فوق كل قمة زارعين متفجرات في بعض المواضع غير الثابتة التي تهدد بالانزلاق الى الطريق المؤدية الى الباين ميدوز.

وفي الساعة الرابعة الا ربعاً بدأ الكابوس. كان عامل الصيانة راندي بك مع خمسة آخرين من عمال المنتجع وأحد الزائرين يرتاحون في المبنى ذي السقف المروَّس والمكون من ثلاث طبقات، والذي يحوي آليات مصعد التزلج ومركز المراقبة. ويصف راندي اللحظات العصيبة الاولى حين فاجأهم الانهيال.

يقول: "سمعت دمدمة وسرعان ما بدأ البناء يرتج بعنف. وفي اقل من ثانية ضربتنا ريح قوية. فانطرحت ارضاً وامسكت رأسي بين يدي محاولا ان اتكوم ككرة. وللحال غمرني الثلج من كل جانب وشعرت كأني اتقلب ضمن موجة بحرية. فقد كانت قوة الثلج طاغية. ثم احسست تياراً يسري

في الثلج كأنه مياه سريعة. وعندما توقف الثلج عن الحركة كنت على عمق نصف متر تحته. انتفضت واخرجت رأسي وكتفي الى الهواء الطلق. كنت لا ازال على ارض الغرفة التي امست بلا جدران."

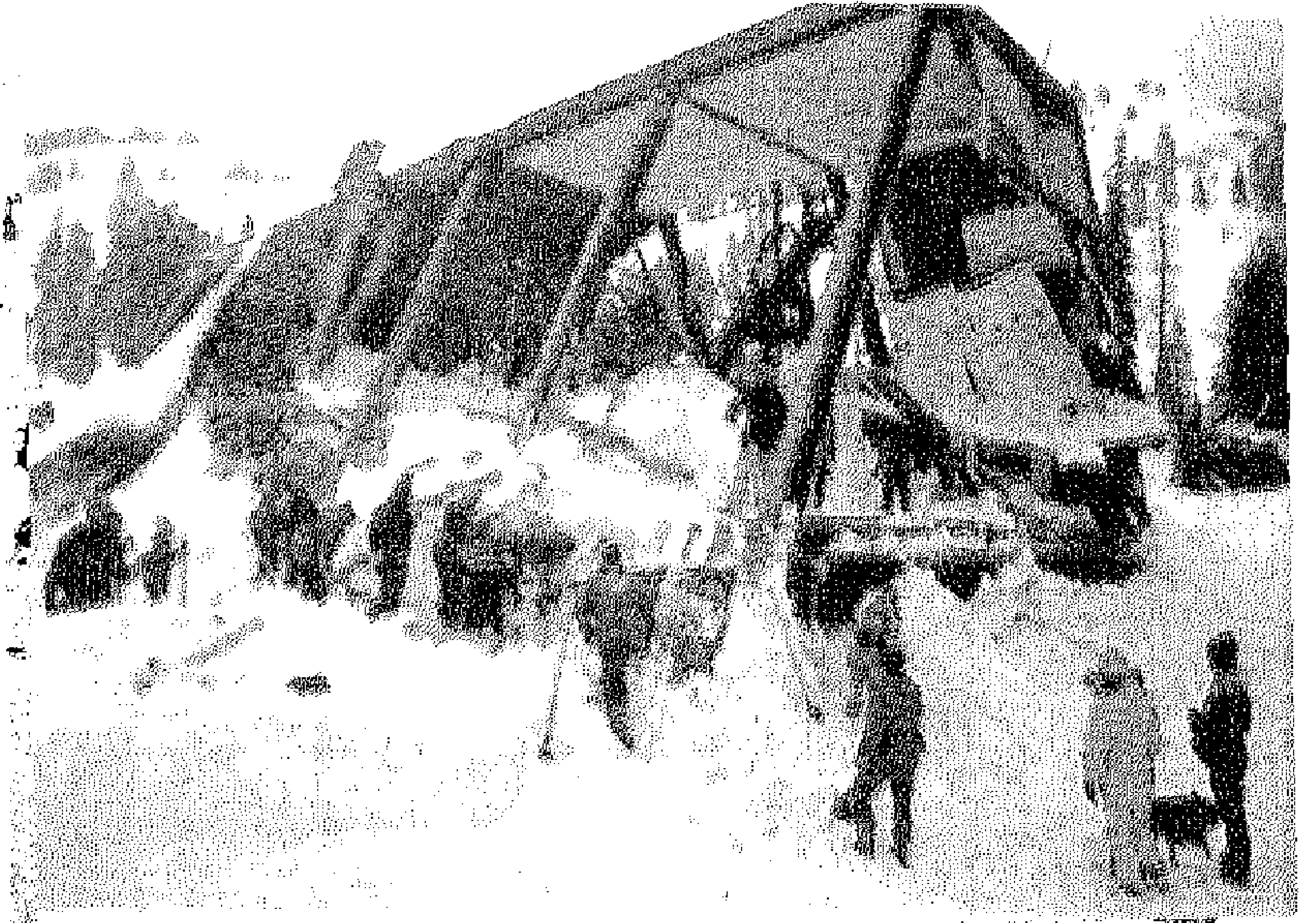
تحت الثلج والركام خمسة ايام الى ان وجدها عمال الانقاذ الذين كانوا يبحثون عن جثتها، وكانت ما زالت حية وفي كامل وعيها وسط جيب هوائي صغير.

القاتل النزوي ـ فضلا عن نجاة آن كونراد باعجوبة، كان الانهيال الثلجي في الباين ميدوز غير عادي من نواح اخرى. فمن النادر جداً ان يوقع انهيال ضحايا في منطقة تزلج. فمعظم الانهيالات تحدث في الاصقاع الداخلية وعلى المنحدرات التي لا تعترضها عوائق.

والامر الغريب الثاني هو ان انهيال الباين ميدوز سببته عوامل طبيعية لا عوامل بشرية. فالغالبية الساحقة من الانهيالات القاتلة يسببها الضحايا انفسهم من دون علم منهم. فمجرد وجودهم على زلاجات في منطقة ثلجية غير ثابتة يمكن ان يسبب انهيالا.

ثالثاً، لم يسبق ابداً ان حدث انهيال بهذا الحجم على ذلك المنحدر، ولا حتى ما يدانيه ضخامة. كانت كل المحاذير اتخذت لمنع كارثة كهذه. ومع ذلك توفي سبعة اشخاص.

وهنا تكمن الحقيقة المرة: الانهيال الثلجي قاتل نزوي ومن اشد عوامل



المبنى ذو السقف المروس في الباين ميدوز بعد الكارثة.

هذا الانهيال الثلجي الذي ضرب منطقة التزلج في الباين ميدوز حدث على جبهات ثلاث: كتلتان اطبقتا بدوي هائل على موقف السيارات فتسببتا في وفاة ثلاثة سياح وعنصر من فريق الانقاذ، كما ضربتا آليتين كبيرتين لتمهيد الطرق الثلجية فحولتاهما الى ما يشبه حلوى المشبك. اما الكتلة الكبرى فاكتسحت الاغصان والاشجار والصخور ثم المبنى ذا السقف المروس حيث طمر راندي، ووصلت الى الفندق الرئيسي مخلفة ثلاثة قتلى آخرين. وقد بقيت عاملة مصعد التزلج آنا كونراد مطمورة

الطبيعة فتكاً واكثرها شيوعاً، ومع ذلك يبقى غامضاً بمقدار ما هو مرعب.

فالانهيالات التي تحدث في جبال الالب توقع اكثر من مئة قتيل كل عام. وفي المناطق الجبلية غرب الولايات المتحدة يحدث عشرة آلاف انهيال سنوياً (معظمها من صنع الانسان). وهذه هي التي يراها الناس فقط، والله اعلم بعشرات الوف الانهيالات التي تنزلق او تنساب على المنحدرات البعيدة عن الاماكن السكنية.

والانهيالات الثلجية انواع لا تحصى. فبعضها عبارة عن كتلة غبارية تنساب على سفح الجبل كقطرات الدمع الندية مطلقة اثناء هبوطها رذاذاً من الدخان الثلجي. وبعضها الواح جليدية كثيفة وثقيلة تغطي هكتارات من الارض حولتها الريح ما يشبه رخامة مدفن هائلة يبلغ وزنها نحو مليون طن.

والتفاعلات الطبيعية التي تنشأ داخل انهيال ثلجي هي من اكثر القوى هولا على وجه الارض. ففي الداخل تكمن كتل كثيفة رجراجة من المادة. واثناء الانهيال يختل تركيب السوائل وتحدث زيادات عجيبة في السرعة وتغيرات ضخمة في ضغط الهواء وتنشأ حرارة نتيجة الاحتكاك الداخلي. فان كتلة ثلجية يمكن بكل سهولة ان تهوي بسرعة ٩٥ كيلومتراً في الساعة، اي اسرع مما يمكن ان يبلغه اي متزلج غير محترف.

الوف الضحايا ــ ان مجرد فكرة التسابق مع شيء يطاردك ويعادل في وزنه وحجمه اثنتي عشرة باخرة كاف لان يحبط عزيمة اي متزلج.

واذا كان السفح مديداً وعلى درجة حادة من الانحدار، فان كتلة ثلجية ثقيلة يمكن ان تتسارع حتى ١٦٠ كيلومتراً في الساعة. وعندما يبلغ الانهيال هذا الحد من القوة فقد يطلق دفقة من الهواء امامه.

ومعروف ان الضغط الهوائي الذي يتكون امام كتلة ثلجية تهوي بسرعة كهذه يمكن ان يكتسح الاشجار الضخمة ويفجر الابنية التي تعترضه. والاحتكاك المتولد داخل الكتلة المتدهورة يولد ما يكفي من الحرارة لاذابة الجليد. وعندما يبلغ الانهيال نهاينه يعود الماء الى كثافته السابقة بلمح البصر فيتجلد مغلفاً اي ضحية تعلق داخله ضمن علبة من الجليد مفصلة بحجم الضحية.

ويكاد العقل يعجز عن تصور القوة التي قد يبلغها انهيال ثلجي. يقول الدكتور هربرت اوليتزكي وهو من كبار الخبراء النمسويين في شؤون الانهيالات: "ان انهيالا من الرذاذ المندفع بسرعة ٣٨٥ كيلومتراً في الساعة يشبه الاعصار من جميع النواحي. الا ان الكثافة النسبية لمادة الانهيال الثلجي هي اشد فتكاً من الاعصار بكثير."

ويروي اوليتزكي حادثاً يثبت نظريته الرهيبة. ففي ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٢ انقصمت طبقة الجليد التي تغلف قمة جبل واسكران الذي يأتي في المرتبة السابعة ارتفاعاً بين جبال امريكا الجنوبية. وكان انكسارها في القسم السفلي

مباشرة تحت القمة الشمالية للجبل. ومزقت الكتلة المتهاوية مساحات هائلة من الثلج المتجمد والجليد. وسقطت ٩٠٠ متر عمودياً لتهوي في بركة ضحلة محدثة دوياً سمع على بعد كيلومترات.

واحدث الارتجاج الناشىء انهيالا جانبياً كبيرا تهاوى على السفح بسرعة ١٠٤ كيلومترات في الساعة ملتقطاً في طريقه اطناناً من الصخور والثلج ومتسلقاً التلال الصغيرة بين فينة واخرى.

وقطع انهيال واسكران ٤٠٠٠ متر عمودياً ومسافة ١٦ كيلومتراً افقياً، متسبباً في وفاة ٤٠٠٠ شخص وتدمير ثماني قرى جزئياً او كلياً.

وفي ٣١ مايو (ايار) ١٩٧٠ ضرب زلزال بلاد البيرو فانزلق الثلج عن قمة واسكران ثانية وتسبب في موت ٢٠ الف شخص.

ويلجأ علماء الثلج والجليد المتحمسون لفهم الانهيالات الثلجية والسيطرة عليها، الى كل ما ابتكره العلم او توصل اليه دماغ بشري او الكتروني لمواجهة المشكلة. وهم حققوا تقدماً كبيراً في هذا المجال. ولكن بلسان هؤلاء جميعاً يقول نوكس وليمس من مركز ابحاث الانهيالات الثلجية في فورت كولينز (ولاية كولورادو) التابع لمصلحة الغابات في الولايات المتحدة: "كلما علمنا المزيد عن الانهيالات الثلجية ادركنا اننا لا نعرف ما فيه الكفاية."

■ **وليم اوسكار جونسون**



ساعة الدجال

أصاب جدي أرق لم تشفه العلاجات التقليدية من أعشاب ومسكنات، ولا المستحضرات الصيدلية العصرية. وكحل أخير، استدعيتُ منوماً مغناطيسياً. ولما جاء هذا، طلب من جدي أن يضطجع في سريره فيما دلى فوق عينيه ساعة جيب وأخذ يقول ويكرر بصوت رَصين: "الآن ستحس ثقلا في أجفانك... الآن ستنام..." والحق أن جدي أغمض عينيه بعمق.

وغادر المنوم الغرفة بهدوء وهو يطلب منا ألا نزعج العجوز. وبعد قليل فتح جدي عينيه وقال كمن تخلص من كابوس: "إذاً غادر هذا الدجال المجنون."

د.ت.

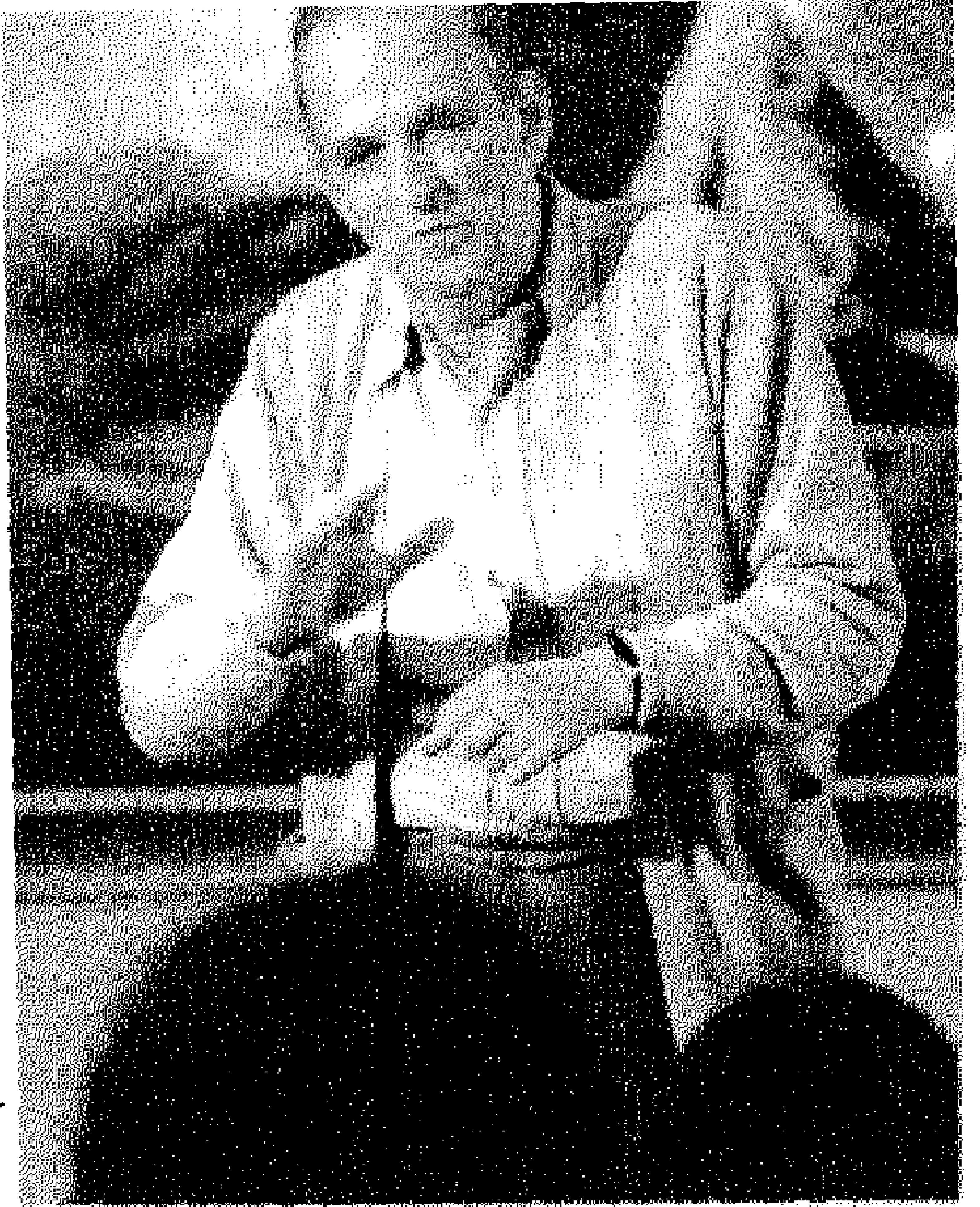
صلاة المغفرة

بعد سماعه مقدمة عريف الحفلة، قال الخطيب إنه يود **استهلال** حديثه بصلاة مغفرة لأمرين: أولا للأكاذيب التي تفوه بها المعرف، وثانياً للفرح الذي اجتاحه وهو يصغي الى ذلك الكلام.

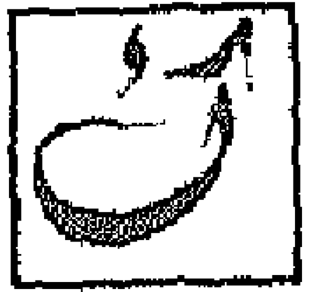
ل.ك.

ضوء على الحياة الشخصية والفنية لعملاق السينما الاسوجي

انغمار برغمان: أنقذه الخيال مِن قساوة الطفولة



Bishop / Gamma Liaison. Inc



كثيراً ما يشبه منتجو الافلام السينمائية بالجنود القدامى إذ قد يأفل نجمهم من دون ان يكون هذا الافول إيذاناً بنهايتهم. والواقع ان انصارهم لا يفتأون يتوقعون منهم أبداً روائع جديدة. الا ان انغمار برغمان (٦٥ سنة) يقول إنه سينقطع عن إخراج أي فيلم سينمائي على رغم كونه أعظم المخرجين الذين قدمتهم اسكنديناڤيا وأغزرهم إنتاجاً. وكان آخر أعماله السينمائية فيلم "فاني والكسندر" وهو عمل ضخم يستغرق عرضه ١٨٨ دقيقة ويصور حياة الترف في اسوج (السويد) في السنوات السابقة للحرب العالمية الاولى.

لقد حان الوقت إذاً لدخول عالم برغمان وتقويمه بمنأى عن القناع الذي يحجبه، من خلال شخصياته، عن المتفرجين. ولاشك في ان برغمان المليء بالتناقضات بارع في لفت الآخرين. فقد عين مديراً لأحد المسارح الكبرى وهو في الخامسة والعشرين. والمعروف انه يتزوج ويطلق بسرعة ملحوظة. وفي أواخر الخمسينات قدم دفقاً من الروائع تجلى في أفلامه الآتية: "ابتسامات ليلة صيف" و"الختم السابع" و"الفريز البري" و"الربيع البكر". وأدى فيلمه "السكوت" في العام ١٩٦٣ الى اصطدامه بهيئات المراقبة في بلدان عدة بسبب ما فيه من واقعية قاسية ومشاهد إباحية. أما برنامجه التلفزيوني الاول "مشاهد من الحياة الزوجية" فأصاب نجاحاً عظيماً. وعقب فضيحة الضرائب التي تعرضت

لها شركته للانتاج فرض على نفسه عزلة طويلة.

طفولة قاسية ـ يقضي برغمان وقته الآن متنقلا بين منزليه في ميونيخ (المانيا الغربية) واستوكهولم (اسوج) وبيت له في جزيرة فارو البعيدة في بحر البلطيك. وبات واضحاً أن عريكته لانت على مر السنين. فهو لم يعد ذلك الطاغية الذي شاع قوله إنه لن يتوانى عن قتل أصدقائه في سبيل فنه. ولم يعد ذلك الرجل، الذي طرح أحد النقاد أرضاً أثناء مشادة كلامية بينهما في المسرح الملكي للدراما في استوكهولم.

والغريب ان برغمان لم ينظر قط الى نفسه نظرة إعجاب. وينعكس ذلك في أكثر من أربعين فيلماً يندر ان نجد في أحدهما رجلا يستحق العطف. غير أن النساء في أفلامه يعكسن عظمة الابداع السينمائي ويتحلين بروح الفكاهة والفهم والتصميم. وربما عاد إظهار هذا التفاوت بين الجنسين الى أسباب تتعلق بشكل برغمان الخارجي، إذ كان في شبابه فتى شاحباً شديد النحول يتحاشى الرياضة ويعاني من التأتأة والقرحة المزمنة. وفي فيلم "فاني والكسندر" مشاهد ذات علاقة واضحة بسيرة برغمان الذاتية. ومن بين هذه المشاهد لجوء الكسندر الى حضن جدته خوفاً من مواجهة والده المحتضر في حين كانت أخته الصغرى فاني تحدق برباطة جأش الى سرير الموت.

إن هذا الفزع من العالم يرقى الى طفولة برغمان. فقد كان أبوه كاهناً ثم أضحى قسيساً في البلاط الملكي في اسوج. أما أمه فكانت تدبر شؤون المنزل بحزم شديد. ويذكر برغمان أن والديه كانا يجلسان الى المائدة "فيتحادثان بلطف واتزان، لكن المرء كان ليشعر بتوتر شديد يسود علاقتهما."

وكان من بين الطقوس اليومية في المنزل معاقبة الاولاد. ومن أقوال الأم المأثورة في هذا الشأن: "إني أعاقبك لأني أحبك." وحين كان برغمان الصغير يبلل فراشه كانت تجبره على ارتداء ثوب أحمر طويل والمشي به أمام العائلة. وفي هذا يقول برغمان: "كنت دائماً أتلعثم في كلامي باحثاً عن أعذار أطلب بها السماح. وكنت أحس باذلال يعجز عنه التعبير." وذات مرة حبسته امه في خزانة للثياب واقفلتها، فأسرعت أخته مرغريتا تبحث عن المفتاح فيما كان هو يمزق بأسنانه هدب ثوب لأمه وقد استبد به غضب يأئس. ويرى برغمان ان الذين يضربون في صغرهم ينزعون الى اعتماد الضرب وسيلة عندما يكبرون. وفي سنوات ماضية كان هو نفسه قاسياً جداً في لحظات التوتر.

انتقام من الماضي ـ واجه برغمان الوحشية البيتية التي عاناها في طفولته بالهروب الى احلام اليقظة، سواء أكان جالساً على الجسر قرب منتجع العائلة في دالارنا أم على سطح بيت جدته في أبسالا، يستمع الى الاصوات البعيدة ويتخيل ان

الستائر والتحف الفنية تتحرك من تلقائها. وكان يروقه ان يخوض تجارب مروعة. فقد اقام والداه مدة في مسكن تابع لمستشفى خاص بنخبة من الناس، فكان يقصد احياناً غرفة الحرق ليشاهد كيف تحرق الاطراف والاعضاء الميتة وتتحول رماداً. ويتذكر برغمان ذلك قائلا: "لقد كان منظراً مؤذياً لكني كنت احبه."

يعالج برغمان الذكريات التي تقض مضجعه باسهاب لم يسبق له مثيل في فيلم "فاني والكسندر" الذي يعد إنتاجاً كبيراً بلغت كلفته ستة ملايين دولار ويتضمن ما يزيد على ستين مشهداً ناطقاً. فبعد وفاة والد الكسندر تزوجت أمه وانتزع هو وأخته من بيتهما وألقي بهما في غرفة أشبه بالقفص خالية من الاثاث. ولم يكن الاخوان يسلمان من الضرب.

وخاض الكسندر الخجول مع زوج أمه معركة حاول فيها كل منهما ان يفرض ارادته. ولم يجد هذا الصبي الضعيف الجسم والحجة سوى الخيال ملجأ له واستطاع من خلاله ان ينتقم من معذبه انتقاماً شنيعاً. إلا ان من الصعب الاستنتاج من فيلم برغمان الاخير اذا كان هذا الفيلم محاولة جاهدة منه لتطهير ماضيه أم تعبيراً عن متعة شديدة وجدها في ذلك الماضي.

مغادرة الوطن ـ لم يكن برغمان وسيماً بالمفهوم التقليدي لكنه اشتهر على مر السنين بأنه زير نساء. فهو ذو جاذبية تكاد تكون حقلا مغناطيسياً ذا تأثير عظيم في كل من يتحدث اليه. لقد تزوج برغمان بضع مرات انتهى فيها زواجه الى الانهيار، وعلى رغم ذلك فلا تزال النساء اللواتي شاركنه في حياته يظهرن تعلقهن به من خلال كلامهن عليه. فزوجته الاولى السي فيشر، مصممة الرقص الموهوبة والكاتبة المسرحية، لا تزال تتابع أعماله الفنية باهتمام. وزوجته الرابعة كابي لاريتاي، عازفة البيانو في الفرقة الموسيقية الاستونية، لا تزال على علاقة به وثيقة وقد مثلت دوراً في فيلم "فاني والكسندر". أما ليف أولمان فبقيت الممثلة الاولى في أفلامه حتى بعدما تركته (أنجبا بنتاً أثناء إقامتهما معاً في جزيرة فارو).

إلا ان برغمان لم يعرف من قبل الراحة والسعادة اللتين عرفهما بعد تزوجه انغريد في العام ١٩٧١، اذ كانت تتحلى بهدوء وكياسة وقدرة كفيلة بتسكين مزاجه العصبي. وباتت زوجته هذه مديرة أعماله وكاتمة أسراره وتولت شؤون الانتاج في عدد من أفلامه.

ومن الملاحظ ان برغمان تخلى بمرور السنين عن معظم لباس طفولته المزركش وبات يرتدي ثياباً بسيطة لا تسترعي الانتباه. وتقول بيبي اندرسون التي رافقته وبرزت في كثير من أعظم أفلامه إنه ظل ينتعل الحذاء نفسه سنوات عدة وكان يبقيه شديد النظافة فلا يبلى. والى ذلك فهو يتحاشى ارتياد النوادي الليلية واقتناء سيارات السباق واليخوت وسواها مما يحلو لعلية القوم

اقتناؤه، وهو يؤثر ان ينفق ماله على أولاده الثمانية. ويعتمد برغمان على الوكلاء والمحامين لمتابعة التعقيدآت المالية التي تعرض له. ويبدو ان هؤلاء هم الذين اخفقوا في إنقاذ الموقف في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٦ عندما اتهم المخرج بالتهرب من دفع الضرائب في اسوج.

كان على خشبة المسرح الملكي للدراما يشرف على تمارين "رقصة الموت" للكاتب سترنسدبرغ، وإذا بشرطة الضرائب تصل الى المسرح وتطلب منه أن يغادر المكان برفقتها. واقتيد برغمان الى مركز الشرطة حيث استجوب وأخذ منه جواز سفره وهدد بدفع غرامة ضخمة. ثم ما لبث ان أدخل أحد مصحات استوكهولم لاصابته بارهاق عصبي.

لقد بات الكابوس حقيقة قائمة، إذ إن برغمان الذي كان يشله التهديد المستمر بالاذلال غدا عرضة لفضيحة لا يمكن إخفاؤها. وبعد ثلاثة أشهر نشر مقالا لاذعاً حول القضية اتهم فيه بعض مفتشي الضرائب وأعلن أنه سيغادر اسوج نهائياً. وكان برغمان اصطحب زوجته الى المطار بهدوء وسافرا الى باريس قبل نشر المقال بيوم واحد. وبدت تلك المدينة ملائمة للزوجين من الناحية الثقافية، غير انهما لم يطيقا فيها الضجيج فذهبا للاقامة في ميونيخ.

عناد وخجل ــ المعروف عن برغمان انه لا يتحمل ان يخالفه أحد الرأي في ما يتعلق بعمله الفني. ويقول المهتمون بشؤون السينما والمسرح في استوكهولم: "إنك لا تستطيع رفض آراء انغمار." فالذين يقاومون ارادته أو يعترضون عليه لا يكون لهم حظ في العمل معه ثانية. وربما عمد أحياناً الى توبيخ مصوره السينمائي اللامع غونار فيشر على مسمع من الآخرين. إلا انه يعود ليعتذر اليه باكياً في اليوم التالي.

غير ان برغمان، بخلاف بعض مشاهير المخرجين، لم يخلّف اتباعاً له في عمله.

ومع ذلك فان تأثيره لا يستهان به البتة. فالممثلون بيبي اندرسون وليف أولمان وماكس فوسيدو الذين برزوا في أفلامه تعدت شهرتهم حدود اسكندينافيا. والى ذلك كان برغمان مجدداً في بعض النواحي الفنية، فعمد على سبيل المثال الى استخدام انعكاسات المرآة في افتتاح المشاهد المسرحية. كما ان اخراجه السينمائي لاوبرا "النادي السحري" لموزار يبقى علامة هادية في هذا اللون من العمل الفني.

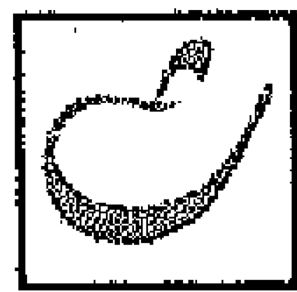
وفي اسوج يذهب كثيرون الى ان عمل برغمان المسرحي يفوق عمله السينمائي. وهو ينوي متابعة العمل في المسرح ("لن يخرجوني من هنا الا على محمل"). وفضلا عن ذلك فانه انهى حديثاً مسرحية تلفزيونية بعنوان: "بعد التمرين".

أما في ما يتعلق بالعمل السينمائي فيقول برغمان: "أفضل أن أترك انتاج الافلام السينمائية لمن هم أصغر مني سناً. كذلك لم يعد في وسعي ان افرح بها اكثر مما فرحت من قبل."

■ **بيتر كوي**

ماذا يعرف الأطفال عندما يولدون؟

الجواب عن هذا السؤال، بحسب الدراسات الحديثة، أن المواليد الجدد يعرفون أكثر كثيراً مما يتصور معظمنا



ثمة اختبارات طبية وسلوكية كثيرة يجريها الخبراء في امكنة عدة حول العالم بحثاً عن جواب لاحدى اهم المسائل المتعلقة بالحياة البشرية وادهشها: ما الذي يعرفه المواليد الجدد لدى مجيئهم الى العالم؟ وكيف يبدأون تنظيم تلك المعرفة واستخدامها خلال السنوات الاولى من حياتهم؟

ويبدو ان الاختبارات المختلفة

Condensed From Time (August 15, '83), (c) 1983 by Time Inc., New York, N.Y.
Photo: Jeffrey Reed / The Stock Shop

افرزت جواباً اولياً، وهو ان الاطفال يعرفون اكثر مما يظن العديد من الناس. فهم يبصرون اكثر ويسمعون اكثر ويفهمون اكثر، ولديهم استعداد لمصاحبة اي بالغ في عالمهم يظهر عطفه وعنايته نحوهم. وهذه النتائج تتحدى المفاهيم التقليدية حول تنشئة الأطفال وتربيتهم واستعداداتهم الفطرية.

ولا شك في ان الأهل يريدون بذل الأفضل في سبيل اولادهم، بشرط ان يعرفوا ما هو هذا الافضل. والواقع ان كل طفل يختلف عن كل طفل آخر. وهذا الاختلاف، كذلك عائق اللغة، يقفان عقبة في سبيل البحث العلمي المكتمل. ويقول بورتون وايت في كتابه "السنوات الثلاث الاولى من الحياة": "بت اعتقد ان الأطفال الذين يستهلون حياتهم كما ينبغي لا يتجاوزون الواحد في العشرة."

وتجدر الاشارة الى ان علماء النفس انطلقوا، منذ الخمسينات، يبحثون عن طرائق مخبرية تمكنهم من قياس قابلية الأطفال للتعلم. وفي العام ١٩٥٨ توصل الاستاذ روبرت فرانتنر من جامعة كيس وسترن ريزيرف في كليفلاند (اوهايو) الى كشف مهم في هذا المجال، باظهاره ان الطفل قد يعبر عن دهشته حيال الأشياء الجديدة في عالمه بلغة الصمت التي يقرأها المراقب في حركة عينيه. واظهر ان الأطفال، اذا اتيحت لهم خبرات متنوعة، يختارون المتحرك عوضاً عن الجامد والمعقد بدلا من البسيط.

وما لبثت الفحوص المنهجية ان اظهرت ان الأطفال لا يكتفون بمراقبة الأشياء، بل يختارون في ما بينها، مفضلين "هذا" على "ذاك". ووجد احد الأطباء الباحثين ان الطفل، بعد مرور اثنتي عشرة ساعة على ولادته، تظهر على وجهه امارات الرضا اذا وضعت قطرة ماء محلاة على لسانه ويبتسم اذا لامست شفتيه قطرة من عصير الليمون. والأدهى من هذا ان المولود الجديد يبتسم بغبطة اذا وضعت قطنة مبللة بعصارة الموز تحت انفه، ويحتج لرائحة البيض الفاسد، كما يبتسم لرائحة الفانيليا ويمتعض لرائحة السمك.

قدرة متطورة - يخرج الطفل من الرحم وهو يتمتع بقدرة بدائية على النظر تبلغ درجتها ٢٠ على ٥٠٠. الا ان هذا "العمى الفعلي" يزول سريعاً ويباشر الطفل اكتشاف عالمه. وفي الاسبوع الثامن عقب الولادة يستطيع الأطفال تمييز الأشياء من حيث اشكالها والوانها. وأول ما يلفتهم اللون الأحمر، ثم الأزرق. وفي الشهر الثالث يبصرون ملياً بكلتا العينين.

اما اذنا الطفل فتباشران عملهما داخل الرحم. ومنذ الستينات من هذا القرن اظهرت الاختبارات ان الأطفال يناموي سريعاً اذا انصتوا لصوت قلب بشري او ما يشبهه من اصوات منتظمة. كما بينت التجارب الحديثة ان المواليد الجدد يؤثرون الأصوات الأنثوية وانهم يعرفون اصوات امهاتهم بعد اسابيع قليلة من الولادة.

وقد بين عالم النفس بيتر ايماس

من جامعة براون الامريكية (ولاية رود آيلند) ان الأطفال الذين بلغوا شهراً واحداً من العمر يتمتعون بقدرة "متطورة جداً" على تصنيف الأصوات التي يسمعونها "من حيث اهميتها او عدم اهميتها بالنسبة اليهم." ويقول ايماس: "لم اسمع طفلا يقلد صوت ثلاجة. وهذا دليل على قابلية الأطفال الفطرية لاكتساب قواعد اللغة واستخدامها."

الا ان ذهن الطفل يبدأ العمل قبل اكتسابه اللغة بوقت طويل. وفي العام ١٩٧٧ نشر عالمان نفسيان من جامعة واشنطن في سياتل، وهما آندرو ميلتزوف وكيث مور، دراسة تظهر ان الأطفال يستطيعون في اليوم الثاني عشر الذي يعقب الولادة تقليد شخص بالغ يمد لسانه امامهم. واذا منعتهم مصاصة او ما شابهها عن محاكاة هذه الحركة فوراً، فهم يحفظونها ويقلدونها على أثر خروج الحلمة الاصطناعية من افواههم.

ووجد العالمان المذكوران لاحقاً ان المواليد الجدد يستطيعون محاكاة الحركات عينها وتقليد الكبار. وهذا يبرهن عن قدرة الأطفال الأولية على التفكير المتجلي في الربط بين النظر والنشاط العضلي. وقد لاحظ ميلتزوف ان الأطفال "يربطون بين حركة الفم والأصوات التي يسمعونها، وهذا يعني انهم قارئو شفاه."

التلقائي والارادي – ثمة مهارات وافعال يظهرها الأطفال لا اساس لها في خبراتهم السابقة. وفي مركز هارفرد للدراسات الذهنية وُجه ظل مكعّب متحرك نحو اطفال في الاسبوع الثاني من عمرهم. ومع دنو الظل منهم كانوا يبعدون رؤوسهم بارتباك لتجنب الصدمة، على رغم ان خبراتهم السابقة لم تَنْطَوِ على ما يشبه ذلك.

وعندما سلط هذا الظل عبر خط منحرف بعيد عن الأطفال، تبعوه بأنظارهم من غير اضطراب. ولكن كيف يفعل الأطفال ما يفعلون؟ هذه مسألة شديدة التعقيد حاول بعضهم التصدي لها. ويظن بعض العلماء، كالطبيب النفسي الكندي توماس فيرني احد مؤلفي "الحياة السرية للطفل غير المولود"، ان الأطفال يبدأون التعلم وهم اجنة في أرحام امهاتهم. ويعتقد معظم الخبراء ان الأطفال يحملون الخصائص الوراثية التي لجأ اليها الانسان الاول في صراعه للبقاء. ومن هذه الخصائص ما يسمى "فعل مورو التلقائي"، وهو يتجلى في مدّ الوليد ذراعيه كلما شعر انه يكاد يسقط أرضاً.

ومن اغرب العناصر في نموّ الطفل انه سرعان ما يفقد الكثير من المهارات التي كانت له عند الولادة. فالوليد الجديد الذي يوقف حسناً على طاولة يوشك ان يخطو اذا ترك قليلا. واذا وضع في الماء، فهو يبذل بعض الحركات الضرورية للعوم. الا ان هذه المهارات تزول بعد اشهر من الولادة.

ويظن معظم الخبراء اليوم ان الأطفال يولدون بمهارات تلقائية لا تلبث ان تعطي مكانها لأنماط سلوكية توجهها قشرة الدماغ. وفي رأي لويس ليبسيت مدير مركز دراسات

الطفولة في جامعة براون ان المرحلة الانتقالية المشار اليها قد يرافقها اضطراب يفسر وفيات الأطفال الغامضة خلال السنة الاولى من حياتهم، وهي مرحلة يتردد فيها الطفل بين العمل التلقائي والعمل الذهني المدروس.

ومن المراحل الحاسمة في تطور الطفل بلوغه الشهر الثاني ثم الثامن ثم الثاني عشر. ففي الشهر الثاني يصحو الطفل وقتاً اطول ويبتسم اكثر ويحدّق بدهشة الى احد اكتشافاته الجديدة، اي يده. وفي الشهر الثامن يحس انه كيان مستقل ويدرك ان الشيء المخبوء عنه ما زال في مكانه. اما في الشهر الثاني عشر، وهو الشهر الذهبي، فالطفل يكون استهل المشي والكلام ويعرف ان كل من حوله ينتظره وينظر اليه. واحياناً نجد طفلا بلغ السنة يضحك بملء صوته من غير سبب ظاهر.

المحبة اولا ـ ما اشارت اليه الدراسات الجديدة اذاً هو ان التطور الذهني للأطفال يواكب تطورهم الجسدي. ومما يعنيه هذا الأمر ما يأتي: هل من الحكمة ارسال الطفل الى حديقة اطفال في هذه السن الباكرة جداً؟

معظم علماء النفس الذين شاركوا في الدراسات المذكورة يعارضون بشدة ارسال الولد الى المدرسة قبل السن الثالثة او الرابعة، وان اظهر مقدرة على التعلم. ويقول العالم النفسي كورت فيشر من جامعة دنفر (كولورادو) حول السنة الاولى:

"ابعدوا افكاركم عن تعليم الطفل، وضعوها في تأمين جو له غني بالعطف والعناية والدعم."

وحاجة الطفل الأساسية هي الى من يلازمه باستمرار ويوليه العناية على نحو ملحوظ. والواقع ان الدراسات الحديثة تؤكد اهمية العلاقة بين الطفل والام. ولا يكفي ان يتلقى الطفل الغذاء والمحبة من امه، بل ينبغي ان تلعب معه وتطلعه على ما يحدث في العالم.

وقد تولى العالم النفسي مايكل لويس الذي يرئس معهد دراسات نمو الاطفال في كلية الطب التابعة لجامعة راتغرز الامريكية (نيو جرزي)، فحص مئة طفل من حيث النمو العقلي خلال الشهر الثالث من حياتهم، وسجل ردود فعل امهاتهم تجاه علامات التعب التي تبدو عليهم. وتبين له ان اولئك الذين ينالون المزيد من العناية والعطف يكتسبون مقداراً اكبر من المعارف لدى بلوغهم الشهر الثاني عشر.

هذه العلاقة العاطفية المهمة بين الام والطفل تأخذ مجراها في ما يشبه الحوار الصامت. والطفل لا يكتفي بفهم ما تنقله امه اليه او تحجبه عنه، بل يحاول ان ينقل اليها رسائله هو ايضاً بشرط ان تصغي اليه حسناً. ويقول الدكتور بينيت لفنتال من دائرة طب الاطفال النفسي في جامعة شيكاغو: "بتنا ندرك ان الأطفال البالغين السنة هم من افضل التلاميذ، وانهم في الوقت نفسه معلمون بارعون لو وجدوا من يتفاعل واياهم. واحياناً نجد الطفل القادر في عهدة

والدين غير قادرين·" ومن مظاهر الاخفاق الاولى في علاقة الام بالطفل عدم نظر احدهما الى الآخر·

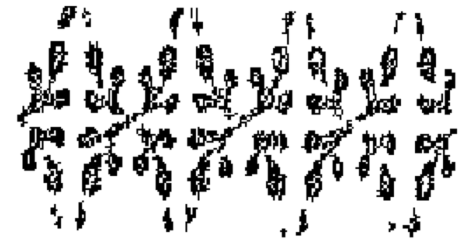
والحق ان الكثير مما تحاول الدراسات المعاصرة برهانه علمياً عرفه الأهل منذ أقدم الأزمان، اما بالفطرة واما بالخبرة، وهو ان الأطفال يحتاجون الى المحبة والاثارة والاطلاع، وأول هذه الثلاثة المحبة·

وقد بينت الدراسات مدى الخلل الذي يحصل في حال اهمال هذه الحاجات·

ويبقى الأطفال بالنسبة الى غالبية الناس فعل ايمان بالأفضل لهم وللعالم· ويقول مايكل لويس: "ايمكننا تأسيس مجتمع افضل اذا كان اطفالنا اكثر صحة وسعادة؟"·

والجواب، بكل تأكيد: "نعم·"

■ اوتو فريدريك



اللهم اعتقنا···

في جناح الاطفال في أحد مستشفيات لندن، عُلقت القطعة الآتية المسماة "صلاة الطبيب":

من السعي وراء كل" ما هو جديد ومقت كل" ما هو قديم،
من تقديم المعرفة على الحكمة والعلم على الفن" والاجتهاد على البديهة،
من معاملة المرضى كحالات وليس كبشر، ومن جعل الشفاء أعسر احتمالا من المرض،
اللهم" اعتقنا·

ر·ه·

تطور الشخصية

يحتكم المرء الى حجج كثيرة في مراحل حياته المختلفة· فعندما يكون طفلا، يبدأ كلامه بـ"أمي تقول···"، وفي المدرسة الابتدائية: "يقول المعلم"، وفي المدرسة الثانوية: "أصدقائي يقولون"، وفي الجامعة: "أنا أقول"، وبعد حصوله على وظيفة: "من يقول هذا؟"

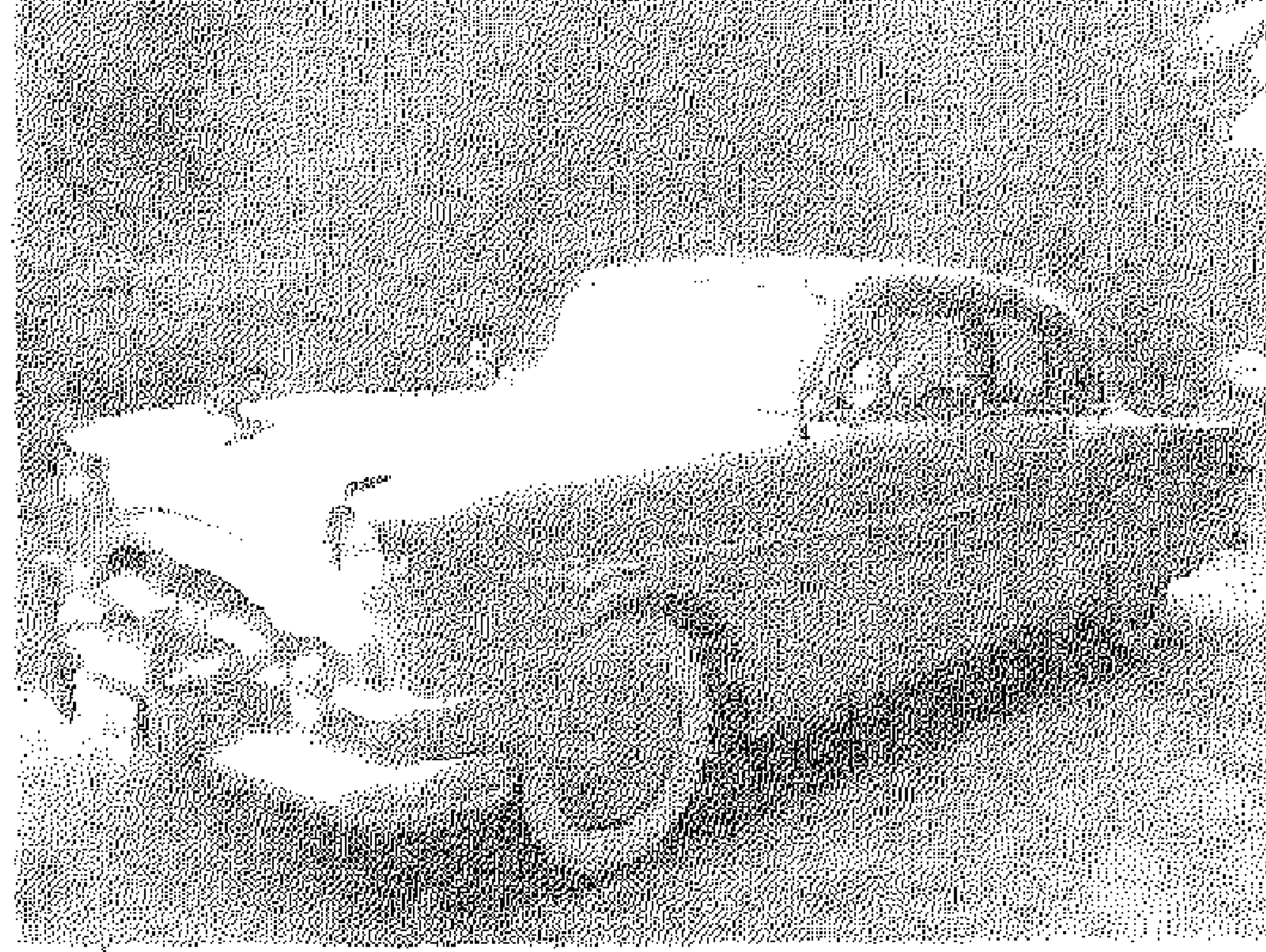
ف·ي·

محافظ قبل الاوان

بعد أقل من خمس ساعات على ولادة ابنتنا، كانت تنام في مهدها وزوجي معي في الغرفة يستغرق في التفكير، وسألته: "على ماذا تدور أفكارك؟" فأجاب بجدية تامة: "إني لا أسمح لشاب عادي بمرافقة ابنتي·"

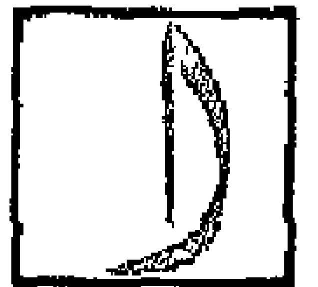
ج·ك·

الصيانة المناسبة والقيادة السليمة
تجعلان سيارتك تخدمك مدة طويلة جداً



سيارة من طراز "باكارد" صنعت عام ١٩٥٢ ويملكها فريد ودان كانتر من بونتون، نيوجرزي، وقد اجتازت ٢٠٠ الف كيلومتر وما زالت في حال ممتازة.

٢٠ نصيحة تطيل عُمرَ سيّارتك



اتبع النصائح المدرجة في هذه المقالة لتجعل سيارتك تنقلك مسافة ٢٠٠ الف كيلومتر بايلائها اقل مقدار من العناية، وضعف هذه المسافة بايلائها العناية الصادقة.

فلماذا لا تمد بعمر سيارتك بالافادة من الخدمات المتوافرة للجميع؟ ان ذلك لن يكلفك الا نحو ٢٠٠ دولار سنوياً في مقابل الصيانة العادية، مع الانتباه الى الطريقة التي تقود بها السيارة.

تدابير الصيانة

حين تشتري البنزين (الوقود) اجعل عامل المحطة يفحص مستوى الزيت في المحرك وفي علبة تروس السرعة، كذلك مستوى الماء في المبرد (رادياتور).

١- بعض اصحاب السيارات يغيرون زيت المحرك ومصفاة الزيت بعد قطع مسافة ٣٢٠٠ كيلومتر، ويشترون الزيت الممتاز لتأمين عمر طويل للمحرك والصمامات. غير زيت سيارتك ومصفاتها وفق توصيات

Photo: Arthur Sirdofsky/The Stock Shop

الشركة او في فترات أقرب وذلك لمكافحة الد اعداء المحركات: الحرارة والاقذار ·

٠٢ في معظم السيارات الحديثة يمكنك ان تفحص مستوى ماء التبريد بالنظر الى الخزان الجانبي الزجاجي الذي يتسرب اليه الماء الفائض من المبرد· أضف اليه اذا دعت الحاجة (لا ترفع غطاء المبرد ابداً عندما يكون المحرك حامياً)· فاذا لم تحافظ على مستوى الماء الصحيح، فقد ترتفع حرارة الماء ويتوقف المحرك نهائياً بسبب تمدد اجزائه بفعل الحرارة، وتكون النتيجة احتراق الحشية (الجوان) بين مجمع الاسطوانات والغطاء (يكلفك اصلاح ذلك بين ١٥٠ و٢٥٠ دولاراً)·

٠٣ اذا لم تستعمل النوع الصحيح او المقدار الصحيح من زيت علبة التروس الآلية، فان هذه قد تتفتت· افحص مستوى الزيت فيها باستعمال المسبار الخاص· واذا نقص الزيت، زده من النوع الجيد·

اما علبة التروس اليدوية فمن العسير فحص زيتها· وفي هذه الحال يتولى ميكانيكي رفع السيارة ثم يحل سدادة العلبة من أسفل ليرى اذا كان الزيت يندلق منها الى الخارج· اذا لم يندلق اي زيت، فانه يضيف الى ما في العلبة مقداراً كافياً من الزيت الموصى به لسيارتك· يمكنك ايضاً التحقق من وجود تسرب بملاحظة بقع الزيت على ارض المرأب حيث توقفها· فربما كانت هذه البقع متسربة من علبة التروس·

٠٤ ان تشحيم الهيكل (شاسي) مع كل تغيير زيت يمد بعمر المفاصل ذات الاكر والرفاصات والوصلات وسواها من الاجزاء الاساسية· فاصلاح هذه القطع يكلف بين ٤٠ دولاراً واكثر من ٢٠٠ دولار تبعاً لاهتراء القطعة او مجرد حاجتها الى التضبيط·

٠٥ فيما السيارة فوق الرافعة اطلب من الميكانيكي ان يفحصها ويرى اذا كان هناك صدأ في اسفلها· معظم السيارات الحديثة يطلى سطحها الاسفل بطبقة مانعة للصدأ ولا تكون ثمة مشكلة· ولكن حيث ترش على الطرق في الشتاء مواد مذوبة للجليد، فقد يظهر الصدأ·

اخطاء القيادة

٠١ لا تحمّ السيارة الحديثة، فالتحمية تسمح للرطوبة والمواد الملوثة بالتجمع في وعاء الزيت مما يستوجب في النهاية عملية تصليح شاملة للمحرك· ومع ذلك تتطلب السيارة معاملة لطيفة وهي لا تزال باردة· أدر المحرك وانتظر بضع ثوان للتأكد من ان جميع السوائل اخذت تجري في مساربها، ثم انطلق على مهل وبعناية· لا تعجل دوران المحرك وهو بارد·

٠٢ اذا لاقيت صعوبة في ادارة المحرك، لا تبق المفتاح في وضع التشغيل مدة تزيد على عشر ثوان· انتظر بضع ثوان بين المحاولة والاخرى، فهذا يسمح لمحرك التشغيل بان يبرد كما يضيف الوف الكيلومترات الى حياته العملية·

٠٣ الخطيئة الكبرى في قيادة السيارة هي ابقاء القدم على دواسة

الكابح (الفرامل) ومن اجل اطالة عمر الكابح وتحاشي دفع تكاليف اصلاحه التي قد تراوح بين ٧٥ دولاراً و٢٠٠ دولار، يجب ابعاد القدم عن الدواسة الا حين استعمال الكابح فعلا. كذلك تجنب الوقوف المفاجىء. توقع ضرورة الوقوف وخفف السرعة قبل ايقاف السيارة. في عملية الايقاف أضغط الكابح قليلا ثم ارفع قدمك لتضغط ثانية بلطف، وهكذا تقلل من تحمية جهاز الكابح.

٤. لا تشغل القابض (دوبرياج) اكثر من اللزوم في السيارات ذات المبدل اليدوي للسرعة. ارفع قدمك عن دواسة القابض فيما انت تزيد من سرعة السيارة، ثم أبعد قدمك عنها حين تتحرك السيارة. وحين توقفها لمدة تزيد على ثوان معدودة حول ناقل السرعة الى الوضع المحايد (مور) وارفع قدمك عن الدواسة حالا. ان جهاز القابض الذي يكلف ابداله بضع مئات من الدولارات يمكن ان يخدمك ألوف الكيلومترات اذا عاملته بلطف.

٥. القيادة بلطف هي ايضاً السر في وقاية جهاز التعليق. فالرفاصات يجب ان تخدم طوال عمر سيارتك. ومقاومات الصدمات (تراوح كلفة المجموعة منها بين ٣٥ دولاراً و١٠٠ دولار) تخدمك مدة اطول من المعدل العادي (بين ٤٠ و٥٠ الف كيلومتر) اذا لم تدفع بسيارتك لتتواثب في سيرها او تقفز فوق حافات الارصفة. واهتراء مقاومات الصدمات قد يعطل الرفاصات، ولذا يجب ابدالها حالما تتلف. ولفحصها ما عليك سوى ان تضع يدك على زوايا السيارة، كل على حدة، وتضغط لتجعلها تعلو وتهبط. دعها وتراجع لتراقبها. يجب الا تعلو السيارة وتهبط سوى مرة واحدة.

درهم وقاية

تشبه السيارة جسم الانسان. ففي كليهما يؤدي اهمال الاجزاء الصغيرة الى تلف الاجهزة الرئيسية.

١. ان تلف حزام المروحة (ثمنه بين ٦و٩ دولارات) قد يسبب عطلا خطيراً في المحرك تصل كلفته الى ١٠٠٠ دولار، لانه يسمح لحرارة المحرك بالارتفاع الى درجة عالية جداً. فالحزام الرخو او المشدود اكثر مما ينبغي يلقي عبئاً اضافياً على مضخة الماء والمولد الكهربائي وقابض المروحة وسواها من الاجزاء ويسبب تلفها قبل الاوان. اطلب من عامل المحطة ان يفحص حزام سيارتك ليرى ما اذا كان مهترئاً او متفسخاً او متشققاً نتيجة ارتفاع حرارة المحرك.

٢. قد لا تكون النظافة كل شيء في ما يتعلق بالمكربن (كاربوراتور)، لكنها بلا ريب تمدّ في عمره. وتحوي بعض الانواع الرخيصة من الوقود، سواء أكانت مصفاة ام غير مصفاة، مواد ملوثة تعطل عمل المكربن.

راقب مصافي الوقود في سيارتك. لبعض السيارات مصاف حيث يدخل الوقود المكربن، ولبعضها مصاف داخل مجرى الوقود، ولبعضها مصاف في المكانين. غير المصافي كلما احضرت سيارتك الى المرأب (الكلفة الاضافية نحو خمسة دولارات). اطلب

من عامل محطة التشحيم ان يشحم وصلات المكربن كذلك.

٣• لمصفاة الهواء التي تنقي الهواء المندفع الى جوف المكربن أهمية كذلك في تأمين حياة نظيفة وطويلة للمحرك. ويجب تغييرها (ثمنها بين ٦و١٠ دولارات) وفقاً لتوصيات الشركة او في مواعيد أقرب اذا كنت تقود سيارتك في اماكن جافة يكثر فيها الغبار.

٤• أفرغ مجاري جهاز التبريد ونظفها مرة واحدة في السنة على الاقل. استعمل دائماً صنفاً جيداً من المادة المقاومة للتجلد، فالانواع الرديئة تسبب التآكل وتقضي على مضخة الماء ومجاري المبرد أسرع من اي شيء آخر.

٥• اضافة الى التشغيل والتوقيف بلطف يعتبر التشحيم والتزييت عاملين جوهريين في اطالة عمر الوصلات الجامعة التي تنقل القوة المحركة من عمود الادارة الى محاور العجلات. فاذا تلفت الوصلات التي في شكل "U" (ثمن الواحدة نحو ٤٠ دولاراً) توقفت السيارة. لذلك تأكد من تشحيم الوصلات كلما اخذت السيارة للتشحيم.

٦• لكي تطيل عمر انبوب تصريف الغاز وكاتم الصوت وماسورة التصريف الخلفية، اغسل أسفل السيارة برذاذ نظيف بعد قيادتها فوق ارض موحلة او ارض رش عليها الملح او فوق ماء البحر او غير ذلك من السوائل الآكلة. افحص أسفل السيارة بين حين وآخر للتأكد من عدم وجود اجزاء متخلخلة ومتدلية منها. تجنب الى اقصى حد ممكن الرحلات القصيرة التي لا تتيح للمرحك ان يحمى مسببة تكثف الرطوبة في جهاز تصريف الغاز. الرحلات الطويلة تبخر هذه الرطوبة.

٧• التضبيط الشامل (يكلف بين ٤٠ و٦٠ دولاراً) يشمل تبديل مجموعة شموع الاشغال والمصافي وتضبيط المكربن ونقاط التماس الكهربائي والمكثف الكهربائي (اذا كان جهاز الاشغال غير الكتروني)، كذلك تشحيم الموزع الكهربائي وفحص توقيت الاشعال ومن ثم القاء نظرة شاملة للتأكد من ان كل شيء في وضع سليم تحت غطاء المحرك. ولكن تأكد من ان محرك سيارتك في حال جيدة لكي تفيد من هذا التضبيط.

كيف تتأكد من ذلك؟ ثق بالمسؤول في محطة الخدمة. ولدى اجراء عملية التضبيط أصر على الحصول على ضمان. فاذا لم يوفر لك التضبيط دوراناً ناعماً للمحرك واستهلاكاً أقل للوقود وقوة اوفر وتشغيلا أسهل، امتنع عن دفع اجرته.

دليل السيارة

اليك ثلاث نصائح تجدها في كتيب التوصيات الذي تقدمه الشركة من اجل اطالة عمر السيارة. وعليك ان تطلب من عامل محطة الوقود ان يتأكد من اتباعها كلما جئت للتعبئة:

١• يمكن فحص مستوى الزيت في علبة المقود بالمسبار المثبت بغطائها، اذ ان انخفاض مستوى الزيت قد يتلف مضخة المقود.

٢• اذا كانت بطاريتك تحتاج الى صيانة، فعليك ان تفحص مستوى

الماء فيها برفع مجموعة السدادات الحلزونية في اعلاها والنظر داخل كل ثقب. فالقسم الذي تجد مستوى الماء فيه منخفضاً يكون على وشك التلف. واذا وجدت تراكماً من مادة غبراء تشبه الفطر على اطراف التوصيل الكهربائي، نظفها.

٤٠ لكي تحافظ على حسن اداء الكابح اطلب من عامل المحطة ان يفحص مستوى السائل في علبة زيت الكابح وان يزيده بحسب الحاجة. اما التسربات او الرطوبة حول الاسطوانة الرئيسية فيجب ان يفحصها ميكانيكي متخصص بتصليح الكابح.

قد تضيع ما بين ربع قيمة سيارتك ونصفها اذا تركتها تصاب مرة واحدة بعطل كبير. لكن الصيانة المنتظمة والفحوص المتكررة واتباع الاساليب السليمة في القيادة تتيح لك ان تضيف الوف الكيلومترات الى عمر سيارتك.

■ روس أولني



سيئات التحسين

عندما كان الصحافي البريطاني الراحل باتريك هتبر محرراً في جريدة "صنداي تلغراف"، وضع ما سماه "قانون هتبر" الذي لخصه لاحقاً في ثلاث كلمات هي: "التحسين يعني التخلف". وفي ما يأتي بعض أمثلة عن ذلك:

تلقت عائلة في مقاطعة بيركشير الملاحظة الآتية من شركة توزيع الحليب: "الرجاء أخذ العلم بأننا، ابتداء من الاحد المقبل، سنوقف التوزيع أيام الآحاد. ونرجو ان تتعاونوا معنا لانجاح هذا التحسين."

في احد فنادق بلدة نيوكاسل عُلقت الملاحظة الآتية: "نعتذر عن التحسينات التي سنباشر تطبيقها قريباً."

في مجلة تجارية نشر الآتي: "من المبتكرات الحديثة مراقبة المشتريات الكترونياً. وبدلا من ان يتولى موظف في المحل وضع الاغراض على الآلة، سيكون الزبون نفسه مسؤولا عن هذه المهمة."

م.غ.

قلة انضباط

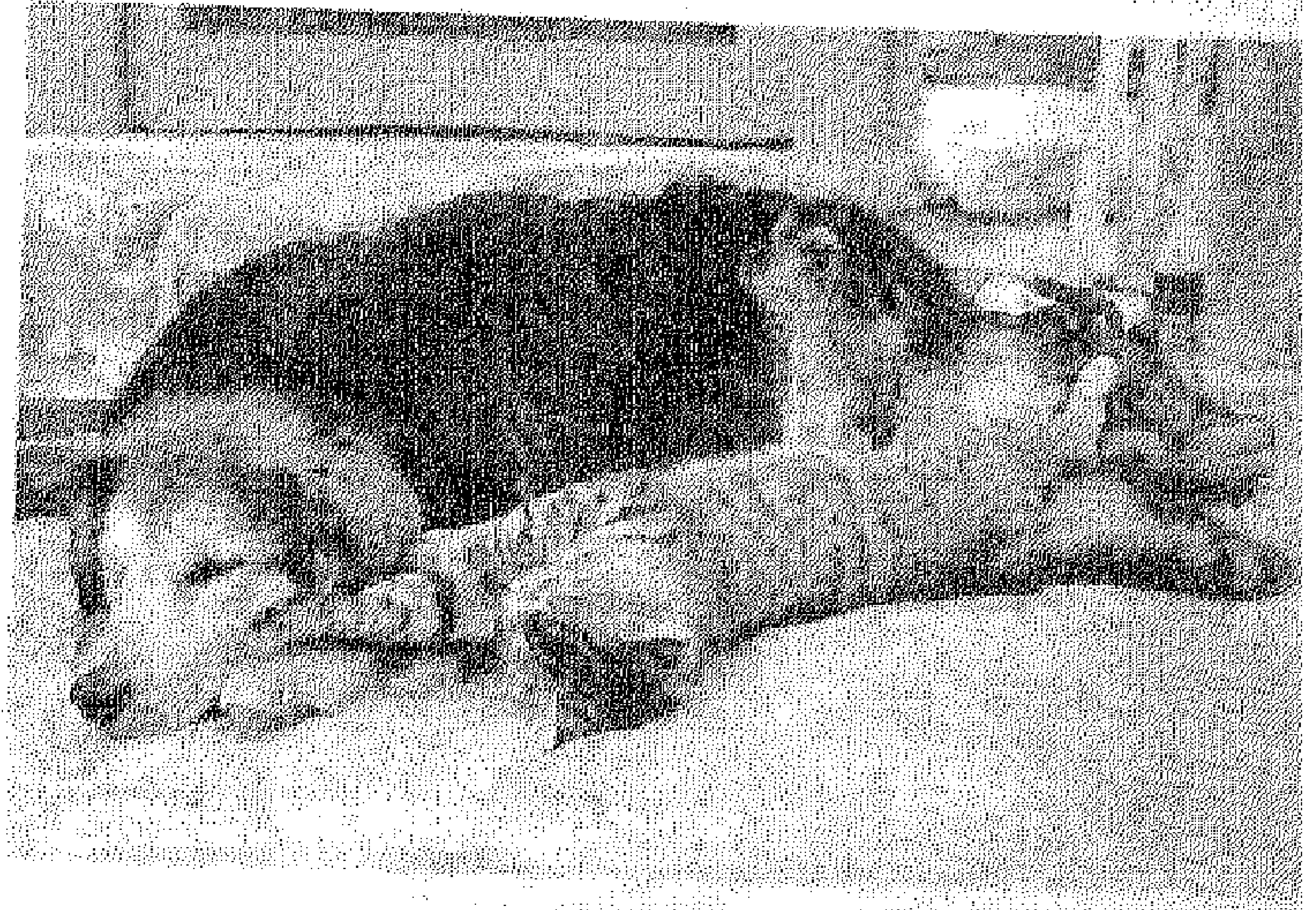
أوقَفَ قائد اوركسترا موسيقييه وهو يصيح فيهم: "أفهم ألا تستطيعوا البَدء معاً أو أن يشذ أحدكم قليلا عن اللحن. ولكن لا أفهم كيف يستطيع كل منكم أن يؤدي قطعة مختلفة."

خ.ف.ر.

المال لا يجلب السعادة. لكنه، بذهابه، يأخذ السعادة معه. م.ن.

مغامرات كلب مميز
احب الطبيعة ووجد فيها
عدداً لا يحصى من الاصدقاء

الكلبُ المدلّلُ



سوردو وصديقته .



رحب بنا المزارع الذي يهتم بالكلاب الضائعة وغير المرغوب فيها في المنطقة الريفية في ولاية فرجينيا . فقد اخبرناه بحاجتنا الى كلب ذي صفات مميزة لينتقل معنا نحن الاثنين الى منطقة جبلية معزولة ، حيث قررنا ان نزرع الارض لنؤمن غذاءنا ونمضي وقتنا بالكتابة عن الطبيعة . كنا نأمل ان يتولى الكلب حراسة حديقتنا واشجار الفاكهة النامية ويعلن وجود الدخلاء من دون ان يطرد الحيوانات البرية التي كنا نرغب في دراستها وتصويرها . قادنا المزارع الى زريبة مسورة خلف منزله حيث رأينا كلاباً من اجناس مختلفة . وما ان لمحتنا حتى تراكضت متزاحمة تنبح بينما المزارع يعدد مزاياها . وغفل عن ذكر الجرو الطويل الشعر الواقف متحفظاً في المؤخر . كان عمره لا يزيد على عشرة اسابيع ، وهو راح يمشي نحو الباب بجلال ووقار .

شعرنا بجاذبية تشدنا الى الباب ، ووصلنا اليه في الوقت الذي وصل اليه الجرو . حملته بين يدي وشعرت بعينيه البنيتين الواسعتين تحتجزان عيني . تينك العينان الحكيمتان ورائحة الحليب المخمر ممزوجة

برائحة الكلب الغنية اوحت الينا باسم "سوردو" (★).

قلت: "انت كلبنا يا سوردو اليس كذلك؟" فهز الكلب ذنبه موافقاً.

اخذنا سوردو في جولة حول مكان سكننا وسط ارض منبسطة فسيحة تبلغ مساحتها ١٢٠٠ متر مربع. ومررنا ببستان الفاكهة المهمل. كان سوردو يسبقنا بخطوات سريعة ثم يعود ليلمسنا بانفه متحبباً. وبقي محتفظاً بطبع الكلاب هذا في مرافقتنا طوال سنوات عمره النشطة، ولم يتخلف الا عندما كنا نصر عليه بالتمهل.

اصبحت اجمل ساعات سوردو تلك التي يقضيها فيّ النزهة عبر الغابة مسافة ١٦٠٠ متر الى مركز البريد وسط القرية. وساعدتنا مغامراته في رؤية حيوانات برية عدة منها المرموط (من القوارض) وهر الغاب والحية والقندس. لكن الارانب كانت تحيره فيلحق بها مسرعاً نابحاً بصوت مرتفع ولا يلبث ان يفقد اثرها ويبدأ يتجسس آملا ان يجدها. ومرة تركنا على الطريق ودخل الغابة. وبعد قليل سمعنا صرخته الخائفة وعاد الينا برائحة الظربان الكريهة.

اصبح الكرسي الهزاز بين المطبخ وغرفة الطعام مجلس سوردو المفضل، وكل من جلس عليه توقع وخزة خفيفة من انف سوردو لاخلائه. وحين لا يحظى بيد حنونة تربت رأسه كان يمشي بوقار نحو الباب ليمنح اقرب شخص شرف فتحه له. وعندما يستعد للعودة الى البيت يبدأ مشيته الوقورة نحو الباب فيستقبله احدنا مرحباً بعودته. حاولنا اقناعه بأن ينبح حين يريد الخروج او الدخول لكنه رفض بعناد لان صمته كان ابلغ من الكلام، فلماذا التغيير؟

كان يفضل ان يتمدد بالقرب من معلف الطيور. حاولنا ان نبعده عن الطيور لكنه لم يكف عن التمدد هناك. وهو لم يتحد ارادتنا تماماً بل وجد حلا مناسباً. فقد تجاهل الطيور كلياً، كما لاحظنا ان الطيور ايضاً تجاهلته فكانت تأتي وتلتقط الحبوب المرمية بالقرب منه. ولم نجد مفراً من الاقرار بفوزه.

فراؤه الكثيف كان يلمع كالحرير. وكان اسود في الجزء الاعلى من جسمه واحمر ذهبياً في الجزء الاسفل وابيض في منطقة الصدر. وصار وزنه عند البلوغ سبعة وعشرين كيلوغراماً. كان يلعب مع قطتنا لعبة الغميضة. وهي تمكنت مرة من اقناعه بامساك فأرة حقول، ولما تحقق من قتلها باسنانه رماها كأنه خجل من فعلته. لكن مسؤولياته اصبحت كثيرة لا تسمح له باللعب الطائش، غير انه بقي يستمتع بخطوات القطة المدلكة فوق عموده الفقري ويسمح لها بقيلولة قصيرة هناك.

مطاردة الدببة – ما زلنا نذكر نباحه القوي يوم طارد غزالا للمرة الاولى. حاولنا ان نمنعه فنقرنا له على نافذة المطبخ وصرخنا: "لا يا سوردو." ترنح قليلا وعرفنا انه سمعنا، لكنه تابع عدوه واختفى داخل الغابة.

(★) Sourdough بالانكليزية يعني الخميرة.

وحين اعدناه اخبرناه اننا نريد مراقبة الغزلان ونرحب بها بالقرب من البستان، وان عليه الآن حماية اشجار الفاكهة الصغيرة. هز طرف ذيله وزحف الى البيت الذي شيدناه له كأنما هو يضحي باغراء لا يقاوم.

ولما عادت الغزلان طاردها من دون تردد، وزدناه توبيخاً واذا بذيله يهدأ اذعاناً.

وفي اليوم التالي شاهدناه يراقب الغزلان وقد تشنجت عضلاته لكنه بقي مسمراً في مكانه. وفي الايام التالية وقع في التجربة ولم يصمد للغواية، فقد طارد غزالا من غير ان يلحظ غزالا آخر كان بالقرب من بستان الفاكهة. وقفز هذا ليلحق برفيقه فاذا به فوق الكلب بقوائمه الاربع. ومع ان سوردو لم يصب باذى فانه بقي مقطب الجبين اياماً ولم يعد الى مطاردة الغزلان ابداً.

وكنا حذرناه مراراً من ان ضربة عنيفة من مخالب دب يمكن ان تقتله. لكنه لم يكف عن مطاردة الدببة بنباحه الغاضب الى داخل الغابة. وكانت احياناً تعود الى مطاردته حتى المنزل، وبعد ذلك يأتي دوره ليطاردها من جديد. وقد تدوم المطاردة جولات عدة. وكنا معجبين بشجاعة سوردو مع الدببة والتقطنا صوراً رائعة لهذه المساجلات.

احببناه ايضاً لرقته مع حيوانات اخرى. كان يترك في قصعته بقايا من طعام، ومرة علق قطعة شحم فوق غصن شجرة لتأكلها الطيور. وقد منحنا ذلك سنوات مثمرة في مراقبة الثعالب والظربان والراكون والابوسوم وغيرها. فاذا وصلت الحيوانات وسوردو لا يزال صاحياً في الخارج، كان يعلن وصولها بهدوء ثم يتمدد من دون حركة. كان بلا شك صديقاً لمراقبي الطبيعة. وعندما يشعر بتوتر كان ينسحب بهدوء الى خلف المنزل حيث لا يستطيع الرؤية.

لصوص اصدقاء - كان كلبنا الحساس يتلمس طريقه الى حياتنا مثلما كنا نتلمس الطريق الى حياته. عندما بدأنا نزرع الحديقة اراد ان يساعدنا في الحفر، وكنا نكرر عليه: "لا، ابتعد." وشرحنا له رقة النباتات وحاجتنا اليها لتنمو وتؤمن طعامنا. وبدا كأنه فهم الحكمة، لكنه لم يبتعد عن المزروعات. وكنا نضطر الى رفعه وحمله الى طرف الحقل وطرحه ارضاً بقسوة. وبعد تكرار العملية قبع حزيناً وذيله متهدل.

ومرت الاشهر. وفجأة في نهاية صيف جاف بدأت الارانب والغزلان تأتي بكثرة لتقضم المزروعات. وعندما طلبنا من سوردو ان يساعدنا رفض الاقتراب من الحقل، وراح يرتجف بعصبية عندما الححنا عليه لانه لم يفهم كيف كان اقترابه من المزروعات في الاشهر الماضية خطأ وفجأة اصبح صواباً.

بدأ الراكون يسرق الذرة من الحقل، فنصبنا خيمتنا بالقرب من الحديقة. وابدى سوردو علامات السرور واستقر بالقرب من الخيمة بينما نمنا نحن في الداخل. وكلما حضر لصوص الحديقة للسرقة كنا نسمع شخيره مرتفعاً ليمنع عنا اصوات الراكون. وكان يمر

بين ارجلنا في العتمة عندما نحاول امساك الراكون متلبساً بالذرة بين مخالبه، فنصرخ فيه: "ابتعد يا سوردو. اذا كنت لا تريد مساعدتنا، فابتعد عن طريقنا."

اختفى سوردو داخل الغابة ولمنا انفسنا. لقد علمه الحاحنا ان يبتعد عن المزروعات ويستقبل الحيوانات الاخرى غير الدببة. انه خاطر بحياته لحمايتنا من الوحوش السوداء المخيفة. وماذا يمكننا ان نطلب منه اكثر؟

ناديناه وبحثنا عنه فعثرنا عليه اخيراً على نور المصباح الكاشف. عانقناه وحاولنا ان نؤكد له حبنا.

في سنه الثالثة عشرة بدأ سوردو يتخلف. فبدلا من ان يتقدمنا في طريقنا الى مركز البريد كان يسير خلفنا. وفي اغسطس (آب) امتنع عن اللحاق بنا وشخص الطبيب البيطري انه اصيب بالتهاب في المفاصل.

بقي سوردو يستمتع بوقته في الحقل. وفي الربيع سمح لطيور القراقف بان تحط على ظهره. كان يكتفي بالنظر اليها ليتأكد من مواقعها ويتركها تسحب شعيرات من فروه لبناء اعشاشها. لكنه بقي يطارد الدببة بعيداً عن المنزل عندما يكون صاحياً ويغط في نومه معظم الاحيان.

وذات يوم بينما كان نائماً في الخارج سمعنا صراخاً في الغابة خلف المنزل. لقد ضل جرو طريقه وكان يبدو جائعاً وفي حاجة ماسة الى الطعام والحنان ويبشر بمستقبل، وربما اردناه ان يبقى معنا بعد... ولكن ليس الآن. وكيف لنا ان نطمئن العزيز سوردو اذا رأى خلفاً له؟

الخلف العزيز - لاحظنا اقتراب سوردو ولم تفتنا اسئلته الصامتة. فتحنا له الباب واذا بانفه واذنيه تقوده الى الجرو. وتلامس الانفان وليس من صوت. ونظر سوردو الينا نظرة كئيبة ورفع ذيله الثقيل قليلا.

حاولنا البحث عن صاحب الجرو من دون جدوى. وسمح له سوردو بان يستكين اليه ولم يظهر عليه الاستياء عندما بدأ يرافقنا في مشوارنا اليومي الى مركز البريد. لكنه لم يكن يحتمله وهو يلعب حوله. وكان يستنجد بنا احياناً طالباً الخلاص. وقررنا الا نبقي الجرو. ولكن بعد ايام زارنا بعض الزملاء ومعهم كلب ضخم كان سوردو ينسجم معه. واذا بالكلب الكبير يطبق على الجرو الصغير فيصرخ هذا خائفاً. وتحامل سوردو على الم مفاصله وانبرى مدافعاً غاضباً مما جعل الكلب الكبير يهرب فيما شرع سوردو يهدئ من روع جروه. نعم، اصبح الجرو يخصه الآن، وها هو يلعقه بلسانه.

بات واضحاً ان سوردو يدرب خليفته. فعندما تحضر الغزلان والحيوانات الاخرى غير الدببة كان الاستاذ وتلميذه ينبحان سوياً ويعلنان وصولها ويمنع سوردو جروه من مطاردتها.

وبدا من الصعب ابعاد الجرو عن المزروعات، ومع ذلك اصر سوردو على المحاولة. وهو دربه ايضاً على الابتعاد عن الظربان والحيات.

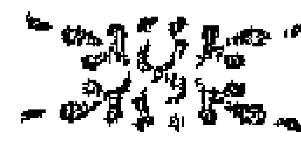
سنحت لدب مرة فرصة الاقتراب من المدخل، فطارده سوردو وافزعه بنباحه القوي فتسلق الدب اقرب شجرة بينما الجرو يراقب معلمه باعجاب. وبعد ذلك عرج سوردو بجلال وعاد بالجرو الى المنزل. كانت فترة التدريب على وشك الانتهاء.

وفي فصل الشتاء حاولنا ابقاء سوردو داخل المنزل، لكنه كان دائماً يناضل للوصول الى الباب. وكنا نفتح له ليخرج الى جلسته عند طرف الغابة.

وفي ليلة الميلاد شعرنا به يقترب من الباب. فتحنا له وساعدناه في الوصول الى حصيرته وقد بدا عليه الارتياح للمرة الاولى منذ اشهر. وامضى السهرة فوقها نائماً برهة ومتأملا في عيوننا برهة اخرى. ونفق بسلام قبيل منتصف الليل. وباكراً صباح عيد الميلاد دفناه تحت بقعته المفضلة حيث تنمو الكرمة وتعانق العليق تحت شجرة صنوبر. وشاركنا خليفته الصغير في غناء وداعي اشبه بالعويل.

وتمتمت: "حيث يقصد لا بد من ان يفتح له احدهم الباب."

■ ايلين وداروين لامبرت



المعلم المتقاعد

عندما حان تقاعد احد معلمينا، وهو استاذ رصين رافقنا سنوات، أهدينا اليه مجموعة من الورق الملون للكتابة. وشكرنا على الهدية، متفوهاً بتعليق لم نفهمه في حينه، وهو الآتي: "يجب ان تأتوا جميعاً لزيارتي ونستعمل هذه الاوراق معاً".

وبعد أيام أرسل الينا عبارة شكر فسرت كلامه. فهو ظن أن ورق الكتابة لا يكون سوى أبيض، واعتبر الاوراق الملونة للمائدة. وكرر دعوته لنا لتناول الطعام عنده.

ا.ب.س.

الرأي الغالب

زوجي وأنا نحب التجذيف، ونملك قارباً صغيراً ننزله الى الخليج صيفاً وتقطع به المسافات. وذات صيف ذهبت الى محل للالبسة خلال فترة الحسومات لشراء رداء للشاطىء. لكن الرداء الذي راقني كان باهظ الثمن وخارج الحسم.

وعدت الى البيت لأستشير زوجي في الامر، فوصفت له الرداء محاولة اقناعه. غير ان حجته كانت أقوى من حجتي، اذ أجاب: "اذهبي واشتريه، فهو خرقة جميلة لتنظيف القارب كما يبدو من وصفك له".

غ.و.

يبدو أن ثمة معارضة طبيعية بين الناس لكل ما يُقال عنهم وهم لا يعرفونه عن أنفسهم.

صحيفة "المستمع"، انكلترا

امل جديد لضحايا الحروق البالغة
حملته جهود عالمين
ابتكرا بديلا فعالا من الجلد البشري



الجلد الاصطناعي يشفي الحروق وينقذ من التشوه

في الثاني والعشرين من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٢ كان باتريك اوبراين (١) يعمل في المصنع. وقبيل الظهر شبت النار على بعد متر واحد من الشاب القوي البنية الاحمر الشعر البالغ من العمر ٢٥ سنة، فاحترق الجلد في اربعة اخماس مساحة جسمه.

لو حدث هذا قبل أربع سنوات لكان لدى الاطباء أمل ضئيل في انقاذ حياة اوبراين. وحتى اليوم لا تزال الحروق من الاسباب الرئيسية المؤدية الى الموت في الحوادث الطارئة في الولايات المتحدة. فلحم الجسم المحروق يبقى معرضاً لغزو الجراثيم

(١) جميع الاسماء في هذه المقالة مستعارة للحفاظ على السرية.

المميتة. وللحال ترتفع نسبة التفاعل الأيضي (٢) في الجسم وتهب مقاوماته البيوكيميائية لصد عدوان الجراثيم وتتدفق السوائل الى المنطقة المحروقة فتسبب جفافاً عاماً في الجسد.

من الممكن معالجة المنطقة المحروقة بنجاح من طريق التطعيم الجراحي بجلد منزوع من مواقع اخرى غير محترقة في جسم المصاب او بتطعيم موقت برقع تنتزع من بعض الحيوانات او من الجثث البشرية. واذا كان للرقع المستعارة ان تدوم اكثر من اسبوعين، فينبغي اعطاء المريض عقاقير تمنع جسمه من نبذ الجلد الدخيل. ولما كانت هذه العقاقير تخمد جهاز المناعة، فانها تزيد من اخطار التلوث والموت الناجم عنه.

تجارب على الفئران – من حسن الحظ انه حين ادخل اوبراين المستشفى كان الاطباء جاهزين لاستعمال مادة جديدة مثيرة دعيت "الجلد الاصطناعي". فباستخدامها على نحو ٥٠ مصاباً منذ ١٩٧٩ انقذت هذه المادة حياة كثيرين.

والجلد الاصطناعي هو حصيلة التصميم العنيد لعالمين احدهما الدكتور جون بورك رئيس قسم الاصابات الجسدية في مستشفى مساتشوستس العمومي في بوسطن والمستشار في معهد شراينرز بورن وهو مركز شهير لمعالجة الاطفال، ويعتبر بورك احد الاختصاصيين المتفوقين بمعالجة الحروق. وفي اواخر الخمسينات باشر البحث عن نوع محسّن من الرقع الجلدية لمساعدة المحروقين.


الدكتور جون بورك.

المبدأ الاول في طب الحروق هو ازالة بقايا الجلد الذي اتلفته الحرارة. ولكن ينبغي ان يسارع الى تغطية الانسجة المكشوفة والعضلات والدهن الواقعة تحت الحرق. ويقول الدكتور بورك: "كنا نعرف، ان علينا ايجاد مادة اصطناعية تؤدي وظيفة الجلد من دون ان تحمل مشاكل الرقع المأخوذة من جلود الحيوانات او الجثث."

اكب بورك وفريقه على العمل طوال سنوات في مستشفى مساتشوستس العمومي لتحليل التركيب الكيميائي للحم البشري آملين ان يوجدوا بديلا صالحاً من الجلد. غير انهم كانوا يواجهون اخفاقاً بعد اخفاق.

وفي شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٩ سمع الكيميائي يوانيس ياناس من معهد مساتشوستس للتكنولوجيا بجهود الدكتور بورك. وكان ياناس يتخصص منذ سنوات بدراسة مادة الكولاجين، وهي البروتيين الذي يؤلف جزءاً كبيراً من حجم الجلد. فاتصل بالدكتور بورك واقترح ان يجتمعا.

---

(٢) الايض هو مجموع التفاعلات الكيميائية في الجسم.

بدأ الرجلان تعاونهما للحال، ولكن انقضت ست سنوات قبل ان يتوصلا الى تحقيق الانجاز النظري الحاسم في هذا المجال، وهما لاحظا ان الياف الكولاجين توجد في الجلد مع تركيب كيميائي آخر معقد يدعى "غاغ" اختصاراً لاسم "غليكوسامينوغليكان". ومن طريق استخراج الكولاجين من المصادر المتوافرة كجلود البقر ودمجه بالغاغ فان المزيج المعالج فيزيائياً يمكن ان يشكل مادة لدنة ومسامية تستحث نمو خلايا الجلد الطبيعي حولها.

بعد ذلك نزعا قطعاً من الجلد من اجسام فئران اختبار مخدرة وغطيا المناطق التي انكشف عنها الجلد برقع من المادة المستحدثة. وظلا بضعة اسابيع بعد عملية التطعيم ومراحل الشفاء الاولى ينتظران بترقب وقلق كيف ستكون حال الفئران. ودأبا على فحص الفئران يومياً والابتهاج بان الجلد الاصطناعي ما زال يؤدي مهمته بنجاح. ولم تقم حاجة الى استخدام عقاقير مخمدة للمناعة لدى فئران التجربة. وبدت الجروح المطعمة التي تشبه الحروق مستقرة وهي تبرأ بثبات. وهكذا اثبت الجلد الاصطناعي نجاحه.

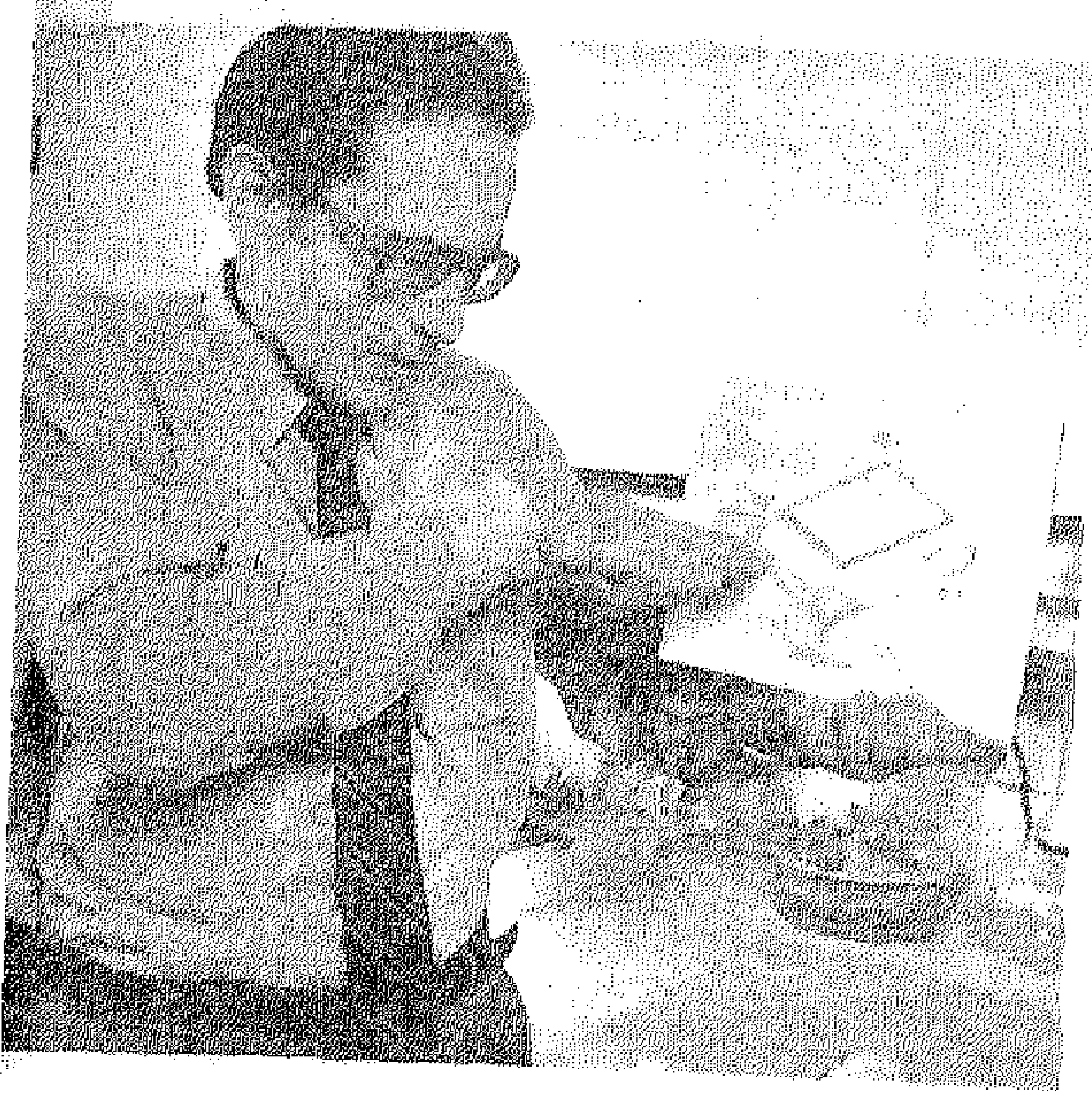
يقول بورك: "بعد تجارب تالية لا حصر لها ايقنا اننا نستطيع اجراء التجربة بأمان على جسم انسان."

لمس اليد ـ اخذ العالمان يمزجان الغاغ المستخرج من غضاريف سمك القرش بمحلول من الكولاجين المستخرج من جلد البقر ثم يجففانه بالتجليد ويعالجانه كيميائياً ليصنعا منه تلك المادة الخفيفة البيضاء ذات المسام التي ينشدانها. ثم تخبز هذه المادة لتعقم وتتخذ شكلها، وتضاف اليها المواد اللاصقة لتؤلف طبقة لدنة تضاهي جلد الانسان.

حان وقت الاختبار الحاسم في سبتمبر (ايلول) ١٩٧٩ عندما احضرت آغنيس لولر الى المستشفى مصابة في حادث سيارة والحروق تغطي ٦٠ في المئة من بشرتها. ولما كانت حياة المصابة في خطر داهم، فقد قرر الدكتور بورك بعد موافقة ذويها تجربة الجلد الاصطناعي عليها.

ازال فريق العمل الانسجة المحترقة ثم مد الجلد الاصطناعي فوق القروح. وتولى الغشاء الخارجي للجلد الاصطناعي وظيفة الجلد الطبيعي في ابقاء السوائل داخل الجسم والجراثيم المميتة خارجه. وفي غضون ايام نمت خلايا جديدة نشطة لتشكل نسيجاً شبكياً تحت الغشاء.

وبعد انقضاء ثلاثة اسابيع استخدم الفريق الطبي ملاقط دقيقة لنزع الطبقة العليا التي لم تعد اليها حاجة. وحيث كانت الحروق المخيفة ظهر نسيج جديد يلتمع باللونين الاحمر والاصفر، زاخر بالمجاري الدموية والخلايا المتجددة بسرعة لتشكل بديلا من الطبقة الدنيا السميكة للجلد. ومن اجل ابدال البشرة (ظاهر الجلد) انتزع الفريق الطبي رقعاً من اماكن اخرى في جلد المرأة غير المحترق وبسطوها فوق الانسجة التحتية الجديدة التي اخذت تبرأ بسرعة.


البروفسور يوانيس ياناس يشرح كيف ان الجلد الاصطناعي يحفز نمو الخلايا السليمة.

وهكذا، من طريق التحام الجلد الاصطناعي ببعض الانسجة الطبيعية، امل الاطباء ان تبقى الطبقتان متلاحمتين بقية حياة المرأة. وفي غضون ثلاثة اسابيع اصبح لون الجلد الجديد شبيهاً الى حد بعيد بلون الجلد غير المحترق.

بعدما لمس اعضاء الفريق الطبي بايديهم المواقع التي احترقت شعروا بالرضا لادراكهم ان للجلد الجديد خصائص الجلد المفقود نفسها. فقد تجددت اطراف الاعصاب، وستستعيد لولر القدرة على الاحساس بالحرارة والبرودة وتتمتع بجميع خصائص اللمس. وهكذا نجحت تجربة الجلد الاصطناعي على الجسم البشري.

شمعة اخرى – عندما ادخل باتريك اوبراين غرفة العمليات منقولا على محفة في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٢، كان ٣٠ مصاباً قبله عولجوا بالجلد الاصطناعي. وفي ست عمليات ترقيع استغرقت في مجملها ٢٤ ساعة استخدم فريق بورك حوالى ثلاثة ارباع متر مربع من الجلد الاصطناعي لتغطية عنق المصاب وصدره وبطنه وذراعيه. وبعد ذلك لف المصاب بالضمادات حتى لم يبق منه بادياً سوى عينيه وانفه. وظل مستغرقاً في غيبوبة لبضعة اسابيع.

بعد يومين من عيد رأس السنة كانت ممرضة تفحص الانبوب الوريدي الذي يغذي المريض الغائب عن الوعي حين شعرت بحركة خفيفة. وهمس اوبراين: "ماذا جرى؟ اين انا؟" لم يتذكر شيئاً مما حدث بعد شبوب ذلك الوهج الناري. قص عليه الاطباء ما قاساه واروه الاماكن التي غطيت بالجلد الاصطناعي. لكن هذه الاماكن بدت له بقعاً زاهية بلون احمر وردي وقد برأت تماماً.

وكان اوبراين ما زال يحتاج الى اشهر من المعالجة ليستعيد القدرة على استخدام مفاصله المتصلبة. لكنه عاد في اواسط ١٩٨٣ الى مزاولة نشاطه الكامل بعدما انقذ مظهره الوسيم من التشوه.

يشدد الدكتور بورك على ان الجلد الاصطناعي لا يمكن ان ينقذ حياة كل مصاب بحروق. لكن معظم الذين عولجوا به نجوا. ويقول هؤلاء انهم استعادوا احساسهم الطبيعي او شبه الطبيعي ولا يعانون من الحكة القاسية المستمرة التي تنجم عن عمليات التطعيم الجلدي العادي.

ما ان انتشرت اخبار نجاح الجلد الاصطناعي حتى انهال على العالمين سيل من الرسائل من عائلات ضحايا الحروق في قارات العالم الخمس. ولكن ليس في مختبر ياناس في معهد مساتشوستس للتكنولوجيا سوى عشرة اشخاص يعملون على تصنيع هذه المادة. لذلك فلا يوجد من الجلد الاصطناعي حالياً الا ما يكفي لمعالجة بضع عشرات من المصابين.

غير ان تقدماً مهماً تحقق. فقد حصلت مختبرات "ماريون" للصيدلة في مدينة كانساس، ولاية ميسوري، على ترخيص لتصنيع المادة الاصطناعية وتسويقها. وفي انتظار نتائج الدراسات السريرية الجارية (المقرر ان تكتمل عام ١٩٨٥) يتوقع ان تمنح ادارة الغذاء والدواء الامريكية موافقتها سريعاً على استخدام الجلد الاصطناعي علاجياً.

في هذه الاثناء يعكف بورك وياناس على تحضير نوع محسَّن من الجلد الاصطناعي، ويأملان ان يتمكنا في غضون سنة واحدة من استخدامه للمرة الاولى على مصاب بحروق. واذا جرت الامور على ما يرام، فان جلد المصاب سيلتئم في غضون ٣٠ يوماً فلا تبقى ثمة ندوب ظاهرة للعين المجردة.

يقول ياناس: "أن مشروع ابحاثنا استؤنف على نحو جديد. كنا من قبل نشعر كأننا نتلمس طريقنا في غرفة مظلمة. لكننا الآن نحس اننا ولجنا غرفة أرحب، وان تكن مظلمة كذلك. وهذا يعني ان علينا ان نوقد شمعة اخرى فحسب."

■ لورانس تشيري



حوالات الرواتب

اتخذت شركة قراراً بدفع رواتب موظفيها حوالات ترسلها بالبريد الى منازلهم. وفي اجتماع الشركة الاسبوعي وقف أحد الموظفين يشكو من تلك الطريقة بحجة أن الحوالة قد تأتي في عطلة نهاية الاسبوع فلا يمكنه سحبها نقداً من المصرف. ووافقه جميع زملائه سوى واحد بقي صامتاً. ولما سُئل عن رأيه، أجاب: "أن حوالتي من الضآلة بحيث يصرفها بائع الصحف."

ج.هـ.

ضد الفصل

توقف سائق حافلة عند احدى المحطات وقال: "هناك مكان لراكب واحد." وتقدمت امرأتان في رأس الصف الطويل وقالت احداهما: "لا شك في أنك لن تفصل ابنة عن امها." فأجاب السائق: "كلا يا عزيزتي! هذا لا يجوز." وانطلق بالحافلة وتركهما على المحطة.

د.غ.



الخطأ والصواب

هناك كثير من المعتقدات المغلوطة عن العالم الذي نعيش فيه لا تزال متداولة على رغم المكتشفات العلمية التي دحضتها ، ترى كم من هذه الاوهام لا يزال يخدعك؟

الفيل هو اطول الثدييات عمراً

بناء على كل الادلة المتوافرة ليس ثمة حيوان ثديي يفوق الانسان في طول العمر ، كثيرون من الناس عاشوا ليبلغوا المئة ، واطول عمر مؤكد بلغه انسان هو ١١٥ سنة ، اما الافيال فنادراً ما تعيش لتتجاوز السبعين ،

السماء زرقاء ،

ليس للسماء لون في ذاتها ، ولكن يضيئها اللون الازرق في اشعة الشمس التي هي مزيج من جميع الوان قوس القزح ، حين يعبر نور الشمس جو الارض تبدده ملايين الجسيمات الدقيقة الهائمة في الهواء ، واللون الازرق ذو الموجة القصيرة يتبدد اكثر من اللونين الاحمر والاصفر اللذين لهما موجتان اطول ،

جبال الآندس في امريكا الجنوبية هي اطول سلسلة جبال في العالم ،

ان اطول سلسلة جبال في العالم، والتي لم تكتشف الا في هذا القرن، تمتد في قعر المحيط الاطلسي بين اوروبا وامريكا الشمالية وتدعى سلسلة

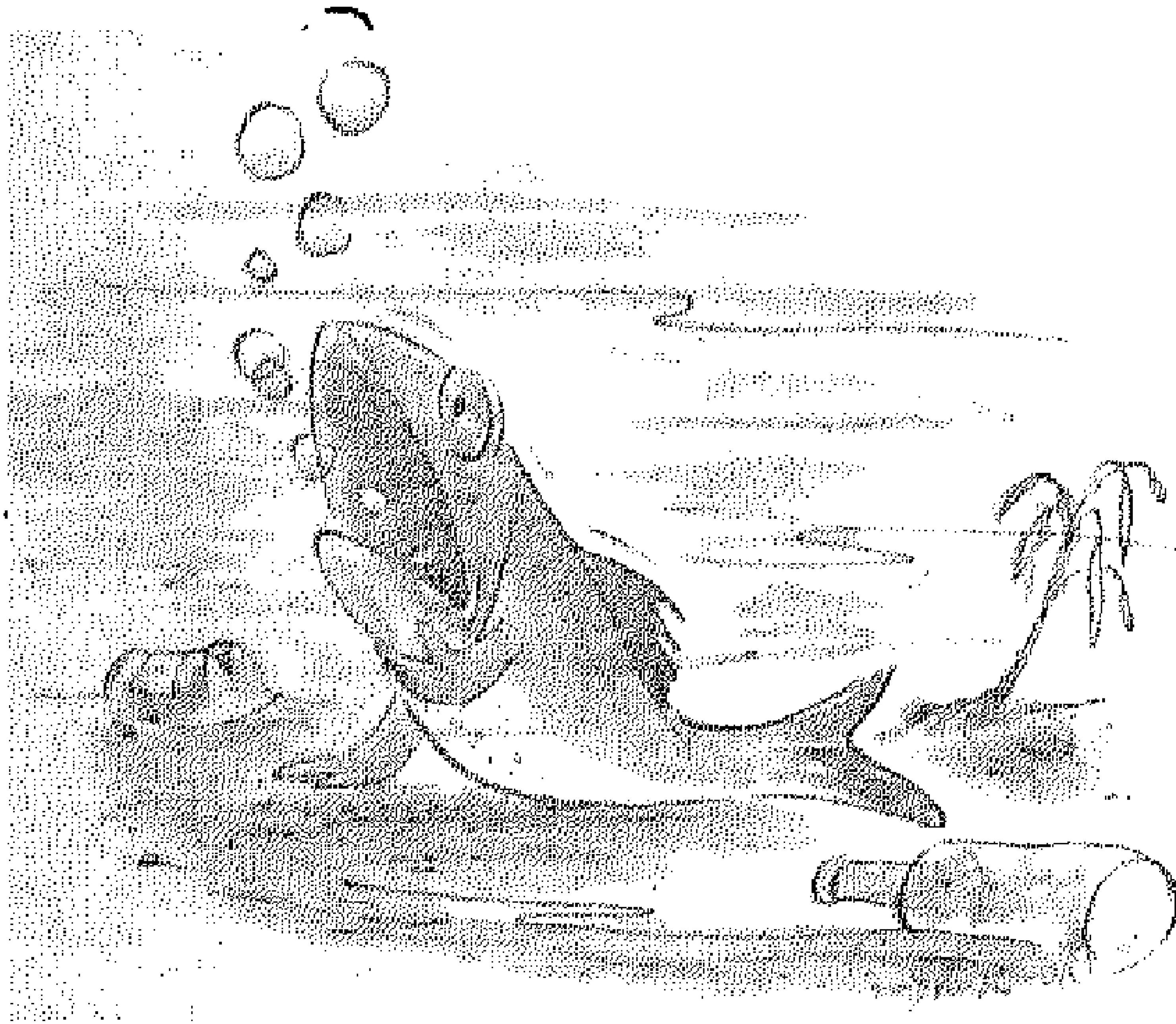
جبال وسط الاطلسي· وتمتد هذه التشكيلة الهائلة ١٦ الف كيلومتر بدءاً بنقطة شمال جزيرة غرينلاند وانتهاء بنقطة اخرى قرب الدائرة القطبية· اما سلسلة جبال الآندس فلا يزيد طولها على ٦٥٠٠ كيلومتر·

الرمال المتحركة تجذبك الى اسفل·

الرمال المتحركة لا تجذب ضحاياها الى اسفل· وهي تتألف من خليط من الماء والرمل ولها قابلية التعويم مما يتيح لأي شخص يتعثر ويسقط فيها ان يخرج منها· لكن من يأخذ في التخبط في محاولة للنجاة يغرق نفسه الى الاعماق· وينصح الخبراء كل من يقع في مستنقع للرمال المتحركة ان يلزم الهدوء ويسمح لقابلية التعويم فيها ان تحمله، وبعد ذلك يشرع في السباحة بكل هدوء حتى يبلغ الارض الصلبة·

"السناجب الطائرة" تطير حقاً·

للسناجب الطائرة التي تقطن مناطق متفرقة من اوروبا وآسيا واوستراليا وامريكا الشمالية اغشية من الجلد مطوية بين قوائمها الامامية والخلفية· وحين تمتد القوائم جانبياً تنبسط هذه الاغشية لتشكل "الاجنحة" التي تمكن السنجاب من تحقيق قفزات طويلة سابحة· والواقع



ان السناجب تنزلق في الهواء ولا تطير، لان هذه "الاجنحة" لا تصفق· الخفافيش هي الحيوانات الثديية الوحيدة التي تطير فعلا·

الاسماك لا تغرق·

اذا اعتبرنا ان الغرق يعني الاختناق تحت سطح الماء، فان



الاسماك تغرق حقاً. تتنفس الاسماك بتنشق الاوكسيجين من الماء، وحين ينفد الاوكسيجين يتعين عليها الانتقال الى مجمعات مائية اخرى حيث كمية الاوكسيجين مناسبة والا قضت اختناقاً. وتنفق ملايين الاسماك سنوياً بهذه الطريقة لأن التلوث يقضي على الاوكسيجين في جزء كبير من مياه الارض.

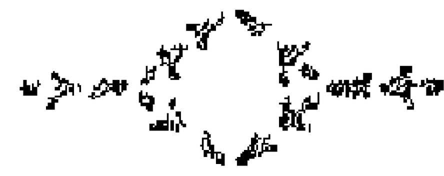
نسيج العنكبوت واه جداً.

ان الخيوط التي تغزلها العنكبوت تبدو واهية لكنها في الواقع، وبالنسبة الى حجمها، اقوى الالياف التي نجدها في الطبيعة. انها مرنة جداً ويمكن ان تمط بمقدار خمس طولها من دون ان تنقطع، كما يفوق احتمالها للشد احتمال الفولاذ.

اعظم انفجار عرفه التاريخ البشري كان انفجار القنبلة الهيدروجينية.

ان اعظم انفجار مدمر سجله التاريخ، وهو يفوق بضعفين قوة اضخم قنبلة هيدروجينية، وقع في ٢٧ اغسطس (آب) ١٨٨٣ في جزيرة كراكاتوا البركانية الواقعة بين جزيرتي جاوه وسومطرة في اندونيسيا. فقد قذفت الصخور والمواد الاخرى الى ارتفاع ٤٩ كيلومترا في الجو واندفعت موجة بحرية عارمة بلغ ارتفاعها ٤٠ متراً قضت على عشرات الالوف من الاشخاص. وقد سمع دوي هذا الانفجار البركاني الراعد في اوستراليا على بعد ٣٦٠٠ كيلومتر من موقعه.

■ جوزف روزنبلوم



مراسم الذبح

انتقل رجل حديثاً من المدينة الى الريف. وكانت المرة الاولى يسكن خارج المدينة، فاقتنى عدداً من الكتب والمطبوعات عن الحياة الريفية، كما لجأ الى مشورة مزارع يعيش في جواره.

واضطر مرة الى ذبح دجاجة، فوضعها تحت ذراعه وهو يحمل في يده كتاباً حول الطيور. ووقف يقرأ القسم الخاص بالدجاج.

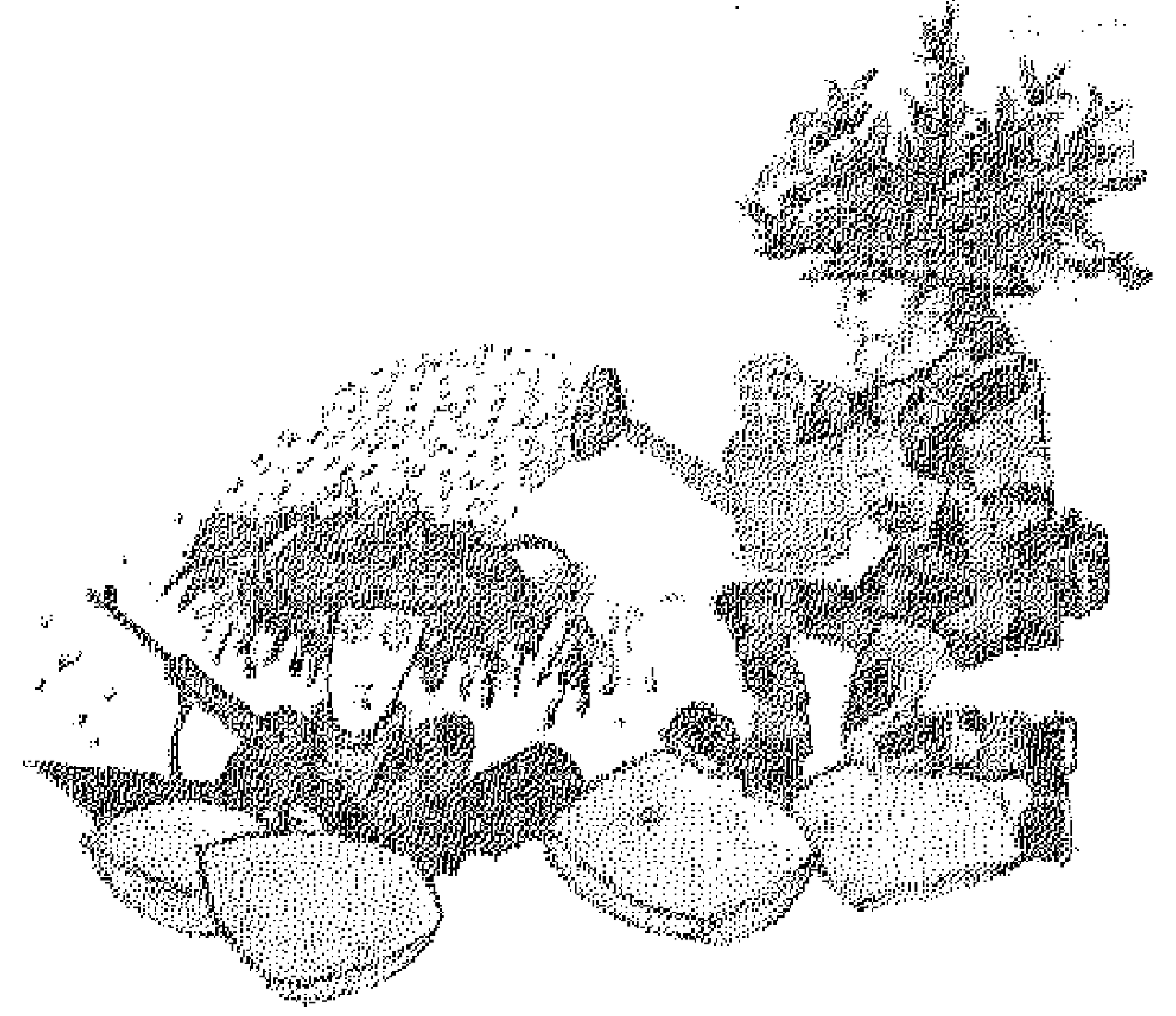
ونظر فجأة ليرى جاره المزارع يراقبه. وبعد صمت قصير ابتسم المزارع وقال: "يبدو أنك تقرأ عليها المراسم الاخيرة... أليس كذلك؟".

ر.ج.

مشكلة هر

تلقى محرر "بريد القراء" في احدى الصحف الرسالة الآتية: "أنا صبي عمري تسع سنوات، ولدي هر يأكل باستمرار ويحتاج الى نظام حمية. وهو لا ينقطع عن مغادرة المنزل لاصطياد الفئران. فما عدد السعرات الحرارية في الفأر؟"

س.م.



الضحك خير دواء

فيلسوف في مطعم

ذهب فيلسوف الى مطعم وطلب طبقاً من الدجاج وآخر من البيض ليكتشف اي الاثنتين تأتي اولا: البيضة ام الدجاجة؟

ش.هـ.

عقدة حية

سأل الطبيب النفسي مريضه: "الآن اخبرني عن عقدة النقص التي تلازمك. هل اتتك فجأة؟"
- كلا بل هي ظهرت لدى زواجي واخذت تنمو مع الوقت.

مجلة "سلكتا"، المانيا

العقاب البارد

دخلت امرأة متقدمة في السن محلا لبيع الطيور والحيوانات الأليفة وعبرت عن رغبتها في شراء ببغاء رأته هناك. لكن صاحب المحل قال لها: "اني احذرك من شرائه لأن لغته بذيئة جداً. وانصحك بشراء كلب او هر". غير انها اصرت على اقتناء ذلك الببغاء، فما كان من صاحب المحل الا ان رضخ لطلبها.
ولما عادت الى المنزل اخذت تداعب الببغاء وتملس ريشه. وفجأة انهال عليها بسيل من الشتائم. وصعقت المرأة وحملت الطائر الى الثلاجة عقاباً له على سوء سلوكه. وبعد مدة اخرجت الببغاء المرتجف وحذرته بقولها انها ستضعه في الثلاجة كلما تفوه ببذيء الكلام.
وظل يومين لا ينطق سوءاً، الى ان وضع الهر مخلبه في القفص. وثار الببغاء وعاد الى عباراته القديمة. وحملته المرأة الى الثلاجة مرة اخرى. وفيما هو يرتجف شاهد ديكاً رومياً مثلجا فقال له: "بربك ماذا قلت ايها الصديق؟"

م.ب.

غزل رقيق

قبل اربعين سنة كنت احضر حفلة رسمية في نيجيريا اقيمت لمناسبة احالة احد الحكام على التقاعد. ووقف زعماء القبائل يطري كل منهم فضائل زوجته. وفجأة ثارت عاصفة من الضحك حين قال أحدهم: "لقد سمعتم كلكم بحليب اللطف البشري! حسناً، ان البقرة معنا الآن".

م.س.

الوتر الحساس

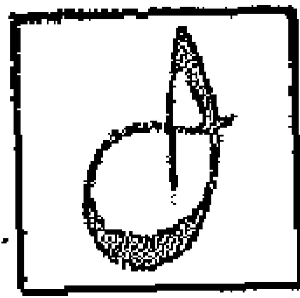
الشعار الفائز في حملة لمكافحة التدخين: "لا أحد يحب أن يقبّل منفضة! توقف عن التدخين!"

ا.س.



اللودن فوق الجميع

انه دافىء وانيق ومانع للماء، ويرتديه الملوك والفلاحون



"اللودن، اللودن، فوق الجميع!" كان هذا عنواناً رئيسياً لمقال ظهر حديثاً في مجلة ايطالية. ويقول مصمم الازياء الباريسي ايف سان لوران: "لقماش اللودن ميزات خاصة، وهو مريح جداً." ويقول الخياط الألماني هاينز اوسترغارد: "اصبح هذا القماش، بكل بساطة، الزي الرائج." ويعلن فرانتز جوزف شتراوس رئيس حكومة ولاية بافاريا في المانيا الغربية: "احب ارتداء اللودن لأنه يوفر لي الدفء في الشتاء والبرودة في الصيف."

Photos: Loden Frey / Munich, Claus Hausmann, Madersbacher, TK

المعاطف والبزات المصنوعة من اللودن تبدو متميزة كالسترة المصنوعة من "التويد" الانكليزي او التنورة المصنوعة من الطرطان الاسكوتلندي. هذا القماش الذي يعود عهده الى قرون خلت كان ينسج باليد في بافاريا والتيرول فيصنع منه الحطابون والقرويون والحوذيون الفقراء ملابسهم. اما اليوم فقد انطلق هذا القماش من جبال الألب ليغزو العالم بأسره. فمصانع النسيج في التيرول تنتج اربعة ملايين متر من اللودن سنوياً، اي ما يغطي طريقاً تمتد من لشبونه (البرتغال) الى موسكو. ويصدر ثلاثة أرباع هذا الانتاج الى الخارج. كذلك تنتج مصانع النسيج النمسوية والالمانية اربعة ملايين قطعة مصنوعة من اللودن سنوياً، اي ضعفي انتاجها لعشر سنين خلت. وتباع المعاطف والبزات المصنوعة منه في اماكن قصية مثل ابو ظبي وطوكيو.

قماش الملوك والفلاحين – ورد ذكر هذا القماش للمرة الاولى في مخطوطات القرن الحادي عشر. وكان يصنع من صوف الغنم. وكلمة "لودو" في الالمانية القديمة تعني "الشعر." وقد اكتشف قرويو جبال الألب طريقة تصنيعه مصادفة حين اتوا بالصوف قبل اكتمال حياكته ودعكوه بالاقدام في حوض من الماء لتنظيفه. وكان من نتيجة ذلك ان انكمش القماش طولا وعرضاً وتكثف. وعندما جف تبين انه أصبح ايضاً مانعاً للماء (★). ومن اجل زيادة لحمة هذا القماش الذي يشبه اللباد، تعلم القرويون استخدام حامض دبغي مستخرج من شجر السنديان او نوع من التراب يؤخذ من الصخور البركانية المحلية، وهذان يعززان كثافته. واخيراً التأمت مجموعات من القرى الجبلية لانتاج اللودن في "طواحين" للتكثيف بضربه وهو رطب بمطارق خشبية تحركها قوة مائية لتجعله اكثر كثافة.

وعلى مدى اجيال ظل الجبليون يرتدون اللودن. وفي العام ١٥٧٣ اصدر الارشيدوق فرديناند الثاني حاكم التيرول أمراً الى الشرطة يسمح فيه "للفلاحين العاديين والعمال والاجراء وزوجاتهم وبناتهم "بارتداء اللودن الذي ينسجونه في بيوتهم. واخذ الرجال يرتدون سراويل تصل الى الركبة وسترات وأحذية مصنوعة من اللودن، كذلك "الهيميتر" وهو معطف قصير من اللودن تختلف ألوانه بين الابيض والاحمر والبني والاسود. وكان جهاز العروس في اوساط الفلاحين يضم من قماش اللودن ما يكفيها طوال حياتها.

ولا يذكر التاريخ أول من فصل سترة من اللودن. ولكن يؤكد أرمين هوبر صاحب شركة "لودن – فراي" في ميونيخ، وهي احدى كبرى الشركات المنتجة والمصدرة لقماش اللودن وقد تأسست عام ١٨٢٤: "ثمة معطف لودن اصيل أوحد، هو ذلك المعروف باسم هوبرتوس."

هذا المعطف التقليدي الذي كان يرتديه للصيد كل من فرانتز جوزف

(★) قد يمتص صوف الغنم ثلث وزنه من الرطوبة قبل ان يصبح مبللا للمس.

امبراطور النمسا ولودفيغ الثاني ملك بافاريا، يصل الى ربلة الساق وفيه شق وسطي على طول الظهر لتسهيل الحركة مع فتحتين تحت الابطين وشقوق للجيوب. اما الازرار فكانت مخفية كي لا تعلق بالاشواك. ولا تزال شركة "لودن ـ فراي" تنتج ٧٠ الف معطف "هوبرتوس" سنوياً، بينما تنتج اربع شركات نمسوية اخرى،



احد سكان الغابات في مباراة محلية لنقل العلف، وتحميه سترة اللودن من الريح والبرد.

وهي "سالكو" و"شنايدرز" في سالزبورغ و"شتاينبوك" في انسبروك و"مادوسون" في فيينا، ١٢ الفاً و٥٠٠ معطف كل سنة.

رمز المكانة ـ في القرن التاسع عشر ظهرت نماذج مختلفة من البسة اللودن واثبتت شيوعها، منها "السالزبورغر" ذو الثنايا الخضراء حول فتحة الصدر "التيغرنسير" الذي يزرر حتى الياقة و"الأوسير" الموشى بالتطريز على طيات الصدر والجيوب



تبدع صناعة الازياء تصاميم جذابة باستمرار.

والاكمام و"الموهنلوهر" وهي سترة قصيرة من الامام وطويلة من الخلف.

أضحى "الشتايرر" نموذجاً رائجاً بفضل الارشيدوق يوهان حفيد الملكة ماريا تيريزا، ففي رسالة وجهها الى زوجته في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٢٤ قال: "عندما ارتديت السترة الرمادية قصدت ان اجعلها مثالا







(فوق) كان اللودن القماش المفضل عند امبراطور النمسا فرانتز جوزف، ويبدو هنا في بزة الصيد، (في الوسط) صيادون جبليون في سترات لودن قصيرة تدعى "سالزبورغر"، (تحت) زوجان من بافاريا في الزي التقليدي، ويضم جهاز العروس اقمشة اللودن.

للبساطة، واذا بها تصبح رداء شرف."

وخلال العشرينات من هذا القرن اكتشف الاثرياء في انحاء العالم فضائل اللودن. وفي ١٩٢٧ ارتدى ولي عهد بريطانيا بذلة من اللودن. ولما كان يعتبر أحد اكثر رجال العالم اناقة، فقد حذوه الكثيرون للحال. وحتى اليوم لا يزال افراد العائلات البريطانية واليونانية المالكة بين الزبائن الدائمين لشركة "لودن – فراي". وغدا معطف اللودن رمزاً لمكانة لابسه بين النبلاء، وكلما ظهرت عليه دلائل القدم علت منزلة صاحبه.

ويبلغ ثمن معطف رجالي من اللودن الحقيقي اليوم ٤٥٠ ماركاً المانياً (١٤٠ دولاراً) واكثر، والمعطف النسائي ٤٠٠ مارك (١٢٥ دولاراً) واكثر. لكن هذا السعر جيد، لان المعطف يخدم لابسه طوال حياته. وقد شكا احد سكان ميونيخ الى شركة "لودن – فراي" من أن عرى الازرار في المعطف الذي ورثه عن جده أخذت تهترىء، وقال في شكواه: "بعد ثلاثة أجيال فقط ينبغي الا تبلى هذه العرى."

وفي اوائل الخمسينات حقق هذا القماش القروي الاصل انتقالا الى الاناقة المعاصرة، حين عمد مصممو الازياء الباريسيون الى تحويل اللودن الخشن الشبيه بالدثار والذي لا يزال يرتديه موزعو البريد والحوذيون في فيينا، معطفاً أنيقاً. منذ ذلك الوقت أصبح اللودن يبطن بالفرو وتوشى أطرافه بالجلد ويحشى او يزين بخطوط ومربعات. انه متوافر باكثر من ٨٠ لوناً مختلفاً، بدءاً بالابيض ومروراً بالازرق الملكي وانتهاء بالاصفر. اما اللون المفضل الآن فهو الاحمر الخمري. ويرتدي الضيوف في حفلات فيينا الراقصة "السترة الالبينية" القصيرة المصنوعة من أجود انواع اللودن اللماع كالحرير والمجملة بالازرار الفضية.

قطعة من الطبيعة – لم يبق اليوم سوى بضع عشرة مصنعاً للنسيج ونحو ١٠٠ منتج في النمسا وبافاريا للودن الاصيل والالبسة المنسوجة منه. واحد اكبر هذه المصانع في التيرول شركة "بوير – فورادوري" في انسبروك التي أسست عام ١٨١٤. وهناك بضعة مصانع تقليديةً في تلفس ومولدورف.

وتستورد هذه الايام اوبار الالباكا والموهير والجمال واللاما لتضاف الى الصوف الخام من اوستراليا وجنوب افريقيا واميركا الجنوبية ونيوزيلنده. ينقع القماش في الماء الحار ثم يدفع به، وهو لا يزال رطباً، بين "انياب" آلات التكثيف الضخمة واسطواناتها التي تضغطه حتى تبرز القطعة التي يكون حجمها الاصلي ٦٠ متراً طولا و٢،٢ متر عرضاً في حجم يراوح بين ٤٢ و٤٨ متراً طولا و١،٥ متر عرضاً فقط. بعد ذلك تجري عملية التخشين بنباتات شوكية حقيقية تجلب من جنوب فرنسا واسبانيا. وهذه طريقة يرقى عهدها الى العصور الوسطى، وهي تجعل الخيوط تتداخل بعضها في بعض. وقد جرب الصناع استخدام شصوص معدنية معقوفة، لكن هذه لم تعط النتيجة المرجوة. وبعد هذه العلمية يشبّع القماش بالمواد

الكيميائية النابذة للماء (يقيك معطف اللودن كأي دثار مانع للمطر ويبقى مع ذلك قابلا "للتنفس" من مسامه). واخيراً تقطع الخيوط المنحلة ويعالج القماش بالفرشاة ويبخر ليكتسب تلك اللمعة والنعومة اللتين يمتاز بها اللودن.

اذا تفحصت معطفاً من اللودن الجيد، ابحث عن جميع الخصائص المميزة في الصوف الممتاز. انه مانع للماء، خفيف الوزن، لا يتجعد، قوي الاحتمال. وللنماذج التي يرتديها الرجال فتحات فوق الجيوب تمكن لابسها من مد يده الى جيوب سرواله من دون حاجة الى فك ازرار المعطف. وعليك بالحذر من القماش المنسوج من صوف رديء اعيد تصنيعه، لأنه لا يكون مانعاً للماء ولا يوفر لك الدفء. كما يفتقر الى اللمعان الذي يتسم به اللودن الاصيل، وهو أثقل بكثير.

يعتقد كثيرون من محبي اللودن ان ثمة علاقة بين الولع بهذا القماش القديم الآتي من جبال الالب واهتمام الناس حالياً بالنشاطات الترفيهية الخفيفة. ويقول هلموت آلغي من شركة "بوير - فورادوري": "يشعر الناس بحافز يدفعهم الى العودة الى الاشياء الاصيلة في الحياة." ويوافقه ماكس ديتل خياط الاناقة المعروف في ميونيخ: "اننا جميعاً نكتشف الطبيعة من جديد ونحاول ان نحافظ عليها في هذه الايام. وما هو اللودن ان لم يكن قطعة اصيلة من هذه الطبيعة؟"

■ كلاوس غايدمان



السيارة والحمار

فيما كنتُ أقود سيارتي يوماً، مررتُ برجل عجوز يركب حماراً. فأوقفتُ السيارة وسألتُه: "أتأتي معي؟ إن في سيارتي ثلاثين حصاناً، وهي أسرع من حمارك حتماً."

وأجاب الرجل: "كلا أشكركَ. فأنا أُفضل حماري."

وانطلقتُ مسرعاً عبر تلك الطريق المتعرجة. وبعد قليل انزلقَت سيارتي واستقرت في ساقية على جانب الطريق. ولما وصل العجوز، نزل عن حماره وسألني: "ماذا تفعل هنا؟ أتَسقي الاحصنة؟"

ج.م.ر.

عمر الغلاء

مع موجة الغلاء المتصاعدة، أسمع العديد من زبائني يتذمَّر حيال الاسعار المرتفعة. ومرة دخل رجل متقدم في السن المحل وتناول وعاء وهو يقول: "ماذا؟ خمسة دولارات ثمن هذا الوعاء؟ لقد كان ثمنه دولاراً واحداً."

فقال له معاوني وهو يبتسم: "أجل! وأنت كنتَ في الثامنة عشرة من عمرك".

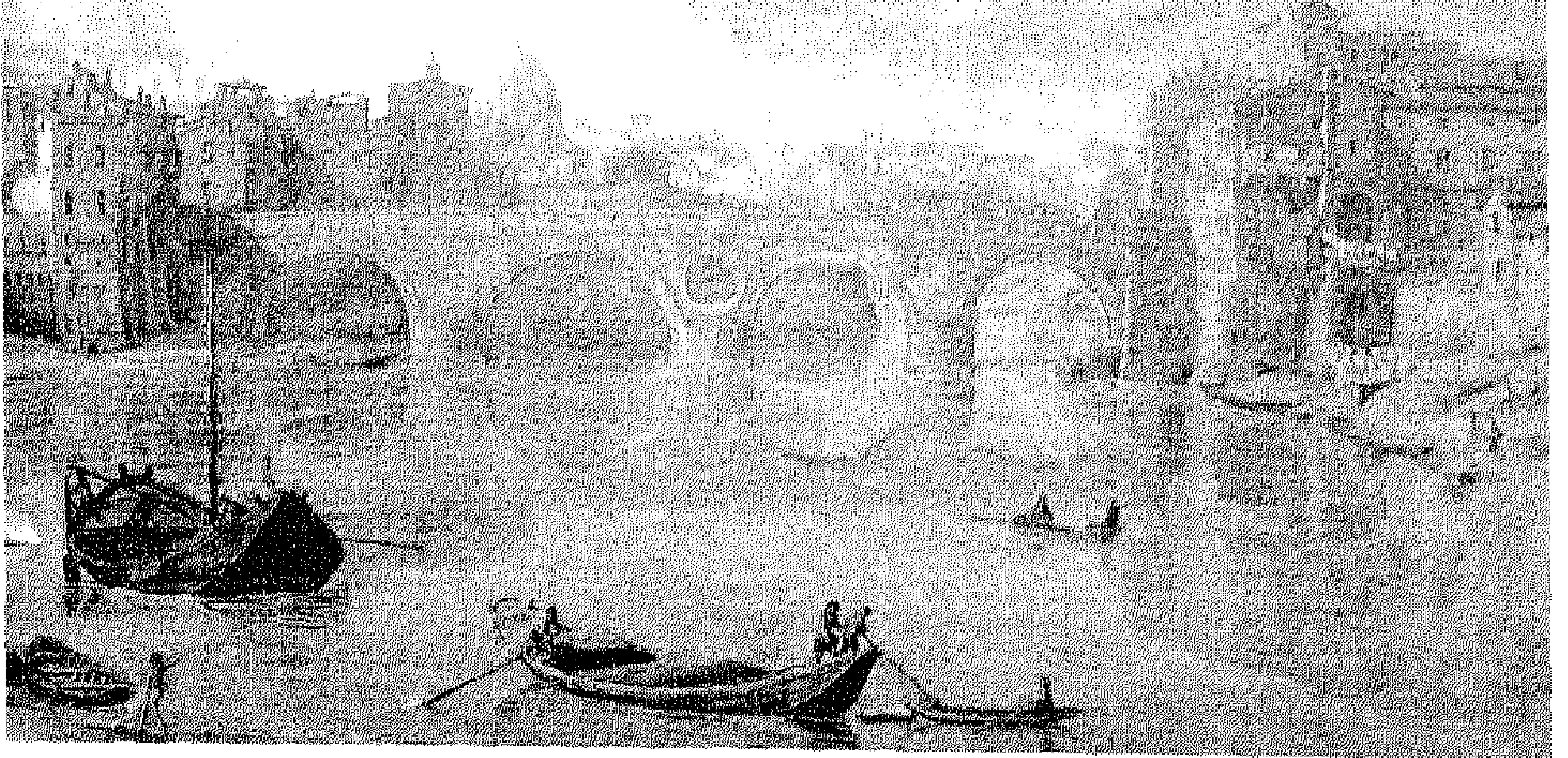
ي.ش.

جسور روما

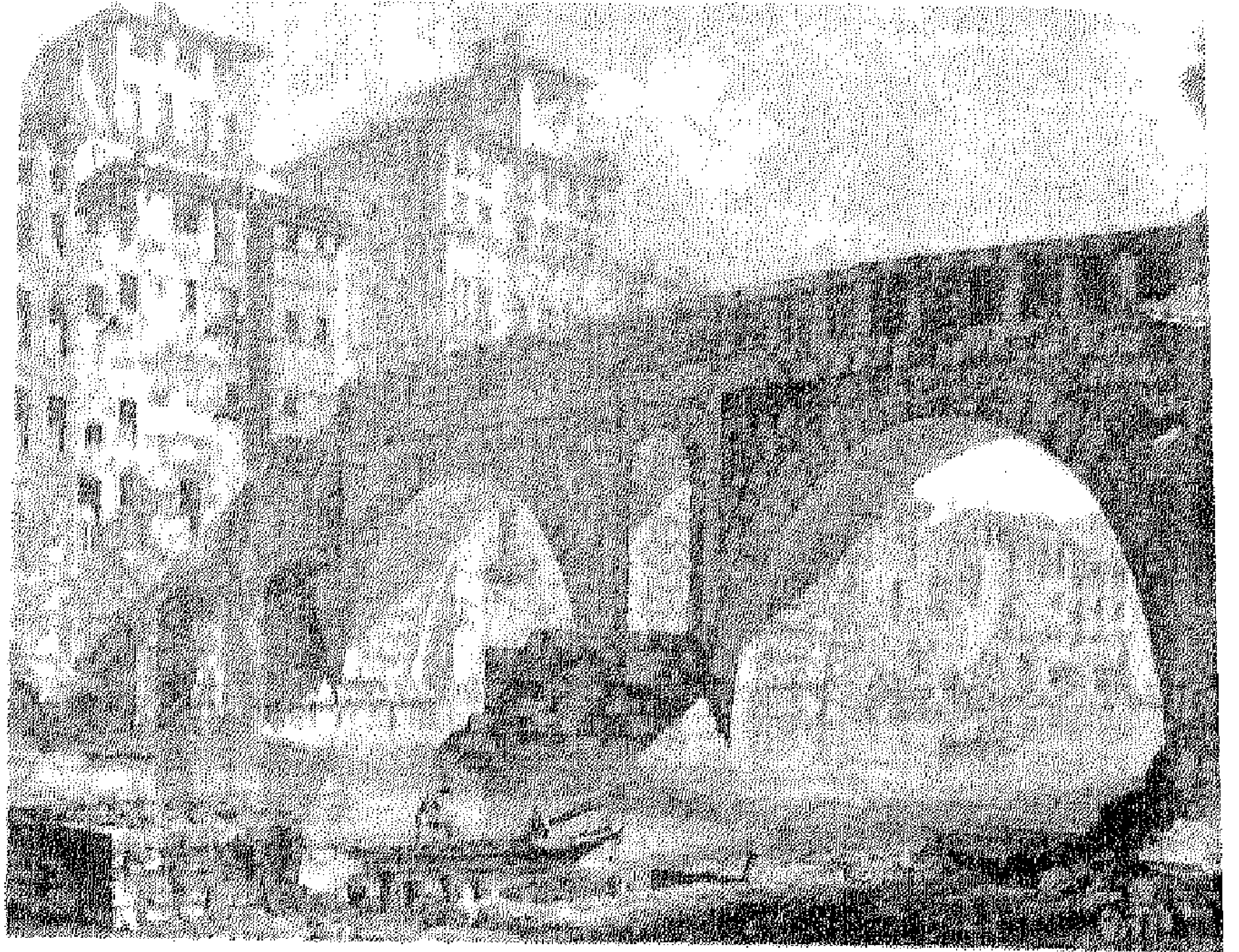


كان الرومان أعظم بناة الجسور في التاريخ القديم. وقد انشأوا طرقاً عبر عدد لا يحصى من مجاري المياه في اوروبا وآسيا وافريقيا. وبنى يوليوس قيصر جسوراً فوق نهر الراين (عام ٥٥ قبل الميلاد) كما بنى ترايانوس جسوراً فوق نهر الدانوب (١٠٤ ميلادية) ونهر تاغوس في اسبانيا (١٠٥ و١٠٦ ميلادية) اما في روما نفسها فقد انطلق الاباطرة لترويض نهر التيبر.

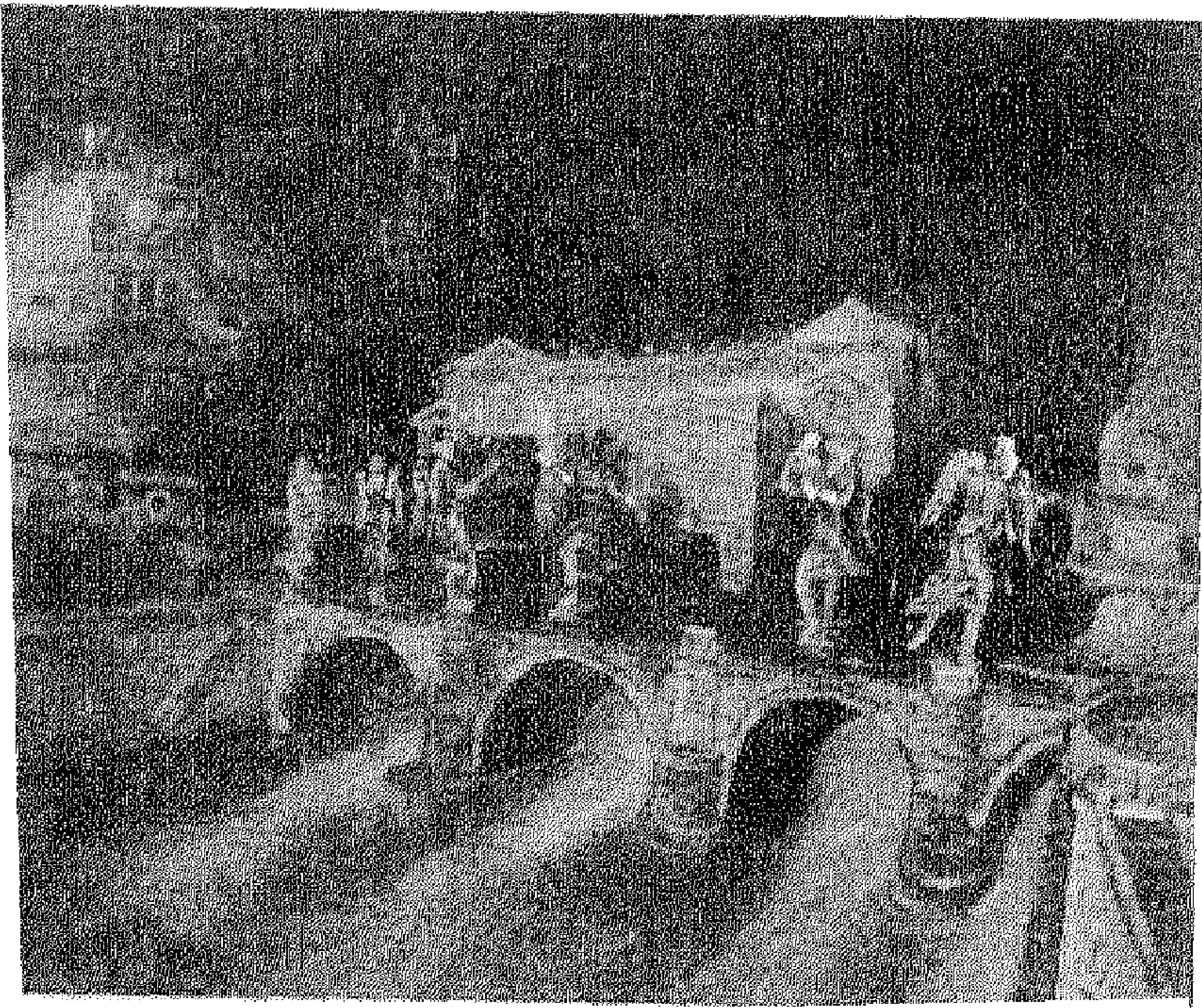
حين أسست روما عام ٧٥٣ قبل الميلاد كان نهر التيبر يعتبر مقدساً،



لوحة زيتية بريشة غسبار فانفيتلي (١٦٥٣ - ١٧٣٦) لجسر "بونتي سيستو" تظهر في الركيزة الوسطى "العين" التي ظلت طوال قرون تستخدم لمراقبة الفيضانات: حين كانت المياه ترتفع لتسيل من خلال الفتحة كان القلق يستبد بالرومانيين من خطر الفيضان. (متحف كابيتوليني - روما).

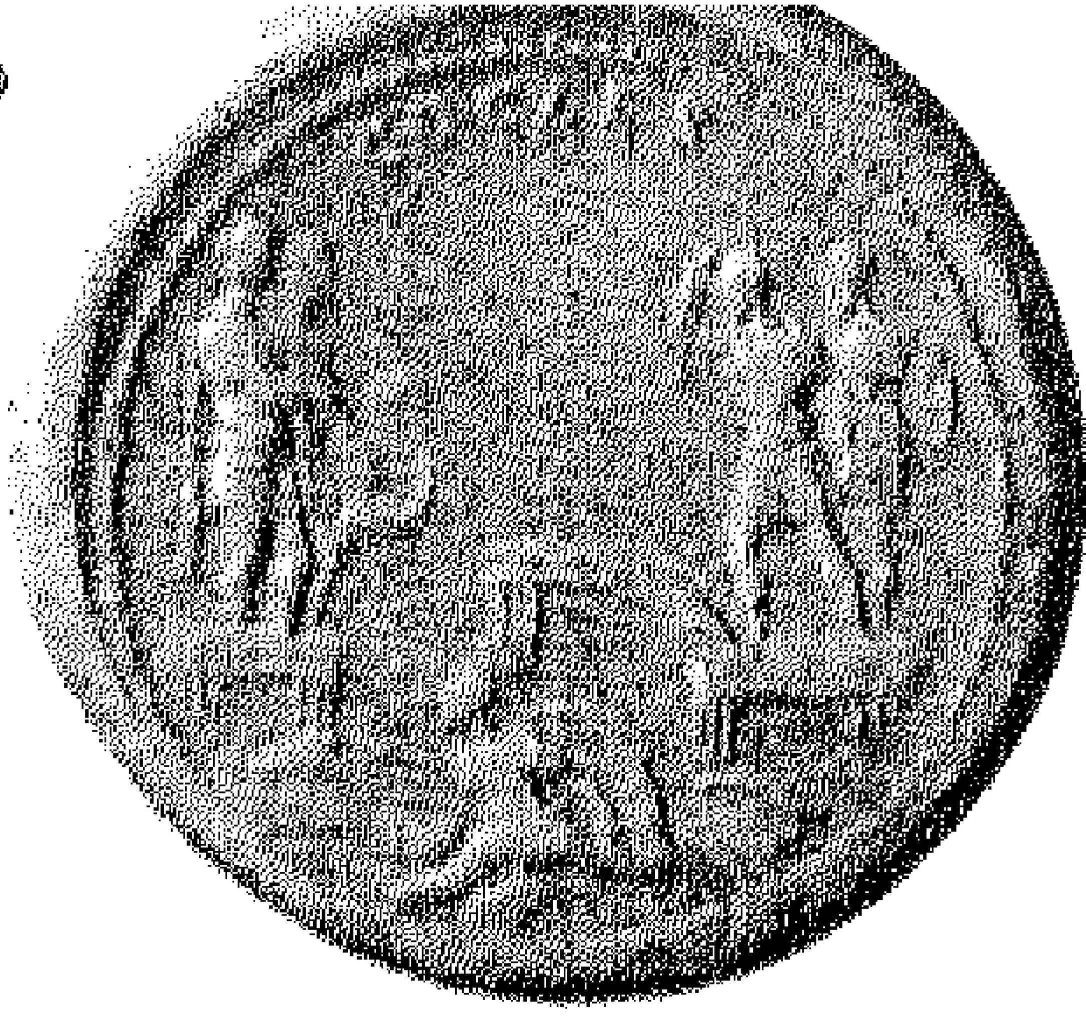


جسر "بونتي فابريشيو" في منحوتة لانطونيو آكواروني، كانت الجسور الرومانية تسمى عموماً بأسماء بنائها، ومن الاسم المنقوش على القناطر نعلم ان هذا الجسر بناه الكاهن فاريوم ل. فابريشيوس. (من مجموعة آشيلي برتاريللي – ميلانو).



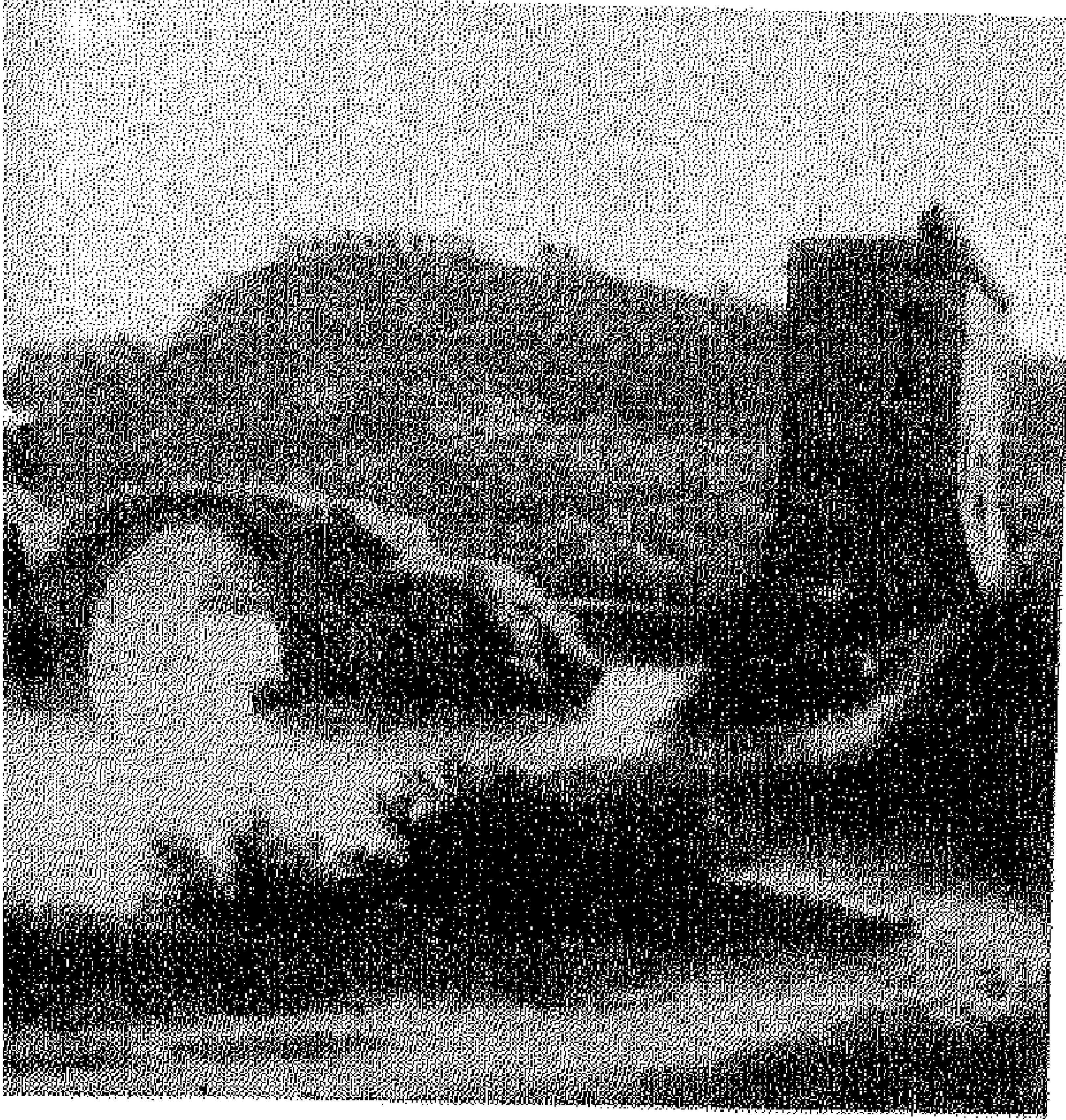


لوحة زيتية بريشة جينو بونينتشي المعروف باسم سيبيوني
١٩٠، – ١٩٣٣) تمثل جسر "بونتي سانت آنجيلو" ليلا، وكانت
ذا الجسر الذي يعتبر أجمل جسور روما سمعة سيئة طوال قرون
ه كان المعبر الوحيد الى سجن كاستيل سانت آنجيلو، هنا قطع
س بياتريس شنشي ونقل جيوردانو برونو في عربة ليحرق حياً
مقيداً الى خشبة في كامبودي فيوري. (من مجموعة خاصة –
تورينو).



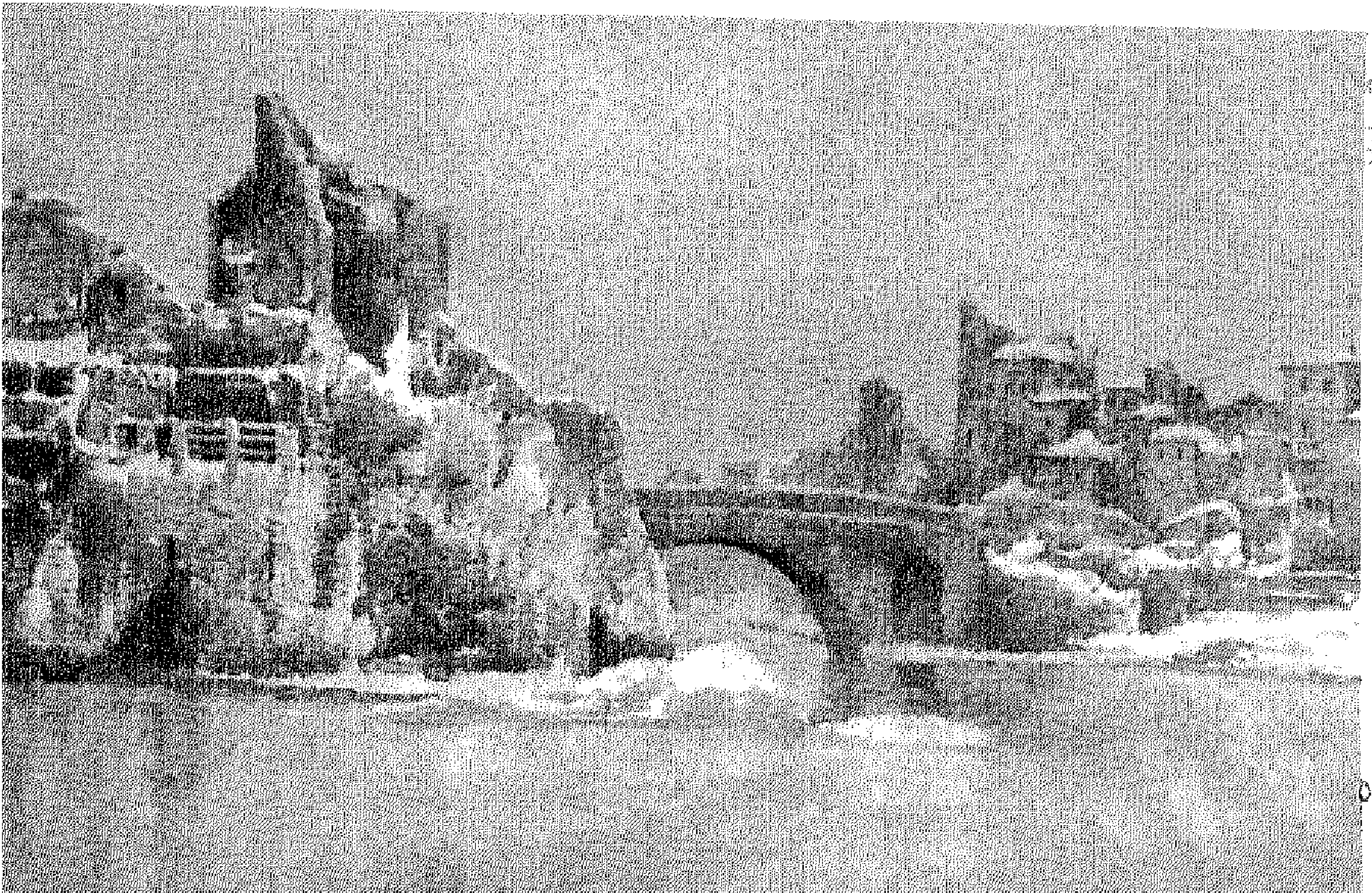
المختا

قطعة نقد سكت في عهد انطونيوس بيوس وتمثل جسر "بونس سوبليسيوس" الذي سمي كذلك لأنه مبني بالالواح الخشبية (سوبليكا باللاتينية) المتصلة بمسامير من البرونز، فقد كان محظوراً استعمال الحديد في الاعمال المقدسة؛ والجسور كانت تعتبر مقدسة. (من مجموعة المكتبة الوطنية ـ باريس)



لوحة زيتية بريشة غيامباتيستا باسي (١٧٨٤ ـ ١٨٥٢) تمثل جسر "بونتي ميلفيو" عام ١٨٤٩. ولا نزال التحفة الهندسية محط اعجاب الناس بعد نحو ٢١٠٠ سنة من بنائها. (من متحف روما)

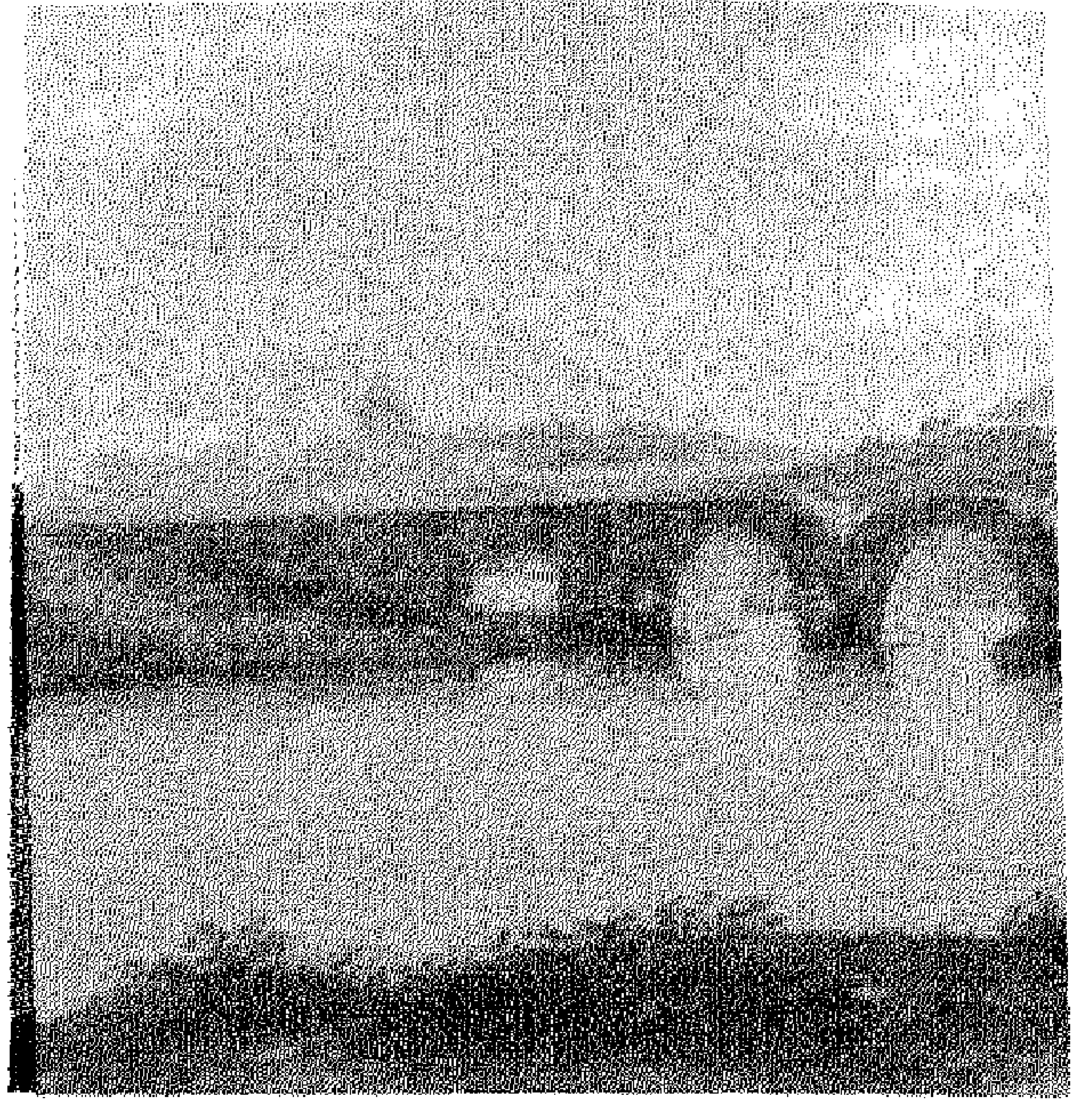
"جزيرة التيبر تحت الثلوج" هو اسم هذه اللوحة المائية بريشة ايتوري روسلر فرانز (١٨٥٢ ـ ١٩٠٧). والى اليمين جسر "بونتي شيستيو" بقنطرته الاصلية الوحيدة. (متحف روما).



ككل الانهار التي تشكل مصدراً للحياة. والجسور التي شيدت فوق مياه التيبر اعتبرت مقدسة كذلك. وكان بناة الجسور يلاقون الاجلال، وغالبا ما كان حراسها من الكهنة.

ومن اجل تسهيل التجارة مع شعب الاتروسكان الذي كان يقطن في الضفة اليمنى لنهر التيبر، بنى ملك روما الرابع آنكوس مارشيوس أول جسر سجله التاريخ فوق هذا النهر عام ٦٠٠ قبل الميلاد. وبحسب ما أورده المؤرخان الرومانيان ليفي وفارو، كان ذلك جسراً خشبياً دعي "بونس سوبليسيوس". وقد زال الجسر قبل قرون، غير انه في شهر فبراير (شباط) ١٩٨٢ عثر عمال الآثار على بقاياه غارقة في قاع النهر.

في العام ١٠٩ قبل الميلاد بنى الحاكم ماركوس اميليوس سكوروس جسراً حجرياً دعي "بونس ميلفيوس" او "مولي" خارج روما ليصل بينها وبين شمال ايطاليا من طريق "فيا فلامينيا". وعلى هذا الجسر دحر



Velio Cioni

بطاقة بريدية قديمة تظهر الجسر عام ١٨٥٣ حين كان معبر حديد يصل القناطر الباقية بالضفة اليمنى لنهر التيبر. (من مجموعة آشيلي برتاريللي ـ ميلانو).



Saporetti

Scala

جسر "بونتي روتو" على منحوتة من القرن التاسع عشر من اعمال لويجي روسيني. (من مجموعة آشيلي برتاريللي ـ ميلانو).

الملك قسطنطين عدوه ماكسنتيوس عام ٣١٢ ميلادية، كما عبره شارلمان ليتوج امبراطوراً رومانياً عام ٨٠٠ ميلادية. وفي العصور الوسطى وعصر النهضة اصبحت لطرفي الجسر وصلتان متحركتان لأسباب دفاعية.

ومن المؤسف ان جزءاً كبيراً من هذا الجسر دمر عام ١٨٤٩ حين نسفتد قوات الجمهورية الرومانية لتمنع عبور الفرنسيين. وأعيد بناء الجسر في السنة التالية.

أما جسر "بونس آميليوس" أو "بونتي اميليو" الذي يعرف اليوم باسم "بونتي روتو" فكان اول جسر حجري يشاد فوق نهر التيبر ضمن حدود المدينة. وقد بناه ماركوس اميليوس ليبيدوس عام ١٧٤ ميلادية، وله ركائز من حجر وقناطر من خشب ابدلت بعد ٣٢ سنة من ذلك التاريخ بقناطر حجرية. واعتز الرومان بهذا الانجاز المدهش في الهندسة المدنية فأطلقوا على الجسر لقب "بونتي مايور" اي الجسر الاكبر.

بقي هذا الجسر قيد الاستعمال طوال العصور الوسطى. لكن الفيضانات في القرن السادس الميلادي، خصوصاً عام ١٥٩٨، جرفت نصف قناطره التي لم ترمم بعد ذلك. وظل الرومان حتى القرن الثامن عشر يخرجون للنزهة والتجول فوق "الحديقة المعلقة" التي جعلت فوق احدى القناطر الباقية من الجسر القديم. وفي الوقت الحاضر يمكن المرء ان يشاهد هذه القنطرة الوحيدة المغطاة بالاعشاب والازهار البرية من فوق الجسر الحديث "بونتي بالاتينو".

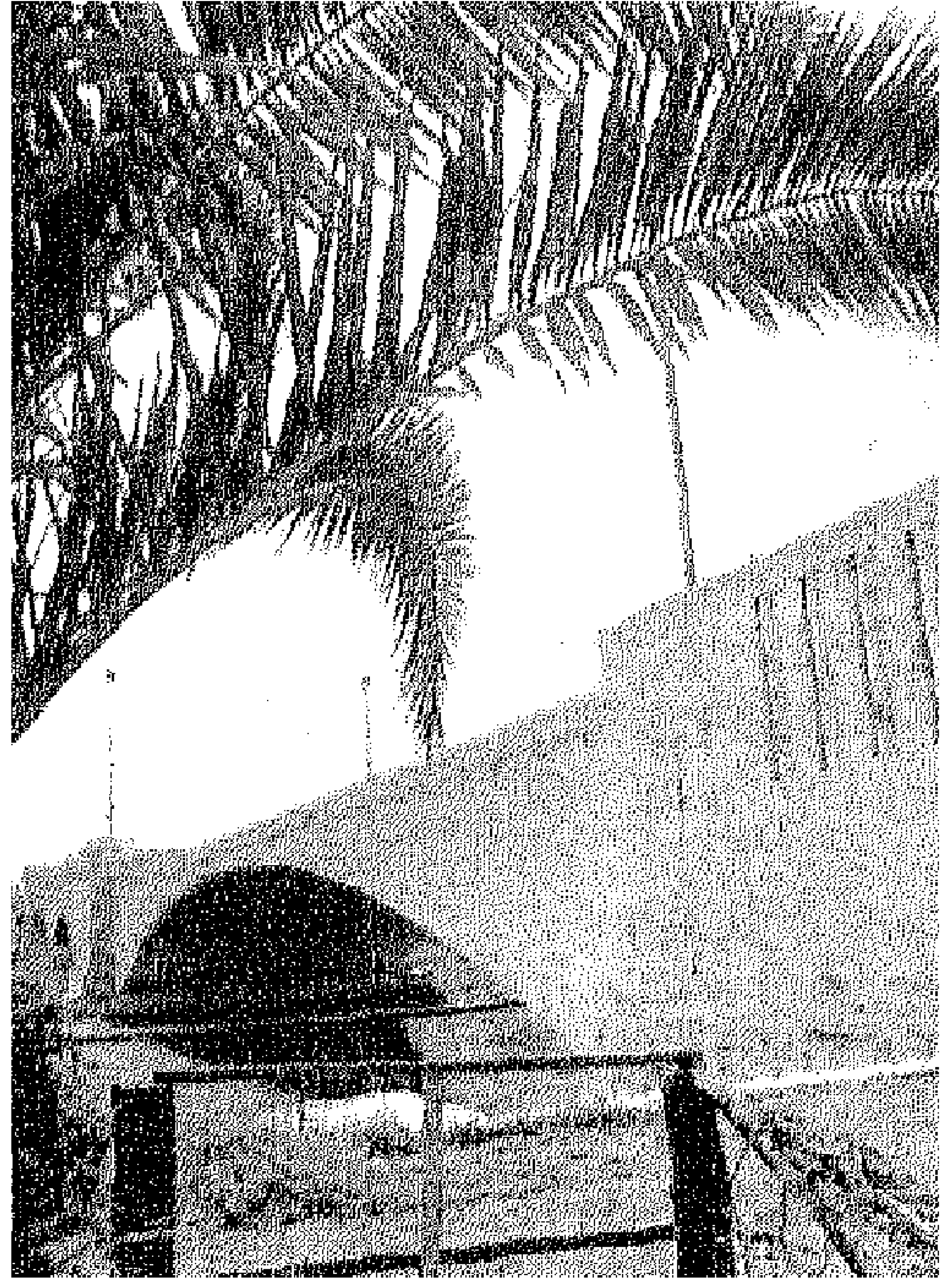
أما جسر "بونتي شيستيو" فقد بناه في الاصل لوتشيو شيستيو بين العامين ٦٢ و٢٧ قبل الميلاد ليصل الضفة اليمنى من جزيرة التيبر بحي تراستيفير. وقد هدم البناء الاصلي المؤلف من قنطرة واحدة عام ١٨٧٥ حين أدت دراسة عن الفيضانات السنوية الى سن قوانين جديدة تحدد مواصفات بناء الجسور. واعيد بناء الجسر في الموقع نفسه توافقا مع المواصفات الجديدة واستخدم البناؤون المواد نفسها التي شيد بها الجسر القديم وجعلوا له ثلاث قناطر كما تقضي انظمة البناء المعدلة.

اما الجهة الاخرى من جزيرة التيبر فيصلها بالضفة جسر "بونتي فابريشيو" الذي بني عام ٦٢ قبل الميلاد ويعرف ايضاً باسم "بونتي كواتروكابي" اي جسر الرؤوس الاربعة، نسبة الى تمثال جانوس ذي الرؤوس الاربعة الذي تقوم قاعدتاه على حاجز الجسر. انه أقدم الجسور التي لا تزال قيد الاستعمال في شكلها الاصلي وفي حال ممتازة. وخلال فصل الصيف يزدحم جسرا "بونتي فابريشيو" و"بونتي شيستيو" بالعابرين الى الجزيرة لحضور الحفلات الموسيقية والمسرحيات والعروض الشعبية.

عبر العصور استقبل جسر "بونتي سانت آنجيلو" المخصص للمشاة ملايين الزوار الذين اموا كاتدرائية القديس بطرس القريبة. وفي العام ١٤٥٠ قضى ٢٠٠ زائر دروساً بالاقدام او غرقاً نتيجة السقوط في الماء من فوق الجسر الذي كان المعبر الوحيد



منحوتة من اعمال كليتر وكاتشياتيللي تظهر جسر "بونتي دي فيورانتيني"، هذا البناء الجريء هدم عام ١٩٤١ ليستخدم حديده في الاغراض الحربية. (من مجموعة آتشلي برتاريللي - ميلانو)



صورة لجسر بونتي دوكا داوستا، البساطة المفرطة في هذا الجسر العملاق المبني بالاسمنت المسلح تتنافر مع عظمة الجسور القديمة الاخرى القائمة فوق نهر التيبر.

في ذلك الجزء من المدينة.

والقناطر الثلاث المتوسطة هي بقايا جسر قديم يدعى "بونتي ايليو" نسبة الى الامبراطور بوبليوس ايليوس ادريانوس الذي بناه. وهو يؤدي الى ضريح عائلته. وقد اشتهر هذا الضريح باسم "كاستيل سانت آنجيلو" وأصبح في ما بعد سجناً للمحكومين العاديين وللشخصيات السياسية والدينية والفنية والادبية. وفي العام ١٤٨٨ أصبحت الساحة الصغيرة على الضفة المقابلة للضريح مكاناً لتنفيذ احكام الاعدام امام الناس. وكانت رؤوس المحكومين تعرض فوق ركائز على طول الجسر.

وقد قيل ذات يوم ان "على بونتي سانت آنجيلو رؤوساً اكثر مما في السوق من ثمار البطيخ."

وحين أبطلت هذه العادة استعيض عن الرؤوس بتماثيل. وفي العام ١٦٨٨ صمم برنيني عشرة تماثيل ضخمة تولى تلاميذه نحتها.

اما جسر "بونتي سيستو" فتم تدشينه عام ١٤٧٥ اي بعد انقضاء الف سنة على بناء آخر جسر اقامه الرومان القدماء. ولهذا الجسر أربع قناطر واسعة مع "عين" متوسطة كانت تستخدم لمراقبة ارتفاع الفيضان.

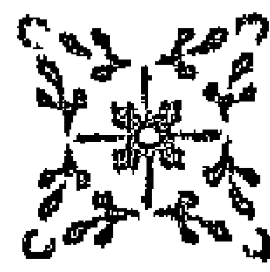
ومرت اربعة قرون قبل ان يبنى جسر آخر في روما. ولكن بعد هذه المدة، ربما تعويضاً للوقت الضائع، بني اكثر من اثني عشر جسراً خلال ٩٠ سنة لتلبية حاجات سكان المدينة النامية.

احد هذه الجسور هو "بونتي دي فيورانتيني" وهو الجسر الوحيد المعلق في روما. وقد قيل عند تدشينه عام ١٨٦١ انه كان "اجمل الانجازات من نوعه واكملها." ويقوم على طرفيه كوخان كانا يستخدمان محطتين لدفع رسوم المرور.

اما أفخم الجسور الحديثة واكثرها اناقة فهو "بونتي دوكا داوستا" الذي صممه المهندس المعماري فنسنزو فاسولو بين ١٩٣٨ و١٩٣٩. وهو يصل الملعب الروماني "فورو ايتاليكو" بحي فلامينيا الناشط. وقد يستحيل عبوره بعد ظهر ايام الآحاد بسبب توافد هواة كرة القدم وتزاحمهم لمشاهدة فريق روما او لاسيو اثناء اللعب.

تمثل جسور روما رموزاً حضارية؛ وكان بناتها يعملون لخدمة الاجيال القادمة كما لانفسهم. وحتى اليوم تعتبر الجسور السبعة والعشرون القائمة فوق التيبر اكثر من رمز صامت. انها تجمع شمل الشعب الروماني الذي يكرمها اليوم، كما في الامس، شعراً وفناً وغناء.

■ فرنسيس فينا



البيئة المدينية

اذا شاهدت فراشة تطير في حديقة منزلك أو طائر سنونو يحلق في سماء مدينتك، فثمة احتمال كبير في أنهما آتيان من أكوام القمامة القريبة، هذه الاكوام الآخذة في الزوال تبعاً لحملات أنصار نظافة البيئة.

الا ان الحياة البرية، الحيوانية والنباتية، تنمو في اكوام المهملات وتغتذي عليها. ويقول آلان ستابس من المجلس البريطاني للمحافظة على الطبيعة: "ان أكوام المهملات قد تكون من أغنى البيئات المدينية التي تعيش فيها الكائنات البرية. لذلك ينبغي أن نعي أهميتها، فلا نقضي عليها جميعاً."

صحيفة الـ"اوبزرفر"، لندن

يحتك الصحافيون والكتاب في ظروف عملهم بمشاهير عصرنا، رجالا ونساء، فتكون لهم مع هؤلاء صلات إنسانية معبرة تكشف حقيقتهم وتدحض الفكرة الخاطئة التي كونها الناس عنهم. وفي مقالتنا هذه يكتب أحد كبار المؤلفين والصحافيين مستعيدا ذكرياته.

لقاءاتٌ مع مَشاهيرْ

اللورد ماونتباتن

من سنواتي العشرين التي مارست الصحافة خلالها أذكر باعتزاز يوما من أيام صيف ١٩٧١ ذهبت لأقابل اللورد لويس ماونتباتن الذي كان آخر نائب لملك بريطانيا في الهند.

هذا المواطن البريطاني امير من احدى اعرق السلالات الملكية في أوروبا. وقد اضطلع بمجموعة من الادوار في حياته، فكان جنديا ورجل دولة ورياضيا ومحررا للهند. ويوم قابلته كان في سنه الحادية والسبعين، لكن عقله ظل عقل شباب ونشاطه نشاط شباب.

استقبلني في منزله الفخم، فتناولنا الشاي في قاعة الاستقبال الرحبة التي ضمت مجموعة من الصور وضعت في أطر فضية: ماونتباتن طفلا تحمله والدة جدته الملكة فكتوريا، ماونتباتن على متن يخت خاله قيصر روسيا عام ١٩١٢، في هوليوود مع تشارلي تشابلن عام ١٩٣٠، في مقره جنوب شرق آسيا مع ونستون تشرشل عام ١٩٤٤، ومع جواهر لال نهرو وغاندي عام ١٩٤٧.

بعد انتهائنا من تناولنا الشاي اقتادني مضيفي الى قبو قصره حيث صفوف من الرفوف المعدنية غصت بوثائق وسجلات عن أحداث حياته. وفتح درجا من الادراج عرَضاً وأخذ منه رزمة من ظروف الرسائل مغطاة بكتابات خطت بسرعة بقلم رصاص. ونظر إلي خلسة ثم سألني: "هل تعرف خربشات من هذه التي تراها على



دومينيك لابيار ولاري كولنز مع اللورد لويس ماونتباتن
في قلعة برود لاندز٠

الظروف؟" فهززت رأسي، فأجاب: "إنها لغاندي٠"

كان غاندي يعتصم بالصمت التام كل يوم إثنين٠ وكان ماونتباتن يعلم حق العلم أن تصريحات المهاتما العلنية كانت كفيلة بعرقلة مساعيه، لذلك تعمد مقابلة غاندي أيام الاثنين وفي قناعته أن هذا لن يستطيع التناقش معه٠ لكنه كان مخطئا في ظنه، فقد كان المهاتما يدس يده داخل مئزره الصوفي ويخرج منه ظروف رسائل قديمة قلبت باطنا الى ظاهر وبعض أعقاب أقلام الرصاص، فيكتب اجوبته بسرعة على تلك الظروف٠

اجتمعت بماونتباتن نحو ثلاثين مرة في السنوات التالية لأستعيد معه ساعة ساعة أحداث تلك الايام الخالدة الخطيرة من أيام اغسطس (آب) ١٩٤٧ حين أعلن استقلال البلد الذي يضم سدس سكان العالم٠ ولقد كان من حسن طالع بريطانيا، وهي آنذاك على مفترق حيوي من تاريخها، أن تحظى بمساعدة ذاك الارسطوقراطي العريق التحرري لينقذها من عواقب حلمها الأمبراطوري٠

الجنرال ديتريتش فون شولتتز

في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٣ في إحدى الشقق المتواضعة في مدينة بادن ـ بادن في ألمانيا الغربية قابلت الرجل الذي امره هتلر باحراق باريس٠

الجنرال ديتريتش فون شولتتز الذي نحن في صدده هو آخر قائد حكم "باريس الكبرى". وقد أمضى في العاصمة الفرنسية أربعة عشر يوما فقط هي نصف المدة التي أمضيتها معه برفقة لاري كولنز نستعيد أحداث تلك الفترة التي كان خلالها مسؤولا عن مصير اربعة ملايين ونصف مليون باريسي لنتحدث عنها في كتابنا "هل تحترق باريس؟"

وفيما كان شولتتز يتحدث معنا أصيب بنوبة سعال ربوي مفاجئة، فدعانا الى الخروج معه الى الشرفة حيث استعاد أنفاسه. وبعدما وقفنا ننعم النظر الى رؤوس أشجار الصنوبر البعيدة في الغابة السوداء حدثنا شولتتز عن السابع عشر من شهر اغسطس (آب) ١٩٤٤ وعن لقائه رئيس بلدية باريس بيار تيتانجيه الذي قصده في فندق "موريس" ليلتمس منه الابقاء على المدينة. وإذ وقف شولتتز يومئذ يصغي ببرودة الى حديث مخاطبه الفرنسي أصابته نوبة ربو مؤلمة مماثلة فطلب من زائره كذلك أن يخرج معه الى الشرفة. وهناك رفع تيتانجيه يده وأشار الى كنيسة "سانت شابيل" والى متحف "اللوفر" وأبراج "نوتردام" الشامخة في صدر سماء الصيف وقال بلهجة مؤثرة. "جنرال فون شولتتز، أنظر الى روائع التاريخ هذه وافترض أنك ستعود في يوم من الايام الى هذا المكان لتقف وتقول في نفسك: كنت قادرا على إزالة هذه الروائع من الوجود، لكنني آثرت أن أبقي عليها اكراما للانسانية. أليس هذا نصراً يضارع كل نصر يحققه فاتح منتصر؟"

وانقضى على هذا اللقاء اثنتان وعشرون سنة فعاد شولتتز الى باريس لمناسبة تصوير الفيلم السينمائي المقتبس من روايتنا ووقف من جديد على تلك الشرفة نفسها في فندق "موريس". وتنهد الجنرال عميقا وسمعته يتمتم بصوت يكاد لا يسمع: "يا إلهي، ما أجملها!" كانت تلك المرة الاخيرة التي يعود الى باريس، فقد وافاه الأجل بعد أسابيع.

لوتشيانو زعيم المافيا

كان لاكي لوتشيانو زعيما للمافيا في أمريكا ومهرب مخدرات ومجرما خطيرا. ووجودي وجها لوجه مع ذاك الرجل كان اختبارا عجيبا ومرعبا.

عام ١٩٥٨ كنت أتمشى متنزها على الشاطىء في مدينة نابولي الايطالية. فجأة شاهدت رجل العصابات الشهير. وكانت السلطات الامريكية بعدما عجزت عن إدانته لارساله الى الكرسي الكهربائي نفته الى وطنه الام ايطاليا. وهناك شاهدته جالسا في أحد مقاهي الارصفة يحتسي كأس مشروب ويقرأ صحيفة. وعلى رغم المعقص الالماسي الذي كان يتوهج في ربطة عنقه فقد بدا لي في تلك اللحظة رجل أعمال متواضعا متقاعدا. وكنت أمضيت سنة كاملة أجري ابحاثا وتحقيقات حول المافيا في الولايات المتحدة، وكان كتابي "زعماء نيويورك" صدر قبل مدة قصيرة.

قفلت مسرعا الى فندقي وأخذت نسخة من كتابي ثم عدت الى المقهى وجلست بجانب رجل العصابات. قلت

جيل جديد من الأفلام الملونة

دقة متناهية
في افلام التصوير الملونة

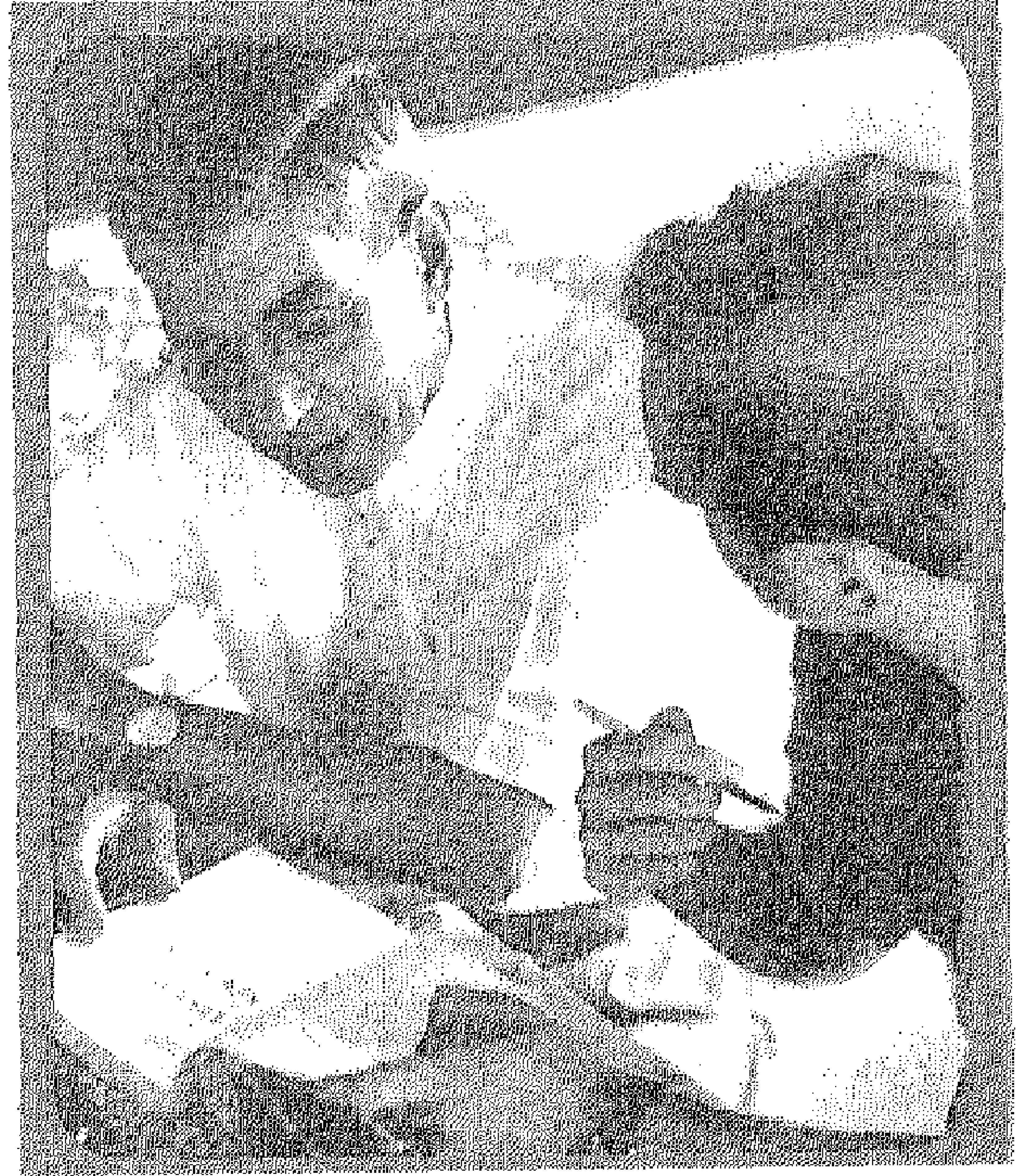
تكنولوجيا متطورة من Konishiroku
تضع مقياساً جديداً
لنوعية الافلام الملونة
صورة رائعة بالالوان الطبيعية،
لا تضاهى بصفائها ووضوحها .



ساكورا

sakura

COLOR FILM SR100



دومينيك لابيار ولاكي لوتشيانو
في مقهى كاليفورنيا في نابولي.

له: "مستر لوتشيانو، لقد الفت كتابا خصصت لك فيه فصلا كاملا."

قال بلهجة هادرة: "وماذا كتبت عني في هذا الفصل؟"

- كتبت عن سيرة حياتك كلها!

قال ساخطا: "أنتم رجال الصحافة تكتبون أنني أعيش في نابولي حياة الامراء في منزل صنابيره مصنوعة من الذهب الخالص. تعال معي وسوف ترى الحقيقة بأم عينك."

ركبنا سيارته الـ"فيات" الصغيرة الى منزله، وهو شقة مريحة ولكن ليست فخمة في مبنى قائم على هضبة تشرف على مدينة نابولي. وطوال ساعة كاملة راح يدور بي في شقته ويخبرني عن حياته كرجل أعمال متقاعد. ولدى مغادرتنا الشقة سألته: "مستر لوتشيانو، ما هي النصيحة التي تسديها اليوم وأنت في خريف عمرك الى شاب يسعى لأن ينهج نهجك في الحياة؟" فنظر إلي ثم تنهد وقال: "أؤكد لذاك الشاب أن تحصيل الدولار بوسيلة غير شريفة أصعب كثيرا من تحصيله بعرق الجبين."

المهاتما غاندي

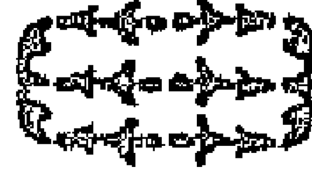
خلال حياتي العملية كانت لي مع المشاهير لقاءات كثيرة مهمة. ولعل اللقاء الذي ترك في قرارة نفسي أثرا لا يمحى هو اتصالي غير المباشر بذكرى رجل هو المهاتما غاندي. لم يكن غاندي جبارا من جبابرة التاريخ فحسب، بل كذلك واحدا من أعظم رسل الانسانية.

أمضيت سنتين كاملتين أجوب أطراف الهند المترامية مشيا أو في قاطرات سكة حديد من الدرجة الثالثة، تلك التي كان غاندي ينتقل بواسطتها. وتقفيت أثر الرجل العظيم في الأحياء الشعبية البائسة حيث اختار أن يعيش وفي القرى التي كانت في نظره صورة الهند الحقيقية. وكنت أسعى الى فهم عظمة ذاك الرجل الهزيل الذي امكنه أن يوحد شبه القارة ويجمع شمل سكانها الذين يبلغ عددهم ٤٠٠ مليون نسمة ويقودهم الى الاستقلال، على رغم انهم ينتمون الى ثلاثة آلاف طائفة اجتماعية مختلفة، ويتحدثون في ٧٠٠ لغة ولهجة محلية ويعتنقون ١٥٠ مذهبا دينيا مختلفا. وقد حقق غاندي تلك المعجزة من دون ان

يحث علـى اطـلاق رصاصـة واحـدة٠
والذي أدهشني في رسالة غاندي الشمولية التي تتميز بها٠ كان غاندي حث الهندوس في وطنه على دراسة القرآن والكتـاب المـقـدس وحـث المسيحييـن علـى قـراءة الـ"غيتـا" الهندوسي٠ وقد مات غاندي يوم جمعة حين اغتاله مجرمون لم يفهموا عبرته ولا رسالته٠
لقد حظيت في حياتي بسمات تقدير كثيرة، لكنني لم أشعر قط بسرور في هذا المجال كذاك الذي غمرنـي عندمـا قابلـت مئتيـن مـن البؤساء الصغار في احد مياتم أحمد أباد٠ لقد رحبوا بي في إحدى رحلات عودتي الـى الهنـد، فحملـوا لوحـة خشبية كبيرة سوداء خطوا عليها بعض السطـور التـي كتبناهـا عـن المهاتمـا فـي كتابنـا "تحـرر فـي منتصف الليل"، وأضافوا الى تلك السطور عبارة واحدة: "شكرا لك٠"

■ دومينيك لابيار

كان دومينيك لابيار أحد كبار محرري مجلة "باري ماتش" الفرنسية ثم اشترك مع لاري كولنز في كتابة مجموعة من الكتب بلغت مبيعاتها أرقاما قياسية، نذكر منها: "هل تحترق باريس؟" و"إيه أورشليم" و"تحرر في منتصف الليل" و"الفارس الخامس"٠



حشرية الصحافة

لكم هو رائع ان تكون صحافياً٠ فهذا يعني اشباع الفضول الذي تتميز به الطبيعة البشرية، كذلك تحقيق الاهتمامات٠ وللصحافي الحق في ان يطرح على أي شخص اسئلة حول أي شيء، كما له الحق في ان يراقب الناس خلال عملهم٠
والغريب اني عندما كنت طفلا لم انفك اسمع من اولياء امري انه من الوقاحة التحديق الى الآخرين وطرح الاسئلة المحرجة عليهم٠ غير اني مارست الامرين الى اقصى الحدود خلال السنوات الثلاثين اللاحقة من حياتي٠

روبرت ماكنيل (مراسل تلفريوني)

الجمهور ليس غولا

السيطرة على الجمهور موهبة يصعب تفسيرها٠ ويقول قائد الاوركسترا مستيسلاف روستروبوفيتش: "اذا كنت تعزف امام ١٨ الف متفرج، فاعزف كما لو كنت امام واحد فقط، مع ١٧٩٩٩ متلصصاً"٠

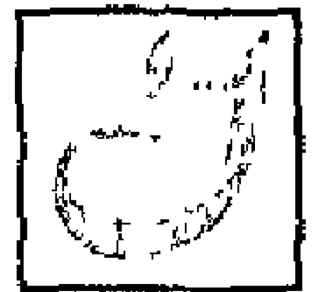
ك٠ب٠

طوال عشرة ايام كان على الرجال الاربعة
المشتركين في سباق الدراجات
الامريكي الكبير ان يبذلوا
كل جهد وطاقة لاجتياز
المسافة الفاصلة بين
محيطين متباعدين



من اليمين:
شيرمر وماريتو
وهالدمان وهاورد

[illegible] سباق
للدراجات في العالم



كان السباق أعظم اختبار لطاقة الاحتمال البشري، وأطول سباق للدراجات في العالم. فكان على الدراجين الأربعة الذين دعوا الى المشاركة فيه أن يجتازوا ٤٧٩٣ كيلومترا بين مدينة لوس أنجلس (ولاية كاليفورنيا) ومدينة نيويورك.

كان لون هالديمان أحد الدراجين الأربعة، وهو في الرابعة والعشرين من العمر، قد عبر القارة مرتين، من المحيط الى المحيط عام ١٩٨١. وفي طريق عودته قطع المسافة في عشرة أيام و٢٣ ساعة و٢٧ دقيقة، مسجلا بذلك رقما قياسيا في اتجاه واحد.

أما جون مارينو (٣٣ سنة) فهو صاحب رقم قياسي سابق ومن قدامى المشتركين في سباقات اجتياز القارة.

واما مايكل شيرمر (٢٧ سنة) فله يشترك من قبل في سباق عبر القارات. لكنه كان صاحب الرقم القياسي في اجتياز المسافة بين سياتل في ولاية واشنطن وسان دييغو في كاليفورنيا.

ومن خصائص المشترك الرابع جون هاورد انه لقب "الرجل الفولاذي" وهو في الرابعة والثلاثين، وقد فاز في مسابقة الرجل الفولاذي الثلاثية في هاواي (وهي سباق ماراتون في السباحة وركوب الدراجة والعدو). وهو بطل دراجات أولمبي سابق، وبطل الولايات المتحدة في الدراجات مرات متتالية. وقد اشتهر بصلابته الجسدية وطاقته على تحمل المشاق حيث تتلاشى قدرة الآخرين أو تنهار قواهم.

إلا أن الحظ لم يحالف هاورد في ذلك السباق. ففي منتصف الليل، بعد مرور أربع عشرة ساعة على بدء سباق الدراجات الأمريكي الكبير، كان هاورد منطرحا على محمل نقال جانب الطريق الصحراوية قرب بلايث في ولاية كاليفورنيا، مصابا بالاجتفاف (استنزاف سوائل الجسم) والغثيان، ويعاني آلاما مبرحة بسبب تقلص عضلي، وهو في شبه هذيان. وحاول المدلّك لعشرين دقيقة، أن يعالج عضلة فخذ هاورد المتورمة الى حد أنها اصبحت في حجم البطيخة، محاولا إعادتها الى طبيعتها، لكن محاولاته ذهبت سُدى. عندئذ اوى هاورد الى مقصورته المقطورة ليرتاح، متكئا في سيره على اثنين من أعضاء فريقه.

في هذه الاثناء كان هالديمان ابتعد عن تلك البقعة مسافة مئة كيلومتر. وفي الساعة الثانية والنصف فجرا كان دور كل من شيرمر وماريتو في العبور. وهكذا حل هاورد في المرتبة لأخيرة ولمّا يمضِ من السباق غير يوم واحد.

ملك الدراجات – وكان علماء فيزيولوجيون (★) أجروا حسابات أفادت أن اجتياز المسافة بالدراجة خلال عشرة أيام يحتاج الى طاقة جسدية مماثلة للطاقة التي يحتاج إليها السباح في اجتياز القناة الانكليزية (بحر المانش) ١٩ مرة، أو في العدو في ٣٦ سباقا من سباقات الماراتون، أو في النهوض بالجسم المنبطح على الارض ٧٥٠ الف مرة بقوة الساعدين. فكان على المتسابقين، والحال هذه، أن يتقيدوا بقواعد نظامية صارمة، بينها جداول سرعة دقيقة وقاسية. فليقطع الدراج يوميا مسافات طويلة، عليه أن يتقيد بمعدل سرعة بصرف النظر عما قد يصيبه من تعب وألم. كما أن الاستراحات يجب أن تكون قصيرة، وقد لا تتعدى ثلاث ساعات يوميا للراحة والنوم.

ويعتمد الدراجون المتسابقون تكثيف الجهود ومضاعفتها لدى الشروع في المسابقة. فهم في بعض الحالات يتابعون التقدم من دون توقف بمقدار ما تسمح به طاقتهم واحتمالهم، وقد تبقى أقدامهم في حال حراك مستمر على دواسات الدراجة ٣٦ ساعة متتالية، قبل أن يصابوا بالارهاق وتنهار قواهم. عندئذ يتوقفون لساعة أو اثنتين ليخلدوا الى فترة من النوم المتقطع.

لماذا خوض سباق للدراجات كهذا؟

في البداية، اعتقد المشتركون في السباق أن ثمة راعيا يقدم جائزة ماليةقيمتها ٥٠ الفدولار، ينال الفائز منها ٢٠ الفا وتوزع بقية المبلغ على المشتركين الآخرين حسب ترتيبهم النهائي كالآتي: الثاني ١٥ الفا، الثالث ١٠ آلاف، الرابع ٥ آلاف. لكن هذه الرعاية لم تتحقق، فساهمت شركة "بادوايزر" في الرعاية في اللحظة الاخيرة. ومع ذلك كان على كل من المتسابقين أن يصرف مبلغ ١٣ الف دولار من ماله الخاص.

(★) الفيزيولوجيا علم وظائف الجسم.

وهكذا فاننا نرى أن الاشتراك في السباق لم يكن يتطلب تضحية في الوقت واحتمالا للمشاق فحسب، بل كان على المشتركين أن يتحملوا الخسارة المادية كذلك. ولا ريب في أن أسبابا وحوافز شخصية دفعت كلا من الدراجين الى الاشتراك في السباق بلا تردد.

إن السبب الذي جعل جون هاورد ينهار في بلايث كان بسيطا ومتوقعا. فالتدرب على سباقات المسافات الطويلة يقتضي صرف الوقت بلا حساب. لذلك بدأ جون مارينو ومايكل شيرمر التدرب على الركوب الجدي في يناير (كانون الثاني) وتوصل كل منهما الى اجتياز ١١٠٠ كيلومتر أسبوعيا.

إلا أن هاورد الذي كان في وقت ما ملك ركوب الدراجات في الولايات المتحدة بلا منازع، لم يحقق في الربيع إلا معدل ٥٦٠ كيلومترا في الاسبوع. وفي مايو (أيار) فاز بسباق اختبار مدته أربع وعشرون ساعة في حديقة سنترال بارك العمومية في مدينة نيويورك، لكنه انهمك بعد ذلك في مشاريع عمل كثيرة، ومنها انجاز كتابه "ركوب الدراجات".

القط والفأر - مع بزوغ فجر اليوم الثاني للسباق انفتح باب مقصورة هاورد المقطورة واندفع الرجل الى الخارج بنشاط وصاح بمرافقيه: "هيا بنا!"

في العاشرة صباحا كان هاورد قطع ٥٤٠ كيلومترا، وبدا كأنه استعاد عافيته ونشاطه وتجاوز مارينو الذي كان مستغرقا في النوم في مقصورته بعدما بقي فوق دراجته طوال الليل. وأما شيرمر فكان استيقظ وركب دراجته ومضى، لكن هاورد كان يقترب منه أكثر فأكثر.

وكان مايكل شيرمر بذل قبل بدء السباق جهودا حثيثة استعدادا لمراحل السباق التي ستفرض عليه في بعض الأيام المضي فوق دراجته أربعا وعشرين ساعة متتالية. وهو كان استاذا لعلم النفس في مدينة في احدى ضواحي لوس أنجلس، فشعر أن تلك الناحية الخاصة من الاستعداد والتدريب كانت مدهشة ومشوقة للغاية. فالسباق هو، بالنسبة إليه، اختبار عظيم لطاقة الانسان على الاحتمال الجسدي والنفساني، وكان هو بمثابة حيوان الاختبار الذي تجرى عليه هذه التجارب. وخلال مرحلة الاعداد هذه أمضى أوقاتا طويلة في التأمل، واستمع الى تسجيلات تنشيطية ودرس أصول التنويم المغناطيسي الذاتي. وهو عندما يشعر بالألم قادر على الاستغراق في غفوة تنويمية تمكنه من عدم التفكير في الألم.

وقد جمع شيرمر كذلك طاقما من المساعدين كان، بحسب اعتقاده، الفريق المتجانس المثالي. وتألف هذا الطاقم من مستشار ومرشدة هي صديقته وميكانيكي يتمتع بخبرة عالية واختصاصي بالتدليك، خصوصا تدليك العمود الفقري، أتى مزودا بمجموعة من علب سوداء غريبة الاشكال، وفي عدادها آلة تبث تموجات "ألفا" وتساعد في النوم

العميق، وآلة حساسة اخرى تبث موجات اسرع من الصوت لمعالجة العضلات.

وكان أحد المصممين صنع لشيرمر بزة بيضاء تعكس أشعة الشمس في الصحراء. وقد أعدت للدراج أشرطة سجلت عليها منوعات موسيقية وأخرى تضمنت مجموعة دروس تحضيرية في علم الآثار، ليستمع إليها طوال فترات الركوب بواسطة سماعات الاذن.

وفي فترات الاسراحة القصيرة كان أعضاء الطاقم، وهم أشخاص مرحون متفقون في ما بينهم، يندفعون بنشاط ليدلكوا ساقي دراجهم ويقوموا ظهره الملتوي ويطعموه قطع البرتقال، وهو في تلك الاثناء يريح قدميه التعبتين في مغاطس الماء.

وفي اليوم الثاني للسباق توقف شيرمر في فلاغستاف في ولاية أريزونا ٤٥ دقيقة لتناول الطعام والقيلولة. وفي ذلك الوقت تجاوزه هاورد. وتمكن شيرمر من اللحاق به بالقرب من ونستون في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر، لكنه توقف من جديد عملا بنصيحة رئيس فريقه الذي أقلقته بعض أعراض الارهاق المبكر التي بدأت تظهر عليه. واستمر هاورد في سعيه فيما استسلم شيرمر للرقاد.

وفي نهاية اليوم التالي بقي شيرمر وراء هاورد، تفصله عنه ثلاث ساعات. وكان آنذاك يتناول معظم وجباته الخفيفة وهو لا يبرح مقعد دراجته، وبدأت استراحاته تطول وانتاب القلق مرافقيه الذين شعروا انه بدأ يتراخى ولا يبذل جهودا كافية.

"اضربني يا شيرمر!" كان جوز مارينو في السباقات الطويلة التي اشترك فيها يتبع نهجا خاصا. فكانت انطلاقاته بطيئة في مستهلها، وعنيفة قاسية في بعض مراحلها المتقدمة. ومع اطلالة اليوم الخامس كان متوقعا أن يزاحم جون هاورد أو يتقدم عليه، إلا أن مارينو ظل في المرتبة الأخيرة، يفصله عن هالديمان حوالى ٣٢٠ كيلومترا وعن هاورد حوالى ١٦٠ كيلومترا وعن شيرمر ٥٠ كيلومترا.

بعد بطلان الدعم المادي الذي كان مخصصا بالسباق، مر مارينو في ظروف حياتية صعبة. ففي صراعه المضطرب لجمع ما سيحتاج إليه من مال، أهمل القيام ببعض الاستعدادات التي تجري عادة في اللحظات الأخيرة، كتحضير الجوارب الاضافية وتزويد الدراجة بمقاعد مريحة خاصة بسباقات المسافات الطويلة. وتمكن مارينو من جمع ١٣ الف دولار بصعوبة فائقة، فلم يعد قادرا على تسديد أقساط المنزل الذي اشتراه هو وزوجته في إيرفن، ولاية كاليفورنيا. وأصاب الرجل قلق شديد إذ راح يفكر في ان الرهن قد يطيح منزله الجديد، وأصيب باسهال قوي. وهو اتى الى السباق من غير أن يوضب حاجاته، وطلب من زوجته أن تأخذ معها ما تعتقد أنه سيحتاج اليه. وفجأة وجد نفسه على دراجته في وضع التأهب على خط الانطلاق.

وفي وقت لاحق قال مارينو: "قبيل الانطلاق تساءلت عما إذا كنت في حال لائقة لخوض السباق، وحاولت ألا أقلق في هذا الشأن، إلا أنني كنت أعلم في قرارة نفسي أنني لم أكن مستعدا."

بعد اجتيازه مسافة ١٦٠٠ كيلومتر في اليوم الخامس، واجه مارينو صعوبات جديدة، وهو كان حاول المضي في السباق بما تيسر لدراجته من مقاعد متخلعة وغير مريحة، وكان يشعر بألم في أعلى فخذيه، وهو يعلم أن الألم سيلازمه ولن يتلاشى. وخيل إليه أنه لم ينزل عن درّاجته منذ شهر أو اكثر.

في الوقت الذي مر مارينو بقاطرة شيرمر المتوقفة بالقرب من دالهارت في تكساس، اندفع بضعة أشخاص الى الخارج، وما هي إلا لحظة حتى كان شيرمر على مقعد دراجته من جديد. وترافق الاثنان مسافة خمسة عشر كيلومترا، إلا أنّ الارهاق أدرك مارينو الذي قال لرفيقه: "شيرمر، بعد هذا السباق، إذا سمعتني أقول مرة واحدة اني سأعود الى خوض مثل هذه التجربة، فأرجو أن تضربني. هلا فعلت ذلك؟"

وبعد فترة وجيزة تباطأ مارينو في تقدمه وقال: "إمض يا مايك، سأدركك في وقت لاحق."

الدراج الامثل – كان لون هالديمان قد سجل في مستهل هذا السباق إنجازا في مجال السرعة لم يسمع به أحد من قبل. ففي يوم السباق الاول انطلق مقتحما الصحراء بسرعة هائلة ومجتازا مسافة ٦٤٠ كيلومترا في ٢٢ ساعة لم يتوقف خلالها إلا أربع مرات. وكان معدل سرعته ثلاثين كيلومترا في الساعة. وها نحن نراه الآن والسباق في يومه السابع، منطلقا عند الفجر عبر الرذاذ المتقطع في اتجاه نهر ميسيسيبي، فبدا كأنه ما زال نشيطا ومحافظا على لياقته البدنية كما كان في كاليفورنيا. والواقع أن هالديمان كان يخوض السباق وهو يشعر بمتعة وسرور حقيقيين.

وفي مكان إقامته في هارفرد في ولاية ايلينوي، كان هالديمان يتنقل على دراجته بين منزله ومكان عمله حيث كان يدير متجرا للدراجات، مجتازا في ذهابه وإيابه ١٣٧ كيلومترا يوميا. وكان ينشط في ركوب دراجته في عطل نهاية الاسبوع. وفي العام ١٩٨٢ بلغ طول المسافة التي اجتازها ٤٢ الف كيلومتر. ولم يكن هالديمان متطلبا أو يصعب إرضاؤه، ولم يفكر قط كغيره في استعمال تموجات "ألفا" ولم يكن يزعق في وجوه مساعديه أو ينهرهم. إنه رجل سوي يزن ٨٤ كيلوغراما ويحب البيتزا والهامبرغر والدجاج والسباغيتي المعلب المطهو بمرق البندورة. واثناء مروره في ضواحي سبرنغفيلد في ولاية ايلينوي، والمطر ينهمر متقطعا والحرارة تراوح بين عشر درجات وخمس عشرة درجة مئوية، كان هالديمان ساعيا في سبيله يرتدي معطفا واقيا بخس الثّمن، وسروالا بنيا ضيقا.

وبالنسبة الى هالديمان، لم يكن

نمط الحياة خلال الترحال ليختلف عن أسلوب حياته في منزله. فقد كان والده يتقدمه وهو يقود سيارة العائلة. وكان آل لون رهنوا بيتهم عام ١٩٨١ ليؤمنوا له نفقات سباقه المزدوج عبر القارة، وعادوا هذه المرة الى رهن البيت لتأمين نفقات سباقه الجديد. ورافقه أيضا هذه المرة شقيقه كن وبعض الاصدقاء، كذلك والدته التي كانت تعد الطعام لأعضاء فريقه جميعا. وطوال مرحلة العبور في مناطق الغرب الوسطى كان الدراجون الذين يلتقون هالديمان يسيرون برفقته شطرا من الطريق فيسلونه ويشجعونه في ساعات النهار الطويلة وساعات الليل الاطول.

لقد بات واضحا أن الاسلوب الذي اتبعه هالديمان في ركوب الدراجة كان الأمثل للفوز بالسباق، وذلك باعتماد السرعة المناسبة لكل مرحلة وبموجب مقتضيات الارض وطبيعتها. فكان يجد بلا كلل ساعات طوالا، ومعدل سرعته في حدود الخمسة والعشرين كيلومترا، من دون أن يحمل نفسه أكثر من طاقتها أو أن تزل قدمه فيتعرض لأخطار جسيمة. إنه الدرّاج الأقوى في المسافات الطويلة، وهو نموذج حي للرياضي المتزن الهادىء الرزين الذي يصل الى الذروة لأنه نذر حياته وحبه للرياضة وعاش حياة سليمة، شريفة لا غبار عليها.

استقبال فاتر – في سيركلفيل في ولاية أوهايو، على بعد ١٠٥٠ كيلومترا من خط الوصول، أيقن هالديمان بأنه سوف يحطم الرقم القياسي الذي سجله سابقا. لكنه أراد لرقمه الجديد ان يدوم طويلا، فطلب من شقيقه أن يعد جدول سير يضمن له الوصول الى نيويورك في تسعة ايام.

غير أن جبال ابالاش اضطرته الى الابطاء وبدأ هالديمان يشعر بالتعب. وفي آخر مراحل اجتياز نيوجرزي، لم يكن أصاب من النوم غير أربع ساعات خلال اليومين السابقين، وبدا آنذاك كأنه رجل آلي. وأخيرا قطع هالديمان خط النهاية في مدينة نيويورك صبيحة يوم سبت، وقد مضت على مغادرته لوس أنجلس تسعة أيام و٢٢ ساعة ودقيقتان.

لكن بطلنا فوجىء بغياب أي مظهر من مظاهر الحفاوة أو التكريم: فلا حشد يصفق للمنتصر ولا باقات زهر ولا صحافة تتحدث عن مأثرته بالخطوط العريضة.

بلغ جون هاورد خط النهاية تلك الليلة بعد عشرة أيام وعشر ساعات وتسع وخمسين دقيقة، وبقيت اثنتا عشرة ساعة ونصف ساعة تفصله عن رقم هالديمان السابق. فمذ كان بعد في إنديانا بدأ يهذي ويخيل إليه أن السماء تكاد تطبق عليه وأن جدرانا تقف حاجزا منيعا في طريقه. ومع أن هاورد لم يعد يفكر البتة في الاشتراك في سباقات عبور القارة فانه حصل من اشتراكه في سباقه هذا زادا لتقريره حول أسرع سباق عبر القارة في التاريخ.

وقد تمكن مايكل شيرمر من تحطيم الرقم القديم بأربع ساعات تقريبا، فاجتاز خط الوصول بعد عشرة أيام و١٩ ساعة و٥٤ دقيقة. وكان أعضاء

فريقه اجتمعوا للنظر في فترات استراحته التي كانت تستغرق وقتا طويلا، فقرر على أثر ذلك أن يمتنع عن النوم ليعوض الوقت الضائع. وفي أوهايو مر في طور هذيان، وفي بنسلفانيا لم يكن ذاق طعما للنوم طوال مئة ساعة، فغفا وهو يقود دراجته واصطدم بحاجز على جانب الطريق.

وكان جون مارينو انتهى الى حال من الارهاق كاد ان يقلع معها عن التفكير في إكمال السباق، لكنه تجلد وتمكن من الوصول مساء الاثنين. وقد أقيم لمارينو عند خط الوصول احتفال فاتر اختتاما لسباق الدراجات الأمريكي الكبير، ثم أوصله أعضاء فريقه بالسيارة الى فندق مجاور. وهناك توجه مارينو الى مركز المعلومات والحجز وقد بلل العرق ثيابه، وكان بقي من دون حلاقة لمدة طويلة. وسأله الموظف باستخفاف: "كيف تنوي تسديد النفقات يا سيد مارينو؟ نقدا أم بواسطة بطاقة التسليف؟"

ولم يجب مارينو، بل أخرج بطاقة التسليف من جيبه وقدمها الى الموظف بيد ترتعش.

■ مايكل ماكراي

بهجة الرقص

في سنها التاسعة عشرة غدت الراقصة دارسي كيستلر الطفلة المدللة في فرقة في باليه مدينة نيويورك، وقالت عن نفسها في مقابلة: "اني احب الرقص كما يحب سواي القفز من حافة جرف الى البحر. واذ أرقص، فاني أسعى الى شعور من النشوة لا يختبره المرء الا نادراً. فأحياناً ارقص ثلاثة أشهر من غير أن أعرف هذا الشعور البهيج، ولكن يكفي أن أختبره هنيهة واحدة لكي احلق الى السموات العلى." وتضيف أن الرقص هو معنى حياتها وأنه صرفها عن كل شيء آخر.

مجلة "الناس"

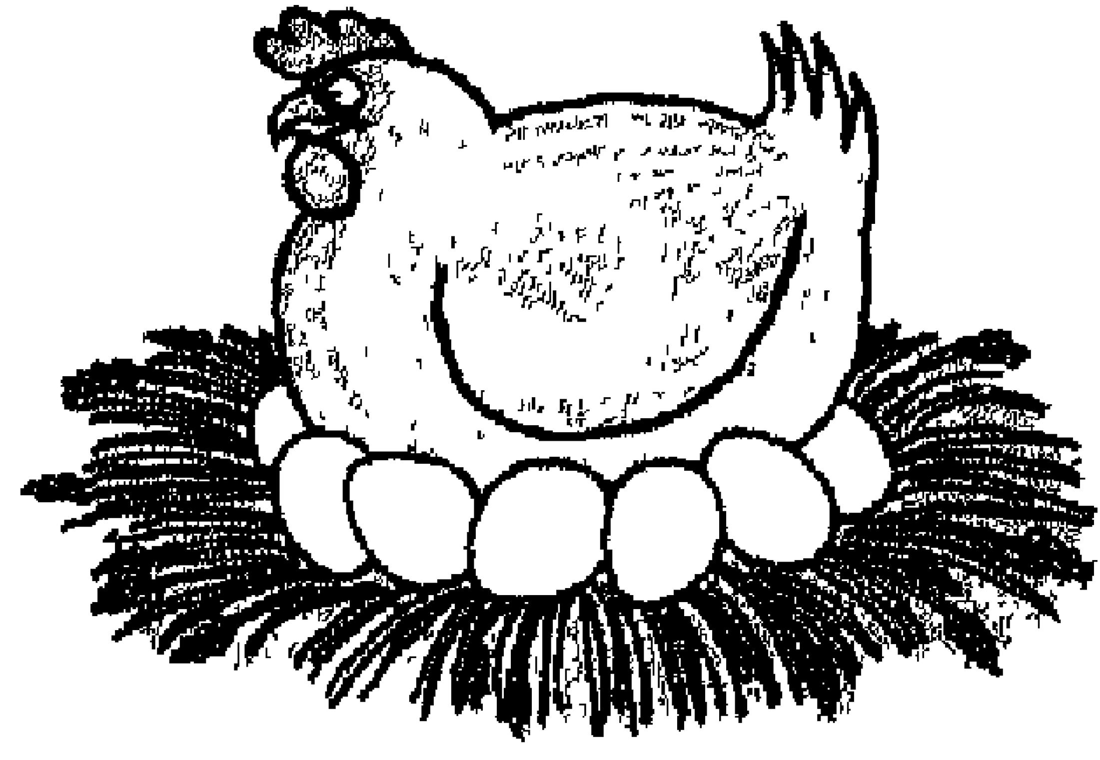
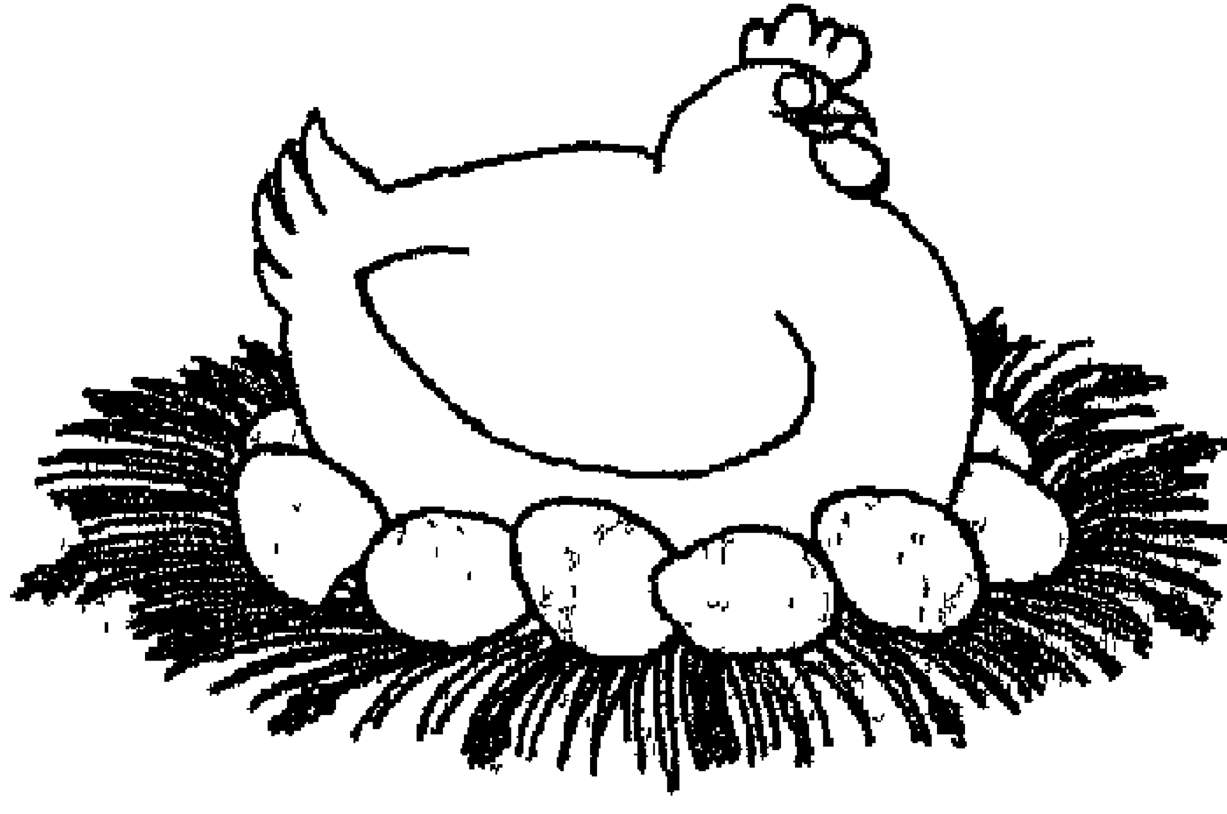
قارىء عملي

دخل رجل المكتبة العمومية في محلته واستعار كتابين، أحدهما حول الولادة الطبيعية والآخر حول التوليد في المنزل. وبعد أربعة أسابيع خابرته المسؤولة لتذكيره بانقضاء موعد اعادة الكتابين. لكنها جددت المهلة حين أجابها: "كذلك انقضى موعد توليد زوجتي."

ج.هـ.

احدى الطرق لتحسين حال سيارتك هي ان تلقي نظرة على اسعار السيارات الجديدة.

ا.م.

صور من الحياة

نظرة الى الحياة

كان تشارلز اليوت، الرئيس الفخري لجامعة هارفرد، في التسعين من عمره عندما قصد ذات يوم صيفي منزل جيرانه، آل بيبودي، في بلدة نورث ايست هاربور من أعمال ولاية مين الاميركية. واستقبلته ربة البيت بحفاوة وأخذته الى غرفة الجلوس. وبعد حديث قصير سألها هل تسمح له بحمل ولدها الجديد.

ورفعت الام طفلها من المهد ووضعته بحذر في حضن العجوز الجليل. وبعد دقائق من الصمت أعاده الى امه قائلا: "لقد استحوذ الموت كثيرا على أفكاري في الآونة الاخيرة وأحسست حاجة الى التأمل في الحياة من جديد."

ك.س.

عالم خاص

بعد اصابته بازمة قلبية إضطر ابي الى بيع مزرعته والانتقال الى احدى ضواحي المدينة. ولم نعرف باديء الامر كيف سيجد فسحة خصوصية وسط ذلك العالم المزدحم. لكنه سرعان ما وجد لنفسه عملا في المطبخ وهو جلي الصحون، علماً انه لم يغسل صحناً واحداً في بيتنا القديم. وما لبث ان باح لنا بسره: "لاحظت ان الكل يهرب عندما يحين وقت جلي الاواني المطبخية... وهكذا وجدتُ عالمي الخاص في المطبخ."

س.م.

موسم رجعي

دخلت عيادتي ذات صباح امرأة في السادسة والثمانين. فبادرتها: "ما الذي جاء بك الى عيادة طبيب نفسي؟"
- انها مشكلات منتصف العمر.

ب.ع.

الذكاء انواع

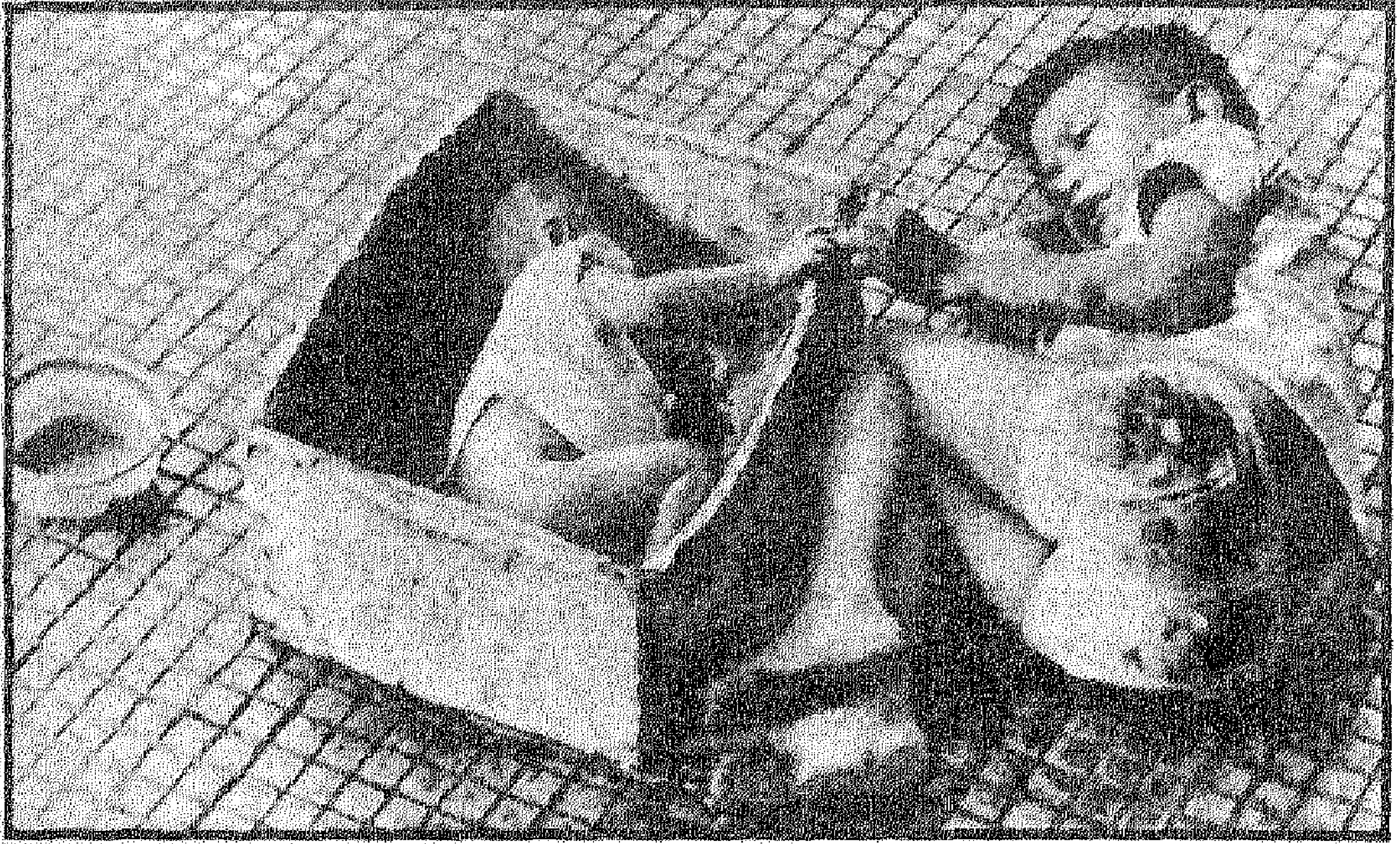
راحت فتاة شابة تقص على صديقتها الأسباب التي جعلتها تفضل أحد معارفها على الآخر وتقرر الزواج به: "عندما قويت معرفتي بجميل، ظننتُ أنه أذكى انسان في العالم."

- هذا رائع! ولكن لماذا آثرت سَليماً عليه؟

"لأني في حضور سليم، أظن أنني أنا أذكى انسان في العالم."

ب.هـ.

ألقيت على قارعة الطريق للموت، إلا أن نصيبها في الحياة كان كبيراً



طفلة الصندوق



ربما كان أكثر مشاهد الحرب الفيتنامية هولا تلك الصورة الفوتوغرافية التي تمثل طفلة في صندوق وهي نصف عارية وشديدة النحول من سوء التغذية، وقد جلس اخوها بجانبها في أحد شوارع سايغون فظهرا كأنهما طرحا على قارعة الطريق. ولما نشرت الصورة حول العالم عام ١٩٧٣ ظن معظم الذين شاهدوها أن صاحبتها لن تصمد طويلا.

وصادف ان السيدة ايفلين وارين هيل، وهي امرأة نشطة من هيوستون (تكساس) في الثالثة والاربعين، كانت تطالع صحيفتها حين لفتتها صورة جديدة لطفلة سايغون التي سبق ان رأت صورتها في الصندوق. وكانت احدى المنظمات الدولية لرعاية الاطفال تولت نقل الفتاة بالطائرة الى هيوستون ليتم فحصها ويقرر ما اذا

كانت تحتاج الى جراحة في القلب. وها هي الصورة الجديدة تمثلها في المستشفى وقد حملتها ممرضة.

وتقول ايفلين: "رأيت تينك العينين الكبيرتين والوجه الضئيل المذعور. وقلت لنفسي انها قطعت نصف المسافة حول العالم ولا أم لها، علماً انها طفلة مريضة تحتاج الى من يعتني بها. وكنت ربيت اولادي الاربعة واكتسبت خبرة لائقة في هذا المجال."

وبعد اتصالها بالمسؤولين عن الطفلة عرفت ايفلين ان ثمة سعياً الى تأمين عائلة تتبناها، وان خمسة أسماء أبقيت من الطلبات الكثيرة التي انهالت على المؤسسة لتلك الغاية. لكن ايفلين ما انفكت تخابر الجماعة علهم يضيفون اسمها الى القائمة.

واخيراً وافق المسؤولون في المؤسسة على مقابلة ايفلين. ودعتهم الى غداء في منزلها امتد طويلا بعد العصر. وراحت تحدثهم بحماسة ووضوح، معتمدة خبرتها كمعلمة وفنانة، في امور كالرسم وصناعة الاواني الخزفية والحياكة وتربية الاطفال، مركزة على موضوعها المفضل، ألا وهو التغذية. ولم ينقض وقت طويل حتى أعلن المسؤولون، وهم يرافقونها الى المدرسة لتأتي بابنها: "نريد ان تعرفي انك اصبحت أماً بالتبني لهذه الطفلة." وشدت ايفلين يديها على عجلة القيادة والدمع يسحّ من عينيها.

ألف نعمة — لا يمكن ايفلين ان تنسى الطفلة تران تي هت كما بدت لها للمرة الاولى. وكانت في احدى زوايا قفص الاطفال في المستشفى وقد حاوطتها المساند من كل جانب وراحت تحشو حذاء، دميتها بالبسكويت. كان عمرها نحو ثلاث سنوات، الا أن وزنها لم يتجاوز خمسة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام. وكانت احدى نواحي رأسها منخسفة من الاضطجاع في الصندوق، وبطنها منتفخاً. وزاد الطين بلة علة قلبها وسوء التغذية ونقص الماء في جسدها. ناهيك بجروحها التي خلفتها شظايا القنابل وحروقها والامراض الطفيلية التي فتكت بأنحاء من جسدها وداء الديزنطاريا المعوي المزمن. وكانت أسنانها متسوسة كما كان داخل اذنيها بنياً ملتهباً. وفي طريقها الى هيوستون توقف تنفسها مرتين وتمّ انعاشها اصطناعياً. ومن المفارقات ان احدى دور الايتام الفيتنامية اطلقت على الطفلة اسم "نان"، ومعناه "الف نعمة".

في العاشر من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٤ حملت ايفلين نان الى بيتها حيث رحب بها أولادها الاربعة كأخت لهم. لكن آل هيل أفاقوا تلك الليلة على صراخ يمزق نياط القلب. وهرعت ايفلين الى نان لتقرأ الرعب في عينيها الواسعتين. وظلت الكوابيس تراودها طوال الاشهر الستة اللاحقة. وتقول ايفلين: "طالما نمتُ في الكرسي الهزاز وأنا أحملها وأهدهدها، حتى خيل اليّ ان ظهري دائم الانحناء."

وكانت نان دربت على البقاء

صامتة خلال يقظتها مهما برحتها الآلام. كما كان خوفها يمنعها من مد يدها الى الطعام، وان يكن قريباً جداً منها. ولم تجد ايفلين وقتاً كافياً للتأمل في تاريخ الفتاة، اذ كان الحاضر كافياً ومليئاً بالمشكلات، خصوصاً التغذية التي تصدت لها ايفلين منذ البداية. وراحت تطعم نان اللبن المنزلي الكامل الدسم "لأنه يساعد المعدة في تمثل الطعام." وأقصت الحليب نهائياً عن المنزل بعدما وجدت ان كثيرين من الشرقيين لا يتحملون مادة الكتوز. كما نظفت المنزل تماماً من السكر والدقيق الابيض. وأطعمت نان اللحوم والخضر وخبز الدقيق الكامل الذي حضرته بنفسها.

صعود وهبوط – مع تحسن صحتها شهدت نان تحسناً في نواح اخرى. وكان عمرها ثلاث سنوات ونصف سنة عندما خطت خطواتها الاولى. وما هو الا قليل حتى أخذت تنطق، ثم تعلمت الذهاب الى المرحاض وقت الحاجة. الا أن جميع الاطباء الذين عاينوها عجزوا عن ازالة التهاب اذنيها، وهو التهاب أثقل سمعها الى حد الصمم.

وكانت نان تضطرب ايما اضطراب كلما شاهدت رجلا في زي عسكري، ويرتعش جسدها وتخبىء رأسها في صدر ايفلين لدى سماعها طائرة مروحية تحلق فوق المنزل.

وفي العام ١٩٧٦ أنجز آل هيل المعاملات الرسمية لتبني نان. وعندما سألها القاضي هل تريد ايفلين أماً، عانقته وقبلته طويلا. وقال لها وهو يضعها في يد ايفلين: "لك ما شئت يا نان مارتا فرانسس هيل." وأجهش كل من في القاعة بالبكاء.

وفي السنة التالية حصلت ايفلين على الطلاق من زوجها، وحملت أولادها الى مسقط رأسها، وهو بلدة سبرينغفيلد في ولاية اوهايو. وتعرفت على طبيب في مدينة دايتون امكنه ان يشفي اذني نان من الالتهاب. وكان في احدى الطبلتين ثقب كبير. واخضعت الطفلة لسلسلة من العمليات الجراحية التي احدثت تحسناً كبيراً في سمعها أعقبه تحسن في نطقها.

واذ ذاك بدأت معركة نان على الصعيد الذهني. فقد بينت الاختبارات التي اجريت لها أن ادراكها متدن جداً. وصنفت في خانة المتخلفين عقلياً واجتماعياً.

وقال عالم نفسي للام: "عليك ان تواجهي الواقع وتعترفي بأن هذه الفتاة غير قابلة للعلم." وجاء معدل ذكائها في أحد الاختبارات ٥٢، علماً ان المئة هي المعدل الوسط. غير ان ايفلين لم تفقد قناعتها بأن الفتاة ستتغلب على محدودياتها يوماً. وهي تقول: "اذا توقعنا ان طفلا ما غير قابل البتة للقراءة والكتابة، فكيف ننتظر ان يكتب او يقرأ؟"

ووقع حادث زاد النار اضطراماً. ففي أحد أيام يونيو (حزيران) ١٩٧٩، بينما ايفلين تعمل في الحديقة، سمعت صوتاً قوياً أصدرته عجلات سيارة قبل ان يوقفها كابحها. وركضت الى الطريق لتجد نان ذات السنوات السبع وسط بركة

من الدم بعدما صدمتها شاحنة، وكانت يداها في الهواء وناحية رأسها التي غارت في الصندوق من قبل متكئة أرضاً.

وفي المستشفى قال جراح الرأس ان العملية تنطوي على خطر كبير. الا ان ايفلين اجابت على الفور: "امض بهذه الجراحة. وأنا متأكدة من حظ الطفلة في الحياة."

مدرسة بيتية ــ كعادتها سابقاً تحدت نان الاخطار المحدقة ولم تستسلم. لكن سمعها عطل من جديد، وبات على ايفلين ان تصارع مسألة تعليمها مرة اخرى. غير انها عقدت العزم على تلقينها القراءة والكتابة والنطق الواضح والتكيف الاجتماعي. وكان للضغوط المستجدة اثر سلبي في صحة ايفلين التي ارتفع ضغطها وسبب لها آلاماً في الصدر وخدراً في ذراعها اليسرى. وأرغمتها عائلتها على دخول المستشفى وطلب معونة الآخرين. وهي تقول: "ماذا افعل وانا معلمة، وابنتي نان تحتاج الى العلم؟ لقد وجدت الحل في فتح مدرسة خاصة."

وهكذا باشر "مركز وارين للتعلم" أعماله عام ١٩٨١ في غرفة الطعام في منزل ايفلين. وكانت عدته كلها رف كتب وتلاميذه أربعة، وهم نان وميغي حفيدة ايفلين وولدان آخران يعانيان تخلفاً في السمع. وكانت نان في العاشرة لدى دخولها مدرسة أمها، الا أن مستواها العلمي لم يتجاوز حديقة الاطفال. وفي أشهر قليلة رقيت صفين. ولم يقل عنها الآخرون انجازاً.

ويحتل مركز وارين اليوم مبنى ابيض كبيراً على قمة تلة في سبرينغفيلد. وهو يؤوي اثني عشر ولداً قيل لاهلهم يوماً انهم متخلفون من حيث التفكير او النطق. وهم





فوق: نانسي هيل تكتب فرضها. تحت: نانسي تساعد ايفلين في تحضير العشاء.

يقضون هناك وقتاً ممتعاً حيث يكتسبون المعارف والكلام والمحادثة والصداقة ورفقة بعضهم بعضاً. وتخطط ايفلين للحصول على مكان أكبر يستوعب المزيد من التلاميذ.

وما يتلقنه هؤلاء هناك هو العلوم التقليدية من قراءة وكتابة وحساب. وتحرص الهيئة التعليمية التي ترئسها ايفلين وتضم ابنتها الكبرى كيم على وضع برنامج يلائم كل تلميذ ويعينه على اكتساب مهارات سمعية وبصرية ويدوية فضلا عن العلوم التقليدية. وتقول ايفلين: "أهم ما في الامر اننا نحب اولئك الاولاد ونعرف ان في امكانهم النجاح. وهم يعرفون ذلك ايضاً، ويبذلون ما استطاعوا كي ينجحوا".

أما نان فما زالت تتفتح قوة وجمالا. وها هي في الثانية عشرة وقد غدا وزنها ٤٠ كيلوغراماً. وصفها يعادل السنة الابتدائية الرابعة في المدارس العادية. وهي تحب القراءة كثيراً. وعلى رغم عاهتها السمعية فان حاسة السمع لديها تقف عند الحدود المقبولة. ونطقها، الذي لا يزال حنجرياً، يشهد تحسناً كبيراً.

ومن يتحدث الى هذه الفتاة الممتلئة حيوية لا يصدق انها الفتاة عينها التي وجدت في صندوق على قارعة الطريق والتي قال الاطباء يوماً ان تخلفها العقلي لا يتيح لها العلم. فهي تحب الحركة واللهو والمزاح، فضلا عن حبها للعلم وتعلقها بالحياة.

وتقول ايفلين ان بين فتاة الصندوق وفتاة اليوم "أكثر من عجيبة. والله تعالى شاء ان تحيا، اذ ربما قدر لها ان تحقق رسالة ما".

■ بوني رمسبرغ

المسرحية والمؤلف

ما أن أدت الممثلة كورنيليا اوتيس سكينر العرض الاول لمسرحية برنارد شو "كانديدا" في إخراجها الجديد، حتى تلقت برقية من الكاتب تقول: "عظيم... أروع ما يكون."

وأجابته بالآتي: "إنه تقريظ غير مُستحق."

فما كان من الكاتب الساخر إلا أن أردف: "كنتُ أتكلم عن المسرحية نفسها."

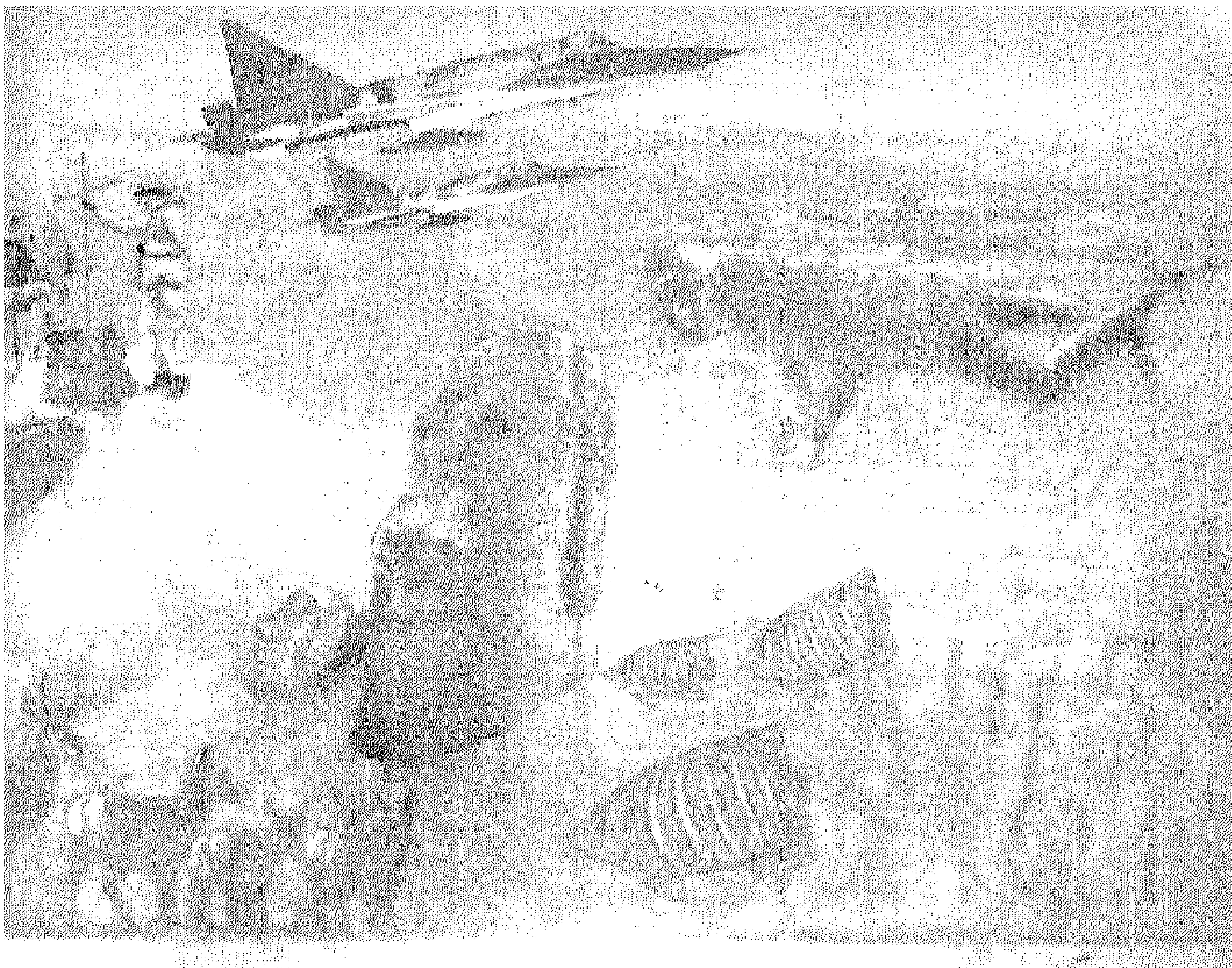
وعاجلته الممثلة بقولها: "وأنا كذلك."

مجلة "نيوزويك"

قوس الاب

فيما كنت عائداً من عملي كرسام ومصمم اثاث، شاهدت قوس غمام بديعاً في سماء العشية. وأسرعت الى البيت لكي أُري ولدي الصغير شيئاً لم يبصره من قبل. ولما أخرجتُه الى الحديقة ونظر الى تلك الالوان الرائعة، قال: "كيف فعلتَ ذلك يا أبي؟"

ر.و.



وضع هذا المغامر في حداثته لائحة باهداف كبيرة، وها هو قد حقق معظم احلامه

الحالمُ الكبيرُ

قبل ثلاث واربعين سنة وضع جون غودارد قائمة بما يرغب في تحقيقه خلال حياته. كان جون في الخامسة عشرة من عمره صبياً يافعاً يقطن في احدى ضواحي مدينة لوس انجلس الامريكية وله احلامه البعيدة في ان يصبح مستكشفاً ورائداً عظيماً. وتحت عنوان "قائمة حياتي" سجل اهدافه:

"استكشاف أنهار النيل والامازون والكونغو. تسلق جبال افريست وكليمنجارو وماترهورن. ركوب الفيل والجمل والنعامة وجواد البرنق القزم. تتبع آثار ماركو بولو في رحلاته الاستكشافية وطريق الاسكندر الكبير



فــي فتوحاتــه· الظهــور فــي فيلـم سينمائي عن طرزان رجل الغاب· الاقلاع والهبوط فوق حاملة طائرات· الاطلاع على اعمال شكسبير وافلاطون وارسطوطاليس· تأليف كتاب وقطعة موسيقية· زيارة جميع بلدان العالم· الزواج وانجاب اطفال· الذهاب في رحلة الى القمر·"

بلغـت مجموعـة اهـداف غـودارد المرقمة ١٢٧ هدفاً· ولم تكن اللائحة حلماً من أحلام اليقظة في يوم ماطر·

العالم المصغر ـ غودارد اليوم في التاسعة والخمسين من عمره، ولكن لم تفارقه مسحة الشباب· ويعيش في

ولاية كاليفورنيا • وهو كاتب ومحاضر وصانع افلام، وقد ذهب في رحلات قنص(سافاري)واستكشاف لا تحصى•

يبتسم غودارد راضياً عند ذكر لائحة أهدافه ويقول: "كتبتها وانا في الخامسة عشرة وأنا مدرك قدراتي المحدودة• ومع ذلك كنت أطمح الى تحقيقها خلال حياتي• كنت أجد لذة في كل شيء: الاسفار والطب والموسيقى والادب والطبيعة• لذلك صممت على تنفيذ مخططاتي ودفع الآخرين الى مجاراتي• وضعت مسودة لاهدافي وعملت دائماً على تحقيقها بعدما خبرت عزوف الناس عن اي عمل تكتنفه الاخطار والتحديات• وعزمت على سلوك الطريق الاخرى، طريق العمل والاستكشاف والتحدي•"

لم يضيع غودارد الوقت في تحقيق أهدافه المدونة أمامه على الورق• ففي السادسة عشرة من عمره ذهب مع والده في رحلة استكشافية الى مستنقعات اوكيفينوكي في ولاية جورجيا وافرغلايدس في ولاية فلوريدا • وكانت هذه من الاولى التي حققها•

يقول غودارد: "تعلمت ايضاً الغوص وقيادة الجرار، كما امتلكت جواداً•"

وحين بلغ العشرين غاص في بحار الكاريبي والايجي والاحمر• كذلك اصبح طياراً في سلاح الجو ونفذ ٣٣ مهمة حربية في سماء اوروبا•

وعندما بلغ الحادية والعشرين كان زار ٢١ بلداً• وبعدما اتم الثانية والعشرين اكتشف معبداً وسط ادغال غواتيمالا يعود الى حضارة مايا القديمة• وفي تلك السنة بدأ التخطيط للهدف الاهم في حياته والذي يحمل الرقم واحداً بين مجموعة أهدافه: رحلة استكشاف نهر النيل• وقال غودارد في هذا الشأن: "وضعت رحلة النيل في أعلى اللائحة لانها تمثل بالنسبة الي أهم المناطق الجغرافية في العالم قاطبة•فوادي النيل يشكل عالماً مصغراً لقارة افريقيا كلها، ويؤوي حوضه جميع أنواع الطيور والدواب والزواحف والحشرات• وهو يضم أقصر الجماعات البشرية واطولها • ويجمع نخبة من المثقفين في الخرطوم والقاهرة الى افراد القبائل الرحل التي تعيش حياة ريفية مثل شعب دينكا في بلاد السودان• لذلك وجدت تحدياً مثيراً في دراسة اعراق البشر التي عاشت على ضفاف نهر النيل•"

وصل غودارد الى منابع نهر النيل في جبال بوروندي بعد بلوغه السادسة والعشرين• وقد رافقه الفرنسيان اندريه دافي وجان لابورت• وبدا الفريق غير متجانس لأن غودارد كان يتكلم الفرنسية بصعوبة ودافي يتكلم الانكليزية كتلميذ مبتدىء بينما يتكلم لابورت الفرنسية فقط• وكان لابورت الوحيد الذي يملك خبرة في قيادة الزوارق المائية•

أخبرهم موظفو الحكومة استحالة قيام ثلاثة رجال برحلة في زورق صغير (كاياك) لا يتعدى وزنه ٢٧ كيلوغراماً لقطع مسافة ٦٦٧٠ كيلومتراً• لكن ذلك لم يثن عزيمتهم•

اكلة البشر – عانى النيليون- كما دعوا انفسهم نسبة الى نهر النيل – من

هجمات افراس النهر ونوبات الملاريا والعواصف الرملية التي تعمي الابصار والانحدارات المائية حيث تتدفق المياه بسرعة هائلة، كذلك من مطاردات الخارجين على القانون الذين لاحقوهم بنار بنادقهم. لكنهم تغلبوا على جميع الصعاب ووصلوا الى مصب النهر منتصرين بعد عشرة أشهر من بدء الرحلة. ودخلوا في زورقهم الصغير مياه البحر الابيض المتوسط الزرقاء.

قال غودارد في ذلك: "تعلمت خلال هذه الرحلة الكثير عن نفسي،وعرفت بهجة النجاح ومتعته وكيف يعيش الانسان حياته عميقة وغنية. وحفزني نجاحي على المضي في تحقيق بقية الاهداف التي وضعتها لنفسي. ولو فكرنا مقدماً بالاخطار التي تكتنف الرحلة والمشاكل التي ستعترضنا، لربما عدلنا عنها وبقينا داخل الخيمة ولم نحقق اي عمل. لكننا كنا نعيش كل يوم بيومه ونترك للغد ما يخبئه لنا من مفاجآت. ولقد وصلنا الى غايتنا في النهاية، وهذا في اعتقادي هو السبيل الافضل في الحياة. علينا ان نعيشها باجزائها الصغيرة بعد أن نملأها بكل ما نستطيع من النشاط والجد والعلم والمحبة والصداقة."

بعد نجاح غودارد في رحلة النيل تابع بقية أهدافه بهمة ونشاط. فذهب في رحلة مماثلة في زورق صغير عام ١٩٥٤ وقطع نهر كولورادو (٢٣٣٠ كيلومتراً) المليء بالمنحدرات القاسية. وقطع ايضاً عام ١٩٥٦ نهر الكونغو الذي يبلغ طوله ٤٣٥٠ كيلومتراً، وقابل سالخي الرؤوس واكلة اللحوم البشرية في مجاهل امريكا الجنوبية وبورنيو وغينيا الجديدة. وتسلق جبلي آرارات وكليمنجارو، وقاد طائرات حربية تبلغ سرعتها ضعفي سرعة الصوت. والف كتاباً بعنوان "زورق يعبر نهر النيل"، وتزوج ورزق خمسة اولاد. وبعدما بدأ حياته المهنية بعلم الانسان (انتروبولوجيا) مارس مهنة جديدة كصانع افلام سينمائية ومحاضر. وفي السنوات التالية موّل بعثاته الاستكشافية من مداخيل محاضراته وأفلامه.

ابعاد جديدة – توصل غودارد حتى الآن الى تحقيق ١٠٦ اهداف من أصل ١٢٧ في لائحته. وهو نال التكريم الذي يستحقه كمستكشف، ومن ذلك عضوية الجمعية الجغرافية الملكية في بريطانيا ونادي المستكشفين في نيويورك. وقد نجا غير مرة من المهالك خلال رحلاته الكثيرة.

كانت رحلة نهر الكونغو عسيرة ولقنته درساً قاسياً لن ينساه. بدأ الرحلة برفقة صديقه جاك يوال الذي مات غرقاً بعدما صارع المياه العاصفة. وكانا قطعا معاً شوطاً كبيراً. بعد موت جاك حزن غودارد وغرق في يأس قاتل ووحدة موحشة وهو يتذكر صديقه الذي امضى معه ستة اسابيع متتالية فاصبحا اقرب من شقيقين. وها قد غيبه الموت فجأة وبقي هو وحده يتذكر المه والصعاب التي يمكن ان تعترض سبيله. وقال متذكراً: "لم أعرف كيف اتابع

طريقي. وكنت اتفقت مع جاك على أنه في حال حدوث اي خطب يؤخر احدنا عن متابعة الرحلة يتوجب على الآخر ان يكملها. وبناء على وعدي له تابعت السير وحدي."

واصل غودارد رحلته منفرداً فترة اربعة أشهر وتمكن من ابعاد شبح الوحدة عنه الى نهاية العمر وهو يستمتع بجمال الطبيعة وامطار الغابة والقرى المنتشرة على ضفاف النهر. وكان يجذف ويشعر بالسعادة تعود الى نفسه على رغم الظروف القاهرة التي مر بها، مما ساعده على البقاء والاستمرار.

تعرض غودارد ١٨ مرة لحوادث مهلكة، واكسبته تلك المهالك خبرة وعلمته ان قيمة الحياة الحقيقية تكون في الاستمتاع بمباهجها مقدار المستطاع. ويقول: "يعيش معظم الناس حياتهم من غير ان يعرفوا آيات الشجاعة والصبر وقوة الاحتمال والجلد. لكنني اكتشفت انه عندما يصبح الانسان على يقين من دنو اجله يفاجأ برغبة جامحة وارادة قوية لم يكن يعرف انه يمتلكهما. وعندما يعبر عنهما بالعمل يجد ان روحه ارتقت الى ابعاد جديدة."

فلسفة حياتية - كل انسان يملك احلاماً واهدافاً، لكن قلة تحاول تحقيقها. ولقد كتب غودارد لائحة اهدافه عندما كان صبياً يافعاً، وكانت هذه الاهداف تعكس ميوله واحلامه في ذلك العمر. وهو يقول:

"من المؤكد اني لن احقق ابداً بعض الاهداف كتسلق جبل افريست او تمثيل دور طرزان. فوضع الاهداف لا يعني ابداً ان عليك تحقيقها كلها، لأن بعضاً منها ربما كان غير قابل للتحقيق. لكن هذا ايضاً لا يعني تخليك كلياً عن احلامك."

وما زال غودارد يشطب بنوداً من لائحته بعد تحقيقها، كما يضيف اهدافاً جديدة كل سنة متحدياً قدراته الشخصية. وهو يقول: "انا احاول على الدوام اغناء حياتي عاطفياً وفكرياً وجسدياً." وهو يؤمن بأن التقويم السنوي لانجازاته يقوده الى المزيد من الانتاج والسعادة النفسية.

في كل سنة بين شهري سبتمبر (ايلول) ومايو (ايار) يجمع غودارد افكاره وافلامه (★) ويسافر الى العالم. تنقلم محاضراته بين قاعات المدن الكبرى والمتاحف والجامعات والمدارس الثانوية حيث يشرك الآخرين في خبراته ويشرح لهم فلسفة وضع أهداف للحياة.

وغاية غودارد من سرد قصصه الغريبة ان يثير حماسة الناس لمزيد من العمل البناء.

ولا تنقص غودارد مشاريع مستقبلية، ومنها زيارة جدار الصين العظيم (رقمه ٤٩ على اللائحة) وتسلق جبل ماكنلي (رقمه ٢٣). كما انه لم يتخلَّ عن اي من اهدافه، بل انه ينتظر الفرصة السانحة. وهو في اعماق قلبه يؤمن بأنه سيحقق يوماً الرقم ١٢٥ على اللائحة: "رحلة الى القمر."

■ فرجينيا موريل

(★) "من الانديز الى الامازون"، "مباهج تركيا"، "حياة المغامرات".

الرياضة والتغذية الصحيحة
والعلاقات الاجتماعية
هي بعض من طرق مكافحة الكآبة
والانقباض

٦ طرائق لمكافحة الانقباض النفسي

الانقباض النفسي حال شائعة يعانيها الملايين في العالم. إلا أن ثمة أخباراً سارة يزفها المختصون الى المعنيين بالأمر، وهي أن في الامكان مكافحة الانقباض الخفيف أو المتوسط الذي يختبره معظمنا من وقت الى آخر. وفي ما يأتي ست طرائق برهنت عن جدواها بالنسبة الى كثيرين، وفي استطاعة كل منا أن يطبقها على نفسه.

١ التمرين

هذه الطريقة لا تكلف أي مبلغ من المال، وهي ذات منفعة أكيدة. وفي رأي الدكتور روبرت براون استاذ الطب السريري في جامعة فرجينيا الأمريكية، أن "التمرين يولد تغيرات كيميائية ونفسية تحسن وضع المرء الذهني والنفسي العام". وهو يعدّل مستوى الهرمونات في الدم وربما رفع معدّل المواد الكيميائية في الدماغ التي تؤثر في المزاج. كما ان التمرين يحسن وظيفة الجهاز العصبي اللاارادي."



أضف الى ذلك أن التمرين ضرب من العمل. ويقول الدكتور براون انه "يمنح صاحبه شعوراً بالانجاز والاتقان. وهذا يقلص الشعور بالعجز الملازم لحالات الانقباض."

وبما أن الشعور الايجابي يجب أن يتميز بصفة الاستمرار، كان لا بدّ من إطالة التمارين وإنجازها في الهواء الطلق، ومنها الركض والرقص والقفز، وذلك بين ثلاث مرات وخمس مرات اسبوعياً، على أن يدوم التمرين

نحو عشرين دقيقة ويؤدي الى رفع خفقات القلب.

ولما كان المشي النشط يضاهي ويخفف الضغط عن المفاصل، فان الدكتور براون يقترح ان يهرول كل منا مسافة ١٥٠٠ متر يومياً، الى أن يصبح في إمكانه قطع هذه المسافة خلال ربع ساعة. وبعد ذلك يزيد المسافة بالتدريج حتى تصبح خمسة كيلومترات. والافضل، قبل مباشرة أي تمرين جسدي، استشارة الطبيب والحصول على موافقته.

٢ التغذية

يظن العديد من الاطباء أن للطعام الذي نتناوله، خصوصاً ما يحتوي منه على الفيتامينات والأحماض الأمينية، أثراً كبيراً في صحتنا النفسية. وفي نظر الدكتورة بريسيلا سلاغل، استاذة الطب السريري في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس، أن نقصاً وحيداً في العناصر الغذائية من شأنه توليد الانقباض لدى الاشخاص المعرّضين لذلك.



وبعد معاينة المريض بدقة وإجراء الفحوص الطبية اللازمة له، ربما عمدت الدكتورة سلاغل الى وصف نظام غذائي من شأنه تنمية الكيميائيات الدماغية، مثل السيروتونين والنوريبينيفرين التي تحدث اثراً في المزاج والتي يلاحظ نقصها لدى اولئك الذين يشكون من الانقباض.

وتقترح الدكتورة سلاغل تناول المآكل الغنية بأنواع الفيتامين "ب" كالحبوب والاسماك والخضر الطازجة والبيض. وهي تقول: "كذلك أصف لمرضاي جرعات مدروسة من الفيتامين "ب" المركّب، على أنواعه، وهي فيتامينات يُرجّح افتقار العديد من الناس إليها، ولاسيما اولئك الذين يتبعون نظام حمية. والعلاج بالفيتامين، إذا تمّ بناء على تعليمات طبيب، بعيد عن الأذى وقد يسفر عن نتائج رائعة في أقصر وقت ممكن."

٣ الخروج من المأزق

ربما كان العلاج بالأفكار أكثر نفعاً من تناول العقاقير. وهو قائم على الفرضية القائلة ان ضحايا الانقباض ينظرون الى العالم والى ذواتهم عبر منظار أسود. ومن أجل تبديل هذه النظرة السلبية يقترح غاري ايميري من مركز لوس انجلس للعلاج بالأفكار أن يلجأ صاحب العلاقة الى طريقة ثلاثية ترتكز على العناصر الآتية: وعي الواقع، وتفسيره، ثم العمل بناء على هذا الوعي وذاك التفسير. أما وعي الواقع فيعني الاعتراف، بادىء الأمر، بأن واحدنا مصاب بالانقباض. وهي حقيقة ينكرها العديد منا. وهذا يستتبع مراقبة التبدلات المزاجية والسلوكية والشعورية والذهنية والجسدية.

وأما تفسير الواقع فيعني مراقبة الافكار التي تسبق المشاعر، بما أن كل شعور يولد من فكرة سابقة. ولتحقيق هذا الامر، تجدر قسمة الورقة نصفين



وتسجيل الافكار السلبية في أحدهما والبدائل الايجابية في الآخر. فإذا دوّنت الفكرة الآتية: "لقد صادفتُ صديقاً في الشارع، لكنه لم يكلمني. إنه لا يحبني. والواقع أن أحداً لا يحبني،" فمن بدائل هذه الفكرة ما يأتي: "إن صديقي لم يكلمني لأنه لم يرني،" أو "لانه كان مستغرقاً في مشاكله الخاصة."

ثمّ يأتي العمل. وهو يعني أن يباشر المرء العمل على أصعب مشكلة يعانيها. فإذا كان يظن نفسه غير جذّاب، تعيّن عليه أن يبدل تسريحة شعره أو يضحي ببعض وزنه الزائد. وإذا كان لا يتقدم في عمله، حَسُنَ به أن يتبع دورة دراسية تتيح له اكتساب مهارات جديدة، أو أن يسعى الى عمل آخر.

ويجدر بالمرء أن يضع مخططاً لأمور يمنحه تنفيذها شعوراً بالرضا أو المتعة، خصوصاً في عطلة نهاية الاسبوع. ومن الامثلة على هذه الامور تنظيف خزانة أو كتابة رسالة أو حضور لقاء في أحد الاندية. وبما أن الاناس المعرضين للانقباض ينزعون الى جعل الحبة قبة، فمن المجدي لهم تجزيء الامور الكبيرة الى وحدات صغيرة.

ومن المجدي أيضاً اتباع نظام للأكل بحيث يتم تناول الطعام في أوقات طبيعية، مع تجنب المشروبات الكحولية التي تضاعف الانقباض. كذلك ينبغي النوم والنهوض في أوقات طبيعية محدّدة واللجوء الى تمرين يومي، وإن لم يتجاوز القليل من المشي.

٤ الحياة الاجتماعية

بينت الابحاث ان اولئك الذين يحافظون على علاقات اجتماعية قوية، خصوصاً وسط التبدلات والشدائد التي قد تطرأ على حياتهم، يختبرون صحة نفسية لا يعرفها اولئك الذين يبقون على الطرف الآخر من حيث الانسجام الاجتماعي. كما خلصت الدراسات الحديثة الى أن السند الاجتماعي الذي يستمده الناس بعضهم من بعض قد يكون عاملا فاعلا في إطالة العمر.



ويجدر بكل منا أن يضع في رأس قائمة اصدقائه اسماء اولئك الذين يمكن أن يستمدّ منهم عوناً في أوقات الضيق وأن يبوح لهم بمشاكله. ولا يقل أهمية عن هؤلاء اولئك الذين يمكننا أن نلهو واياهم ونتبادل النكات والطرائف.

٥ مراقبة عمل الغدّة الدرقية

في رأي جوان كارسون الاختصاصية بعمليات تمثل الطعام أن معظم نوبات الانقباض عائد الى اختلال هرموني. وهي تقول: "العلة ليست في الانقباض بمقدار ما هي

في الاستنفاد." وكانت الخبيرة المذكورة عولجت قبل عقد من الزمن بمادّة الليثيوم بعد تقدير إصابتها باعراض الجنون والانكفاء. وما لبث طبيب آخر أن كشف مرضها الحقيقي، وهو نقص في الهرمونات يتولد عنه الانقباض أو الانكفاء كعارض جانبي. وبعد معالجتها بالهرمونات زالت اعراضها تماماً طوال السنوات الست الاخيرة.

ويقول الدكتور ستيفن لانغر، وهو طبيب من باركلي (كاليفورنيا) يعوّل كثيراً على الناحية الغذائية في المرض والعلاج، ان "من يشعر بالانقباض من غير ان يعرف سبباً ظاهراً لذلك، يجدر به مراقبة عمل غدتيه الدرقية والكظرية اللتين كثيراً ما يؤدي كسلهما الى الانقباض النفسي.

وفي إمكان المرء أن يجري فحصه الاولي بنفسه ويحمل النتيجة الى طبيبه. وهذا يقتضي وضع ميزان



حرارة شفوي على طاولة المخدع. وعلى المرء أن يتجنب الكحول في اليوم السابق، وينهض بعد نوم مريح لأخذ حرارته على الفور، على أن يضع ميزان الحرارة تحت ابطه بإحكام لمدّة عشر دقائق. وإذا انخفضت الحرارة عن ٣٦،٥ درجة مئوية، فهذا قد يكون دليلا على نقص في عمل الغدة الدرقية أو الكظرية. وهذا قد يفسر الانقباض الذي يعانيه المرء، وربما أدّى العلاج الى نتائج سريعة.

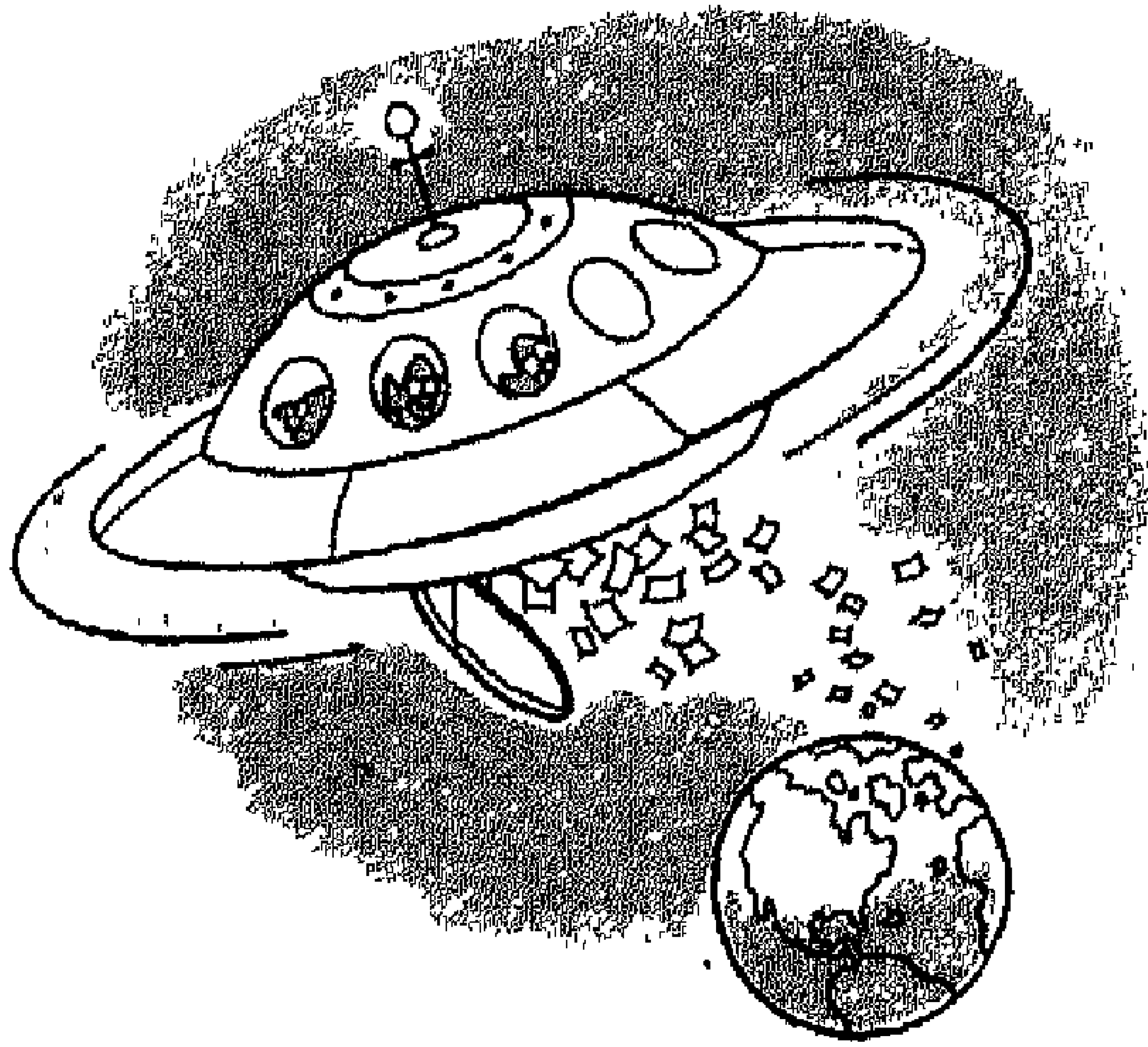
ويقول الدكتور لانغر ان "نقص كمية السكر في الدم قد يكون سبباً آخر للانقباض. وفي هذه الحال يجدر بالمرء أن يستشير طبيبه ويمتنع عن تناول السكر المكرر والكافيين ويلجأ الى تناول عدد أكبر من الوقعات اليومية ولكن بمقادير أقلّ."

٦ مراقبة العقاقير

هناك أدوية كثيرة تؤدي الى الانقباض كنتيجة جانبية. لذلك إذا كان الشخص الذي يشكو من الانقباض يتناول عقاراً معيناً، وجب عليه استشارة طبيبه في شأنه. ومن العقاقير التي تسفر عن حالات من الانقباض موانع الحمل النسائية وبعض المسكنات والمنومات والكورتيزون ومشتقاته وبعض المضادات العضوية المركبة من السلفوناميد.

إن بين أعراض الانقباض الشديدة الشعور بالكآبة والاحباط واليأس وسرعة التأثر والتبدلات التي تطرأ على عادات تناول الطعام والنهوض الباكر من النوم وفتور الهمة وضعف التركيز والسوداوية والتفكير في الموت وصعوبة التكيف الاجتماعي والارهاق وخمول التفكير أو ازدياده. وإذا لازمتك هذه الاعراض زمناً أو عاودت ظهورها، فما عليك إلا مراجعة طبيبك حالا، إذ ربما كان الشفاء أقرب إليك مما قد تتصور.

■ جون هيلمن



حكايات من العالم

انقاذ وحيد القرن

وحيد القرن الافريقي الأسود، ذلك الحيوان المهدد بالانقراض، حصل اخيراً على مساعدة من مصدر غير متوقع هو مزارع من تكساس. والشخص هو توم مانزل الذي يملك مزرعة في بلدة غلين روز. وقد استورد ستة رؤوس نادرة من وحيد القرن. والمعلوم ان قتل هذه الحيوانات يحصل على نحو مطرد طمعاً بقرونها التي تدر نحو ٢٥٠ الف دولار بعد تحويلها حلياً وادوية وعقاقير مثيرة للشهوة الجنسية.

ويتوقع خبراء المحافظة على البيئة ان تتكاثر تلك الرؤوس الستة في مزرعة مانزل حيث تسرح وتمرح ضمن ارض تبلغ مساحتها ٦٠٠ هكتار ووسط مناخ يشبه كثيراً المناخ الافريقي الذي جاءت منه. ويقول مانزل انه سوف يعيد الكثير من الحيوانات المولدة الى افريقيا اذا لقيت خطته النجاح المنشود.

صحيفة "اومني"

دراجات شنغهاي

شنغهاي الصينية من اكبر مدن العالم، وهي الاولى من حيث الدراجات الهوائية العاملة فيها إذ يبلغ عدد رحلاتها اليومية مليونين ونصف مليون. وليس غريباً ان يرى المرء في جادات المدينة الكبيرة عشرين دراجة يتزاحم ركابها بالمناكب في عرض الطريق ويعرقلون حركة السيارات. وفي شنغهاي خمسون الف آلية معظمها حافلات وشاحنات ومنها سيارات ذات عجلات ثلاث تؤمن الجزء الاكبر من المواصلات العمومية.

وعلى رغم قلة عدد سياراتها فان شنغهاي اكثر ضجيجاً من المدن الغربية الكبرى، اذ يضطر السواقون الى اطلاق الزمامير باستمرار خوفاً من دهس اصحاب الدراجات.

جاك ـ ايف كوستو

سكّر للسيارات

من اجل معالجة أسعار النفط المرتفعة باطراد عمدت البرازيل الى استخدام وقود آخر هو الكحول (السبيرتو) المستخرج من قصب السكر. وعلى رغم غزارة هذا النبات في البرازيل فان الكحول ما زال يستمد منه على نطاق ضيق. والسيارات التي يحرّكها الكحول تبدو كالسيارات العادية، علماً ان تعديلات طفيفة أُدخلت على محركاتها.

مجلة "تايم"

السلامة البحرية

يوم ١٢ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٨ كانت ناقلة النفط اليونانية "كريستوس بيتاس" مبحرة من روتردام (هولندا) إلى بلفاست (إيرلندا الشمالية) وهي تنقل ما يزيد على ٣٥ ألف طن من النفط الخام. وإذ دخلت السفينة [illegible] لم يخفف الربان سرعتها [illegible] العمق الذي كان [illegible] في [illegible] [illegible] معطلين، [illegible] السفينة على صخور مغمورة وتدفقت منها بقعة من النفط بلغ طولها ١٨ كيلومتراً وعرضها ١١ كيلومتراً قبالة ساحل ويلز البريطاني.

● في ٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩ نشب حريق في ناقلة النفط الفرنسية [illegible] وهي راسية في [illegible] في إيرلندا، ولقي نحو ٤٠ شخصاً [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] اللجنة التحقيق



من الحقائق المرعبة التي كشفتها التحقيقات
في حوادث غرق السفن
ان البحارة في احيان كثيرة
لا يعرفون ماذا يفعلون في عرض البحر



الايرلندية، كان انخساف هيكل السفينة نتيجة الصيانة غير الكفية والحمولة القاصمة.

● في ١٩ يوليو (تموز) ١٩٧٩ انفجرت السفينة "اتلانتيك امبريس" المسجلة في اليونان وحمولتها ٢٩٢،٦٦٠ طناً وغرقت قبالة ساحل توباغو في جزر الهند الغربية، وذلك على اثر اصطدامها بسفينة اخرى ضخمة هي ناقلة النفط الليبيرية "ايجيان كابتن" وحمولتها ٢١٠،٢٥٧ طناً. وكانت "اتلانتيك امبريس" احدى اضخم السفن التي غرقت في العالم ابداً، وغرق معها ٢٦ شخصاً من مجموع ٤٠ كانوا على متنها.

على رغم التقدم المدهش الذي تحقق في اجهزة السلامة والتكنولوجيا الملاحية فان الخسائر لا تزال كبيرة الى حد مخيف. فقد خسر العالم ٣٥٩ سفينة عام ١٩٨١ في مقابل ١٦٠ سفينة عام ١٩٥٨. وفي العام ١٩٧٨ بلغ عدد السفن الغارقة رقماً قياسياً هو ٤٧٣ سفينة. وبين ١٩٧١ و١٩٨١ كانت السفن تغرق بمعدل واحدة كل يوم بسبب الانواء او الحريق او الانفجار او الاصطدام والاحتكاك بالارض او الاختفاء بكل بساطة من دون ان تترك اثراً.

هذه الاحوال مقلقة جداً خصوصاً في اوروبا. ففي السنوات بين ١٩٤٩ و١٩٧٩ وقع نحو ٢٢ في المئة من مجمل حوادث الغرق - معظمها في انواء بحرية - في بحر الشمال وبحر المانش (القناة الانكليزية) وخليج بيسكاي (غرب فرنسا) وقبالة الساحل البريطاني، وهي أشد بحار العالم ازدحاماً بالسفن. والى ذلك فان الناقلات الجديدة للغاز والمواد الكيميائية والتي يبلغ عددها الآن بضع مئات، هي أشد خطراً من ناقلات النفط بسبب الطبيعة المتفجرة او السامة لحمولتها.

ما سبب هذا العدد الضخم من الحوادث؟

تكشف الدراسات التي اجراها معهد الابحاث البحرية في هولندا وادارة خفر السواحل في الولايات المتحدة ان ثلاثة ارباع الحوادث التي تقع في البحر هي نتيجة "خطأ بشري".

أعم هذه الاخطاء عدم الكفاية في استخدام الرادار، وهو مساعد أساسي في الملاحة. ومن المستغرب ان عدداً كبيراً من ربابنة السفن لم يتلقوا تدريباً مناسباً على طريقة استخدامه. ماذا كانت النتيجة؟ طفرة من الحوادث التي توصف عادة بأنها "اصطدامات كان الرادار عاملا في حدوثها" لأنه لولا وجود الرادار في السفن لاتخذ الربابنة الحريصون احتياطات اخرى.

فكرة غامضة - كان حادث اصطدام السفينتين "أتلانتيك امبرس" و"ايجيان كابتن" خير مثال على هذا الاهمال. فحين حد المطر المنهمر مدى الرؤية لم تخفف اي من السفينتين سرعتها او تبث اشارة تنبيه او تقيم خفراء للمراقبة. حتى ان ربان "اتلانتيك امبرس" لم يدخل غرفة القيادة الا في الدقائق القليلة قبيل وقوع الاصدام. وكانت السفينة

في عهدة عامل لاسلكي غير مؤهل لقيادتها، وكان هذا ثملا. وتستعيد الناجية آثينا بانوبولو التي فقدت ابنها وزوجها كبير المهندسين في الحادث ذكرى ما جرى: "قبل الاصطدام كنت اعتقد ان السفينة كبيرة والتجهيزيات متطورة وكل من على متنها كفي. وخيل الي ان لا شيء يمكن ان يحدث لها."

عدم الكفاية هذا المتمثل في الاعتماد المفرط على التجهيزات التقنية والنقص في الخبرة الملاحية بات يشكل الخطر الرئيسي في البحر. في ٢١ مايو (ايار) ١٩٨١ اصطدم قعر السفينة "باسيفيك تشارجر" المسجلة في ليبيريا بالارض في رحلتها الاولى، وذلك على ساحل والنغتون في نيوزيلندة. وأقر الربان التايواني تشيو روي - يانغ بانه لم يتلق اي تدريب رسمي على استخدام الرادار، ويكاد لا يعرف طريقة استخدام مسبار العمق، وكانت لديه فكرة غامضة عن جهاز كشف الاتجاه لاسلكياً. اما مساعد الربان فقد حصل على شهادته بطريق التزوير. وفي اوائل فبراير (شباط) ١٩٨٢ تخلف تشيو عن المثول امام لجنة التحقيق الليبيرية التي كانت تحقق في ظروف غرق السفينة. لماذا؟ لانه ضاع في البحر.

وعلى رغم هذا الحادث، واعتماداً على مؤهلاته التايوانية المشكوك فيها، استطاع تشيو بعد ذلك الحصول على شهادة موقتة كربان من حكومة بناما، وتسلم ناقلة خامات معدنية تدعى "أورينت تريجري" وتبلغ ١١ الف طن. وقد اختفت هذه السفينة في ظروف غامضة، وانضمت الى ٤٤ سفينة اخرى اختفت من دون أن يظهر لها اثر منذ العام ١٩٧١.

وفضلا عن عدم الكفاية في البحر هناك عدم الخبرة على اليابسة. فدول اوروبا الغربية التي تمارس التجارة البحرية منذ قرون خليق بها ان تتنبه الى شؤون السلامة. غير ان الانكفاء الاقتصادي قلص أساطيلها التجارية. وعمدت البلدان النامية، ومعظمها حديثة العهد في هذا الحقل، الى تعزيز اساطيلها التجارية بقفزات واسعة. وجاء هذا في غالب الاحيان على حساب السلامة. فالجمود الاقتصادي ساعدها في شراء السفن بأسعار بخسة. وفي غضون اربع سنوات فقط (١٩٧٨ - ١٩٨٢) ازداد عدد السفن السعودية اكثر من ضعفين فبلغ ٣٤٧ سفينة. كما حققت أنغولا قفزة من ٢١ الى ٥٦ سفينة، وزادت كل من تايلند وماليزيا والمكسيك اساطيلها التجارية بنسبة ثلثين. كذلك عززت كوريا الجنوبية اسطولها بنسبة ٤٤ في المئة فبات يضم ٥٠٤ سفن، والكثير بينها من الناقلات الضخمة وسفن الشحن الكبيرة.

ومع ذلك لا تزال بلدان عدة تفتقر الى التشريع البحري ناهيك بالمراقبين الملاحيين والفاحصين والمدرسين، في حين لا تطبق دول اخرى الانظمة التي تسنها.

هذا النمو السريع والنقص في المعرفة ظهر أثرهما في احصاءات الحوادث. فخلال العام ١٩٨٠ خسرت كوريا الجنوبية ٢١ سفينة، اي نحو ٣ في المئة من مجموع حمولة اسطولها

التجاري. وهذا أسوأ بستة اضعاف من معدل الخسارة في اوروبا الغربية. وفي ١٩٨١ كانت خسائر الدول البحرية العريقة دون ثلث الخسارة العالمية، بينما جاءت معدلات الخسارة في سفن البلدان النامية وتلك التي ترفع اعلاماً للتغطية، أعلى بكثير. وتسمح بعض البلدان للسفن الاجنبية بان تتسجل فيها، مما يتيح لمالكيها التهرب من التشريعات المرهقة والقيود الشديدة التي تطبق في بلدانهم. وبعد الحرب العالمية الثانية اصبحت ليبيريا وبناما بلدين رئيسيين في هذا المضمار، وكان ذلك اصلا لتغطية سفن يملكها امريكيون. غير ان مالكي سفن من اليابان واليونان وبعض الدول الاوروبية سرعان ما التحقوا بالركب وتحولوا الى اعلام التغطية هذه.

بحارة لا يعرفون – لوقت طويل احتفظت ليبيريا وبناما (اضافة الى اليونان التي نما اسطولها التجاري بسرعة) بسجل مخيف في مجال السلامة. كانت الاجازات الليبيرية والبنامية تمنح لاي شخص يبرز اجازة معادلة من موطنه. والكثير من هذه الاجازات كان مزوراً. وفي مواجهة النقص الحاد في الربابنة البحريين اخذت السلطات اليونانية تغض الطرف عن شروط الاستخدام. ويقول ربان يوناني متقاعد: "في خمس سفن كان لدي مساعد واحد يحمل شهادة. وانا نفسي تسلمت قيادة سفينة وانا لا احمل سوى اجازة ضابط بحار."

وفي حين اخذت ليبيريا تعدل تشريعاتها، وتحاول كل من بناما واليونان ان تحذو حذوها، اخذت بلدان اخرى تغتنم الفرصة لتلحق بالركب. وهكذا غيرت مالطا وجزر كايمان وبرمودا وهندوراس وقبرص وجزر البهاما وفانواتو من بين البلدان التي تحتفظ بسجل مفتوح ولا تعير بالا فحص السفن والتأكد من الاجازات ولا تهتم للتحقيقات في الحوادث البحرية.

ولقد اتخذت الولايات المتحدة تدابير لوقاية ساحلها من خطر السفن التي لا تحترم قواعد الصلاحية، ويصعد ضباط خفر السواحل الامريكيون الى متون السفن الزائرة للتحقق من صلاحيتها، وذلك منذ شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٦. حين تحطمت السفينة "آرغو مرشنت" المسجلة في ليبيريا على صخور نانتاكيت قرب مساتشوستس وتدفق منها ٢٨ مليون ليتر من النفط لوثت ساحل الاطلسي هناك. وفي شهر يوليو (تموز) ١٩٨٢ اتفقت ١٤ دولة اوروبية(★) على مباشرة فحوص منتظمة للسفن الاجنبية التي ترسو في مرافئها. وفي الاشهر العشرة الاولى احتجزت ٢٣٣ سفينة حتى اتمام النواقص فيها (كان معظم النواقص في وسائل النجاة ومعدات مكافحة الحريق).

وتتفاقم خطورة النقص في الكفاية الملاحية بسبب البلدان التي تهمل

(★) بلجيكا والدانمارك وفنلندا وفرنسا وألمانيا الغربية واليونان وايرلندا وايطاليا وهولندا والنروج والبرتغال واسبانيا وأسوج (السويد) وبريطانيا.

التحقيق في الحوادث، كذلك نتيجة محاولة المصالح التجارية عرقلة هذه التحقيقات لأن مبالغ ضخمة من المال في دعاوى التأمين والتعويض تصبح مهددة بالخطر.

وعلى اثر طفرة من الحرائق والانفجارات في الناقلات الضخمة تشكلت في اواسط ١٩٨٠ لجنة من الخبراء باسم "الفريق العامل في حوادث الناقلات" في رعاية ثلاث منظمات دولية كبرى، وذلك للنظر في الصلة الجامعة بين هذه الكوارث. ومن المستغرب ان جميع اصحاب السفن الست عشرة المعنية، باستثناء واحد فقط، احجموا عن التعاون مع اللجنة على رغم الضمانات بالمحافظة على سرية التحقيق.

غير ان اعضاء الفريق ثابروا على العمل معتمدين مصادر اخرى. وتوصلوا الى استنتاجات مرعبة: ان بعض المعدات المتطورة المختصة بالسلامة والمركبة في السفن الكبيرة غالباً ما تتجاوز مستوى فهم البحارة. والمالكون ومديرو الشركات لا يقدرون احياناً هذه الاخطار حق قدرها، ولا يوجهون بحارتهم نحو التعرف الى اجراءات السلامة، ولا يستخدمون رجالا مدربين.

قد لا يكون هذا مستغرباً، فالشركات ذات السمعة الحسنة لا تستطيع تسيير سفنها وسط أسوأ ركود اقتصادي عرفه العالم منذ الثلاثينات، لذلك تعمد الى بيع سفنها. اما المالكون الذين سدت في وجوههم سبل الخلاص فيؤجلون اعمال الصيانة ويستخدمون البحارة غير المجربين من ذوي الاجور البخسة. ويأتي هؤلاء من بلدان مثل تايوان وبورما وسريلانكا والفيليبين وكوريا الجنوبية.وتتولى وكالات خاصة انتقاء البحارة، وهي ليست مساهمة في ملكية السفن فلا تدقق في كفاية طالبي العمل. ويقول جون جويس امين سر الفريق العامل في حوادث الناقلات: "تقع حوادث كثيرة لمجرد ان البحارة لا يعرفون ماذا يفعلون."

ربابنة خطرون — مع ذلك ليست هناك سلطة دولية تفرض وجودها على الطرق البحرية. ويتم تبني الانظمة من طريق المنظمة البحرية الدولية التابعة للامم المتحدة وتضم ١٢٤ بلداً بحرياً مركزها لندن. لكن هذه ليست لها السلطة لفرض تطبيق ٢٧ معاهدة تختص بالسلامة صادق عليها اعضاؤها. كما ان ليس لها مكتب لجمع الاحصاءات وتحليل اسباب الحوادث، انها تعتمد قسم المعلومات الملاحية في شركة "لويد".

وعقد اتفاق جديد يبدأ العمل به في ٢٨ أبريل (نيسان) ١٩٨٤. وقد صيغ في محاولة لتأمين الحد الادنى من الكفاية بين ربابنة السفن.

ومن المؤسف ان هذا الاتفاق يفتقر الى السلطة التي تفرض التقيد به لان دول العالم الثالث التي تملك اكثرية الاصوات مترددة في اقرار مستويات عالية جداً من الكفاية نظراً الى العدد المتعاظم من البحارة غير المجربين لديها. ونتيجة لذلك اكتفى الاتفاق الجديد بتحديد "نوع" المعرفة المطلوبة، وليس مستواها، وترك

للدول المعنية، كلا على حدة، ان تحدد المستويات التي تعتمدها. وهذا يعني ان علامة النجاح في الامتحان قد تكون ٩٠ من مئة في بلد ما و٤٠ من مئة في بلد آخر. اما في ما يتعلق بالرادار، فان الاتفاق يبين ما يجب ان يعرفه ضباط السفن ويوصي باستخدام جهاز رادار نموذجي للتعليم، اذا توافر ذلك. ولما كانت بلدان كثيرة لا تستطيع الحصول على مثل هذا الجهاز، فيحتمل ان يقتصر التدريب على بضع ساعات يقضيها الطلاب في درس كتيب تعليمات التشغيل. ويقول البروفسور غونتر زاد المدير السابق للكلية البحرية في بريمن (المانيا): "لقد تأخر ابرام الاتفاق كثيراً ثم جاء قاصراً عن الغاية المرجوة."

من الواضح انه اذا كان المطلوب وضع حد لأخطار الملاحة في البحر، فمن الضروري تحديد مستويات للكفاية والسلامة وتطبيقها، خصوصاً بالنسبة الى السفن التي تنقل حمولة قد تهدد الصحة العامة. كما ان من الضروري انشاء مكتب مركزي لجمع الاحصاءات عن الحوادث وتحليل اسبابها ومشاكلها. ومن اجل منع التغطيات ينبغي ان يبادر فوراً الى اجراء التحقيقات وتنشر النتائج.

ان تكاليف السلامة العامة باهظة جداً وليس من العدل ان تلتزمها وتتحمل عبئها حفنة من الدول المتحسسة المسؤولية، خصوصاً دول اوروبا الغربية والولايات المتحدة واليابان من غير ان يرف جفن للربابنة الخطرين الذين يرفعون اعلام دول غير بلدانهم.

حين يبلغ ثمن سفينة واحدة مع حمولتها مئة مليون دولار، بصرف النظر عن قيمة الارواح البشرية وسلامة الحياة ونظافة الشواطىء، فان تكاليف عدم الكفاية تصبح اعظم من ان يسمح بالتغاضي عنها.

■ جون دايسون



قانون الشرطة

كنت ذاهباً على دراجتي النارية ذات صباح الى العمل عندما رأيت شرطي سير يتجاوز اشارة المرور وهي حمراء. وأسرعت وراءه مستغلا الموقف، فأوقفني وسحب دفتر المخالفات من حقيبته. لكني استدركت الامر وبادرته بالآتي: "وما الخطأ، يا سيدي، اذا تبع المرء القانون؟" فابتسم وأطلقني.

ف.س.

دواء الذاكرة

في عيادة طبيب، علّقت الملاحظة الآتية: "المرضى الذين يعالَجون لفَقد الذاكرة يجب أن يدفعوا سلَفاً."

ر.ر.

لنحوّل همسك صراخاً...



النهار العربي والدولي

إنطلاقاً من قناعتها بأنها مجلة القارئ أولاً، تفتح النهار العربي والدولي صدر صفحاتها منبراً تستطيع أن تعرض آراءك من خلاله بحرية كاملة فتصبح، وأنت في موقعك، واحداً من محرريها.
عالج أي موضوع تشاء - في السياسة أو الاجتماع أو العلم أو الأدب أو الفن أو شؤون المرأة وارسل مقالاتك في ٣ أو ٤ صفحات بالآلة الكاتبة، وأرفقها بصورتك إلى العنوان التالي:

صندوق البريد ١١٦٨٨ بيروت - لبنان P.O.BOX 11688 BEIRUT-LEBANON

صديق العمر

اشتركوا في المختار

NAME	الاسم :
ADDRESS	العنوان :
....	
PROFESSION	المهنة :
SIGNATURE	التوقيع :

NAME	الاسم :
ADDRESS	العنوان :
....	
PROFESSION	المهنة :
SIGNATURE	التوقيع :

تملأ القسيمة ــ بالعربية او الاجنبية ــ وترسل بالبريد الجوي المسجل (المضمون) مرفقة بشيك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً، وهو بدل الاشتراك بـ١٢ عدداً لمدة سنة، الى العنوان الآتي:

بنك المشرق ش.م.ل
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت . لبنان

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:
اشتراك في مجلة "المختار".



في نية هذا الرجل ان يصبح المعمر الاكبر في العالم، ففي رأيه ان الانسان يمكنه الا يشيخ على رغم بلوغه سن الشيخوخة

كَيفَ تعيشُ ١٠٠ سَنَة؟



جورج بورنز في السابعة والثمانين من العمر، ويتساءل الناس حوله: "ما سر نشاطه؟ انه يصنع الافلام السينمائية والبرامج التلفزيونية ويعزف في الحفلات الموسيقية ويسجل الاسطوانات التجارية ويدخن السيجار ويصاحب الفتيات الجميلات، فكيف يفعل كل هذه الامور؟"

الامر غاية في البساطة، لا تقلق لبلوغك سن الشيخوخة، بل صب اهتمامك على العمل كي لا يصيبك الصدأ، ولهذا السبب اقوم بتمارين رياضية وامشي كثيراً، فالمشي رياضة سهلة، ضع قدماً امام القدم الاخرى ثم انقل هذه من الوراء الى الامام وهكذا، وقبل ان اعي ما افعل اجدني امشي من دون مساعدة، فانا امشي كيلومترين ونصف كيلومتر كل صباح وانصح بمزاولة رياضة المشي ما امكن، فهي رياضة غير مكلفة وتجعلك نشطاً ومتوازناً،

اما من يجد رياضة المشي مضجرة فيمكنه الاستعاضة عنها برياضة الغولف، فهذه لعبة عظيمة تمارس في الهواء الطلق، ولكن هناك مشكلة واحدة في النادي الرياضي الذي انتمي اليه وهي ان لاعبي الغولف لا يسيرون الا قليلا فيقطع معظمهم المسافات في عربات خاصة، ويبدو الاعضاء اللاعبون في حال تاعسة بينما يبدو الغلمان الذين يساعدونهم في افضل حال،

اذا اردت ان تعيش مئة سنة واكثر، فلا تجلس وتنتظر حدوث ذلك، عليك ان تكافح للوصول الى هدفك،

ولا داعي الى خداع نفسك، فعندما

تتقدم بك السنون تبطىء حركتك ويبدو عليك الارهاق قليلا. ولكنني وانا الآن في السابعة والثمانين ما زلت امارس جميع الاعمال التي كنت امارسها وانا في الثامنة عشرة. ففي الثامنة عشرة كنت مثيراً للشفقة، ولم تتحسن حالي كثيراً في الخامسة والعشرين. غير اني احتفظت بجميع قواي الى الآن. انا اكره التبجح، لكنني ممتاز في عملي الآن.

واليك اسراري الاخرى من اجل حياة مديدة:

فكر ايجابياً. اذا سألتني عن العامل الاهم في اطالة العمر، قلت لك: "عليك ان تتجنب القلق والضغط والتوتر."

يتلخص موقفي في ما يأتي: اذا كان الامر فوق طاقتك، فلا داعي الى القلق من اجله. اما اذا كان في وسعك ان تتحكم به، فلا موجب ايضاً للقلق. هكذا يكون شعوري عندما تترجح الطائرة التي تقلني في جيوب هوائية. فالمشكلة لا تخصني لان القبطان يتقاضى الاموال الوفيرة ليقود الطائرة فليقلق هو لاضطراب الجو. وانا لا اركب طائرات خاصة صغيرة ابداً، وذلك لاسباب مختلفة منها اني ارغب في وجود متفرجين معي ساعة السقوط.

ابق نشيطاً. اعرف ان بعض الناس لا يتبرمون بحياتهم بعد التقاعد من العمل، بل يتمتعون بها. ولكني اعرف ايضاً ان حياة بعض المتقاعدين لا تخلو من المشاكل.

اهم هذه المشاكل كونك لم تعد تجد لذة في القيام باعمال بعد التقاعد كنت تستمتع بممارستها عندما كنت تعمل. لنأخذ مثلا هاوي الغولف المتحمس الذي يهرع الى الملاعب ليمارس لعبته ويسجل اهدافه في تسع حفرات فور انتهائه من عمله. الآن، بعد تقاعده، يمكنه ان يمارس لعبته المفضلة يومياً، وان يسجل بدلا من تسعة اهداف ثمانية عشر او حتى ستة وثلاثين هدفاً اذا امكنه المضي في المشي على رجليه.

بعد مرور شهر واحد يكره المتقاعد لعبة الغولف ولا يعود يحتمل رؤية العشب. ويحاول ان يبدل رياضته هذه بصيد الاسماك، فيشتري صنارة وحذاء خاصاً وسوى ذلك من المعدات الضرورية ويبحث عن جدول جميل ليزاول هوايته. وبعد انقضاء شهر واحد ينتابه الضجر من جديد ولا يعود يحتمل رؤية سمكة. حتى الاسماك لا تعود ترغب في رؤيته هي ايضاً. ويقرر ان يلازم بيته لفترة وجيزة، وبعد قضائه ثلاثة اسابيع في منزله وجهاً لوجه مع زوجته يقرر ان يعود الى صيد الاسماك.

اسوأ ما يمكن ان يلحق بالمتقاعدين هو التغيير في المواقف. فعندما تملك الوقت يمكن ان تفكر في الشيخوخة وتتصرف كشيخ. وهذا هو الخطأ. لقد رأيت اناساً يتدربون على تصرفات الشيوخ حالما يبلغون الخامسة والستين. وحين يبلغون السبعين يصبحون عجائز فعلا.

لا، لن يحصل لي ذلك. عندما تكون في مثل عمري عليك ان تبقى منشغلا

في اي عمل يبقيك خارج السرير. لا يمكنني كسب المال وانا في السرير. نعم، جد عملا يجعلك تنهض من فراشك، هواية او وظيفة او فتاة جميلة.

تحدي الذات. عندما تقاعدت زوجتي غرايس وهي في الثامنة والخمسين كان في امكاني ان اتقاعد انا ايضاً. لست مجبراً اليوم على انجاز كل هذه الاعمال التي انجزها. لست مضطراً الى ان اجوب البلاد لاحياء الحفلات الموسيقية وصنع الافلام السينمائية وتصوير البرامج التلفزيونية وتسجيل الاغاني الشعبية واجتذاب الحسان.

انا اؤمن ايماناً صادقاً بان على المرء ان يواصل العمل مقدار المستطاع. وان لم يكن في وسعك ان تعمل، فيمكنك ان تجد شيئاً يلذ لك ان تفعله. ولا تتوقع ان يتم الامر بسهولة، بل عليك ان تجعله يحدث. تذكر انه ليس في امكانك ان توقف كر السنين، ولكن يمكنك الا تشيخ.

وعندما اتكلم عن شباب التفكير فاني اتكلم عن الحماسة والحيوية والنشاط والتخطيط لمشاريع مستقبلية والاختلاط بالناس وتنفيذ الاعمال. اتطلع الى المستقبل حيث سامضي بقية حياتي.

واشعر بالاسف الشديد للاشخاص الذين يعيشون في الماضي. واذا كنت مؤمناً حقاً بأن حياتك انتهت وان لا ملجأ تلوذ به، فانصحك بأن تخطو خطوات صغيرة وانت تمشي لكي تستغرق وقتاً اطول في الوصول الى نهايتك.

انا لا اعيش في الماضي بل في بيت وثير مريح يقع في ضاحية بفرلي هيلز في لوس انجلس. قد لا تصدق اني لا اضيع الوقت مفتشاً في دفاتري العتيقة او معيداً قراءة النصوص القديمة التي كتبتها في الماضي، فانا تألمت ما فيه الكفاية لدى قراءتها للمرة الاولى. لذلك وجدت من الافضل ان تغرم بما تفعل اليوم. انا مثلا كنت البارحة مغرماً بما فعلته البارحة، ولقد انتهى ذلك بانتهاء يومه فانا شخص شديد المرونة.

هناك قول قديم مأثور: "تبدأ الحياة بعد الاربعين." ما اسخف هذا القول. ان الحياة تبدأ كل صباح عندما تستيقظ. افتح عقلك للحياة، افعل شيئاً ولا تقف مكتوفاً. اقطع بحر المانش سباحة. اخترع دواء يشفي الزكام. كن اول من يجتاز شلالات نياغارا في كرسي هزاز. الا ترى معي ان امكانات الاعمال والانجازات لا نهاية لها.

اذا اخفقت جميع محاولاتك، حاول ان تقدم خدمة الى شخص لا ينتظر ان تخدمه، وستدهش لشعورك بفرح عظيم. فالكشاف الصغير يعرف المعنى الحقيقي لخدمة الآخرين. لقد ساعدت سيدة في عبور الشارع، ولا تسل عن عبارات التقدير التي نلتها.

الفكرة الاساسية انك بمواقفك الايجابية وبقليل من الحظ لن تجد سبباً يحول دون تعميرك مئة سنة. فتكون نجحت فعلا، لان قلة من البشر تموت عن عمر يناهز المئة.

■ جورج بورنز

وهب الحياة كل ما يملك

كان الفتى يعرف انه مائت، لكنه ما فتىء يشيع الامل والبهجة في كل من حوله

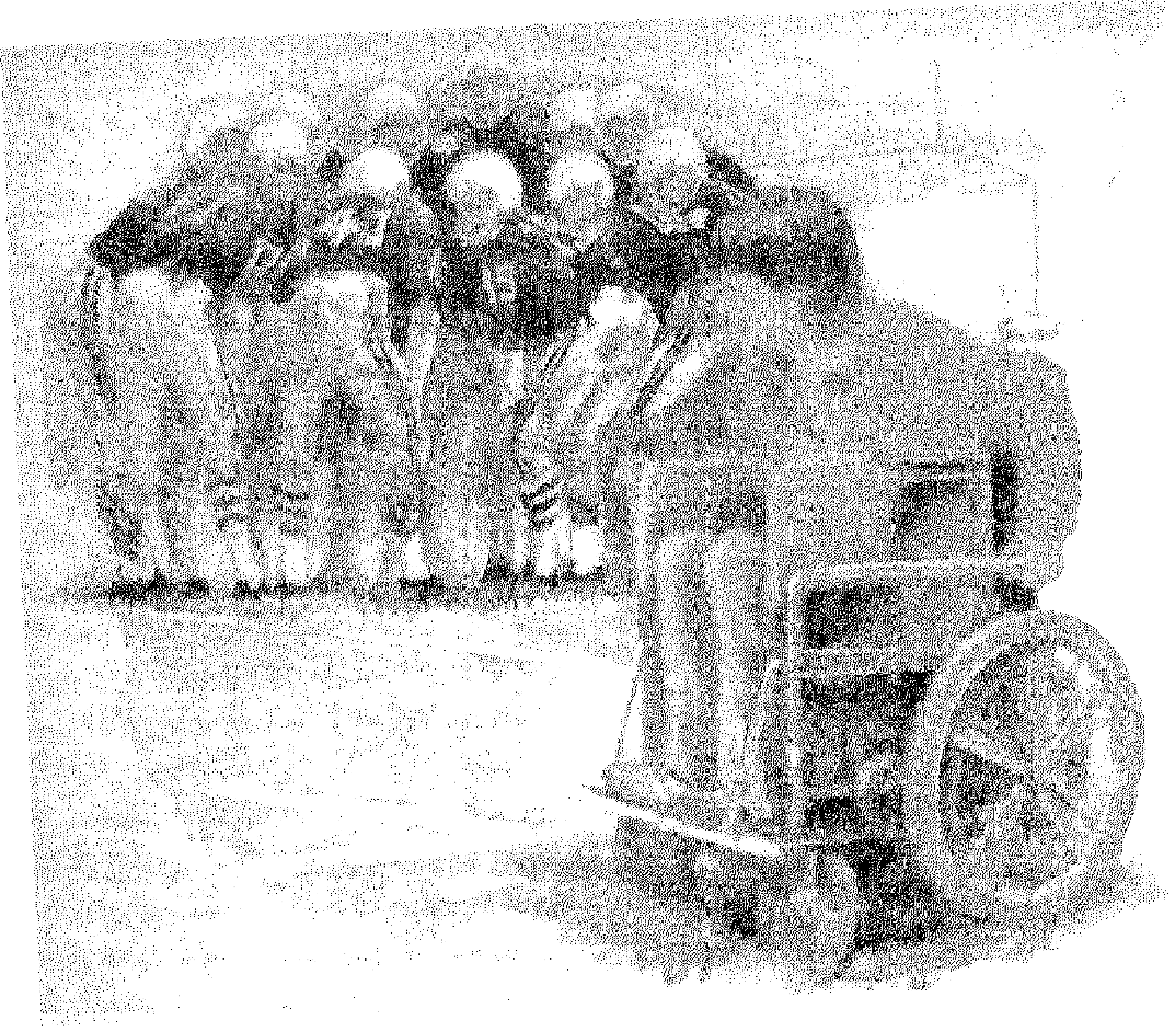


وقف نحو ٤٠٠ مدرس وتلميذ في مارس (آذار) ١٩٨٣ ينظرون بعيون تألق فيها الدمع فيما بايرون غروسكو يوارى الثرى في مقبرة ماونت كالفاري في مدينة كنساس الأمريكية.

وهم عرفوا قبل أشهر خلت أن صديقهم ذا السنوات السبع عشرة كان في طور النزع تبعاً لتعقيدات قلبية ذات أصل عصبي. إلا أن معرفتهم السابقة لم تقلل من حزنهم لوفاته وإدراكهم أن ذهابه خسارة فادحة. وربما عبر أحدهم، جون ستونر، عن رأيهم جميعاً إذ قال بعدما أفضت إليه امه بنبأ وفاة بايرون: "آه يا امي، أحس أن شيئاً سقط من قلبي."

يوم كان ستونر بطلا لكرة القدم في مدرسة شوني الثانوية كان لا يفارق بايرون لان هذا اعطى الحياة كل ما يملك. وإذ كان ستونر يحمل النعش مع خمسة آخرين في جنازة بايرون، رنت في اذنيه كلمات صديقه الراحل: "افعل خير ما تستطيع يا جون. افعل ذلك من أجلي."

وقفز رون بوبلو استاذ الاجتماعيات في ثانوية شوني ووضع آلة تسجيل



على شاهدة ضريح قريب. وكان الشريط يحوي رسالة الوداع التي سجلها بايرون لزملائه، وقد شدّدت تلك الرسالة عزيمة رون على رثاء ذلك الفتى الذي لم يعرف أحداً مثله.

وكانت جويس غروسكو، وهي امرأة ضئيلة الجسم في السابعة والثلاثين، لاحظت على الدوام عزم ابنها الذي لا يلين على رغم ضعفه الجسدي. وكان، وهو في حديقة الاطفال، يتمايل في مشيه وهو يقطع الأمتار المئة التي تفصل المدرسة عن منزل حاضنة كانت امه أو أبوه لاري يأخذانه من عندها. وذات يوم أصابت الحمى أخاه شون ذا السنتين الذي مني أيضاً بذاك الداء العصبي الفتاك، وقلقاً منه على أخيه لم يستطع بايرون الانتظار في منزل الحاضنة، بل ركض الى البيت مسافة كيلومترين. ووصل الى هناك وقد نزفت جروحه الكثيرة التي سببتها السقطات. إلا أنه وقف يبتسم راضياً كمن حقق انتصاراً عظيماً.

على السلم ـ كان بايرون في التاسعة عندما أخذ الهزال طريقه الى قدميه، مما اضطر الاطباء الى وضعهما ضمن مشبكين. وقال للأطباء

وهم يشرحون له ضرورة تلك الخطوة: "أجل، إني أفهم ذلك." ثم جاء الكرسي المتحرك. وقبل بايرون الأمر من غير تذمر. وقال لأمه: "إذا كنتُ لا أقوى على الوقوف، فمن الطبيعي أن أجلس في هذا الكرسي."

وفي العام ١٩٧٥ تمّ الطلاق بين والدي الفتى. واختبرت جويس نكسة عاطفية كبيرة. ووصلت الى المنزل ذات مساء وعليها أن تحمل ولديها من السيارة الى الباب ومن الباب الى غرفة النوم في الطبقة العليا. ونجحت في حمل شون، ثم عادت الى بايرون ذي السنين العشر واتكأت على السيارة وهي تقول: "كلا، لا أستطيع أن أحملك داخلا." وابتسم بايرون بخفر وقال لأمه: "أقنعي نفسك بأنك تستطيعين ذلك لأن عليكِ فعله."

وأخذت الفتى بين يديها وصعدت به السلم وهي تردّد كلماته وتلهث. ووقع الولد وامه على أريكة في الطبقة العليا وهما يضحكان.

وبعد سنوات انتقلت جويس مع ابنيها الى شقة في شوني، وهي بلدة في ضاحية كنساس الجنوبية. وحين أوشك بايرون على إنهاء سنته الثانوية الاولى، رقّ قلب امه حزناً إذ لن يجد فتاة تراقصه في حفلة ختام السنة الدراسية. وسألته برفق: "أتظن أن ثمة فتاة ترتضي الرقص مع فتى في كرسي متحرك؟"

– لا عليكِ يا امي. إني سأحضر الحفلة في أيِ حال.

في تلك الأمسية ألبست جويس ابنها بذلة جديدة وسرحت شعره الاسود الصقيل وأخذته في سيارة العائلة الى المدرسة. وقالت وهي تودّعه: "إذا انتابك الملل، فخابرني وسآتي فوراً لآخذك." وعادت الى المنزل باكية.

في العاشرة إلا ربعاً رنّ جرس الهاتف. وقال بايرون: "لقد كانت حفلة رائعة يا امي. وأنا الآن ذاهب الى المطعم مع شابين وصديقتيهما."

ورقص قلب جويس فرحاً، وقالت لنفسها: "ها هو يخابرني كما يفعل أي ولد طبيعي."

دائرة الاصدقاء – في بداية سنته الثانوية الثانية ذهب بايرون الى مكتب بوب كليبنر مدرّس اللغة الانكليزية الذي يكنّ له التلاميذ حباً جمّاً. وسأله بايرون: "أيزعجك يا سيدي أن تنزع معطفي؟" وكان له ما أراد. واستمرت تلك العادة الصباحية طوال أيام بايرون في المدرسة.

إلا أن الفتى كان أقل حظاً مع زملائه التلاميذ. وكانت عجلات كرسيه تدوس أحياناً قدم زميل، فيصيح فيه مؤنباً. واعتاد أن يردّ الكلام اللاذع بمثله. وشكاه العديد من التلاميذ الى بوب كليبنر، وقال بعضهم انه سمع بمؤامرة لكسر الكرسي.

وفي عزمه على إنهاء تلك اللعبة الخطرة قال المعلم يوماً للفتى: "ألأنك لا تستطيع الدفاع عن نفسك بيديك، يا بايرون، تلجأ الى بذيء العبارة؟"

ورحب بايرون بذلك النقد، ووجد فيه ملاحظة طبيعية يمكن أن يقولها أي استاذ لأي تلميذ ينحرف عن النظام.

وبعد أسابيع طلب بايرون من بوب

أن ينشىء نادياً يختص بمنجزات الخيال العلمي. وكان الصبي شغوفاً بمسائل الفضاء، وقدّر ان سواه مهتم لتلك الامور ايضاً. وانضم الى النادي عشرة تلاميذ اتفقوا على اللقاء في مختبر المدرسة مرّتين في الاسبوع قبل بدء الدروس. وأخيراً وجد بايرون المكان الذي ينتمي إليه.

وفي شهر فبراير (شباط) من ذلك العام أصيبت جويس بفتق في العمود الفقري حتم إجراء عملية لها. وأضعفتها الجراحة بحيث لم تتمكن من الاعتناء بولديها. وبدأ لاري غروسكو يأخذ ابنيه مرتين في الشهر في عطلة الاسبوع. إلا أن جويس لم تجد من يعتني بهما خلال أيام العمل. غير أن مساعدة الاصدقاء والجيران مكنتها من تدبير امورها حتى نهاية الصيف.

وفي الخريف وجدت جويس التي كانت تحاضر في جامعة ميسوري في كنساس حول تنشئة الاطفال المتخلفين، أن في إمكانها تدبير شؤون المنزل بمفردها. إلا أن بايرون قال لها: "كلا يا امي، بل يجب أن تَدَعي الآخرين يمدّونك بالعون... افعلي ذلك من أجلي يا امي."

وأجرى بايرون اتصالا مع نادي الطلبة، كما طلب رون بوبلو من تلاميذه في الصفّين الأرفعين أن يتطوّعوا لخدمة تلك العائلة. ولثلاثة ايام لم يأت اي جواب. ثم خابر جو راوي، وهو تلميذ ذو شعبية كبيرة بين أترابه، والدة بايرون معلناً تطوعه وقائلا انه سيحضر الى منزلها صباح اليوم التالي. وفي السادسة والدقيقة الخامسة والاربعين صباحاً أخذته الى غرفة ولديها شون وبايرون.

قال بايرون: "أهلا يا جو. اني أشكرك كثيراً." ومن غير حرج طلب منه أن يحمله الى الحمام. وهناك غسلته امه ثم أعاده جو الى السرير حيث ألبسته. وبعد ذلك حمل جو زميله البالغ وزنه ٥٩ كيلوغراماً الى كرسيه وجهزه بالسنادات اللازمة بناء على تعليماته. ولم ينصرف إلا بعد إعانة شون أيضاً.

وتابع جو دروسه طوال النهار، ثم توجه الى مخزن الاغذية حيث يعمل مساء. ولما عاد الى البيت ربط جرس المنبه على السادسة صباحاً وقال لافراد عائلته: "لقد راقني كثيراً ما فعلتُه هذا الصباح."

لا للاستسلام — قبل نهاية ذلك الاسبوع انضم الى جو زميلاه بريان نور وفيل ستوثيت، وكلاهما من فريق "الاسود" المدرسي لكرة القدم. ثم انضم جو شقيق بريان الاصغر وطوني تشيريكو العضو في النادي.

تلك البادرة شجعت بايرون ودفعته الى الاتصال بالتلميذ الاكثر شعبية في المدرسة، جون ستونر، وطرح هذا السؤال عليه: "أيمكنك أن تأتي الى بيتنا لتحملني؟" ووافق جون على أن يفعل ذلك مساء وفي نهايات الاسبوع التي لا يقضيها الولدان مع أبيهما. وساعد جون في غسلهما وحمل كل منهما الى سريره. وحثه بايرون على الكلام عن مغامراته في كرة القدم.

وذلك الخريف اشترك فريق

المدرسة في مباراة البطولة الوطنية. وبعد جولة خاسرة لاحت لعيني طوني تشيريكو اشارة جانبية. ونظر ليرى بايرون في كرسيه يحث رفاقه على المضيّ وعدم الاستسلام. ونقل طوني ذلك الاصرار الى زميليه بريان وجون. وبعد جولة عنيفة حقق الاسود النصر.

بعد ذلك حاز جون ستونر لقب فتى المدرسة الأول ومعه تاج. وسعياً منه الى إثارة همة رفيقه كان بايرون يكرّر على مسمعه انه لن ينال ذلك اللقب البتة. ولكن ما أن حصل جون على التاج حتى وضعه على رأس بايرون الذي ذهب به الى البيت كيما تراه أمه.

وكان بايرون يستيقظ في الصباح أحياناً وقد أحس ألماً في معدته، فترجوه امه البقاء في البيت. غير أنه كان يرفض قائلا: "لا سبيل الى ذلك، إذ عليّ كتابة امتحانات." وكان بعد الدوام المدرسي ينصرف الى كتابة فروضه باذلا كلّ جهده لتحريك أصابعه الهزيلة. وما انفكّ يسعى الى اعلى العلامات وينالها.

ومن دروس رون بوبلو واحد يبحث في الموت والمائتين. وهو طلب مرّة من بايرون أن يكلم الصف في ذلك الموضوع، فوقف قائلا من غير تردد: "لا تدعوا وجودي هنا يخجلكم أو يخيفكم. إني أقبل واقعي، وهو إصابتي بمرض قاتل. وليس ضرورياً أن تأسفوا لحالي."

الحرّية ــ لدى بلوغ بايرون السابعة عشرة أدرك أنه قد لا يصمد حتى الثامنة عشرة. وشهد قلبه وكبده تخلفاً أدخل على أثره مرّتين المستشفى.

إلا أن انفتاح بايرون ظل كما هو وأكسبه المزيد من الاصدقاء. ورافقته لورين داف مرة الى العشاء، وهي تلميذة على مقدار كبير من الجمال. ولدى افتتاح موسم الأسود الرياضي جاءَه أعضاء الفريق الى المنزل ووضعوه في سيارة مكشوفة اعترافاً بفضله عليهم.

وكان الأطباء حذّروا جويس من خطر تعرّض بايرون للهواء البارد. لكنه قال لأمه: "إنها السنة الاهم في حياتي. لذلك دعيني أفعل ما أشاء من غير حَرَج." وأدركت جويس على الفور رسالة ابنها، وهي أنه يودّ أن يفعل ما يروقه قبل أن يموت.

واستعداداً لصورة التخرج سرّحت جويس شعر بايرون على نحو مموّج. وفي اليوم التالي توجه الى رفيقه جون كيلين الذي يبدو كنجم سينما وقال له: "الآن أبدو مثلك." وحثه كيلين وصديقته، وهي من أجمل فتيات المدرسة، على أن يدعو إحدى الزميلات للاشتراك في حفلة التخرج الراقصة.

إلا أن ذلك لم يتحقق، إذ دخل بايرون المستشفى للمرة الاخيرة في مارس (آذار) بعدما بات وزنه ٤٠ كيلوغراماً. وكان يتنفس بمشقة، ورفض أن يراه أخوه شون على تلك الحال. غير أن معنوياته ظلت مرتفعة.

ووصلت جويس صبيحة ٢٩ مارس (آذار) الى المستشفى لتجد بايرون في كرسيه. وكان الاطباء أحالوه على

غرفة العناية الفائقة، وأصرّ على أن يذهب في الكرسي غير محمول.

وهرعت جويس لتكون بجانبه وقلبُها يخفق بقوة. وبعد أقل من نصف ساعة استدار بايرون نحو امه وهو في غرفة العناية الفائقة وقال: "امي، لقد قُضي الأمر." وأغمض عينيه وأسلم الروح.

أما الستة الذين حملوا نعش بايرون، وهم أبوه وجو راوي وجون ستونر وجونور وطوني تشيريكو وفيل ستوثيت، فقد أجهشوا بالبكاء عندما قال رون بوبلو: "يا بايرون، لقد أحببناك! يا بايرون، إننا نحبك."

وعند إنزال التابوت الى المقبرة أدار رون آلة التسجيل بناء على وصية بايرون. وفجأة انطلقت اوركسترا لندن السمفونية بموسيقى من فيلم "حرب النجوم" طغت على جوّ الموت الكئيب.

وانتاب جويس شعور بالفرح وابتسمت بملء شفتيها، وراحت تقول لنفسها: "ها هو بايرون يقول لنا انه حر الآن. فقد خرج من كرسيه وفارقه الألم... ها هو يخبرنا أنه انتصر في نهاية المطاف."

ونظرت الى أصدقاء ابنها لتجدهم كلهم يبتسمون. وقال جون راوي لنفسه: "أجل، هذا هو بايرون... لقد شدّد عزائمنا حتى وهو ميت."

في ٢٥ مايو (أيار) من ذلك العام منح بايرون شهادة التخرج المدرسية بعد الوفاة، ووقف الكل مصفقاً.

■ **بيتر ميتشلمور**



العائلات الكبيرة

كنت أعطي درساً في أحد الصفوف الابتدائية عندما وصل تلميذ متأخراً، وهو الطفل السابع في عائلة من ثمانية أولاد. وسلمني الملاحظة الآتية من أمه: "أرجوك أن تعذر ابني على تأخره. فقد فاتني أن اوقظه من النوم. ولم أكتشف الامر الا وأنا أرتب الاسرة."

ج.و.

بعوض هزلي

ذهب ممثل هزلي ليستأجر منزلا في ضاحية مدينة، لكنه عاد بالانطباع الآتي: "هناك نوعان من البعوض في ذلك المكان، نوع صغير جداً بحيث يتسرب من ثقوب النوافذ، وآخر كبير جداً بحيث يكسر النوافذ."

ا.و.

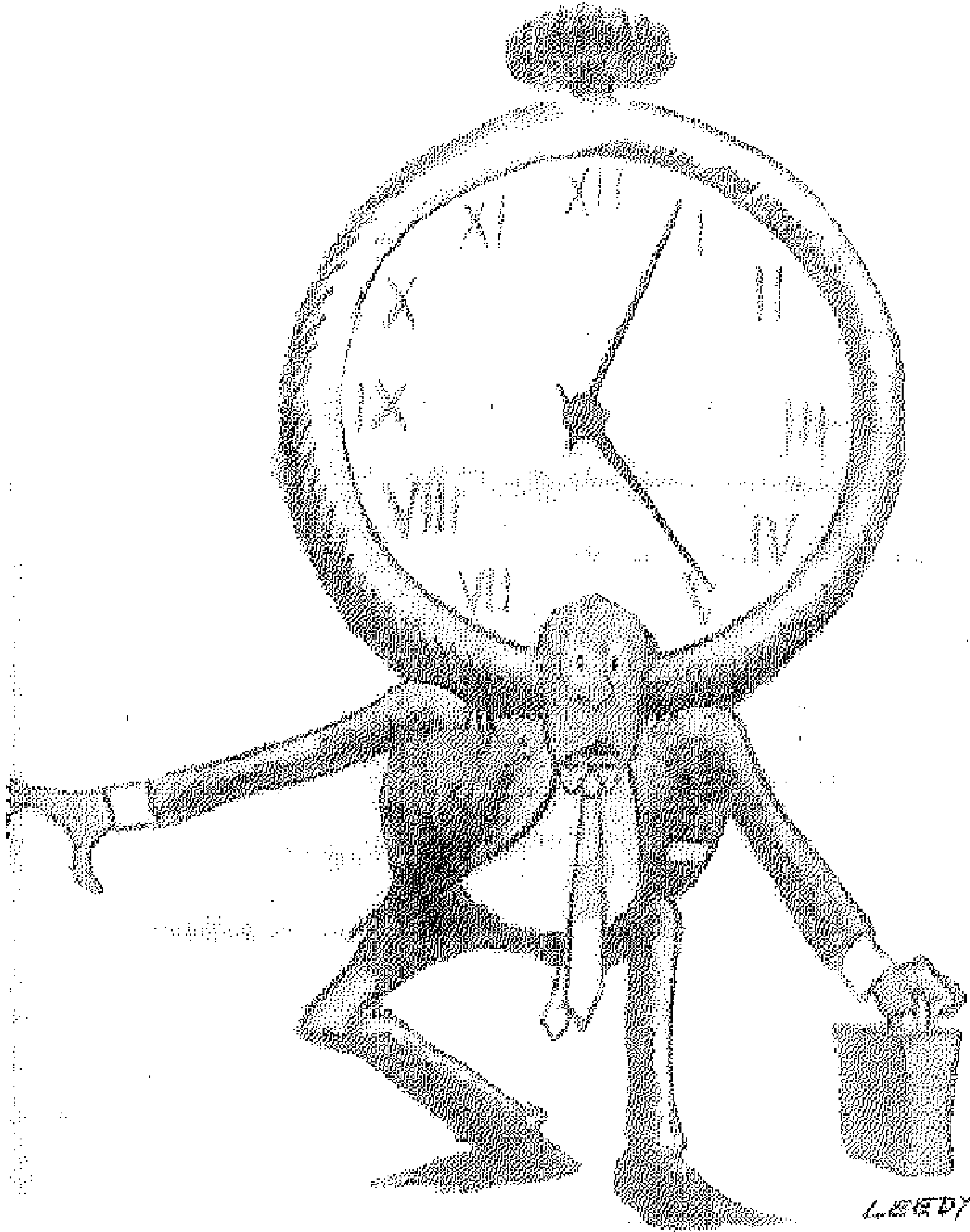
المنصب والوظيفة

قال رجل لصديقه: "منذ تخرج ابني في الجامعة لم ينفكّ يسعى الى منصب. لكنني أظنّ أنه بات مستعداً للبحث عن وظيفة."

م.ب.

التحرّرُ من الوقتُ

ثمة وقت اقدم وابقى من ذلك الـذي اوجدتـه ساعـات مـن اختراع الانسان



يحتفظ الدكتور لاري دوسي طبيب الامراض الداخليـة فـي مكتبـه بساعتيـن قديمتين ويقول: "احداهما متقدمة دائماً على الوقت الصحيح والاخرى متأخرة دائماً. وانهما تذكرانني بأن حياتي لا تحكمها الساعات وبأني أستطيع اختيار الوقت الذي أريد ان اعيش بموجبه."

ويشير الدكتـور دوسـي الـى ان طريقة تفكير الشخص في الوقت قد تقتله. انه رائد في علم البيولوجيا الزمنية (١) ويقوم على دراسة تفاعل الزمن والحياة. ويقول ان من اكثر الامراض شيوعاً في مجتمعنا "مرض الوقت" اي الشعور بوطأة الوقت علينا ومن ثم الاستعجال الذي يسبب القلق والتوتـر. هـذه الاعـراض تهـيـىء ضحاياها للاصابة بتصلب الشرايين وبالسكتـة الدماغيـة وهمـا سببـان لوفيات كثيرة. وقد اكتشف الدكتور دوسي ان هذين وسواهما من الامراض الناشئة عن الارهاق العصبي كالقرحة المعديـة وصـداع الشقيقـة تمكـن معالجتهما باستخدام اساليب بسيطة تهدف الى تغيير طريقة تفكير المرء في الوقت.

وما أثار اهتمام الدكتور دوسي بعلاقة الوقت بالصحة ملاحظته ان كثيرين من مرضاه كانوا يصرون على ان تعلق ساعات في غرفهم في المستشفى، مع انهم غير مرتبطين بمواعيد. جميـع هـؤلاء كانـوا مـن "مدمني الوقت" الذين طبعوا منذ

(١) Chronobiology ، والبيولوجيا هـي علـم الحياة.

الصغر على برمجة حياتهم بحسب توقيت المجتمع فباتوا يشعرون بالضياع اذا حرموا أمان ساعة اعتادوا مصاحبتها.

الساعة البيولوجية - كلنا مشاركون بدرجات متفاوتة في هذا الادمان. يدق جرس المنبه لينذرنا بان الوقت حان لنوقظ الصغار للذهاب الى المدرسة. وهناك، كل ساعة من الزمن يحددها جرس يقرع. واينما وجدت ساعة تتحكم بالعمل، فان الوقت يتحكم بالحياة. والوقت من ذهب يجب ان ندخره وننفقه بتعقل لا أن نهدره.

غير ان وقت أمنا الطبيعة يختلف جذرياً عن تقسيم ساعاتنا. فقد اكتشف العلماء ان الساعة الطبيعية "البيولوجية" بالنسبة الى معظم البالغين هي نحو ٦٣ دقيقة. وهذا يعني ان معظم الناس، اذا وضعوا داخل كهف بمعزل عن نظام الوقت الخارجي، فانهم يعملون على اساس يوم يراوح بين ٢٤،٥ و٢٥،٥ ساعة، وبهذا يخسرون يوماً واحداً كل شهر.

معظم الكائنات الحية في العالم تحمل داخلها ساعاتها البيولوجية الموقتة لتتلاءم مع وتيرة الطبيعة. فتشعر السرطانات البحرية بأوان تبدل المد والجزر، وتستيقظ الفأرة الليلية قبيل هبوط الظلام، وتعرف الدببة متى تستعد للسبات الطويل في فصل الشتاء.

هذه الساعات البيولوجية ليست دقيقة بالمعنى الميكانيكي للكلمة. وافضل ما هو معروف منها الوتيرة اليومية الطبيعية التي يحس بها من الارتفاع او الهبوط في الكيميائيات والحرارة وسواها من المتغيرات التي تطرأ على الجسم كل ٢٤ ساعة تقريباً. النهارات طويلة في الصيف والليالي طويلة في الشتاء وساعاتنا البيولوجية تعدّل نفسها تلقائياً. والى ذلك فلكل كائن وتيرته ذات الـ٢٤ ساعة، وهي موقتة ليس على اساس محيطه فحسب، بل كذلك وفق ايحاءاته الفطرية الخاصة.

ترى ما الذي يوقت هذه الساعات البيولوجية ويعدلها ؟

تستطيع اجسامنا، على غرار اجسام معظم الكائنات الحية، تحسس التبدلات الضوئية. فعند قاعدة دماغنا كتلة صغيرة من الخلايا العصبية تسمى "نواة ما فوق التقاطع البصري" تراقب الضوء الذي يصل الى أعيننا ليس من اجل تمييز النهار من الليل فحسب، بل للاستجابة ايضاً لتغير طول النهار وتبدل قوة نوره. وتعمل هذه النواة على غرار منظم آلي فترسل أشارات تحدد الوقت الى المراكز التي تتحكم بالنوم واليقظة والنمو والرغبة الجنسية وغير ذلك من الاحوال.

والضوء هو أقوى عوامل التوقيت لدى معظم الكائنات. لكن للبشر عامل توقيت يفوقه بمقدار كبير: انه الناس الآخرون. ففي الدراسات الرائدة التي اجريت في الستينات لاحظ الدكتور جورغن آسكوف والبروفسور روتغر فيفر من معهد ماكس بلانك للسلوك الفيسيولوجي في ارلنغ - آندكس (ألمانيا الغربية) ان الناس حين

يوضعون في جماعات معزولة عن الايحاءات الزمنية المرتبطة بالضوء والحرارة والرطوبة، تختل الوتيرة الخارجية لديهم فيأخذون في اعادة التوقيت في تناسق جماعي. حتى ان حرارة اجسادهم تأخذ في الارتفاع والهبوط كلها معاً، وهذا دليل على ان تغيرات بيوكيميائية خفية في كل جسم تحدث في وقت واحد. وبلغة دراسات الوتيرة البيولوجية نقول ان هذه التغيرات اصبحت "منضوية" في نمط زمني غير منظور وان التحكم الداخلي بها غدا متناسقاً مع اشارة جماعية غير ملحوظة. قد يكون آسكوف وفيفر اكتشفا احدى القوى الغامضة التي تحول الأفراد المستقلين اعضاء في فريق او طائفة او زمرة.

امراض الوقت ـ يولد الاطفال وهم متزامنون مع المواقيت البيولوجية لأمهاتهم. ولكن في غضون يوم واحد يبدأون التكيف مع وتيرة اي لغة انسانية يسمعونها، هكذا يرى الباحث النفساني وليم كوندون وزملاؤه في المركز الطبي في جامعة بوسطن، ولاية مساتشوستس. وقد اكتشف كوندون في احدى التجارب ان البالغين حين يتسامرون تصبح حركات جسم المستمع منهم متزامنة مع وتيرة كلام المتحدث، على غرار تنقل الراقصين في انسجام مع وقع النغم.

ويمكن الدماغ ان يبدل وتيرة الوقت بطرق اخرى. بعض الناس الذين عادوا الى الحياة من شفا الموت غالباً ما يتذكرون ان حياتهم كلها عرضت امامهم في ومضة استغرقت لحظة. اما اولئك الذين وقعت لهم حوادث خطرة فيخيل اليهم غالباً ان كل ما حدث جرى بالحركة البطيئة(٢).

ويبدو ان هذه وسيلة خلاص في الدماغ تمثل قدرة على تضاعف سرعة الادراك البصري العادي مرات عدة، وهكذا "تبطىء" العالم كي تتيح للضحية "وقتاً" للتفكير في طريقة تجنبها الكارثة.

تختلف الحضارات كثيراً في مفهومها للوقت. ففي امريكا الشمالية والبلدان الصناعية في شمال اوروبا يقول البروفسور ادوارد هول الاستاذ الفخري في علم التاريخ الانساني (آنثروبولوجيا) في الجامعة الشمالية الغربية، الحياة مبرمجة في نطاق ضيق بحيث ان ابقاء شخص ما منتظراً هو امر يثير السخط. ولكن في جنوب اوروبا، وامتداداً الى الحضارات الاسبانية في امريكا اللاتينية، يتمتع الاشخاص بأفضلية على المواقيت المحددة، وفي تحديد المواعيد يؤخذ في الاعتبار مقدار أوفر من المرونة.

يقول هول ان لكل نظرة الى الوقت حسنات وسيئات. "ومن المشكوك فيه ان الحضارة الصناعية كان يمكن ان تتطور كما تطورت" بمعزل عن المنحى الانضباطي الذي يربط الوقت بالمهمات المفروضة. لكن كلفة هذا الانضباط باهظة جداً. وقد اكتشف العلماء انه عندما تختل مواقيت جسم ما تتأذى الانجازات الجسدية والعقلية

(٢) Slow motion

لهذا الجسم. وحين يختلّ التزامن فينا مع وتيرتنا الطبيعية الداخلية ينتج الارهاق. واليوم يجد المجتمع الصناعي الراضخ لطغيان الساعة الزمنية ان أمراض القلب والعلل المتصلة بها أضحت من الاسباب الرئيسية للوفاة.

يقول الدكتور دوسي ان "امراض الوقت" تمكن معالجتها من طريق تغيير منحى تفكيرنا في الوقت. انه يطبق أساليب بسيطة يمكنك انت ايضاً ان تفيد منها لتغير منحى تفكيرك وتسيطر على وقتك:

١. افصل ما بين حياتك والساعة. بالنسبة الى الدكتور دوسي كان هذا يعني التخلي عن حمل ساعة حول معصمه، اذ يصبح الوقت مصدر قلق أقل حين نتغلب على عادة النظر الى ساعتنا.

٢. نظم شعورك الداخلي الخاص بالوقت. لكي يظهر ان الوقت عامل نسبي وليس ثابتاً وغير قابل للتحويل، لاحظ العلامة آينشتين ان الشخص الجالس على موقد حام يشعر ان الدقيقتين ساعتان بينما الشاب الذي يجالس فتاة جميلة يشعر ان الساعتين كانتا دقيقتين فحسب.

يغدو الوقت أدماناً بالنسبة الى الذين ينظرون الى الساعة دائماً. وبالنسبة الى اولئك الذين يركزون افكارهم على انجاز مهمة ما - عملهم او نموذج يركبونه او كتاب يقرأونه - فيكاد الزمان ينعدم. وهذا يحررك ويتيح لك ان تعيش وفقاً لوتيرتك الداخلية فتكيف نفسك مع الذين حولك.

٣. استعن بقوة جسدك لتغيير الوقت. كل منا يملك قدرة في ذاته على الاسترخاء. والدكتور هربرت بنسون من كلية الطب في هارفرد (ولاية مساتشوستس) يسمي هذه القوة "استجابة الاسترخاء". وهو وجد ان معظم الناس يستطيعون استنهاض هذه القوة بمجرد طرد الافكار الدخيلة والتحكم بتنفسهم، كأن تفكر بكلمة معينة مع كل زفرة. وخلال دقائق معدودة يمكن هذا ان يضفي عليك سكينة عميقة وشعوراً بالهدوء يتحدى الوقت.

٤. وقت نفسك مع الطبيعة. خصص وقتك بمراقبة مغيب الشمس او غيمة تمر عبر السماء. تذكر ان ثمة وقتاً اقدم وابقى من ذلك الذي اوجدته الساعات التي صنعها الانسان.

ان الظاهرة الحضارية التي نسميها "الوقت" هي ظاهرة مكتسبة. واذا شئنا ان نعيش في انسجام مع الطبيعة، فعلينا ان ندرك ان وقتها لا يزال يحكم عالمنا ويجدر بنا الا نتجاهله. نحن اوجدنا الوقت الميكانيكي الذي ينظم به مجتمعنا نفسه، لكننا نملك حرية الاختيار بين ان نكون عبيداً له أم أسياداً عليه.

■ لويل بونتي



لا يؤذي المرء أن يكون متفائلا. فهو سيجد دائماً وقتاً للبكاء. ل.س.ل.

الخباز الحق لا يفقد ابداً
صلته بالطحين والعجين

بَائع الخُبز الأسوَدْ


Photo: Robert Laffont, photographer.
Painting by Pat Fogarty

لقد بات مألوفاً ان تنطلق طائرتا شحن محملتان أرغفة مستديرة كبيرة من باريس الى طوكيو مرتين أسبوعياً. وتشحن يومياً بطريق الجو أرغفة مماثلة الى الولايات المتحدة والشرق الاوسط والمانيا الغربية لتقدم على موائد القادة السياسيين ومديري المؤسسات التجارية ونجوم المجتمع وآلاف سواهم من الناس العاديين الذين يحبون طعم الخبز الجيد، وتخبز هذه الارغفة الشهية في أفران حطب تقليدية يشرف عليها فران باريسي اسمه ليونيل بوالان. وخبزه هو المفضل في قصر الاليزيه، وكان كل من الرئيسين الفرنسيين الاسبقين جورج بومبيدو والجنرال شارل ديغول يلح في طلبه.

في بضع سنوات فقط بات خبز بوالان البيتي رمزاً للجودة ونتاجاً للاستهلاك الشعبي. ولئن يكن صحيحاً ان مجموع استهلاك الخبز نقص في فرنسا (يبلغ استهلاك الفرد الآن ١٥٠ غراماً يومياً في مقابل ٨٠٠ غرام في القرن التاسع عشر و٤٠٠ غرام عشية الحرب العالمية الثانية) فان الاقبال

على الخبز "الطبيعي" يزداد بنسبة ٣٠ في المئة سنوياً.

قبل عشر سنين كان خبز بوالان يأتي كله من فرن العائلة الوحيد في شارع "شيرش ميدي". أما اليوم فأفرانه الجديدة في كلامار حيث يعمل عشرون شخصاً يمكنها ان تنتج ما يزيد على عشرة أطنان من الخبز يومياً. ويوزع الخبز في فرنسا وحدها على ٨١٢ بائعاً. وفي منطقة باريس قرابة ٣٠٠ من المطاعم الممتازة التي يوزع عليها يومياً خبز بوالان.

الطبيعي والاصطناعي – يبلغ دخل بولان من هذا كله نحو عشرين مليون فرنك (نحو ٢،٤ مليون دولار) في السنة. ويندر ألا يجد المرء أناساً ينتظرون دورهم أمام فرنيه في باريس، مما يجعل بعضهم يحار في تفسير هذه الظاهرة. وفيما كان بوالان ذات مرة في موسكو ليبحث في أحد العقود شاهد في واجهة إحدى وكالات الانباء صورة لزبائنه المنتظرين في الصف. وتبين ان التعليق السوفييتي على الصورة هو الآتي: "إن الاقتصاد الرأسمالي آخذ في الانهيار، ففي باريس نقص في الخبز."

وليس فرن بوالان الاصلي سوى حانوت صغير يبدو كنتوء في منحوته من القرن التاسع عشر. وقد جعل فيه بوالان مكتبه الضيق المجهز بثمانية خطوط هاتفية يتلقى بواسطتها طلبات من أنحاء العالم. وعندما يشتد عليه ضغط العمل ينشد الراحة في المخبز حيث يعد عجنة للفرن.

ما الذي يجعل خبزه مرغوباً فيه؟ يجيب عن ذلك قائلا: "الامر بسيط. إنه الخبز نفسه الذي كان أجدادنا يأكلونه." والحق أن أرغفته المستديرة هي حصيلة قرون من الفن والتجربة. وخبزه المصنوع من الدقيق المطحون بالحجر يضرب الى السمرة لاحتوائه على بزرة القمح بما فيها من دسم طبيعي ومعادن. فهو مختلف تماماً عن الخبز الحديث الابيض العادي (ذي الشكل المستطيل الشهير) المكون من الطحين المصنع والخميرة الاصطناعية والمخبوز في أفران كهربائية أو أفران توقد بالمازوت. وبديهي ان الاكثار من إنتاج هذا الخبز يجعل مذاقه أقل لذة وهضمه أكثر عسراً.

أما بوالان فيستخدم خميرة طبيعية وليس بديلا صناعياً منها، ويخبز الأرغفة على النحو القديم في أفران من الآجر. وهو لا يستعين بالآلة إلا في عملية العجن المضنية. وفي ما عدا ذلك تبقى اليد وسيلة الخبز الوحيدة كما كانت حال الخبازين في الماضي. والمطبخ لا يعرف الهدوء في الطبقة السفلى تحت الحانوت. ومع ذلك فالنظافة فيه شاملة، حتى ان الادوات الخشبية لا أثر عليها للأصباغ أو المستحضرات الكيمائية. ويوضح بولان الامر قائلا: "إن لدي موظفين اثنين لا عمل لهما سوى إبقاء المطبخ نظيفاً."

مهارة بشرية – بعد الجبل يترك العجين ساعة بعد أن يلف بالقماش خشية تسرب الهواء اليه مما يجعل

في أعلاه غشاء جافاً يفسده. ويحفظ هذا العجين في حرارة معينة تراعى درجتها بدقة وتتغير من فصل الى آخر (الطقس هو أحد العوامل الكثيرة التي تؤثر في جودة رغيف الخبز، ويمكن ان تفسد عاصفة خَبزة كاملة). إلا أنه ليس هناك خباز يستعين بميزان الحرارة أو بمقياس الضغط الجوي لأن الخباز الجيد يعرف بالمراس والحدس متى وكيف ينجز كل خطوة. ويلفت بوالان الى أنه ليس هناك خَبزتان متماثلتان.

عندما يرتفع العجين توزن الارغفة وتقطع وتصف على طاولة خشبية. ويقول بوالان: "إن للعجين طبيعة كما للخشب، وعلينا ان نأخذها في الاعتبار اذا اردنا إعطاء الرغيف شكلا صحيحاً." ثم يوضع الرغيف في الفرن بمجرفة ذات مقبض طويل، وربما استغرق التدرب على استعمالها بضعة أشهر.

أخيراً تخرج الارغفة المخبوزة من الفرن بالمجرفة فتلتقطها الايدي وتوضع في سلال من القصب مماثلة لتلك التي كانت تستعمل في القرن السادس عشر. وقد راقبت اثنين من المستخدمين يؤديان هذا العمل ببراعة تامة. ولم تكن أيديهما متقرحة لتعودها إمساك الارغفة الساخنة. وبدت راحاتهما شديدة الصلابة.

يتهم بولان بأنه عنيد ومن الطراز القديم فيرد ساخطاً: "أنا على نقيض ذلك معجب بالتطور والتقدم التقني، إلا ان الآلة لن تستطيع الحلول في صنع الخبز محل المهارة البشرية التي هي نتيجة تطور تقني استغرق مئات آلاف السنين." وهو يرى ان الخبز المصنوع على النمط القديم يعد مع الجبن من أفضل الانجازات التي أنتجها السعي الانساني وعمل على تطويرها.

الخباز الوحيد ـ عرفت عائلة بوالان اثني عشر جيلا من الخبازين منذ القرن السادس عشر. ففي مقاطعة النورماندي يوحي اسم بوالان التقليد الريفي القديم وفكرة المثابرة. ويروق العائلة التفكير في ان أصل اسمها يعود الى بطرس الناسك الذي اجتاز أوروبا القرن الثاني عشر ذهاباً وإياباً على ظهر حمار للتبشير بمذهبه. ويزعم ليونيل أن هناك علاقة بين الاسم والخبز الذي هو محور حياته اذ إن اسم Poilâne في رأيه هو تصحيف لعبارة Ô le pain (آه الخبز!)

ومما يبعث على الدهشة ان عائلة بوالان استمرت في صنع خبزها المعهود. ففي أثناء الحرب العالمية الثانية حدا نقص الطحين الخبازين الفرنسيين على إضافة مواد بديلة لزيادة الانتاج. وادى ذلك الى مزيد من الخبز الاسود. وفي الوقت نفسه قررت حكومة فيشي ن تجعل جميع الخبازين ينتجون لوناً واحداً من الخبز فقضت بذلك على التنوع الواسع في المناطق الفرنسية. وبعد التحرير وعودة الوفرة الاقتصادية تخلى الفرنسيون عن الخبز "الاسود" الذي بات رمزاً لمحظورات الحرب، وتحول جل الخبازين الى صنع الخبز الابيض.

في باريس استمر خباز واحد فقط

في صنع الخبز على النحو البيتي القديم وهو بيار بوالان والد ليونيل. وحثه أصدقاؤه على تغيير طحينه وتركيب فرن كهربائي لينتج الخبز الابيض كسواه من الخبازين الآخرين. الا أنه رفض على رغم انخفاض مبيعاته وسخرية جيرانه منه. فالخبز الابيض على حد قوله "لا يضاهي الخبز القديم في طعمه ورائحته وخصائصه الغذائية، وهو مضر بالمعدة والامعاء ولن أصنعه أبداً."

اشكال فنية – كان ليونيل ولد بعد الحرب يراقب أباه في كفاحه بمزيج من الاعجاب وعدم التصديق. وفي الثانية عشرة من عمره كان يوزع خبز أبيه على دراجته بعد انصرافه من المدرسة. ولم يحاول أبوه قط التأثير عليه لكنه عرف هو نفسه أنه يود ان يكون فراناً. وعندما بلغ سن الشباب أخذ يعمل مع أبيه وما لبث ان وسع نطاق عمله بفضل عناد أبيه في ما يتعلق بنوع الخبز الذي يريد صنعه. وبات الصبي الذي كان يوزع الخبز على دراجته، يقود الآن طائرات مدنية ومروحية.

وسافر ليونيل حول العالم مرات عدة، فأقام مراكز لبيع منتوجه في ثمانية بلدان ودرس الاسواق التجارية من أوروبا الى أوستراليا. بل إنه زار الصين ليحاضر في طلاب جامعة شانغهاي حول خصائص الخبز الفرنسي التقليدي ومنافعه.

لقد أصبح هذا الرجل عالماً حقاً في ميدان الخبز إذ هو يفتش في المكتبات بحثاً عن أسرار فن الخَبز ويدرس دور الخبز في حياة الشعوب عبر الحضارة الانسانية. وهو يلفت الى ان الخبز بات رمزاً في جميع الاديان ومعظم التقاليد. وفي كتابه "دليل الى محبي الخبز" يصف نحو مئة نوع من الخبز بتفصيل دقيق.

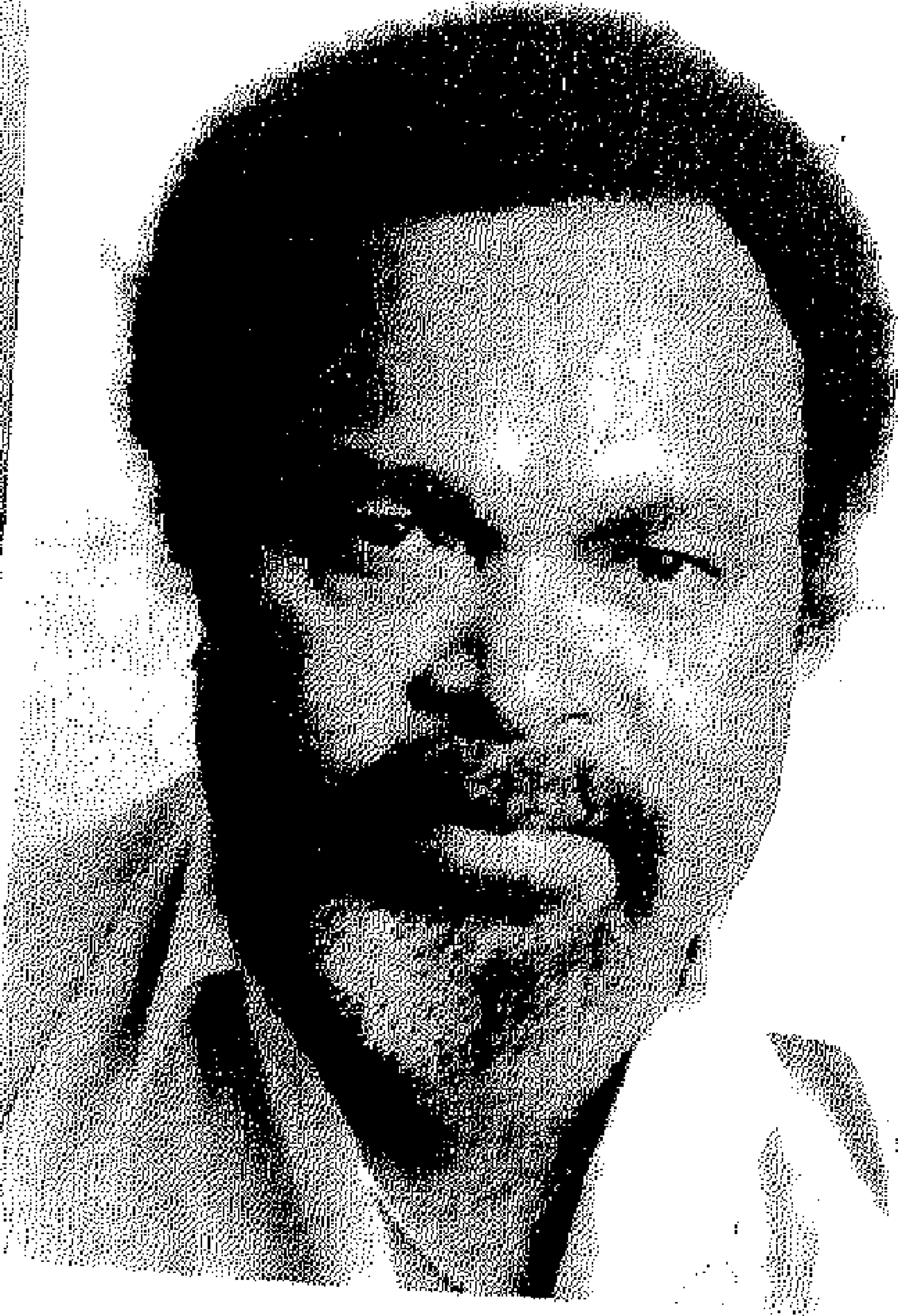
ولم يفت بوالان ان يغزو عالم الفن بأعمال مبتكرة تبعث على الدهشة. ففي العام ١٩٦٨ طلب منه الرسام الاسباني سلفادور دالي ان يصنع أشكالا قوامها الخبز، من بينها إطارات للصور وخزانة بطبقتين لادوات المائدة ذات اعمدة على الطراز الهولندي وسرير عالي القوائم ذو ستائر وثريا على الطراز الهولندي تزودها بالطاقة الكهربائية أسلاك مكسوة بالخبز وكراسي وقفص للعصفور مصنوع من قطع تخبز على حدة ثم تجمع. وقد عرض هذا القفص في أحد متاحف فيغيراس في اسبانيا قرب منزل دالي، غير ان العصفور الذي حبسه دالي فيه أكل أجزاء منه وهرب. وحديثاً طلب النحات سيزار من بوالان ان يصنع له صورة بالخبز. ويؤكد بوالان ان من الممكن نقل جميع الاشكال بواسطة الخبز.

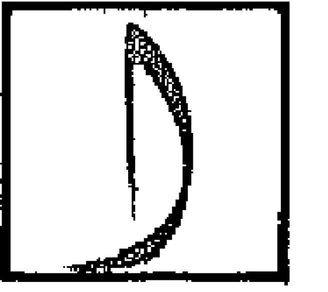
ويضيف بوالان: "يخيل إلي ان حرفة الخباز ستكون من بين الحرف القليلة المتبقية في القرن الحادي والعشرين. فالتصنيع يشجع توزيع العمل في حين يستدعي عملنا انصرافاً تاماً إليه.

ويجزم بوالان أيضاً ان "في امكاننا دائماً تحسين نوعية الخبز" إذ إن فن الخَبز مغامرة لا تزال في بدايتها.

■ جيل لامبير

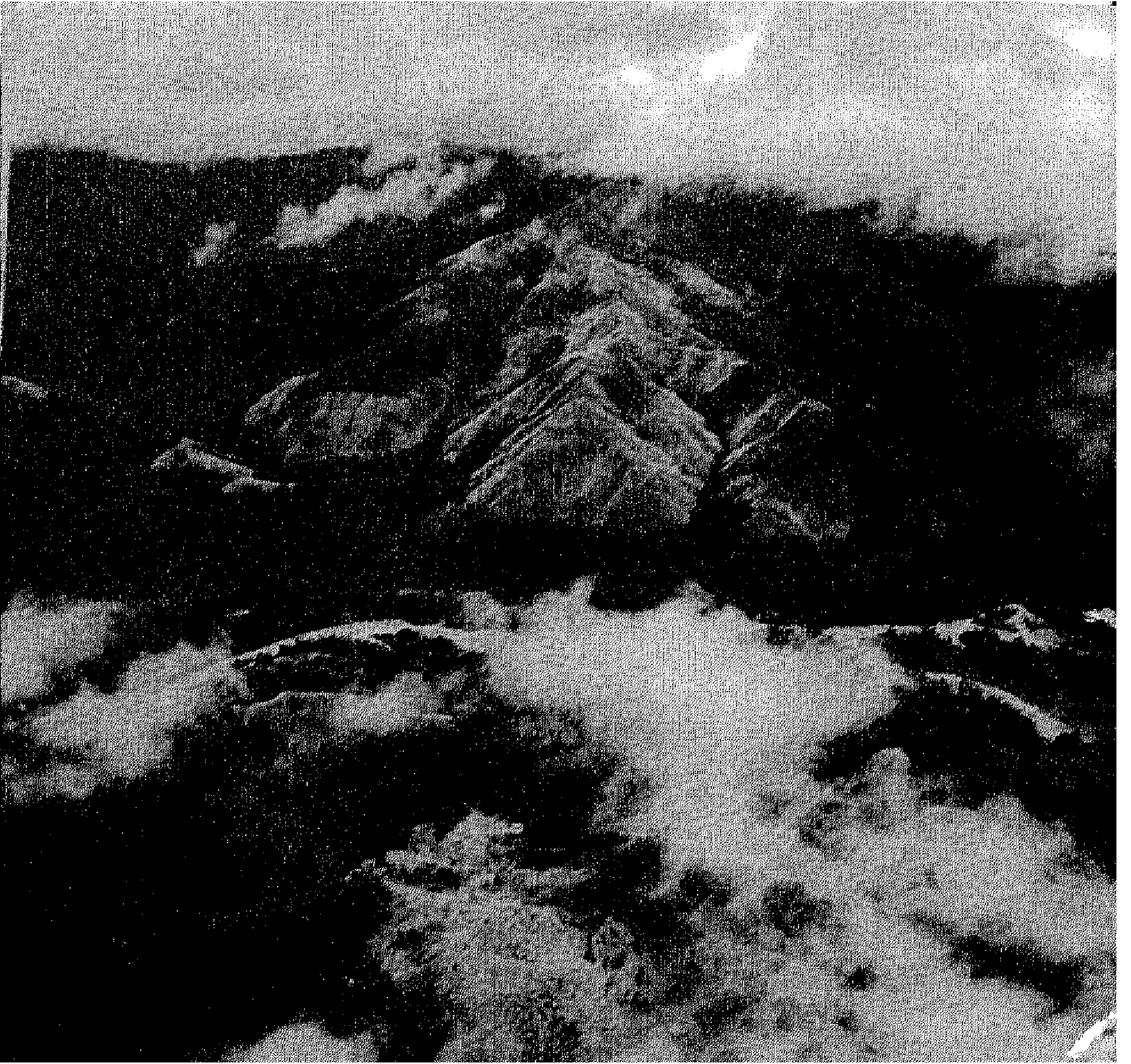
تنتقل هذه الدولة الفتية
بثبات وبطء
من حياة العصر الحجري
الى حضارة القرن العشرين


مايكل سومار، رئيس الوزراء
في ارض التناقضات.


انطلق زورقنا البخاري بالسياح الخمسة عشر عبر نهر سمبان الصغير في طريقه الى جزيرة أمبوا النائية في بابوا نيو غينيا. فجأة سمعنا الرجال والنساء والاطفال يصخبون على ضفة النهر المحفوفة بأشجار النخيل وينادوننا مرحبين. وكان واضحاً انهم لم يروا قط سياحاً بهذه الكثرة.

أخذت أمشي تحت أشجار جوز الهند قاصداً قريتهم النظيفة الجميلة غاورو حيث دعاني شيخ منهم الى منتدى الرجال، وهو كوخ بلا جدران له

بابوا نيو غينيا: دولة شابّة تخرج من العصر الحجري



سقف من قش، ثم قال بالانكليزية مشوهة: "فلتتفضل النساء ايضاً." والحق ان هذه الدعوة تتخطى حدود الضيافة العادية في بلد لا تزال نساؤه خاضعات للرجال.

بدأ أهل القرية في صحة جيدة وظهرت عليهم علامات الابتهاج وكانوا يرتدون ثياباً نظيفة، وقال لي قائد جماعة منهم يدعى يعقوب: "ان لدينا كل ما نحتاج اليه من البطاطا ونخل الساغو والتابيوكا (مستحضر نشوي لصنع الحلوى) وجوز الهند والخضر، ونحصل على الاوراق النقدية من بيع لب جوز الهند المجفف والكاكاو. ولدينا ايضاً سمك كثير وماشية."

ومع ان بابوا نيو غينيا لم تصبح بعد مركزاً سياحياً (يمر بها أقل من

Photo: The Bulletin, Sydney Main Illustration: David Austin)
All pictures on pages 117 and 119 David Austin

١٥ الف شخص سنوياً) فهي تشهد وجوداً للزائرين مستمراً.

الولاء للوطن ـ يبلغ عدد سكان بابوا نيو غينيا ثلاثة ملايين نسمة تتكون منهم جماعات تتكلم أكثر من ٧٠٠ لغة وتختلف عاداتهم باختلاف لغاتها. وعلى رغم قدم هذه العادات واللغات فان بابوا نيو غينيا لم تصبح دولة إلا في عام ١٩٧٥مسجلة بذلك انتهاء نحو قرن من الاستعمار (حكمتها في البداية المانيا الامبراطورية وبريطانيا العظمى ثم انتقل الحكم فيها الى جارتها أوستراليا). وهي الآن دولة ذات سيادة تنتمي الى رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث). ويختلف السياح في تقويمهم للحياة في مناطق معينة من هذا البلد. فبعضهم تصدمه بدائيتها وبعضهم الآخر يراها فاتنة.

إلا ان هذا الفتون لم يصل الى قرية كسانا الواقعة شمال غرب غوروكا والتي تعد مركز مقاطعة المرتفعات الشرقية. فليس في هذه القرية المحاطة بأشجار البن الصغيرة سوى صفين من الاكواخ المستديرة المنخفضة التي تبدو رائعة من الخارج لكنها مظلمة في الداخل، تعوزها التهوئة وتنبعث منها روائح كريهة وتسرح فيها الماشية والدجاج والكلاب الهزيلة. وشاهدت عجوزاً ناحلة ترمي قشور البطاطا الى طائر بوقير مدلل قص جناحاه. ورأيت أرملة شابة تقف كأفعى الزومبي وقد لطخت وجهها بوحل رمادي يضرب الى الخضرة حداداً على زوجها.

وشاهدت أيضاً عجوزاً قصير القامة مفتول العضلات قوي الجسم يعد نموذجاً لرجال تلك المنطقة. كان يلبس الثياب التقليدية المزركشة وهي مئزر من القماش وآخر من ورق الشجر ويدعى "اسغراس" يغطي ردفيه، ويعتمر قبعة من ريش، ويضع ريشة في أنفه المثقوب وقلادة من أسنان الحيوان حول عنقه. والظهور على هذا النحو ضروري لحضور مسرح "راون راون" الذي يضم فرقة من الممثلين مهمتهم تسلية القرويين وتلقينهم دروساً في الصحة. وأبرز أحد المشاهد التي قدمتها الفرقة زوجاً مهملا وامرأة شابة قضت أثناء عملية الولادة. والواضح ان هذه دعوة الى تجديد النسل. لكنني لست واثقاً من ان جمهور المتفرجين الذي بلغ عدده مئة شخص فهم مغزى المشهد.

وفاجأتني المفارقة بين الممثلات الحسناوات الناحلات اللواتي ارتدين ثياب ممرضات والعجوز الشمطاء مع طائرها والارملة التي وضعت قناعاً من وحل. غير ان هذا التفاوت ليس غريباً في بابوا نيو غينيا التي انتقلت من العصر الحجري الى تقنية القرن العشرين ومن التبعية للاستعمار الى الاعتماد على النفس ومن الولاء للقرية أو العشيرة أو القبيلة الى لون من الولاء للوطن.

نمو سكاني ـ ماذا كان معنى الاستقلال في هذا البلد؟

يقول طالب حقوق في جامعة لاي للتكنولوجيا متهماً: "لقد التقيت أوستراليين وأجانب آخرين يظنون ان

قرية للصيادين قرب بورت مورسبي، وقد جرت العادة هنا ان يتبادل الاقرباء اصناف الطعام



قد توفر المظلة وقاية افضل من ورق الموز، اما جمبة الكتف فلا بديل منها.







يقدم "رجال الطين" عروضهم للسياح.

لافتة تحذير بانكليزية مفككة: "اشغال في الطريق، اوقفوا سياراتكم طالما ترون الضوء الاحمر."

ـارتنا لا تزال بدائية وقائمة على ـزو" ويرى لوكيس روماز و مساعد ـر مؤسسة التنمية التقنية الصحيحة ـي ترعى مشاريع تكثيف الصناعة ـ الصعيد المحلي (بما في ذلك ـان الفحم الحجري ومحطات صغيرة لتوليد الكهرباء وعدد آخر من الصناعات الخفيفة) ان نظرة الاجانب لا تخلو من الصواب، لأن "الانماء لم يصل الى سكان الغابات الذين يتمسكون بعاداتهم ومعظمهم لا يزال حيث كان أجداده قبل مئة سنة."

يقول موظف في سفارة أجنبية ان أهل هذا البلد الذي استقل بين ليلة وضحاها "لم يكونوا يعلمون ان للطائرة عجلات." والانتقال بين المناطق كان ولا يزال صعباً. فليس في العاصمة بورت موريسبي طريق عامة تصلها ببقية أنحاء البلاد. وفي الجزيرة الرئيسية مستنقعات ساحلية وغابات تتخللها جداول تعج بالبعوض الذي يحمل مرض الملاريا وتمتد الى الداخل صعوداً حتى سلسلة جبال عالية أشبه بالمتاهات. وفي الاودية عشائر ذات نزعة عدائية تشن على جاراتها حروباً متقطعة.

وتفصل بابوا نيو غينيا عن الجزر الكثيرة الاخرى امتدادات من مياه المحيط واسعة. ومن المشاهد التي تمثل عوالم متميزة في النزعات والعادات احد افراد القبائل في جبال "النجم" الذين لا يرتدون إلا ما يستر عوراتهم وأحد سكان جزيرة تروبرياند في زورقه الحديث.

إن هذا التفتت الحضاري ليس سوى أحد مظاهر الخيبة التي منيت بها هذه الدولة الفتية. ويصف الاب غي كلوتييه، وهو كندي فرنسي يعمل في طرقه، بعض المظاهر الاخرى قائلا: "إن نسبة البطالة مرتفعة ومعظم الاعمال ينجزها أناس لا خبرة لهم بها أو تعوزهم المهارة. ويبلغ دخل العامل غير المدرب ٦٠ كينا (٩٠ دولاراً) كل أسبوعين. وربما كان هذا المبلغ كافياً لرجل قادم من الانجاد أو الجزر يرسل ما يكسبه الى زوجته وأولاده. غير أنه ليس نادراً ان يعمد مثل هذا الرجل الى تزوج امرأة في محيط عمله الجديد وتكوين أسرة جديدة بحيث يغدو دخله موزعاً بين الاسرتين، إذ ان قانون البلاد لا يمنع تعدد الزوجات."

يعيش العامل النموذجي في كوخ من غرفتين ويقيم معه ستة أشخاص من البالغين وعدد كبير من الاطفال. وأخبرني الدكتور جون كريستي وهو ضابط سابق عمل في مقاطعة المرتفعات الشرقية ان "زيادة السكان تبلغ ثلاثة في المئة سنوياً، أي ان عددهم يزيد على ضعفيه كل ٢٤ سنة. وفي الماضي كان ستة أطفال أو سبعة يموتون من أصل عشرة، أما اليوم فإن سبعة أو ثمانية منهم يبقون أحياء." فقد ساهمت الخدمات الصحية التي أدخلها الغربيون البلاد في زيادة عدد السكان على نحو كبير.

حروب قبلية ـ التفاوت في استخدام التكنولوجيا واضح في هذا البلد. فالمرأة في الانجاد تستعمل العصا الخشبية للحفر أثناء عملها في حقول البطاطا الحلوة، في حين تستخدم الآلات الضخمة لجرف النحاس الخام من مناجم بوغينفيل التي تعد من أكبر مناجم النحاس في العالم. ولئن يكن سكان المدن يعيشون حياة مترفة نسبياً، فان سكان الغابات انفسهم لم يكونوا بمنأى تام عن التغيير الحضاري.

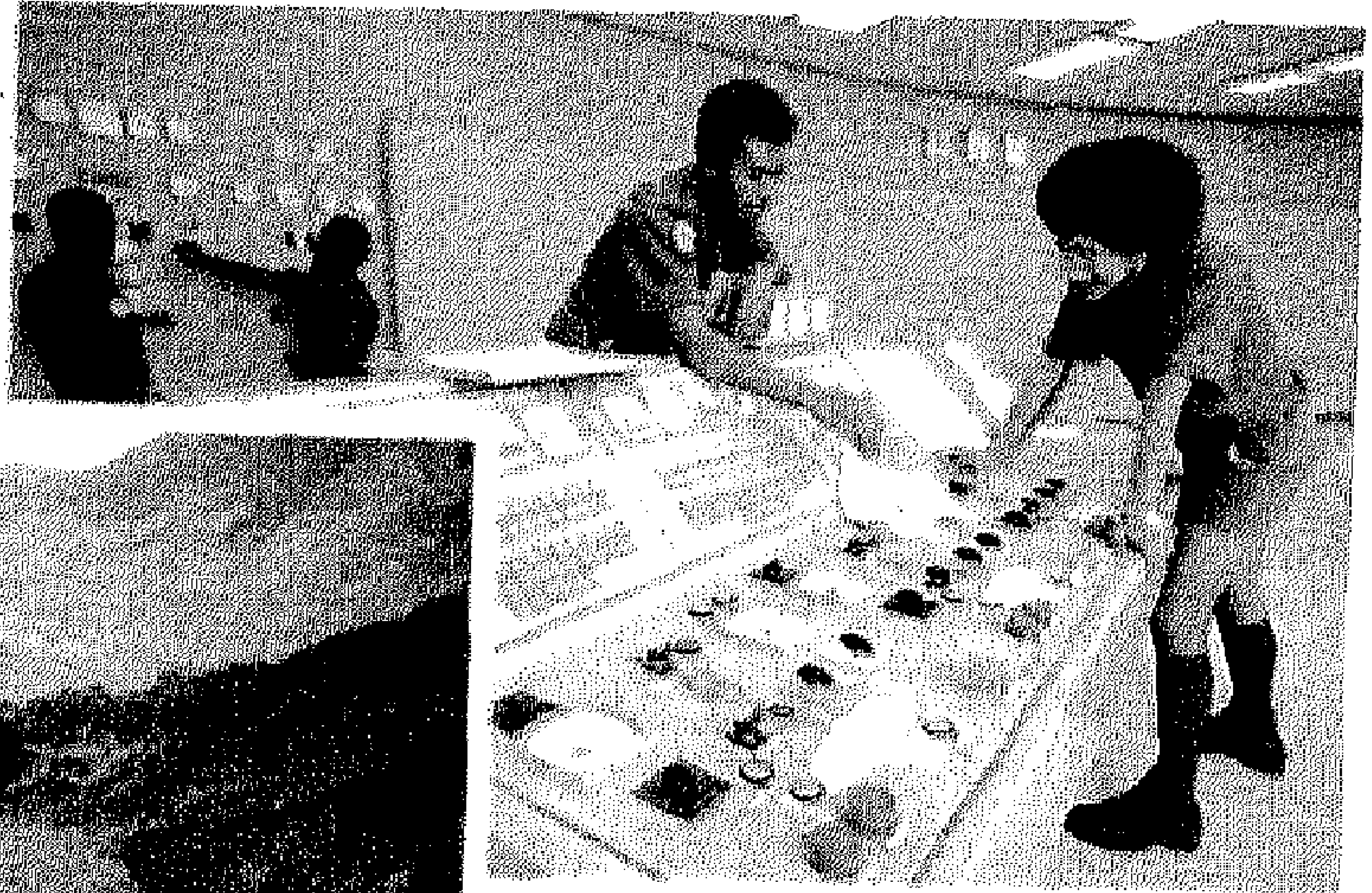
يقول أحد "الخبراء"، أي أحد الاجانب المقيمين في البلاد: "قد تبدو قرى الانجاد تلك قذرة وفقيرة، لكن المال متوافر فيها من زراعة شجر البن." وروى لي أن أحد السكان دفع



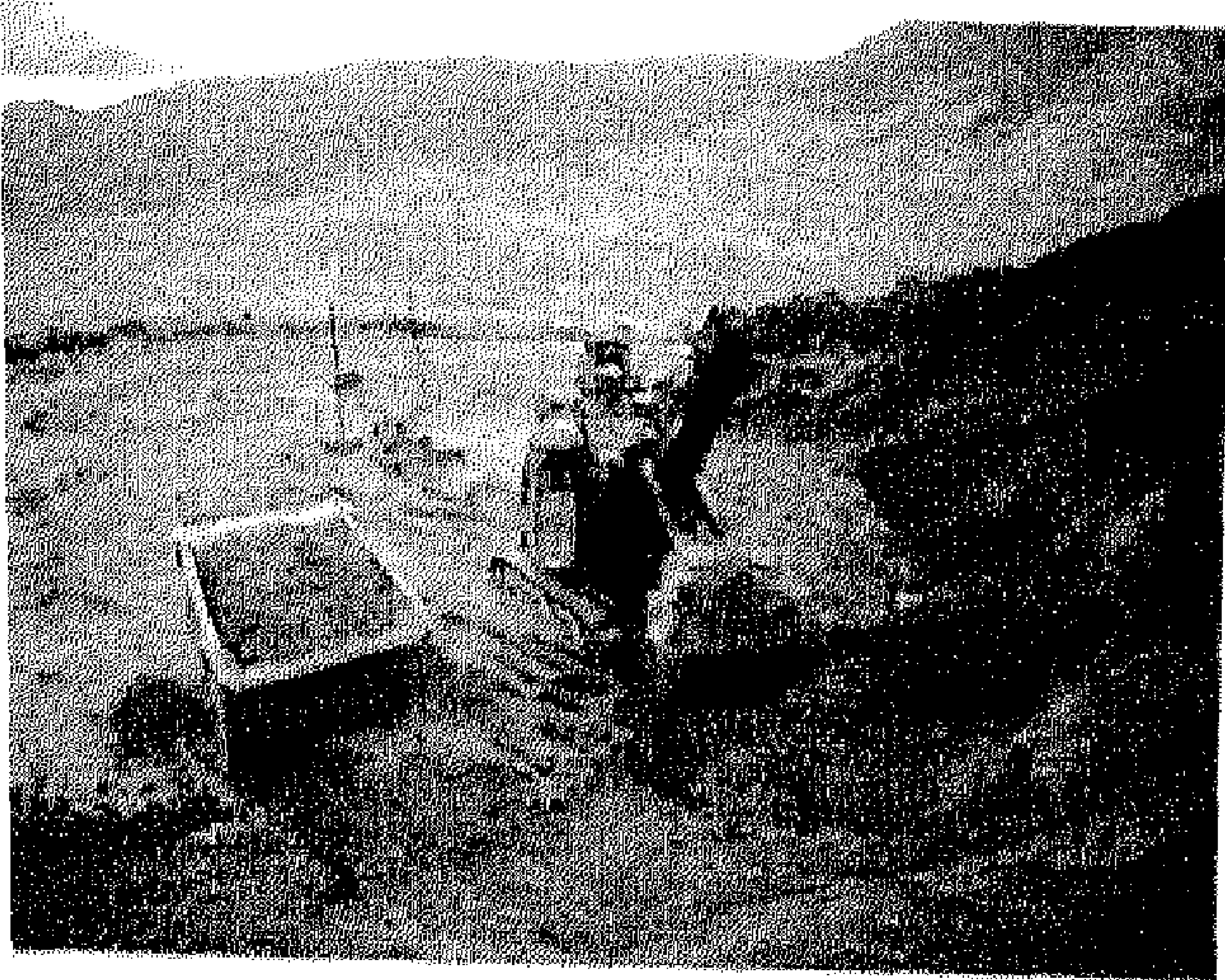
السير يوليوس تشان
زعيم الحزب التقدمي الشعبي، وكان رئيساً للوزراء قبل اعادة انتخاب سومار عام ١٩٨٢.



ميغ تايلور هي المحامية الاولى في بابوا نيو غينيا، وهي تقود حملة من اجل تحسين احوال السجون. هنا تتحدث الى آمر شرطة غوروكا.



خبراء تقنيون في محطة "رامو" للتوليد الكهربائي. على رغم الامكانات المائية المتوافرة فان اقل من ٢٠ في المئة من المنازل تنار بالكهرباء.



مناجم بوغانفيل المزدهرة
اخرجت كميات هائلة من النحاس والذهب.

نقداً لتاجر في مادانغ ثمن ثلاث سيارات، فقال له التاجر انها ستكون جاهزة في اليوم التالي. فتذمر الرجل قائلا: "لا، اريدها اليوم!" فقال التاجر: "حسناً! ليكن ما تريد."

والحق ان بائعي السيارات ليسوا وحدهم الذين يخشون سكان الانجاد، وإذا كان الغزو وأكل لحم البشر أصبحا عادتين نادرتين، فقد اندلعت الحرب بين القبائل منذ الاستقلال مع رحيل ضباط الميدان الاوستراليين، وكثيراً ما رأيت في الانجاد رجالا

مسلحين بالرماح والاقواس والسهام. ويقول أحد مواطني غوروكا: "إنهم يحملون السلاح اتقاء لشر عداوة شخصية أو قبلية تستدعي الانتقام."

وهذه الحرب القبلية تقلق السلطات المحلية. وقد طال عهد تلك القبائل بشن الحروب على الارض والنساء والماشية. وكان الرجال يقضون معظم وقتهم في الاستعداد للحروب وخوض غمارها. غير ان السلام الذي أحله الاوستراليون وعززه ضباط الميدان حرمهم دوراً أساسياً في حياتهم. أما اليوم فان الازدياد السريع في عدد السكان جعل الحاجة الى الطعام أمس وأحدث نقصاً مفاجئاً في الاراضي المستثمرة، وهذا أحد الاسباب الحالية للقتال.

لقد غلبت زراعة البن في الانجاد على زراعته في الاراضي المنبسطة بعدما أدخل الاوستراليون هذه الزراعة الانجاد في الخمسينات. وأخبرني لوكيس رومازو أنه "نتيجة ضعف التخطيط بات على الفلاحين ان يزرعوا محاصيلهم على التلال حيث يجرف المطر التراب، ولن يمضي وقت طويل حتى لا يكون بقي معهم سوى أوراق نقدية، وهي ليست بديلا من الارض."

يشكل النحاس الجزء الاكبر من صادرات بابوا نيو غينيا، تليه المحاصيل التي تباع في مقابل أوراق نقدية، خصوصاً البن والكاكاو ولب جوز الهند. وتبلغ نسبة هذه الصادرات جميعاً ٨٠ في المئة من مجموع صادرات البلاد، وكلها تستهلك طاقات الارض. ويقول غالن لانغ نائب رئيس وزراء مادانغ: "ان التربة الجيدة على طول الساحل تستخدم كلها في زراعة تلك المحاصيل. وفي أرض الداخل تربة جيدة أيضاً، لكن الطرق قليلة جداً، وليس في وسع المزارعين ان يأخذوا انتاجهم الى السوق."

لماذا لا يشق الفلاحون طرقاً خاصة بهم؟

يذكر بيتر كولتون، المدير العام لشركة التنمية في مادانغ وأحد الضباط السابقين، ان ضباط الميدان كانوا يدفعون القرويين الى العمل في شق الطرق يوماً واحداً في الاسبوع. ويضيف: "لم يعد ذلك ممكناً الآن. فهم ينتظرون أن تنجز الحكومة أو سواها هذا العمل بدلا منهم." وفي وادي غوغول قرب مادانغ تتولى هذه المهمة شركات الخشب التي تعمل على قطع أشجار الغابة.

نواب أمّيون — على طول نهر سيبيك المتدفق ثمة محصول مختلف يباع أيضاً في مقابل أوراق نقدية. وقرأت لافتة كتب عليها بخط غير متقن ما يأتي: "نحن نحب السياح ولدينا هنا منقوشات." والواقع ان الاقنعة وتماثيل الحيوانات والطبول الخشبية والمنتجات الاخرى التي كانت تصنع لتستعمل في الاحتفالات فقط باتت اليوم من اهم صناعات الاكواخ.

في قرية بارامبي التي تعد إحدى أقدم القرى واجملها في وسط سيبيك دعيت الى "المجلس"، وهو بناء طويل مؤلف من طبقتين وله سطح من القش: في الطبقة الارضية جلس

الرجال على درجات السلم يدخنون التبغ او يمضغون جوز التنبول. وفي الطبقة العليا كانت ظهور الصبيان توشم في بداية بعض الاحتفالات مما يترك فيها ندباً تشبه جلد التمساح.

ولم يكن مقرراً ان يقام اليوم أي احتفال، غير ان اثنين من الرجال عمدا الى تكريمي فأخذ كل منهما يضرب بنشاط طبله المصنوع من جذع شجرة مجوف، وجعلت النغمات المتقطعة تطن فيما الرجلان يرقصان صعوداً ونزولا قرب الطبلين العظيمين وهما يضربانهما بعصي خشبية كبيرة.

ورأيت في حوانيت القرية علب السمك الاسقمري وعلب اللحم البقري وأكياساً من الرز معظمها مستورد من أوستراليا واليابان. وتستورد بابوا نيو غينيا ٣٠ في المئة من موادها الغذائية. ويشكل الرز واللحم المعلب والسمك ٦٦ في المئة من هذه النسبة. ويتولى المسؤولون في البلد مسألة الاعتماد على الاستيراد اهتماماً كبيراً. ويرى مايكل سومار، أول رئيس للوزراء في بابوا نيو غينيا الذي عاد حديثاً الى الحكم، انه ينبغي اعتماد نظام اقتصادي يتخلص تدريجاً من السلع المستوردة ومن الهبة الاوسترالية السنوية البالغة نحو ٢٦٠ مليون دولار أي ما يزيد على ربع الموازنة السنوية للبلاد.

وزرت المجلس النيابي الذي يضم ١٠٩ اعضاء. والتقى السير بيتا لوس نائب مابرك خطبة ملتهبة باللغة المحلية. وكان يلبس إزاراً يبلغ ربلة الساق وقميصاً ذا كمين طويلين ويضع حول عنقه قلادة كبيرة من أسنان الوحوش. ولئن يكن نصيب السير بيتا من التعليم المنهجي قليلا فهو أحد خطباء المجلس البليغين. وذات مرة قال لي سيفيزي موريا الذي بقي خطيباً حتى وفاته عام ١٩٨٢: "هناك أعضاء كثيرون لا يحسنون القراءة أو الكتابة، وهذا أمر غريب بالنسبة اليكم. أما بالنسبة الينا فهو أمر واقع وقد يستمر مدة من الزمن."

ويكرر السير توري لوكولوكو الحاكم العام السابق تأكيد هذه الفلسفة الوطنية للنمو البطيء فيقول: "نحن قوم سعداء ولا نطلب الكثير من الآخرين. وكل ما نبتغيه هو التقدم بثبات وبطء."

■ فرنسوا ليديه



حديث نساء

أخذت جدّة حفيديها الى الحديقة العامة ليلعبا. وسألتها امرأة هناك: "كم لهما من العمر؟" فقالت: "المهندس في الرابعة والطبيب في السادسة."

ن.ف.ي

قال استاذ العلوم لتلاميذه: "في إمكانكم مشاهدة خسوف القمر هذا المساء." فسأله أحدهم: "على أي محطة تلفزيونية؟"

ب.ج.

طعم طبيعي لا يقاوم

FULL CREAM
powdered milk
FRANCE
LAIT
INSTANT

كريم يسعد الآلاف

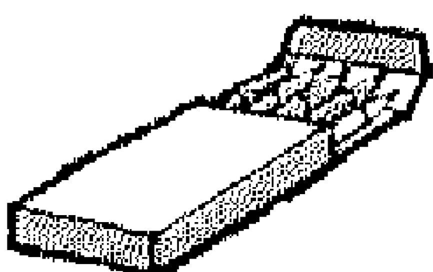
ترقبوا كريم وهداياه تقدمة
فرانس ليه

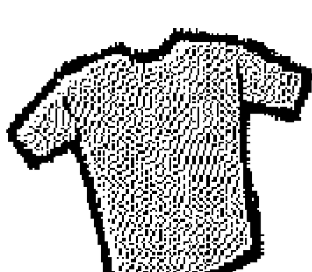
يسعد فرانس ليه أن تعرفكم على كريم.
انتظروا قدوم كريم إلى المملكة العربية السعودية
ومتى شاهدتموه تحصلون منه على هديتكم،
إذ أنه سوف يقدم آلاف الهدايا للكبار والصغار
ولتنسوا هدية الصحة في حليب فرانس ليه.

الملايين تنعم مع
فرانس ليه

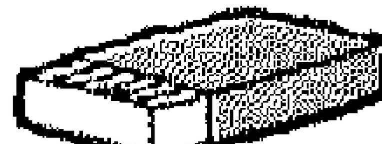














كتاب الشهر

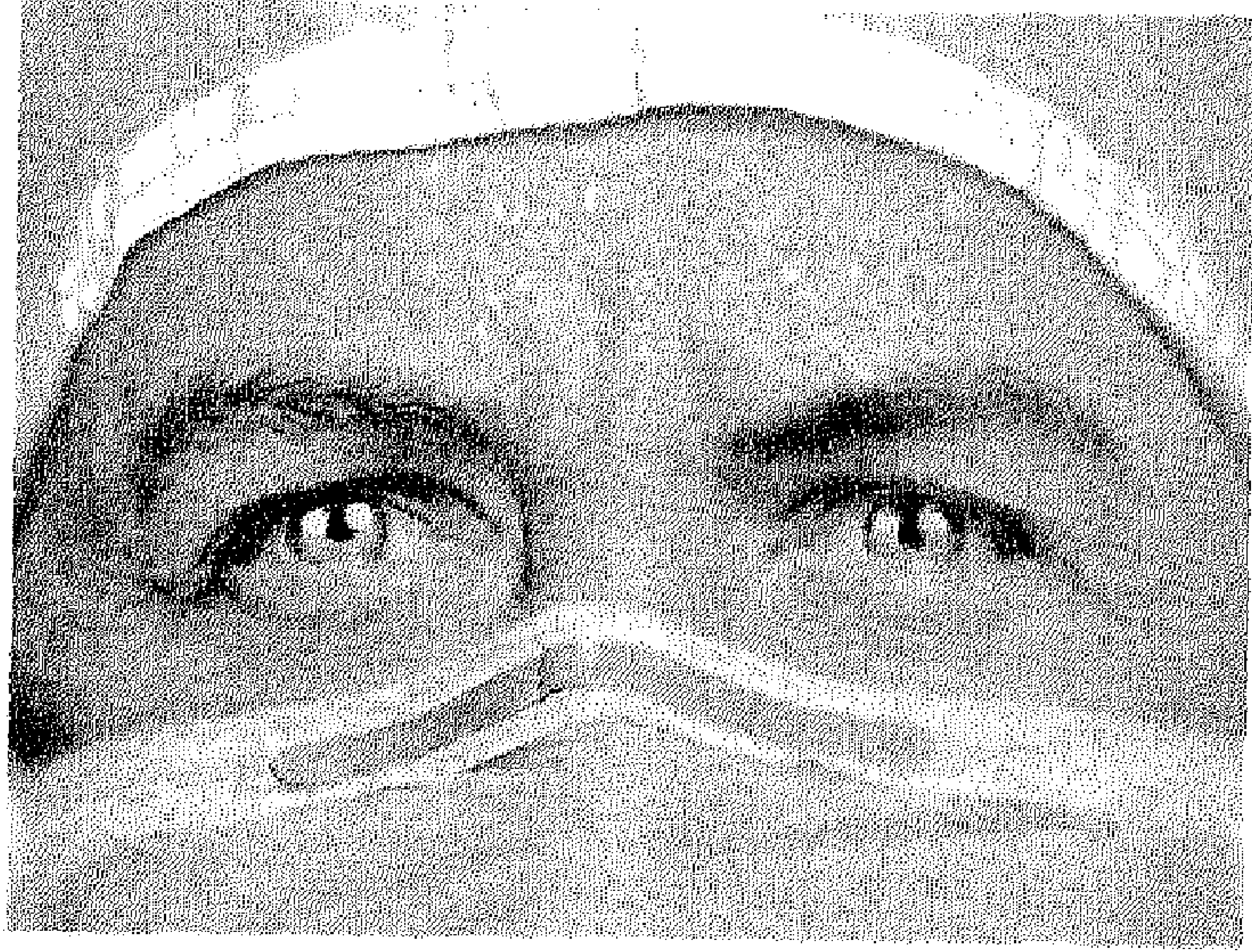


رحلة عبر مجاهل الدماغ البشري

ملخص من كتاب

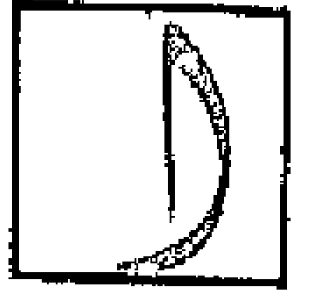
بقلم جون فرانكلين و آلان دوليب

رحلة عبر مجاهل الدماغ البشري



ان جميع الاطباء يعملون ضمن تخوم المعرفة الطبية، مهما توغّلوا في العلوم الخاصة بالجسم البشري. اما جرّاح الدماغ فيختلف عن سائر زملائه بكونه، كلما رفع مبضعه استعداداً لولوج ذلك العالم الغامض، يتجاوز حدود المعرفة.

في هذا الكتاب الجديد يأخذنا الصحافيان الطبيان جون فرانكلين وآلان دويلب في رحلة عبر ذلك الكون العجيب الذي لا يقل روعة وخطراً ووعداً عن الفضاء الخارجي.



اضطجع الدكتور توماس داكر في سريره وقد اخذته يقظة الصباح والمنبه لم يرنّ بعد، وهو في العادة ينهض قبل رنين المنبه يوم يكون عليه إجراء جراحة.

وراح الطبيب يفكر في الفتى جوش ذي السنوات السبع الذي وقف في عيادته متفرساً في عينيه، علّ الطبيب يشفيه بحيث يتمكن من ممارسة رياضة البيسبول (كرة القاعدة) مرة اخرى.

وكان جوش اقتحم زجاجاً تحطم بفعل الصدمة ودخلت إحدى شظاياه ذراعه. وتولى طبيب أعصاب محلي رتق طرفي عصبه المتوسط. وأخذ الحس يعود إليه تدريجاً في أسابيع، بحيث استطاع تحريك ذراعه وثلاث من أصابع يده.

وما لبث التحسن أن توقف. وتلك علامة على أن العصب المتعلق بعظم الزند مصاب أيضاً. ومن السهل نسبياً معالجة العصب ساعة تمزقه. لكن هذه السهولة تزول مع الوقت.

وبناء على نصيحة طبيب من الأقرباء اتصل والدا جوش بالدكتور داكر، رئيس قسم جراحة الاعصاب في مستشفى جامعة بالتيمور في ماريلاند. وكان داكر اكتسب سمعة من جراء معالجته الاعصاب الخارجية خلال حرب فيتنام. وفي وقت لاحق كتب مؤلفاً في الموضوع.

وبعد أسابيع وقف الطفل جوش في عيادة الدكتور داكر يرجوه أن يفعل شيئاً يتيح له أن يلعب البيسبول من جديد. ووافق الطبيب على إجراء الجراحة التي حدد موعداً لها في غرفة العمليات الثانية عشرة من ظهر هذا اليوم.

وفي المستشفى توقف الدكتور داكر هنيهة ليطل من زجاج الغرفة الرقم ١١. ورأى على الطاولة امرأة مخدرة وقد وقف الدكتور مايكل سالكمن يتحدث مع الممرضات اللواتي أحطن بها. والدكتور سالكمن في مطلع الثلاثينات من عمره، وهو معاون داكر في قسم جراحة الاعصاب. والمرأة الممدّدة على طاولة الجراحة مصابة بسرطان فتاك في الرأس. وربما استطاع سالكمن منحها ستة أشهر اضافية أو سنة. لكنه لن يستطيع إبراءها تماماً.

وكان الورم في رأس تلك المرأة قريباً جداً مما دعاه سالكمن، ذو اللغة الشعرية، "المناطق البليغة"، وهو يعني تلك المناطق التي تعطي الشخصية اتجاهها. وكان عليه إزالة كل جزء من الورم بمنتهى العناية، إذ قد يكون الورم، بلغة الطبيب نفسه، متصلا بشيء يتصل بدوره بشيء متصل بشيء آخر مرتبط بالنفس البشرية.

وشق الدكتور داكر طريقه الى غرفة التعقيم التي تصل الغرفتين الحادية عشرة والثانية عشرة. وكان جوش ممدداً على طاولة بعد تخديره هو الآخر. وجلس الطبيب المعاون الذي باشر تخصّصه في الجراحة بجانب أحد طرفي ذراع الصبي فيما جلس داكر بجانب الطرف الآخر. وقال داكر لمعاونه ان غاية الجراحة دَس طرفي العصب تحت النسيج. وحذره من صعوبة العثور على هذين الطرفين.

وانحبس الدم عندما قطع داكر تحت الجلد، وعاد الى الوراء بينما راح المعاون يخيط الاوعية النازفة بميسم كهربائي ذي قطبين.

وقال داكر مستأنفاً عمله: "ربما بدا عصب الزند مثل قطعةمعكرونة،إلا ان وظيفته كخط ناقل تتجاوز وظيفة أكثر خطوط الهاتف تعقيداً. والرسائل تُحمَل بواسطة محاور عصبية هي عبارة عن شعيرات تنمو عند طرفي كل خلية عصبية. وتبدو هذه الشعيرات مثل خط هاتفي إذا تأملناها وهي نظيفة."

وأقحم الطبيب المعاون ميسمه في الجرح وقال: "إني لا أرى شيئاً."

وقال داكر: "أعطوني المبضع." وهو شاء أن يدسه تحت الجرح ليتبع العصب عبر الذراع.

وأضاف الجراح: "صحيح ان العصب لا يعيد توليد ذاته. إلا أن المحاور العصبية، أي الشعيرات، تستطيع ذلك. وأحياناً تعيد الجراحة فتجد كتلة من الشعيرات نمت فوق الجرح مباشرة بعد محاولتها النمو في مكانها الطبيعي. إلا أنها لم تتمكن من اختراق الجرح."

وفي استطاعة جراح أعصاب متمرس أن يشق مكان الجرح من جديد ويصل طرفي العصب أحدهما بالآخر. وإذا نجح في ذلك، فإن الشعيرات تعود الى مكانها الطبيعي وتكمل نموها هناك.

وسلم داكر مبضعه الى المعاون وقال: "هيا، افعل ما تراه مناسباً."

وانقضت دقائق ولم يعثر المعاون على العصب المذكور. وسرعان ما ابدى تذمره. وانبرى داكر: "تابع بحثك. واعلم أن عصب الزند يشبه أشياء اخرى كثيرة. فإذا نسيت ذلك الجزء من علم التشريح المتعلق بهذه النقطة، فمن السهل جداً إضاعته أو شَرطه بالمبضع."

ـ كلا، لا يمكنني أن أراه.

وتابع داكر: "اصبر عليه... تملقه لكي يأتي... دسّ المبضع هنا وهناك، إذ لا تدري أين يكون هذا العصب مخبوءاً."

أسئلة أساسية

في يوم ما بعد سنوات سيغدو هذا المعاون جراحاً للأعصاب اسوة باستاذه، شَرط ان يحافظ على هدوئه ويدرس حَسَناً ويُرضي داكر وسائر الاساتذة على الدوام. ولكن لا يكفي الجراح الجديد أن يكون بارعاً وطموحاً. فما أن يدخل التلميذ مدرسة الطب حتى يجد كل من حوله بارعاً وطموحاً.

وفي كلية الطب في جامعة ماريلاند يدرس الطلاب مادّة تشريح الاعصاب خلال الفصل الثاني من السنة الاولى. وهو موضوع صعب جداً يحسب له الطلاب اكبر حساب في الامتحان، خصوصاً ما تعلق منه بالدماغ. إلا أن الدماغ ليس عضواً فحسب، لكنه معضلة تواجه الشخص بأسئلة فلسفية عميقة. لهذا كانت أقلية ضئيلة من الطلاب، بعد حضورها مادة تشريح الاعصاب، تختار جراحة الرأس موضوع اختصاص.

ولكن ما هي تلك المادة البروتيينية، تلك الكتلة الهلامية

الرماديّة التي تعي ذاتها؟ ان الدماغ عضو كبقية أعضاء الجسد. لكنه يختلف عنها في كونه يولد أفكاراً. ولكن ما هو الفكر؟ مَن أنا؟

هذه أسئلة أساسية يطرحها المرء على نفسه. والكل يقف منها موقف دهشة، حتى طالب العلوم والطب الذي لا يدري كيف أن ذلك المزيج العجيب من الاعصاب يولد الافكار والعلوم والفنون والحب.

ويقوم طالب الطب بجولات الى المستشفى حيث يراقب ويصغي. لكنه، إذ يقف عند سرير ام شابة اختل عمل دماغها، تنحسر تلك الاسئلة الفلسفية ليحل محلها الالم والموت في حضورهما العاري.

وما أن يغدو طالب الطب طبيباً ثم معاوناً يعمل في إشراف الدكتور داكر حتى تغيب تلك الاسئلة الكبرى من ذهنه.

أجل، ثمة حقيقة كبرى، لكنها ليست لغزاً. وهو اكتسبها ليس من الكتب، بل من غرفة العمليات.

فالأدمغة التي حللت في الصف كانت كلها محنطة. أما الادمغة فوق طاولة الجراحة فهي تخفق وتنبض وتدمى وتموت.

شيء تجدر معرفته

جلس الدكتور على كرسيه يراقب، فيما المعاون منحن فوق ذراع جوش يبحث عن عصب الزند من غير أن يجده.

وفجأة أمره داكر بأن يتوقف. وقال: "انه هنا... ألا تراه؟ انه صغير لأنه ضامر. لكنه العصب الذي تبحث عنه."



الدكتور توماس داكر.

وأجاب المعاون متأتئاً: "آسف، غير أني..."

وأشار داكر باصبعه الى العصب.

وقال المعاون: "اللعنة عليّ."

وتابع داكر: "انظر إليه ملياً لكي تعرف منذ هذه اللحظة كيف يكون عصب الزند."

وكان العصب ضمن غشاء رقيق. وأخرجه المعاون بعناية من غلافه، لكن نصف ساعة انقضت وهو يفعل ذلك. وبدأ بالطرفين ثم انتقل الى بقية العصب.

وأوضح داكر أن الغاية هي قطع الاطراف القديمة من العصب ثم وصل الاطراف الجديدة بعضها ببعض. وذلك من شأنه تقصير العصب. ولتعويض ذلك سيعاد العصب الى مكانه عبر العضل في تجويف المرفق، بحيث يكسب نحو ثلاثة سنتيمرات.

ووصلت الممرّضة المتجوّلة وفي يدها نظارات جراحية للطبيبين. وأضيفت عدسة من التي يستعملها الصاغة الى قاع كلّ منها.

وحثّ داكر معاونه على دراسة

طرف العَصَب الذي كانت تغطيه الانسجة الدامية. وأوضح داكر طريقة قطع أجزاء من العصب، باستخدام أداة تنحية خشبية معقمة. وإذ ذاك تبرز مقاطع عرضية لخمسة "أسلاك" رمادية كخطوط الهاتف.

وقشر المعاون حافة الطرف الآخر من عصب الزند. ولم يجد هناك أسلاكاً، بل ثقوباً فارغة. وكانت الشعيرات التي فصلت عن خلاياها الاصلية فوق قد جفت وماتت وباتت جزءاً من النسيج. أما الثقوب فكانت ثلاثة، لا خمسة، إذ ضمر أثنان منها. وهذا يعني أنه لا مجال لنمو الشعيرات كلها. لكن داكر قال ان ما سينمو منها يكفي لممارسة رياضة البيسبول كما شاء جوش.

وفحص داكر طرفي العصب العاريين. وعلق إبرة مجهرية بمحمل وأدخلها عبر أحد الطرفين ثم عبر الآخر. وراح يخيط الجرح وهو ينظر بعدسة الصائغ.

وأشار داكر الى المعاون لكي يأخذ عنه، فالتقط هذا الابرة بيد مرتجفة. وقال له: "حسناً، تابع برفق." ولم يجد الطبيب أي مانع يعوق جوش عن لعب البيسبول بعد سنة من ذلك الصيف. واسترخى وهو يراقب عمل معاونه. وليس قليلا أن يتمكن طبيب مثله من الاسترخاء خلال عملية.

ولو كان العمل في الدماغ، لما تسنى له شيء من الراحة، إذ هناك ما يفاجىء على الدوام حتى وإن تمت الجراحة على أفضل وجه. أما في حال جوش وأمثاله فالمفاجىء بعيد جداً. وأسوأ ما يمكن حصوله ألا يتمكن الفتى من ممارسة لعبته المفضلة. لكنه لن يموت.

اقتراح أو إشارة

في مكان آخر من المدينة، في مستشفى جامعة جونز هوبكنز، كان الدكتور دونلين لونغ على اهبة الاستعداد للانضمام الى الدكتور كينيث مواري خبير الاورام إذا هو احتاج إليه. وكان لونغ يحتل كرسياً مرموقاً في جراحة الاعصاب في تلك الجامعة، ومفكرته تزدحم بالمواعيد مع الجراحين والعلماء والطلاب والمرضى والمحامين ورجال الاعمال.

وفي غرفة الجراحة وقف مواري أمام لوحة التصوير بالاشعة. وعلى طاولة معدنية مبطنة وراءه اضطجع جو تروت تحت تأثير تخدير قوي. وهو شاب في العشرين يتابع دراسته الجامعية في معهد جورجيا للتكنولوجيا. وكان تروت قلقاً من الطنين في اذنه اليسرى الذي تحوّل صمماً وتلاه الحَوَل وفقدان التوازن والصداع.

في الاسابيع الماضية أنعم مواري ولونغ النظر في صور الاشعة التي أخذت للمريض. ولم يجدا مشقة في العثور على الورم عند جذع الدماغ. وقد اعتاد مواري أن يعالج الحالات المماثلة بمفرده. الا ان تلك الحالة كانت من الطرافة بحيث شاء لونغ ان يراها، ومن الخطر بحيث ألح عليه مواري بالحضور.

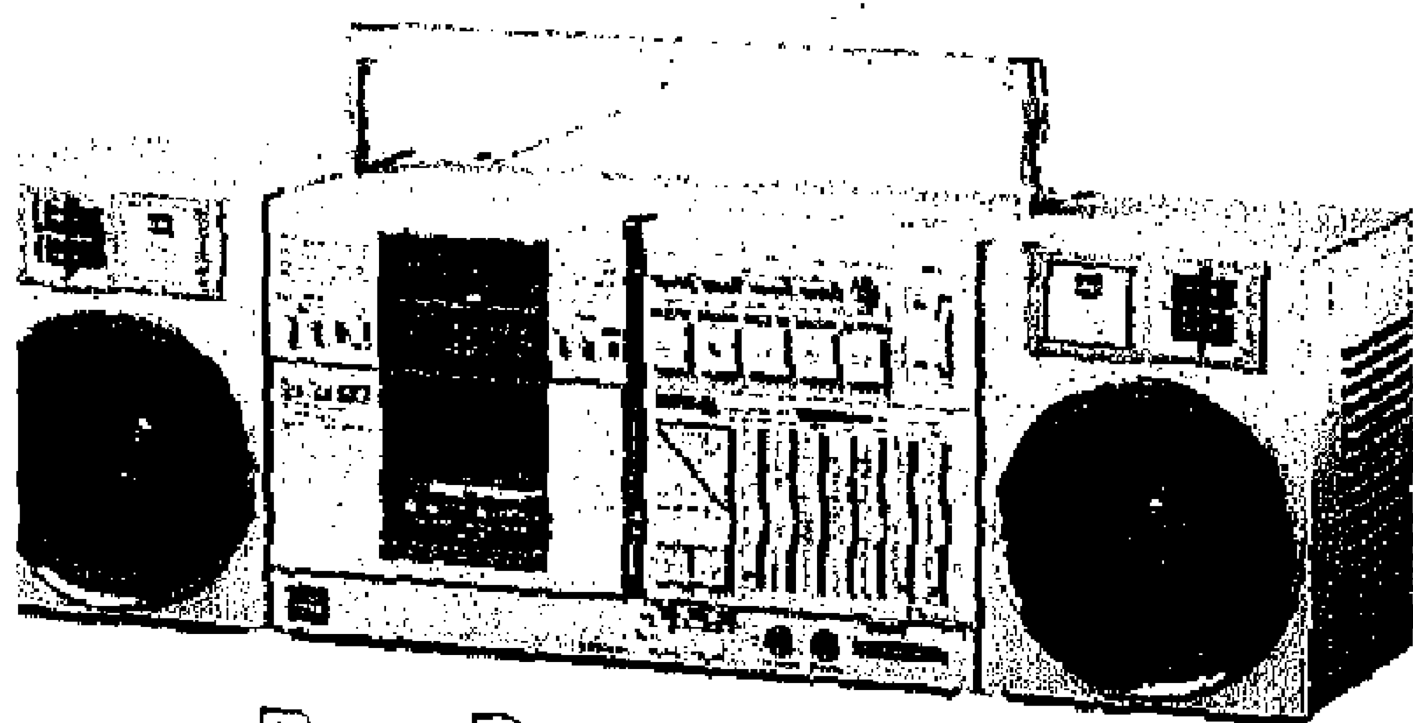
ربما كانت مشكلة جو تروت تنخرط في باب الاكال السمعي. والأورام هنا تنشأ من عصب الجمجمة الثامن



Toshiba : صاحبة ابتكار ال Auto Reverse

الراديو كاسيت والمسجلة الستيريو Toshiba كانت الرائدة في استعمال auto reverse والاولى في اعطائكم تسجيلا مستمراً من دون انقطاع ولذة في الاستماع سواء على دورة واحدة او باستمرار، ويمكنكم ايضاً تغيير جهة التسجيل من دون قلب الشريط.

ولدى Toshiba تشكيلة كاملة من الراديو كاسيت والمسجلات مع auto reverse. من المونو الى الستيريو وفي تصاميم صغيرة او كبيرة، ولكن ايا يكن القرار الذي اخترتم فيمكنكم ان تعتمدوا على حقيقة واحدة: انها رائعة لانها Toshiba



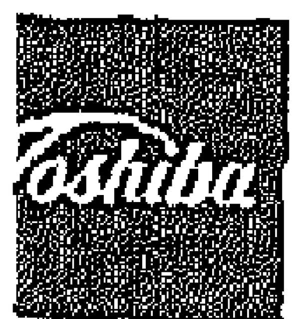
BOMBEAT SX7
AUTO REVERSE



BOMBEAT 170
AUTO REVERSE



BOMBEAT 483
AUTO REVERSE



TOSHIBA توشيبا

TOKYO, JAPAN

الخاص بالسمع، وهو يصل الاذن بالدماغ. والمعروف عن الاورام السمعية أنها لا تصاب قط بالسرطان، وانها اذا استؤصلت لا تنمو مرة اخرى. لكن التحدّي أن يتمكن الجرّاح من إخراجها. فالغشاء الذي يغلف عصب السمع محكم الالتصاق بكل ما حوله. وإذا كانت الحال هكذا، فلا بد من أن يعمد موراي الى استدعاء لونغ.

ومرّ النهار ببطء. وفي الرابعة عصراً تلقى لونغ مخابرة زميله وانطلق تواً نحو غرفة العمليات. ورفع موراي عينيه عن المجهر وانتصب وهو يلوي ظهره وكتفيه ويقول: "لقد جئت في الوقت المناسب."

وأضاف أنه حفر ثلاثة أرباع الورم من الداخل. ولاحظ لونغ أن قلب المريض كان يخفق بقوة وثبات. ثم نظر عبر المجهر فيما نظر موراي من فتحة المراقبة. وتبين أن النسيج الاصفر يطغى على وسط الفجوة العميقة في رأس المريض. واستطاع لونغ أن يشاهد الجزء الاعلى من جذع الدماغ، أما الجزء الاسفل فاختفى خلف الورم. ولا يُستبعد أن يكون غشاء الورم ملتصقاً بذلك الجزء من الدماغ.

أوضح لونغ لزميله موراي ولاثنين من الاطباء المعاونين أن مفتاح المسألة يكمن في العثور على خط الانفصال الطبيعي بين الغشاء وما هو متصل به. وإذا وجد ذلك الخط، ففي الامكان فصل الغشاء واستئصال الورم، ولكن بعد مسه برفق واعتماد أقصى الدقة.

واستغرق لونغ على الفور في الأمر. وراح ينخس الغشاء مرة بعد اخرى. ويمكن تشبيه عملية قشر غشاء الورم بقشر بيضة مسلوقة، إذ ينبغي نزع القشرتين الخارجية والداخلية من غير سحق البيضة نفسها.

وهناك ماسورة الامتصاص التي يشكل إتقان استخدامها فناً قائماً في ذاته. وفي تلك الماسورة، من ناحية اليد، ثقب إضافي ينبغي أن يسدّه الجراح بإصبعه وإلا جاء الامتصاص ضعيفاً. والجراح الماهر يرفع إصبعه



الدكتور كينيث موراي.

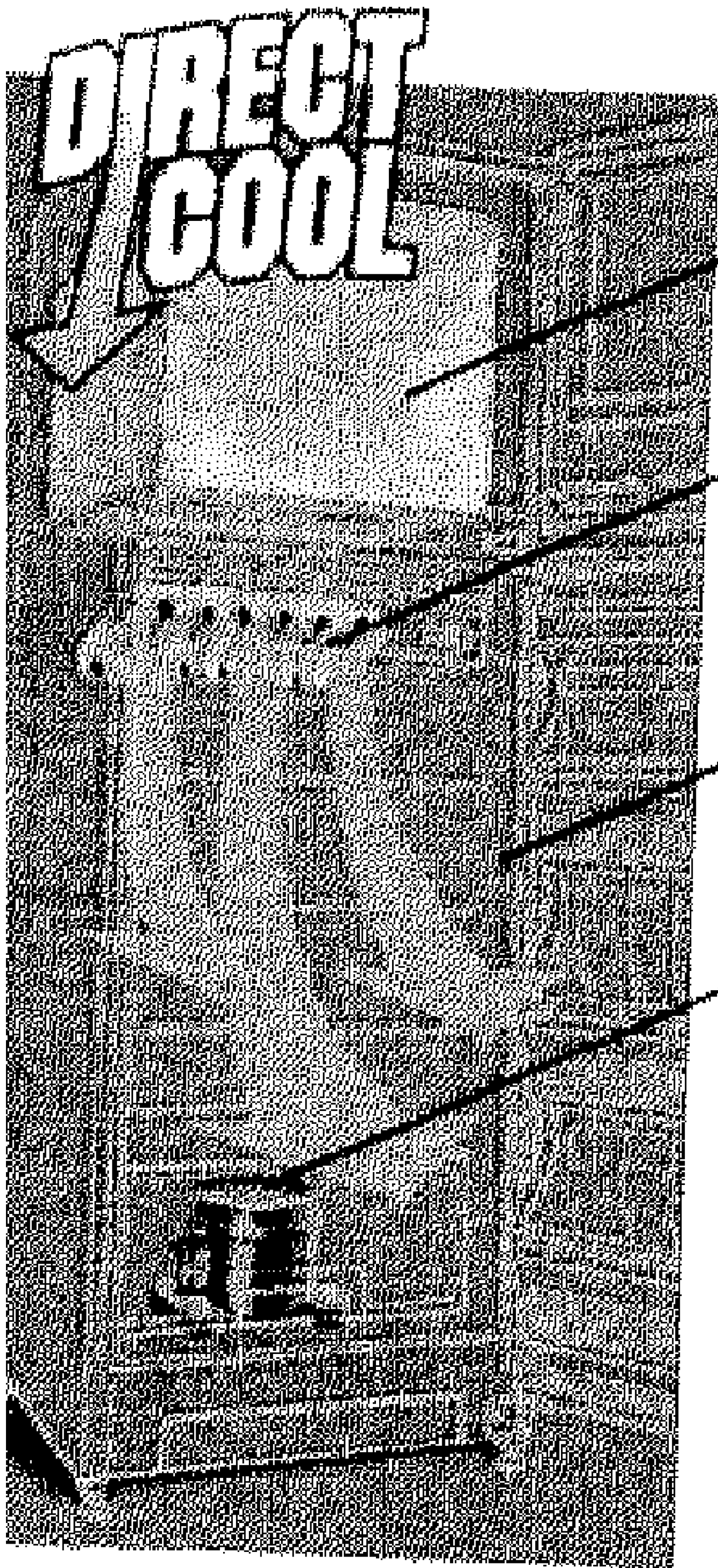
عن ذلك الثقب ثم يغطيه تبعاً لكمية الامتصاص المرجوة.

ونظر لونغ الى ساعة الحائط. كان المريض أمضى تسع ساعات فوق طاولة العمليات. وعلى رغم أهمية الاسراع في الجراحة فان الدقة أهم من السرعة، إذ انّ قصّ الاغشية الرقيقة قد يعني نهاية المريض. وظلّ لونغ يفتش عن خط الانفصال، ولكن من غير جدوى.

جديد توشيبا
أفكار خلاّقة لحياة أفضل

براد توشيبا GR-333ESV الجديد يمتاز بتصميم فريد للتبريد المباشر يعطي تجليداً اسرع، بمجرد ضغط زر التجليد تنخفض الحرارة بسرعة في الثلاجة الى ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر، لتصبح ابرد بكثير من اي ثلاجة عادية اخرى، ونتيجة لذلك يتجلد الطعام بسرعة وفاعلية اكبر ويحفظ طازجاً مع نكهته وفائدته الغذائية.

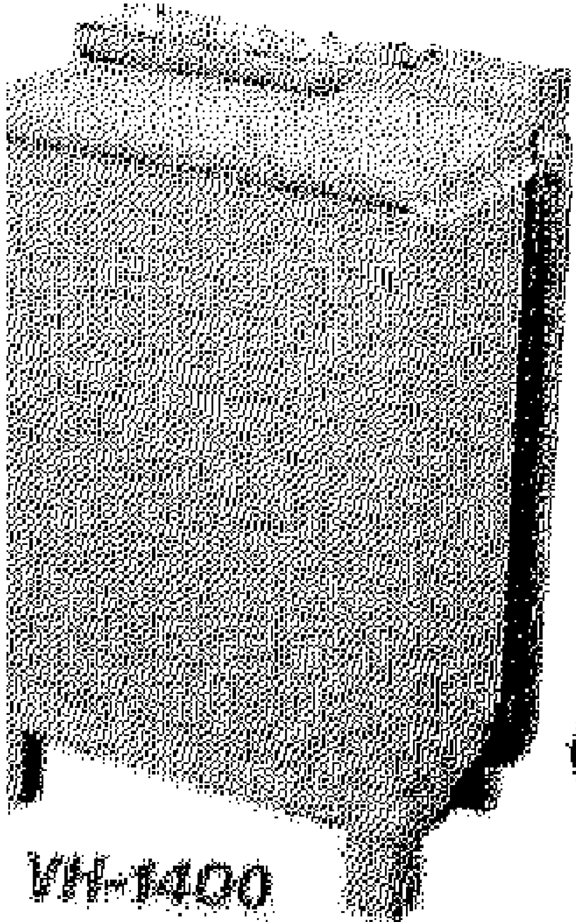
براد توشيبا GR-333ESV ـ هو نموذج آخر عن تفكير توشيبا الخلاق في حقل الادوات المنزلية.

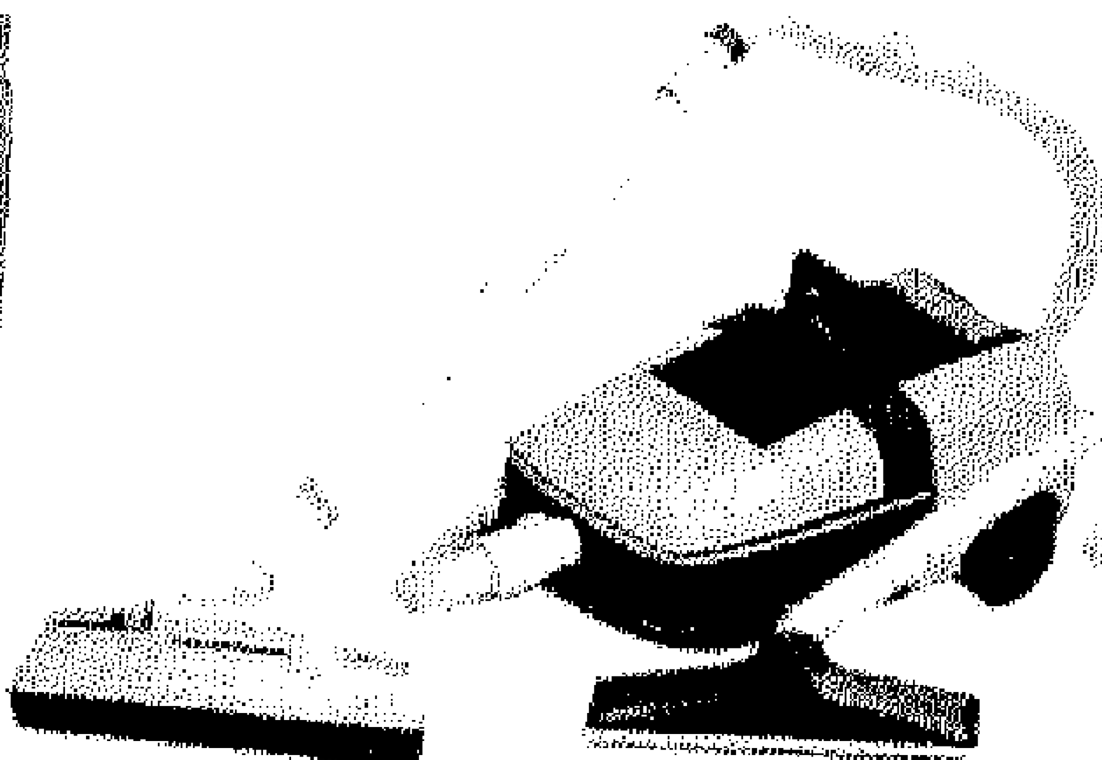


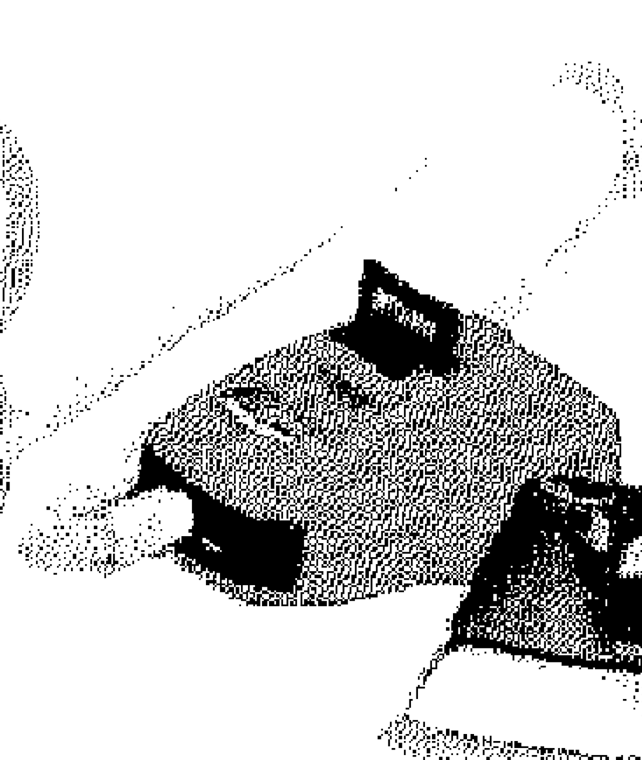


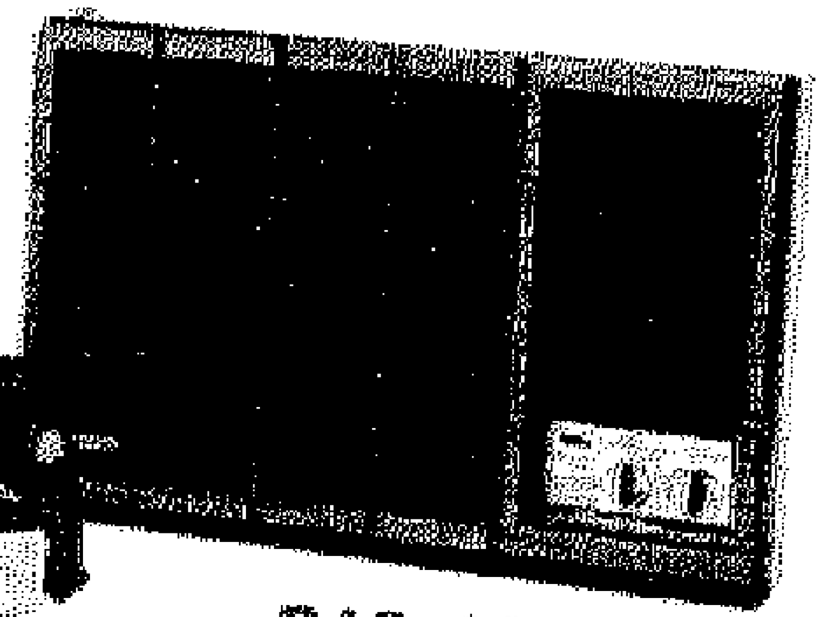
-40C

تذويب اوتوماتيكي كامل مع جهاز لتصريف المياه







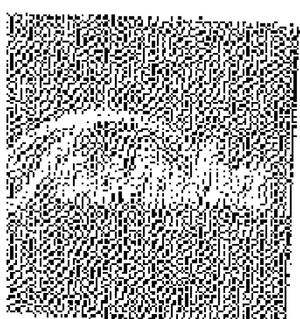


VH-1400
● غسالة كبيرة جديدة

VC-1010EJ/810E
● طاقة قصوى ١٢٠٠ واط

TA-1000AV
● مكواة متينة

RAC-46JE
● ضاغط دوار صامت
● ١٨٠٠٠ وحدة حرارية



TOSHIBA | توشيبا

TOKYO, JAPAN

وإذ ذاك حاول طريقة اخرى بتوجيد أنظاره الى أسفل الورم. هناك وجد اعصاب الجمجمة التاسع والعاشر والحادي عشر ولاحظ النقاط التي تتداخل عندها مع الورم ووخز سطح الورم بحذر، فانزاح الغشاء ومعه الاعصاب. وبدا واضحاً أن الورم متشبث بمكانه.

وتابع الدكتور لونغ عمله بالمقدار نفسه من الدقة والحذر، وأخيراً أخذ الورم ينقشر.

في تلك الاثناء لاحظ طبيب التخدير شيئاً تجمدت له أوصاله، وهو أن قلب المريض بات يعمل ببطء. فما كان من لونغ إلا أن أوقف عمل آلاته ثم رفعها من مكانها. ونظر الى الساعة فإذا هي السادسة مساء إلا دقيقة واحدة.

وتبين له أن ذلك الورم محكم الاتصال بكل شيء حوله، وانه أكبر عصب سمعي رآه في حياته. واتخذ قراراً سريعاً بأن يوقف محاولته لذلك اليوم وينسحب بينما المريض ما زال على قيد الحياة.

ورفع المجهر من مكانه وسلطت الانوار القوية على المريض. وتقدم الدكتور موراي ليرى الجرح. وأدرك الدكتور لونغ أن ذلك لن يروق جو تروت... إلا أنه الخيار الوحيد المعقول.

السناجب والأمل

في مكان آخر كان الطقس دافئاً والشمس تشرق على الزوارق الشراعية فوق شاطىء البحر الكاريبي الأزرق. ولو كان توم داكر هناك لركب قاربه وانطلق به عبر الماء... إلا ان توم داكر لم يكن هناك، بل كان جالساً الى طاولة في الطبقة الثانية عشرة من مستشفى جامعة ماريلاند.

كان الوقت منتصف الصباح وقد انهى تفقد مرضاه. ودفع كرسيه الى الوراء ثم تردّد اذ تذكر البرد الذي ينتظره في علبة الجليد الكبيرة، حيث الحرارة خمس درجات مئوية. ونهض الجرّاح بعدما أدرك ان التأجيل لن يجدي.

قليلون هم الاطباء الذين يجرون جراحات ضمن ثلاجة. لذلك لم تكن هناك عدة مناسبة لذلك الضرب من الجراحة، كالقفازات المقاومة للصقيع مثلا. وفي عملياته الاولى هناك كادت اصابع داكر ان تتجمد من شدة الصقيع.

وكان عمل داكر في ذلك النوع من الجراحة تتمة لما انجزه الدكتور لويد غوث وزملاؤه في كلية الطب التابعة للجامعة. وقد تبين لهم ان السناجب النائمة شتاء تنمو شعيراتها العصبية، خلال السبات، في النخاع الشوكي المعطوب.

وليس من الأكيد ان تسفر هذه الأبحاث عن نتائج ضاعقة. اما اذا استعاد سنجاب تعطل نخاعه الشوكي قدرته على المشي، فلا شك ان هذا يسجل تقدماً هائلا في جراحة الأعصاب بعد تطبيق الطريقة نفسها على الانسان.

وفي غرفة اختبارية قريبة من باب الثلاجة خلع داكر ثيابه العادية ولبس سروالا داخلياً طويلا وكنزة صوف، ثم وضع فوقها رداء معقماً وأدخل قدميه في حذاء دافىء طويل.

وكان في احد اطراف الغرفة المبرّدة رفوف وضع على كل منها قفص شفاف يحوي سنجاباً مُسْبتاً. وجلس داكر في كرسي الى طاولة جراحية صغيرة وجهز المجهر. وودّ لو كان الفصل ربيعاً لكي يبحر.

لا بد لكل جراح اعصاب من ان يدركَ في مطلع حياته العملية اهمية تمضية العطل بعيداً عن اجواء عمله. وما لم يتسن له هذا الأمر في وقته الطبيعي، فهو قد يحس حاجة اليه خلال الجراحة.

اما دونلين لونغ فكانت له حديقته في جونز هوبكنز، وهي اغدقت عليه سلاماً كثيراً. واما مايكل سالكمن فكان يكتب الشعر في اوقات فراغه ويزور المتاحف والمعارض الفنية برفقة زوجته. ومن ناحيته، وجد توم داكر اشباع هواياته في الابحار.



الدكتور دونلين لونغ.

وبعدما ركز المجهر في مكانه الصحيح تناول مبضعاً.

كان داكر قبل وقت طويل اشترك في سباق الزوارق. اما اليوم فهو لا يحتاج الى جوائز، اذ وجد تعويضاً لذلك في الشفاء الذي قد يتمكن من اهدائه الى جوش والسناجب.

الا انه كان في امس الحاجة الى الابحار، ونحن ما نزال في مارس (آذار).

تسخين الدماغ

لم يدع جراحو الاعصاب طريقة الا جرّبوها لمعالجة السرطان الجذعي الدبقي المتعدد الاشكال (★). غير ان معدل الوفيات الناجمة عنه بقي مئة في المئة. ولم يكن المرض يُكتشَف معظم الأحيان الا في مراحله المتطورة. وكان المريض يدخل المستشفى وقد ضغط الورم على جمجمته وفقد الكثير من وعيه او نظره او اصيب بنوبات صداع قوية.

وكان في الجراحة الهادفة الى ازالة الورم المنظور راحة للمريض، وان الى حين ولا يلبث الورم ان يملأ مكانه مرة اخرى متيحاً للمريض ان يعمر ستة اشهر فقط بعد الجراحة الاولى.

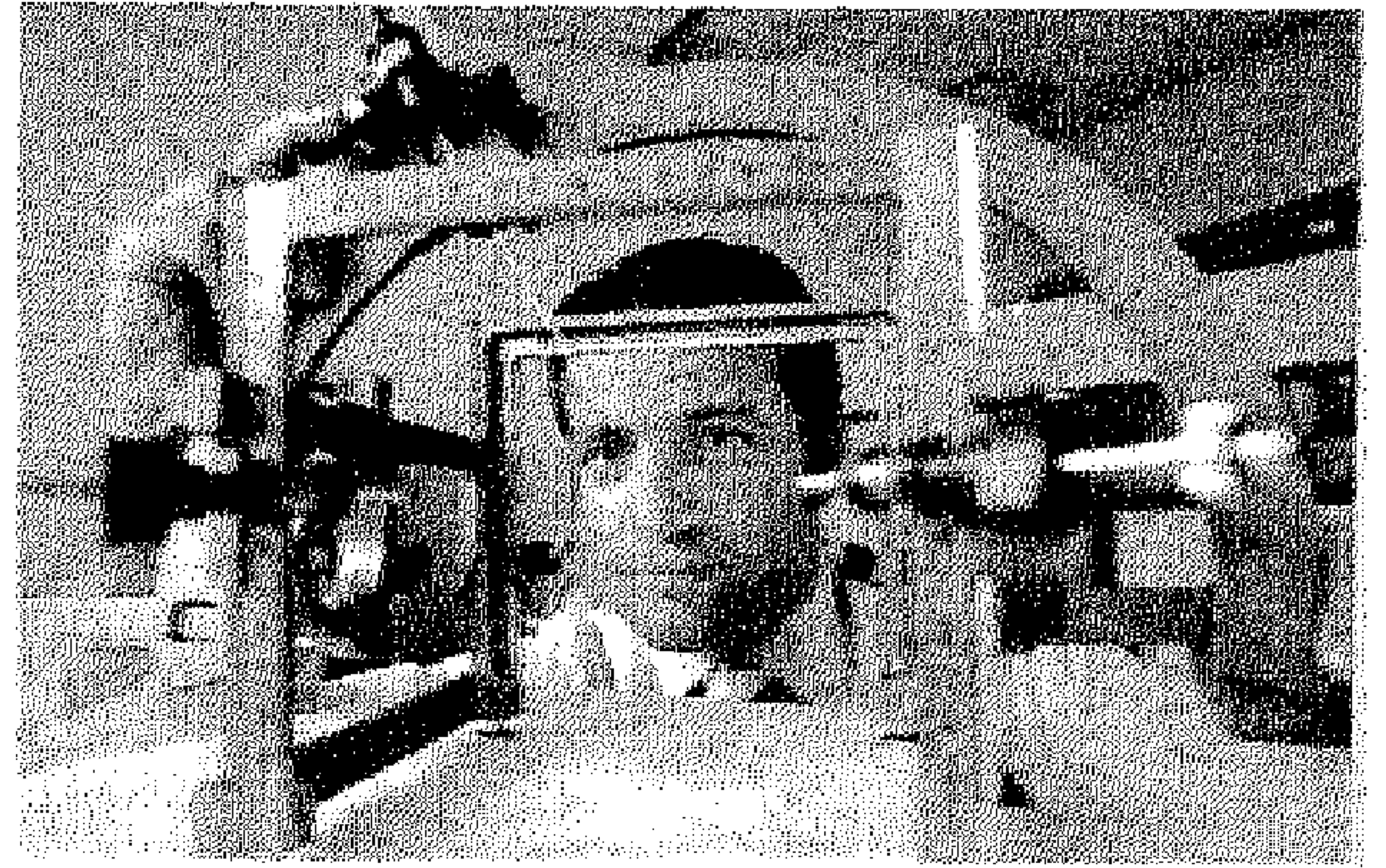
وقد حاول العديد من الاطباء التصدي لذلك الأمر. ومن اهم الجهود في هذا النطاق ما بذله برنامج بالتيمور لابحاث السرطان في مستشفى جامعة ماريلاند، بتمويل المعهد الوطني للسرطان. ولجأ المستشفى الى جميع الطرائق المعروفة لمعالجة سرطان الدماغ، ولكن من غير تسجيل تحسن ملحوظ.

وذلك اقلق توم داكر كثيراً. وتولدت لديه قناعة بأن احداً يجب ان يعين اولئك المرضى. وكانت النتيجة ان اصبح معاونه، الدكتور مايكل

(★) Glioblastoma multiforme

سالكمن، خبيراً في سرطان الدماغ. وتعهد سالكمن ان يبذل ما في وسعه. غير انه كان يرى المرضى يموتون امامه.

الا ان املا جديداً نشأ لديه. ففي حين اعتمد الجراحون العين المجردة وآلة الامتصاص لرفع النسيج المصاب، كان سالكمن من الاطباء الأوائل الذين استخدموا اشعة الليزر لتبخير الورم، بمساعدة مجهر. والليزر يمكن الطبيب من العمل على



الدكتور مايكل سالكمن.

الدماغ من غير ان يمسه، ومن تكرار عمله.

وعلى رغم ان الطريقة الجديدة لم تؤمن للدكتور سالكمن ابراء المصابين بهذا النوع من السرطان، الا انه بات مقتنعاً بانه متجه في الطريق الصحيح. واذا استطاع اطالة اجل المريض سنة، فلماذا لا يطيله ١٨ شهرا، او سنتين، او...؟

في تلك الاثناء كان المهندس البيولوجي جورج سماراس يدرس السرطان في مستشفى ماريلاند، من ناحية تأثر الاورام بالحرارة، علماً ان الخلايا السرطانية تغدو اكثر تقبلا للعقاقير مع ارتفاع حرارتها. وهناك مرضى شفوا تلقائياً[١] بعد اصابتهم بحمى مرتفعة.

وكان سماراس منشغلا في صناعة قضبان حرارية تعمل على الموجات القصيرة لتسخين الأنسجة. والورم الأكثر طواعية للتسخين من ناحية نظرية هو ذو الشكل الدائري، على غرار معظم السرطانات الجذعية الدبقية التي تضرب الدماغ.

وبحث سماراس نظريته مع سالكمن، عله يتيح له اختبار آلته على دماغ مريض. ووافق المعهد الوطني للأمراض العصبية على تمويل الاختبار. لكن الفحوص الأولية التي اجراها العالمان بينت ان الموجات الكهرطيسية القصيرة لا يمكن ان تسخن داخل الدماغ ما لم تكن من القوة بحيث تسفع فروة الرأس وتحرق الجمجمة. وربما كان افضل ادخال القضيب الرأس ليمس الثقب الذي بقي مكان الورم المستأصل. الا ان ذلك طرح مشكلة اخرى: ماذا يحدث اذا لم يسخن القضيب كفاية؟ او ماذا يحدث ان هو سخن فوق ما يلزم؟

ولا بد من مراعاة منتهى الدقة في صنع المولد الحراري الذي يضبط سخونة القضيب. ولكن لم يبقَ من المنحة ما يكفي من المال لانجاز تلك الآلة. لذلك صُنع المولد الأول محلياً من الاسلاك والسبائك والأجزاء المنقاة والمستعارة من هنا وهناك، واستغرق انجازه ساعات عدة.

وأثار استعماله للمرة الاولى ضجة كبيرة في الاوساط العلمية والصحف.

وما لبثت المكالمات الهاتفية ان انهالت على الدكتور سالكمن من انحاء الولايات المتحدة.

برج الجدي

من الذين قرأوا عن آلة الدكتور سالكمن السيدة جين ماسترو ستيفانو من بنسلفانيا. وكان زوجها طوني اصيب بسرطان جذعي دبقي في الدماغ بعد ثلاثين سنة من زواجهما، واتصلت بسكرتيرة الدكتور سالكمن، لكنها لم تجد تشجيعاً كبيراً بادىء الأمر. فالمشروع ما زال في مرحلته التجريبية. لكن ذلك لم يسلب جين الأمل، فأرسلت نسخة من سجل زوجها الطبي الى سالكمن ليقرر ما اذا كان من الملائم اخضاعه لذلك الاختبار.

وانقضت اشهر قبل ان تتلقى جين رداً ايجابياً، ولكن مشروطاً. فقد وافق الدكتور سالكمن على فحص طوني، وبنتيجة الفحص سيقرر اجراء الاختبار او عدمه.

وكان جورج سماراس سُرّ للنتائج الأولية لآلته. الا ان الشكوك اخذت تراوده بعد اجراء ثلاث جراحات. واوضح ان تلك الآلة هي الاولى من نوعها، وان فاعليتها لا بد من ان تخفق قبل وقت طويل. وهو سيكون حاضراً لاصلاح الخلل. ولكن ينبغي ان يبتكر آلة اخرى يسهل استخدامها على يد شخص ليس مهندساً.

وظل سماراس ومجموعة المهندسين العاملة في اشرافه يجتمعون يومياً لتدارس المشكلات المحتملة وابتكار حلول لها. وبنى سماراس خطته بحيث ينفذها عبر اربعة ادمغة الكترونية: واحد لتشغيل الآلة نفسها، وآخر لمراقبة الحرارة على الدوام، وثالث لضبط عمل الدماغين الاولين باستمرار، والرابع، وهو الاهم، لمراقبة كل شاردة وواردة نحو الف مرة في الثانية الواحدة وعرض اشارة فورية الى الخلل.

وسميت الآلة "كابريكورن" (برج الجدي) تيمناً بالبرج المقابل للسرطان في الفلك.

وبعد انقضاء تسعة اشهر على استخدام آلة سماراس في جراحات ثلاث، تلقت جين ماسترو ستيفانو مخابرة من سكرتيرة سالكمن تقول لها ان الآلة جاهزة.

اخفاق وظيفي

لم يبدأ صباح اليوم المخصص بالجراحة كما اشتهى الدكتور سالكمن. وكان عقد النية على احراق جزء من الورم في دماغ ماسترو ستيفانو بواسطة الليزر. غير ان آلة الليزر تعطلت. لذلك لم يكن سالكمن في احسن حالاته وهو يعبر غرفة العمليات الى حيث يجلس سماراس امام آلته.

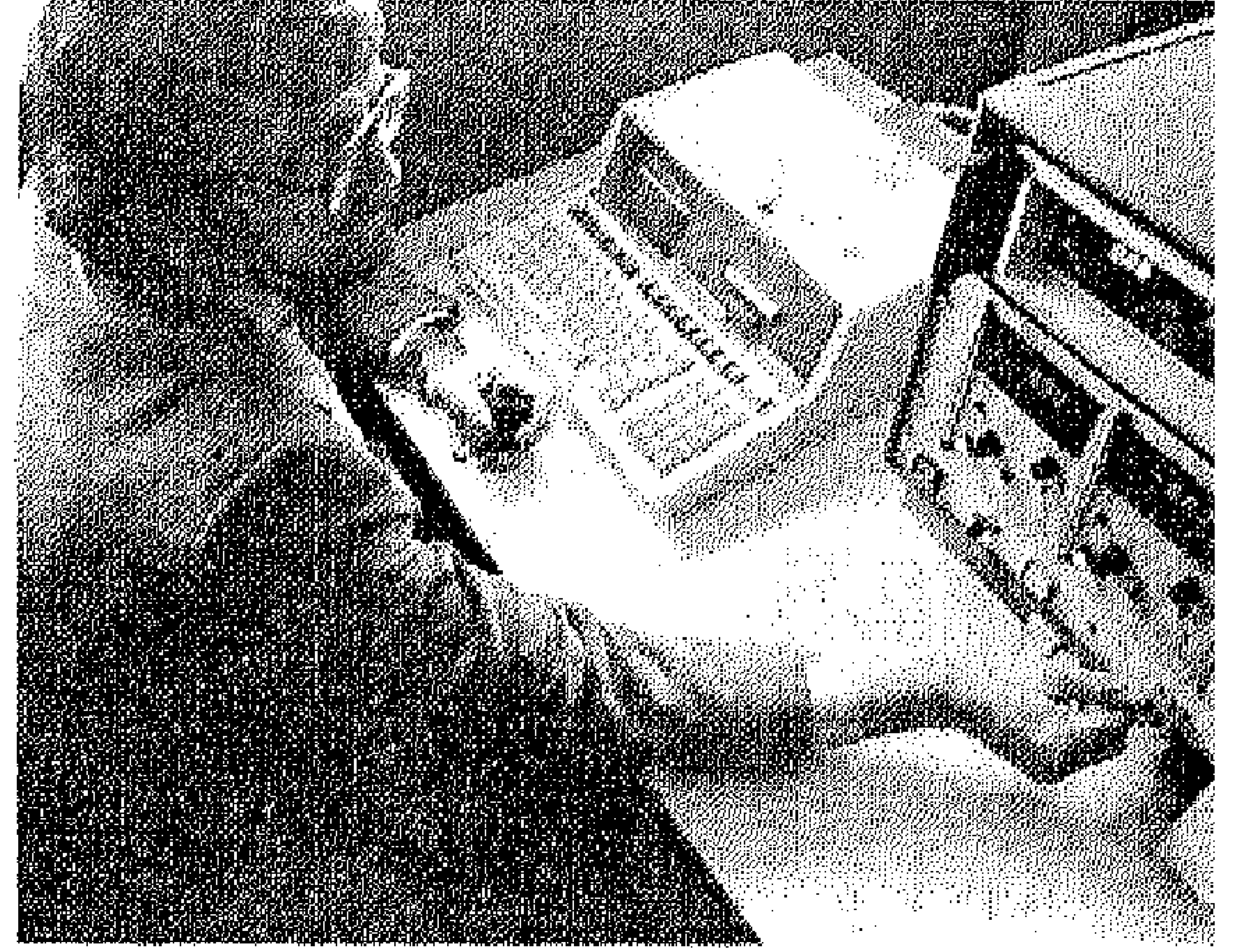
ولما سأله عن "برج الجدي" نظر سماراس الى الآلة وابتسم. وقال للطبيب انه سيختبرها قبل بدء الجراحة. وضغط الزر الرئيسي، فظهرت كلمات على الشاشة جعلت المهندس البيولوجي ينظر كمن لا يصدق عينيه. وشك اولا في ان تكون الآلة وصلت بالكهرباء عبر الجدار. ولكن كيف تظهر الاحرف المضيئة على الشاشة من غير كهرباء؟ اذاً، ثمة

خطأ في الآلة. وسأله الجراح: "ايمكنك اصلاح هذا الخطأ؟"

فأجاب: "لا ادري. اعطني نصف ساعة." وجرّ الآلة على عربة الى غرفة الخزن ليدرس الخلل الذي اصابها.

وسار الدكتور سالكمن نحو لوحة التصوير بالأشعة، وقال من غير ان يخاطب احداً بالذات: "اظن اني على وشك ان اتقيأ احشائي."

في الثامنة والنصف صباحاً جهز



Don Carstens

المهندس البيولوجي جورج سماراس وجهازه المبتكر.

المريض للجراحة. وسدل سالكمن قناعاً جراحياً على انفه وفمه وعاد الى غرفة العمليات. وقال لفريقه الطبي: "اذا لم تُصلَح الآلة، فسنولج القضيب المحمى في اي حال." وما هي الا دقائق حتى برز سماراس من الباب واعلن: "الآلة تعمل حسناً يا مايكل." ونظر سالكمن ملياً الى رأس المريض وقال: "الدماغ البشري يمكن الاعتماد عليه اكثر كثيراً من الدماغ الالكتروني. وهو على مقدار اعظم من الكفاية."

وفي تمام الثامنة والدقيقة الاربعين اعمل المعاون الرئيسي مبضعه في فروة رأس ماسترو ستيفانو. وعلى الفور سال الدم غزيراً، فتقدم معاون آخر وفي يده كلاب ذو قطبين. وكان احد جراحي الاعصاب شق تلك الجمجمة عينها قبل خمسة اشهر وازال كل ما يمكن ازالته من ورم بواسطة الليزر. الا ان الورم تكوّن من جديد، وعلى نحو اكثر انتشاراً.

فتح المعاون فروة الرأس وغشاء الدماغ وراح يزيل كتل الورم بالكلاّب وماسورة الامتصاص. ولدى ظهور النسيج الطبيعي تقدم المعاون الرئيسي ليأخذ دوره. وأزال المزيد من التورم وهو يعمل بدقة لئلا يقتلع شيئاً من المادة البيضاء المتوهجة التي يتميز بها النسيج الطبيعي في هذه المنطقة من الدماغ.

لكن الدكتور سالكمن هو الذي رأى الأنسجة البيضاء تلتمع في مكانها. وقال لمعاونه: "توقّف." وعلّق العمل فيما راح سالكمن يغلف المجهر في كيس بلاستيك معقّم بمساعدة ممرضة التعقيم والمعاون الرديف.

التمام والكمال

قبل دقائق من انتصاف النهار كانت آلة "برج الجدي" جاهزة. وتوخى سماراس وثلاثة من معاونيه الاشراف على اجزائها المختلفة بدقة بالغة.

من ناحيته، وقف سالكمن ينظر عبر

المجهر الى بقعة ورم صغيرة باقية. ولما كانت ملتصقة بعصب الحركة، فقد خشي الجرّاح ان يمسها. فما معنى ان يعيش المريض ايامه الاخيرة كسيحاً؟ لكن سالكمن وضع امله في العلاج الحراري. وقال: "سنقحم القضيب في تلفيفة الدماغ العليا." ورفع القضيب ليرى معاونوه انه رُقم بالسنتيمتر. وبعد وضعه فوق النقطة المطلوبة في الدماغ، قال انه ينبغي ادخاله ستة سنتيمترات.

وعلى بعد امتار ادار جورج سماراس آلته. غير ان الأحرف اضاءت من جديد على لوحة الأخطاء. وتحلق المهندسون حولها يتهامسون.

وانضم سالكمن اليهم لبضع دقائق، ثم تنهد وادار ظهره وابتعد... حَسْبه انه انجز الجزء المتعلق به من العملية. وهذا يتيح للمريض ان يعيش سنة اخرى خالية من المشاكل.

وراح المعاونون يرتقون الغشاء بتؤدة تاركين فجوة لايلاج القضيب. ثم استخدم المعاون الرئيسي آلة كهربائية صغيرة ليحدث ثقباً في نسيج الجمجمة وآخر مقابلا له في فروة الرأس، بحيث باتت الثقوب الثلاثة مفتوحة بعضها تجاه بعض. وأدخل سالكمن القضيب عبرها بسهولة، وانزله ستة سنتيمترات في الدماغ. وانسحب سالكمن تاركاً مكانه للمعاون الرئيسي.

في تلك الأثناء كان الفريق الهندسي يعمل بغير طائل على آلته. واخيراً قال معاون سماراس الرئيسي بغضب: "لا بد من ان تكون كهرباء غرفة العمليات هي السبب، ولا شيء سواها." واذ ذاك احضر شريط اضافي مدّه سماراس الى غرفة التعقيم المجاورة وادار الآلة. فاذا بها تعمل بالتمام والكمال.

وقال سماراس بصوت مرتفع: "اود ان اعلن انه لا عطل البتة في آلتي. والخلل من كهرباء غرفة العمليات."

وبعد دقائق سرت الحرارة في اجزاء الآلة وفي القضيب الموصول بدماغ المريض، وارتفعت بسرعة الى ٤٣ درجة مئوية وبقيت هكذا. واستغرقت جولة العلاج الاولى ربع ساعة.

الجزء السهل

ما زال الورم متمكناً من دماغ الطالب جو تروت. وكانت الجراحة الاولى أجريت له في الربيع على نحو ناقص. وتوقع جو أن يستأنف دراسته في الخريف. الا أنه أمضى فصل الصيف مع الآلام والغثيان والهذيان. وأخضع لفحوص كثيرة ظلّ الدكتور موراي خلالها على اتصال بالدكتور لونغ. وعبر الاثنان عن قلقهما لحال الشاب.

وكان الورم ينمو بجنون حتى غدا حجمه أضخم من المعتاد وأخذ ينتأ من ثقب ترك مفتوحاً في مؤخر جمجمة جو. ومع الوقت بلغ النتوء حجم بيضة إوزة. ولم يجد الطبيبان بداً من اجراء جراحة جديدة.

كانت الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة صباحاً. ولاحظ اختصاصي التخدير بدء أعراض اللاوعي، واستعدّ كل من أعضاء الفريق الطبي لتأدية مهمته. وانطلق بعضهم يجهز

إلى الأمام نحو خمسين عاماً أخرى من الإنجازات

نيسان

NISSAN

لقد اخترنا أن نكون في المقدمة

خير رفيق لكل طريق

ملزم "مايفيلد". وهذا جهاز متدل مصنوع من صفيح ذي مفاصل ومجموعة كماشات. وبعد حلاقة رأس جو رفع قليلا وأحني عنقه وأمسك بشدة فيما باشر الملزم عمله عبر فروة رأسه.

ودخل الدكتور دونلين لونغ الغرفة والفريق على وشك انهاء الاستعدادات الاولية. وظهر في قفا عنق المريض نتوء أقلق الطبيب: أيكون ورماً أم انتفاخاً في المخيخ أم محض سائل تحت الضغط؟ وتمنى لونغ ألا يكون ذلك النتوء أكثر من سائل مضغوط.

ولم يراوده أي شك في كون الورم ملتصقاً بكل شريان وعصب في الحفرة الخلفية، فضلا عن جذع الدماغ الذي يحوي سر البقاء. وتكفي ازاحة ذلك الجذع قليلا من مكانه أو عطب أصغر شريان يؤدي اليه لاحداث انفصال مريع بين دماغ جو ووعيه. فهو لن يصحو بعد ذلك الوقت، وان عمر أطول ما يمكن.

وقال لونغ لمعاونيه: "جهزوا الكافيترون، فاننا لن نلبث أن نحتاج اليه." والجهاز المذكور شبيه بالليزر، بمعنى أن غاية الاثنين ازاحة النسيج الرقيق. غير ان طريقة هذا تختلف عن طريقة ذاك. ويتكون جهاز "كافيترون" من مقبض جراحي موصول بسلك تسقية وامتصاص يصله بآلة ضابطة. ويشبه المقبض قلماً طويلا منتفخاً. وفي رأسه انبوب يهتز بسرعة تتجاوز سرعة الصوت وتؤدي حركته الى تفتيت نسيج الورم. ويأتي رشاش الماء المعقم لازالة المادة المفتتة، ويليه الامتصاص للذهاب بالماء والاثفال جميعاً.

في التاسعة والدقيقة الثامنة والاربعين صباحاً وقف لونغ ومعاونه ينظران الى النتوء الكبير في مؤخر عنق جو. وأخيراً لمس لونغ النتوء بيده، ثمّ تراجع فيما أعمل المعاون مبضعه في النتوء.

وسرعان ما تبين لهما صعوبة التعرف على حقيقة الاشياء. فأغشية العنق وعضلاته نمت من جديد واختلطت بالانسجة التي تغطي الجرح القديم. ولم يكن هناك شيء يشبه ما تحويه كتب التشريح من رسوم. وهذا خطر ملازم لكل جراحة مكررة.

وانشقّ اللحم الذي يغطي النتوء بسهولة. ومدّ لونغ يده المغلفة بقفاز ووضع اصبعاً في الغشاء تحت الورم. ووجده مرناً مثل بالون مليء ماء.

وسأل لونغ: "اهناك أي تبدل في حال المريض؟"

وتفحص طبيب التخدير آلاته، فوجد ان خفقات القلب ثابتة على ٧٥ في الدقيقة، وان ضغط الدم محافظ على وضعه الطبيعي. وقال للجراح: "ليس من تبدل على الاطلاق."

ثقب لونغ الغشاء بمحقنة ثم أفرغ محتوياتها بتؤدة. وما أن دخل ذلك السائل الغائم الغشاء حتى خفّ ضغطه وأخذ يتدلى تدريجاً الى أن ارتخى تماماً في العاشرة والدقيقة الرابعة. وتنفس لونغ الصعداء بعدما زالت احدى العقبات من طريقه.

بعد ذلك طلب لونغ من معاونيه أن يعطوه مبضع التشريح المجهري. وأخذ ينظر عبر العدسة الى نقطة

يمكن تحديدها في رأس المريض، مثل عصب الجمجمة الخامس المسؤول عن وظائف الوجه، الا أن لونغ بقي يحدق دقائق من غير أن يعثر على ذلك العصب، وربما كان مخبوءاً داخل الورم.

وتراجع لونغ قليلا وركز انتباهه على الخط الفاصل بين الورم وغشاء الدماغ، وحين وجد أن الورم متشبث بقوة هناك خشي أن يهزه يميناً أو يساراً.

واذ ذاك قال: "لنبدل طريقتنا ونحاول العمل على مستوى أعمق." لكنه ما لبث أن أدرك أن ثمة طريقةواحدة ممكنة وهي حفر الورم نفسه، وراح لونغ يتلمس طريقه بحذر وهو يضع ماسورة الامتصاص تارة هنا وتارة هناك، علها تقع على ثقب في ذلك الغشاء الاصفر البراق، علماً ان أغشية الاعصاب بيضاء وهي أكثر نعومة من نسيج الورم.

بعد دقائق ظهر مقدار ضئيل من البياض، وسحب لونغ الآلات مليمتراً او نحوه ثم وضعها من جديد داخل النتوء وهو يقدر أنه لامس العصب الخامس الذي يُمدّ الوجه بالحسّ. واذا كان ذلك العصب داخل الورم، فطبيعي أن يكون السادس هناك ايضاً، كذلك الثالث والرابع، وهذا يعني أن يومه سيكون طويلا جداً.

وكان لونغ وهو يزيل أجزاء الورم بماسورة الامتصاص يقع على شرايين وأوردة صغيرة هنا وهناك، فيحرقها أحياناً قبل أن تنفجر، لكنها تنبجس أحياناً اخرى وينفر منها الدم.

وأخيراً وصل الى العصب السابع وحرفه جانباً ووسده بالقطن، وتفحص الدكتور لونغ الورم تحت المجهر، ثم تنفس عميقاً وقال: "حسناً، أعطوني آلة كافيترون ولنغامر مهما كلف الأمر."

كان رأس الآلة الاسود يتحرك بسرعة قصوى تحت المجهر بحيث لا تراه العين الا ثابتاً، وبعد قليل اتجهت الآلة نحو جدار الورم فلامسته واستأنفت حركتها مخلفة خندقاً، وانقضت ساعة على هذا المنوال وجد الجراح بعدها عصباً آخر نحاه جانباً ليجد سواه، وأعاد الكرة.

أخذ الثقب يغور في اتجاه العمق الكالح للشريان القاعدي وجذع الدماغ، وما لبث لونغ ان رأى جدار الورم وحجاب النسيج الذي راح يرتفع وينخفض مع آلة قياس عمل القلب، وشاهد ما كان يخشاه، وهو الغشاء ملتصقاً جزئياً بالشريان القاعدي، وقال من غير أن يخاطب أحداً: "ربما استأصلنا سبعين أو ثمانين في المئة من الورم حتى الآن، وهذا هو الجزء البسيط من العمل!"

شبه معجزة

حول الدكتور لونغ انتباههالى البصلة الوداجية التي تقود الى الوريد الوداجي، وكان بعض الورم متصلا بذلك الموضع ودرس خياراته قليلا ثم قرر أن يدع تلك البصلة حتى النهاية، واذا شقت البصلة خطأ، فربما أمكنه انقاذ الموقف عبر تطويقها بمادة ليفية تخثر الدم، لكنّ ذلك يحتم عليه انهاء الجراحة فوراً، لذلك ارتأى ترك البصلة الوداجية حتى النهاية

والعودة الى الاجزاء الاخرى من الورم. ووقف ينظر الى الشريان القاعدي وهو يتمنى ألا يواجه عملية مماثلة مرة اخرى.

وكانت غرفة الجراحة باردة جداً. الا أن حبيبات العرق ظهرت على جبين لونغ وهو يعمل بالقرب من الشريان القاعدي. وأخذ يشق طريقه رويداً رويداً عبر غشاء الورم، فيقص هنا ويتفحص هناك ويتلمس هنالك، الى أن ظهر جذع الدماغ والتمع تحت الانوار وقد اتصل به بعض من الورم.

وانقضى النهار وهو ما زال يعمل على استئصال ذلك الورم. وأخيراً تدلى الجزء الباقي منه بعيداً من الوريد الوداجي. وقال لونغ مبتهجاً: "عظيم! لقد بدأ يرتخي... يا له من يوم سعيد." وظهر بوضوح الخط الفاصل بين الورم والوريد. وفي ثلاثين دقيقة فصل النصف الاسفل من الوريد نهائياً عن الورم.

وجه لونغ المجهر نحو النصف الاعلى. وما أن أعمل فيه مبضع القص حتى انتفض جو. ورفع الطبيب الآلات حالا كما لو أصيب برعشة كهربائية وصرخ: "ما الذي حصل؟"

وأجاب اختصاصي التخدير وهو يعاجل المريض بحقنة مخدر: "لقد تحرك!"

كادت عينا لونغ تخترق زميله وهو يصرخ فيه: "لا أريد أبداً أن يتحرك مريض تحت العملية."

والحق أن هذه المسألة قديمة ومعروفة: فطبيب التخدير يستعمل أقل مقدار ممكن من البنج من أجل سلامة المريض، والجراح يطلب أن يبقى المريض بلا حراك طوال العملية.

واتجه عقربا الساعة نحو الخامسة عصراً. وهذا يعني سبع ساعات منذ بدء الجراحة. وطوال السنوات الخمس عشرة التي أمضاها لونغ جراحاً للاعصاب، اعتاد ان يتجاهل الالم في عضلاته خلال الساعات الطويلة التي يصرفها في غرفة العمليات. غير أنه في تلك الساعة أحس ألماً مبرحاً لم يستطع معه متابعة العمل. فطلب من المعاون الرئيسي أن يأخذ مكانه بعدما دله على جزء من الورم ما زال متصلا بجذع الدماغ، وألقى ثقله على كرسي وراح يدلك ذراعيه واصابعه.

ونهض بعد ست دقائق واستأنف التفحص والتملق والحز. الا أن الورم بقي متشبثاً في مكانه بعناد من غير أن يهتز الا قليلا جداً. وانقضت دقائق، ثم نصف ساعة، ثم ساعة كاملة.

وقال لونغ فجأة بصوت ملؤه الغبطة: "ها هو الورم يتحرك... انظر، أطرافه كلها بدأت تنفصل."

غير أن عملية الانفصال كانت في بدايتها. وانقضت دقائق اخرى قبل أن ترتخي البقية الباقية من الورم. واذ أخرجت من الدماغ بدت أصغر حجماً مما كانت في الداخل.

وقال لونغ وهو يبتسم: "حسناً! للمرة الاولى هذا اليوم أعتقد أن في امكاننا ابراء هذا الفتى."

وعاد من جديد ينظر عبر المجهر. وأشار عقرب الساعة الى السادسة ثم تجاوزها. وبعد تحرير جذع الدماغ من الورم ركز لونغ انتباهه على العوامل

التي من شأنها تشويه جو. فالعصب السابع مثلا ما زال يحيطه الورم من نواح. وطلب لونغ احضار آلة كافيترون من جديد بعدما قرر تحرير ذلك العصب من الورم لئلا يحرم جو بعض مباهج الحياة، ومنها الابتسام للفتيات الفاتنات.

واخيراً نظف العصب ولم يبق سوى مقدار ضئيل من الورم فوق البصلة الوداجية. وركزت عدسات المجهر على الكيس الاحمر المنتفخ. ومدت الآلات نحو الورم وباشرت عملها. وأزيل ما بقي من نسيج أصفر. وصاح لونغ مبتهجاً: "بحقّ السماء، لقد انتهينا."

ونظر في غرفة العمليات حوله، ثم تفحص الدماغ عبر المجهر. ولم يعثر على اي ذرة من ورم. وبدت أعصاب الدماغ داخل الجمجمة نظيفة تماماً، والبعض منها يلزمه أشهر كي ينمو من جديد. لكن المهم في الامر ان حياة جديدة كتبت لصاحب تلك الاعصاب، جو تروت. والحق أن ما أنجزه لونغ وفريقه الطبي ذلك اليوم كاد ان يكون معجزة، أو سمه شبه معجزة.

العودة

جرت العادة ان تنقطع العلاقة تدريجاً بين الطبيب والمريض بعد اجراء جراحة ناجحة في الرأس. الا أن جو تروت بقي على اتصال بمعظم أطبائه في المستشفى بعد انقضاء أشهر على عمليته. وأخيراً عاد الى الجامعة، وما لبثت علاماته ان ضمنت له مكاناً على لائحة الشرف.

أما طوني فقد عاد الى البيت بعد علاجه الاخير بآلة كابريكورن (برج الجدي) ليستعيد نشاطه ويستأنف السباحة في بركة جاره. وانقضى الصيف على هذا المنوال من غير أن تعاوده نوبات الصداع.

وقال لأصدقائه: "اني مصمم على قهر هذا المرض."

وكانت زوجته جين تشدده على الدوام وترافقه الى بالتيمور لمراجعة الدكتور سالكمن. وانقضت سنة على الجراحة من غير أن تعاوده الآلام. وشغل ذهنه بأمور اخرى، مثل عمله وكرة القدم وزوجته جين.

أما جوش فقد وقف الدكتور داكر ينظر اليه وهو يهز يده. وسأله الطبيب: "اسمعت بشخص يدعى دوغ ديسانس؟"

ولا شك في أن جوش سمع بنجم البيسبول الشهير في فريق "اوريول".

وراودت داكر فكرة، وهي ان يجمع جوش بذلك البطل الذي عرفه كمريض.

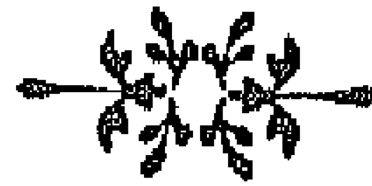
وفي الموعد المضروب ذهب جوش وذووه والدكتور داكر الى ملعب بالتيمور التذكاري. وامسك الطبيب يد جوش فيما هم يدخلون. وانتظروا دقائق في أسفل مقاعد النظارة، ثم برز دوغ ديسانس من باب غير منظور. وبادره الدكتور داكر: "يا دوغ، هذا هو جوش."

ومدّ بطل البيسبول يده مصافحاً بحرارة وهو يقول: "حسناً يا جوش! لقد عرفت ان في امكانك لعب البيسبول من جديد."

وهز جوش رأسه بهدوء.

وتابع ديسانس وهو يبتسم: "تعال يا جوش لنبحث عن كرة نلعب بها، ودعني أجمع لك بعض تواقيع الزملاء."
وفي وقت لاحق أخذ الجميع أمكنتهم المحددة، وطلب الدكتور داكر من جوش أن يريه يده اليسرى. وانتزع الصبي سترته بهدوء ورفع ردن قميصه ومدّ يده. وفحصها الطبيب وهو يركز نظره على الجرح النظيف المختوم ويضغطه ليرى ما اذا كان الفتى استعاد حسه كاملا. وأعلن داكر لوالدي جوش:"أظنّ انه سيبرأ."
في تلك الاثناء كان ديسانس يسجل انتصاره. ونهض جوش وهو يصفق ويطلق صيحات الظفر.

■ جون فرانكلين وآلان دويلب



عظيم!

ابتهج آل كامل عندما رزقوا صبياً بعد انتظار طويل. وشاؤوا أن يختاروا له أحسن الاسماء. وبعد مراجعة أسماء كثيرة واستشارة العديد من الاصدقاء والكتب والمجلات، قرّ رأيهم على تسمية المولود "عظيم".
وعاش عظيم كامل طفولة سعيدة لم يعكرها شيء سوى سخرية أترابه من اسمه. وهكذا شبّ على كره هذا الاسم الذي لم تكن له يد في اختياره. ثم تزوج وأنجب أولاداً وأسس تجارة ناجحة، لكنه ما انفك يمقت اسمه حتى النهاية. ولما تقدمت به السنّ أصابه داء عياء. وذات يوم استدعى زوجته وقال لها: "احسّ أن أجلي قريب. وعندما توافيني المنية، أرجو ألاّ يُذكر اسم "عظيم" على شاهدة ضريحي، وأن يكتفى بكامل."
ومات صاحبنا. وكانت زوجته أمينة على رغبته. لكنها رأت ان عبارة "كامل" وحدها لا تكفي، فأضافت اليها الآتي: "لقد عاش حياة زوجية طويلة من غير ان ينظر الى امرأة اخرى."
واليوم، كلما مرّ أحد بضريحه، وقف متمتماً: "عظيم!"

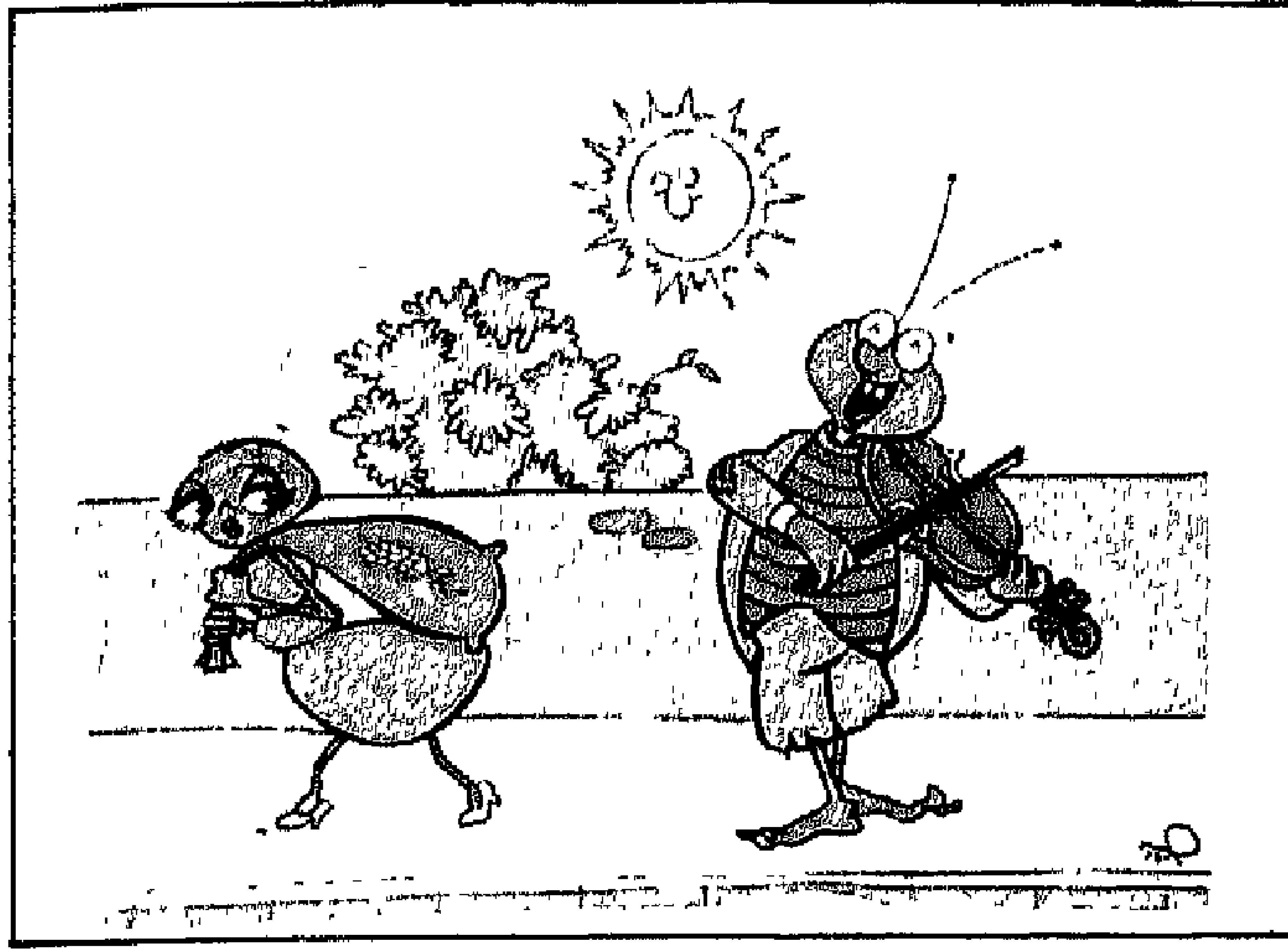
ل.غ.

...يتبعهم الغاوون!

بينما وقف المحامي يقرأ مرافعته وسط جلسة حامية، حصلت هزة أرضية ارتجت لها قاعة المحكمة. لكنّ المحامي تابع القاءه بحدة. وبعد ثوان عاد الهدوء، فنظر الى القاضي قائلا: "يبدو ان هناك أحداً يؤيد رأيي يا سيدي." فأجاب القاضي: "هذا صحيح! ألا تدري أن الزلازل تهب من تحت الارض؟"

م.ف.

الحسَد ينبع من انعدام الثقة، لا بالآخرين بل بالذات. ر.ك.



حديقة أفكار

- تمتعنا بالمرح لا يجعلنا أكثر سعادة، لكنه يعوض سعادة ليست لنا.

س.ب.

- كل طريق الى العظمة تمر بالصمت.

فردريك نيتشه

- ذو العقل الكبير يقول اموراً كثيرة بكلمات قليلة، وذو العقل الصغير يستعمل الكلمات الكثيرة ليتفوه بالتوافه.

لاروشفوكو

- العنف يلائم اولئك الذين لا شيء لديهم كي يفقدوه.

جان بول سارتر

- ان تحري الجودة هو أعظم ما يسعى اليه الانسان، سواء أكان ينحت تمثالا ام يخبز قالب حلوى.

ر.م.

- الرجاء هو الاستمتاع سلفاً بالمستقبل.

ا.ك.ب.

- ليس المهم ان يفعل المرء أموراً كثيرة، بل المهم ان يؤدي أفعاله على خير وجه.

م.ا.ب.

- معظم الناس يخشون الموت لانهم لم يحققوا أمراً خطيراً في حياتهم.

بيتر اوستينوف

- الانسان الحق هو الذي يمكنه ان يبقى طفلا وهو ينمو.

اريك كاستنر

أوّل طعام لطفلكِ



PI 309

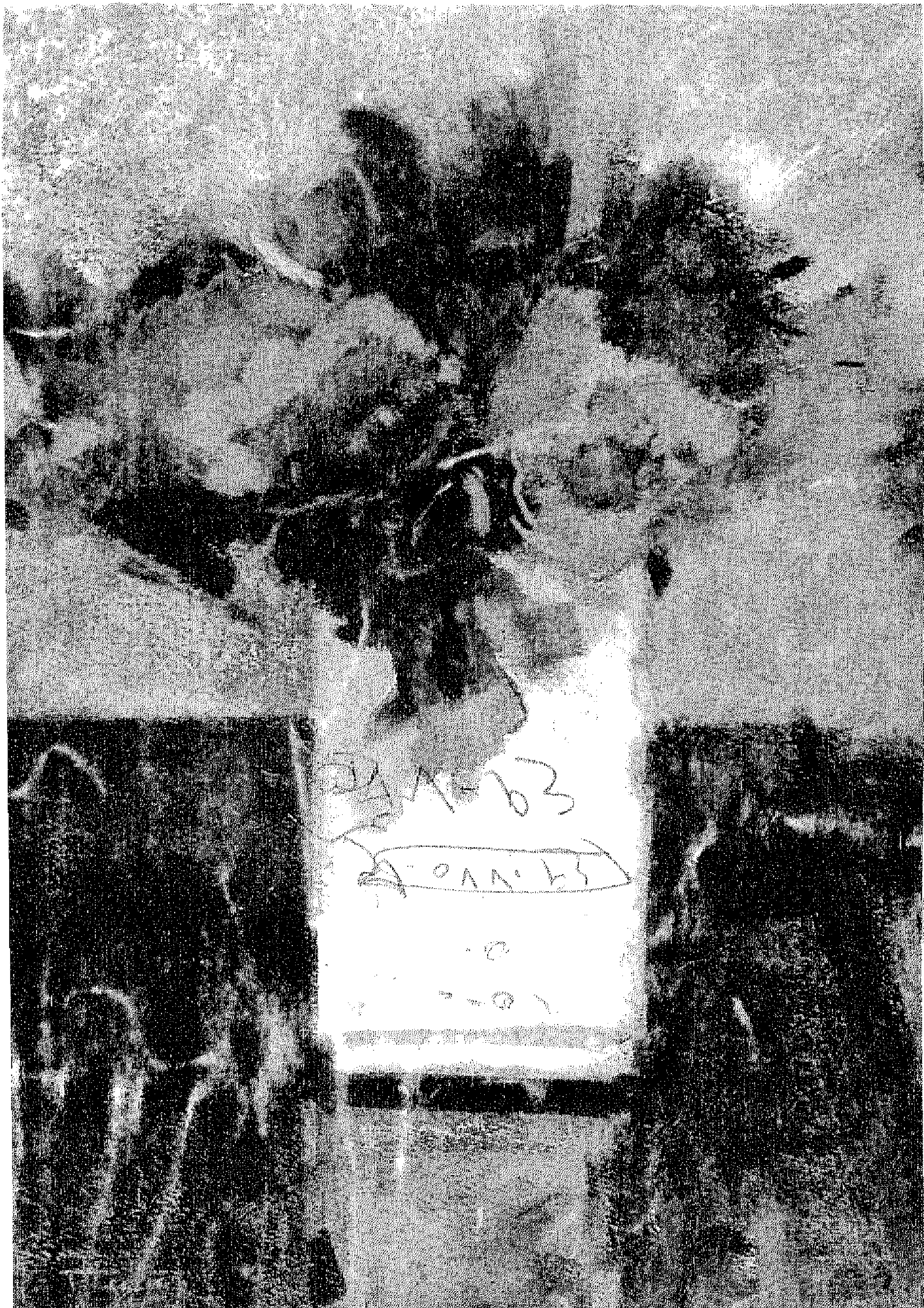
سيريلاك نستله

بالإضافة إلى الحليب ، سيريلاك يؤمّن لطفلكِ طعاماً لذيذاً ومُغذّياً

سيريلاك سريع التحضير وطفلكِ سوف يجد طعمَهُ اللذيذ .

سيريلاك تضمنه نستله





ابريل (نيسان) ١٩٨٤ - رجب ١٠٤

المختار

من ريدرز دايجست



يوم سرقت الموناليزا!

(ص ١١٣)

ماذا يريد الرجل من المرأة؟

(ص ٦٥)

الدماغ اخترعه الصينيون

(ص ١٠٤)

لبنان ٢٠٠ق - سورية ٧٠٠ق - الاردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ٥٠٠م - السودان ١ج - ليبيا ٧٠٠د - اليمن ٨ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - تونس ٦٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وأمريكا الشمالية ٢٫٥٠د

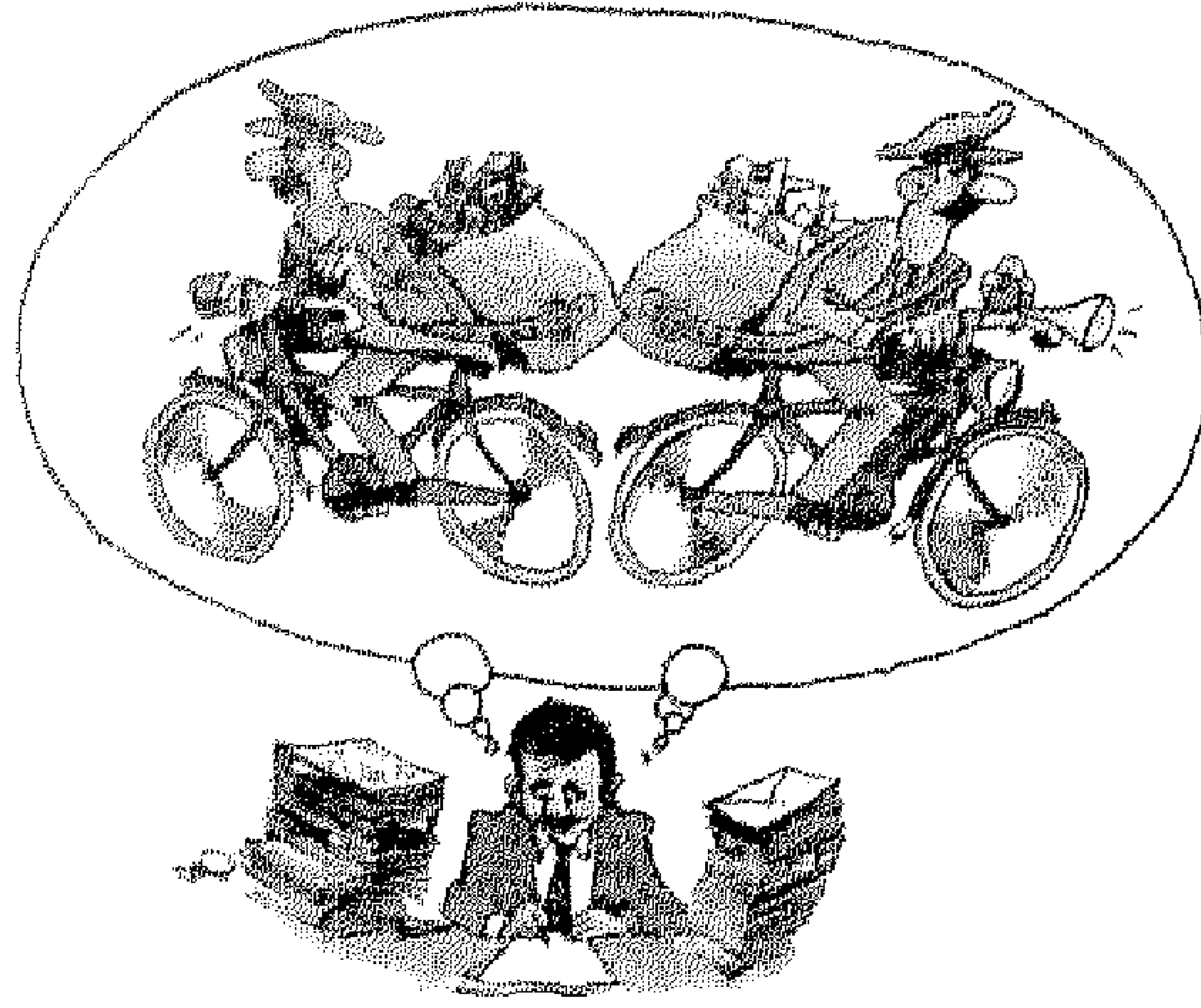
AL MUKHTAR min Reader's Digest April 84 No 65

صَبَاحَ الخَيْر!



نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب ،
تجعل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط .
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنية .
نسكافه ، قهوة .. ١ بالمئة صافية سريعة التحضير .

نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

اكتب واربح

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة، تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة من حياة مجتمعاتنا العربية. تدفع عن القصة الواحدة ٥٠ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. وتستبعد في هذا الباب النكات غير المهذبة. تدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية تدفع ثلاثة دولارات عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل. يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة، ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: **مجلة المختار من ريدرز دايجست - شارع المقدسي - بناية الشرتوني - ص: ب ٨٧٠٧ - بيروت - لبنان.**



المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ادمون صعب •
امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري •

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست":
رئيس التحرير: ادوار ت• طومسون • مدير التحرير: آلان دوليرو • المدير العام: جون ا• اوهارا •

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس• الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية ـ بيروت • التحرير والادارة: بناية حنا للمكاتب، الطابق السادس، شارع المقدسي ـ بيروت • ص•ب• ٨٧٠٧ ـ ١١ التلكس (الموقت) 22288 LE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت • الطباعة: سيكو، بيروت ـ لبنان• التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات •

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

الغلاف: سيدة الحديقة (زيتية للامريكي فريدريك كارل فريسكي)

AL MUKHTAR min Reader's Digest
April 84 No 65 (New Series) Vol. 6



اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة •

ليس الابطال انصاباً تناطح السحاب،
بل هم من يقول: "هذه جماعتي،
ومسؤوليتي ان اجعلها افضل..."

أبطال مِن عالم اليوم

المنقذ

كانت انجيلا فيفير تقود سيارتها لدى عودتها الى منزلها في احدى ليالي ايلول (سبتمبر) ١٩٨٣، وهي عزمت على سلوك طريق مختصرة تمر عبر جوار من السوقة قرب ميامي في فلوريدا. وفجأة برزت امامها سيارة واصطدمت بسيارتها. فدارت سيارة انجيلا ثم توقفت. وعندما حاولت الصبية ذات التسعة عشر عاماً معاودة ادارة محرك السيارة تحلق حولها جمع من ٢٠ رجلا.

فتحت انجيلا زجاج سيارتها لتطلب مساعدة احد الرجال، فسارع احدهم وانتزع سواراً من معصمها، وبينما همّ آخر بالدخول من النافذة المفتوحة مر جون آير فابطأ من سرعة شاحنته مستطلعاً الامر. فانبرى له هؤلاء صائحين: "انها بخير". لكن جون الذي يبلغ طوله ١٧٥ سنتيمتراً ويزيد وزنه على ٧٣ كيلوغراماً، قرر ان يتأكد من الشاحنة وترجل منها ثم فتح باب سيارة انجيلا، وقال بهدوء: "تعالي معي، ستكونين في امان".

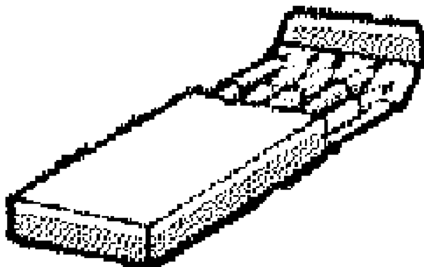
خرجت انجيلا على مهل يطوقها


UPI

جون آير















جون بذراعه، وبدأا بالمسير نحو شاحنته فيما الرجال يتبعانهما. وعندما اصبحت الفتاة ومنقذها في منتصف الطريق الى الشاحنة ضُربت انجيلا على رأسها وسرقت حقيبة يدها. فتكومت على نفسها متخوفة من الاغتصاب. وقالت في سرها: "يا الهي، لا تدعهم يعتدون علي". وحطم احدهم فك جو فتداعى لكنه ما لبث ان انتصب مجدداً.

وبينما الاثنان على هذه الحال مر بهما سائق دراجة نارية، فهاله المشهد واطلق بوق دراجته، فانكفأ المهاجمون موقتاً مما فسح لجون وآنجيلا مجال الهرب.

وعلى رغم ان انجيلا لم تصبها سوى كدمات بسيطة فان فك جون كسر واصيب جسمه برضوض وجروح.

واظهر تصرف جون عواطف سكان ميامي فعرضوا تغطية تكاليف معالجته في المستشفى. وأرسلت اليه انجيلا باقات من الزهر وعادته مرات عدة في المستشفى. كما تلقى ٣٠٠ مكالمة هاتفية على الأقل من أشخاص يثنون على بطولته، وكانت احدى هذه المكالمات من الرئيس رونالد ريغان الذي ابلغ جون ان ما قام به يعد من اكثر الاعمال جرأة وبطولة، وانه بذلك رفع معنويات الشعب الامريكي كله.

وصرح هوب، والد جون، وهو يعمل مديراً لمخزن خردوات: "تقدم الي الناس وبعضهم كان ينتحب مما أثار ارتباكي. وقد سلموني نقوداً وشيكات قائلين: "ارجوك، اعطها لجون". وتولت ادارة المستشفى تغطية النفقات التي لم يشملها التأمين الطبي. وعرض اطباء ومحامون وممرضات المساعدة.

ولدى سؤاله عما دفعه الى المخاطرة بحياته، خطّ جون آير العبارة الآتية على صحيفة بجانبه: "كنت الوحيد الذي يستطيع ان يمدّ يد العون، وكان علي ان أبذل جهدي".

■ ي.ب.

المربي

بدأ ليونيل براون يومه الاول في مدرسة بلوم في سينسيناتي بركلة



ليونيل براون

فطرد ٥٠ تلميذاً. ولاحظ المدير البالغ ٣٦ عاماً، ان التلاميذ ينساقون الى المدرسة فارغي الأكف. فطلب من استاذ كل مادة ان يعين لتلاميذه فروضاً منزلية كما الزم كل تلميذ بان يحمل كتبه الى بيته كل مساء.

وكان ليونيل ينتظر التلاميذ على باب المدرسة كل صباح ليتأكد من احضارهم كتبهم.

وللحكاية بقية. فعلى التلاميذ ان يقرأوا ويكتبوا جملا كاملة، وترسل

110 x 2.000 DM	120 x 2.000 DM	130 x 2.000 DM	140 x 2.000 DM	150 x 2.000 DM	2.000 x 2.000 DM
1.100 x 1.000 DM	1.200 x 1.000 DM	2.300 x 1.000 DM	2.400 x 1.000 DM	2.500 x 1.000 DM	10.000 x 1.000 DM
11.100 x 240 DM	11.200 x 360 DM	11.300 x 480 DM	12.400 x 600 DM	12.500 x 720 DM	66.000 x 720 DM
12.378 = 8.292.000 DM	12.607 = 10.058.000 DM	13.827 = 12.773.000 DM	15.047 = 15.097.000 DM	15.267 = 16.950.000 DM	78.335 = 70.770.000 DM

Start of next Lottery: October 1984

How to participate:

① You order your ticket with on the order coupon below.

② Within days you receive your ticket together with an invoice and the official drawing schedule with rules and regulations.

③ PLEASE INCLUDE PAYMENT WITH YOUR ORDER. You can also pay for your ticket after receipt of the invoice. Payment can be made by personal check,travellers check, bank transfer (add remittance bank charge) or in cash via registered air mail (cash at your own risk).

④ After each class you will receive the official winning list together with the ticket of the next class via air mail.

⑤ If your ticket has been drawn, you will immediately receive a winning notification. Your drawn ticket is eliminated from the game, therefore we will offer you a new ticket (replacement-ticket) so that you can keep on playing right up to the 6. class.

⑥ Your prize-money will be transferred to you within one week of your request by check or any other way you desire. Of course, if you hit a jackpot you can come in person to collect your prize in cash.

⑦ If you are already our customer, please do not order, because you receive the ticket automatically for the next lottery.

You can be sure you will receive fast, honest and confidential service. Now it is up to you, therefore order and mail the coupon today.

Service Worldwide

HANS HERZOG
Hans Herzog Alsterdorfer Str. 326
D-2000 Hamburg 60 W.-Germany

Lots of Luck

Your chance to win: 1:3

If coupon is missing, write for information.



I try my luck and order!

All classes (1st - 6th class) 72. Lottery, beginning April 6, 1984 to September 28, 1984

Please fill in number of tickets you want to order.

		DM	or	US$*	or	£*
	1/1 ticket	741.00	●	276.50	●	190.00
	1/2 ticket	381.00	●	142.20	●	97.70
	1/4 ticket	201.00	●	75.00	●	51.55

* US$ prices and £ prices are subject to rate of exchange.
Prices are for all 6 classes including air mail postage and winning list after each class. No additional charges. Rate of exchange: Dec. 1983

Service Worldwide

Mail coupon to

Hans Herzog
Alsterdorfer Str. 326
D-2000 Hamburg 60 W.-Germany

Please write in German ☐ English ☐

Please print in clear letters.

72/57 Mr. ☐ Mrs. ☐ Miss ☐

First Name
Last Name

Street
P. O. Box
City
Country

Do you want to become a millionaire?

You can. Now we offer this opportunity 25 times 1 MILLION DM!



NEW

2 Million DM guaranteed Super Jack Pot

400.000 tickets – 147.461 prizes
Total prize money over 133 million DM

39.603 ADDITIONAL PRIZES
A prize of DM 20.000 up to 2 million DM falls on almost every 1000. ticket number.

This is exceptional. An inheritance or business venture could never offer you such a chance! The NORTH-WEST-GERMAN-STATE-LOTTERY offers you the possibility to belong to an international group of clever participants. All prizes are quoted and paid out in German Marks (DM). This is where your advantage is. The West German Mark has been one of the strongest currencies in the world for years.
Each lottery runs over a period of 6 month, one class per month. There are 400.000 tickets with 147.461 prizes totalling over 133 Million DM. A total of 242 jackpots ranging from 100.000.– to 1 Million DM are raffled-off plus plenty of medium and smaller prizes. It is also possible that 10 prizes of 100.000.– DM will be combined into a **Super-Jackpot of 1 Million.**– determined in pre-drawings. That means that 24 prizes of 1 Million DM plus 2 guaranteed prizes of 1 Million and 2 Million each will be drawn = **26 Super Jack pots = 26 Millionaires.**
Name us another game where this is possible! The drawings are held in public and supervised by state auditors. All prizes are guaranteed by the German Government. The great thing is that nobody will find out about your winnings, because you – as a player – remain anonymous.

PRIZE-SCHEDULE

400.000 ticket numbers in the game
147.461 winning numbers

37 out of 100 numbers are winners

1. Class April-Drawings '84	2. Class May-Drawings '84	3. Class June-Drawings '84	4. Class June/July-Drawings '84	5. Class July/Aug.-Drawings '84	6. Class - Main draw Aug./Sep.-Drawings '84
1 MILLION DM main price guaranteed	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM
1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM
1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM
1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM
					1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM
					2 MILLION DM SUPER JACK POT
1 x 50.000 DM	5 x 50.000 DM	6 x 50.000 DM	7 x 50.000 DM	8 x 50.000 DM	14 x 50.000 DM
1 x 25.000 DM	2 x 25.000 DM	6 x 25.000 DM	7 x 25.000 DM	8 x 25.000 DM	14 x 25.000 DM
1 x 20.000 DM	2 x 20.000 DM	3 x 20.000 DM	7 x 20.000 DM	8 x 20.000 DM	14 x 20.000 DM

دفاتر علامات المتوسطين والراسبين الى ذويهم كل اسبوعين. وذهب ليونيل الى ابعد من ذلك فكان يدعو الأهل الى المثول امام القضاء في حال تمادي ابنائهم في التغيب عن المدرسة.

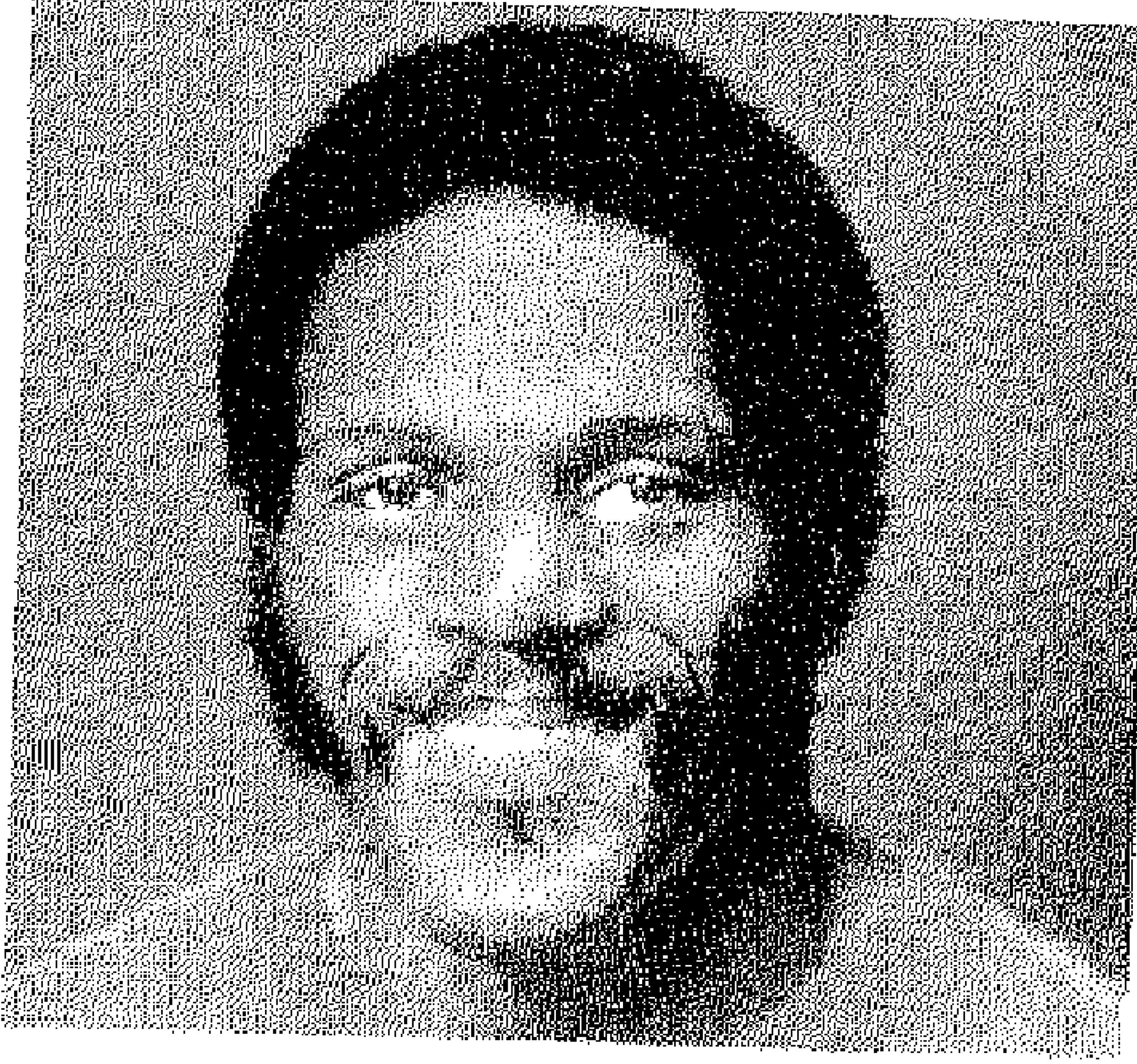
في البداية ظهرت طموحات ليونيل انها متفائلة اكثر من اللازم، فقد جاء ترتيب مدرسة بلوم في ادنى المستويات سواء من حيث النظام المدرسي او من حيث أداء التلاميذ. فكانت نسبة الحضور في المدرسة ضعيفة (نحو ٥٩٪) ونسبة المتفوقين هزيلة (قرابة ١٥ تلميذاً من اصل ٦٠٠ أدرجت اسماؤهم على لائحة الشرف). لكن في نهاية العام الدراسي (١٩٨٣) أصبح عدد المتفوقين ١٦١ وارتفعت نسبة الحضور الى ٨٨٪.

ويطمح ليونيل براون الى جعل مدرسة بلوم رائدة في ميدانها تجتذب جميع التلاميذ من المدارس الأخرى. ومع ان الطابع الاسود غالب على رواد المدرسة فان ليونيل لا يعير اهتماماً خاصاً مناسبات مثل "اسبوع السود" وهو بدل ذلك يولي اهتمامه "اسبوع الانسان". وكانت النتيجة ان التلميذ الأبيض الذي كان لدى تسلم ليونيل ادارة المدرسة وحيداً لم يعد كذلك اذ انضم اليه ٦٠ آخرون من التلاميذ البيض.

■ طوني لانغ

المضحي

في حزيران ١٩٨٣ قاد جو ديلاني نجم فريق كنساس سيتي لكرة القدم سيارته مسافة ١٦٠ كيلومتراً، منطلقاً من هاوتون الى مونرو لحضور احتفال بيوم الطفل في متنزه شينولت.



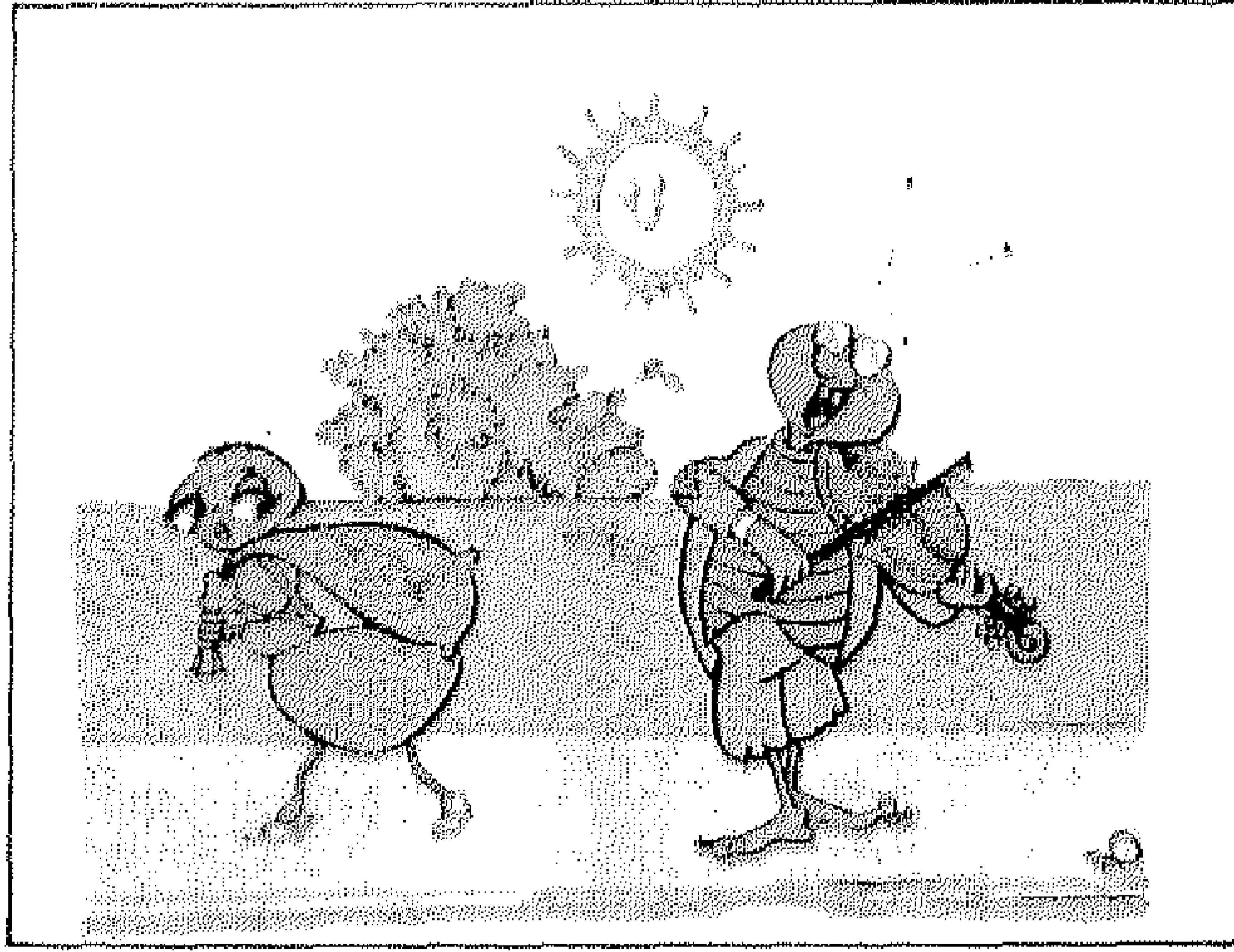
جو ديلاني

وتناهى الى سمعه، وهو يلعب البيسبول في المتنزه، صرخات استغاثة. وتبين ان مصدرها ثلاثة اطفال زلت بهم القدم في حفرة عميقة مليئة بمياه الأمطار. فهب لمساعدتهم، وسأله احد الاشخاص: "هل تحسن السباحة؟" فأجاب: "لا، ولكن علي ان انقذ هؤلاء الاطفال، فاذا لم اصعد الى سطح الماء، اذهب واحضر من ينقذنا".

بذل جو وسعه للمساعدة، لكن احد الاطفال غرق وانتشل آخر غير انه ما لبث ان فارق الحياة في اليوم التالي، اما الثالث فبقي على قيد الحياة. وكان جو بدوره في حاجة الى من ينقذه، لكن المساعدة جاءت متأخرة.

في يوم الاحتفال بذكرى استقلال الولايات المتحدة في مدينة هاوتون نقل جثمان جو ديلاني الى مثواه وهو لم يتجاوز الرابعة والعشرين من العمر.

■ ايرا بركو



حديقة أفكار

■ لكم هو جميل ان تحصل على الزهر وأنت قادر بعد على شمّ العبير.

المغنية السوداء لينا هورن

■ كم تبدو وظيفتك تافهة وأنت تطلب زيادة على الراتب، وكم تبدو مهمة اذا حصلت على هذه الزيادة.

ا.م.

■ السرنديبية،أو اكتشاف الاشياء السارة مصادفة،هي ان تبحث في كيس التبن عن مسلة، وأن تعثر على ابنة المزارع عوضاً عنها.

ر.س.

■ لو أعطي القناع وقتاً لاستحال وجهاً.

مارغريت يورسنار (كاتبة فرنسية)

■ الدمع للعينين كالصابون للجسد.

مثل قديم

■ الكتاب حديقة نحملها في جيوبنا.

مثل عربي

■ قال أحد المغنين: "ان فمي ملعب للكلمات."

ك.ن.

■ العمر ثمن باهظ ندفعه لنضجنا.

توم ستوبارد (كاتب مسرحي بريطاني)

■ على المرء ألا يتوقع أن يكون كل ما في العالم منسجماً مع طموحه.

كارل ساغان

إن الساعة التي يرتديها المرء
في معصمه هي في نظرنا أكثر من مجرّد مقياس للزمن
إنها جزء من شخصيته.

رادو دياستار. معدن صلب مقاوم للخدوش وزجاج ياقوتي قيم يسبغان عليها لمعاناً دائماً وبريقاً فريداً في نوعه. لذلك تبقى ساعات رادو دياستار على مر الزمن قطعة من الحلى التي تحتفظ بقيمتها دوماً.

رادو مبدعة الساعات المقاومة للخدوش.

RADO رادو
DiaStar



od. dép.
iss Made

خمسة توائم

طالما تاق الزوجان الشابان الى انجاب طفل، لكنهما ارتاعا حين سمعا انهما سيغدوان والدين لخمسة توائم

استيقظت بام بسنر من نومها مذعورة في مستشفى جامعة جورج واشنطن في العاصمة الامريكية. كانت الساعة تشير الى الاولى من صباح ٢١ يونيو (حزيران) ١٩٨٣، وهي في الشهر السابع من حملها ولا تتوقف عن التفكير في العملية القيصرية التي ستجرى لها في العاشرة من ذلك الصباح. وكانت لاحظت في صباح اليوم الفائت امارات القلق على وجوه الممرضات وهن يقسن ضغط دمها.

كانت بام امرأة قصيرة القامة لا يزيد طولها على ١٦٣ سنتيمتراً. لكن بطنها كان منتفخاً كثيراً لانها لم تكن حاملا بجنين واحد، بل ربما بخمسة أجنة. وهذه الاجنة اضافت ١٣ كيلوغراماً الى جسم الام الناحل الذي بلغ وزنه قبل الحمل ٥١ كيلوغراماً. وقد ادخلت المستشفى قبل اكثر من خمسة اسابيع لتتاح لها الراحة التامة في الفراش. وكان ثمة شريط عريض يحمل عبارة"عيد سعيد" لا يزال معلقاً في الغرفة، فقد احتفلت هي وزوجها دان بعيد زواجهما الثامن قبل اسبوعين. كما كانت عشرات البطاقات ملصقة على الجدار وقد

ارسلت الى دان لمناسبة عيد الآباء قبل يومين. وقد اعجب الزوجان خصوصاً ببطاقة من الممرضات كتب عليها: "والدنا العزيز، عيد سعيد لك. مع كل الحب من أ، ب، جـ، د، هـ."

كان دان نائماً على مهجع صغير قرب سرير بام حين نهضت بتؤدة وهتفت بصوت هادىء: "دان، أظنني نزفت شيئاً من الدم." فأخطر للحال طبيب التوليد المقيم الدكتور ستيفن لاكنر.

هرع الدكتور لاكنر الى غرفة بام واجرى فحصاً لعنق الرحم فوجده متسعاً وقد بدأ المخاض. فغادر الغرفة لاستدعاء الدكتور آلن واينغولد رئيس قسم التوليد في المستشفى.

في هذا الوقت اصبح الطلق (التقلصات الرَحمية) متواصلا. وما يعرفه دان وبام عن الولادة الطبيعية كان نزراً يسيراً، لأنهما منذ بدء هذا الحمل اقتنعا بأن العملية القيصرية كانت الخيار الواقعي الوحيد. لكن بام ادركت ان التقلصات المنتظمة التي كانت تحسها لم تكن عشوائية، فقالت لدان: "أشعر ان ما أقاسيه يشبه كثيراً المخاض العادي."

في الساعة الاولى والنصف ادخلت بام غرفة التوليد على محفة. هناك أوصل جسمها بأسلاك الى اجهزة مراقبة تسجل ارقاماً مضيئة تدل على الطلق وتقيس ضغط الدم الذي بلغ ١٦٠/٩٠، وهو مستوى عال بالنسبة اليها. وازداد الطلق حدة، ولم يعد ثمة ريب: انها في حال المخاض، وهذا يشكل خطراً عليها وعلى الاجنة الخمسة.

الولادة الطبيعية ستكون مشكلة كبيرة وربما كارثة. فثمة خمسة توائم تتزاحم للخروج، بعضها سيخرج رأسه أولا وبعضها سيخرج قدميه، فتتشابك الاجساد الصغيرة وتعلق في عقدة. وقد تلتف حبال السرة بعضها على بعض فتنشق وتتمزق وتنقطع. وهذه الاجساد الواهية التي عانت الكثير من الضيق داخل الرحم قد لا تقوى على احتمال المزيد من العناء.

خطر الموت ـ انطلق الدكتور آلن واينغولد مسرعاً على الطرق المبللة بماء المطر لادراكه ضرورة الوصول الى المستشفى في اقرب وقت. فمهما يكن بارعاً في مهنته، فان عملية توليد خمسة توائم تشبه السير على حبل بهلوان فوق شبكة وقاية صغيرة جداً.

كان الدكتور واينغولد حدد موعد العملية القيصرية بعدما لاحظ على جهاز الكشف الصوتي تباطوءاً مطرداً في نمو اثنين من لأجنة، اذ كانت التوائم الخمسة تتقاسم مورداً ضئيلا من التغذية. وهو ادرك انه عند بلوغها الاسبوع الـ٣٣ سيكون لها حظ اكبر في الحياة خارج الرحم.

حين اقترب الدكتور واينغولد من المستشفى اخذ يفرز افكاره. فهو يعد نفسه لهذا اليوم منذ اسابيع. اختار كل المساعدين الذين سيحتاج اليهم من اطباء صحة واطباء توليد واختصاصيين بالعناية بالمواليد الجدد وممرضات غرفة التوليد، وبلغ عدد هؤلاء نحو ٢٥ شخصاً.

وصل الدكتور واينغولد الى

المستشفى قرابة الساعة الثانية والنصف•وكان الطلق يتوالى بفارق دقيقتين فقط• وارتفع ضغط دم بام الى ١٨٤/١١٠ وهو مستوى خطير، فقد أضحى محتملا ان تنشق المشيمة التي تبطن جدران الرحم وتحفظ الأجنة داخلها، فتخرج هذه منها وتموت• واذا تعذر وقف النزف، فقد تموت بام أيضاً•

حزم الدكتور واينغولد أمره خلال عشر دقائق وقال: "سنباشر الجراحة القيصرية، فليحضر الجميع الى هنا•" وسيكون الامر افضل اذا استطاع تأجيل العملية حتى يحضر الجميع•

هدية العيد – قبل عشر سنين توقف الطمث عند بام، وكانت حينذاك في الثامنة عشرة من العمر• واكتشف الدكتور جاي غرودن، وهو اختصاصي بمعالجة العقم عند النساء، انها مصابة بورم في الغدة النخامية (★)• وعلى رغم انه ورم غير خبيث فقد انطوى على اشكالين: الاول انه تسبب في زيادة مقدار البرولاكتين،وهو هرمون ذو علاقة بالاباضة، فمنع انتاج هرمون الاستروجين مما جعل الاباضة الطبيعية مستحيلة، وكان هذا سبب انقطاع الطمث• والثاني ان الحمل قد يؤدي الى انتفاخ الغدة النخامية المتضخمة اصلا، فتضغط على العصب البصري القريب مما يؤدي الى العمى• غير ان ازالة الورم جراحياً كانت ايضاً محفوفة بالخطر•

وفي خريف ١٩٨١، بعد ست سنوات من زواج بام، عزمت على محاولة الانجاب• وكان هذا يعني استئصال الورم من الغدة النخامية• وتبين انه اكبر من المتوقع، لذا كان استئصاله كله خطراً جداً•وهكذا استأصل منه جراح الاعصاب جزءاً لا يترك سوى احتمال ضئيل لخطر تضخم الغدة النخامية في فترة الحمل•

بعد ذلك وصف الدكتورغرودن لبام تناول الـ"برغونال"وهو عقار للاخصاب• وهذا يؤمن تحاشي المشكلات التي تنشأ عن استمرار المستوى العالي من البرولاكتين لدى بام• ولكن اليس هذا هو العقار الذي يؤدي الى تكون الأجنة المتعددة؟ كان الدكتور غرودن اخبرها ان ثمة احتمالا بنسبة واحد الى خمسة بأن يحدث هذا، وان السواد الاعظم من حالات "الولادات الجماعية" كان مقتصراً على توأمين فحسب•

في ١٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٢، وفيما بام تنتظر مقابلة الدكتور غرودن، نظرت الى النقاط الظاهرة على جدول الخصوبة الذي تعده بنفسها• هذه النقاط تحدد أعلى مستويات الحرارة لديها خلال الاسابيع الثلاثة السابقة• وبدا لها ان هذه النقاط تنتشر فوق صفحة الجدول كله• وسلمته الى غرودن وهي تقول: "انه خليط مشوش، أليس كذلك؟"•

اجاب الدكتور غرودن: "كلا، انه ممتاز• أتعرفين ماذا أحسبني أرى فيه؟ أني أرى فيه امرأة حبلى•"

ذهلت بام وابتهجت• وكانت تلك ليلة عيد، ولكن بسبب المصاريف الطبية الباهظة كان الزوجان قررا

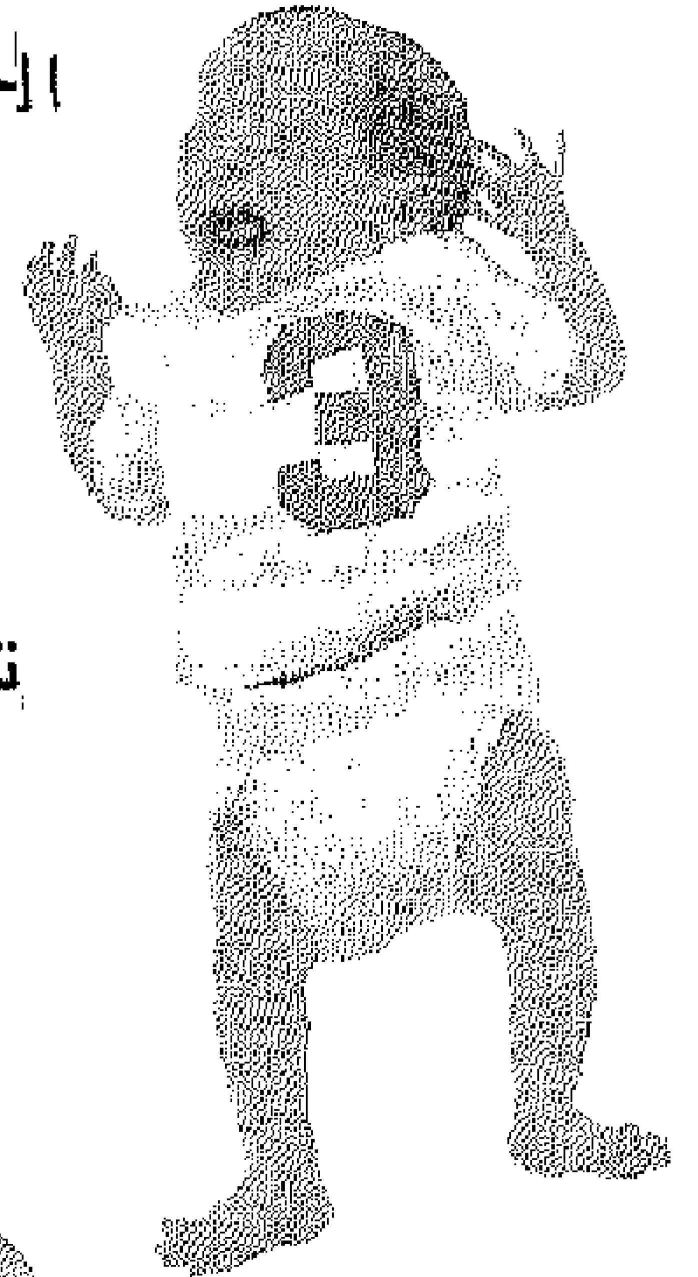
(★) غدة صماء عند قاعدة الدماغ•

الاكتفاء بتبادل البطاقات، وفتح دان البطاقة التي تلقاها من زوجته وقرأ فيها: "أعرف أننا اتفقنا على عدم تبادل الهدايا، لكني لم أقدر على ذلك، فسوف يكون لنا طفل."

وقفز الزوجان فرحاً وتعانقا والدموع تنهمر من أعينهما، ثم انطلقا ليزفا الخبر المفرح الى والديهما ووالدتيهما.



الحب الكبير — في ٢٠ يناير (كانون الثاني) طلب الدكتور غرودن من بام ان تجري تصويراً صوتياً للرحم قائلا: "اظن انك تحملين توأمين."



وفي ذلك الصباح تمددت بام على طاولة الفحص بينما راح الفني يمرر الجهاز الصوتي ذا الذبذبة العالية فوق بطنها، كانت تعرف ان اخذ الصورة الصوتية



يستغرق نحو ٢٠ دقيقة، فلماذا استغرق تصويرها هذا الوقت الطويل؟

وتحولت مخاوفها هلعاً حين عاد فني التصوير ليأخذ صورة صوتية اخرى، واخذت تراقبه وهو يتمتم لنفسه أرقاماً، كانت على يقين انه بلغ الخمسة في العد، واجهشت بالبكاء بعدما غادر الغرفة وقالت لدان: "أظن ان في بطني مجموعة جراء."

وعندما رجعا الى عيادة الدكتور غرودن يحملان الصورة الصوتية قالت بام:

"انهم خمسة، أليس كذلك؟"

هز غرودن رأسه ايجاباً وقال: "اجل، انهم خمسة." واخفى عنها ان الصورة لا تجزم تماماً بوجود توأم سادس، وقد ادرك الطبيب ان الزوجين اعتبرا الأجنة الخمسة كارثة اكثر مما هي معجزة، فطلب منهما ان يعودا الى البيت ويبحثا في الامر بينهما، بمقدار ما كان دان توافقاً الى انجاب هؤلاء الاطفال، كان يدرك ان الاخطار كلها ستكون من نصيب بام وانها تتعذب من توقع ما ستواجهه، وهكذا عزم على الا يحضها على الاحتفاظ بالاجنة، واتصلا بوالديهما ووالدتيهما ليأتوا لزيارتهما ذلك المساء.

حين دخل نورمان وهيلين بسنر منزل ابنهما كان آلن ولينور غوتس والدا بام وصلا قبلا، وكان بام تبكي

بمرارة. اعتقدت ان احتفاظها بالأجنة سيفقدها الحياة التي استمتعت بها حتى ذلك الحين. وكان دان وعدها بأن يسمح لها بالعودة الى وظيفتها ويشاركها في العناية بالطفل الذي كانا يأملان في انجابه. لكن الآن، كيف يستطيع دان العناية بخمسة اطفال؟ وانهما سيظلان في عوز طوال الزمن. ولم تكن بام واثقة من قدرتها على محض اطفالها الخمسة الحب الكافي.

اما والد بام فكانت تقلقه الاخطار الطبية. واخذ يتساءل ما اذا كانت ابنته تقوى على تخطي مثل هذا الحمل. انها خضعت لجراحة في الدماغ لكي تنجب طفلا، فهل يطلب منها الآن اكثر من ذلك؟ ان الخطر على حياة بام يجعل الاجهاض المسلك الطبيعي الأسلم.

اما نورمان بسنر، الذي كان ميسوراً وان لم يكن ثرياً، فاخذ يهيىء نفسه لتحمل اعالة خمسة اطفال. ووعد قائلا: "لن نستطيع ان نوفر لهم الترف، لكنهم سيحظون بالضروريات حتماً".

وبدا ان هذا الوعد بدد مصاعب قضية واحدة. لكن احتمال الاجهاض ظل يلوح في الافق. وتساءل الجماعة: اذا اجهضت بام، فهل سيمكنها الحمل مرة أخرى؟ أهي فرصتهم الحقيقية الاخيرة لانجاب طفل؟ وكيف يكون الحال اذا ولد واحد او اكثر من الاطفال معاقاً او بعاهة؟

قال نورمان بسنر: "الحياة هي الحياة. وعلى الانسان ان يرضى بقسمته. فالخيار ليس له".

ولم يكن الامر بُتّ حين غادر الأهل منزل الزوجين في تلك الليلة. وبقي دان وبام يتصارعان والاختيارات المتاحة لهما.

وبعد بضع ليال ذهبا الى منزل والدي بام لتناول العشاء. لم يجر على المائدة اي حديث عن الموضوع. ولكن بعد الفراغ من الطعام ذهب الجميع الى غرفة الجلوس للبحث في الامر مرة اخرى. اذا كانت بام تريد اجهاضاً، فعليها ان تحزم امرها اذ لم يعد امامها متسع من الوقت. وكان زوجها ووالداها اوضحوا لها ان القرار مهما يكن سيكون قرارها هي.

وتكلم دان: "اننا فريق متضامن. فقد واجهنا من قبل معضلات وحللناها. ويمكننا ان نعالج هذه المشكلة ايضاً".

ثم قال والد بام لابنته: "تعرفين ان ثمة سبباً وراء قرار الله اعطاءك هذه التوائم الخمسة. فالله حكيم، ولعل هذا شأن ليس للانسان قرار فيه".

أصغت بام الى ما قيل وشعرت ان في تلك الغرفة حباً كبيراً، وادركت انه سيكون هناك الكثير منه لاطفالها الخمسة.

العناية الفائقة ـ الآن، وفيما بام تنتظر في غرفة المخاض وهي تعاني آلام التقلصات الرحمية، كانت تعرف في أعماق قلبها انها تريد الاطفال الخمسة جميعاً، وتريدهم ان يولدوا احياء وأصحاء.

وقرابة الساعة الثالثة والنصف فجراً اعطيت حقنة صغيرة في غشاء الحبل



بام ودان بسنر وتوائمهما الخمسة.

الشوكي وبدأت تفقد الحس في الجزء الاسفل من جسدها. وبعد ٤٠ دقيقة وعلى اثر اعطائها جرعة كاملة من المخدر نقلت على المحفة الى غرفة التوليد. كان كل شيء جاهزاً: الاوكسيجين والمدفئات الاشعاعية للاسرة ومعدات الاسعاف. ووقف دان الى الجهة اليسرى من رأسها.

خيم الصمت على الغرفة وفتح الدكتور واينغولد جرحاً طوله ١٠ سنتيمترات في بطن بام. وقطع المزيد من الانسجة ثم كشف الرحم. ورأى جدار الرحم يتحرك، فقد كانت في داخله مرافق وركب صغيرة تدفع الجدار الى الخارج. فتح واينغولد شقاً دقيقاً في الرحم ومد يده الى الداخل وأخرج اول الاطفال. ثم شق كيس المشيمة وجذب الطفل ورأسه اولا. ودوت الغرفة بصوت يقول: "انه صبي!"

الساعة الآن الرابعة والدقيقة السابعة والعشرون. كان الطفل نشطاً زهري اللون. وسمعت بام صراخ ابنها الصغير.

غير ان الطفل الثاني الذي اخرجه واينغولد كان ميتاً. فأطبق الصمت على الغرفة وقيل: "لقد فقدنا واحداً." وقال واينغولد لنفسه: "بعد كل هذا فقدنا واحداً!" لكنه كان يدرك انه رأى خمسة توائم احياء في الصورة الصوتية قبل ايام.

واستدار واينغولد ليخرج طفلا آخر.

كان صبياً حياً. فدبت الحماسة ثانية في الغرفة. ثم اخرج الطفل الثالث. انها بنت!

كانت الساعة تشير الى الرابعة والدقيقة التاسعة والعشرين حين وجد واينغولد الطفل الرابع، وكان صبياً آخر. واخذ يفكر في نفسه: "واحد آخر، فليكن ثمة واحد آخر". ومد يده الى الداخل، وفي اقصى جدار الرحم عثر على الصبي الرابع حياً وفي صحة جيدة. وكان الطفل الميت هو الجنين السادس المشكوك في امره.

اخضع المواليد الخمسة لفحص "آبغار" الذي يقيس نبض القلب واللون وجهد التنفس وسلامة العضلات وردة الفعل العصبية. في هذا المعيار يعتبر الرقم ١٠ ممتازاً، وقد سجل كل واحد من اطفال بسنر الرقم ٩. وبلغ وزن الاول الذي سمي ديفن ماتيو ١٤٧٤ غراماً وأيان سكوت ١٣٦١ غراماً وشيرا لي ١٠٧٧ غراماً ومايكل ايفان ١٣٠٤ غرامات واليوت ريتشارد، خامس المواليد، ١١٦٢ غراماً.

نقل الاطفال الى غرفة العناية الفائقة المخصصة بالاطفال. وهناك ربط الاطباء حول معاصمهم اطواقاً صغيرة لقياس ضغط الدم، وأخذوا عينات من دمهم للتحليل، وبدأوا تغذيتهم وريدياً. وأمسكت احدى الممرضات ذراع احد المواليد ولوحت به لجديه وجدتيه الذين وقفوا امام نافذة غرفة الاطفال. وهتفت لينور غوتس فرحة: "ما اجمل هذا العالم! وما اكثر الخير فيه!"

شخصيات مميزة ـ كان تماثل بام للشفاء عسيراً، وظلت تغرق في غيبوبة ثم تستفيق منها طوال يومين ونصف يوم. وكان اربعة من الاطفال في صحة جيدة، غير ان اليوت اخذ يعاني مرض الغشاء الرئوي الذي ينجم عن عدم اكتمال نمو الرئتين مما يعيق انتفاخهما كما ينبغي.

وفي ٢٦ يوليو (تموز)، على اثر عارض صحي آخر، اجريت جراحة استمرت ساعة لاليوت الصغير. وقالت بام: "لا يعزيني ان يكون لي اربعة اطفال اصحاء. فهذا لا يقلل من خوفي على الصغير العليل". واخيراً خرج الجراح من غرفة العمليات ليزف النبأ. اليوت بخير!

وأخذت الشخصية المميزة لكل من هؤلاء الاطفال في الظهور. ديفن هو الاكبر والاوسم، وهو يستغرق ٤٠ دقيقة كي يشرب زجاجة الحليب التي تحوي ٦٠ سنتيمتراً مكعباً. اما شيرا السمراء القوية، فانها تعب الكمية نفسها في خمس دقائق. اللعوب هو أيان، فهو يحب ان يلامس ويلامس.
مايكل هو "المحدّث" الذي يصدر الاصوات دائماً. انه يشبه شيرا كثيراً. اما اليوت، فعلى رغم مشاكله الصحية يظل هادئ الطبع ويستجيب بسعادة للحب الذي يغدقه عليه ابواه.

وتحب بام ان تستعيد ذكرى زيارة أبيها بعد ولادتها بأيام، حين قال لها: "ان رؤية هؤلاء الاطفال الخمسة تأكيد للحياة. انا لا أصدق اننا فكرنا ذات مرة ان ثمة قراراً علينا اتخاذه في شأنهم".

■ جورج بيكانن

أدرك القبطان أن هبوطه بالطائرة في مياه المحيط الهائجة لن يبقي على حياة أي من الركاب، لكن المحاولة كانت طوق الأخير

مَهَمَّة مُستَحِيلة



في الجو طائرة تابعة لسلاح البحرية الامريكية، وهي من طراز "ألفا فوكستروت ٥٨٦" ومن فئة طائرات المراقبة المضادة للغواصات في المحيط. كانت تحلق في مهمة استطلاعية فوق بقعة رمادية قاتمة من شمال المحيط الهادىء، متهادية مرتاحة، مع ان واحداً من محركاتها المروحية التربينية الاربعة لجم لتوفير الوقود. في صبيحة ذلك اليوم الموافق ٢٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٨ أقلعت الطائرة من قاعدة "أداك" البحرية في جزر الوشيان وهي تحمل خمسة عشر رجلا. وعلى مدى أربع ساعات لم يصادف الرجال في مهمتهم سوى سفينتين، فتعقبتهما الطائرة والتقطت لهما بعض الصور.

ساء الطقس تدريجاً حتى بلغت سرعة الرياح ٤٣ عقدة (٨٠ كيلومتراً في الساعة). عندئذ قرّر قائد الطائرة الرائد جيري غريغزبي أن يدير تربينة الجناح الأيسر. وفي الوقت نفسه كان مهندس الطيران هارولد ميلر يراقب العداد الذي يسجل دورات المروحة في الدقيقة، فوجد أن عددها ارتفع الى ١٠٣،٥ في المئة من المعدل الطبيعي. وعلى الفور جذب مقبضاً للطوارىء، فتوقف المحرك، لكن المروحة لم تتوقف. وبدا أنه لم يعد ثمة مجال للسيطرة عليها، واستمرت سرعة دورانها تزداد في مجرى الريح المندفعة. وسجل العداد ١١٠ في المئة ثم ١٢٠ في المئة و١٢٩،٩ في المئة، وهو أعلى رقم يحمله. وانتاب رجال الطاقم قلق شديد متخوفين من استمرار تلك السرعة، لأن قوة الدوران قد تنتزع


NAVY

المروحة من ركوبتها بوزنها البالغ ٥٤٠ كيلوغراما، وتدفع الطائرة دفعة جنونية لتتحطم وتغرق بمن فيها.

كان غريغزبي طياراً مكتمل التدريب والخبرة، وفي رصيده الالوف من ساعات الطيران. وراح يفكر برباطة جأش في شتى الاحتمالات والخيارات في حال الطوارىء التي كانت تواجهه، ثم شرع يزيد من ارتفاع الطائرة لخفض سرعتها وبالتالي لخفض سرعة دوران المروحة. وبلغت الطائرة ارتفاع ٣٣٠٠ متر، وهو الحد الاقصى للأمان، ومع ذلك بقي عدد دورات المروحة ١١٥ في المئة، وهي نسبة مرتفعة وغاية في الخطر.

عبثاً حاول ملاحو الطائرة توقيف المروحة المتمردة باتخاذ شتى الاجراءات. فكان على غريغزبي، والحال هذه، أن يواجه احتمالا مروعاً أخيراً لايقافها والحؤول دون انفلات شفارها القاطعة، وذلك بالهبوط على سطح المياه في تلك المنطقة من الألوشيان التي يبلغ عمقها قرابة ٧٩٠٠ متر. وما من طائرة مثل طائرته تمكنت، على حد علمه، من تحقيق عملية هبوط كهذه أسفرت عن نجاة أي من ركابها.

حريق داخل الطائرة

من خلال كوة على بعد ثلاثة أمتار وراء غريغزبي وقف الملازم ماتيو غيبونز، المنسق التكتيكي، ينظر الى قبة المروحة وقد بدأت تهتز وتترجرج. وأبرق الى قاعدة "إلمندورف" الجوية في ألاسكا يصف أوضاع الطائرة. واستعلمت القاعدة عما اذا كان المقصود من اتصاله الاعلان عن حال طوارىء، فأكد غيبونز ذلك.

وقدر الطيار المساعد الملازم ادوارد كيلور أن المروحة المعطلة كانت على وشك الانفجار. وخفض غريغزبي وكيلور السرعة الى ٢٤ ألف كيلومتر في الساعة، وكان جلياً أن الطائرة لن تتمكن من اجتياز تلك المسافة. فقرر الاثنان تغيير وجهتها نحو الشرق في اتجاه القاعدة الجوية في جزيرة شيميا الكائنة على بعد ٥٤٠ كيلومتراً. وارتدى رجال الطاقم سترات النجاة وأطواق المطاط العازلة للماء بعدما أمر غريغزبي بذلك. وفي الساعة الاولى والدقيقة الثانية والاربعين دوت اشارة انذار تعلن شبوب حريق. وعلى الفور ضغط المهندس ميلر زراً لرش المحرك المتأجج بمسحوق مضاد للنار.

هبط غريغزبي بالطائرة حتى ارتفاع ٣٠٠ متر لتكون قريبة من سطح الماء في حال حدوث انفجار. وفجأة لعلعت صفارة الانذار من جديد. وكانت الساعة الاولى والدقيقة الثانية والخمسين عندما اتصل غيبونز بقاعدة إلمندورف ليعلن: "نحن ننحدر صوب الماء، وعلى متن الطائرة خمسة عشر رجلا وثلاثة أطواف للنجاة."

وانتشر الخبر بسرعة. كانت المنطقة التي تحلق فيها الطائرة حساسة على صعيد الاستخبارات، لذلك نقل النبأ على الفور الى مجلس الامن القومي والى وزارتي الداخلية والدفاع في واشنطن. وفي أداك،

على بعد حوالى ١٣٠٠ كيلومتر، كانت طائـرة استكشـاف أخـرى يقودهـا الملازم باتريك كونواي تستعد للاقلاع لاغاثة الطائرة المنكوبة. وأصدرت الاوامر الى القارب الرقم ١٥٠٠، وهو من قـوارب خفـر السواحـل ومـزود بمروحة نفاثة، للتوجه الى منطقة الطائرة لتقديم المساعدة.

وعلى متن الطائرة "الفا فوكستروت ٥٨٦" كانـت الـدفعة الاخـيـرة مـن المركب الخاص المكافح للنار أخمدت الحريق الثاني. واستمر غريغزبي في الهبـوط ليقتـرب أكثـر مـن صـفحة المحيط، الى ان بلغ ارتفاع ١٥٠ متراً حيث تابعت الطائرة تقدمها بجهد وترنح وهي تتمايل باضطراب، لكنها بقيت موقتاً تحت سيطرة طاقمها. واتصـل غيبونـز بقاعـدة إلمنـدورف ليقول ان حال الطائرة استقرت نسبياً وانهم سيحاولون دفعها للوصول بها الى شيميا.

فـي تلـك الاثـنـاء كان ريتشارد غارسيا، وهو مراقب الرادار على متن الطائرة، يحاول ألبحث عن سفينة تكون في المنطقة التي ستهبط فيها الطائرة لتؤمن لها عمليات الانقاذ. وظهرت علـى شـاشة الـرادار بـقعة صغيـرة كانـت علـى الارجح احـدى السفينتين اللتين مرّت بهما الطائرة في وقت سابق، فاتجه غريغزبي نحوهـا فـوراً فيمـا أعلـم غيبـونـز إلمندورف بالعملية الجديدة.

وانطلقت صفارة الانذار من جديد معلنة اندلاع حريق آخر. وانطلقت من المحرك المعطوب سحب كثيفة من الدخان.

عبر الكوة رأى غيبونز المحيط يقترب شيئاً فشيئاً. فأعلن: "عشرون ثانية للهبوط!" ثم اتصل لاسلكياً بقاعدة إلمندورف ليحدد موقع الطائرة بالتدقيق. وأنهى رسالته بقوله: "هنا الطائرة ٥٨٦، انتهى البث..."

القائد الشجاع

كانت المياه في اندفاعها تعلو لتبلغ ارتفاع ثمانية أمتار. وسعى غريغزبي الى تزليق طائرته على سطح الماء فوق غور بين موجتين عاليتين. وكحصاة ملساء تمخر العباب مترجرجة، اندفعت الطائـرة برفـق واصطدمـت بالمياه، ثم عادت وارتفعت قليلا لتضرب الميـاه ثانـيـة وترتـفع مـن جديد. وانسلخ جناح الطائرة الايمن وانفصلت خزانات الوقود عن هيكلها. وعلى مقربة من ذيل الطائرة تحطم قسم من المؤخر، فتدفقت المياه الى الداخل. وعلى رغم ذلك تمكنت "ألفا فوكستروت ٥٨٦" بعد اندفاع عنيف من التوقف محدثة جلبة قوية. انها لمعجزة حقا، لقد تمكن غريغزبي من الهبوط فـي ظروف يستحيـل فـيهـا منطقياً القيام بمثل هذه العملية.

خرج المهنـدس ادويـن فلـو مـن الطائرة من خلال كوة النجاة في سقف مقصورة القيادة. ولحق به كيلور ثم غريغزبي. لكن هذا لم ينضم فوراً الى الذين نزلوا الى الماء قبله، بل بقي مستقراً على ركبتيه ويديه فوق مقدم الطائرة يراقب رجاله وهم يغادرون واحداً واحداً من مخرجي النجاة الايمن والايسر.

في ذلك الوقت كان غارسيا يفتح

كوة في الجانب الايمن من الطائرة ويفك طوفين للنجاة، واحد كبير وآخر صغير، ويرميهما الى الماء. وبعد ذلك كان دور خمسة من رجال الطاقم في مغادرة الطائرة، وهم غاري هيمر وغيبونز والملازم بروس فورشي والمقدم غارلند شيبارد والملازم جون واغنر.

وفي مؤخر الطائرة غطى الركام ديفيد رينولدز وشل حركته. الا انه تمكن من التحرر وتقدم متثاقلا نحو الكوة اليسرى حيث وجد هاورد مور وراندل رودريغز يبذلان جهوداً حثيثة لفك الطوف الثالث. لكن الطوف بقي عالقاً بمشابكه، فخرج مور ورينولدز ورودريغز تاركين الطوف في مكانه.

في تلك الاثناء كان الملازم جون بول قرب ذيل الطائرة يواجه مشكلة من نوع آخر. فقد علقت قدمه اليسرى في شق في ارض الطائرة. وتملكه الذعر وهو يفكر في انه قد يبقى عالقا في الداخل. فظل يحاول حتى تمكن من تحرير رجله، وزحف بصعوبة مسافة خمسة أمتار يبحث عن أحد مخارج النجاة الغارقة تحت الماء. وفي تلك اللحظة ارتجت الطائرة ومال مقدمها، فشاهد بول ميسرة الطائرة ولاح له باب الكوة اليسرى، فغاص وخرج منه الى سطح الماء حيث شاهد غريغزبي ما زال جالساً فوق مقدم الطائرة وهو منفرج الساقين. وبعدما اطمأن غريغزبي الى خروج بول نزل الى الماء من الناحية الاخرى. وأدرك بول أن غريغزبي بقي في مكانه يتثبت من خروج رجاله، وكان الاخير في مغادرة الطائرة.

نفخ بول في جيوب سترته الواقية وملأها هواء، ثم سبح في اتجاه الطوف الكبير. وبمساعدة مور ورينولدز رفع زميله غيبونز الى الطوف، عندئذ شاهد غريغزبي يسبح محاولا بلوغ طوفهم. ورمى اليه الرجال مرساة الطوف ليتمسك بها، لكن الحبل كان قصيراً، فأشار غيبونز الى الطوف الثاني مقترحاً على غريغزبي أن يحاول بلوغه. وخلال ثوان خيل الى الرجال ان قائدهم سيصل الى الطوف الثاني، لكن أمواجاً عالية حلت بينهم وبينه فحجبت رؤيته.

سبح غريغزبي وبات على مسافة ثمانية أمتار من الطوف الثاني. وحاول كل من على الطوف مساعدته. فالقى فلو حبلا ليجذب به قائد الطائرة الذي كان يصارع الامواج، لكن الحبل سقط على بعد مترين منه. ثم نزل بعض الرجال الى الماء وحاولوا جر الطوف في اتجاه غريغزبي. لكن التيار الجليدي كان أقوى، فأخفقت محاولتهم. وما هي الا دقائق حتى شاهد الرجال قائدهم ينجرف مع التيار متوغلا في عرض المحيط الساخط.

لم يكن فوق الطوف الكبير الذي يتسع لاثني عشر راكباً غير أربعة رجال هم غيبونز وبول ورينولدز ومور. بدأ بول اطلاق اشارات ضوئية من مسدس خاص، وبمساعدة غيبونز مدّ هوائي جهاز لاسلكي للطوارىء لبث اشارات، علّ احدى الطائرات تلتقطها، ثم عمد الاربعة معاً الى إحكام "سحاب" غطاء الطوف

المصنوع من القماش المشمع ليتقوا أذية الامواج الصاخبة.

وكان الرجال الباقون، وعددهم تسعة، استقروا فوق الطوف الاصغر، وهو مصمم أساساً لحمل سبعة ركاب فقط. وسأل فلو رفقاءه عما إذا شاهد أحدهم ميلر، فجاء الجواب نفياً.

والاطواف التي تتسع لسبعة ركاب ليست مزودة بأغطية مشمعة، ولذا كانت الامواج العالية تهدد بغمر الطوف الصغير وابتلاعه في دقائق. وشرع واغنر ورودريغز وفلو وبرونر ينزحون المياه من جوف الطوف بملاءة معدنية، باذلين في ذلك جهوداً مضنية. ولم يشعروا أنهم خلال انهماكهم وتدافعهم في عملية نزح المياه تسببوا في حل أحد صمامات الهواء في الطوف.

"في البحر أصدقاء"

في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة من بعد الظهر كانت احدى طائرات السلاح الجوي تتحول عن مسارها في مهمة استطلاع سرية، لتتجه نحو الموقع الاخير الذي سجلته أجهزة اللاسلكي للطائرة "الفا فوكستروت ٥٨٦". ولم تعثر الطائرة المستكشفة على أي طوف في تلك المنطقة. عندئذ عمد القبطان كليفورد كارتر الى مناورات التفاف دائري فوق المنطقة بحثاً عن الناجين. كانت الاحوال الجوية مروعة: سحب منخفضة منجرفة في مجرى الريح، أمطار غزيرة، رياح عاتية، رؤية محدودة. وفي الرابعة والدقيقة الثامنة عشرة أبصر الطيار المساعد اشارة ضوئية في السماء على بعد ثلاثة كيلومترات، فتحولت الطائرة على الفور لتجلق فوق تلك البقعة، فلم تعثر في جولتها الاولى على أي طوف. وعاودت الكرة تحليقاً فوق المكان نفسه، عندئذ شاهد رجال الطاقم بقعة برتقالية في قلب المحيط: انه أحد الطوفين. وفي اللحظة نفسها التقط جهاز اللاسلكي في الطائرة اشارة قوية من الجهة اليسرى، فاتجهت الابصار كلها الى تلك الناحية ورأى الرجال الطوف الثاني.

غمر ركاب الطوفين شعور عابر بالبهجة والامل. ان المهمة الاصعب في عمليات التفتيش والاغاثة على اختلافها هي العثور على الاحياء. وما ان سمع كيلور هدير الطائرة حتى أيقن ان طاقمها سوف يعلم السفينة التي كانت في الجوار حين هبطت الطائرة على سطح الماء، مما يعني أن عملية الانقاذ غدت وشيكة. لكنه كان يجهل أن جهاز الراديو في السفينة لم يكن مداراً، وأن ركاب السفينة لم ينتبهوا أصلا الى هبوط الطائرة المصابة في المحيط.

تلاشت البهجة من قلوب الناجين وسط البرد القارس والامطار الغزيرة. لقد مرت عليهم ساعات وهم في اللجة الثائرة يكافحون غضبة الطبيعة ويقاومون الدوار والغثيان، ففقدوا الكثير من نشاطهم وتيقظهم. ومضى على الرجال التسعة في الطوف الصغير وقت طويل قبل أن يلاحظوا أن طوفهم بدأ يغوص تدريجاً. وفجأة صاح واغنر بانفعال: "ان الطوف يرتخي. لا ريب في أن ثمة تسرباً

للهواء في مكان ما." وكان ذلك النبأ بمثابة منبه للرجال الذين اندفعوا للحال يبحثون عن موضع التسرب. ووجد رودريغز الصمام المرتخي وأحكم اقفاله.

بعد تحديد موقع الطوفين الهائمين عادت طائرة الاستكشاف الى قاعدتها وحلت مكانها طائرة من سلاح البحرية أقلعت من أداك. وكان القبطان بات كونواي وأفراد طاقمه يشعرون بتأثر بالغ، فقد كان لكل منهم غير صديق بين رجال الطائرة المنكوبة.

في الطوف الصغير لاحظ هيمر أن المياه بدأت تخترق سترة النجاة التي كان يرتديها، وراح النعاس يغالب جفنيه. وشعر أحد رفقائه بحاله، فربت خوذته يحاول منعه من الاستسلام للنعاس.

أما برونر، وهو أحد الرجال الذين نزلوا الى الماء لمساعدة غريغزبي، فكان هو الآخر مرهقاً. وبدأ ينزلق ويغوص في مياه الطوف التي غمرته الا رأسه. وفي تلك الاثناء كانت البرودة الشديدة تسيطر تدريجاً على قلبه ورئتيه وصدره. وسمعه كيلور يئن فرفعه وأعاده الى مستقره. واقترح فورشي أن يلجأ الجميع الى الغناء للمحافظة على اليقظة والنشاط. لكن برونر لم يستطع سوى العويل. وراح فورشي وواغنر يحدثانه ويهزان جسده ويضربان خديه من دون جدوى، فقد بقيت ردود فعله شبه منعدمة.

في الثامنة والدقيقة الثامنة والثلاثين مساء انطلق قارب لخفر السواحل يقوده الملازم بيل بورتر، في الوقت الذي كانت طائرة كونوي تحاول العثور بالرادار على سفن تقدم العون الى الطوفين. وظهرت على الشاشة نقطة تشير الى سفينة على بعد خمسة وأربعين كيلومتراً من موضع الطوفين. فتوجهت الطائرة نحوها، لكن محاولات القائد الاتصال بها ذهبت سدى. فلم يستجب في السفينة الى أي من وسائل الاتصال المعهودة بما فيها اشارات "المورس" التي بثتها الطائرة بواسطة مصابيحها.

انخفض مستوى الوقود في خزانات الطائرة المستكشفة، فكان عليها أن تعود الى شيميا تاركة لقارب خفر السواحل مهمة الاتصال بالسفينة. وأخيرا تم الاتصال اللاسلكي بين القارب والسفينة التي أعلنت أنها سفينة الصيد السوفييتية "سينيافين". وعلى الفور أعلم خفر السواحل طاقمها بوجود رجال في الماء يحتاجون الى مساعدة عاجلة، وحدد موقعهم. وسأل المتحدث في السفينة عن هوية الرجال، فتردد بورتر في الاجابة خوفاً من ان يمتنع السوفييت عن الهروع الى الانقاذ اذا علموا أن الناجين هم من رجال البحرية الامريكية. لذلك اكتفى بالقول: "في البحر أصدقاء يحتاجون الى مساعدة." وأجاب السوفييتي: "حسناً، لقد فهمت."

الانقاذ

عثر طاقم السفينة "سينيافين" على الطوفين بعد منتصف الليل. فأضاؤوا جميع مصابيحها وأطلقوا

صفاراتها الخاصة بالضباب. وقال واغنر بحماسة بالغة: "انها سفينة! سفينة قادمة لنجدتنا." ونقر شيبارد نقراً خفيفاً على خوذة هيمر واستمر فلو وفورشي وكيلور يهزون برونر، لكن هذا بقي بلا حراك.

كان السوفييت الذين هبوا للنجدة بحارة ذوي خبرة وجرأة وعرضوا حياتهم للخطر في عملية انقاذ رجال الطائرة الامريكيين، أوقفوا سفينتهم في وضع يشكل حاجزاً في وجه الرياح ثم أنزلوا الى الماء قارباً لصيد الحيتان طوله تسعة أمتار، فكاد ان ينقلب فور بلوغه سطح الماء.

في وهج الاضواء الكاشفة انتشل البحارة السوفييت رجال البحرية الاربعة الذين كانوا في الطوف الكبير، ونقلوهم الى قارب الصيد وقدموا اليهم معاطف ليستدفئوا بها. وعندما بلغوا الطوف الصغير وجدوا الرجال فيه وقد تصلبت أطرافهم بسبب جلوسهم القرفصاء ساعات طويلة، فنقلوهم الى قارب الصيد وهم أشباه مشلولين. ورفع رجال الانقاذ جثث برونر ورودريغز وغارسيا.

حملت السفينة الناجين العشرة الى مرفأ بتروبافلوفسك السوفييتي وأدخلوا أحد المستشفيات لتلقي الاسعافات الضرورية، ثم نقلوا الى اليابان ومن هناك الى موفيت فيلد في سان فرنسيسكو. وكان وصولهم الى القاعدة في الرابع من نوفمبر (تشرين الثاني). أما ميلر فيرجح انه بقي على متن الطائرة المتحطمة فغرق قبل أن يتمكن من مغادرتها.

بعد أيام قصد قائد السرب بيتر كريسي منزل غريغزبي بالقرب من موفيت فيلد ليقابل زوجته ووالديه وليحدثهم عن ساعات جيري الاخيرة. ولم يكن موت الطيار الشاب بالامر العجب، ففي كل من الاجيال الاربعة الاخيرة قدمت عائلة غريغزبي شهيداً من أبنائها في الخدمة العسكرية. وأخبرهم كريسي عن بطولة غريغزبي فقال: "كان الهبوط بالطائرة في بحر غاضب وفي تلك الظروف حدثاً لا مثيل له. ولم يغادر جيري حطام طائرته الا بعدما تثبت من أن رجاله جميعاً نزلوا الى الماء." ثم تهدّج صوت كريسي وكاد أن يجهش بالبكاء. وكانت والدة غريغزبي تصغي، فقالت له بحنو: "دعني أحدثك قليلا عن جيري. عندما كان في الثانية عشرة، قبل أربع وعشرين سنة، كاد ان يغرق في حوض للسباحة، فانتشلناه وأنعشناه. وبعد ذلك عشنا معه أربعاً وعشرين من السنوات الطيبة السعيدة. وخصصناه بالعناية والتربية والارشاد حتى صار رجلا. ثم سنحت له الفرصة لكي ينقذ حياة عشرة رجال آخرين، وهذا أمر يثلج صدورنا. لقد فطر موته قلوبنا جميعاً، لكننا في الوقت نفسه نشعر بأننا انتصرنا معه."

في ربيع ١٩٧٩ قلدت البحرية أفراد طاقم "ألفا فوكستروت ٥٨٦" ورجال كونواي أوسمة طيران. ومنح ماتيو غيبونز ميدالية تكريم إضافية وادوارد كيلور ميدالية تقدير. كما منح جيري غريغزبي واحداً من أرفع الاوسمة العسكرية تقديرا لبطولته الخارقة التي تتخطى الواجب.

■ إيرل وميريام سلبي

حتى وقت قريب كان الامل ضئيلا في معالجة الامراض الفيروسية، بدءاً بالزكام وانتهاء بالقوباء. اما اليوم فثمة مركبات على رفوف الصيدليات تبشر بضرب فيروسات عدة

العقاقير العجيبة



حمل ولد في الثامنة من عمره على جناح السرعة الى مستشفى مساتشوستس العمومي في بوسطن وهو يعاني ارتفاعاً في الحرارة وتلجلجاً في النطق، ومعه اثبات مخبري جازم بأنه مصاب بالقوباء الدماغية. وينجم هذا المرض عن فيروس القوباء الذي ينتقل من طريق الاعصاب الى الدماغ، وهو يؤدي الى وفاة ٧٠ في المئة من المرضى ويسبب عطباً دماغياً في ما يزيد على ٩٠ في المئة من الذين يبرأون منه.

عمد الاطباء الى حقن المريض عقاراً وافقت على استعماله ادارة الغذاء والدواء الامريكية. وفي غضون اسبوعين بدا جلياً ان جهازالمناعة في الصبي اخذ يتغلب على العدوى. وبعد انقضاء سنة شفي تماماً وأصبح المجلي في صفه في المدرسة.

● في روشستر، ولاية نيويورك، سهر والدان يراقبان ابنتهما البالغة

الشهر السادس في المستشفى. وكانت عدوى فيروسية في القسم الاسفل من الجهاز التنفسي ضيقت مدى اتساع رئتي الطفلة وأدت الى انخفاض مستوى الاوكسيجين في جسمها. مثل هذه الحال يمكن ان تكون قاضية بالنسبة الى الاطفال والمسنين الضعفاء. ولكن بعد ثلاثة ايام فقط من المعالجة بعقار تجريبي جديد، تماثلت الصغيرة للشفاء وعادت الى بيتها بعد اسبوعين.

● تفشت في جامعة تكساس وافدة انفلونزا شملت النوعين "أ" و"ب" من فيروس هذا الوباء، واصابت نصف عدد التلاميذ وأدت الى تغيبهم عن الصفوف. وكان معظم المصابين يقاسون من الوهن الناجم عن هذا المرض الذي اقعدهم مدة تراوح بين خمسة ايام وسبعة. الا ان مجموعة من ٢٥ طالباً تطوعوا لتجربة عقار جديد وشفوا تماماً من الحمى خلال ٢٤ ساعة او ٣٦ ساعة. واختفت كذلك اعراض الداء الاخرى في المدة نفسها تقريباً.

التحسن الطارىء في كل من هذه الحالات جاء نتيجة استخدام طائفة جديدة من المركبات الصيدلية: المضادات الفيروسية. فهل يعني هذا اننا ولجنا عصر "العقاقير العجيبة" في مكافحة الامراض الفيروسية؟

الامر ليس كذلك اذا نظرنا اليه من ناحية استخدام المضادات الحيوية للشفاء من العدوى الجرثومية. العقاقير المضادة للفيروس المتوافرة الآن، وتلك التي ستوافق عليها ادارة الغذاء والدواء الامريكية في المستقبل القريب، مصممة فقط للتحكم بالعدوى من طريق عدم السماح للفيروس بالتنامي.

فالبنيسيلين وامثاله من الادوية تؤدي واجبها من طريق القضاء على البكتيريا ذات الخلية الواحدة التي تسبح في مجرى الدم وتسبب العدوى. ولكن يتعذر القضاء على الفيروس من دون الحاق ضرر بخلايا الجسم، لأن الفيروس لا يمكنه ان يعيش خارج الخلية "المضيفة". وبين عدوى واخرى تكون هذه الفيروسات مجرد هباءات كيميائية خامدة. فمن أجل انتاج عوامل العدوى يتعين على الفيروسات ان تتسلل داخل خلية سليمة فتخرب الجهاز الجيني فيها وتحولها مصنعاً لانتاج فيروسات مماثلة.

يقول الدكتور جورج غالاسو المسؤول عن اعداد المضادات الفيروسية في المعهد الوطني للصحة في بيثيسدا، ولاية ماريلاند: "ان تدمير الخلية الصحيحة من اجل قتل الفيروسات النشيطة يشبه نسف غرفة النوم من اجل التخلص من عدد قليل من البعوض المزعج. وعوضاً عن ذلك نجد مفتاح السيطرة على العدوى الفيروسية في وقف عملية تكاثرها." اذا امكن تحقيق هذا في وقت مبكر، اي قبل انطلاق الوف الفيروسات النشيطة لتخريب الخلايا الصحيحة، فان جهاز المناعة في الجسم نفسه يستطيع ابقاء العدوى تحت سيطرته.

ان مجرد السيطرة على مرض فيروسي يؤدي الى نتائج مدهشة بالنسبة الى المصابين الذين يعانون

اشكالا من هذا المرض تقعدهم او تهدد حياتهم. وتبرز صحة هذا الواقع على نحو خاص في مرضى السرطان او المرضى الذين تزرع لهم اعضاء. فهؤلاء الذين تخمد لديهم المناعة بسبب المعالجة الكيميائية يصبحون معرضين أكثر للعدوى.

بيد ان الذين يفيدون من هذه المركبات ليسوا من مرضى السرطان فحسب، اذ توجد الآن خمسة عقاقير مضادة للفيروس موافق على استخدامها وتوصف في اشكال مختلفة (مرهم، حبوب، حقن)، وهناك سادس يلوح في الأفق:

١. أمانتادين. عام ١٩٦٦ وافقت ادارة الغذاء والدواء الامريكية على استخدام هذا المركب المضاد للفيروس كدواء وقائي ضد الانفلونزا الآسيوية لدى المرضى من اصحاب "الخطورة العالية" المسنين والذين اخمدت لديهم المناعة. وفي ١٩٧٦، بعد سلسلة من التجارب السريرية، رخص باستعماله على نطاق واسع ضد النوع "أ" من فيروس الانفلونزا الذي يسبب تفشيات وبائية خطرة. والآن اضحى العقار "أمانتادين" سلاحاً طبياً مهماً ليس فقط في الوقاية من الانفلونزا لدى الاشخاص ذوي الخطورة العالية ومكافحة الانتشار الوبائي في المدارس والثكنات العسكرية، بل كذلك في معالجة هذا المرض.

٢. ايدوكسوريدين. كان هذا اول مرهم مضاد للفيروس رخصت به ادارة الغذاء والدواء الامريكية عام ١٩٦٤ ليستخدم في معالجة التهابات العيون، وبنوع خاص مرض التعظم القوبائي الذي يسبب تخدش قرنية العين ويؤدي أحياناً الى العمى. وهو ينشأ من العامل نفسه المسؤول عن البثور الباردة والتقرحات القوبائية في الاعضاء التناسلية التي تنتقل عدواها الى العين عبر مجاري الاعصاب او عرضاً من طريق الاصابع. وهذا العقار يمنع تناسخ الفيروس بولوجه داخل الخلية المضيفة ومنع تصنيع الحمض النووي «DNA» الذي يحمل الخصائص الوراثية.

ويقول الدكتور هربرت كوفمان من مركز طب العيون في جامعة لويزيانا: "هذا يعني ان الخلية قد تتضرر او يقضى عليها. لكن تفادي العمى يجعل هذه المقايضة مقبولة." وخلال السنوات الاخيرة رخص بعقارين جديدين هما النوعان المحليان من الفيدارابين والتريفلوريدين.

٣. فيدارابين. لفت هذا العقار الباحثين في الستينات كعامل محتمل في مكافحة السرطان. وسرعان ما اكتشفوا انه يتمتع بفاعلية أبعد مدى في منع تناسخ بعض انواع الفيروس. وظهر ان الفيدارابين فعال ضد القوباء الدماغية، مع انه قد يحدث ردود فعل في الجهاز العصبي المركزي. وفي ١٩٧٧ رخص باستعماله في معالجة هذا الداء (موضعياً فقط)، ثم في معالجةداء القوباء المنطقية لدى الاشخاص الذين اخمدت فيهم المناعة.

٤ • **تريفلوريدين** • برهن هذا العقار عن انه فعال في معالجة العدوى التعظمية اكثر من الايدوكسوريدين او الفيدارابين • وهو يقطر في العين لذلك لا يغشي النظر، بينما يستعمل العقاران السابقان في شكل مرهم كثيف •

٥ • **آسيكلوفير** • يثير هذا العقار اهتماماً خاصا لانه يستطيع السيطرة على القوباء في الاعضاء التناسلية او حتى منع حدوثها • والقوباء التناسلية مرض مؤلم ينتقل بالاتصال الجنسي ويصيب ملايين الناس في انحاء العالم • وفي حين ان السواد الاعظم من الناس نادراً ما يصابون به، او انهم يصابون به في احيان متباعدة، فان عدداً كبيراً من الناس يعاني اعراضه مرة كل بضعة اسابيع • والنساء الحوامل يتحملن من جرائه عبئاً ثقيلا، لأن العدوى النشيطة منه وقت الولادة قد تنتقل من المهبل الى المولود الجديد • ومع ان هذا لا يحدث الا لماماً، فانه قد يسبب عطباً في العين او الدماغ كما يؤدي الى الوفاة في ٥٠ في المئة من الحالات •

ويستعمل الوف الناس عقار آسيكلوفير للتخفيف من حدة الاصابة الاولية بالقوباء التناسلية او اختصار مدتها • ويستخدم هذا العقار في شكل محلول يحقن وريدياً في المستشفيات لمعالجة الالتهابات الحادة لدى الاشخاص الذين اخمدت المناعة لديهم •

ويبشر الآن بالآسيكلوفير كفتح جديد في العلاج المضاد للفيروس • وفي حين تحمل معظم العقاقير الاخرى المرخص بها احتمالات اعراض جانبية – وان تكن عارضة وخفيفة – فيبدو ان الآسيكلوفير هو دونها سمية بالنسبة الى الخلايا الصحيحة • وبسبب فاعلية هذا العقار رخصت ادارة الغذاء والدواء الامريكية باستخدامه بعد ثمانية اشهر فقط من اتمام التجارب السريرية عليه (تستغرق المراجعة في الاحوال العادية ما معدله ٣٠ شهراً) •

٦ • **ريبافيرين** • اكثر من ١٠ في المئة من الالتهابات في مجاري التنفس السفلى التي تصيب آلوف الاطفال في كل فصل شتاء، وتتميز بالسعال المؤلم والحرارة المرتفعة والوهن الظاهر، تنجم عن فيروس تنفسي خاص • ويوجد الآن عقار يدعى ريبافيرين، لم يرخص به حتى الآن لدى ادارة الغذاء والدواء الامريكية، يبدو انه قادر على كبح هذه الغزوات الفيروسية •

وقد تبين من التجارب ان هذا المركب هو وسيلة ناجعة لاختصار مدة الاصابة بالانفلونزا، كما تبين في بعض الدراسات انه فعال ضد مجموعة متنوعة من الفيروسات، الامر الذي يجعله فريداً بين هذه العقاقير •

وثمة عائلة اخرى من العقاقير لم يرخص باستعمالها بعد، لكنها تبشر بأمل كبير، وهي الانترفيرونات • وقد برهنت هذه في بعض الدراسات عن فاعليتها كواقية صحية من الفيروسات التي تخترق الخلايا وتحمل

نوعاً من داء القوباء، كما برهنت في مواقف ابقيت فيها قيد المراقبة انها مفيدة في منع الزكام العادي.

يقول الدكتور مارتن هيرش الاستاذ المساعد في كلية الطب في جامعة هارفارد في كامبردج ورئيس علم الفيروسات في مستشفى مساتشوستس العمومي في بوسطن: "يقف العلاج بالمضادات الفيروسية اليوم عند النقطة نفسها التي كان فيها تطوير المضادات الحيوية في اواخر الاربعينات." فبعد سنوات من الابحاث حقق الطب بعض الانجازات المهمة. وتوجد في السوق اليوم بضعة عقاقير، وثمة عدد آخر في الانتظار، لكن الخبراء يتفقون على ان افضلها لا يزال في طريقه الينا.

ويضيف الدكتور هيرش: "في غضون عشر سنين فقط تحولت معالجة الالتهابات الفيروسية من الظلام الى الرجاء. ومع ان ثمة مقداراً كبيراً من الجهد يجب بذله، فلا ريب أننا ولجنا عصر المضادات الفيروسية."

■ ستانلي انغلبارت

لا يرد له أمر

ذات ليلة غشاها الضباب، شاهد ربان سفينة ما ظنه أنوار سفينة اخرى تتقدم نحوه. وطلب من المسؤول عن الاشارة ان يوجه أنواره نحوها معبراً بالضوء عن الآتي: "بدلوا اتجاهكم عشر درجات جنوباً." وأتاه الجواب: "بل بدلوا اتجاهكم أنتم عشر درجات شمالاً."

وعندئذ أجاب الربان نفسه: "بما اني قبطان، ينبغي أن تطيعني وتغير اتجاه سفينتك عشر درجات الى الجنوب."

وجاءه الآتي: "وأنا بحار من الفئة الاولى. لذلك عليك ان تطيعني وتغير اتجاهك عشر درجات الى الشمال."

وجن جنون القبطان الذي عاد يقول الآتي: "اني قائد سفينة حربية. وها أنا آمرك بتعديل اتجاهك."

وجاءه هذا الجواب: "أما أنا فقائد منارة بحرية. ولهذا أحثك على التقيد بأمري فوراً."

د.ب.

الطبيب الشاعر

الشاعر الامريكي وليم كارلوس وليمس كان، في الوقت نفسه، طبيباً. وطالما سئل عن طريقة جمعه بين الشعر والطب. وكان تفسيره كالآتي: "علمتني الخبرة أن معاملة المريض كشيء، عوضاً عن معاملته كشخص، لا تجديه كثيراً، على رغم العقاقير والعمليات التي قد تجرى له. أما معاملته كشخص أو كعمل فني فهي أجدى كثيراً من الناحيتين الطبية والانسانية."

ن.د.



الضحك خير دواء

معطف الفرو

دخلت امرأة محلا لبيع الفرو مع زوجها وطفلتهما ، وراحت البائعة تغريها بشراء معطف بقولها انه "يفعل العجائب ويجعل الجسم يبدو ناحلا ، والواقع انه كان واسعاً وثقيل الوزن . الا ان الطفلة ذات السنوات الأربع انقذت الموقف بقولها : "انه جميل يا ماما ، فأنت تبدين مثل الغوريلا ."

ج.ب.

أرقام غاليفر

في مصعد مزدحم، سأل رجل صديقه: "كيف حال تجارتك؟"
ـ عظيمة جداً. ففي العام الماضي بعنا ٥٠٠ الف منزل و٧٠٠ الف مزرعة و٧٥٠ الف مدرسة. ونأمل ان نبيع اكثر هذه السنة، اضافة الى مليون و٢٠٠ الف مرأب.
وران صمت عميق، الى ان قال احدهم: "سيدي، اني زميل في المهنة، واسمح لي ان اقول ان ارقامك مغلوطة جملة وتفصيلا ، ولا يمكن ان يقبلها العقل."
والواقع ان الشخص المحتج لم يعرف حقيقة الأمر، وهي ان التاجر الآخر هو مدير شركة كبرى لبيع الألعاب.

ر.ب.

تفاحة آدم وحواء

طرح استاذ السؤال الآتي على تلاميذه: "كم بقي آدم وحواء في الجنة؟" فأجابه احد الأولاد على الفور: "حتى الخامس عشر من يوليو (تموز)."
ـ وما تفسيرك لهذا التاريخ؟
"لأن التفاح لا ينضج قبل ذلك الوقت."

ر.ج.

غرام الشوكولاتة

الجملة الاولى في كتيب إعلاني عن الشوكولاتة: "لقد أثبتت الابحاث العلمية أن ١٤ شخصا من كل عشرة يحبون الشوكولاتة."

س.ب.

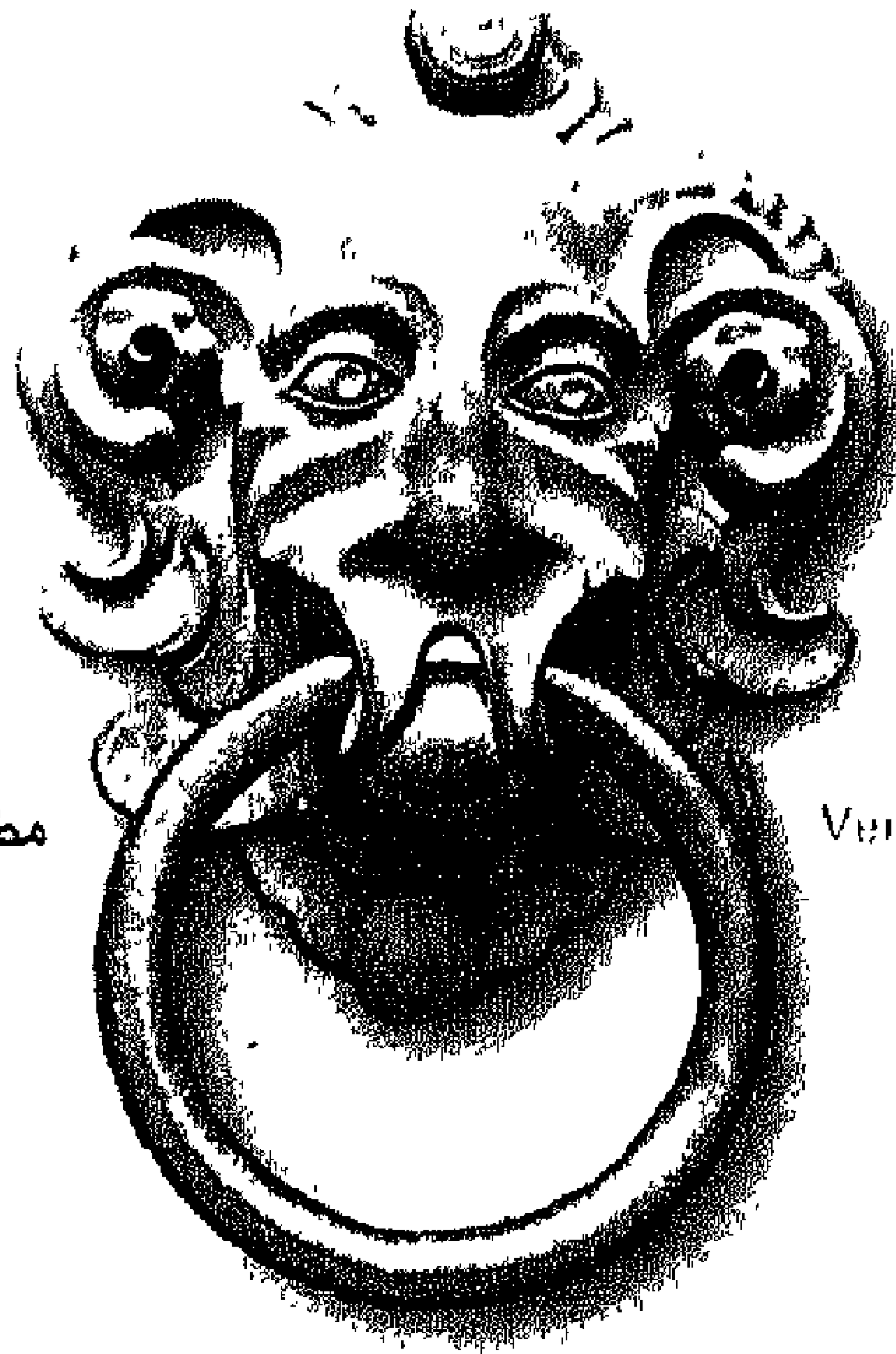
رجع الصدى

صرخ طبيب الأسنان بعدما عاين مريضاً جديداً: "يا الهي! هذا اكبر تجويف رأيته!... اكبر تجويف رأيته!"
فقال المريض غاضباً: "ولماذا تكرر العبارة؟"
فأجاب الطبيب: "انا لم اكرر شيئاً... انه الصدى."

ك.م.

هذه المدينة الخالدة فوق الهضاب السبع
دعيت مرة "مركز العالم"

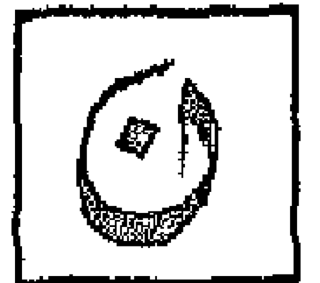
بامبرغ



مطرقة باب ·

Veit Muller

المدينة الخالدة

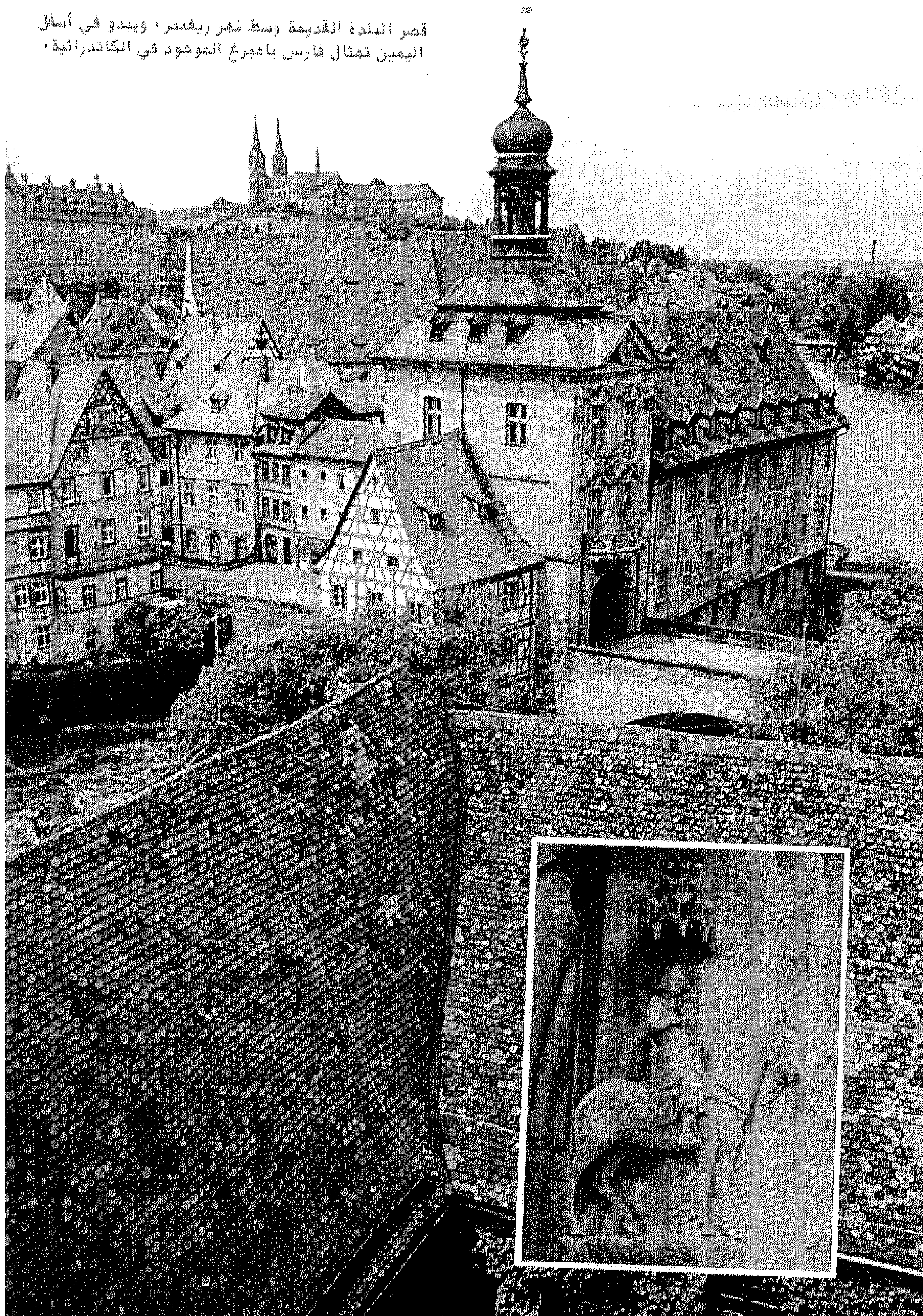


نظرت الى أسفل فرأيت المدينة المشيدة على سبع تلال منبسطة بسطوحها القديمة التي تشكل مزيجاً من الوان حمر ورمادية، وشاهدت كنائس ذات قباب مستدقة ترتفع عالياً نحو السماء، وكانت شمس الصباح ترسل أشعتها على النهر الذي يجري عبر الابنية الجليلة كشريط من اللجين، إنها مدينة يرقى تاريخها الى ما يزيد على ألف سنة، وقد كانت ذات مرة مقراً لأحد الاباطرة·

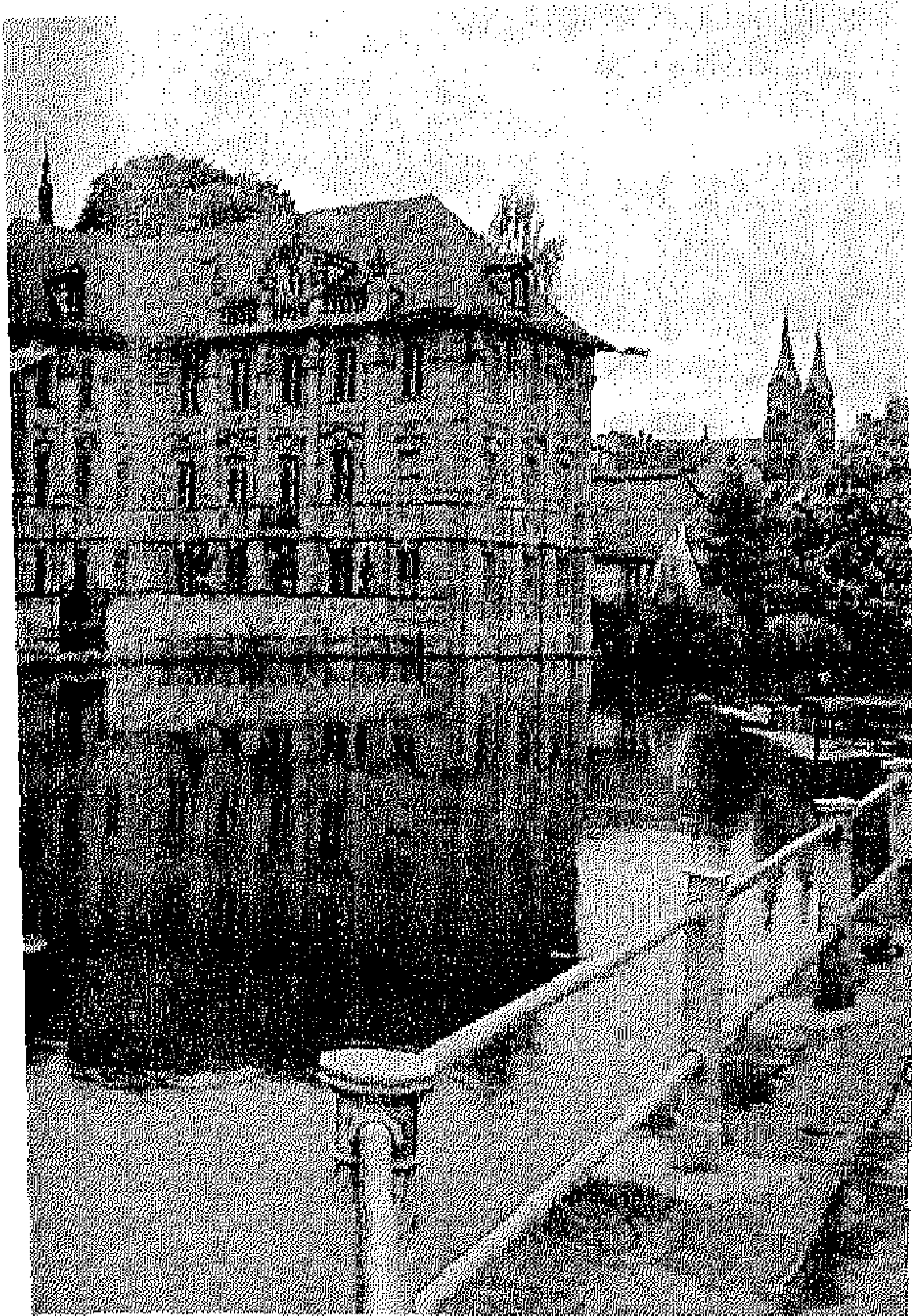
أهي روما؟ لا، بل هي بامبرغ، البلدة الالمانية القائمة في مقاطعة فركونيا الشهيرة بكرومها والتابعة لمنطقة بافاريا· وقد شيدت بامبرغ

Photo credit for panorama Veit Muller for inset Toni Schneiders / Joachim Kinkelin

قصر البلدة القديمة وسط نهر ريغنتز، ويبدو في أسفل
اليمين تمثال فارس بامبرغ الموجود في الكاتدرائية.



من اليمين: قلعة كونكورديا على صفحة مياه ريغنتز؛ الكاتدرائية ذات القباب الاربع·



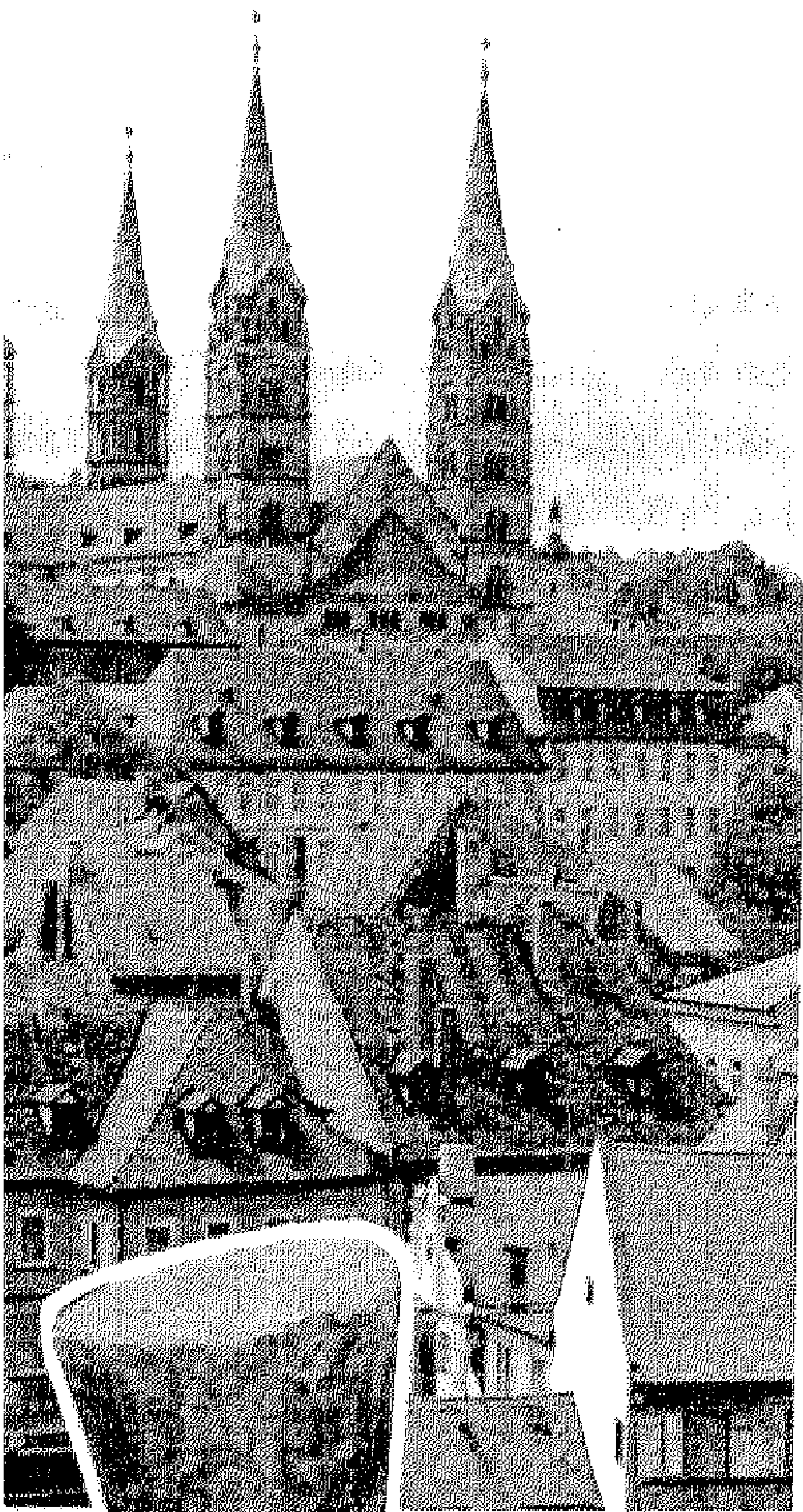


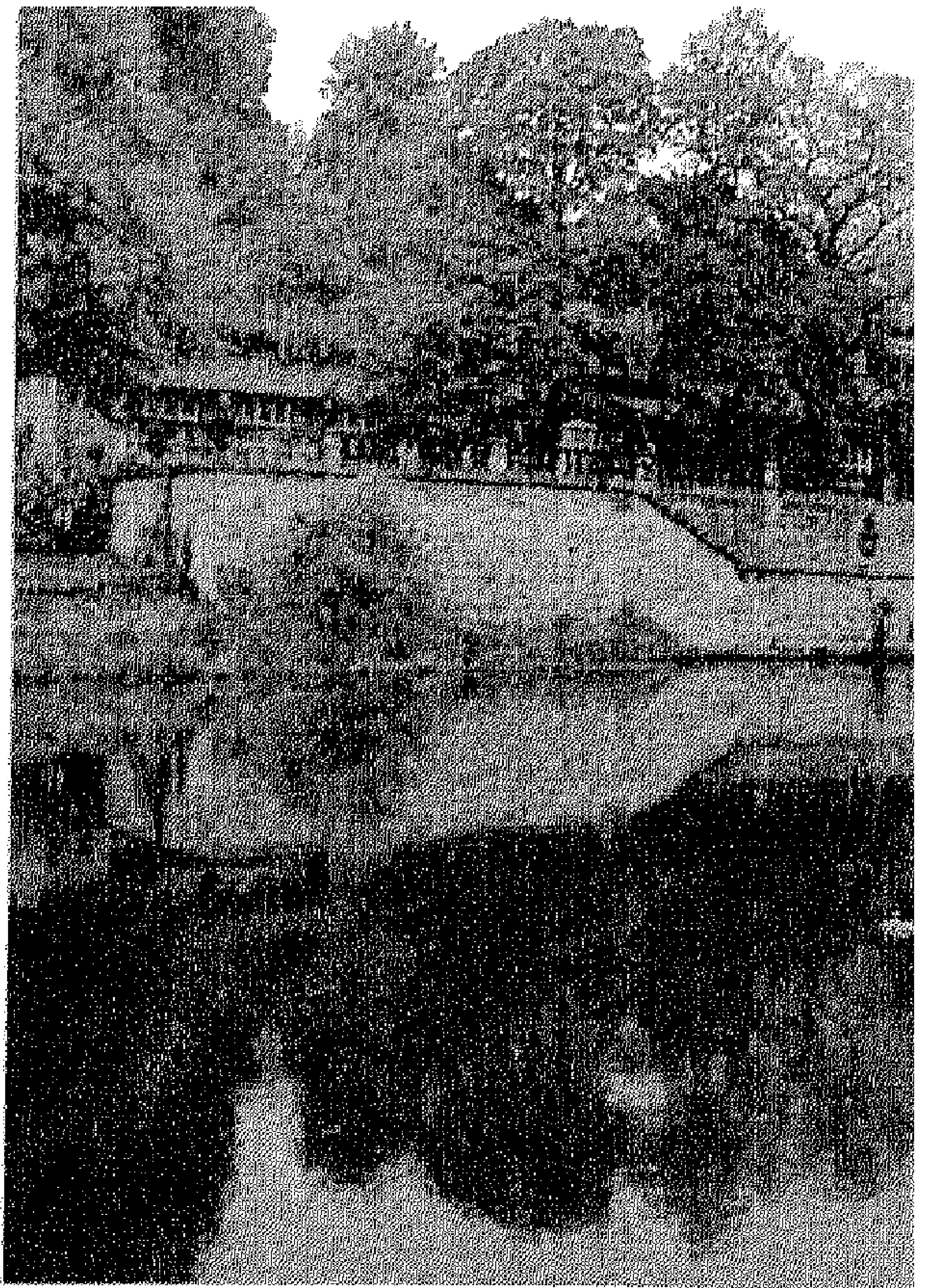
على مثال المدينة الخالدة فوق هضاب سبع ودعيت ذات مرة "كابوت أوربيس" أي مركز العالم· كان ذلك في مطلع القرن الحادي عشر حين باتت بامبرغ لفترة قصيرة العاصمة غير الرسمية للامبراطورية الرومانية التي أسسها شارلمان· وقد نصب عمود في ساحة الكاتدرائية للاشارة الى حيث يقع "مركز العالم"·

تمتد بامبرغ القديمة اليوم على مساحة ٢٥٠ هكتاراً، وهي تفوق كل مدينة ألمانية أخرى بعدد أبنيتها التاريخية· وقد أتيح لي وأنا على برج غايرسورث ان اعرف ما الذي حدا الكاتب رودولف بورتنر على القول إن بامبرغ هي "أكمل مثال لجميع المدن التي لا تزال قائمة حتى الآن·" فأبنيتها مثل سمفونية في فن العمارة، عناصرها مزيج من الانماط الرومانسكية والقوطية والباروكية ونمط عصر النهضة· أما بساتينها وحقولها الموزعة بين البيوت فهي أقرب الى نغمة ريفية·

غير أن ما لفت نظري أكثر من سواه هو الابنية التي بدت في حال من الكمال كأن الايام لم تغير فيها شيئاً· لذلك لم يكن غريباً ان يصار الى تكريم أهل بامبرغ في العام ١٩٧٥، وهو عام المحافظة على الابنية القديمة في اوروبا، بسبب صيانتهم التي قل نظيرها لبيوتهم القديمة· وفي العام ١٩٧٧ عقد مؤتمر دولي ضم مشاهير المهندسين المعماريين

من اليمين: بائعة بقول، واجهة فندق "مسرشميت" من الطراز الباروكي، تمثال القصصي هوفمان·
Veit Muller








MESSERSCHMITT

والخبراء في الفن. وفي نهاية المؤتمر تقرر منح بامبرغ ميدالية أوروبا الذهبية لكونها أفضل المدن الاوروبية في المحافظة على أبنيتها التاريخية وترميمها. وفي الوقت الحاضر لم يعد ممكناً عقد حلقة دراسية أو مؤتمر حول هذا الموضوع من دون الرجوع الى هذه المدينة.

خطر داهم – واجهت بامبرغ في بداية الستينات خطراً حقيقياً كاد ان يقضي على مركزها التاريخي، إذ تبين انه من الاسهل كثيراً هدم المنازل القديمة وتشييد مئات الابنية الحديثة المكونة من الزجاج والاسمنت. وعندما دق المواطنون المعنيون ناقوس الخطر كانت الجرافات هدمت في بامبرغ عدداً من الابنية يفوق ما دمر منها في أثناء الحرب العالمية الثانية. ويقول الطبيب المحلي فيكتور هارث: "ان مدينتنا القديمة تشبه سواراً مرصعاً بالجواهر، فاذا نزعنا منه جوهرة واحدة شوهناه برمته. فالحفاظ على جمال السوار يقتضي المحافظة حتى على صغار الحجار الكريمة."

بصفته رئيساً لجمعية المحافظة على بلدة بامبرغ القديمة، بدأ هارث ينظم مناظرات وأسواقاً خيرية وحفلات موسيقية ويرسل بعض أعضاء الجمعية للبحث عن آثار الخراب في أبنية البلدة، أو عما هو أسوأ، أي مشاريع "تجديد" تلك الابنية على نحو يبتعد بها عن الاصل. وهب أعضاء آخرون الى نشر نشاطاتهم بين أصحاب البيوت، وجعلوا يكتبون على الابنية التاريخية أسماء بناتها الاصليين. كما أنشأوا صندوقاً لمساعدة الاهالي الذين يحتاجون الى مبالغ صغيرة لترميم بيوتهم وصيانتها. ومنحوا جوائز لأفضل أعمال الترميم.

المواطن الفخور – لم يمض زمن طويل حتى غدا موضوع المحافظة على الابنية التاريخية أبرز الموضوعات المحلية في بامبرغ. فبعدما كان الانطلاق في أعمال الترميم بطيئاً أصبح الآن مجموع ما تنفقه الدولة الالمانية ومنطقة بافاريا ومدينة بامبرغ نفسها على هذه الاعمال يبلغ نحو عشرة ملايين مارك (٣،٥ ملايين دولار) في السنة. وقد ارتفع هذا المبلغ الى نحو عشرين مليون مارك (٧ ملايين دولار) بمساهمة المتبرعين من الافراد والمؤسسات الدينية وسواها. وما تبقى اليوم في بامبرغ من الابنية التي ترقى الى اكثر من ٢٠٠ سنة والتي تحتاج الى ترميم يقل عن نصف عددها الاجمالي البالغ ١٤٠٠ بناء.

غير أن إصلاح هذه الابنية يثقل اصحابها بأعباء مالية كبيرة. مثال ذلك ان فولفغانغ فونش قائد الفرقة الموسيقية في الكاتدرائية أنفق ٣٥٠ ألف مارك (١٢٥ ألف دولار) لترميم بيت اشتراه في مقابل أغنية عام ١٩٧٤. وقد بني هذا البيت على النمط القوطي قبل ٦٠٠ سنة. وقال لي فونش: "كنت أمر به في طريقي الى العمل، ومع أنه كان خالياً ويكاد يتداعى فقد أحببته من

النظرة الاولى." واقتضى إصلاحه على نحو كامل إنفاق ٨٠٠ ألف مارك اضافية جمعت من التبرعات. وها هو اليوم بطبقاته البيضاء الاربع وموقعه على ضفة النهر وشرفاته الخشبية واحداً من أجمل بيوت بامبرغ. ويقول فونش: "سوف احتاج الى عشرين سنة أخرى كي انتهي من إصلاحه والى ثلاثين سنة لأفك رهوني وأفي ديني للمصرف. لكن الامر جدير بذلك، ويغمرني كمواطن شعور بالفخر."

لقد عاد الصندوق بالنفع على ٨٠٠ شخص من مواطني بامبرغ حتى الآن. ويقول هارث: "ان المنفعة شملت أيضاً المجموعة كلها، لأن حشر الناس في مدن قبيحة لا طابع معيناً لها يكلف اغلى كثيراً من الناحية الاجتماعية. فحاجة الروح الانسانية الى الجمال لا تقل عن حاجة الجسم الى الطعام، ولا شك في ان للسكن في بيئة جميلة أثراً إيجابياً في السكان." وجاء في مقال لاحدى المجلات الاسبوعية عام ١٩٨١ ان سكان بامبرغ هم أسعد المواطنين في ألمانيا الغربية.

مركز حضاري – ترجع تسمية المدينة الى عائلة بابنبرغ التي حكمت الاقليم المحيط بها في العصور المظلمة (القرون الوسطى). وفي القرن الحادي عشر اتخذ الامبراطور هنري الثاني، وريث امبراطورية شارلمان، مدينة بامبرغ مقراً له، وأقام فيها كاتدرائية عظيمة وكنيسة وديراً كي تنافس في روعتها مدينة روما. ولما كان هذا الامبراطور شديد الورع، فقد جعل بامبرغ أسقفية ووهبها أراضي تمتد جنوباً الى فريولي في شمال شرق إيطاليا. وعاونه في حكم المدينة الاسقف ابرهارد، مستشاره السابق الذي جمع خلفاؤه في ما بعد بين السلطتين الدينية والزمنية وباتوا يعرفون في المدينة بالاساقفة الامراء. ودامت هذهالحال حتى العام ١٨٠٣ عندما أضحى حكم بامبرغ مدنياً في أعقاب غزوات نابليون.

وفي عهد الامبراطور هنري أصبحت بامبرغ أيضاً مركزاً ثقافياً وحضارياً مهماً، إذ كانت فيها مكتبة تضم ألفي مخطوطة ومدرسة تابعة للكاتدرائية تدرب المتخصصين بالدراسات الكنسية والديبلوماسيين. وفي العام ١٦٤٨ أسست جامعة في بامبرغ وأصبحت المدينة الثانية بعد هامبورغ ينشأ فيها مستشفى. وكان الفنانون والباحثون والعلماء يفدون اليها أفواجاً. وحل الرسام البرخت دورير ذات مرة ضيفاً في قصرها القديم. وأمضى فيها الفيلسوف هيغل بضع سنوات يعمل في الصحيفة المحلية "بامبرغر زينونغ". أما الكاتب القصصي الشهير هوفمان فعمل مديراً لمسرح المدينة.

وبامبرغ حافلة بالبيوت الرائعة كبيت بوتنغر الغني بزخرفته وقصر كونكورديا الواقع على ضفة النهر وقصر البلدة القديمة الذي يجثم كالسفينة في وسط نهر ريغننز.

فطور لا ينسى – في القرن الخامس عشر كان أهل بامبرغ منقسمين فئتين، إحداهما كنسية والاخرى

مدنية. وكان النهر يفصل بينهما. ولما كانت كل فئة منهما تريد ان يبنى في أرضها قصر في أعلاه برج، فقد وجد الاسقف الامير حلا يقضي ببناء القصر في وسط النهر.

الا أن المدينة لم تبلغ ذروة مجدها إلا بكاتدرائيتها ذات القباب الاربع. وتحوي هذه الكاتدرائية كنوزاً أشهرها تمثال ("فارس بامبرغ") المصنوع من الحجر والذي يصور فارساً متوجاً. ويرى معظم الباحثين أنه يرمز الى الحاكم المثالي في القرون الوسطى، ذلك الحاكم الذي يحدق الى الآفاق الروحية والمادية في آن.

في الجهة الغربية لساحة الكاتدرائية نشاهد القصر القديم الذي يمثل فن العمارة في عصر النهضة. وهو ذو سقوف عالية علقت بها طنوف جميلة. وكانت توضع فيه الحبوب واللحوم المجففة ومنتوجات أخرى كان المزارعون المحليون يدفعونها كضرائب. وفي الجهة المقابلة واجهة تمثل بوضوح النمط الباروكي، وهي جزء من المقر الجديد الذي بناه في نهاية القرن السابع عشر يوهان ليونارد دينتسنهوفر، المهندس المعماري الشهير.

وعلى رغم غنى بامبرغ بأنماطها المعمارية وكنوزها الفنية، فانها تبقى في المقام الاول مكاناً "للناس". ويبلغ عدد سكانها ٧١ ألف نسمة، ويندمج زائرها من فورة في حياتها المريحة. وقد قال لي رئيس المجلس البلدي بول رومز عندما زرته: "إننا لا نتمنى البتة ان تصبح بامبرغ شبيهة بمدينة والت ديزني."

واشتهرت بامبرغ باعداد بعض الوان الطعام الشهية ومن بينها الهليون والبصل المطبوخ باللحم. لكن أشهرها جميعاً كعكة الـ"هورنلا" أو "كرواسان" بامبرغ. وعلى رغم ادعاء أهل فيينا انهم اخترعوا الـ"كرواسان" (★) في القرن السادس عشر فقد كان خبازو بامبرغ يبيعون الـ"هورنلا" قبلذلك بقرن كامل، وهم قدموا الى أجيال من الاوروبيين فطوراً لا ينسى.

الجمال العظيم ـ إذا افترضنا ان التعبير عن الابتهاج يحتاج الى مناسبة، فان في بامبرغ فائضاً من هذه المناسبات. ومن بين الاسباب التي تحدو على إقامة الاحتفالات في بامبرغ ذكرى تشييد الكنائس. وأعظم هذه الاحتفالات هو "ساندكيرفا". ويدوم إحياؤه أربعة أيام وتقام فيه نزهات ليلية في النهر بمراكب مضاءة. وفي الخامس عشر من يوليو (تموز) يحتفل بعيد القديس هنري ويطوف المحتفلون في شوارع بامبرغ القديمة. أما في عيد القديس يوحنا الذي هو أطول ايام السنة فيجتمع الناس في الهواء الطلق ويضرمون النار على التلال حول المدينة.

اشتهرت بامبرغ بعد الحرب بفرقتها الموسيقية التي يبلغ عدد أفرادها ١٠٢. وقد تألفت من أعضاء الاوركسترا السمفونية الالمانية الذين اتخذوا مدينة براغ مقراً لهم بعدما

(★) كعكة محلاة هلالية الشكل.

هربوا غرباً عام ١٩٤٥ في أثر زحف الجيش الروسي الى تشيكوسلوفاكيا. ولم يكن معهم حين وصلوا الى بامبرغ سوى فراشي أسنانهم وآلاتهم الموسيقية. لذلك واجهوا مشكلة ليلة افتتاح حفلاتهم هناك. فقد ذهب أعضاء من الفرقة الى الحاكم العسكري الامريكي النقيب الراحل ناتان برستون وأبلغوه اعتذارهم قائلين: "ليس في وسعنا العزف بثيابنا العادية، فنحن نحتاج الى ثياب سوداء."

وقد قال لي برستون في يوليو (تموز) ١٩٨٢: "كان ايجاد هذا العدد من الثياب السوداء في نهاية الحرب أشبه بالبحث عن الدببة القطبية في الصحراء. لكننا حصلنا عليها وان كان بعضها غير ملائم طبعاً."

واشهر فنادق بامبرغ هو "شرنكرلاس" الذي افتتح عام ١٦٧٨. فالمرء يرى خارجه الرياحين في أصص النوافذ، وداخله السقوف المنخفضة وقد علقت فيها مصابيح من قرون الوعول.

وفيما كنت ذات مرة جالساً في الفندق الى طاولة من الخشب كبيرة، والى جانبي أحد سكان بامبرغ، أخذ جليسي يستعيد ذكرياته قائلا: "عندما أتيت الى هنا للمرة الاولى قبل سنوات كنت أظن المدينة خاملة مملة. لكني ما زلت أذكر اللحظة التي بت مولعاً بها. حدث ذلك في يوم من أيام الربيع، وكانت أشجار الكستناء أزهرت. وفجأة غمرني إحساس بالجمال العظيم الذي نما هنا على مر القرون. وأنا واثق الآن اني أفضل السكن في هذه المدينة عليه في أي مدينة ألمانية أخرى."

ورفعت له كأسي... قد أكون أنا أيضاً أصبحت مولعاً بهذا المكان الفاتن.

■ كريستوفر ماتيوز



رعب هيتشكوك

بادر صحافي يوماً المخرج الكبير ألفرد هيتشكوك: "انك لا تحضر البتة عرض أفلامك مع الجمهور. ألا يفقدك هذا الامر ردود فعلهم من خوف ورعب وصراخ؟"
فأجابه هيتشكوك: "كلا. فأنا أرى رعبهم وأسمع صراخهم خلال اعداد الفيلم."

ك.ا.م.

شهية العصافير

الذين يقولون عمن خف أكله انه "يأكل كعصفور" يجهلون كم هي شهية العصافير كبيرة. فهي تلتهم الطعام على نحو لا يصدق. وقد أنفق مختبر جامعي تسعة أطنان من بزور دوار الشمس طعاماً لعصافيره خلال أحد فصول الشتاء. وفي مكان اختباري آخر، لوحظ أحد العصافير يلتهم مئة حبة من دوار الشمس خلال ٢٥ دقيقة.

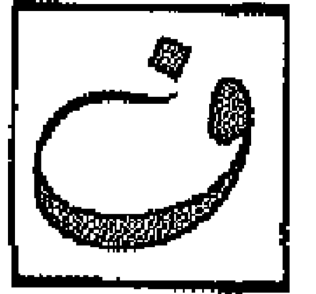
ج.د.

عَاشَ الملكُ !
عَاشتْ سِيُلفيا !



الملك كارل السادس عشر غوستاف والملكة سيلفيا يوم زفافهما .

تغيرت أسوج (السويد) كثيراً منذ ما أحب ملك البلاد ـ والأمة بأسرها ـ فتاة المانية من عامة الشعب



في تمام الثانية عشرة ظهر التاسع عشر من شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٦، كانت حسناء قاتمة الشعر ترتقي درجات فرشت بسجادة حمراء، لتدخل كاتدرائية ستوركيركان في استوكهولم التي يرجع عهدها الى القرن الثالث عشر. وعلى مدخل الكاتدرائية تقدمت مبتسمة، رابطة الجأش، وأمسكت يد كارل السادس عشر غوستاف، ملك أسوج (السويد) البالغ من العمر يومئذ ثلاثين عاما. وتقدم الاثنان ببطء عبر الممشى الطويل ووقفا أمام المذبح الذي غطته ورود حمراء زاهية.

استغرقت مراسم الزواج خمساً وأربعين دقيقة أمام حشد من المدعوين بلغ عددهم سبعمئة، وفيهم الملوك والامراء والرؤساء ورؤساء الوزراء، وأمام عدسات التلفزيون التي نقلت وقائع الاحتفال الى ملايين المشاهدين. وخرج الملك وعروسه من الكنيسة ليجدا مئة وخمسين ألفاً من الرعايا اصطفوا على جوانب الطرق ليهتفوا بحياتهما. في تلك اللحظة كانت شابة في الثانية والثلاثين من عمرها، ترتدي ثياب عرس كأنها حيكت في الاساطير، تنتقل من صفوف العامة لتصبح ملكة أسوج.

وفي مأدبة العرس التي أقيمت في القصر الملكي في استوكهولم وقف الامير برتيل، عم الملك، ورفع كأسه يشرب نخب الشابة الجالسة بجانب الملك، وقال باسمه وباسم الامة: "اننا معجبون بحكمتك وبفتنتك، وواثقون بأنك ستؤدين واجبك على أكمل وجه. ان الشعب الاسوجي، وأفراد عائلتي جميعاً، يرحبون بك، بملكتهم الجديدة".

وفعلا كان ترحيب الشعب الاسوجي

بالملكة الجديدة صرخة عاطفة ملكية أدهشت الكثيرين في ذلك البلد الذي يعيش مواطنوه مؤمنين بمبدأ المساواة. وعلى رغم ان الحكومة الاسوجية المتمسكة بمبادىء الاشتراكية نجحت في تجريد الملك من معظم سلطاته السياسية، فقد بدا جلياً أن الكثيرين من المواطنين، ويبلغ عددهم ثمانية ملايين، ما زالوا اليوم يعزون النظام الملكي. ففي العام ١٩٨١ أجري استفتاء للوقوف على آراء المواطنين، كانت نتيجته ان ٧٤ في المئة من السكان يحبذون وجود شخصية ملكية على رأس الدولة، في حين كانت هذه النسبة ٦٩ في المئة فقط عام ١٩٦٢. وعندما سئل الاسوجيون عن الشخصية التي توحي اليهم بالثقة أكثر من اي شخصية أخرى، ملكية كانت او سياسية، احتلت الملكة سيلفيا مكان الصدارة، اذ حصلت على ٤٩ في المئة من مجموع الاصوات. أما المقابلة التلفزيونية التي أجريت مع الملك والملكة في رأس السنة الجديدة عام ١٩٨٣ فقد حظيت بعدد مذهل من المشاهدين قدر بخمسة ملايين.

قصة حب — ولدت سيلفيا رينات سوميرلات في هايدلبرغ في ألمانيا، في ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٣، من أم برازيلية وأب هو رجل أعمال ألماني. وترعرعت مع أشقائها الثلاثة، وهم أكبر منها سناً، في سان باولو في البرازيل، حيث استقر وولتر سوميرلات مع عائلته بعد الحرب العالمية الثانية، وكان مديرا لشركة "أوديهولم" الاسوجية لصناعة الصلب. وكان الاولاد يمضون أيام عطلهم في مزرعة للبن تملكها العائلة، حيث كانت سيلفيا تتمتع بركوب الخيل والسباحة وألعاب الجمباز، وتنعم برفقة قردها العزيز ميكي. ويوم عادت العائلة الى ألمانيا عام ١٩٥٧، وقفت سيلفيا على أرض المطار تلوح مودعة رفيقات مدرستها بقلب متفطر، وكانت آنذاك في الرابعة عشرة من عمرها.

استقرت عائلة سوميرلات في دوسيلدورف. وفي ١٩٦٣ حازت سيلفيا شهادة أبيتور (نهاية المرحلة الدراسية) والتحقت بمعهد الترجمة في ميونيخ. وفي ١٩٦٩ حصلت على شهادة في اللغة الاسبانية. وعملت بعد ذلك مدة سنتين في القنصلية الارجنتينية في ميونيخ. وفي ١٩٧١ اختيرت لتكون واحدة من ثماني مضيفات مهمتهن اختيار مضيفات أخريات وتدريبهن لدورة الالعاب الاولمبية عام ١٩٧٢. وقبيل افتتاح الدورة رقيت سيلفيا الى مركز مساعدة لرئيس اللجنة التنظيمية، وكانت احدى مهماتها يومذاك استقبال الشخصيات البارزة.

وشاءت الاقدار أن يكون أحد هؤلاء الضيوف المشاهير ولي عهد أسوج، كارل غوستاف، الذي رأى سيلفيا للمرة الاولى خلال حفلة استقبال. فدعاها الى حفلة راقصة كان سيقيمها، ومنذ ذلك الحين أصبحت المرأة الوحيدة في حياة الملك.

في التاسع عشر من سبتمبر (ايلول) ١٩٧٣، بعد وفاة الملك

غوستاف السادس أدولف، جلس كارل غوستاف على عرش أسوج وهو في السابعة والعشرين. وكانت سيلفيا وقعت عقداً للعمل في ادارة الالعاب الاولمبية الشتوية في انسبروك عام ١٩٧٦. فقرر الاثنان أن تبقى قصة حبهما سرية. وكثيراً ما كانت سيلفيا تسافر متنكرة الى استوكهولم. الا أن أحد المصورين شاهد الحبيبين مرة في احدى محطات الوقود، فبدأت الاشاعات تروج بسرعة.

تمّ اعلان الخطبة رسمياً في الثاني عشر من مارس (آذار) ١٩٧٦، بعد انتهاء الالعاب الاولمبية. وفي ذاك اليوم عينه ظهر الملك مبتهجاً على شاشة التلفزيون ليقدم خطيبته الى حشد متلهف من المشاهدين. فكانت تلك اللحظة بداية لقصة حبّ ثانية بين الاسوجيين وملكتهم المقبلة. ويستعيد لارس اوروب ذكرى تلك المناسبة، وهو من قدامى المعلقين التلفزيونيين: "لقد بدت سعيدة، ووجهت الى المشاهدين بضع كلمات بالاسوجية. وعلى الفور احتلت قلوب المواطنين جميعاً."

وكون الملكة سيلفيا تتمتع بهذه الشعبية الواسعة لا يدعو في الواقع الى العجب. فهي رائعة الجمال، لها عينان بنيتان ثاقبتان وملامح بديعة التكوين وبشرة مخملية ناعمة. وهي بطبيعتها ودّية وغير متحفظة، فكانت شخصيتها هذه مكملة لشخصية كارل غوستاف الخجول الذي ينزع الى الانطواء على نفسه. وتقول الملكة في هذا المجال: "انّ كلا منا يساعد الآخر، وهذا شيء رائع."

وعلى رغم ان نظراتها الاخاذة تجذب اليها الاهتمام والاضواء، فهي لا تنسى أبدا أنها زوجة ملك. وقد علق على هذه الظاهرة جون اريك وستروم، وهو وزير سابق للتربية والثقافة رافق الملك والملكة في زيارتهما الى تنزانيا والمكسيك، فقال: "انها تحرص دائماً على أن يبقى هو متقدماً، وهي تراعي منصبه وتنتظر دورها في الحديث والكلام."

ملكة المفاجآت ـ تتصرف سيلفيا مع الصحافة بمهارة فائقة بفضل شخصيتها الهادئة ورباطة جأشها. ونذكر على سبيل المثال أن صحيفة "داغنز نايهيتر"، وهي اهم صحيفة صباحية يومية في البلاد، تحدت الملكة ذات مرة حين طلبت منها أن تشرح سبب امتناعها عن مساندة الحركة المناهضة للتسلح النووي مساندة عملية. فأعطت الملكة جواباً ذكياً ورصيناً، وقالت أنها بالطبع من دعاة انتشار السلام في العالم، ولكن ينبغي أن تبقى الملكية بعيدة عن الخوض المباشر في السياسة. وأضافت: "اذا اتخذنا من الاحداث مواقف علنية منحازة، نظر الناس الينا وكأننا فريق في قضية، والفريق له خصوم."

تتمتع الملكة بمقدرة فائقة في اللغات، وهذا عامل ساعدها الى حدّ بعيد في خوض حياتها الاجتماعية برشاقة ومهارة. فهي تتقن خمس لغات: البرتغالية والالمانية والاسبانية والانكليزية والفرنسية، كما تتكلم الاسوجية بطلاقة مع زوجها وأولادها.

وقد يحدث أحياناً أن تطلق بعض النكات بالاسوجية في مقابلاتها التلفزيونية. والاسوجيون يحبون تصرفها هذا حباً عظيماً. وهم كذلك يقدرون ملكتهم لأنها تراعي مشاعر الآخرين في كل ظرف.

في نهاية زيارة قام بها الزوجان الملكيان الى غوتلاند في ربيع ١٩٧٨، كان الحر شديداً. وكان الملكان ركبا سيارتهما استعداداً للسفر عندما شاهدت الملكة جماعة من المسنين وقفوا تحت الشمس المحرقة وعلى وجوههم ملامح السأم. فترجلت من السيارة وتوجهت نحو الجماعة المبتهجين وتجاذبت معهم الحديث. وقد قال بوبي أندستروم، وهو صحافي يرافق الملك والملكة في الكثير من زياراتهما: "ان أموراً كهذه تحدث باستمرار. فقد تشاهد الملكة بين الحشود طفلا أو عاجزاً أو شخصاً منعزلا بعيداً عن أي اهتمام، فتتوجه اليه لتصافحه أو لتقدم اليه كلمة تشجيع أو عزاء."

وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨١ ظهرت سيلفيا على شاشة التلفزيون في برنامج للمعاقين. وعندما سئلت عما تعرفه عن حال المعاق ومشاعره أجابت ببساطة مذهلة معبرة بلغة الاشارات، وكانت الملكة لفترة خلت استقدمت معلماً متخصصاً بلغة الاشارات أعطاها دروساً أسبوعية. وكان معظم معاونيها المقربين يجهلون هذا الامر كلياً.

وانهالت على القصر رسائل المشاهدين المعجبين وبطاقاتهم وبرقياتهم. وفي احدى هذه الرسائل قالت فتاة في العاشرة من عمرها إن والديها أصمان يتخاطبان بلغة الاشارات، وانها كانت حتى الساعة تشعر بحرج في استعمال الاشارات أمام الغرباء. وأردفت الفتاة: "أما الآن، وقد شاهدتك تستعملين لغة الاشارات، فلم أعد أشعر بأي حرج."

الزيارات الملكية – كثيراً ما يشاهد المواطنون ملكتهم تتسوق في محلات المدينة، أو تطوف أرجاء جزيرة أولاند صيفاً، او تتنزه بعد ظهر أيام الاحد في متنزه دروتننغهولم خلف القصر برفقة ولية العهد الاميرة فكتوريا (ولدت في ١٤ يوليو/ تموز ١٩٧٧) والامير فيليب (ولد في ١٣ مايو/ أيار ١٩٧٩) وصغرى أولادهما مادلين (ولدت في ١٠ يونيو/ حزيران ١٩٨٢). والملك والملكة، على غرار الآباء والامهات جميعاً ، يقودان أحياناً سيارتهما ليوصلا ولديهما الكبيرين الى دار للحضانة في ضاحية فاستيرلد القريبة.

وتقول سيلفيا مشيرة الى هذه المظاهر: "ان المواطنين يرتاحون لمشاهدتنا نتصرف هكذا كالسكان العاديين. وهم يسألون تكراراً اذا كنا، من وقت الى آخر، نحضر طعامنا بأنفسنا، أو نغير حفاضات أطفالنا، أو نرتب أسرتنا بأيدينا (والحقيقة أن الزوجين الملكيين يقومان فعلا بهذه الاعمال). لكن المواطنين يريدوننا أيضاً أن نكون ملكاً وملكة يمثلان أسوج تمثيلا لائقاً في المناسبات. فيتوجب علينا أن نكون مواطنين عاديين تارة وملكين تارة أخرى."

أما الزيارات الرسمية الخارجية فتبقى أصعب هذه المهمات قاطبة. فالزوجان الملكيان قاما بثلاث عشرة زيارة الى الخارج خلال السنوات السبع الاخيرة.

والاستعدادات لمثل هذه الزيارات تكون دائماً دقيقة وجهيدة. فتكب الملكة على صفحات وصفحات من المعلومات، وتستشير الخبراء لتلم بكل مظهر من مظاهر الحياة في البلد الذي ستزوره مع الملك. فتتعرف هكذا الى حضارة البلد وثقافة شعبه والى لغته أحياناً.

الجوهر باق – على صعيد الحياة العائلية استطاعت سيلفيا أن تحيط كارل غوستاف بالحنان والعطف اللذين طالما افتقر اليهما. فوالده قتل في حادث طيران عام ١٩٤٧ بعد سنة واحدة من ولادته. وفي ١٩٥٠، عندما اعتلى جده غوستاف أدولف عرش أسوج، كان عمر كارل غوستاف أربع سنوات ونصف سنة، فاصبح في تلك السن ولياً للعهد. وترعرع في بلاط يرتاده أناس من جيل جده، ونشأ في ظل ملك مخلص ومحبوب عاش تسعين عاماً.

وعندما اصبح كارل غوستاف ملك الاسوجيين، كان الحزب الديموقراطي الاجتماعي الحاكم ماضياً في تحجيم الملكية والحدّ من صلاحياتها. وقد وضع دستور جديد أصبح سارياً عام ١٩٧٥ وجعل دور الملك دوراً احتفالياً ورمزياً الى حد بعيد. ويبقى الغاء الملكية جزءاً لا يتجزأ من برنامج عمل الحزب الديموقراطي الاجتماعي، لكن هذه القضية همدت بمجيء الملكة الجديدة. ويقول يان – اريك ويكستروم: "منذ ما جاءت سيلفيا الى أسوج تلاشت كل رغبة في الحديث عن هذه القضية."

وتتقبل الملكة سيلفيا متطلبات مركزها بواقعية. وهي قالت في هذا الصدد: "اني أقبلت على هذا الوضع بوعي كلي. وساعدتني خبرتي العملية لسنوات طويلة في الاستعداد نفسياً لما يخبئه المستقبل." وهي تؤكد انها لا تختلف اليوم كثيراً عما كانت قبل أن تصبح ملكة، فتقول: "ان ما طرأ علي من تغيير لحق بالمظهر والخارج، أما الجوهر فبقي على حاله." وهي ما زالت تحفظ لأصدقائها مودّة صادقة، وتقول: "الصداقة الحقيقية تدوم، وان أبعدت الظروف بين الاصدقاء وحرمتهم اللقاءات المتكررة."

لقد بقي الجوهر على حاله كذلك ايمانها العميق الذي احتفظت به منذ حداثتها. وتقول الملكة: "الايمان الراسخ يهب الانسان قوة باطنية، ويساعده في أن يكون متسامحاً ومنفتحاً ومتفهماً لمشاكل الناس وقادراً على ادخال البهجة حياة الآخرين. أوليس هذا جوهر المؤمن؟"

وبعد، فاذا كان أي انسان يرتاب في عاطفة الاسوجيين نحو ملكتهم، فما عليه الا أن يقصد أي بلدة صغيرة يزورها الزوجان الملكيان ليصغي الى السكان يهتفون وقد تغاضوا عن أصول البروتوكول: "عاش الملك! عاشت سيلفيا!"

■ ديبورا كاولي

اصبح هذا العشب البحري الحقير
صناعة تتعامل بمليارات الدولارات

الغاباتُ البحرّية



النصب التذكارية التي تخلد النساء والاجانب نادرة في اليابان. ومع ذلك فهناك لوحة برونزية تذكارية تشرف على خليج آرياكا لتخليد اسم الدكتورة كاثلين ماري درو، العالمة البريطانية في حقل النباتات البحرية. فكيف نالت درو هذا التكريم غير المألوف؟ انها استحقته لابحاثها في نبات متواضع لا نلقي اليه بالا وندعوه الطحلب.

وفيما يواجه العالم اليوم تناقضاً في الاغذية التقليدية والكيميائيات الصناعية، فان هذا النبات "الحقير" اخذ يبرز كفلتة شوط في السباق فكأن الاعشاب أصبحت فجأة المحصول الاجدى.

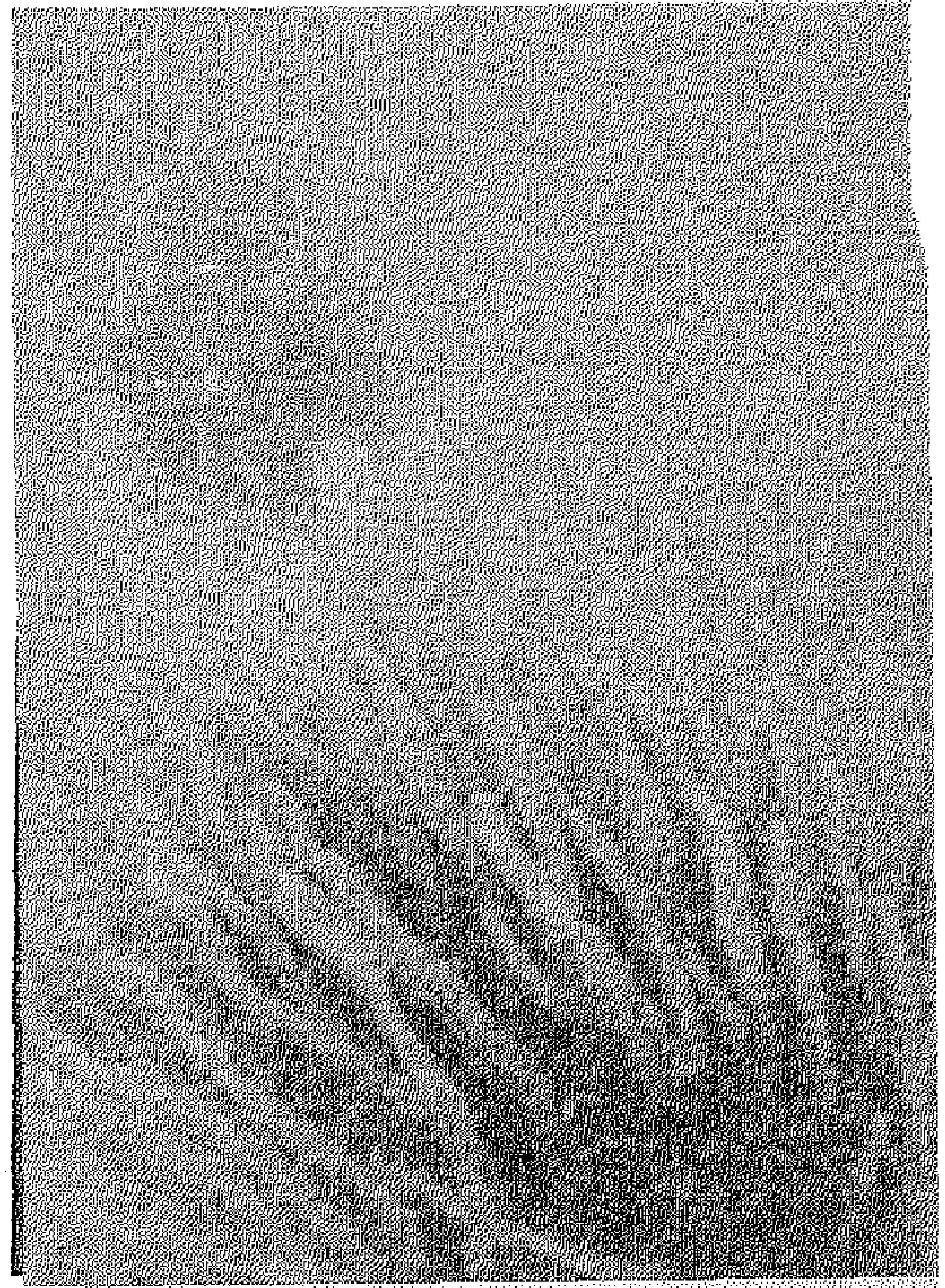
هذا الوضع البارز لنبات لا يحمل ازهاراً ولا ثماراً ولا ينفث عطراً غريباً لا يلهم احداً بالتغني بحسناته.

والواقع ان العشب البحري المتكوم على الشاطىء في فصل الصيف والحشرات تئز حوله لا يبدو ملهماً في اي حال. ولكن هل نحكم على شجرة صنوبر باسقة على اساس غصن مكسور منها نراه طافياً على وجه الماء؟

نظرتي الشخصية الى العشب البحري تبدلت فجأة بينما كنت أغوص قبالة شاطىء كاليفورنيا. فقد شجعني اصدقائي على الغوص بين "غابات" الطحالب البنية. هناك رأيت النباتات التي تتكوم متقلصة على الشاطىء تنبسط تحت الماء في دوال يراوح ارتفاعها بين ١٥ و١٨ متراً وتتمايل في تناسق مع تحرك العباب. وبدت لي هذه الحركة الصامتة مفزعة في اول الامر، لكن هذا الشعور الغامض تلاشى تدريجاً. وكان الطحلب الذي يشكل مظلة كثيفة

Douglas Foulke / The Stock Shop

على سطح البحر ينقسم تحت الماء اعمدة كجذوع الشجر. الطحلب البني الذي يبدو قاتماً على الشاطىء كان يلتمع بلون ذهبي تحت أشعة الشمس المتسربة اليه من خلال المظلة. ليس ثمة غابة زاهية بألوان الخريف يمكن ان تضاهي هذا التألق تحت سطح البحر.


Photofile, Ltd

غواص يستكشف غابة طحلب تحت الماء.

وطفت تحت الماء كما يحلق الصقر في ريح صيفية، واخذت اراقب أسراب السمك تمر بي وكأنها شآبيب من المطر. واندفعت فقمة نحوي كأنها صاروخ ثم انحرفت عني في دورة انقلابية كلمح البصر. وانقضت بجعة من السماء في شلال من الفقاقيع الفضية وابتلعت ملء منقارها من السمك الصغير. منذ ذلك اليوم بت افضل الغابات الغارقة تحت الماء حيث لا اخشى تجرح قدمي. وبين رحلاتي في غابات الطحلب حاولت ان اتعلم المزيد.

وفي حين تبدو هذه الطحالب شبيهة بالنباتات التي تنمو على اليابسة، فليس لها جذوع او جذور او اوراق حقيقية. بعض انواعها يطفو هائماً، لكن لبعض الطحالب الضخمة "مراسي" تشبه الجذور تشدها الى قاع البحر. كما ان ما يشبه الاوراق يتدلى من اماليد تشبه الاغصان. ولبعض انواعها فروع دقيقة تلمع كاللآلىء في مياه البحر. وينعكس جمالها في الاسماء التي تطلق عليها: شعر عروس البحر، خز اللؤلؤ، الافعى المريشة، زبدة الحوريات.

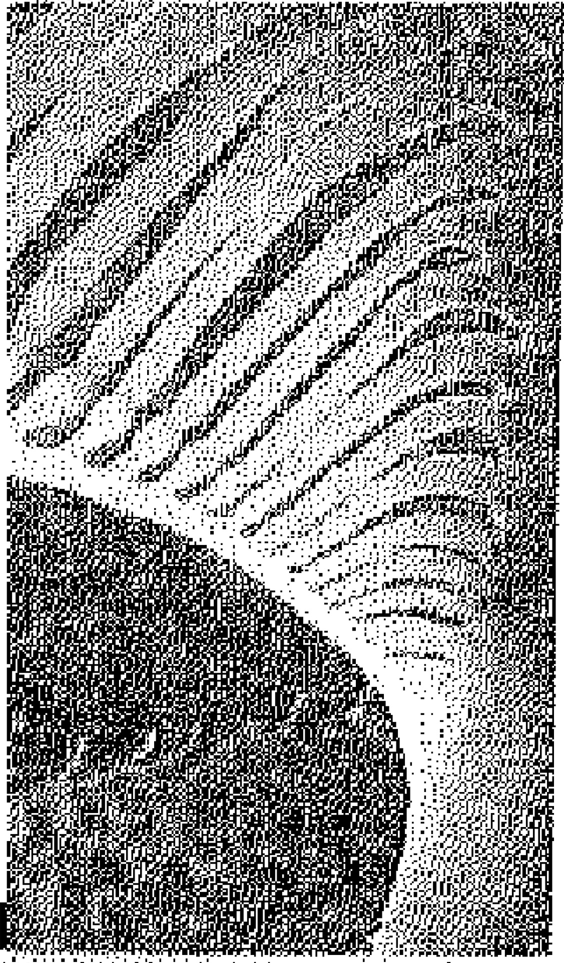
والطحلب العملاق الذي يؤلف الغابات البحرية التي أحبها هو اضخم انواع الطحالب. وقد تزن نبتته ١٣٥ كيلوغراماً ويزيد ارتفاعها على ٣٠ متراً. وعند قاعدة كل ورقة انتفاخ مليء بالغاز يمكن هذه النباتات الثقيلة من العوم (في صغري كنت ألقي هذه الانتفاخات في النار فتتفجر مدوية كالمفرقعات.) وتنمو بعض الطحالب المتعرشة الضخمة في اتجاه سطح البحر المغمور باشعة الشمس بسرعة ٦٠ سنتيمتراً يومياً. وما من نبتة اخرى تنمو بمثل هذه السرعة.

ثروة صناعية ـ توفر النباتات البحرية الغذاء والملاذ للكائنات التي تعيش في البحار، وهكذا تغدو حلقة

ذات اهمية حيوية في النظام البيئي في البحر. وتؤوي غابات الطحلب ثلاثة اضعاف ما تؤويه الصخور المغمورة في الماء من المخلوقات البحرية. وقد تعيش ٩٠ الف سمكة صغيرة في مساحة تقل عن نصف هكتار من غابة الطحلب. وحتى في مماتها، تساعد هذه النباتات البحرية في استمرار الحياة. فالطحالب الهائمة في الماء سرعان ما تكتسي باعداد كبيرة من الكائنات الصغيرة فتصبح مصدراً غذائياً اساسياً للمخلوقات التي تقتات من قاع البحر وللحيوانات التي تعيش على الشاطىء.

ولكي تفهم كيف تحصل الطحالب البحرية على الطاقة، عليك ان تنظر الى علم النبات البري مقلوباً. فالاوراق تستمد الطاقة من نور الشمس وتمتص الغذاء من الماء المحيط بها بدلا من قاع البحر. وينتقل الغذاء نزولا عبر العروق الدقيقة ليصل الى القاعدة السفلى التي تشد النبتة الى القاع. وثمة اوراق خاصة عند قاعدة الطحلبة تطلق مليارات البوغات (البذور) الصغيرة التي تتعلق نسبة ضئيلة منها بقاع البحر لتنمو وتصبح نباتات بالغة.

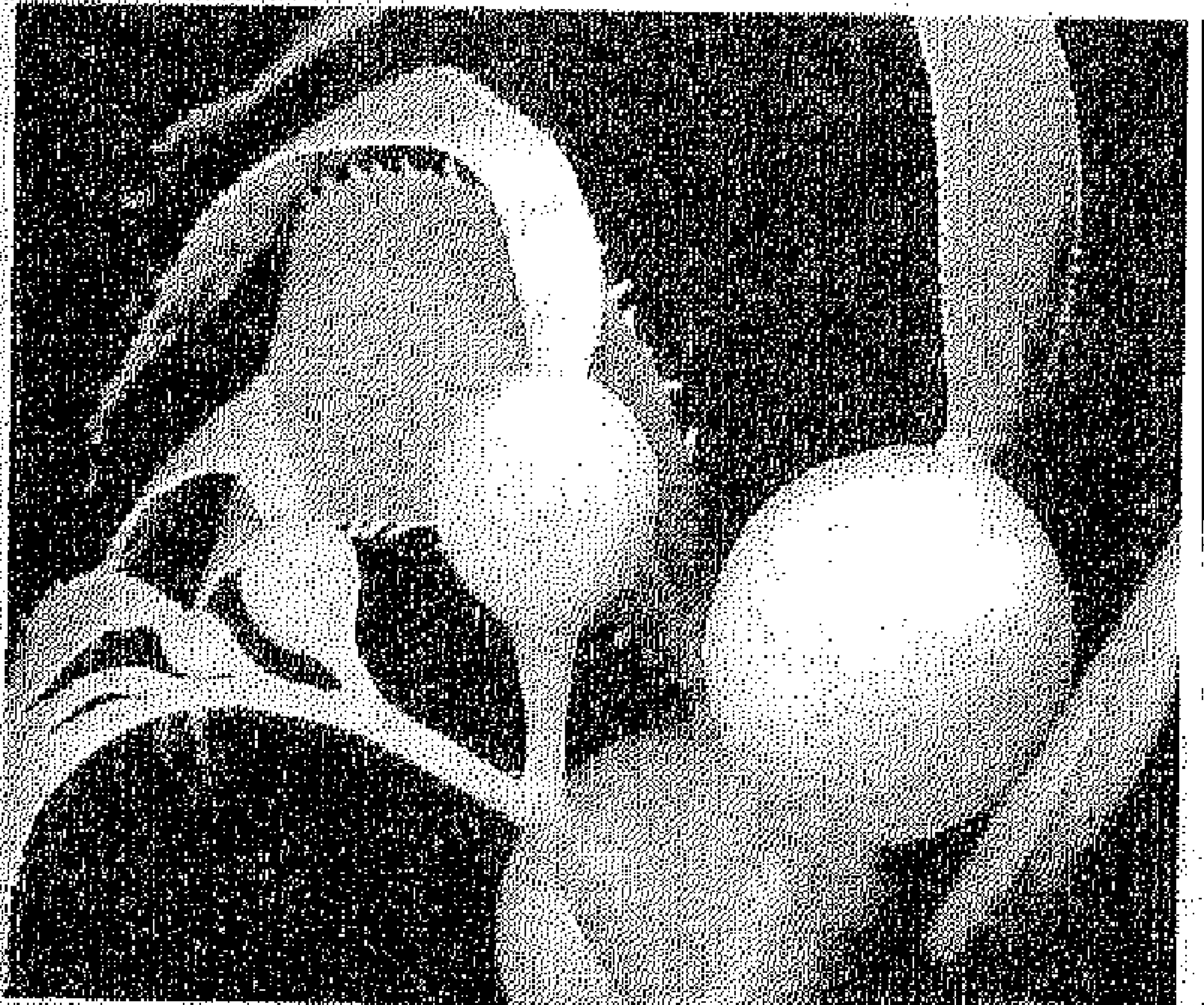
الامكانات التجارية الكامنة في معظم انواع الطحالب لم يبدأ استدرارها الا قبل أمد وجيز، ومع ذلك فانها غدت صناعة تتداول فيها مليارات الدولارات. ففي اجزاء متعددة من العالم يحصد الطحلب البني ويصنع ليصبح مسحوقاً طحيني اللون يدعى "آلجين" (★). وملء ملعقة صغيرة من الآلجين - وهو مادة هلامية او صمغية - يكثف مقدار ليتر من الماء ليغدو لزجاً كالعسل. وكمادة كيميائية غروية يحفظ الآلجين الرطوبة في المأكولات المصنعة والادوية، ويمنع المنتجات الصناعية من الانفصام او التفتت، ويبقي الزينة على قالب الحلوى والرغوة على البيرة من دون ان يؤثر في مذاقهما او لونهما.



سعفة الطحلب العملاق.

وهناك مواد غروية اخرى نافعة في النباتات البحرية، مثل الكاراجينان المستخرج من الطحلب الايرلندي. هل تذكر انه عليك ان تحرّك مزيج الحليب والشوكولاته في القنينة قبل ان تشربه؟ الآن يحفظ الكاراجينان الشوكولاته والحليب متمازجين دائماً.

في رأس السعفة انتفاخات غازيّة تعوّم الوريقات الجديدة.



(★) algin نسبة الى alga اي الطحلب.

Photos: Richard C. Murphy / After Image, Inc.

كما انه يمنع معجون الاسنان و"ماسكارا" العين من السيلان.

وثمة طحلب آخر صغير احمر اللون يدعى "جيليديوم"، وهذا ينتج أثمن الغرويات الكيميائية الذي يدعى "آغار". وهو هلام طحلبي يستخدم في زرع البكتيريا للاغراض الطبية. وقبل الحرب العالمية الثانية كانت اليابان تحتكر تجارة الآغار، وكانت النساء اليابانيات اللواتي اشتهرن بالغوص وعرفن باسم "آما" الرائدات في حصاد الطحالب البحرية التي يستخرج منها افضل الآغار. اما اليوم، فبفضل حقول الطحالب حول جزر الآزور وشاطىء المغرب، اصبحت اسبانيا والبرتغال المنتجتين الرئيسيتين للآغار.

وتحصد الارجنتين وتشيلي وجنوب افريقيا كميات وفيرة من الطحالب لتصديرها الى البلدان الصناعية. وتستخرج فرنسا وانكلترا الآلجين من طحلب بني أصفر يدعى "لاميناريا" استخدم اولا كمصدر للسماد وعلف المواشي واليود. اما الدنمارك فلها صناعتها الخاصة لانتاج الكاراجينان المستخرج من طحلب ينمو في مياهها ويدعى "فورسيلاريا".

وتستخدم اليابان نوعاً من الطحلب الصغير الاحمر يدعى "غلويوبلتيس" كمصدر لغراء ممتاز يستعمل لاصقاً للانسجة الحريرية الناعمة والاقمشة الاخرى وللبلاط وملاط الجدران، وتنتج نحو نصف مليون كيلوغرام من معجونه سنوياً. وفي تايوان يجمع الفلاحون طحالب "غراسيلاريا" عن الشواطىء المهجورة. هذه الطحالب يقذفها المد داخل حظائر معدة أصلا لتربية الاسماك. وتلتقط الشباك هذه الطحالب ثم تسمد بروث الحيوانات لتنمو وتصبح نباتات بالغة تجنى كطعام او تصدر لانتاج الآغار.

تصورات مثيرة – كثيرون من الناس، خصوصاً ابناء الحضارات الآسيوية والبولينيزية، يفضلون تناول الاعشاب البحرية كطعام. وفي هذا العالم الذي يتجاوز بسرعة مصادر الغذاء المألوفة المتوافرة، يقدر الخبراء ان الطحالب سوف تمثل دوراً خطيراً في التغذية العالمية. وقد لا يستهويك أكل هذه الطحالب التي "تلوث" شواطئنا. انا كذلك لم تستهوني الى ان تعرفت على ال"بوكي" وهي أكلة شعبية تقدم في الولائم في جزر هاواي. تصنع البوكي من سمك الطون الذي ترش عليه مادة مطيبة حمراء تدعى "أوغو"، وهي طحلب "غراسيلاريا" الصغير ذو الطعم اللذيذ الشبيه بطعم الكرفس. وتزاحم اوعية الاوغو صناديق الخس بين معروضات البقالين في جزر هاواي.

استخدم سكان هاواي القدماء اكثر من ٢٠ نوعاً من ال"ليمو"، وهي الكلمة المحلية التي تعني الطحلب الصالح للاكل. وهذه الانواع غنية بالمعادن والعناصر الاساسية التي يحتاج اليها السكان لاغناء طعامهم الذي يتألف من السمك وال"بوي" الذي يصنع من جذور النبات، ويشتمل كذلك على ال"كوهو" المحبب في هوايي. (تذوقت قليلا من الكوهو الحرّيف اللاذع فصدمني صدمة قوية).

ان ولع اليابانيين بالطحالب يضاهي ولع اهل هاواي· وقبل ان تصبح عبارة "الزراعة المائية" شائعة بزمن طويل كان القرويون اليابانيون على السواحل يتعلمون زراعة الـ"نوري" وهو طحلب يباع غالباً في شكل صحائف ارجوانية مكبوسة· وكان رواد الزراعة البحرية هؤلاء ينمون النباتات الصغيرة على أوتاد من قصب الخيزران ثم ينقلونها الى شباك تشد افقياً فوق قاع البحر الضحل·

في العام ١٩٤٩ اكتشفت الدكتورة درو مرحلة انتاج البوغ (البذور) في نبتة الـ"بورفيرا" التي يصنع منها النوري· واتاح هذا الاكتشاف لليابانيين ان "يبذروا" شباكهم ويمدوا حقول الانتاج الى المياه الاعمق والاقل تلوثاً· وفي ١٩٤٧ انتجت اليابان نحو ٨٦٠ مليون صحيفة من النوري· اما الآن، وبفضل يعود جزئياً الى ابحاث الدكتورة درو، فتنتج اليابان سبعة مليارات صحيفة نوري سنوياً· وتمثل زراعة النوري اكبر مشروع بحري منفرد في اليابان، وتشكل صناعة بمليار دولار سنوياً· ونتيجة للجهود في زراعة الطحلب البني الذي يدعى "لاميناريا" أصبحت الصين اليوم المنتج الاكبر للطحالب في العالم، بحسب تقدير منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة· وهي تنتج نحو ١،٦ مليون طن سنوياً·

ويتمتع زرّاع الطحلب البحري بميزة رئيسية على نظرائهم زرّاع الارض· فليس عليهم ان يقلقوا من انجراف التربة والجفاف وتقسيم الارض، كما انهم لا يحتاجون الى اسمدة باهظة الثمن، فالبحر يوفر المواد المغذية الاساسية·

اما نبتة الطحلب التي كشفت لي للمرة الاولى مفاتن الاعشاب البحرية، فانها الآن تلهم تصورات مثيرة لمزارع للطاقة في المحيط· فمعهد ابحاث الغاز في شيكاغو، بدعم من شركات الغاز الطبيعي الخاصة، يدرس الطحالب العملاقة كأحد الموارد المحتملة للوقود العضوي· كما يرعى المعهد مزارع تجريبية للطحالب قبالة ساحل كاليفورنيا·

التوسع الطحلبي – من دواعي العجب انه في الوقت الذي بدأت مزارع الطحلب تتسع، أخذت بعض فضائل الطحلب المتوطنة او الطبيعية تتضاءل جذرياً· ومنذ فترة وجيزة تناقصت بعض غابات الطحلب المعروفة في جنوب كاليفورنيا فقلصت نشاط الصيادين والغطاسين وصناعة جني الطحالب· فقد استنفد الصيادون البحريون والبريون الحيوانات التي كانت تحد من تكاثر القنافذ البحرية (التوتياء) وسواها من الكائنات التي تقتات بالطحالب· كما ان تفريغ مياه المجاري في البحر قد يكون انقص مقدار ما يتسرب الى الاوراق من اشعة الشمس، مما ادى الى اختناق طحالب قاع البحر·

وثمة عدد من المناطق، بما فيها اليابان وهاواي، اصبحت مهددة بتضاؤل طحالبها الطبيعية· فبعض قاطفي الطحلب يقتلعون النبتة

بكاملها فيقضون على قدرة غابة الطحلب على التجدد. ولذا فان الموظفين المهتمين بحماية الطحالب في هاواي يشجعون قاطفي هذه الاعشاب على الاكتفاء بقطع الجزء الاعلى من النبتة. وفي كاليفورنيا لا يسمح لقاطفي الطحلب بقطع النبتة على مستوى اعمق من ١٢٢ سنتيمتراً.

من جهة اخرى اصبح الخوف من غزو الاعشاب البحرية غير المرغوب فيها قضية في ذاتها. ففي ١٩٧٣ كان المعهد العلمي والتقني للصيد البحري في فرنسا يجري تجارب على الطحلب العملاق المستورد في شواطىء مقاطعة بريتاني. وقد سعى المعهد الى ادخال هذا الطحلب في تطوير مصدر رئيسي جديد للآلجينات. بيد أن الخوف ساور العلماء البريطانيين من امكان انتشار الطحلب البري العملاق الى سواحل بريطانيا، فيقضي على الطحلب المتوطن هناك ويضر بالنظام البيئي البحري الطبيعي. كما خشيت البحرية البريطانية ان يشكل هذا الطحلب خطراً جديداً على الملاحة.

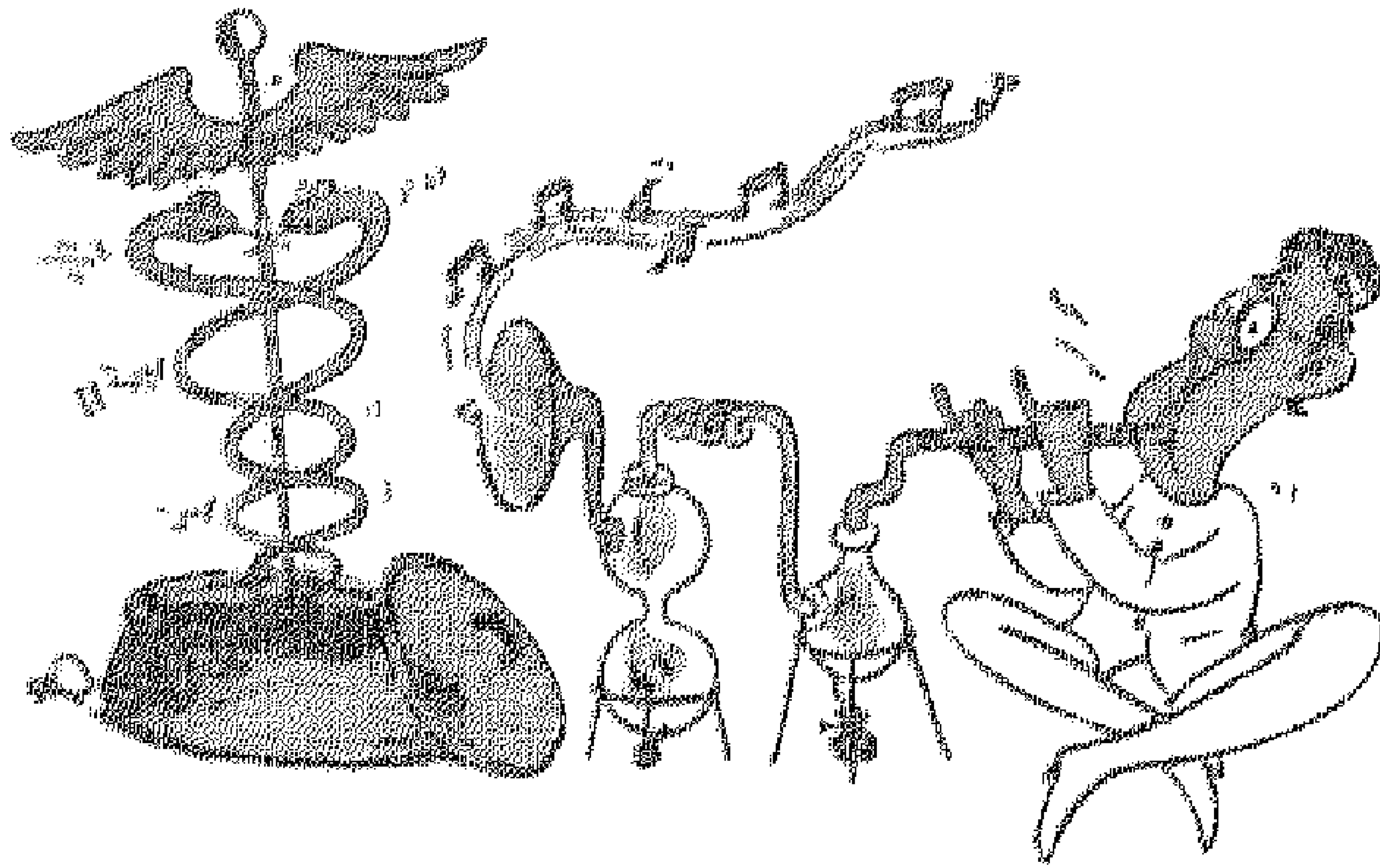
وقد شككت مجموعات علمية دولية في صواب اقتراح المعهد، ورفض وزير الدولة لشؤون البيئة في فرنسا السماح باي نشاطات اخرى تتعلق بالطحلب العملاق. وجاء في دراسة رفعها جيرالد بولش من جمعية البيولوجيا البحرية في بريطانيا الى الندوة الدولية للاعشاب البحرية التي عقدت في أسوج (السويد) عام ١٩٨٠: "ان الوثائق عن الاماكن التي ادخل الانسان فيها نباتات بحرية من منطقة الى أخرى، تثبت كلها ان النباتات الدخيلة خرجت عن كل سيطرة وسببت مشاكل جديدة."

وفي معهد علم البحار في جامعة كاليفورنيا في سانتا بربارة عمل الدكتور مايكل نيوشول على تطوير نوع من الطحلب الهجين ذي محصول عال. والنباتات الهجينة عاقرة عموماً ويمكنها وقف الانتشار غير المحدود للنباتات الدخيلة او "الاجنبية".

وتقدم عالمة بحرية في جامعة كاليفورنيا في سانتا كروز مثالا على آفاق التوسع الطحلبي. فالدكتورة جوديث هانسن تعمل على انعاش حقول الطحلب البني الصغير التي بولغ في استهلاكها في خليج سان فرنسيسكو، كما تعمل ايضاً على زراعة الـ"جيليديوم" في اماكن مقفلة، وهو الطحلب الذي أدى تناقص محاصيله الطبيعية الى ارتفاع اسعار الآغار الصالح للاغراض الطبية. وتقول الدكتوره هانسن: "نستطيع من طريق اختيار الانواع ان نزيد سرعة نمو الجيليديوم البطيئة نسبياً. وقد وجدنا ان إنتاجية هذه النبتة في الاماكن المقفلة توازي عشرة اضعاف انتاجيتها في الطبيعة."

غاباتنا في البحار، على غرار غاباتنا على اليابسة، يمكن ان تدوم الى الأبد اذا اوليناها العناية المناسبة. وإرثنا الطحلبي العظيم من غابات طبيعية في البحار ومزارع غذاء وطاقة في المحيطات قد يصبح جزءاً مهماً من مستقبلنا على هذا الكوكب المائي.

■ ويسلي ماركس



أصداء من عالم الطب

حبوب منع الحمل

لا يزال الخبراء ينظرون الى حبوب منع الحمل كوسيلة إيجابية وسلبية في الوقت نفسه. أما ايجابيتها فآتية من فعاليتها. إلا ان ثلاثة تقارير أولية نشرتها مجلة الاتحاد الطبي الامريكي في مارس (آذار) ١٩٨٣ من شأنها إعادة النظر في علاقة حبوب منع الحمل ببعض أنواع السرطان الذي يصيب الاعضاء التناسلية. والتقارير المذكورة هي نتيجة دراسة أجراها مركز مكافحة الامراض في اطلنطا (ولاية جورجيا) على بضعة آلاف من النساء المصابات بالسرطان واللواتي تراوح أعمارهن بين العشرين والرابعة والخمسين. وقد قسمت النساء مجموعتين، إحداهما تتناول حبوب منع الحمل والاخرى لا تتناولها. ومن النتائج ما يأتي:

□ النساء اللواتي تناولن أنواعا من الحبوب تجمع مادتي الاستروجين والبروجستين لمدة سنة واكثر هن أقل عرضة لسرطان بطانة الرحم من اولئك اللواتي لم يتناولن أي نوع من الحبوب.

□ النساء اللواتي أخذن الحبوب وقتا أطول هن أقل تعرضا لسرطان المبيض. وهذه المناعة تبقى لديهن سنوات طويلة بعد الانقطاع عن الحبوب. ويظن العلماء أن وقف الاباضة يبعد الالتهاب والسرطان عن المبيضين.

□ على رغم أن حبوب منع الحمل لا تقي المرأة من سرطان الثدي، فان هذا النوع من السرطان ليس وقفا على النساء اللواتي يتناولن الحبوب، حتى لفترة طويلة.

لكن هذا لا يعني أن حبوب منع الحمل خالية من الاخطار. فعلاقتها بالسكتات الدماغية والنوبات القلبية وتخثر الدم شبه أكيدة. وبما أن هذه الاخطار تكثر لدى المدخنات واللواتي تجاوزن الخامسة والثلاثين، فالاطباء ينصحونهن باللجوء الى طرائق اخرى لمنع الحمل.

مجلة "نيورويك"

حقنة للانحراف الفقري

وافقت ادارة الغذاء والدواء الامريكية على استخدام الكيموبابين، وهي خميرة مستخرجة من شجر البابايا الامريكي الاستوائي، ضمن حقن لمعالجة الانحراف الفقري (الديسك) في أسفل الظهر. ويقول الجراح التقويمي الدكتور يوجين نوردبي رئيس اللجنة التي ابتكرت العلاج ان "هذه الحقنة المستحدثة قد تكون ثورة في معالجة الانحراف الفقري".

ويخضع مئات ألوف المرضى حول العالم سنوياً لعمليات تعرف بالتصفيح، غايتها تقويم هذا الانحراف المؤلم. لكن العلاج الجديد قد يلغي الحاجة الى الجراحة بنسبة ٧٥ في المئة. وهو يقوم على حقن الخميرة في الجزء الهلامي من الفقرة مما يؤدي الى اذابة التصلب الضاغط على الاعصاب الشوكية. وقد بينت الاختبارات التي أجريت على أكثر من ١٥ ألف مريض بين ١٩٦٤ و١٩٧٤ أن العلاج بالحقن يساوي الجراحة من حيث تسكين الالم.
غير أن ادارة الغذاء والدواء تريثت في اقرارها العلاج المذكور بعدما تبين أن بعض المرضى أعانته الحقن الوهمية الخالية من الدواء على التخلص من الالم.
أما الجراحون فلا يزالون عند رأيهم أن العلاج بالحقن، الذي لا يلجأ اليه الا في الحالات القصوى، هو أقل جدوى من الجراحة. وفي ٩٥ في المئة من الاصابات يمكن تسكين الالم بملازمة السرير وتناول الاسبرين. وفي أحيان نادرة، ولكن لا يمكن توقعها، تسفر الخميرة عن نوبة حساسية قد تؤدي الى انهيار قاتل في جهاز التنفس والاوعية الدموية. ولكن تجدر الاشارة الى أن هذه الحالة لم تتجاوز الواحد في المئة من مجموع الاختبارات الاخيرة وعددها ١٤٠٠، توفي خلالها اثنان فقط على غرار ما يحصل في الجراحة.

مجلة "تايم"

الحمية والبروتيين

طالما ظن دعاة الحمية ان السبيل الافضل الى انقاص الوزن هو اعتماد المغذيات الغنية بالبروتيين والفقيرة بالكاربوهيدرات، اي المواد النشوية والسكرية. لكن هذا النظام الغذائي قد لا يكون صائباً.

وقد امضى العلماء في كلية الطب التابعة لجامعة فرجينيا الامريكية ثمانية اسابيع يطعمون مجموعتين من الجرذان البالغة طعاماً يحتوي على كمية واحدة من السعرات الحرارية. لكن احدى المجموعتين اعطيت طعاماً تبلغ كمية البروتيين فيه خمسة اضعاف ما هي لدى المجموعة الاخرى. وفي نهاية الاختبار وجد ان وزن الجرذان التي تلقت كمية اكبر من البروتيين يفوق وزن الجرذان الاخرى بنسبة ٢٢ في المئة. أما اثر المواد الدهنية في وزن الفئة الاولى فكان ٢٤ في المئة، في مقابل ١٥،٨ في المئة لدى الفئة الثانية.

مجلة "سجل التربية العالية"

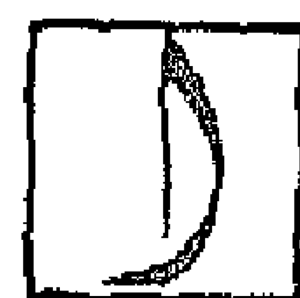
كله تبغ!

هناك شكلان لاستعمال التبغ يشهدان ازدياداً في عدد الاتباع، ولاسيما الشباب، بحجة انهما أقل ضرراً من التدخين التقليدي الشائع، وهما التبغ الممضوغ والسعوط (العطوس). الا ان مقالا نشرته "مجلة نيو انغلند الطبية" بيّن ان هذين النوعين من تعاطي التبغ قد يؤديان الى سرطان الفم والحنجرة.
وهذا التحذير قائم على تقرير من ولاية كارولينا الشمالية الامريكية حيث تبلغ نسبة النساء اللواتي يتنشقن السعوط ٣٠ في المئة. ويذهب التقرير الى ان نسبة سرطان الفم والحنجرة بين اولئك النساء تتجاوز المعدل في الولايات المتحدة ككل بما يراوح بين أربعة اضعاف وخمسين ضعفاً.
وهذه المشكلة ليست حديثة العهد في بلدان كالهند والصين وتايلاند، حيث تنشّق التبغ ومضغه عادة شائعة وحيث سجلت الوفيات الناجمة عن سرطان الفم والحنجرة أرقاماً قياسية.

صحيفة "واشنطن بوست"

كيف تبدو الارض من الفضاء؟ هنا يروي جوزف آلن جوانب من خبرته، وهو الفيزيائي الذي كان أحد رواد المكوك الفضائي "كولومبيا" في ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٢

بساط الريح



إذا أتيح لك ركوب المكوك الفضائي "كولومبيا"، فلسوف تختبر انتقال المرء من السكون الى سرعة ٢٨،٠٠٠ كيلومتر في الساعة في أقل من تسع دقائق. غير انك لا تتفوه بكلام. ذلك ان قوانين الاطلاق تقتضي ألا تقول شيئاً البتة. لكنك تقبع في مكانك وتنتظر مخابرات في أوقات محددة وتكرر الكلمات نفسها كل مرة. وهي لم تتبدل حرفاً واحداً خلال رحلات المكوك الخمس. وفي الرحلة الاولى عمد المسؤول عن الاتصال في الكبسولة، دان براندنشتاين، الى لبس ربطة عنق طُبعت عليها المخابرات مقلوبة لكي يتمكن من قراءتها وهو يحني رأسه.

ويتوقف الصوت فجأة بعد حدوث الاحتراق وانطلاق الصاروخ.

ها نحن الآن ننطلق بفعل المحركات الثلاثة الرئيسية التي تعمل على الهيدروجين والاوكسيجين السائلين. والحق أن هذه أهدأ مركبة فضائية عرفتُها، ومن الحيف أن تُسمى صاروخاً. والفضل يعود الى الغاز السائل. فالمحركات التي تعمل

Condensed from The Washington Post (February 13, 1983).

بالمواد الصلبة تحدث جيشاناً هو أشبه بالانفجار الدائم. اما تلك التي تعمل بالسوائل فهي من الهدوء بحيث يكاد لا يُسمع لها صوت. وهذه السكينة وهذا والسلام الداخلي هما أهمّ ما يميز الدوران حول الارض داخل "كولومبيا". وحتى العمل على المحركات لتبديل مدار المركبة لا يكسر ذلك الهدوء والصمت. والطريقة الوحيدة للتحقّق من ازدياد سرعة المركبة هي أن تحمل شيئاً أمامك ثم تدعه من يدك. فهو يعود نحوك بسبب الدفع المفاجيء الى الامام.

ثمة جلال يميز شكل الارض وأنت تنظر اليها من "كولومبيا". وهذا يختلف عن النظر من طائرة الى الطريق الرقم ١٠ في ولاية تكساس وانت تحمل خريطة أمامك. فالطريق من الطائرة تبدو مسطحة كما هي على الخريطة. أما وأنت تنظر من "كولومبيا"، فسوف ترى الطريق عينها، لكنك تراها متعرجة ضمن الولاية. وتبصر المسافة من خليج المكسيك حتى خليج كامبيتش.

وتدرك أن الارض مستديرة لأنك ترى الاستدارة بأم العين. وفوق هذا، تجد أن للارض بُعداً ثالثاً، كونك تشاهد الاشياء مرتبة في طبقات. كما ترى الغيوم المتعالية وظلالها فوق السهول التي تشرق عليها الشمس. وفي الوقت نفسه يلوح لك اثر خلفته سفينة في المحيط الهندي، ونيران الادغال في افريقيا، ثم ترى عاصفة برق وهي تعبر ١٦٠٠ كيلومتر فوق اوستراليا.

أما ليل الفضاء فيأتيك على غرّة تأخذ أنفاسك. وكنت أظن أن الارض لن تختفي عن ناظري، حتى وسط الظلام. أجل، كان ظني أن ذلك ممكن بفعل أنوارها الاصطناعية أو نور الشمس التي ستبزغ قريباً. إلا أني، عوض ذلك، رأيتُني وسط أحلك ظلام عرفتُه. والطريقة التي تتعرف بها على الارض في الظلام هي أن تتقفى النجوم حتى تختفي، إذ اختفاؤها يعني أن الارض حجبتها.

شروق وغروب - تعرف، وأنت في الفضاء، كيف تأتي الشمس كعاصفة رعد. فكل شروق وغروب يستغرق وقتاً قصيراً بفعل سرعة "كولومبيا" العظيمة. لكنك، خلال ذلك الوقت، تبصر ما لا يقلّ عن ثمانية ألوان يلي أحدها الآخر، من الاحمر اللامع حتى الازرق القاتم والفاقع. ويبدأ الشروق بألوان باهتة، تليها سريعاً تلك الالوان التي تستدق كالهلال وتؤول الى سواد عند شعبتي الافق. ثم تظهر الشمس من جديد فوق الافق حيث طوق الالوان في عرضه الاقصى، لتختفي بعد هنيهات. إلا أن كل شروق وغروب يتميزان عن كل شروق وغروب آخرين. وأنت ترى الشمس تشرق وتغرب ثماني مرّات خلال اثنتي عشرة ساعة.

وتشعر، في يومك الفضائي الاول، كأنك غزال صغير على الثلج. وتختفي قدماك من تحتك وتصطدم بكل ما حولك، وتراودك حاجة الى التحرك مثل "سوبرمان" وقد مددت ذراعيك أمامك. وهذا كله يولد لديك انطباعاً بأنك في عالم أحلام تحت الماء،

حيث الاشياء كلها تتحرك ببطء.
وتكيف نفسك لانعدام الوزن عبر تغاضيك عن هذا الامر ومحاولتك طرائق عدّة للحراك. والفيزيائيون يفسرون هذا بقولهم إن المرء يدفع نفسه عبر "مركز الكتلة"، الامر الذي يعني،بلغة "كولومبيا"،أنك اذا ضغطت إصبعاً في المكان المناسب أمكنك الارتفاع بجسمك الى أن توقف الحركة بيدك. وأحياناً تحس حاجة الى تثبيت قدميك بالسقف وتدلية رأسك نحو الارض. غير أنك لا تفكر البتة في أن الارض هي السقف. وأنت تتأكد من ذلك. إذا حاولت التمدد على السقف للنوم.

وتتم العودة الى الارض بانقاص سرعة المركبة حتى تبلغ نقطة بين مدار الارض وجوها الاعلى.وفجأة تسمع صوتاً لا يلبث أن يستحيل هديراً. إنه الهواء يترجح حول المركبة. ثم ترى، من حيث لا تدري، لوناً على النوافذ يبدأ بمسحة حمراء زهرية ويتدرّج إشراقاً حتى يغدو أحمر فاتحاً فبرتقالياً ضئيلا فأبيض. وتخال أنك وسط لوحة نيون مضاءة.

وما أن أصبحنا على مسافة ١٢،٠٠٠ متر من الارض حتى تسلم قائد المركبة، فانس براند، زمامها. وبسرعة أدنى قليلا من سرعة الصوت، اخترقنا دثاراً من السحب أفضى بنا الى جبل من الغيم يرتفع ٤٥٠٠ متر عن الارض. ولما تجاوزناه رأينا المدرج. وبسرعة ٣٧٠ كيلومتراً في الساعة، لامسنا الارض بهدوء جعل رفيقنا الرائد بوب اوفرماير يخاطب المركز مازحاً: "هيوستن! هل وصلنا؟"

ولا غرو أن "كولومبيا" هي أروع آلة صنعت حتى اليوم. لقد قطعت، في رحلتها تلك، مسافة ثلاثة ملايين كيلومتر ودارت بنا ٨٣ دورة حول الارض، على نحو صامت ومريح يعجز عنه حتى بساط الريح.

■ جوزف آلن وتوماس اوتول



خرافات تاريخية

راح استاذ أدب القرون الوسطى في اوروبا يتكلم عن المؤرخ بيد وسواه من كبار مؤرخي تلك المرحلة. وقال: "انه مؤلف ثقة. ولقد كتب في أواخر القرن التاسع عشر عن ظهور تنين."

واذ انفجر الطلاب ضحكاً، أضاف الاستاذ: "أعرف أن ذلك يبدو غريباً اليوم. والمرجح ان هذا التنين ما هو الا صحن طائر."

ج.ب.

دائرة الطبخ

تلقى شرطي مخابرة هاتفية من امرأة مجهولة سألته عن طريقة طهو الديك الرومي. وذهل أول الامر، لكنه وصف الطريقة بدقة كونه طباخاً ماهراً. ولما انتهى قال: "ولكن لماذا تخابرين دائرة الشرطة لطرح هذا السؤال؟"

وبعد تردد أجابت السيدة: "المهم انك عرفت الجواب." ثم اقفلت الخط.

ب.ك.

سنفوت اوروبا فرصة منافسة
اليابان والولايات المتحدة ما لم تتعلم
كيف تجمع مواردها
وتوظف اموالها بمجازفة اكبر
في صناعات المستقبل

التحدي الأوروبي


علامات الخطر ظاهرة في كل مكان. ففي بريطانيا تسعة من كل عشرة متسوقين يشترون مسجلات "فيديو" يابانية. وفي فرنسا تحمل سبعة من كل عشرة ادمغة الكترونية فردية شارات امريكية. وفي العام ١٩٨٣ اشترت الشركات في انحاء اوروبا الغربية معظم حاجاتها من المواد شبه الموصلة من شركات مراكزها الرئيسية في الخارج. وفي اقل من ١٥ سنة سيطرت الولايات المتحدة واليابان على حقل التقنية العالية الذي تتداول فيه مليارات الدولارات، فيما بقيت المعرفة العلمية الاوروبية متخلفة بمدى سنوات. هذه الفجوة المتمادية في الاتساع تهدد مصير مليوني وظيفة عمل في اوروبا الغربية، وبحلول نهاية هذا القرن قد تسلب الصناعة الاوروبية قدرتها على المنافسة في الاسواق العالمية.

ولكن من حسن الحظ ان الاوروبيين لا يزالون يخوضون السباق. فالـ"ايرباص" الاوروبي يزاحم شركة "بوينغ" الامريكية في سوق الطيران التجاري. والآلات الايطالية التي تنتجها شركة "فيات" يستخدمها صانعو السيارات في اوروبا والولايات المتحدة. كما ان الطائرة النفاثة

البريطانية "هاريير" والدبابة الالمانية "ليبارد" تحتلان مركز القيادة في حقليهما.

لكن هذا كله لا يشكل سوى جزء ضئيل من سوق التقنية العالية. وثمة عقبات هائلة تعترض طريق التقدم. وصناعة التقنية العالية في اوروبا غالباً ما تعاني نقصاً في المهندسين المدربين والعلماء. ويواجه المقاولون صعوبة في الحصول من المجتمع المالي الاوروبي الحذر على رأسمال للمشاريع غير المأمونة التي يخططون لها. والشركات التي تملك افكاراً جيدة غالباً ما تسوق منتجاتها على نحو هزيل. وربما الاهم من كل ذلك ان الشركات الاوروبية لم تكن قادرة على توحيد مواردها في مجمعات ضخمة هي ضرورية لمنافسة الامريكيين واليابانيين السباقين.

والصلات عبر الحدود التي تحاول الشركات الاوروبية اقامتها غالبا ما تنسفها الحكومات التي تحاذر السماح لشركاتها بتقاسم مواردها مع منافسين اجانب. والخلافات السياسية كثيراً ما تطيح المشاريع كذلك. فمديرو الشركات المحافظون في ألمانيا الغربية يترددون في مشاركة مؤسسات أممتها حكومة فرنسا الاشتراكية. ومثل هذه الخلافات لا تخدم سوى مصالح اليابانيين والامريكيين.

وفي غالب الاحيان تكون افضل المنتجات من صنع شركات امريكية او يابانية. فشركة "اوستن روفر" التي هي فرع من شركة "ليلاند" البريطانية اقامت شراكة مع "هوندا" اليابانية لتصميم سيارة فخمة وتصنيعها. وشركة "طومسون - برانت" الالكترونية الكبرى التي تملكها الدولة في فرنسا تستورد مسجلات الفيديو من شركة "فيكتور" اليابانية. وحتى فترة وجيزة كانت شركة "سورين بيومديكا"، وهي شركة ايطالية تنتج صمامات القلب ومنظمات النبض الاصطناعية، تتبادل الابحاث العلمية مع مؤسسة مختبرات "بنتلي"، ومركزها كاليفورنيا، التي تسيطر على اكثر من ثلث السوق العالمية لآلات القلب والرئة.

رابع المستحيلات - يقول كثير من الاوروبيين ان لا مناص لهم من التنسيق مع الخصوم. ويقول رولان سانغينيتي الناطق باسم شركة "ماترا"، وهي شركة فرنسية تعمل في حقلي الدفاع والتنقية العالية: "اذا لم تكن لديك التقنية، فأمامك حلان لا ثالث لهما. فاما ان تخترع العالم من جديد، وحين تفرغ من ذلك تكون منتجاتك اصبحت قديمة تخطاها الزمن، واما ان تقول: من يصنع افضل المنتجات في العالم؟ سأعقد صفقة معه."

بيد ان شركات اخرى لا تشعر بالارتياح في المشاركات الخارجية. وما يقلق الكثير من الاوروبيين هو ان الشركات الامريكية واليابانية قد تواصل الترخيص لمنتجاتها او تدخل مشاريع مشتركة الى ان تقيم قاعدة داخلية لها في اوروبا. ويقول توماس وودارد احد الشركاء في شركة "ماكنسي"، وهي مؤسسة استشارية

دولية في لندن: "قد تستطيع تحقيق المساواة، لكنك لا تستطيع أبداً ان تشق طريقك الى التفوق التقني من طريق الحصول على الرخص. فاليابانيون والامريكيون مصممون على دخول اوروبا. ولكن من المؤسف ان هذه الزيجات التي أملتها الضرورة تنتهي بالطلاق بعد بضع سنوات."

وتعتقد بعض الشركات الاوروبية ان الخطة هي، بكل بساطة، شراء الشركات المنافسة وراء البحار. وفي العام ١٩٧٨ كسبت شركة "فيليبس" الهولندية موطىء قدم لها في سوق جهاز فرز الكلمات الالكتروني من طريق شراء شركة "ميكوم" الكندية المجددة. وفي ١٩٧٩ عمدت شركة "شلومبرغر المحدودة"، وهي تجمع دولي متفرع عن المؤسسة الفرنسية للتنقيب عن النفط ومركزها جُزر الانتيل الهولندية، الى شراء شركة "فيرتشايلد" لآلات التصوير، وهي واحدة من اكبر الشركات التي تصنع الرقائق الالكترونية في امريكا. لكن ثمة حدوداً لهذا، فحتى شركة اوروبية كبرى مثل "سيمنس" في ألمانيا الغربية لا يمكن ان تفكر في احتواء المنافسة الامريكية. يقول الناطق باسم "سيمنس": "عليك ان تتذكر ان شركة "آي بي ام" تحقق من الارباح اربعة اضعاف ما نحققه في مبيعات الادمغة الالكترونية."

وتواجه معظم الشركات الاوروبية ورجال الاعمال الاوروبيين صعوبة في الحصول على التمويل الكافي للانطلاق. ويقول برونو لامبورغيني مدير الابحاث الاقتصادية في شركة "أوليفيتي": "ان المحيط عسير جداً على الشركات الصغيرة للتقنية العالية. فهذه ليس لديها الدعم المالي الكافي وتفتقر الى وسائل الحصول على الخبرة والمعرفة اللتين تحتاج اليهما."

بعض رجال الاعمال، مثل فولكر دولش ساحر الالكترونيات في المانيا الغربية، يتعين عليه ان يذهب الى الولايات المتحدة للحصول على رأسمال لتحقيق مشاريعه. ويقول دولش: "هناك يتوافر المال لرجل يسعى الى تحقيق فكرة. فمن رابع المستحيلات ان تحصل على الكفاف في اوروبا." وفي ١٩٨٣ حققت شركته "آلات دولش لوجيك" مايربو على ٦٠ مليون مارك ألماني (٢٢٫٦ مليون دولار) من مبيعات اجهزة فحص الكترونية متطورة.

والتمويل مشكلة يعرفها جيداً السير كلايف سنكلير (٤٣ سنة) أبرز المقاولين البريطانيين في حقل التقنية العالية. فعندما كان في الثانية والعشرين من عمره حوّل متجراً لأجهزة الترانزيستور المستعملة مؤسسة رابحة تلبي الطلبات بالبريد. ولكن حين حاول دخول سوق الالكترونيات باختراعات جريئة، تعثر بأشكال التمويل والتسويق ومشكلات المنافسة.

وحين طلع سنكلير بجهاز تلفزيون جيب مبتكر، لم يتمكن من ايجاد ممول خاص يرضى بتمويل ابحاثه. وعلى رغم الدعم الحكومي الذي بلغ ٧٫٨ ملايين جنيه استرليني (١١ مليون دولار) فقد وقعت شركته في متاعب خطيرة.

وحاول سنكلير منحى مختلفاً عام ١٩٨٠ حين ابدع ارخص دماغ ألكتروني صغير في السوق الاوروبية. وبدلا من ان يتولى بنفسه مهمات الانتاج والتوزيع، أجرى ترتيبات مع شركة "تايمكس" للساعات لتصنيع الادمغة الالكترونية التي ابتكرها في مصنع الشركة في اسكوتلندا ويبدو ان الخطة نجحت. فقد باع اكثر من مليون جهاز في السنوات الاربع المنصرمة. ومما يلفت ان انتاجه هذا أضحى دماغ الكتروني اوروبي يحرز مبيعات جيدة في الولايات المتحدة الامريكية.

الهدف المتحرك - على رغم قصص النجاح المتفرقة هذه، وحتى لو هبطت النعمة فجأة على الاوروبيين بالحصول على رأس المال الفائض للمشاريع، فانهم سيواجهون النقص في المهندسين والعلماء المدربين، ففي بريطانيا الحقت التخفيضات في الموازنات الحكومية المرصدة للتعليم العالي ضرراً بالغاً بمناهج العلوم التطبيقية. وفي فرنسا يقدر موريس آليغر مدير التطوير العلمي في وزارة الابحاث والصناعة ان البلاد تحتاج الى ٤٠٠٠ مهندس اضافي كل سنة.

وتفتقر شركات التقنية العالية في اوروبا كذلك الى العلاقات العملية الحميمة التي تتمتع بها الشركات الامريكية واليابانية مع الجامعات ومراكز الابحاث. يقول الدكتور جيورجيو سيريلي احد كبار العلماء في المجلس الوطني للابحاث في ايطاليا: "يعتبر الكثير من العلماء الايطاليين ان العمل في الصناعة هو دون مستواهم."

وتشكو الشركات الاوروبية دائماً من ان العلماء ماهرون في البحث العلمي المجرد لكنهم عاجزون عن تطوير نتائج ابحاثهم الى منتجات تنافسية. والواقع ان الشركات الاوروبية نفسها كثيراً ما تفتقر الى المعرفة او الخبرة التجارية. فشركة "فيليبس" مثلا هي التي طورت مسجلة الفيديو، لكنها سمحت لليابانيين بالاستيلاء على السوق العالمية. ويقول جايمس بروس استاذ الهندسة الالكترونية في معهد مساتشوستس للتكنولوجيا في بوسطن: "ان لدى الاوروبيين افكاراً جيدة، لكن ملاحقة هذه الافكار حتى تحقيقها ليست على المستوى المنشود."

وتحاول معظم الحكومات الاوروبية مساعدة شركات التقنية العالية فيها. وبدا ان الفرنسيين كانوا اكثر الناس اندفاعاً في هذا المجال. وتخطط حكومة الرئيس فرنسوا ميتران والشركات الخاصة لانفاق ١٤٠ مليار فرنك فرنسي (١٧ مليار دولار) على صناعة الالكترونيات حتى العام ١٩٨٧. وفي ١٩٨٣ وضعت ألمانيا الغربية برنامجاً من ١٠٠ مليون مارك (٣٥ مليون دولار) لدعم الشركات الجديدة. وتغدق الحكومات ايضاً الاموال على المبادرات الاوروبية المشتركة. وفي ١٩٨٠ أرصدت السوق الاوروبية المشتركة ٤٠ مليون وحدة من العملة الاوروبية (★) لابحاث

(★) وحدة العملة الاوروبية تعادل ١،٣٩ دولار.

المواد الالكترونية شملت اكثر من عشر شركات اوروبية كبرى. وثمة مشروع للسوق من مليار ونصف مليار وحدة اوروبية يهدف الى مساعدة صناعات التقنية العالية الاوروبية في تحقيق "المساواة مع المنافسين العالميين خلال عشر سنين."

ومهما بذل الاوروبيون من جهد للتغلب على منافسيهم وراء البحار، فانهم يصوبون سلاحهم الى هدف متحرك. فالشركات في الولايات المتحدة واليابان تنفق اموالا طائلة للبقاء متقدمة على اوروبا وللحاق بعضها ببعض. والواقع ان اليابانيين والاميركيين لا يعتبرون اوروبا منافساً يخشى خطره في بضعة مجالات رئيسية في التقنية العالية. ويقول احد المسؤولين في شركة اميركية للادمغة الالكترونية: "ان المجالات الاوروبية اصبحت ميتة. ولا أرى اي ظروف يمكن ان تغدو فيها اوروبا قوة رئيسية في السوق."

بعض المسؤولين اليابانيين يقولون ان سوء الصناعة هو في الغالب علة اوروبا، وهم لا يشعرون باي شفقة تجاه الشركات المتعثرة وراءهم. وربما خفف تبادل التقنيات من هذه التوترات وافاد اوروبا واليابان كلتيهما. لكن الاوروبيين سيتمكنون من الانطلاق على نحو افضل في سباق التقنية العالية اذا امكنهم ان يعملوا معاً. وقد قال ميشال جوبير وزير التجارة الخارجية السابق في فرنسا: "سيدهش المؤرخون عندما يرون ان الاوروبيين خلال هذه الفترة وجدوا صعوبة بالغة في اثبات وجودهم كأوروبيين في القضايا الاقتصادية."

ومن سوء حظ اوروبا ان التاريخ قد يثبت أنه كان على حق.

■ "نيوزويك"



النجوم والاطفال

ركضت طفلة نحو نجم سينمائي لامع وطلبت منه أن يوقع اسمه على دفترها. وبادرته بنعومة وبراءة: "هل لك، يا سيدي، ان تهبني توقيعك؟" وما أن همّ بالتوقيع حتى قاطعته بهذا السؤال البسيط: "ما اسمك يا سيدي؟"

واغتاظ النجم الشهير وانقلبت سحنته، ثمّ صرخ في وجه الفتاة: "اذا كنتِ لا تعرفين اسمي، فلماذا تسألينني أن أمنحك امضائي؟"

أما هي فسألته بدورها: "ولمَ لا؟ وهل تعرف انت اسمي؟"

وحار النجم اللامع جواباً. وأخذ الدفتر مرة اخرى من يد الفتاةوكتب اسمه وأتبعه بامضائه.

ب.س.

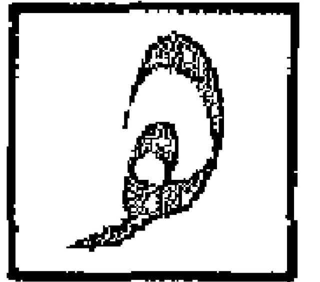
ما احب الاقرار بالخطأ

أجدني الاول على الدوام الى الاقرار بأخطائي، على رغم ان هذا الامر ليس سهلا جداً في حال وجود زوجة وثلاثة أطفال وحماة ورب عمل.

ا.ك.ك.

ثمة شواهد قوية على حاجة الرجل الى تأدية أعمال خاصة به، الامر الذي يعزز سعادة الجنسين

ماذا يريد الرجل من المرأة؟



هل لاحظت أن الاختلاف بين الرجال والنساء لم يبق كما كان؟ فالنساء اليوم يرتدين ثياب الجراحين وبزات رواد الفضاء، فيما الرجال باتوا يرعون الاطفال ويؤدون الخدمات المنزلية أكثر من ذي قبل.

ويبدو أن غالبية النساء تحب صورة عالم تسوده المساواة، باستثناء، أمر واحد، وهو أن العديد من رجال هذا العصر يفتقر الى الحيوية والاندفاع والكبرياء التي ميزت الذكورة يوماً. وقد كثر الحديث في المجالس النسائية عن ندرة هذا النوع من الرجال. وكتبت بيتي فريدمان وهي من دعاة المساواة بين الجنسين في الولايات المتحدة: "أذهب الى مدينة ما لالقاء محاضرة، فأسمع الكثير عن نسائها اللواتي تولين مناصب مرموقة في مختلف الميادين. إلا أن النسوة اللواتي أقابلهن، من جميع الاعمار، يشكين من خمول الرجال وتفاهتهم."

ولكن مهما يكن رأي دعاة المساواة، فهناك شواهد قوية على أن الرجال يحتاجون، أكثر كثيراً من النساء، الى مفهوم واضح يبين الفوارق بين الجنسين. والحضارات التي نعرفها أقامت هذا النوع من

التمييز حتى يومنا هذا، وهو تمييز تناول نشاطات الجنسين ولباسهما وسلوكهما ·

وتقول عالمة الاجتماع المرموقة مارغريت ميد، في كتابها الشهير "الذكر والانثى" الصادر عام ١٩٤٩، ان ثمة مبدأ بيولوجياً واحداً ثابتاً في هذا النطاق، ألا وهو أن دور النساء في جميع المجتمعات يشمل حمل الاطفال وتغذيتهم وحضانتهم في مرحلة طفولتهم الاولى· أما الادوار الاخرى فيتوزعها الرجال والنساء على نحو أو آخر·

وتتابع ميد: "في كل مجتمع بشري معروف يمكننا أن نلاحظ حاجة الذكر الى الانجاز· وربما لجأ الرجال الى الطبخ والحياكة وسوى ذلك، حتى إذا أصبحت هذه الامور من أدوار الرجال عدّها المجتمع مهمة· أما اذا ادت النساء الادوار عينها، فانها تبدو أقل أهمية في نظر المجتمع· وفي مجتمعات كثيرة نجد مفهوم الذكورة مرتبطاً في ذهن الرجل بحقه أو قدرته على ممارسة نشاطات محظورة على النساء· وهذا يعني أن مفهوم الذكورة ينطوي على حرمان النساء ممارسة بعض الاعمال·"

إلا أن الكثير من مجتمعاتنا المعاصرة يرفض هذا العزل· فهناك ظلم، للمجتمع وللنساء معاً، في وقف مواهب المرأة عن التفتح في أي حقل تريده· غير أننا، في حماستنا للمساواة، تعامينا عن حاجات الرجل الحقيقية التي كانت في أساس التمييز التقليدي·

ان حاجة الرجل الى دور يختلف بوضوح عن دور المرأة يمكن ردّها الى فوارق أساسية ثلاثة بين الجنسين:

١· الطفل الذكر مختلف عن امه

عندما يبدأ المولود الذكر تمييز نفسه عن امه، يدرك أيضاً أنه يختلف عنها· وإذا استعرنا كلمات مارغريت ميد، قلنا انه، "فيما يكتشف انفصاله عن أقرب الناس إليه، يجد أنه ذكر وليس انثى·" على الصبي، إذاً، أن يبتعد عن امه ليجد نفسه· وهو يحتاج لهذا الغرض الى مُثُل يحتذيها لتأكيد ذكورته، تكون من الجاذبية والقوة بحيث تنسيه سيطرة امه الكبيرة عليه·

وحاجة الصبي الى تمييز نفسه عن امه ذات أثر في علاقاته اللاحقة وهو في طور البلوغ· فالرجل يحتاج الى الخروج، الى العمل أو رفقة الرجال، لتأكيد حسه بالرجولة· لكن المشكلة اليوم أنه يجد المرأة أينما ذهب· وهو بات يشعر بالذنب إذا اقتصر معشره على الرجال· وفي رأي ريتشارد روبرتيلو، وهو محلل نفسي من نيويورك، أن الرجل "يحتاج الى رفقة الرجال لتأكيد رجولته·"

٢· الرجال لا يمكنهم الانجاب

ينظر الذكر باجلال الى عملية الحمل والانجاب· فهي أمر تستطيعه النساء ويعجز هو عنه· لذلك يترقب طور البلوغ كيما يستطيع، بدوره، أن يفعل شيئاً تعجز عنه النساء·

هذا الشيء، بالطبع، يجب أن يكون اجتماعياً أو حضارياً، لا

بيولوجياً، الامر الذي يعني أن على الرجل أن يصنعه، لا أن ينتظر حدوثه كما تنتظر الفتاة أن تصبح أ"ماً. من هنا أهمية الانجاز بالنسبة الى الرجل. فهي، بمعنى، الامر الذي يمنحه دوراً مميزاً. لذلك هو يرفض منافسة النساء له في ميادين الانجاز، هذه المنافسة التي تعني أن في استطاعة الانثى أن تنجب وأن تؤدي الادوار الحضارية نفسها. وهي منافسة تسلبه حتميته.

أما الابوة فليست كالامومة. من هنا كان على المرأة أن تترك للرجل دوره الاجتماعي أو الحضاري الذي يختص به وحده، والذي تقدره المرأة وتحجم عن تقليده في الوقت نفسه.

٣. معظم الرجال أقوى بنية وأكثر عنفاً من غالبية النساء

هذه حقيقة بيولوجية عو"لت عليها معظم الحضارات في منحها الرجال أدواراً مميزة. وقوة البنية والعنف يظهران لدى الذكر في مرحلة باكرة من طفولته. لذلك نجد الصبيان يمارسون ألعاباً تتميز بالخشونة، بينما تظهر مهارات الفتيات الكلامية والاجتماعية باكراً. والعديد من الباحثين يعزو هذه الفوارق الى الهرمون الذكري المسمى "تستوستيرون". وينمو معظم الصبيان ولديهم شغف بالنشاطات التي تظهر التفوق الجسدي واختبارات الشجاعة والقوة التي تبرهن تفوقهم على الاناث.

وفي كتاب مارغريت ميد المذكور أنه "يحتمل أن يكون لدى الذكر اليافع حاجة بيولوجية الى تأكيد ذاته جسدياً. وفي القديم كان الصيد والحرب أهم الوسائل لبلوغ هذا الهدف." وبما أن المجتمعات الاولى لجأت الى الصيد والحرب من أجل بقائها، فقد نظرت الى هذين النشاطين باجلال، الامر الذي أمد الرجال بالكبرياء. أما في يومنا هذا، فالصيد والحرب كلاهما يهددان البقاء، كون النشاط الاول يعني استغلال الطبيعة والثاني السباق الى التسلح النووي الهدام.

وفي إمكان المرأة مساعدة الرجل على تقوية رجولته بالسماح له أن يقضي بعض الوقت في صحبة الرجال وبفهمها العلاقة الخاصة بين الوالد والابن، حتى وإن حصل طلاق بين الزوجين. ويقول ريتشارد روبرتيلو: "الرجل يحتاج الى المرأة التي تؤكد رجولته وتقدرها وتقويها وتفيد منها، عوضاً عن أن تحسده على تلك المزية وتحاول تحطيمها."

ولئن كانت المجتمعات البدائية ولت الى غير رجعة، ففي إمكان الرجل أن يستعير منها بعض قيم الذكورة مع شيء من التعديل. ومن الامثلة على هذه القيم ما يأتي:

الحرب – كل رجل يحتاج الى أن يعرف أن لديه الشجاعة للدفاع عن زوجته وأولاده وبيته ومواقفه ومثله العليا. هذه المعرفة لا تعني سعي الرجل الى منازلة الآخرين، ولكن تلزمها بعض البراهين الجسدية، مثل قدرة الذكر على الدفاع عن نفسه وتسلق الجبال أو النجاة بقاربه من

تيار جامح. واذا وُجدت هذه الثقة لدى الرجل، تحولت مع الوقت موقفاً نفسياً هو نقيض الخوف وصنو الجرأة.

الرياضة – تعود الالعاب الرياضية المختلفة، في أصولها، الى تأكيد البراعة الجسدية من أجل الدفاع عن مجال الفرد الحيوي. وهذه البراعة أعانت الناس على البقاء وعززت ايمان الرجال برجولتهم.

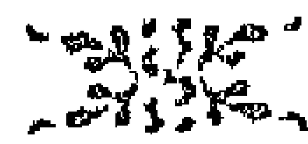
الفروسية – عندما يفتح الرجل باباً للمرأة، فكأنما هو يقول لها بطريقة رمزية انه على استعداد لتسخير تفوقه الجسدي لمساعدتها والدفاع عنها، وليس لكي يؤذيها. هذا التفوق هو سر الرجال. وما لم يُترجم اجتماعياً، فإن الرجل سيشعر أنه ضعيف وعاجز ولا حاجة إليه.

ولقد صادفت رجل مدينة أخبرني عن المتعة التي يستمدها من قطع الاخشاب وشقعها في منزله الريفي. وقطع الخشب يؤكد قدرته الجسدية ويدخل في عداد الاعمال التي تساعد أفراد عائلته. وبعد ملاحظته أكواماً من الخشب أمام عدد كبير من بيوت الريف، أدرك أن وراء كل كومة رجلا يقول: "انظروا ما صنعت".

وربما كان في هذا النشاط مثل على ما يمكن أن يفعله الرجال في عالمنا المعاصر لتأكيد رجولتهم من غير تعطيل الادوار الجديدة التي اكتسبتها النساء. ولا بدّ من إضافة مزيتين اكتسبهما الرجال في العقد الاخير من الزمن، وهما: القدرة على مصادقة النساء ومزاملتهن، والقدرة على رفقة الرجال المنفتحة.

ثمة نقاط تشابُه هائلة بين الجنسين. فالذكاء والموهبة والجرأة والطموح ورعاية الاولاد ورهافة الشعور هي كلها شؤون مشتركة بين الرجال والنساء. وإذا استطاع كلا الجنسين طبع هذه المزايا بطابعه الخاص، فلا بدّ من أن تأتي النتيجة إغناء لخبرتنا الانسانية.

■ **آني غوتليب**



حسن الضيافة

حُسنُ الضيافة ليس مسألة حجم أو كمية. واذا كان القلب كبيراً بما فيه الكفاية، فهكذا تكون المائدة ويكون البيت.

م.ه.

وليّ التقدير

في مسرحية روبرت بولت الشهيرة "رجل لجميع الفصول" يحث السير توماس مور شاباً لا يقرّ له قرار على أن يصبح معلماً حسناً. فيسأله هذا: "واذا غدوت كذلك، فمن يدري أو يقدر؟"

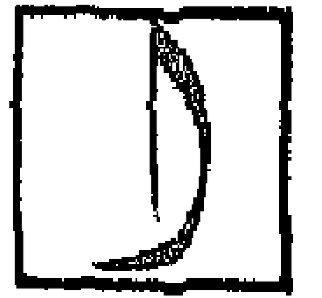
فأجاب مور: "أنت وتلاميذك وأصدقاؤك والله تعالى... أفلا يكفيك هذا التقدير؟"

منشورات "راندوم هاوس"

مهما يكن الجسد ضعيفاً، ففي استطاعة النفس أن تثابر، وأن تتغلب أحياناً



شجاعة النفس



انتظرت حتى أنهى الرجل كلامه وغرقت بصمت في مقعدها. لقد سماها "عجيبة". إلا أنها لم تبك بل حدّقت الى ذلك الرجل البدين الاحمر الوجه الذي يعمل في السيرك، وهو يقترح عليها بلطف أن تنضم الى فرقته المتجولة. وحين أدرك الرجل أنه جرح شعور الفتاة، سألها بتعجّب: "ألستِ تعرفين غرابة منظرك؟"

وأجابته على الفور: "أجل، أعرف هذا، إذ لدي مرآة."

كانت ميغ كايسي آنذاك في الحادية عشرة. ولم تدرِ، حتى تلك الامسية الحارة من صيف ١٩٦٧، وهي في بلدتها ميلفورد في ولاية كونتيكت الامريكية، كيف ينظر بعض الناس

Condensed from Hartford Courant (April 27, '83), (c) 1983 by The Hartford Courant, Hartford, Conn. Photo: Whitney Lane

إليها • وهي تقول: "للمرة الاولى وجدتني أسلم بأن ثمة شيئاً غريباً حولي• وعلى رغم ضآلة جسمي، فقد شئت أن يدعوني الجميع جميلة•"

وطول ميغ اليوم ١٢٢ سنتيمترا ووزنها ١٨ كيلوغراماً• وهي تضع شعراً أشقر مستعاراً على رأسها الاصلع• وهناك التواء في عمودها الفقري وفي أسنانها التي تنتأ من فم صغير جداً• وصدرها غائر من ناحية، وذراعها اليسرى أقصر من اليمنى• وهي تمشي بصعوبة وتكلف، ويسيل لعابها أحياناً وهي تبتلع الطعام بمشقة•

وهي، فوق هذا كله، غير جميلة•

إن ميغ ضحية مرض نادر اسمه "هتشينسون – غيلفورد"، وهو يبلي الجسم بالشيخوخة المبكرة• وهذا المرض يعوق النمو الطبيعيويؤدي الى انحلال العظام والعضلات ويسبب الصلع وانتفاخ العينين ويمني ضحيته بالشيخوخة قبل أوانها•

ويظن الاطباء، أن وراء الاعراض المذكورة سبباً وراثياً ، لكنهم لا يعرفون ماهيته ولا يعرفون بالتالي كيف يوقفون تقدمه• ومن أسباب جهلهم أن حالات هذا المرض التي تم تشخيصها طبياً لم تتجاوز المئة حول العالم منذ ما تم اكتشافه على يد الطبيب البريطاني جوناثان هتشينسون عام ١٨٨٦•

وغالباً ما يقضي هذا المرض على ضحيته في سن البلوغ• غير أن ميغ كايسي احتفلت، في الاول من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٣، بعيد ميلادها الثامن والعشرين• ويظن أنها اطول ضحايا هذا المرض عمراً في العالم، الامر الذي حيّر الاطباء كما حيّر الاشخاص الذين، على غرار رجل السيرك، ظنوا أنها ليست سوى ظاهرة شاذة•

تشخيص كئيب – وُلدت ميغ في بلدة بريدجبورت من أعمال ولاية كونتيكت• وهي الطفل السابع والابنة الوحيدة لوالديها جون ومارغريت كايسي• وفي صورة أُخذت لها وهي في شهرها الخامس، تبدو ميغ طبيعية كسائر الاطفال• ولكن ما أن بلغت شهرها الثامن عشر حتى لاحظت امها أمراً غريباً في نموها•

وتبدأ أعراض الشيخوخة الباكرة خلال السنتين الاوليين من الحياة، فينقص معدل النمو ويخف الوزن وتبرز الشرايين في الجبين فوق العينين ويكف الفك الاسفل عن النمو وتتهافت عظام الترقوة•

ومع الوقت يزول الشبه بين الطفل ووالديه ويكتسب ملامح الاطفال الآخرين الذين ابتُلوا بهذا المرض، وعدد الاحياء منهم اليوم سبعة عشر•

وقلقت مارغريت للامر، وحملت ابنتها الى أطباء الاطفال في مستشفى غريس – نيوهافن•واذ حاروا في أمرها، أخذتها أمها الى مستشفى الاطفال في بوسطن وهي على عتبة عامها الثالث• وقال أطباء بوسطن للام إن ابنتها تعاني مرضاً وراثياً يعوق نمو بعض العظام، وانه لا خوف من هذا المرض على حياة المصاب•

إلا أن طبيب الاسنان الذي كان

يعاين ميغ رفض ذلك التشخيص، معتمداً دراسته في طب الاسنان الخاص بالاطفال التي أطلعته على بعض العلل. وأخبر مارغريت أن ابنتها تمثل مرض الشيخوخة الباكرة خير تمثيل.

وعادت الام مراراً الى مستشفى غريس - نيوهافن وهي تحمل تلك المعلومات. ولدى بلوغ ميغ السادسة، أكدت فحوص الاختصاصيين ما اقترحه طبيب الاسنان الدكتور الياس فاس. وأعلنوا أسفهم أمام مارغريت وهم يخبرونها أن ذلك المرض قاتل، وان ابنتها ستقضي قبل سنها الثامنة.

طفلة خاصة - أصغت مارغريت حسناً، ثم عادت الى البيت وفي نيتها أن تبرهن خطأ تقدير الاطباء. وقررت ألا تخبر ميغ البتة عن التشخيص. وإذا كان الاطباء مخطئين حول مرض الفتاة، فمن الممكن أن يخطئوا حول أي شيء.

ووضعت سريراً لها بجانب سرير ميغ، وظلت تنام فيه الى أن دخلت ابنتها المدرسة الثانوية. وتقول مارغريت انها لجأت الى ذلك خوفاً من أن تموت ميغ وهي بعيدة عنها.

وذات ليلة سمعت لهاثها. ولمست جسدها فإذا هو بارد. وهلعت مارغريت للامر، ولفت ابنتها بحرام صوف والتفت به هي أيضاً، وراحت تصلي بحرارة وهي تدلك جسد الطفلة. وأخيراً نظرت ميغ الى امها وقالت: "كان متوقعاً أن أموت. أليس كذلك؟"

والواقع أن مرض ميغ جعل من طفولتها الاولى مرحلة سعيدة. وهي أدركت أنها كانت طفلة خاصة، مدللة، أو "أميرة" كما دعاها أبواها وألبساها كما لو كانت دمية، خالعين عليها المعاطف المخملية وأثواب الحرير، وعلى رأسها قالبا من شعر أشقر معقوص. وتقول ميغ: "كنت أظن نفسي بالغة الجمال. ولكم هو جميل أن يبدو الطفل مختلفاً عن الآخرين وهو في الخامسة."

وكان الكل يعاملها معاملة خاصة: الاصدقاء والبائعون والمدرسون. وتنافس الصبيان على مراقصتها في مدرسة الرقص، وهرعت الفتيات للفوز بالجلوس الى جانبها في فترات الاستراحة المدرسية.

أما في البيت فكانت سيرتها مختلفة، إذ صمم جون ومارغريت على معاملتها كأي طفل طبيعي. صحيح أنها ناحلة الجسم وسهلة المكسر، ولكن في إمكانها ان تحمل بيدها خرقة وتمسح الغبار عن قطع الاثاث. ولم يمنعها ضعف بنيتها عن الكلام بصوت مرتفع ومتابعة دروس خاصة في الرقص والبيانو والتزلج. وعندما بدأت تطرح الاسئلة على ذويها حول منظرها، اكتفوا بالقول انها صغيرة وناعمة.

ولكن ما أن أصبحت ميغ في الصف السادس من المدرسة الابتدائية حتى باتت حياتها خارج البيت أكثر صعوبة. وأخذت الفتيات يتجاهلنها وهن ينزوين للكلام على الفتيان. ثم جاءت مرحلة الدراسة الثانوية لتواجهها بصعوبات جديدة في ذلك

المجال، وهي تقول: "حتى أكثر الاشخاص خمولا ابتعدوا عني."

على الشاطىء – في تلك الاثناء كانت تولدت لدى ميغ كبرياء شديدة حول نفسها. وكلما واجهت صعوبة لاذت بالسخرية وسترت ألمها بالترفع. وأقسى ما في الامر كان رحلاتها الى المستشفى. فكونها الحالة الوحيدة من حالات الشيخوخة الباكرة، نظر إليها الاطباء كموضوع جدير بالدراسة. ومرة أجلسها طبيب التجبير تحت الانوار وسط غرفة مظلمة جمع فيها طلابه، ثم انتزع قميصها وشعرها المستعار وراح يشير الى غرائب تكوينها. فما كان منها إلا أن فرّت من تلك الغرفة باكية مذعورة.

ولم تكن تعرف علتها آنذاك. ولكن بعد أيام من عيد ميلادها السادس عشر جاءها قريب صغير واخذ يشهق ويبكي أمامها، وأخبرها أنه سمع الانسباء يقولون إنها لن تعيش سنة اخرى. وأضاف: "قولي لي ان ذلك كذب، وانك لن تموتي." وهدأت ميغ روع قريبها، لكنها لم تتمكن، لشدة خوفها، من طرح أي سؤال على الآخرين حول مرضها.

وأنهت ميغ دراستها الثانوية عام ١٩٧٣ وقد حصلت على علامات مرتفعة. وأدركت أن حالها الجسدية لا تسمح لها بدخول الجامعة. وهي، في أي حال، لم تشأ أن تكون منبوذة من أقرانها وأخذت دروساً في الرسم وباتت تبيع لوحاتها المرسومة بالحبر أو بالالوان المائية.

وفي ذلك الصيف أقنعت ميغ والديها بالسماح لها بالذهاب الى منزل العائلة الصيفي على شاطىء البحر. وكان عسيراً أن تعيش بمفردها. فيداها وأصابعها من النحول والضعف بحيث لا تستطيع صنع شطيرة لتأكلها إلا بمشقة. لكنها سُرّت بحريتها، وغالباً ما كانت تسهر الليل بطوله وهي تنتظر بزوغ الشمس من الماء.

وكان والدها يزورها في نهاية الاسبوع، فتتمدد على الرمل وتراقبه بفرح وهو يبحث عن الاصداف بين صخور الشاطىء. وهي تقول اليوم إن فصول الصيف تلك كانت أسعد أيام حياتها.

ولا تتذكر ميغ متى بدأت تدرك أن والدها على وشك الموت، بل تتذكر أنه بدأ أكثر وسامة في عينيها حين أخذ وزنه ينقص. غير أن وزنه لم يتوقف عن النقصان. وفي العام ١٩٧٧ قالت مارغريت لابنتها: "ان أباك مصاب بورم خبيث، وليس في استطاعة الاطباء إجراء جراحة له." ومات جون كايسي في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨.

وما برحت ميغ تصرّ بعد وفاة والدها على العيش وحدها. وبعد جدل طويل مع والدتها حول ذلك الامر، قرّ الرأي على استخدام المبلغ الذي جنته العائلة من تأمين جون على حياته لهدم الكوخ البحري الصغير وبناء منزل مكانه لاقامة الفتاة.

وبعد ذلك بحثت ميغ عمن يعيش معها هناك ويساعدها في النفقات وفي الامور التي لا تستطيعها

بنفسها، مثل الاعمال المنزلية وحتى وضع حذائها في قدميها· واتفق ان جودي غاري، صديقة أحد أشقائها، كانت تبحث عن مكان لاقامتها· وهكذا انتقلت تلك الطالبة الجامعية الطويلة الشقراء الى منزل ميغ· وتقول جودي بتحبب: "إن ميغ كثيرة الضجة وقاسية في الكلام مع امها· لكن شخصيتها غير مبتذلة·"

شركاء مصير - على رغم أن ميغ تعلمت أن ترضخ لمحدودياتها، فانها لم تعرف اسم مرضها قبل العام ١٩٨٠، عندما قال لها طبيب متمرن ان العلة التي تعانيها في قدميها هي من أعراض الشيخوخة الباكرة· وسألته ميغ: "أهذا هو مرضي؟" إلا أن الخوف منعها من متابعة الاسئلة·

وجاءتها المعلومات الاضافية من طريق جودي بعد قراءتها مقالا عن فتى في الثامنة في جنوب افريقيا ابتلي بالداء نفسه· وظن الفتى أنه الضحية الوحيدة لذلك المرض في العالم وانه سيقضي قريباً· ووضعت جودي ذلك المقال في يد ميغ وسألتها: "ماذا ستفعلين لهذا الفتى البائس؟"

وأجابتها فوراً: "وماذا تريدينني أن أفعل؟ أتظنين أني جان دارك؟"

إلا أن قصة ذلك الفتى تبعتها قصص عن آخرين، بينهم صبي في التاسعة من ولاية تكساس وفتاة في الحادية عشرة من كاليفورنيا· ونشرت الصحف أن اجتماعاً قرر عقده في بلدة "ديزني لاند" السياحية للاولاد المصابين بذلك المرض· وطارت ميغ الى كاليفورنيا وخاطبت الاطفال، وأخبرتهم ان الاطباء قالوا لذويها هي أيضاً انها لن تعيش حياة طبيعية· غير انها أتمت دراستها الثانوية، وها هي تعيش وحدها·

والواقع أن ميغ باتت مستعدة للاطلاع على مرضها والكلام عنه بعدما أخبرها الاطباء كل شيء حوله· ولم يقتصر حديثها على المخاطبة الشفوية، بل نشرت مقالات في عدد كبير من الصحف الامريكية وظهرت في برنامج تلفزيوني يقدمه فيل دوناهو· وباشرت كتابة زاوية اسبوعية في صحيفة البلدة التي تسكنها· وطلبت من بلدية ميلفورد تخصيص مكان لها لمساعدة المتخلفين· ولنيل المزيد من الحرية، عبرت عن رغبتها في الحصول على سيارة خاصة يمكن أن تقودها بنفسها·

والحق أن ميغ برمة باولئك الذين يشكون من مصائبهم· وقالت لواحد من ذوي العاهات أن يكف عن التذمر ويراقب العالم من نافذته، "حيث الشمس الرائعة·"

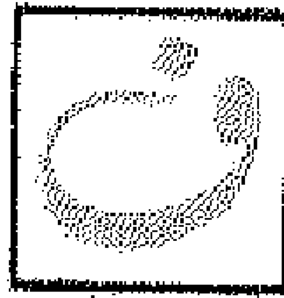
وتقول ميغ: "صدقوا أني لا أظن نفسي قبيحة· والامر الوحيد الذي يؤذيني هو حياتي العاطفية، إذ لا أستطيع الوصول الى الآخرين أو اجتذابهم إلي كما تفعل الآخريات·" وهي تحلم أن تجد يوماً الرجل الذي يغض النظر عن ضعفاتها· أما الموت فتخشاه ميغ أكثر فأكثر، علماً أن نفسها يضيق وعظمها يتقلص مع الايام· وتقول: "لا أريد أن أقضي بهذا المرض·"

■ **نانسي ترايسي**

مأساة واقعية

فقد فريق الانقاذ الامل في العثور على الصياد الذي كان يواجه الموت منفرداً في البراري

الصيّاد التائه



في الثامنة صباحاً يوم ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٢ خرج جورج وستكوت ورفاقه الخمسة في رحلة لصيد الغزلان. تجمعوا على طريق لنقل الاخشاب تبعد ١٦ كيلومتراً شمال بحيرة موسهاد في ولاية ماين الامريكية. كان الثلج

يتساقط خفيفاً وهم يتفحصون بوصلاتهم ويضبطون ساعاتهم للقاء ظهراً. واتفق الجماعة على ان من يعود اولا يطلق بوق شاحنة وستكوت العالي مرتين لارشاد الآخرين. وبعد ذلك تفرق الستة داخل الغابة.

توجه وستكوت الى جنوب طريق المنشرة. كان في الثانية والخمسين من عمره، طويلا وقوياً يعمل ناظراً في مصنع ينتج صفائح معدنية ويملك مطعماً. وهو من سوانسي في ولاية مساتشوستس. وكان يصطاد في منطقة بحيرة موسهاد في كل موسم منذ ١٨ سنة. وكان خبيراً في الغابة، هادئاً، بارعاً، وليس من طبعه ان يجازف من دون حاجة.

تضاعف سقوط الثلج واشتدت الريح. وتفحص وستكوت بوصلته فتأكد له انه يسير في الطريق الصحيحة. لكنه شعر بألم في يديه وقدميه، على رغم قفازيه وجزمة الصيد. الساعة الآن العاشرة والنصف، وقد حان وقت العودة. واذ بدأت الريح تزداد عتواً راح يمشي الى الشمال مفتشاً عن رفاقه. امامه في مكان ما نهر مينك بروك، الذي يؤدي الى الطريق.

فجأة هبت عاصفة هوجاء. وحدق وستكوت الى صفحات بيضاء اماماً لا نهاية لها وقد انحنت النباتات الصغيرة الى الارض وارسلت الاشجار الكبيرة صريراً يشبه الانين. تمتم لنفسه: "البياض غمر الكون، علي ان ابقى هادئاً وافكر بمنطق."

عند الظهر انصت وستكوت عله يسمع بوق سيارته العالي. لكنه لم يسمع سوى صوت الريح العميق وصوت الاشجار كصرير الخشب في سفينة تغرق. ووصل الى نهر سريع المياه ظنه نهر مينك بروك. كل ما يتوجب عليه الآن هو اتباع المجرى صعوداً ليصل الى الطريق. وما ان تابع سيره حتى بدت المنطقة التي غطتها الثلوج بسماكة ٣٠ سنتيمتراً غير مأهولة ولا مألوفة. ووصل الى جرف قليل الارتفاع وبدأ قلبه يخفق بسرعة وهو يرى شكل جبل يلوح له في الافق. هذا ليس نهر مينك بروك. انه يتسلق الطريق في اتجاه جبل ايليفانت الذي يبعد كيلومترات شمال الطريق.

بدأ يمشي نحو الغرب حيث تقع طريق المنشرة في مكان ما.

كانت الاشجار مكسرة في كل مكان. وزحف وستكوت ساعات فوق جذوعها المرتفعة عن سطح الارض حتى وصل الى ممر خفي وسط اشجار الارز والتنوب قاده الى بركة كبيرة. كان عليه ان يقطعها ليبقى في الاتجاه السوي. وبدا له ان المشي في محاذاة الضفة امر صعب لان التربة تشبه المستنقع يغوص الانسان فيها ويعجز عن التقدم، وليس لديه وقت كاف لاي مناورة قبل حلول الظلام. قال في نفسه: "الساعة الآن الثالثة والنصف، والافضل ان اجد مأوى."

وما ان ابتعد قليلا حتى غرق الى ركبتيه في حفرة عميقة مغطاة بالثلوج. وتخلص من الوحل والماء المجلد وجاهد عائداً الى التلة. لقد أثقلت رجلا سرواله بالثلوج وبدأ يرتجف. واخيراً وجد مأوى وسط مجموعة من شجر الارز.

قطع اغصان شجرة صنوبر لفراشه وجمع عيداناً جافة لاشعال النار٠ لكن الريح العاصفة هبت عليه من كل صوب ومنعته من اشعال عود ثقاب٠ وعنفت العاصفة وبدأت تزمجر وتقتلع الاغصان والاشجار٠

تابع وستكوت محاولاته حتى آخر عود ثقاب، ثم صلى: "ساعدني يا رب٠"

وانخفضت درجة الحرارة سريعاً٠ فوضع وستكوت يديه داخل معطفه تحت ابطيه ليبقى دافئاً، ثم بدأ بعض التمارين الرياضية لشد العضلات٠ وارسل اشارات استغاثة باطلاق ثلاثة عيارات نارية من بندقيته كل نصف ساعة٠

اجتمع رفاق وستكوت بحسب الخطة الموضوعة٠ وكانوا مقتنعين بانه ما زال يطارد غزالا٠ وتأخروا باطلاق اشارة البوق الثنائية الى بعد الظهر٠ والآن، وسط الظلام الدامس، راحوا يطلقون ابواق ثلاث شاحنات٠ ثم اطلقوا عيارات نارية في الهواء واداروا سلاسل المنشرة باصواتها المزعجة٠ وسقطت الحرارة الى ٣٩ درجة مئوية تحت الصفر، وانخفضت الرؤية الى ثلاثة امتار٠

اليوم الثاني٠ هدأت العاصفة مع الفجر٠ وعندما استيقظ وستكوت بعد نوم ٩٠ دقيقة فقط، لم تعد قدماه تؤلمانه ولم يعد يحس بهما٠ ولما حاول الوقوف وقع ارضاً٠ فزحف الى شجرة قريبة وقطع غصناً ليستعمله عكازاً، ثم انتصب وبدأ يعرج في محاذاة ضفة البركة٠ الشجرات المكسرة الملقاة على الارض وفي الماء كانت تشبه افخاخاً مميتة، لذلك عاد ادراجه يتسلق التلة٠ وفي العاشرة والنصف صباحاً، بعد ثلاث ساعات، وجد انه قطع اقل من ١٦٠٠ متر٠

وقع مرات، وما ان حل العصر حتى تجرحت كتفاه واصاب الصقيع يديه فتجمدت اصابعه٠ ونظر الى اسفل التلة فشاهد مجمعاً آخر من المياه على بعد ثلاثة كيلومترات٠ واعتقد انها بركة ويلسون السفلى٠ ورأى كوخاً بعيداً بالقرب من الضفة فتوجه اليه طلباً للمأوى٠

اليومان الثالث والرابع٠ بقي وستكوت ٤٨ ساعة اخرى يجوب انحاء القفر والمرتفعات القريبة بعناد، يقوم بتمارين رياضية كل ليلة طلباً للدفء وتفادياً للموت٠ وكان يسمح لنفسه بالنوم فترة قصيرة قبل بزوغ الفجر٠ ولمح الكوخ مرة ثانية فقط، فتابع طريقه وسط غابة كثيفة معتمداً على بوصلته وايمانه بنفسه٠ واخيراً، وبعد ان ايقن انه قطع المسافة المناسبة، نزل في محاذاة جدول شديد الانحدار، فوجد البركة وكوخاً خشبياً صغيراً٠

كان باب الكوخ مغلقاً من الخارج فكسر وستكوت زجاج نافذة بقبضة بندقيته ومد يده الى الداخل وفتح النافذة٠ وادخل بعض قطع الخشب الصغيرة المرصوصة بالقرب من الكوخ عبر النافذة، ثم ادخل قدميه ودفع جسده مستعيناً بعكازه٠ وخلال ساعة عثر على عيدان ثقاب واشعل ناراً هادرة في الموقد٠ كذلك وجد مطرقة

ومنشاراً وادوات طبخ وبطانيات صوفية وشراشف وفأساً واكياس بلاستيك وبعض علب الطعام. وعلى رغم جوعه ونعاسه فقد بدأ يهيىء لليوم التالي.

نشر قفل الكوخ اولا، ثم سمر قطعة خشب فوق النافذة المكسورة وجمع بعض الماء والمزيد من قطع الخشب للموقد. وداخل الكوخ تابع اشعال النار وتغذيتها بالحطب الى ان توهج الجمر في الموقد. وبحذر شديد ادخل قدميه الى الفرن. ولما ذاب الثلج عن سرواله (بلغت كثافته اكثر من خمسة سنتيمترات) قص جزمته وجواربه. وقشرت طبقة كثيفة من جلد قدمه اليمنى. وبقيت قدماه مجلدتين كأنهما قطعتان جامدتان من الخشب.

جزع وستكوت ولف قدميه بقطع قماش مزقها من ملاءة السرير. ولما تبين له ان علب الطعام فاسدة اخذ يشرب الكاكاو، واكل قطعة بسكويت قديمة كانت اول وجبة يتناولها منذ ٨٤ ساعة. وقال في نفسه: "سأخرج من هنا ولو زحفاً."

اليوم الخامس. سمع وستكوت ازيز طائرات ودوران طوافة. فأخذ شريطاً لاصقاً كتب به كلمة "النجدة" باحرف كبيرة الصقها على حرام اسود فرشه في فسحة مسطحة امام الكوخ. لكنه ادرك ان فرقة التفتيش تخطته، وان عواصف الشتاء في طريقها اليه وليس لديه طعام او شراب وقدماه متورمتان. وبات لزاماً عليه ان يغادر مأواه الآمن.

في اليوم التالي صنع علاقة جلدية لبندقيته، وربط بطانية صوفية حول كتفيه، وأدلى الفأس بحبل حول رقبته. وضع داخل احدى جيوبه كوباً للشرب وعيدان ثقاب. كان وستكوت متأكداً من وجود طريق حجرية الى الشمال في محاذاة بركة ويلسون السفلى تفصلها عن بركة ويلسون العليا. فان كان ذلك صحيحاً، فما عليه الا ان يسير على ضفة البركة ليصل الى الطريق في الطرف الآخر.

اليوم السابع. حان وقت الرحيل. ومع الفجر وضع وستكوت قدميه في اكياس بلاستيك وانتعل جزمته المقطعة وربطها بحبل. وشرع يرتقي التلة قبل ان يتجه الى الشمال فالشمال الغربي. ولم يكتشف انه فقد جزمته اليمنى الا بعد ساعات من السير. في تلك الامسية سقطت امطار غزيرة جارفة فاحتمى بجذع شجرة مكسورة.

اليوم الثامن. في اليوم التالي امطرت السماء طوال الوقت وراح وستكوت يعرج بقدم واحدة مربوطة داخل كيس بلاستيك باحثاً عن الطرف الآخر للبركة. انعطف غرباً فوجد انه عاد الى حيث بدأ. يبدو ان لا نهاية للبركة. وفاحت رائحة قدمه، انها رائحة لحم نتن. كان يعرف ان السم سيسري في مجرى دمه خلال ايام قليلة وعليه ان يعود ادراجه الى الكوخ.

اليوم العاشر. وصل وستكوت الى الكوخ قبيل حلول الظلام. اشعل ناراً

وخلع جواربه وثيابه. كانت رائحة اللحم النتن لا تحتمل. لقد تشقق اللحم الاسود الخارجي الميت وظهر اللحم الاحمر الحي. الجروح لا تنزف واصابع قدميه بدأ يكسوها السواد.

اليوم الرابع عشر. ارتدى وستكوت جزمة لخوض الوحل والماء وجدها في خزانة، وعاود مسيرته متجهاً هذه المرة الى الشمال فالشمال الشرقي. كان يتمنى ان يدور حول البركة. لكنه وجد من جديد انه كلما اتجه الى الغرب كانت المياه امامه. وقال في نفسه: "هناك خطأ ما."

وتذكر فجأة ان بركة ويلسون السفلى متصلة ببكرة ويلسون العليا ولا يوجد ممر حولها. كان محاطاً كلياً بالمياه وبجبل مكسو باشجار مكسرة وطرق غير سالكة. وفكر: "ان لم اعثر على قارب فانني هالك لا محالة." وعاد الى الكوخ.

الكثيرون ممن كانوا يبحثون عن وستكوت كانوا مقتنعين انه من غير المعقول ان يبقى حياً لليلة واحدة، تلك الليلة الاولى الرهيبة. وبعد اسبوع فترت همة فريق الانقاذ، غير ان اهله واصحابه تمسكوا بالامل. وكلما اقترح احدهم اقامة صلاة لراحة نفسه كانت والدته تصر بعناد قائلة: "ليس بعد. اذا كان لديه امل واحد، فانه سينجو."

اليوم الخامس عشر. كان وستكوت لا يزال على مسافة قصيرة من الكوخ عندما رأى ممراً يقود الى البركة. ومشى اليه ببطء ليحضر بعض الاخشاب الصغيرة لاشعال النار. وعندما وصل الى البركة رأى كوخاً آخر قرب الضفة يبعد حوالى ٤٠٠ متر، وبالقرب منه مركب شراعي صغير كان محجوباً عن الانظار. فابتهل بصوت مرتفع: "اشكرك يا الهي على هذه النعمة."

اليوم السادس عشر. عرج وستكوت حتى وصل الى الكوخ الآخر. كان المركب مربوطاً بسلاسل حديد الى شجرة. ووجد مجذافاً تحت سقيفة الكوخ كما وجد في الداخل جوارب ومعطفاً واقياً من المطر وعلبة فول سوداني وحساء مجففاً ومعكرونة ودقيقاً وعلباً صغيرة من سمك التونة والبندورة وجذور الشمندر. اشعل ناراً واكل طعاماً جامداً للمرة الاولى منذ اسبوعين. وفي اليوم التالي، بعدما نشر سلاسل المركب وحرره، هطل مطر غزير وهبت عاصفة هوجاء دامت اربعة ايام.

اليوم الحادي والعشرون. سحب وستكوت المركب الصغير الى الضفة الصخرية. ولم تلبث ان قلبته الريح العاتية فنزل الى الماء المجلد ليسحبه الى الشاطىء الامين. وعرج الى الكوخ ليشعل ناراً. انه لن يتمكن اليوم من الرحيل، وطعامه يكاد ينفد. وشعر برغبة في البكاء وقال: "لماذا يا الهي؟ لماذا الآن وقد اقتربت من النجاح؟"

اليوم الثاني والعشرون. كانت السماء صافية والشمس مشرقة

والبركة ساكنة كالزجاج. سحب وستكوت المركب الى الماء وقلبه على جانبه قبل ان يصعد اليه. وضع رجلا في منتصف المركب، ثم بمساعدة عكازه وثب الى الداخل. واستوى المركب ثم تحرك واستقر فوق الماء. لقد نجا.

بعد ثلاث ساعات من التجذيف وصل الى رصيف في الطرف الآخر للبركة. وسحب نفسه ببطء وامسك بخشب الرصيف. نظر حوله فرأى طريقاً حجرية. وشعر برغبة في تقبيل الارض. واتجه الى الطريق وهو يشكر ربه.

لم يصدق الدكتور بول فشتنر عينيه حين دخل عامل الهاتف غرفة الطوارئ في مستشفى دين التذكاري في غرينفيل برفقة وستكوت الملتحي. فقد وجده يعرج على الطريق المؤدية الى غرينفيل متكئاً على عصاه الثقيلة وقد ربط فوق كتفيه بطانية بالية. وخلال محنته التي دامت ٢٢ يوماً خسر ١٨ كيلوغراماً من وزنه وتحمل قضمة الصقيع التي اصابت اصابع يديه وقدميه. قال الدكتور: "الكثيرون كانوا قضوا في الليلة الاولى. واعتقد انه كان سيخرج وان على جدعات اطرافه."

يتماثل اليوم وستكوت للشفاء بعد جراحة استؤصلت فيها جميع اصابع قدميه وقسم من قدمه اليمنى. ومع ذلك فلا يزال حبه للطبيعة لا يجارى. ينتعل احذية خاصة ويستعمل عصا. ولقد قام برحلات عدة الى غابة ماين. وهو يقول: "اشعر اليوم بحنين الى القفز اكثر من ذي قبل."

وخلاصة ما قاله غلين مانويل عضو لجنة المسامك الداخلية والحيوانات البرية في ولاية ماين: "ان بطولة جورج وستكوت، حتى في ولاية اعتادت بطولات البقاء، هي حدث غير عادي. كان مؤكداً انه سيموت، لكنه رفض هذه النهاية."

■ شيلدون كيلي



السخافات كثيرة

ان قوتنا كبشر هي قدرتنا على ان نضحك على سخافاتنا. أما ضعفنا فهو اضطرارنا الى الاكثار من الضحك.

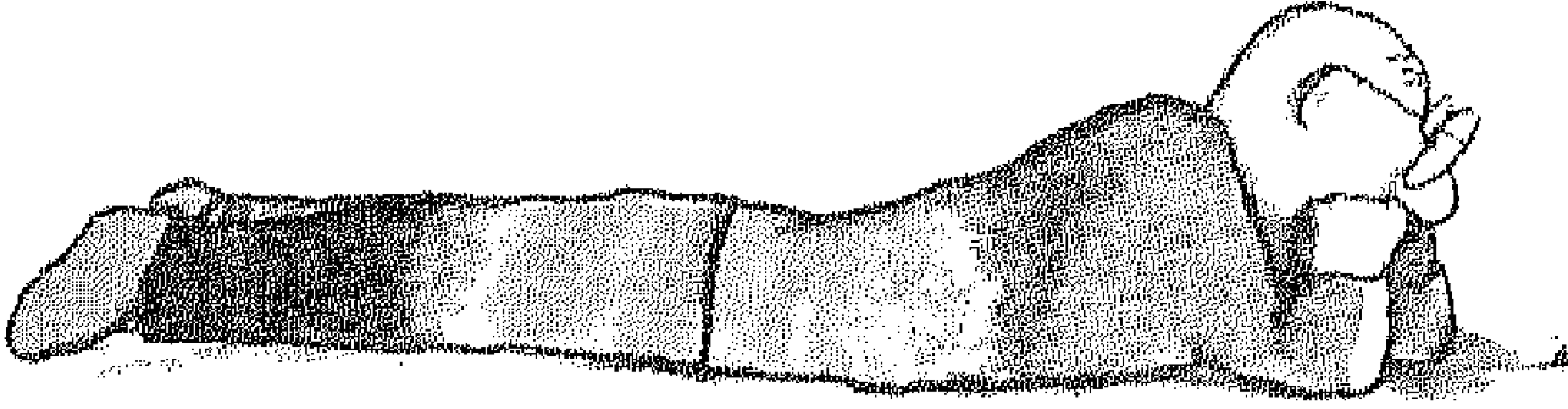
س٠ا٠

كلاب جامعية

في جامعة ديوك الامريكية تكثر الكلاب التي تشاهد بكثرة في قاعات المحاضرات وفي الحافلات. ومرة جاء والد أحد الطلاب لزيارته. واذ ركبا الحافلة عائدين الى محطة القطار، وقف على الطريق كلب راح يهز ذيله الى ان فتح له السائق الباب. وفعل الشيء نفسه حين أراد النزول. وحيال دهشة الوالدين قال ابنهما: "ان جامعتنا لا تستقبل الا أذكى الكلاب."

ل٠م٠

تأملات معاصرة



المال والبنون

ثمة كلمات أربع يجب أن تكون جزءا لا يتجزأ من تربية كل طفل: "لا نستطيع تأمين ذلك." والاهل الذين لم يتفوهوا قط بهذه الكلمات أمام أولادهم يكونون قد غشوهم فعلا. وكما يقوي التمرين الجسد، فالنظام يقوي النفس.

م. م.

الحياة على جزيرة

أجمل ما في الحياة على جزيرة تمشيط الشاطىء. فهو يشبع لدى المرء رغبة الانعتاق من كل نظام والحصول على الاشياء مجانا. كما يوقظ لديه حس المغامرة والدهشة، بما أنه لا يعرف ما سيحمله إليه المد.

ديفيد كونوفر

سن الوعي

للشبان تطلعات لن يحققوها ابدا، وللشيب ذكريات لأمور لم تحدث البتة. وحدهم الذين في منتصف العمر يعون محدودياتهم. ولذلك يجدر بالمرء ان يتحملهم... لكنه لا يفعل.

ساكي، قصصي بريطاني

الحب المبصر

لا يحب رجل وامرأة احدهما الآخر حقاً الا بعد تلاشي الجنس بينهما. واذ انظر الى الالم الناشىء عن الجنس، او عن الحب الجامح الذي يحاكي ذئباً يتحفز للانقضاض على فريسته، اجد ان العطف هو الحب المبصر والاعمق والاغنى... وهذا هو الحب الذي اسعى اليه من جديد.

انيد باغنولد (شاعر بريطاني)

لماذا؟

ثمة كلمة رائعة هي: "لماذا؟" تلك اللماذا التي يرددها الأطفال، كل الأطفال. واذا كفوا عن استعمالها، فهذا عائد في معظمه الى ان احداً لم يكلف نفسه الاجابة عن اسئلتهم، وبذلك لم يعدهم لمغامرة الحياة.

اليانور روزفلت

السحر الانساني

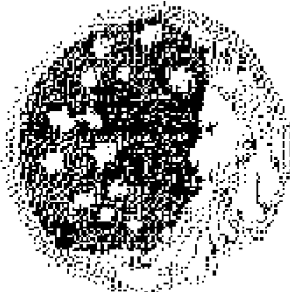
من يدرك الطاقة السحرية التي تسري بين شخصين يتجاوزان ظواهر الامور ليغوصا الى أعماقها، يعرف ماذا يمكن أن يفعل الانسان لانسان آخر.

اليكس نوبل

A century ago the average housewife worked 16 hours a day, 365 days a year.

Today she gets the job done twice as well in half the time
But we still don't think that's good enough.
So what are we doing about it? Lots!

Laundry products: ACE, ARIEL, BIZ, BOLD, BONUS, BOUNCE, CHEER, DASH, DAZ, DON MAXIMO, DOWNY, DREFT, DUZ, *FAIRY SNOW*, GAIN, *IVORY FLAKES*, OXYDOL, LAVA, LENOR, SALVO, TIDE. Household cleaners and cleansers: COMET, FLASH, MR. CLEAN, SPIC & SPAN, TOP JOB. Bar soaps: CAMAY, FAIRY, IVORY,



LAVA, MONSAVON, SAFEGUARD, ZEST. Dishwashing products CASCADE, JOY, MOTIV. Toiletries: CREST, DRENE GLEEM, HEAD & SHOULDERS, PRELL. Food products: CRISCO, DUNCA HINES, FOLGER'S, PRINGLE'S. Paper products: BOUNTY, CHARMI PAMPERS, PUFFS, WHITE CLOUD.

Procter & Gamble

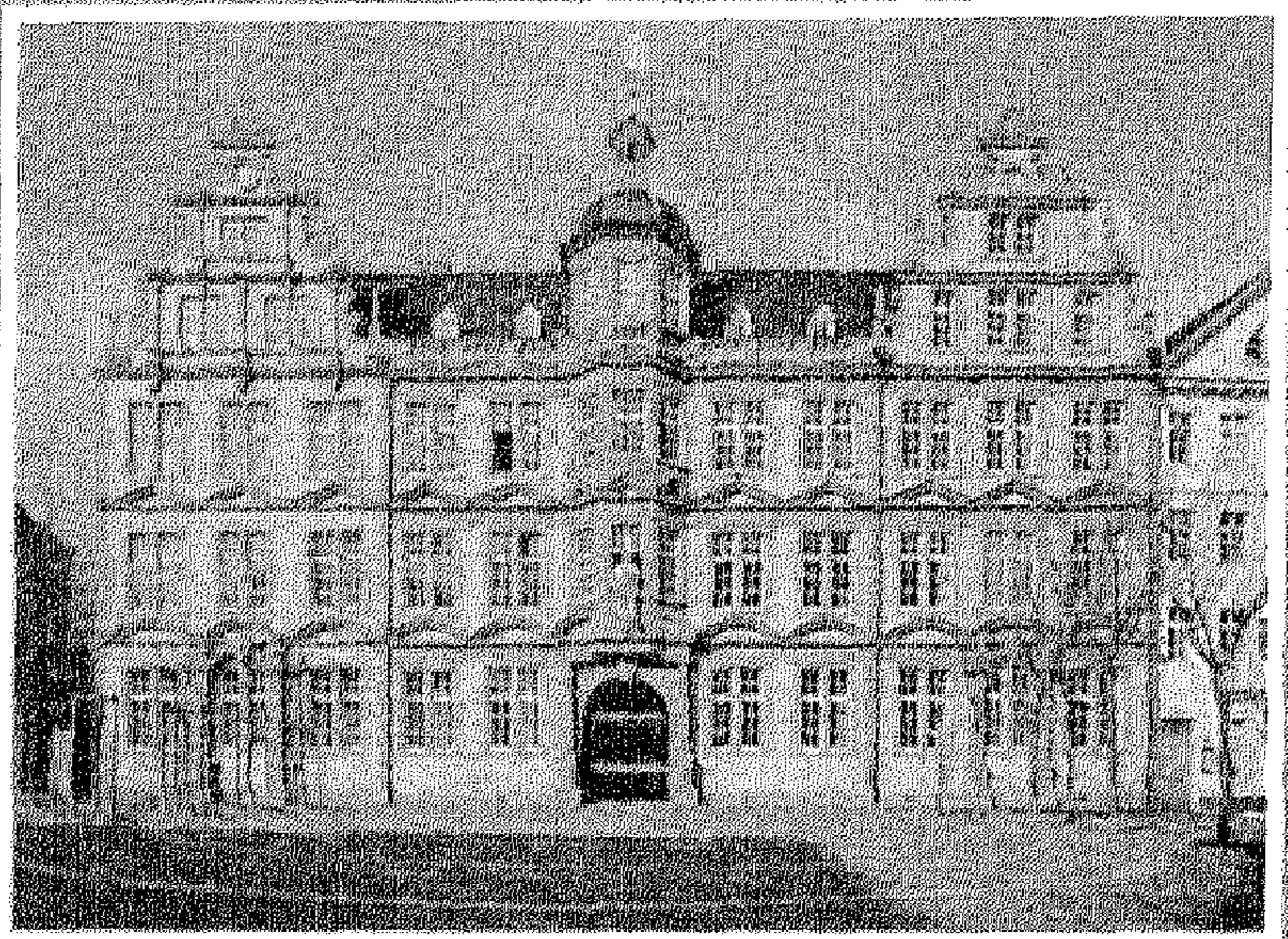
العبقريّ الذي أضاء العالم

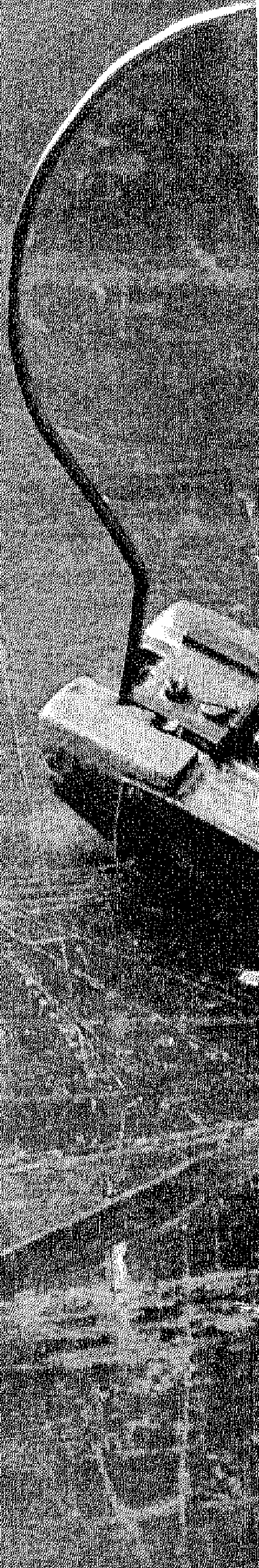


الساعة الثامنة والنصف صباحاً من احد ايام أبريل (نيسان) المشرقة عام ١٩٧٨، وفي مطار راين ماين في فرانكفورت احتشد الصحافيون والشخصيات البارزة ينتظرون بشوق وصول شحنة من تاجر الكتب النادرة في نيويورك هانس بيتر كراوس. وبعد كشف الجمارك على الطرد الذي بلغت قيمته ٣،٧ ملايين مارك (١،٣ مليون دولار)، نقل على وجه السرعة في حراسة رجال الشرطة الى ماينز

الى اليسار: قصر النهضة "زوم روميشن كايسر" الذي يضم الآن مكتبة المتحف.

الى اليمين: رمز "الفن الاسود" هو كرة التجبير التي كانت ذات مرة تستخدم لمد الحبر على صفحات الحروف، وتبدو في الاسفل المغرفة التي كان يرفع بها المعدن المصهور، وحروف غوتنبرغ التي يتميز كل منها بثلم في جانبه الاسفل.





التي تبعد حوالى ٤٠ كيلومتراً. وهكذا عادت اخيراً توراة غوتنبرغ الى حيث طبعت للمرة الاولى قبل ٥٠٠ سنة ونيف.

هذه التوراة هي اليوم درة المعروضات في متحف غوتنبرغ الفريد في ماينز. وقد كرس هذا المتحف حصراً لفن الطباعة ولمخترع الطباعة بالحروف المنفصلة يوهانس غوتنبرغ. ويتقفى القيمون عليه تاريخ الكلمة المطبوعة بدءاً بالالواح البابلية المسمارية قبل ٤٥٠٠ سنة وانتهاء بأحدث آلات صف الاحرف بطريقة التصوير الضوئي. والى الكتب الثمينة يضم المتحف ٧٠ الف غلاف كتاب و٦٠ ألف رقعة كتاب (★) والوف النماذج الكتابية بخط اليد وبأحرف الطباعة والصحف ذات الاهمية التاريخية، كذلك أوراق اللعب (الشدة) والكليشيهات. وفيه ايضاً اصغر طبعة في العالم لكتاب صلاة لا يزيد حجمه على ظفر اصبع في سبع لغات. ورسم دخول المتحف ماركان المانيان (٧،٠ دولار)، ويفد اليه كل سنة ربع مليون زائر من انحاء العالم.

تبدأ جولتنا في الطبقة الاولى من المبنى الرئيسي. هنا ترقد التوراة الثمينة. انها في مجلدين: العهد القديم والعهد الجديد. وكلاهما مضاء بمصابيح معدنية. وقد أعيد اكتشاف هذين الكتابين في تركة ورثة النبيل البريطاني جورج شاكبورغ عام ١٩٥١، وهما مغلفان بالجلد المراكشي القرمزي المذهب الاطراف. ولم يفقد الورق شيئاً من لمعانه ولا الالوان شيئاً من رونقها. كل الصفحات مزخرفة، والحروف الاولى ورؤوس الاعمدة والنقوش كلها مرسومة باليد بالاحمر والازرق والذهبي. ومن اصل ٢٠٠ توراة تقريباً بدأ غوتنبرغ طباعتها عام ١٤٥٢، لم يبق سوى ٥٠ نسخة تقريباً. وهذه المجلدات الموزعة في ١٣ بلداً تعتبر افخم الكتب التي طبعت ابداً.

فجر الطباعة — وقفت اراقب صفاً من التلامذة يصغون مأخوذين الى أحد موظفي المتحف وهو يشرح لهم كيف يصنع الورق. وفي قبو المتحف يتولى حرفي تشغيل آلة طابعة تماماً كما كانت تشغل قبل ٥٠٠ سنة. يضع اولا قالباً لأحد الحروف في آلة سكب يدوية. بعد ذلك يستخدم مغرفة ليسكب في القالب مزيجاً معدنياً من الرصاص والقصدير والاثمد (انتيموني) والبزموث مصهوراً في حرارة ٣٠٠ درجة مئوية. تبرد هذه المعادن بسرعة، وهاك حرفاً طباعياً ولد للتو.

يضع الطباع الحرف مع الحروف الاخرى التي صبها في مصف خشبي ليؤلف منها سطراً كاملا. بعد ذلك يرتب الاسطر واحداً تحت آخر ليشكل منها صفحة كتاب. ثم يحبر الصفحة باستخدام كرات حبر مصنوعة من الجلد ومحشوة بشعر الخيل، وبعد ذلك يضغطها في آلة طبع يدوية.

يدير هذا الحرفي بخفة لولباً من الخشب، فيكبس صفحة مبللة من الورق على صفحة الاحرف التي تطبع

(★) رقعة تلصق على كتاب يسجل عليها اسم صاحبه او موضعه في مكتبة.

صورتها على الورقة. وقد تقدم صفحة مطبوعة الى الزوار كتذكار. واني سمعت احدى التلميذات تقول لأخرى: "سأعلق هذه النسخة على الجدار في غرفتي، قرب صورة الفيس."

يصعب علينا اليوم ان نتصور عهداً لم تكن الطباعة موجودة. ولكن قرابة العام ١٤٠٠ كانت الكتب لا تزال تخرج من بين ايدي الرهبان الذين كانوا يخطونها بجهد مضن يستغرق سنوات. اما الطباعة بالصفحات المحفورة، حيث تحفر صفحة الكتاب كاملة كقطعة واحدة، فكانت تستهلك وقتاً طويلا، كما كانت المحفورات النافرة تبلى من الاستعمال المستمر. وقد ولدت الطباعة الحديثة حين خطر في بال يوهانس غوتنبرغ ان الطباعة ممكنة آلياً من طريق صنع احرف من المعدن منفردة يمكن استعمالها تكراراً.

موجة عارمة – لا يعرف سوى القليل عن يوهانس غنسفلايش. وهو ابن عائلة ارستوقراطية كانت تملك مزارع تعرف باسم غوتنبرغ، وهو الاسم التي اتخذه يوهانس لنفسه في ما بعد. وقد يكون ولد في ماينز قرابة العام ١٣٩٧. وعلى رغم محتده النبيل فانه قبل في نقابة للحرفيين في ستراسبورغ وعمل في الصياغة وقطع الجواهر وصقلها. وكان ينفق كل فلس يحصله على تجاربه الطباعية.

وحين عاد غوتنبرغ الى ماينز في شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٤٤٨، كان "الحرف الميكانيكي" الذي ابدعه لا يزال في مرحلة بدائية. وأقرضه بورغر يوهان فوست مبلغ ١٦٠٠ غيلدر، وهو احد القلة الاوائل الذين ادركوا الامكانات الكامنة في الطباعة. وكان هذا المبلغ في ذلك الوقت ثروة كافية لشراء بضع مزارع ودور في المدينة. استخدم غوتنبرغ نحو ٢٠ مساعداً واشترى رقائق مصنوعة من جلد ٨٠٠٠ عجل وكمية من الورق الفاخر من شمال ايطاليا. وكان عماله ينضدون الحروف بسرعة ٢٥ حرفاً في الدقيقة، وكان لديه ستة مكابس (مطابع) تعمل في آن.

وبحلول اواخر فصل الخريف عام ١٤٥٥ تم انتاج ٢٠٠ نسخة من التوراة في طبعة أنيقة. بيد ان غوتنبرغ الذي كان غارقاًفي الديون لميتمكن من بيع كتبه التي كان ثمن الواحد منها يراوح بين ٤٠ و٥٠ غيلدر. فقد اوقع فوست الحجز على املاكه سداداً لدينه ومنحته المحكمة كتب التوراة التي طبعها غوتنبرغ ومعها مشغله. وهكذا مات هذا المخترع العظيم فقيراً في ٣ فبراير (شباط) ١٤٦٨.

لكن اختراع غوتنبرغ انتشر بسرعة في انحاء اوروبا مثل موجة بحرية عارمة. وبحلول العام ١٥٠٠ تم طبع عشرة ملايين نسخة من ٤٠ الف كتاب صدرت في ٢٧٠ مدينة. وكانت بعض المدن تفاخر بأن فيها ٤٠ مطبعة. وكان في البندقية وحدها ١٥١ مطبعة.

المبدأ واحد – تظهر التحف المعروضة في ٦٤ صندوقاً في الطبقة الاولى من متحف غوتنبرغ كيف انتشرت المعرفة

يوهانس غوتنبرغ،
تمثال نصفي من البرونز صنعه فاينو آلتونن،
هلسنكي، ١٩٦٢.

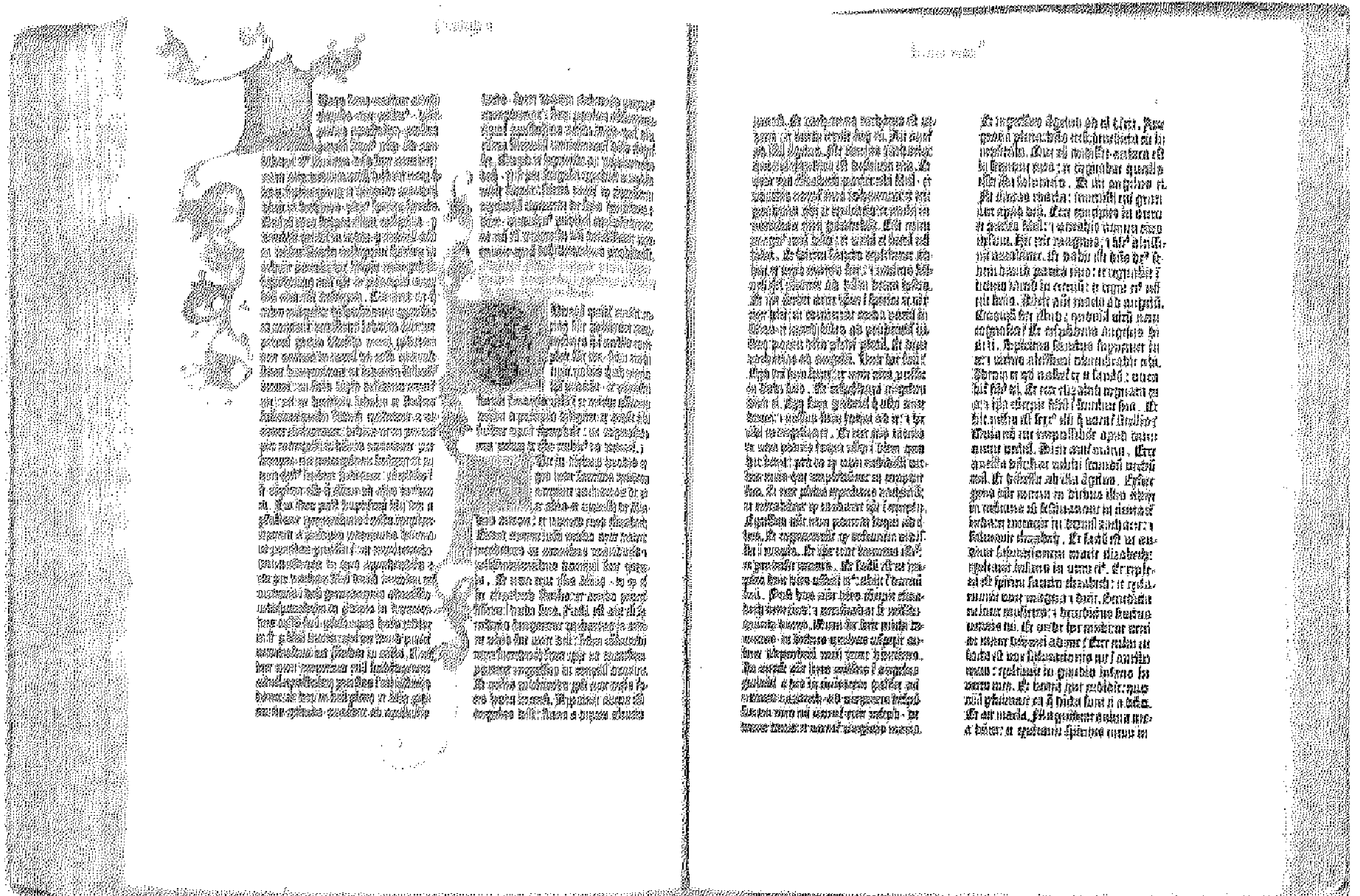




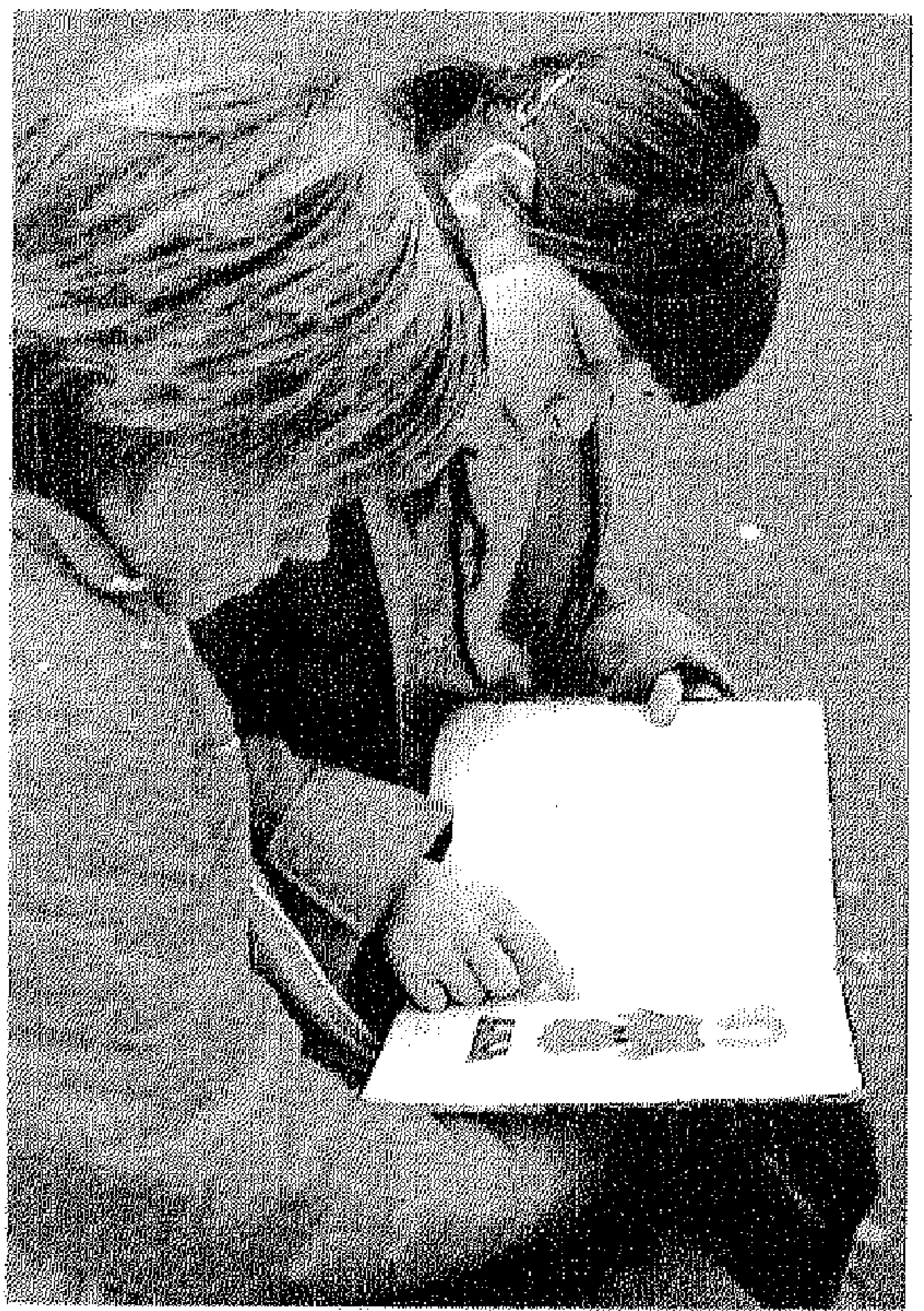
منضد حروف من العصور الوسطى
في لباسه القديم ينضد سطراً كاملا
من الحروف في مصف خشبي،
وترتب هذه الاسطر واحداً تحت آخر
لتتشكل منها صفحة كتاب كاملة.



غرفة الطباعة في المتحف
وفيها عامل يبين طريقة
صنع احد حروف غوتنبرغ.



كل صفحة من صفحات توراة غوتنبرغ
مطبوعة في عمودين في كل منهما ٤٢ سطراً.
وقد تحقق هذا التناسب باستعمال ٢٩٠ علامة
صوتية مختلفة مع سماكة متفاوتة لكل حرف بمفرده.
وهكذا فان صفحة واحدة يمكن ان تحوي ٣٧٠٠ علامة،
والتوراه بمجملها وبصفحاتها الـ١٢٨٠
تحوي ما يزيد على ثلاثة ملايين حرف.



. يكون اشهر كتاب للاطفال صدر ابداً
و الكتاب التراثي "ستروبلبيتر"
ذي ترجم الى كل اللغات الثقافية في العالم
د الفه هنريخ هوفمان عام ١٨٤٤،
و طبيب من فرانكفورت،
ينه بالصور كهدية عيد ميلاد لابنه
بالغ من العمر اربع سنوات.
د دفع المتحف مبلغ ١٣ الف مارك الماني(٤٩٠٠ دولار)
نا لنسخة منه طبعت عام ١٨٤٥.

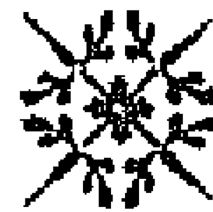
من طريق الطباعة. واني رأيت اطلساً مفتوحاً طبع عام ١٤٨٢ في مدينة اولم الالمانية، يبين كيف بدا العالم لكولومبوس. وبعد عشر سنين ابحر كولومبوس حاملا مثل هذه الخرائط المطبوعة ليكتشف العالم الجديد. وقرب الاطلس وقفت معجباً امام الطبعات الاصلية لكتب الطب وكتب الاطفال الجميلة.

وفكرت: ان افكار مارتن لوثر الثورية ما كانت لتحقق انتشارها السريع لولا الآلة الطابعة. وحين أصدرت عام ١٥٢٠ الوف النسخ من جدليته الشهيرة "نداء الى النبلاء المسيحيين في الأمة الالمانية" وأخذت تنتقل من يد الى يد، اعلن ذلك المصلح العظيم بحماسة: "ان هذه النعمة العظيمة لا يمكن التعبير عن عظمتها بالكلمات. فبفضلها تحفظ جميع انجازات الفن والعلم ويضاف اليها وتنقل الى اجيالنا القادمة."

حضت فكرة غوتنبرغ على المزيد من الاختراع. وفي شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨١٤ صنع الفريق الالماني المؤلف من فريدريك كونيغ وآندرياس بوير اول مطبعتين بخاريتين من النوع ذي الاسطوانة المسطحة لحساب صحيفة "تايمس" اللندنية. وفي السنة التالية بلغ عدد ما طبعته الصحيفة ٥٠٠٠ نسخة لكل عدد، وهو انتشار كان مذهلا في ذلك الزمن. وهكذا شاع نبأ هزيمة نابوليون في واترلو بسرعة لم يسبق لها مثيل.

ولم تكن هذه سوى البداية. وفي قبو المتحف آلات الكترونية لصف الاحرف بالتصوير الضوئي تظهر المدى الذي بلغه اختراع غوتنبرغ. ويقول هالبي: "في طاقة هذه الآلات صف ثلاثة ملايين حرف وشكل في ساعة واحدة. وفي زمن غوتنبرغ كان يعاد سبك الحروف وصفها مرة بعد مرة. الآن يتولى شعاع كاثودي (كهربي) صف الحروف بنقاط ضوئية. ولكن حتى هذا اليوم لا يزال المبدأ هو نفسه الذي ابدعه غوتنبرغ قبل اكثر من ٥٠٠ سنة."

■ كلاوس غايديمان



سمعة الرجل

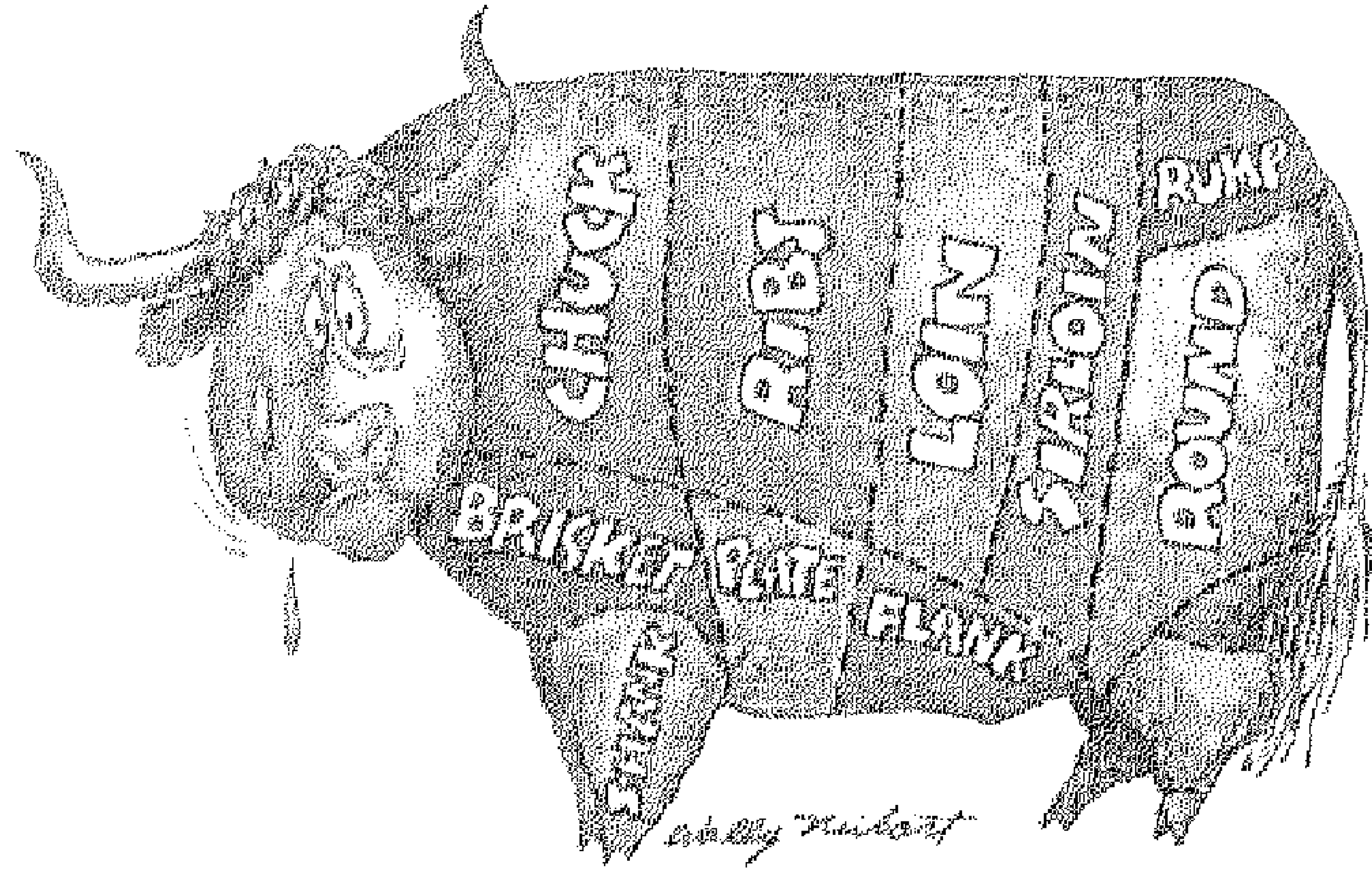
عبر الشارع قبالة منزلنا يعيش رجل متقاعد اعتاد ان يتسلى بمراقبته الجيران. واني أعمل مدرّسة خلال النهار وأرتدي ملابس عادية. لكني أشترك في المسرح المحلي في بعض الامسيات، فأُغادر المنزل وأعود اليه بملابس مسرحية مختلفة.

وذات يوم كان زوجي يرمي المهملات عندما دنا منه الجار وسأله: "كيف تستطيع ان تقيم علاقة مع اولئك النسوة جميعاً من غير أن تكتشف زوجتك الامر؟"

وابتسم زوجي لكنه لم يقل شيئاً، وحين روى لي ما حدث لاحقاً، سألته: "ألم تخبره الحقيقة؟"

ــ ماذا؟ أتريدين أن أحطم سمعتي لديه؟

ا.ل.ه.



مَلكُ المائِدَة

على رغم كل ما قيل عن مضار لحم البقر، فإن فوائده تبقى كثيرة، والناس في غير مكان لا يفتأون يفضلونه على جميع المآكل



في كتابه "متجوّل عبر الحدود" وصف مارك توين سائحاً أمريكياً في اوروبا يشده الحنين الى وطنه: "تصور ملاكاً يهبط فجأة من عل ويضع أمامه شريحة عملاقة من لحم البقر تبلغ لسنتيمترات الاربعة كثافة، وهي ساخنة وما زالت تنبض بعد رفعها عن النار، وقد علتها طبقة من التوابل العطرة وأضيفت اليها كتل من الزبدة التي تسيل وتختلط بعصارة اللحم."

قليلون هم الناس الذين يحتاجون الى وصف كهذا ليسيل لعابهم أمام لحم البقر الملكي الذي، طوال عصور، لم يزل ملك المائدة في المآدب داخل المنازل والفنادق وفي النزهات خارجها.

ولا غرو أن يستهلك الامريكيون ٣٥

كيلوغراماً من لحم البقر لكل فرد سنوياً، بالمقارنة مع ٣،٥ كيلوغرامات في اليابان و٦٦ كيلوغراماً في الارجنتين، بلد اللحوم. وتصل كمية لحم البقر المستهلك سنوياً في الولايات المتحدة الى ثمانية مليارات كيلوغرام.

إلا أن هذا الاقبال الهائل لم يثن بعض خبراء الصحة المرموقين عن وضع لحم البقر على قائمة المحظرات، بحجة أن الكثير من الدهن الحيواني قد يؤدي الى السرطان وأمراض القلب. وربما كان أبرز اولئك النقاد جان ماير، رئيس جامعة تافتس وعضو عدد من اللجان الغذائية حول العالم. وهو يشير الى أن الكثير من لحم البقر زاخر بالشحم، خصوصاً الشحم المركز المشبع. ويضيف ماير أن الشحم غني بالسعرات الحرارية وأنه يرفع نسبة الكوليستيرول في الدم. والعديد من العلماء المرموقين يُقرّ هذا الرأي.

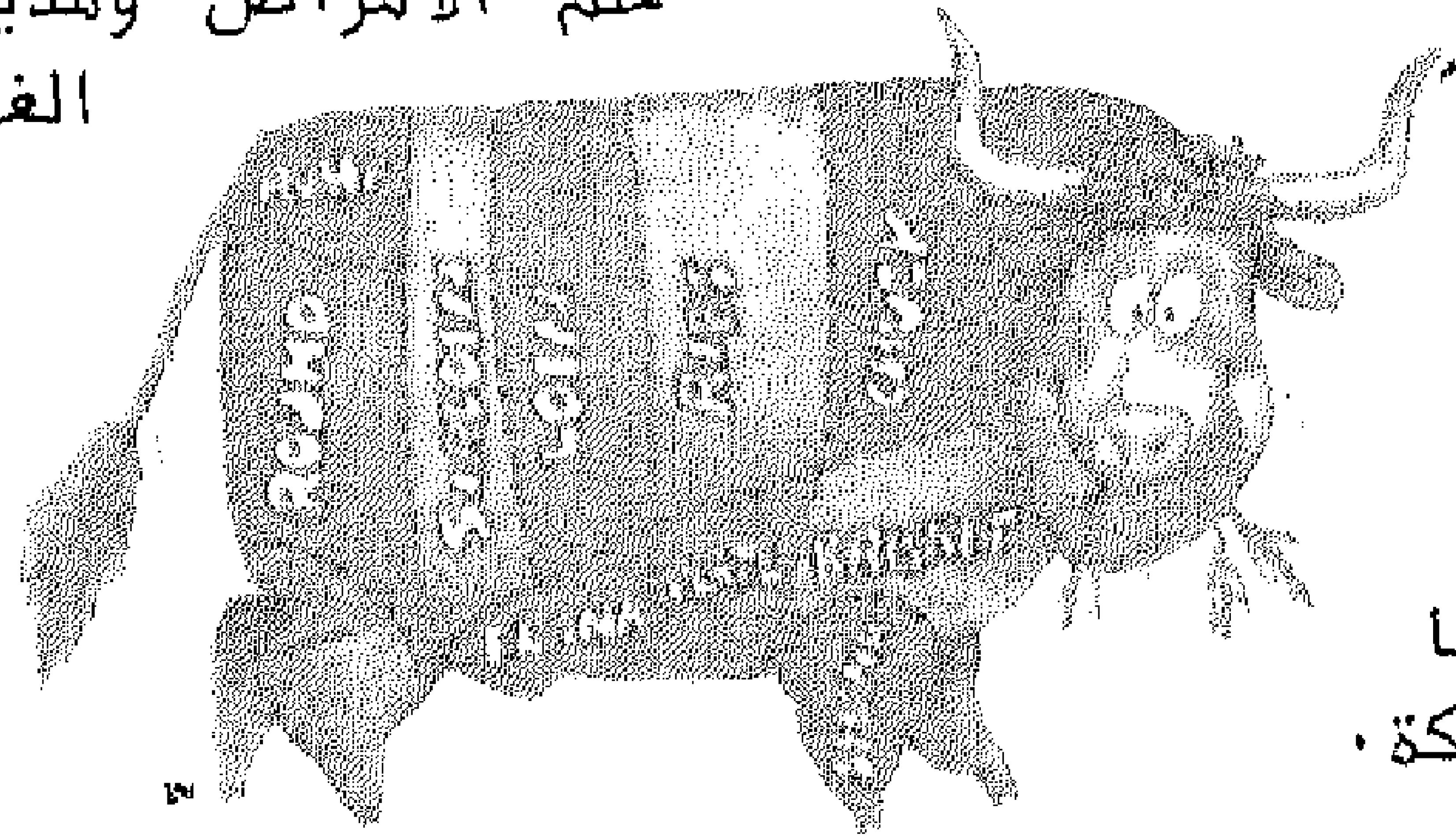
لكن ثمة خبيراً آخر يأتي بنقطة مهمة في هذا المجال. إنه رودني بريستون، استاذ التغذية في جامعة تكساس للتكنولوجيا، الذي ينتقد الرأي القائل باجتناب المآكل التي تحوي الكوليستيرول بحجة أن ارتفاع نسبة الكوليستيرول في الدم قد يؤدي الى أعطال قلبية. وهذه النتيجة، في نظر بريستون، تتغافل عن حقيقة ثابتة، ألا وهي حاجة الجسم البشري الطبيعي الى الكوليستيرول، وبالتحديد الى ألف مليغرام منه يومياً، علماً أن الجسم نفسه مسؤول عن تأمين الفرق بين الكمية المطلوبة والكمية المستهلكة. وفي أي حال، ينبغي أن نعرف أن ٨٥ غراماً من لحم البقر تحوي ٧٥ مليغراماً من الكوليستيرول.

الشحم بالارقام — هذا الموقف الايجابي يتبناه أيضاً جورج بريغز، استاذ التغذية في جامعة كاليفورنيا في باركلي والرئيس السابق لمعهد التغذية الامريكي وعضو فريق البحوث الذي اكتشف الفيتامين ب — ١٢. وهو وجد أن ٨٥ غراماً من لحم البقر الخالي من الدهن ينطوي على مقدار من الكوليستيرول لا يتجاوز ما تنطوي عليه كمية مماثلة من لحم الدجاج. ويضيف أن ٨ في المئة من السعرات الحرارية التي يجب أن يتناولها الذكر الطبيعي البالغ يومياً، وهي ٢٤٠٠ سعرة، تأتي من شريحة بقرية قليلة الدهن تزن ٨٥ غراماً. لكن هذه الكمية نفسها تحوي ٤٥ في المئة من البروتيين المطلوب يومياً، و٧٩ في المئة من الفيتامين ب — ١٢، و٣٨ في المئة من الزنك، و٢٦ في المئة من الحديد، و١٩ في المئة من النياسين.

ولكن ما الذي حرّك ذلك الجدل حول الشحم الحيواني في الولايات المتحدة؟

تعود المسألة الى العام ١٩٧٧، حين أصدرت لجنة مجلس الشيوخ للتغذية والحاجات البشرية — وقد هالها ارتفاع عدد الاصابات بأمراض القلب وسواها من العلل القاتلة — تقريراً يوزع السعرات الحرارية اليومية على أقسام، منها ما يأتي: ١٢ في المئة من البروتيين، ٣٠ في المئة من

الشحم (الذي بلغ معدله آنذاك ٤٠ في المئة)، ٥٨ في المئة من المواد النشوية والسكرية. وحذر التقرير من أن الاكثار من الشحوم، خصوصاً المركّزة، التي تأتي من طريق اللحوم وصفار البيض والزبدة والشحم، قد يؤدي الى السرطان وامراض القلب وارتفاع ضغط الدم وسواها من الامراض الفتاكة.



ثم أصدرت الحكومة الامريكية تقريراً عام ١٩٨٠ يشجع استهلاك المآكل الغنية بالدهن والكوليستيرول، ولكن بكميات معتدلة. وفي العام ١٩٨٢ أصدرت لجنة من ١٣ عالماً، بتكليف الاكاديمية الامريكية الوطنية للعلوم، تقريراً بعنوان: "الاكل والغذاء والسرطان". وفيه أنه يمكن خفض خطر سرطان الصدر والقولون (الجزء الاسفل من المعي الغليظ) عبر إنقاص الشحم من ٤٠ الى ٣٠ في المئة من مجمل السعرات الحرارية اليومية.

إلا أن مجموعة اخرى من العلماء راجعت تقرير ١٩٨٢ المذكور، بإيعاز من مجلس العلوم والتكنولوجيا الزراعية، فلم تعثر فيه على أي دليل يمكن اعتماده للقول بأن نمط الغذاء الامريكي غير سليم من حيث أخطار الاصابة بالسرطان. وأضاف اولئك العلماء أن "الطعام المغذّي يجب أن يحوي نسبة من اللحم الطازج في نظامهم الغذائي تعادل ما يتناوله الفرد الامريكي اليوم."

العلم يتحدى – من أعضاء ذلك الفريق الدكتور جوزف فيتال استاذ علم الامراض ومدير برامج التربية الغذائية في كلية الطب التابعة لجامعة بوسطن. وهو يقول ببساطة: "ليس من دليل على الاطلاق للقول بأن خفض معدل الدهن اليومي من ٤٠ الى ٣٠ في المئة قياساً على السعرات الحرارية اليومية يؤثر في الاصابة بالسرطان."

وبما يخص أمراض القلب، كتب ألفرد هاربر، الرئيس السابق للجنة الطعام والغذاء التابعة للاكاديمية الوطنية للعلوم في عدد ابريل (نيسان) من "المجلة الامريكية للتغذية السريرية"، أن اولئك المعرّضين لأمراض الشرايين التاجية يجب إخضاعهم لمعالجة شاملة دقيقة عوضاً عن معالجتهم السلبية بفرض نمط غذائي واحد على جميع المواطنين.

والواقع أن ٣٦ في المئة من الدهن في الاغذية الامريكية تأتي من طريق لحم البقر والطيور والاسماك، في حين أن ٤٢ في المئة تأتي من مصادر نباتية كالزيوت وصنوف المارغرين، أي السمن النباتي. وهذا يشير الى أن استخدام الزيوت والاسمان النباتية

بدلا من الحيوانية قد يكون سلبياً أكثر منه ايجابياً. وقد بينت الاختبارات الاخيرة على الحيوان أن الكميات الكبيرة من المركبات الكيميائية غير المشبعة من شأنها إضعاف مناعة الجسم الطبيعية وزيادة خطر السرطان.

ويقول الدكتور ريتشارد جونز، أمين لجنة الشؤون العلمية التابعة للاتحاد الطبي الامريكي، حول الزيوت النباتية: "اظهرت بعض الاختبارات المطبقة على الحيوانات ترابطاً بين هذه الزيوت والسرطان أقوى من الذي نراه بين الشحوم الحيوانية والسرطان."

ومهما يكن الامر، فيجدر أن نعرف الحقائق الآتية حول لحم البقر الخالي من الدهن:

□ ان لحم البقر مغذ قويّ وسهل الهضم بالقياس الى الخضر. ويتمّ هضم ٩٦ في المئة من العناصر المغذية التي ينطوي عليها ذلك اللحم، وبالتالي تمثّلها في الجسم.

□ إن ٨٥ غراماً من لحم البقر الشحيح الدهن تحوي مقداراً من الشحم أقل مما يُظن، مع ٤٨ في المئة فقط من الشحم المشبع.

□ اللحم الاحمر مصدر رئيسي للحديد. وفي كل ٨٥ غراماً من لحم البقر نسبة ٢٦ في المئة من كمية الحديد التي يحتاج إليها جسم الذكر البالغ يومياً. وهذا النوع من الحديد يمتصه الجسم على نحو يسهل من ثلاث مرات الى خمس مرّات عن امتصاصه أنواع الحديد الاخرى. وحديد الهيماتين هذا، الذي ينشأ عن انحلال الهيموغلوبين، يعزز فاعلية الحديد في المآكل الاخرى، مثل السبانخ.

□ إن ٨٥ غراماً من لحم البقر المشوي تنطوي على ١٦٩ سعرة، في حين أن الكمية نفسها من لحم الدجاج القاتم القليل الدهن تحوي ١٧٤ سعرة، بينما يحوي لحم الدجاج الابيض ١٤٧ سعرة، والسلمون المشوي ١٦٧ سعرة.

والآن يمكننا طرح هذا السؤال: "ما هي كمية لحم البقر التي ينبغي أن نتناولها؟"

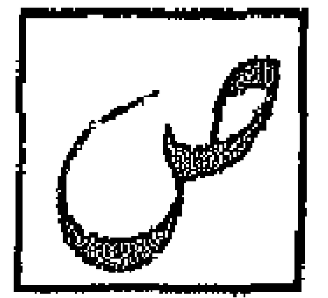
يقول خبراء التغذية ان طعام المرء اليومي يجب أن يشمل وقعتين تنطوي كلّ منهما على ٨٥ غراماً من اللحم أو الطيور أو السمك أو الحبوب، بما في ذلك البقر والعجل والضأن والطير والسمك والاصداف البحرية والحبوب الجافة والبزور والجوز واللوز وزبدة الفستق.

ولا ننس أهمية التنويع على المائدة. وثمة عائلات أربع من الطعام هي، فضلا عن العائلة التي ذكرناها، الخضر والفاكهة، الخبز ومشتقاته، الحليب وتوابعه. ولكل منها طعمه ومنافعه. وقد سُئلت مقدمة برنامج غذائي ذائع الصيت على إحدى محطات التلفزيون الامريكية: "ما هو صحن العشاء المفضل لديك؟" فأجابت: "أنا من متذوقي اللحم الاحمر. وأظن أني أحتاج إليه لابقاء دورتي الدموية فاعلة ولوني حسناً وجسمي نشيطاً." والحق أن غالبية الناس تقرّ هذا الرأي.

■ **جاك دنتون سكوت**

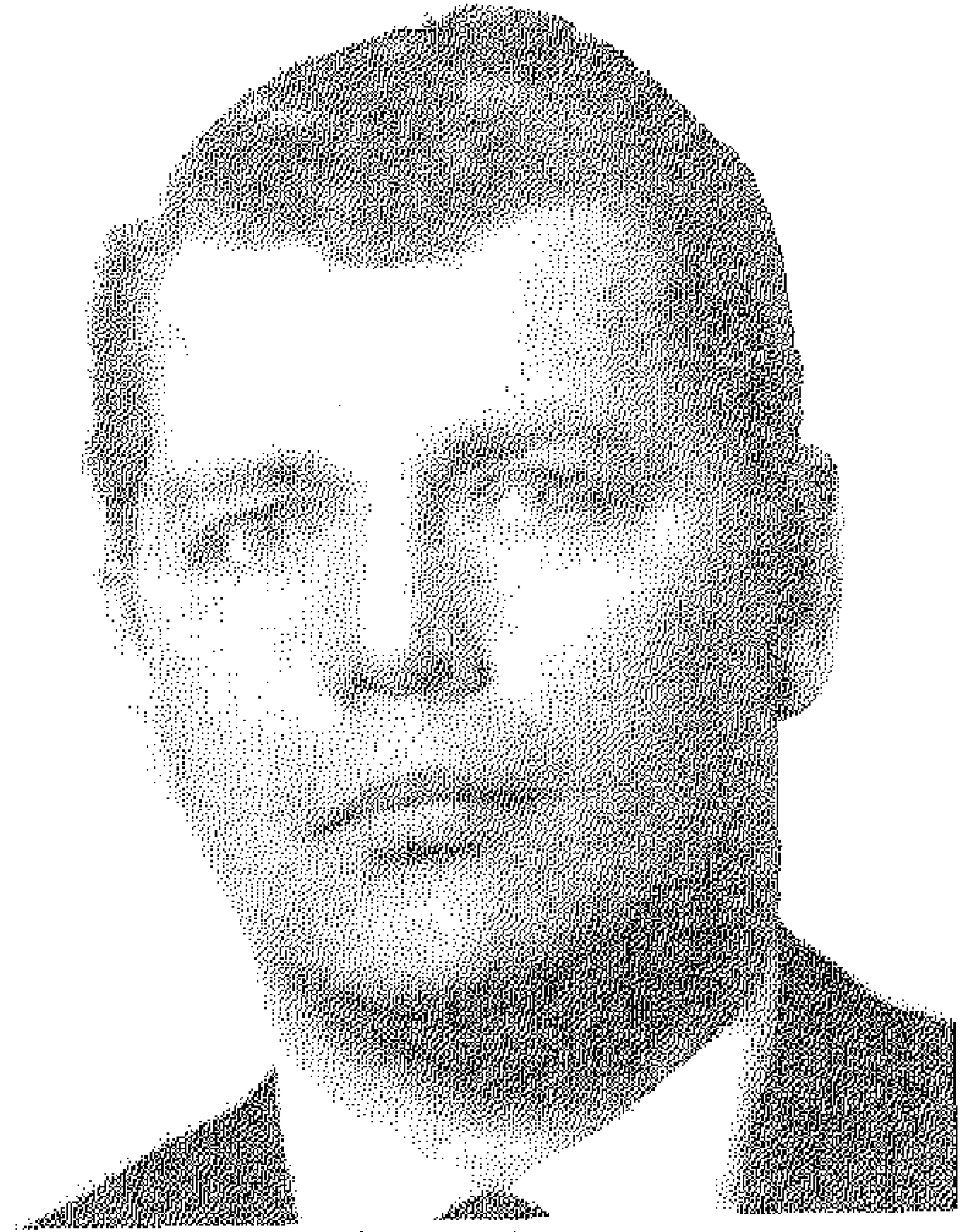
أقسم الشاهدان انهما رأيا رفيقهما يغرق٠
لكن محامي شركة التأمين اشتم
في القضية رائحة احتيال

العَائِدُ


صباح ٢٧ يوليو (تموز) ١٩٨١ اصطحب روبرت غرانبرغ (٤٩ سنة) اثنين من أصدقائه الى مكان على شاطىء نيوجرزي يدعى ساندي هوك٠ واستأجر الرجال الثلاثة مركباً يبلغ طوله خمسة أمتار٠ وجلس في مقدم المركب جوليان فاريبيل، وهو رجل أسود يعمل دهاناً٠ وفي الوسط جلس سلفاتوري رينيولا، وهو موظف في دائرة مكافحة الحرائق في مدينة نيويورك٠ أما غرانبرغ فاستقر في مؤخر المركب وانطلق به من ساندي هوك الى عرض البحر٠

بعد ساعة شاهد بحارة أحد مراكب الصيد مركب الاصدقاء الثلاثة يطوف حول عوامة لارشاد السفن قبالة ساندي هوك٠ وكان فاريبيل ورينيولا وحدهما في المركب فأخذا يلوحان بأيديهما طلباً للمساعدة٠ وقال الرجلان أن غرانبرغ انزلق قبل عشر دقائق بينما كان هو ورينيولا يتبادلان مكانيهما، وما لبث ان سقط في الماء وتوارى عن الانظار٠ فعمد خفيرو الشاطىء الى البحث عنه جواً وبحراً فلم يعثروا له على أثر٠ فأعلن انه في عداد المفقودين واعتبر ميتاً٠

في شهر أغسطس (آب) قدمت جودي غرانبرغ زوجة روبرت طلباً الى شركة "موني" للتأمين تطالب بمبلغ ١١٠ آلاف دولار تعويضاً عن وفاة زوجها في ذلك الحادث٠ فاتصل قسم الحوادث بمكتب التحقيقات الذي أضاف الى الملف تقريراً رسمياً٠


روبرت غرانبرغ.

وذهبت موظفة في القسم نفسه الى جيري آلن مار وأوصته بأن تدفع الشركة قيمة التأمين كاملة. وكان مار (٣٨ سنة) المستشار القضائي في الشركة، ولم يكن يعوز إنجاز المعاملة سوى موافقته.

عندما قرأ مار موجز القضية وجد أن غرانبرغ اشتغل ذات مرة تحرياً سرياً ولا بد من انه اكتسب بعض الخبرة في شؤون التأمين. ومن ثم عمل محققاً في قسم حقوق الانسان التابع لولاية نيويورك. وفي العام ١٩٧٩ توقف عن العمل بعد إعلانه اصابته بمرض في قلبه وآلام في ركبتيه. وبات يحصل على ١٨٠ دولاراً في الاسبوع تعويضاً للبطالة وعلى ١١٦٢ دولاراً في الشهر من إحدى شركات التأمين تعويضاً لعجزه عن العمل. وأتاح له هذا الدخل ان يؤمن على حياته في ست شركات تأمين بمبلغ مجموعه ٦٠٠ ألف دولار. وكان من بين هذه التأمينات عقد بقيمة ٢٥٠ ألف دولار استصدره قبل اختفائه بأربعة اشهر. وورد في هذا العقد انه لا يسري الا في حال الوفاة الناجمة عن حادث باحدى وسائل النقل، كالمركب مثلا.

ألقى مار نظرة على الملخص وقال: "إن الرجل لا يزال حياً."

وحاول زملاء مار اقناعه باعادة النظر في موقفه، فقالوا إن ركبتي غرانبرغ ربما كانتا السبب في سقوطه. وأضافوا ان وضع قلبه يمكن ان يفسر عجزه عن الصراع للوصول الى سطح الماء. والى ذلك فهم لا يتذكرون أي قضية اختفاء توافر لها شاهدان.

غير ان مار أصر على رأيه قائلا: "إنه تحرٍّ، وهو يعلم ما ستفترضونه."

التباس مريب - حصلت جودي غرانبرغ كتعويض عن وفاة زوجها على مبلغ ١٧٨ الف دولار من أربع شركات تأمين وعلى ٨٠٠٠ دولار من الحكومة الامريكية وعلى ٢٠،٥٠٠ دولار كتعويض وفاة من ولاية نيويورك. وقد رفضت شركتا تأمين اعتبار الوفاة ناجمة عن حادث وامتنعتا عن دفع ما يبلغ مجموعه ٣٠٠ ألف دولار، بحجة ان غرانبرغ أصيب بسكتة قلبية عند سقوطه مما أدى الى وفاته على نحو طبيعي. وكانت شركة "موني" الوحيدة التي امتنعت عن الدفع بحجة ان غرانبرغ لا يزال حياً. وبناء على تعليمات مار، سأل أحد المحققين الشاهدين اذا كانا

يوافقان على الخضوع لاختبار كاشف الكذب· فرفض الرجلان كلاهما·

في أغسطس (آب) ١٩٨٤ أقامت جودي غرانبرغ في محكمة ريتشموند العليا دعاوى على شركتي التأمين اللتين رفضتا اعتبار الوفاة ناتجة عن حادث وعلى شركة "موني"·

في شهر ديسمبر (كانون الاول) من السنة نفسها أقامت شركة "موني" مأدبة عشاء· فجلس مار الى جانب بول بيرد (٣٥ سنة) وهو محقق انضم الى الشركة قبل فترة قصيرة جداً· وكان بيرد عمل مثل غرانبرغ تحرياً خاصاً· فسأله مار كيف يمكنه معالجة قضية مماثلة لقضية غرانبرغ· فأجاب انه ينبغي الحصول على كل المعلومات حول المدعو روبرت غرانبرغ·

وفي ما بعد أرسل مار في طلب بيرد الى مكتبه وأعطاه ملف غرانبرغ وقال له: "إن غرانبرغ على قيد الحياة وعليك أن تجده·"

بدأ بيرد عمله بالذهاب الى المكتبة العامة حيث رجع الى أدلة الهاتف القديمة وعثر على عناوين إقامة غرانبرغ السابقة·

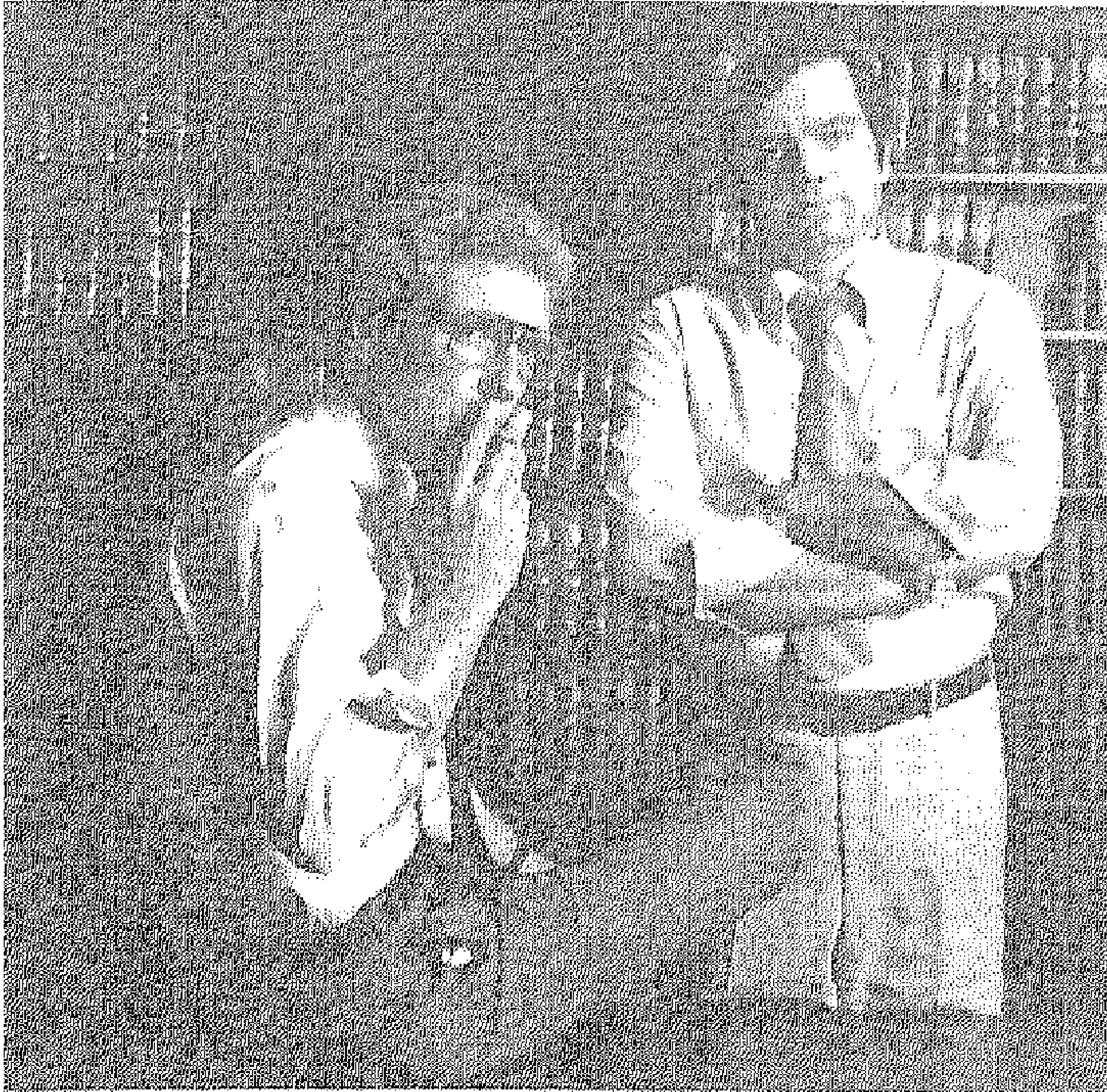
ثم انتقل بيرد الى الدوائر الحكومية في منهاتن حيث اطلع على الطلب الذي قدمه غرانبرغ للحصول على إجازة العمل كتحر خاص· وأخذ صورتين من ملفه· وقادته معلومات في الملف نفسه الى بروكلين حيث مؤسسة "مودنغر" لدفن الموتى· وأخبره المدير ان المؤسسة تولت دفن ريتشارد غرانبرغ شقيق روبرت في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٢، وأن التباساً حصل في ما يتعلق بهويته·

تقفي الآثار – ذهب بيرد الى مؤسسة "دانتي" للتحقيق في منهاتن وتأكد ان غرانبرغ عمل فيها وتولى بعض قضايا التأمين· ومن ثم استأجر المحقق زورقاً وأخذ يطوف في منطقة ساندي هوك، فرأى طائفة من الممرات المائية الضيقة المفضية الى الغابة يستطيع المرء فيها النزول من المركب بسهولة تامة· ثم قصد ربان أحد مراكب الصيد فأخبره أنه رأى رجلين من البيض وآخر أسود يتحدثون الى امرأة في سيارة قبيل انطلاقهم بالمركب· فخطر للمحقق بيرد أن هؤلاء الرجال الثلاثة لا بد أن يكونوا غرانبرغ وصديقيه·

تحدث بيرد أيضاً الى بعض جيران غرانبرغ في جزيرة ستاتن· فتذكروا أنه رجل جسيم متجهم الوجه كان من عادته الجلوس على شرفة منزله وهو يحمل مسدساً· لكنهم أخبروه أن جودي وولديها انتقلوا الى مكان آخر·

وذهب بيرد الى دائرة تسجيل السيارات فوجد ان سيارة العائلة سجلت باسم جودي برنت· وكشف على سجل إجازات القيادة فعرف انها غيرت اسم عائلتها الى برنت· واكتشف انها اشترت سيارة "مرسيدس – بنز" ثمنها (٥١ ألف دولار)، وسجلتها على عنوان في كورنوول، ولاية نيويورك· فركب سيارته وتوجه شمالا·

جعل بيرد يراقب يومياً الطبقة التي تسكنها جودي وولداها· وفي ١٦ يونيو (حزيران) شاهد شاحنة تتوقف



المحقق بول بيرد والمستشار القضائي جيري آلن مار.

قرب المكان. وبعد تحميلها تبعها بيرد الى مستودع، يبعد ١٣ كيلومتراً. وعندما أيقن ان السائق غادر الشاحنة صعد اليها وأخذ ينعم النظر في ما يجده من محتويات. فعرف من بيان البضاعة أن الشاحنة في طريقها الى بارنغتون درايف في سان انطونيو، ولاية تكساس.

طار بيرد الى سان انطونيو وشرع يراقب المكان مدة يومين. إلا ان غرانبرغ لم يواف زوجته. فرجع بيرد الى نيويورك.

تفاصيل الخطة ـ جلس مار في مكتبه في منهاتن يراجع تقارير بيرد، فاتضح له انه لا يملك بعد أي دليل يثبت للمحكمة ان غرانبرغ لا يزال على قيد الحياة. فقرر ان الوقت حان لمواجهة جودي غرانبرغ. واتيحت له هذه الفرصة عندما ظهرت جودي في مكتبه لتدلي بشهادة، فأقسمت على صحة ما كانت روته. غير أنها ذكرت في أثناء كلامها ان أرملة ريتشارد شقيق غرانبرغ تعيش في بورتو ريكو. فطار بيرد الى بورتوريكو والتقى نينا غرانبرغ. فنظرت إليه نظرة واحدة وقالت: "أنا أعلم لماذا أنت هنا. انت هنا لتسأل عن بوب غرانبرغ."

وأخبرته نينا قصة بدأت أحداثها قبل سنة من اختفاء روبرت غرانبرغ. فقالت إن روبرت أتى الى بورتو ريكو عام ١٩٨٠ وطلب من أخيه ريتشارد مساعدته في إيجاد شخص يسعفه في تدبير حادث يتسبب فيه مركب. وعلى رغم إصغاء زوجها الى خطة روبرت فانه رفض الاشتراك فيها.

وفي آبريل (نيسان) ١٩٨١ رجع

روبرت. وأضافت نينا أنه عرض هذه المرة على ابن اخيها مبلغ عشرة آلاف دولار لينضم الى المؤامرة فرفض. غير ان روبرت رجع الى نيويورك وفي جيبه شهادة ولادة أخيه. وبعد ثلاثة أشهر اتصلت جودي وأخبرت نينا بالحادث الذي وقع قبالة ساندي هوك.

في شهر اكتوبر (تشرين الاول) من السنة نفسها قدم ريتشارد ونينا الى مدينة نيويورك لأغراض شخصية وزارا جزيرة ستاتن. وعلمت نينا في ما بعد ان روبرت غرانبرغ لا يزال حياً وانه انتحل هوية زوجها. لذلك، عندما دخل ريتشارد مستشفى روزفلت في السنة اللاحقة بسبب إصابته بالسرطان، استعمل اسمه المستعار جيمس كيلي. وقبل موته بيوم واحد حثت جودي زوجته نينا على دفنه باسم جيمس كيلي ليتسنى لروبرت المضي في انتحال هوية أخيه، فرفضت نينا.

وهكذا اكتملت التمثيلية التي ظل جيري مار يجمع اجزاءها مدة سنتين.

الاعتراف – في ١١ أغسطس (آب) أرسل بول بيرد في مهمة الى الجزء الشمالي من ولاية نيويورك. وبينما كان عائداً الى بيته عرّج على الفندق الواقع قرب كورنوول والذي زعمت جودي أنها تعمل فيه. وكان بول قصده قبل ثلاثة أشهر من دون أن يرى فيه أثراً لها.

شاهد بيرد هذه المرة سيارة "فورد غرانادا" سوداء واقفة في المرآب وعليها لوحة من ولاية وايومنغ. وتذكر ان غرانبرغ كان يقتني سيارة "غرانادا" سوداء وان جودي ذكرت في أثناء شهادتها ان أخاها سكوت نايشتات يعيش في وايومنغ. فذهب بيرد الى ردهة الفندق وأخرج من جيبه صوراً للتحري السابق روبرت غرانبرغ.

نظر موظفو الفندق الى الصور وقالوا: "هذا السيد نايشتات." ولكن حين خرج بيرد الى المرآب كانت سيارة الغرانادا غادرت المكان.

انتظر بيرد في الفندق الى منتصف الاسبوع، إلا ان غرانبرغ لم يعد، فرجع الى بيته. وفي يوم السبت مر على مار في بيته ثم توجها معاً الى الفندق.

ولما وصلا في الاولى بعد الظهر كانت الغرانادا رجعت الى المرآب ووقفت قربها سيارة "مرسيدس" رمادية. فاستأجرا غرفة تشرف على المرآب واتصلا بالشرطة.

وما لبث رجال الشرطة ان اتوا الى الفندق وأخذوا يراقبون المرآب. وقال لهم مار إنه سوف يخرج الى الشرفة ويصب كوباً من الماء عندما يرى غرانبرغ.

في السابعة والدقيقة الخامسة نظر مار الى أسفل فرأى رجلا جسيماً يمشي بخطى واسعة نحو سيارة المرسيدس، فخرج الى الشرفة وصب كوب ماء.

وفيما أقلعت المرسيدس في طريقها الى المخرج اعترضتها سيارة للشرطة وسمع مار صوتاً يقول: "الشرطة! لا تتحرك!" فنزل مار مسرعاً ووجد الرجل مكبلا.

نظر مار الى وجه الرجل وقال: "أنت بوب غرانبرغ، أليس كذلك؟" فقال: "نعم، أنا ذلك الرجل."

اعتقل روبرت وجودي غرانبرغ بتهمة التزوير وذهب رجال الشرطة الاتحادية للقبض على فاريبل وربنيولا.

واعترف غرانبرغ بانه قرر تنفيذ فكرته بعدما حال التأخير في إنجاز المعاملات دون حصوله على تعويضه على أثر عجزه عن العمل. وأضاف ان خوفه المستمر من ان يقبض عليه جعله يفكر في تسليم نفسه الى القضاء والادعاء انه فقد ذاكرته. غير انه آثر ان ينقل عائلته الى سان انطونيو. لكنه لم يجد هناك مدرسة ملائمة، كما انه خشي ان يضر الغبار الذي يعم المنطقة بصحة ولديه المصابين بمرض الربو، فعزم على الرجوع بالعائلة الى شمال نيويورك.

وهناك وجد ان جيري مار كان له بالمرصاد مما اضطره الى العودة الى ربوع الاحياء.

ويقول غرانبرغ: "لا يمكنني ان ازعم اني لم أفعل ذلك، لأني كنت في عداد الاموات وها أنا الآن جالس أمامكم. وأظن انكم تستطيعون القول إني مرتاح جداً."

في ٢٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٣ اعترف روبرت وجودي غرانبرغ بالتهمة الموجهة اليهما.

■ مايكل دالي



نسي امه

أعطى واعظ نصيحة الى زميل مبتدىء ليلجأ اليها اذا هو لاحظ الضجر على وجوه المستمعين: "الطريقة التي أعتمدها للفت أنظارهم هي أن أقول لهم فجأة: "ليلة أمس ضممتُ امرأة رجل آخر بين ذراعيّ". وما أن تشرئبّ الاعناق حتى أقول: "والواقع ان تلك المرأة هي امي العزيزة بالذات."

وسرّ الواعظ المتمرن بما سمعه، وقرر المحاولة. واذ لاحظ ان النعاس يكاد يأتي على معظم الحضور يوم الاحد التالي، أعلن فجأة بصوت جهوري: "ليلة أمس بالذات ضممتُ امرأة رجل آخر بين ذراعيّ." وبينما وقف الكل مذهولا، تابع صاحبنا: "اعذروني... لقد نسيت من هي."

ك.ر.

رسالة مقدسة

في عيد الامهات الاخير غصّ صندوق البريد خارج منزل رالف ودوريس واغنر من بلدة هارفرد في ولاية ايلينوي الامريكية بنحو ٦٠٠ بطاقة ورسالة، كما تلقى الزوجان مخابرات هاتفية لا تُحصى من الاشخاص الـ(٩٩) الذين توليا تربيتهما طوال السنوات الثلاث والثلاثين الفائتة.

وقد ارتأت دوريس التقاعد اخيراً من هذه الوظيفة. ولكن بعد شهرين من القعود عن العمل قالت تلك الام الفاضلة، وهي في السادسة والخمسين: "اني لم أتحمل الهدوء. لذلك استأنفت استقبال الاطفال الذين أعطوا حياتنا معناها عبر هذه السنوات."

صحيفة "لوس انجلس تايمس"

مع تقدم وسائل التسويق والتشويق بات في الامكان، في بعض البلدان، شراء كل شيء حتى الطعام... بالمراسلة

التجارة بالمراسلة

أولادنا الاعزاء،

عيد الميلاد هذه السنة مرهون كلياً بساعي البريد. وطوال العطلة لن نحتاج الى الذهاب أبعد من المنزل لشراء أي شيء. هناك قوائم مثيرة تعرض علينا شراء السلع بالمراسلة أسلوباً كان يتبعه المزارعون في الماضي. إن هذه القوائم فعالة حقاً وتمنحنا شعوراً جميلا بالرفاهية. نأمل في هذا العيد أن توزع الهدايا في الوقت المناسب وهي مغلفة في شكل جميل، بل سيكون من الممكن إبدالها إذا لم تعجب أصحابها. ستكون هذه العطلة من أفضل العطل التي مرت علينا، والفضل والشكر لقوائم البيع بالمراسلة.

والداكم المحبان

تهتم قوائم بيع السلع بالمراسلة بكل ما يمكن ان يحتاج إليه المشتري الامريكي تقريباً. وهي تمثل عنصراً مهماً في إقتصاد الولايات المتحدة. إنها تعرض سلعاً مختلفة، بدءاً بولاعات السجائر ووصولا الى حجز معقد في أول رحلة للمكوك الفضائي.

يقول ماكسويل سروج، أحد الاستشاريين المعروفين في هذا المجال في كولورادو سبرينغز، إن أكثر من خمسة مليارات قائمة تم إرسالها بالبريد في العام ١٩٨٢، أي ان كل منزل أمريكي تسلم ما معدله ٤٠ قائمة سنوياً. أما المشتريات التي تمت من خلال هذه القوائم فقدرت بأربعين مليار دولار. وفي ١٩٨٣ بلغت قيمة المبيعات البريدية للمأكولات وحدها ٧٠٠ مليون دولار. وتشكل التجارة بالمراسلة ١٢ في المئة فقط من الالف مليار دولار من المبيعات. لكنها تزيد بنسبة ١٢ في المئة سنوياً، أي أسرع بخمس مرات من الشراء المباشر من البائع. لذلك يتوقع أن تشكل المشتريات بالمراسلة في العام ٢٠٠٠ ثلث السلع المبيعة في الولايات المتحدة عموماً.

يختار مصممو هذه القوائم أجمل عارضات الازياء لترويج بضائعهم المختلفة، كالدنتيلا والانسجة

الصوفية والاحذية وسراويل الجينز. وهناك مئة وكيل يعملون طوال السنة في مؤسسة "هورشوز" للازياء، مهمتهم البحث عن البضائع المختلفة التي توحي بالراحة والاناقة.

أما كتب المبيعات التقليدية، مثل "سيرز" و"روبك" و"مونتغومري وارد"، فتعرض كل أنواع السلع على الزبائن. وأما الاتجاه الجديد فهو نحو قوائم أصغر حجماً وأقل كلفة وأكثر تخصصاً.

طعام بالمراسلة - كبيرة كانت أم صغيرة، بسيطة أم مزخرفة، هذه القوائم يجب أن تتسم دائماً بطابع الرفاهية: شمعدانات، صواريخ، جوارب، آلات تحميص البن، حماصات الخبز الكهربائية، لحم الجاموس، حجال مثلجة، إجازات في الريف، نظارات شمسية للكلاب.

ويكمن سر نجاح هذا الاسلوب التجاري في اختيار السلع المناسبة وتضمينها كتاباً صغيراً. فقد تعرض عليك الصفحات المختصة بالرياضة مثلا عربة غولف حمراء أنيقة بمبلغ سبعة آلاف دولار، بينما يعرض عليك الكتاب نفسه عقداً لتزين به عنق كلبك لا يزيد ثمنه على ١٥ دولاراً.

وهناك القوائم التي تعرض على القارىء شراء الطعام بالمراسلة، فتقدم كل ما يمكن أن يخطر في البال من الاطباق المختلفة. وقد اشتهر الثنائي هاري وديفيد هولمز من مؤسسة "مدفورد" في هذا المجال. ففي أثناء الازمة الاقتصادية وجدا فرصة سانحة لبيع المأكولات الى الخارج حينما خف الطلب الداخلي عليها. وكان أن نجحا في هذا العمل فأكسبا المؤسسة تجارة كبيرة بلغ رأسمالها ١٠ ملايين دولار.

أما القوائم المختصة ببيع السلع الالكترونية بالمراسلة فهي في نجاح مستمر. ويبلغ رأسمال هذه التجارة ١٢ مليون دولار ويملكها جوزف شوغرمان الاختصاصي بهذا المجال. وهو يعرض على القارىء مثلا شراء هاتف يصلح استعماله في الطائرات، ورجل آلي يحرك حجار الشطرنج، وأنواع مختلفة من أجهزة التحكم من بعد.

وتشكل النساء العاملات نسبة كبيرة من مستهلكي هذه السلع. وهن حصلن على غالبية الوظائف في الولايات المتحدة بين ١٩٧٢ و١٩٨١. فقد شغلن ١٢ مليون وظيفة من بين ١٨ مليون وظيفة جديدة. وكانت النتيجة سيولة شرائية أكبر، ووقتاً أضيق ايضاً؛ خصوصاً ان النساء لا يزلن يقمن بمعظم أعمال التسوق.

حسنات ومساوىء - يجد الاشخاص الذين يشترون معظم حاجاتهم بالمراسلة أن هذا الاسلوب يعطيهم مجالا أكبر للمقارنة، كما يمنعهم من التسرع في الشراء. لكن السبب الحقيقي لنجاح هذا النوع من التجارة هو إمكان إرجاع المال اذا لم تعجب السلعة مشتريها. وقد اعتمدت مؤسسة "ارون مونتغومري وارد" هذا الضمان قبل اكثر من مئة سنة.

غير أن عملية الشراء بالمراسلة لا تخلو من الاخطار، كما أنها لا تحل

مكان طريقة الشراء التقليدية حيث يمكن الشاري معاينة السلعة ولمسها وربما تجربتها، ويشكو كثير من الزبائن من عدم إعلامهم سلفاً بتاريخ التسليم أو بامكان تأخره. كما ان الدماغ الالكتروني المختص يمكن أن يعقد أبسط طلبات الشراء، في حين ان البائع في المخزن يسدي النصح للزبائن فيحملهم على الشراء أو يثنيهم عنه. كما يمكن شراء الاجهزة الكهربائية الكبيرة كالبرادات ومكيفات الهواء مباشرة من البائع المحلي بكلفة أقل.

والنجاح الكبير الذي أحرزته التجارة بالمراسلة تم بمساعدة الدماغ الالكتروني. وتملك المخازن الكبرى مثل "نيمان ماركوس" و"ساكس" أدمغة إلكترونية تزودها بالمعلومات اللازمة حول عادات زبائنها. عند ذلك يصبح في الامكان تحضير قوائم تضم السلع المرغوب فيها أكثر من غيرها. وقدرت مبيعات "سيرز" البريدية بنحو ٣،٧ مليارات دولار في العام ١٩٨٢. وهي تعتبر كبرى شركات البيع بالمراسلة، إذ تملك ١٨ نوعاً من القوائم التي يراوح اختصاصها بين ثياب الغرب الامريكي وأدوات العمل المختلفة والالعاب. ويجد رينتشارد هودغسن، أحد مستشاري تسويق السلع بالمراسلة، أن استخدام الدماغ الالكتروني في هذا المجال يمكن ان يرفع نسبة التجاوب مع كل قائمة مرسلة من ٢ في المئة الى نحو ١٠ في المئة.

وفي وسع الزبائن طلب حاجاتهم من ولاية الى أخرى على أرقام هاتفية مجانية تعمل ٢٤ ساعة يومياً. وبهذه الطريقة أصبحت البضائع المرسلة بالبريد قليلة جداً. وتتولى "مصلحة الطرود المتحدة" توزيع جميع الطرود البريدية في الولايات المتحدة، ويبلغ حجم شحناتها السنوية ١،٦ مليار طرد.

ويتجه التفكير الآن نحو تلفزة القوائم. فقد وضعت مؤسسة "سيرز" قائمة تعرض فيها بضائعها لصيف ١٩٨١ على اسطوانة فيديو كامتحان لهذه التكنولوجيا الحديثة. وقد سجلت "سيرز" ٥٥٠٠ صورة و١٧ شريطاً متحركاً. وهكذا يمكن الشاري أن "يتصفح" هذه الصور على شاشته الصغيرة فيختار ما يناسبه منها. ويرى الاختصاصيون بالتسويق أنه سيصبح في إمكان المرء شراء جميع ما يحتاج إليه عبر جهازه التلفزيوني. ولكن لا شك في أن القوائم العادية ستبقى متوافرة الى جانب القوائم المتلفزة.

أولادنا الاعزاء،

كونوا على استعداد للمفاجأة التي تنتظركم في منزلنا يوم عيد الميلاد. سيفتح لكم الباب صديق لطيف اسمه جينوس. إنه رجل آلي يمكنه تنظيف المنزل وحراسته وتأدية دور الخادم الشخصي. هذا ما يؤكده لنا كفيله هاماشر شليمر. انه يفتح الباب ويقدم المشروبات ويصرخ في حال شبوب حريق. هذا جميل أليس كذلك؟ وثمنه ٧٩٩٥ دولاراً!

أيتها القوائم التجارية، إننا نحبك!

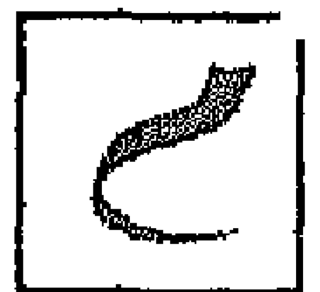
والى اللقاء في عيد الميلاد.

والداكم المحبان

■ مجلة "تايم"

الترقيم الالكتروني اخترعه الصينيون؟

سبق صيني آخر في العلم والاختراع



معظم الطلاب هذه الايام يعرفون ان النظام الحسابي الثنائي يتيح اختصار كل الارقام الى سلاسل مؤلفة من صفر وواحد فقط. فالجهاز الذي يجري العمليات الحسابية الالكترونية لا يتعين عليه سوى التمييز بين حالين: ظهور "١" واختفاء "٠".

وهكذا فان الارقام: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩ تمثلها الاعداد الثنائية: ١، ١٠، ١١، ١٠٠، ١٠١، ١١٠، ١١١، ١٠٠٠، ١٠٠١ وفق الترتيب نفسه.

لكن هؤلاء الطلاب لا يعرفون ان أقدم مثال للترقيم الثنائي، الذي هو اساس لغات الادمغة الالكترونية الحديثة، بدأ قبل ٥٠٠٠ سنة حين

Condensed from Asiaweek (May 6, 1983). (c) 1983 by Asiaweek Limited, Hong Kong

وضع العالم الصيني فو - كسي كتابه "آي تشنغ" او "كتاب المتغيرات". يأخذ عراف صيني ٥٠ سويقة من نبتة مزهرة، فيطرح منها واحدة ثم يقسم المتبقي حزمتين. وعلى نهج طقس قديم ومعقد يواصل طرح السويقات حتى يبقى بين يديه ما يمثل القيم ستة أو سبعة أو ثمانية أو تسعة. يسجل الارقام الشفعية كخط متقطع يمثل "ين" والارقام الوترية (★) كخط متصل يمثل "يانغ". وبعد تكرار العملية خمس مرات اخرى ينتهي الى شكل سداسي هو واحد من٦٤ شكلا ادرجت في كتاب "آي تشنغ".

اكتشف الفيلسوف والعالم الرياضي الالماني غوتفريد فيلهلم لايبنز الترقيم الثنائي قبل نحو ٤٠٠ سنة. وهو ايضاً رأى مغزى روحياً خفياً في ازدواجية الحساب الثنائي: فما اطلق عليه فو - كسي اسم "ين" عرفه الفيلسوف الألماني بالفراغ الكوني، اي اللاشيء، اي الصفر. أما "يانغ" فقد اعتبره الله، الواحد.

وفي ١٦٩٤ صنع لايبنز آلة جمع ثنائية دعاها الحاسبة المدرّجة، تنجز عمليات ضرب وقسمة وتحل الجذور التربيعية. وهي النموذج البدائي للحاسبات الحديثة.

بعد مضي ست سنوات تلقى لايبنز رسالة غير عادية من الصين أرسلها اليه مبشر يدعى يواكيم بوفيت. وتضمنت الرسالة شرحاً للتشابه الغريب بين اعمال لايبنز وعلم الترقيم الوارد في كتاب "آي تشنغ". واوضح بوفيت ان كل شكل من الاشكال الاربعة والستين يوافق رقماً ثنائياً بين الصفر والرقم ٦٣. وتحمس لايبنز لهذا التشابه حتى انه ارسل الى الامبراطور كانغ - هسي، الذي اشتهر برعايته الفنون والعلوم الصينية، كتاباً ضمنه دراسته في الحساب الثنائي. لكن الامبراطور كان ينظر باحتقار الى كل ما يرد عليه من الغرب. ولم يتحقق الا في اواخر الاربعينات من هذا القرن، وبعد اختراع آلات التحويل المصغرة التي عرفت باسم "ترانزستور"، ان اصبح العدد الهائل من عمليات الحساب الضرورية للنظام الثنائي امراً عملياً.

معظم الادمغة الالكترونية اليوم يحول المعلومات سلاسل من ثمانية منازل. ومع ان مجموعات من ١٦ او ٣٢ منزلة اضحت الآن متوافرة ويمكن في النهاية ان تحل مكان المنازل الثماني الأبطأ، فان هذه يمكن ان تهيأ في ٨٤٢٥٦ طريقة، اي ما يكفي من المجموعات ليمثل كل حرف ورقم ونقطة وفاصلة في الترجمة الانكليزية لكتاب "آي تشنغ" وفي التعليمات اللازمة لطباعتها.

وكما ادرك فو - كسي قبل ٥٠٠٠ سنة، فان طبيعة الكون ذاتها يمكن التعبير عنها بالترقيم الثنائي.

■ "آسيا ويك"

(★) الارقام الشفعية هي التي تقسم على ٢ من غير باق، مثل ٢ و٤ و٦. والارقام الوترية هي غير الشفعية، مثل ٣ و٥ و٧.

مشكلة اتباع الطريق الوسط ان الآخرين يأتون عليك من اليمين ومن اليسار.

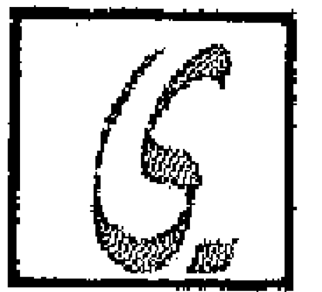
ك.د.

أولمبياد المعاقين



Stephen Swaidner

هــذه الالعاب الخــاصة بالمتخلفين عقلياً لا تترك بين المشتركيــن خاســراً واحــداً، فجميعهم رابحون



يدخـل ٤٣٠٠ ريـاضـي الـملعب الكبير رافعين اعلام الولايات المتحدة واعلام ٥٠ دولة اخرى، وهم يبتسمون ويلوحون بأيديهم لستين الف مشاهد. بعد ذلك يتولى عداؤون من اليونان واليابان وتشيلي وكينيا واوستراليا نقل مشعل حول باحة الملعب من يد الى يد حتى يصل الى الشاب فريدي لي (١٩ عاماً) من مدينة زاكاري في ولاية لويزيانا. ويتسلق فريدي درجات سلم الملعب اثنتين اثنتين حتى يبلغ القمة. هنـاك يقـف رافعـاً المشعـل الملتهب. وفيما الهتاف يصم الآذان يشعل الشاب المرجل الضخم. واذ يخيم الصمت على جمهور المشاهدين،

يعلن عضو مجلس الشيوخ ادوارد كنيدي بدء الالعاب رسمياً.

وجلي ان هذه ألعاب أولمبية. بيد انهافي الواقع اكثر من ذلك، انها ألعاب سحرية حقاً. تلك هي الدورة السادسة للالعاب الاولمبية الدولية الصيفية الخاصة، التي اقيمت طوال خمسة ايام في جامعة لويزيانا الرسمية في باتون روج. وهي تلخص المثل العليا اليونانية في المشاركة والاخوة والفرح، وتضم ١٣ مباراة رياضية منها الفردي والجماعي. انها تمثل الذكرى الخامسة عشرة للالعاب الاولمبية الخاصة، وهي برنامج دولي للتدريب والتنافس الرياضيين للاولاد والبالغين المعاقين عقلياً. وكانت مؤسسة جوزف كنيدي الابن باشرت هذه الالعاب عام ١٩٦٨ (★).

والدعم الحماسي المتدفق الذي حظيت به ألعاب الصيف الماضي التي ساهم فيها ٥٠٠٠ متطوع و٣٧٠٠ شخص من الآباء والامهات و١١٠٠ مدرب، جعلها تختلف اختلافاً عظيماً عما كانت في ايامها الاولى. يقول هيرب كرامر مدير المواصلات في الالعاب الاولمبية الخاصة: "كثيرون، بمن فيهم بعض الخبراء في هذا الحقل، كانوا يعتقدون ان المتخلفين عقلياً لن يقدروا على العدو في سباق الـ٣٠٠ متر. وكانوا يقولون: "سيصابون جميعاً بنوبات عصبية" او "سيسهون عما هم فاعلون".

اما اليوم فان ما يزيد على مليون رياضي من انحاء العالم، من السن الثامنة وما فوق، يشتركون في البرنامج الذي يستغرق سنة كاملة. ويظهر اعتزازهم وتصميمهم صورة ايجابية جديدة للمعاقين، تربطهم بالنجاح بدلا من الاخفاق. ويقول آرنولد شفارزينيفر الاختصاصي بتنمية الجسد: "انهم يملكون الكثير من قوة الارادة والحافز". وهو واحد من عشرات الرياضيين واعلام الترفيه المتطوعين. ويضيف: "جئت لكي اساعد في الهامهم، واذا بي استمد منهم الالهام".

قصص مؤثرة - اشترك سبعة رياضيين من مصر وخمسة من المغرب في الالعاب الدولية هذه. وتركز الاهتمام على التنافس وليس على الربح. وصنف الرياضيون في الالعاب المختلفة على اساس انجازاتهم المؤهلة، وفرزوا وفقاً للسن والجنس والقدرة الرياضية. واولئك الذين لم يفوزوا بميداليات منحوا آشرطة، وكرم كل واحد منهم. ومع ذلك حقق الرياضيون المصريون - وكلهم من القاهرة - نتائج ملفتة. فربح كل من حسن عادل احمد (١٩ سنة) ومحمود محمد (١٣سنة) وصالح أشرف محمد (١٢ سنة) ميدالية ذهبية في قذف الكرةوالغطس ورمي القرص. كذلك ربح محمود محمد ميدالية فضية في سباق الـ٢٥ متراً. وربح مصريان آخران ميداليتين فضيتين وأخرى برونزية.

(★) جوزف كنيدي الابن هو الابن البكر لجوزف كنيدي السفير الاسبق للولايات المتحدة في بريطانيا، اشقاؤه جون، الرئيس الامريكي الاسبق، والسناتور الراحل روبرت والسناتور الحالي ادوارد، اخته الكبرى يونيس كنيدي شرايفر، واخته روزماري ولدت متخلفة عقلياً.

ويعمل مدربهم الرئيسي احمد فؤاد توفيق في مركز مطرية للتخلف العقلي الذي يؤمه ٢٥٠ شابا، ويقول: "اعتبرهم جميعاً اولادي".

وتفوق الرياضيون المغربيون كذلك. فربح آية شاعر رشيد (١٩ سنة) ميدالية ذهبية بقطعه سباق الميل في وقت ممتاز هو ٤ دقائق و٥٢،٣ ثانية. وربح فلفوزا يوسف (١٩ سنة) ميداليتين فضيتين في سباقي الـ٢٠٠ والـ٤٠٠ متر وميدالية برونزية في سباق الـ٥٠ متراً. وفاز فليسلي حسنية (١٦ سنة) بميدالية فضية في المباراة الخماسية.

والقصص المؤثرة التي عرفت عن هذه الالعاب تكاد توازي عدد الرياضيين:

● حقق السباح النيوزيلندي كولين بايلي (٢١ سنة) اعظم لحظة في حياته باحرازه ميدالية برونزية في السباحة ٢٥ متراً على الظهر. وكان قضى عشر سنين ليتعلم السباحة.

● أهدى العداء الاوسترالي بول وليمس (٢٢ سنة) ميداليته الفضية الى صديق شاب معاق في سيدني كان توفي اخيراً.

● ربحت لاعبة الجمباز بولي لين أوبرغ (١٩ سنة) من غرينسبورغ في بنسلفانيا ميداليتين ذهبيتين تقديراً لحركاتها الممتازة. ويقول الاطباء انها عند ولادتها كانت مصابة بمرض عضال مع انحراف في بنية الوركين، وكان يحتمل الا تمشي ابداً.

الرابح السادس – في قاعة السباحة وقف جون هنري بيتش (٢٢ سنة) على طرف الحوض المخصص للسباحة الحرة مسافة ٢٥ متراً، وكان حول الحوض عدد كبير من ابناء بلدته الكسندريا في لويزيانا، جاؤوا ليشجعوه وكلهم يرتدون قمصاناً فضفاضة تحمل هذه العبارات: "حفيدي جون هنري هو احد رياضيي الالعاب الاولمبية الخاصة" و"شقيق زوجتي جون هنري هو رياضي في الالعاب الاولمبية الخاصة" و"صديقي جون هنري..."

كان جون هنري قضى في حداثته ثماني سنوات في مؤسسة للمتخلفين عقلياً. وهناك اشترك للمرة الاولى في الالعاب الاولمبية الخاصة في العدو. وبعد عودته الى البيت وقد بلغ عمره ١٥ سنة، اضحى قادراً على مواجهة ظروف الحياة العادية وبدأ يمارس السباحة في تمارين الالعاب الاولمبية الخاصة. وغدا شهيراً في منطقته حتى ان ١٥٠ شخصاً من اهالي الكسندريا قطعوا مسافة ١٨٠ كيلومتراً الى باتون روج ليشاهدوه وهو يتبارى. وتقول امه: "لم يتمكن جون من القراءة والكتابة قط، لكن هذه الالعاب هيأت له البروز. فأهل البلدة ورجال الشرطة وكل الناس هنا يعرفونه ويترقبون افعاله".

اطلقت الصفارة وهب انصار الشاب واقفين وهم يصرخون: "هيا يا جون هنري، انطلق!" وفي حين اندفع السباحون الآخرون متقدمين في الماء تأخر جون هنري عنهم. وجاء سادساً. ولكن لم يظهر اي من انصاره خيبة أمل، فقد كانوا يبتسمون ويهللون. وصرخ احدهم: "احسنت يا جون

هنري"٠ ففي الالعاب الاولمبية الخاصة يحتفل كل واحد بانجازه٠

تذليل العقبات ـ تمثل الالعاب ذروة الامل في حياة المتبارين٠ وهي بالنسبة الى العديد منهم تعني قطع مسافات طويلة٠ معظم المشاركين الاجانب لم يغادروا مواطنهم من قبل ولم يركبوا طائرة٠ وفي باحة الاستراحة في المدينة الاولمبية يروي الرياضيون القصص بمساعدة مترجمين ويتبادلون الازرار والدبابيس التي تحمل رموز اوطانهم٠

والالعاب الاولمبية الخاصة ليست مقصورة على الاحداث٠ فقد شاركت في سباق الـ٥٠ متراً ماريون راميك من وينثروب في ولاية ماين، وعمرها ٧٠ سنة٠ وشهق الجمهور دهشة عندما انطلقت، ولكن حين حلت رابعة بين المتبارين حياها بالهتاف٠

ولدت ماريون في مؤسسة للمرضى عقلياً٠ وهي تعيش الان مع عائلة احتضنتها وتعمل في مشغل "كينيبيك فالي" حيث تقطع الازرار والسحابات من الثياب القديمة لاستعمالها خرقاً للتنظيف٠ وقبل عشر سنين رآها احد المدربين ولاحظ نشاطها وحيويتها، فدعاها الى المشاركة في الالعاب الاولمبية الخاصة٠ ومنذ ذلك الحين تمارس التمارين يومياً، وقد تبارت في الركض والقفز الطويل ورمي الكرة٠ وفي حرم جامعة لويزيانا حيث بلغت الحرارة ٣٥ درجة مئوية مشت ماريون بسرعة شق على مرافقيها مجاراتها٠ وحين وصلت الى قاعة المنامة التفتت الى مدربتها وقالت لها برقة: "انا احبك"٠

وعلى غرار ماريون يبدي الرياضيون الآخرون في الالعاب الاولمبية الخاصة حباً وشجاعة وتصميماً في كل جهد يبذلونه٠ وفي ملعب الجمباز قفزت فتاة ترتدي ثوباً مزركشاً كثوب البهلوان لتحتضن مدربتها بعدما اتمت لعبتها٠ وأطلق رجل في متوسط العمر صرخة الظفر بعد سباق الكراسي ذات العجلات٠

احد المشاهد التي لا تنسى كان لعبة الجمباز التي اداها الشاب ريموند سنايدر (١٧ سنة)، من سان فرانسيسكو، وهو معاق عقلياً ومصاب منذ الولادة بشلل في الجزء الاسفل من جسده ولا يزيد وزنه على ٤٩ كيلوغراماً٠ فقد انزلق هذا الكاليفورني الضئيل الجسم من كرسيه ذي العجلات وتمدد على ظهره وشرع ببطء وتؤدة في الدوران والتمايل والقفز في الهواء٠ كثيرون بين الجمهور الذي بلغ ٦٠٠٠ مشاهد بكوا تأثراً حين رأوا الشاب اليافع يتغلب على عقبات تكاد لا تقهر ليتفوق في هذا النوع من الرياضة٠ وفي ختام التمارين التي شارك فيها ريموند وربح ميدالية برونزية، رفعه المدرب بذراعيه عالياً فيما اهتز المبنى كله بهتاف الجمهور٠

سجل والدا ريموند ابنهما في الالعاب الاولمبية الخاصة قبل ست سنوات كلاعب جمباز على الارض اولا، ثم كسباح٠ اما اليوم، فان ريموند يلعب البولنغ والكرة ويمتطي صهوات الجياد٠ وتقول امه ماري آن:

"هذه الرياضات جعلته اكثر انفتاحاً على العالم ووفرت له اهدافاً يحققها". كما ان الابتعاد عن المنزل يفيده. وخلال التدريب مع فريق كاليفورنيا في لونغ بيتش كان ريموند في بداية الامر خجولا. ولكن سرعان ما غدا يتحدث مع رافر جونسون بطل المباريات العشارية الاولمبية عام ١٩٦٠ ورئيس المدربين في الالعاب الاولمبية الخاصة. ويصيح ريموند معرفاً جونسون الى صديق له معاق: "رافر، تعال الى هنا".

هتاف الظفر - فيما كانت الالعاب تجرى اعدت مشاغل تبين للاهل كيف يمكنهم ان يساعدوا اولادهم في تحسين مهاراتهم الرياضية وتعزيز حوافزهم وتحسين نظرتهم الى انفسهم. بعض الرياضيين مثل لاعب كرة السلة سيدني مونكريف واللاعب الاولمبي في سباق المزالج ويلي دافنبورت اقاموا عيادات رياضية. كما طرحت معارض فنية مجالات اخرى متاحة للمعاقين.

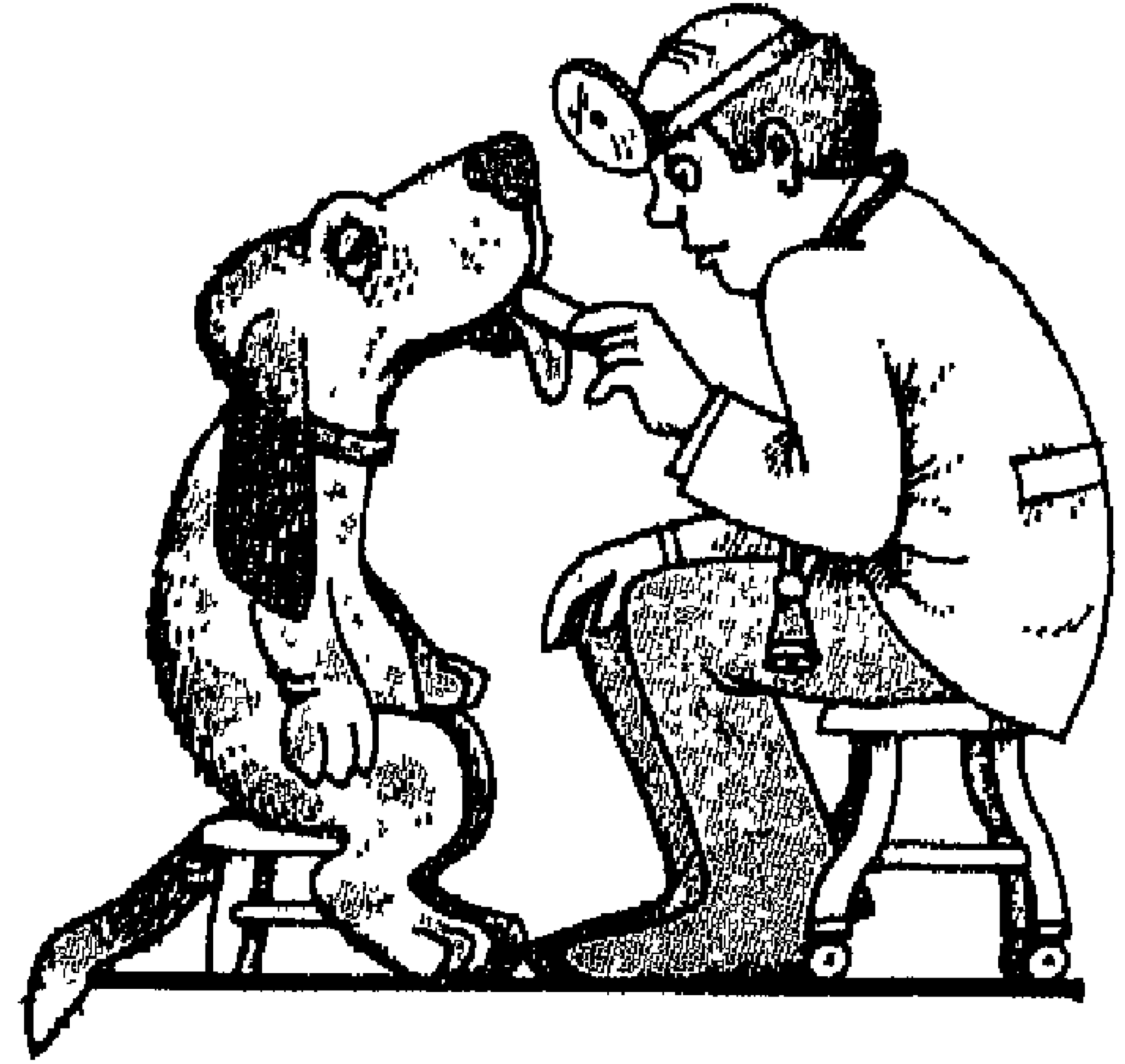
وكانت يونيس كنيدي شرايفر، مؤسسةدورة الالعاب الاولمبية الخاصة ورئيستها، تحض المتطوعين الذين يبلغ عددهم ٤٥٠ الفاً في ارجاء العالم على بذل المزيد من الجهد. وهي قالت: "ان الالعاب الاولمبية الخاصة هي اكثر من مجرد ألعاب رياضية موسمية. انها تدريب رياضي على مدار السنة يتحدى العقل والجسد كل يوم".

كل سباق على الكراسي ذات العجلات لمسافة ٢٥ متراً قدم مثالا لا يصدق عن الروح الاولمبية الحقيقية. فثمة ولد شلت يداه اخذ يدفع الكرسي بقدميه في اتجاه خلفي وحل ثانياً في السباق. وثمة ولد آخر توقف تماماً في منتصف السباق وقد عجز عن التقدم. لكن الجمهور اخذ يضج صائحاً: "تقدم، تقدم، تقدم..." فتابع الولد السير واقترب من خط النهاية ثم توقف ثانية. وتعالى صياح الجمهور يحضه على المتابعة. فحاول التقدم مرة اخرى، قليلا قليلا، وفتراً فتراً، فيما ارتفع صوت مفعم بالاشارة العاطفية: "اجل!" وبلغ الولد خط النهاية. وقال أحد الآباء وعيناه تفيضان بالدموع: "هؤلاء الاولاد لا يحملون القوة في اجسادهم، لكنهم يحملونها في قلوبهم بلا ريب".

كل متبار نال ميدالية او شريطة، واحتفل بالجميع في وليمة الظفر. ثم توجه الجميع الى باحة الملعب لحضور حفلة الختام الرسمية. وقد ودعت يونيس كنيدي شرايفر الرياضيين قائلة: "اي درس لقنتم العالم اليوم؟ لقنتموه ان الله منح كلا منا القدرة والتوق الى التفوق والشجاعة والصداقة والمحبة. يا للبراعة التي اظهرتموها لنا... يا للرياضة الرائعة! اتمنى لكم ان تحققوا الفوز في الحياة كما حققتموه في هذه الالعاب".

وهتف رياضيو الالعاب الاولمبية الخاصة وصفقوا جميعاً: ٤٣٠٠ رياضي. كانوا كلهم فائزين. وكانت لهم جميعاً صفاتهم الخاصة... الخاصة جداً.

■ **وليم غيلديا**



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد صفات مستحسنة، وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح، والمطلوب من القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

١٠ **نفيس**: عريق ـ ما يُتنافس عليه ـ مخبوء ـ عزيز.
٢٠ **مطهَّم**: شديد السواد ـ مدجج بالسلاح ـ فخم ـ تام الحسن.
٣٠ **رحب**: صبور ـ حسن الضيافة ـ واسع ـ كثير.
٤٠ **وثير**: وطيء ولين ـ ثري ـ مرصع بالجواهر ـ ثائر.
٥٠ **قُدموس**: مقدام ـ فصيح اللسان ـ جَلود ـ قديم.
٦٠ **غانية**: حسناء ـ شجية الصوت ـ بيضاء ـ رشيقة.
٧٠ **غِطريف**: جسور ـ عريض الجبين ـ ظريف ـ فخور.
٨٠ **مفوّه**: متملق ـ كبير الفم ـ بليغ ـ حسن الصوت.
٩٠ **فيحاء**: عامرة ـ كثيرة المياه ـ مزهرة ـ واسعة.
١٠٠ **عصامي**: صادق ـ من شرف بنفسه ـ كريم ـ لا يخطىء.
١١٠ **مرهف**: سهل المعشر ـ ذكي ـ دقيق ولطيف ـ بشوش.
١٢٠ **رقراق**: صاف ـ ضاحك العينين ـ رقيق ـ متلألىء.
١٣٠ **ميّاس**: متبختر ـ واسع الحكمة ـ قاطع ـ وسيم.
١٤٠ **أغرّ**: كريم الأفعال ـ عادل ـ وقور ـ مغر.
١٥٠ **طَفْل**: ورع ـ رخْص ـ خفيف الروح ـ متسامح.
١٦٠ **لُباب**: عارف ـ راجح العقل ـ خالص ـ هُمام.
١٧٠ **غنّاء**: موسرة ـ كثيرة الطير ـ طروب ـ كثيرة الشجر.
١٨٠ **رؤوم**: عطوف ـ حاد النظر ـ طموح ـ لطيف.
١٩٠ **سني**: بهي الطلعة ـ رفيع ـ مسنّ ـ ناصع البياض.
٢٠٠ **طَبّ**: واسع الحيلة ـ ماهر ـ عاشق ـ رفيع المقام.
٢١٠ **قَشيب**: زاهد في الدنيا ـ فضي ـ ناحل ـ جديد.
٢٢٠ **خَفِر**: رزين ـ متعبد ـ شديد الحياء ـ مستور.
٢٣٠ **دؤوب**: مثابر ـ بالغ الأدب ـ حنون ـ مغامر.
٢٤٠ **بُهْلول**: راجح العقل ـ سيّد خيّر ـ عجيب ـ بهي.
٢٥٠ **رغد**: وفير ـ منشرح الصدر ـ طيب ـ صبور.
٢٦٠ **ريّان**: ذهبي ـ زاهي الألوان ـ لامع ـ أخضر ناعم.
٢٧٠ **نِحْرير**: صنديد ـ أديب ـ حريري ـ عالم حاذق.
٢٨٠ **أدعج**: أسود العينين ـ طلق المحيا ـ سمين ـ صغير الأنف.
٢٩٠ **نوفل**: نزيه ـ معطاء ـ عالي المقام ـ نجيب.
٣٠٠ **خريدة**: سمراء ـ مطيعة ـ عذراء ـ فريدة.

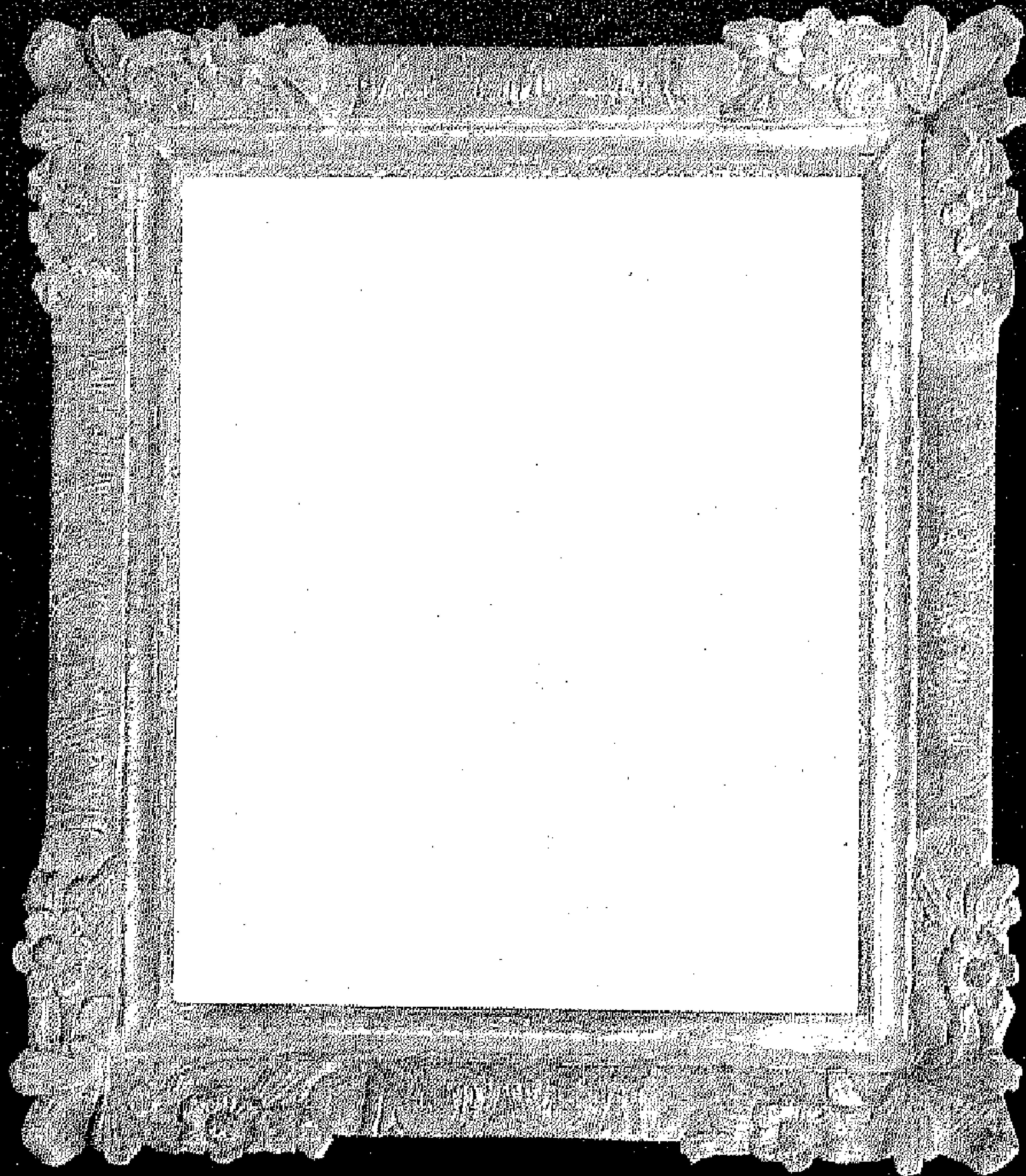


الأجوبة الصحيحة

١ • **النفيس**: ما يُرغب ويُتنافس فيه، ويقابله الخسيس • رجل نفيس: حاسد •
٢ • **المطهَّم**: التام البارع الجمال من كل شيء • يقال "جواد مطهم" أي تام الحسن •
٣ • **رَحْب**: واسع • يقال "رحب الصدر" اي طويل الأناة •
٤ • **فراش وثير**: وطيء ولين •
٥ • **قُدموس**: قديم • يقال "عز أو حسب قدموس" •
٦ • **الغانية**: المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة • ايضاً المتزوجة •
٧ • **الغِطريف**: الشاب الظريف والسخي والسيد والحسن • ايضاً فرخ البازي •
٨ • **خطيب مفوَّه**: بليغ الكلام • طعنة فوهاء: واسعة •
٩ • **دار فيحاء**: واسعة • والفيحاء لقب البصرة ودمشق وطرابلس •
١٠ • **العِصامي**: من شرف بنفسه لا بآبائه • نسبة الى عصام حاجب النعمان •
١١ • **مرهف**: دقيق ولطيف • خصر مرهف: ضامر •
١٢ • **الرقراق**: ما يتلألأ • دمع رقراق: يدور في العين ولا يسيل •
١٣ • **ماس وتميَّس**: مشى متمايلا ومتبختراً فهو مياس •
١٤ • **الأغَرّ**: الكريم الأفعال والحَسَن والأبيض • جواد أغر: في جبهته غرة •
١٥ • **طَفْل**: رخص وناعم •
١٦ • **اللُّباب**: المختار الخالص • يقال "حَسَب لباب" •
١٧ • **حديقة غنّاء**: كثيرة الشجر والعشب • قرية غناء: عامرة •
١٨ • **أم رؤوم**: عطوف • الرئم: الظبي الأبيض • الرؤام: اللعاب •
١٩ • **سني**: رفيع • السناء: الضياء والرفعة • تسنى: تغير •
٢٠ • **الطَّبّ**: الحاذق الماهر في عمله • يقول المثل: "إصنعه صنعة من طَبّ لمن حَبّ" اي صنعة حاذق لانسان يحبه •
٢١ • **القشيب**: الجديد والنظيف والأبيض • سيف قشيب: علاه الصدأ •
٢٢ • **خَفِر**: شديد الحياء •
٢٣ • **الدؤوب**: الجاد والمثابر على العمل • الدأب: العادة •
٢٤ • **البُهلول**: السيد الجامع لكل خير • ايضاً: الضحّاك •
٢٥ • **عيش رغد ورغيد**: طيب •
٢٦ • **الريّان**: ضد العطشان • ايضاً الأخضر الناعم • وجه ريان: كثير اللحم •
٢٧ • **النِحْرير**: الحاذق الفطن العاقل، وقيل العالم المجرب بمعنى انه ينحر العلم نحراً •
٢٨ • **عين دعجاء**: شديدة السواد مع سعتها، فصاحبها أدعج وصاحبتها دعجاء • ليل أدعج: أسود •
٢٩ • **النوفل**: الشاب الجميل والرجل المعطاء • ايضاً: ذكر الضباع •
٣٠ • **جارية خريدة**: عذراء • ايضاً: حييّة خفيضة الصوت • الخريدة: اللؤلؤة التي لم تثقب •

المستوى
٢٥ ــ ٣٠: ممتاز
١٩ ــ ٢٤: جيد جداً
١٣ ــ ١٨: مقبول

كتاب الشهر



يَوْمَ سُرِقَتْ الموناليزا

مُلخص مِن كتاب
بقلم سيمور رايت

يوم سرقت الموناليزا

قبل قرن ونيف كتب المؤرخ الفرنسي جول ميشليه عن الموناليزا: "هذه اللوحة تغريني وتدعوني وتقتلعني من مكاني وتحتويني، وإني أذهب إليها رغماً عني، كما يذهب العصفور الى الافعى."

والواقع أن هذه اللوحة أغرت عدداً لا يحصى من محبي الفنّ طوال قرون، ودعتهم إليها واقتلعتهم من أمكنتهم واحتوتهم. وفي مطلع القرن الحالي في باريس، تملكت تحفة ليوناردو دافينشي جوّالا من الارجنتين الى حدّ أنه قرّر إنزالها عن عرشها.

هنا يخبرنا سيمور رايت، في كتابه المنشور عام ١٩٨١، كيف حصلت تلك السرقة الجريئة التي هزّت العالم، ولاسيما متذوّقي الفنّ. ويقول رايت: "لا نجد سرقة فنية مهمة سوى هذه أقامت الارض لدى حدوثها، ولكن لم تلبث أن أقعدتها. وقد حان الوقت لاخراج رواية هذه السرقة من الظل."



أخذ لوي بيرو علبة الالوان وحامل اللوحات بيد، وباليد الاخرى لوحة غير تامة، وهرع نحو متحف اللوفر الباريسي الشهير. وقد شاء مباشرة عمله هناك في أسرع وقت ممكن، قبل ازدحام المكان بالزوار.

وكان الرسام الشاب الناشىء أصاب حظاً حسناً في بيع لوحاته التي نسخها عن الروائع المعلقة على جدران المتحف. وباع له صاحب صالة العرض في الطبقة الارضية، واسمه فيليب، عدداً كبيراً منها، وكان ينتظر منه المزيد. وقال له: "أريد كل ما يمكنك تزويدي به من لوحات، ولكن سريعاً. فما أن يعود السياح الى أوطانهم حتى تعود الاموال معهم."

ذلك الصيف من العام ١٩١١ اشتد القيظ في باريس حتى أحالها فرناً. إلا أن نسمة عليلة هبت آنذاك عبر نهر السين الذي يشطر المدينة. وأحبّ بيرو أن يتنزه قليلا وسط ذلك الجو المنشط، غير أنه تذكر طلب فيليب وظل يحث الخطى نحو اللوفر.

وبرهنت فكرة بيرو في رسم مشاهد من داخل المتحف عن جدواها. وفي استطاعة معظم الرسامين محاكاة بدائع المتحف التي كثر الطلب عليها تلك الايام، قبل ابتكار طريقة النسخ الآلي بالألوان. أما رسم الغرف نفسها، مع الكنوز المعلقة على جدرانها، فكان أمراً نادراً.

وألقى بيرو مسنده على أرضية الطبقة الاولى، ووضع عليه قماشة الرسم وشرع يهيىء الالوان. وكان البهو المربع يتألق بروائع المبدعين الأولين. وراح بيرو يتفحص أعمال رفاييل، وبينها "عرس قانا"، وهي لوحة خالدة تحتل جداراً كاملا وترقى الى المرحلة الفيرونية في حياة الرسام العظيم.

ولعن بيرو حظه إذ لم يجد اللوحة التي كان يبحث عنها، والتي تتوسط لوحة كوريجيو "زواج كاترينا السرّي" ولوحة تيتيان "الرّمز".

واستدار بيرو نحو أقرب الحراس إليه وسأله: "أين الجوكوندا يا بوباردان؟"

وهزّ الحارس المتقدم في السن كتفيه واشار باصبعه الى فوق وأجاب: "إنها في المشغل، حيث يتم تصويرها آلياً هذا الصباح... وإلا فأين يمكن أن تكون؟"

وخفق قلب الرسام الشاب. ترى لماذا اختار الموظفون في مشغل التصوير الفوتوغرافي في أن ينزلوا الموناليزا بالذات، وأن ينزلوها هذا الصباح؟ وكان بيرو أبقى قماشته الاخيرة لنسخ رائعة ليوناردو دا فينشي. أما الآن فعليه أن يتحلى بالصبر والانتظار.

ومرت ساعة، ثمّ اخرى. ونحو الحادية عشرة أخذ السياح يتوافدون الى البهو المربع. وتقدّم العديد منهم الى بيرو يشكو غياب الموناليزا التي تجتذب الاكثرية. وذهب الرسام في أثر بوباردان، فوجده يغط على مقعد خشبي. وهزّه من كتفه ورجاه قائلا: "اسألهم فوق لماذا تأخروا في إنجاز مهمتهم، وقل لهم أن يعيدوا اللوحة سريعاً الى مكانها."

وتنهد بوباردان وتوجه متذمراً الى سلم الموظفين. وبعد دقائق ظهر من

جديد وذهب نحو بيرو بخطى راعشة وعينين جاحظتين. ونظر إليه بيرو بدهشة وسأله: "ما الذي قالوه لك؟"

وبلع الحارس ريقه وقال بصوت أجَش: "الجوكوندا ليست هناك، ولم تكن هناك البتة. والمصورون الفوتوغرافيون لا يعرفون شيئاً عنها... لقد اختفت."

السرقة

قبل ٤٨ ساعة من ذلك الوقت، أي يوم الاحد الواقع فيه العشرون من اغسطس (آب) ١٩١١، كان رئيس عمال اللوفر، جورج بيكيه، يتكىء على حافة رخامية في إحدى طبقات المتحف العليا وينظر الى الجموع فيما هي تتزاحم بالمناكب نحو قاعات العرض.

وكان اللوفر يستقطب مئات الزوّار يومياً. وقد بناه الملك فرنسيس الاول قبل ٤٠٠ سنة كقصر ملكي. وهو الملك عينه الذي رعى ليوناردو دافينشي وابتاع لوحته الخارقة الموناليزا. وفي تلك الاثناء كان اللوفر يضم، الى جانب تلك اللوحة، آلاف الاعمال الفنية الموزعة على قاعاته الفسيحة الانيقة. ويقال ان الجولة على صالات العرض وحدها كانت تستغرق ساعتين كاملتين.

وربما كان جورج بيكيه بين القلائل الذين أنجزوا جولة تامة في المتحف. غير أنه لم يشعر بالفرح وهو ينظر الى الزوار المتوافدين. فهم، في نظره، اناس يطأون أرضه ويلطخون جدرانه ويغرزون اظفارهم في منحوتاته ويتلفون لوحاته مع الوقت باللمس والتّنفّس. ولكن بعد ساعات قليلة ينتهي عذابه وقتياً. وفي اليوم التالي، وهو الاثنين، يقفل المتحف أبوابه للزوار ويأتي الموظفون للتنظيف وإصلاح الاعطال وإعادة تنسيق اللوحات. أجل، إنه يومه هو الذي يعتني خلاله بأرجاء المتحف جميعاً.

ووقف بيكيه يتثاءب. كان ذلك الاحد مملا كآلاف الآحاد التي شهدها. إلا أنه، لمرّة واحدة، أخطأ التقدير. فنحو الثانية والنصف من عصر ذلك الاحد، دخل فينسنزو بيروغيا المتحف من بوابة دينون وهو يبدو كسائر زوار نهاية الاسبوع وقد ارتدى بذلة سوداء واعتمر قبعة قشّ. وضاع ذلك الشاب الايطالي البدين وسط الحشود وهو يتسلق السلم نحو صالات العرض ويشدّ معصمه على انتفاخ ضئيل تحت سترته.

وفي الوقت نفسه دخل المتحف الاخوان لانسيلوتي، فينسنزو وميشال، من بوّابة جناح سولي. وصعدا الى صالة لاس كازس وعبرا أمام أعمال واتو وبوشيه. وكانا يرتديان ثياباً انيقة أيضاً.

وقبيل الثالثة تلاقى بيروغيا والاخوان لانسيلوتي في غرفة صغيرة أنيقة، اسمها صالة دوشاتل. وبينما هم يمشون باتئاد وبعض اضطراب أمام اللوحات، نظر بيروغيا الى ساعة يده... بعد ساعة واحدة يغلق المتحف أبوابه. وإذا أسعفه الحظ، فهذه الساعة كافية لتحقيق غرضه.

وكان المسؤولون في اللوفر عام ١٩١٠ وضعوا بعض اللوحات ضمن

أغلفة من زجاج خوفاً من أعمال السرقة· ولقي ذلك التدبير استنكار بعض المتزمتين الذين احتجوا بأن طبقة الزجاج تحجب أصالة اللوحة وتفاصيلها الدقيقة· إلا أن المسؤولين تجاهلوا تلك الصرخة ودعوا شركة غوبييه الباريسية لتتولى تنفيذ الامر· وكان بين الزجاجين ايطالي شاب اسمه بيروغيا ويعمل طرّاش منازل·

وبدا بيروغيا والاخوان لانسيلوتي مستغرقين في التفكير وهم يتأملون لوحات عصر النهضة في صالة دوشاتل· وأبقى بيروغيا عينيه على مدخلي الغرفة المقوّسين، وأحدهما يؤدي الى الردهة حيث تباع الرسوم والنسخ والكتب الفنية، والآخر يفتح مباشرة على البهو المربّع·

وكان بيروغيا، خلال الساعات الطوال التي أمضاها في العمل على غلاف الموناليزا الزجاجي، تعلم الكثير عن أوقات ازدحام الزوّار وبرامج الحرس ومداخل الخدّم والابواب التي تبقى موصدة· كما لاحظ غرفة الايداع الصغيرة حيث يبقي الرسامون عدّتهم ليلا· ومثله مثل متاحف كثيرة،سمح اللوفر على الدوام للرسامين بمحاكاة الاصول المعروضة في بعض الصالات، لكنه لم يتح لهم تقليد الحجم منعاً للتزوير· وكانت غرفة الايداع عبارة عن حجرة ضيقة وراء باب أنيق التصميم في الحائط الغربي من صالة دوشاتل· وفي ذلك الوقت كان فينسنزو بيروغيا تعلم طريقة فتح ذلك الباب ـ اللوحة عبر قفله المحجوب·

وبسبب ازدحام الزوّار، لم يُسمح للرسامين بالعمل في صالات اللوفر أيام الاحد بسبب الازدحام وايام الاثنين بسبب إغلاق المتحف· وهذا يعني أنه لم يكن ثمة دافع لأحد كي يدخل غرفة الايداع بين الخامسة من مساء السبت وصباح الثلثاء·

وفي تمام الرابعة والدقيقة الرابعة والثلاثين عصر ذلك الاحد، أعلن الحرّاس إغلاق الابواب في وجه الزوّار الجدد، وراحوا يوجهون الزوار في الداخل نحو المخارج· وبعد قليل خلا المتحف من كل زائر، باستثناء ثلاثة وقفوا في غرفة الايداع وراء صالة دو شاتل، وهم بيروغيا والاخوان لانسيلوتي الذين حاولوا الوقوف حَسَنًا بين المحامل وعلب الالوان وأقمشة الرسم واللوحات غير المنتهية·

وأخرج الرجال صرراً من تحت ملابسهم وتبادلوا النظرات· وراح بيروغيا يهزّ رأسه بصمت وقد جلس القرفصاء وألقى ظهره على فجوة الجدار· لقد ساعده الحظ حتى ذلك الحين، ولكن عليه أن ينتظر حتى الصباح·

المحتال الأكبر

فيما بيروغيا والاخوان لانسيلوتي يتحرّكون بحذر في تلك الغرفة، كان الرجل الذي صمم تحركاتهم يرتدي ثيابه استعداداً لعشاء في فندق باريسي فخم·

ذلك هو ادواردو دو فالفييرنو الذي ولد في بوينس آيرس عاصمة الارجنتين في الخمسينات من القرن الماضي، لأب مزارع من أصل

كاستيلي. وانتحل فالفييرنو لقب "ماركيز" وأعال نفسه ببيع اللوحات الفنية التي ورثها عبر السنين من أفراد عائلته.

ولما خلت غرفه من اللوحات والسلع النادرة والاثرية، ارتأى "الماركيز" أن يصنع أعمالا جديدة ويجد لها سوقاً. ووسع دائرة معارفه في بوينس آيرس لتضم عدداً من نبلاء سان باولو وريو دوجانيرو في البرازيل، فضلا عن بعض الحديثي النعمة والسياح الاثرياء من أمريكا الشمالية. وسرّ اولئك الزبائن بتلك "الاثريات التي لا تقدّر بثمن" والاعمال "النادرة" التي حملها إليهم فالفييرنو المهذب الذي نظروا إليه كصديق مساعد أكثر منه تاجراً.

وكان فالفييرنو قبل ذلك الحين تعاون مع جامع ومرمم فني من مرسيليا، اسمه ايف شودرون. وأمن الماركيز الاتصالات الاجتماعية، فيما قدّم شودرون المتواضع موهبته واجتهاده. وبمساعدة بعض المقرّبين الكتومين أسس الشريكان تجارة مزدهرة للاعمال الفنية المصغرة التي قال فالفييرنو إنها كانت تضاهي الاصل جودة.

وفي العام ١٩٠٨ نقل الماركيز مقرّه الى العاصمة الفرنسية. وهناك عام ١٩١٠، حداه عاملان على تنفيذ أكثر إنجازاته إثارة. العامل الاول هو اهتمامه بالخطة الرامية الى تغليف روائع اللوفر، ومنها الموناليزا، بالزجاج الواقي. أما العامل الثاني فكان وجود شريكه السابق شودرون في باريس. ومن أجل تنفيذ خطته، كان الماركيز يحتاج الى شخص قدير داخل المتحف.

وقال الماركيز بخفة لصديقه شودرون وهما جالسان في مقهى "فاشيت": "يجب أن يكون معاوننا شخصاً عمل في اللوفر سابقاً وعرفه حسَناً."

وبعد ساعات قليلة في المقاهي والمطاعم القذرة التي يرتادها العمال في الدائرة التاسعة عشرة من باريس، وبعد تحريات دقيقة مدروسة، عثر فالفييرنو على فينسنزو بيروغيا.

وفيما الماركيز يرتدي ثيابه استعداداً للعشاء مساء ذلك الاحد، لم يتمالك النظر الى ساعة يده تكراراً. وكان ذلك كل ما استطاعه. وإذا جرت الامور كما هو مصمم، فهذا يعني أن بيروغيا ومعاونيه الايطاليين مختبئون في غرفة الايداع في تلك الساعة.

ولم يكن فالفييرنو راضياً تماماً عن بيروغيا. فهو في رأيه رجل بسيط، وإن أمكنه اعتماد الدهاء أحياناً. لكن دهاءه القليل ومعرفته بالمتحف عنصران إيجابيان أديا الى تكليفه. ومن أجل تقوية إمكانات النجاح، عمد فالفييرنو الى تدريب بيروغيا وقتاً طويلا. وكانت معرفة الماركيز بسجل عميله العدلي غير الناصع واعتقاله سابقاً على يد الشرطة حافزاً له على إخضاع بيروغيا وضمان طاعته.

أما الماركيز نفسه فكان في مأمن أكيد. وإذا تمّ اعتقال الرجال الثلاثة في اللوفر، فليس ثمة دليل واحد على علاقته بهم. وهم لا يعرفونه إلا باسم "سينيوري" (السيد) كما يجهلون

مخططه الحقيقي بالنسبة الى الموناليزا.

والحق أن فالفييرنو كان على وشك تنفيذ أهم أفعاله الاحتيالية.

وتجمدت أوصال الثلاثة إذ سمعوا وقع خطى خارج غرفتهم. وانحسر الصوت حتى اصبح في نهاية الصالة الكبرى. وشرع فينسنزو لانسيلوتي يقضم قطعة من الجبن. وقوّم بيروغيا شاربيه بنزق، وراح يهوّي وجهه بقبعته ويقاوم حاجته الى العطس.

وللمرّة المئة استعاد في ذهنه تعليمات السينيوري التي لقنه إياها مرة بعد اخرى، وهي تخص التوقيت وخرائط الطبقات ومفتاح الباب في ممرّ الطبقة الارضية. ولم ينس الماركيز تزويد عميله بلوح خشب قُص بالحجم المناسب لوضع اللوحة بعد إخراجها من إطارها. ولم يكن ذلك بالامر الضروري، نظراً الى أن بيروغيا عرف اللوفر جيداً خلال الاسابيع التي أمضاها عاملا فيه. إلا أن السينيوري عامل رجاله كاغبياء يعجزون عن اتخاذ القرار الصائب. والواقع أن بيروغيا كان مؤهلا لتنفيذ عمله.

وراح بيروغيا يفكر في ما آل إليه. وهو جاهد طوال سنوات ليجعل من نفسه دهاناً منزلياً قديراً. فاحتمل الوحدة والعمل الشاق والبعد طويلا عن الوطن من غير مستقبل مضمون مع راتب يومي ضئيل. أما الآن فالحظ ينتظره بالمرصاد. ولقد دفع له السينيوري بعض المال نقداً ووعده بمبلغ إضافي. وإذا سارت الامور حسناً يوم غد، فلسوف يؤوب الى بيته الحبيب في بلدة دومنزا اللومباردية الايطالية، حيث سيكون أغنى سكانها.

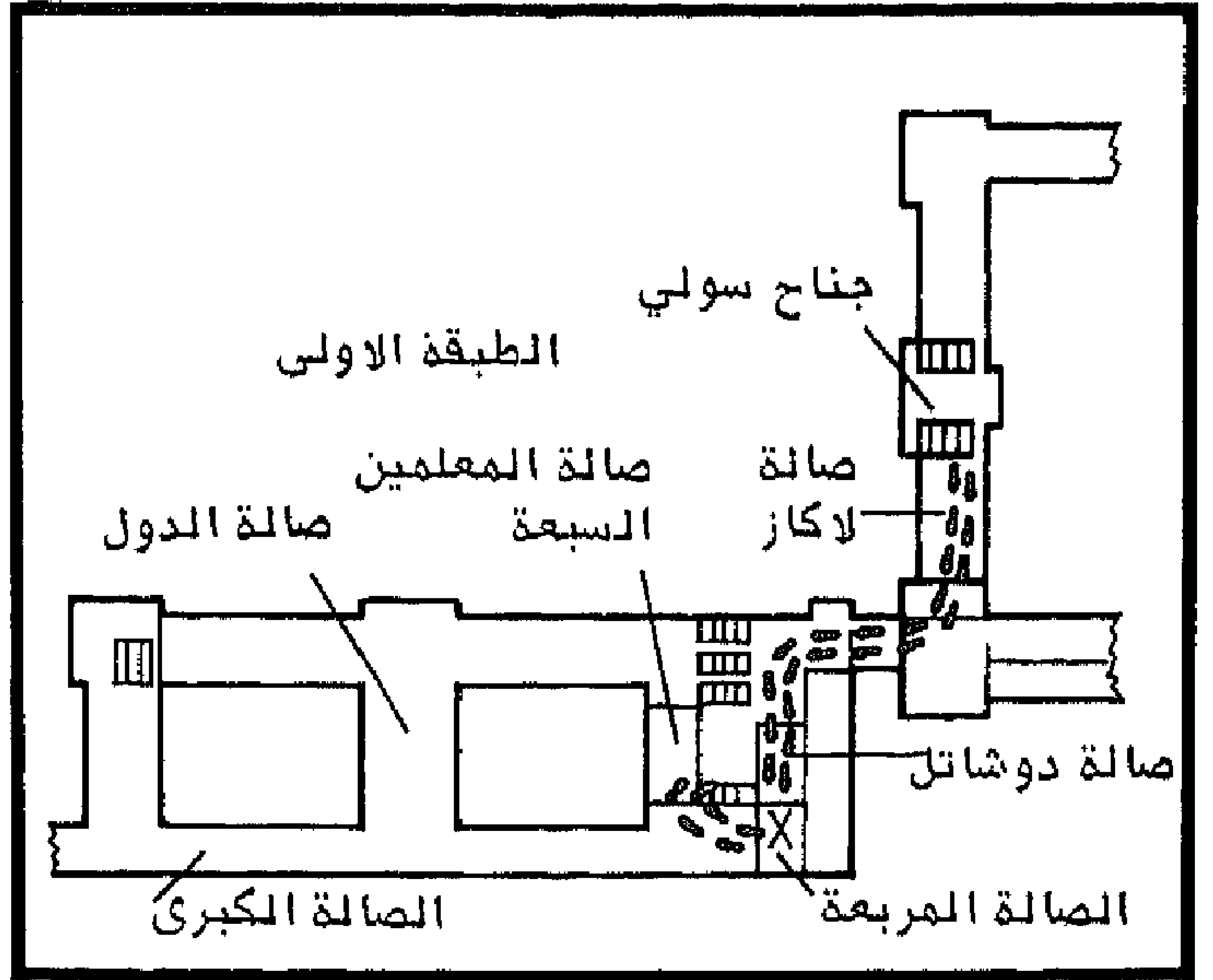
أما أصدقاء بيروغيا في باريس فكانوا أناساً مقتلَعي الجذور مثله، وبينهم النجار والبناء والرسام ومقلم الحجار وسوى هؤلاء، من الحرفيين الذين تركوا قراهم في البرّ الايطالي وفي صقلية طلباً للعمل والمال في باريس. وطالما سخر الفرنسيون الذين عمل بيروغيا معهم من طريقة لفظه الكلمات الفرنسية وسموه "آكل السباغيتي". وكلما أدار ظهره كانوا يسرقون عدّته ويسكبون الملح والفلفل في شرابه. وتكوّنت لديه حجة تقول بأن نابوليون بونابرت نهب نصف اللوحات التي يحويها اللوفر من ايطاليا. وها قد حان الوقت، بفضل السينيوري، كي تستردّ ايطاليا أفضل أعمالها الفنية طرّاً. والمسألة كلها وقف على التقيد بأوامر السينيوري.

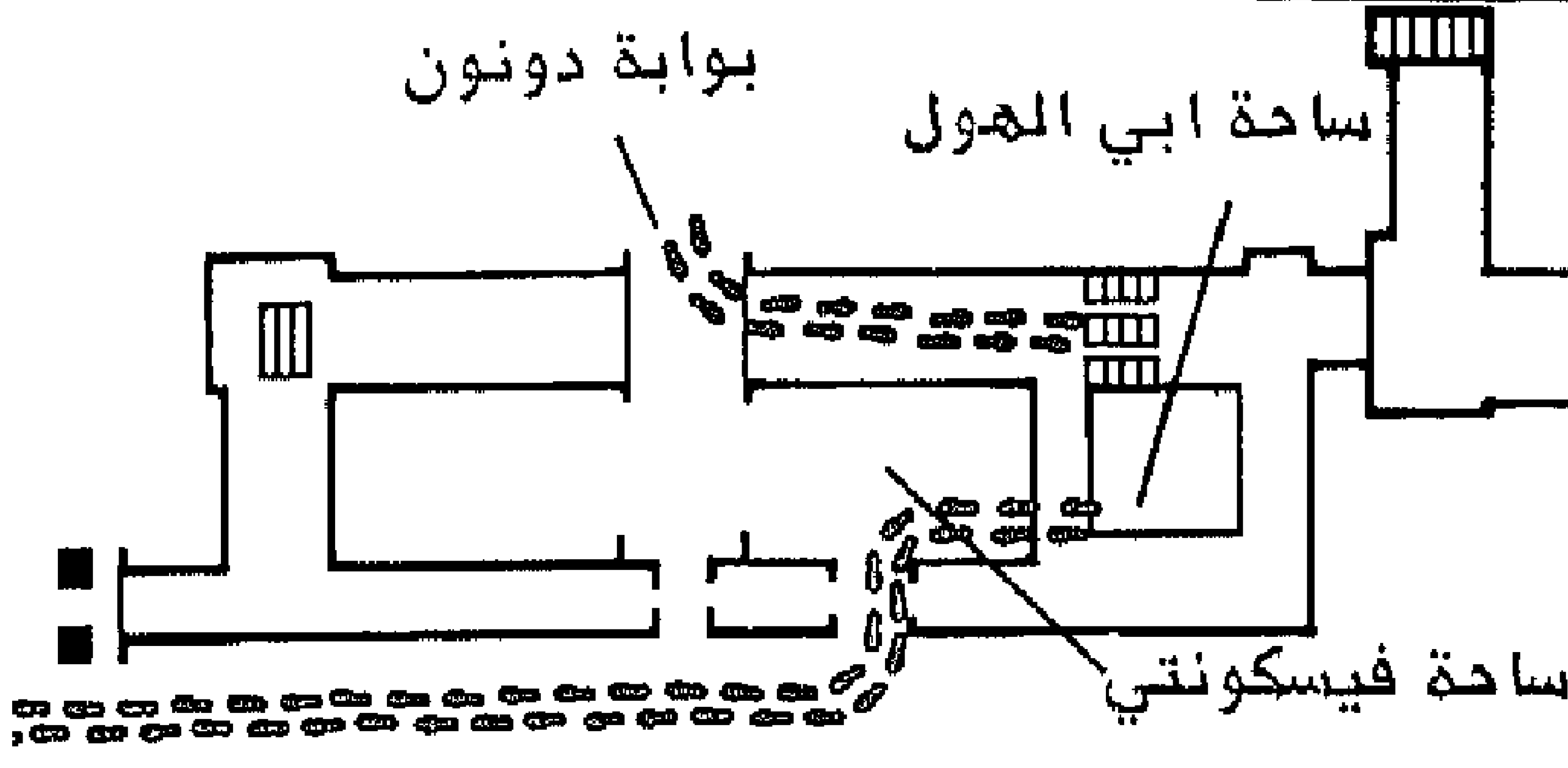
إخراج الموناليزا

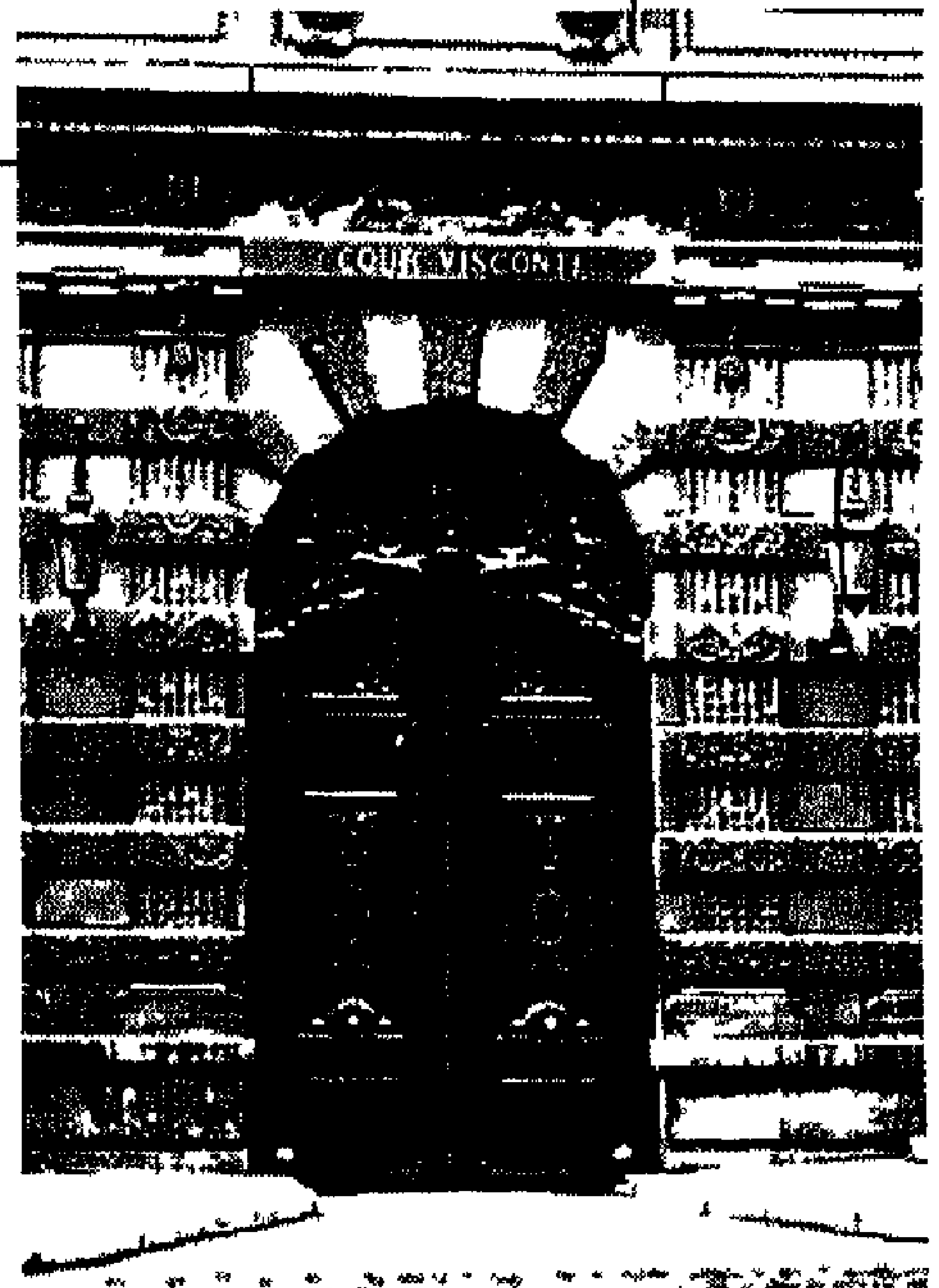
أيام الاثنين تدب الحياة في اللوفر باكراً جداً، إذ تفتح الابواب في السادسة والنصف صباحاً ليدخل موظفو الصيانة الذين يعملون في إشراف جورج بيكيه.

وفي غرفة الايداع الضيقة فتح كل من المغامرين الثلاثة صرّته وسحب منها سترة فوقية حتى مستوى الركبتين وارتداها ليبدو كالعمال في بزاتهم البيض.

وفي السابعة والدقيقة الخامسة

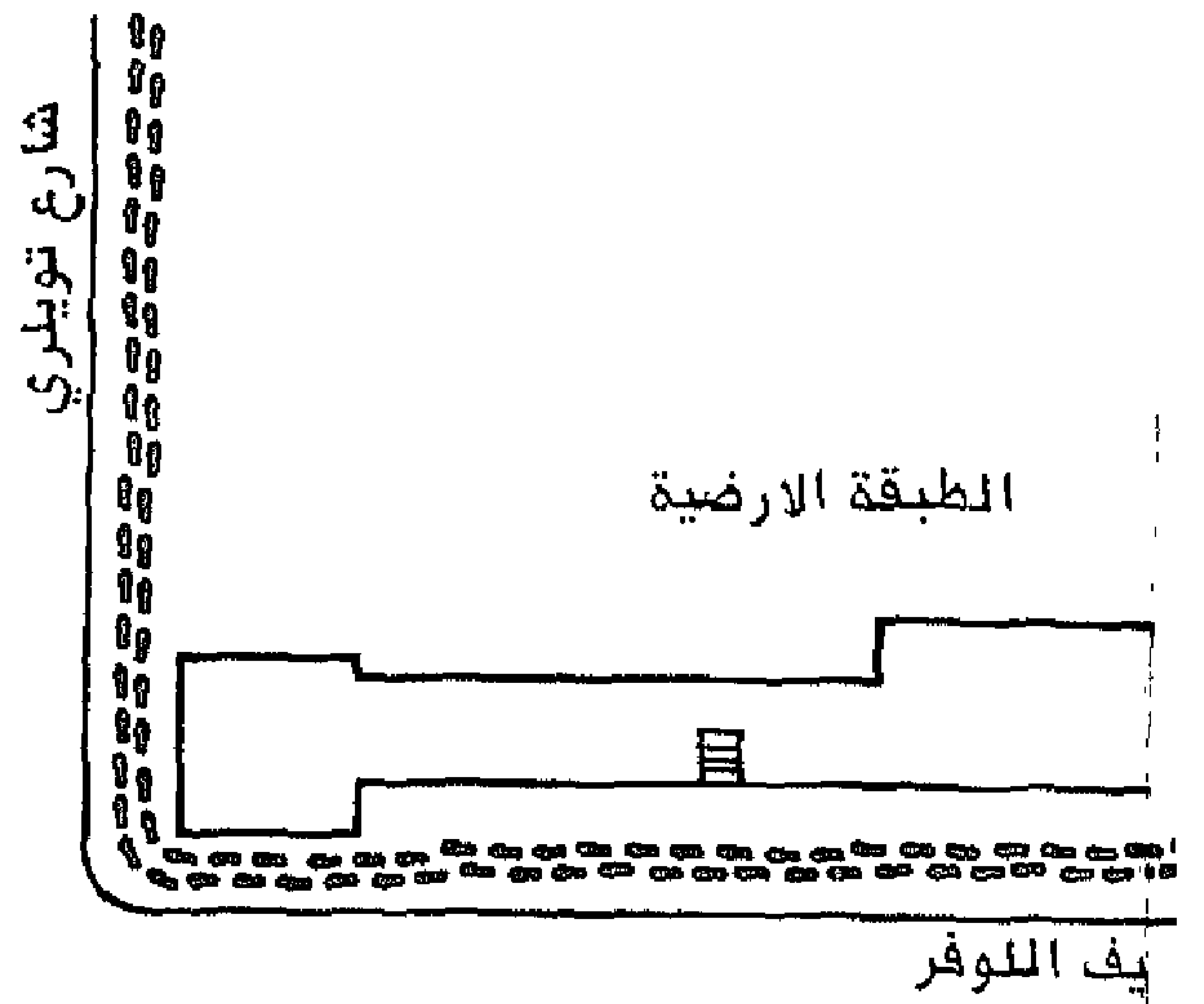






خرج الثلاثة الى صالة دوشاتل الخالية· وكانت على الجدار مكنسة ذات مقبض طويل، أخذها فينسنزو لانسيلوتي وشرع ينظف الارض بحماسة· وتناول أخوه ميشال خرقة من جيبه وتظاهر بأنه يمسح الغبار عن أُطر اللوحات والاثاث· وتوجه بيروغيا نجو البهو المربّع ثم عاد سريعاً إذ رأى جورج بيكيه مع فريق من الموظفين الجدد أمام الموناليزا· وتسلم ميشال وظيفته كمراقب عند الباب الاقصى·

وبعد دقائق ثلاث خلا ذلك الجدار



في الصالة المربعة من أشرف اللوحات التي يتباهى بها اللوفر والامة الفرنسية.

وفي صالة العرض الكبرى المجاورة، راح اثنا عشر رجلا على الاقل يعملون على تركيب لوح زجاجي جديد مكان آخر مكسور في إحدى النوافذ. وكان عليهم إزاحة بعض اللوحات كيما يتمكن العمال من مباشرة مهمتهم. ولم يتنبه أحد للعمال الثلاثة في ستراتهم البيضاء وهم يحملون الجوكوندا بهدوء من أحد أبواب تلك الصالة. وقد جرت العادة أن تُنقل بعض اللوحات أيام الاثنين من مكان الى آخر ليعمل عليها المصورون والمرممون وأمناء المتحف.

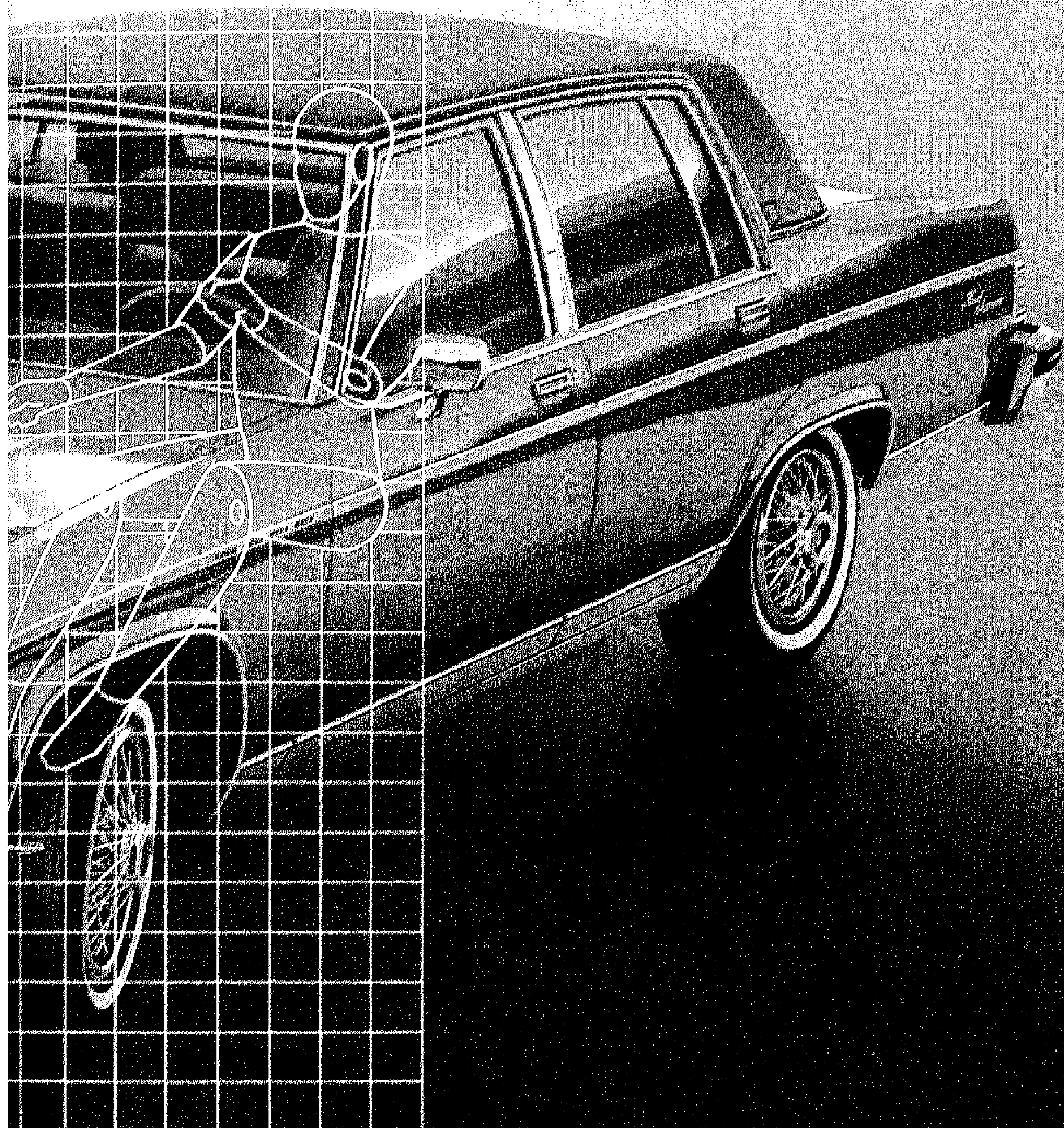
وبعد إنزال الجوكوندا من جلالها في الصالة المربعة، حملها اللصوص كما هي عبر الصالة الكبرى وصالة "المعلمين السبعة"، ثم عبروا بها فتحة تؤدي الى سلم الخدمة ذات النور الضئيل.

والموناليزا رسمت على لوحة ملساء من خشب الحور كما شاع بين رسامي النهضة الايطاليين. وإذ وجد بيروغيا نفسه في مأمن وراء الباب في أعلى السلم، نزع الاطار الثقيل عن اللوحة ووضعه، مع زجاجها الكثيف، في زاوية هناك، ثم تأبط اللوحة الثمينة ونزل عن السلم وفي أثره الاخوان لانسيلوتي.

وما أن صارت الجماعة تحت حتى دّق ناقوس الخطر. فقد أُقفلت جميع أبواب الطبقة الارضية المؤدية الى الخارج لأسباب أمنية. وكان السينيوري زوّد بيروغيا بمفتاح لتلك الغاية. غير أنه نسي أن يجرّب المفتاح قبل حين. ولما وضعه في القفل لم يستطع تحريكه. وكانت كل ثانية تمرّ تضاعف الخطر، فضلا عن استحالة عودة الثلاثة من حيث أتوا واللوحة معهم.

ولبضع دقائق تبين أن خطة السينيوري المحكمة ستؤول الى إخفاق في أسفل تلك السلم. وطلب بيروغيا من رفيقيه ان يصعدا الى فوق لمراقبة الوضع فيما اقتلع مقبض الباب ووضعه في أحد جيوب سترته. وظهر ميشال والهلع على وجهه. وقال

بويك پارك أڤين



نيو. الراحة فيها في متناول اليد.

تتوفر يارك أڤينيو، التي تتصدّر مجموعة سيّارات بويك، أقصى درجات الرحابة بالاضافة الى الراحة والتجهيزات المتكاملة. والراحة التي توفرها هي نتيجة اعتماد التكنولوجيا المتطوّرة.

وأفضل مثال على هذه التكنولوجيا هو جهاز تكييف الهواء الالكتروني اللمسي حيث اعتمد الكومبيوتر لتصميم اكثر أجهزة التكييف تطورًا في العالم.

لقد صُمّم هذا الجهاز ليغني عن المفاتيح والأذرعة التقليدية. إذ إن نظام التحكّم مطبوع على لوحة ناعمة. ولتشغيل الجهاز ما عليك سوى لمس لوحة الوظيفة المطلوبة حيث يقوم جهاز الكتروني بتولّي عمليّة تعديل الجو.

ندعوك لزيارة الوكيل المعتمد لسيّارات جنرال موتورز الأمريكية. تفضّل إلى داخل بويك يارك أقيتيو ١٩٨٤ وتلمّس الراحة الحقيقية.



تلمّس الفارق
لدى جنرال موتورز

CHEVROLET • PONTIAC • OLDSMOBILE • BUICK • CADILLAC • GMC

بصوت خفيض: "انتبه، ثمة وقع خطى في اتجاهنا."

وعند حسن ظن الماركيز بد، أخفى بيروغيا الموناليزا تحت سترة الخدمة البيضاء وثبتها في مكانها بمعصمه وأدار تلك الجهة لئلا يلاحظها القادم الجديد وهو ينحدر عن السلم حاملا عدّته.

وكان ذلك الرجل سوفيه السمكري. وللحال تلبس بيروغيا دور المبادر وصرخ: "ثمة مغفل سرق مقبض هذا الباب... ترى كيف نخرج من هنا؟ أنزحف تحت العتبة؟"

وهدأ سوفيه روعه قائلا: "لا عليك يا أخي." وأخرج مفتاحاً من جيبه فتح به الباب وقال: "اخرجوا من هنا، ولكن اتركوا هذا الباب مفتوحاً لئلا يزعج إقفاله سواكم."

وخرج الاخوان وراء بيروغيا الذي ما زال يحس ألماً في ذراعه لاحتضانه الكنز. لكنه مشى متشامخاً حتى غدا ورفيقيه في ساحة داخلية صغيرة معروفة باسم "ساحة أبي الهول." وبحسب الخطة، عبروا مبنى ملاصقاً أفضى بهم الى ساحة فيسكونتي. وعند الجانب الجنوبي من تلك الساحة المربعة ردهة ذات باب مفتوح على الشارع. ووجد بيروغيا نفسه، والكنز تحت سترته، على بعد أمتار قليلة من الحرية. لكنه خاف إذ رأى حارساً يسدّ المدخل.

ومرّة اخرى ابتسم الحظ للرجال الثلاثة. فالحارس المولج بذلك الباب كان غائباً. ووقف الحارس البديل ينظف الباب بخرقة. وحمل دلوه وسار الهوينا نحو غرفة الخدمة ليأتي بالماء النقي. وأبقى باب الردهة مفتوحاً. وخلع الثلاثة سترهم البيضاء. ولف بيروغيا اللوحة المسروقة بسترته ووضعها تحت قبعة القش التي تدلت من خصره. ولم تكن الساعة بلغت الثامنة حين وجد اللصوص أنفسهم في شمس الشارع الصباحية الرائعة.

وساروا بنشاط وخفة واستداروا يميناً الى رصيف اللوفر. وأحس بيروغيا ثقل المقبض في جيبه. ومن غير تفكير في الامر، أخرجه ورماه في حفرة. وصادف أن شاهد موظف حانوت تلك العملية التي لم تَعن له شيئاً.

وعند منعطف في شارع تويلري، المعروف اليوم باسم جادة الجنرال لومونييه، وقفت سيارة تنتظر وقد رشي سائقها ليبقي فمه مطبقاً بعد أخذه ثلاثة ركاب من هناك. وتبادل الثلاثة الابتسام فيما هم يركبون السيارة. وراود بيروغيا شعور بالظفر وهو يجلس وفي حضنه الرزمة البيضاء المستطيلة. ونظر الى ساعته، فوجد أن سرقة الموناليزا استغرقت ساعة كاملة بعد خروجه ورفيقيه من معتصمهم في غرفة الايداع.

العصابة

كان المقصد الاول لأفراد العصابة بعد السرقة غرفة عشيقة فينسنزو لانسيلوتي الواقعة في أعلى إحدى بنايات شارع مستشفى سان لوي في دائرة باريس العاشرة. وكانت فرنسواز سيغنو، صاحبة الغرفة، في نحو الاربعين، وهي تنتمي الى جيش

نسائي جرار يمتهن خدمة المنازل. وكانت حجرتها البالية المجهولة تلائم أهداف فالفييرنو. وترك بيروغيا اللوحة هناك وهرع الى عمله مع متعهد دهان في شارع موبوج. وإذ بلغ عمله بعيد التاسعة ذلك الصباح، عوضاً عن السابعة، اعتذر بحجة النوم طويلا. وقبلت حجته من غير تفكير. والشائع بين الموظفين أن يتأخروا قليلا عن أعمالهم صباح الاثنين.

وبعد العمل أسرع بيروغيا الى شارع مستشفى سان لوي. وما لبث الماركيز نفسه أن وصل بناء على موعد. وراح يتفحص بسمة الموناليزا الاسطورية بغبطة ويصغي الى بيروغيا وهو يقص عليه أحداث ذلك الصباح. ولفّ فينسنزو لانسيلوتي اللوحة بقطعة مخملية حمراء اشترتها عشيقته. وسحب فالفييرنو مبلغاً نقدياً كبيراً دفعه لعملائه، من غير أن ينسى السيدة سيغنو التي أبقت عينيها مفتوحتين على كل شيء. واستحلفهم جميعاً ألا يقرّوا بكلمة. ثم خرج مع بيروغيا في نزهة تخللها حديث خطير. فقد قال له السينيوري أن يتوقع زيارة من الشرطة بما أنه خدم في اللوفر سابقاً. ونبهه الى أن تلك الزيارة لا تشكل اتهاماً، طالباً منه ان يستقبل رجال الشرطة ويجيب عن أسئلتهم بترحيب. وحذره من نقل اللوحة الى غرفته في شارع مستشفى سان لوي قبل أن يتركه المحققون وشأنه. واقترح عليه السينيوري أن يخبئها في مكان أمين، ربما خلف جدار سري في الخزانة. وأضاف: "سأسافر لمدّة قصيرة، لكني لن أقطع أخباري عنك... احفظ الجوكوندا بعناية وانتظر تعليماتي. وفي هذه الاثناء اذهب الى عملك بكلّ هدوء كالمعتاد."

وحرص الماركيز على تذكير بيروغيا بمآزقه السابقة مع القانون. وحذره من الوقوع في أي خطأ هذه المرّة، بالقول أو بالعمل. ثم افترق الرجلان.

وفي طريقه الى فندقه توقف الماركيز في مكتب تلغرافي لارسال برقيات الى بعض الاشخاص في مدينة نيويورك. وفي الفندق حجز مكاناً لرحلته على متن باخرة متوجهة الى الولايات المتحدة. وبعد ذلك دخل شقته وجلس يتصفح عدداً من صحف العصر.

ولم يجد في أي منها ذكراً لاختفاء أعظم عمل فني تملكه فرنسا. ورمى فالفييرنو الصحف جانباً بانزعاج وهو يفكر في تفسيرين ممكنين: إما أن تكون السرقة غير مكتَشَفة بعد، وهو أمر يفوق التصديق لكنه ليس مستحيلا، وإما أن تكون إدارة اللوفر سترتها عمداً.

والتكتم حول الامر لم يكن في مصلحة فالفييرنو. فهو كان يحتاج الى إسقاط النبأ كمفاجأة مذهلة من أجل المضي في مخططه. ذلك أنه من الضروري أن يعرف العالم خبر سرقة رائعة ليوناردو من اللوفر في وضح النهار.

وفي مكان آخر شديد القذارة من العاصمة الفرنسية، تمدد فينسنزو بيروغيا فوق سريره الصارّ وراح ينقر أوتار آلة الماندولين التي يملكها.

وأعانته الموسيقى على تركيز أفكاره.

ترى لماذا ترك السينيوري اللوحة النادرة في حوزة فينسنزو لانسيلوتي بدلا من أن يأخذها معه؟ لقد كان بيروغيا متأكداً من أن معلمه سيحمل اللوحة ويبيعها في صفقة سرية. والحق أن كل شيء تمّ كما شاء المعلم. وما على بيروغيا الآن سوى الانتظار. غير أن قلقه لن يزول قبل أن يضع الجوكوندا في غرفته.

وكان بيروغيا أخبر صديقاً في ايطاليا قبيل مجيئه الى فرنسا: "اني ذاهب على القدمين، وسوف أعود في سيارة." وخيل إليه الآن أنه يقود سيارة "ديملر" كبيرة في شارع دومنزا الرئيسي وينقر بوقها النحاسي المثبت الى جانب كرسي السائق. وفكر في والديه وشقيقته وأشقائه الثلاثة، وكيف ستجحظ أعينهم لتلك النعمة.

لكن المهم الآن أن يكون المرء عملياً. ولئن يكن من العسير فهم السينيوري على حقيقته، إلا أنه أبدى كرماً واسعاً تجاهه. ولا شك في انه رجُل أفكار ومبادىء، وانه موضع ثقة. لذلك قرّ رأي بيروغيا على أن يتصرف كالمعتاد ويترك الباقي لمعلمه.

خطة فالفييرنو

في نهاية ١٩١٠ كان فالفييرنو قصد اللوفر برفقة صديقه شودرون لفحص الموناليزا.

وسأله الماركيز: "أفي إمكانك أن تصنع نسخة طبق الاصل عنها؟"

وبعد فحص دقيق، أجاب شودرون: "المشكلة الرئيسية هي في خطوط ليوناردو الناعمة وإتقانه تدرّج الألوان. لذلك كان التقليد عسيراً جداً، لكنه غير مستحيل."

وأمسك فالفييرنو ذراع الفنان الناحلة وقال: "دعنا ندرس الامر في مكان آخر."

وفي زاوية قصية في مقهى "لا فاشيت" أفضى الماركيز بخطته الذكية.

في الايام الماضيات في أمريكا الجنوبية، لجأ الماركيز مراراً الى بيع لوحات من أعمال موريلو وسواه وهي معلقة على جدران المتاحف بالتفاهم مع الزبون على إرسال اللوحة إليه في أقرب وقت بعد إجراء الصفقة. وبرهنت تلك الطريقة عن جدواها، نظراً الى ان ضحاياها كانت اشخاصاً لا تحتمل عودتهم في زيارة ثانية الى البلاد. وكان فالفييرنو يستدعي الزبون الى المتحف ويريه اللوحة التي يودّ شراءها. وعبر رشوة الحرّاس، كان يزيح جانباً من الاطار ويدعو الزبون الى توقيع اسمه أو رسم إشارة خاصة على ظهر اللوحة ليتمكن من التعرف عليها لاحقاً، ويكون ذلك برهاناً على ان الماركيز انجز مهمته. لكن حقيقة الامر أن إشارة الزبون كانت ترتسم على نسخة ممتازة من صنع شودرون وضعت وراء اللوحة الاصلية. وكانت النسخة تُرسَل الى الزبون لاحقاً على أنها اللوحة الاصلية المدموغة بطابعه.

ومع اللوحة، كان الماركيز يرسل الى ضحيته قصاصات صحف أمريكية

جنوبية مزوّرة تقول ان أحد أعمال موريلو أو سواه سُرق من هذا المتحف أو ذاك. وإذا حدث أن عاد زبون الى المدينة ووجد التحفة الاصلية حيث كانت على جدار المتحف، قيل له ان تلك نسخة اضطرت ادارة المتحف الى تعليقها لايهام الزوّار باستعادة ما سُرق.

وكان الماركيز يطمئن زبونه القديم بقوله: "اللوحة التي تراها معلقة هي تقليد رائع يحاكي الاصل. لكنك، يا سيدي العزيز، صاحب الاصل الآن." وكان يقول ذلك بطريقة تقنع الزبون.

واقترح فالفييرنو على شودرون اللجوء الى ما يشبه الخطة القديمة في شأن الموناليزا، على أن تباع مراراً وليس مرّة واحدة.

وحدّق إليه شودرون وهو لا يصدق ما سمعته أذناه، وقال: "ماذا يا ماركيز؟ أتظن أن باريس مثل أمريكا الجنوبية؟ أوَنَسيت أن الموناليزا أشهر لوحة في العالم كله، وان مئات الناس يقصدون اللوفر يومياً لا لشيء سوى الوقوف أمامها؟ وهم يرونها قبالتهم على الجدار في البهو المربع... إن سرقة الموناليزا مستحيلة، والناس لا يصدقون حصولها."

وهزّ فالفييرنو رأسه وقال: "كلامك صحيح. ولهذا السبب بالذات لن نتظاهر بأننا سرقنا الموناليزا. ولسوف نعمد، يا عزيزي شودرون، الى طريقة اخرى، فلا نلصق نسخاً وراء الاصل ولا نجهز قصاصات مزيفة. إننا سنسعى الى عناوين صحافية واقعية ومقالات مثيرة تقنع زبائننا. ولكن علينا أولا أن ننجز لكل زبون نسخة تضاهي الاصل."

واستهل شودرون عمله سريعاً. وكان عليه بادىء الامر أن يذهب الى اللوفر وينجز نسخة طبق الاصل عن الموناليزا. وراح يتفحص اللوحة بعدسة مكبرة كيما يتسنى له تقليد الالوان. وأنجز المهمة في أيام قلائل.

وبعد إنهائه الرسم المصغر الذي ينسجم وقوانين المتحف، تعين عليه أن يجد ألواحاً خشبية قديمة لنقل الرسم الى كل منها. وأتى فالفييرنو بسرير ايطالي قديم قُطعت أخشابه ألواحاً مستطيلة بالقياس المناسب، وهو ٧٧ سنتيمتراً طولا و٥٣ سنتيمتراً عرضاً.

ولنقل الموناليزا من الورق الى الخشب، استخدم شودرون آلة ضوئية تعكس الرسم وتكبره. وراجع الوثائق المحفوظة في مكتبات باريس حول الطرائق التي اعتمدها اساتذة الرسم القدامى. وقد اعتاد فنانو عصر النهضة الكبار، أمثال ليوناردو ورفاييل وتيتيان، طلي اللوحة بطبقات من الاصباغ وإضافة طلاء أملس صقيل لأضفاء انطباع عمقي متعدد الابعاد مكان الرسم التقليدي المستوي. وقد لجأ كبار فناني النهضة الى عشرات الاصباغ واللاوان التي لم يستطع شودرون مجاراتهم فيها. إلا أنه حاول تقليدهم ما أمكنه. وكان يتقيد بألوان السالفين ما استطاع وينبذ ما شاع بعدهم. وفي حين أخطأ سواه من المقلدين في بعض التفاصيل، ومنها استخدامهم

المسامير المصنوعة آليا، تجنب شودرون تلك الاخطاء في نقله الموناليزا الى الواح الخشب القديمة.

وما أن فرغ من الرسم حتى واجهته مشكلة اخرى، وهي إضفاء انطباع القِدم على لوحاته، وذلك عبر تشقيقها ليظهر مرور أربعة قرون من الزمن عليها. ولتلك الغاية أضاف طبقتين من الطلاء، أدناهما بطيئة الجفاف وأعلاهما سريعتُه. وبوضعه كلا من اللوحات تحت مروحة، حصل على النتيجة التي اراد. وبعد ذلك كله رشّ نثاراً من غبار الغرافيت الرصاصي هنا وهناك.

واليوم يعتمد الخبراء وسائل عدّة لكشف هذا النوع من التزوير. لكن الطريقة الوحيدة في مطلع القرن كانت أحكام الخبراء الذوقية والعودة الى سجلات التاريخ.

وهكذا صنع شودرون ستّ لوحات مزيّفة للموناليزا. وفي يونيو (حزيران) ١٩١١ كان فالفييرنو نقلها كلها الى نيويورك وأودعها مكاناً أميناً. وكان الاثرياء عبر الاطلسي اعتادوا ابتياع نسَخ مصغرة من لوحات رمبراندت وروبنز وفرمير وكورو ورفاييل وسواهم. لذلك لم يكن اجتياز نسَخ الموناليزا حدود الولايات المتحدة بالامر المستهجن.

ومن أجل تأمين زبائن أثرياء، عمل فالفييرنو مع خبيرين محنكين لم يعرفْ أحد هويتهما الصحيحة على الاطلاق. وتعاون الثلاثة للعثور على زبائن في أمريكا يهمهم اقتناء أشهر لوحة في العالم إذا أمكن تهريبها الى بلدهم بطريقة ما. وبعد أسابيع من النشاط المكثّف عثروا على ستة شارين ظنّ كل منهم أنه الشاري الوحيد.

وحان موعد الفصل الاخير من المخطط، ألا وهو انتشار خبر سرقة الموناليزا. وإذا نجحت هذه السرقة، فهي ستزود فالفييرنو بالمفاجأة المذهلة التي يسعى إليها. وإذا أخفقت، فستبقى في حوزته ست نسخ ممتازة عن الموناليزا، تبلغ قيمة الواحدة منها مئات الدولارات.

نجاح الخطة

حين اكتشف الرسام لوي بيرو وحارس اللوفر بوباردان غياب الموناليزا عن جدار الصالة المربعة، كان قد انقضى نحو ٢٧ ساعة على اختفائها. وكانت الساعة الحادية عشرة من صباح الثلثاء ٢٢ اغسطس (آب) عندما راجع بوباردان مشغل التصوير ونبه رئيس العمال، جورج بيكيه، الى الامر. وللحال تم الاتصال بمدير شرطة باريس لوي ليبين الذي تولى بدوره إعلام مديرية الامن الوطني ووزير الداخلية بالامر قبل أن يسرع الى اللوفر ليبدأ التحقيق بنفسه.

وفي الثالثة عصراً أصدر ليبين أمراً الى رجاله وحراس المتحف باخلاء الغرف وإقفال جميع المخارج لمباشرة العمل. وأخرج الزوار من اللوفر بذريعة انفجار انبوب ماء ينبغي اصلاحه حالا.

وانضم عدد كبير من الصحافيين الى الحشود المنتظرة بدهشة في الخارج. وبقوا هناك طوال الساعات

التي أمضاها فريق الشرطة والحَرس مفتشاً الاروقة والسلالم والخزائن والمستودعات والغرف. ولم يعثر هؤلاء إلا على الاطار ولوح الزجاج اللذين ألقاهما بيروغيا في أعلى سلم الخدمة. وفي الرابعة عصراً أفضى مدير اللوفر المساعد الى الصحافيين بالنبأ المثير: "لقد اختفت الجوكوندا." ولم يكن لدى التحقيق أقل فكرة حول هوية الفاعل.

وفي صباح اليوم التالي، وهو الاربعاء الواقع فيه الثالث والعشرون من اغسطس (آب)، سقطت القنبلة التي كان ينتظرها فالفييرنو على باريس والعالم. وحملت الصحف العنوان الآتي: "من يصدّق؟ لقد اختفت الجوكوندا من اللوفر!" وسرعان ما غدا هذا الحدث حديث الباريسيين في المقاهي والمطاعم والمحلات والحدائق العمومية. وأبرزت صحف اوروبا وأمريكا تلك الفضيحة على صفحاتها الاولى. ومما قالته صحيفة "نيويورك تايمس" تحت عنوان "الجوكوندا تُسرَق في باريس":

"مهما بدا ذلك الامر مستحيلا، فان رائعة ليوناردو دافينشي، الموناليزا، سُرقت أمس من اللوفر، حيث كانت، طوال السنوات الخمس الاخيرة، معلقة في الصالة المربعة الشهيرة."

وهذا جلّ ما تمناه فالفييرنو. لقد أُزيحت الملكة عن الجدار، وحان الوقت لانهاء اللعبة عبر بيع لوحات شودرون الست على أن كلا منها هي الموناليزا الحقيقية. ولكن يجب أن تنقضي أسابيع أولا ليقتنع كل زبون بأن التحفة "هُربت" من فرنسا. وربما تمكنت الشرطة الفرنسية في تلك الاثناء من اكتشاف أمر بيروغيا واعتقاله، الامر الذي يعني إخفاق المخطط. وقال الماركيز لشريكه شودرون: "ينبغي، في الاسابيع القليلة المقبلة، أن نضع ثقتنا بعدم جدارة الشرطة الفرنسية."

وفيما هزّت الصدمة فرنسا من أقصاها الى أقصاها، أوكلت السلطات الفرنسية الى القانوني اللامع هنري دريو إجراء تحقيق رسمي في الامر. وعُززت الحراسة على حدود البلاد. وكان رجال الشرطة يفتشون حقائب جميع المسافرين في القطارات والسفن. وما لبث أن قام أناس في المانيا وبلجيكا وانكلترا والولايات المتحدة ادّعوا أنهم رأوا الموناليزا المسروقة.

وحصل التحقيق على بصمات جميع موظفي المتحف. واستجوب العشرات منهم، وبينهم بوباردان وبيكيه والسمكري سوفيه. كما أدلى عامل الحانوت الذي شاهد بيروغيا يرمي مقبض الباب في الخندق بشهادته. ولدى تفتيش ذلك المكان عُثر فعلا على المقبض وما لبث المحققون أن استنتجوا، من المعلومات التي تكونت لديهم، ساعة حصول السرقة والطريق التي اجتازها اللصوص. وأصدرت مديرية الشرطة نداء الى سكان باريس يدعو كل من رأى رجلا في جوار اللوفر نحو السابعة والنصف من صباح الاثنين الى الشهادة. وجاء في النداء أن الرجل متوسط القامة، قويّ البنية، يراوح عمره بين الاربعين

والخمسين، وانه كان يرتدي بذلة سوداء وقبعة قش ويحمل رزمة على هيئة لوح خشب.

لكن بيروغيا كان أصغر سناً، وإن انطبقت عليه بقية الصفات، علماً أنها تنطبق، في الوقت نفسه، على نصف رجال باريس في ذلك العصر.

وكان لدى كل معني بالامر نظرية حول الدوافع الى سرقة الموناليزا. فقد ظن بعضهم أن سارقها شاء جرّ الحكومة الى أمر ما. وقال آخرون ان اللص لن يلبث أن يعيد نسخة ممتازة عن اللوحة. وذهب رأي ثالث الى أن السارق صحافي شاء أن يخلق حَدثاً مثيراً. واستُدعي المنجمون للادلاء بآرائهم. وخصصت صحيفة "لو ماتان" الباريسية مكافأة بمقدار ٥٠٠٠ فرنك لأي منجم أو قارىء كفّ أو راء يمكنه اكتشاف مكان الموناليزا باللجوء الى علم الغيب. وانبرى السحَرة زرافات ووحداناً. ولكن سرعان ما تبين أن عملهم يعسر مهمات التحقيق أكثر مما يسهلها.

وفي آخر اغسطس (آب) أُعيد فتح اللوفر للزوار. وتدفق الآلف الى الصالة المربعة ليقفوا أمام الجدار الذي شرفته الموناليزا، وبينهم كثيرون لم يدخلوا المتحف قط حين كان يؤوي التحفة المختفية. ووضع أحد الزوار باقة ورد على الارض أمام الجدار. وجاء في مقال صحافي يثير الشكوك حول كفاية الشرطة "ان أحدهم سوف يسرق أبراج كاتدرائية نوتردام يوماً، من غير أن يعثر رجال الشرطة على أثر للسارق ولا للأبراج."

وكُتبت مقالات اخرى تلقي اللوم على نظام الحراسة في اللوفر. ولم يكن داخل المتحف أكثر من عشرة حراس يوم سرق بيروغيا ورفيقاه الكنز، وهو عدد ضئيل بالنسبة الى كنوز الفن التي يؤويها اللوفر.

ومما زاد الطين بلة أن المسؤولين داخل الشرطة كانوا على خلاف في ما بينهم. وكانت صلاحيات شرطة باريس تشمل المدينة وضواحيها، فيما كانت مديرية الامن الوطني تتولى الحفاظ على الامن ومكافحة الاجرام في بقية الاراضي الفرنسية. وكان التعاون ضعيفاً جداً بين المديريتين، واعتادت الواحدة أن تلقي تبعة الاخطاء الجسيمة على الاخرى، وأن تحجب عنها المعلومات والوثائق التي تملكها حول الاحداث وفا عليها.

ووسط ذلك كله استطاع عالم الجريمة الفرنسي المرموق الفونس بيرتييون الحصول على بصمة انطبعت على الزجاج الذي كان يقي التحفة المسروقة. ولا شك أنها من إصبع أحد أفراد العصابة. ولو عرف فالفييرنو أو بيروغيا بذلك الامر لانتابه قلق شديد، إذ أن بيروغيا سبق اعتقاله مرتين على يد شرطة باريس، وذلك في يونيو (حزيران) ١٩٠٨ بتهمة محاولة سرقة، وفي فبراير (شباط) ١٩٠٩ لحيازته خنجراً ممنوعاً. وكانت ملفات الشرطة تحوي مجموعة كاملة من بصماته.

إلا أن البصمات التي حُفظت في دائرة السيد بيرتييون في مديرية شرطة باريس، وهي تعود الى ٧٥٠ ألف مجرم (بينهم بيروغيا)،

اقتصرت على أصابع اليد اليمنى كما كان شائعاً آنذاك. ولكن تبين أن البصمة الوحيدة التي بقيت على زجاج اللوحة ملطخة، وبالتالي تستحيل مقارنتها بالبصمات التي في حوزة الشرطة.

ولأسباب لا يعرفها أحد لم يعنّ على بال أي من مسؤولي اللوفر استدعاء بيروغيا، الذي سبق أن عمل هناك، لأخذ بصماته من جديد. كما غاب اسمه عن السجل الذي أعدته مديرية الامن بأسماء أصحاب البصمات لتتم المقارنة بين بصماته والبصمة المنطبعة على الزجاج. ومن غرائب الامور أن مديرية الامن لم يكن لديها علم البتة بأن بيروغيا عمل مرّة في اللوفر. واكتفى شاهد العيان الحقيقي الوحيد، وهو سوفيه، بتقليب مئات الصور علّه يعثر بينها على شبه للرجل الغامض الذي صادفه في أسفل السلم. الا ان رسم بيروغيا لم يكن هناك.

والحق أن الحظ ابتسم لشركاء الجريمة كلهم منذ أن باشر فالفييرنو تنفيذ مخططه الذكي. ولكن كان لا بدّ من إلقاء اللوم على أحدهم. وما أن رفع القاضي دريو تقريره الى الحكومة في أواخر اغسطس (آب) حتى وقع الاختيار على كبير أمناء اللوفر لاعفائه من منصبه، فيما اكتُفي بلوم الحراس وسائر الموظفين، بمن فيهم بيكيه. الا أن تحفة فرنسا الاولى بقيت ضائعة.

قبل مغادرة فالفييرنو فرنسا عقد اجتماعاً أخيراً مع بيروغيا. وقال الماركيز مودّعاً: "كن حريصاً هذه الايام على كل شيء تقوله أو تفعله. وانتظر التعليمات الجديدة التي سأرسلها اليك قريباً."

شواغل بيروغيا

ولم يكن فينسنزو بيروغيا على علمٍ بالهدف الحقيقي للسرقة، ولا نوّر فالفييرنو ذهنَه في هذا الخصوص. لذلك افترض أن السينيوري سيبيع اللوحة المسروقة أو يعيدها الى الحكومة الفرنسية في مقابل تنازُل معيَّن. ومهما يكن الامر، فسيحصل جميع الاطراف قريباً على المزيد من المال.

ولم يسمع بيروغيا الطرقة على الباب التي أخبره السينيوري أن يتوقعها حتى أواخر نوفمبر (تشرين الثاني)، بعد مضيّ ثلاثة أشهر كاملة على السرقة. ولما فتح الباب ظهر مفتش من دائرة ليبين ومعه شرطي قالا إن لديهما أمراً باستجوابه وتفتيش شقته. ودعاهما الدهان الى الدخول وقدّم الى المفتش كرسياً مخلعاً. وجلس هذا يطرح عليه الاسئلة فيما الشرطي يتفحص المكان بدقة.

وعلى بساطته، كان ذلك الايطالي على شيء من الدهاء. كما كان ممثلا موهوباً، في إمكانه افتعال الحيوية والمرح متى شاء. وحين سُئل عن سبب تأخره عن العمل صبيحة السرقة، هزّ كتفه وقال: "لا أذكر إن كنتُ تأخرت ساعتين عن العمل صباح الاثنين (٢١ اغسطس (آب). غير أن هذا ممكن. وإذا حصل فعلا، فتفسيره أني نمتُ أكثر من المعتاد، كما يحصل أحياناً أيام الاثنين."

وكانت طريقته في الكلام صادقة وضحكته حارّة، الى حدّ أن المفتش برأه فوراً على رغم الحجة ضده، وهي عمله كزجاج ومعرفته بالمتحف والشبه بينه وبين "الرجل ذي قبعة القش" الذي وصفه نداء الشرطة الى سكان باريس.

وهكذا انتهى عذاب بيروغيا. وانتظر أياماً ثم حمل الموناليزا في ثوبها المخملي الانيق الى مخدعه الحقير. وبمعاونة فينسنزو لانسيلوتي، صنع صندوقاً صغيراً ذا قعر مخفيّ لايواء التحفة. ووضع فوقها بعض الادوات والملابس للتمويه. ثم أدخل الصندوق غرفة الخزن الصغيرة تحت النافذة. وأخيراً استرخى على مقعده وراح يفكر في السينيوري وما عساه يطلب إليه فعله قريباً.

وانتهت تلك السنة بطقس بارد وماطر. وفي ربيع ١٩١٢، بات معظم الباريسيين يسلم بأن الموناليزا ولت الى غير رجعة. وعمد المسؤولون في اللوفر الى تعليق لوحة مكانها من أعمال رفاييل، وهي تمثل بلداسار كاستيليوني أحد رجالات البلاط في عصر النهضة. وكان ذلك قراراً أليماً، معناه أن فرنسا لم تعد تنتظر عودة ابنتها الضالة.

أما فينسنزو بيروغيا، حارس الموناليزا الجديد، فقد انتظر بقلق وصول تعليمات السينيوري. لكنها لم تصل على الاطلاق.

وفي تلك الاثناء حمل فالفييرنو وشريكاه لوحات شودرون الرائعة وانطلقوا بها في أرجاء الولايات المتحدة لاشباع نَهم الزبائن. وتذكر الماركيز لاحقاً أن الاتصال بالزبائن تمّ على خير وجه. فكان الوسيط يعرض عليهم أولا الصحف بعناوينها التي تتكلم عن السرقة، ثمّ يلي ذلك لقاء سرّي يتمّ خلاله تسليم اللوحة الملفوفة بأقصى عناية. وما أن يفضّ الشاري غلاف التحفة حتى يقف مذهولا. وأخيراً يسحب من جيبه المبلغ المتفق عليه نقداً، فيحمله الوسيط ويخرج برباطة جأش. وكان كل زبون، بحسب قول فالفييرنو، "على يقين بأنه مالك الموناليزا الاصلية." ومن الطبيعي أن يخشى عرضها على خبير، لأن اقتناءه إياها يعني أنه بات شريكاً في جريمة سرقتها.

وادّعى فالفييرنو لاحقاً أنه شاء على الدوام إعادة الموناليزا الى اللوفر سراً. وهو لم يبح قط بالمبالغ التي تلقاها ثمناً لروائع شودرون. إلا أن مصادر مقرّبة منه قالت ان كل شار دفع مبلغ ٣٠٠ ألف دولار. وإذا صحّ هذا، فالمبلغ الاجمالي يكون مليوناً و٨٠٠ ألف دولار، أي ما يعادل ١٨ مليون دولار هذه الايام.

وعندما اجتمع فالفييرنو وشريكاه في نيويورك لاقتسام الاموال نال الماركيز حصة الاسد. وكان ايف شودرون أخذ حصته من فالفييرنو، إلا أن حوالة إضافية ضخمة حوّلت الى حسابه في فرنسا.

وبعد ذلك اختفى الماركيز مدة طويلة أمضاها في أفخم منتجعات افريقيا الشمالية والشرق الاوسط. وهناك تجاهل بيروغيا، ولم يفكر في

إرسال مبلغ من المال إليه ليحافظ على الصمت ويتمكن من ايفاء ديونه.

ومعظم تلك السنة، اعتصم بيروغيا بالأمل الذي زينه لنفسه حول عودة السينيوري الى باريس بجيوب منتفخة. غير أن أفكاره حول فالفييرنو بدأت تتبدل، وهو لا يصدّق كيف يستحيل رجل قوي الشخصية كاذباً من هذا العيار. واقتنع بيروغيا بأن سيده اختفى ومعه المال الذي بدّده على طاولات القمار والنساء.

وظل بيروغيا يتساءل حيناً عما إذا كان السينيوري مات. لكنه ما لبث أن أدار ظهره للامر، مقتنعاً بأنه هو نفسه بطل الموناليزا وانه، في أي حال، مالكها الحالي.

ها هو الدهان المنزلي البسيط، اذاً، يخلق حول نفسه هالة من العظمة وملحمة هو بطلها الاوحد. وفي تلك الرواية أبقى السينيوري وحتى الاخوين لانسيلوتي الامينين خارجاً. وصور لنفسه أنه بطل قومي عمد الى إخراج الموناليزا من اللوفر لاعادتها الى وطنها الأم، وطنه هو. ومع نهاية العام ١٩١٣، كان بيروغيا كوّن أفكاره الخاصة حول الموناليزا.

الى ايطاليا

يوم الاربعاء في العاشر من ديسمبر (كانون الاول) لفّ البرد مدينة فلورنسا الايطالية التي بدت خالية من سكانها. واختلط الثلج بسحب الدخان المتصاعدة من قطارات المحطة الرئيسية للسكك الحديد. وبين الوافدين باكراً من الشمال عامل مربوع القامة يرتدي معطفاً أسود ويحمل على كتفه صندوقاً خشبياً كان مطلياً باللون الابيض قبل ان يتسخ ويبلى.

وعبر بيروغيا بصندوقه الساحة وسار نحو فندق قديم في شارع بنزاني، اسمه "نزل طرابلس - ايطاليا". وفي ردهة الفندق القذرة دوّن اسم "السيد ليونارد" في قائمة النزلاء، وصعد الى غرفة حقيرة في الطبقة الثانية. وهناك خلع حذاءه وتمدد على السرير. ها هو، إذاً، مع المادونا في ايطاليا. وقرر ان يستريح قليلا ثم يزور السيد جيري.

وألفريدو جيري هذا رجل ممتلىء الجسم، مرح المعشر، وصاحب صالة الفن القديم والحديث في الرقم ١٢ من شارع بورجو اوغنيسانتي في فلورنسا، ومن أشهر تجار اللوحات الاثرية في المدينة. وكان هذا تسلم رسالة من باريس تحمل تاريخ ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني)، كتبت بخط رديء ومُهرت بتوقيع "ليونارد". وأسر كاتبها ان لوحة الموناليزا في حوزته، وأنه يرغب ان يعيد الى بلاده أحد الكنوز الكثيرة التي سرقت ايام نابوليون. وذكر الكاتب صندوقاً بريدياً باريسياً لمراسلته عليه.

وراود جيري شعور برمي الرسالة في سلة المهملات على أنها ادعاء جاهل. ذلك ان الموناليزا لم تسرق في المرحلة النابوليونية، بل باعها الفنان نفسه للملك فرنسيس الاول. ولكن بما ان اللوحة فقدت طوال السنتين الاخيرتين، أيعقل ان تكون حقاً بين يدي المدعو ليونارد؟

وعرض جيري الرسالة على صديقه

جيوفاني بوغي، مدير صالة اوفيتزي الشهيرة في فلورنسا، الذي نصحه بأن يتحرى كاتبها مهما تبين له من غروره وادعائه، وأن يبوح له برغبته في فحص اللوحة قبل اتخاذ أي قرار.

وبعد تبادل عدد من الرسائل والبرقيات، تلقى جيري برقية في ٩ ديسمبر (كانون الاول) تقول ان ليونارد في طريقه اليه.

وفي لقائه الاول مع الفريدو جيري مساء تلك الاربعاء راح بيروغيا يقصّ عليه رواية السرقة، ناسباً دور البطولة الى نفسه. واتفق الاثنان على مبلغ نصف مليون لير ثمناً للوحة، وضربا موعداً تالياً عصر اليوم اللاحق، على ان يقصد جيري الفندق بمعية "خبير فني" للكشف عن اللوحة.

وفي وقت باكر من عصر الخميس تسلق جيري وبوغي السلم المؤدية الى غرفة بيروغيا. وأغلق بيروغيا الباب ثم سحب الصندوق الابيض من تحت سريره. وفتحه وأخرج منه كومة من الملابس المتسخة الرديئة الرائحة والاحذية القديمة وفراشي الدهان وآلة ماندولين، وضعها كلها على الارض. ثم أزاح القعر الزائف وأخذ اللوحة التي ما زالت في غلافها المخملي الاحمر.

وبعد انتزاع الغلاف يتذكر جيري ما حدث: "وقفنا ننظر مشدوهين اذ لاحت لنا الجوكوندا الخالدة وقد حُفظت على أتمّ وجه. وحملناها نحو النافذة لمقارنتها بصورة فوتوغرافية أحضرناها لهذا الغرض. ولما فحصها بوغي لم يخالطه ايٌ شك في أنها الموناليزا الاصلية بالذات."

واذ وقف بيروغيا يتبسم برضا كما لو كان هو نفسه ليوناردو، طلب اليه بوغي أن يأخذ اللوحة الى مكتبه لاجراء فحوص أكثر دقة عليها. وأكد له ان الحظ سيبتسم له اذا تمّ كل شيء كما يرام. ووافق فينسنزو على الفور، ولفّ اللوحة من جديد. وأخذها الرجال الثلاثة بالحافلة الى صالة اوفيتزي.

هناك اخذ بوغي وجيري يدققان في اللوحة. وبدا ان تفاصيلها جميعاً تلائم ما كتب عنها، بما في ذلك الشقوق على الوجه واليدين وفي ناحيتها الخلفية. واذ ذاك زالت شكوكهما الاخيرة حول أصالتها... انها تحفة ليوناردو دا فينشي بالذات.

ومن أجل كسب الوقت، عمد البروفيسور بوغي الى اخبار بيروغيا انه ينبغي الحصول على "تعليمات روما" قبل المضيّ في الامر المتفق عليه. وطلب اليهما فينسنزو ان يسرعا في بتّ المسألة لانه يحتاج الى المال. وعبر الرجلان عن حسن نيتهما، وصافحاه بحرارة وشكراه على بادرته الوطنية القيمة. وودعهما فينسنزو وقفل عائداً الى نزل طرابلس - ايطاليا.

وما أن أدار ظهره حتى وجه بوغي وجيري برقية الى كورادو ريتشي المدير العام لوزارة الفنون الجميلة الايطالية، الذي أسرع من روما الى فلورنسا للاشراف على المسألة شخصياً. وفي اليوم التالي الواقع فيه ١٢ ديسمبر (كانون الاول) فحص ريتشي اللوحة وأقرّ بأصالتهما. وما

هي الا ساعات حتى اعتقل بيروغيا في فندقه بتهمة سرقة الموناليزا، ونقله رئيس شرطة فلورنسا واثنان من معاونيه بسرعة الى سجن موراتي المحلي، وحان وقت اعلان الخبر المثير: "لقد تم العثور على الجوكوندا". وأحدث الخبر الذي نشرته عناوين الصحف حول العالم صبيحة اليوم التالي ضجة كبرى. الا انه لم يصعق أحداً مثلما صعق الذواقين الستة عبر الاطلسي والماركيز الارجنتيني المحتال الذي كان يمضي اجازة في مراكش.

عودة الابن الضال

انهالت رسائل التهنئة على فلورنسا، وأعلنت الحكومة الايطالية أنها ستعيد التحفة المسروقة الى بلدها بالتبني "كعلامة للصداقة والتضامن بين الامتين". الا أنها استأذنت الحكومة الفرنسية لعرضها أولا في ايطاليا. ووافق الفرنسيون على ذلك الطلب، مع أسمى آيات الود والشكران.

وأعلن ان بيروغيا الايطالي الجنسية لن يسلم الى بلد اقامته، بل ستجري محاكمته في ايطاليا. ومرة اخرى وافقت السلطات الفرنسية. اما بيروغيا نفسه فجن جنونه لوضعه في السجن، وسرعان ما خرج عن صمته ليخبر الشرطة اسمه الاصلي وتفاصيل حياته في باريس. غير انه زور حقائق عدة عن السرقة ليبقى بطلها الاوحد بلا منازع.

وكان عطف الناس يزداد عليه، وشغفوا بذلك المواطن الريفي الساذج غير المثقف الذي حول فحول علماء الجريمة في اوروبا أغبياء. وتحت عنوان: "بيروغيا في سجن موراتي" نشرت صحيفة "ناسيوني" (الامة) كلمات فينسنزو الآتية: "لقد أديت خدمة جلى لايطاليا، اذ اعدت اليها كنزاً لا يقدر بثمن. وعوضاً عن شكري على ذلك، ها هم يضعونني في السجن."

أما في باريس فقد أسفر تفتيش الشرطة غرفة بيروغيا عن اخراج دفتر خاص ومفكرتين صغيرتين. واحتوت المفكرتان على اسماء بعض تجار الفن وجامعي اللوحات الاثرياء في ايطاليا وبريطانيا والولايات المتحدة، ولكن لم يكن من ذكر لفالفييرنو أو لأي من الآخرين الذين اشتركوا في السرقة. وكذبت تلك القائمة زعم بيروغيا انه لم يلجأ الى السرقة طلباً للمال، وبينت انه وجد فيها سبيلا الى الثراء. ومن غرائب الامور ان تلك المفكرة ما لبثت ان اختفت الى غير رجعة. فلا هي وجهت آنذاك الى المدعي العام في فلورنسا، ولا أثر لها اليوم في مركز الشرطة في باريس.

وبقيت الموناليزا معلقة بجلال ملكي اياماً في صالة اوفيتزي، تحميها مفرزة كبيرة من الشرطة الايطالية ورجال الامن. وعرضت بعد ذلك في روما وميلانو. وأينما وجدت، كانت الالوف المؤلفة من الناس تتبعها كي تلقي نظرة على أعظم كنز خرج من ايطاليا. وأخيراً، في ٣١ ديسمبر (كانون الاول) عبرت رائعة ليوناردو الحدود وسط ابتهاج

الفرنسيين العظيم. وفي احتفال مؤثر في الرابع من يناير (كانون الثاني) ١٩١٤ أعيدت الى الصالة المربعة في اللوفر، وذلك بعد مضي سنتين وأربعة أشهر و١٤ يوماً على سرقتها.

بيروغيا في المحكمة

في فلورنسا اخضع الدهان العاثر الحظ لسلسلة من الاستجوابات الصارمة. وفي لحظة ضعف انهار وباح بأسماء شركائه الثلاثة: الاخوين لانسيلوتي وفرنسواز سيغنو. وما لبث ان سحب اعترافه، مكتفياً بالقول ان فينسنزو لانسيلوتي ساعده في اخفاء اللوحة أياماً، ثم في صنع الصندوق، وان الاخوين رافقاه الى محطة القطار وهو في طريق عودته الى الوطن.

والواقع ان السلطات الفرنسية اعتقلت الاشخاص الثلاثة في باريس في ٢١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩١٣،

لغز الموناليزا... لغز الموناليزا... لغز الموناليزا... لغز الموناليزا

على رغم تجاوزها الـ٤٥٠ عاماً، فثمة أسئلة محيرة لا تزال تطرح حول الموناليزا. وربما لم تثر لوحة اخرى هذا المقدار من الجدل الذي أثارته الموناليزا منذ أول عهدها. ويقول المؤرخ الفني الامريكي روي ماكمولن: "اللوحة لا تحمل توقيعاً ولا تاريخاً. وليس هناك أي آثر لتكليف فنان معين برسمها أو وثائق حول مبلغ تقاضاه. كما لا نجد اشارة الى العمل في المراسلات الايطالية الكثيرة التي ترقى الى مطلع القرن السادس عشر."

ويعتقد معظم الخبراء ان ليوناردو دا فينشي بدأ رسم اللوحة عام ١٥٠٣، وانه أمضى سنوات طويلة لانجازها، الامر الذي يبين استحواذها عليه. ولكن من كانت المرأة التي يمثلها الرسم؟

أقدم اجابة عن هذا السؤال نجدها في سيرة ليوناردو التي كتبتها جورجيا فاساري عام ١٥٥٠، والتي جاء فيها ان "ليوناردو تعهد امام فرنشيسكو دل جيوكوندو برسم زوجته موناليزا." وعبارة "مونا" تلك الايام تصغير لعبارة "مادونا" التي تعني "سيدتي". وعائلة زوجها، جيوكوندو، تفسر لماذا أطلق الفرنسيون اسم "لاجوكوند" والايطاليون اسم "لا جيوكوندا" على اللوحة. وتضيف السيرة: "عمل ليوناردو على تلك اللوحة أربع سنوات، ثم تركها من غير أن ينهيها، وهي اليوم في فونتينبلو، في حوزة صاحب الجلالة فرنسيس ملك فرنسا."

ومن فونتينبلو وجدت اللوحة طريقها الى متحف اللوفر في باريس. الا ان رواية فاساري تحوي عقبتين خفيتين. فعندما باشر ليوناردو رسم اللوحة، كانت ليزا دل جيوكوندو في الرابعة والعشرين. لكنّ العديد من المراقبين يجد ان لوحة اللوفر تظهر امرأة في اواخر الثلاثينات او مطلع الاربعينات من عمرها. أضف الى ذلك ان لوحة اللوفر مكتملة حتى في اصغر تفاصيلها، في حين ان رواية فاساري تتكلم عن لوحة غير كاملة.

وهكذا أثير الشك حول فرادة لوحة اللوفر منذ البداية. وثمة نظريات اخرى

ووجهت اليهم تهمة "الاشتراك في جريمة سرقة بتسلمهم عملا فنياً مسروقاً من متحف رسمي". الا ان أحداً منهم لم تجر محاكمته، لان الدليل الوحيد ضدهم هو شهادة بيروغيا الموجود في ايطاليا على بعد ١١٤٠ كيلومتراً ، والذي بدت اعترافاته مثقلة بالاخطاء على نحو مطرد. يضاف الى ذلك ان فتح محاكمة، في هذا الخصوص من شأنه اربـاك السلطات الفرنسية وفضح ضعفها الذي سهل حصول السرقة. فلماذا تفتح الجروح القديمة وقد أعيدت الجوكوندا الى مكانها في اللوفر وسط حراسة عززت كثيراً.

وفي تلك الاثناء كان بيروغيا قد غدا بطلا قومياً. وحملت زوايا القراء في الصحف مئات الرسائل التي اعلن كتابها عطفهم عليه. وراقه ذلك بادىء الامر، لكن القلق أخذ طريقه

حولها، تقول احداها ان ليوناردو ربما أنجز لوحتين او ثلاثاً أو أكثر للسيدة ليزا، وتقول اخرى انه ربما أنجز رسمين لامرأتين متشابهتين، وثالثة ان الموناليزا ليست رسماً لامرأة واحدة، بل لمجموعة نساء نبيلات اعجب بهنّ الفنان وأعاد تكوين ملامحهن في عين مخيلته، ورابعة انها تمثل امرأة اشتهرت في بلاط نابولي، وانها كانت حبلى لدى رسمها.

ومهما يكن الامر، فان رسم ليزا دلجيوكوندو وجد ضمن المجموعة الفنية للملك فرنسيس الاول، وارتحل من مكان الى آخر، بما في ذلك غرفة نوم الامبراطور نابوليون في قصر تويلري عام ١٨٠٠، في طريقه البطيء الى متحف اللوفر.

ويقول جوزف فيتش كاتب مقال الموناليزا في الموسوعة البريطانية: "هناك اثنتا عشرة لوحة على الاقل تمثل بامتياز عمل ليوناردو دا فينشي المعروف بالـ"موناليزا". والكثير من هذه اللوحات أنجزها تلاميذ ليوناردو. وقد ادعى بعض مالكيها، في وقت او آخر، انه صاحب العمل الاصلي".

وفي العام ١٩٥٥ نظم المفوّض الفرنسي غي اينار، وهو اكبر مرجع قانوني في فرنسا حول الرسوم المنحولة، معرضاً دولياً في باريس تحت شعار: "الزائف في الفن وفي التاريخ". وحصل معاونوه على اثنتي عشرة نسخة ممتازة للموناليزا.

وليس سهلا على الاطلاق فصل القول في أيها تكون الموناليزا الاصلية. فهناك نماذج في المجموعات الخاصة والمتاحف وصناديق المصارف حول العالم. يضاف الى هذا مجموعة من الاوروبيين والامريكيين التي تدعي سراً أنها تحوز اللوحة الحقيقية. ومعظم هذه اللوحات قديم، الا ان ثلاثاً منها تستحقّ الذكر:

١. موناليزا هيكينغ

هذه اللوحة ابتاعها تاجر الفن الهولندي ريمون هيكينغ وابنه جان من محل للاثريات عام ١٩٥٤، وأودعها مصرفاً في الجنوب الفرنسي. وقد تمّ نسخ اللوحة من

صديق العمر

اشتركوا في المختار

NAME .... الاسم :
ADDRESS .... العنوان :
....
PROFESSION .... المهنة :
SIGNATURE .... التوقيع :

NAME .... الاسم :
ADDRESS .... العنوان :
....
PROFESSION .... المهنة :
SIGNATURE .... التوقيع :

تملأ القسيمة ـ بالعربية أو الانكليزية ـ وترسل بالبريد الجوي المسجل (المضمون) مرفقة بشيك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً، وهو بدل الاشتراك بـ١٢ عدداً لمدة سنة، الى العنوان الآتي:

بنك المشرق ش م ل
ص ب ١٠٣٢٤
بيروت . لبنان

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:
اشتراك في مجلة "المختار".

لحوّل همسك صراخاً...



إنطلاقاً من قناعتها بأنها مجلة القارىء أولاً، تفتح النهار العربي والدولي صدر صفحاتها منبراً تستطيع أن تعرض آراءك من خلاله بحرية كاملة فتصبح، وأنت في موقعك، واحداً من محرريها.

عالج أي موضوع تشاء - في السياسة أو الاجتماع أو العلم أو الأدب أو الفن أو شؤون المرأة وارسل مقالاتك (في ٣ أو ٤ صفحات بالآلة الكاتبة، وارفقها بصورتك إلى العنوان التالي:

صندوق البريد ١١٦٨٨ بيروت - لبنان P.O.BOX 11688 BEIRUT-LEBANON

اليه مع تأجيل موعد المحاكمة مرة بعد اخرى. وكلما أثير موضوع الموناليزا امامه، كان يضطرب ويتكلم من غير تفكير.

لكن بيروغيا أصرّ على كونه الفاعل الوحيد. وبعد ذكره الاخوين لانسيلوتي كفّ عن ذكر أي شريك آخر.

وكان منذ البداية ترك فالفييرنو خارجاً حتى بات على قناعة بأنه بطل المغامرة الاوحد. ولم يبارحه الامل قط بأنه لا بدّ من أن يبّرأ في قاعة المحكمة.

أما لغط العامة فخمد بعد شهر او اثنين. وحين بدأت محاكمة بيروغيا في ٤ يونيو (حزيران) لم يحضر من اولئك القوم الا حفنة ضئيلة. وتميزت شهادة بيروغيا بنوبات من الغيظ والهذيان، خصوصاً عندما طلب اليه جانب الادعاء ايضاح دوافعه. وبلغ

ليزا... لغز الموناليزا... لغز الموناليزا... لغز الموناليزا...

الخشب الى القماش في اواخر القرن التاسع عشر، ولكن تبين ان انجازها الاصلي تمّ سريعاً، وهذا لا ينطبق على فن ليوناردو. وفي أحسن الحالات، يمكن أن تكون اللوحة أُنجزت في مشغل ليوناردو.

٢. جيوكوندا بوليتزر

هذه يطلق عليها ايضاً اسم "صيغة آيلوورث". وفي خصوصها تقول دائرة المعارف الامريكية: "بما أنه لا يوجد تصميم أصلي للموناليزا، فلا يستبعد ان يكون ليوناردو رسم النسخة الاولى على قماشة قبل ان ينجز اللوحة النهائية. وفي رأي كثيرين ان صيغة آيلوورث في بريطانيا أجمل من تلك المحفوظة في اللوفر." وفي هذه الصيغة تبدو امرأة أصغر سناً وأكثر جمالا وجلالا. الا ان خصائصها الفنية تقل عن ابداع ليوناردو.

٣. موناليزا فيرنون

هذه أهم اللوحات خارج اللوفر. وقد أدخلها أمريكا وليم هنري فيرنون عام ١٧٩٧، وهي الآن مودعة أحد مصارف نيوجرزي. وتبدو بطلة هذه اللوحة أصغر سناً وأكثر حيوية وجمالا، ولا تقلّ دقة تفاصيلها الفنية عنها في لوحات ليوناردو الاخرى. وقد اخضعت لوحة فيرنون لفحوص علمية جاءت نتائجها كلها ايجابية من حيث كون ليوناردو أنجزها. وأهم الدلائل ان واضع اللوحة أعسر، مثل ليوناردو. ومن الدلائل الاخرى احتواء لوحة فيرنون على عمودين جانبيين، عرف أنهما أزيلا من لوحة اللوفر. وهذا يعني ان ثمة براهين قوية تشير الى أن لوحة فيرنون تمثل ليزا الشابة، وهي المرأة نفسها التي تبدو أكبر سناً في لوحة اللوفر. ونظراً الى هذه البراهين، لم يتورّع محررو مؤسسة "تايم - لايف" عن القول، في مجلد فني أصدروه عام ١٩٦١ في سلسلة "المكتبة العالمية"، ان صيغة فيرنون هذه هي الموناليزا الاصلية.

اضطرابه حداً لا يوصف عندما سئل عن رحلة قام بها الى لندن خلال اختفاء الموناليزا (ربما لتدبير شار لها)، كذلك عندما ذكر مبلغ الخمسمئة الف لير الذي اتفق عليه مع الفريدو جيري.

الا ان السلطات الايطالية لم تحرم العطف الدهان الشاب الذي أعاد تحفة ليوناردو الشهيرة الى مسقط رأسها وذكر العالم بأمجاد عصر النهضة في ايطاليا. ولم تكن هناك رغبة حقيقية في معاقبة بيروغيا أو فضح دوافعه الحقيقية.

ولفظت المحكمة حكمها على فينسنزو بيروغيا بالسجن سنة وخمسة عشر يوماً. وباستئناف الدعوى انزلت مدة العقوبة الى سبعة أشهر. وبما أنه كان أمضى في السجن تسعة أيام زيادة على الاشهر السبعة، فقد أطلق سراحه فوراً. وهكذا، في ٢٩ يوليو (تموز) ١٩١٤، وجد بيروغيا نفسه في فقر مدقع وبلا هدف،وليس له سوى الحرية. وبعد نحو ثلاث سنوات أسدل ستار على الرواية، وعاد هو والموناليزا من حيث انطلقا.

وسأله المحامي: "أين ستذهب الآن؟"

وهزّ بيروغيا كتفيه وقال: "الى مسقط رأسي في دومنزا. غير اني مُتعب. وسأبيت هذه الليلة في الفندق عينه حيث أمضيت ليلتي الاولى."

وأجابه محاميه: "لكنك ستُفاجأ بأمر، وهو أن اسم الفندق لم يبقَ "طرابلس - ايطاليا"، بل "نزل الجوكوندا" الآن".

خاتمة

اليوم لم تعد الموناليزا في الصالة المربعة، لكنهافي صالة الدول، حيث وضعت ضمن تجويف بني خصيصاً لها للحافظ على الرطوبة والحرارة المناسبتين. كما وضعت ضمن وقاء زجاجي كثيف. ولم يتبدل الا القليل القليل داخل اللوفر منذ ذلك اليوم الحاسم من شهر اغسطس (آب) ١٩١١.وما زالت حجرة الايداع التي أمضى فيها بيروغيا والاخوان لانسيلوتي تلك الليلة في مكانها، خلف الباب المرتفع على هيئة لوحة في صالة دو شاتل. وفي امكان الزائر ان يقتفي بعض آثار افراد العصابة وهم يحملون الجوكوندا من الصالة المربعة الى الباب في اسفل سلم الخدمة عبر الصالة الكبرى. ومن الامور التي تبدلت ان عدد الحراس بات كبيراً جداً اليوم بالنسبة الى تلك الايام.

ولا أحد يعرف شيئاً عما فعله لوي بيرو والاخوان لانسيلوتي وفرنسواز سيغنو وسائر ابطال الرواية الثانويين بقية ايام حياتهم. لكن الفنان المزور شودرون أمضى حياته بهدوء وراحة في مزرعته بالقرب من باريس. واعتزل العمل بعد ذلك الاحتيال الضخم. الا انه، على ذمة الماركيز، عاونه في بعض العمليات اللاحقة.

اما فالفييرنو فتوفي عام ١٩٣١، ولكن بعدما روى القصة من جانبه. وقد افشى بها الى صديقه القديم الصحافي الامريكي كارل ديكر، وذلك في يناير (كانون الثاني) ١٩١٤ حين كان الماركيز يمضي فصل الشتاء في

مراكش بعد مرور اسابيع على اعتقال بيروغيا ·وهو باح لصديقه بجميع ملابسات الرواية بعدما استحلفه ان يكتم الامر ما دام حياً· وحفظ ديكر العهد وقد راودته شكوك كثيرة حول صحة ادعاء فالفييرنو·

واستنكر الماركيز ذهاب بيروغيا الى ايطاليا، قائلا انه حماقة عظيمة· غير ان فالفييرنو لم يكن له ما يخشاه شخصياً، لانه حرص على سر هويته ومكان وجوه، ولأن بيروغيا اختار، لاسبابه الخاصة، أن يبقيه خارج اللعبة· ولم يشك في أن يكون بيروغيا صنع هالة من البطولة والعظمة حول نفسه· وذلك لم يزعج الماركيز البتة·

وبعد تسع عشرة سنة نشر كارل ديكر المعلومات الجديدة عن تلك السرقة الكبرى· الا أن روايته لم تحدث الضجة المرجوة في عالم اغرقته الازمة الاقتصادية الخانقة·

وأما فينسنزو بيروغيا فعاد الى دومنزا حيث استقبلته عائلته استقبال الابطال، وانضمّ اليها معظم السكان المحليين· وما لبث ان انخرط في الجيش الايطالي واشترك في الحرب العالمية الاولى، ثم وقع اسيراً في أيدي الاعداء· وبعد اعتاقه في نهاية الحرب عاد الى دومنزا لفترة وجيزة· واذ لم يجد عملا هناك، قرر التسلل الى فرنسا، متحدياً خوفه من الوقوع في قبضة العدالة· واستخدم اسمه الاوسط بييترو لئلا تكشف الشرطة أمره، واستقرّ في بلدة سان مور دي فوسي، احدى ضواحي العاصمة الفرنسية·وفي اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢١ زار دومنزا للمرة الاخيرة،حيث تزوج فتاة من عائلته وعاد واياها الى فرنسا· لكنه عمر اربع سنوات اخرى، مات على أثرها بنوبة قلبية· وهكذا، في اكتوبر (تشرين الاول) من العام ١٩٢٥، لفظ خاطف الموناليزا أنفاسه الاخيرة وله من العمر ٤٤ سنة·

■ سيمور رايت



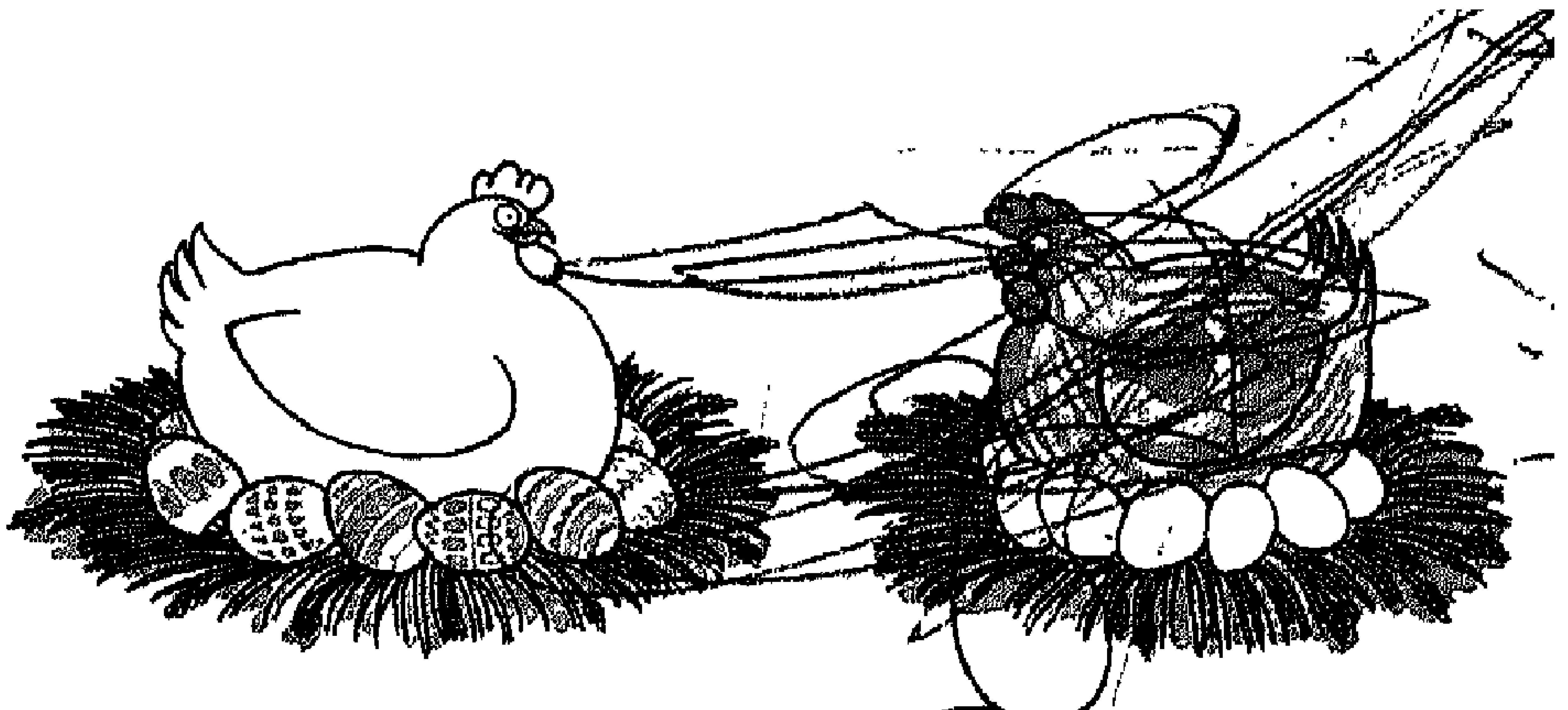
حرية الاختيار

المجتمع العادل هو مجتمع منفتح، حيث الافراد يختارون ما يوافقهم من ضمن تعاقد حرّ يحدد المسؤوليات والمحدوديات بين الفرد والفرد من ناحية، وبين الفرد والدولة من ناحية اخرى·

من هنا كان لا بد من بعض غموض في كل نظام تعاقدي، اذ ان الغموض هو الوجه الآخر لحرية الاختيار· ولقد قيل ان البرهان على نضج الفرد هو قدرته على أن يحيا وسط الغموض· والمجتمع العادل يقوم على استطاعتنا ان نعيش مع الغموض، مدركين ان الامور الواضحة قليلة جداً، وأن أصعب مواقف الحياة هي المواقف الغامضة، علماً ان أعمق طموحات المرء تتساوى من حيث الثمن والفائدة، وان الخير المطلق والشر المطلق لا وجود لهما في المجتمع؛

وبكلمة اخرى، يمكننا القول ان المجتمع العادل يرتكز على ادراكنا حرية الاختيار والدفاع عنها· والاختيار يوسع رؤانا البشرية، وهو يقتضي التفكير والالتزام والمخاطرة، وما يلازم ذلك كله من عدم يقين· أما نقيض الاختيار فلا يقتضي الا الطاعة·

الاقتصادي ليو تشيرن



صور من الحياة

ناصرة القانون

لدي صديقة لا تستطيع السكوت عن اولئك الذين لا يحترمون القوانين والتعليمات. ومرة خرجنا معاً من مكتبة الجامعة لنرى شخصاً يوقف سيارته في مكان مخصص للمعاقين. فاعترضت صديقتي طريقه وبادرته بالآتي: "انك لا تبدو عاجزاً."

ونظر الرجل اليها بانشداه، وقبل أن يصحو من ذهوله أضافت بنبرة شفقة: "هل انت عاجز عقلياً؟"

وللحال عاد صاحبنا الى سيارته وشرع يبحث عن موقف آخر.

الذكاء انواع

راحت فتاة شابة تقص على صديقتها الأسباب التي جعلتها تفضل أحد معارفها على الآخر وتقرر الزواج به: "عندما قويت معرفتي بجميل، ظننت أنه أذكى انسان في العالم."

- هذا رائع! ولكن لماذا آثرت سليماً عليه؟

"لأني في حضور سليم، أظن أني أنا أذكى انسان في العالم."

ب.هـ.

هموم الأمهات

خابرت ابنتي المتزوجة لأتفقد شؤونها العائلية، فأخبرتني ان ابنيها، واحدهما عمره ثلاث سنوات والآخر تسعة اشهر، لا يقر لهما قرار. واضافت: "آه يا امي، لكم اتمنى ان اكون الخادمة وان تأتي امهما سريعاً لتأخذ هذا العبء عني."

هـ.ك.

النظافة صنو الوحدة!

كلما اخذت ولدي الصغيرين لزيارة امي ذات الستة والثمانين عاماً، كانا يملآن منزلها الصغير ضجيجاً ويعبثان بمحتوياته. ومرة تبعتهما أعيد كل شيء الى مكانه. وأخيراً طفح كيلي، فصرخت بهما: "كفا عن هذا الصخب وإلاّ انصرفنا. ألا تعرفان ان النظافة صنو..."

وهنا اعترضت امي لتقول: "الوحدة."

ونظرت الى الفوضى حولها بعينين كلهما فرح وتابعت: "النظافة صنو الوحدة."

وبعد ذلك لم اعد ألجم ولدي عن اللعب بحرية.

ا.ا.

كفاءة عالية

الكونكورد . انها الأسرع والأكثر قدرةً والأقدم خبرةً في نقل المسافرين جوًا في أيامنا الحاضرة . لذلك،طيّارونا يقودون الكونكورد باعتزازٍ كبير .
أما التقنيّة الشاملة التي تتمتع بها الكونكورد، فهي مثالٌ آخر على المستوى العالي للكفاءة التي لا بُدّ وأن تلمسها حين تسافر مع الخطوط الجويّة الفرنسيّة .





TERRA MUSEUM OF AMERICAN ART

مايو (ايار) ١٩٨٤ ـ شعبان ١٤٠٤

المختار

من ريدرز دايجست



(ص ٥١)

امراض العصر ليست اوهاماً!

(ص ٢٤)

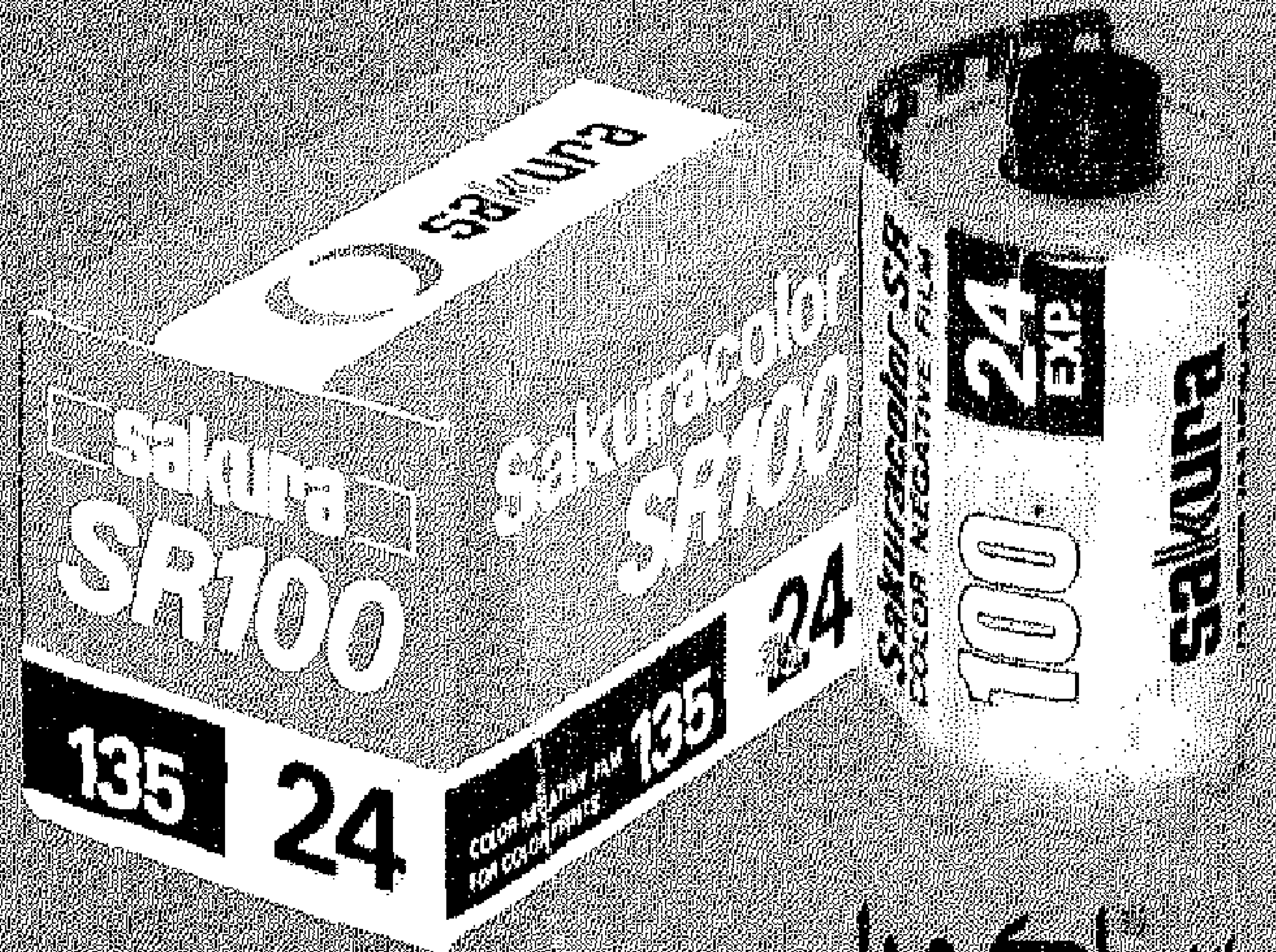
(ص ٣٠)

لبنان ٦٠٠ق ـ سوريا ٧٠٠ق ـ الاردن ٧٠٠ف ـ الكويت ٧٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٩د ـ قطر ٨ر ـ البحرين ٨٠٠ف ـ السعودية ١٠ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ١ج ـ ليبيا ٧٠٠د ـ اليمن ٨ر ـ مسقط ٨٠٠ب ـ العراق ٨٠٠ف ـ تونس ٦٠٠م ـ المغرب ٥د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ١٠ف ـ انكلترا ١ج ـ اليونان ١٣٠د ـ كندا وأمريكا الشمالية ٢،٥٠د

AL MUKHTAR min Reader's Digest May 84 No 66

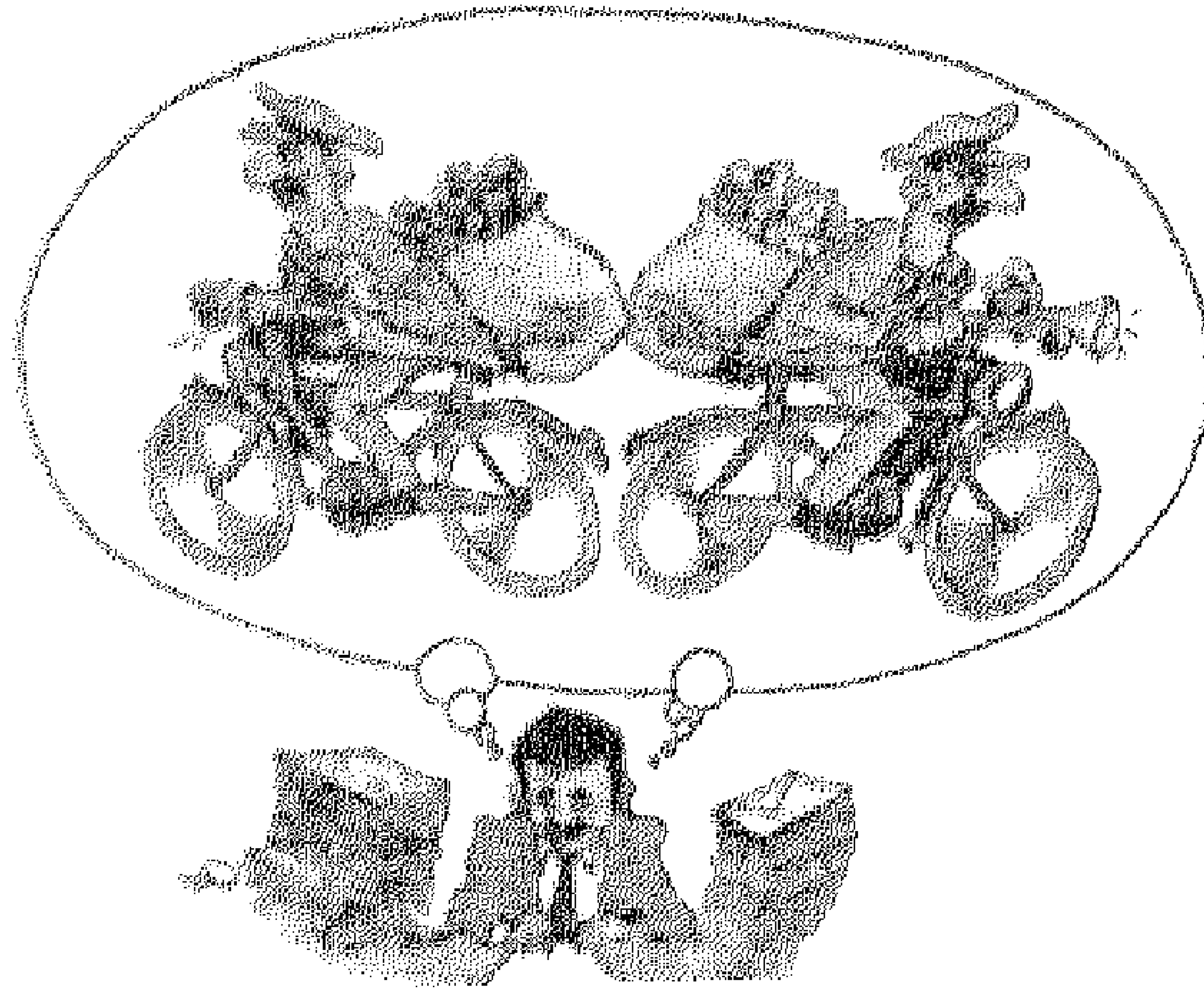
دقة متناهية
في افلام التصوير الملونة

تكنولوجيا متطورة من Konishiroku
تضع مقياساً جديداً
لنوعية الافلام الملونة
صورة رائعة بالالوان الطبيعية ،
لا تضاهى بصفائها ووضوحها .



ساكورا
sakura
COLOR FILM SR100

KONISHIROKU PHOTO IND. CO., LTD.
Shinjuku Nomura Building, No. 26-2, Nishishinjuku 1-chome, Shinjuku-ku, Tokyo 160, Japan



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

اكتب واربح

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة، تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة من حياة مجتمعاتنا العربية. تدفع عن القصة الواحدة ٥٠ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود، وتستبعد في هذا الباب النكات غير المهذبة. تدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية تدفع ثلاثة دولارات عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل. يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولاً، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها: سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة المختار من ريدرز دايجست ـ شارع المقدسي ـ بناية الشرتوني ـ ص: ب ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان.









المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ادمون صعب .
امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري .

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست":
رئيس التحرير: ادوار ت . طومسون . مدير التحرير: آلان دوليرو . المدير العام: جون ا . اوهارا .

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس . الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية ـ بيروت . التحرير والادارة: بناية حنا للمكاتب، الطابق السادس، شارع المقدسي ـ بيروت . ص.ب ٨٧٠٧ ـ ١١، التلفون ٣٥٠٧٦٠ ـ ٣٥٤٤٢١ التلكس (الموقت) 22288 LE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت . الطباعة: سيكو، بيروت ـ لبنان . التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات .

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية اضافة الى العربية .



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

الغلاف: البط الامبراطوري (للياباني شوكو اومورا)

AL MUKHTAR min Reader's Digest
May 84 No 66 (New Series) Vol. 6



اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة .

سانيو ترضيك

في كل ما تحتاجه من اجهزة منزلية لبيتك العصري.

SR-425V

GR703PGE

SAPFC241B

ASWL400T

SC9400EM

EM5601B

JBG500E

EFD16EL

GR703PGE طباخ غاز متعدد الاستعمال ٥ عيون مع سيخ معدني للشواء يدور بواسطة الكهرباء. اشعال بالقدح

EFD16EL مروحة منضدية باداة الكترونية مثبتة لتبسيط التشغيل

SC9400EM مكنسة كهربائية بقدرة ١٠٠٠ واط. طريقة سهلة للتخلص من الغبار مع مؤشر لتحديد كمية الغبار

JBG500E ماكنة «FOOD FACTORY» متعددة الوظائف. مثالية للعصر، تخلط، تفرم، تطحن، تخفق وتعجن

SAPFC241B مكيف هواء طراز ارضي صامت يشغل باستخدام جهاز خارجي يوفر ٢٤٠٠٠ وحدة حرارية BTU

SR-425V ثلاجة / فريزر بثلاثة ابواب وبسعة ٨.٧ قدم مكعب كومبريسور مدمج دوار ذو اداء موثوق به

EM5601B فرن ميكروويف «MASTER CHEF». نظام هواء ساخن يعطي احمرارا للماكولات. صينية دوارة

ASWL400T غسالة اوتوماتيكية بمضخة نابضة «GENTLE PULSE» خاصة بسانيو. تعمل برفق وتمنع تشابك الغسيل

SANYO سانيو

رسائل أبي مختصر مفيد

كتب الـي والـدي رسالـة واحدة خلال حياته. وكنت ادرس في الجامعة عندما ارسلت اليه اطلب ٢٥ دولاراً لتمويل مشروع او ما يشابهه. وما زلت اذكر كلمات رسالته: "ابني العزيز، والدتك تطلب منك ان تقتصد في مصروفك. ها ها. ديزي تدر حليباً أوفر هذه الايام."

هذا كل ما كتبه. ولم يختم الرسالة كما هو متبع بل وقع اسمه الكامل كأنها وثيقة قانونية. ووجدت داخل المغلف ورقة نقدية من فئة العشرة دولارات، وكانت بقرتي ديزي وضعت عجلها الثاني.

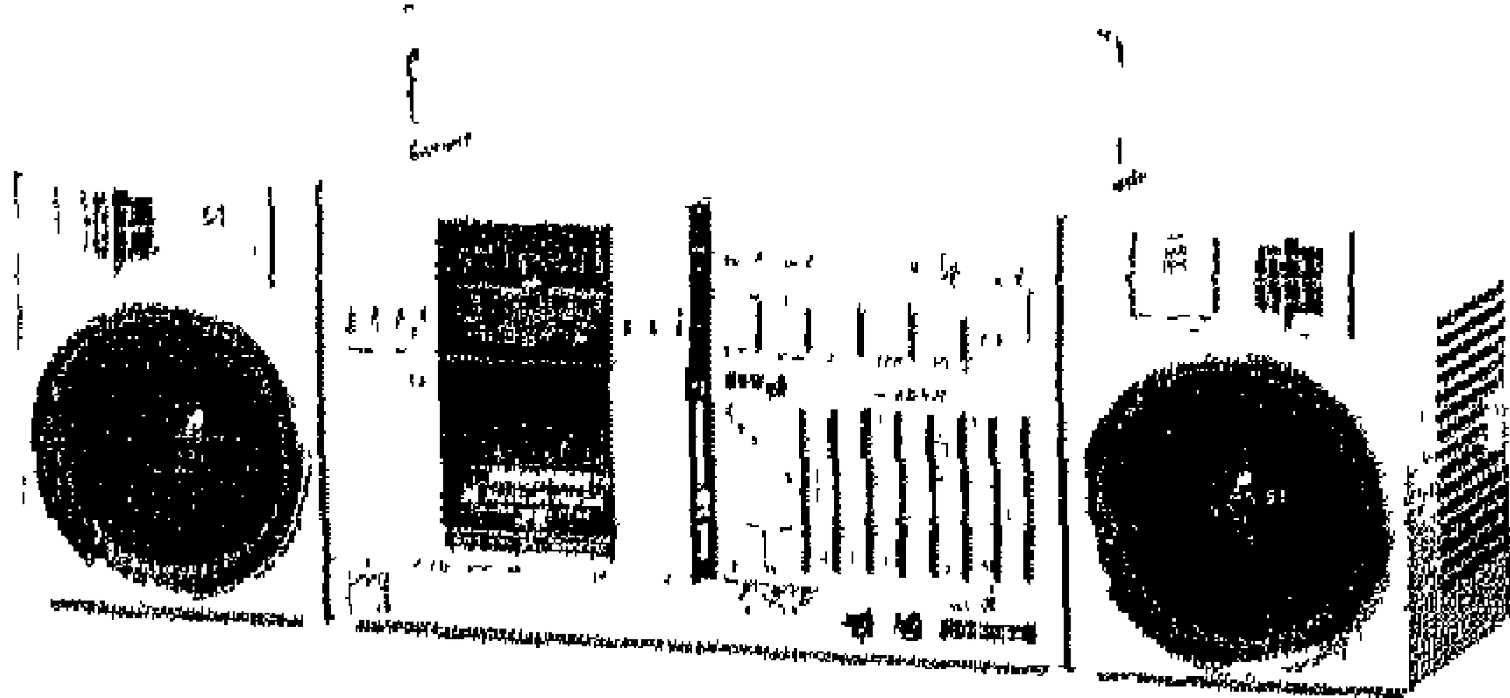
دعوني اخبركم الآن عن الرسالة الوحيدة التي تسلمتها والدتي منه. كُتبت تلك الرسالة في



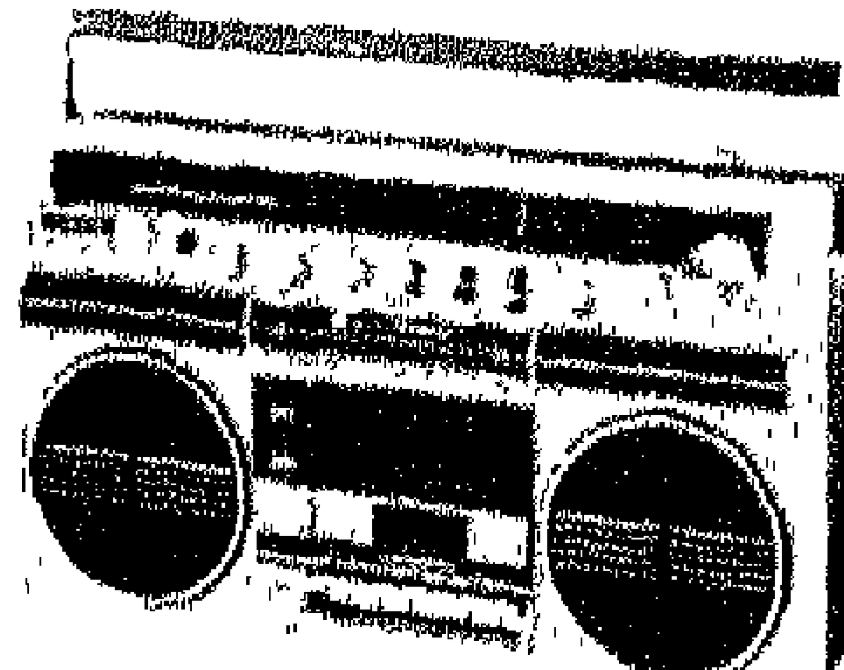
Toshiba : صاحبة ابتكار ال Auto Reverse

الراديو كاسيت والمسجلة الستيريو Toshiba كانت الرائدة في استعمال auto reverse والاولى في اعطائكم تسجيلا مستمراً من دون انقطاع ولذة في الاستماع سواء على دورة واحدة او باستمرار، ويمكنكم ايضاً تغيير جهة التسجيل من دون قلب الشريط.

ولدى Toshiba تشكيلة كاملة من الراديو كاسيت والمسجلات مع auto reverse. من المونو الى الستيريو وفي تصاميم صغيرة او كبيرة، ولكن ايا يكن القرار الذي اخترتم فبمكنكم ان تعتمدوا على حقيقة واحدة: انها رائعة لانها Toshiba



BOMBEAT SX7
AUTO REVERSE



BOMBEAT 170
AUTO REVERSE



BOMBEAT 483
AUTO REVERSE

بلدة أوك كريك في ولاية كولورادو. في تلك السنين كان الجوع يهدد عائلتنا في بعض المواسم في الجبال الشرقية. وكان والدي ينتقل بنا الى ولاية كولورادو ويعمل في مرأب في مقابل بعض المال، ليعود بنا من جديد الى المنطقة الجبلية الشرقية.

كان والدي يعمل في اوك كريك ٦٠ ساعة في الاسبوع في مقابل ٢٠ دولاراً. وكنت في الثانية من عمري، وكانت والدتي ميرتل على وشك ان تضع كبرى شقيقاتي وقد حضرت اختها بيل لتساعدها، لكنها لم تكن تحب والدي.

وذات امسية كانت بيل في حال نزق، واغتنم والدي الفرصة ليهرب من البيت متذرعاً بشراء بعض اللحم من السوق لليوم التالي. وفي طريق العودة مر بالمرأب حيث يعمل.

وجد زبوناً ينتظر وحده عودة عامل الميكانيك الليلي الذي غادر ومعه شاحنة القطر. كان الزبون يقود شاحنة ومشكلته تتعلق بسيارته التي تعطلت على طريق جبلية. ووافق والدي على الذهاب معه في الشاحنة الى مكان السيارة ليحاول اصلاحها.

تمكن والدي من تشغيل السيارة وقادها في اتجاه المدينة لاصلاحها بما يكفل سيرها السليم في المستقبل. وتبعه الزبون وهو يقود الشاحنة. لكنه كان بعيداً عندما انحل برغي يربط عجلة القيادة في السيارة لدى وصول والدي الى الجسر. وانعطفت السيارة في زاوية قائمة فحطمت سور الجسر الخشبي وانزلقت لتغرق الى قاع النهر.

وجد والدي نفسه وسط فقاعة هواء داخل السيارة. لم يخف، بل فتح النافذة قليلا وافسح للماء ان يملأ السيارة، فتساوى ضغط الماء في الداخل والخارج ومكنه من فتح الباب والسباحة في محاذاة الضفة.

حمله التيار المائي بسرعة ولفظه على مسافة بعيدة. كان أسهل عليه ان يمشي عائداً الى المدينة في محاذاة الضفة من ان يتسلق الى الطريق وسط الظلام.

حين وصل والدي الى المدينة كان يشعر ببرد قارس وتعب مرهق. ذهب اولا الى المرأب حيث بدل ثيابه المبللة، وتبين له ان عامل الميكانيك الليلي لم يعد بعد. فأكمل طريقه عائداً الى بيته، لكنه لم يجد احداً في البيت.

وكنا وصلنا جميعنا الى الجسر حيث كان الزبون شاهد السور المكسور وأسرع الى المدينة ليعلن الحادث. وبدأت والدتي تبكي بينما لم يبدُ على خالتي اي حزن وهي تحملني. لقد اعترفت في ما بعد ان افكارها شردت الى المستقبل والى أرمل ثري كان معجباً بأمي.

وجد الجمع سترة والدي عند المصب ووافقوا على ان المياه ستجرف الجثة الى المدينة وتلفظها فوق الرمال. بعد ذلك عدنا الى البيت.

أول ما شاهدناه لدى عودتنا كان حذاء والدي المبتل. ورأيناه من خلال باب غرفته يغط في نوم عميق. ووجدنا ورقة على طاولة المطبخ كتب فيها: "ميرتل، نسيت اللحم."

■ لاري باتسون

مـَـزايـَـا فـــائـقـــة

تـرتكز صيانـة الخطوط الجوية الفـرنسية على أحد أفضـل مـا تم تجربتـه من وسـائـل متـقـدّمـة ومتطـوّرة في العـالـم . فنظـام الصيـانـة هـذا مثـالي لدرجـة أن عـددًا كبيرًا من شركات الخطوط الجويـة العـالميـة الأخرى قـد اعتمدتـه لهـا في صيـانـة طـائراتهـا .

نظـام الصيـانـة في الخطـوط الجويـة الفـرنسية : انـه واحـد من الامثلة العـديـدة للمزايـا الفـائقـة والكفـاءات العـاليـة التي يمكنك لمسـهـا عنـدمـا تسـافـر مـع طيران الخطوط الجويـة الفـرنسيـة .



"الجوع هو الالم والعنف واليأس والموت" كما تقول هذه الممرضة الباسلة

إمرأة تقود جيش الخلاص



ذات يوم في بداية الستينات كانت إيفا دن هارتوغ، وهي ممرضة هولندية في "جيش الخلاص"، تلقح الناس ضد مرض الجدري في قرية تبعد ٤٥ كيلومتراً عن كنشاسا عاصمة زائير (الكونغو آنذاك)· وفيما كانت تقود سيارتها راجعة الى عيادتها في المدينة، بعد مرورها على أربعة حواجز للتفتيش، اعترضها جندي كونغولي وطلب منها أوراقاً تثبت هويتها·



الرائدة ايفا دن هارتوغ·

كانت البلاد غارقة في خضم حرب أهلية بعد نيلها الاستقلال عن بلجيكا· وكثيراً ما كان قطاع الطرق يروعون الارياف وبينهم جنود في الجيش·

وما لبث الجندي أن خاطب إيفا مدمدماً: "أوراقك غير صالحة وأنت الآن موقوفة·" ورأت أنه كان يمسك بطاقة هويتها مقلوبة لكنها لم تجرؤ على الاعتراض· وفي الجانب الآخر من الطريق كان عدد من الجنود يحدق الى إيفا· ووجدت نفسها عاجزة عن

Photo: ANP Foto



أيفا تعاين مريضاً صغيراً: "هناك اشياء كثيرة يمكنها الانتظار، اما الطفل فلا."

أيفا تعاين مريضاً صغيراً: "هناك اشياء كثيرة يمكنها الانتظار، اما الطفل فلا."

الحركة فاعترتها موجة من الغيظ عارمة، غير أنها كبحت انفعالاتها. وفيما جلست تترقب خطوة الجندي التالية أخذت تصلي كي يسود العفو والحب ويأتي من ينقذها من هذه الورطة.

وفجأة توقفت سيارة جيب خلف سيارتها ونزل منها ضابط. وجعل الضابط يستجوب الجندي بحدة ثم قال للمرضة المذعورة بلغة فرنسية سليمة: "حين كنت صبياً ألعب في الأدغال علمتني متطوعة القراءة والكتابة." وأعاد اليها أوراقها ورافقها الى المدينة.

وتروي "الرائدة إيفا"، كما يسميها الجميع، هذه القصة لتضرب مثلا على العناية الالهية وتبدي فخرها بأعمال النساء التطوعية وتقدم نموذجاً من حياتها الحافلة بالمغامرات.

وعندما زرتها في مركز قيادة جيش الخلاص خارج مدينة لوس انجلس رأيت وجهها ناضراً مستديراً وشعرها أسود فلم أصدق ان عمرها ستون عاماً. وعرفت فيها امرأة نشطة ذات ضحكة عابثة وشخصية لافتة. وفي أثناء حديثها عن عملها الحالي كمنسقة لخدمات جيش الخلاص في العالم تجمع المال لمحاربة الجوع، كانت عنياها ترقصان باستمرار.

ان هذه الممرضة الهولندية "مقدامة باسلة قوية" على حد تعبير أحد أصدقائها، فهي عرضت نفسها ما يزيد على عشرين سنة للخطر والمشقة

لتسعف المرضى والجائعين في أنحاء العالم. ويروي هنري مول كاتب سيرة إيفا كيف حاول موظف عنيد في بنغلادش ارغامها على دفع الرسم الجمركي على شحنة طائرة ملأى بالاعانات فخاطبته قائلة: "رسم جمركي؟ انه طعام مجاني لشعبك الذي يموت جوعاً. أتريد ان تفرض علينا رسماً لادخاله البلاد؟ هذا هراء!" وهددته بأن تأمر بعودة الطائرة الى هولندا وتنشر الخبر في العالم. فتراجع الموظف عن موقفه.

جرأة نادرة – ولدت ايفا دن هارتوغ في هولندا عام ١٩٢٣. وعندما هجر والدها العائلة أخذت الام أطفالها الثلاثة الى مقر جيش الخلاص حيث أقامت إيفا خمس سنوات. وتقول إيفا: "بعد ذلك لم أعد أود العيش خارج نطاق جيش الخلاص."

درست إيفا التمريض والامراض الاستوائية ثم التحقت بجيش الخلاص برتبة "ضابط" وأرسلت الى الكونغو البلجيكي في العام ١٩٥٩. وكانت العاصمة ليوبولدفيل (سميت كنشاسا في ما بعد) مفعمة بالنشاط والحيوية، وكانت العيادة التي تديرها ايفا في قلب العاصمة. وهي تعلمت كيف تعالج المصابين بلدغات الافاعي وأمراض الغابات ونخر الاسنان. وكان يسرها تدريس علم الصحة والتمريض وتوزيع الطعام والمساهمة في عمليات التوليد.

ولم تمض سنة على وجودها في البلد حتى اندلعت الحرب الاهلية التي أدت الى فوضى عارمة تجلت في القتل والحرق والنهب. في هذه الاثناء سجن بول بغير حق، وهو أحد مساعديها من الممرضين الكونغوليين. فاستبد بها الغضب وانطلقت بسيارتها الى سجن كنشاسا وطلبت من الحراس المشدوهين ان يفتحوا الابواب وصرخت: "لا استطيع معالجة المرضى الكونغوليين من دون مساعدة بول." وشقت طريقها بين مئات من الرجال السود في جو السجن الحار الخانق وسط الروائح المنتنة وبكاء السجناء المعذبين الى ان وجدت بول وغادرت به المكان.

كينيدي لم يتحمل – بعدما أمضت إيفا في زائير ١١ سنة انتقلت الى الهند. ففي العام ١٩٧٠ تسببت الفيضانات واحوال المد والجزر في موت مليون بنغالي شرق باكستان. ولم تكترث الحكومة في غرب باكستان للأمر فثار عليها الذين نجوا من الكارثة. وفي حرب الاستقلال التي تلت مات ملايين من الجوع والكوليرا ونار البنادق والتعذيب وهرب ملايين آخرون الى الهند المجاورة.

حين وصلت إيفا الى كلكوتا في منتصف ١٩٧١ وجدت حقولا واسعة موحلة تضيق باللاجئين الذين حشروا في مساكن صنعت من الاسمال البالية والحديد الصدىء والواح الخشب، كما شاهدت المرضى يتغوطون وينزفون في الارض المخضلة. وكان من بين الاجانب الذين زاروا هذا المخيم ادوارد كينيدي عضو مجلس الشيوخ الامريكي. وقال كينيدي في تقريره

المقدم الى مجلس الشيوخ في ١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧١: "المناظر في المخيمات تفوق الوصف، فكثير من الاطفال والشيوخ فارق الحياة. وكان من الممكن معرفة الذين سيموتون بعد ساعات."

وفيما كان كينيدي يهم بالانصراف التفت الى إيفا وسألها: "كيف يمكنك ان تتحملي هذا؟"

الحق ان إيفا تستطيع تحمله لأن في وسعها ان تفعل شيئاً ما. فهي أشرفت على بناء مستشفيات ميدانية وآبار ومراحيض. وعندما رأت الآلاف يمدون أيديهم أخذت توزع عليهم الطعام - حتى بعدما أيقنت انه لا يكفي سوى بضع مئات.

وفي العام ١٩٧٢ بدأت العمل في شرق باكستان (بنغلادش) على رأس فريق صغير يوفر العناية لما يزيد على ألف شخص يومياً، اذ تولت أمر ميتم يعج بالاطفال المرضى والجياع. وتقول ايفا: "هناك امور كثيرة تقبل الانتظار، لكن الطفل لا يمكنه ذلك." وحظيت إيفا بحب اللاجئين اذ كانت تمضي وقتاً في محادثتهم وتضحك أطفالهم وتشاركهم في احتفالاتهم. وكانت تصطحب فريقها كل أسبوع في سيارة "لاندروفر" عبر الاراضي الموحلة او تقطع الانهار العميقة بزورق آلي لتوزيع المؤن على القرى النائية.

الايام الشنيعة - عادت الفيضانات الى بنغلادش عام ١٩٧٤ فجرفت قرى بكاملها وتفشت أمراض الكوليرا والجدري والديزنطاريا. وبات ملايين الناس بلا مأوى فهاموا في الارض. وكتبت إيفا في يومياتها: "الحال مرعبة ومروعة وباعثة لليأس."

وذات يوم أتت امرأة تحمل طفلا ميتاً الى المخيم الذي تعمل فيه إيفا. وكان ثلاثة من أطفالها ماتوا سابقاً لكنها لم تكن تملك ثمن أكفانهم، فأعطتها ايفا المال. وفيما كان الجثمان الصغير يوارى في القبر سمعتها ترنم: "يا طفلي، لقد كنت أماً سيئة، فما كان يسعني أن أعطيك الطعام ولا الحليب." وحين تروي إيفا هذه القصة الآن تجهد نفسها لتفهم سبب شعور تلك الام بالذنب.

في تلك الايام الشنيعة كان اليأس لا ينفك يغمر إيفا. وهي أفضت ذات مرة في كلكوتا بما انتابها من اليأس الى راهبة تعمل مع الأم تريزا. فقالت لها هذه: "لا تيأسي أبداً، فأنت لا تزالين قادرة على انجاز أفعال جميلة ترضي الله." وما لبثت إيفا أن تخطت حال الشك هذه.

وفي العام ١٩٧٩ تعرض إيمانها لامتحان مماثل عندما أصبحت رئيسة الفريق الطبي التابع لاتحاد منظمات الاسعاف. وقد نيط بهذا الفريق مساعدة الناجين من عملية الابادة في كمبوديا التي تدل دلالة واضحة على وحشية الانسان. وباتت إيفا من المشاهد المألوفة في مخيم ساكايو حيث تسكن خيم الورق والبلاستيك آلاف الهياكل العظيمة الحية. فهي المرأة التي يلمع حرف (S) (★) على

(★) Salvation Army

قبتها البيضاء والتي تضع سماعة طبية حول عنقها وتعطي الحقن وتقدم البيض والموز وأكواب الحليب۰

ارض التخمة ـ تذهب إيفا في جولات تلقي أثناءها محاضرات۰ وحين يسألها بعض الحاضرين: "ماذا يمكننا أن نفعل؟" تقول: "يمكنكم أن تخفضوا كمية طعامكم وشرابكم وتقللوا عدد نزهاتكم وتنقصوا استهلاككم۰ لماذا لا تصومون يوماً في الاسبوع؟" وتحثهم إيفا على الا يشعروا بالذنب بسبب ما حققوه من نجاح، لكن عليهم في المقابل استخدام نجاحهم لمساعدة الآخرين۰

وتقول لهم متجهمةانهم في أرض التخمة لا يعرفون حقيقة الجوع۰ "فليس الجوع ان يفوتنا طعام الفطور بل هو الالم والعنف واليأس المستحكم وندب الآباء والامهات الثكالى اطفالهم۰" وتضيف ساخرة أننا ننزع الى الظن ان العالم الغربي وحده هو مملكة الله۰ ولكن "منذ ما بدأت أعمل في العالم الثالث عرفت ان مشكلة الجوع في العالم لن تحل الا من خلالنا نحن۰" وتضيف إيفا بفخر وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة خاصة: "اننا نعقد الاجتماعات والمؤتمرات لنبحث في قضية الجوع في العالم فيساهم بعضنا في العطاء، ولاسيما الهولنديون۰غير انه لا يكفي ان نعطي مما يفيض عنا بل علينا ان نضحي ونهب ما يعز علينا۰" ثم تؤكد هذه الفكرة فتقول: "انا أعطيت حياتي كلها۰"

ولا تلبث ان تتابع على نحو أكثر تواضعاً: "طبعاً هناك آلاف مثلي يعملون في هذا الحقل۰" الا ان منطقها الواضح وشخصيتها القوية اضفيا على انجازاتها بعداً عالمياً۰ وقد باتت شهيرة جداً في وطنها۰ وفي العام ١٩٧٠ منحتها الملكة جوليانا رتبة فارس "لتفانيها وفاعليتها فيأداء عملها فيالكونغو۰"

وفيما كنت أحادثها في لوس أنجلس أخذت إيفا دن هارتوغ تحدق برضا الى الاراضي الجميلة التابعة لمركز قيادة "الجيش" والى الأبنية التي تشبه أبنية الجامعات والتي تحيطها تلال منبسطة تطل على المحيط الهادىء۰

غير أن إيفا لا تستطيع المكوث في هذا المكان وترك ملايين الناس في العالم الثالث يعيشون في الجحيم۰ كانت تعد العدة لمهمتها المقبلة۰ فهل تذهب لتعين الجياع في الصومال أو أوغندا؟ أم تذهب لتخفف آلام البائسين في لبنان أو السلفادور؟ أنها لم تتخذ قرارها بعد، لكنها موقنة انها ستكون حيث يحتاج اليها الناس۰

■ **مانفرد ولف**



النخبة العزيزة

ان المرء، وان عرف ثلاثة آلاف شخص أو أربعة آلاف، لا يتكلم الا عن ستة أو سبعة منهم طوال حياته۰

ا۰ك۰

صحيح ان التاريخ يعيد نفسه،
غير ان استخلاص العبر منه أمر عسير
لأن الناس عادة لا يصدقون
الا ما يلائم خططهم

دروس من التاريخ



كثيراً ما يوجد الى المؤرخين سؤال شائع جداً هو: هل يخدم التاريخ غاية بعينها؟ فهل هو نافع لنا؟ وهل يمكننا أن نستمد منه العبر؟

حين يطلب الناس من التاريخ ان يعلمنا دروساً فهذا يعني انهم يريدون التأكد من انه يخضع لمقاييس علمية. الا أنه اذا قدر للتاريخ ان يكون علماً، فينبغي ان يمكننا ذلك من معرفة ما سيحدث غداً. ولكن ما الذي يجعلنا نعجز عن ادراك هذا الأمر؟ الجواب هو في المتغير المجهول، أي في الانسان. فالبشر هم دائماً موضوع التاريخ. والتاريخ هو سجل التصرف الانساني الذي يشكل أكثر الموضوعات فتوناً، غير انه بعيد عن المنطق وحافل بالمتغيرات مما يجعل من المتعذر اخضاعه للطريقة العلمية او للمنهجية.

وليس يثنيني عن هذا الرأي كوننا الآن في صميم العصر الالكتروني، أي في زمن تعمل فيه الادمغة الالكترونية على اخضاع التاريخ لقواعد الارقام.

ويقتضي تطبيق هذه المقاييس في التاريخ لقواعد الارقام. ويقتضي تطبيق هذه المقاييس في التاريخ اعتماد "معالجة المعطيات" مما يقتضي تصنيف وقائع الماضي الموثّق كي يغدو في الامكان برمجتها في أدمغة الكترونية، لأن المطلوب هو ايجاد نمط تاريخي.

والمأمول من هذه العملية هو في الاصل اقامة أنماط ثابتة من طريق معالجة كمية من المواد التاريخية التي تتعدى الاحاطة بها قدرة الانسان الفرد. أما أنا فلست متفائلة في هذا الصدد. فالتاريخ لا يعدم وسيلة للهرب من محاولات تكبيله في نطاق أنماط معينة.

والحق ان اخضاع التاريخ لهذه المقاييس ليس سوى طريقة جديدة للتعبير عن الجهد القديمْ الدائب لوضع التاريخ ضمن أنماط محددة. لكن الانماط التي يمكن التعويل عليها، وهي التي تدعى عِبر التاريخ، لا وجود لها في الواقع.

في العلم المخبري يفترض في النتائج التي يُتوصل اليها ان تكون منطقية، أي أن مجموعة من المعطيات المعلومة يجب ان تؤدي الى نتيجة معلومة. والمشكل هو أنه يستحيل في التصرف الانساني ان نتناول معطيات معينة ثم نعزلها عن سواها أو نجعلها تتكرر. فالافعال الانسانية المعقدة لا يمكن توليدها أو تعمد البدء بها أو الركون اليها كما لو كانت ظواهر طبيعية.

فالشمس تطلع كل يوم. والمد والجزر يحدثان في أوقات منتظمة حتى ليمكننا ان نضع لهما جدولا زمنياً شبيهاً بالذي نضعه للقطارات. والواقع ان مثَلي المد والجزر والقطارات يوضحان وجهة نظري بدقة: فالاول يعتمد القمر وهو موثوق به، والثاني يعتمد الانسان وهو مشكوك فيه.

لما كانت الحوادث التاريخية لا تتكرر على نحو معلوم، فقد بات التيقن من استخلاص عبر التاريخ أمراً شديد الصعوبة. من الواضح انهناك دروساً، وعندما يقول الناس انهم يتعلمون منها فهذا يعني ان لديهم طريقتين لتطبيق التجارب الماضية. غاية الاولى ان تجعلنا قادرين على تحاشي الاخطاء الماضية والتصرف على نحو أفضل في أحوال مماثلة. وغاية الثانية ان تمكننا من معرفة مسار الحوادث المستقبلية. وفي وسعنا تحقيق الغاية الاولى. اما الثانية فلا يبدو تحقيقها ممكناً.

درس مضلّل – في أثناء الحرب العالمية الثانية على سبيل المثال كان واضحاً ان الحلفاء تصرفوا على نحو أكثر فطنة مما فعلوا في الحرب العالمية الاولى، مستفيدين من تجربة الحرب السابقة التي لقنتهم درساً لا ينسى. غير ان هذا الحكم لا ينطبق على الولايات المتحدة. فالامريكيون أخفقوا في تطبيق المبدأ الصحيح عندما باتت معرفة مجرى الحوادث ضرورة لهم. ان بيرل هاربور مثل ممتاز على العجز عن التعلم من التاريخ. فقد كان على الامريكيين ان يتوقعوا هجوماً يابانياً مفاجئاً في

أثناء مفاوضاتهم مع اليابان. وكون هذا الهجوم عملا غير شريف لا يمنع من الاحتياط له. وكانت اليابان اعتمدت الخطة نفسها في العام ١٩٠٤ عندما بدأت الحرب الروسية ـ اليابانية بهجوم مفاجيء شنته على الاسطول الروسي في بورت آرثر.

والى ذلك كانت الولايات المتحدة تملك كل الدلائل المحسوسة الممكنة اذ فُكت رموز الشيفرة اليابانية وبدت الانذارات على الرادار، لكن الفطنة كانت غائبة. فالنقص لم يكن في المعلومات، بل في الحكم السليم عليها. لقد كان الامريكيون يملكون البينات كلها، الا انهم رفضوا تفسيرها على نحو صحيح. وهم في هذا يشبهون الالمان الذين رفضوا في العام ١٩٤٤ تصديق حصول انزال في مقاطعة النورماندي. فالناس عادة لا يصدقون ما لا يلائم خططهم أو يقف حجر عثرة في سبيلهم. والخلل في كل تفكير عسكري هو أنه وليد جملة كبيرة من الاهواء الفردية والاجتماعية والاحكام السابقة والتمنيات. فاذا استطاع المرء فك رموز الشيفرة اليابانية من دون ان يأخذ بمضمونها، فكيف يمكنه اذاً ان يتعلم دروساً من التاريخ؟

هل يمكن ان يؤدي الدماغ الالكتروني عملا أفضل؟ ربما كان هذا ممكناً في قضية بيرل هاربور. فلو لقمت كل المعلومات المتوافرة في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤١ أحد الادمغة الالكترونية لاستطاع في أغلب الظن ان يجيب: "غارة جوية، هاواي، الفيليبين" وربما أضاف: "٧ ديسمبر (كانون الاول)". ولكن هل يصح تعميم هذا المثل؟ وهل يسعنا اعتماد الادمغة الالكترونية لاستخلاص العبر من التاريخ؟ لست أرى ذلك لأن التاريخ سوف يضلل هذه الادمغة. فهي قد تصل الى النتائج الصحيحة، لكن أمراً طفيفاً قد يحدث كأن يعطس أحد الناس فيترك ذلك أثراً في التاريخ ويعطيه منحى آخر.

منذ عهد بعيد، في أثناء الحرب الاهلية الاسبانية، حين كانت الحقائق الخالدة تظهر واضحة، كنت أظن ان في الامكان استخلاص دروس من التاريخ لا تكون عرضة للخطأ. فقد بدا جلياً انه اذا انتصرت الفاشية في ظل فرنكو، فسوف تغدو اسبانيا قاعدة لهتلر وموسوليني وتنشب الحرب في أوروبا ويصبح البحر المتوسط بحيرة ايطالية وتفقد بريطانيا جبل طارق فتنفصل بذلك عن امبراطوريتها في شرق السويس. لقد كان الخطر واضحاً ومنطق الاشياء لا يرد وفي وسع كل شخص واع ان يدركه. وفي اثر تخرجي في الجامعة ألفت كتاباً صغيراً حول هذا الموضوع لجأت فيه الى المقارنات التاريخية.

ضلال ماركس ـ أظهر الكتاب كيف اعترضت بريطانيا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر سبيل كل دولة أوروبية حاولت فرض سيطرتها على اسبانيا. فمصاهرة الاسبان والوسائل السياسية المعتمدة في كاسلريغ وكانينغ وبالمرستون كان لها جميعاً هدف واحد هو منع القوة الاوروبية الكبرى من السيطرة على اسبانيا.

وظننت ان بحثي ذو منطق بارع ومعبر لا يمكن رده، الى ان اثبت التاريخ خطأه. فقد انتصر فرنكو بمساعدة هتلر وموسوليني واندلعت الحرب في اوروبا، لكن اسبانيا بقيت على الحياد. كذلك لم يسقط جبل طارق ولم تقفل مداخل البحر المتوسط. ولئن صح ما ذكرته عن خطر الفاشية العام، والذي يشاطرني الرأي فيه كل أعداء الفاشية "غير المجربين"، فانني أخطأت في حكمي على احدى نتائجها المحددة. وجل ما في الامر ان اعتمادي الدقيق عبر التاريخ أظهر أنني على خطأ لأن التاريخ لم يحسن التصرف.

لقد أثبت مثلا بيرل هاربور واسبانيا أمرين: الاول ان الانسان لا يجيد الافادة من عبر التاريخ لأن احكامه السابقةتحول دونه واستخلاص النتائج الحاصلة، والثاني هو أن التاريخ سوف ينفرد باتخاذ وجهة مخالفة لتوقعاتنا.

اما في ما يتعلق بالنظم الفكرية فقد برهن لنا التاريخ ان كارل ماركس كان على خطأ كبير. والحق ان ثقة ماركس بمنطلقاته الفكرية وقناعته بالنتائج الضرورية المترتبة عليها لم يسبق لهما مثيل، ولم يبدُ تفسيره للتاريخ في حاجة الى أي برهان. وفي معرض تحليله للثورة الصناعية عرض ماركس أحجية القرن التاسع عشر العسيرة القائلة بأن المزيد من التقدم المادي يولد مزيداً من الفقر. من هنا وضع مبدأ الافقار المتصاعد والانهيار وذهب الى ان الثورة سوف تقوم أولا في أكثر البلدان الصناعية تقدماً لأن وعي الطبقة العاملة يزيد مع زيادة التصنيع.

كان تحليل ماركس ملزماً الى حد بدا معه من المستحيل ان يتبع التاريخ أي مسار آخر. وقد لقيت مسلماته قبولا عظيماً لدى أتباعه الخاصين ولدى الاجيال التي تلته. وربما كانت الماركسية من حيث هي تعبير عن الحقيقة التاريخية أكثر العقائد اقناعاً على الاطلاق. وقد كان أثرها عظيماً وغير محدود ومستمراً. وكانت الوقائع التي اعتمدها مؤسس الماركسية صحيحة وكان تفكيره منطقياً وعميقاً، فأصاب هذا المفكر في كل شيء وأخطأ في استنتاجاته. فتطور الاحداث لم يأت على النحو الذي رسمه اذ ان الطبقة العاملة تحسنت أحوالها المعيشية ولم تتداع الرأسمالية.وقامت الثورة فيالبلد الاقل تصنيعاً لا في البلد الاكثر تصنيعاً.وفي ظل القيادة الجماعية لم تضمحل الدولة بل اتسعتسلطتها ووظيفتها وأمسكت بزمام المجتمع. ومضى التاريخ في طريقه متجاهلا ماركس.

هل انتهت اوروبا؟ — حين تبين ان ماركس كان على خطأ أسرع الذين يبحثون عن الحتمية الى اخضاع التاريخ لمرجع جديد هو فرويد. لقد بتنا الآن خاضعين لسلطته وبات العقل اللاواعي ملكاً، أو على الأقل هكذا كانت الحال اذ ارتفعت الآن أصوات تزعم أن العقل اللاواعي هو كذبة. الا أنني أرى أن فرويد يبقى من خلال

أثره في النظرة الحديثة الى الامور أعظم عامل تغيير بين القرنين التاسع عشر والعشرين. ففهمنا للحوافز الانسانية اتخذ بعداً جديداً شاملا منذ رسوخ أفكاره في أذهاننا. ومع ذلك فلا أظن أن الدوافع الجنسية والنفسية اللاواعية يمكن التعويل عليها في جميع الظروف كما يقول الفرويديون الذين باتوا يضاهون الماركسيين من حيث التزامهم مذهبهم الفكري. فهم يستطيعون تزويد المؤرخين ببصيرة نفاذة، لكن هذه البصيرة تبقى قاصرة في الدلالة على المستقبل اذ لا يسعنا الارتكاز عليها كي نتصرف وفاقاً لأنماط معينة.

بعد فرويد برز فترة قصيرة أوزوالد شبنغلر الذي تنبأ بأفول الغرب. ومنذ ظهور هذا الرأي أخذ الناس يرجعون اليه بين حين وآخر، خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية ونهاية الاستعمار. وقد ازداد الرجوع الى نبوءة شبنغلر بعد نهضة الصين وقيام سلسلة من الحركات الاستقلالية في آسيا وافريقيا. وذهب العارفون الى ان اوروبا قد انتهت.

جعل الناس يدفنون أوروبا لفترة غير قصيرة، ورأى المفكرون السياسيون في الثلاثينات ان المستقبل هو للولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي والصين. وفي رأيي ان هذا التوزيع لم يجد ما يسوغه. ولا أظن ان في وسعنا فصل الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي عن أوروبا، بل ان هاتين الدولتين هما امتداد لها. والحق اني لا استطيع ان أقطع بهذا الرأي بالنسبة الى الاتحاد السوفييتي، لكني على يقين مما أقول في ما يتعلق بالولايات المتحدة. فالثقافة الامريكية تنبع من اوروبا والثروات الامريكية لا تنفصل عن ثروات اوروبا. وانطباعي هو ان حيوية اوروبا تتجدد باستمرار وهي تشكل معيناً من الافكار لا ينضب.

ان الانشطار النووي مثلا هو مظهر للتقدم حديث وربما كان غير مرغوب فيه. وهو نتيجة أعمال الاوروبيين ماكس بلانك وبيار وماري كوري وأينشتين وروذرفورد وفرمي ونيلز بور وسزيلارد. وفي زمن سابق صنع داروين وماركس وفرويد الفكر الحديث وكانوا جميعاً اوروبيين. وليس لي علم بأي فكرة جديدة أتت من آسيا أو أفريقيا وتركت أثراً بارزاً في العالم الحديث باستثناء مفهوم غاندي للعصيان المدني.

لقد ظل الغرب مسيطراً في افكاره وسلطته الزمنية مدة طويلة جداً. وهذه الظاهرة لا تزال قائمة في نظري. ويبدو ان وجود الغرب في مركز القيادة ينمو بدلا من ان يتقلص، لأن ما يسمى انطلاقة شعوب آسيا وأفريقيا يحدث وفاقاً لمفهوم غربي ويقاس بنسبة ملاءمته المعايير الغربية السياسية والصناعية وسواها. وفي رأيي ان من المحزن ان تفقد هذه الشعوب حضاراتها، لكني اظن ان هذا أمر لا مفر منه.

طائفة من المتغيرات ــ نلاحظ ان بعض النظريات الخاصة بالتاريخ تروج فترة ثم ما تلبث ان تخبو لتحل محلها نظريات أخرى. لكن ذلك لم

يثن المؤرخين عن المضي في نهجهم. والواقع ان كتابة التاريخ تستدعي وجود "فكرة رئيسية منظمة" على حد تعبير أحد المؤرخين المحدثين.

اني اتصور "الفكرة الرئيسية المنظمة" أشبه بحصر ذات سلاسل حديد يجرها "تراكتور" بهدف تمهيد حقل محروث. واني لأرى الاستاذ يصعد الى مقعده ثم يبتعد وهو يجر فكرته الرئيسية المنظمة فوق نتوءات التاريخ وأخاديده حتى يحولها نظاماً جميلا ونظيفاً ومصقولا.

ان الانسان (أنت أو أنا أو نابوليون) لا يمكن اعتماده كما لو كان عاملا علمياً. فكل انسان هو مجموعة متغيرات تستند الى الشخصية والظرف واللحظة التاريخية بحيث يغدو استخراج نسخة مطابقة لها أمراً مستحيلا. فغموض شخصية الرجل يرجع الى ولادته وأبويه وأقربائه ومدرسته ووضعه الاقتصادي والاجتماعي وعمله الاول وصديقته الاولى والى المتغيرات الكامنة في هذه العوامل جميعاً. وتندمج هذه المتغيرات في متغيرات أخرى هي البلد والمناخ والزمن والظرف التاريخي. فهل يعقل ان تجتمع ثانية هذه العناصر كلها بنسب دقيقة محددة لتولد أمثال هتلر وديغول أو لي هارفي أوزوالد؟

وطالما بقي الانسان المتغير المجهول - وليس هناك ما يشير الى امكان تبدل هذه الحقيقة في المدى المنظور - فاني لا أرى كيف تمكن الافادة من برمجة أفعاله واخضاعها لقوانين الارقام. ولا شك في ان المتحمسين للمعرفة الالكترونية سوف يمضون في تنقيبهم عن ماضي الانسان ليجمعوا آلافاً من المعطيات الجزئية ويزودوا بها دماغهم الالكتروني الذي يئز ويطن ويضيء ويقدم اليهم نتاجه. ولكن هل يمكن التعويل على هذه المعطيات؟ أنا أراهن ان التاريخ لن يلتفت الى هذه المعطيات أكثر مما التفت الى كارل ماركس، وليس هناك غنى عن المؤرخين. ان للعلوم الالكترونية منافع واضحة، لكني على ثقة تامة انها لن تحول المؤرخين ضاغطي أزرار أو تضع التاريخ في قالب لا يتغير.

■ بربارة توشمان

المدير والموظف

سأل مديرُ شركة أحد المرشحين لوظيفة: "هل تفضل نوعاً معيناً من العمل؟"

- أجل، أريد أن أكون في مجلس الادارة.

"أأنت مجنون؟"

- ماذا؟ أتعني أن هذا من شروط المنصب المذكور؟

ن.ك.

في حداثتك تكيف شعرك حسب الطراز الشائع. أما عندما تكبر وتشيخ، فإنك تكيف الطراز ليلائم الشعر الباقي في رأسك.

ك.ر.

هذه الاقلية من الزوجات التي تدعي السعادة الجنسية، هل هي نخبة متميزة بالذكاء والفطرة؟ الجواب: كلا. وعضوية هذا النادي مفتوحة لكل من يهمها الامر

نادي السَعادة الزوجيَّة

ربما كان أهم أثر للثورة الجنسية في أيامنا هذه إغنـاء الجنس داخـل الزواج. فها هنّ الزوجات ينفضن عنهن الشعور بالذنب الذي كان له اثر سلبي في علاقتهن الجنسية مع ازواجهن، ويحوّلن العنصر الجنسي جزءاً رئيسياً من حياتهن الزوجية. ولقد اقتنعنا بالحقيقة المذكورة بعد مراجعتنا الاجوبة التي أعطتها ٨٣ ألف زوجة عن استطلاع من ١٠٣ بنود أرسلناه اليهن عام ١٩٨٢.

ومنذ ذلك الحين عدنا مراراً الى معطيات الاستطلاع ومحصنا أجوبة ١٢ في المئة من النساء، وهي نسبة اللواتي وصفن أنفسهن كشريكات "ممتازات" وقلن ان زيجاتهن "مُرضية جداً من الناحية الجنسية." واستطعنا اكتشاف أربعة عناصر ذات علاقة بالاشباع الجنسي والسعادة العامة في هذه الزيجات الناجحة:

الجنس في عداد الاولويات.
معظم الزوجات المكتفيات ينظرن الى الجنس في حياتهن كمتعة، لا كواجب. ومهما بلغ انشغالهن، فهن لا يعدمن وقتاً للغرام. وأكثر من نصف نساء تلك المجموعة يأوين الى النوم

Condensed from Ladies' Home Journal (May '83), New York, N.Y.

مع أزواجهن· ويكفي أن يصدر الزوج أقل إشارة على ذهابه الى السرير لكي تطفىء الزوجة جهاز التلفزيون أو تضع ما تقرأه جانباً· وتقول إحداهن: "لقد عشنا معاً ما يكفي لكي أقرأ ذلك في عينيه· وأحياناً أود أن أقول: "ليس الليلة يا حبيبي،" لكني لا أقول شيئاً· وأشعر بالسعادة لأن الجنس جميل على الدوام·" ·

إلا أن وقت النوم ليس الوقت الوحيد الذي تمارس الزوجات المكتفيات الجنس· والعديد منهن يمارسنه كلما دفعتهن الرغبة إليه· ومهما بلغ من عفوية المرأة، فهي أحياناً تصمم على مطارحة زوجها الغرام ساعة الغداء أو في نهاية الاسبوع بعيداً عن أولادهما· وتقول إحدى اولئك النسوة: "بدت فكرة تصميم مواعيد الجماع مفتعلة أول الامر· لكنها، في الواقع، لا تختلف عن المواعيد التي يضربها العشاق في ما بينهم· وهي رومنطيقية جداً·"

والكثيرات من هؤلاء الزوجات يتعمدن الاثارة، كأن يمارسن الجنس في غرفة ذات أنوار باهتة وموسيقى خافتة· ومعظمهن يرتدين ملابس مغرية ويتعطرن ويتبرجن قليلا· وقد كتبت إحدى الزوجات في الاستطلاع المذكور: "تزداد ثقتي بنفسي إذا عرفت أني أبدو كأجمل ما يكون·"

إظهار الرغبة·

العنصر الرئيسي الثاني من عناصر العلاقة الجنسية الناجحة هو التأكد من أن الشريك يدرك وجود الرغبة· والزوجات الخبيرات يعرفن أن أقوى منشط جنسي للزوج هو إظهار حبهن له ورغبتهن فيه· وقد جاء في جواب إحداهن: "يقول أحدنا للآخر "أحبك" مرة في اليوم على الاقل· ولا يتورع واحدنا عن تقبيل الآخر ومعانقته حتى أمام مرأى أولادنا·"

وقالت زوجة في الخامسة والعشرين: "الجنس جزء مهم من علاقتنا· وأهم ما فيه مقدماته، إذ نتحادث حول أحلامنا وهواجسنا ونتلامس بحنان· وهذا يصدّ متاعب الحياة اليومية وضغوطها·"

قوّة التركيز·

لدى ممارستهن الجنس تطرد هؤلاء الزوجات كل تفكير آخر، كأن الواحدة منهن تقول: "سيكون لكل شيء وقته· أما هنا والآن، مع هذا الرجل الذي أُحب، فلن أدع أي شيء يعترض لذتنا·" ومعظم الزوجات المكتفيات جنسياً يقلن انهن لا يفكرن في أي شيء آخر وقت الغرام· وهذا يفسر حدوث الرعشة الجنسية الكبرى لديهن·

تقدير الذات·

إن ممارسة الجنس تعني أن يكشف الواحد ذاته للآخر· وإظهار الذات يفترض الثقة بها وتقديرها· من هنا ليس غريباً أن تعزو النساء المكتفيات جنسياً هذا الاكتفاء الى ثقتهن بأنفسهن·

ومن عوامل تقدير الذات عمل المرأة خارج المنزل والكبرياء التي تستمدها من إنجازها المهني· ولكن سواء أكن موظفات أم لا، فالزوجات السعيدات جنسياً يأخذن سنداً قوياً من حياتهن الزوجية· والازواج الذين يسمعون

عبارات الحب يبادلون زوجاتهم عبارات مماثلة ويجدونهن جميلات ومغريات. وهذا النوع من التقدير يعزز ثقة المرأة بنفسها ويحثها على إظهار رغباتها الجنسية أمام زوجها.
ولكن هل يمكن تعلم هذه الاسرار؟
الجواب: "نعم"، حتى من قبل الزوجات اللواتي لا يعرفن الاكتفاء في علاقاتهن الحالية. والاقلية السعيدة التي عرضنا بعض مواقفها تعرض علينا الامثولة الآتية في تحسين العلاقات.

خصصي وقتاً للحب.
إذا شئت ممارسة الجنس أكثر مما تفعلين، فاستعيضي به عن بعض النشاطات التي تملأين بها وقتك.
وإذا كانت مبادرتك الشخصية ضعيفة لبدء الغرام، فحاولي تقويتها. وإذ ذاك سيدهشك تعدّد الازمنة والامكنة التي تفسح لك مجالا للعلاقة مع زوجك.

قولي: "أُحبك."
العديد من الازواج يكف عن قول هذه العبارة لأنه يدرك أنه يحب الآخر كما الآخر يحبه. لكن هذا الاهمال خطأ.
وإذا حدث لك، فبادري الى استعادة هذه العبارة السحرية الضائعة: "أُحبك." بعدئذ ستكون القبل أكثر حرارة.

انسي همومك.
ضعي نصب عينيك هذه القاعدة: عندما يقفل باب المخدع تبقى الهموم خارجاً. ويمكن أن يكون الجنس بينكما استراحة من الهموم وظرفاً لتأكيد الحبّ وفرح واحدكما بالآخر.
والمرّة التالية التي تمارسان الغرام احرصا على أن يواجه أحدكما الآخر بالروح كما بالجسد.

أحبي نفسك.
بادري، أولاً، الى امتحان أفكارك حول ذاتك. وكوني صادقة وأنت تحاولين الاجابة عن الآتي: هل تحبين جسدك؟ هل تحبين مظهرك ككل؟ وإذا كان الجواب سلبياً، فهل يمكنك تحسين الوضع أو قبول نفسك كما أنت؟ وبعد ذلك قومي شعورك حيال ما تفعلينه يومياً. واسألي عما إذا كان ثمة عادات تريدين الاقلاع عنها وأهداف تودّين بلوغها. ولكن احرصي على ألا تضعي لنفسك غايات ومقاييس مستحيلة. وكوني فخورة بأقل تحسين يمكنك إدخاله على حياتك.

وأخيراً، تذكري أن الزوجات المكتفيات جنسياً لسن أقوى ذكاء أو أكبر موهبة من سواهن. إنهن نساء تعلمن أن يحببن ذواتهن وأن يستخدمن معطياتهن الجنسية.

■ إلن فرانك وسوندرا إينوس

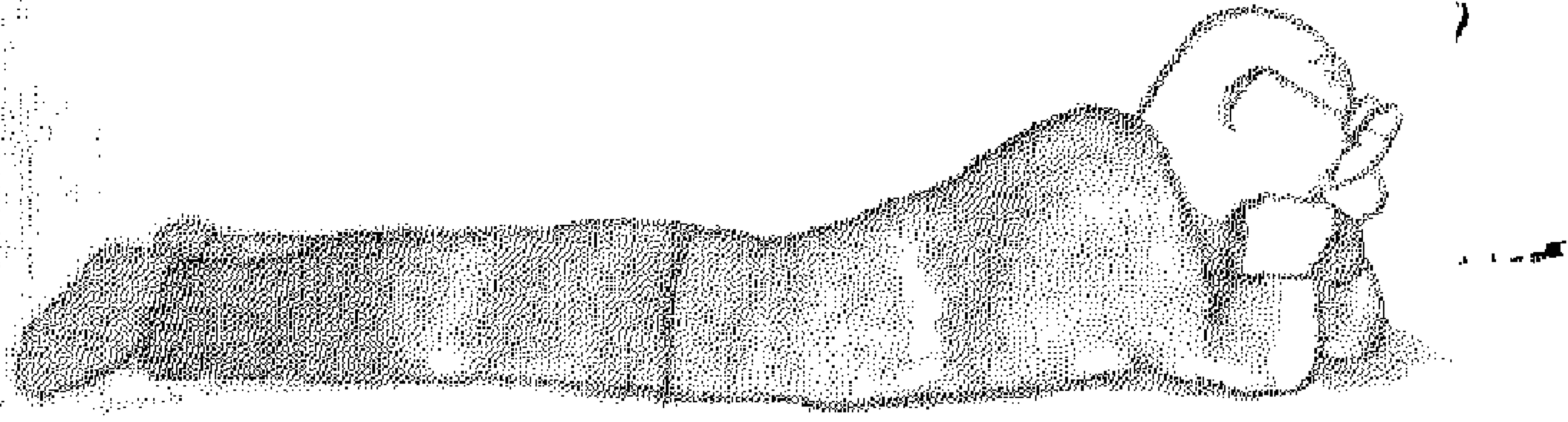


ابن البلد

قالت سائحة وهي تغادر مسرح شكسبير الملكي في بلدته ستراتفورد ـ اون ـ آفون:
"لقد كانت مسرحية ممتازة حقاً! أليس كذلك؟ ويُقال إن شخصاً محلياً كتبها."

ب.و.

تأملات معاصرة



الصداقة

اذا كان لك صديق واحد متوحد، جربته العزلة ومنحته الحكمة والصدق، فأنت من اغنياء العقل والروح. وصديقك هذا كنز لك لا يفقد قيمته بل يزيدك غنى مع الايام. واذا كانت لك صداقة كهذه فلا تطلب منها ما ليس لها، بل امنحها ولاءك كله فتكون لك ذخراً يدوم.

جورج ادامز

الصمت

اذا كان الصمت مقصوداً، فهو أمر مصطنع ومزعج. أما اذا جاء من تلقائه، فهو يولد الالفة بعيداً عن الوحشة والملل.

ستيفن لبكوك، اقتصادي كندي

قلادة الصيف

الصيف قلادة صنعت بعبير مئات الأشياء العادية. ففيها العنبُ البري والخرنوب الأسود والتفاح والسفرجل والخوخ والتوت. وفيها كذلك الفل والزنبق والياسمين ونعنع الماء والقصعين وأفواج البراعم الصغيرة التي تأتيك اخبارها وأنت لا تبصرها.

هذا كله رائع. الا ان أروع ما يزين قلادة الصيف هو رائحة التراب لدى سقوط قطرات المطر الاولى فوق حره اللاهب. واذا كان لسلام النفس من شذى، فانه شميم هذا التراب المبلّل بالمطر.

ر.ب.

عظمة الشعب

ليس هناك بلاد صغيرة. فعظمة الشعب لا يقررها عدده، تماماً كما ان عظمة الانسان ليست وقفاً على طول قامته.

فيكتور هيغو، شاعر وكاتب فرنسي

بزرة البطيخ

بعد تأملي في الطاقة التي تنطوي عليها بزرة بطيخ، وجدت أن في إمكانها أن تستخرج من ذاتها ومن الارض ما يتجاوز وزنها مئتي ألف مرة. وإذا قلت لي كيف تفعل هذا، أو كيف تلون غلافها الخارجي على نحو يعجز الفن عن محاكاته، وكيف تلون ضمنه تلك الطبقة البيضاء التي تغلف قلبها الاحمر المحشو بزورا سوداء، تنطوي كل منها على طاقة استخراج ما ينجاوز وزنها مئتي ألف مرة، فكأنك تسألني عندئذ أن احدد قدرة الله تعالى.

وليم بريان، محام وسياسي امريكي

أمراض العصر

أ ـ الأمراض النفسية ـ الجسدية ليست من نسج الخيال

اظهرت الابحاث العلمية الحديثة ان لانفعالاتنا تأثيراً قوياً في صحتنا



ظللت لفترة مديدة من حياتي اعاني اجهاداً مؤلماً ينتاب عيني ولا اعرف له سبباً. وأزعج ما فيه انه لم يكن يعتريني الا حين اكون في امس الحاجة الى عيني، اي خلال فترة الامتحانات في الكلية مثلا. وحين صارحني احد اطباء العيون بان هذا الاجهاد ربما كان ناجماً عن حال نفسية ـ جسدية، استشطت غضباً. حسبت ان هذا التعبير يعني وسواساً او عصاباً، وظننت الطبيب يقصد اني اتوهم ما اعاني او اني اجلبه على نفسي لغاية ما.

بعد ذلك، وبفضل تقنية بيولوجية تقيس مقدار التوتر في عضلات الوجه، اكتشفت اني حين يساورني القلق ينقبض فكاي مدة طويلة حتى تتوتر العضلات المحيطة بعيني، وربما كان هذا يحد من جريان الدم

اليهما. وبعدما تعلمت كيف ارخي عضلات وجهي زال اثر الاجهاد في عيني.

اذاً، كنت حقاً مصاباً بمرض نفسي - جسدي، اي بحال جسدية حقيقية ناتجة من رد فعل الجسد على الارهاق.

يقول الدكتور وليم ويب امين سر اكاديمية الطب النفسي - الجسدي: "ان فكرة تأثير الاحوال الفكرية والعلاقات بين الناس والخصائص الشخصية وانماط العيش في احوال الجسد ليست جديدة. ولكن قبل فترة وجيزة فقط لفتت هذه الظاهرة الاطباء في المجالين العلمي والتقني."

لكي تفهم كيف يؤثر الارهاق في الصحة، خذ في الاعتبار رد فعل جسدك على الانذار والطريقة التي يستعد بها للتصدي او الفرار في حال الخطر الداهم: يتدفق افراز الادرينالين (★) في مجرى الدم، وهذا يجعل القلب ينبض بشدة. ويوقف الجسد جميع عملياته غير الجوهرية، كالهضم مثلا، ليحول الدم الى العضلات والدماغ. ويصبح التنفس ضحلا وتتوتر العضلات كلها خصوصاً في الظهر والعنق والكتفين. ويدفع الطحال كريات الدم الحمراء الى مجرى الدم ليزيد امداد الانسجة بالاوكسيجين. وتطلق الكبد ما تختزنه من فيتامينات ومغذيات في شكل مادة سكرية (سوكروز).

من المدهش ان هذه الاستعدادات الشاملة تظهر كاستجابة لاستثارة ضئيلة، مثل امتحان في الكلية او شجار بين حبيبين او انتقاد من الرئيس. وحين تزخر الحياة بمثل هذه الارهاقات، فان التعبئة المتواصلة لطاقات الجسم تسبب له انهاكاً.

مع ذلك يبدو ان بعض اعضاء الجسم اكثر تعرضاً للتأثيرات الانفعالية من سواها. وثمة ادلة توحي بان الانفعالات تمثل دوراً مهماً في جميع الامراض على الاطلاق.

ويجرى حالياً بحث في علاقة الانفعالات بمرض القلب يتولاه جايمس لنش استاذ علم النفس والمدير المشارك للعيادات النفسية - الفيسيولوجية في كلية الطب في جامعة ماريلاند في كوليدج بارك. وقد اثبت الاستاذ لينش بالادلة الدامغة في كتابه "القلب الكسير" ان العلاقات السعيدة بين الزوجين ومع الاصدقاء والاقارب لا تفيد الصحة العقلية فحسب، بل ربما تقي المرء من امراض القلب والدورة الدموية.

من جهة اخرى اكتشف فريق لنش اخيراً، من طريق استخدام تقنية الدماغ الالكتروني، ان ضغط الدم يرتفع بنسبة ملموسة في اللحظة التي يبدأ المرء الكلام. وكلما كان ضغط الدم مرتفعاً في اثناء الراحة ازداد اتجاهه الى الارتفاع عند الكلام. وتدل الملاحظات المخبرية انك اذا كنت تتحدث مع غرباء او تخوض نقاشاً حاداً او تتعرض للانتقاد، فثمة احتمال ان يرتفع ضغط دمك بنسبة تراوح بين ٤٠ و٥٠ في المئة فوق مستواه اثناء الراحة. وهذا ما حدا

(★) هرمون تفرزه الغدة الكظرية.

الاستاذ لنش وزملاءه على استنتاج مدهش هو ان لارتفاع ضغط الدم علاقة بمشاكل الاتصال بين الناس.

واظهرت الدراسات المبنية على اختبارات اجريت على ٤٩٠٠ رجل، بين اسوجي واميركي، ان "الارهاق النفسي العالي" الناجم عن ضغوط العمل هو احد العوامل في حدوث امراض القلب والشرايين. فالرؤساء لا يصابون بهذه الامراض في العادة، بل المرؤوسون. وتعم امراض القلب على نحو اوسع بين العمال الذين تجمع مهماتهم بين متطلبات مرهقة وقدرة محدودة على التأثير في طريقة انجاز تلك المهمات.

اما الناحية الاخرى التي طالما اثارت اهتمام العاملين في الابحاث النفسية - الجسدية فهي الاضطرابات الهضمية. ذلك لأن الجهاز المعدي والامعائي يتأثر مباشرة بتقلب الانفعالات اكثر من اي جزء آخر من الجسم. فمرض تنخر العظام، مثلاً، الذي يجعل العظام رقيقة وهشة، بدا انه ناجم عن نقص مزمن في الكلسيوم. ومن المعتقد الآن ان المريض، وان تناول الادوية المكملة، لا يمتص جسمه الكلسيوم اذا ظلت المشاكل الانفعالية تسبب اضطرابات متواصلة في الجهاز الهضمي الحساس. ووجد الباحثون كذلك ان الارهاق المستمر يسبب تدفق حامض الهايدروكلوريك الى المعدة اكثر مما ينبغي.

كان يظن من قبل ان بعض الامراض، كالزكام، تنتقل مباشرة بالعدوى الجرثومية. والآن نعرف اننا نصاب بالزكام حين يضعف جهاز المناعة لدينا. وتظهر الدراسات ان للارهاق تأثيراً قوياً في اضعاف جهاز المناعة.

واصبح هناك قبول واسع للنظرية القائلة ان للارهاق، اذا لم يعالج على نحو صحيح، دوراً في تقرير من يصاب بالسرطان من الناس. وفي دراسة اجريت على حالات عدة لتوأمين متشابهين اصيب احدهما بسرطان في شيخوخته بينما لم يصب الآخر، وجد الدكتور وليم غرين، استاذ الطب وعلم النفس في المركز الطبي في جامعة روشستر (نيويورك)، ان التوأم الذي يصاب بالسرطان يكون عانى قبل فترة وجيزة اضطرابات عاطفية بينما كانت حياة التوأم الآخر هادئة.

خلاصة القول ان الجسد والفكر متمازجان كتمازج صفار البيضة المخفوقة بزلالها. ولكن لحسن الحظ ثمة اساليب تؤمن سلامتنا جميعاً في فترة الارهاق. وندرج هنا اهمها:

● **اختبر مشاعرك.** تساءل الدكتور بيتر ناب استاذ علم النفس ورئيس الخدمات النفسية - الجسدية في كلية الطب في جامعة بوسطن: لماذا يقوى بعض الناس على تحمل أزمة ما، كفقد شخص عزيز، ويبقون في صحة جيدة بينما يعتل آخرون؟" وكان جوابه: "اعتقد ان الذين يحتفظون بصحتهم جيدة يمارسون حزنهم ايجاباً. انهم يفكرون في المصاب الذي ألم بهم ثم يكابدون آلامه ليتغلبوا عليه. اذا قمعت مشاعر

الحزن، فان جسدك ينتحب نيابة عنك ويعتل."

● **افصح عن احاسيسك المؤلمة.** اذا اغتظت من شقيقك لانه لم يساعدك في العناية بأمكما المريضة، حاول ان تعالج الموقف بعقل منفتح بدلا من ان تنطوي على نفسك في صمت متجهم او ان تتصدى له في سورة من الغضب. اظهر استعدادك لحل المشكلة. ان تفادي خلاف لا داعي له في البيت امر مهم: ففي احدى الدراسات التي اجريت على مرضى القلب في احد اجنحة الطوارىء تبين ان ٧٦ في المئة منهم اصيبوا بنوبات قلبية في اعقاب ازمات عائلية خطيرة حدثت قبل وقت وجيز.

● **تجنب ادخال تبديلات كثيرة على احوالك دفعة واحدة.** ينشأ الارهاق نتيجة تبديل يقتضي التأقلم مع اوضاع جديدة او عسيرة، مثل تبدل اسلوب الحياة بعد وفاة قرين او تحمل مسؤولية رعاية طفل او مواجهة مصاعب مالية، او حتى بعد احداث سارة مثل ربح جائزة يانصيب. يكون التبديل مرهقاً اذا كان كبيراً وفجائياً.

● **تعلم كيف تهوّن الامور.** في حال الاسترخاء الحقيقي يتباطأ نبض القلب ويصبح التنفس ضحلا ويشعر المرء بالدفء يدب في يديه وقدميه. كما يحس ان تفكيره هادىء ومستقر وان جسده كله يمتلىء بالانتعاش. الاساليب الفعالة للاسترخاء هي التنفس العميق والتمطي والتأمل والتوعية البيولوجية (وهذه تتطلب بضع جلسات من التدريب المحترف).

● **الجأ الى اصدقائك.** ان الروابط الاجتماعية غير الكفية تقارن بالنواقص الغذائية. وبعض الاطباء النفسانيين يعتقدون ان الشخص الذي تتوافر له التغذية الصحيحة هو اقل تعرّضاً للمرض، كذلك الشخص الذي تتوافر له حياة اجتماعية مكتملة يكون اقوى على مقاومة العلل.

● **مارس الرياضة المناسبة.** اتضح ان التمارين – حتى المعتدل منها – تنتج مستويات اعلى من الاندورفينات، وهي افرازات شبيهة بالمورفين يكوّنها الجسم نفسه. ومن طريق التمرين المستمر يبدو اننا نقوّي جهاز انتاج الاندورفينات. وقد عمد الدكتور لي بيرك من المركز الطبي في جامعة لوما ليندا في كاليفورنيا الى قياس مستويات الاندورفين في اجسام الرياضيين واجسام الذين لا يمارسون الرياضة، فوجد ان اجساد الذين يمارسون الرياضة بانتظام تنتج مقادير أوفر من الاندورفين اثناء المواقف المرهقة، وتنتجها على نحو اسرع، مما يدل على ان هؤلاء قادرون على مواجهة المتاعب اليومية على نحو افضل من الخاملين.

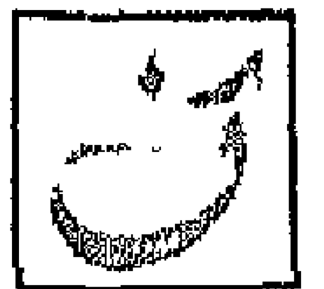
● **احزم امرك على ان تعيش.** حين اجرى الدكتور ڤيكتور فرانكل دراسات

على الناجين من معسكرات الاعتقال النازية، ليكشف سبب بقاء هؤلاء على قيد الحياة بينما قضى الآخرون، وجد ان الفرق يكمن في ان هؤلاء الناجين كانت لديهم اسباب قوية تحدوهم على الرغبة في العيش. وقد يكون اهم ما في تحاشي امراض الارهاق ان يكون للمرء سبب كاف يرغبه في البقاء متمتعاً بصحة جيدة.

■ كاثرين هوك

ثمة وباء يكتسح البلدان الصناعية، وهو ليس السرطان عينه، بل الخوف من السرطان

٣ـ سرطان الوهم يتحول وباء



كلنا نخاف السرطان. وهذا الخوف بلغ الآن حداً جعله وباء. والوباء ليس السرطان عينه، فليس ثمة وباء سرطاني. وباستثناء سرطان الرئة الذي ينجم غالباً عن تدخين السجائر، فان معدلات الاصابة السرطان والوفاة به اخذت تستقر، وفي بعض الانواع اخذت تتضاءل فعلا.

لكن الخوف من السرطان اخذ ينتشر ليتحول وباء. وبلغ الامر ان الارض نفسها اصبحت تبدو كأنها عامل ضخم يسبب الاصابة بالسرطان. والقول المألوف، الذي قد يكون او لا يكون علمياً، ان بين ٨٠ و٩٠ في المئة من السرطانات تنشأ عن اشياء في البيئة، اصبح يعني ان ليس بين الناس من هو في مأمن حتى يتم "تطهير" البيئة برمتها. لكن الامر ليس كذلك ابداً.

ان تحديد نسبة الـ٨٠ في المئة يرتكز على الفوارق التي لا تعليل لها في حدوث السرطان بين مختلف المجتمعات في انحاء العالم، كالمعدلات العالية لسرطان الكبد في افريقيا والشرق الاقصى وسرطان المعدة في اليابان وسرطان الثدي في اوروبا الغربية وامريكا الشمالية، في مقابل المعدلات المنخفضة نسبياً لسرطان الثدي في اليابان وبعض انحاء افريقيا وسرطان الكبد في الولايات المتحدة. وتشير هذه المعلومات الى احتمال وجود تأثيرات بيئية وخاصة تتوقف الى مدى بعيد على نمط الحياة الشخصية وتقرر حدوث مختلف انواع السرطانات في المجتمعات المتباينة. لكن هذا هو كل ما تشير اليه هذه المعلومات. اما حدوث السرطان عموماً فربما يكون هو نفسه في كل مكان من العالم.

والاحتمال الحقيقي للاصابة بالسرطان هو أقل كثيراً من الخطر الوهمي، ويجب ان يساور الناس حول هذه المسألة قلق اخف كثيراً مما يزخر به تفكير الرأي العام في هذه الايام.

وعلى رغم ارتفاع المجموع الاجمالي للاصابات، فان هذا يعود جزئياً الى ان عدداً كبيراً منا بات يعيش حياة اطول، وهكذا يبقى على قيد الحياة الى ان يبلغ السن التي تزداد فيها احتمالات الاصابة بهذا الداء الوبيل. ومع ذلك فان ٧٠ في المئة منا لن يصابوا بداء السرطان ابداً. اما الـ٣٠ في المئة السيئو الحظ فان ما يناهز نصفهم سينجون منه.

والى ذلك فثمة امل كبير في ان حظوظ النجاة من السرطان والوقاية من اخطاره سوف تشهد تحسناً عظيماً عاجلا ام آجلا، نتيجة للابحاث الجارية في هذه الايام والتي ستجرى في المستقبل.

■ **لويس توماس**

نائب من زمن نوح

وقف نائب في مجلس العموم البريطاني يلقي خطاباً عن صناعة السفن، بدأه بفلك نوح. واستسلم رئيس الوزراء للنوم فيما معاونه يدون الوقائع. وأفاق وسمع النائب نفسه يتحدث، فسأل: "أين صار صاحبنا؟"

ـ إنه يتكلم عن عهد الملكة اليزابيت الاولى.

"أرجوك، إذاً، أن توقظني بعد ٢٥٠ سنة."

صحيفة "سيلكتا"، المانيا

الملفات الخاصة

وجد مدير شركة أوراقاً كثيرة على طاولة أحد الموظفين، فطلب منه أن يحيلها على الملفات الخاصة. وفي اليوم التالي سرّه أن يبصر طاولة الموظف نظيفة كما يجب. لكنه فتح أحد الادراج ليرى فيه كومة من الاوراق كُتب فوقها: "ملف الاوراق التي تحتاج الى تصنيف."

ل.ت.

وَرْدَةُ السَّبْت

بدا ان للفتاة التي نبذها حبيبها حبيباً خفياً... فمن تراه يكون؟



مساء كل سبت من ذلك الربيع المتباطىء كنت احمل وردة الى الآنسة كارولين ويلفورد، مساء كل سبت، اجل، وفي الثامنة بالتحديد، في الصحو والمطر على السواء.

كانت تلك الوردة، على الدوام، أفضل الورود في المحل. ولم أرفع نظري عن العجوز أولسن وهو يحوطها بالخنشار ويغلفها بعناية في ورقة خضراء شفافة. وما أن ينتهي حتى أحمل الوردة في غلافها وأطير بها على دراجتي الهوائية عبر الشوارع الهادئة نحو منزل الآنسة كارولين. وكنت في تلك الآونة، بعد المدرسة وأيام السبت، أعمل موزعاً في محل أولسن لبيع الازهار واتقاضى ثلاثة دولارات في الاسبوع. لكنه مبلغ لا يستهان به لمراهق في تلك الايام.

ومنذ البداية كان ثمة أمر غريب حول تلك الورود أو حول الظروف التي دعت الى ارسالها. وعندما سلمني السيد أولسن الوردة الاولى سألته عن البطاقة التي تحمل اسم المهدي.

لكنه رمقني بنظرة مفطورة على لمحبة من تحت نظارتيه وقال: "ليس هناك أي بطاقة يا جيمس." وهو لم يناديني "جيمي" البتة. وأضاف: "هب ان الطرف الذي رغب في ارسال هذه الهدية شاء أن يُبقي هويته سراً. لذلك أنصحك بعدم البحث في هذا الامر."

وسرّني حصول الآنسة كارولين على الوردة، لأن الكلّ كان يرثي لحالها. وجميع سكان بلدتنا الصغيرة أدرك ان تلك الشابة لقيت أسوأ مصير، اذ وعدها أحدهم بالزواج ثم أعرض عنها.

وهي ظلت سنوات مخطوبة الى جفري بنيمان أحد أبرز شبان البلدة. وانتظرت كي ينهي دروسه في الطب. وما لبثت تنتظره وهو في مرحلة اختصاصه، حين وقع في غرام فتاة أصغر منها سناً وأجمل منظراً، وتزوجها.

عودة الروح - سقط ذلك النبأ كالفضيحة على سكان بلدتنا. وقالت امي ان جميع الرجال يتصفون بالعنف، وان جفري بنيمان يستوجب السقوط. لكنّ أبي عارضها بقوله ان حق كل رجل، لا بل واجبه، أن يتزوج أجمل فتاة تقبل به.

ولم يختلف اثنان على أن فتاة جفري بنيمان كانت جميلة. وكان اسمها كريستين مارلو، وهي نشأت في مدينة كبيرة. ولا شك في أنها واجهت خبرة أليمة في بلدتنا لأنّ النسوة أبغضنها وقلن في حقها كلاماً قاسياً.

أما كارولين المسكينة فوقع النبأ عليها كما الكارثة. وبقيت ستة أشهر حبيسة منزلها، وأوقفت نشاطها في قيادة فريق الفتيات الكشفي وانعزلت تماماً عن المجتمع. كما رفضت أن تعزف على ارغن الكنيسة كعادتها.

ولم تكن الآنسة كارولين متقدمة في السن أو غير وسيمة، لكنها عقدت العزم على ان تجعل من نفسها عانساً. وبدت مثل طيف في تلك الامسية وأنا أعطيها الوردة الاولى. وقالت وهي لا تبدي حراكاً: "أهلا يا جيمي." وحين مددت يدي بالوردة بدت عليها الدهشة وقالت: "أهذه لي؟"

وفي السبت التالي وجدتني أحمل وردة الى الآنسة كارولين في الوقت نفسه. ولما حانت المرة الثالثة وجدتها تفتح الباب بسرعة كمن يترقب شيئاً. واكتسب خداها بعض تورد هذه المرة، ولم يبقَ شعرها أشعث كما كان.

وفي اليوم الذي تلا زيارتي الرابعة ذهبت الآنسة كارولين الى الكنيسة وعزفت على الارغن. وشاهدت الوردة معلقة بقميصها. ورفعت رأسها عالياً طوال الوقت، الا أنها لم تلتفت البتة الى الصف الذي جلس فيه الدكتور بنيمان وعروسه الجميلة. وعلقت امي: "يا لها من فتاة شجاعة! يا لها من مخلوقة قوية الشخصية."

وظللتُ على عهدي أحمل وردة الى الآنسة كارولين اسبوعاً بعد اسبوع، فيما هي تستعيد حياتها الطبيعية.

السبت الاخير - حان السبت الذي زرت منزل الآنسة كارولين للمرة الاخيرة. وقدمت اليها الوردة وأنا

أقول: "انها المرة الاخيرة آتي اليك أيتها الآنسة كارولين. فنحن سننتقل الى مكان آخر بعد اسبوع. غير ان السيد أولسن أخبرني أنه لن ينقطع عن ارسال وردة اليك مساء كل سبت."

وقالت بعد تردد: "ادخل دقيقة يا جيمي."

وسارت بي نحو غرفة الجلوس الأنيقة. وتناولت عن رف الموقد نموذجاً لسفينة شراعية صنع باتقان وقالت: "انه نموذج لسفينة كان يملكها جدي. وفي ودي أن أعطيك اياه. لقد جلبت لي سعادة عظيمة يا جيمي، أنت وهذه الوردات."

وفضت الغلاف ولمست بتلات الوردة الناعمة وأضافت: "انها تقول كلاماً كثيراً، على صمتها. انها تروي لي حكاية أمسيات السبوت الماضيات، السبوت السعيدة. وهي تخبرني انه هو أيضاً يعاني الوحشة..." ولحست شفتيها كما لو تكلمت أكثر من اللازم وقالت: "حبذا لو ذهبت الآن يا جيمي."

وشددت على سفينتي الصغيرة وهرعت نحو الدراجة. وفي المحل فعلت أمراً لم أفكر فيه من قبل. فقد فتحت دفتر حسابات السيد أولسن لاعرف مصدر الورود. وتحت اسم "بنيمان" دون أولسن بخطه الرديء: "اثنتان وخمسون وردة فاخرة. ثمن الواحدة ٢٥ سنتاً. الثمن الاجمالي ١٣ دولاراً مدفوعة سلفاً."

وقلت لنفسي: "حسناً... لقد تأكد ظني."

وانقضت السنون. واذا بي أزور محل السيد أولسن فلا أرى شيئاً تبدل. ووجدت أولسن العجوز يجهز باقة من زهر الغاردينيا كما اعتاد ان يفعل.

وتحدثنا قليلا ثم سألته: "ما الذي حدث للآنسة كارولين؟ ألا تتذكرها؟ انها الآنسة التي كنت أحمل وردة اليها مساء كل سبت."

وهز أولسن رأسه وقال: "الآنسة كارولين؟ لقد تزوجت جورج هالسي الذي يملك صيدلية البلدة. انه رجل مهذب. وقد رزقا توأمين."

وارتأيت ان أطلع السيد اولسن على ذكائي، فقلت له: "أتظن أن السيدة بنيمان اكتشفت ان زوجها كان يرسل الورود الى حبيبته السابقة؟"

وتنهد السيد أولسن وقال: "انك لم تكن بارعاً يا جيمس كما تظن. فالدكتور جفري بنيمان لم يرسل تلك الورود ولا هو عرف من أرسلها."

وحدقت اليه قائلا: "ومن أرسلها؟"

أجاب السيد أولسن وهو يوضب باقة الغاردينيا بعناية فائقة: "لقد أرسلتها سيدة بحجة انها لم تحتمل رؤية الآنسة كارولين تجعل من نفسها شهيدة على حسابها... أجل، السيدة كريستين بنيمان ارسلت تلك الورود."

وأضاف وهو يطبق الغلاف حسناً: "هذه امرأة ذات شجاعة وقوة شخصية."

■ آرثر غوردون

"أتريد أن تعرف فلسفتي الشخصية؟"، قال رجل لسائله، "اني أستمتع بالحاضر، وأتحدى المستقبل، وأُعدل الماضي."

ب.ج.

تتبايـن اسعـار السيـارات
الاوروبية بين بلد وآخر، وقد وجد الوف
التجار المغامرين في ذلك فرصة لعقد صفقات
رابحة عبر الحدود

حَربُ السيّارات الأورُوبّية



تصور هذا الموقف: تكتشف ان البضاعة المعروضة في المتاجر المحليـة متوافـرة بنصف الثمن في فرع تجاري قائم في الناحية الاخرى من المدينة. ولكن حين تقصـد ذلـك المنفـذ الارخـص يفاجئك المديـر برفـع اسعـاره او يخترع اسباباً واهية لتأخير موعد التسليم او يرفض بكل بساطة ان يبيعك البضاعة.

لا ريب في انك ستستشيط غضباً. ومع ذلك فثمة ألوف من البريطانيين والفرنسييـن والالمـان والايطالييـن وسواهم من مواطني بلدان الاسرة الاقتصادية الاوروبية يجدون انفسهم في مثل هذا الموقف تماماً، حين يحاولون الافادة من الفروق الهائلة في اسعار السيارات التي تباع ضمن السوق الاوروبية المشتركة.

في أوروبا تباع السيارات بأعلى الاسعار في بريطانيا وبأدنى الاسعار في الدانمارك. وفي العام ١٩٨٢ كان المواطن البريطاني يعبر بحر الشمال الى الدنمارك فيوفر نحو ٥٠ في المئة من ثمن سيارة "فورد" او "روفر" قبل حساب الضرائب. وعلى غرار ذلك، ما ان يعبر المواطن الفرنسي الحدود الى بلجيكا حتـى يتقلـص ثمـن سيـارة

"رينو" او "ستروين" بمقدار ١٠ في المئة· ويتسنى للمواطن الالماني الذي يركب القطار الى جنوب الدنمارك ان يشتري سيارة "ب· ام· ف·" بثمن يقل بنسبة ١٥ في المئة عما يتوجب عليه دفعه في بلاده·

كيف يحدث ذلك وأحد الاهداف المعلنة للاسرة الاقتصادية الاوروبية هو تأمين الانتقال الحر للبضائع بين الدول الاعضاء؟

الجواب بسيط، وهو ان صانعي السيارات يتحكمون بالموزعين المجازين الذين يقدر عددهم بثمانين ألفاً والذين يبيعون ١٠ ملايين سيارة جديدة تنزل كل سنة الى طرق اوروبا الغربية· وهم يستغلون هذا التحكم لتحديد الاسعار تحقيقاً لأقصى مقدار ممكن من الربح في كل سوق وطنية·

ان البلدان الاربعة التي تملك صناعات سيارات هي بريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية وايطاليا، وتبلغ اسعار السيارات فيها أعلى المستويات لأن المنتجين المحليين يتحكمون بالسوق التي تتدنى نسبة اختراق الصناعة اليابانية فيها الى ما دون ١٠ في المئة بسبب نظام حصص الاستيراد (الكوتا) والاتفاقيات الخاصة· وفي الطرف الآخر لسلم الاسعار تقف بلدان "البنيلوكس" (الاسم المشتق من الحروف الاولى لأسماء بلجيكا ونيدرلاند (هولندا) واللوكسمبور والدنمارك، حيث يتنافس كل صانعي السيارات ضمن شروط منصفة وحيث تشمل الحصة اليابانية ٢٥ في المئة من السوق مما يدفع الاسعار نحو الهبوط· ويقول كلاوس ستوفر من هيئة ادارة السياسة التنافسية في الاسرة الاقتصادية الاوروبية: "ان لصناعة السيارات الاوروبية نظام توزيع تقييدياً الى اقصى الحدود·"

الربح والخسارة – اخذ المستهلكون يتسوقون على اساس المقارنة الجدية بعدما نشر المكتب الاوروبي لاتحادات المستهلكين دراسة في شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨١ تكشف الفروق في الاسعار الاساسية التي تصل الى ١١٧ في المئة بالنسبة الى ٢٥ طرازاً من السيارات تباع في ثمانية بلدان اوروبية هي الدنمارك واللوكسمبور وبلجيكا وهولندا والمانيا الغربية وفرنسا وايرلندا وبريطانيا· واتبعت الجمعيات الوطنية لحماية المستهلك هذه الدراسة بتقارير مفصلة ترشد المواطنين الى حيث يجدر بهم ان يتوجهوا لعقد صفقات شراء السيارات· ونشرت مجلة "ويتش؟" (أي منها؟)، وهي صحيفة بريطانية مختصة بخدمة المستهلكين، دليلا يرشد الراغبين في شراء السيارات الى كل ما عليهم ان يفعلوه في عملية الاستيراد، بدءاً باختيار السيارة وتخليصها من الجمارك وانتهاء بتسجيلها او باعادة بيعها· وقد ولدت من كل هذه النصائح ظاهرة تجارية مستحدثة هي الاستيراد الشخصي للسيارات·

ومن بين اوائل التجار الجدد كان آرنست مولر (★)· وهو هاوي سيارات

(★) جميع أسماء شاري السيارات مستعارة·

من برلين كان يحلم دائماً بامتلاك سيارة "جاغوار اكس ج ٦"، لكن ثمن هذه السيارة كان ٤٩ الف مارك الماني (١٨ الف دولار) ويتجاوز امكاناته. قرأ مولر في مجلة "التجربة" الالمانية المختصة بخدمة المستهلك ان الضريبة الدنماركية الباهظة على السيارات تصل الى ١٨٠ في المئة، ونتيجة لذلك سحق موزعو السيارات اسعارهم لينالوا حصتهم من السوق المتقلصة، فغدت الدنمارك المكان الارخص في اوروبا للاجانب الراغبين في شراء سيارة.

حمل مولر دليلا للمستهلكين في شهر يوليو (تموز) وسافر الى مدينة توندر الحدودية في الدنمارك واشترى سيارة "جاغوار" بمبلغ ٣٧ الف مارك فقط (١٤ الف دولار). وحتى بعد حسم تكاليف السفر وفر مولر اكثر من ٧٥٠٠ مارك (٣٠٠٠ دولار) في هذه الصفقة.

ازاء مثل هذه الصفقات لا غرو في ان اكثر من ٤٠٠ الف اوروبي اشتروا سياراتهم الجديدة من الخارج خلال العام ١٩٨٣. وكان البريطانيون استوردوا - بصفة شخصية - بضعة آلاف سيارة خلال السنوات الثلاث السابقة، اما عام ١٩٨٢ فقد استوردوا اكثر من ٦٠ الف سيارة. وفي ايطاليا يقود نحو ٨٠ الف سائق سنوياً سيارات حديثة الطراز ويوفرون نحو ٣٠ في المئة من الثمن، وهم يشترون معظمها من الدنمارك وبلدان البنيلوكس. كما يخطط ألوف الالمان لقضاء اجازاتهم السنوية في هذه البلدان حيث تتوافر صفقات مربحة.

بعدما واجه صانعو السيارات انخفاضات حادة في مبيعاتهم في اسواقهم الوطنية، حيث الاسعار مرتفعة، اخذوا يخططون لاجهاض عمليات شراء السيارات بأسعار مخفضة. وكان احد ضحايا هذا التخطيط صاحب فندق في دانكرك (فرنسا) اسمه بول هويسمان.

في شهر ابريل (نيسان) ١٩٨٢ عبر هويسمان الحدود الى مدينة بيفرين - آلفرنغم البلجيكية حيث اشترى سيارة "تويوتا' ترسيل" ذات اربعة ابواب مع ناقل سرعة آلي في مقابل ١٩٦ الفاً و٤٥٠ فرنكا بلجيكياً (٣٧٠٠ دولار) من دون الضرائب، اي ٣٥في المئة دون السعر الذي كان سيدفعه في فرنسا. وفي طريق عودته اضطر الى دفع ٣٣،٣٣ في المئة من قيمة السيارة ضريبة للجمارك.

بعد ذلك اخذت الامور تتعسر. فحين ذهب لتسجيل السيارة قيل له ان عليه ابراز شهادة تثبت ان السيارة مطابقة للمواصفات التي حددها صانع السيارات للسوق الفرنسية. وقيل له ان شركة "تويوتا" تعطيه مثل هذه الشهادة.

ذهب هويسمان الى وكيل "تويوتا" المحلي فأبلغه هذا ان كل ما عليه عمله هو تركيب احزمة واقية في المقعد الخلفي. انجز هويسمان هذا التعديل ثم وجه رسالة الى الفرع الرئيسي لشركة "تويوتا" في باريس راجياً اعطاءه الشهادة المطلوبة. وجاءه الجواب: "بكل تأكيد، ولكن بعد ان ترسل لنا حوالة بقيمة ٥٠٠ فرنك فرنسي (٦٣ دولاراً)".

بعد تردد ارسل هويسمان الحوالة. واذا به يتلقى رسالة اخرى تقول: "نظراً الى نظام حصص الاستيراد الدقيق (الكوتا) لا يمكننا ان نقدم اليك اي مساعدة." وأعيدت الحوالة اليه. وهكذا، بعد تسعة اشهر ونصف شهر من تاريخ شرائه السيارة، باعها في بلجيكا بخسارة ٥٦ الف فرنك بلجيكي (١٠٠٠ دولار). بعد ذلك حاول استرداد ٩٠٤٢ فرنكاً فرنسياً (١١٣٠ دولاراً) كان دفعها كضريبة اضافية للجمارك، فقيل له ان لا سبيل الى ذلك لانه أبقى السيارة في حوزته مدة اطول مما يجوز. ورفع هويسمان قضيته الى نادي السيارات في شمال فرنسا وأمكنه اخيراً ان يسترد ــ بمساعدة النادي ــ جزءاً من الضريبة التي تكبدها. وبالنتيجة تحولت الصفقة التي غنم فيها هويسمان اصلا ١٤ ألف فرنك فرنسي (١٧٠٠ دولار) خسارة مقدارها ٨٠٠٠ فرنك (١٠٠٠ دولار).

المنافسة الحرة ــ عمد صانعو السيارات البريطانيون الى أساليب مغايرة. فطوال سنوات والشركتان البريطانيتان "فورد" و"ليلاند" تصدران الى اسواق القارة الاوروبية سيارات لها مقود على الجهة اليمنى تشتريها قلة من الجنود والديبلوماسيين البريطانيين لكي يعيدوها معهم الى بريطانيا بعد انتهاء فترة خدمتهم في الخارج فيحققوا بذلك ربحاً. ولكن حين اخذت الجمارك البريطانية تتلقى يومياً اكثر من ١٠٠ سيارة شخصية مستوردة اصيب صانعو السيارات بالهلع. وفي ابريل (نيسان) ١٩٨٢ اعلنت شركة "فورد" في المانيا الغربية انها اوقفت توزيع جميع سياراتها ذوات المقود الايمن في السوق الالمانية. لكن لجنة الاسرة الاقتصادية أمرت شركة "فورد" باستئناف مبيعاتها هذه، وصدقت محكمة العدل الاوروبية هذا القرار بعد ستة اسابيع من صدوره.

لجأ صانعو السيارات الاوروبيون الى اساليب حرب العصابات واستنفروا وكلاءهم في القارة مهيبين بهم ان يعرقلوا المبيعات من طريق تحديد مواعيد تسليم غير معقولة والمطالبة بعربون باهظ في مقابل اي طلب لشراء سيارة ذات مقود على الجهة اليمنى. وفي مواجهة الحاح الزبائن الذين تخطوا كل هذه العراقيل، اضطر بعض صانعي السيارات الى رفع اسعار السيارات ذوات المقود على الجهة اليمنى بنحو ٢٥ في المئة.

في تلك الاثناء شن صانعو السيارات الالمان، الذين آذتهم المنافسة الدنماركية، حملة لثني مواطنيهم عن التعامل مع "الوكلاء "الرماديين"، اي الوسطاء الدنماركيين الذين يشترون مجموعات من السيارات بأسعار خالية من الضرائب ثم يعمدون الى بيعها لمقتنصي الصفقات الرابحة من الخارج. وفي فبراير (شباط) ١٩٨٣ وقع ٢٥ وكيلا لشركة "فورد" اعلاناً صحافياً ظهر في شمال المانيا يحذر من ان اي سيارة مشتراة من اي بلد

آخر من بلدان الاسرة الاقتصادية الاوروبية لن يشملها الضمان في المانيا الغربية (سحب الوكلاء تقييدهم هذا لاحقاً حين اتخذت لجنة الاسرة الاقتصادية الاوروبية اجراء قانونياً ضدهم).

ان مبدأ المنافسة الحرة بين الدول الاعضاء مضمون بموجب معاهدة روما (وهي وثيقة تأسيس الاسرة الاقتصادية الاوروبية) التي تؤكد ان للمستهلكين مطلق الحرية في شراء اي بضائع، بما فيها السيارات، حيثما شاءوا وبأفضل ثمن ممكن. وهناك ثلاثة بنود محددة في المعاهدة، وهي ٣٠ و٨٥ و٨٦، تدين مثل هذه التدابير التي درجت البلدان الاعضاء وصانعو السيارات على تطبيقها.

حجة باطلة - يؤلف صانعو السيارات هيئة سياسية ضاغطة في بروكسل عاصمة بلجيكا. وقد تلكأت الاسرة الاقتصادية الاوروبية في اتخاذ الاجراء المناسب في هذا الصدد. ففي بلدان الاسرة اربعةملايين عامل مدينون بوظائفهم لصناعة السيارات، كما ان مبلغ الـ٦٠ مليار دولار الناشىء سنوياً عن هذه التجارة يشكل ١٠ في المئة من مجموع التجارة الخارجية للاسرة الاقتصادية الاوروبية. ونتيجة لذلك تتردد الدول الاربع المنتجة في اتخاذ اي اجراء في صدد قضية الاسعار. لكن بريطانيا اتخذت خطوة في الاتجاه الصحيح حين سنت قانون عمل يسهل الحصول على شهادة "مطابقة المواصفات".

وبعد التحقيق في بضع مئات من شكاوى المستهلكين خرجت لجنة الاسرة الاقتصادية بمشروع قانون يوفر حلا. هذا المشروع يأخذ منحى "الجزرة والعصا"، أي الترغيب والترهيب: الجزرة هي نظام حصري للتوكيل والتوزيع الانتقائي يخالف مبادىء المعاهدة، لكن الاسرة الاقتصادية تتسامح في شأنه وقد تجيزه. ويقر هذا النظام بسيطرة صانعي السيارات انطلاقاً من المصنع وحتى صالة العرض. اما العصا فهي تضييق فروق الاسعار بين بلد وآخر الى حدود ١٢ في المئة فوق السعر الادنى لكل طراز من السيارات. واذا حدث أي تخطّ لهذه الحدود، فان التجار غير الرسميين - والوكلاء الرماديين وشبكات الاتجار الحر - يقتحمون السوق، حينئذ تفرض على صانعي السيارات غرامات باهظة اذا رفضوا امدادهم بما يطلبون من السيارات.

ويبدو ان المستهلكين سيحصلون اخيراً على صفقة عادلة. وحتى اذا عمت اسعار دول "البنيلوكس" بدلا من الاسعار الدنماركية المنخفضة، فان ذلك سيوفر على شاري السيارات مبالغ كبيرة. وكما هو متوقع، يرفع صانعو السيارات عقيرتهم بالتذمر من الاجحاف. ويقول هانس كلاوس امين سر لجنة الارتباط لصناعة السيارات في الاسرة الاقتصادية الاوروبية، وهي المظلة الواقية لصانعي السيارات: "ان الخسائر التراكمية التي يتحملها صانعو السيارات الاوروبيون تصل الى بضع مئات

ملايين من الدولارات • واذا كانت ثمة محاولة لفرض بند الـ١٢ في المئة، فان شركتين او ثلاثاً ستسقط الى الحضيض•"

لكن الذين وضعوا هذا النظام يخالفون هذا الرأي، ويؤكد لودفيك برايت، وهو عضو رفيع سابق في فريق مراقبة المنافسة التابع للجنة الاسرة الاقتصادية: "لسنا في صدد تدمير صناعة السيارات الاوروبية• فالقانون لن يطبق بين ليلة وضحاها، وهكذا يبقى امام صانعي السيارات وقت كاف لتنظيم شؤونهم الداخلية•"

والواقع ان صانعي السيارات أبطلوا حجتهم بأنهم مهددون بالخراب حتى قبل وضع بند الـ١٢ في المئة• ففي ابريل (نيسان) ١٩٨٢ اقتطعت شركة "فورد" ٦٠٠٠ دولار من السعر البريطاني لطراز "غرانادا غيا" لأن مبيعاتها تضررت من منافسة الاستيراد الشخصي• وأبقى الصناعيون الفرنسيون زيادة اسعارهم للعام ١٩٨٢ في حدود نصف ما تتحمله السوق البريطانية عادة• ويعرض الوكلاء في المانيا الغربية وفرنسا وايطاليا حسومات مغرية على الزبائن• ويقول باتريك ديبويسر، محامي المجلس الاوروبي لاتحادات المستهلكين الذي دأب على مراقبة أسواق الاسرة الاقتصادية الاوروبية طوال السنوات الثلاث الماضية: "مثل هذه التخفيضات تعني شيئاً واحداً فقط هو ان صانعي السيارات كانوا يتقاضون من الزبائن اثماناً باهظة وانهم يستطيعون اليوم تحمل خفض الاسعار•"

ويبدو ان صانعي السيارات، الذين كانوا متصلبين ذات يوم، انصاعوا للتكيف مع القوى التي لا تقاوم في السوق• وازاء هذا الواقع لا يسع شاري السيارات في اوروبا سوى ان يهتفوا: "فلتحيَ المنافسة!"

■ بول مارتن



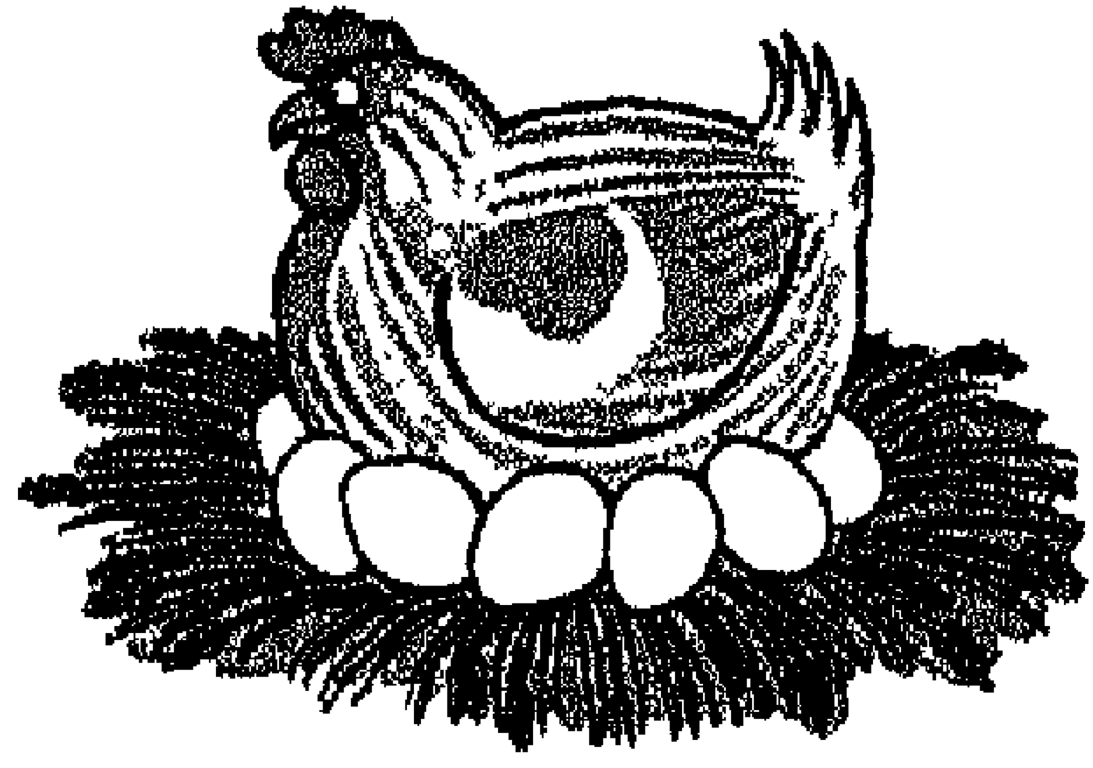
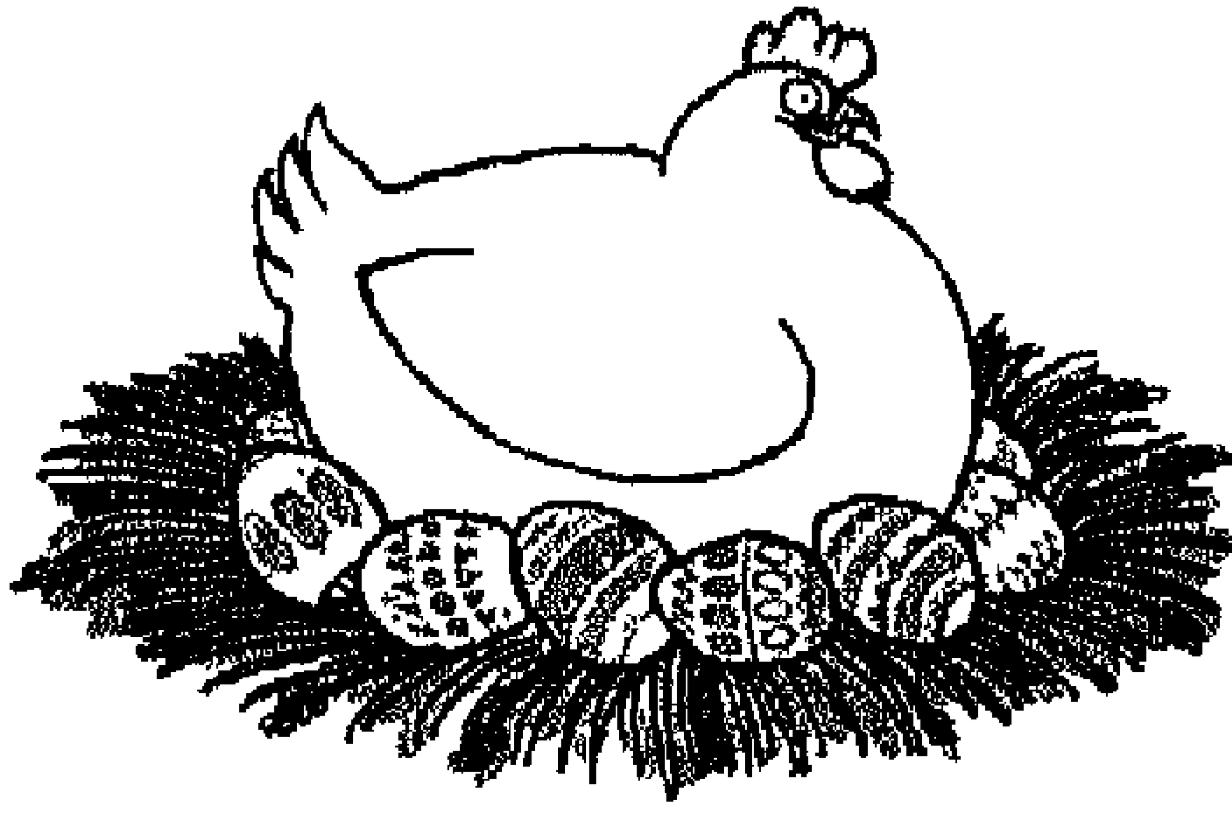
المرأة لا تكبر

فيما كنت وزوجتي ننتظر دورنا للصعود الى الطائرة، أعلنت المسؤولة ما يأتي: "فليتقدم كل من هو تحت السادسة أو فوق الستين•" وتقدم جميع الركاب الذين صحبوا أولادهم• وبعد دقيقة جاء رجل اتضح انه فوق الستين• ولما مررت وزوجتي، وجدنا الرجل ينتظر على باب الطائرة• وسألته زوجتي عن سبب وقوفه هناك، فأجاب: "اني انتظر زوجتي التي رفضت الاقرار بأنها تجاوزت الستين، وهي تحمل بطاقتي السفر•"

ج•س•

قالت ربة بيت لصديقتها: "إني أتناوش وزوجي مرة في الاسبوع ••• وأنت؟"
ـ إن زوجي يتلقى راتبه مرة في الشهر•

ن•س•

صور من الحياة

هدية العيد

في الثالثة والتسعين، اقتصرت حاجات والدي على ما هو ضروري وتقلصت رغباته. وشاءت زوجتي ان يختار هدية لعيد ميلاده، فسألته: "ماذا تريد لعيد ميلادك هذه السنة؟"

ـ لا شيء.

قالت: "لكن هذا ما طلبته العام الماضي".

ـ اجل، وما زلت استعمله.

ل.ك.

ذهبُ البستاني

ذات صباح وصل البستاني العجوز متأخراً جداً الى منزل مخدومه لأنه غطّ في النوم. وما ان انتهى دوام العمل حتى جهز عدته واستعد للذهاب. وعندما سأله صاحب البيت اذا كان ينوي تعويض الوقت الذي فاته، اجاب: "وهل يجوز ان اتأخر مرتين في اليوم الواحد؟"

غ.د.

الفارق بين الجنسين

أمضى ولدنا أشهر الصيف يلعب مع ابنة الجيران، وهي مثله في الخامسة. وكانا يتسلقان الأشجار ويركبان الدراجة ويركضان في الحقول تحت الشمس. ولما اقترب الخريف، كان كل منهما ينتظر العودة الى حديقة الأطفال. وفي يوم المدرسة الأول، وقفت الطفلة على بابنا وهي ترتدي فستاناً جميلا مطرزاً. وفتح كمال الباب ونظر اليها ، ثم تنهد وأخذ يشهق بالبكاء. وسألته: "ماذا دهاك يا حبيبي؟" فقال: "كنت أظن نهاداً صبياً، فاذا بها فتاة".

ش.هـ.

العين بالعين

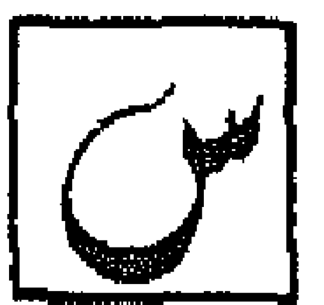
اخبرتني صديقتي كيف راحت تراقب زوجها المتقاعد حديثاً وهو يعيد ترتيب جميع الاغراض على رفوف المطبخ. وسألتها: "ألم تحاولي ثنيه عن ذلك؟".

فأجابت بهدوء: "كلا. بل انتظرت حتى فرغ من عمله، ثم ذهبت الى غرفته واعدت ترتيب اغراضه.

د.ب.

حدد العلماء الصينيون موعد الزلزال واتخذت الاحتياطات الضرورية فنجا مئات الالوف من اسوأ زلزال ضرب هايشنغ منذ ٣٠٠٠ سنة

زلــزال هــايشــنغ



الساعة السابعة والدقيقة السادسة والثلاثون في تلك العشية المروعة من ٤ فبراير (شباط) ١٩٧٥٠ في اقليم هايشنغ المكتظ بالسكان والواقع في مقاطعة لياوننغ شمال الصين كان الناس يشاهدون مسرحية في الهواء الطلق، وكانت لي سيجوان وهي زوجة مزارع في الحادية والعشرين من عمرها جالسة مع المشاهدين وقد ارتدت ثياباً واقية من البرد. وفجأة توهجت السماء برقع كبيرة من الضوء الاحمر والاصفر والازرق والابيض.

قالت المرأة وهي تتذكر ما حصل: "إثر ذلك سمعت هديراً قوياً يشبه صوت جرار ضخم كأنه يعمل في جوف الارض. وأعقب ذلك ارتجاج رهيب عنيف رفع المقاعد المجاورة بمن فيها متراً عن الارض." ثم بدأت الارض تموج في اتجاه السيدة لي "شبيهة

بأمواج المحيط" فتوقعها كلما حاولت النهوض.

كان بعض الناس من حولها جاثين وهم يصلون، فيما راح آخرون يصخبون ويصيحون: انها نهاية العالم. واستمرت الارتجاجات زهاء دقيقة أو أكثر. وخيل الى الذين كانوا في ذلك المكان أن تلك الدقيقة أطول من أن تنتهي.

في تلك الاثناء كانت سي كيننغ، وهي مترجمة، عادت الى شقتها في الطبقة الارضية من أحد المباني. فشاهدت ألواح النوافذ الزجاجية وهي تنفجر والابواب المقفلة تتفتح بعنف، وانهار أمامها أحد الجدران فخرجت. وإذ ذاك إنهار سقف الشقة بكامله. أما كسياو شيي، وهو عضو في لجنة للطوارىء الخاصة بالزلازل ومكلف اخلاء المباني التجارية، فقد سمرته الدهشة اكثر من الخوف عندما وقف ينظر بذهول الى أحد المخازن الكبرى ينهار ويتفتت أمامه ليصبح في ثوان ركاماً.

كانت قوة الهزة الارضية ٧،٣ درجات بمقياس رختر، فهدمت ٩٠ في المئة من مباني تلك المنطقة المكتظة بالسكان. وبدلا من أن تتسبب في موت مئة ألف من المواطنين أو أكثر كما كان متوقعاً، كانت حصيلة الاصابات ضئيلة. والسبب في ذلك أن موعد الزلزال كان حدد بدقة ورصد العلماء يوم حدوثه بالضبط. وقبل وقوع الكارثة بخمس ساعات ونصف ساعة كانت السلطات أمرت باخلاء مباني المنطقة كلها. وللمرة الاولى في التاريخ تمكن الانسان من التأهب لمواجهة عدوه الطبيعي الالد وتفادي الكارثة في الوقت المناسب. وقد رأى العالم في تلك المأثرة معجزة علمية حقة.

موقع جغرافي خطر ـ كان نشوء تلك "المعجزة" في أعقاب زلزال كسنغتاي الذي تسبب في مقتل ٩٠ الف شخص عام ١٩٦٦. وكان شو إن لاي رئيساً للوزراء آنذاك، فطلب من العلماء تكثيف عمليات رصد الزلازل ووسع شبكة المراكز المختصة بعلم الزلازل بانشاء ١٦ مرصداً رئيساً و٣٥٠ محطة مختصة و٦٠٠٠ مركز مدني لتسجيل الزلازل يديرها عشرة آلاف مراقب يؤمنون دوام عمل كاملا. وقد منح علماء الزلازل سلطة إصدار أربع فئات إنذار تتوقف كل منها على الموعد المرتقب لحدوث الزلزال: إنذار طويل المدى، وثان متوسط المدى وثالث قصير المدى ورابع طارىء.

كانت الحاجة عظيمة الى مثل هذه الاستعدادات لأن الصين تقع في موقع جغرافي بالغ الخطورة. فهي عالقة في ملزمة ثلاثية الاتجاه بين حدود "اللوح" (١) الهندي الاوسترالي الممتد شمالا تحت جبال حملايا واللوح الاوروبي الاسيوي المتجه جنوباً ولوح المحيط الهادىء الواسع المندفع غرباً. ولهذا السبب تصدعت الاسس الصخرية للبلاد محدثة خطوطاً من الصدوع عميقة في قشرة الارض، وهذه الشقوق منجذبة من حيث التكوين في اتجاهات متضاربة. ومنذ

---

(١) Plate

ما بدأ الصينيون تسجيل المعلومات والاحصاءات الخاصة بالزلازل عام ١١٧٧ قبل الميلاد اجتاح أرضهم ما يزيد على ثلاثة آلاف زلزال مدمر. وفي القرن العشرين وحده ضربت الصين خمس وأربعون هزة أرضية قاتلة أودت بحياة مليوني نسمة تقريباً.

وبين ١٩٦٦ و١٩٦٩ ضربت الصين ثلاثة زلازل بالغة العنف متجهة في خط شمالي شرقي على طول مراكز الصدع في تانلو وكسنغتاي - هيجيانغ، متحركة في سيرها تحت مناطق الصين الشمالية. واستنتج العلماء الصينيون في المؤتمر الوطني الاول لعلم الزلازل الذي انعقد في بكين عام ١٩٧٠ أن الكارثة المقبلة سوف تضرب مناطق أكثر توغلا الى الشمال، وأصدر المؤتمر بياناً يتضمن رصداً بعيد المدى يتوقع فيه حدوث هزة كبيرة خلال السنين العشر التالية في مقاطعة لياوننغ في منشوريا (عدد سكانها ٣٥ مليوناً). وأنشىء مختبران خاصان بفيزياء الارض واثنا عشر مركزاً خاصاً بعلم الزلازل يؤمن العمل فيها ٣٠٠ اختصاصي. وانتشرت هذه المراكز والمحطات على طول المنطقة المهددة لتخطيط صدوع الطبقات الارضية القائمة تحت المقاطعة ولترقب التحركات الطفيفة التي تسبق عادة الهزات الارضية.

حملة ومؤشرات - ظلت الامور على حالها من الهدوء طوال ثلاث سنوات. وفجأة في أواسط ١٩٧٤ تحركت الطبقة الصخرية على طول مراكز الصدع عمودياً وجانبياً في آن. وفي شبه جزيرة لياودونغ في شمال المقاطعة ازدادت سرعة انجراف الطبقة السطحية في الاتجاه الشمالي الغربي، وهي التي كانت على نتوء مستمر منذ الخمسينات. وسجلت الآلات زيادات حادة في الارتجاجات الطفيفة وتقلبات واسعة في مغنطيسية الارض. واستناداً الى هذه المعلومات عمد مركز علم الزلازل في العاصمة الريفية شينيانغ الى تغيير توقعاته الى المدى المتوسط، وهذا يعني احتمال وقوع الزلزال في غضون سنتين.

نُظمت حملة ناشطة شعارها مقاومة الزلازل. وجند خمسة آلاف متطوع ليسجلوا القياسات وينقلوها الى المركز في شينيانغ. وطاف علماء الزلازل أرجاء المقاطعة يلقون المحضرات، كما ادخل على مناهج المدارس برنامج خاص يعرف التلاميذ بالهزات الارضية. ووزعت كراريس وكتب مصورة تشرح للقراء إشارات الانذار والاحتياطات الواجب اتخاذها، كما وزعت مراوح مطوية من الورق طبعت عليها ارشادات شعرية عما ينبغي فعله في حال وقوع الزلزال.

ومع مرور الايام في تلك السنة باتت الدلائل تشير الى أن المنطقة بين هايشنغ وينغكو في جنوب المقاطعة ستكون مركزاً لانطلاق ثورة الارض المقبلة. وكانت الارض حول مدينة هايشنغ التي اصيبت بنتوء بلغ ارتفاعه ٦٠ سنتيمتراً عام ١٩٧٣، عادت فانخسفت ١١٦ سنتيمتراً في ١٩٧٤ محدثة حوضاً في الارض غائراً.

وسجلت جاذبية الارض انخفاضاً غير طبيعي ولم تعد المقاومية (٢) الكهربائية تعرف استقراراً. وزادت نسبة غاز الرادون في المياه الجوفية. ثم وردت التقارير الاولى حول غرابة سلوك الحيوانات، وهي في نظر الصينيين من إشارات الانذار اذ يعتقدون أن الحيوانات قادرة في الغالب على تحسس الارتجاجات وسماع الاصوات واشتمام الغازات والشعور بالتغيرات الكهربائية التي يعجز عنها البشر.

جنون الحيوانات – مع إطلالة شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٤ بدأت الارض تحت لياوننغ تتحرك بعنف وعلى نحو شبه متواصل بتأثير عشرات الهزات الطفيفة التي بلغت قوة احداها ٤،٨ درجات بحيث امكن الشعور بها من دون مساعدة الآلات والمعدات. وفي ١٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٥ أعاد مركز شينيانغ النظر مجدداً في توقعاته وحدد تأهباً للزلزال قصير المدى معلناً أن هزة تراوح بين ٥،٥ و٦ درجات ستضرب المنطقة في أقل من ستة أشهر.

تحرك الجهاز الحكومي بأقصى سرعته. وأقيمت في الهواء الطلق مساكن موقتة مصنوعة من الاعمدة الخشبية وسويقات نبات السرغوم والقش والخيش وغيرها من المواد الخفيفة استعداداً لايواء السكان أثناء الكارثة. كما جهزت المستشفيات النقالة بالخيام وأصدرت الاوامر الى المجموعات الصناعية والزراعية والمدنية والريفية بتشكيل فرق للطوارىء. وفي الوقت نفسه طاف المفتشون في المدن والقرى والتعاونيات الزراعية ليتثبتوا من بلوغ الارشادات كل بيت وعائلة.

وفي الاسابيع الثلاثة اللاحقة زادت الدلائل وضوحاً منذرة بالشؤم المحدق. وسجلت الآلات في مرصد شنيانغ تبدلا جذرياً في اتجاه انزلاق الارض من الشمال الى الجنوب. وراحت عقارب الآلات التي تسجل المقاومية الكهربائية للارض تترجح بجنون مما جعل قراءة الارقام والقياسات أمراً مستحيلا. وتعكرت مياه الينابيع قرب هايشنغ وهي التي طالما كانت مياهاً صافية عذبة، وزاد دفق النفط في الآبار صعداً ضغط متزايد على الطبقة الصخرية الجوفية. وفي هايشنغ نضبت المياه في أحد الينابيع ولم يكن ذلك النبع نضب من قبل. وفي وقت لاحق تحولت ابار طبيعية عدة آباراً أرتوازية.

وورد نحو ٧٠٠ تقرير عن تصرفات غريبة للحيوانات. فانطلقت الابقار مهتاجة من حظائرها. وانسابت الافاعي من أوكارها وقضت متجلدة في الثلج. وراحت الطيور في الاقفاص الكبيرة تحلق حائرة وهي تحمل بيضها بمخالبها. وهامت الجرذان تحمل صغارها في أفواهها.

ثورة الارض – إبتداء من السادسة والنصف من مساء ٣ فبراير (شباط) وقعت خمسمئة هزة طفيفة على مساحة عشرة كيلومترات مربعة في

(٢) نقيض الايصالية.

منطقة قريبة من هايشنغ، وبلغت ذروتها بهزة قوتها ٤،٨ درجات خلخلت المباني في الثامنة من صباح اليوم التالي. واستنتج مركز الزلازل أن تلك الهزات كانت نذيراً بقرب حصول الحدث الرئيس، وأبلغ مجلس المقاطعة في الرابع من فبراير (شباط) ان زلزالا قد تبلغ قوته ست درجات يحتمل وقوعه في جوار هايشنغ في ذلك اليوم نفسه.

وقف المسؤولون الحكوميون مترددين أمام الاحداث وهم يدركون أن مراكزهم معرضة للخطر إذا ما برهنت الوقائع المقبلة أنهم كانوا على خطأ. لكن اتصالا آخر من المركز بلغهم في الساعة الاولى بعد الظهر فازال ذلك التردد ووطد عزمهم، وهو افاد أن الارتجاجات توقفت فجأة وأن عقارب آلات الرصد استقرت للمرة الاولى منذ أسابيع، وفسر العلماء ذلك الحدث أنه مرحلة الهدوء المخيفة التي تطرأ في غالبية الاحيان قبيل انفصام خط من خطوط الصدع الملتحمة.

وفي الثانية بعد الظهر أصدرت الأوامر باخلاء كل مبنى في المنطقة المعرضة للخطر. أفرغ التجار مخازنهم من البضائع القابلة للتلف، ونقلت من المصانع الآلات الثمينة والمواد الكيمائية السامة والمواد الحمضية والمتفجرات. وخرج عمال المعادن من جوف الارض. وأخمدت مصانع الصلب نارها. وأُبعدت المواشي عن الزرائب والحظائر المقفلة. ولحسن الحظ كانت المدارس في عطلة لمناسبة رأس السنة الصينية. وطلب من مرضى المستشفيات المتنقلة أن يعودوا الى بيوتهم واستبقي منهم ذوو الاصابات الخطرة فوضعوا في خيام. وطوال فترة بعد الظهر ظلت مكبرات الصوت تبث التحذيرات والارشادات: "إبقوا في ملاجئكم أو في الهواء الطلق بعيدين عن المباني العالية!" وهكذا استكملت عملية الاخلاء قرابة الساعة الخامسة بعد الظهر.

لم يكن بالسَّهل دائماً إقناع السكان بمغادرة منازلهم. كانت الحرارة صفراً والثلج يغطي الارض. وعلى رغم أن أعضاء اللجنة المحلية أخلوا المساكن فقد عاد اليها بعض السكان خلسة. ولتشجيع الناس على البقاء في الخارج أعلنت لجان المقاطعة في هايشنغ وينغكو عرض الافلام مجاناً في الساحات العامة الساعة السادسة مساء.

فجر جديد – كانت لاو ييجن وهي من فنيي علم الزلازل تراقب آلة للرصد عندما بدأ الزلزال. وأخذ المبنى الذي كانت داخله يرتج بعنف، فسقطت الآلات والمعدات وتحطمت. وتمكنت لاو من النهوض مع من كان في رفقتها من الزملاء، فجروا آلة رصد بقيت سالمة وأخرجوها ووضعوها على الثلج ووصلوها ببطاريات واستأنفوا عمليات المراقبة.

ولعل أهدأ الناس في هايشنغ واكثرهم رباطة جأش في تلك الاثناء كان غو هاودنغ كبير المسؤولين عن رصد الهزات الذي كان يجوب الضواحي في سيارة "جيب" آملا في

أن يصل الى مركز المراقبة قبل بدء الهزة. وعندما شعر أن سيارته ارتجت وارتفعت في الهواء ورأى المنازل على جانبي الطريق تنهار كصفوف من حجار "الدومينو" نظر الى ساعته. وقال في ما بعد متذكراً تلك اللحظة: "اردت تحديد بدء الزلزال تحديداً دقيقاً، وكنت واثقاً أن الصدمة ستكون أعنف بكثير مما كان متوقعاً." وقد صدق حدسه، فالزلزال الذي حل بقوة ٧،٣ درجات كان أقوى بعشرين مرّة من ذلك الذي تحدثت عنه التوقعات السابقة والذي تبلغ قوته ٦ درجات.

أعقبت الزلزال سبعمئة هزّة خفيفة أبقت الارض في حال ارتجاج مستمر طوال تلك الليلة. ومع بزوغ الفجر نظر السكان المرهقون حولهم ذاهلين فشاهدوا مكاناً لم تقع عليه أبصارهم من قبل. لقد تقوضت الجسور والمداخن كلها، وعلى مدى عشرين كيلومتراً من بؤرة الزلزال تداعى نحو ٩٠ في المئة من المنازل والمباني والمصانع. وعلى بعد ٢٠ كيلومتراً أخرى تهدم ٥٠ في المئة من المباني. وتفجرت أنابيب المياه والتوت خطوط السلك الحديد تحت وطأة الضغط الهائل. كما أحدث الزلزال في الارض فجوات بلغ عرضها متراً وطولها ١٥٠٠ متر في خطوط متعرجة طويلة عبر المزارع والقرى. وفي قرية لونلي ماونتن قرب بؤرة الزلزال ظهرت في الصخور الكلسية فجوات ضخمة كانت كافية لابتلاع الخيول والجرارات والاشجار والمنازل.

وعلى رغم الدمار فلم يشب حريق واحد ولم يبلغ عن اي حادث نهب. وأشارت المعلومات المتوافرة الى أن أقل من ألف شخص قتلوا من مجموع السكان الذين يبلغ عددهم نصف مليون. وقد أصيب بعض هؤلاء بالحجارة المتساقطة من المباني وهم في العراء أما الباقون فكانوا عادوا الى منازلهم متذرعين بحجج مختلفة فقضوا تحت الانقاض بعدما تهدمت عليهم سقوف تلك المنازل وجدرانها.

اول الطريق - لابد هنا من التساؤل عن عدد الضحايا الذي كان سينجم عن ذلك الغضب الطبيعي لو لم تسبق الزلزال عمليات رصد وإنذار وتأهب. الاجابة صريحة في الاحصاءات حول الزلزال غير المتوقع الذي بلغت قوته ٧،٨ درجات والذي ضرب مدينة تشانغشان القريبة بعد ثمانية عشر شهراً فحصد ٦٠٠ ألف قتيل وخلف ٨٥٠ ألف مصاب. كانت سنوات جفاف طويلة حلت سابقاً بتلك البقعة أعقبها هطول أمطار غزيرة غمرت المنطقة طوال أسابيع قبل حدوث الزلزال، فتعذر الحصول على قراءات دقيقة لرصد الهزات ومستوى ارتفاع المياه وانبعاث غاز الرادون، كما صعب تحديد التغيرات في مقاومية الارض الكهربائية وما شابه ذلك.

وعلى رغم هذه العقبات على أثر ورود تقارير مثيرة للشكوك عمد مركز رصد الزلازل في الولاية الى إرسال خمسة علماء للتحري والتحقيق. إلا أن هؤلاء وصلوا عشية وقوع الهزة وقضوا هم أيضاً تحت أنقاض الفندق الذي نزلوا فيه.

وبصرف النظر عن هذا الاخفاق في تانغشان فقد تمكن الصينيون منذ زلزال هايشنغ من إجراء توقعات ناجحة عدة. ففي ١٩٧٦ أمرت السلطات سكان بلدة لونغلنغ الواقعة على حدود الصين الجنوبية باخلاء منازلهم في الوقت المناسب قبل أن تحدث هزتان عنيفتان هدمتا قريتهم. وبعد ثلاثة أشهر أجلي سكان مقاطعة سونغبان - بنغو في غرب الصين قبل يومين من حدوث هزة مدمرة بلغت قوتها ٧٫٢ درجات وعصفت بالمنطقة كلها. وبعد انقضاء أسبوع واحد على تلك الهزة كان السكان أنفسهم ما زالوا يقيمون في العراء عندما وقعت هزة أخرى مماثلة من حيث القوة دمرت كل ما أبقت عليه سابقتها. وعموماً، أصابت الصين سبع هزات رئيسة تم رصدها سلفاً، كما أصدرت مراكز الرصد إنذارات خاطئة عدة. كذلك تم رصد هزات خفيفة في الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي واليابان.

وفي معزل عن اي اعتبار فان الصينيين لا يتبجحون بما أصابوه من نجاح في هذا المجال، كما أنهم لا يحاولون خلق الاعذار لاخفاقهم في بعض الحالات. وقد صرح يودان ويدن المدير المساعد السابق لمركز الرصد الوطني مفسراً الوضع فقال: "إن علم الزلازل لم يبلغ بعد حداً من التطور يمكن من تلقيم الدماغ الالكتروني معلومات معينة ليعطينا ما نتوخاه من أجوبة حاسمة. فنحن ما زلنا نتلمس طريقنا. وجل ما يمكننا أن نفعله هو فحص الاعراض والخلوص الى بعض التوقعات أو التخمينات. فاذا ثبتت صحتها، اعتبرنا الحظ حليفنا."

والحق يقال ان الحظ كان حليف السكان الذين نجوا من الكارثة في "معجزة" هايشنغ.

■ رونالد شيلر



امهات الصبايا

قالت امرأة لصديقتها: "ان ابنتي لم تعد تخبرني بشؤونها الخاصة. وهذا يقلقني كثيراً."

- وماذا أقول أنا ؟ ان ابنتي تخبرني كل شيء، وبهذا تحطم أعصابي.

صحيفة "دير شتيرن"، المانيا

الفلسفة المشتتة

كتب ناقد صحافي حول مجلد فلسفي طويل ومتعدد الافكار: "يبدو ان الرابط الوحيد بين أجزاء هذا الكتاب يعود الى عمال التجليد."

صحيفة "نيويورك تايمس"

مُعجزة الحياة

ماذا يعني ان تكتب لك الحياة بعد مواجهة الموت ؟

سمعت للمرة الاولى عبارة "الوقت الاضافي" من صديقي الذي كان في الحادية والثمانين حين عرفته. لكن بنيته الجسدية ومرحه جعلاه يبدو في الستين. واراني صديقي ثلاث قطع معدنية ملوية بشدة وقد اسود لونها، وسأل: "هل تعرف ما هذه؟"

ولم تكن معرفتها سهلة، لكني قلت: "اهي قطع نقدية؟"

ـ حسناً، انها قطعة "سو" فرنسية (خمسة سنتيمات) وقطعتان من فئة البنس الانكليزي. ولكن اتدري ما حل بها؟

"لقد نزل عليها برق السماء!"

وضحك جو وقال: "لم تبعد كثيراً عن الحق". لقد اخترقت هذه القطع ساقي."

حدث ذلك في بلدة ايبر الفرنسية خلال الحرب العالمية الاولى. فوسط الظلام الحالك وجنون القصف، قفز صديقي جو سكينر امام مدفعه لحظة انطلاقه.

واحترقت بزته العسكرية على جسده وتغلغلت القطع النقدية الثلاث من جيب سرواله داخل فخذه. واستخرجت اثنتان من تلك القطع. وبعد بضعة اشهر برئت جروحه قليلا، واعفي من الخدمة واعيد الى بلده اوستراليا.

وبعد انقضاء سنة تكون خراج في الجانب الخلفي من فخذه. وحاول الطبيب كثيراً قبل ان يتمكن من استخراج قطعة السو المسودة. ويبدو ان القذيفة انفجرت بعنف وحملت

القطعة المعدنية عبر ساق جو، منحرفة قليلا عن العظم والشريان الفخذي.

ويقول جو: "منذ ذلك الوقت وانا اعيش وقتاً اضافياً، بحيث ان كل يوم من ايام السنوات الاحدى والخمسين حمل اليّ حياة جديدة."

واعاد جو القطع النقدية الثلاث برفق الى علبتها، واضاف: "لقد احتفظت بهذه القطع لتذكرني بحظي السعيد. وهي المرة الاولى منذ سنوات اخرجها من العلبة. ان شروق الشمس كل صباح تذكرة كافية."

ثمن المعرفة – لم افهم تماماً ما قصد جو بعبارة "الوقت الاضافي" الا بعد سنة، حين اصبت بمرض في كليتي.

كان ذلك عام ١٩٧٠، ولم تكن في اوستراليا آلات كافية لغسل الكلى. ولم يدر الاطباء اي المرضى يعطون الافضلية في المعالجة.

وكان امام المريض المنتظر في قسم معالجة الكلى متسعٌ من الوقت لمعرفة علائم الموت حوله، ومنها الاضطراب في حلك الليل وضجة الأرجل والستارة الخضراء التي تلتفّ حول سرير مجاور وطيف طبيب متمرن ينحني فوق صدر مريض واصوات متلاحقة ومكتومة. وما ان يطل الصباح حتى يرى سريراً خاوياً، يحاول عبثاً ان يتذكر وجه صاحبه من خلال الغشاوة التي ترخيها العقاقير على ذهنه وعينيه.

ويهيمن عليه حسّ من الفزع هو اقرب الى الخيبة منه الى الخوف. انه لا يريد ان تهدر حياته الآن. فهناك امور كثيرة بدأت لتوها وكلمات كبيرة لم يَقُلْها بعد.

ويقرأ على وجوه اطبائه ان الوقت يفرّ منه. ويسمعهم يقولون بحسرة: "ليست لدينا آلة جاهزة للعمل في هذه اللحظة". ويلجأون الى بدائل موقتة لا تحمل سوى قليل من الفائدة. ويقبع منتظراً الموت على مضض.

ثم تبدأ المعجزة تشق طريقها... لقد فُرغ من زرع كلية لأحد المرضى واصبحت الآلة جاهزة للاستعمال. ويصل الطبيب. وتكاد لا تصدقه وهو يرفع عنك الحكم بالاعدام:

"سنضع انبوباً في ذراعك اليوم ونحيلك على الآلة غداً."

ويمكن ان نترجم قوله الى الآتي: "غداً تُمنح الوقت الاضافي."

وفي قسم غسل الكلى في المستشفى، تلتقي للمرة الاولى المرضى الآخرين الموصولين بآلات. إن منظرهم العام ينم عن شحوب، لكن اعينهم متقدة. انهم قوم يعيشون الوقت الاضافي من عمرهم، وعما قليل تنضم الى رفقتهم الجليلة.

ويعطيك الجرّاح بنجاً موضوعياً ويغرس في ذراعك انبوباً يصلك بآلة غسل الكلى.

وتقول لك الممرضات بعطف: "ستتعود هذه العملية." والحق انك تتعودها مع الوقت. واذ تفيق من نومك في جناح المستشفى، تحس ان كل صباح افضل من سابقه. كم هو عجيب هذا الامر: لقد عكس الواقع الذي بدا انه لا يعكس. وها انت تحيا بعدما كان الموت قدرك! ترى اهناك نوع من الكماليات اسمه المستقبل؟

فن الابتسام — بعد اسبوعين يسمح لك بالعودة الى المنزل. ويرهقك في البداية صعود السلم الى غرفة النوم، ولا تلبث ان تسترخي بارتياح في مقعدك الذي طالما حننت اليه.

ويسألك صديق: "كيف حالك؟"

وتحاول ان ترسم على وجهك ابتسامة هي علامة العودة من الموت. ويبدأ وجهك يتعلم فن الابتسام من جديد.

ويأخذ عالمك بالاتساع. ويكتسب المشهد من نافذتك بعداً ذا حلاوة جديدة. وتعجب كيف لم تسبق لك ملاحظة ذلك الطائر الذي يتسلق ببطء حافة الشرفة بحثاً عن حشرات، او العناكب التي تسعى تحت اطار النافذة.

ويأتي ضوء الشروق اللطيف ليجعل من كل يوم جديد مهرجاناً. وتكتسب ابسط الامور روعة: جلبة بائع الحليب وهو يتقدم نحو عتبة الدار، احتكاك لحيتك التي لم تحلق منذ ايام بملاءات السرير الناعمة، صرير الواح الخشب في ارضية المنزل، صوت صديق يأتيك كطائر صداح عبر الهاتف، صدى الضحك الذي تكتشف — لدهشتك — انه صوتك انت.

لقد انقضت ثماني سنوات منذ حصولي على نعمة الوقت الاضافي. وفي اربع منها اعتمدت على آلة للغسل قبل اجراء عملية زراعة ناجحة اتاحت لي ان اعيش حياة طبيعية.

ويقول الناس بعطف: "لا شك في ان حياتك كانت بائسة ايام اتكالك على تلك الآلة."

لكنني اجيب، وفي ودي ان يفهموني: "كلا، لم تكن حياتي بائسة، بل كانت رائعة. اعني انه كان لي امل في الحياة."

ويتابعون: "لقد أوتيت بأساً جعلك تتحمل ذلك البؤس." وأعرف ان ذلك غير صحيح، واني حققت ما يتقنه جميع الناس، وهو الصمود. وذلك اكسبني حساً عميقاً بالوقت وبعدم استقرار الحياة. ووجدت انه ليس هناك وقت اخشى فيه السقوط او المجهول، ولا وقت اهاب فيه شيئاً او احداً.

حياة جديدة — كنتُ قد ادرت، على مدى سنوات، تجارة ناجحة من غير عناء كبير. فتركتها كي انصرف الى الكتابة وهي رغبة طالما أردت تحقيقها ولم تكن لدي الجرأة على الشروع فيها. وها انا أبذل ما في وسعي لأكون كاتباً ناجحاً، ولا اغتاظ او اضطرب حين ترفض المجلات نشر كتاباتي، الامر الذي يحصل معظم الاحيان.

ولم اعد اهدر الوقت الثمين مؤنباً نفسي على زلاتها او مهنئاً اياها على طاقاتها. لقد جعلني الوقت الاضافي قانعاً بمن انا وبما انا.

ويقول الاصدقاء: "لقد تغيرت." والحق اني ادرك ذلك.

ان علاقاتي مع الآخرين اضحت اقل تعقيداً واكثر نفاذاً. ولم اعد اتوقع ان يحبني احد او يتفق معي او يشاركني في حماستي. ولئن يكن يسرني الحصول على هذه المباهج، الا اني اتقبل حرمانها. ولأني لم اعد اخشى انساناً، فقد بت اكثر

استعداداً لاصرح بما في خاطري.
ان ادراكك معنى الوقت الاضافي يبدلك حتماً.
فانت، اذذاك، تصبح غيوراً على صحتك، محافظاً على لياقتك البدنية، ساعياً الى تجميع اكبر مقدار ممكن من الخبرات.
وها هو زميلي في الوقت الاضافي جو سكينر-لا يزال حياً ومعافى، تزيده الايام قدرة على الرقة والغفران والكرم. وهو في التاسعة والثمانين ويولي صحته عناية فائقة. ويقرأ جو بنهم ويطلع على الأحداث المستجدة ويواجه الحقيقة بثبات ولا يعرف الخوف طريقاً اليه ويضحك بسهولة، وهو رائع المعشر.
اني لا احاول اجتذاب الناس الى عقيدتي. غير اني لا افهم لماذا يسيء معظم الناس استعمال صحتهم ويحرقون ارواحهم سدى.
انا وصديقي جو سكينر نعرف سر الوقت الاضافي الذي ليس هو بسر على الاطلاق.
ان كل حي يعيش معجزة الحياة يوماً بعد يوم. فعليك، يا اخي، ان تقدر لحظتك ويومك، لأننا كلنا نعيش وقتاً اضافياً!

■ بيل وورسوك



من اجل السجادة...

وضعت في غرفة انتظار احدى العيادات الطبية الملاحظة الآتية: "من اجل تجنّب الثقوب في سجادة العيادة وفي رئاتكم، يرجى الامتناع عن التدخين".

ا.هـ.ب.

مثلث الاشغال

سألت السكرتيرة الرّجل الذي يتكلم على الهاتف: "أأنتَ بائع أم جابي ضرائب أم صدّيق لرب العمل؟"
- إنني الثلاثة معاً.
"إذاً هو في اجتماع، وهو مسافر خارج البلاد، وهو سيراك بعد ربع ساعة."

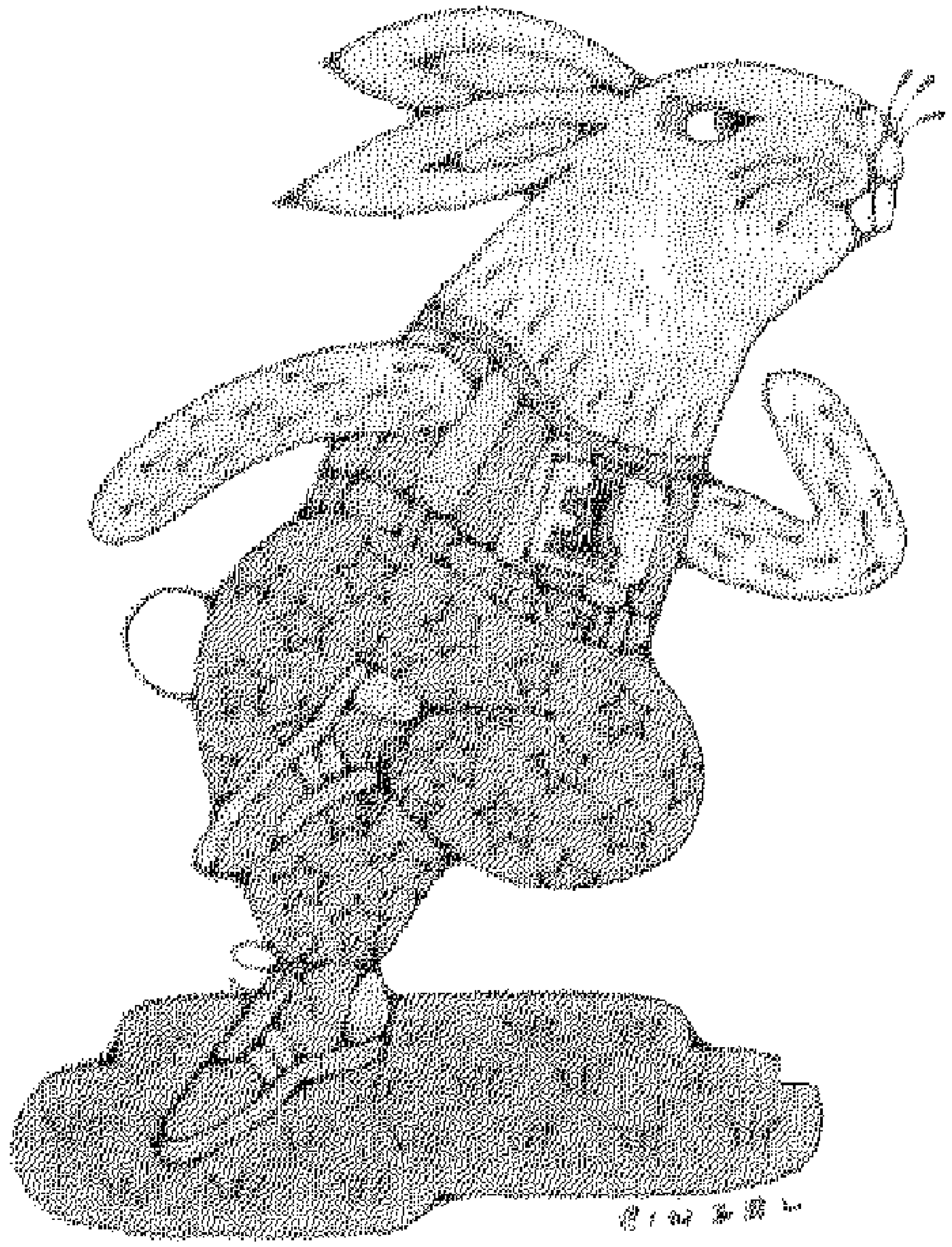
ك.ا.ن.

اقوى من الارق

وصف احد الرجال العلاج الآتي للارق:
اذا كنتُ في السرير ولم استطع النوم، طلبتُ من زوجتي ان تقول لي: "هناك عدد من الشؤون المنزلية التي اود ان نتكلم حولها الآن". وقد بينت التجربة اني استغرق في النوم خلال بحث المسألة الاولى.

س.ل.غ.

انها مبادئ يلجأ اليها رجال الاعمال الناجحون...
فلماذا لا تعتمدها أنت أيضاً؟



٦ مبادئ للنجاح

ح □ حين وجد الطالب جاي ليدن عملا في مرأب للسيارات في هيوستون (تكساس) وهو في سنته الجامعية الاولى، لم يكن الطالب الوحيد الذي تعينه ادارة الجامعة على تأمين عمل خلال العطل. غير ان ليدن اعتبر ذلك العمل مهنة. وبعد شهرين بات مسؤولا عن مرأبين يعملان لحساب شركة "اولرايت اوتو باركس". وهو اليوم في السادسة والثلاثين، وقد غدا رئيساً للمؤسسة التي تدر مئات الملايين، وهي كبرى الشركات التي تملك مواقف للسيارات في العالم.

□ بعد تخرجها في جامعة فاندربيلت (ولاية تينيسي) التحقت جين ايفانز بأحد فروع شركة "جينسكو" للاحذية. وفي الخامسة والعشرين غدت مديرته. وفي الثلاثين عُهدت اليها رئاسة شركة "باتيريك" لتسويق الازياء. وبعد ست سنوات أصبحت نائبة الرئيس التنفيذية لمجموعة "جنرال ميلز" للازياء التي يبلغ دخلها السنوي ٦٥٠ مليون دولار.

هناك روايات كثيرة كهاتين. وكلها تعطينا عبرة قيمة واحدة، وهي أنّ مباشرتنا عملا جديداً قد ترسم طريقنا كلها نحو النجاح، سواء أكنا نعمل للمرة الاولى أو نبدل عملا بآخر. وكلما ازدادت سرعة النجاح انتقل المرء من هدف الى آخر أعلى منه. أما البداية المتعثرة فتضعف الطموح.

وفي دراستهم عدداً من الشركات

الكبرى، وجد خبراء الادارة ان المؤسسات المتطورة تصدر أحكامها باكراً على موظفيها الجدد، وأن هذه الاحكام، بصرف النظر عن دقتها، تغدو برامج عمل لهؤلاء. وفي ما يأتي ستة مبادئ يعتمدها رجال الاعمال الناجحون ويمكنك احتذاؤها اذا شئت ان تضع نفسك على طريق بداية جديدة:

١. ليكن ظهورك على الساحة باكراً

وجد جاك آلبريكت نفسه ضائعاً وسط عدد من موظفي الدعاية الشباب في شركة اعلان في مدينة نيويورك. وقد عَهدت اليهم دراسة طرائق عمل بائعي الادوية. غير أن مديري الصيدليات ظلوا يصدونهم لكثرة مشاغلهم.

وأخذ آلبريكت على عاتقه اعتماد طريقة جديدة. ومن أجل تنفيذها استعار معطفاً رسمياً تعلوه ياقة مخملية، واكترى سيارة يقودها سائق طلب منه آلبريكت أن يوقفه أمام كل صيدلية على نحو يمكن ان يلاحظه موظفوها.

وكان لتلك الزيارات الرسمية أثر ايجابي لدى معظم مديري الصيدليات الذين زودوا آلبريكت بالمعلومات المطلوبة. وهكذا حصل على وظيفة حساسة في شركته.

٢. اعمل فوق ما هو مطلوب

بعد تخرجه في كلية الاعمال التابعة لجامعة هارفرد، باشر فيكتور كيام العمل لدى شركة "ليفر براذرز" لتوزيع أدوات الصحة والتجميل على محلات البيع بالتجزئة. ولم يكن تحرى موهبته في البيع، الا أنه عقد العزم على النجاح. وفي حين خصص زملاؤه ثلاثين أو أربعين ساعة للعمل الاسبوعي، ظلّ هو يعمل اثنتي عشرة ساعة يومياً ستة أيام في الاسبوع. وهكذا تجاوز المطلوب وتسلق سلم النجاح في تلك المؤسسة. وهو اليوم رئيس شركة "منتوجات رمنغتون."

٣. اطلع جيداً على الوضع

قطعت ليليان غريف عملها الصحافي لتَنضمّ الى شركة "كليفلاند" المصرفية. وهي تقول: "قررت أن أمضي معظم الاشهر الثلاثة الاولى في الاطلاع على شؤون المصرف التي لا يعرفها الآخرون."

وهكذا باتت، اضافة الى عملها، تنتقل من ركن الى آخر يومياً وتدرس أسماء الاقسام المختلفة ومواقعها. كما كانت تتحدث مع موظف من كل قسم ليُطلعها على ما يجري هناك، بطرحها السؤال الآتي: "ما الذي تفعلونه بالتحديد في هذا القسم؟"

وفي نهاية الاشهر الثلاثة بات العديد من قدامى الموظفين يأتي اليها لتمده بالمعلومات السريعة والدقيقة. وسرعان ما أصبحت مديرة للعلاقات العامة في المؤسسة.

وهي لا تزال تذكر بساطة طريقتها كأنها لا تصدق ما حصل: "كل شخص يمكنه ان يفعل ذلك في مؤسسة كبيرة. وهو ليس بالعمل الشاق، غير ان نتائجه رائعة."

٤. قل "حتماً" وتأكد لاحقاً

مديرو الاعمال يقدرون الموظف الجديد الذي لا يتردد أمام الامور

المستجدة، بل يقبل التحدي ويتابع طريقه. وهذا مثل هوارد فاولر عامل الانشاءات المتمرس الذي حصل على وظيفة في مصنع في مدينة تمبل (تكساس). وهناك عهدت اليه مسؤوليات هندسية عامة داخل المصنع. وذات يوم أرسل رئيس الشركة احد معاونيه يطلبه. وقال له الرئيس: "اننا نحتاج يا هوارد الى بكرات للفّ الورق أفضل من التي لدينا. فهل يمكنك صنعها؟"

وبعد صمت أجاب فاولر: "حتماً يا سيدي." وهو يتذكر ذلك اليوم بقوله: "لم تكن لديّ أقل فكرة عما يجب فعله. غير اني لم أشأ ان أقول لا."

وبعد سلسلة تجارب توصل الى صنع الآلة المطلوبة. وسرعان ما غدا فاولر مهندساً في أحد أقسام المصنع، ثم مدير القسم الهندسي كله.

٥. زِد حماستك

ان موظفاً جديداً مقداماً من شأنه بثّ الحماسة في المؤسسة كلها. لكنّ الحماسة تعلو وتهبط. وهنا طريقة لابقائها متقدة: اذا شئت ان تكون متحمساً، فتصرف كما لو كنت كذلك. وهذا كفيل بايقاظ الحماسة الداخلية التي ستفعل فعلها في زملائك ورؤسائك. وستجد ان أحداً من الموظفين القدامى لن يتوانى عن مساعدتك.

٦. لا تخشَ تبديل طرائقك القديمة

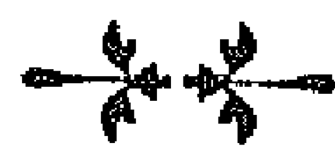
عندما باشر جيري سيمبسون برنامج تدريب المهندسين في شركة "امباير" للغاز والوقود في بارتلز فيل (اوكلاهوما) كان ينتظر بفارغ الصبر فرصة لاستخدام معلوماته الهندسية التي اكتسبها ايام الدراسة. لكنه وجد نفسه، وهو يمارس نشاطه الاول في ذلك البرنامج، أسيراً ضمن جدران أحد المشاغل يعد الاجزاء المطلوبة من هذا الشيء وذاك. وتلت ذلك نشاطات مماثلة.

وقال لنفسه متذمراً: "أيجوز أن يستمرّ هذا الانحراف عن الخط الصحيح شهراً بعد شهر؟"

وابتكر طريقة يزن بموجبها تلك القطع بدلا من عدّها، ثم يترجم الوزن عدداً. وحين وجد وكيل العمل أن سيمبسون أنجز واجباته في جزء من الوقت المحدد، أحاط أحد رؤسائه علماً بمقدرة المهندس الشاب. وللحال نُقل سيمبسون من داخل المصنع الى المشاريع الميدانية خارجه. وما لبث أن عُين مديراً لأحد الفروع.

ان أهمّ ما يجلبه النجاح السريع هو ذلك الشعور بالانتصار الذي يغدقه على صاحبه. واذا كنت بطيئاً في سعيك الى النجاح، فلا شيء يمنع أن تبدأ عملك صباح غد كما لو كان يومك الاول في مصلحة جديدة.

■ وليم ايليس

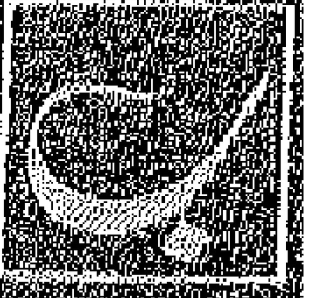


حديقة العالم

لا تبرر الانانية بتبني الرأي القائل ان العالم الذي نعيش فيه أشبه بالغاب. فهذا نفسه يمكن أن يكون حديقة. والامر متوقف علينا: أنريد أن نغرس ونروي أم أن نقتلع ونعيث فساداً؟

س.هـ.

اختصاصي في امراض الحيوانات يطير من بريطانيا الى ايسلندا لمعالجة الحيتان السود الضارية



بدأ كل ذلك عندما رنّ الهاتف في امسية من شهر فبراير (شباط)، وكانت المخابرة من مؤسسة سايديراسافنيد وهي حديقة حيوان ومربى مائي في ايسلندا تقوم على ساحل صخري يبعد كيلومترات قليلة عن العاصمة ريكيافيك، ويضم ذلك المربى المائي، على صغره، مجموعات ثمينة من ذكور الفقمة وإناثها كما يحوي حوضين لايواء الحيتان السود الضارية، وتسمح السلطات الايسلندية بامساك ما يراوح بين أربعة حيتان وثمانية من هذا النوع سنوياً بشرط إطلاقها لاحقاً في البحر.

وكان مدير المؤسسة جون غونارسون على الخط الآخر يعرض علي مشكلته: فالحيتان الخمسة التي

التقطها الخريف الماضي هلك واحد منها وابتليت الأربعة الأخرى بمرض مجهول، وطلب إلي مواهاتو سريعاً.

وبعد حجز مقعدي على الطائرة لصباح اليوم التالي طفقت أتفحص الحقن العملاقة التي حضرت بناء على طلبي لغرزها تحت جلود الحيتان والتي يبلغ طول ابرة الواحدة منها ثلاثين سنتيمتراً.

ولدى هبوط الطائرة في مطار كيفلافيك كانت الريح تضرب الأرض الجرداء التي يغطي قشرتها الجليد. وكان غوبنارسون في انتظاري، وتوجهنا على الفور إلى سابديراساهيد التي ربما تكون أقسى حديقة حيوان في العالم. هناك يرى المرء الأغنام والأفراس الفرهة تلتهم أسماك الرنكة الموضوعة في علفها.

قضية الحيتان السود



وقد تعلمت حيوانات ايسلندا قبل زمن طويل الصمود في الشتاء القاسي. وعلى الشاطىء مباشرة تقوم بركتان للحيتان مبنيتان بالصفيح. وأخذني جون لالقاء نظرة على الحيتان فيما هرع ابنه غونار نحونا يقول: "ثمة نبأ سيىء، لقد نفق حوت آخر."

شقوق عميقة ــ صعدنا الى الشرفة لنراقب الحيتان منها. وطيرت الريح رذاذ الماء القارس من البركتين الى وجوهنا. هناك كانت ثلاثة حيتان صغيرة تتحرك ببطء وسط المياه فيما جر الحوت النافق الى الحائط منعاً لغرقه.

وسألت جون وانا اصرخ وسط الريح المعولة: "ما الذي اهلك الحوت الاول؟"

ــ لقد اصابته سكتة قلبية.

"وأنت تقول ان الحيتان الاخرى عليلة. فما الذي لاحظته عليها؟"

ــ انها بطيئة ولا رغبة لديها في الحركة أو في الطعام. ويبدو انها مصابة بداء جلدي.

وبينما طفت الحيتان كي تتنفس لاحظت ان الماء لا ينزلق فوق جلودها التي ينبغي ان تكون في ملوسة المرآة. وامكنتني رؤية اثلام في ظهورها وزعانفها. وقلت لصديقي: "يجب إفراغ البركتين من الماء لتتسنى لي مراقبة الحيتان عن كثب. ولكن دعنا اولا نشرح الحيوان النافق."

وتشريح الحيتان امر مرهق نظراً الى ضخامتها. إلا أن الموظفين في دائرة الطب البيطري في ايسلندا اعانونا في عملية النشر وراحوا يصبون الماء الساخن على يدي لاذابة الجليد خلال التشريح. واتاحت لنا الدائرة فحص الاعضاء الداخلية في مختبراتها كما زودتنا بشراب منشط خلال العمل هو الشاي القوي الذي يحوي مادة البرينيفين المدفئة.

وجاءت النتيجة تقرع ناقوس خطر، إذ ظهر ان "ذات الرئة" هي العلة الاولى للوفاة. ولكن ماذا عن الجلد؟ فهو في حال يرثى لها إذ ان بعضه ميت وبعضه مقشور وشقوقه تبلغ خمسة سنتيمترات عمقاً في مساحات واسعة. وقد شاهدت قطرات من الدم والشحم تسيل من بعض الشقوق. وليس معقولا ان يكون سببها الخدوش التي رافقت عملية القبض على الحيوانات ونقلها. ولم يظهر انها امراض جلدية او ضروب من الفطر.

فجأة عرفت أمر تلك الشقوق. إنها نتيجة لقضمة الصقيع الناجمة عن التعرض لحرارة دون درجة التجمد. وكنت رأيت شبيهاً لها في حدائق حيوان اخرى، خصوصاً لدى صغار حمر الوحش وسعادين الرباح (بابون). ولكن لم يدر في خلدي البتة أنها قد تصيب هذه المخلوقات العاتية في ابرد بحار العالم.

قضمة صقيع ــ افرغت البركتان وبقيت الحيتان في ماء بحري ضحل لا يتجاوز المتر الواحد ارتفاعاً. واستعرت حذاء لخوض الماء ونزلت بين الحيتان. وراحت ركبتاي ترتعشان وسط الصقيع وأنا افحص تلك الحيوانات.

وانحنيتُ لشم زفيرها، فاذا باثنين منها يتمتعان بنفس طبيعي عذب بينما تصاعد من الثالث نفس كريه. وكانت جلودها جميعاً مشققة كجلد الحوت النافق الذي شرحناه. ومن الطبيعي ان يكون جلد الحوت الاسود السفاح بارداً. لكن جلود هذه الحيتان الثلاثة كانت ابرد من المعتاد إذ تجمد النسيج الحي الذي يغطي أجسامها.

وفحصت رئتي الحوت ذي النفس الكريه وقلبه بالمسماع، ووجدت دلائل اولية على الالتهاب الرئوي. وحملت لوحة زجاجية فوق منخره وانتظرته كي يفرز الجراثيم عليها ليتم حضنها واختبارها بعد ذلك.

وفكرتُ في غرابة الامر وأنا اضغط خد الحوت برجلي الخدرتين. فقبل وقت ليس بطويل كان هذا الحيوان ذو الاسنان الثمانية والاربعين المخيفة في البحر لا يجد اي صعوبة في الانقضاض على فرائسه. ولكن ها انا امامه الآن لقمة سائغة وهو لا يبدي ادنى اهتمام في الهجوم.

وطلبت من جون وابنه غونار أن يرفعا احد فَصَّي ذنب الحوت فوق الماء لأتمكن من سحب عينة من دمه. ومن أجل مكافحة "ذات الرئة" حقنته بالدواء في عمق عضلاته القَطَنية وهي تلك الواقعة في اسفل الظهر. وكانت شقوقه الجلدية تحتاج الى مرهم "الديرموبيون" المعروف في بريطانيا. وأوصينا باحضار كمية منه. وفي انتظار وصولها عالجته بخليط من "السلفوناميد" ومراهم الجلد النسائية.

وبعدما تسلقنا السلم سألني جون: "ما هو تقديرك؟"

ـ إنها قضمة الصقيع.

"وكيف يحصل هذا للحيتان السفّاحة التي تعيش حياتها في البحار الجليدية؟"

ـ لا تنسَ ان الجلد المتشقق كان فوق الماء. والذي يسبب قضمة الصقيع ليس الماء، بل الهواء. ومياه البحر اقل برودة من الهواء الجليدي وهي لا تؤذي الحوت المفعم بالنشاط. وينبغي ان يكون حدث شيء في البركة لا يمكن حدوثه وسط البحر.

"وما هو هذا الشيء؟"

ـ حسناً، كيف كانت حال الطقس قبل ان تظهر الشقوق في جلود الحيتان؟

العالم الطبيعي ـ تذكر جون ان الاسبوع الذي سبق المشاكل كان بارداً على نحو غير عادي وقد تخللته رياح جليدية. "كما حدث شيء لا اذكر حدوثه من قبل. فالثلج الذي سقط في البركة لم يذب، بل كون طبقة طرية كالعصيدة على السطح كانت سماكتها تراوح بين خمسة سنتيمترات وعشرة وان تكن اقل سماكة فوق الحيوانات مباشرة."

ـ وهل حاول احد كسر تلك الطبقة؟

"حدث ذلك ليلا. وفي الصباح توليت بنفسي كسر الجليد."

وقضمة الصقيع لا تحصل في البحر لأن الحيتان تكون هناك تحت الماء معظم الوقت. وفي بروزها فوقه للتنفس لا تبقى سوى فترات قصيرة جداً. إلا ان حيتان جون تعرضت لغير

عامل سلبي. فهناك البركة المترعة الواقعة تحت رحمة تيارات الهواء الباردة، وهناك الحيز الضيق الذي يقلص الجليد مساحته اكثر فأكثر. اضف الى هذا وذاك ان بداية التشقق حصلت في الطريق من البحر الى البركتين وان خلايا الجلد ماتت على اثر تجمد "البروتوبلازما "الحية داخلها.

وبات السؤال متعلقاً بالحيتان الثلاثة الباقية. وبعد الاجتماع بالاطباء البيطريين المحليين قررنا التصدي لجميع الامراض الداخلية التي منيت بها الحيتان، مثل "ذات الرئة"، وترقيع جلودها ثم اعادتها الى البحر. ورحت أحقنها يومياً بالعقاقير الضرورية مما زاد حركتها وشهيتها. وبعد وصول الديرموبيون حقنتها جميعاً في اعماق جلودها.

وبعد اسبوعين من التطبيب سرّنا ان تكون حال الحيتان تحسنت بحيث بات من الممكن إعادتها الى عالمها الطبيعي. وانقص جون ورجاله كمية الماء في البركة ثم دلوا شباكاً تحيطها حرامات صوف ناعمة. ورُفعت الأشراك الى شاحنة نقلت الحيتان الى قارب راس في مرفأ هافنارفيوردهور القريب. وابحر جون بالقارب نحو ثلاثين كيلومتراً من ثغر الميناء، وهناك دلى الشباك.

وفي الصباح التالي أفاق سكان البلدة ليجدوا ثلاثة حيتان سفّاحة في المرفأ تسبح من سفينة صيد الى اخرى طلباً للطعام. وقلق جون لذلك تقديراً منه ان معاملتنا للحيتان سلبتها استقلالها وقدرتها على الصيد. ووقف يطلب الى المواطنين ألا يطعموا تلك الحيوانات.

وكانت الساعات الأربع والعشرون اللاحقة قاسية على ذوي الأفئدة الرقيقة. فقد استلقت الحيتان على ظهورها وهي تحدق الى الناس بأعين ملؤها الدمع. وفتحت افواهها الزهرية وأصدرت صرخات طويلة حادة. غير ان المواطنين قسوا قلوبهم وقاوموا عواطفهم.

وفي الصباح التالي كانت الحيتان غادرت المكان. ولم يبصرها احد بعد ذلك. ويغلب على الظن انها خلال الليل تداولت بلغتها الخاصة محنتها الآتية من تقلب افكار الناس. وتحت وهج النجوم باشرت إبحارها نحو ضفاف غرينلاند الزاخرة بأسماك الرنكة في ذلك الفصل. وفي تقديري ان تلك الحيتان الثلاثة التي التأمت جروحها ما زالت تسبح وتصطاد وتقفز الى سطح الماء لتتنشق الهواء بعيداً عن اليابسة.

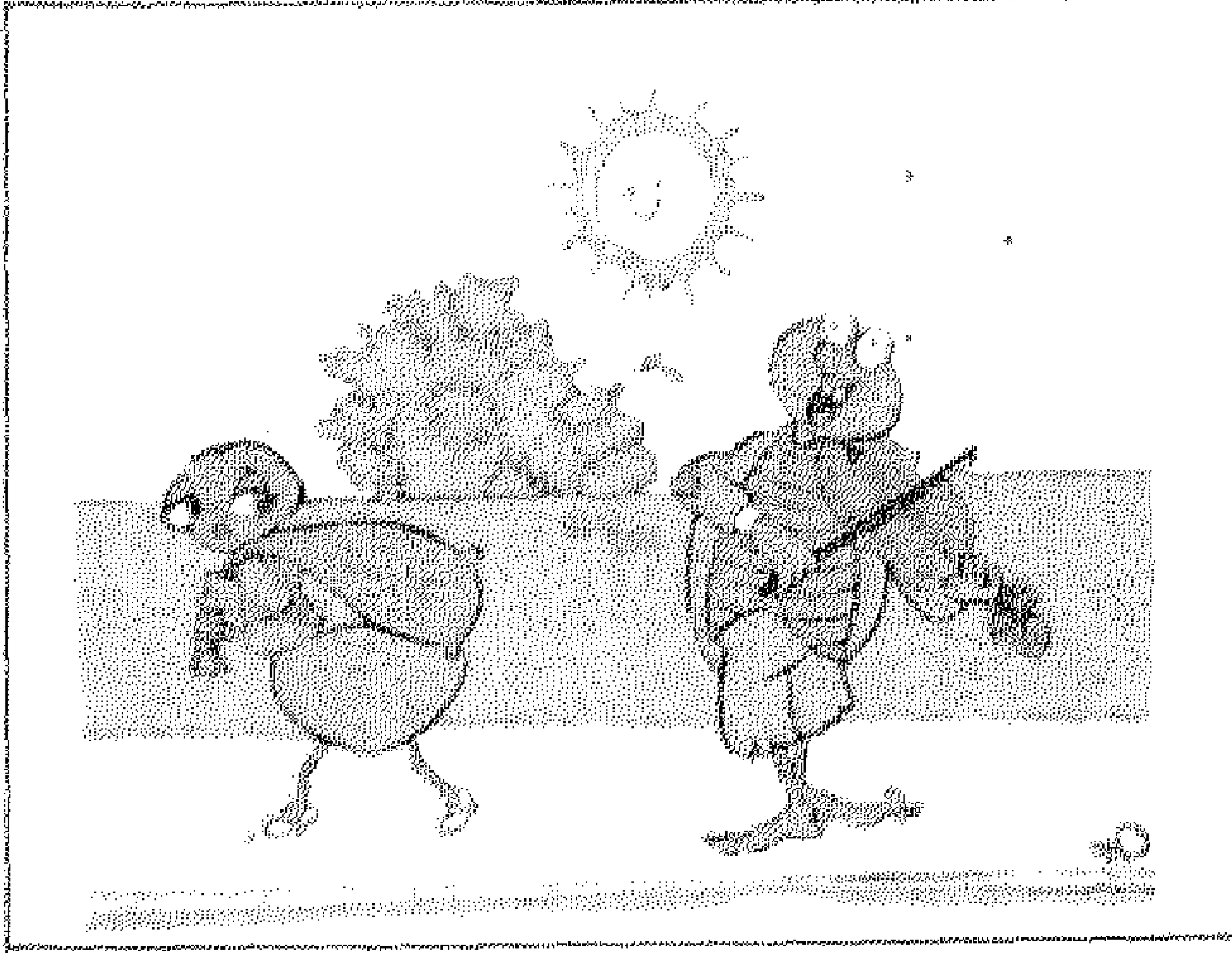
■ ديفيد تيلور



متعة الكتب

أن تجلس تحت نور المصباح وتضع أمامك كتاباً تفتح بواسطته حواراً مع اناس غير منظورين هو أن تتيح لنفسك متعة لا تضاهى.

ي.ك.



حَديقـة أفكار

▣ أكمل أيام حداثتنا هي تلك التي نظنها مرّت من غير ان نعيشها بملء، انها الايام التي أمضيناها في رفقة كتبنا المفضّلة.

مارسيل بروست (قصصي فرنسي)

▣ لا تتكلم عن عطف مهدور. فالعطف لا يُهدر البتة.

هنري لونغفيلو (شاعر امريكي)

▣ كل ما يزعجنا في الآخرين قد يوصلنا الى فهم ذواتنا.

كارل يونغ (عالم نفس سويسري)

▣ اذا تسلمت هدية أحدهم اليك بفرح وشكر ـ وان لم يكن لديك ما تعطيه في المقابل ـ فقد اهديت اليه ما يستحق ويرجو.

ليه هانت (كاتب وشاعر بريطاني)

▣ ما ان يرغب المرء شيئاً حتى يؤمن به على الفور.

ديموستين (سياسي اغريقي)

▣ أقوى اختبار للشخصية ليس قياس قابلية المرء لحفظ الاسرار، بل احجامه عن الاقرار بمعرفتها بعد افشائها.

س.هـ.

▣ المتعصب شخص يعجز عن تعديل أفكاره ويرفض تبديل الموضوع.

ونستون تشرشل



على
المتحركة امتزج الفن
بالخيال الاوسترالـي وابـدع
الـفـنـان العبـقري مـن
الخشـب ابطالا محببين

ناس من خشب

دخلت السيارة المهشمة الصفراء ساحة الملعب في مدرسة بيل بارك نورث الابتدائية، فلحق بها الاطفال صائحين: "سيارة الدمى! سيارة الدمى!" وبعد ذلك جلس اكثر من مئة طفل على الارض متزاحمين

ومتهامسين ينظرون بترقب الى رجل طويل القامة، اشقر الشعر، يضع نظارات سوداء ويتمشى حول منصة تتدلى فوقها ستارة.

دخلت السيارة المهشمة الصفراء ساحة الملعب في مدرسة بيل بارك نورث الابتدائية، فلحق بها الاطفال صائحين : "سيارة الدمى! سيارة الدمى!" وبعد ذلك جلس اكثر من مئة طفل على الارض متزاحمين ومتهامسين ينظرون بترقب الى رجل طويل القامة، اشقر الشعر، يضع نظارات سوداء ويتمشى حول منصة تتدلى فوقها ستارة.

قال الرجل للاطفال : "سترون بعد قليل جماعة تنتوكيز، انهم الاقزام الذين يقطنون التلال الرملية." ثم صدحت موسيقى عسكرية من آلة تسجيل وبدأ رجل الدمى عرضا جديدا.

رجل الدمى هذا هو بيتر سكريفن (٤٧ سنة). واشهر الدمى التي ابتدعها كانت الجنيات الاوسترالية الصغيرة التي دعاها "تنتوكيز" والتي سحرت الاطفال في بلدان كثيرة خلال اكثر من ٢٠ سنة. وفي ثلاث مناسبات رعت الحكومة الاوسترالية دمى سكريفن كفن معبر عن التراث الاوسترالي، خلال جولات في آسيا، الموطن القديم لفن الدمى المتحركة. اما اليوم، فأن سكريفن يمزج الفن الآسيوي بالخيال الاوسترالي. فكل دمية في العرض صنعت بايدي حفاري خشب قرويين من سري لانكا.

ولا ريب في ان مشاهدة هذه الدمى الخشبية المتحركة تجربة ساحرة. يفتتح العرض بدمية تمثل احد سكان اوستراليا الاصليين بخدين منتفخين وعينين متقلبتين ولهجة اوسترالية مميزة. بعد ذلك يوقظ سكريفن بلطف كوالا (★) صغيرة نائمة في مؤخرة المسرح. تنهض الكوالا وتفرك عينيها. ويبلغ سحر التمثيل حداً يوهم المشاهدين بأن هذا الحيوان يبتسم لهم بدهاء. يحملق الصغار في الدمى مأخوذين حتى انهم لا يلاحظون محركها الواقف امامهم بلا قناع يتلاعب بالاسلاك المتشابكة.

تتحول الموسيقى نغمة مزمار بحار، وتخرج دمية بدينة ناهد مطلية بلون نحاسي لماع، يشاركها في الرقص شاب ترتسم على وجهه علائم الغباء ويرتدي قميصاً مقلماً. يشتمل الرقص على كثير من الحركات المضحكة فيقهقه المشاهدون. وعلى رغم اصلها الآسيوي، فان الدمى تبدو ذات طابع اوسترالي فكاهي مميز: خدود منتفخة وانف ضخم وعيون بارزة.

يشهق الاطفال عجباً ومرحاً حين يشاهدون عازف ناي بديناً قصير القامة يتمطى كالأفعى خلال النفخ حتى يبلغ ضعفي طوله كلما ارتفعت نغمة الناي. وأحب الدمى الى الاطفال حيوان جرابي من فصيلة الابوسوم له قلب في شكل قطعة حلوى حمراء وينشد للاولاد أغنية تقول: "هناك

(★) حيوان اوسترالي جرابي صغير.

مكان سري في قلبي." كذلك سام، وهو طويل القامة رفيعها ولكن له يدان وقدمان مفرطة في الضخامة. هذا لا يفعل شيئاً سوى التلويح بيديه في خجل ثم التراجع والاختباء خلف ساقي مبدعه.

فتوة بائسة - بالنسبة الى بيتر سكريفن، فن الدمى هوس يستحوذ على مشاعره. وتعود بداية تعلقه به الى ايام فتوته التعسة التي كانت تشبه فتوة ابطال روايات تشارلز ديكنز. فهو ولد لعائلة ثرية في ملبورن، وترعرع واخاه مايكل بين مربيات ومعلمين خصوصيين في بريطانيا ثم في القصر العائلي في مونت أليزا في ولاية فيكتوريا الاوسترالية. وعندما بلغ بيتر الثامنة من عمره توفي ابوه. وفي العام ١٩٤١ اصبح الولدان طالبين داخليين في مدرسة غيلونغ الابتدائية الخاصة.

بعد سنتين جاءت امهما الى غيلونغ لاخراجهما من المدرسة. وهي كانت مصابة بانهيار عصبي جعل سلوكها شاذاً وغريباً. وفي محطة القطار فر مايكل هارباً ولم يقيض لبيتر ان يراه ثانية الا بعد عشر سنين. وكان مايكل تدبر مع عمتيه امر البقاء في المدرسة.

قضى بيتر السنوات الاربع التالية مع أمه المختلة متجولا في خيام وسيارات نوم في انحاء ولاية فيكتوريا. وهو حاول مرة ان يدخل أمه مستشفى للامراض العقلية، ويقول: "جميع الناس اعتبروني قاسياً عاقاً. ولكن لو تسنى لها تلقي العلاج المناسب لمرضها العقلي، لرفع عنها ما لاقته من بؤس خلال سنوات الضياع والتشرد تلك."

عندما بلغ بيتر السادسة عشرة من عمره قررت أمه الابحار الى نيوزيلندة. لكن الفتى لم يعد قادراً على الاحتمال، فتعمد التأخير كي يفوته المركب الذي أبحر بأمه وحدها. وهو لم يرَها بعد ذلك. ثم وجد عملا في متجر للحيوانات الاليفة في ملبورن، وكان ينام تحت طاولة المتجر على غرار اوليفر تويست في قصة تشارلز ديكنز. واخيراً عثرت عليه عمته وادخلته مدرسة هانتنغتون تاور الخاصة.

غير ان عالم مسرح الدمى كان استحوذ على تفكيره، فأقنع صاحب مسرح صغير في ملبورن باعطائه عملا نهار السبت كمتدرب على تحريك الدمى. ولما أصرت ادارة المدرسة على ان يخصص ايام السبت ايضاً للدراسة، رفض الانصياع للامر فطرد. في اليوم نفسه أبلغه مدير المسرح ان مهارته هي دون المستوى المطلوب وانه لن يحقق اي مستقبل ناجح كمحرك دمى. ولكن على رغم معارضة اقربائه واصل بيتر صنع الدمى وتقديم عروض في حفلات للاطفال.

لكنه كان يحتاج الى عمل يعتاش منه، فعمل مدة سنتين مذيعاً في احدى محطات البر الاوسترالي. وعند بلوغه العشرين وجد نفسه في عداد فرقة عرض جوالة كمساعد لمشعوذ يدعى غراند ليفانت. بعد ذلك توجه الى اوروبا ليعمل في مسارح الدمى هناك. وعند عودته الى اوستراليا

استعان ببعض ما ورثه من مال العائلة لينظم عرضين كاملين في ملبورن وسيدني. وبعدما نجح العرضان ارتسمت في مخيلته صورة "تنتوكيز".

يقول بيتر الآن: "كنت أقدم قصصاً خرافية على غرار هانسل وغريتل." لكن النجوم التي ابدعها، مثل كرامبي كوالا وبانجي بوسوم وويلبي ومبات، جعلت عروضه الاولى تجتذب المشاهدين حتى اكتظت بهم المسارح في انحاء اوستراليا عام ١٩٥٦. وعقبت ذلك عروض حققت نجاحاً كبيراً مثل "فيلا بندي الصغيرة" و"المكتشفون" و"الفطيرة السحرية."

ساعد بيتر في عمله بولوني موهوب بتشغيل الدمى يدعى أيغور هايشكا، وأصبح محرك دمى رئيسياً لديه. وفي احد العروض سقطت ذراع احدى الدمى لدى مرورها على المسرح. وفي حين تابع المحركون الآخرون تسيير دماهم متجاوزين الدمية المنكوبة، جعل أيغور الموهوب دميته تقف وتنحني لتتفحص الذراع المقطوعة ثم تظهر امارات الهلع وهي تدور حولها على رؤوس اصابعها في اهتمام وقلق.

يقول سكريفن: "ليست المسألة مجرد جذب اسلاك او تحريك ذراع او ساق. على محرك الدمية ان يؤمن التوازن فتتحرك هذه كسواها ثم تبدأ اتخاذ طابعها الخاص. وفي وسعك ان تصنع ٤٠٠ دمية متشابهة ظاهراً، ولكن لا يمكن ابداً ان تجد اثنتين متشابهتين تماماً. قد امثل الدور ذاته ٢٠٠ مرة، وفي كل مرة يحدث امر غير متوقع."

الفنان المغامر – في العام ١٩٦٥ اصبح بيتر سكريفن ومجلس الفنون في اوستراليا (قسم نيو ساوث ويلز) ومؤسسة المسرح الاليزابيثي الاوسترالي شركاء في ملكية "شركة تنتوكيز." وأبدل اسم الفرقة فدعيت "مسرح اوستراليا للدمى،" وغدت بعد وقت قصير اكبر شركات الدمى الجوالة في العالم.

سكريفن هو المدير الفني، وهو يستخدم ١٠٠ دمية يحركها نحو ١٢ شخصاً. يختفون على منصات ترتفع مترين فوق ارض المسرح. الرحلة الاولى الى آسيا عام ١٩٦٧ حققت نجاحاً كبيراً اذ سجلت اصوات الدمى بـ١٤ لغة مختلفة. وعندما قدمت فرقة "تنتوكيز" في الهواء الطلق عرضاً في مدينة مندلاي شمال بورما، حضر الحفلة ١٠ آلاف مشاهد اجتاز بعضهم مسافة اربعة او خمسة ايام على عربات تجرها الثيران.

وفي العام ١٩٦٩ شب حريق في مخازن المؤسسة فأتلف ٤٠٠ من دمى سكريفن بلغ ثمنها ٤٠ الف دولار اوسترالي (نحو ٤٢ الف دولار امريكي) وهي ثمرة جهد ١٢ سنة.

أصيب بيتر بالقنوط من جراء خلافاته مع الشركة حول التأمين والملكية، فأخذ يقضي معظم وقته في آسيا ولا يعود الى اوستراليا الا ليباشر عروضاً جديدة ويدرب شباناً يافعين على تحريك الدمى.

لمناسبة المعرض الياباني عام ١٩٧٠ في اوساكا، صمم بيتر عرضاً خاصاً دعاه "تنتوكيز عام ٢٠٠٠." وكان هذا يمثل تأريخاً تجريدياً

للعالم. استخدم في هذا العرض دمى دقيقة الجسم، رؤوسها بيضوية بلا عيون ولا أفواه، ومعها مقلد حي ومجموعة تعزف موسيقى جاز عصرية. اثار هذا العرض هلع التقليديين، ولارضاء هؤلاء قدم بيتر عرض "تنتوكيز..." مع نسخة مجددة من مسرحية "الفطيرة السحرية".

ولما عاد الى الطواف في آسيا عام ١٩٧٦، وجد له موطناً جديداً في سري لانكا. فقد اقلقه دائماً انحطاط الحرف التقليدية الاساسية في مهنته. لكنه عثر في سري لانكا على بضع قرى اشتهرت بامتهان حفر الخشب، فأسند الى بعض حرفييها صنع رؤوس الدمى واجسادها واذرعها.

وبعدما جرب بيتر طوال سنوات استخدام البلاستيك والزجاج المغزول، عاد مبتهجاً الى استخدام المواد الطبيعية بما في ذلك نوع من الخشب الرخص يدعى غون - كادورو. ولكي يضمن مورداً مأموناً للمستقبل اشترى غيضة من اشجار غون - كادورو. وحث حفاري الخشب والمصممين لديه - وهم من طلاب الفنون في كولومبو - على بث طاقتهم الابداعية في ما يصنعون. وهو يقول: "في احدى المراحل نزع هؤلاء الى نوع من الفن التكعيبي." ومن هذه النزعة خرج الرجل الآلي المدهش الذي ارعب به "توكي" الصغير أفعى جبارة في احدى التمثيليات المخصصة للمدارس.

الافعى هي رائعة فنية ايضاً، فهي مصنوعة من قطع خشب متداخلة ومطلية بالاحمر والاخضر، تتلوى ولها لسان طويل أحمر يبرز وينسحب.

حين يجمع بيتر دماه يبدو كأنه فعلا ينفخ الحياة في تلك القطع الخشبية الغبراء. كرات الطاولة تحشى بأثقال فتغدو مقلا تطرف متقلبة. وألياف النخيل الدقيقة المجففة تصبح شعراً مصففاً. وذات مرة طلب بيتر من احد الحفارين ان يصنع يدين بالحجم الطبيعي، ولم تكن في ذهنه اي خطة محددة. بعد ذلك وجد قدمين كبيرتين وجمع الاطراف الاربعة الى جسد طويل دقيق ورأس مستطيل. وهكذا ولد سام.

تخلى بيتر عن مسرح الدمى عام ١٩٧٧. لكنه عاد اليه وحيداً ليلتقي جمهوره المفضل: الاطفال.

لكن هذا الساحر يعزف الآن لحناً جديداً. انه يبني يختاً بخارياً فيكتوري الطراز طوله عشرون متراً، لينقل مجموعة من دمى تمثل اطفالا أيتاماً وراشدين ذوي طباع غريبة، وذلك لاخراج آخر قصصه التي دعاها "ايتام البحر." وعندما اصبحت هذه جاهزة في اواخر ١٩٧٨، تولت شركة كندية تصوير مغامرات هذه الدمى كشريط وثائقي يوزع في انحاء العالم. وربما وجد بيتر في ذلك موطناً جديداً له ولدماه - صالات السينما في ارجاء الدنيا.

■ **باميلا فوكس**

الهدف الاول لحفلات الاطفال تذكيرنا بأن هناك أطفالا أكثر إزعاجاً من أولادنا.

ل.و.

رغب الموظفون في الاعراب عن تقديرهم لما فعلته شركتهم من اجلهم...
فأهدوا اليها طائرة

عربون شكر

س

شهد ربيع ١٩٨٢ ازمة في صناعة النقل الجوي الامريكية. فالاقتصاد ضعيف وأسعار الوقود مرتفعة ومراقبو الملاحة الجوية مضربون. وللمرة الاولى منذ ٣٥ سنة أعلنت شركة "خطوط دلتا للطيران"، احدى اكثر شركات الطيران ربحاً، خسارة صافية بلغت ١٨،٤ مليون دولار في الفصل الاول من ذلك العام.

وفي بداية شهر اغسطس (آب) بعثت إدارة "دلتا" برسالة مفاجئة الى موظفيها البالغ عددهم ٣٧ ألفاً جاء فيها انهم سيحصلون على زيادة في الأجور بنسبة ٨،٥ في المئة.

وتتذكر جيني ويتفيلد التي عملت مضيفة لمدة تزيد على ١٥ سنة: "لم نصدق بادىء الامر، فقد كنا ممتنين لمجرد بقائنا في وظائفنا. والفضل في ذلك لسياسة ضمان الوظائف في الشركة. وكنا علمنا أن نحو ٤٠ ألف موظف في شركات أخرى للطيران خسروا وظائفهم."

وبعد مضي أيام على اعلان الزيادة كانت السيدة ويتفيلد وصديقتاها جين اونز وديان كارفيلي يتحدثن مع موظفين آخرين أثناء فترة الاستراحة. قالت ويتفيلد: "أود لو نجد طريقة ما لشكر دلتا." وسألها زميل ساخراً: "لم لا تشترين طائرة وتهدينها الى الشركة؟" فأجابه آخر: "إنها فكرة رائعة." وتساءلت اونز وقد اعجبتها الفكرة: "لم لا نشتري أول طائرة بوينغ ٧٦٧؟" مشيرة الى الطراز الجديد من الطائرات المتوسطة الحجم التي كانت "دلتا" تتوقع

تسلمها ابتداء من شهر اكتوبر (تشرين الاول)، واضافت: "ربما كان في وسعنا ان نقدم احدى الطائرات هدية شكر وتقدير."

أثار الموضوع حماسة ويتفيلد واونز وكارفيلي فانطلق يتحدثن عنه مع كل موظف صادفنه وهن يحاولن سبر ردود الفعل. ولم يشاركهن جميع الموظفين في حماستهن، لكن النسوة الثلاث أدركن مما سمعنه من الموظفين، ومعظمهم غير منتسب الى النقابات، انهم يشعرون بأن "دلتا" مهتمة لشؤونهم.

واعتبر بعضهم الفكرة "طموحة جداً"، غير ان زوج ديان كارفيلي شجعهن قائلا: "الفكرة رائعة، وهي جديرة بالمحاولة."

النسوة والرئيس – في الثاني من سبتمبر (ايلول) عزمت المضيفات الثلاث على استطلاع رأي الادارة. ولدى توقف طائرتهن في احدى رحلاتها الى اطلنطا (ولاية جورجيا) اغتنمن فرصة "سياسة الباب المفتوح" التي اتبعتها الادارة العليا في الشركة وطلبن مقابلة روبرت أوبنلاندر نائب الرئيس للشؤون المالية. ولدى سماع أوبنلاندر الاقتراح بدت عليه الدهشة: "اتدرين عن اي مبلغ تتكلمين؟ إنها طائرة بثلاثين مليون دولار!" وشعرت جيني ويتفيلد بالارتياح، فهي ظنت أن الثمن سيكون اغلى.

أخبرت النسوة أوبنلاندر ومساعده رون آلن انهن واثقات من الحصول على دعم ٨٠ في المئة من موظفي الشركة بحلول يوم الطيران ديسمبر (كانون الاول). وعرضن اقتراحاً لتحصيل ثمن "الهدية" باقتطاع نسبة مئوية من اجور الموظفين.

وكان اول ما تبادر الى ذهن أوبنلاندر كمسؤول معني بالأمور المالية الدلالة المادية لهذا العرض السخي. وفي تقديره انه سيؤدي الى حسم ٢،٥ في المئة من الزيادة الجديدة المقررة على الأجور، اي ما معدله ٨١٠ دولارات للموظف الواحد. ولم يثبط ذلك من عزيمة النسوة، فوعدهن أوبنلاندر بالتفكير في الامر.

وبعد أسبوعين أعلمهن أوبنلندر وآلن بموافقة الشركة وشكرها على الهدية الرائعة التي ينوين تقديمها. لكن ديفيد غاريت رئيس الشركة أصر على ان يكون الاشتراك في المشروع طوعاً والا يحتفظ القائمون عليه باي سجلات عن مقدار مساهمة كل موظف والا يوجدوا ميولا أو اتجاهات لدى الموظفين من شأنها ان تقوي المنافسة.

ووافقت الشركة على تحويل احد مخازنها في اطلنطا مكتباً لادارة المشروع، كما سمحت باستخدام شبكة الاتصالات في "دلتا" ومن بينها هاتف خاص، إضافة الى التعاون مع دائرة الرواتب والاجور في الشركة لاجراء الحسم الاختياري من الراتب واسداء المشورة حول الشؤون الفنية والقانونية. (وقد امكن حسم جزء من رواتب الموظفين المشاركين من دون احتساب الضريبة على المبلغ الذي تم اقتطاعه).

وقال الرئيس للنسوة: "والآن، الأمر

على عاتقكن." "نحن لم نسألك المساعدة ولكن نطلب منك مساهمتك المالية كموظف."

متقاعدون وايتام - انطلقت النسوة الثلاث تحدوهن اللهفة الى البدء بالمشروع. ارسلن برقيات مختصرة علقت على لوحات البلاغات في جميع مكاتب "دلتا" الموزعة في نحو ٩٠ مدينة. وفي ٢١ سبتمبر (ايلول) اعلن "مشروع ٧٦٧" كحملة ينظمها الموظفون للاعراب عن شكرهم شركة "دلتا" باهدائهم اليها طائرة "بوينغ ٧٦٧". ودعي المتطوعون الى المساهمة في انطلاقة المشروع، وذكر رقم الهاتف "ب٧٦٧" لمن يود الاتصال.

وكانت الخيبة الاولى: فقد كادت طائرة الاحلام ان تتحطم قبل اقلاعها. وحسبما تذكر ديان كارفيلي، فقد ظن معظم الموظفين ان الامر لا يعدو كونه دعابة. ولكنه عندما تسرب الخبر الى وسائل الاعلام ابدى بعض الموظفين انزعاجهم لانهم لم يسمعوا به اولا.

ثم ظهرت بوادر مشجعة. فبالنسبة الى بايرون كارول الميكانيكي العامل في الشركة منذ ١٨ عاماً "كانت الفكرة جيدة. فقد أحسنت دلتا صنيعاً لي ولعائلتي، ومدت الي يد العون عندما توفي والدي فاتاحت لزوجتي وأولادي السفر لحضور الجنازة وبعثت برسائل تعزية وباقات زهر. وكان لذلك اثر كبير في نفسي."

اتصل كارول برقم الهاتف "ب ٧٦٧" وتطوع في المشروع متحرقاً الى خدمة "دلتا".

وحبذ جيف برويت الفكرة لكنه بقي حذراً، فقصد مكتب رئيس الشركة وسأله: "الناس يريدون ان يعرفوا، أأنت صاحب الفكرة؟" وأجابه الرئيس: "لا، لكني كموظف، أؤيدها مئة في المئة." وعلى الاثر ذهب برويت الى مكتب المشروع وعرض مساعدته.

طلبت النسوة الثلاث من كارول وبرويت الانضمام الى فريق "مشروع ٧٦٧" وهي لجنة من ١٦ عضواً مركزها اطلنطا وتضم ممثلين عن معظم الاختصاصات في "دلتا". وعلى رغم العقبات التي واجهتها اللجنة في البدء فقد أعدت خطة متكاملة واتفقت على عقد اجتماع في اطلنطا في اكتوبر (تشرين الاول). وكانت واثقة من ان دعم الموظفين للمشروع سيزداد من خلال نشاطاتها.

بعد ايام دخل مفتش الصيانة المتقاعد المر كريبس مكتب المتطوعين ووقع حوالة لحساب المشروع. فاعترضته احدى المتطوعات قائلة: "لا يمكنك ان تفعل ذلك. فنحن لسنا هنا لتلقي الهبات، والمشاركة مقتصرة على الاقتطاع من الرواتب."

غير ان كريبس قال: "اسمعي يا صغيرتي، لقد ساهمت في تأسيس هذه الشركة قبل ان تخرجي الى الوجود، فبالله عليك لا تخبريني اني عاجز عن التعبير عن شكري وامتناني." وبعد اجراء مكالمة هاتفية مع ادارة المشروع وافقت على الامر مفسحة في المجال أمام دعم لا بأس به من المتقاعدين وجماعات

أخرى من خارج الشركة. وقد أرسل أحد طياري شركة "الخطوط الجوية عبر العالم" (TWA) حوالة أرفقها برسالة جاء فيها: "أود أن أشارك في هديتكم. لقد اعتبرت دلتا دوماً نموذجاً تحتذي به شركات الطيران."

وفي احدى الامسيات دخل مكتب المشروع طفل من دار للايتام عمره خمس سنوات واسمه آدم بيبرز، قال: "هذه خمسة وعشرون سنتاً لتساعدكم في شراء الطائرة." بعد ذلك تلقى المكتب رسالة من دار الايتام مرفقة بحوالة بقيمة ١٠٧ دولارات و٣٥ سنتاً. وكانت مجموعات خيرية في "دلتا" دأبت على تقديم الدعم الى الدار منذ سنتين. وقد ذكر المسؤول عن الدار ان الاطفال لدى سماعهم بمشروع الهدية ارادواالمساعدة لأنهم يشعرون انهم اعضاء في عائلة "دلتا". وقد تم تحصيل المبلغ الذي قدموه بالعمل ساعات اضافية.

اليوم الاخير — في زخم العطاء الأول شارك نحو ٢٥ في المئة من الموظفين في المشروع، لكن سرعان ما أخذ العطاء في التباطؤ.

ودحضاً للاشاعات وسوء التفاهم نظم فريق المشروع عروضاً ميدانية ولقاءات وجاهية مع الموظفين في المدن التي تعمل فيها "دلتا". وجند ٣٠٠ متطوع ليساعدوا في توفير آخر المعلومات.

وأشعر الموظفون من خلال الاحاديث وردود فعل الناس بأنها مناسبة خاصة لأن يقول الموظف العادي لشركته: "شكراً." وأقر احدهم بصراحة: "لم أكن لأشارك، لكن اصدقائي ما برحوا يؤكدون لي اني محظوظ لاني أعمل في دلتا."

وبحلول نهاية نوفمبر (تشرين الثاني) كان نحو من ٥٠ في المئة من موظفي الشركة وقعوا قسائم المساهمات. ولاستثارة حماسة اكبر حث فريق المشروع الموظفين على تعليق شارات "مشروع ٧٦٧" على صدورهم، ووزع نسخاً من الرسائل التي وردت عليه من المسافرين، والشركات ومن بينها رسالة من شركة عرضت ان تقدم قطعة غيار تقدر قيمتها بتسعة آلاف دولار لمحرك الطائرة العتيدة. وطلب الفريق من المتطوعين ان ينظموا حملة ختامية مركزة في مدنهم قبل اليوم الاخير. وأثمرت الجهود التي بذلت في اللحظة الاخيرة اذ ارتفعت المساهمات الى ٧٧ في المئة.

روح دلتا — في صباح ١٥ ديسمبر (كانون الأول) تجمهر سبعة آلاف من موظفي "دلتا" في مطار "هارتسفيلد" الدولي في اطلنطا لازاحة الستار عن الطائرة الاولى في اسطول الـ"بوينغ ٧٦٧". وشارك تسعون موظفاً من معظم المدن التي تغطيها خطوط "دلتا" في ازاحة الستار عن الطائرة ذات اللونين الفضي والابيض والمزدانة بعبارة "روح دلتا".

وقدمت جين اونز وديان كارفيلي مفتاحاً رمزياً كبيراً الى الرئيس ديف غاريت. اما جيني ويتفيلد المرأة الاكثر حيوية في حملة جمع المساهمات فالقت كلمة باسم

الموظفين جاء فيها: "انها عربون حبنا وتقديرنا وشكرنا لشركة طالما لبت حاجات موظفيها."

وقال غاريت عندما رأى عبارة "روح دلتا" مربوطة بشريط مخملي أحمر: "تلك كانت من اسعد اللحظات في حياتي، فلم يسبق ان شعرت بهذا المقدار من اللحمة التماسك."

وكان آدم بيبرز الطفل الآتي من دار الايتام ركب القاطرة التي نقلت الطائرة من المرأب. بعد ذلك انضم فريق المشروع الى عدد من الركاب في رحلة الى تامبا. وغطت شبكات التلفزيون في اوروبا والولايات المتحدة هذه اللحظة الرائعة في تاريخ العمل.

ما زالت الهبات تتوالى، ويشارك الموظفون بفخر في طائرتهم. وها هي ادارة "دلتا"، كتعبير ملموس عن تقديرها، تقدم الى كل من موظفيها الـ٣٧ ألفاً ملصقاً عليه صورة حفلة ازاحة الستار مع قطعة من الشريط المخملي الاحمر الذي لفت به الطائرة.

لكن "الشيء غير الملموس" موجود في قلب الهدية ووفقاً لما يقوله اوبنلاندر: "لقد جمعت الطائرة شمل الموظفين، ووحدتنا كعائلة في وقت عصيب من تاريخ النقل الجوي."

في "دلتا" ما من ثناء أغلى من هذا.

■ ليندا لورنس



الطقس الحار

ذات عصر قائظ أتى النعاس على أفراد صفنا جميعاً. ومن أجل إثارة اهتمامنا، طلب الاستاذ من أحدنا أن يقرأ مقالا بصوت عال وبعدما انتهى، قال له: "هل لك أن تشرح ما قرأته؟"

ـ آسف يا استاذ، فأنا لم أكن أُصغي الى نفسي.

ا.ش.

بيت بيتر سلرز

بحكم مهنتي كبناء، استدعيت مرة لاصلاح مطبخ البيت الذي كان يسكنه الممثل الساخر بيتر سلرز وزوجته الاولى. وذات يوم قرع الجرس بينما كان سلرز في مكتبه وزوجته تخبرني ما تريد ان افعل. وتوجهت السيدة سلرز الى الباب، ثم عادت وعلى وجهها ابتسامة عريضة، وفي يدها برقية من زوجها تقول: "أحضري لي فنجان قهوة."

مايكل دو

الكلام بلا تفكير يشبه اطلاق النار من غير تصويب. ج.ل.

الكون في عقل عبقري

غدا هذا الشاب البريطاني المعاق أعظم عالم فيزياء معاصر، وقدم نظريات تتجاوز ما أعطاه آينشتين



تراه يحيي الداخل الى مكتبه في جامعة كيمبريدج بابتسامة خبيثة تظهر على وجهه وفي عينيه الزرقاوين المرتعشتين وراء نظارتيه. وعلى رغم بلوغه الثانية والاربعين فان وجهه الصبياني يجعله يبدو كطالب في تلك الجامعة البريطانية أكثر منه استاذاً بارزاً للرياضيات. لكن الناظر الى جسده الناحل الغائر في كرسيه المتحرك وعضلاته الهزيلة يظن أنه أمام رجل هرم. وهو ينطق كلماته بمشقة حتى يكاد المستمع لا يفهم منه شيئاً.

ولكن على رغم هذه العوائق، وربما بفضلها، تمكن ستيفن هوكينغ من تحقيق أعظم إنجاز فيزيائي في مرحلة ما بعد آينشتين. وقد قيل في هذا الانجاز انه الجواب الذي أنتجه نصف القرن الحالي ردّاً على فيزياء آينشتين.

ويذهب بعض الفيزيائيين الى أن عمل هوكينغ ربما شكل أحد أعظم الانقلابات في تاريخ العلوم. وثورة هوكينغ تقوم على التوفيق بين دعامتي الفيزياء الحديثة، وهما نظرية آينشتين في النسبية العامة التي تقول بأن الجاذبية هي التي تسير حركة الكواكب والنجوم والمجرّات والكون نفسه على نحو منظم يمكن توقعه، ونظرية ميكانيكا الكمّ التي تقول بأن المادّة، على الصعيد الذري، تعمل عشوائياً. وكان آينشتين، الذي أمضى السنوات الثلاثين الاخيرة من حياته محاولا التوفيق بين هاتين النظريتين المتعارضتين ظاهرياً، رفض العشوائية التي ترتكز عليها ميكانيكا الكم، وقال: "لا يمكنني الاعتقاد أن الله يلاعب الكون بالنرد."

وبات اكتشاف الحقائق والروابط التي تقوم عليها هاتان النظريتان بمثابة واجب مقدس لدى بعض العلماء، وهم اولئك الذين يظنون أن التوفيق بين النظرتين المذكورتين من شأنه إزالة العقبة الاخيرة التي تحول بيننا وبين فهم طبيعة إزالة العقبة الاخيرة التي تحول بيننا وبين فهم طبيعة الكون على نحو أكثر شمولا. وكما سدل آينشتين التسار على عصر الذرة، هكذا في استطاعة نظرية توفيقية أن تستهل عصراً علمياً جديداً. وقد أخذ ستيفن هوكينغ على عاتقه التوصل الى نظرية من هذا النوع.

داء مقعد – كان والد ستيفن باحثاً علمياً، وهو بكر أولاده الاربعة الذين عاشوا في جوّ علمي وعائلي متين الاواصر. ودخل ستيفن جامعة اوكسفورد عام ١٩٥٩، وكان متحرّراً وذكياً مع بعض عناد، كما كان محبوباً جداً من أصدقائه في الجامعة والبلدة. وفي سباق المراكب السنوي التقليدي بين جامعتي اوكسفورد وكيمبريدج، ظلّ وقتاً رباناً لأحد المراكب.

وعلى رغم اجتنابه العمل الدراسي الشاقّ فان أساتذته قدّروه لذكائه الخارق. وكان في استطاعته أن يحلّ بسهولة أي مسألة رياضية تعرض عليه. ولدى تخرجه أعطي امتحاناً

شفوياً إضافياً للتأكد من أنه يستحق درجة الشرف الاولى التي كان يحتاج إليها لمتابعة دراسته في كيمبريدج.

وفي تلك المناسبة سأله أحد أعضاء اللجنة الفاحصة عن خططه للمستقبل، فأجاب: "إذا حصلت على درجة الشرف، فاني أذهب الى كيمبريدج. أما اذا كانت درجتي أقل فسأبقى في اوكسفورد. لذلك أتوقع أن تمنحوني درجة الشرف الاولى." وهكذا كان.

لكنه ما كاد يمضي أشهراً قليلة في كيمبريدج حتى ظهرت عليه بوادر علة جسدية. وأخذ يتعثر في مشيه ويتأتى في لفظة ويجد صعوبة في السيطرة على ذراعيه وساقيه. ووجد الاطباء أنه مصاب بخلل جانبي في الانسجة والاعصاب الارادية، وهو داء قد يؤدّي الى الشلل والوفاة. وأمام ذلك الواقع المرّ أدرك هوكينغ أنه قد لا يعمرّ حتى الخامسة والعشرين.

وانتابه الاسى حين وجد أنه لا يقوى على السير في الجامعة من غير عكاز. وهجر دروسه وأمضى الكثير من وقته في الحانات.

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٦٣، بينما كان هوكينغ يزور ذويه في بلدة سانت آلبانز بالقرب من لندن، دعي الى حفلة. وهناك صادف جين وايلد، وهي فتاة زرقاء العينين بنية الشعر كانت تدرس اللغات وتستعد لدخول كلية وستفيلد في لندن. وأحبت ستيفن لبديهته وذكائه، وهو أحب حيويتها. ولم يثنها عنه وضعه الجسدي المتقهقر وإمكان وفاته الباكرة. وبعد صداقة دامت سنتين تزوّج الاثنان عام ١٩٦٥.

وكان ذلك الزواج حداً فاصلا في حياة ستيفن. وفارقته خشية الموت وأكب على دروسه من جديد. وما لبث أن أصبح أباً لثلاثة: روبرت الذي ولد عام ١٩٦٧ ولوسي (١٩٧٠) وتيموثي ستيفن (١٩٧٩).

بداية الزمن ـ بُعيد زواجه برزت عبقرية ستيفن العلمية. وفي منتصف الستينات شغلت الاوساط العلمية بمسألة "الانفجار الهائل" الذي ظن معظم الفيزيائيين أنه كان بداية الكون. وهم أجمعوا على أن الكون يتمدد ويكبر على نحو مطرد. ولكن عندما حاولوا الانطلاق من معدل الحركة الحالي لمعرفة ما حدث لحظة "الانفجار الهائل" بالذات حاروا جواباً.

ووقف هوكينغ مرتبكاً أمام الفكرة القائلة بأن الكون بدأ على ذلك النحو المتفرّد الغريب عند نقطة اجتمع فيها الزمان والمكان. وبدأ يعمل على المسألة مع رودجر بنروز، وكان آنذاك في جامعة لندن ومن علماء الريضيات الطليعيين في العالم. وفي العام ١٩٦٩ توصل الاثنان الى نظرية باتت منتشرة اليوم، وهي تذهب الى أن الكون يجب أن يكون بدأ كنقطة ذات كثافة لا متناهية إذا افترضنا صحة نظرية آينشتين في النسبة العامة. ويقول هوكينغ بابتسام: "لقد برهنا أن للزمن بداية."

وفي مطلع السبعينات كانت حال هوكينغ الجسدية ساءت الى الحد الذي أوجب إبقاءه في كرسي متحرك. إلا أن قواه الذهنية بقيت

تحلق عالياً، وما فتىء يأتي بالنظريات الرائعة واحدة تلو الاخرى. غير أن النصر العلمي العظيم الذي حققه لاحقاً كان مرتبطاً بنظرته حول الثقوب السود.

والثقوب السود هذه متعلقة بالنجوم. فعندما يستهلك نجم كبير حرارته النووية ينهار تحت وطأة جاذبيته الذاتية. وإذا حصل ذلك في ظروف ملائمة، فان النجم لا يلبث أن ينضغط حتى يستحيل كتلة عالية الكثافة يقدر العلماء أن لا شيء، بما في ذلك الضوء، يستطيع اختراقها.

وإذ حوّل هوكينغ اهتمامه الى الثقوب السود، بدأ يكتشف أسراراً لم تعنّ على بال أحد قبله. وفي العام ١٩٧١ جاء بافتراض يقول ان نهاية النجوم ليست الطريقة الوحيدة لتكوين الثقوب السود، بل ان ثمة ثقوباً أصغر كثيراً يمكن أن تكون نشأت بفعل عوامل جائحة خلال "الانفجار الهائل". ووجد هوكينغ، عبر طرائقه الرياضية، أن المجرة التي تنتمي الارض اليها تحوي مليوناً أو نحو ذلك من الثقوب السود الاصغر حجماً، وان كلا من هذه الثقوب لا يتجاوز البروتون - وهو الجسيم الموجب في الذّرة - حجماً، في حين أن الكتلة التي ينطوي عليها تضاهي جبل افرست ضخامة.

جدار الشك - في العام ١٩٧٣ راح هوكينغ يتأمل ملياً في حركة المادة في جوار الثقوب السود. وإذ اضطرته حاله الجسدية الى هجر القلم والورقة، شرع ينجز عمله النظري في ذهنه. ونظراً الى صعوبه تذكر المعادلات المعقدة، تولى ترجمة المسائل الى أشكال هندسية راح يمليها على معاون. وبعد حين وهو منغمس في تلك المسائل، وجد نفسه أمام اكتشاف مناف للعقل، ولكن عميق، ظن بادىء الامر أنه ينطوي على خطأ ما.

أجل، لقد وجد هوكينغ أن الثقوب السود تتحدّى كل قانون معروف لتبث فيضاً مستمراً من الجزئيات أو الاشعاع. ومعنى هذا أن الثقب الاسود نفسه قابل للتبخر والزوال. وبالنسبة الى الثقوب الكبيرة التي يكونها انهيار النجوم، أو الثقوب الضخمة التي يظن علماء الفلك أنها موجودة في قلب المجرات، ربما استغرق الاضمحلال وقتاً يتجاوز عمر الكون مراراً. لكن هوكينغ وجد أن معدل بقاء الثقب الصغير هو عشرة مليارات سنة (عشرة آلاف مليون). وهذا وقت طويل حقاً، لكنه يقل عن عمر الكون. وعندما ينحل الثقب الاسود الصغير ينفجر على هيئة طوفان من الاشعة الجيمية (غاما).

إلا ان تلك النظرية في الثقوب السود جاءت منافية لما هو معروف في الفيزياء، حتى أن هوكينغ نفسه، الذي يثق عادة بما يتوصل إليه، ظل أسابيع يراجع عملياته الحسابية التي أوصلته إليها. فهذه النتيجة الغريبة تحتاج الى براهين قوية لاقناع الآخرين بها. وإذا كان على حق، فهذه النظرية من شأنها إحداث ثورة تبدل كل شيء في علم الفيزياء. أما إذا كان مخطئاً، فهو يحتاج الى

سنوات لاستعادة ثقة الاوساط العلمية به.

وأخيراً، في فبراير (شباط) ١٩٧٤، حان الوقت لعرض نظريته على ذوي الاختصاص. وكان هوكينغ في الثانية والثلاثين. ولأجل ذلك ذهب من كيمبريدج الى مختبر رذرفورد آبلتون للبحوث حيث قرأ مقالا على مجموعة من الزملاء بعنوان: "الخلق الجزئي الذي تمارسه الثقوب السود." وعرضت شرائح مصورة عن العمل فيما هوكينغ يشرح التفاصيل. وفي نهاية العرض طرح الزملاء عدداً من الاسئلة لا يتميز بالسلبية الصريحة، لكنه يرفع جداراً من الشك في وجه نظرية هوكينغ.

غير أن ذلك لم يثبط عزيمته. وفي الشهر التالي نشرت دراسته في مجلة "الطبيعة"، وهي مجلة علمية اسبوعية ذات شهرة كبيرة تصدر في بريطانيا. وما هي إلا أيام حتى غدت نظريته حديث الاوساط الفيزيائية حول العالم. ومنذ ذلك الحين تتالت الشواهد على أن الثقوب السود تبث الجزئيات وتنطفىء. كما جاءت البراهين من علماء آخرين لجأوا الى طرائقهم الخاصة. أما النظرية فبات يطلق عليها اسم "إشعاع هوكينغ".

السؤال الاكبر - بما أن طريقة عمل الثقوب السود التي اقترحتها نظرية هوكينغ تشبه ما يظن أنه حدث لدى "الانفجار" الهائل"، ففي إمكان هذه النظرية أن تعين الفيزيائيين على فهم طريقة ظهور الجزئيات الذرية وطريقة تفاعلها في ما بينها في لحظة التكوين تلك. لكن الاهم من هذا أن هوكينغ طبق قوانين ميكانيكا الكم" على الثقوب السود التي هي موضوع نظرية آينشتين النسبية. وتلك كانت الخطوة الاولى لكشف الحقائق التي من شأنها التوفيق بين تينك النظريتين.

إن البناية ذات الآجر المتسخ التي تؤوي دائرة الرياضيات التطبيقية الفيزياء النظرية في جامعة كيمبريدج تبدو كمصنع من القرن التاسع عشر ضائع بين واجهات الجامعة وأبراجها. ويذهب هوكينغ الى هناك يومياً في كرسيه المتحرك، منطلقاً من منزله القائم في الطبقة الارضية من مبنى يعود الى القرن الماضي ويبعد نحو ٨٠٠ متر عن مكتبه. ويضم ذلك المكتب أكواماً من كتب الفيزياء وجهازاً الكترونياً كبيراً وقلابة صفحات آلية ورسوماً لأولاد هوكينغ الثلاثة. وقد وضعت على طاولته المقالات العلمية لكي يتفحصها.

إن هوكينغ رجل صارم وعنيد. وقد أنعم عليه بالاشخاص الملائمين حوله، وهم زملاؤه المعجبون وعائلته المتماسكة. إلا أن قوته الكبرى هي في تعويله التام على عقله بعدما سلبه الداء عافيته الجسدية. وقد وجد في عقله طاقات مذهلة أدهشت جميع عارفيه، كما أدهشته هو بالذات.

ولقد غدا ذلك الكرسي الهزاز المركز الذي يرى منه ستيفن هوكينغ الطبيعة ويبحث عن قوانينها الاساسية. كما غدا هو مثالا للشخص الذي يعيش كلياً ضمن عقله.

■ **جون بوسلو**

صديق العمر

اشتركوا في المختار

NAME		الاسم :
ADDRESS		العنوان :
....		
PROFESSION		المهنة :
SIGNATURE		التوقيع :

NAME		الاسم :
ADDRESS		العنوان :
....		
PROFESSION		المهنة :
SIGNATURE		التوقيع :

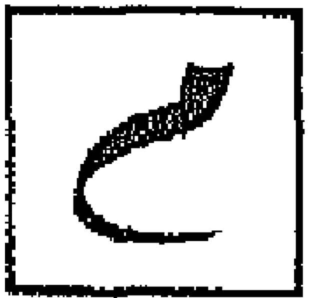
تملأ القسيمة - بالعربية او الاجنبية - وترسل بالبريد الجوي المسجل (المضمون) مرفقة بشيك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً، وهو بدل الاشتراك بـ١٢ عدداً لمدة سنة، الى العنوان الآتي:

بنك المشرق ش.م.ل
ص.ب ١٥٢٤
بيروت - لبنان

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:
اشتراك في مجلة "المختار".

جَدّتي

حياتي كلها لخصتها ايام سبعة على ضفة بحيرة



مضت اسابيع وانا اتأمل ذاتي محاولا ان ادرك لماذا انا عاجز عن التعريج على ذلك لدرب الترابي الضيق المؤدي الى بحيرة كبيرة فيليبس، حيث يقع الكوخ الذي استأجرته جدتي ذات صيف قبل وفاتها لعشرين سنة خلت. كنت اعرف تماماً اين يقع ذلك الدرب، حتى اني اطلقت الاشارة الضوئية قبل بلوغي المفترق بثلاثين مترا. لكنني في اللحظة الاخيرة تابعت سيري على الطريق الرئيسية.

لقد سارت الامور دائماً على هذا المنوال. وكل مرة كنت اقول لنفسي اني سأعود الى تلك البحيرة، لكني كلما وصلت الى ذلك الدرب الضيق وجدتني عاجزاً عن سلوكه. ولا تلبث ان تحتشد في رأسي ذكريات عن جدتي غاية في الرقة والغنى.

توفيت امي اثناء ولادتي، فجيء

بي لأعيش مع جدتي في حي من بيوت صغيرة متراصة في صفوف طويلة كأنها بنيت بعقلية مزارع قاس ضنين بالاراضي الخصبة. احببت جدتي ودعوتها "نانا" ووقعت اسير سحرها منذ البداية. كانت نانا مولعة بقشر التفاح الاخضر وانشاد الترانيم وخبز الحلوى وتتبع اخبار كرة القاعدة (البيسبول). كانت امرأة رقيقة على ضخامة بنيتها، عيناها خضراوان بلون البحر، ينظر اليهما المرء مثنى وثلاثاً قبل ان يصدق لونهما. كانت ترتدي فساتين طويلة فضفاضة وحذاء اسود كبيراً. ومع ان جواربها كانت دائماً تتكوم حول كاحليها، فلم يبد ان ذلك ازعجها مرة. وكانت لشدة سمنتها تنضح عرقاً حتى في فصل الشتاء. وكلما لفتني ذراعاها شعرت اني اتلقى معاملة خاصة لا تصدق.

ربيت نانا في مأوى للايتام. وعندما بلغت الرابعة عشرة هربت لتتزوج رجلا احبته وكان يكبرها بكثير. ولسبب ما اصبحت عصبية المزاج لا تستكن ولا تستقر على حال.

لم تكن عصبية المزاج الا لان الحياة استثارتها. تعلمت ان تنال كفايتها من ابسط الامور. وتقلبت احوال معيشتها من دون تذمر. "على المرء ان يمد رجليه بمقدار ما يسمح بساطه" هكذا كانت تردد وهي تؤدي اعمال المنزل. كانت تعمل باستمرار، تغسل وتكوي ثياب الاثرياء الذين كانوا يحضرون تلالا من الغسيل الى باب منزلنا.

اسرار صغيرة — لم اعتد مشاهدة قطع نقدية كبيرة في صغري. تعلمت ان علبة الحبوب يجب ان تدوم اسبوعاً كاملا. ولكن على رغم هذا الاقتصاد في الطعام لم اشعر مرة بالفاقة او الحرمان. فقد كان لجدتي اسلوبها الخاص في جعل كل الامور تبدو كأنها مغامرة او اكثر.

وكان وجود جدي في المنزل اكثر من مغامرة بالنسبة الى كلينا. كان من المستحيل التكهن بما يمكن ان يفعله، وكأنه عاصفة في بحر. كان رجلا انيقاً كثير التشكي، يصيح احياناً: "آدا، هلا هدأت قليلا؟" كانت دائماً تحاول ارضاءه، الا انها سرعان ما تنهض لعمل ما.

وعلى رغم مضي اربعين سنة على حياتهما معاً، فلم يبدُ انه كان يعرف شيئا عن آمالها واسرارها. لم يكن يدري مثلا انها تخبىء كرة بيسبول خلف خزانة المطبخ وانها تدخر القطع النقدية الصغيرة في علبة الازرار لشراء جهاز راديو.

اقتصدت نانا لسنوات ثم اشترت الجهاز في النهاية. كان بدعة غريبة الشكل ذا ابواب حلزونية وسقف مقنطر. وفي امسيات الصيف كانت جدتي تجلسني في حضنها ثم تأخذ في العبث بالاسطوانات المضيئة الى ان تترامى الى سمعنا فجأة اصوات اناس يلعبون البيسبول.

كان هذا جزءاً من الغموض والسحر اللذين اكتنفا جدتي، والا فكيف يمكن لعبة كالبيسبول ان تأخذ بشغاف قلبها. هذه اللعبة كانت يوماً سلواها في بؤس الميتم الذي ترعرت فيه، ثم، بعد ذلك، في السنوات العجاف التي مرت بها امريكا في الثلاثينات،

وابان الحرب العالمية الثانية التي اختطفت منها ابنها الوحيد ورمته وراء البحار، كذلك في رتابة الشيخوخة وكآبتها.

آمال كبيرة — كانت حركتها سريعة بالنسبة الى ضخامة حجمها. ولذا اعتقدها الكثيرون خرقاء تعوزها اللياقة. الا انها عندما كانت تلعب البيسبول كانت تلتقط الكرة وترميها بلباقة وخفة. كانت تلاعبني منذ صغري. وسرعان ما غدوت استمتع بمراقبتها وهي تتثاقل وراء الكرة بعد ان تخطئها ذراعاها الممدودتان. وبت اتعمد رمي الكرة بعيداً، فتلاحظ هي فعلتي لكنها ما كانت لتقول شيئاً.

واذكر كيف امضيت ساعات طويلة وانا اتلقف الكرة ثم اعيد قذفها، وكيف جلست مئات المرات امام جهاز الراديو وهو يبث مباريات البيسبول.

واذكر كيف وقفت جدتي قرب مرمى البيسبول عصر يوم مشمس من العام ١٩٥٤ وهي تصيح بابتهاج لاني سجلت اصابتي الاولى. كان ذلك قبيل عيد ميلادي الرابع. كانت تتمنى من كل قلبها ان اصبح لاعباً بارزاً. واصابتي الكرة ذلك الحين كانت توكيداً لكل ما حاولت ان تعلمني اياه: فهي تريدني ان اثق بنفسي. ليس فقط ان اؤمن بقدرتي على ان اكون ما اريد، بل باني قادر على ان اكون كل ما اريد.

وكانت جدتي تأمل الانتقال يوماً الى مكان آخر جديد ومختلف. وهي ابقت ذلك الامل حياً في قلبها. وكان من عادتها في ربيع كل سنة ان تخرج السجاد من المنزل لتنظيفه، ثم ترتب الاثاث على نحو مختلف بحيث يبدو الامر في الايام القليلة التالية كأننا انتقلنا الى مكان آخر فعلا. وطال بها الأمد وهي تعد للرحلة المرتقبة، الى ان ذهبنا اخيراً في ذلك الصيف في رحلة بسيارة جدي القديمة.

رحلة العمر — امضينا سبعة ايام وست ليال قرب البحيرة. وكانت لنا صباحات بهية بدا فيها نور الشمس جديداً كل مرة. كانت الاصوات تتردد بخفر حولنا وكأنها تعتذر لازعاجنا. وبعد كل خفقة موج على الرمل يسود صمت طويل كصمت من يتأمل. كنا نرفع الراية كل صباح وننظف حبلها الرطب ثم تجوب تلك البقعة المستطيلة من الشاطىء جيئة وذهاباً ملتقطين كسر الزجاج الناعمة والحصى المصقول. ويغمر الماء المنعش كاحلي جدتي التي امسكت فستانها القطني باحدى يديها بينما انشغلت اليد الاخرى تحت الماء كأنها تبحث عن كنز دفين. كان ممتعاً ان ارى جدتي للمرة الاولى حافية القدمين وقد قبع حذاؤها الاسود الثقيل بين الاعشاب.

كنت طفلا يهاب العواصف. وعصر ذات يوم جلست قرب البحيرة ومعي جدتي. كانت السماء دكناء كئيبة وهدير الرعد يترامى الينا من الخلف والغيوم السود تحوم فوقنا والبرق يشق السماء. كنت ارتجف، الا اننا انتظرنا سوياً حتى هطل المطر بغزارة، ثم انبثقت الشمس من بين الغيوم فتبدد خوفي الى الابد.

امضينا امسيات رائعة قرب

البحيرة. كانت السماء مرصعة بالنجوم وقد نثر القمر بريقه الوهاج فوق المياه. اذكر حباحباً والباب الذي كان يصر كلما فتح واغلق، وكيف كان النور يتيه من مقصورتنا ويتلاشى في الغابة. هنا تعلمت الاصغاء الى اصوات الزيزان وهي ترنم بين الحشائش، وهنا عاينت للمرة الاولى بشائر الهدوء على وجه جدتي. كأنها هنا عند البحيرة اكدت لي حقيقة مهمة من حقائق الحياة، الا وهي انها منذ الآن ستكون دائمة الانشراح لانها تعلمت ان في وسع المرء ان ينتظر ويأمل وينال في النهاية ما كان يتمناه، بل اكثر.

فلا عجب اذاً الا اعود الى البحيرة ابداً. فقد رحلت جدتي وغدت الامور مختلفة هناك لا محالة. وانا اريدها كما عهدتها لا كما هي الآن. فذاكرتي لوحة زيتية تمتد على مدى سبعة ايام، كل حدث فيها ضربة فرشاة بلون مختلف. وانا لا اريد ان احيد عن اعتقادي ان هناك كنوزاً دفينة على الشاطىء ننبشها فجر كل يوم.

■ دون سنايدر



مخادع الطالبات

كنت وزميلتي في الجامعة نتهرب على الدوام من ترتيب غرفتنا في مخادع الطالبات. غير اننا قررنا تنظيف الغرفة بعدما خابرها والدها ليقول انه آت قريباً. وقبل أيام من موعد مجيئه، عدت من الصف لاجد الملاحظة الآتية على الباب: "الى ابنتي وزميلتها: لقد جئت الى المدينة قبل الموعد المحدد. وسأكون هنا بعد ساعة."

وباشرت العمل في تنظيف الارض واعادة كل شيء الى مكانه حتى باتت الغرفة صالحة للاستقبال. وما كدت أنتهي حتى دخلت زميلتي وجلست على السرير. فبادرتها: "توقعي ان يصل أبوك في أي لحظة. انهضي حالا وساعديني."

ــ ألا تعرفين انه لن يأتي قبل يومين؟

"اذاً من وضع هذه الملاحظة على الباب؟"

واكتفت صديقتي بالابتسام.

ف. ب.

كاتب اجباري

سئل الكاتب المسرحي الامريكي نيل سايمون كيف يرغم المؤلف نفسه على الكتابة، فقال: "عليك، أولا، بارسال زوجتك الى محل للملبوسات الباهظة الثمن".


ا. و.

المتشائم المتفائل

جاء على لسان أحد المتشائمين: "كلما، تذكرت أن أسوأ مخاوفي لا تتحقق، أكاد أنقلب متفائلا."

ا. س.


منذ بدء الخليقة كان، ولا يزال، هناك
أناس يحددون إتجاهات التطور ويضعون العلامات على طريق التقدم،
ومنتجات تؤكد هذا وتظهره.
رادو دياستار يوبيله. بأربع قطع من الماس الطبيعي. معدن صلب مقاوم للخدوش وزجاج ياقوتي فهما يضفيان عليها لمعاناً دائماً وبريقاً فريداً في نوعه. ولذلك تبقى ساعات رادو دياستار على مر الزمن قطعة من الحلي الكريمة، التي تحتفظ بقيمتها دوماً.
رادو مبدعة الساعات المقاومة للخدوش.
RADO رادو
DiaStar


"الآلة بدعة فنية تتيح لي أن أُعبر عن نفسي شعريا . واذا
احترمنا الآلة وتلبسناها، أمكننا ابداع آلة تمنحنا الفرح،
والفرح صنوُ الحرية" .
جان تنغلي

اللوحات المتحركة



هلع أهالي مدينة زوريخ السويسرية الطيبون حين ارتأت بلدينهم قبل عشرين سنة ونـيـف ان تضـع بـدعـة جـان تينغلي الآلية المسماة "يوريكا" في إحدى حدائقهم العمومية· واقترح المسؤولون فـي الـبلـديـة ١٦ مكانـاً مختلفاً·لكن عرائض الاحتجاج انهالت من الجيران في جميع الامكنة التي وقع عليها الاختيار، خصوصاً المكان الاخير·

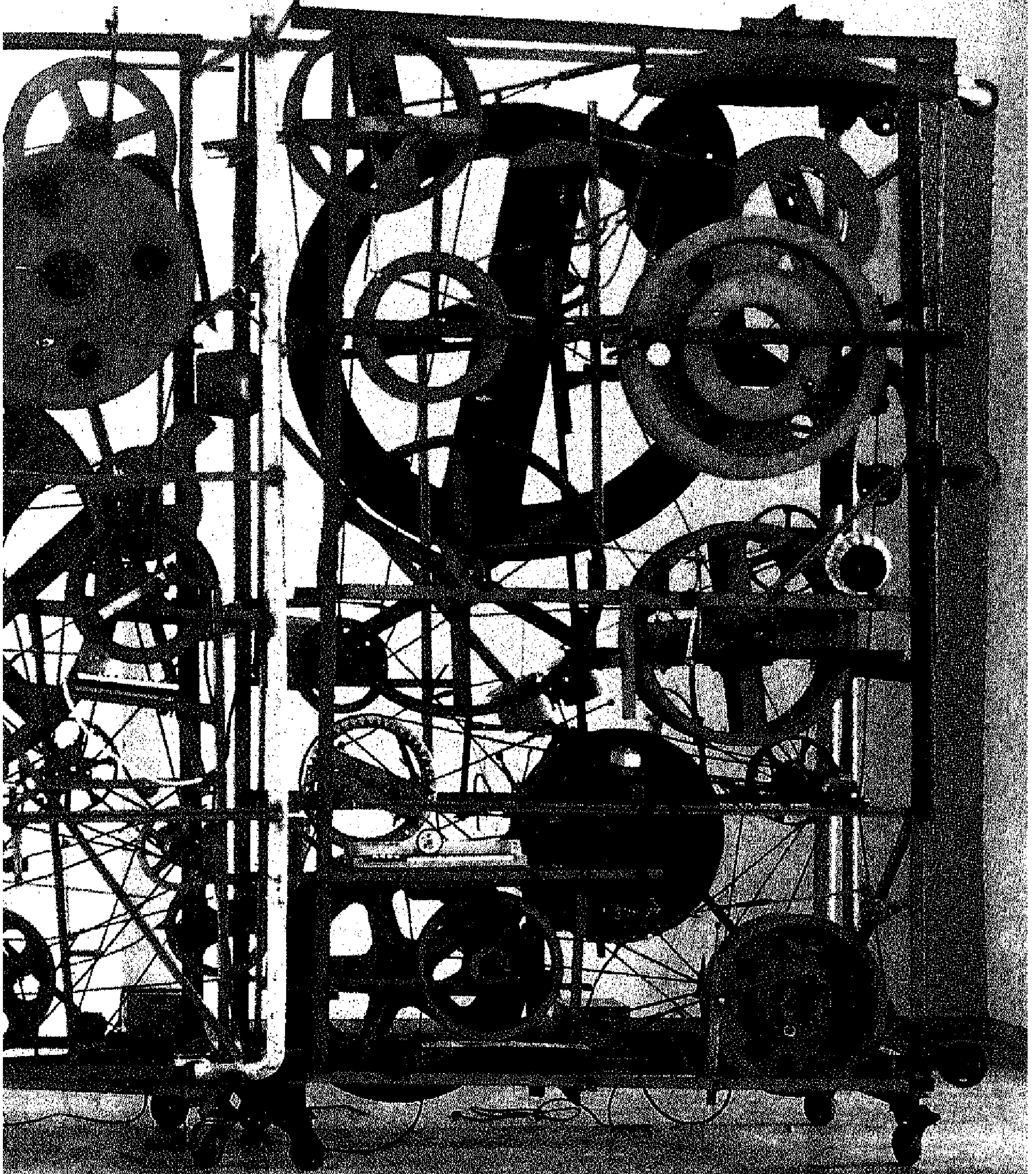
والواقع أن دهشة الرجل الذي قدّم تلك الآلة الغريبة، وهو الصناعي وجامع الاعمال الفنية السويسري والتر بـيكتلـر، لـم تـقـلّ عـن دهشة المواطنيـن· ويعتـرف قائـلا: "لقـد أزعجتني تلك الآلة المعدنية الطنانة حين رأيتها للمرة الاولى·"


وكواحد من المسؤولين في معرض ١٩٦٤ حين عُرضت "يوريكا"، وجد بيكتلر نـفسه مضطراً الـى رؤيـتـهـا يوميا، شاء ذلك أم أبى· وهو يقول: "ذات صباح أدركت فجأة ما الذي قصده تينغلي بتلك الآلة الغريبة·لقـد أراد أن يتحدى تلك النزعة العصرية الى تعظيم الآلات· وعرفت إذ ذاك أن عمله، الذي يبدو هزلياً في الظاهر، ينطوي على جدية عظيمة في العمق· وهكذا أسرتني "يوريكا" بحيث لم أستطع منها فكاكاً·"

وبلغ تأثر بيكتلر بالآلة حدّاً حداه على شرائهـا والتبـرع بهـا لمديـنة زوريخ حيث هي اليـوم فـي حديقـة زوريخهورن· وكل يوم بين شهري ابريل (نيسـان) واكتوبـر (تشريـن الاول) تدب الحياة في "يوريكا" الساعة الحادية عشرة قبل الظهر والسـاعة الخـامسة عصـراً· وتـدور عجلاتها الكثيرة: الكبيرة منها على نحو بطيء والصغيرة بسرعة هائلة· وينتأ قضيب حديد معقوف يسوط الهواء وتدور الاشرطة المعدنية كما في دوّامة· وفي قمة الآلة البالغة الامتار الثمانية ارتفاعاً، يظهر صحن ضخم يعلو ويهبط بلا توقف، كأنه رئة تتنفس· ويظهر الابتسام على وجوه المتفرجين· وغدا تعلقهم بالآلة كبيراً حتى انهم رفضوا نقلها الى مكان آخر

Photos Leonardo Bezzola, Switzerland

قبل تنفيذه الآلة ، يرسم
تينغلي تصميماً لها
على الورق ، وهنا
أحد تصاميمه لآلة اسمها
"الفوضى ـ ١" .





"نافورة سترافينسكي"
التي تم تدشينها
في باريس عام ١٩٨٣.

"مينا هارموني - ٢":
آلة ثلاثية موسيقية
صنعها تينغلي للاستعمال الكنسي.

قبل سنوات بالقوة عينها التي رفضوا استقبالها بين ظهرانيهم. وهكذا أُبقيت حيث هي.

الحركة والتبدّل - ان الرعب الذي تنطوي عليه "يوريكا" يميز جميع أعمال جان تينغلي خلال العقود الثلاثة الاخيرة. وفنه الآلي يسرّ ويأسر في الوقت نفسه،ويثير ويسكّن.وكمثل مبدع الآلات المتحركة الآمريكي الكسندر كالدر، يسعى تينغلي الى تجاوز السكون الفني الذي يتصف به الرسم والنحت. لذلك نجد أعماله، التي يسميها "ما وراء الآلة"، في حركة دائمة. والحركة عنده شريعة الحياة المفردة والاكيدة.

ويقف تينغلي مندهشاً أمام العجلات: تلك التي تعمل عليها آلات المصانع أو ترتكز عربات الاطفال ودرّاجات الاحداث. ولئن تكن حركة العجلات مكررة، إلا أنها دائمة الجدّة لأنها تطأ أرضاً جديدة. وتجدر الاشارة الى أن تينغلي، الذي يكبّ على عمله وهو يرتدي ملابس ميكانيكي، من هواة سباق السيارات. وهو يقول في ذلك: "لكم يروقني أن أرى الانسان والآلة يصبحان واحداً وسط السرعة الجنونية التي ينخس بها السبّاق سيارته."

وقد وُلد جان في بلدة فريبورغ عام ١٩٢٥ ونشأ في بال حيث أمضى الساعات الطوال في الغابات المجاورة.وعنّ على باله ذات يوم أن يبني آلة تقوم على عجلات خشبية وعلب فارغة بالقرب من نهر صغير. وعبر إمداده الآلة بطاقة المياه المتحركة، قال انه حصل على "حَفَلة موسيقية" ضمن "كاتدرائية غابة الصنوبر."

وبلغ إعجاب جان بالرسم حدّاً حمله على ارتياد مدرسة في بال للرسم الابداعي. وكان في السادسة والعشرين عندما وجّه أنظاره الى الفنّ المتحرّك. وفي العام ١٩٥٣ انتقل مع زوجته وولدهما الى باريس. وفي السنة التالية عرض لوحاته "المتحركة" في إحدى صالات الفنّ الطليعي ونال ثناء كبيراً من النقاد.

واتخذت أعمال تينغلي التي تحرّكها العجلات أو الأيدي أشكالا عدّة. ومن أعماله آلات تولد رسوماً تجريدية: إنه الفنّ ينتج فناً. وهناك علاقة دائمة بين آلاته وأولئك الذين يقفون أمامها. فهي لا تعمل عادة إلا إذا أدار المرء زرّاً أو ذراعاً فيها. وإحداها تلعب بالكرة مع الناظر إليها.

وقد صمّم بعض آلات تينغلي بحيث يلغي ذاته. وهو أمضى ثلاثة أسابيع عام ١٩٦٠ يصنع آلة باسم "تحية الى نيويورك"، وذلك في حديقة متحف الفن الحديث في مدينة نيويورك. وهناك، أمام جمهور مذعور، تولت تلك الآلة إحراق نفسها في ٢٨ دقيقة. وقال أحد المشاهدين ان تلك الآلة ترمز الى هنيهة في حياة كل منا: فهي تأتي ونعيشها، ثم تولي الى غير رجعة.

ومن أعمال تينغلي الاخرى ما يبقى دائماً في سلام. وأحد هذه الاعمال "نافورة سترافينسكي" التي تقوم في باريس بالقرب من مركز جورج بومبيدو الفني. وقد أنجزها تينغلي

بالاشتراك مع نيكي دو سان فال، ودُشنت عام ١٩٨٣، وحركة آلاتها الدائمة تشبه رقص الباليه.

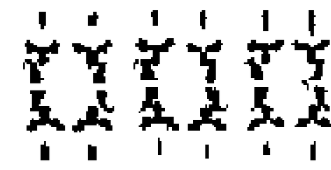
وربما كان هذا العمل من إنجازات تينغلي التي سيكتب لها البقاء. وبين الاشخاص الستين الذين تحلقوا مرة حول "نافورة سترافينسكي" صاحب مطبعة شاب وزوجته. وقد قال الطباع: "نظن أننا فهمنا الرسالة التي يودّ تينغلي نقلها إلينا، وهي أن في إمكان المرء تدجين الآلة ومعاشرتها."

والحق أن تينغلي يريد أن يصل فنه الى كل انسان. وقبل وقت غير بعيد تعطلت سيارته وهو يزور الريف السويسري. وبينما هو ينتظر إصلاحها تقدّم إليه مزارع وقال: "ألست أنت الشخص الذي صنع تلك الآلة المضحكة يوريكا؟"

ولما هزّ تينغلي رأسه بالايجاب دعاه المزارع الى بيته لتناول بعض المآكل الخفيفة. ونادى المزارع زوجته: "تعالي! الرجل الذي صنع يوريكا في بيتنا الآن."

ويقول تينغلي: "لقد أعطتني تلك البادرة ثقة داخلية تتجاوز كل إطراء أغدقه عليّ نقاد الفن الكبار."

■ ليلى فولدز



اعمى عبقري

المغني الموسيقي الاسود ستيفيووندر لم ينظر الى عماه كعائق على الاطلاق. وهو يروي القصة الآتية: "قال لي أحد معلميّ ان ثمة اموراً ثلاثة ضدي: الفقر واللون والعمى، وان كل ما استطيعه هو حياكة الحصر اسوة بالمكفوفين غير المثقفين".

الا ان ووندر أصبح بعد سنتين، وهو في الثانية عشرة، من المغنين الاكثر شعبية، وصنفته شركة التسجيل في عداد العباقرة الافذاذ.

وهو يقول: "اذا كان المرء أعمى، فهو لا يحكم على الكتاب من غلافه، كما انه يبتعد عن التوافه ويختار المسائل المهمة. واني أرثي لاولئك الذين لهم عيون ولكن لا يبصرون".

صحيفة "راديو تايمس"، انكلترا

ابن الطبيعة

رأت طفلة ذات سنوات ثلاث أخاها وهو يبدّل ملابسه في غرفة النوم، فنادت أمّها قائلة: "تعالي يا أمي! إن أخي حافرٍ من فوق الى تحت".

م.ت.ن.

أسمعت عن طبيب الاسنان الذي تزوج مقلمة أظافر؟ لقد حارباً بالاسنان والاظفار.

ج.ك.

مأساة واقعية

شخصٌ غير عاديّ

سقط المتزلج عن المنحدر الثلجي واصطدم بشجرة كسرت عظامه ومزقت أحشاءه... كانت نجاته شبه مستحيلة

تعرف على الالم هناك، على جبال يوتاه. لم ير ان الالم موجود بهذه القوة. كاد ان يراه وهو يتوهج من حوله مثل حرارة بيضاء ويملأه عذاباً. حاول ان يتخلص منه بالصراخ، لكن الصرخات لم تجد نفعاً، وصلى عله ينسى ما هو فيه، لكن الواقع لم يبرح خياله.

مارس رجل الاعمال هوارد هوي (٤٧ عاماً) رياضة التزلج لأكثر من ٢٠ سنة. وكان يملك زمام نفسه في الانزلاق على سفوح الجبال. لكن منطقة "هاي رسلر" التي تبعد خمسين كيلومتراً شرق مدينة سالت لايك في ولاية يوتاه تعد من أكثر المنزلقات اثارة للرعب في

أمريكا. ولم يكن هوارد يرغب في الذهاب الى هناك بعد ظهر الرابع عشر من يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣، لكن اصدقاءه عزموا على التزلج في المنطقة فجاراهم في ذلك.

وبعد جولتين وصل الجميع الى هاي ترافرس، وهو متعرج طويل ضيق يؤدي الى قمة جبل هاي رسلر. ولدى اجتيازه اعلن هوارد انه لا يحبذ مناطق الثلج الاملس، فاتجه وحده صوب منزلق شديد الانحدار يدعى آني.

بدأ هوارد الانزلاق ببطء وحذر، غير انه اصطدم فجأة بطبقة صلبة مرصوصة، فاختل توازنه وطار الى سفح الجبل.

حاول مرتاعاً ان يعود الى وضعه السابق، لكنه كان يتحرك بسرعة رهيبة. وانقلب على ظهره في دوران لولبي يزداد تسارعاً. ولمح الاشجار منتصبة أمامه. وفوجىء وهو ينطلق بسرعة عمياء بشجيرة صنوبر بين رجليه اخترقت ساقه اليمنى وبلغت أصل فخذه من دون ان تمس أعضاءه التناسلية، كاسرة عظمة فخذه تحت الورك. وتمزق الغضروف الذي يربط الجانب الايمن من الحوض بالجانب الايسر، وأصبح جانبا حوضه، المتصلان في الحالات الطبيعية، منفصلين مسافة ٢٠ سنتيمتراً. كما أصيب بفتق في المستقيم وانفجر محتواه في بطنه. وسقط هوارد بعيداً عن الشجرة منزلقاً ومتدحرجاً مسافة ٢٠٠ متر على سفح الجبل، والاطراف المدببة للحوض المكسور تشرط أحشاءه.

لم يغب هوارد عن الوعي. أدرك انه مصاب بجروح بالغة، غير انه لم يشعر بالالم بعد، بل بخدر وارتياح الى انه ما زال حياً.

ووصل مسعفان للحال لنجدة هوارد، وتبعهما آخرون بعد وقت قصير ومعهم المعدات الطبية اللازمة وجهاز لاسلكي. وبعد ست دقائق توجهت طوافة تابعة للمركز الطبي في جامعة يوتاه الى المكان.

الآن بدأ هوارد يحس بالالم. ولم تخفف ثمانية مليغرامات من المورفين حقنة اياها أحد المسعفين من اوجاعه. ووصلت الطوافة بعد ست عشرة دقيقة. كان الالم يصرخ في كل خلية من جسده وهو في طريقه الى المستشفى، فيقابله بزعيق وصرخات استغاثة بلا جدوى. ثم اختفى صوته، فاستمر محاولا ان يصرخ من دون صوت.

في المستشفى ادخل هوارد بسرعة غرفة الطوارىء، وسرى النداء الملحّ عبر الجهاز: "نرجو الانتباه! حال طارئة! حال طارئة من الدرجة الاولى!" ومعنى ذلك ان ثمة مريضاً يعاني سكرات الموت. وللحال تولى جيفري سافل (٣٤ عاماً) الجراح المسؤول عن فريق الطوارىء ذلك اليوم فحص هوارد واستنتج ان لا أمل له في النجاة.

لقد مرت بالدكتور سافل حالات متزلجين مصابين بجروح، لكن أياً منهم لم ينج من حادث بهذا العنف. كان جوف هوارد ممزقاً، وغشاء الخصيتين منتفخاً في حجم كرة قدم، والدم يتدفق منبثقاً من المستقيم

فائضاً عن طاولة الفحص ومنساباً على بلاط الغرفة. وقد ألصقت الانابيب بذراعي هوارد وباحدى رجليه، وأخذ الممرضون يعتصرون اكياس الدم ليضخوه في المريض بأسرع ما يمكن.

أصيب سافل بالذهول ليقظة هوارد الذي أعطى اسم زوجته ورقم هاتفها، وأمر بنقله الى غرفة العمليات ثم اتصل بزوجته. أصغت نانسي بجزع الى كلام الطبيب: "سنجري لزوجك جراحة الآن، ولا أدري اذا كان سينجو." وعلى الاثر ركبت نانسي اول طائرة الى مدينة سالت لايك.

كان سافل يدرك ما يمكن ان تحدثه اطراف عظمة الحوض المكسور من ضرر في المثانة، وقد عمد الاختصاصي بالمسالك البولية جوزف سميث الى ادخال انبوب في القضيب فبلغ المثانة وحقنه بصباغ ملون. وأظهرت صورة الاشعة تمزقاً رئيسياً في المثانة تسرب من الصباغ الى الحوض. بعد ذلك فتح سافل بطن هوارد لاصلاح الجزء المعطوب فيما استمر النزف قوياً داخل الحوض.

وفيما الدم يندفع غزيراً في الجوف، تابع سافل محاولاته اغلاق المنافذ الصغيرة التي يتسرب منها الدم. لكن النزف لم يتوقف. فحاول الجراح فتح شرج اصطناعي، فقطع المعي الغليظ وخاط الطرف الادنى وأخرج الطرف الاعلى من خلال جدار البطن ووضع كيساً خارجياً تفرغ فيه محتويات الامعاء.

الى ذلك حفر آرون هوفمان الاختصاصي بجراحة العظام ثقوباً في عظمي الورك وربط لولبياً بين اطراف مثبت فولاذي غير قابل للصدأ، وهو جهاز يشبه ملقط قطع الثلج. ثم قارب بين اطراف المثبت وسدّ الفجوة العريضة في الحوض.

وعلى رغم ذلك كله لم يخف النزف. واذا استمر الامر على هذا المنوال، فالرجل هالك لا محالة. ولاحت للجراح فرصة اخيرة. أغلق الجوف المفتوح ونقل المريض الى قسم تخطيط الاوعية الدموية حيث أدخل الدكتور باتريك لويرز أنبوباً في الشريان الى الجهة اليسرى من أصل الفخذ ودفع به الى الشريان الابهر (الاورطة) في البطن وحقن صباغاً. وراقب مسرى الصباغ في الشرايين والاوردة من خلال جهاز يعمل بالاشعة السينية (اكس) الى ان تسرب السائل الملون من شق في شريان في عمق الحوض. وبتؤدة سلك لويرز بالانبوب الى ان بلغ به مكان الشق. ثم حشاه ذروراً من مادة "جلفوم" اللدنية، آملا ان تتجمد في الشق. وراقب الاشخاص المتحلقون حول هوارد التجربة وهم يبتهلون. وسرعان ما توقف الدم المنبثق وارتفع ضغط دم هوارد. لقد سدّ الشق وتوقف التسرب.

كانت مضت على هوارد سبع ساعات في غرفة العمليات حين وضع في وحدة العناية الفائقة. وعلى رغم الجراحة الحاذقة التي أجراها سافيل فانه صرح بأن فرص نجاة هوارد شبه معدومة. فالمرضى الذين يحتاجون الى كميات كبيرة من الدم لا تكتب لهم الحياة عادة، وهو لم يعرف في حياته انساناً كهوارد اجري له هذا

العدد من عمليات نقل الدم، اذ بدلت كمية الدم في جسمه أكثر من خمس مرات. وفي قاعة الانتظار عرض سافل لنانسي حال زوجها الصحية، وفي رأيه انه، وان هو بقي حياً بعد الصدمة فسوف يكون من الضروري اجراء جراحات اخرى له في المستقبل، وانه من المنتظر ان تحدث مضاعفات خطيرة.

عندما اصطحب الطبيب نانسي لترى هوارد لم تتعرف عليه في البداية. فقد أدت السوائل التي ضخت في جسده الى تضخم رأسه الذي بدا في حجم بطيخة كبيرة. ومع الصباح استفاق هوارد وأحس بوجود زوجته. كانت الانابيب الملصقة بعنقه تمنعه عن الكلام، لكنه استطاع على ورقة وبقلم رصاص ان يخربش شكلا يذكر باحدى النكات، فانفرجت اساريره بينما ندت من نانسي ضحكة. ودهش سافل لهذه الروح المرحة. كان هوارد يستحق من الطبيب الشاب خير ما لديه، وهو ما كان في أمس الحاجة اليه.

بعد أربعة أيام على الحادث فتح هوفمان فخذ هوارد ولأم طرفي العظم المكسور وثبت قطعة فولاذ للحماية، واستعمل الطريقة نفسها في معالجة الجزء الخلفي من يسار الحوض الذي انحرف حوالى ثمانية سنتيمترات.

وتوالت الايام وبدت حال هوارد في تحسن. وأخبر سافل زوجته انه متفائل بحذر، لكنه ما زال متخوفاً من تعفن الدم. لذا اخذ هوارد ثانية الى غرفة العمليات حيث نظف الجوف من الجلطات والانسجة الميتة. وتكرر ذلك ثماني مرات.

وبعد سبعة عشر يوماً من الحادث شكا هوارد من ألم لا يطاق في اسفل بطنه، وارتفعت حرارته الى ٤٠ درجة مئوية. فنقله سافل على جناح السرعة الى غرفة العمليات حيث وجد ان أنسجة المرارة تلفت بسبب النقل المتكرر للدم. فعمد الى استئصالها آملا ان ينجو هوارد من هذه النكسة الجديدة. وفي الليل هبط ضغط دم هوارد، وكان ينزف بعد الجراحة الجديدة، فاضطر سافل الى وقف النزف مرة أخرى.

وجد هوارد في نفسه العزم ليجتاز الازمة التي مرت به. وهو نقل الى وحدة الحروق للعناية القصوى. وسهرت عليه هناك الممرضة دنيز جنسن لمدة ٢٢ يوماً. ولم يكن لديها مريض سواه. وأمضت معظم وقتها محاولة ثنيه عن محاولاته انتزاع الانابيب من جسده. وكان تقول له كل بضع دقائق: "لا يا هوارد، لا!" وعلى رغم الاوجاع بقي هوارد محتفظاً بروح الدعابة، وأدرك انه ما زال في وسعه ان يضحك عندما اخبرته دنيز ان زوجها سمعها في احدى الليالي تصرخ في نومها: "لا ياهوارد، لا!".

كان هوارد يكره الانتقال من مكانه وتغيير ثيابه وأغطية سريره لان ألمه المستديم كان يزداد. لكن سافل أصر على تنقله من أجل صحته ومعنوياته. وهو أجبره على التنقل في كرسي ذي عجلات ثلاث مرات يومياً. وكانت نانسي وأحد الممرضين يرافقانه في جولته داخل المستشفى.

في منتصف فبراير (شباط) بعد ٣٣ يوماً على الحادث، تم نقل هوارد الى

مستشفى قريب من البيت. وكانت أجريت له تسع جراحات (يتوقع ان تتبعها أربع أخرى في ما بعد) واستوعب جسده ٥٩ ليتراً من الدم ومشتقاته. وقد لا يعير أحد اهتماماً هذه الارقام، لكن بقاء هوارد حياً بهذه الجروح يعد أعجوبة من أعاجيب الطب.

بقي هوارد ٧٧ يوماً في مستشفى القديس بولس في مينسوتا وهو يتماثل للشفاء. وفي ٥ مايو (أيار) عاد الى منزله في غولدن فالي على عكازين. وبحلول شهر يونيو (حزيران) بات يستعمل عصا سرعان ما استغنى عنها. وفي يونيو (تموز) ازيل الانبوب عن مثانته، وعاد الى عمله في سبتمبر (ايلول) ١٩٨٣ ليدير شركة الاستشارات التي يعمل فيها.

ولكن لن ينسى هوارد قط الالم الذي مزقه على سفح جبل يوتاه، وقد لا يفارقه هذا الشعور ابداً. لكنه الآن يتطلع الى التزلج من جديد.

ويدرك هوارد هوي تمام الادراك انه مدين بحياته لاناس مخلصين وموهوبين. لكن لدى الدكتور سافل، الذي ما زال مشدوهاً لشفاء مريضه، تصوراً مختلفاً: "لا أظن ان هذا الرجل فكر لثانية واحدة في الاستسلام. انه شخص غير عادي."

■ جون هابل



سأل استاذ الاقتصاد تلاميذه: "ما الفرق بين الدائن والمدين؟"
فأجابه أحدهم: "الاول يتمتع بذاكرة أقوى".

أ.ت.

المطبخ الانكليزي

زار صناعي الماني نظيراً انكليزياً استضافه أياماً في مدينة برمنغهام. وسأل الانكليزي صديقه، وهو يودعه، عما أعجبه في الطعام المحلي، فأجاب: "أفضل ما وجدته في المطبخ الانكليزي هو الطعام الصيني والهندي".

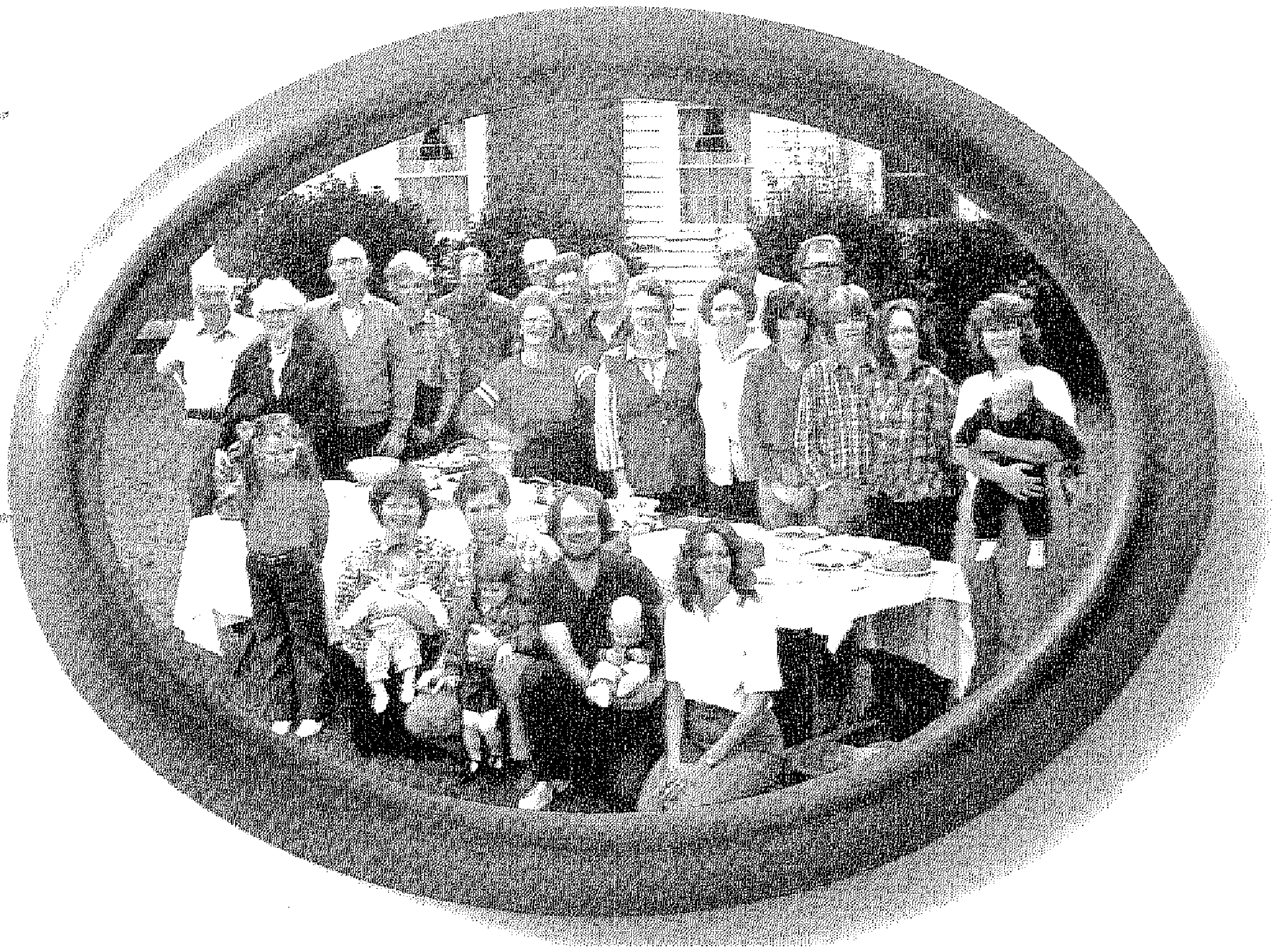
مجلة "هاي لايف"، انكلترا

طبيب نادر

ذات ليلة أصيب طفلنا بنوبة سعال قوية، فاستدعينا الطبيب الذي عالجه في الفترة التي أعقبت ولادته. وبدلا من موافاته الى المستشفى كالعادة، جاء هو الى البيت وأعطى الطفل حقنة ثم خرج الى صيدلية تفتح ليلا لاحضار المزيد من العقاقير.

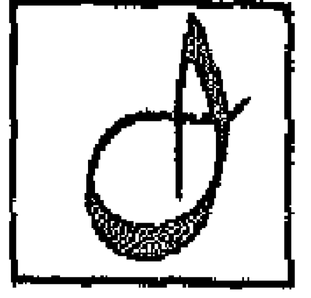
وفي الثانية بعد منتصف الليل، تحسنت حال الطفل وبات في امكان الطبيب ان يغادر. وراح أحدنا ينظر الى الآخر ونحن نسأله عن اجرة المعاينة. ولاحظ الطبيب ذلك، فقال: "ان ما فعلته تقدمة. فأنا لا أطبب في المنازل".

ك.ب.



العُروَة الوثقىٰ

بعد موت والدي" بقيت رغبة الانتماء الى العائلة راسخة في اعماقي وبقي الحنين يشدني الى البيت الذي ربيت فيه



لست أذكر من منا فكر في دعوة العائلة الى لقاء. لعلها احدى الشقيقات وهن كثيرات يتحدثن بلا كلل في شؤون العائلة. أو لعله اخي الاصغر غاري.

فوجئت صراحة عندما أخبرتني بيتي وهي احدى الشقيقات، بمشروع اجتماع العائلة. فكلمة "اجتماع" غريبة بالنسبة الى العائلة، كأنها تعني أن حدثاً ما قد طرأ وفرقنا وأن ثمة مناسبة تتاح أمامنا اليوم لرأب هذا الصدع واعادة جمع الشمل.

كان الاجتماع يوم سبت من أيام اغسطس (آب) وكان الطقس رائعاً والطبيعة خضراء زاهية تبهر العيون. والتقينا في بيت بيتي الذي يبعد بضع مئات من الامتار عن المنزل الذي ربينا فيه جميعنا. وفي ذلك اللقاء كان عدد افراد العائلة ثمانية وخمسين، وفيهم الاولاد والاحفاد وأولاد الاحفاد. ولم أكن أعرف أسماء جميع أبناء أولاد العم، وكنت أرى بعضهم للمرة الاولى.

تسلمت الشقيقات السلال والعلب الملأى بالطعام ورتبن محتوياتها على طاولات مدت في الهواء الطلق وأوكلن مهمة ابعاد الذباب عن المائدة الى بعض الحاضرين. ثم وقف فريد زوج بيتي وتلا صلاة شكر وجلسنا فأكلنا حتى التخمة.

ثم رحنا نتحدث على الاقارب والانسباء ولاسيما ابنة عمنا التي توفيت حديثاً. وكانت بيتي أرسلت يوم الدفن: زهوراً باسم العائلة كلها وحددت المبلغ الذي يتوجب على كل منا تسديده. وقال غاري ممازحاً: "ان بيتي تتصل بي هاتفياً من وقت الى آخر لتطلب مني ارسال بعض المال لشراء زهور للموتى.وما أن أعود الى المنزل حتى التقي الاشخاص الذين اعتقدت أننا أرسلنا زهوراً الى جنازاتهم."

الفوضى الحبيبة — تمددنا تحت أشجار ظليلة في مقاعد وثيرة وحللنا أحزمتنا ورحنا ننظر بسرور الى الاولاد يعدون في أرجاء الحديقة لاهين. والتقطنا للمجتمعين صوراً بعدما اصطف الاشقاء والشقيقات بموجب أعمارهم كما كنا نفعل كلما وقفنا أمام آلة التصوير. لكننا في تلك المناسبة كنا تقدمنا في السن واجتاح الشيب مساحات أرحب من رؤوسنا وبات اهتمامنا باحفادنا اكبر من اهتمامنا باولادنا.

وتذكرت أننا كنا جميعاً هكذا في لقاء شامل يوم جنازة أمي عام ١٩٧٣. ولعل واقع غيابها المرير كان بداية تعلقنا جميعاً بمبدأ العائلة.

في طفولتي كنت أعرف أعمامي وأخوالي، لكنني لم أكن أعرف أسماء جدي وجدتي. وأذكر أني كنت أنظر مرة الى صورة قديمة في المنزل فاستوقفتني صورة امرأة رائعة الجمال، فرفعت الصورة الى والدي وسألته: "من هذه؟" فأخذها برفق ثم أعادها الي وقال: "انها أمي."

كان والدي يحب أن يرانا مجتمعين في المنزل أيام العطل والاعياد. كان يحب ضجيج الجماعة والحركة وكميات الطعام الكبيرة التي تحضر لتلك المناسبات. وكان ينعم برفقة

اداء عالمي يلائم رقي الدرجة الاولى

إمكانية ريموت كونترول يعمل بالأشعة تحت الحمراء . أداء رائع للبث التلفزيوني العالمي . كل تلك المزايا الحديثة تجدها في التلفزيونات ذات الأنظمة السبعة .. لك من شارب .

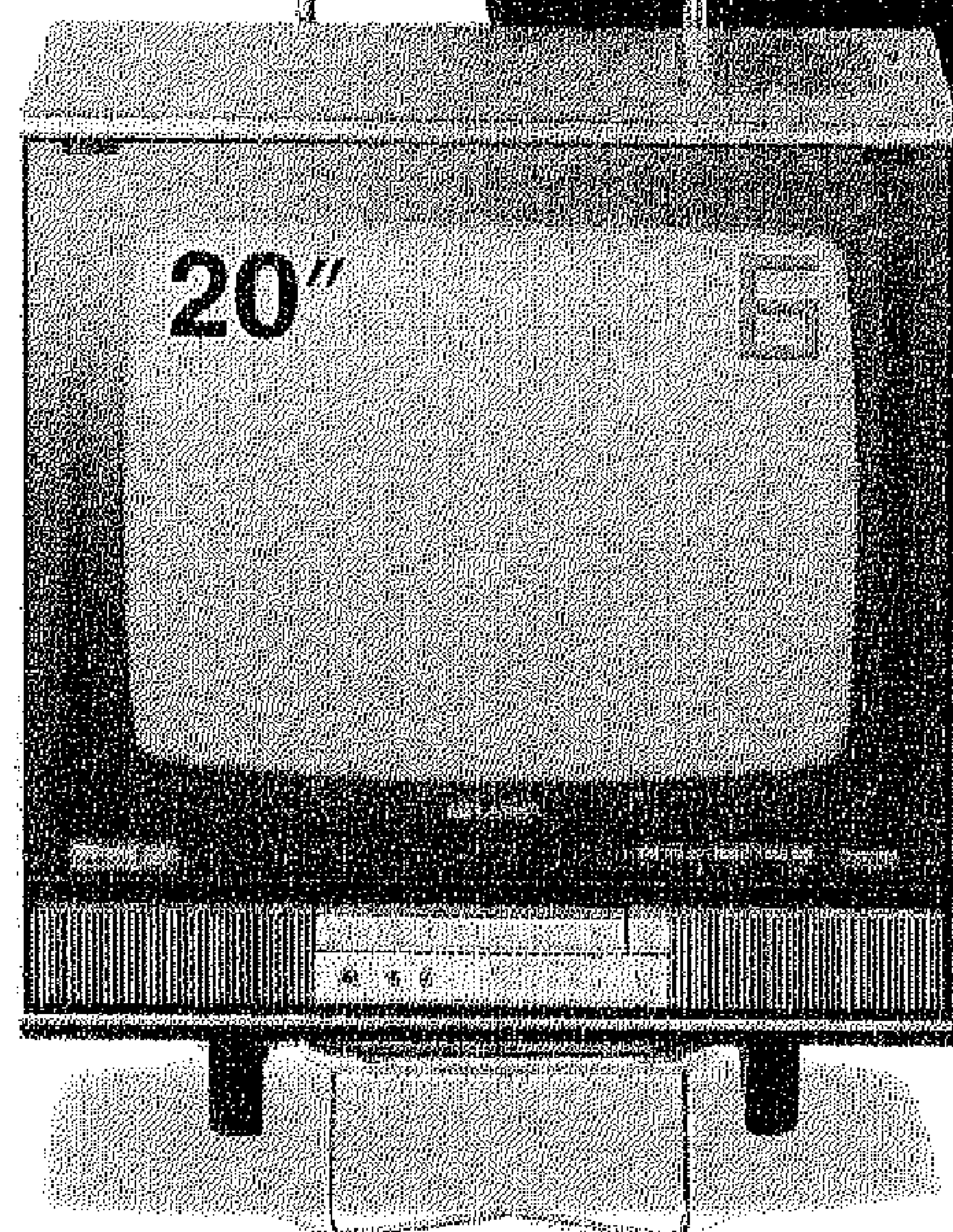
استمتاع بالعروض التلفزيونية والأشرطة واسطوانات الفيديو

7-SYSTEM

تستطيع التحكم بتلفزيونك ذي الانظمة السبعة من شارب عن طريق جهاز الريموت كونترول الذي يعمل بالأشعة تحت الحمراء وتمتع بالراحة والاسترخاء امام تلفزيون يلائم رقي الدرجة الاولى .

أضف الى ذلك تفاوق الانظمة السبعة مقارنة بكل مستوى اذاعي فني يستخدم في عالمنا اليوم فبه ستحصل على الاداء الراقي . استلق على كرسيك وتحكم بتلفزيون شارب الجديد ذي الانظمة السبعة فهولك أينما تريد أن تكون ..

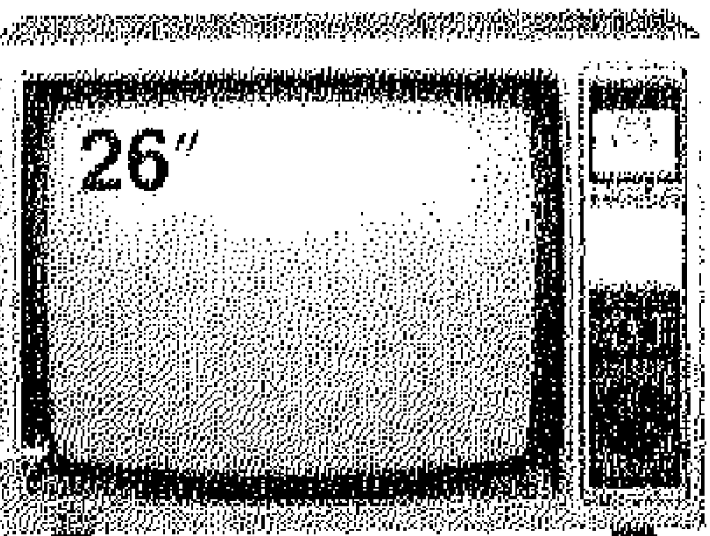




DV-2100SPN

تلفزيون ملون ٥١سم (٢٠ بوصة) مع ريموت كونترول قابل للانفصال يعمل بالأشعة تحت الحمراء ويقوم بأداء ١٧ وظيفة . مزود بسماعتين ثنائي القناة ستيريو لصوت صافي يحتوي على فتحات لتوصيل أجهزة الفيديو . يعرض رقم القناة على الشاشة . ريموت كونترول شوت فيجن قابل للانفصال من شارب . DV ١٦٠٠ ، ١٤٠٠ أيضاً بافيه مع وحدة ريموت كونترول شوت فيجن .

ShotVision



DV-262SPN

تلفزيون ملون ٦٦سم (٢٦ بوصة) مع ريموت كونترول يقوم بأداء ٦ وظيفة . يحتوي على فتحات لتوصيل أجهزة الفيديو . مجهز بذاكرة مبرمج لـ ١٦ قناة .

بكل فخر نخدمك لترقى الى السعادة

شارب SHARP

شركة شارب ، اليابان

لمزيد من المعلومات يرجى بالاتصال بوكيل شارب المحلي .

المملكة العربية السعودية : حسين ع . سكلوع ص.ب. ٧١٣ ، جدة تلفون ٦٤٧٩٦٧٠ ، ٦٤٧٦٦٢٥
الكويت : شركة التجهيزات الفنية المحدودة ص.ب. ٥١١٨ ، الصفاة تلفون ٤١٣٦٧١/٤١٣٦٧٩
الامارات : كوسموس ص.ب ٦ ، دبي تلفون ، دبي ٤٢٥٩١٨ ، ابو ظبي ٣٣٥٥٥٦ ، العين ٦٥٦١٤٣ ، شارقة ٣٧٧٩٩١
البحرين : متجر يوسف بن ص.ب ٣٣٣ البحرين تلفون ٢٥١٧٩٥/٢٥٨٣٥٨/٢٤٠١١٥
عمان : شركة عمان للالكترونيات المصرية ص.ب. ٧٠٨٨ ، مطرح تلفون ٧٠١٤٩١ ، ٧٠٣٠٠٥
قطر : شركة المفتاح التجارية ص.ب. ٨٧٥ ، الدوحة تلفون ٤٣٣٦٨٧/٤٣٣٠٧٦
لبنان : الشركة التجارية العامة ش.م.ل. ص.ب. ١١-١٩٥٥ ، بيروت تلفون ٣٩٢٥٩٨/٩ ، ٣١٦٣٣٥

أحفاده، خصوصاً أولاد أحفاده الذين يطوف بهم في المزرعة في شاحنة كادت ان تصبح حطاماً غطاه الصدأ، وكانت الشاحنة تكتظ براكبيها الصغار، فتدور وتلف مفرقعة مفرقعة والاولاد فوقها يرتجون ويهتزون كما لو كانوا غلالا جناها الوالد.

وكثيراً ما كان والدي يعتمر قبعته العريضة المصنوعة من لباد كثيف قبيل توديع المجتمعين. وبذلك كان يخفي وجهه والكآبة التي تجتاح قسماته فيما السيارات تنصرف مبتعدة عن الباحة واحدة بعد الاخرى.

ان المسنين يتألمون بصمت متى تُركوا ليعيشوا بقية حياتهم في عزلة. وقد تغيرت حياة أبي وأمي مع مغادرتنا بيتنا الأبوي واحداً واحداً. كانت الحياة تدب في المنزل عندما كان الجميع في الماضي يجتمعون وكانت الشقيقات يعدن دائماً مع أزواجهن واولادهن فيضفي ذلك الحشد على المنزل جواً من الفوضى مستحباً.

شيخ القبيلة - بعد الظهر انتقلنا، نحن الكبار، لنستظل بشجرة الجوز المورفة أمام المدخل الخلفي. وكان صهري جيم في مثل ذلك الوقت من جلستنا يتناول غيتاره ويداعب الاوتار باحثاً عن لحن يعزفه، ورأسه مائل واذنه تكاد تلامس الاوتار. عندئذ كنا نتوقف عن اللعب ونتسل لنجلس على مقربة منه ننتظر الاغنية الموعودة.

في الماضي اصبح والدي، بعد موت آخر أشقائه، شيخ قبيلتنا المشتتة. كان ذلك يوم بدأت حلقات اللقاءات تنمو وتتسع وشاعت النداءات لجمع الشمل وبدأت تلك الحلقات تجمع أناساً لم يلتقوا قط من قبل وانما تجمعهم صلات القربى وسمات الوراثة العائلية التي نحتت في وجوههم. وكان والدي يجلس وسط ذلك الحشد يقرأ بعض الاسماء وما يرافقها من تواريخ واحداث لم يكن أي منا يعرف شيئاً عنها. وكان يفعل ذلك بزهو واعتزاز.

ثم مات والدي. وعدنا اليوم الى سابق عهدنا باللقاءات العائلية. وفي كل مرة نتحدث حول ضرورة الابقاء على الاتصال بيننا وعلى الاجتماع كلما سمحت الظروف بذلك.

يجب أن تبقى العائلة متحدة، هكذا كان يقول والدي. وعلى كل فرد من أفرادها أن يعرف ما يصيب الآخرين من خير أو سوء، وأن يحتفل الجميع معاً بمناسبات الفرح والنجاح. وينبغي على الجميع أن يضحكوا معاً ويبكوا معاً. وعلى كل عائلة أن تحتفظ بسجلات تخلد ذكرياتها الطيبة، خصوصاً المجلدات التي تضم في طياتها صوراً لوجوه باسمة. ومن حق العائلة أن تنعم بالسعادة والسرور.

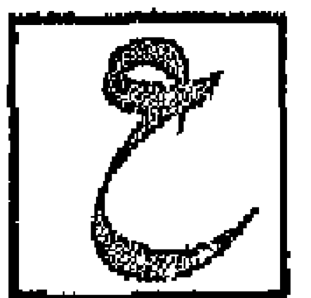
لقد تعلم والدي في دراسته تاريخ قومه ونسبهم وفيه أن قيمة العائلة هي في حاضرها.

■ **تيري كاي**

أول ما تتعلمه بعد شرائك منزلا جديداً هو أنك لا تعيش فيه، بل تنام فيه وتعيش في مخزن العدة.
ا.ك.

اثبت هذا
التاجر الرائد ان
مراعاة مصلحة المستهلك
تعود بالنفع على الطرفين

التاجر الناجح



عندما اوقفت حكومة جنوب افريقيا الدعم المالي للخبز عام ١٩٨٢ ارتفعت اسعار هذه السلعة بنسبة خمسة وعشرين في المئة. فاستعاض صاحب احد المتاجر الكبرى عن الدعم الحكومي بدعم شخصي موقت بمبلغ مليون راند (وحدة العملة في جنوب افريقيا) واعداً زبائنه بانه سيبقي اسعار الخبز لديه على مستواها السابق. وتسابق الزبائن لشراء ١٦ مليون رغيف قبل انقضاء مدة العرض بعد اربعة اشهر. وازدادت مبيعات المتجر عشرة ملايين راند في هذه الفترة. وهكذا اثبت ريمون آكرمان (٥٢ سنة) ان ما يصلح للمستهلك العادي يصلح كذلك للتجارة.

في غضون ١٦ سنة رفعت هذه الفلسفة التجارية ريمون آكرمان من ادارة اربعة حوانيت صغيرة الى التحكم بسلسلة من اكثر متاجر البلاد ازدهاراً تضم ٦٢ مخزناً وعشرة متاجر كبرى، وحققت له مبيعات زادت على مليار راند عام ١٩٨٢.

ومن المدهش ان آكرمان حقق هذا النجاح بانياً شهرته كمدافع عن حقوق المستهلكين. وربما كانت نشاطاته في هذا المجال تأخذ في الاعتبار تحقيق ارباح له، لكن المنافع التي نالها المستهلك بفضل جهوده لا يمكن انكارها. ويقول ستيفن ملهولاند محرر صحيفة "فايننشال ميل": "انه دعاية ممتازة للمبادرة الحرة. وهو برهن ان المشروع التجاري الذي يدار على نحو صحيح يعود بالنفع على الزبون والمستخدم ورب العمل على حد سواء."

"خذ وادفع" – كان آكرمان الأب أسس سلسلة المحلات لبيع الاقمشة والأدوات المنزلية في كيب تاون، الا ان اهتمام ريمون في مطلع حياته توزع مناصفة بين التجارة والرياضة. وبعد اختياره لاعباً في فريق الجامعة واصابته بارتجاج دماغي شديد في احدى المباريات، قيل له انه قد يصاب بعطل دماغي دائم اذا استمر في اللعب. عندئذ خصص آكرمان كل وقته بالتجارة وحصل على درجة بكالوريوس في العلوم التجارية. وحين تسلم العمل كمدير متدرب في سلسلة من المخازن كانت فكرة متجر الخدمة الذاتية (السوبرماركت) تلقى قبولا حذراً في جنوب افريقيا، واوفده رؤساؤه الى الولايات المتحدة ليتعلم أحدث أساليب البيع بالتجزئة (المفرّق). وهناك ركب وزوجته وندي حافلة من دايتون في ولاية اوهايو الى نيو أورلينز. وكان يترجل في كل محطة فيدخل المتاجر ليلاحظ مجرى العمل فيها.

وبعد عودته الى بلاده مفعماً بالحماسة قدم مخططاته لانشاء سوبرماركت "حقيقية" الى مجلس الادارة. وكانت هذه المخططات تقضي باختصار السلع وقصرها على الاطعمة تقريباً والغاء الخدمات التي تقدم للزبائن الا في قسم الاطعمة الجاهزة وصندوق المحاسبة على المدخل. كما شدد لرؤسائه قبل كل شيء على ضرورة خفض الأسعار الى ادنى مستوى ممكن.

ولم تلقَ اقتراحاته اهتماماً لدى هؤلاء. وبعد تسع سنوات من الكفاح لقبول أفكاره اضطر الى ترك وظيفته وقرر ان يفتح تجارة لحسابه الخاص. وقال له اصدقاؤه: "اشتر متجراً حيث يقدم الشاي، ولا تبدأ من الصفر. سوف تحتاج الى ٩٠ في المئة من الجرأة و١٠ في المئةمن رأس المال." وهو لم يكن يملك حتى تلك العشرة في المئة. غير انه عام ١٩٦٧ أمن ٤٠ ألف راند من ماله الخاص اضافة الى مبلغ جمعه من العائلة والاصدقاء وقرض من احد المصارف، فوظف في مشروعه ٦٢٠ الف راند اشترى بها متجراً من اربعة حوانيت في كيب تاون دعاه "خذ وادفع".

في السنة الاولى رفع اكرمان

مبيعاته من ثلاثة ملايين راند الى خمسة ملايين وأخذ يوسع اعماله. كان يختار مواقع في الاماكن القريبة من التجمعات السكنية ولكن بعيداً عن اواسط المدن، حيث توجد فسحات واسعة لوقوف السيارات وحيث الايجارات منخفضة. وكانت متاجره أنيقة وفسيحة وذات اجنحة واسعة لتحاشي ازدحام عربات التحوج. وكان يشتري كميات ضخمة من السلع ويخفض الاسعار فيصرّف بضائعه بسرعة. وأحب الزبائن هذا الاسلوب وفي غضون ست سنوات أصبح اكرمان يملك ٢٦ مخزناً تجارياً.

وقلقت المجموعات المنافسة من ان تقضي مزاحمته على تجارتها. وبعد وقت قصير من افتتاحه متجراً في جوهانسبورغ دعي الى اجتماع. ويقول في ذلك: "قال لي ثلاثة رجال: "عليك ان تبتعد عن منطقتنا او ان تشتري متاجرنا." ورفضت. فقالوا: "هذا يعني انك لا تأبه لما قد يحدث لعائلتك." وغادر آكرمان الاجتماع وهو ينتفض غضباً وخوفاً.

كسر القاعدة — في غضون اسبوع غمرت المياه محلا جديداً لآكرمان في كنسنغتون نتيجة انفجار خط انابيب لم تعرف اسبابه. بعد ذلك شب حريق في محل آخر له في بلاكهيث في جوهانسبورغ وأتى على سلع بألوف الراندات. ويتذكر آكرمان ذلك قائلا: "اتخذت اختياطات امنية مشددة للعائلة لكنني بقيت مصمماً على المثابرة."

وهو ثابر فعلا وكسر قاعدة ذهبية في تجارة جنوب إفريقيا: مبدأ التقيد بالسعر المعلن. بموجب هذه الخطة كان اصحاب المصانع يحددون اسعار منتوجاتهم على نحو يترك هامشاً واسعاً من الربح للبائع، اما الذين يحسمون من السعر المحدد فيقاطعون. لكن آكرمان تحدى هذه الخطة وخفض أسعار بضائعه الى أدنى المستويات، وكانت تلك مغامرة افترض فيها ان اصحاب المصانع لن يجرؤوا على رفض طلباته الضخمة. وكان على صواب فاضطر منافسوه الى مجاراته في خفض الاسعار.

غير ان بعض اصحاب المصانع صمدوا في موقفهم. وحين دخلت جنوب افريقيا متأخرة عصر التلفزيون عام ١٩٧٦ رفض اصحاب المصانع امداده بما طلبه من اجهزة كان سيبيعها باسعار دون السعر الموصى به. واستعان آكرمان بزوجات مديري محلاته وبالاصدقاء لتقديم طلبات شراء الى المصانع تعطى فيها عناوين وهمية لعدد من الحوانيت الصغيرة في مدن الولايات الحدودية وموزامبيق. وحين كانت الاجهزة تصل بالقطار كان رجال آكرمان في انتظارها لنقلها في شاحناتهم الى المحلات. ويقول آكرمان في ذلك: "على رغم التكاليف الأولية المرتفعة، اي سعر المبيع بالجملة اضافة الى تكاليف النقل بالقطار والشاحنات، عرضنا اجهزة التلفزيون بأسعار أدنى من السعر المحدد وتفوقنا في التصريف على منافسينا."

يشعر آكرمان ان اغراء الأرباح العالية يعمي التجار غالباً عن رؤية

الارباح التي يدرها بيع بضائعهم بكميات كبيرة. ففي العام ١٩٦٩، حين علت الاسعار كثيراً مما جعل الدجاج طعاماً مقصوراً على المترفين، أخذ يعرض الدجاج بسعر ١٠ سنتات للباوند اي نحو ٢٢ سنتاً للكيلوغرام. ويقول: "أخذ الزبائن يحتشدون ويقفون صفوفاً وينتظرون ساعات لشراء الدجاج". وكانت هذه احدى المناسبات القليلة التي باع فيها آكرمان بخسارة، اذ كانت البضاعة تباع لاجتذاب الزبائن الى المحل.

جميع المتاجر الكبرى (هايبرماركت) في جنوب افريقيا هي ملك آكرمان، وهي تعتمد مزيجاً من الأفكار المستقاة من السوبرماركت الرائجة في الولايات المتحدة والهايبرماركت التي رآها آكرمان في بلدان اخرى، مثل فرنسا وألمانيا. وأنشأ اول متاجره الكبرى هذه في موقع بدا كأنه يتوسط اللامكان، في بوكسبورغ. غير ان هذا الموقع اختير استراتيجياً ليجتذب ألوف الزبائن من المجتمع السكني الضخم "ريف". ويملك آكرمان الآن عشرة متاجر كبرى وتزدهر تجارته الى حد بلغت معه مبيعات احد متاجره في كيب تاون مليون راند في يوم واحد عام ١٩٨٢.

فلسفة المنضدة — في حين لا يزال آكرمان يعتبر جنوب افريقيا منطقة انتشاره الاولى فانه اخذ يسعى اخيراً للانطلاق الى مناطق جديدة في الخارج. وهو يخطط لفتح متجر في بريسباين في اوستراليا عام ١٩٨٤ مع شركاء محليين يملكون ثلثي الاسهم.

ومرة اخرى واجه آكرمان معارضة لافكاره سواء من المناهضين للتمييز العنصري او من الاتحادات العمالية. غير انه يواصل السير بثقة في الطريق التي اختطها لنفسه.

هذا النجاح الذي حققه آكرمان لم يأت بسهولة. فهو مدمن العمل. وحين لا يكون جالساً الى مكتبه في كليرمونت في كيب تاون تجده متجولا في اجنحة متاجره الكبرى في انحاء البلاد يقارن بين اسعاره واسعار منافسيه. ويتحدث آكرمان في ثلاث ليال من كل اسبوع في اجتماعات عامة متناولا مواضيع العلاقات التجارية. كما يشارك في الهيئات الادارية الجامعية ومؤسسة التنظيم المدني وسوى ذلك. وانتجاعاً للراحة يمارس رياضات خفيفة كالغولف ويمضي عطلة نهاية الاسبوع مع عائلته في منزله في كيب تاون.

يشبه آكرمان فلسفته التجارية بمنضدة ذات اربع قوائم فيقول: "يجب ان تكون القوائم الاربع متوازنة والا انقلبت المنضدة." القائمة الاولى هي الادارة، اي تقنيات تشغيل الشركة. والثانية هي التسويق، اي توفير ما يحتاج اليه الزبون (يؤمن آكرمان السلع الاساسية في جميع متاجره. ولكن في أغلب الاحيان يجد المهاجرون الجدد في المتجر القريب من مساكنهم سلعاً تذكرهم بوطنهم الام، مثل جبن "فيتا" من اليونان والحلاوة من الشرق الاوسط والبراتفورست من ألمانيا).

القائمة الثالثة هي الترويج، ويعتبر

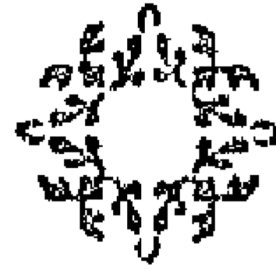
آكرمان انه لا يشمل الدعاية فحسب، بل مراعاة المستهلك وتحمل المسؤولية الاجتماعية ايضاً. وهو لا ينى يحض التجار على المساهمة في معالجة مشاكل المجتمعات البائسة في جنوب افريقيا. انه يستخدم في متاجره اناساً من كل الاعراق، ويقول في ذلك: "المؤهل الوحيد المطلوب هو الكفاية. واذا لم نوجد المجتمع السعيد الآن، فكيف تنجح تجارتنا في مجتمع تمزقه الصراعات؟"

يشدد آكرمان كذلك على العلاقات مع المستهلكين. فالزبائن الذين يتصلون هاتفياً بالمكتب الرئيسي لتقديم شكاوى يفاجأون بأنهم يتحدثون الى الرئيس الاعلى نفسه. وفي الحالات التي تكون الشكوى محقة يجبر آكرمان مدير المتجر على زيارة الزبون شخصياً لتقديم الاعتذار... مع صندوق من الشوكولاتة.

اما القائمة الرابعة في استراتيجية آكرمان التجارية فهي المستخدمون. وقد اجتمع آكرمان خلال العام ١٩٨٢ بجميع مستخدميه تقريباً، ويبلغ عددهم ١٦ الفاً، ساعياً الى التعرف على من رزق اطفالا جدداً او واجه مصاعب شخصية. وهو اعتمد مبدأ المشاركة في الارباح ومنح الاسهم للمستحقين، مما جعل مستخدميه يلتفون حوله في عصبة تشدها وشائج قوية.

عندما زار آكرمان احد متاجره في منطقة المناجم في ويتبانك انتحى به مستخدموه السود جانباً وقدموا اليه مصباح منجم نحاسياً نقشت عليه هذه الكلمات: "نشكر لك اهتمامك."

■ روجر كنيون



صوت الضمير

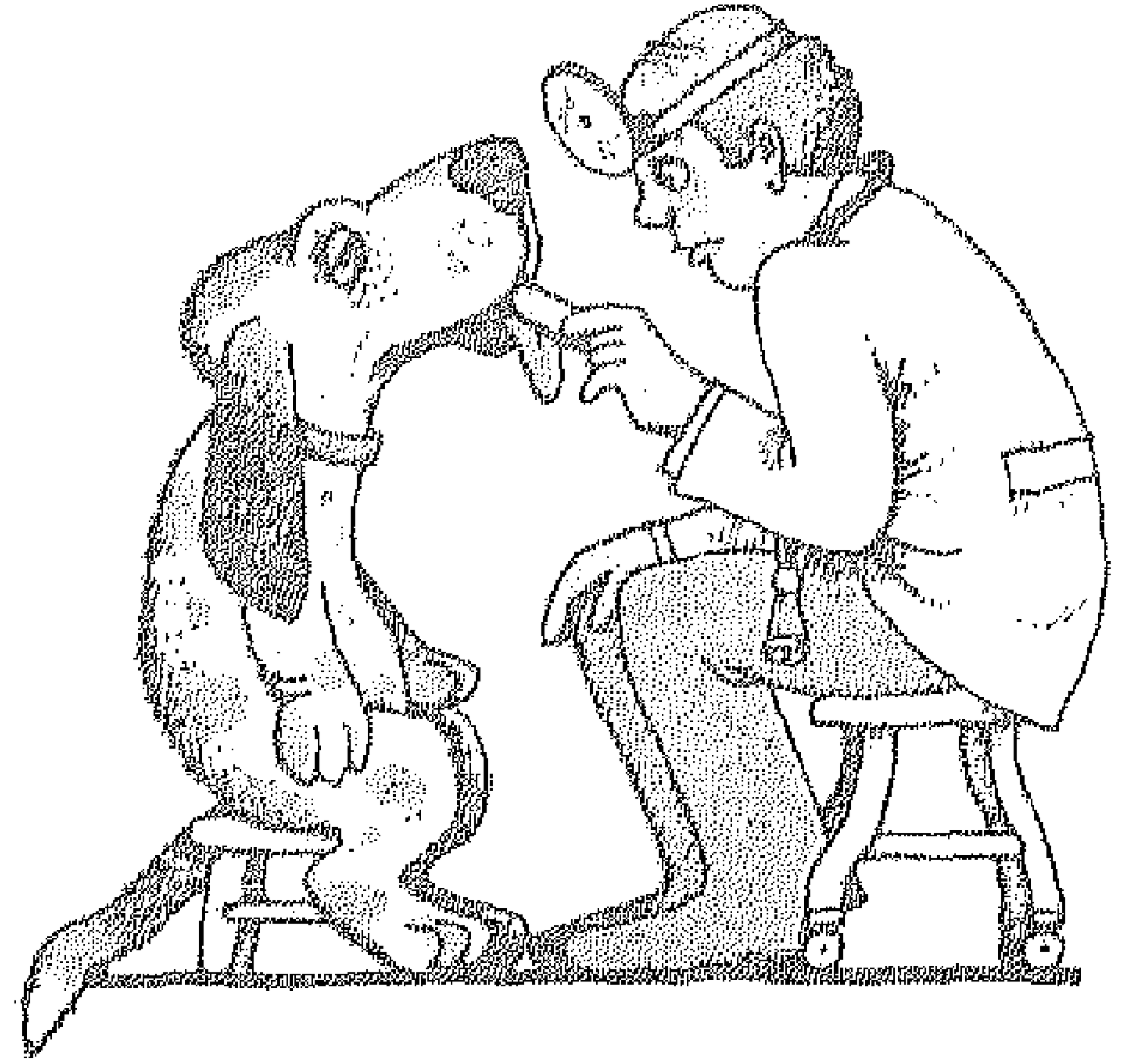
الطبيب الذي أعمل لديه لا يطيق التأخر عن المواعيد. وذات صباح جاءتنا المريضة الاولى وهي امرأة عرف عنها تأخرها على الدوام، بعد نصف ساعة من موعدها. وما أن دخلت غرفة الطبيب حتى رفع سماعة الهاتف قائلا لها ان شخصاً يود التحدث اليها. ولكم كان خجلها كبيراً عندما سمعت على الخط الآخر الساعة المسجلة تعلن الوقت.

ا.د.

الخطأ والمسامحة

حملت الى مكتبة الجامعة كتاباً بقي معي أطول من المدة المسموح بها. ووقفت أمام الموظف أتلو أعذاري. ولما فرغت منها أشار الى ملاحظة علقت وراءه: "الخطأ من طبيعة الناس، لكن المسامحة ليست من سياسة المكتبة." وهكذا دفعت الغرامة.

ج.م.



دائرة المعارف

لُقّب أبو العلاء المعري "شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء"، وهو سمى نفسه "رهين المحبسين" لذهاب بصره ولزومه بيته، ومن كتابه "اللزوميات" او "لزوم ما لا يلزم" انتخبنا ثلاثين كلمة، وقد وضع امام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح، والمطلوب من القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

١ • حندس: حنكة ــ بساط عشبي ــ ظلمة ــ نبتة الحناء.

٢ • ذمار: وعد ــ حَرَم ــ دمار ــ حبل تَربط به الابل.

٣ • شَرى: جبل ــ أرض مقفرة ــ فساد ــ أسد.

٤ • كَرِيَ: امتطى ــ استيقظ باكراً ــ نعس ــ مقت.

٥ • ثلبَ: فتن ــ أخذ خلسة ــ قلب ــ عاب ولام.

٦ • حِمام: نار ــ موت ــ غبار المعركة ــ يمام.

٧ • هيدب: شعر الجفن ــ شجاع ــ مهذب ــ كثير الشعر.

٨ • رِجْس: عمل قبيح ــ خوف ــ كنز ــ صوت خفي.

٩ • قَطا: ثلج هاطل ــ من الطيور ــ قطن ــ نهر.

١٠ • ختلَ: لف ــ خدع ــ نمق الكلام ــ حاك.

١١ • ولغَ: شرب بأطراف لسانه ــ تمرغ ــ أحب ــ تغلغل.

١٢ • غَبَطَ: تمنى نعمة ــ ظلم ــ لبط ــ استخف.

١٣ • رضاب: غمد ــ تراب رطب ــ غيم ــ ريق.

١٤ • عِيْس: رماح ــ ماعز ــ ابل ــ حراس ليليون.

١٥ • شنار: لهب ــ عار ــ من المعادن ــ سخام.

١٦ • حِجى: لغز ــ مشية الحجل ــ أقصوصة ــ عقل.

١٧ • ارتجز: أنشد أرجوزة ــ اختصر ــ قطع العنق ــ أنجز.

١٨ • ثوى: ارتحل ــ ذبل وسقط ــ أقام ــ طوى.

١٩ • لَحى: أصر ــ شكر ــ لعن ــ شد من اللحية.

٢٠ • مَيْن: بعد ــ كذب ــ حظ تاعس ــ موت.

٢١ • حصيف: حذر ــ كثير الحصى ــ أنيق ــ جيد الرأي.

٢٢ • محاق: آخر الشهر ــ مستحيل ــ غياب ــ زلال البيض.

٢٣ • حَصان: لسان ــ امرأة عفيفة ــ خيل ــ زواج.

٢٤ • جدث: رحمة ــ قبر ــ انكار الحق ــ ركوع.

٢٥ • سمت: من النجوم ــ هدوء ــ طريق مائدة.

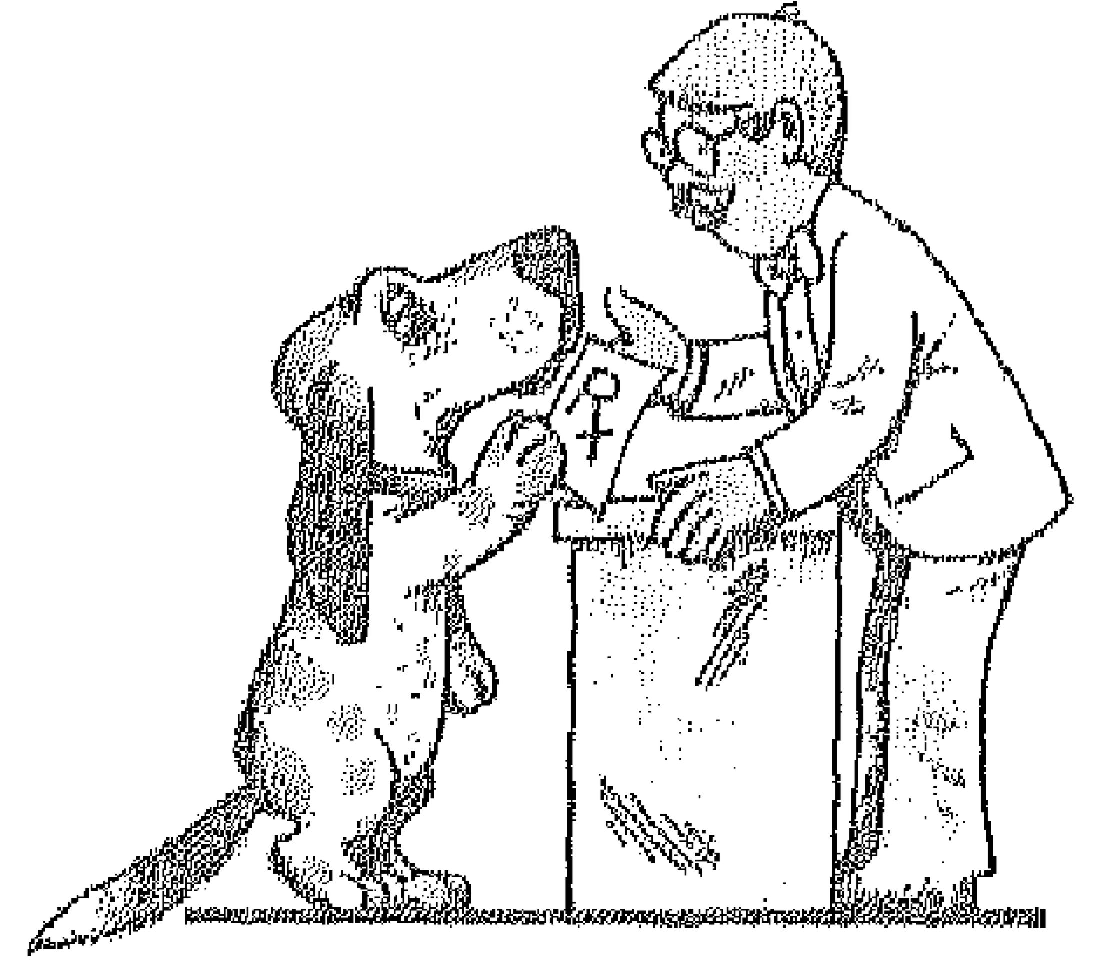
٢٦ • هارش: خاصم ــ قضم بشهية ــ دافع ــ بالغ.

٢٧ • تنطَّس: تعجرف ــ تأنق ــ تنصل ــ تدخل في ما لا يعنيه.

٢٨ • سؤدد: طريق قويم ــ سيادة ــ صواب ــ سواد فاحم.

٢٩ • صَبَاء: سراب ــ ريح جنوبية ــ شغف ــ صغر.

٣٠ • رزية: مصيبة ــ شميلة ــ وتد ــ خطيئة.



الأجوبة الصحيحة

١ • الحِنْدِس: الظلمة والليل الشديد السواد • الحَنادس: ثلاث ليال مظلمة من آخر كل شهر •

٢ • الذِمار: الحرَم والأهل وكل ما يلزم حمايته والدفاع عنه •

٣ • الشَرى: الجبل والطريق والناحية • ايضاً: مأسدة قرب الفرات يضرب بها المثل فيقال "هو كأسد الشرى" •

٤ • كَرِيَ: نعس • أكرى: سهر في طاعة الله •

٥ • ثلبَ: اغتاب، عاب ولام • المثلبة: العيب، جمعها مثالب •

٦ • الحِمام: الموت • الحَمام: السيد الشريف • الحميم: الصديق •

٧ • الهَيْدَب: الكثير الشَعر • ومن السحاب: المتدلي القريب من الأرض •

٨ • الرِجْس: العمل القبيح ووسوسة الشيطان • ايضاً: الحركة الخفيفة •

٩ • القَطا: طير في حجم الحمام يضرب به المثل في الاهتداء، والواحدة قطاة •

١٠ • ختلَ: خدع •

١١ • ولغ الكلب الاناء: شرب ما فيه بأطراف لسانه •

١٢ • غَبَطه: تمنى مثل حاله من دون ان يريد زوالها عنه •

١٣ • الرُضاب: الريق المرشوف، رغوة العسل • ماء رُضاب: عذب •

١٤ • العِيْس: كرام الابل، والابل البيض يخالط بياضها سواد، والواحدة عَيْساء •

١٥ • الشنار: العار •

١٦ • الحِجى: العقل والفطنة • الحِجا: الناحية • حَجا السرّ: حفظه •

١٧ • ارتجز: انشد ارجوزة، وهي قصيدة من بحر الرجَز •

١٨ • ثوى في المكان: أقام فيه • ثواه: اضافه • ثوى الرجلُ: مات • ثُوِيَ: دُفن •

١٩ • لَحى: لام وسب وعاب • يقال "لحى الله فلاناً" أي قبَّحه ولعنه •

٢٠ • المَيْن: الكذب •

٢١ • الحَصيف: العاقل الجيد الرأي • ايضاً: كل محكم لا خلل فيه •

٢٢ • المحاق: (بتثليث الميم) آخر الشهر القمري • يوم ماحق: شديد الحر •

٢٣ • الحَصان: المرأة العفيفة • ايضاً: الدرّة • ابو الحُصَين: الثعلب لتحصّنه •

٢٤ • الجَدَث: القبر •

٢٥ • السَمْت: الطريق والمحجة • ايضاً: هيئة اهل الخير، فيقال "ما أحسن سمته" •

٢٦ • هارش: خاصم • تهارشت الكلاب واهترشت: تواثبت وتحرشت بعضها على بعض • الهراش: الخصام والقتال •

٢٧ • تنطّس: تأنق في كلامه وملبسه • تنطس الأخبار: تجسسها وبحث عنها •

٢٨ • السؤدد: السيادة والمجد والشرف والقدر الرفيع •

٢٩ • الصِبا والصَباء: الصغر • الصَبْوة: جهلة الفتوة •

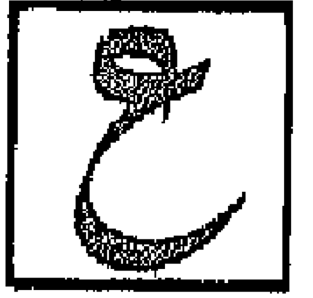
٣٠ • الرُزء والرزيئة والرزية: المصيبة العظيمة •

المستوى
- **٢٥ ــ ٣٠: ممتاز**
- **١٩ ــ ٢٤: جيد جداً**
- **١٣ ــ ١٨: مقبول**

عشقت الحياة وأحبت كل دور،
وهي شربت حلو الحياة ومرها حتى الثمالة



انغريد برغمان
نجمة لا تنطفئ


عندما ظهرت انغريد برغمان على الشاشة السينمائية من دون مساحيق تجميل، هبطت اسعار المساحيق. وعندما مثلت دور راهبة ارتفع عدد المنتسبات الى الرهبنة. وقد حجز الصناعي الاسطوري الثراء هوارد هيوز مرة جميع مقاعد الطائرة المتوجهة من نيويورك الى لوس انجلس كي تضطر السيدة الى الموافقة على ركوب طائرته الخاصة. ومشى معجب بخروف من اسوج (السويد) الى روما ليقدمه هدية اليها. كانت رسائلها تصل الى عنوان بسيط: انغريد برغمان - لندن.

اصبحت الكاتبة نجمة عالمية عندما مثلت عام ١٩٤٥ دور عازفة بيانو شابة في فيلم "الحجاب السابع". وهي مثلت ادواراً رئيسية في مسرحيات شكسبير في لندن، وكتبت وأنتجت اشرطة ونائقيذ، كما ألفت ثلاث روايات فصلا عن سيرتها الذاتية.

لكن صديقتي انغريد تختلف عن ذلك. كانت تجوب شوارع لندن منتعلة جزمة مطاطية رقيقة فوق حذائها ومتدثرة معطفاً قديماً واقياً من المطر، تمشي بخطوات واسعة وتضرب درجات السلالم بقسوة وهي تصعد الى شقتي حاملة بتأن طنجرة تحوي قطع لحم طبختها بنفسها على الطريقة الاسوجية لغدائنا. ثم تجلس على الارض امام جهاز التلفزيون حافية القدمين تضحك.... وتضحك.... وتضحك.

سمعت ضحكة انغريد الساحرة للمرة الاولى عام ١٩٥٠ في احد مطاعم روما حيث كنا نتناول بيضاً مقلياً. كنا ممثلتين تتكلمان الانكليزية وتعملان في بلد اجنبي. وقد تواعدنا على لقاء عفوي هناك. احببتها منذ ما سمعت صوتها. كان شعرها الاشقر ينسدل الى الوراء وعيناها الزرقاوان

Photos: Page (105) Movie Still Archives. Page (109) left top, from «Ingrid Bergman: My Story,» published by Delacorte Press, bottom Movie Star News: right top and middle, culver pictures; bottom, The Memory Shop

الصافيتان تلمعان وصوتها الخفيض يشبه صوت رجل حين تسمعه على الهاتف، حتى ان عاملات الهاتف (وهذا ما كان يزعجها كثيراً) كن يجبن أحياناً: "نعم سيدي!" ومنذ ذلك اللقاء الاول اكتشفت كل منا في الاخرى شقيقة مفقودة·

أسد يزأر – كانت انغريد دائماً الانسانة المتواضعة على رغم كونها احدى المع نساء عصرها، مغرمة بالمسرح والحياة، تحب التهام البوظة (الآيس كريم) والمشي تحت المطر· ارادت ان تمثل كل دور وتشارك في كل رحلة وتقيم كل حفلة وتشرب كل كأس تقدمه الحياة· قالت مرة: "لم اندم على عمل اديته· ندمت فقط على الاعمال التي لم انجزها·"

قد تكون لائحة منجزاتها قصيرة جداً· فهي عاشت في اجمل مدن العالم واكثرها اثارة: استوكهولم وهوليوود وروما وباريس ولندن· ومثلت ادوار البطولة على المسرح وشاشتي السينما والتلفزيون في خمس لغات· ومثلت ٤٧ فيلماً ونالت ثلاث جوائز "اوسكار" وجائزة "ايمي"· وكانت اماً متفانية لاربعة اولاد: بيا من زوجها الاول بيتر لندستروم وروبرتو والتوأمين ايزابيلا وانغريد من زوجها الثاني روبرتو روسيليني· وكانت سيرة حياتها ضمن لائحة أكثر الكتب مبيعاً·

كانت انغريد تتفانى بضراوة في عملها· قالت مرة: "اذا الغيتم التمثيل من حياتي فسوف اتوقف عن التنفس·" وعندما أخبرها الكاتب آرنست همنغواي ان عليها "قص" شعرها لتلعب دور ماريا في فيلم "لمن تقرع الاجراس"· اجابته بسرعة: "أقص" رأسي لأحظى بهذا الدور·" وكانت تدأب على التمارين حتى ساعات متقدمة جداً من الليل من دون كلل وهي تتوسل لاعادة المشهد على رغم رضا المخرج عنه·

وما فتئت تصر على اجراء تجارب تصويرية حتى وهي في ذروة تألقها كنجمة سينمائية، وترفض ادوار بطولة لتمثل ادواراً ثانوية فيها تحد· ورفضت ان تكون اسيرة دور معين، وجاهدت للحصول على ادوار مثل عروس شابة على شفير الجنون في فيلم "نور الفانوس" او دور ثانوي لمبشرة اسوجية في فيلم "جريمة في قطار الشرق" (نالت عن الفيلمين جائزتي اوسكار)·

منذ طفولتها الباكرة في استوكهولم كانت واثقة من طريقها الى المستقبل· في الرابعة عشرة من عمرها كتبت في مذركاتها تعلن رغبتها في تحقيق حلم لتمثيل دور البطولة امام ممثل اسوجي كان معشوق الجماهير· وقد تحققت امنيتها بعد خمس سنوات وقالت في حينه: "لم يولد انسان اكثر خجلا مني، لكن في داخلي أسداً يزأر ولا يهدأ ابداً·"

وكان حظها غير عادي كموهبتها· فقد عاش في مدينة نيويرك زوجان اسوجيان مدحا تمثيلها في حضور ابنهما الذي كان عامل مصعد في بناية يسكن احدى شققها مساعد للمخرج السينمائي الشهير ديفيد

سيلزنيك. وبعد ستة أشهر كانت انغريد في طريقها الى هوليوود مدينة السينما. وهي ذكرت الحادث في ما بعد ضاحكة: "انـي مدينـة بنجاح حياتي المهنية الى عامل مصعد شاب."

غمامة صيف – هددت انغريد، وكانت في الثالثة والعشرين من عمرها، بالعودة الى بلادها يوم أخبرها سيلزنيك انها ستمثل دور البطولة بشرط ان تغير اسمها وتشد اسنانها بقوس وترفع حاجبيها. وظهرت انغريد في الفيلم على طبيعتها وولدت معها موضة الشكل الطبيعي، ولقبها النقاد "غاربو النظيفة".

وتبعت ذلك الدور الممتع ادوار اخرى: مدرسة البيانو الوحيدة في فيلم "انترميزو" وعالمة النفس العاطفية في فيلم "المسحور" والراهبة في فيلم "اجراس سانت ماري". وخلال سنوات قليلة اصبحت من أشهر ممثلات السينما في امريكا وصاحبة الدخل الاكبر في شبابيك التذاكر في العالم.

وفي ليلة من العام ١٩٤٨ ذهبت انغريد لمشاهدة فيلم وقائعي اسمه "المدينة المفتوحة" عن روما ايام الحرب من اخراج روبرتو روسيليني. وللحال جذبتها عبقرية المخرج الصاعقة وأسرت الي في ما بعد: "اعتقد اني وقعت في غرام روبرتو منذما رأيت فيلمه." وبعفوية كتبت اليه تعرض رغبتها في تمثيل فيلم من اخراجه.

طارت انغريد الى روما حيث بقيت سبع سنوات. كانت لا تزال متزوجة بيتر لندستروم عندما حملت من روسيليني ووضعت ولداً كان سبباً في ثورة شعبية عارمة ضدها. كتبت الصحافة المعادية في الحادث انه "فضيحة القرن". ونالتها الشتائم من مجلس الشيوخ الامريكي وقيل انها لا تستأهل ان "تضع قدماً فوق تراب امريكا مرة ثانية."

وانقلبت المقاييس بين ليلة وضحاها، واصبحت انغريد كالسم في شباك التذاكر، واكتشفت ان عملها في هوليوود انتهى. ومعظم أفلامها من اخراج روسيليني لم تلق نجاحاً. وهكذا... تزوجا.

عام ١٩٥٦ مثلت انغريد دور البطولة في فيلم "آنستازيا" الذي تدور قصته حول الابنة الباقية لقيصر روسيا الاخير. وانقشعت الغمامة عن حياتها ونالت جائزة "اوسكار" عن ادائها الساحر.

ولم يمضِ وقت طويل حتى اصدر السناتور الامريكي تشارلز بيرسي اعتذاراً بأسم الامة وتقديراً لها واحتراماً، وهو موجود ضمن ملفات الكونغرس وقد جاء فيه: "ان احدى أجمل نساء العالم وأكثرهن موهبة كانت ضحية هجوم مرير قبل ٢٢ سنة شنته هذه الهيئة التشريعية. ستظل الآنسة برغمان تحتل منزلة رفيعة في قلوب الجماهير الامريكية كفنانة قديرة متميزة الاداء في هذا الزمن. ونحن نرحب بعودتها الى امريكا وهي تشرفنا كثيراً بزيارتها."

أريد أن أنام – ينبع اداء انغريد من

مع كاري غرانت في فيلم "الأحمق"، في الوسط: انغريد في "باريس تفعل أموراً غريبة".

كانت في السابعة عشرة عندما مثلت "الجميلة المستحمة"، تحت: "اعزفها مرة يا سام..." في "كازابلانكا".











داخلها ويشبه حياتها وطبيعتها الصريحة المخلصة. وقد قال الممثل جوس اوكلاند الذي قاسمها البطولة يوماً: "كانت عندما تدخل المسرح تتصرف بعفوية كزوجة تدخل مطبخها."

ووصفها المنتج اللورد سيدني برنشتاين قائلا: "لم التق فلاحة فائقة الحنكة مثلها."

كانت مشاريعها متواصلة، كأن تدخل مسرعة قريتي سوفولك القابعة على البحر لشراء زجاجة شراب، أو تركب معي دراجة صباح يوم احد في حديقة هايدبارك في لندن، أو تطير الى طوكيو لمشاهدة مسرحية جديدة باللغة اليابانية مقتبسة عن قصة "ذهب مع الريح". كانت تؤمن ان كل شيء يستوجب الاحتفال. كانت تحب الحياة وتريدها رحلة مرحة فوق ارجوحة دائرتة لا تقف ابداً.

واهتمت انغريد بأمور جدية. ففي العام ١٩٥٨ مثلت فيلم "نزل السعادة السادسة" عن قصة مبشرة بريطانية تمكنت من انقاذ مئات الاطفال الصينيين خلال الحرب العالمية الثانية وأسست ميتماً في فورموزا (الصين الوطنية). وبعد بضع سنوات زارت انغريد الميتم وتأثرت كثيراً. لحال الاطفال البائسة وصبت جهودها بسخاء لجمع المال للميتم من اوروبا وامريكا. وبعد ذلك انضمت الى مؤسسة "اكندن فنشر" البريطانية التي تعنى بشؤون اطفال اللاجئين.

عام ١٩٧٣ اصيبت بمرض السرطان، لكنه لم يتمكن من تقييد روحها او امتصاص حيويتها، بل بقيت تواجه حياتها بشجاعة يوما بعد يوم وتناضل لانجاز ما يتوجب عليها.

وبقيت تخفي حقيقة مرضها عن أقرب الناس اليها لوقت طويل. وقد قالت وندي هيلر: "كانت تشاركنا في افراحها وتخفي عنا اتراحها واوجاعها. واجريت لها جراحتان لاستئصال الثدي، وتورمت ذراعها اليمنى على نحو مريع، لكنها كانت تشير اليها مداعبة: انظروا الى تنيني المدلل."

وصممت على رغم كل شيء ان تمثل دور غولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل الراحلة وتقدم سيرة حياتها في اربع ساعات تلفزيونية من العمل المرهق المضني. وقالت معترفة: "الوقت قصير، وكل يوم اتحدى السرطان وابقى على قيد الحياة هو انتصار كبير لي."

اندفعت انغريد تنفذ المشروع بطاقتها المعهودة. سافرت الى اسرائيل وقابلت الاشخاص الذين عرفوا غولدا مائير معرفة وثيقة وأمضت ساعات في دراسة اشرطة مسجلة لها من أجل اتقان حركاتها وطبائعها. وما ازال اتخيل انغريد الانيقة الطويلة تتدرب على طريقة مشي رئيسة الوزراء ذهاباً واياباً في مطبخها حتى تمكنت اخيراً من تقمص شخصيتها واصبحت امرأة قصيرة ثخينة عدوانية.

وخلال التصوير كانت انغريد تشعر بألم متواصل في ذراعها، وفي الليل كانت تصبر على عذاب سحبها وتدليكها. وعندما انتهت لقطة التصوير الاخيرة بدت انغريد دامعة

العينين لانها كانت تعرف انها المرة الاخيرة في حياتها تواجه فيها الكاميرا. وقد اكسبها تمثيلها المدهش عام ١٩٨٢ جائزة "ايمي".

لم تتخل انغريد مرة واحدة في مرضها عن كبريائها واملها في الشفاء. وقبل ايام من موتها كانت تدرس قبول ادوار جديدة ولقد اعطتني هدية اخيرة هي تذكرة طائرة لحضور المهرجان الدولي في ادنبره. بكيت عندما اكتشفت انها حجزت لنفسها تذكرة ايضاً مع اننا كنا واثقتين من عدم استطاعتها القيام بهذه الرحلة. قالت لي ليلا عندما اتصلت بها هاتفياً: "اوه، انا متعبة جداً واريد أن أنام". وفي مناسبة اخرى قبل وفاتها بقليل قلت لها: "لديك موهبة عظيمة في نشر الحب... الذي هو اهم من الحب."

هزت رأسها ضاحكة. وفي رأيي ان هذه هي خلاصة سحرها.

توفيت انغريد يوم عيد ميلادها السابع والستين في ٢٩ اغسطس (آب) ١٩٨٢. لكنها ستبقى حية للعديد من مشاهدي افلامها - مع غاري كوبر في جبال الثلج الاسبانية أو مع كاري غرانت في الريو حيث يكثر الجواسيس. وربما في دور إلسا لاند في "كازابلانكا" حيث يطاردك وجهها ويسحرك وتبقى صورته في ذهنك طويلا. في وقفتها هناك قرب البيانو تتمتم: "سام. اكراماً للمودة القديمة اعزفها مرة ثانية." تبتسم بذكاء وخبث وهي تنظر الى همفري بوغارت يقول لها: "كأسك يا صغيرة." وتودعنا حزينة متألمة وسط الضباب.

■ آن تود



مرضى محظوظون

لدى بلوغه الثمانين، قرر جدي التقاعد من مهنته كطبيب. وذهب الى محل للادوات الفضية واشترى عدداً من الملاعق الفاخرة. ثم قدم كلا منها في علبة الى مرضاه المسنين. وما أن فتحوها حتى قرأوا الاهداء الآتي محفوراً عليها: "الى مرضاي الاعزاء الذين أسعفهم الحظ ليعمروا على رغم محدودياتي."

ف.و.

أحاديث الزوجات

في حديث بين زوجة طبيب أسنان وزوجة كاتب ومحاضر، قالت الاولى: "لماذا لا ترافقين زوجك خلال محاضراته؟" فأجابتها صديقتها: "وهل تساعدين زوجك في قلع الاضراس؟"

مجلة "تايم"

مشكلة وضعك في مكانك عدم ايمانك أنه المكان الذي تنتمي اليه.

ر.ا.



حكايات من العالم

ثروة غير محسوبة

تفيد دراسة اجرتها غرفة التجارة الامريكية ان متوسط ما يحصل عليه العامل الامريكي يبلغ ٥١٣٨ دولاراً سنوياً. ووجدت الغرفة في استقصاء شمل ٨٥٨ شركة ان العامل يحصل ايضاً على فائدة تبلغ نحو دولارين ونصف دولار في مقابل كل ساعة عمل، وذلك على هيئة عطلات وعطلات مدفوعة الاجر ومساهمات في صندوق التقاعد وتأمين على الصحة والحياة.

مجلة "فاميلي ويكلي"

"باركر" في الصين

عندما افتتحت شركة "باركر" الامريكية للأقلام مركزاً للعرض والتصليح في الصين في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٠ هرع نحو اربعة آلاف صيني الى حفلة الافتتاح، لا لشراء أقلام جديدة بل لاصلاح أقلامهم القديمة. ويبدو ان أقلام "باركر" هذه التي بيعت في الصين قبل ثورة ١٩٤٩، تُعدّ متاعاً عائلياً يُنقل من جيل الى جيل ويعالج بعناية فائقة.

وتقول الشركة ان العصابات الصينية كانت، في ما مضى، تطلب أقلام "باركر" فدية لاطلاق رهائنها. وخلال الحرب العالمية الثانية كان الجندي الصيني الذي يمنح أرفع جائزة على الشجاعة يطلب ان يُعطى قلم "باركر" بدلا من وسام.

صحيفة "لوس انجلس تايمس"

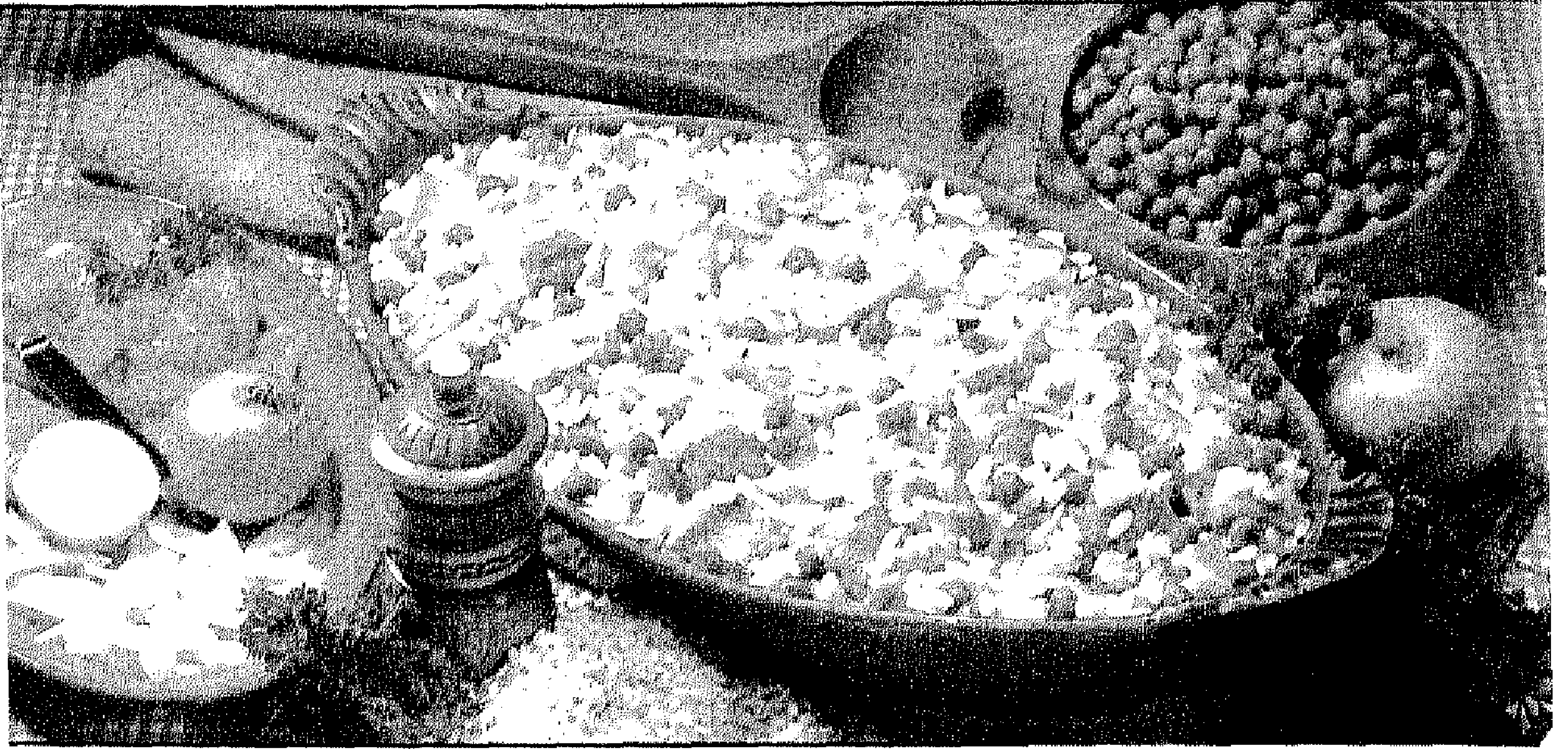
معرض العرائس

اذا كنت تبحث عن زوجة، فاذهب الى "معرض الحواري" على جبل غاينا في رومانيا واختر لك واحدة من الفتيات. ويقام هذا المعرض سنوياً في اواخر شهر يوليو (تموز).

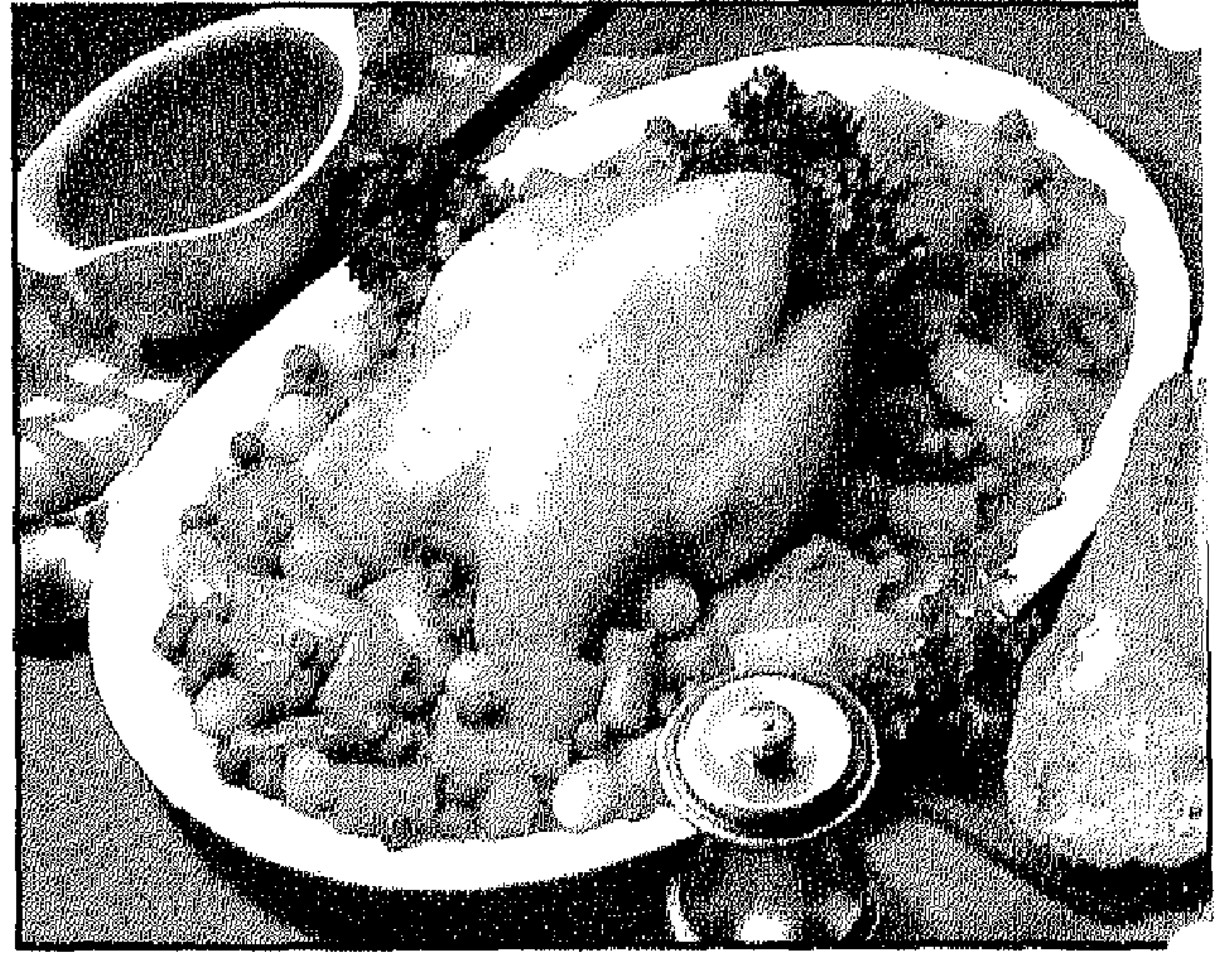
ويعود التقليد الى عصر اضطر خلاله رجال منطقة ترانسلفانيا الى المكوث ستة اشهر في الجبال يرعون غنمهم مما لم يبقِ لهم سوى وقت ضئيل للتعرف على شريكة حياة. لذلك درجت العادة على اقامة معرض سنوي للفتيات في مكان ما من جبل غاينا. وكانت النسوة يرتدن المعرض وقد اكتسين بأزهى الملابس والحلى ونقلن مقتنياتهن ومواشيهن الى ذلك المكان. واذا تم النصيب، كانت صاحبة الحظ تغادر مع عريسها.

وعلى رغم استمرار هذا التقليد فان المعرض غدا منذ الحرب العالمية الاولى عرضاً سياحياً. غير ان قاعدة واحدة لم تتبدل خلال السنين، وهي انه لا يحق للرجل اختيار اكثر من فتاة واحدة.

ن.ل.

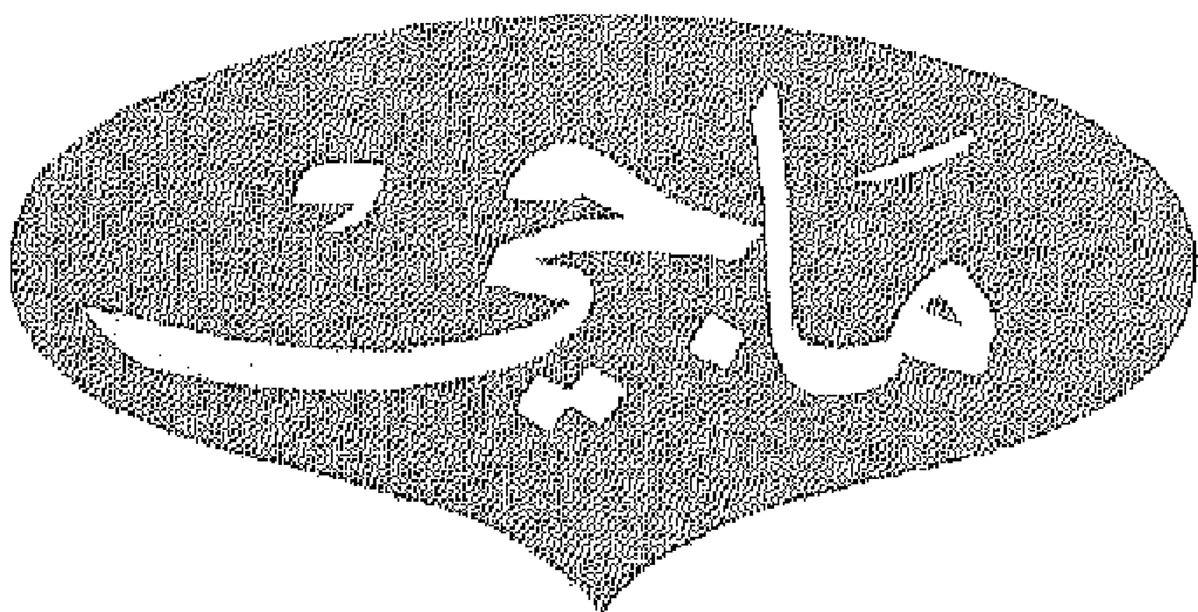


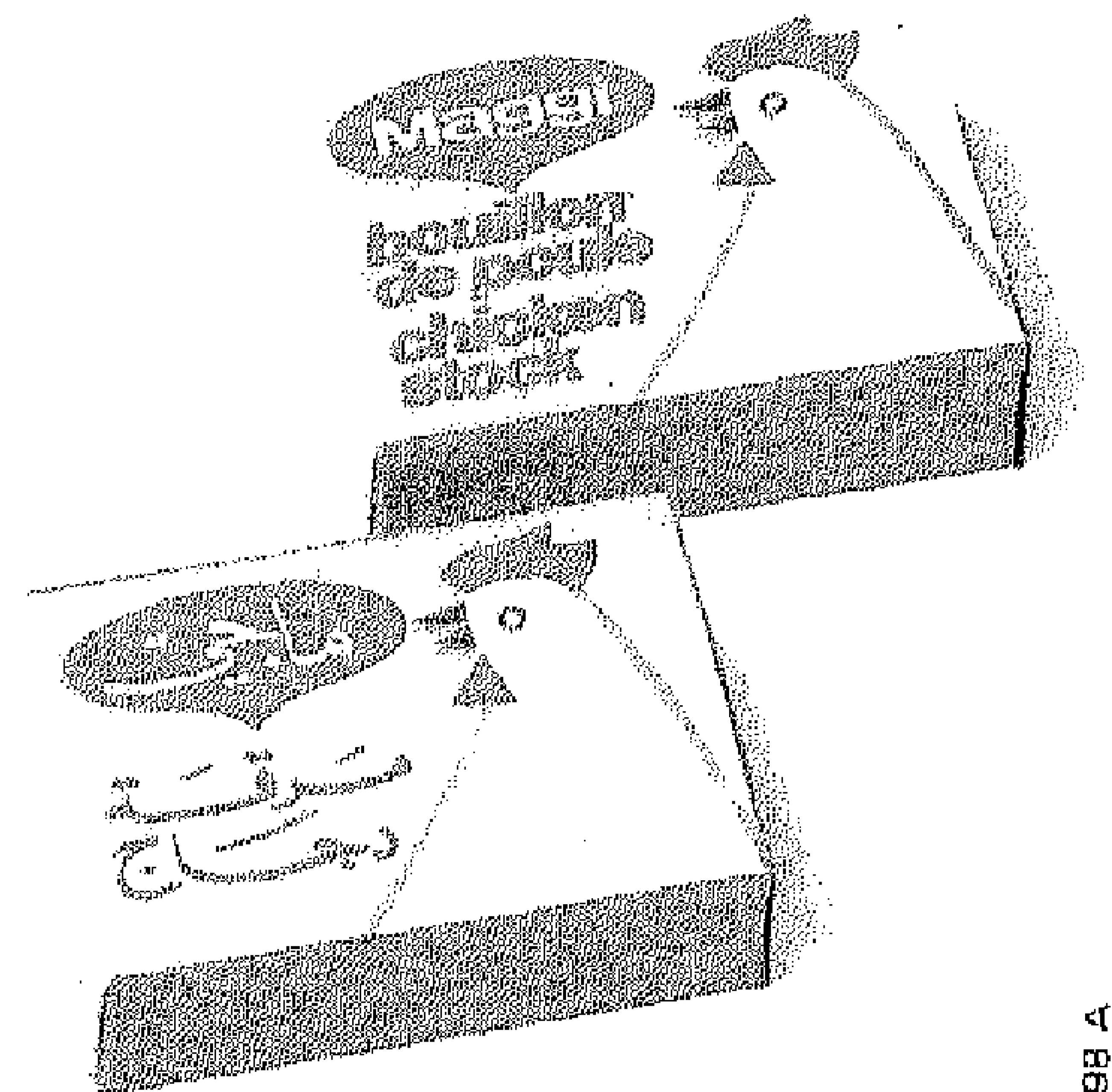




لتحضير أشهى المآكل وألذ الأطباق

مرقة الدجاج ماجي
تضفي نكهة لذيذة
الى الأرز وكافة الأطعمة





3198 A

اضطرت الذئبة
الى ترك شريكها وحيداً
وسط السهول القطبية،
علها تستعيد دورها
في قيادة القطيع

ذئبة القطب الشماليّ



الشتاء كانت بزرة نبات صغيرة مطمورة في شعر عنقها الكثيف وجدت طريقها الى اذنها اليمنى. وكان للاهتزاز الناجم عن العدو السريع اثر اقحام الحبة الى وسط الاذن. وذات صباح في منتصف الشتاء وجدت نفسها تمشي على نحو دائري من جراء ذلك الالتهاب. وبات القطيع الذي تفرّق في كل اتجاه ينظر اليها بعين الريبة.

الا انها عادت تخترق صفوف قطيعها وتنظر الى افراده على نحو واثق. لكنها في الواقع ظلت تخشى فَقْد توازنها. وما لبثت تلك الخشية ان ظهرت عليها واعادت الهواجس الى جماعتها. وأخذت تحك انفها بأنف كل من الذئاب وعينيه وعنقه، وهي علامة بث روح القطيع في الأفراد لكي تحارب معاً اذا واجهها خَطَر.

واخيراً حكت خطم ذئب اسود. ذلك كان عشيرها وشريكها في قيادة القطيع. وهي لن تخونه مدى حياته ولا سيخونها هو الآخر. فهي تستمد منه الدفء والقوة شتاء، وهو يستمد من سرعتها الامان والطمأنينة في وجه العاديات.

الا ان قائمة الذئب الخلفية اليسرى كسرت قبل يوم واحد عند الركبة تحت وطأة احد الأيائل العابرة. وراحت الذئبة والذئب يشم احدهما الآخر طويلا، ثم تركته فجأة لتركض في اتجاه اطياف الأيائل. وهكذا بدأ القتال.

صيد الأيائل — تتمتع هذه الذئاب الشمالية بجسم ناحل وقوائم طويلة. ويزن الواحد منها ٣٥ كيلوغراماً، في حين يزن الأيل من اعدائها ٩٠ كيلوغراماً. وفي وسع الذئب ان يقفز من غير توقف طوال ٢٤ ساعة ليعترض قطيعاً من الحيوانات على بُعد ١٥٠ كيلومتراً.

وتحت لواء الذئبة اسرع القطيع نحو قافلة من الأيائل القوية يبلغ عددها نحو خمسين الفاً ويفصلها عنه ثلاثون كيلومتراً. ولم يكن عدد الذئاب ملائماً لمقاومة الأيائل واصطياد بعضها. ففي الخريف نفق خمسة منها بداء السل، وظل العدد بلا تعويض. واذا عجز الذئب الاسود عن العدو والهجوم بسرعة بسبب قائمته المكسورة، فلسوف تضطر الجماعة الى هجره هو ايضاً.

ووقفت بعض الذئاب في موضعها. واذ رأتها الأيائل تستعد لمهاجمتها، وقفت هي الاخرى ورفعت رؤوسها وراحت تنظر بحذر وفجأة انشقت الأيائل فئتين. وراحت الذئبة تتفرس في كل ناحية لتتعرف ايا منهما تهاجم.

وكانت خطتها تقوم على تحديد اضعف الحيوانات استعداداً للانقضاض عليها. وشمت الخوف من الفئة اليمنى فاندفعت نحوها. وللحال تبدّد افرادها.

واندفعت الذئاب معاً وحافظ كل منها على مكانه ضمن المجموعة. وشرعت الذئبة تتفحص الذئب الابيض الصدر الذي وقف في الصف الثالث. وهو ذئب قوي في الثامنة من عمره اخذ مكان شريكها الأسود

بمبادرته الخاصة. وبعد ذلك اخذت تتفحص الذئب الرابع المتشح بالبياض. وهو في الثالثة من عمره واقوى افراد الجماعة. ولا شك في ان يصبح يوماً القائد العتيد اذا لم يقض عليه تهوره باكراً. وفي المرتبتين الخامسة والسادسة وقفت انثيان. وفي السابعة وقف ذئب عمره سنة، وهو الحوليّ الوحيد الذي سُمح له بالانضمام الى الجماعة.

وانبرت الحيوانات المطاردة والمطارَدة تركض بأسرع ما يمكن. وبلغت سرعة الأيائل ٦٥ كيلومتراً في الساعة وسرعة خصومها ٥٠ كيلومتراً. الا ان قوة الذئاب المتفوقة اضعفت الايائل. وسرعان ما اصبحت الذئاب عند قوائم الأيائل وراحت تقفز الى خاصراتها.

تحت الشمس – بعد خمس دقائق من المطاردة المسعورة استعدت الذئبة لهجمتها القاتلة على أيل بطيء العدو. وكان الذئب الثالث باشر هجومه، وسمعت صرير اسنانه وتمزق اللحم فيما هو يجرّ خصمه من خاصرته. وفي تلك اللحظة طغى عليها الدوار من أذنها وأوقعها تحت قائمتي الأيل الخلفيتين.

وراحت تزعق مثل جرو جريح وهي تحت حافري الأيل الذي رفسها في اتجاه الذئبين الخامس والسادس، وهما الأنثيان. وسقطتا أرضاً. وابتعد الجرو عنهما خوفاً من السقوط، وانقضّ على الأيل وأوقعه. عندئذ استعادت بقية الذئاب قوتها وشاركت في الهجوم، باستثناء الذئبة.

وظلت يومين فاقدة توازنها. وصرفت جماعتها ذينك اليومين وهي تغتذي على جيفة حتى اشبعت نهمها. غير ان الذئبة وشريكها لم يستطيعا استئناف مهمتهما القيادية.

في تلك الأثناء توجه قطيع الأيائل شمالا، مخلفاً آثار حوافره على الوحول التي ظهرت بفعل ذوبان الجليد.

وبعد نومها فترات طويلة تحت الشمس المشرقة استعادت الذئبة بعض عافيتها. وعادت تطوف بين اقرانها مؤكدة سلطانها ومهددة كل ذئب بالنظر الى عينيه مباشرة او بهزة من ذيلها.

وكان لقوّتها، كما للجوع، فعل اعادة النظام الى الجماعة، ومع النظام العمل والنشاط.

اما شريكها فلم يستطع مجاراة الوضع. وكانت حركته الدائمة تمنع عظام ساقه من الالتئام. وبقيت تنظر اليه مرة بعد اخرى وهي تفكر في الجوع الذي يعانيه قطيعها.

واستطاع ان يقطع مسافة ١١٠ كيلومترات بالجماعة الى مؤخر جيش العدو. ووقف هناك وهو لا يقوى على التقدم خطوة واحدة. وانفصلت الذئبة عن جماعتها ونظرت الى شريكها للمرة الاخيرة. ووقفت قبالته وهما يحكان خطماً بخطم. وحارت الذئاب في أمرها، واخذ بعضها يرتجف. واخيراً عادت الذئبة الى مكانها في القطيع الذي راحت افراده تنظر اليها وهي تريد ان تعرف قرارها حول مصير شريكها.

واعانها الذئب الاسود في اتخاذ ذلك القرار حين رفع رأسه قليلا

وصوّب خطمه الى فوق. وراح يعوي بارتعاش فيما انضمت اليه الذئاب واخذت تعوي هي الاخرى كما لو كانت فرقة موسيقية. وبعد ذلك انفصل الذئب الأسود عنها واضطجع أرضاً. ذلك كان قراره: ان يرتاد الصيد بمفرده من الآن فصاعداً. وستكون طرائده الفئران، وسوف يغدو اعجف الجسم. الا انه لن يعدم البقاء.

وعلى اثر انفصال الذئب الأسود باتت عمليات الصيد تستغرق وقتاً أطول. ووجدت الذئبة نفسها تلجأ الى ابعد حدود الصبر، وقد ألح عليها التهاب اذنها من جراء تلك البزرة اللعينة. وأخذت تتعثر اكثر من السابق وعلى حين غرة.

صيف وشتاء — اخيراً جاء فصل الصيف بأيامه المشرقة طوال ٢٤ ساعة. ووضعت اناث الأيائل أربعين الف جرو في مراعي استيلادها. ومع ازدياد الطعام من توت بري وبيض وارانب وطيور وجرذان وجراء ايائل. وجدت الذئاب ان في امكانها العمل المنفرد خارج القطيع.

غير ان الصيف القطبي يدوم نحو اربعين يوماً، يصير بعدها الاستعداد للعودة الى اراضي الشتاء. وهكذا حان الوقت للذئبة لاستعادة قيادتها او للتخلي عنها.

وذات مساء اخترق وقع الحوافر سجف الظلام... ها هي الايائل تجمع نفسها للعودة جنوباً.

وبعد يومين اصطادت الذئاب واحداً من تلك الايائل بعيداً عن قيادة الذئبة التي اخذت تمشي بتثاقل. وما لبثت ان سقطت عن مرتفع وصدمت رأسها بصخر في بركة وسط السهول القطبية. وغرقت احدى عينيها بالدم، الا انها سمعت صرير اسنان الذئاب وهي تأكل. ونهضت واتجهت بمشقة نحو قطيعها. وما ان بلغت جيفة الأيل حتى كفت الذئاب عن الأكل ونظرت اليها بهدوء وقد اشارت بأنوفها نحوها. وجعلها عداء افراد القطيع تشعر انها منبوذة. لكنها لم تتوقف عن التقدم. وكلما تقدمت خطوة ازداد بأسها.

ووقفت كبرى الذئبتين الاخريين واعترضت طريقها نحو الجيفة. واحتك الخطمان وارتجف الجسدان وجمجمت الانثى الاخرى. وانضم الذئب الرابع بهديره ثم الصغير المحول، وبات الضجيج يأتي كما من فم واحد. ورفع كل ذيله ووقف يحدّق الى الذئبة متحدياً سلطانها... ترى أيكون هذا حكماً بالموت؟

الا انها استعادت توازنها وصفاء عينيها كأن شيئاً لم يكن. لقد تغلبت على بزرة النبات التي لن تلبث حتى تذوب في جسمها.

وتحلقت الجماعة حولها واحدا واحداً. اتحارب الانثى التي اعترضتها وتعرّض حياتها للموت، ام تحل المسألة على نحو آخر؟ انه أمر ينبغي ان تبته سريعاً، قبل فوات الأوان.

وكانت منها التفاتة الى الذئب الرابع الأكثر جموحاً. وتفرّست فيه ثم انقضت عليه فجأة وعضته في بلعومه ورمته أرضاً. ثم استدارت نحو

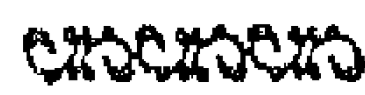
الانثى التي تحدتها وانقضت على قوائمها حتى هوت جريحة على رفيقتها٠

بعد ذلك اخترقت صفوف الذئاب الذكور البالغة وأنزلتها من فوق حيث جيفة الأيل٠ وفي ثوان استعادت هيبتها وعادت تنظر الى افراد قطيعها نظرات قوية واثقة٠ ثم اتجهت نحو الجيفة وأمعنت انيابها فيها٠

وارتفع القمر من المحيط القطبي وسدل فوق القائدة هالة من الجلال٠ وسُمع من الجنوب عواء ذئب منفرد؛ فأدارت الذئبة القائدة رأسها نحو مصدر الصوت؛ ومعها ادارت الذئاب الاخرى رؤوسها٠

ونهضت الذئبة القائدة على قوائمها واخترقت الظلام نحو ذئبها الأسود الوحيد٠

■ فرانكلين رصل



كلب الجزار

كل يوم في طريقي الى عملي أمر بكلب جالس امام حانوت جزار، فينظر اليّ كأنه جائع وحزين٠ وبعد مدة بدأت أدخل الحانوت كل صباح وأشتري كمية من اللحم المفروم مع بعض قطع من العظم وأتركها للكلب٠ وكان الجزار، كلما فعلت ذلك، هز رأسه دونما اكتراث٠

وفي صباح فتحت امرأة متقدمة في السن نافذة منزلها المجاور للحانوت، ونادتني قائلة: "لا شك، أيها الشاب، في انك تعطف على المخلوقات الضعيفة٠ ولكن ما الذي يدفعك الى اطعام كلب الجزار؟"

ر٠ك٠

لياقة دانمركية

يجد المترجمون الفوريون في البرلمان الاوروبي متعة في التحديات اللغوية التي تواجههم أكثر الأحيان٠ ومرة دُهش نائب انكليزي للسرعة التي نُقل بها خطابه الى الدانمركية٠ وعلى رغم قلة العبارات التي استخدمها المترجم، إلا أن المستمعين ضحكوا للنكتة التي ختم بها الخطيب حديثه٠

ولما سُئل المترجم عن الطريقة التي اعتمدها لنقل الخطاب، أقر بأنه لم يفهم معظم ما سمعه٠ إلا أنه قال للمستمعين الدانمركيين إن النائب الانكليزي روى نكتة، ومن اللائق أن يضحكوا٠ ففعلوا٠

صحيفة "أخبار لندن المصورة"

الدراما الاقتصادية

سمعتُ كثيراً عن الفوضى في مكتبة جامعتنا٠ غير أني لم أتحقق من ذلك إلا عندما طلبتُ أخيراً كتاب "الدراما الآسيوية" الذي نال عليه مؤلفه غونار ميردال جائزة نوبل للاقتصاد، فوجدته في قسم الدراما٠

ر٠ل٠

طعم طبيعي لايقاوم



كريم يسعد الآلاف

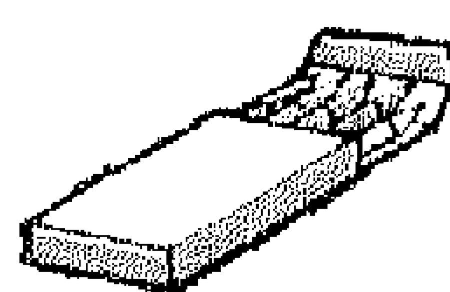
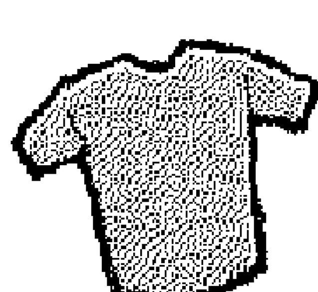
ترقبوا كريم وهداياه تقدمه

فرانس ليه

يسعد فرانس ليه أن تعرفكم على كريم.
انتظروا قدوم كريم إلى المملكة العربية السعودية
ومتى شاهدتموه تحصلون منه على هديتكم،
إذ أنه سوف يقدم آلاف الهدايا للكبار والصغار
لاتنسوا هدية الصحة في حليب فرانس ليه.

الملايين تنعم مع
فرانس ليه



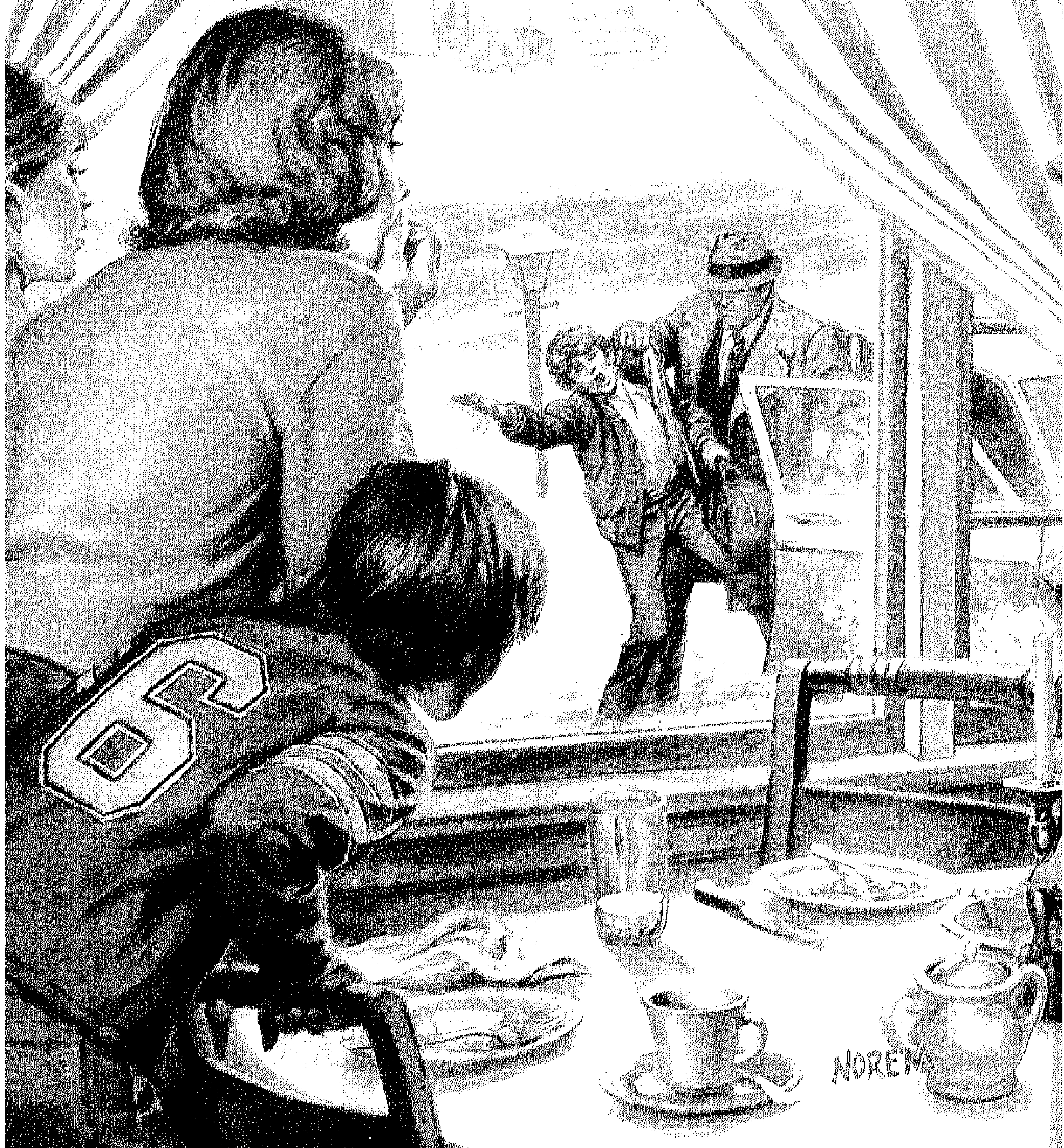




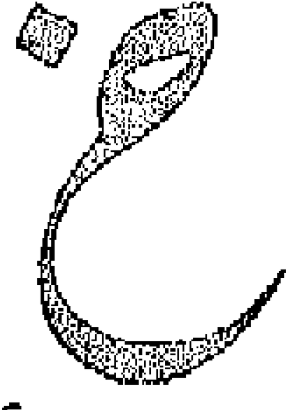



كتاب الشهر

ليس بالحب وحده

بقلم: سوزان هولت بورتر





خبأ الفتى وحشته وأساه خلف ظاهر عنيف معاند، وإذ لم يكن له أب ولا أصدقاء، شعر أن أمه لا تحبه، وهكذا صب جام غضبه على عالم معاد لم يكف عن معاقبته.

وفي هذه الرواية الصادقة لصراع عائلتها من أجل البقاء، تخبرنا الكاتبة قصة الفتى الذي لم يستطع النمو والأم التي، في إحدى مراحل حياتها، فقدت موهبة الادراك والتمييز، ومحاولتها الجاهدة هي وأفراد عائلتها لايجاد منفذ يضعهم خارج ذلك النفق المظلم.

ما أن انعطفنا عن الطريق المفروشة بالحصى حتى أخذ يزعق: "لا، أريد الذهاب. ليس في إمكانك أن تصنعيني من جديد. وأقسم أني سأهرب وأنتحر."

ولما بلغنا مدخل البناية ذات الآجرّ الاحمر، داس زوجي كابح سيارته بسرعة وأطلق الزمور. وكنا خابرنا الادارة قبل مغادرتنا المنزل، ولا بدّ من أن المسؤولين ينتظروننا. وأسرع شابان قويا البنية من الباب الامامي نحو سيارتنا. وما زال بادي، ابني الغاضب، غارقاً في نوبة بكاء. وأمسك يديّ على نحو يرثى له وقال: "كلا يا امي، أرجوك، لا تتركيني هنا. وأعاهدك أن أكون عند حسن ظنك...لا، يا امي، أرجوك."

وفتح الشابان باب السيارة الخلفي وسحبا بادي وجرّاه داخل البناية.

واقتربت امرأة طويلة رمادية الشعر في مطلع الستينات من عمرها. إنها السيدة تابور التي سبق أن قابلناها حين وقعنا الاوراق. وبادرتنا: "حسناً! تذكرا أنكما تأتيان به الى هذا المكان لأنه يحتاج الى أن يكون هنا. اذهبا الى البيت الآن."

غير أني بقيت أسمع صراخ ابني بعد اختفاء السيدة تابور داخل البناية. ترى كيف يسعني أن أترك ابني ـ أجل، ابني بالذات ـ في مؤسسة لرعاية المراهقين المضطربين نفسياً؟ لقد قدّر الاطباء أن فترة علاجه تستغرق ١٨ شهراً. وتردّدت كلمات طبيب في ذهني: "اضطراب من نوع عصبي... علاقات عائلية سلبية."

يا إلهي! أيكون ذلك الطبيب على حق؟ أتراه الحب لا يكفي وحده؟

وتلاشى الصراخ. وبقيتُ وزوجي وحيدين في الفناء المعشب المحيط بمؤسسة الفتيان. وقال دك: "لقد حان الوقت يا سوزان للعودة الى البيت."

وعدنا أدراجنا بصمت. وعلى الطريق رحت أُفكر في وضعي الحرج. لقد أخفقتُ في تربية أولادي، الامر الذي ولد لديّ الحيرة والغضب ومشاعر الذنب. وكان الدكتور جورج كروبر، الطبيب النفسي المسؤول في تلك المؤسسة، قال لي: "ابنك بادي في الثالثة عشرة جسدياً. لكنّ سنه الحقيقية، أي النفسية، لا تتجاوز السابعة. وهي تقف هناك، على حافة الخطر. وما لم تساعديه في تجاوز وضعه، فلسوف يلازم ذلك المكان طوال أيامه."

سبع سنوات؟ كان بادي في السابعة عندما مات أبوه...

وقطع حبل أفكاري كلام دك: "لقد وصلنا الى المنزل." وبعد وضعه السيارة في المرأب أضاف: "ألن تدخلي؟"

وقلت: "انتظر دقيقة." وأخرجت رأسي من النافذة ليلفحني هواء المرأب المشبع بالرطوبة والحرارة. وأغرقتني الذكريات وحملتني الى زمان مضى.

كان الفصل صيفاً آنذاك. إلا أن النسائم الآتية من الساحل الشرقي للولايات المتحدة لطفت حدّة الشمس قليلا. وذهب زوجي بول مع أصدقائه في مركب شراعي، فيما أخذتُ الاولاد الى حديقة للحيوان. ولما

عدتُ الى المنزل وجدتُ رجال الشرطة في انتظاري. وللحال أخبروني عن الحادث: لقد غرق بول، إلا أنهم لم يعثروا على جثته.

كنتُ في التاسعة والعشرين آنذاك. غير أني لم أختبر العيش بمفردي على الاطلاق. فقد نشأت في كنف عائلتي التي تركتها لأذهب الى الجامعة، ومنها الى منزلي الزوجي. وكان بول شق طريقه في عالم التجارة والاعمال. وطوال عشر سنين كنتُ زوجة سعيدة وربة منزل وأُماً.

وكان بادي ولدنا الاوسط، وهو جاء بعد سنتين من ولادة اخته كاتي. وكان طفلا رائع الجمال، ذا عينين زرقاوين كبيرتين وغمازتين في خديه وشعر معقوص. وأحبه بول حباً لا يوصف. وحين ولد تومي بعد سنتين أحبه والده هو أيضاً. وأذكر حين كنا جالسين في الفناء المشمس ذات عصر فبادرني بول: "ثمة أمر غريب في بادي يجعلني أظن أنه سوف يعاني مشكلات خلال نموه. إنه مفرط الحساسية. وهناك شعور خاص يشدني إليه."

وطمأنني تعلق بول به، لأني أدركت أن لولدنا بادي أحياناً حاجات لا أعرف كيف احققها.

أما كاتي فكان إدراك مشاعرها سهلا، وأمدتني تربيتها ببهجة كبيرة. وكان الصغير تومي يحتاج الى عناية خاصة. وقبل أشهر من حديثنا في فناء المنزل، عرفنا أنه شديد الحساسية وبطيء الاستيعاب. لذلك كله سرني أن يرفع بول عن كاهلي بعض مسؤولية بادي.

إلا ان وفاة بول المفاجئة أحالت جميع المسؤوليات علي، من غير أن يكون لديّ الوقت الكافي لتدبر كل أمر بمفرده. واستأنفتُ دروسي الجامعية بعد ترملي لاتمام درجة البكالوريوس والحصول على الماجستير. وكان المبلغ الذي خلفه تأمين بول على حياته كافياً لاعالتنا. لكني أدركت أنه لا بدّ لي من العمل عاجلا أم آجلا.

واستغرقت دراستي سنوات ثلاثاً لا أستطيع تذكرها اليوم إلا من خلال غشاوة. وحاولت التعويض لأولادي عن فقدهم والدهم، فكنت آخذهم الى الخارج وأخيم معهم أحياناً في الطبيعة الجميلة. غير أن كاتي تذكرني كيف كنت ألجأ غالباً الى إغلاق باب غرفتي لكي أدرس، فيما هم يتناولون العشاء وحدهم وسط نور ضئيل يأتيهم من جهاز التلفزيون.

ولا أذكر حسناً من تلك المرحلة سوى تومي الذي بدا أكثرهم حزناً على أبيه. وكان يمكث ساعات ومعه آلة هاتف صغيرة حمراء، ويتظاهر أنه يحادث ربان سفينة. وبعد ذلك يأتيني قائلا: "لقد تكلمت مع القبطان، وفي رأيه أن أبي لم يغرق وانه لن يلبث أن يعود إلينا."

لكن الاسابيع مرّت ولم يعد بول الى البيت وذات يوم ارتمى تومي بين ذراعي باكياً وهو يقول: "إنه لن يعود البتة... أليس كذلك؟ إنه تحت الماء، في القاع، مع السمك. وسيبقى هناك الى دهر الداهرين."

وبعد ذلك كنا نبكي ونشهق معاً.

وكانت كاتي تبكي أيضاً. لكن

طبيعتها القوية الواقعية أعانتها على التسليم بالامر والرضوخ. أما بادي فلم يظهر عليه الحزن أبداً. وذلك أزعجني، بل أغاظني، لأنه كان ولد أبيه المفضل. ولم يدر في خلدي أن أفتك الحزن دفينه.

وأهلتني درجة الماجستير في إدارة الاعمال للحصول على وظيفة لدى شركة في الوسط الغربي من الولايات المتحدة. وقبلت العرض ببعض خشية.

وبينما نحن نشق طريقنا في السيارة وسط حقول الفول والذرة، راح الاولاد يحدقون بأعين ملؤها الدهشة الى المناظر التي تختلف تماماً عما عهدوه على الساحل الشرقي.

وقال تومي: "لا أدري إن كنت سأحب هذا المكان... أين هو البحر؟"

وأجبته: "ليس من بحر هنا على الاطلاق. لكن هناك بحيرات كثيرة، وجياداً كذلك."

ولم يقل بادي شيئاً حتى بلغنا منزلنا الجديد في المدينة، وهو مؤلف من ثلاث غرف نوم ومتاخم لثلاثة منازل اخرى مشابهة. وهرع الاولاد الى الداخل طلباً للراحة والاستقرار. غير أني لمحت بادي ينظر بكآبة من نافذة غرفة النوم في الطبقة العليا. وسألته: "ما الامر يا بادي؟"

ونظر إليّ بهدوء وقد أخفى حزناً كبيراً خلف وجهه وسنيه العشر، وأجاب: "ما الذي اخبره للناس في هذا المكان عن أبي؟"

ولهنيهة حرت جواباً. وأخيراً قلت: "أخبرهم أن أباك مات، وكفى."

ونظر من النافذة مرة اخرى وقال بصوت بارد: "إني أكره هذا المكان."

المنبوذون

بعيد انتقالنا الى هناك وجد تومي وكاتي أصدقاء لهما بين أولاد الجيرة. لكني سمعت أن بادي أمضى معظم وقته في شجار، وحتى في قتال، مع الاولاد الاصغر منه سناً. وبعد مضيّ شهرين على انتقالنا، اقتربت مني جارة اسمها ماري هاموند وأنا أترجل من سيارتي بعد العمل. وبدا الغضب في صوتها وهي تقول: "ابنك الكبير الفظ ضرب ابنتي ليزا اليوم وأذاها."

ـ أصحيح ما تقولين؟ أتظنين أن ابني بادي يجهل قواعد اللياقة؟

"دعيني أصارحك يا سوزان بأن ابنك يقدم على امور كثيرة لا تحلّ له. وإذا مكثت وقتاً أطول في المنزل، فستتأكدين من ذلك."

وشعرت بالدم يصعد الى وجهي. وراودني إحساس بالذنب لتركي أولادي وحدهم بعد المدرسة. ودخلت المنزل لأجد غرفة الجلوس متسخة كالعادة، وقد بعثرت فيها أدوات الاولاد من علب طعام وكتب مدرسية وتفاحة نصف مأكولة والعاب تومي ومقص كاتي. وكان التلفزيون يزعق بحيث لم يلاحظ أحدهم دخولي.

ورفعت صوتي فوق الضجيج المقيت لأقول: "ما الذي يحدث هنا؟"

وقفز تومي على قدميه وسأل: "ماذا سنأكل للعشاء يا امي؟"

ـ لا أصدّق ما أراه حولي... لماذا لا تنظفون الغرفة أولا؟

ونظر بادي إلي وقال: "إني أرفض ما تقولين. والاجدى أن تطلبي من كاتي وتومي إزالة الاوساخ التي خلفاها."

وأكملت عنه الكلام: "...بينما تخرج أنت لتبحث عمن تضربه؟"

وأردف بادي: "إني لم أضرب ليزا ضرباً مبرحاً، بل خفيفاً. فهي سخرت من الخصل في شعري ونعتتني بالمخنث."

- اسمع يا بادي: الصبيان لا يضربون البنات. أسرع الى غرفتك، ولكن بعد إنجاز قسطك من الترتيب.

لكنه قال: "الافضل أن ترتبي أنت امورك." وأسرع من أمامي نحو الباب الرئيسي، وصفعه بقوة وهو يركض الى الخارج.

وغاب عشرين دقيقة. ولما عاد وجدت أن غيظي ما زال يغلي في أحشائي. فقلت له ببرود وقد تجاهلت التوسل في وجهه: "إنك صاحب مشاكل. اذهب وتناول الطعام في غرفتك." ووقفنا برهة طويلة يحدق واحدنا الى الآخر. ثم صعد بادي الى غرفته وهو يرفس الارض بخطاه. وسمعته يتمتم شيئاً فسألته: "ماذا قلت؟"

- لقد قلت انك ام تافهة، واني أتمنى أن تموتي وتتبعي أبي.

وخُيل إلي إذ ذاك أني غدوت مع ابني بادي على قمة تلة، وان الطريق الوحيدة أمامنا هي الانزلاق نزولا.

لم ينقض اسبوعان حتى أخبرني اختصاصي بالجراحة التقويمية تولى فحص كاتي أن لديها انحرافاً جانبياً في العمود الفقري. وراودني البكاء حين عرفت ماذا يستتبع هذا الامر. فقد تعين أن تلبس ابنتي وثاقاً من العنق حتى الوركين ليبقى ظهرها مستقيماً ورأسها مرفوعاً، وأن تبقى على هذا النحو ٢٢ ساعة يومياً طوال سنتين.

وبعد عيد الميلاد بدا أن أشهر الشتاء التي قيدتنا وقتاً أطول داخل المنزل زادت من حدّة الشجار. كما زاد عدد المخابرات الهاتفية التي جاءتني من ام غاضبة أو من أب عاتب. وقالت مديرة المدرسة التي يرتادها بادي: "إن ابنك يبدو غاضباً على نحو غير معقول. أما فكرت في طلب المساعدة؟"

- صحيح أن ولدي حادّ الطبع. لكن هذا لا يعني أنه يجب أن يحال على طبيب نفسي أو مستشفى مجانين!

"اسمعي يا سيدة هولت... إني لم أقصد ما تقولين على الاطلاق."

غير اني تعاميت عن طلبها ولم أسمع من كلامها سوى الجانب الاتهامي. ترى لماذا عجزت عن كبح جماح بادي؟ وتولاني الغيظ وجن جنوني من ذلك الفتى، ومن ذاتي، ومن مديرة المدرسة... وحتى من زوجي بول لأنه مات. ومع المساء ازداد غيظي. وما أن بلغت المنزل حتى فتحت الباب بقوة. وإذا بي، مرة اخرى، في غرفة جلوس مقلوبة رأساً على عقب.

وصرخت بأعلى صوتي: "بادي... تعال الى هنا."

وقال: "ما الامر يا امي؟"

وشددت ذراعه ودفعته نحو خزانة البهو. وهناك قلت له: "لقد جاءتني

مخابرة اخرى من مدرستك• وأجدني الآن مضطرة الى فعل شيء لم أفعله طوال أشهر•" وظللت متمسكة بذراعه فيما أنا أسحب حزاماً جلدياً قديماً من الخزانة• وقلت له: "ربما كان العنف طريقة لتعليمك اجتناب المشاكل•"

وصرخت كاتي وتومي: "لا يا امي، لا تضربيه•"

أما أنا فقلت: "لا تتحرك يا بادي، بل انحن قليلا•"

وتابع الآخران: "لا يا امي، لا تضربيه•"

وأخذ يقفز ويصرخ، بينما حاول أخوه واخته تهدئتي والتوسل إلي لئلا أضربه• غير أني لم أسمع منهما• وعلى رغم عدم قوة ضرباتي فان نوبة بكائه اللاهثة اخافتنا جميعاً•

ورفعت يدي عن بادي فأسرع الى غرفته• ودخلت أنا غرفتي ورحت أشهق وأبكي• وراودني شعور باليأس وقد أحسست أن عائلتي أفلتت من قبضتي• ولم أعرف ماذا أفعل• وسجلت اسمي في دورة من ثمانية أسابيع حول أساليب التربية البيتية• وفي تلك الاثناء صادفت دك بورتر• وكان دك مطلقاً، لكنه أحب ولديه اللذين يكبران أولادي• وبقي الولدان في رعاية امهما• وأخذ دك يتردد على منزلنا حتى بات واحداً منا• وساعد تومي في تصميم الطائرات الورقية• ووعد كاتي بأن يجد لها كلباً صغيراً حددت أوصافه• وغالباً ما كان يراقب بادي وهو يمارس لعبة البيسبول (كرة القاعدة)•

وذات يوم من صيفنا الثاني في الوسط الغربي كان بادي يمسك المضرب وهو يلعب البيسبول• وراح دك يراقبه فيما تبعه زميله ليعلمه، بتهذيب، أنه خرق أصول اللعبة• ووقف بادي مسعوراً وهو يكاد يقحم رأس زميله في الارض•

وقال لي دك لاحقاً: "لم أر فتى على هذا المقدار من الغضب• والواقع أن أسباب غضبه تتجاوز البيسبول• إنه غيظ في الاعماق•••ألم تفكري البتة في•••"

- إياك أن تتابع كلامك•

"حسناً إذاً• لنقطع الحديث•"

وكان يفصل عيد ميلاد بادي الثاني عشر بضعة أسابيع عن ذلك الوقت• وقلت له: "ما رأيك في الاحتفال بعيدك؟ يمكنك أن تدعو ستة أصدقاء الى البيتزا والمثلجات•"

وفجأة برزت ابتسامة على وجهه مكان العبوس• وأشرقت عيناه الزرقاوان• وأمكنني، لهنيهة، أن أرى فيه الطفل السعيد ذا الشعر المعقوص الذي ابتهجت به يوماً•

وأجاب: "فكرة عظيمة•"

وبلغت المنزل مع دك يوم عيد بادي بـُعَيد الخامسة• وما أن دخلنا حتى شعرت أن ثمة خطأ في الامر• وكان بادي واقفاً وحده وسط غرفة الجلوس وهو، على رغم بنيته القوية وسنيه الاثنتي عشرة، على وشك البكاء• وتبين أن أحداً من الفتية الستة الذين دعاهم رفض أن يلبي دعوته• ووقفنا بعض الوقت لا ندري ما نفعل• ثم قطع بادي حبل الصمت بقوله: "يا لهم من صبية أغبياء••• لماذا جئت بنا الى هذا المكان يا أمي؟"

ـ أرجوك يا بادي، لا تصب غضبك علي.

"ألا ترين خطأك؟ إني اريد العودة الى كونتيكت."

ـ اهدأ قليلا يا بادي!

"اذهبي الى الجحيم."

وهنا تنهدت كاتي وقالت: "لماذا لا نقر" بالحقيقة؟ لقد غدونا أهل الجيرة المنبوذين الذين لا يدنو منهم أحد."

وهممت بالاعتراض. لكني أدركت صحة كلامها. إلا أن بادي كان شريكي في المسؤولية. وكانت مديرة المجمع السكني خابرتني تشكو أمره إلي. وأحسست أن بادي غدا فاعل شر بارادته، وانه عقد العزم على تنغيص حياتي. والواقع أني عجزت عن رؤية الولد الذي يستر وحشته خلف قناع خارجي من الغيظ.

كوابيس

حان عيد الاستقلال في الرابع من يوليو (تموز) بعدما انتظره فتية الجيرة طويلا. وكان المساء رائقاً يحلو فيه الجلوس على الشرفة ومشاهدة الالعاب النارية. وراح الاحداث يشعلون القضبان التي تستحيل نارها نجوماً.

وفجأة دوّى انفجار اهتز له الحي، وتبعته صيحات كثيرة. ويبدو أن أتراب بادي شجعوه على نسف انبوب لتصريف المياه بوضع مفرقعة ضخمة داخله. وسرعان ما وجدتني محاطة بالاهل الغاضبين وهم يقولون: "ألا تعرفين خطر الالعاب النارية؟ ألا تستطيعين ضبط إبنك؟ أتعجزين عن ذلك حتى لمرة واحدة؟"

وانتابني الخجل، وسحبت بادي الى المنزل وأشرت عليه بالذهاب الى سريره حالا.

غير أن المسألة لم تنته عند ذلك الحد. ففي اليوم التالي قرعت مديرة المجمع الباب وبادرتني: "الواقع أن مساء أمس حمل معه القشة التي قصمت ظهر البعير. لقد تعطل ابنوب تصريف الماء بسبب ابنك."

ولم أستطع الاخذ والعطاء معها. فقد أصدرت إدارة المجمع قراراً بطردنا من هناك وأحسست خجلا يتجاوز طاقتي.

وهكذا انتقلنا الى مكان آخر. ومن حسن الحظ أني عثرت على منزل في جوار المدرسة نفسها. وساعدنا دك على الانتقال. وعرض علي، ونحن على الطريق، فكرة الزواج. وأغراني الامر، إذ عنى أننا سنعود عائلة من جديد. ألا يحتاج بادي الى أب أكثر من حاجته الى طبيب أو مرشد نفسي؟ لقد جاءه الاب أخيراً.

إلا أن دور الابوة، كما فهمه دك، كان ينطوي على مقدار كبير من الصرامة. وبعيد زواجنا عبر عن تذمره من بادي قائلا: "إن بادي يريد شخصاً يمنحه الهدايا على الدوام ولا يسأله شيئاً. غير أني لست حامل الهدايا السحري يا سوزان."

في تلك الاثناء كنت حصلت على وظيفة جديدة كمديرة في شركة. وكان الراتب حسناً، لكن العمل مرهق. وفي الوقت نفسه أعلن مدير شركة دك إفلاسه. وهكذا وجد زوجي نفسه يبحث عن عمل جديد. وعلى رغم هذا كله استمرت المشاحنات مع

بادي. وغدت امسياتنا في البيت أشبه بالكوابيس.

فما أن نباشر العشاء حتى يقول له دك: "ضع المنديل على حضنك يا بادي. أتظن أنك حيوان في حظيرة؟ لماذا تضع رأسك في الصحن؟ ألا تعرف شيئاً من الآداب العامة واللياقة؟"

وكان بادي يستحق تلك الملاحظات. غير أن انتقاد دك له ولد لديه الاشمئزاز والتحدي. وغالباً ما كان يجيبه: "إنك لست أبي. أنت الرجل الذي تزوج امي. ومن حقي التام ألا أسمع كلامك."

وطالما قلت له: "لا يجوز يا بادي أن تخاطب دك على هذا النحو."

لكنه كان يجيب: "قولي له ألا ينتقدني، وكفى."

وتنبري كاتي لتقول: "لم أعد أتحمل. إن كل ما نفعله في هذا البيت هو الجدل والعراك."

واستمر الوضع على ذلك المنوال. وكان للشجار الدائم أثر سلبي في جميع أفراد العائلة وازداد حنقي على ولدي.

وبدأنا نتلقى المخابرات من المدرسة التكميلية التي شكت إدارتها تدني علامات بادي. وباشر التدخين متجاهلا احتجاجاتنا. وتساءلنا عما إذا كان يتعاطى الماريوانا أيضاً. وأخيراً اقتنعت بأننا نحتاج الى مساعدة من الخارج.

واتصلنا بالدكتور ستيفن برو، وهو شخص أجلح طويل القامة يبدو أقرب الى سائق الشاحنة منه الى الاختصاصي بعلم النفس المتعلق بالاحداث. لكنه عرفَ جيداً كيف يخاطب مرضاه. وأخبرنا أن بادي مفعم بالغيظ: "لقد عاقبة الله، أولا، بأخذ والده. وهذا يعوق علاقته الطبيعية مع دك. ثم انه ولد كرهاً تجاهك، أنت أمه بالذات. لقد نقلته عنوة الى الوسط الجنوبي من البلاد، حيث لا أحد يعرف شيئاً عن أبيه وحيث لا أصدقاء له، علماً أنك تقضين معظم الوقت في العمل. غير أنك في الوقت نفسه امه، وهو يكن لك حباً جماً، لكنه حب يخالطه خوف عظيم. فهو يشعر أنك لا تجبينه حقاً. وهو فقد أحد والديه. فماذا يحصل اذا فقد الآخر؟ هل فكرت في ما يمكن أن يحدث له داخلياً اذا قضيت أنت أيضاً؟"

وبعدما سمعت كلماته شعرت بالشفقة على ابني.

وحملت تلك السنة بعض تحسن في علامات بادي المدرسية. واشترك في فريق كرة القدم المدرسي. وحصل على وظيفة لتوزيع الصحف في اوقات فراغه. كما كوّن صداقة خاصة مع جارتنا السيدة وينفريد شيهان، وهي أرملة بدينة في الستين من عمرها. وربما ذكرت بادي بجدته. وغالباً ما كان يزورها بعد المدرسة، ويتحادثان فيما هي تحضر الحلوى. وسرني ذلك الامر، ووددت لو تمنح بادي ما لا يمكنني أن أمنحه إياه.

لكنه، كلما حقق خطوة الى الامام، كان يتقهقر اثنتين. وازداد الخصام في البيت. وضبط مرة وهو يحاول سرقة بعض السلع من أحد المحلات.

وجاء الصيف ومعه المدرسة

لصيفية. وكان عليه ارتيادها إذا هو شاء الترفع في الصف. وكان ابتاع دراجة بما ادّخره من بيع الصحف، وقرّر أن يذهب عليها الى المدرسة التي تبعد عن منزلنا عشرة كيلومترات. وهنأناه على مبادرته.

وبدت معنوياته مرتفعة خلال اليوم الاول من المدرسة الصيفية. وقال: "سأحصل على أعلى علامة."

وتجمع التلاميذ لافتتاح الدورة الصيفية. وأعلن المدير: "إن قوانيننا سهلة. إلا أن ثمة أمراً لا نسمح به البتة، وهو التدخين في المدرسة. فهذا يعني الطرد."

وبعد ثلاثة أيام مشى بادي مختالا نحو المدير وفي فمه سيجارة.

ولما شكي أمره صرخت في وجهه: "لماذا؟ لماذا تضع نفسك في هذه المآزق؟ لو كان والدك حيا، لما أحبك كما أنت اليوم."

أما هو فصرخ قائلا: "فليذهب أبي الى الجحيم. ألا يعرف أنه كان ينبغي ألا يموت؟" وأسرع خارج الغرفة.

وبعيد ذلك جاء حفيد جارتنا السيدة شيهان لزيارتها. وهكذا وجدت الجارة نفسها منشغلة بولد آخر. ولم يعرف أحد مقدار الاضطراب الذي أصاب بادي لشعوره أنه ترك وحده.

وكان ذهني متجهاً نحو امور اخرى ذلك الصباح الحارّ من شهر يوليو (تموز) وأنا ذاهبة الى السيارة. وفجأة لاحت لي ظلال من الالوان. ونظرت جيداً لارى بقعاً من الطلاء الاحمر متناثرة على سيارة السيدة شيهان وقد أتى الحريق على صندوقها البريدي وتناثرت أوراق المراحيض من الاشجار أمام منزلها. وقلت لنفسي: "لا، ليس بادي من فعل هذا." غير أني كنت واثقة من أنه اقترف تلك الاعمال."

وفي ذلك اليوم نفسه اقترح الدكتور برو وضع بادي في بيت خاص بالاحداث المضطربين.

شعور بالذنب

وقفت مع دك في الممر الاصفر الكئيب خارج مكتب السيدة تابور. وكانت تلك زيارتنا الاولى بعد أخذ بادي الى هناك. وخالجني شعور بالذنب والكآبة.

وكانت تلك المؤسسة تضم نحو ستين فتى بين الثانية عشرة والثامنة عشرة. وهي لم تكن بالمصح العقلي، إذ ان أحداً من اولئك الاحداث لم تنقطع صلته بالواقع. غير أنه كان مكاناً يهيمن عليه الالم النفسي العميق. وقد راودت اولئك الفتيان مشاعر الغضب والرفض من الآخرين وعدم تقدير الذات. وفي معظم الحالات كان الكيان العائلي منهاراً.

وفتح باب المكتب ودعتنا السيدة تابور الى الداخل. وهي كانت طويلة ومليئة العظم ورمادية الشعر، وعملت مع الاحداث المضطربين مدة تتجاوز العشرين عاماً. وقد وصفها بادي لاحقاً بأنها "عجوز صارمة". والحق أن صرامتها لم تكن خالية من الحب.

في تلك الزيارة الاولى لم يسمح لنا أن نرى بادي. وتناولت بيدين مرتجفتين الرسالة التي كتبها إلي: "امي العزيزة. إني أمقت هذا

المكان. وأنت وعدتني باخراجي منه إذا لم احبه. لذلك أتوسل إليك أن تخرجيني من هنا. مع محبتي، بادي... لكني أحجب هذه المحبة إذا أنت أبقيتني هنا."

قرأت ذلك ورفعت نظري الى السيدة تابور التي قالت: "على رغم ما قرأت، فاننا قانعون بما أنجزه بادي حتى الآن. إن ابنك في المكان الملائم.. تذكري هذا الكلام."

وهكذا استهللنا طريقة حياة جديدة منطلقة من بيت الاحداث. وكنا أيام الثلثاء نقابل السيدة تابور، وأيام الاربعاء يجتمع الاهل في رعاية الدكتور كروبر حول طاولة مستديرة في غرفة الطعام. وكان الاستاذ الجامعي آرت ليمان وزوجته بيتي يجلسان على ناحية من الطاولة، وقد ارتدى آرت ثياباً خفيفة ووضع نظارتين على وجهه المتقد ذكاء. وبدت زوجته كالباحثين أيضاً، لكنها كانت خجولة جداً.

وعلى النقيض منهما كان هاري ستاكر وزوجته كورا. فقد بدا هاري مثل أبطال الرسوم الساخرة، فيما بدت زوجته، وقد نتأ فمها الخالي من الاسنان خارج وجهها الممتلىء، مدعاة الى الضحك. وهي لم تكترث لذلك، بل قالت بدعابة: "اني أدخر المال لشراء أسنان."

واكتملت المجموعة بآخرين هما هوارد بوينتون وزوجته ميلي. وبدا هوارد بكرشه المنتفخ وبذلته المؤلفة من قطع ثلاث مثل مديري الشركات، بينما بدت ميلي ربة منزل تقليدية.

وقال الدكتور كروبر: "حسناً. كيف كانت زيارتكما خلال نهاية الاسبوع يا كورا؟".

وابتسمت كورا وأجابت: "انها تمت على خير وجه. أليس هكذا يا هاري؟ لقد عانق هاري ولدنا بنجي وهو يودعه."

وانبرى هاري قائلا: "لقد وددتُ دائماً ان يعانقني أبي، لكنه لم يفعل. ولم اعرف ابداً اني حرمت ابني هذا العطف ايضاً."

تكلم الكلّ ذلك المساء، ما عدا ثلاثة هم دك وأنا وهوارد بوينتون الذي تسمر في مقعده وشبك ذراعيه حول صدره وقد بدا على وجهه شيء من الامتعاض. وفي نهاية الجلسة نظرت اليّ كورا. وشاع من بسمتها العطف على رغم خلوّ فمها من الاسنان. وسألتني: "ما عمر ابنكِ يا سوزان؟"

وشعرت أعين الجالسين جميعاً متجهة نحوي. وتملكني شعور بالاختناق. وبينما انا أتنفس اجاب دك عني: "ثلاث عشرة سنة."

وأضافت كورا: "هذا مكان حسن. وأظنّ أنكما ستقدران خدمته، كما نقدرها أنا وهاري."

وفجأة لم أعد أتحمل المزيد. ترى ما الذي أفعله هنا؟ لقد ربيتُ على أن أفعل كل أمر كأفضل ما ينبغي. وبذلتُ جهدي كله في تربية أولادي. غير أن الكل يقول اني كنت اماً مخفقة. وانتابني شعور فادح بالذنب. ورفعت شعري عن وجهي وأسرعت خارج الغرفة. ووجدني دك أنتهد على حائط الممر الاصفر.

وأظن ان الانقباض أخذ طريقه

اليّ منذ ذلك الحين، أو ربما طفا الى السطح آنذاك. وبقيتُ اسابيع لا أستطيع النهوض من السرير صباحاً كالمعتاد. وفي المكتب كنت أضع قوائم المبيعات أمامي وأنا لا أقوى على تركيز أفكاري. وكنت أذهب الى السرير قبل العشاء وأنام نوماً عميقاً من غير أحلام، لأستيقظ في الصباح كما لو كنت تحت تأثير مخدر قوي.

وبعد حين استعدت نشاطي. وأعانني الدكتور كروبر. وفي أحد لقاءاتنا قال: "صدقوني، لقد رأيت العديد من الاهل يضحون بكلّ ما لديهم من غير ان يمكنهم رفع الاضطراب عن ولدهم. ومن الخطأ أن يشعر أحد الوالدين بالذنب اذا وقع ولده ضحية اضطراب نفسي. ومتى تخلص الآباء والامهات والمجتمع من هذا الشعور، استطاع الاولاد المحرومون نفسياً الحصول على مقدار أكبر من العناية."

"صدقوني"، قال الدكتور كروبر.

"اكره كوني أماً"

عاش الصبيان في تلك المؤسسة حياة يحدها النظام من كل جانب. ولم تنقض لحظة واحدة من غير عمل او مراقبة. وكان بادي يجتمع بالسيدة تابور، التي تولت علاجه النفسي، خمس مرات في الاسبوع. أما بقية وقته فقسمت على الدراسة والرياضة والتسلية وتأدية الواجبات اليومية. وأخبرتنا السيدة تابور ان بادي لن يستطيع اختبار مشاعره وأفكاره الحقيقية الا بعد ضبط أمور حياته ضبطاً حسناً.

ومن أجل اعطاء الفتية فكرة ملموسة عن تقدمهم لجأت المؤسسة الى نظام الدرجات. وكان القادم الجديد يبدأ بالدرجة الاولى. وبعد وقت معين كان عليه ان يتقدم بطلب خطي يشرح فيه الاسباب التي تدفعه الى طلب الترقي الى الدرجة الثانية، وهكذا حتى السادسة. وكانت كل درجة تحمل مكافآت. فالفتى في الدرجة الثانية، على سبيل المثال، يستطيع مغادرة المؤسسة في بعض المناسبات. ولكن لا يحق له الذهاب آخر كل اسبوع ما لم يبلغ الدرجة الثالثة. ويحقّ للادارة انزال المرتبة بناء على السلوك.

وقالت لنا السيدة تابور: "نظام الدرجات هذا يتيح لنا أيضاً ان نراقب تطور الفتى. فبقاؤه طويلا في المرتبة نفسها يعني ان على الادارة اعادة النظر في طرائقها أيضاً." وأضافت ان زيارة المنزل ليست مقتصرة على الدرجة. غير انها نبهتنا الى أن بادي لن يسمح له بالخروج قبل ستين يوماً على الاقل، ليزورنا للمرة الاولى.

وصرخت: "هذا وقت طويل! ولكن لا بدّ من أنه يستطيع...".

- اسمعي أيتها السيدة بورتر: لقد كانت الحياة جحيماً بالنسبة الى بادي، كذلك بالنسبة الى عائلته. والحق ان كلا منكم يحتاج الى فسحة للتنفس.

وفي الاسابيع الاولى كتب بادي رسائل كثيرة، لم أتوقع محتواها. قال بعيد رسالته الاولى الغاضبة: "امي الحبيبة، اعذريني على رسالتي

الاخيرة. لقد تكلمت مع مدير المهاجع وقررت البقاء هنا."

وجاء في رسالة اخرى: "امي الحبيبة، انهم يضربونني لامور لم أفعلها. لقد حمل أحدهم السجائر الى غرفتي، لكنهم ظنوا أنني أنا سرقتها. أرجوك ان تعيديني الى المنزل. مع حبي، بادي المجنون."

وبقينا وقتاً، أنا وزوجي، نزور السيدة تابور كل على حدة. ومرة كنا نتكلم عن بادي، فغيرت الموضوع وسألتني: "أتحبين كونك أماً؟"

وقلت لنفسي: "لكم هو سهل ان تنجب المرأة طفلا... لكن تربيته صعبة جداً."

وأجبتها بحدة: "اني أكره كوني أماً. أجل، اني احب اولادي. لكن المسؤوليات التي رافقتني طوال سنين، ومنها التخرج في الجامعة والحصول على وظيفة وارضاء ربّ العمل النيق، لم تترك لي وقتاً كافياً لرعاية الاولاد. واذا شئت معرفة الحقيقة، فاني أكره ان أكون أماً."

وانبرت: "وماذا تودين ان تكوني عوضاً عن ذلك؟".

وابتسمتُ قائلة: "صديقة... اني أفضل ان أكون صديقة لاولادي، فأمرح وألهو معهم."

وقبل أن أتابع كلامي فتح الباب. ووقف بادي هناك. ولم أكن رأيته طوال أسابيع. ووددت لو اسرع نحوه وأعانقه، الا أن شيئاً ما ردعني وأبقاني مكاني. وقلت له: "انك تبدو على ما يرام."

وابتسم وجلس، ثم قال: "السيدة تابور ترى انه يمكنني الذهاب الى البيت ثلاث ساعات يوم الاحد المقبل."

وصححت السيدة تابور كلامه بقولها: "اذا..."

اما هو فأضاف: "اذا استطعتُ بلوغ الدرجة الثانية قبل نهاية الاسبوع."

ـ قصّ على امك الاخبار الاخرى. ماذا عن اسمك؟

"أجل، ان لي اسماً جديداً الآن. والواقع انه اسم قديم... انه بول. ومن الآن فصاعداً أرجو ان أدعى بول."

...بول! انه اسم ابيه كذلك. وقد كنيناه بادي لعدم الالتباس.

وقالت السيدة تابور وهي تبتسم في وجهه: "المسألة رمزية. وهي تشير الى ولادة شخص جديد يثق بنفسه ويعرف كيف يسيطر على غضبه واحساسيه. أليس هكذا يا بول؟"

ـ أجل، اذا كنت تقولين هكذا.

وأخذنا بول الى البيت يوم الاحد. ولما وصلنا أسرع الى الداخل وذهب لتوه الى غرفته. ووقف في الباب دقيقة ثم توجه ببطء نحو سريره ولمسه، كما لمس صورة أبيه وجائزة السباحة التي نالها سابقاً في المخيم الصيفي. وكانت طريقة لمسه تلك الاشياء مؤثرة وأدرت ظهري سريعاً وذهبت الى المطبخ.

وبدا بول مرحاً خلال الغداء. وبعد ذلك جمع اشياءه القليلة واتجهنا نحو الباب. وقال دك: "لننتظر برهة."

ولمس جيوب بول كأنه يبحث عن شيء. فنهره بول قائلا: "ارفع يديك عني. اتظن اني سجين لديك؟"

وأجاب دك: "المعذرة يا بول. اني أبحث عن سجائر."

– انك لم تجد شيئاً اذاً! أرأيت يا امي؟ هذه هي الامور التي يجن جنوني حيالها. ارجوك، يا امي، أرجوك ان تسمحي لي بالبقاء في البيت.

وتملكني شعور بالذنب... هذا ابني، فما الذي نفعله به؟ غير أني هززت رأسي وصعدت الى السيارة.

وفي لقاء العائلات التالي، أراد جميع المشاركين ان نخبرهم عن زيارة بول الاولى الى البيت. وسأل الدكتور كروبر: "هل تمت كل الامور حسناً؟"

وأجاب دك: "ليس بالضبط. لقد فتشت جيوب بول قبل مغادرتنا المنزل بحثاً عن سجائر، مقتدياً بنصيحتك. لكنه عبر عن انزعاجه الشديد من ذلك، كما أزعجني الامر أنا ايضاً."

ونظرت الى دك مندهشة. فقال لي: "لقد تعبت من هذا الدور يا سوزان. ويبدو لي انك تخليت عن دورك في التربية بعد زواجنا."

– كيف تقول هذا؟

"هذا صحيح. وأشعر اني انا المسؤول عن وضع قواعد السلوك العائلي والسهر على حسن تطبيقها. أما أنت فلا تحاولين دعمي. ومعظم الوقت تقفين مع الاولاد ضدي."

– ليس صحيحاً أني تخليت عن واجباتي التربوية، وان صحّ اني أحلت بعضها عليك. فخبرتك كأب تتيح لك ان توفر لاولادي ما حرموه طوال سنوات.

"اذاً، اتركيني العب دور الاب، ولا تحاربيني كل مرة أضع قوانين. ان الاولاد مبلبلون الآن."

وكان ذلك الحوار الاول من نوعه. وتبعته حوارات كثيرة بيني وبين دك في المؤسسة وفي المنزل. وكنا نتناقش حول التربية ونحاول التوصل الى قواعد عملية.

وكانت للآباء والامهات الآخرين مشاكلهم أيضاً. وبدا ان هوارد بوينتون وحده لا يتكلم، بل يغرق في كرسيه بلا حراك. ومرة قال عن ابنه جين انه كسر بعض الاواني.

وذات مساء قلت لزوجي: "صحيح أن عائلتنا تعاني مشاكل، لكن ثمة احتمالا للتغيير. أما هوارد بوينتون فقال ان حال ابنه يائسة. وهذا أمر مؤسف حقاً."

ومدّ دك يده وأمسك يدي وقال: "انها المرة الاولى ألمس التفاؤل في كلامك عنا. أجل، اننا سنتغلب على الشدائد، ومعنا بول."

المواجهة

لمناسبة عيد الشكر في نوفمبر (تشرين الثاني) من ذلك العام سمح لابني بتمضية عطلة الاسبوع الاولى في البيت. وكانت خمسة أشهر مرت منذ ما نام في سريره للمرة الاخيرة.

وحذرتنا السيدة تابور قبل مغادرة المؤسسة: "اذا أبدى بول أقل سلوك غير قويم، فلتقطع زيارته فوراً."

قالت هذا على مسمع بول وهي تنظر اليه بعينين قاسيتين. ثم ابتسمت وعانقته وهي تقول: "اذهب الآن الى البيت واستمتع بزيارتك."

كان ذلك اليوم ملبداً بالغيوم. الا أن بول بدا مرحاً ونحن في طريقنا الى البيت. وما أن وطىء العتبة حتى مد يده الى جيب سرواله وأخرج حقيبة نقود جلدية صغيرة أعطاها لاخته كاتي. وقال بحياء: "هذه هديتي اليك. لقد صنعتها في المشغل."

وأجابت كاتي التي ما زالت في وثاقها بسبب عمودها الفقري: "أشكرك كثيراً يا بول." وحاولت بمشقة ان تعانقه.

وفي ساعة باكرة من صباح الخميس، ولما يكن أحد استيقظ بعد، وجدت بول في غرفة الجلوس وقد لف حراماً فوق ثيابه الداخلية. وقلت له بتعجب: "ما الذي تفعله في هذا الوقت؟ لقد ظننتك نائماً."

ولاحظت جرحاً نفسياً عميقاً في عينيه وهو يقول: "لكم هو جميل ان يكون المرء في بيته." وأنزلني الى الاريكة وضمني بذراعيه وأضاف: "اني احبك يا امي."

وعانقته أنا أيضاً وقلت: "وأنا كذلك يا بول، أنا احبك ايضاً."

وبقيت حرارة تلك البادرة معي طوال النهار. لذلك قلت ونحن نهم بالجلوس حول المائدة لتناول طعام العيد في الساعة الرابعة: "أشكرك يا الهي لانك جمعت شمل هذه العائلة السعيدة."

وكان دك أعدّ المحار البحري، فيما طهوتُ أنا البطاطا الحلوة وجهزت كاتي المائدة بأفضل الاواني. وتمنيت في تلك اللحظة ان يدنو وقت عودة بول النهائية الينا.

وحين جئنا بالحلوى والمثلجات قال: "يا لها من مائدة رائعة! لقد امتلأ بطني."

وقال له تومي بحبور: "لقد غدوت مثل ديك رومي محشو."

واذ ذاك رفعت شعري عن جبيني وقلت "بعد قليل يحين وقت جلي الاواني. فلماذا لا تأخذ نصيبك من العمل يا بول هذا المساء؟"

ونظر اليّ وقد قطب جبينه وقال: "أنا؟ لماذا؟ أنسيت أني ضيف زائر لايام ثلاثة فقط؟"

وانقبضت أعصاب معدتي وقلت: "أتظن أنه امر خارق؟ ان اخاك واختك سيساعدانك وكنت أحسب أن تحمل المسؤولية يروقك."

- هذا ليس عدلاً. فاني لا أعيش معكم. وأنت طردتني من البيت لانك لست معجبة بتصرفاتي.

"هذا غير صحيح. فأنا معجبة بك."

قلت هذا الكلام بصوت خافت، وأنا أدري أني احب ابني، لكني لست معجبة به. وعاودني ذاك الشعور القديم بالذنب.

وللحال انبرى دك قائلا: "أمامك خياران يا بول: إما أن تنظف الاواني وإما ألا تنظفها. إلا أن أي جدل فوق هذا يعني إعادتك الى المؤسسة فوراً. أفهمت؟"

- لا يحق لك أن تعطيني أوامر. انك لست أبي.

"حسناً يا بول، لقد أضعت الفرصة. هيا بنا الى المؤسسة."

وخرّ بول على ركبتيه وهو يبكي، وأمسك هدب ثوبي وقال: "كلا يا امي، لا تدعيه يفعل هذا. وأعدك

بأني سأغسل الصحون. إني أعتذر عما قلته، ولا أدري لماذا حصل ما حصل... أرجوك يا امي، أعطيني فرصة أخرى."

وترددت حيال استعطافه. إلا أن دك قال بحزم: "إنك عائد من حيث أتيت يا بول."

وجفت الدموع في عيني بول للحال. وأسرع نحو غرفته وعاد منها بحقيبته وفي يده سيجارة مشعلة.

وقال له دك: "أحضر سترتك."

فأجابه: "قلت لك ألا تأمرني يا ابن الكلب."

وراح تومي وكاتي ينظران الى دك، وقد ملأ الخوف أعينهما، وهو يجر بول خارجاً الى السيارة. وأدار المحرك وانطلق وسط الجو العاصف.

وقال لي تومي: "ان دك شخص حقير. ألم يعرف أن بول كان على وشك أن يجلي الصحون؟"

ووافقت كاتي قائلة: "أجل، كان ينبغي إعطاؤه فرصة اخرى."

وأقحمت أظافري في راحة يدي... أحق ما تقوله كاتي وتومي؟ أكان يجب أن أمنع إعادة بول الى المؤسسة؟ وغمزني شعور باليأس.

وكانت الايام التي تلت عاصفة بالصراخ. وجعلت من دك كبش المحرقة بعد اقتناعي بخطأ موقفه وندمي على السماح له بتنفيذ وعيده.

وزعقت في وجهه: "الواقع أن الامر لا يهمك البتة. فأنت لست أباه."

وصاح دك فيّ هو الآخر: "إنك لا تحبين ابنك عن طريق الرضوخ له... هذا ليس حبّاً."

– وماذا تعرف عن الحب؟

"بل ماذا تعرفين أنت؟"

وراح واحدنا ينظر الى الآخر فوق هوة من الغضب.

وحان يوم الثلثاء، وذهبت الى مكتب السيدة تابور للقاء بول كالمعتاد. ودُهشت إذ وجدته نادماً. وقال: "اني مسؤول عما حصل. ويؤسفني أن أكون أفسدت هذه المناسبة."

وسألته: "أأنت آسف حقاً؟"

وقالت السيدة تابور: "لقد شاء بول اختبارك. وهو مسرور جداً لأنك لم تذعني له."

وابتسم بول وقال: "المرّة المقبلة سأغسل الاواني من غير أن تطلبي ذلك."

وهكذا تعلمت درساً، كما تعلم بول درساً على ما أعتقد. واستمر العلاج لنا جميعاً.

"العائلة المهجورة"

كان المسؤولون عن الفتيان يجتمعون مرة كل ثلاثة أشهر لاعداد تقرير عن تطورات كل منهم. وكان اللقاء يتمّ في مكتب الدكتور كروبر، حيث تقرأ السيدة تابور، وهي مسؤولة عن العلاج، والسيدة ماجور، مسؤولة عن الدراسة، والسيد كونولي، مدير المهاجع، والدكتور كروبر الملاحظات التي أعدّوها.

وقالت السيدة ماجور: "إن استعداد بول للعمل ضعيف وغير ثابت ومشكلته الكبرى محاولته التغيب عن الصفوف. لكن في استطاعته، متى شاء، إنجاز واجباته وإظهار شخصية مرحة محببة. إلا أن

في إمكانه أيضاً أن يكون مشاغباً ومعادياً."

وهزّ جو كونولي رأسه وهو يراجع التقرير الذي أعدّه عن بول، وقال: "لقد أخبرني بول عن أحلامه. فهو يرى أباه وسط غابة. ثم لا يلبث أبوه أن يتركه هناك وحيداً هلعاً... إنني آسف لوفاة والده. لكن ذلك لا يدعوني الى التساهل حياله. وإذا احتجزته ربع ساعة في الغرفة، خرج بعد ذلك، وهو يلعنني ويتهددني، على رغم قوتي وضخامة بنيتي."

وأضافت السيدة تابور: "لديّ ملاحظات مشابهة من حيث العلاج النفسي. فهذا الفتى يعجز عن رؤية الامور من حيث هي أسباب ونتائج. إنه يعيش كل لحظة بمفردها، ولا ينفك ينتظر المكافآت. إنه، ببساطة، يرفض أن ينمو."

وأخيراً قال الدكتور كروبر: "في إمكاننا مساعدة بول للتغلب على كآبته، وحتى على غضبه. أما شفاؤه في المدى الطويل فوقف على تبديل سلوكه الهدام. وعلينا أن نبتكر طريقة تحثه على الشروع في هذا التبديل."

وكنت ذات مساء أعمل على أوراقي فيما دك يعمل على أوراقه هو أيضاً. ولم يُسمع في الغرفة غير صوت الاوراق والاقلام. وكان ينبغي أن تمرّ تلك الامسية بسلام كالعادة. غير أن الخوف تملكني وأنا أنظر الى الارقام أمامي.

لقد أعانتنا مبالغ التأمين طوال الاشهر الاربعة الماضية على دفع مصاريف بول التي تبلغ ٥٥ دولاراً يومياً على مدار السنة. غير أن حصتنا في التأمين باتت على وشك النفاد.

ولم يكن في استطاعة دك أن يفعل شيئاً. فطلاقه أتى على مدخراته، والمكتب الاستشاري الذي أنشأه كان في بداية الطريق.

ورميت القلم على الطاولة وقلت: "اني في حيرة من أمري."

وأرتسم الهم على جبين دك وهو يقول: "ما رأيك في طلب مساعدة من الدولة؟"

- كلا! ألم تسمع ما قاله الدكتور كروبر من أن طلب المعونة الحكومية يعني التخلي عن حقوقنا تجاه الولد؟

"لقد قال كروبر ان المسألة لا تتجاوز الشكليات. فلماذا ترفضينها يا سوزان؟"

- لا بدّ من أن تكون هناك طريقة أفضل.

ودعانا بعض الاصدقاء الى تمضية عطلة في منتجعهم الشتوي برفقة بول. وهو سُرّ كثيراً لفكرة التزلج، وبذل جهده للترفع الى الدرجة الثالثة قبيل موعد الرحلة. وكنا مرتابين في تصرف بول المنتظر، غير أنه فعل كل شيء على خير وجه. وذلك منحني أملا جديداً بوشوك إعادته الى البيت.

إلا أن أثر العطلة الثلجية ما لبث أن زال سريعاً. فما أن عاد بول الى المؤسسة حتى استأنف أساليبه الملتوية وتقهقر بسرعة الى الدرجة الاولى.

وذاب الثلج وأطل النرجس البري مبشراً بالربيع. وإذا بي في مكتب السيدة تابور التي قالت: "لقد بدأت أنت وبول تدركان طبيعة مشاعركما.

والواقع أن بول أخذ يعبر بالكلام عن غضبه حيال ترك والده اياه وحيداً. فهو يفهم موت أبيه على هذا النحو الطفولي. إلا أنه ما برح يجادل باستمرار ومن موقع السلطة. وهو لم يتوصل الى التفكير في عواقب أفعاله. ولن نسمح له بالذهاب الى البيت حتى نتمكن من حفزه على تبديل مجرى سلوكه."

ـ آمل ألا يستغرق هذا الأمر طويلا، أعني أكثر من ثمانية أشهر.

"لماذا تقولين هذا؟"

ـ إني أقوله بناء على ما سمعته من الدكتور كروبر حين حملنا بول الى المؤسسة للمرة الاولى. فهو قدّر المدّة كلها بثمانية عشر شهراً.

"ذلك لم يتعد كونه تقديراً. والامر متعلق بالتقدم الذي يحرزه بول. هذا ليس سجناً يا سيدة بورتر، لكنه مركز علاجي. ونحن نمدّ الاولاد بالعلاج ما احتاجوا إليه... ولكن هل قلت شيئاً لبول عن المهلة؟"

ـ أجل، لماذا تسألينني؟

"ألا ترين ما الذي يحصل؟ هذا يجعل بول يفكر في الوقت من غير أن يبذل جهداً حقيقياً لتحسين حاله. فهو يظن أن تمضية الاشهر الثمانية عشر كفيلة باعادته الى البيت، في حين أنه لا يزال ألصق بالسن السابعة التي توقف نموّه النفسي عندها. وهو يرفض أن ينمو."

ولم يكن مرّ في ذهني قط أن العلاج قد يستغرق أكثر من سنة ونصف سنة. وأرقتني الفكرة لغير سبب، ومن ذلك أن مدّخراتنا على وشك النفاد.

وفي ذلك المساء قلت لزوجي وأنا أتأمل في حسابنا المصرفي: "ما الذي نستطيع فعله؟"

وفي الصمت الذي تلا سؤالي توصلت بنفسي الى الجواب.

في الدائرة القضائية قادتنا مساعدة اجتماعية الى شقة القاضي الخالية من النوافذ. وقالت همساً: "تذكري أن المعاملة لا تعدو كونها شكلية."

أجل، الكلّ ذكرني بشكلية تلك المعاملة.

وأمسك دك بيدي وقال: "إذا كنا واثقين من حسن ما نفعله من أجل بول، فلن نحاول إعادته سريعاً الى البيت. إذاً لا تنسي يا سوزان أنك تفعلين ما تفعلينه الآن من أجل بول."

إلا أن القاضي ما لبث أن دخل الغرفة وتلا نص المعاملة، ومنه الآتي: "بعدما سمعت المحكمة طلب الحاضرين، قررت اعتبار الفتى بول هولت عالة مهجورة."

والواقع أن أحداً لم ينبهني الى هذا المقطع. غير أنهم قالوا لي لاحقاً ان هذا هو "الوجه الشكلي للمعاملة. ولا بدّ من استعمال هذه العبارة القانونية." لكني لن أنسى وقع تلك العبارة الرهيب عليّ: "...هذا الفتى عالة مهجورة."

ولما غادرنا القاعة خُيّل إلي أني تخليت عن ولدي ووضعته في عهدة الدولة.

المفتاح المفقود

مع ازدياد واجباتي المهنية أمضيت أمسيات عدّة أعمل حتى

ساعة متقدمة من الليل. واقترح دك ذات مساء أن نذهب الى حفلة استقبال. وهناك صادفت ما كنت أتوقع إذ وجدتني أمام وجوه غريبة ووسط سحب من دخان السجائر. وفجأة أتت نحوي امرأة ذات شعر قاتم ضارب الى الحمرة وقالت: "إني أعرفك."

تلك كانت ماري هاموند، جارتي السابقة التي ضرب بول ابنتها ليزا. وكان لها صبي اسمه مايك.

وسألتني: "أتتذرين مايك؟"

فهززت رأسي إيجاباً.

وما أن فعلت حتى انهمر الدمع من عينيها. ثم قالت: "لقد مات مايك." وكان وجهها مفعماً بالألم مما حداني على رفع أنظاري عنها. إلا أن كلماتها اللاحقة أعادت عيني إليها: "لقد انتحر قبل ثلاثة أشهر."

وسرت قشعريرة في جسدي. ووقفنا وسط تلك الحفلة الضاجة وقد نسينا الكلمات الغاضبة التي تبادلناها قبل سنوات. ومددت يدي نحوها مؤاسية، وأنا أم مثلها.

وتابعت: "كان ينبغي أن أعرف تصميمه. فهو هدّد بالانتحار، غير أني كنت منهمكة في العمل ولم أصدقه. وكنا نظنه سعيداً. ولم يصدر منه أي عمل مشاغب على غرار..."

قالت هذا وصمتت، فتابعت عنها: "على غرار بادي... ثمة من يعيننا اليوم على بادي."

ـ ترى لماذا لم نطلب نحن المعونة؟

وقلت لنفسي وأنا على الطريق مع دك: "لأن معونة من هذا النوع تقتضي أن يقترحها أحد علينا." وارتجف جسمي حين ذكرت أن المحنة التي يعانيها بول لم أكتشفها بنفسي، بل اكتشفها دك بمساعدة المسؤولين في المؤسسة. ولو لم نحصل على تلك المساعدة، لما كان مصير بول بأفضل من مصير ابن السيدة هاموند. والخطوة القانونية التي أجريناها أخيراً، كم تهون أمام مصيبة تلك الجارة القديمة!

وحان موعد اللقاء العائلي. وانضم إلينا عضوان جديدان هما رون ميريديث وزوجته فران. وفي ذلك المساء تأخر آرت ليمان وزوجته بيتي. ثم دخلت بيتي لتعلن بفرح عظيم: "لقد جئنا لنقول لكم وداعاً. فابننا عائد الى البيت."

وصاحت كورا: "يا له من خبر عظيم!"

وقال آرت: "نعرف جيداً أن الحلول البسيطة لا وجود لها. لكن ابننا تعلم الآن كيف يسيطر على غضبه."

وأضافت بيتي: "وأنا كذلك."

وانبرت كورا: "حقاً اننا نعرف هذا الامر." وضحكنا كلنا، وتذكرنا بعض اللقاءات الماضية حين كانت بيتي تصب حمم غيظها الذي لجمته طوال سنوات. ولكن ما أن تعلمت كيف تسيطر على نفسها حتى تبدلت علاقاتها مع الآخرين وفارقها الحياء الشديد الذي رأيته لديها في البداية.

وقالت كورا لزوجها: "لا بدّ من أن نبلغ هذه المرحلة يا هاري، أليس كذلك؟ ولكن علينا تلقين بنجي أن يحب نفسه."

ونظر الدكتور كروبر الى هوارد

بوينتون وقال: "انك لم تتكلم هذه الامسية يا هوارد. فما الأمر؟"

وابتسمنا كلنا، إذ انّ هوارد لم يسبق له أن تكلم البتة.

وأجابت عنه زوجته ميلي: "لقد أخذنا جين الى المنزل الأحد الماضي. وجلس معنا يراقب مباراة كرة القدم على التلفزيون... اننا أمضينا عصراً جميلا يا هوارد، أليس كذلك؟"

لكن هوارد نظر الى زوجته بشفقة وقال: "كل منا يمكنه التصرف على نحو طبيعي لثلاث ساعات أو نحوها يا ميلي."

ـ ولكن علينا يا هوارد أن نقرّ بأننا أحرزنا تقدماً ما. أليس علينا أن نبدأ من مكان معين؟

وقلت من غير تفكير: "انه لأمر صعب، ولا شك، أن يأتي المرء الى هذا المكان. وإني لم أقبل هذا الواقع بسهولة."

وقال آرت: "الواقع أني لم احب موقفك لأنك نظرت الينا جميعاً كما لو كنا حشرات."

وأضافت بيتي: "لكنك كنت قاسية جداً على نفسك. ويبدو أنك بت تقبلين الامور أكثر من ذي قبل. ونحن نقدرك كثيراً."

واثر فيّ كلامها. وأمكنني أن ألمس التبدل الذي طرأ عليها هي. وربما كان صحيحاً أني تبدلت أنا أيضاً.

وفي طريقنا الى البيت قلت لزوجي: "إذا عاد ابن آرت وبيتي الى المنزل، فلماذا لا يعود بول؟ دعنا نسألهم عن هذا الامر."

وقلت للدكتور كروبر لدى مقابلته اليوم التالي: "لقد انقضى اثنان وعشرون شهراً على وجود بول في هذا المكان."

ـ ألا ترين أن بول سجل تقدماً ملحوظاً؟ وأنت كذلك سجلت تقدماً.

"أعرف ذلك. ولهذا السبب أطلب منك أن تعتق بول وترسله الى البيت. إننا نحبه."

ـ لا شك في أنكم تحبونه. لكن المهم أن يحب هو نفسه. ومن لا يحب نفسه لا يمكنه أن يحب الآخرين. وإذا تزوج وهو على على هذه الحال، فقد يتنقل من زوجة الى اخرى ويسيء معاملة أولاده. وربما خسر وظائفه جميعاً لأنه لا يستطيع استخدام السلطة...أتذكرين زيارتك الاولى الى هذا المكان؟ لقد قلت لك آنذاك ان نموّ بول النفسي متوقف عند سنه السابعة، وهي السن التي بلغها عند وفاة أبيه. والواقع أنه، في امور حساسة كثيرة، ما يزال متحجراً هناك. ولم نجد بعد المفتاح المناسب لحفزه على التقدم. وإذا غادر بول المؤسسة سريعاً، فربما واجه صعوبات جمة لن يستطيع الوقوف لها."

ونظرت الى الدكتور كروبر ثم الى دك، وبعد ذلك الى يديّ المطبقتين. وقلت: "أتظن أنه سيعود الى البيت مع فصل الصيف؟

وهزّ كروبر كتفيه وقال: "إذا وجدنا المفتاح."

المسؤولية

ارتأت السيدة تابور أن المفتاح الضائع قد يكون في العلاج العائلي، أي في خضوع جميع أفراد العائلة

لدورة من العلاج النفسي. واقترحت أن نباشر نحن الخمسة الاجتماع بها ابتداء من مطلع الاسبوع المقبل.

وفي لقائنا الاول راحت كاتي تنظر بدهشة حولها. وكانت في السادسة عشرة، وقد انتزع الرباط من عنقها وظهرها. وكان شعرها جميلا وقد قومت أسنانها على نحو أنيق. ونمت حركاتها عن هدوء نفسي وطبيعة طيبة.

وغرق تومي في مقعده عابساً. وكان في الثانية عشرة، وقد خبأ بعض مشاعر القلق خلف ستار من الاختيال، كونه بلغ السنة الابتدائية السابعة بنجاح.

وحيانا بول بابتسام. وقال مبتهجاً وهو يتحرك في كرسيه: "لكم هو عظيم أن نجتمع كلنا أخيراً."

وسألتنا السيدة تابور: "كيف تجري اموركم العائلية."

وترددت كاتي قليلا قبل أن تقول: "لا يزال الشجار على أشده. ووالدتي تغضب كثيراً لأننا لا نرتب المنزل."

— ولماذا لا ترتبان المنزل أنت وأخوك؟

"إني على استعداد للعمل المنزلي إذا أبدى تومي استعداده أيضاً."

وغرق تومي أكثر فأكثر في مقعده. وقال: "امي لا تكف عن التذمر."

وتنهد دك وقال: "هذا صحيح. والواقع أن سوزان تكرر الكلام نفسه. وهي تلجأ الى التهديد والوعيد من غير أن تنفذ كلامها. وهكذا يفعل تومي وكاتي ما يريدان."

وقلت: "شكراً لكم جميعاً. لقد نسيتم أن دك يبقى معظم الوقت خارج المدينة في رحلاته التجارية. أما أنا فأعود الى المنزل متأخرة ومرهقة. فلماذا لا تحاولان مساعدتي؟"

وأجاب دك: "لأنهما في مرحلة الطفولة أو المراهقة. وهما يريدان اختبارك يا سوزان. وعليك أن تكوني حازمة في مواقفك."

وبقينا نحن الخمسة نجتمع طوال ذلك الربيع حتى مطلع الصيف، باحثين في الامور التي تحدث الخلاف بيننا. وذات مساء قلت وقد عيل صبري: "لم أعد أتحمل هذه التفاهات. فما علاقة لقائنا بعودة بول الى البيت؟"

وأجابت السيدة تابور: "ألا ترين أن عائلتك كالماء الذي يبقى على وشك الغليان؟ والامر ليس في تفاهة النقاش بمقدار ما هو في حدته واستمراره. والحقيقة أن بول لا يستطيع الانسجام مع وضعكم العائلي المضطرب."

إلا أن السيدة تابور لم تذكر شيئاً عن الاضطراب الذي ما زال بول يعانيه وهو ضمن المؤسسة. ويبدو أن مشكلته ذات علاقة بصديق جديد اسمه دوغ. وكان هذا في السادسة عشرة آنذاك، وقد رُقي الى الدرجة الثالثة بعدما راقته حسنات الترقية.

وقابلت دوغ ذات أحد ووجدت فيه فتى مهذباً ومرحاً ورقيقاً. وقلت لابني: "صديقك يبدو حسن المعشر." وشئت أن يشجعه مثل دوغ على الاقتداء به.

لكن الغريب أن بول وقع في مشاكل جديدة. وقُبض عليه مرة وهو يحمل

السجائر الى الفتية الآخرين. واضطر المشرفون على المهاجع الى ردّه مراراً عن أترابه. وفي إحدى تلك المرات هدّد السيد كونولي بالضرب. وسُمع يتفوه بعبارات إباحية على الهاتف مع فتاة تدعى جودي.

وسألت السيدة تابور وقد هالتني تلك الامور: "ما الذي يحدث؟"

ـ أظن أن هذا أثر دوغ.

"دوغ؟ لكن دوغ أبلى حسناً في دروسه. وأخبرني بول أنه على وشك الترقي الى الدرجة الخامسة."

الدرجة الخامسة."

ـ يخيل اليّ أن دوغ أوتي القدرة على استخدام الناس وترك نفسه محجوباً.

"أتقصدين أن دوغ هو الذي دفع بول الى...؟ ولكن من المسؤول عن دوغ؟"

ووضعت السيدة تابور القلم بين أسنانها وقالت: "لست أنا يا سيدة بورتر. ولكن لا تنسي أننا لم نبلغ الكمال في هذا المكان، مثلنا مثل أي مكان آخر. وأحياناً نواجه صعوبات. إلا أن أثر دوغ على بول لا يرفع المسؤولية عن ابنك."

وضربت يدي على الطاولة وقلت: "مسؤول؟ لقد غدوت مريضة من سماع هذه العبارة. كما مرضت حتى الاعماق من إبقاء بول هنا. ولقد مللت رؤيتك ورؤية سائر الاولاد يعادون الى بيوتهم باستثناء بول... إني أُصر على عودة بول الى البيت."

ـ سيدة بورتر...

"كلا! لا أُريد سماع المزيد من النصائح. لقد أمضى أبني سنتين لديكم. وهذا يكفي."

قلت هذا وانطلقت عاصفة خارج المكتب.

النموّ

لم يكن ذلك المزاج فارقني لدى حضوري لقاء العائلات التالي. وكان دك خارج المدينة، وراودني شعور بالبقاء في البيت. ولكن ربما كنت أبحث عن فرصة اخرى للتعبير عن غيظي.

وما أن جلسنا حول الطاولة حتى صرخت: "لقد تعبت من بقاء بول هنا... تعبت من سماع العبارات نفسها التي تقول ان الوقت لم يحن بعد لاخراجه. اني أُصر على إطلاق ابني الآن."

قلت هذا وأنا أنظر شزراً الى السيدة تابور والدكتور كروبر. ولم يقل أحد كلمة. وفجأة انحنى هوارد بوينتون قليلا وقال بتهكم: "إذاً ستأخذين ابنك الى المنزل، وستعرفون جميعاً السعادة الحقة بعد ذلك."

ونظرت إليه بتعجب. وأضاف: "ابنك ليس الوحيد الذي يحتاج الى النمو... أنت أيضاً تحتاجين الى النمو."

وتنهدت فيما تابع هوارد كلامه: "كلّ ما أسمعه منك هو الشكوى. فأنت تظنين أنك والدة مخفقة، كما تظنين أن المصائب بعيدة عن سواك، وتحاولين إحالة الامور على دك... بحق السماء، متى ستكبرين وتتصرفين كأم وليس كفتاة مدللة؟ إذ ذاك ربما وجد ابنك بول قدوة لينمو هو الآخر."

ولم أصدق ما سمعت. ونظرت حولي عل أحداً يدافع عني. إلا أني قرأت الاقتناع بكلام هوارد في أعين الآخرين.

وقطع الدكتور كروبر حبل الصمت ليقول: "أتظنون أن هوارد على حق؟"

وأخذ الآخرون يهزون رؤوسهم ايجاباً واحداً بعد الآخر. وسمعت أصداء المحادثات القديمة في أذن ذاكرتي: "اني أكره أن أكون أماً، وكل ما أريده هو أن أكون صديقة أولادي... من الشاق أن يكون المرء مسؤولا طوال الوقت. إني أعاني الاجهاد. ولدى بلوغي المنزل يكون الارهاق بلغ مني مبلغاً يمنعني من مواجهة الامور."

ألا يعني هذا كله أني وابني بول متشابهان؟ كيف غابت عني هذه الحقيقة قبل اليوم؟ اننا، نحن الاثنين، نهرب من المسؤولية، وكلانا ينتظر اللحظة السحرية التي يخرج بول فيها من بيت الاحداث.

والحقيقة أن طريقة الخروج مرتبطة بالواقع، لا بالغيب. وفجأة أدركت أن علي أن أنمو لأواجه مسؤولياتي كأم، لئلا تبقى عائلتنا كما قالت السيدة تابور "كالماء على وشك الغليان."

ويتعين على بول أن يتخلص من إلقاء تبعات أفعاله على موت والده أو على السلطة المفروضة عليه أو على أمه أو على أي شخص أو وضع خارج عنه.

والحق أن كلام هوارد غير المتوقع وغير المعهود هزني من الاعماق وجعلني أعي حقيقة وضعي.

وفي اغسطس (آب)، بعد مرور ٢٥ شهراً على إدخال بول بيت الاحداث، كتبت إليه هذه الرسالة:

"عزيزي بول،

تعرف كم كانت رغبتي قوية في أن تكون معنا هذا الخريف. غير أن الحياة ليست بالرواية الوهمية حيث تستحيل الاحلام حقائق. والواقع هو أني لا أستطيع الاتيان بك الى البيت، وإن كنت أرغب في ذلك حتى الوجع. إلا أني لن أعود بك الى البيت حتى يسمح الدكتور كروبر. والسيدة تابور بذلك. والامر يا بول وقف عليك أنت. فبطاقة العودة الى البيت في يدك، تبرزها ساعة تشاء. مع محبتي، أمك."

وعندما حان عيد الميلاد قال لي بول والتساؤل في عينيه: "إذاً لن تعيديني الى البيت؟ هل يعني هذا أني سأبقى خارجاً؟"

وفي فبراير (شباط) قالت لي السيدة تابور بحماسة: "لقد طرأ تبدل ملموس على سلوك بول خلال الاسابيع الاخيرة. وتقدم بطلب لبلوغ الدرجة الثالثة، كما سألني أن أساعده لوضع قائمة من الاهداف التي يجدر أن يعمل على تحقيقها. وقد باشرت تدريبه على أصول التعامل مع ذوي السلطة، كالأهل والمربين."

واستمر تقدمه. وفي مارس (آذار) قررت إدارة المؤسسة إرساله الى البيت في نهاية كل اسبوع على أساس تجريبي. وفي الشهر نفسه اختاره زملاؤه رئيساً للمهجع. وكان ذلك شرفاً كبيراً ومدعاة افتخار له. وبدا أنه أكسبه ثقة جديدة بنفسه.

وعندما تقدم بول بطلب للترقي الى

المرتبة الخامسة في مايو (أيار) من ذلك العام، قالت السيدة تابور: "لقد اجتزنا الخطر. وفي حين نجد من الضروري الاستمرار في العلاج العائلي، إلا أننا على استعداد لاعادة بول الى البيت."

وأخيراً نطقت تلك المرأة الصارمة، التي باتت جزءاً من حياتنا طوال السنوات الثلاث الماضية، بالعبارة التي انتظرتها طويلا: إعادة ابني الى عائلته.

ولم يستطع دك تمالك الدمع. وقال همساً: "أرأيت؟ لقد نجحنا أخيراً."

وكانت زيارتنا الاخيرة لبيت الاحداث يوم جمعة في مطلع شهر يونيو (حزيران). وأوقفنا السيارة على الحصى وقد تصاعدت صيحات الاولاد وهم يلعبون بين الاشجار.

وصعدنا الى مهجع بول. ورأيناه واقفاً مع صبي جديد ضامر وطويل القامة وصعب المراس كما يبدو من وجهه.

وسمعنا بول يقول له: "اسمع! ابحث في امورك كلها مع السيدة تابور. صحيح أنها امرأة صارمة، غير أنها تعرف تماماً ماذا تفعل. ولا شك في أن لها فضلا كبيراً عليّ."

وقلت لنفسي: "بل انّ فضلها علينا جميعاً. وهي أعانتنا حين تبين أن الحب وحده لا يكفي."

وحين عاد بول الى البيت كان في الصف الاخير من مرحلة الدراسة الثانوية. وهذا العام تخرج في الجامعة. وهو شاب وسيم، قوي البنية، حسن المعشر، وطوله ١٨٣ سنتيمتراً. وإني فخورة به حقاً. كما اني فخورة بنا جميعاً.

■ **سوزان هولت بورتر**

هدية الزوج

دخلت شابة محلا نسائياً شهيراً واختارت معطف فرو باهظ الثمن، طالبة من الموظفة أن تلفه في غلاف خاص بالهدايا، وقالت: "انه هدية مني الى زوجي في عيد ميلاده. ذلك أنه، في عيد ميلادي الأخير، قدّم الي لوحة أراد أن يقتنيها قبل وقت طويل".

ر.و.

اسأل مجرباً

بينما كان رجل يتنزه في الشارع قفز غلام عن جانبه ووقف في طريق السيارات. وأمسكه الرجل من كتفه وأعاده الى الرّصيف وهو يقول: "ما المسألة يا بنيّ؟ أتريد أن تتجنّب البلوغ ومواجهة مشاكل العالم؟"

ب.س.

قالت فتاة لصديقتها: "لن أتزوج إلا وقد بلغت العشرين".
فأجابتها الصديقة: "لن أبلغ العشرين إلا متزوجة".

ج.و.

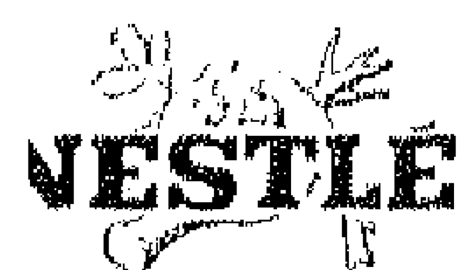
أوّل طعام لطفلكِ

سيريلاك نستله

بالإضافة الى الحليب ، سيريلاك يؤمّن لطفلكِ طعاماً لذيذاً ومُغذياً

سيريلاك سريع التحضير وطفلكِ سوف يجد طعمه اللذيذ.

سيريلاك تضمنه نستله





PL 30







من ريدرز دايجست

أين أبو المصابيح
بجمهوري الكبرى
(ص ٢٥)

متى تتوقف ممارسة الجنس؟

(ص ١١)

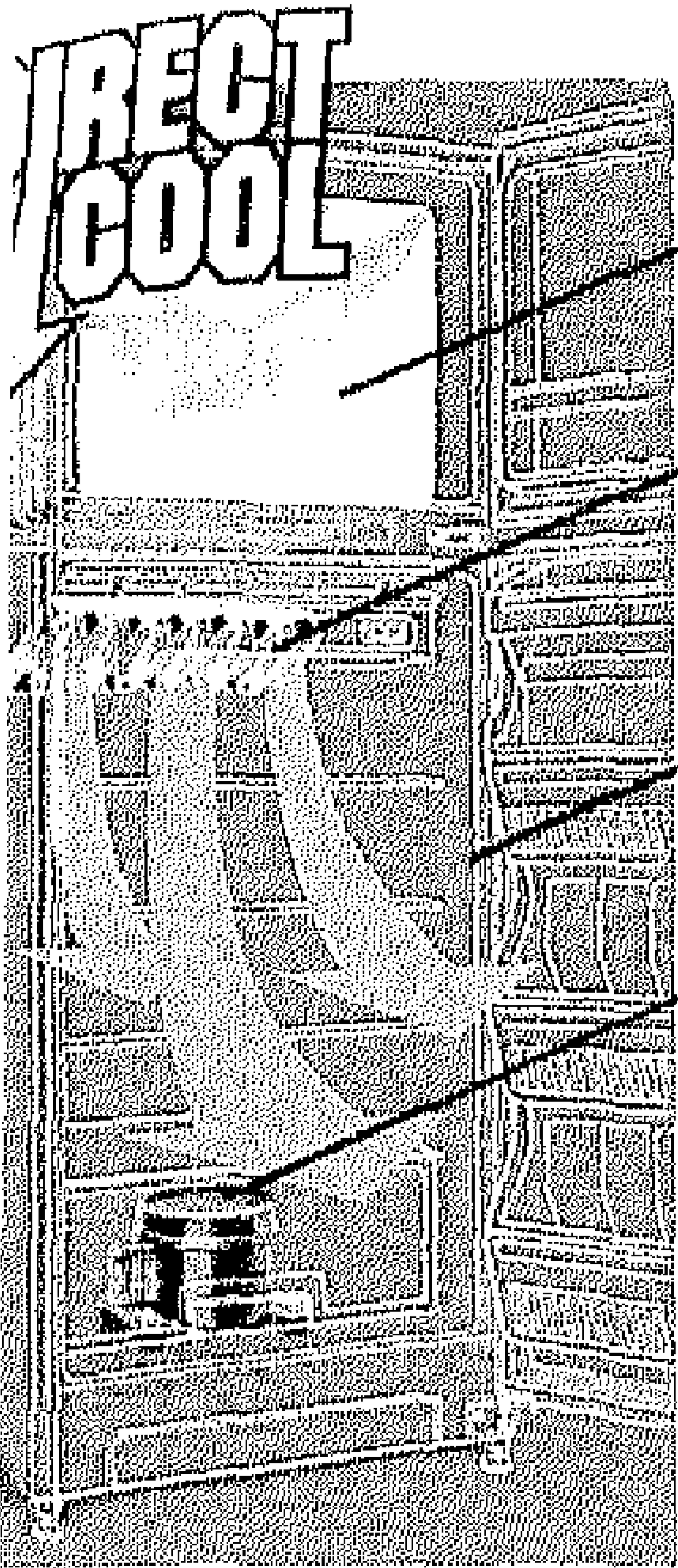
نصائح للتغلب
على الارهاق
(ص ٥٣)

لبنان ٦٠٠ق — سوريه ٧٠٠ق — الاردن ٧٠٠ف — الكويت ٧٠٠ف — الامارات العربيه المتحده ٩د — قطر ٨ر — البحرين ٨٠٠ف — السعوديه ١٠ر — مصر ٥٠٠م — السودان ١ج — ليبيا ٧٠٠د — اليمن ٨ر — مسقط ٨٠٠ب — العراق ٨٠٠ف — تونس ٦٠٠م — المغرب ٥د — الجزائر ٧د — فرنسا ١٠ف — انكلترا ١ج — اليونان ١٣٠د — كندا وامريكا الشمالية ٢٫٥د

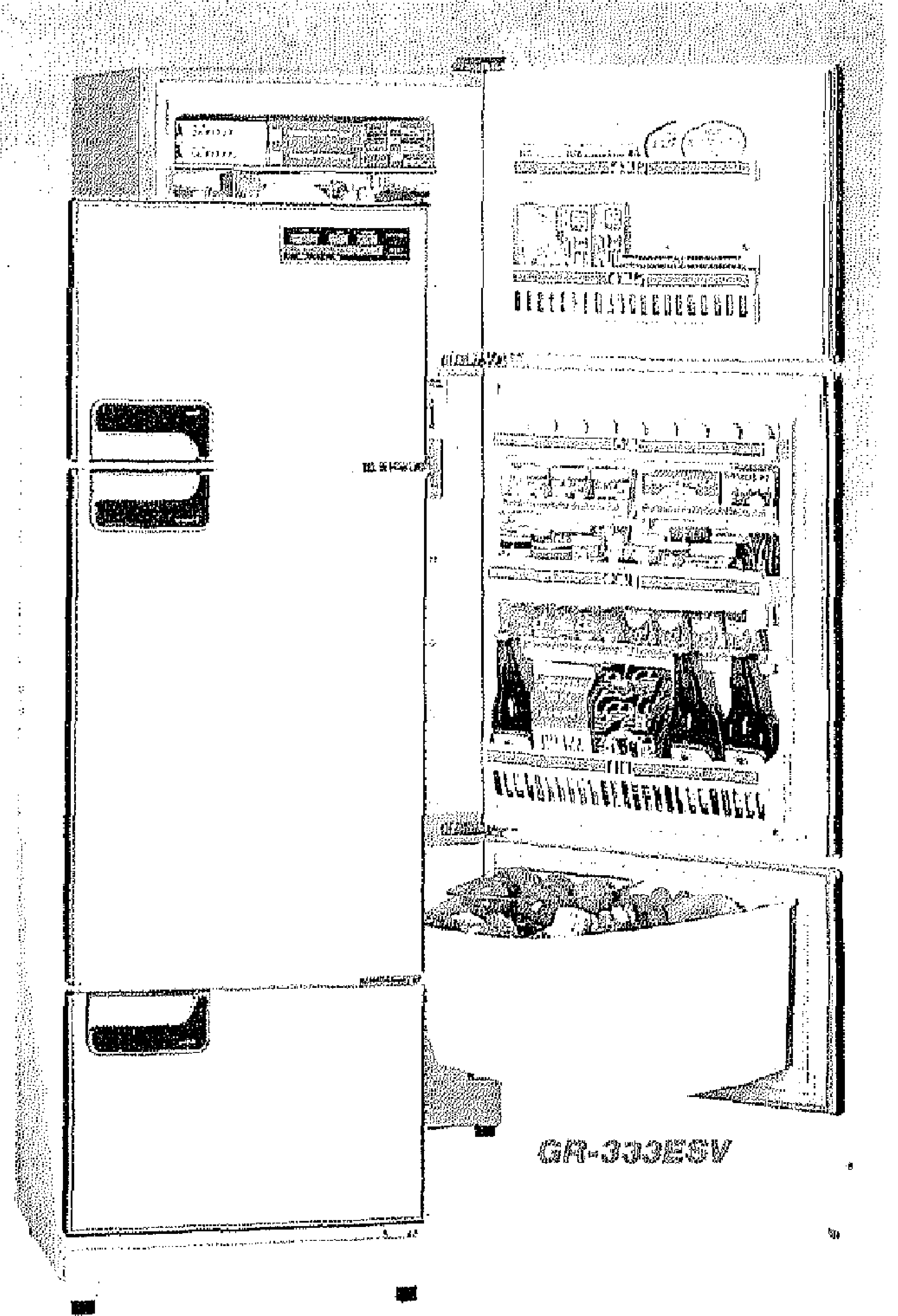
جديد توشيبا
أفكار خلاّقة لحياة أفضل

براد توشيبا **GR-333ESV** الجديد
يمتاز بتصميم فريد للتبريد المباشر يعطي تجليداً اسرع ، بمجرد ضغط زر التجليد تنخفض الحرارة بسرعة في الثلاجة الى ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر، لتصبح ابرد بكثير من اي ثلاجة عادية اخرى، ونتيجة لذلك يتجلد الطعام بسرعة وفاعلية اكبر ويحفظ طازجاً مع نكهته وفائدته الغذائية .

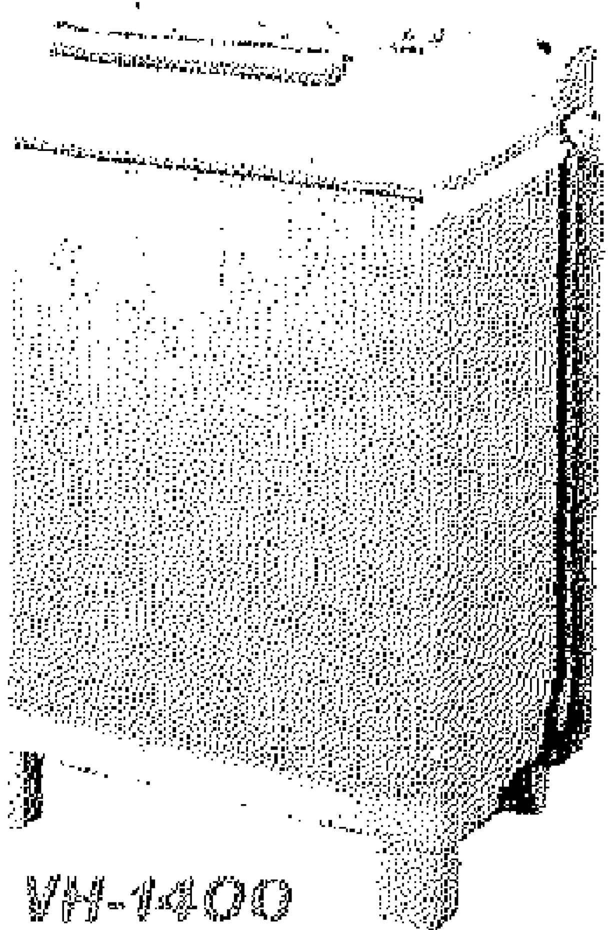
براد توشيبا **GR-333ESV** ـ هو نموذج آخر عن تفكير توشيبا الخلاق في حقل الادوات المنزلية .



تذويب اوتوماتيكي كامل مع جهاز لتصريف المياه

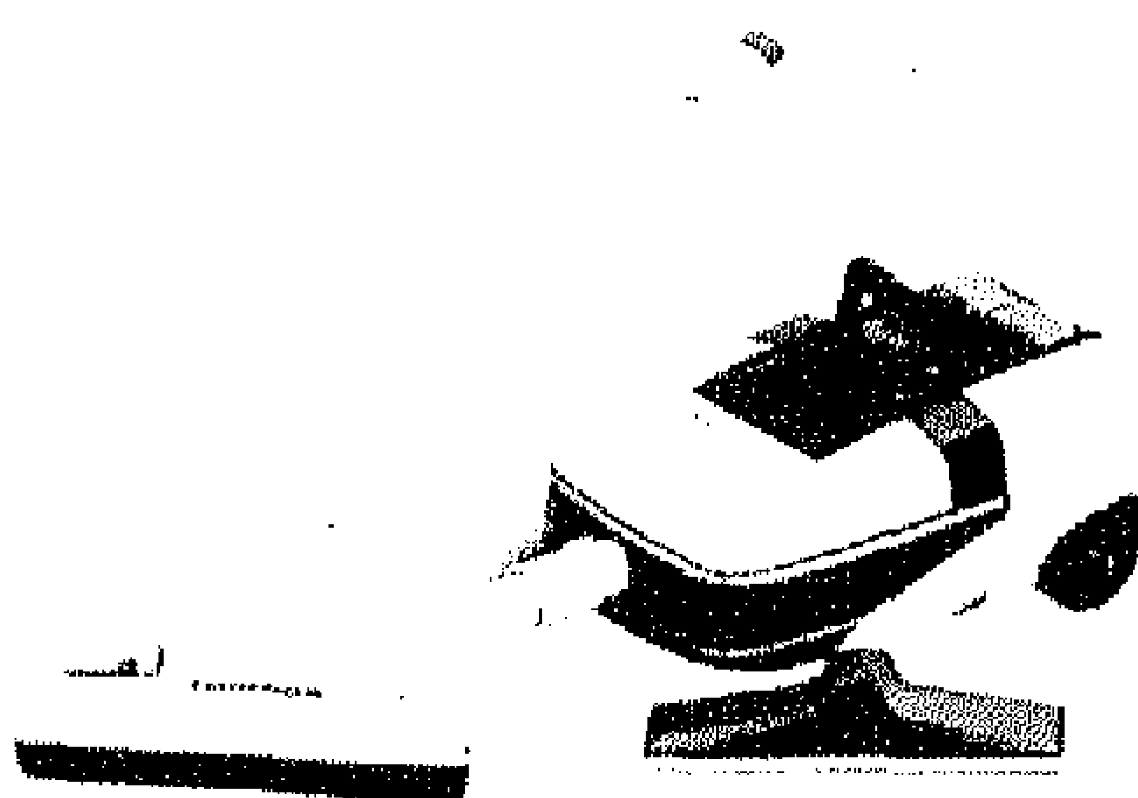


GR-333ESV



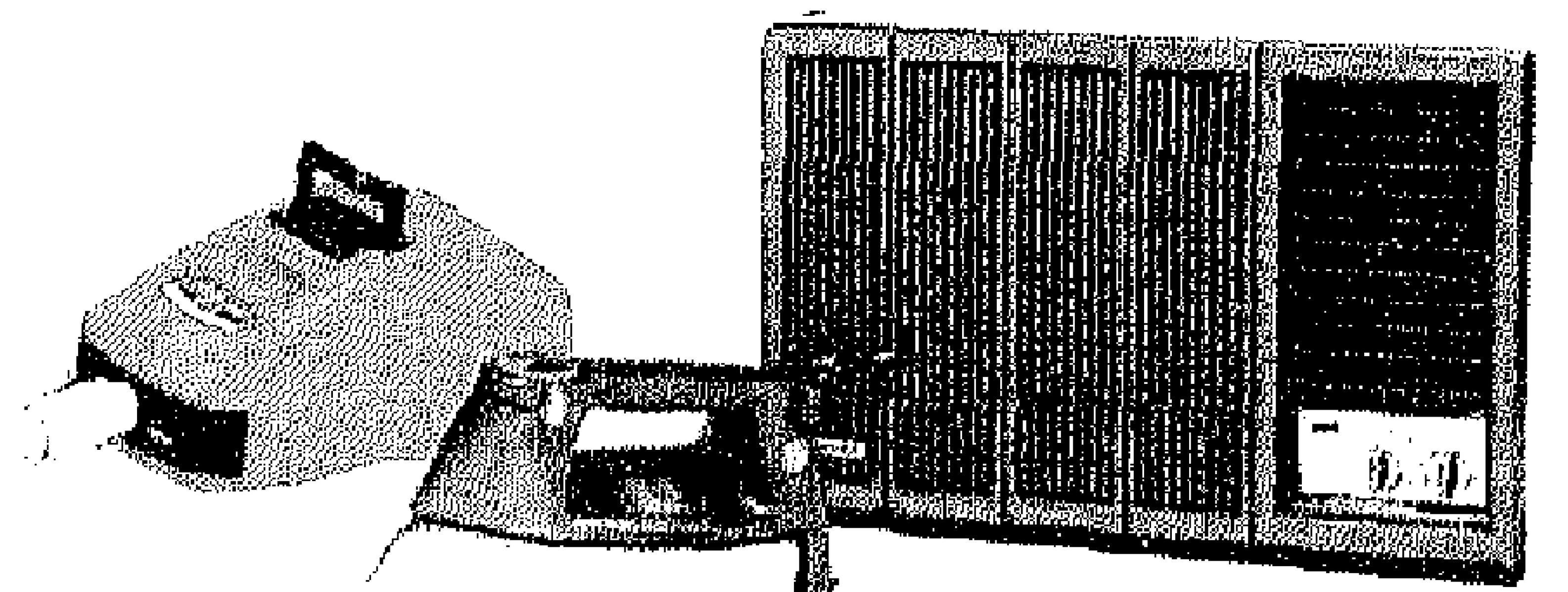
VH-1400

● غسالة كبيرة جديدة



VC-1010EJ/810E

● طاقة قصوى ١٢٠٠ واط



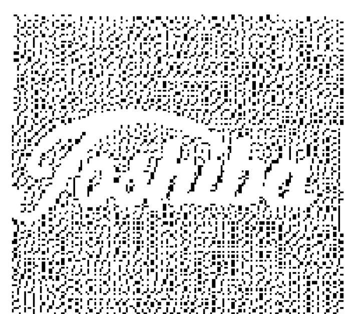
TA-1000AY

● مكواة متينة

RAC-46JE

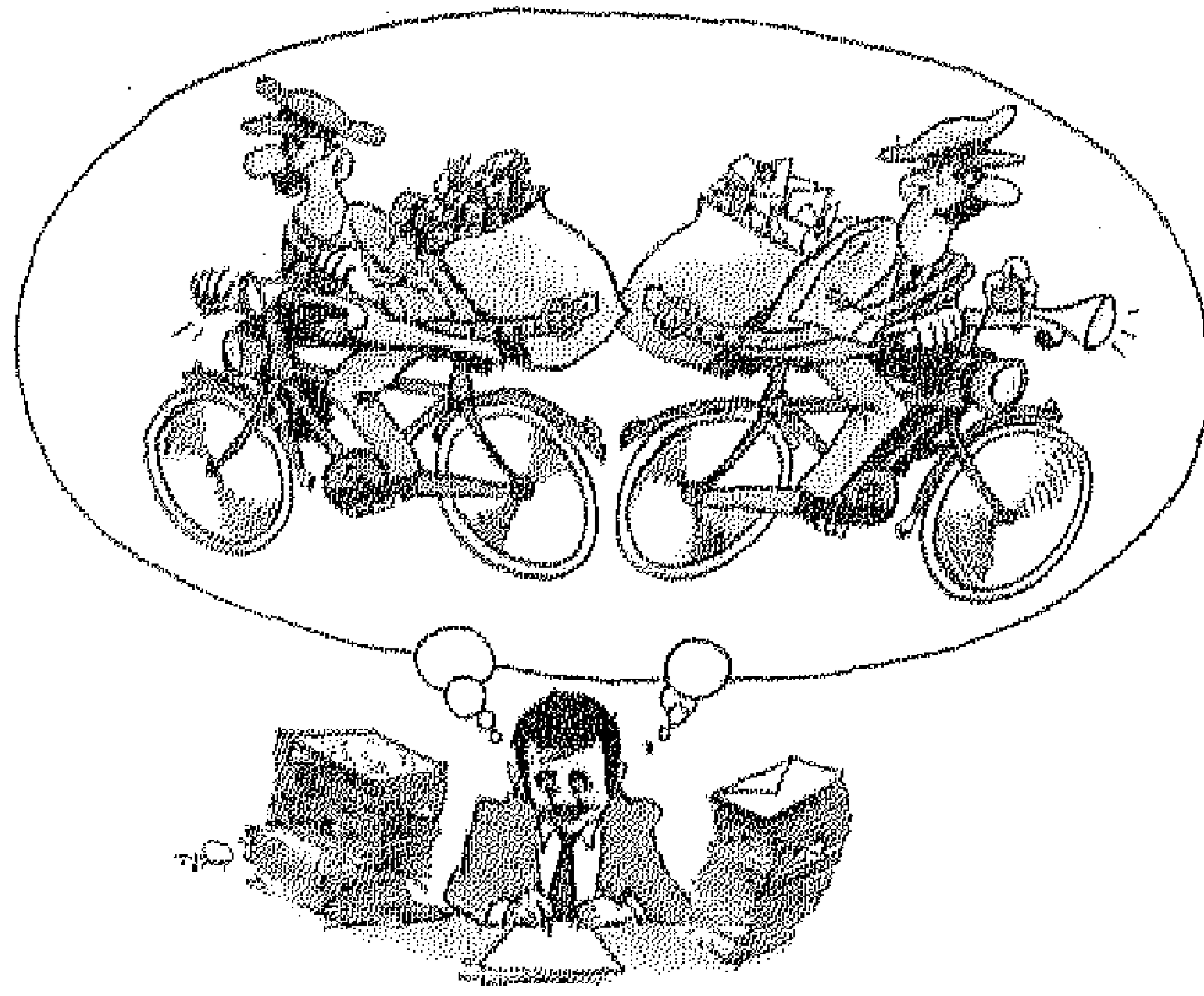
● ضاغط دوار صامت

● ١٨٠٠٠ وحدة حرارية



TOSHIBA | توشيبا

TOKYO, JAPA



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

اكتب واربح

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة، تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة من حياة مجتمعاتنا العربية. تدفع عن القصة الواحدة ٥٠ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. وتستبعد في هذا الباب النكات غير المهذبة. تدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية تدفع ثلاثة دولارات عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل. يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة المختار من ريدرز دايجست ـ شارع المقدسي ـ بناية الشرتوني ـ ص: ب ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان.



المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ادمون صعب •
امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري •

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست":
رئيس التحرير: ادوار ت• طومسون• مدير التحرير: آلان دوليرو• المدير العام: جون ا• اوهارا •

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس• الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية ـ بيروت• التحرير والادارة: بناية حنا للمكاتب، الطابق السادس، شارع المقدسي ـ بيروت • ص•ب• ٨٧٠٧ ـ ١١، التلفون ٣٥٠٧٦٠ ـ ٣٥٤٤٢١ التلكس (الموقت) 22288 LE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت • الطباعة: سيكو، بيروت ـ لبنان• التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات•

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية اضافة الى العربية•



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

الغلاف: الشيخوخة (للامريكي آل برترام)

AL MUKHTAR min Reader's Digest
June 84 No 67 (New Series) Vol. 6



اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة•

ما سر الطبقة الخضراء على صفار البيض المسلوق؟
وما سبب التصاق عيدان المعكرونة وانبعاث الروائح الكريهة من الثوم والبصل والقنبيط؟
هنا تفسيـرات كيميائيـة لـهـذه الظواهر ولسواها

وَصْفاتٌ مَطبَخيّة



عندما كنت في السادسة من عمري أصابني مرض جدري الماء، وبعدما استنفدت والدتي جميع وسائل التسلية المتبعة رأت أن تصحبني الى المطبخ لتشرح لي طريقة سلق بيضة، بدأت: "يجب اضافة ملح الى الماء لحفظ البيض من التشقق... وعلى رغم ذلك فانه يتشقق." بحثنا في الامر لفترة ثم هزرت رأسي موافقا على أن البيضة لا تسلق من دون رشة ملح، سواء أتشققت من السلق او لا.

وداومت على وضع الملح مع البيض لدى سلقه، وكنت أطبق وصفات الطعام بحذافيرها، فاذا فكرت في طبق يحتاج تحريكه الى ملعقة خشبية وأنا لا املك سوى ملعقة معدنية، كنت اعدل عن ذلك الطبق وأطبخ غيره، كنت متحجراً في اتباع التعليمات من دون محاولة فهمها. وككيميائي، قررت ان اكشف أسرار القوانين العلميةالتي ترتكز عليها تعليمات كتب الطهو، وبنتيجة بحثي العلمي أقدم اليكم معلومات تسخر الكيمياء لخدمة الطبخ، ويبدو مناسبا أن نبدأ بالبيض.

البيض

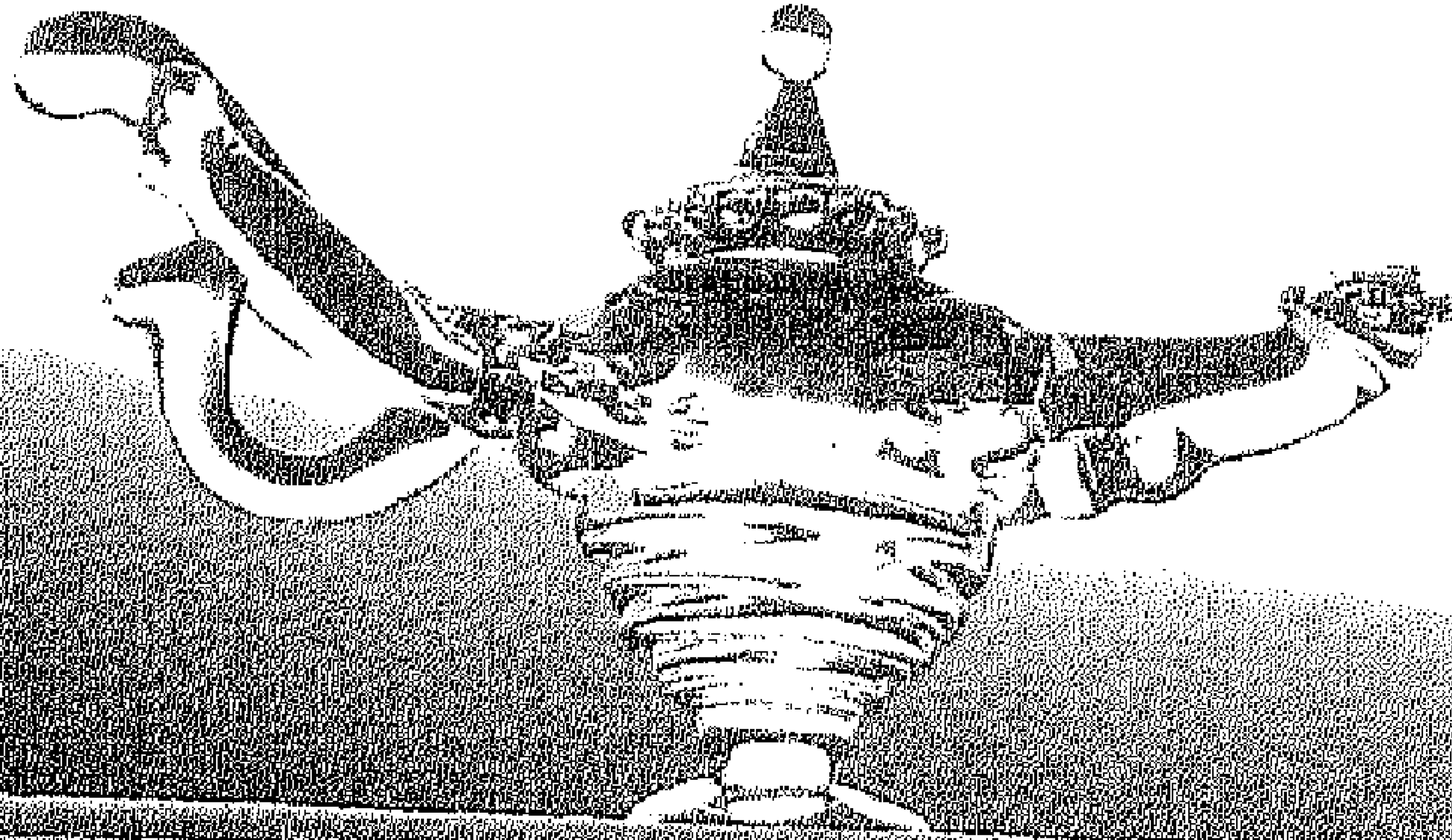
من تقاليدنا أن العروس التي لا تعرف أن تسلق بيضة لا تفوقها جهلا بأعمال المنزل سوى العروس التي تحرق الخبز وهي تحمصه، ومن الطبيعي أن يتشقق البيض عند سلقه ويترك طبقة كلسية بيضاء في الوعاء، والاسوأ من ذلك تكون طبقة رمادية خضراء حول صفار البيضة المسلوقة.

لنبدأ بالكارثة الاولى، يحصل التشقق لدى ارتفاع درجة الحرارة بسرعة، إذ يتمدد الهواء داخل البيضة ويصعب مروره من المسام في مؤخرها دفعة واحدة، ويمكن فتح بضعة ثقوب صغيرة بواسطة رأس دبوس في مؤخر البيضة ليسهل خروج الهواء المتمدد.

بقدرة ساحر، ولكن بفضل عبقرية كلاريون. نوعية صوت فائقة الدقة ـ حتى
ئة الصعبة لسيارة متحركة. انها الأليكترونيات المتقدمة، التي تسهل استخدام مي
سفات المتطورة. موديلات متنوعة تناسب أذواق الجميع. مصداقية
ورية. ستيريو السيارة "كلاريون". استمعوا، وتمتعوا بالقيادة. "كلاريون".

Clarion

رغبتكم مضمونة



ɜr information — **SAUDI ARABIA:** Rashid & Hamad A. Al-Tamrah Trading Co.: P.O. Box 555, Riyadh 11421, Tel: 01-4040792 / Jeddah Office: P.O. Box 16953, Jeddah 21474, Tel: 02-6323032 / **KUWAIT:** Electra International: Safat Commercial Center, 2nd Floor No. 9 & 10, P.O. Box 24583, Safat, Tel: 2457860 / **BAHRAIN:** Green Salon, P.O. Box 557, Bahrain, Tel: 243765, 255503 / **QATAR:** Al-Muftah Trading Co.: P.O. Box 875, Doha, Tel: 321311 / **OMAN:** Suleman Ebrahim Najwani & Co.: P.O. Box 6, Muscat, Tel. 734136, 772305 / **JORDAN:** Samco: C.P.O. Box 97, Zarka, Tel: 83185 / **LEBANON:** Champion Manouk Tchaprazian & Co.: P.O. Box 80086, Bourj Hammoud, Beirut, Tel. 264317, 264588 / **EGYPT:** Star Diamond Trade: 125, 26th July Street-Boulak, Cairo, Tel: 774504-773970

وعند سلق بيضة تمكن مراقبة الهواء وهو يخرج من الثقب في خط مستقيم. كذلك يحصل التشقق في البيض نتيجة اخراجه من الثلاجة ووضعه في ماء يغلي. لذلك ننصح بوضع البيض في ماء بارد ورفعهما سوية على النار.

أما وضع الملح في الماء فلا يمنع التشقق، لكن الملح المذاب يسرع عملية التخثر عند الشقوق فيساعد في ختمها تلقائيا.

وماذا عن تلك الطبقة الخضراء المقيتة؟ مع ارتفاع درجة الحرارة داخل البيضة يتكون غاز كبريتور الهيدروجين الذي يسمى عن جدارة واستحقاق "رائحة البيض النتن". ليست البيضة نتنة، بل هي مسلوقة. وعندما تبرد ببطء يتفاعل غاز كبريتور الهيدروجين على سطح الصفار الدافىء. والحديد الموجود في الصفار يطرد الهيدروجين وتتكون طبقة قاتمة من كبريتور الحديد. وللحصول على صفار جميل توضع البيضة في الماء البارد بعد سلقها مباشرة ليبرد صفارها بسرعة.

المعكرونة

يحصل التصاق عيدان المعكرونة بعضها ببعض عندما يتسرب النشاء من المعكرونة الى الماء لدى سلقها، وحين يبرد يتحول مادة صمغية تسبب الالتصاق. وأحد الحلول هو غسل المعكرونة بماء حار بعد السلق.

هناك طريقتان أخريان لمنع التصاق المعكرونة. أولا، يمكن سلقها بكمية وافرة من الماء، فيختلط النشاء المتسرب بكمية أكبر من الماء ونتخلص منه بعد تصفية المعكرونة. ثانيا، تمكن اضافة ملعقة كبيرة من الزيت أو السمن الى ماء السلق مما يغلف المعكرونة بطبقة تمنع التصاقها كما تمنع تصاعد رغوة ماء السلق.

الثوم والبصل

يحتوي الثوم على مادة كيميائية تدعى "أليين" وعلى خميرة (أنزيم) تدعى "أليناز". وكلما اتصلا صدرت عنهما رائحة الثوم الكريهة. وغلاف خلية الثوم في العادة يمنع اتصالهما وتفاعلهما، وبالتالي يمكنك التحكم بنكهة الثوم بعد قشره بسحقه بسرعة او تقطيع فصوصه. كذلك يمكن تخفيف رائحته بواسطة الطبخ فيتقلص تفاعل الخميرة الى الحد الادنى.

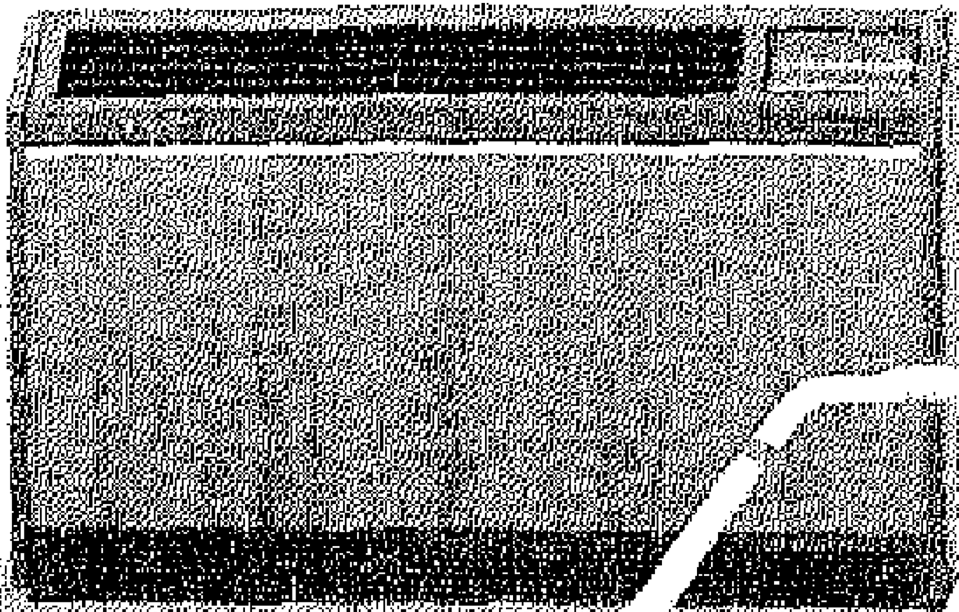
قطع البصل أيضا يحرك خميرة مماثلة تتسبب في انسكاب الدمع من مجاريه. ولما كانت الجزيئات المسببة لانهمار الدمع تذوب في الماء، فان تلافي انسكاب الدمع ممكن بقشر البصلة تحت الماء الجاري حيث تذوب هذه الجزيئات قبل ان تصل الى مجرى الدمع في العينين.

الملفوف وسواه

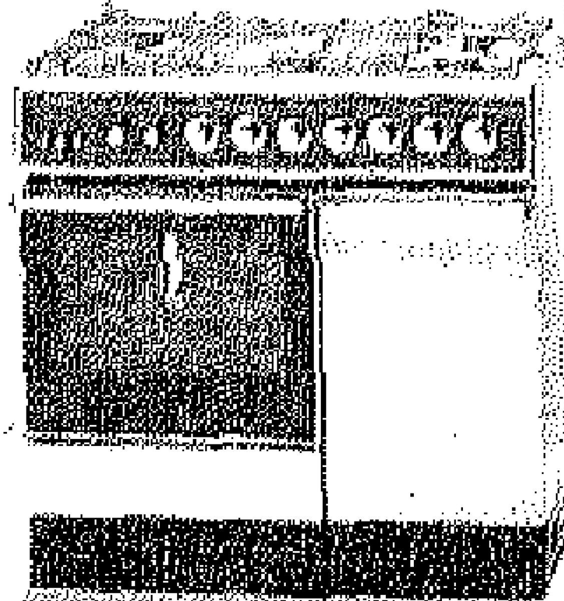
الكرنب والملفوف والبركولي والفجل والقنبيط تحوي مركبات يتكون منها كبريتور الهيدروجين، ولذلك تصدر روائح غير مقبولة في منازل من يحبون تناول هذه الخضر. وأفضل الطرق الوقائية ضد هذه الروائح الكريهة هي طبخها بسرعة.

سانيو ترضيك

في كل ما تحتاجه من اجهزة منزلية لبيتك العصري.



SAPFC241B

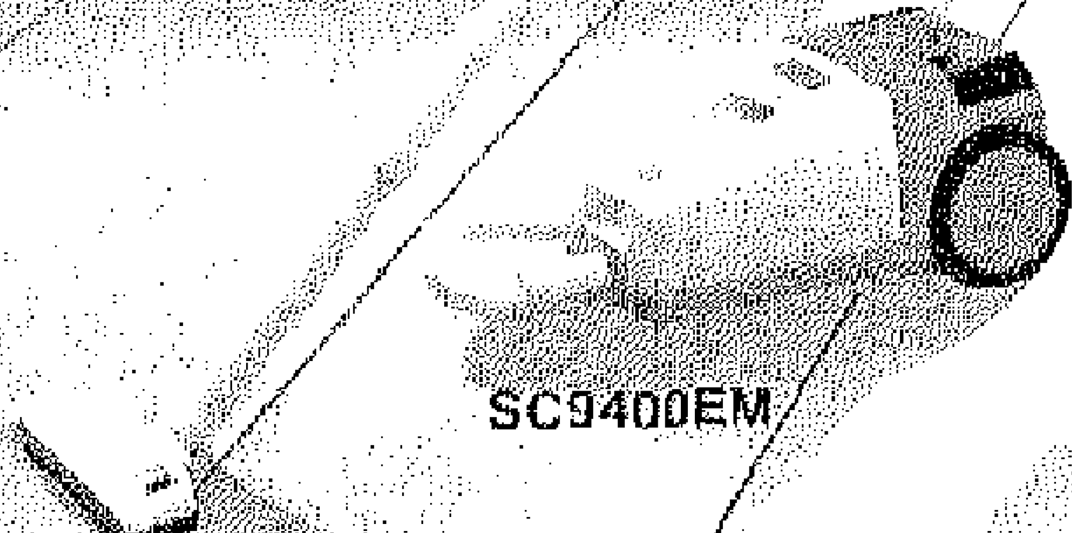


GR703PGE

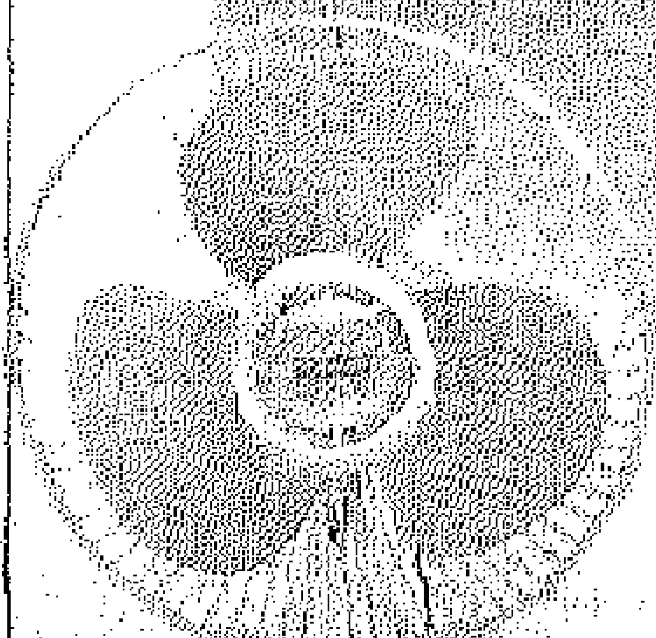


SR-425V

ASWL400T



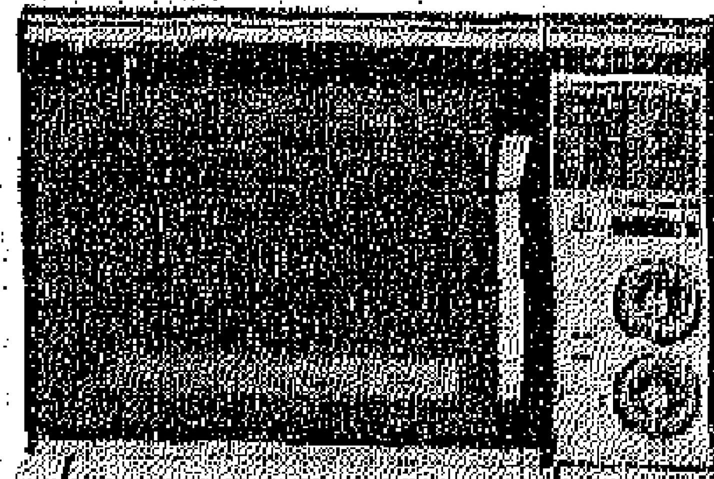
SC9400EM



EFD16EL



JBG500E



EM5601B

SAPFC241B مكيف هواء طراز ارضي صامت يشتغل باستخدام جهاز خارجي يوفر ٢٤٠٠٠ وحدة حرارية BTU

SR-425V ثلاجة / فريزر بثلاثة ابواب وسعة ٨٫٧ قدم مكعب، كومبرسور مدمج دوار ذو اداء موثوق به

EM5601B فرن «ميكروويف» «MASTER-CHEF» بنظام هواء ساخن يعطي احمرارا للمأكولات، صينية دوارة

ASWL400T غسالة اوتوماتيكية بمضخة نابضة «GENTLE PULSE» خاصة بسانيو، تعمل برفق وتمنع تشابك الغسيل

GR703PGE طباخ غاز متعدد الاستعمال ٥ عيون مع سيخ معدني للشواء يدور بواسطة الكهرباء، اشعال بالقدح

EFD16EL مروحة منضدية باداة الكترونية مؤقتة لتبسيط التشغيل

SC9400EM مكنسة كهربائية بقدرة ١٠٠٠ واط، طريقة سهلة للتخلص من الغبار مع مؤشر لتحديد كمية الغبار

JBG500E ماكينة «FOOD-FACTORY» متعددة الوظائف، مثالية للعصر، تخلط، تفرم، تطحن، تخفق وتعجن

اغلي الماء جيدا ثم اضيفي الخضر اليه لسلقها بأسرع ما يمكن.

الفاكهة

عندما تقشرين أنواعا من الفاكهة كالتفاح والمشمش والافوكادو والموز والتين والعنب والخوخ والدراق والكرز، يتحول لونها الى البني في درجة الحرارة العادية. هذه الفاكهة سريعة العطب وتحوي مركبا يتفاعل مع الاوكسيجين فيتحول الى اللون البني. يبدأ التأكسد عند تقطيع أنسجة الفاكهة، لأن المركب الشبيه بالفينول يمتص بسرعة الاوكسيجين الموجود في الهواء.

وهناك طريقتان لمنع حصول التأكسد. أولا، غطي الفاكهة بصلصة المايونيز، وبذلك تمنعين وصول الاوكسيجين اليها. ثانيا، رشي عصير الاناناس او الليمون الحامض او الخل على الفاكهة فتحتفظ بألوانها الطبيعية.

القهوة

هناك طرائق عدة تجعل طعم القهوة غير لذيذ حتى بات تحضير فنجان قهوة عملية صعبة. تخسر القهوة نكهتها اذا تركنا الماء يغلي اكثر من المطلوب فيتبخر كل الهواء الذائب فيه مما يترك القهوة عديمة النكهة. في المشروبات الساخنة عموما استعملي ماء باردا واغليه أقل ما يمكن.

والنظافة هي القاعدة الأهم لتحضير قهوة لذيذة. جميع الادوات المستعملة في صنع القهوة يجب ان تكون نظيفة جدا. تحتوي القهوة على زيت تصعب ازالته عن المعادن أو الزجاج أو الخزف. والزيت "يزنخ" ويفسد ويعطي نكهة كريهة.

خبراء القهوة يفضلون المطحنة النظيفة ايضا. معظم مقومات نكهة القهوة تتطاير وتتبخر في عملية الطحن. والبن المطحون المعبأ في أكياس ورقية يخسر نكهته بسرعة في درجة حرارة معتدلة، ومن الافضل حفظه في وعاء عازل للرطوبة داخل الثلاجة حيث درجة الحرارة المتدنية تحفظ النكهة.

عجينة الحلوى

كيف نحصل على عجينة رقائقية للحلوى؟ يكون ذلك بتحضير عجينة هي من اللين بحيث ترق من غير ان تتمزق، وبتوزيع رقائق من السمن بالتساوي في العجين.

هذه الرقائق الدسمة لن تذوب وتختفي أثناء التحضير اذا هي ابقيت باردة وصلبة. لذلك من المستحسن ان تترك العجينة في مكان بارد لفترة قصيرة قبل الاستعمال. ومن الافضل تبريد الوعاء وأدوات الرق واستعمال ماء مثلج. ومن المفيد استعمال خلاطة وشوكة بدلا من اليدين الدافئتين.

ضعي العجينة لتبرد قبل رقها. ولدى خبزها تتكون بثور بخارية حول السمن وتنفخ العجين مكونة رقاقات.

هذه المعلومات في فن الطبخ ستحسن طبخك وترضي فضولك وتمنحك اعجاب الاصدقاء. هنيئاً لك.

■ آرثر غروسر

اداء عالمي يلائم رقي الدرجة الاولى

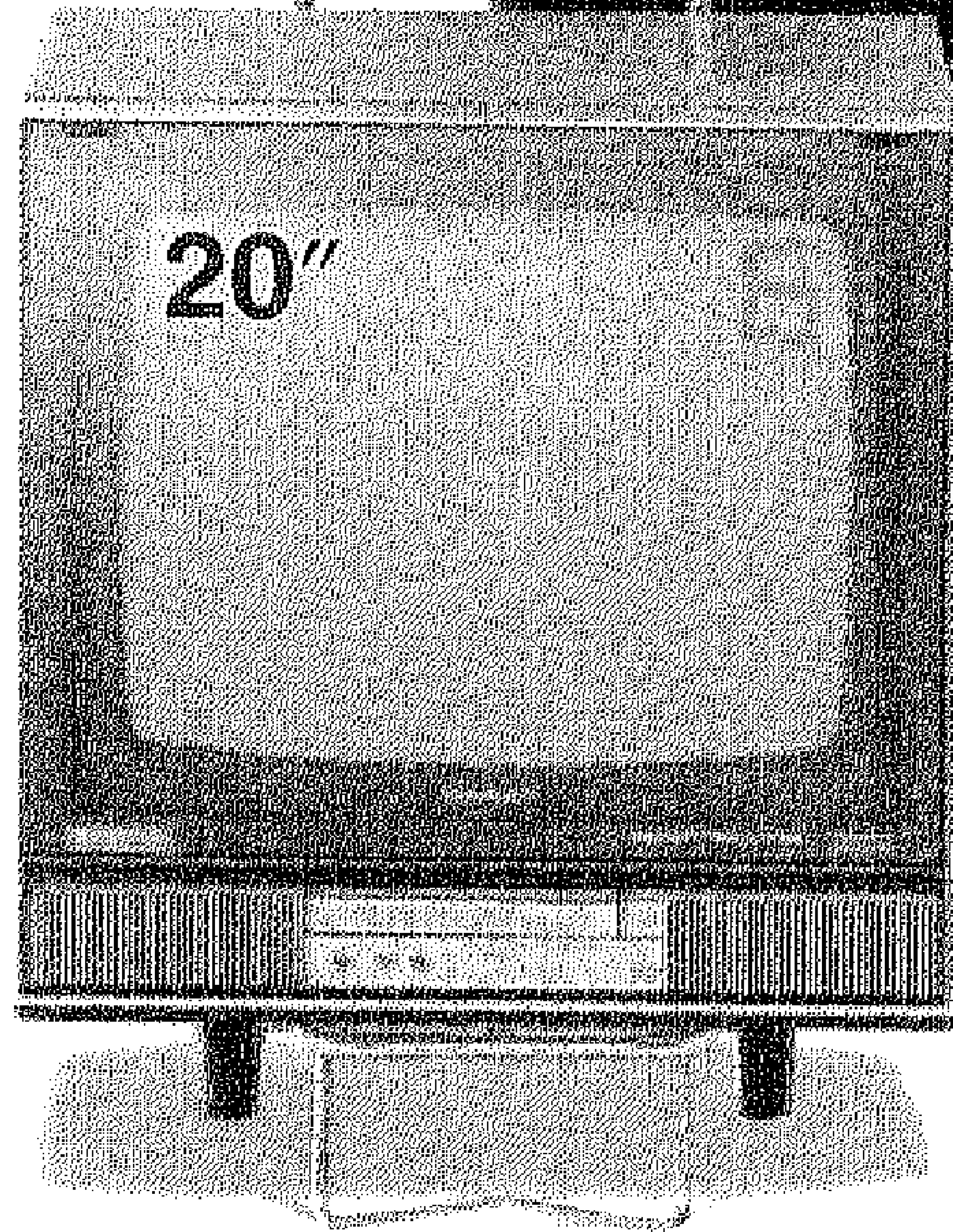
إمكانية ريموت كونترول يعمل بالأشعة تحت الحمراء، أداء رائع للبث التلفزيوني العالمي، كل تلك المزايا العديدة تجدها في التلفزيونات ذات الأنظمة السبعة... لك من شارب.

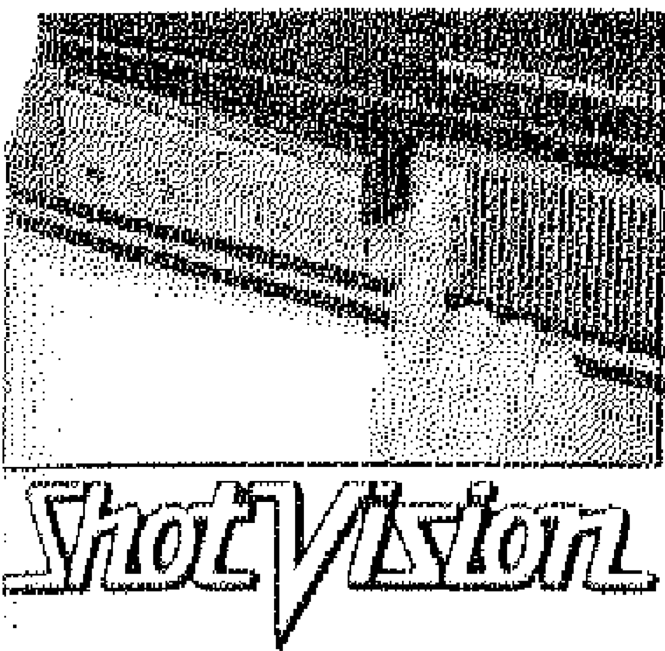
استمتاع بالعروض التلفزيونية والأشرطة واسطوانات الفيديو

7-SYSTEM

تستطيع التحكم بتلفزيونك ذي الانظمة السبعة من شارب عن طريق جهاز الريموت كونترول الذي يعمل بالأشعة تحت الحمراء وتمتع بالراحة والاسترخاء امام تلفزيون يلائم رقي الدرجة الاولى.

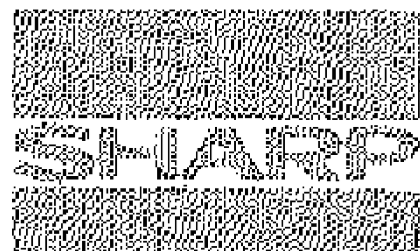
أضف الى ذلك تفاوق الانظمة السبعة مقارنة بكل مستوى اذاعي فني يستخدم في عالمنا اليوم فيه ستحصل على الاداء الراقي. استلق على كرسيك وتحكم بتلفزيون شارب الجديد ذي الانظمة السبعة فهو لك أينما تريد أن تكون..

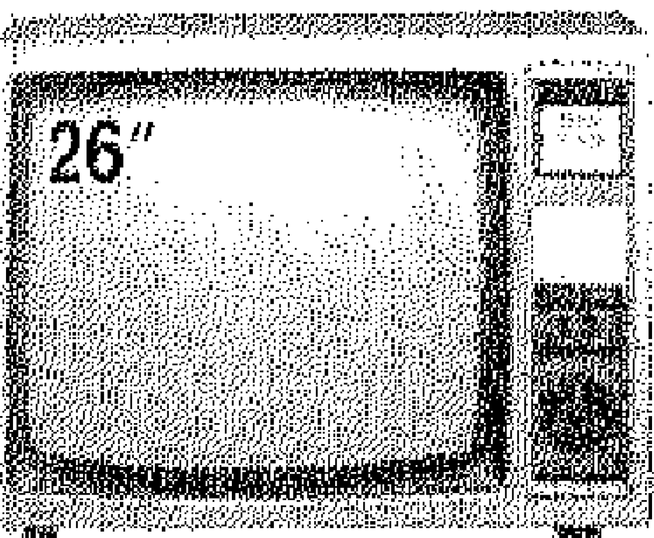




DV-2100SPN

تلفزيون ملون ٥١سم (٢٠ بوصة) مع ريموت كونترول قابل للإنفصال يعمل بالأشعة تحت الحمراء ويقوم بأداء ١٧ وظيفة. مجهز بسماعتين ثنائيتي القناة ستيريو لصوت صافي يحتوي على فتحات لتوصيل أجهزة الفيديو، بيبين رقم القناة على الشاشة. ريموت كونترول قابل للإنفصال من شارب. DV ١٦٠٠-١٦٢٠ أيضا بالوحدة ريموت كونترول.





DV-262SPN

تلفزيون ملون ٦٦سم (٢٦ بوصة) مع ريموت كونترول يقوم بأداء ١٦ وظيفة، يحتوي على فتحات لتوصيل أجهزة الفيديو، مجهز بذاكرة تبرمج لـ ١٦ قناة.

بكل فخر نقدم لك الترقي الى السعادة

شارب SHARP

شركة شارب اليابان

لمزيد من المعلومات يرجى بالاتصال بوكيل شارب المحلي.

العربية السعودية : حسين ع. مكلوع ص.ب ٧١٣ ، جدة تلفون ٦٤٧٩٦٧٠ ، ٦٤٧٦٦٢٥
الكويت : شركة التجهيزات الفنية المحدودة ص.ب ٥٤٤٨ ، الصفاة تلفون ٤١٢٦٧٩/٤١٢٦٧١
الامارات : كوسموس ص.ب ٦ ، دبي تلفون دبي ٢٣٥٩٨٨ ، ابو ظبي ٣٢٥٥٨٦ ، العين ٦٥١٦٤٤ ، شارقة ٢٧٧٩٦١
البحرين : متجر زويل ص.ب ٣٢٣ ، البحرين تلفون ٢٥٤٧٩٥/٢٥٨٣٥٨/٢١٠١١٥
عمان : شركة عمان للإلكترونيات المصرية ص.ب ٧٠٨٨ ، مطرح تلفون ٧٠٤٤٩١ ، دارسيت ٧٠٢٠٠٧
قطر : شركة المفتاح التجارية ص.ب ٨٧٥ ، الدوحة تلفون ٤١٣٦٨٧/١٣٢٠٧٣
لبنان : الشركة التجارية العامة ش.م.ل. ص.ب ١١-١٩٥٥ ، بيروت تلفون ٣٩٢٥٩٨/٩ ، ٣١٦٣٢٥

كان "هوفر" يسبح كفقمة ويأكل كفقمة، لكنه كان يتكلم بلكنة أمريكية شرقية

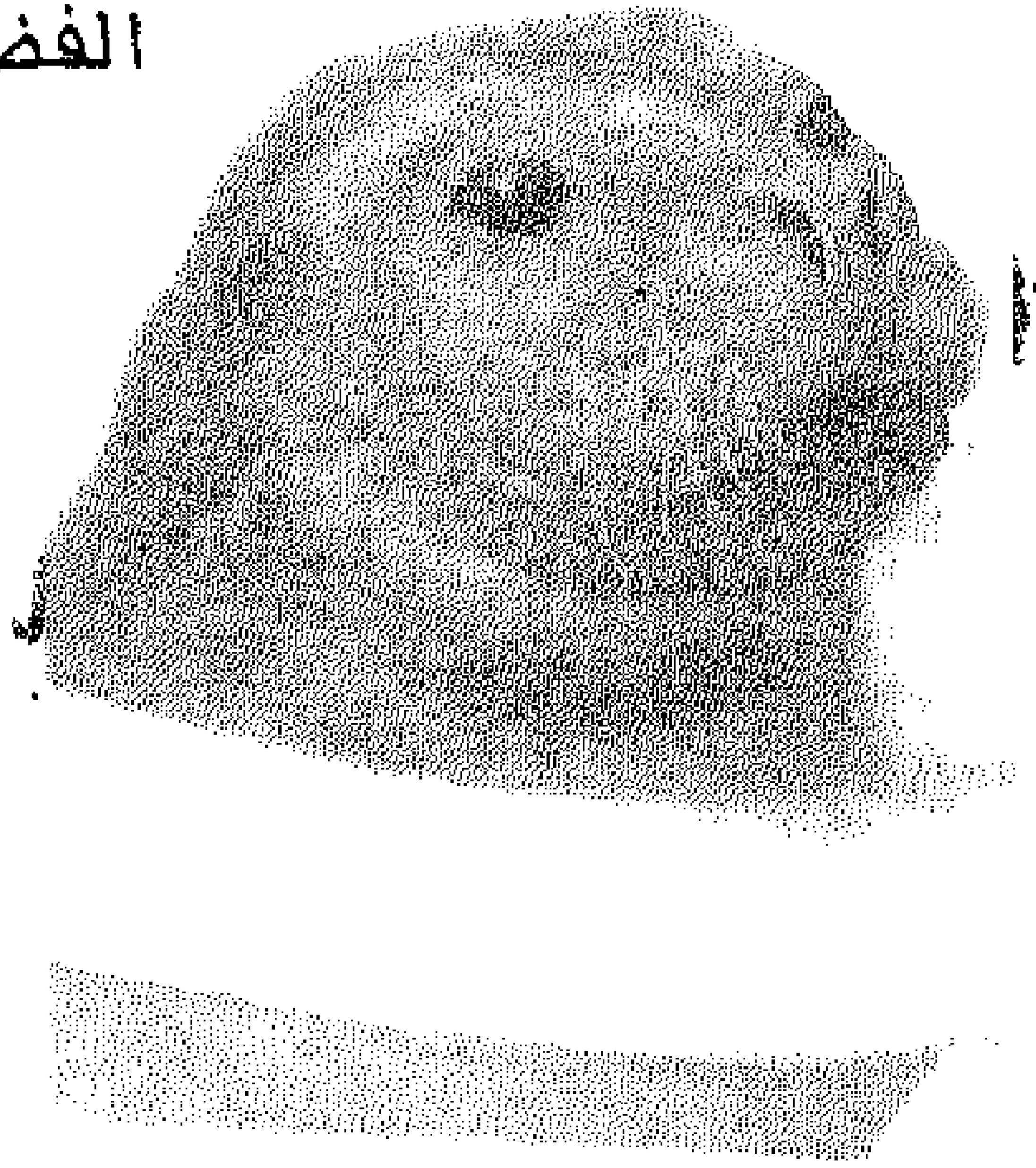
الفقمة الناطقة

لم يتعجب جورج سوالو وزوجته أليس عندما خابرهما سكوتي، شقيق أليس، صباح يوم من شهر مايو (أيار) ١٩٧١ ليسأل ان كانا يريدان أن يحمل اليهما فقمة. فقد اشتهر آل سوالو في بلدة كنديز هاربور من أعمال ولاية ماين الامريكية، التي يعيش سكانها على صيد السمك، بأنهما يأخذان الحيوانات الجريحة والمتيتمة للعناية بها.

ولكن، معرفة منه ان الفقمة الواحدة قد تزن بضع مئات من الكيلوغرامات، قال جورج لابن حميه: "الافضل أن ندع هذا الحيوان وشأنه."

وأجاب سكوتي: "انها فقمة صغيرة جداً لا تتجاوز حجم قدمك. وهي لا تكف عن ملاحقة كلبي أينما ذهب."

وما هي الا عشر دقائق حتى وصل جورج الى منزل سكوتي. وهناك، على شاطىء صخري، شاهد كلب سكوتي ينبح فوق كتلة من الفرو الفضي بين الصخور. وكان جورج



آنذاك في السابعة والخمسين. ووقف ينظر الى عيني الجرو السوداوين الواسعتين. وهو مخلوق يستحق الشفقة. ففي حين ان جرو الفقمة يزن تسعة كيلوغرامات عند الولادة، فان وزن هذا الجرو لم يتجاوز نصف المعدل الطبيعي. وما زال بعض حبله السرّي يتدلى من بطنه.

وراح جورج يمشط الشاطىء عله يعثر على ام الجرو. واذ لم يرَ أثراً لها قدّر أنها قُتلت. فهناك صيادون ينظرون الى تلك الحيوانات على أنها منافسة لهم. ورفع جورج الجرو الهزيل وقال: "خير لك أن تأتي معي."

وبدا حظ الجرو في البقاء ضئيلا. ولما حمله جورج الى المنزل بقي أياماً يرفض الحليب الذي كان يضعه أمامه. وعبّر جورج عن قلقه لصديق، فنصحه بأن يسحق بعض أسماك الاسقمري البحرية ويضعها في فم الجرو. ولكم كان سعيداً عندما نجحت تلك الطريقة. ويقول جورج: "منذ ذلك الحين لم يثنه شيء عن الطعام. وكان يأكل كثيراً حتى دعوناه "هوفر"، على اسم المكنسة الكهربائية التي تلتهم كل شيء في طريقها."

نجم القرية ــ بعد أيام ثلاثة في منزل آل سوالو غدا هوفر منتفخاً مثل كرة قدم. وفي البداية رتع باطمئنان في المغطس داخل الحمام، وكان يرفع رأسه بحذر كلما سمع وقع خطى. وبعد ذلك حمله جورج الى البركة وراء المنزل. وأخذ الجرو يسبح بين الاعشاب المائية مستكشفاً عالمه. وعاد جورج الى المنزل وقد سرّه انسجام هوفر بمحيطه الجديد. وبعد نصف ساعة سمع طرقة على الباب. ولما فتح رأى هوفر ينتظر بفارغ الصبر ليُعاد الى الداخل.

وخوفاً من الذئاب والحيوانات البرية الاخرى، أقام جورج سياجاً أمام باب المطبخ ونصب ضمنه خيمة لينام فيها الجرو. وراح هوفر يراقبه باهتمام وهو يلفّ الاسلاك الشائكة. وما أن رفع السياج حتى زحف هوفر تحته بحماسة واختفى داخل بيته الجديد. ولكن ما أن طلع الصباح حتى سمع جورج وأليس طرقاً على الباب. وتبين لهما أن هوفر اكتشف كيف يرفع السياج بأنفه متى شاء.





وسرعان ما اعتاد هوفر حياته الجديدة. فكان ينام ليلا في خيمته، وفي الصباح يزحف تحت السياج ويشقّ طريقه الى البركة. وفي الوقت نفسه اعتاد آل سوالو أن يسمعا طرق هوفر على الباب كلما حلا له الامر.

وكثيراً ما كان يحمله جورج من المنزل الى البركة. ومع الوقت اكتسب وزناً كبيراً بالتهامه أربعة كيلوغرامات من السمك يومياً. وذات يوم وضعه جورج في عربة يد وراح يدور به حول البركة. وانتشى هوفر لذلك، وبات يقفز الى العربة ويستجدي النزهة.

وغدت الحياة بالنسبة الى هوفر حفلة سمر دائم. ويقول جورج: "في أقلّ من عشر دقائق تعلم أن يقفز ضمن طوق." كما تعلم أن يدور حول نفسه في الماء كلما طُلب منه ذلك.

الا أن رياضة هوفر المحببة كانت **السباحة البطيئة تحت ضفدعة صغيرة** تعيش في المكان نفسه ونَقْرها بخطمه لترتفع في الهواء. وأحياناً كان يشدّ جورج أو أليس شداً رفيقاً باليد أو بهدب السروال الى الماء.

وكلما تفقده جورج في البركة، كان يختبىء بين الاعشاب. وكان جورج يصرخ بصوته الاجشّ: "هيا، اخرج من هناك." أما هوفر فكان يتجاهل ذلك الامر، ثم لا يلبث أن يبرز ببطء فوق الماء كأنه ينفذ ارادته هو.

وذاع خبر هوفر في القرية، وبات الاولاد يقصدون البحيرة كي يروه ويجرّوه في عربة اليد. وكان يسبح في البركة في دوائر ليرضي جمهوره، ثمّ ينقف الضفدعة المسكينة عالياً، ويختم عرضه بالاسراع نحو الاولاد الضاحكين المتجمهرين على الشاطىء ورشهم بالرذاذ.

أكثر من حبه التنزه في عربة اليد، أحبّ هوفر الركوب في سيارة آل سوالو. وفيما جورج على عجلة القيادة، كان هوفر يقف على حضنه وينظر عبر النافذة. ومرة تركه جورج في السيارة وخرج الى محل لبيع الادوات المنزلية. وبينما هو في الداخل لاحظ أن الزبائن ينظرون بدهشة نحو الباب. ونظر هو أيضاً ليرى هوفر وقد خرج في اثره.

وبعد ذلك أدرك جورج أنه كان يكثر الكلام أمام هوفر. فكلما حمل كيساً من السمك اليه، كان ينقر باب الزريبة ويقول: "اخرج أيها الأحمق." **وكلما رآه مختبئاً بين أعشاب البحيرة**، قال: "هيا، اخرج من هناك." وأحياناً كان يسأله: "كيف حالك؟"

ويقول جورج اليوم: "الحق أني لم ألقن هوفر الكلام. وكل ما فعلته كان مخاطبته على نحو طبيعي، وتقليده كلما أصدر صوتاً غريباً. وربما استمد أفكاراً من ذلك."

قبلة الوداع — بعد مرور نحو ثمانية أسابيع على مجيء هوفر الى رعاية آل سوالو، هرع بعض الاولاد من ناحية البركة الى جورج قائلين: "أتعرف أن هوفر ينطق؟ لقد قال لنا: أهلا بكم." وأجاب جورج وهو يبتسم: "أجل، أعرف ذلك."

وذات عصر صادفه جورج في الطريق الى البحيرة، فبادره بالآتي: "مرحباً بك." وتخيل انه سمع هوفر يردد الكلام نفسه بصوت أجشّ **يحاكي صوت جورج ولكنته الامريكية الشرقية. وبعد أيام سمعه يقول: "هيا، اخرج من هنا."** وكان جورج وصل لتوّه الى شاطىء البحيرة. لكنه لم يصدق ما يسمع.

وفي شهر اغسطس (آب) ١٩٧١ كان هوفر يزن ٣٥ كيلوغراماً. وفكر جورج في اعادته الى مياه الميناء حيث وُجِد للمرة الاولى، ظناً منه ان الوقت حان لينضمّ هوفر الى سربه.

غير أن هوفر لم ينظر الى نفسه كفقمة. وكان جورج يتنزه في زورقه البخاري الصغير ومعه هوفر الذي ما برح، طوال ساعات، يقفز الى الماء ثم يعود الى الزورق الاحمر بعد أن يلعب طويلا وسط الفش" الطافي.

وبدت اعادة هوفر الى البحر مستحيلة. ترى أيستطيع الذود عن نفسه؟ ألا يشكل قفزه بين المراكب خطراً على حياته؟ وأخيراً زال قلق جورج وأليس عندما اقترحت ادارة مربى نيو إنغلند المائي في بوسطن (مساتشوستس) أن تأخذ هوفر على عاتقها. ولكن حين فكر جورج ملياً في الامر قال لنفسه: "أُراهن على أنه سيحرم ركوب عربة اليد هناك." وأخذ الشعور بالفراغ طريقه الى الزوجين معاً.

وتتذكر أليس ذلك اليوم: "لقد بكيتُ طولَ الطريق الى بوسطن."

أما هوفر فقد راقته النزهة الطويلة في السيارة. وراح يتنقل من مقعد الى آخر ويمدّ رأسه من النافذة ليراقبَ السيارات والشاحنات.

في المربى المائي أخبر جورج المسؤولين انه سمع هوفر ينطق مرتين. وفوجئت الادارة لأن السجلات العلمية لا تتحدث عن حيوان ثديي يقلد الكلام البشري. زِد على ذلك أن الفقم التي تعيش في الموانىء لا تنبح بقوة كالفقم الاخرى.

ووقف جورج وأليس طويلا ذلك العصر أمام البركة التي وُضع فيها هوفر وهما يتذكران خبرتهما مع ذلك الجرو. وأخيراً قال جورج: "الحقّ أنه أحمق." وأخذه بين يديه، فطبع هوفر على وجهه قبلة مبللة باللعاب. وأعاده الى الماء ومشى وزوجته بسرعة. ولما رأى هوفر ذلك أخذ ينبح بشدة وانفعال. وبقي الزوجان صامتين معظم الطريق الى كنديز هاربور.

ذاكرة لا تخون — في البداية أكثر آل سوالو الزيارات لتفقُّد هوفر. لكن كل وداع كان بمثابة تجربة نفسية أليمة. وأخيراً قرّ رأيهما على أن ترك هوفر وشأنه أفضل له.

وفي تلك الاثناء حدثت ظاهرة غريبة في مربى بوسطن المائي. فقد



سمع المسؤولون عن بركة الفقم صوتاً متميزاً منبعثاً من هناك. وفي العام ١٩٧٤. جاءت ملاحظاتهم تؤكد أن هوفر ينطق بصوت أجش".

وفي السنوات التالية زاد صوته حدة. وفي ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨ سجل المسؤول عنه ما يأتي: "انه يقول "هوفر" بنبرة واضحة. ولدي شهود على ذلك." وما لبث هوفر أن نطق بعباراته الاخرى: "مرحباً بك"، "كيف حالك؟"، "هيا، اخرج من هنا" محاكياً لهجة سكان الساحل الشرقي للولايات المتحدة.

وسرعان ما أصبح هوفر نجماً بارزاً في وسائل الاعلام. وهرع العلماء من معهد سميثسونيان في العاصمة واشنطن لدراسة موهبته العجيبة. لكنهم لم يجدوا تفسيراً لتفرده بين أقرانه في تقليد الاصوات البشرية.

ووصلت أخبار هوفر الى آل سوالو في كنديز هاربور. وشعرا أكثر فأكثر بالكآبة لابتعادهما عنه. وبعد خمس سنوات من الانقطاع قال جورج لزوجته: "انه لا يتذكرنا. لذلك لا حرج في زيارته." وفي اليوم التالي كانا على الطريق الى بوسطن.

ووقف آل سوالو في المربى المائي ينظران الى فقمة كبيرة مخططة بالاسود والرمادي وهي تنطق أمام عدسات التلفزيون. وكان هوفر رفض تناول الطعام ذلك اليوم بسبب علة بسيطة أصابته. وفيما هما يراقبانه من مكان غير منظور دنا منه أحدهم محاولا اغراءه بسمكة رنكة. واذ ذاك سار جورج نحو حافة البركة وقال: "تعال الى هنا أيها الأحمق."

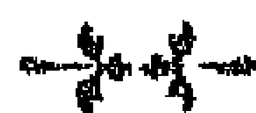
ولدى سماعه صوت جورج خفف هوفر حراكه وراح يتفرس في وجوه المشاهدين. وتطاير الرذاذ في كل ناحية عندما قفز هوفر خارج البركة، وأخذ يد أليس برفق ووضعها في فمه وهو يحاول سحبها معه الى الماء.

ثم أخذ جورج كيس السمك ورمى سمكة الى هوفر. وهو قال لاحقاً بصوت متهدج: "كان ينبغي أن تراه في تلك اللحظة وهو يلتهم الاسماك بشراهة كما لو صام دهراً."

أما اليوم فقد غدا هوفر حيوان مربى بوسطن الناطق، وقد تهافت على "مقابلته" مراسلو الصحف وشركات التلفزيون.

وكلما زار آل سوالو بوسطن ذهبا الى المربى المائي لتفقد صديقهما القديم. ولا يزال العلماء وغير العلماء حائرين أمام تلك الظاهرة الغريبة. وبين حين وآخر يتوقف أحد الزوار أمام البركة، فيبادره هوفر: "كيف حالك؟"

■ **ريتشارد فولكومير**



الخبرة الثمينة

تقاعدت بعد ٤٣ سنة في حقل التحرير الصحافي. وذات يوم خابرت ادارة برنامج لمحو الامية معبراً عن رغبتي في الانضمام الى البرنامج وواصفاً خبرتي في الصحافة. وسألني الشخص على الخط الآخر: "اتريد أن تأتينا استاذاً أو تلميذاً؟"

هـ.ب.

كان غايوس بلينيوس مؤرخاً وجغرافياً وناقداً فنياً ومستشاراً امبراطورياً ومحامياً وجندياً وعالم طبيعة وراوية من الطراز الاول٠ وما زالت كتاباته بعد نحو ٢٠٠٠ سنة ترشد العلماء المعاصرين الى ينابيع الحضارة

من ينابيع الحضارة



كان غايوس بلينيوس رجلاً كبير البطن رقيق الصدر٠ وقد تميز بهدوء اعصابه حتى لكان في وسعه ان ينام نوماً عميقاً قرب بركان ثائر٠ وعهده معاصروه جندياً وضابطاً في روما الامبراطورية٠ ويدعوه الطلاب المحدثون بليني الأرشد او الاكبر (لتمييزه عن بليني الاصغر الذي تعهده غايوس وتبناه) ويبدون اعجابهم به كواحد من اشهر المؤلفين القدماء وكمرجع في موضوعات عدة من بينها تربية المواشي وصناعة الزجاج والورق وتقنيات التعدين واستعمال الرخام وعلم الجغرافية٠

لقد بات بليني نموذجاً للعبقرية الشاملة ومثالا يحتذى في روما القديمة لتعطشه المستمر الى المعرفة ولعقله النير ولقوة شخصيته٠ وخلف بليني للأجيال اللاحقة موسوعة بعنوان "التاريخ الطبيعي" تقع في ٣٧ مجلداً وتتناول العالم الذي كان يعيش فيه٠

وترجمت هذه الموسوعة الى كل اللغات الحضارية في العالم (★). وكان كريستوف كولومبوس قرأ مؤلفات بليني قبل ان يمضي في رحلته الاولى لاكتشاف العالم. ولم يفت الكاتب الالماني العظيم غوته ان ينعم النظر في تلك المؤلفات. واذا كان بعض نقاد القرن التاسع عشر يهزأون بموسوعته تلك ويعدونها موسوعة الاخطاء القديمة، فهذا لا ينفي انها لا تزال تحتفظ بمكانتها العالية كمصدر مهم لمعرفة اصول حضارتنا.

لولا بليني لكان كثير من أسماء المدن والموانىء والانهار لا يزال في طي النسيان. ففي العام ١٥٠٦ مثلا اكتشف الحفارون في احد الكروم الرومانية تمثالا من الرخام كان بليني ذكر انه "أروع اعمال الرسم والنحت" وهو ظل ضائعاً طوال قرون. وأثبت هذا الاكتشاف صحة ما ذهب اليه. ويمثل هذا العمل الفني لاوقون كاهن طروادة وولديه وقد التف عليهم ثعبانان عملاقان يحاولان خنقهما. والتمثال معروض اليوم في متحف الفاتيكان وهو من ابرز المعالم السياحية في روما.

عالم الطبيعة - ان مؤلف موسوعة "التاريخ الطبيعي" لا يدعي الابتكار في عمله، ويقول في اهدائه الى الامبراطور تيتوس انه اختار نحو عشرين الف موضوع من الكتّاب السابقين ومعظمهم من اليونان. وعلى رغم ذلك فان هذه الموسوعة التي تتضمن اكثر من ٣٥ الف مرجع حافلة بملاحظاته المبتكرة الناجمة عن حبه للمعرفة. فهو لا ينثني عن طرح الاسئلة على كل شخص يلتقيه سواء أكان صانع جبنة ام صائد لؤلؤ. وموضوع بليني المفضل هو الانسان وبيئته والتفاعل القائم بينهما. وفي الموسوعة ايضاً فصول مستقلة في علم الكونيات والجغرافية والمعادن والحيوان والارصاد الجوية وعلم النبات.

تناول بليني في ابحاثه الألماس وقوس القزح وعين الانسان والجنين والكرمة. وابدى اهتماماً واضحاً بالنمل والنحل وصغار الذباب والبعوض ودرس عاداتها. واشار ذات مرة الى كسوف الشمس. وكان يحلو له ان يتوقف ويستمع الى العندليب "الذي ينبعث من جسمه الضئيل صوت عال جداً وانفاس متلاحقة."

ويحبس بليني انفاسه عندما يراقب العنكبوت وهي تنسج بيتها ويلاحظ ان مشهدها وهي تهزم ضحيتها يذكره بحلبة الصراع حيث تقود الهزيمة الى الموت. ويطيل الكاتب كلامه على النحل فيعرض لنظامه الاجتماعي وتركيب القفران والحكمة في تأمين حراسة لها كما يتحدث عن انواع العسل حديث من يتذوق شهي الطعام. وهو يحذرنا من لسع النحل مشيراً الى ان القفير يمكن ان يقتل حصاناً. ويبدي المؤلف ايضاً دهشته من النملة، تلك الحشرة الصغيرة التي تملك قدرة عجيبة على

(★) الانكليزية والالمانية والايطالية والاسبانية والفرنسية والهولندية والعربية.

حمل الأثقال. وهي في ذلك تفوق جميع الحيوانات اذا اخذنا صغر جسمها في الاعتبار. ويعجب بليني عندما يراقب عمل النمل كيف يمكن هذه الحشرات ان تعرف بعضها بعضاً وان تتخاطب في ما بينها. ويقول مدهوشاً ان النمل وحده يشارك الانسان في دفن موتاه. ولكن "ليس في الطبيعة امور لا تُصدَّق."

نوادر القدماء — زار بليني منابع نهر الدانوب بحكم اهتمامه بالجغرافية وكان أول كاتب قديم يذكر ينابيع المياه الساخنة في بلدة فيزبادن الالمانية. وربما كان مصيباً في قوله ان الممرات المنحدرة استخدمت في بناء الاهرام. وقد ادرك ان البرَد هو مطر متجمد ووصف الرياح التجارية في الخليج العربي كما وصف الطريق البحرية الى الهند. وكان يعلم، كما نعلم الآن، ان الحيتان والدلافين حيوانات ثديية وليست اسماكاً. واليه يعود الفضل في رواية القصة الجميلة التي تتحدث عن دلفين كان يحمل ولداً صغيراً الى المدرسة عبر احد الخلجان في جنوب ايطاليا ثم يعود به بالطريقة نفسها.

لم يكن بليني عالماً بالمعنى الدقيق، وهو تكلم على وجود نماذج عجيبة في عالمنا الارضي. فبعض الناس لهم آذان طويلة جداً بحيث يمكن ان تلتف حول اجسادهم. وهناك خيول قرناء ومجنحة. وهناك وحش مخيف يستطيع قتل ضحيته بمجرد نظره الى عينيها. ويؤكد بليني وجود اسماك صغيرة قادرة بقوة المص على ان توقف اكبر المراكب. وكتب في هذا الشأن: "ما زلنا نتذكر السمكة التي اوقفت السفينة" التي كانت تنقل الامبراطور كاليغولا. ويضيف ان ذلك ربما كان نذير شؤم لأن الامبراطور تلقى طعنة قاتلة بعيد عودته الى روما.

كان بليني بارعاً في رواية القصص فأتت قصصه حافلة بالمُلَح والنوادر. فهو يخبرنا مثلا ان نيرون قبل هربه الى قصره واقدامه على الانتحار هشَّم قدحين نفيسين من البلور كي لا يتسنى لخلفائه ان يشربوا منهما. وهو يروي ان مدرسة كاليغولا لتدريب المصارعين كانت تضم عشرين الف رجل يتمرنون على المبارزة القاتلة. غير انه لم يكن من بين هؤلاء جميعاً سوى اثنين فقط لا تطرف لهما عين اثناء الهجوم.

جامع المعلومات — ولد بليني في العام ٢٣ الميلادي لعائلة ثرية في بلدة كومو الواقعة على ضفة بحيرة في شمال ايطاليا. درس القانون في روما ثم التحق بجيش بلاده في المانيا حيث كانت الفيالق الرومانية تقاتل القبائل المتاخمة لحدودها. ولما رجع الى روما مارس الحقوق ثم عين في مناصب عسكرية وادارية في فرنسا واسبانيا وشمال افريقيا، وكانت آنذاك تابعة للامبراطورية الرومانية. ولدى عودته عينه الامبراطور فسبازيان عضواً في مجلسه الخاص.

كان بليني شغوفاً بجمع المعلومات. ففي روما كان ينهض

منتصف الليل ليقرأ على بصيص قنديل زيتي ثم يدخل قبل الفجر على فسبازيان الذي يحب السهر مثله ليبحث معه في شؤون اليوم التالي. وبعد ان يتناول ظهراً قليلا من الطعام يتمدد في الشمس بينما يقرأ له احد مساعديه بصوت عال. كان الوقت بالنسبة اليه ثميناً جداً حتى ان معاونيه كانوا يقرأون له الكتب عندما يستحم او اثناء تدليكه. وحين يسافر كان يصطحب احد الكتبة ليملي عليه ما يريد. ولم يكن يفوته ان يدون ملاحظات وافرة حول كل ما يراه او يسمعه او يقرأه، وعند موته ترك لابن اخته وربيبه بليني الاصغر مئة وستين دفتراً ملئت صفحاتها جميعاً بخطه الصغير.

لم تكن نظرته الى العالم تختلف عن نظرة مثقفي عصره من الرومان. فالأرض في رأيهم كرة معلقة في وسط الكون الذي يدور حولها. والانسان هو محور العالم وقد خلق كل ما في الطبيعة لخدمته. غير ان على الانسان الا يسرف في تمتعه من نبات الارض وفاكهتها ومعادنها النافعة. فليس ينبغي مثلا ان نفسد الجبال بالافراط في استخراج الحجار من مقالعها لأن الجبال هي السقالات التي ترتكز عليها الارض. اما النجوم فهي منازل قديمة للنفوس الانسانية. واما الشمس التي تتحكم في الفصول والاراضي والكواكب كلها فهي عقل الكون وقلبه وسلطته العظمى. لذلك فان بليني لم يكن ليبارك ارسال رواد الى الفضاء. وقد ورد في موسوعته ما يأتي: "ان الانصراف عن عالمنا الارضي لاكتشاف ما يحدث خارجه هو الجنون عينه لأننا لا نزال نجهل كثيراً مما يحصل في عالمنا هذا."

وصفات طبية – كان "مذهب" بليني الشخصي قريباً الى فلسفة الرواقيين الذين يقولون ان الكون هو تجسيد لقوة الهية.

من بين النتائج الثانوية لامتداد الامبراطورية الرومانية الى آسيا ظهور موجة عارمة من السحر الشرقي حتى ان بليني نفسه لم يستطع التخلص من تأثيرها. فهو نقل الى مواطنيه بضعة آلاف من الرقى والادوية التي كان يصفها المشعوذون كما يصفها "الحكماء" في زمن شهدت مهنة الطب في اليونان تطوراً كبيراً.

يقول بليني على سبيل المثال: "ان افضل دواء للمعدة هو الحلزون شرط ان يغلي في الماء ثم يشوى ويغمس في الكحول ومرق السمك." ويذكر ان تدليك البطن ببعر الفأر ينفع في التخلص من حصى المثانة. والواقع ان اختلاط الحقيقة بالخيال في مؤلفات بليني هو جزء من روعتها، فأنت لا شك تبتسم حين تقرأ ان "لمس خرطوم الفيل يزيل اوجاع الرأس خصوصاً عندما يعطس هذا الحيوان." ولكن هل جربت هذه الوصفة؟

كارثة بومبيي – بعد موت زوج اخته بلينيا بات بليني ولي امر ابنها الصغير سيسيليوس. ولما كان بليني اعزب فقد تبنى ابن اخته وتعهده كما

لو كان ابناً له. وكان بليني الأصغر هو ايضاً محامياً وعاشقاً للطبيعة وموظفاً مدنياً، وقد خلد اسمه بعد موته بفضل رسائله التي تعد مثالا للنثر اللاتيني القديم لوضوحها ودقة معانيها. وفي رسالة كتبها الى المؤرخ تاسيتس وصف ببراعة الكارثة التي اصابت مدينة بومبيي عام ٧٩ وأودت بحياة بليني الاكبر.

في الرابع والعشرين من اغسطس (آب) فيما كان بليني الأكبر في بيته في ميسينوم منصرفاً الى كتبه اشارت اخته عبر خليج نابولي الى غيمة ضخمة تشبه مظلة من الصنوبر تصعد من جبل فيزوفيوس. فأمر بليني الذي كان اميرال الاسطول الروماني آنذاك باعداد السفن الحربية، وصعد هو نفسه الى احداها في محاولة لاجلاء اهالي مدينة بومبيي وهركولانيوم وسواهما بعدما نهض البركان الثائر من رقادة الطويل.

بدأ الرماد البركاني والصخور تتساقط على الشاطىء فيما كان الاسطول يقترب منه. وكان بليني يملي ملاحظاته على كاتبه بهدوء تام. وعندما اقترح عليه مدير الدفة الرجوع الى عرض البحر اجابه: "ان الحظ يحالف القوي، ولنذهب الآن الى منزل بومبونيانوس." وكان بومبونيانوس صديقاً له يملك منزلا في استابيه التي تبعد ستة كيلومترات عن بومبيي. ولما بلغوا المكان كان بومبونيانوس على اهبة الهرب في سفينة حملها مقتنياته.

ورأى بليني ان التيار القوي قرب الشاطىء يحول دون الهرب فعانق صديقه ثم طلب منه ان يرشده الى الحمام. وبعدما استحم تناول طعام العشاء. وقد كتب ابن اخته انه "كان مسروراً او ربما كان يدعي السرور، وفي هذا ايضاً شجاعة مماثلة." ثم مشى الى غرفة للضيوف. وما كاد ان يتمدد استعداداً للنوم حتى اخذت الحجار الساخنة تنهمر في فناء الدار وتهدد بحبسه داخل المنزل.

وفي ما بعد استطاع الخروج هو ورفاقه وقد ربطوا وسائد الى رؤوسهم اتقاء للحجار البركانية ومضوا في طريقهم نحو الشاطىء حيث كان الموج لا يزال عنيفاً كما في الليل السابق. واخذ اللهب يقترب واحاطت بهم سحابة من الغاز السام. وفيما لاذ الآخرون بالفرار على طول الشاطىء تمدد بليني على الرمل فوق قطعة من قماش القنب. وهناك مات مختنقاً بالدخان. وفي اليوم التالي وجد جسده سليماً وبدا اقرب الى النائم منه الى الميت.

ان بليني الأكبر وبليني الأصغر اللذين امتدت حياتهما قرابة قرن يعتبران معلمين من معالم التاريخ. فقد كانا في عداد اواخر الداعين الى التمسك بالفضائل الرومانية القديمة. واليوم نرى تمثاليهما اللذين مضى عليهما ٥٠٠ سنة يطلان من واجهة كاتدرائية كومو، المدينة التي ولدا فيها.

■ ارنست هوسر

المناظرة هي تبادل العلم. أما المجادلة فهي تبادل الجهل.   ب.ع.

الذبذبة الصوتية العالية والموجات الصادمة ابتكاران طبيان يتيحان اليوم تفتيت حصى الكلى من دون جراحة

التكنولوجيا الحديثة تفتت حصى الكلى من دون جراحة



بدأت المعاناة بعيد الفجر ذات يوم كألم غامض في الخاصرة اليمنى. قلت لزوجتي التي أيقظها أنيني وتململي: "لا بد أني آذيت عضلة وأنا أهرول نهار أمس." ولكن في غضون دقائق أقض الألم مضجعي ولم أعد أجد متكأ يريحني من الوجع الشديد الذي اخذ يتشعب من أسفل الظهر حتى أربية فخذي الايمن. هرعت الى الطبيب وأخذت لي صور شعاعية، فأكد التشخيص وجود "حصاة" صغيرة في كليتي اليمنى. قال الطبيب: "ستنزل مع البول بلا ريب." وغادرت العيادة حاملا وصفة لعلاج مهدئ للألم وتعليمات بأن أشرب ستة أكواب من الماء على الاقل يومياً، مع تنبيه بأن أبقى متيقظاً لنزول حصاة في البول.

ان تحرك الحصاة عبر المسالك البولية، انطلاقاً من المجاري الدقيقة داخل الكلية نزولا عبر الحالب الى

المثانة وخارجاً من خلال المصرف البولي، هو من أقسى التجارب في الحياة. وقد استغرقت المعاناة ثلاثة أيام تخللتها تفجرات من الألم قبل ان تظهر الحصاة في المصفاة التي اخذت استعملها لمراقبة ادرار البول. وباستثناء بعض التشنج (المغص) الكلوي المترافق مع نوبات من البرد والغثيان وأوجاع في المسلك البولي والاعياء، انتهت "الأزمة" على خير.

الحرب والسلم — حين أخذت أقص على زملائي ما كابدته علمت أن عديدين منهم قاسوا مثل هذا العذاب، وقلة منهم كانت حصاتهم ثابتة في موقعها واستوجب الامر اخراجها جراحياً. وتبين ان الحصى الكلوية هي مشكلة صحية رئيسية في البلدان الغربية وتكاد تعـرف انتشار داء السكري وارتفاع ضغط الدم. وقد تكون العلة ذات علاقة بالغذاء، لكن الاطباء لا يجزمون بهذا الامر.

٤٠٠ ألف مريض بحصى الكلى يدخلون المستشفيات سنوياً في الولايات المتحدة و٥٠ ألفاً يدخلونها في ألمانيا الغربية. وهؤلاء لا يمثلون سوى نسبة ضئيلة من ضحايا هذا المرض، فكثيرون من المصابين بحصى الكلى لا تظهر لديهم أعراض بينة وبالتالي لا يسعون الى عون الطبيب. وحتى أولئك الذين تظهر عليهم أعراض مرضية غالباً ما "يسقطون" الحصى قبل استشارة الطبيب. وفي نحو ٨٠ في المئة من كل المصابين تخرج هذه الحصى الكلوية مع البول من دون مضاعفات خطيرة من طريق المعالجةالطبية او من دونها.

ترى ما هي حال العشرين في المئة الباقين؟

يقول اختصاصي بأمراض المسالك البولية: "هؤلاء مصابون بحصى ثابتة تسبب أزمات صحية في جميع الحالات تقريباً. وليس من غير المألوف أن تتضخم الحصاة حتى يبلغ قطرها ثلاثة سنتيمترات، وقد يصل حجم بعضها الى حجم ثمرة الشمام." وثمة حصى تدعى "ذات القرون" تتطور في شكل قرن الوعل وتمتد فروعها في مجار عدة داخل الكلية. وكلا النوعين يتعذر تماماً التخلص منهما، وغالباً ما تسد الحصاة الكلية او الحالب وتسبب احتقاناً شديداً في البول. عندما يحدث هذا لا يبقى مناص من نزعها جراحياً لتفادي حدوث التهابات وعطب دائم في الكلية.

لكن استخراج الحصاة من الكلية عملية خطرة. فالندوب التي تخلفها الجراحة في الكلية قد تصبح منبتاً لحصى جديدة، وفي بعض الحالات تصاب الكلية بالتلف مما يضطر الطبيب الى استئصالها كلياً. حتى وان تم كل شيء على ما يرام فعلى المريض أن يمكث في المستشفى مدة اسبوعين، وقد يحتاج الى نقاهة في المنزل لمدة ستة اسابيع.

أما الآن، وبفضل التقنية العالية، فقد أخذ كل هذا يتبدل. بعض الاختصاصيين يستخدمون الذبذبات الصوتية والموجات الصادمة لتفتيت الحصى الثابتة دونما حاجة الى شق

جسم المريض من أجل الوصول اليها في مكانها. وفي أحد الاساليب الجديدة لتفتيت الحصى يولج جهاز الذبذبة الصوتية العالية في تجويف ابرة ثخينة تخترق الجلد في جانب الكلية المصابة، فيتولى سحق الحصاة. وفي جهاز آخر تتولى موجات صادمة مركزة تكسير الحصاة. وفي كلتا الحالين يحتاج المريض الى مقدار ضئيل من التخدير، ويكون هذا عادة في شكل حقنة موضعية أو حاجز فقاري. ويعود معظم المرضى الى مزاولة اعمالهم في غضون عشرة أيام من دون أن يصاب الجهاز الكلوي بأي ندوب.

كيف تم هذا الانجاز؟

الذبذبات الصوتية العالية والامواج الصادمة نشأت من الابحاث العسكرية والفضائية. فالذبذبات الصوتية العالية تحدرت من جهاز الاستكشاف الصوتي (سونار) الذي تم تطويره في الحرب العالمية الثانية لاكتشاف مواقع الغواصات المعادية. وعلى غرار موجات الرادار الاثيرية، تحدد أجهزة الذبذبات الصوتية الاهداف تحت الماء من طريق اطلاقها وقياس الوقت الذي يستغرقه وصولها الى الهدف وارتدادها عنه.

بعد الحرب استخدم هذا الاكتشاف في مهمات سلمية مختلفة مثل تحديد مواقع اسراب السمك في البحر وقياس كثافة الجليد القطبي والتنقيب عن مخزونات النفط والغاز. والى ذلك، من طريق رفع الذبذبة الصوتية أي اطلاق مقدار أعلى من الاهتزازات في الثانية، يمكن استخدام الذبذبات الصوتية العالية في مجانسة الحليب والطلاء وسواهما من الخلائط، وفي تنظيف البقايا العالقة على سطوح قوالب السبك وأوعية الطهو.

انزعاج بسيط — أولى تجارب الذبذبات الصوتية العالية كانت تشبه الى حد بعيد عمل جهاز "سونار" الاصلي. ثبت مرسل للصوت على جلد المريض ووصل بدماغ الكتروني لتحليل الاصداء المرتدة، وهكذا استطاع الاطباء أخذ صور واضحة الى حد معقول للاعضاء الداخلية في الجسم. واستطاعوا كذلك فحص اختلالات البنكرياس وكشف الحصى في المرارة والتمييز بين الورم وكيس الماء في الكبد او الكلية وفحص جريان الدم في الشرايين والاوردة الرئيسية. وأهم من كل ذلك أن الصورة المأخوذة من طريق الذبذبة العالية فتحت "نافذة على الرحم" وأتاحت لاختصاصيي التوليد رؤية صورة للجنين ومراقبة نموه.

في كل هذه الاستعمالات تبقى قوة الذبذبات الصوتية منخفضة نسبياً. ترى ماذا يحدث اذا زيدت هذه القوة؟

يقول احد الباحثين: "أننا نعرف الجواب عن هذا السؤال. انه النغمة الموسيقية المرتفعة من طبقة "سوبرانو" التي تحطم كوباً رقيقاً من الزجاج." والحصى الكلوية التي تتألف من رواسب كلسية متحجرة وأملاح بولية وسواها من المواد تكاد تكون سريعة العطب كالآنية الزجاجية الرقيقة.

ولكن كيف يتسنى ايصال مسبار عالي الذبذبة الى الحصاة الكلوية من دون شق جسم المريض جراحياً؟

عام ١٩٧٦ طبق فريق من اختصاصيي طب المسالك البولية في كلية الطب في جامعة مينز في ألمانيا الغربية تقنية جديدة باستخدام جهاز يشبه الانبوب دعوه "الكاشف الكلوي" يمكن ادخاله عبر الجلد على غرار ابرة الحقن مباشرة الى الكلية. بهذه الطريقة يتوافر نفق قصير مستقيم باتساع كاف لاحتواء قنوات الارواء وجهاز الرؤية ومسبار مصغر للذبذبة العالية. وحين يدفع بهذا المسبار الى الحصاة وتطلق عبره ذبذبات صوتية بسرعة ٢٧ ألف ذبذبة في الثانية يعمل المسبار كأداة سحق للحصاة.

بين الذين يستخدمون هذه التقنية فريق من أطباء المسالك البولية في رودولفستفتونغ في فيينا عاصمة النمسا. وكان بين أوائل المرضى الذين عولجوا بطريقة الذبذبة العالية رجل هرم يعاني مرضاً في القلب، وهو خسر احدى كليتيه وغدا معرضا لاحتمال اجراء جراحة جديدة لاستخراج حصاة ثانية من كليته اليمنى.

يقول الدكتور مايكل ماربرغر من الفريق الفييني: "الى قلقنا على قلبه كنا نعرف أن شقاً جراحياً ثانياً الى داخل كليته اليمنى قد يقضي عليها. في هذه الحال بدا أن تقنية الذبذبة العالية الجديدة تستحق الاختبار العلمي."

أدخل المسبار الكلوي المكان المحدد له بينما الطبيب يراقب حركته بواسطة الكاشف البصري. سدّد رأس جهاز الذبذبة الصوتية الى الهدف وأعطاه القوة، فتحطمت الحصاة خلال سبع دقائق. وأثبت الفحص اللاحق أن المسالك البولية ظلت نظيفة ولم تتلف أي أنسجة في الجسد. وقال المريض انه لم يشعر سوى بانزعاج بسيط خلال العملية كلها وأضحى مستعداً لمعاودة نشاطاته العادية بعد خمسة أيام.

الشرارة الشافية – بالنسبة الى أطباء المسالك البولية في أوروبا وأمريكا الشمالية، بصرف النظر عن مرضى الحصى الكلوية أنفسهم، يمثل استئصال الحصى الكلوية عبر الجلد خطوة مهمة في معالجة بعض أمراض الحصى الكلوية. وفي العام ١٩٨٢ عبرت هذه الطريقة المحيط الاطلسي الى حيث أجريت عليها اختبارات في بضعة مراكز طبية رئيسية. ويقول اختصاصي أمراض المسالك البولية جوزف سيغورا من عيادة مايو في روشستر، ولاية مينيسوتا: "لقد بدلت هذه التقنية كلياً طريقة معالجة حصى الكلى."

وقد تكون المعالجة بالذبذبة الصوتية أسلوباً أمثل اليوم، لكنها قد لا تظل كذلك في الغد. فالموجات الصادمة تستخدم اليوم في عيادة غروسهاردن في جامعة لودفيغ – ماكسيمليان في ميونيخ (المانيا الغربية) لتحطيم الحصى الكلوية من خارج الجسم. وعلى غرار الذبذبة الصوتية العالية جاءت هذه التقنية نتيجة عرضية للابحاث العسكرية.

بدأت هذه الابحاث خلال الحرب العالمية الثانية حين واجه مهندسو الطيران الامريكيون مشكلة تحطم قاذفات القنابل "ب - ٢٩" في الجو. أظهرت التحقيقات أن هذه الحوادث تقع خلال العواصف الماطرة فقط، ثم كشفت التجارب المخبرية في أحوال تحاكي ما يقع في الجو أن اصطدام قطرات المطر بهيكل يرسل موجات صادمة ذات قوة كافية لتحطيم المواد السريعة العطب. وحلت المشكلة بتبديل نوعية زجاج قمرة الطيار.

بعدما وضعت الحرب اوزارها حفظت هذه المعلومات في الملفات ولفها النسيان. ثم ظهرت خلال الخمسينات مشكلات مماثلة للطيران النفاث. وعمد مهندسو شركة "دورنييه" للطائرات في فريدريكشافن (ألمانيا الغربية) الى اطلاق قطرات مطر بسرعة تبلغ ثمانية اضعاف سرعة الصوت على اجزاء ثابتة لطائرة مقاتلة من طراز "ف - ١٠٤". ويقول العالم الفيزيائي غونتر هوف الذي شارك في المشروع: "كانت قطرات المطر تحدث فجوات عمقها ٢٠ مليمتراً في رؤوس أجنحة الطائرات وعلى سطوحها. كما كانت الموجات الصادمة الصادرة عنها تحطم السقيفة الواقية في الطائرة."

بعد التوصية بادخال تعديلات على تصميم السقيفة الواقية لقمرة الطيار، وبناء على اقتراح من الاطباء الذين أثارت هذه الحقائق اهتمامهم، تحول فريق "دورنييه" الى تطبيق الموجات الصادمة في المجال الطبي. ولكن كان عليهم قبل كل شيء أن يبتكروا طريقة لتوليد القوة وضبطها ليمكن توجيهها الى نقطة محددة في الجسم. وخرجوا أخيراً بمولد الموجات الصادمة الذي يقوم على مبدأ شرارة تنطلق تحت الماء عن صدفة اهليلجية لها شكل رأس البيضة المستدق.

حين تنطلق الشرارة بين قطبين كهربائيين تحدث موجات صادمة يركزها سطح الصدفة على نقطة بعيدة. بهذه الطريقة يمكن إيصال الطاقة عبر الماء أو الأنسجة الجسمية الى هدف سريع العطب مثل الحصاة الكلوية.

كشفت التجارب أن الموجات الصادمة المولدة بهذه الطريقة فتتت بعض أنواع من الحصى المستخرجة من أجساد البشر والمزروعة في حيوانات التجارب من دون أن تحدث أي تلف في الانسجة المحيطة بها. وهكذا اقتنع المهندسون والاطباء الاختصاصيون بأنهم عثروا على أسلوب علاجي غير مضر اطلاقاً "ولا يستدعي حتى وخزة ابرة" كما قال أحد الاطباء.

الحقيقة والخيال - عام ١٩٨٠، بعد ست سنوات من البحث الطبي، أقيم جهاز للموجات الصادمة في دائرة طب المسالك البولية في عيادة غروسهاردن في ميونيخ (★). ويقول الدكتور كريستيان شوسي المكلف تشغيل هذه الوحدة: "منذ شهر فبراير (شباط) ١٩٨٠ عالجنا ٧٣٠ مريضاً،

(★) البلدان التي اشترت هذا الجهاز حتى الآن هي النمسا وألمانيا الغربية وبريطانيا واسبانيا وسويسرا والولايات المتحدة.

ولم تحدث لأي منهم مضاعفات جانبية ذات شأن." وقد تحرر ٩٠ في المئة من هؤلاء المرضى من الحصى بعد المعالجة. والاخبار السارة سريعة الانتشار، ولدى العيادة في ميونيخ الآن لائحة انتظار على مدى سنتين.

من أجل المعالجة بالموجات الصادمة يشد وثاق المريض الى محفة خاصة ذات ست وسائد منفصلة يمكن تحريكها الى أعلى وأسفل وجانبياً ودائرياً. وما ان يستقر المريض في الوضع المطلوب حتى ينقل فوق مغطس كبير من الفولاذ الذي لا يصدأ، ومن طريق التسيير الآلي عن بعد يغطس في الماء الدافىء.

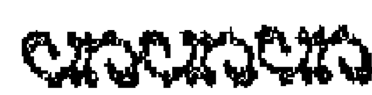
الخطوة التالية هي تحديد مكان الحصاة. على كل من جانبي المغطس أذرع متحركة ذات رؤوس للتصوير الشعاعي يعكس كل رأس منها صورة الكلية على شاشة تلفزيونية يتقاطع عليها خطان رفيعان جداً. ويوضح الدكتور شوسي ذلك قائلا: "الأمر الجوهري في طريقة الموجات الصادمة هو تحديد موقع الحصاة بدقة ليتسنى ضربها بأكبر مقدار من الطاقة. ويحرك المريض حتى تصبح حصاته وسط تقاطع الخطين تماماً على الشاشتين معاً، فتغدو الحصاة مباشرة نقطة الهدف."

اما عملية تحطيم الحصاة في ذاتها فهي في منتهى البساطة. فليس هناك سوى أزيز الشرارات التي يبلغ عددها ٨٠٠ وهي تقفز من قطب كهربائي الى آخر. وطوال فترة العملية يبدو المريض – الذي يخدر القسم الاسفل من جسمه فقاريا – في راحة تامة. ويقول الدكتور شوسي: "يمكن تكرار عملية الموجات الصادمة من دون الحاق اي ضرر بالكلية، وهذا ما يجعل هذه الطريقة تقدماً عظيم الاهمية بالنسبة الى من يعانون تكراراً من حصى الكلى."

وتمثل طريقتا الذبذبة الصوتية العالية والموجات الصادمة في تحطيم الحصى الكلوية بداءة في ثورة التقنية الطبية العالية. وحتى الآن لا تزال الطريقتان رهن الاستقصاء في مجالات اخرى، خصوصاً في معالجة حصى المرارة.

يقول الدكتور هوف: "لا يزال أمامنا شأو بعيد في العمل. وأي شيء يتناول الحياة البشرية لا يكون سهلا." وعلى رغم ذلك، وبالنسبة الى العديد من المصابين بالحصى الكلوية على الاقل، يبدو أن العلم الذي كان بالأمس خيالياً أضحى اليوم حقيقة واقعة.

■ ستانلي انغلبارت



وقت للبكاء

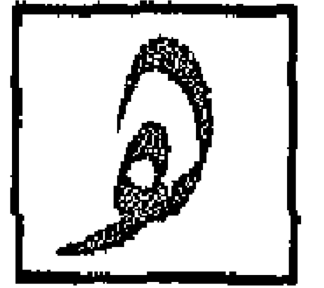
قالت ممثلة مسرحية ان مديرها دخل عليها في ختام التمثيل وأعطاها النصيحة الآتية: "اهنئك على تمثيلك الرائع. ولكن لا تبكي كثيراً، لأن الجمهور لن يبكي عندئذ."

وفي اليوم التالي عملت بنصيحته ولم تبك. لكن النظارة بكوا كلهم.

ب.د.

تنتشر في العالم اليوم جمعيات خيرية
هدفها مساعدة ضحايا الجريمة

اليد البيضاء



هاجم لصان عاملا في محطة للمحروقات فأطلقا عليه النار وسلباه ما معه.
وهو كتب في ما بعد ما يأتي: "جنّبوني إجراءات المحاكم لأن تمثيل أحداث قصتي تكراراً يدفعني الى الجنون."

وناشدت امرأة هولندية (٧٦ سنة) السلطات بعدما سرق معاشها التقاعدي الشهري من حقيبتها فقالت: "ساعدوني! فلست أدري الى من ألتجيء! إني أخاف أن أسير في الطريق."

يبدو ان المجتمع يهتم بالمعتدي أو اللص أو المغتصب أكثر مما يهتم بضحيته البريئة التي قد يكون أصابها أذى فتترك رازحة تحت هول الصدمة بلا معين وهي لا تفقه شيئاً من الاجراءات القانونية. صحيح ان كثيراً من الحكومات في أوروبا والولايات والمقاطعات في الولايات المتحدة وكندا تدفع تعويضاً لضحايا الجرائم (في العام ١٩٨٢ مثلا وزعت بريطانيا مبلغ ٢٢ مليون جنيه استرليني (٣٢ مليون دولار) على ١٧ ألف مواطن من هؤلاء، وفي هولندا ألزمت محاكم عدة

المعتدين أنفسهم تعويض المعتدى عليهم)· إلا ان هذه المبادرات الرسمية تبقى بطيئة وغير شخصية مما يجعل مساهمتها هزيلة في محو الآثار العاطفية والجسدية التي قد تستمر مدى الحياة·

انطلاقاً من هذه الحقائق هب ألوف الاوروبيين الى مناصرة قضية ضحايا الجرائم· وفي أوروبا الآن ما يزيد على ٣٥٠ جمعية تضم متطوعين لمساعدة الضحايا موزعة في النمسا وبريطانيا وفرنسا واللوكسمبور وهولندا وألمانيا الغربية· وهي تمد بالعون اكثر من الف شخص في الاسبوع· وجميع هذه الجمعيات تقدم للضحايا نصائح تشير الى تعاطفها معهم إضافة الى مساعدات عملية طارئة· وفي المانيا الغربية ولاهاي (هولندا) يوزع المتطوعون هدايا نقدية أيضاً·

الحلقة البيضاء – من بين الجمعيات الرائدة في هذا الحقل جمعية "الرأفة بضحايا الجريمة" في لاهاي· وقد أسسها مهندس يدعى هنريك هارت بعد سماعه ان فتاة في الثامنة عشرة خسرت إحدى عينيها عندما هاجمها رجل هولندي وغرز إصبعين في وجهها· واستبد الغضب بالمهندس هارت ولمس الحاجة الى جمعية تساعد الذين يتعرضون في الشارع لاعمال وحشية· فجمع عدداً من صفوة أصدقائه وأسس جمعية خيرية وأعلن حاجتها الى أعضاء· وفوجىء هارت بردود الفعل الايجابية التي لقيها إعلانه وتهافتت عليه الاعانات·

وتضم الجمعية اليوم خمسة عشر مندوباً وزعوا في العام ١٩٨٣ عشرين ألف غيلدر (سبعة آلاف دولار) على اكثر من مئة ضحية· ويعمد مجلس الجمعية المكون من خمسة أعضاء وممثلوها المحليون الى تقليب الصحف بحثاً عن تقارير الجرائم لاختيار من هم في حاجة ملحة الى المساعدة· وذات مرة قرأت رئيسة الجمعية السيدة ليسلوت برنس جاكوبس تقريراً عن رجل أعمى يعيش في مأوى للعجزة كانت إحدى الممرضات سرقت منه مبلغ ٣٥٠٠ غيلدر (١٢٠٠ دولار)· فأسرعت السيدة ليسلوت الى المأوى ومعها هدية الى الرجل ووعدت بمنحه ٥٠٠ غيلدر (١٧٢ دولاراً) من مال الجمعية·

في ألمانيا الغربية توزع الهبات على الضحايا من خلال جمعية "الحلقة البيضاء" التي تضم ١٧٠ فرعاً وتكاد أعمالها تشمل البلاد كلها· ففي العام ١٩٧٧ تنبه ادوارد زيمرمن، وهو منتج تلفزيوني يقدم أفلاماً وثائقية عن الجرائم، الى الحال البائسة التي تحوط بالضحايا فاستخدم برنامجه التلفزيوني لحث الناس على التبرع لهم· وبلغ عدد الاعضاء الذين يدفعون رسوماً في "حلقئاً زيمرمن البيضاء" ١٨ ألف عضو (★)· وقد أعانت الجمعية منذ نشوئها ما يزيد على عشرة آلاف ضحية وبلغ ما دفعته الى بعض الضحايا أحياناً ١٢ ألف مارك (خمسة آلاف دولار)·

(★) "الحلقة" رمز الاتحاد و"البيضاء" رمز البراءة·

ويعد مايكل هاردكاسل (٢٧ سنة) من اشد المتطوعين حماسة في جمعية الحلقة البيضاء، وهو شرطي في مدينة مونشنغلابداخ الواقعة قرب الحدود الهولندية، واليك مثلا على أعماله، في إحدى الحانات ضرب أحد الزبائن النادلة مونيكا براون (٣٥ سنة) ضرباً مبرحاً بكرسي في الحانة فأصيبت بعطب في الدماغ وبشلل في نصفها الاسفل، فوهبتها جمعية الحلقة البيضاء من وفرها مبلغ خمسة آلاف مارك (ألفي دولار) لمساعدتها في توفية ديونها، ولما باتت مونيكا عاجزة عن صعود سلم بيتها جعل هاردكاسل يطوف في المدينة ليبحث لها عن منزل جديد في طبقة سفلية، وما لبثت الجمعية ان منحتها مبلغاً اضافياً مقداره أربعة آلاف مارك (١٦٠٠ دولار) فاشترى به هاردكاسل متاعاً جديداً لمنزلها الجديد، وهو اليوم يتصل بها هاتفياً باستمرار، ويقول هاردكاسل: "اني أعطي الشرطة أسبوعياً أربعين ساعة من وقتي فيما أعطي جمعية "الحلقة البيضاء" عشرين ساعة، فمساعدة الآخرين متعة للانسان."

تعاون الشرطة — الوسائل التي يستخدمها المتطوعون متشابهة في معظم البلدان، فالسيدة بام يونغ التي مضى عهد طويل وهي تعمل في منطقة وندزورث في لندن لديها لائحة بكل ما ينبغي فعله، مثل التأكد من إخطار مدير المصرف الذي تتعامل معه الضحية بالحادث، وتجميد حساب الضحية المصرفي إذا كان دفتر شيكاتها قد سرق، وعند إصابة الضحية بأذى جسدي تتصل بام بشركة التأمين وتساعد الضحية في ملء طلب تعويض العطل والضرر، وهي تعمد احياناً الى التأكد من حصول الضحية على نسخة بديلة من رخصة القيادة، بل انها تحتفظ بطائفة من الاقفال لحوادث سرقة المفاتيح وتقول: "يمكننا تغيير القفل في عشر دقائق."

غير أن الاصغاء الى الضحية يبقى أوسع أنواع المساعدة انتشاراً وكثيراً ما يكون أعظمها شأناً، تقول ألسنور فان بورن، وهي عالمة نفس هولندية تطوعت في جمعية روتردام لاعانة الضحايا: "يعاني بعض الضحايا شعوراً بالذنب، فالناس حولهم يولدون فيهم إحساساً بأنهم ارتكبوا خطأ ما، ويحدث ذلك خصوصاً في حالات الاغتصاب، لكنه قد يحصل أيضاً في حالات الاعتداء والسرقة، وربما سأل أحدهم الضحية: لماذا لم تقفلي باب بيتك جيداً؟ إن من المهم جعل الضحايا يعلمون ان ما حدث لهم يمكن حدوثه لأي واحد منا."

يعتمد نجاح مشاريع مساعدة الضحايا على تعاون الشرطة، ففي كل من هولندا وألمانيا الغربية جرت العادة الا تفشي الشرطة أسرار المواطنين الخاصة، لذلك نجد موظفي الشرطة يترددون في كشف اسماء ضحايا الجرائم وعناوينهم، ويحاول المتطوعون الهولنديون التغلب على هذه العقبة بالاستعانة بشرطيين يبدون استعداداً لفهم دوافعهم ومن ثم يعطونهم سراً معلومات مفصلة عن

حالات معينة. وفي امستردام عمدت إحدى جمعيات مساعدة الضحايا الى لصق مئات الاعلانات التي تحث ضحايا الجرائم على الاتصال هاتفياً بالجمعية أو زيارة مكتبها. وفي المانيا الغربية جعل ادوارد زيمرمن مسؤولين في الشرطة أعضاء شرف في جمعية "الحلقة البيضاء"، والى ذلك حفز عشرات من رجال الشرطة الادنى مرتبة والذين يحبون العمل الجماعي على التطوع في جمعيته.

في فرنسا وبريطانيا تدلي الشرطة بأسماء الضحايا بسهولة أكبر. وقد تأسست حديثاً جمعية فرنسية تدعى "جمعية مساعدة الضحايا واعطاء المعلومات حول القضايا الجزائية." ولقيت هذه الجمعية دعماً كبيراً من وزير العدل روبير بادينتر الذي خصص في موازنة وزارته للعام ١٩٨٣ مبلغ مليون فرنك (١٢٥ ألف دولار) لمساعدة مشاريع مماثلة. ويقول بادينتر: "إني أؤيد هذه الجمعيات بحماسة شديدة لأنها قادرة على توعية الرأي العام الى حال الضحية."

وفي بريطانيا لا يني السير كينيث نيومان، قائد شرطة لندن، عن تشجيع رجاله على معاونة جمعيات إعانة الضحايا. وقد سهل موقفه هذا عمل أشخاص من أمثال كاثي هوبدل، وهي أم لصبيين تنسق من بيتها بين أعضاء جمعية إعانة الضحايا في منطقة آيلنغتون في مدينة لندن. فكل صباح يتصل بها موظفون في مراكز شرطة آيلنغتون الاربعة الرئيسية ويوافونها باسماء آخر ضحايا الجرائم التي يبلغ معدلها ثماني جرائم يومياً. وبات مألوفاً ان تتصل كاثي وفريقها البالغ ١٤ متطوعاً بالضحايا خلال ٢٤ ساعة. وقد يكون الاتصال بالرسائل أو بالهاتف أو بالزيارات الشخصية. وفي العام ١٩٨٢ أفاد ٤١٠٠٠ شخص من معونات الجمعيات البريطانية لمساعدة الضحايا التي يبلغ عددها ١٦٠ جمعية. ويعود الفضل الكبير في ذلك الى تعاون الشرطة.

هدايا مؤثرة — يزور أوروبا متطوعون مختلفو الاعمار والمراتب الاجتماعية، يدفعهم شعور بالشفقة وتحل بروح الجماعة. من بين هؤلاء اختصاصي بجراحة التجميل من بلدة كارلسروهي (المانيا الغربية) هو الدكتور هورست ساندنر. وقد أبدى هذا الجراح استعداده للمساعدة بعد حادث سلب شنيع تسبب في تهشيم وجه الضحية يواكيم شادي (٢٤ سنة) على نحو شبه كلي. وكانت أجريت للشاب ثماني جراحات لكن وجهه بقي أشبه بقناع قبيح. فاقترح ساندرز إجراء جراحة جديدة له وقال: "دعوني أحاول." وأجرى هو وزميل له العملية التي استغرقت سبع ساعات. وفي اليوم التالي وجد شادي صعوبة في تصديق ما رآه في المرآة وقال: "لم أكن أظن ان في امكان الجراحة انجاز عمل مماثل! إن هذا بداية جديدة لحياتي." والمعروف عن الدكتور ساندنر انه يقدم مهارته الجراحية مجاناً لجمعية "الحلقة البيضاء" لكونه أحد أعضائها.

وعلى رغم ان العاملين في تلك الجمعيات لا يتلقون أجراً فان معظم

الجمعيات تكافح لتغطي مصاريف المكاتب والنقل وتحاول ان تجد المال حيث تستطيع. وفي هولندا مولت وزارة العدل مشروع روتردام فيما تعتمد الجمعية في امستردام تبرعات من المجلس البلدي. وفي بريطانيا تحصل الجمعيات على المال من تبرعات الناس والشرطة ومن بعض الجميعات الخيرية.

أما في ألمانيا الغربية فالوضع المالي لحلقة زيمرمن البيضاء لا يشكو من اي صعوبة بفضل الرسوم التي يدفعها أعضاء الجمعية أنفسهم والاعلانات المستمرة في برامجه التلفزيونية. تضاف الى ذلك أيضاً الهبات التي تقدمها للجمعية شركات خاصة والمحاكم الجنائية الالمانية التي تتخلى عادة عن غرامات الجرائم للجمعيات الخيرية المستحقة. وقد بلغ دخل جمعية "الحلقة البيضاء" في العام ١٩٨٣ ستة ملايين مارك (٢،٤ مليون دولار).

وتقدم الجمعية غرامات الجرائم الى الضحايا المصابين بصدمات شديدة كي يمضوا مجاناً وقتاً يراوح بين أسبوعين وأربعة أسابيع في منتجعات مختلفة. تقول جيرهاردي بينر (٣٣ سنة)، وهي امرأة حسناء من ايسن قتل زوجها بالرصاص في عملية سلب قبل بضعة أشهر: "استطيع الآن ان أضحك قليلا."

والواقع ان كثيرين من الضحايا وعائلاتهم يبدون شكرهم الجزيل للاهتمام الشديد الذي يلقونه من تلك الجمعيات حتى انهم يقدمون هم أنفسهم هبات أو خدمات لمساعدة ضحايا آخرين. وربما كانت اكثر الهدايا تأثيراً في النفس تلك التي بعث بها أب أضناه الحزن الى جمعية في لاهاي. فعندما قتلت ابنته في أثر حادث اعتداء بعث اليه متطوعون في جمعية الرأفة بضحايا الجريمة ببعض الازهار وأرسلوا الى بيته مندوباً عنهم فقال له الأب: "إننا نؤثر ان نتحمل ألمنا وحدنا في الوقت الحالي." وفهم المسؤولون في الجمعية موقفه ولم يقوموا نحوه بأي مبادرات جديدة. لكنهم دهشوا حين بلغتهم في ما بعد رسالة منه جاء فيها: "هذا المال هو من دفتر توفير ابنتنا ونريد ان نعطيكم اياه لتساعدوا من هم في حال كحالنا."

من هنا يمكن القول إن غاية تلك الجمعيات هي إراحة الضحايا. غير ان المطلوب منها هو بذل مزيد من جهودها. والحق انها أنجزت مشاريع كثيرة في وقت قصير جداً. لكن هناك مناطق كثيرة لم تشملها أعمال هذه الجمعيات وينبغي ان يكون ذلك في رأس اهتمامات كل مجتمع يعبأ بمواطنيه.

■ ادوارد هيوز



نصيحة زوجية

نشرت صحيفة مختصة بشؤون الزواج النصيحة الآتية للرجال: "اذا كنت تسعى الى الزواج، فابحث عن فتاة ذات اخوة وأخوات كثيرين. ان فتاة كهذه لا متطلبات كثيرة لديها، وهي بالتالي لن تخيبك لاحقاً."

ج.هـ.ب.

قصة تروى للمرة الاولى

فولكلور عائلي



ميغ هودكن ليبرت مستشارة تربوية وقاصة محترفة. وهي نظمت بمساعدة والدها ندوة في مدينة نيويورك دعتها "فولكلور العائلة: لحفظ قصص الماضي" حضرها عدد من البالغين ومعظمهم من الغرباء. قالت تخاطبهم: "الطريقة الاسهل لبدء تجميع فولكلور العائلة القصصي هي ان تبدأ بنفسك."

وبسرعة ضجت الغرفة بالاصوات. كان الحاضرون يتبادلون القصص، هذا عن اصل تسميته وذاك عن جدته وذياك عن ساعة جيب جد ابيه.

وبعد فترة طلبت ليبرت من الحاضرين ان يلزموا الهدوء. ثم سألت: "هل هناك من يتبرع بأن يروي لنا قصة يتذكرها؟"

وقفت سيدة صغيرة في متوسط العمر وبدأت تتكلم بعصبية: "ولدت في استونيا، ولم اخبر احداً بهذه القصة قبل اليوم." ونظرت حولها بتردد ثم بدأت تصف كيف اهدى اليها والداها، وهي طفلة، لعبة جميلة من فرنسا سمتها "شيري". فاضحت هذه اللعبة بعد ذلك اثمن ما تملك.

وعندما بلغت الثانية عشرة من عمرها، حضرت دوريس ابنة عمها لتعيش مع العائلة بعد وفاة والدها. ودأبت دوريس على اللعب بشيري. ولما حان موعد رحيلها تمسكت باللعبة تريدها. وقالت الام لابنتها بلطف: "لقد خسرت دوريس والدها وتحتاج الى اللعبة اكثر منك. دعيها تأخذها وسيعيدها الله اليك."

وتابعت المرأة قصتها: "بكيت

كثيراً لفقد شيري. وهي لم تعد كما دعتني والدتي. ومع مرور الزمن بدأت افقد ايماني. وحل زمن رهيب واضطرت العائلة الى الهروب من استونيا بسبب الاحتلال النازي. وعلمت بعد ذلك ان منزل دوريس احرقته قنابل الطائرات وهدمته، وهربت دوريس مع افراد عائلتها من منازلهم وهم لا يحملون الا الثياب التي تستر اجسامهم.

وبعد ذلك هرب بقية سكان استونيا. ومن لم يمت في المجزرة الجماعية تفرق في ارجاء العالم وبدأ حياته من جديد في بلاد اخرى."

وتابعت المرأة قصتها. قالت انها وصلت الى الولايات المتحدة الامريكية. ومرت السنوات، لكنها لم تنس لعبتها شيري. ثم علمت ان دوريس لا تزال على قيد الحياة وتعيش ايضاً في الولايات المتحدة.

والتقتا مرة او مرتين لكنهما لم تأتيا على ذكر اللعبة.

قالت المرأة: و"عندما وضعت طفلتي الاولى حضرت دوريس لزيارتي ومعها هدية." واغرورقت عيناها بالدموع وتابعت: "كانت هديتها شيري وهي اخبرتني انها حملتها معها في منديلها يوم هربت من بيتها المحترق."

واكملت المرأة: "انني بكيت كثيراً من قبل، لكني لم اذرف دمعاً كما ذرفت عندما رأيت شيري. ولقد اعاد ذلك ايماني الي."

وجلست المرأة بعدما انهت قصتها.

وقفت ليبرت امام الحاضرين وقالت: "هذه القصص هي تراثنا. انها مهمة لنا ولحضارتنا. ان جزءاً من جمال فولكلور العائلة هو ان تذكر قصة وتسردها على الاخرين، فتصبح جزءاً من قصة حياتنا."

■ غلين كولنز

زيت سمك للعيون

في مهنتي كطبيب عيون الجأ احياناً الى وصفة قديمة قل من الزملاء من يستخدمها اليوم، وهي قطرة من زيت كبد سمك القد. وقبل وقت وصفت ذلك العلاج لامرأة تعاني مرضاً في الشبكية، منبهاً اياها الى استعمال القطرة خلال النهار وقبل النوم. وعلقت اهمية كبرى على قطرة ما قبل النوم بما انها تفعل فعلها ردحاً من الليل.

وبعد ايام خابرت المريضة لاطمئن الى حالها، فقالت: "كل شيء على ما يرام. غير اني بت استيقظ باكراً في الصباح لأن الهرة تأتي وتلحس اهدابي."

و.ف.

السيجارة الأخيرة



جرب هذه الاقتراحات، وسوف تنقطع عن التدخين

يوماً بعد يوم يتكاثر عدد الاشخاص الذين ينقطعون عن التدخين. وفي تقرير حديث لجمعية السرطان الامريكية، قائم على استجواب ١٥٨ ألف شخص، جاء أن أكثر من نصف المدخنين السابقين تخلوا عن هذه العادة.

ويقدَّر ان ٩٥ في المئة يقطعون التدخين من غير وسائل خارجية كالتنويم المغناطيسي والعقاقير.

وفي ما يأتي بعض الاقتراحات التي تمكن كل من شاء أن يحذو حذو هؤلاء:

١. حدِّد وقتاً لقطع التدخين.

إن محاولة وقف التدخين باللجوء الى تقليل عدد السجائر شهراً بعد

شهر لا تجدي. كما ان اعتماد الاصناف القليلة القطران والنيكوتين لا يساعد كثيراً لانه يحفز على تدخين المزيد من السجائر وابتلاع الدخان.

ويبدو أن الانقطاع مرة واحدة أكثر جدوى. ويمكن تخفيف عدد السجائر بضعة أسابيع يضع صاحب العلاقة في أثنائها وقتاً محدداً، لنقل ثلاثين يوماً، للانقطاع النهائي، من غير أن يبدل هذا التاريخ وفي الامكان تعداد دوافع القطع كما في القائمة الآتية:

- التخلص من السعال الذي يصيب المدمنين.
- تجاعيد الوجه تصيب المدخنين أكثر مما تصيب غير المدخنين او المقلعين.
- التدخين يضعف حاستّي الذوق والشمّ.
- إن تدخين علبتي سجائر يومياً قد يكلف ٦٠٠ دولار في السنة. وهذا المبلغ كاف لرحلة سياحية تدوم اسبوعاً أو لشراء آلة فيديو.
- **التدخين يسبب السرطان** وانتفاخ الرئة وأمراض القلب.

٢. هيىء نفسك للانقطاع.

احفظ سجلا بعدد السجائر التي تدخنها في الصباح والعصر والمساء. ثم راقب فارق العدد خلال فترة التخفيف القصيرة التي تسبق الانقطاع. ستسر كثيراً وأنت ترى كيف يتناقص العدد يوماً بعد يوم.

ومن الوسائل الاخرى كتابة يوميات تسجل فيها عدد السجائر التي تدخنها والدافع الى تدخين كلّ منها. ويمكن أن تسجل في أعلى الصفحة خمس قوائم تحت العناوين الآتية: الوقت، الحاجة، المكان أو النشاط، مع مَن، المزاج أو الدافع. تحت خانة "الحاجة" سجل عدد السجائر التي أحسست حاجة اليها (٥ مثلا)، وتلك التي كان يمكنك الاستغناء عنها بسهولة (١)، والتي تقع بين بين (من ٢ الى ٤). بعد ذلك قارن ما يتجمع لديك خلال فترة من الزمن. وربما تبيَّن لك أنك تدخن عندما تكون في رفقة أشخاص معيَّنين، أو بعد وجبات الطعام، أو عندما ينتابك القلق.

جرّب بعض هذه النصائح لتخفيف عدد السجائر:

- أجّل اشعال سيجارتك الاولى ١٥ دقيقة في اليوم الاول و١٥ دقيقة اخرى في اليوم الثاني وكل من الايام التالية.
- لا تشعل السيجارة كلما أحسست حاجة الى ذلك. وحاول الالتهاء عنها بفتح حديث أو بتناول كوب ماء أو باغماض عينيك وتخيُّل نفسك في مكان محبَّب.
- ضع لنفسك ساعات لا يجوز فيها التدخين، وأضف اليها ساعات جديدة يومياً.
- بعد تناولك الطعام انهض فوراً عن الطاولة وامشِ قليلا أو افرك أسنانك بالفرشاة.
- حاول حمل السيجارة باليد التي لا تستخدمها عادة للتدخين.
- اشترِ علبة واحدة، وأنهها قبل أن تشتري سواها.
- دخن كل سيجارة حتى نصفها.
- تجنَّب افراغ المنافض، اذ ان

الرائحة التي تخلفها أعقاب السجائر **من شأنها اثارة اشمئزازك. احفظ** الاعقاب طوال اسبوع في قارورة زجاجية.

● ضع علبة السجائر في أمكنة يعسر الوصول اليها بسرعة. يمكن أن تلفها بورقة وتحفظها في الدرج مثلاً.

● اجعل أحد معارفك شاهداً على الموعد الذي قررت للانقطاع عن التدخين.

● سجل تقدمك نحو الانقطاع في الفترة القصيرة التي تسبقه. فمشاهدة التقدم بأمّ العين تساعد صاحب العلاقة كثيراً.

٣. الآن، توقّف.

المهم في الأمر ان تركز أفكارك على ما تفعل، وليس على ما تنقطع عن فعله، وأن تجد متعة في عملك. ويمكن أن تكافىء نفسك على انجازك الحسن بالاحتفال أو بشراء هدية خاصة.

● **اذا ازعجك التفكير في عدم التدخين، فكر في حسنات الانقطاع.**

● املأ وقتك بالنشاط. واذا كنت خارج العمل، تنزه على القدمين أو على دراجة هوائية.

● اذا كان بعض الطعام او الشراب يثير لديك الحاجة الى التدخين، انقطع عنه ايضاً. ولن تلبث أن تعود اليه من غير حاجة الى التدخين.

● اذا أحسست حاجة الى تشغيل يديك، احمل سبحة او قلماً أو سوى ذلك. أما اذا راودتك حاجة الى وضع شيء في فمك، فتناول أقراص النعناع أو العلكة الخالية من السكر.

● احتفظ بمفكرة للايام التسعين الاولى من الانقطاع. اشطب كل يوم لدى انقضائه وسجل المبلغ الذي ادخرته نتيجة قطع التدخين.

● اذا انتابك الدوار، تنفس عميقاً، ثم أشعل عود ثقاب وأطفئه وأقحمه في المنفضة كما تقحم عقب سيجارة.

● تجنب الفكرة القائلة ان سيجارة واحدة لا تؤذي. فهكذا يعود معظم المنقطعين عن التدخين اليه.

بعد اثنتي عشرة ساعة من تدخين سيجارتك الاخيرة يباشر جسمك شفاءه الذاتي. واذ ذاك ينخفض مستوى أول اوكسيد الكاربون والنيكوتين بسرعة، ويبدأ قلبك ورئتاك عملية الشفاء من آثار التدخين.

لكن النتيجة في البداية قد تكون أسوأ مما تصورت. وهناك منقطعون كثيرون يختبرون تحركات غريبة في الامعاء وانتفاخاً في اللثة. وربما كنت ضيق الطباع ولكن ثِق بأنّ تلك الاعراض الاولية ستزول سريعاً.

ولن تلبث أن تختبر تبدلات **ايجابية. فسوف تتحسن حاستا الشم** والذوق لديك ويخفّ سعالك الآتي من التدخين. وسيستأنف جهازك الهضمي عمله الطبيعي، ويزول الاحتقان من رأسك وتكتسب قوة متجددة وتتنفس بسهولة أكبر. وستنعتق من رائحة السجائر وازعاجها وكلفتها وعبوديتك لها. وأهمّ من هذا كله أنك ستعود سيد حياتك.

■ **الدكتور دونالد فيكيري**
وجوديث رومان ايكنر

العائدُ من الغيبوبةَ

غرق الفتى في غيبوبة تامة، فهو عاجز عن الحركة والرؤية والكلام، لكنه يشعر بكل ما يدور حوله



كل شيء يبدو مظلماً، لماذا أعجز عن فتح عيني وعن تحريك يدي وقدمي؟ ماذا يحدث لي؟

في الظلام أسمع أصواتاً خافتة تبكي. "بوبي بوبي... ساعده يا رب!" هذا صوت أمي.

"يجب أن تبقي قوية يا شيرلي." هذا صوت دون طومسن. لا بد أنه هنا. في السنوات الاخيرة الماضية كان هذا الرجل بمثابة أب لبوبي،

تقول شيرلي: "يرى الطبيب أن هذه الغيبوبة قد تستمر أشهراً أو سنوات، وأن بوبي قد لا يفيق منها أبداً. ويجيب دون بحزم: "صحيح، ولكن علينا أن نبذل كل جهد لمساعدته."

كتلة ألم — في ١٢ يوليو (تموز) ١٩٨١ كان بوبي الفريتز (١٧ سنة) يسير في أحد الشوارع القريبة من منزله في تاكوما (ولاية واشنطن)

لقد توفي زوج أمه ميل ريد قبل خمسة أسابيع من جراء سكتة قلبية، لكن بوبي كان يعتبر نفسه مسؤولا عن وفاته. تذكر الضجة التي سمعها تلك الليلة آتية من الحمام وصوت الزجاج المتناثر، وحاول بعد ذلك أن ينقذ ميل بواسطة التنفس الاصطناعي لكنه لم يفلح.

واليوم، في هذه الليلة الصيفية، يتذكر بوبي العلاقة الحميمة التي كانت تربطه بزوج امه ورحلات الصيد سوية الى البحيرة الفضية. كان القارب يهتز ببطء والصنارتان متدليتين في الماء وهما ماضيان في الكلام لا يشعران بمرور الوقت. وفكر بوبي: "كان ذلك حديث رجل الى رجل. كان ميل دائماً موجوداً عندما احتجت إليه، لكنني خذلته عندما احتاج هو الى مساعدتي."

قطع بوبي الشارع من غير انتباه. وفجأة علا صوت بوق ثم صفير كابح، واختبط بوبي بمقدم سيارة. إنه يتذكر نظرات السائق المذعور ثم الضجيج ثم ذلك السواد التام.

نقل بوبي الى مستشفى القديس يوسف وهو ينزف من داخل أذنه اليمنى. وتبين ان هناك إصابة في رأسه وأنه في غيبوبة. وأظهر مسح بالاشعة رضة في الدماغ وبعض كسور في الجمجمة.

وتهيأ الجراحون لادخال فاحص للضغط من خلال فتحة صغيرة يحدثونها في الجمجمة من أجل تخفيف الضغط الزائد الذي قد يسبب عطباً في الدماغ أو حتى الوفاة.

كان بوبي يحاول تخيل المكان حوله، لابد أنه مستشفى، فالهواء مشبع برائحة الادوية. ثم شعر أنه ينقل الى مكان آخر، وتسارعت الاصوات حوله: "الدماغ... الجرح هنا..."

شعر بوبي بالألم في كل أنحاء جسمه فكأنه كتلة ألم. ماذا سيفعلون؟ ثم سمع طنيناً. إنهم يحلقون رأسي! سيجرون جراحة في رأسي! يا رب أوقفهم! وحاول بكل جوارحه أن يتخلص من هذا السجن، لكن جسده كان يرفض كل الاوامر. وغاب عن الوعي.

حديث مخيف — عندما استفاق بوبي حاول التركيز. إنه يشعر بنظافة الملاءات ونعومتها، هذا سرير المستشفى. ثم سمع صوت دون: "هل سينجو؟" وأجابه صوت ناعم لابد أنه صوت الممرضة: "هناك أمل في أن يبقى على قيد الحياة إذا مر اليومان المقبلان بسلام. لكن لا تتأمل كثيراً، فقد يموت في أي لحظة."

كانت هناك يدان كبيرتان تشدان على يده مما أعطاه شعوراً بالراحة. إنه دون، إنه يعلم أني هنا، ساعدني يا دون!

"بوبي، أنا خالتك دونا، جيري هنا معنا."

هذا جيد، يفكر بوبي، لابد أنه سيسمعني. أين أنت يا جيري؟ كلمني.

جيري، شقيق بوبي الاكبر ذو الخمس والعشرين السنة، جاء من آلاسكا حيث يعمل في شركة لضخ النفط. تصوره بوبي أمامه بلحيته

البنيـة ونظارتـيـه المستديرتـيـن وابتسامته الواسعة. آه يا جيري، ليتني أستطيع أن أتحرك.

لم يكن بوبي يعرف عدد الايام التي مرت وهو على هذه الحال. كان يشعر بالضياع بين الحلم واليقظة، بين الحياة والموت.

وسمع والدته: "لقد اشتريت قطعة الارض القريبة من قبر ميل."

ففكر بهلع: رباه، لا. كيف الخلاص من هذا الكابوس؟

وجاءه صوت آخر: "ربما علينا التفكير يا شيرلي في التبرع بأعضاء بوبي، مثل كليتيه وقرنيتي عينيه وكبده وحتى قلبه. فاذا كان نصيبه الموت، فليكن من أجل هدف سام. ولابد أنه سيكون سعيداً." وفكر بوبي بحزن: لكنني لا أريد الموت، لن أموت!

رجفة خفيفة ـ قال جيري: "يرى الاطباء أنهم عاجزون عن تحديد مدى الاصابة في الدماغ. فهناك احتمال بأن يقضي بوبي بقية حياته جسداً بلا عقل، وعندئذ سيكون الموت أفضل له."

يشعر بوبي بقشعريرة: جسد بلا روح مدى الحياة؟

وقال دون طومسن بحدة: "لا داعي الى هذا التشاؤم. فهو لم يمت بعد."

دون طومسن سائق شاحنة في الحادية والاربعين من العمر. وهو رجل قوي ضخم البنية لم يترك بوبي منذ الحادث، وقد ساعده كثيراً بعد وفاة ميل. قال له بوبي مرة ان ضميره يؤنبه لاخفاقه في إنقاذ زوج أمه من الموت، فأكد له دون أن عليه رفع التهمة عن نفسه لأنه بريء منها.

وها هو الآن يسمع صوت دون: "انك لا تزال تلوم نفسك يا بوبي. أرجوك، لا تفعل ذلك. فالله يحبك، كما نحبك نحن. ولن نتخلى عنك أبداً. لكن عليك مساعدتنا فلا تخذلنا. هيا، خذ يدي وحاول أن تشد عليها، وأنا متأكد من أنك ستفعل."

كان بوبي يسمع صوت دون يأتيه من مكان بعيد عبر نفق طويل: إنه يشعر بوجودي. إنه يفهم وضعي، وهو على حق. علي أن أقاوم بكل ما تبقى لدي من قوة. فاذا أخفقت في إنقاذ ميل، أكون نجحت في إنقاذ نفسي.

ضغط دون قبضته: "هيا يا بوبي، شدّ على يدي فأعرف أنك بخير."

باءت محاولة بوبي الأولى بالاخفاق، لكنه شعر في المحاولة الثانية بشيء يتحرك فيه، برجفة خفيفة في يده.

وقفز دون من مقعده مدهوشاً: "لقد تحرك!"

بعد دقائق أمسكت الممرضة يد بوبي اليمنى: "هل تستطيع شد يدي يا بوبي؟" وحاول الفتى، لكن أصابعه خذلته وأحس بالتعب.

وخاطبت الممرضة دون: "لا تأمل كثيراً يا سيد طومسن. الافضل أن تذهب الى البيت وتأخذ قسطاً من الراحة."

أجاب دون: "حسناً، سأذهب." ثم اقترب ليهمس في أذن بوبي: "أنا أعرف أنك سمعتني، ومتأكد من أنك ستكون بخير قريباً."

قال دون: "لقد مرت ستة أيام من غير أن تتحسن صحة بوبي. فهو لا يزال يخسر الكثير من وزنه."

وتساءلت الأم: "حتام سيستمر على هذه الحال يا ترى؟".

ثم تابع دون: "علينا التحلي بالصبر لنمد بوبي بالقوة ونمكنه من التغلب على محنته."

وصلى. بوبي: يا رب، أعد الي حياتي الطبيعية وسأحاول أن أكون انساناً أفضل. سأركز أكثر على الدراسة.

واقترب منه دون قائلا: "ربما كانت جلستك هذه مريحة أكثر من اللزوم. يجب أن تقاوم أكثر."

شعر بوبي بالألم عندما رفع دون يديه الى خلف رأسه. ورأى دون تسارع دقات قلبه على المرقاب فقال: "هذا جيد يا بوبي يجب أن تخرج نفسك من هذه الغيبوبة." ثم أمسك بساقيه ورفعهما الى صدره، فحاول بوبي المقاومة بشدة وفجأة شعر أنه نجح.

صاح دون بابتهاج: "انه يتحرك!" لكن الحركة سرعان ما توقفت، فقال دون: "حسناً يا بوبي، الافضل أن تخلد الى بعض الراحة الآن."

شعر بوبي بصوت دون يرتجف، أتراه فقد الامل في نجاتي؟ إنني أحاول. أرجوك يا دون لا تتخلّ عني، فهذا أصعب ما قد يحصل لي.

انقطاع التنفس – جلست الأم على حافة السرير: "طاب يومك يا ابني." قالت ذلك وهي تعانقه وشعر بوبي بقشعريره دافئة تسري في جسمه. وأضافت: "اطمئن، فكل شيء سيكون على ما يرام وستعود إلينا بالسلامة."



بوبي الفريتز.. اليوم

أحس بوبي بدخول اخته بيكي الغرفة قبل أن تباشر الكلام. انها أخته التوأم وقد جلست الى جانبه تبكي... لا تخافي يا بيكي، سأكون بخير.

ثم سمع صوت أخته الثانية آمبر. إنها تغني له بصوتها العذب بينما تتساقط دموعها فوق يده. وتذكر وجهها الجميل وشعرها الحريري.

وجاءه صوت الخالة دونا: "يقول الاطباء انهم يخشون أن يصاب بوبي بذات الرئة. فجسمه الضعيف لن يستطيع المقاومة بعدما مضى عليه أسبوعان في حال الاغماء."

كان بوبي يشعر بالضعف الشديد بعدما استنزفت سوائل جسمه وامتلأ صدره بلغماً. إنه يختنق. وفجأة انتفض في سريره عاجزاً عن التنفس. بدأ الناس يهرعون الى الغرفة وامتدت إليه أيد قوية تحاول مساعدته، عادت رئتاه الى الانتفاخ.

رائحة الخشب – يجب أن أحاول الكلام، فأمي تبكي طوال الوقت، أريد أن أقول لهم انني لن أموت.

لكنه لم يستطع الكلام. وكل ما استطاعه بضعة أصوات حيوانية رهيبة.

وقال دون: "لقد مضى أسبوعان من دون أي تحسن في صحة بوبي."

وكانت صديقة العائلة شيري دالتون تجلس بالقرب من الفتى تفرك قدميه. فشعر بالالم وحاول الكلام.

وصرخ دون: "لقد سمعته يقول شيئاً. إنه يتألم، هل سمعتموه؟"

توقفت شيري قائلة: "ربما كنا نتخيل اشياء بعدما طال انتظارنا."

ثم جاء بول مانويل. تذكر بوبي هذا الرجل اللطيف الطويل القامة الذي كان يعمل عنده بعد انصرافه من المدرسة، فيساعده في نشر الخشب الاحمر وطليه لصنع طاولات ثمينة وتعاليق فخمة للجدران. وقال بول: "أنا في حاجة اليك أيها الشاب الصغير. يجب أن تغادر المستشفى وتعود الى مساعدتي وكسب الرزق. إننا ننتظرك في المشغل، فلا تتركنا، هل سمعت؟"

آه يا بول. لو تدري كم أريد العودة.

تذكر بوبي المشغل العابق برائحة الخشب الخام وصوت المبرد يعلو كالموسيقى. سأعود يا بول، أعدك بذلك. وعندما حاول بوبي الحراك أخفق مرة أخرى، لكنه شعر بنفسه قريباً جداً من النجاة.

القوة العجيبة ـ في اليوم التاسع عشر استفاق بوبي من غيبوبته يملأه شعور جديد. عندما فتح عينيه كان كل شيء واضحاً أمامه. الضوء فوق رأسه يتدلى من سقف الغرفة الابيض، وشمس الصيف الساطعة ترسل أشعتها عبر النافذة. إنني أرى كل شيء!

وصاح بوبي: "دون! أين دون؟"

ركضت الممرضة الى الغرفة: "بوبي! إنك تتكلم! وتتحرك أيضاً!"

ـ نعم، أظن أنني استفقت أخيراً.

كان دون طومسن غارقاً في النوم عندما أيقظه والده: "لقد اتصلوا بك من المستشفى ويريدونك أن تحضر حالا."

قال دون بصوت خافت: "واأسفاه!

غمرت دون رهبة أكبر وهو في طريقه الى غرفة بوبي. ولدى دخوله رأى شيرلي وبضع ممرضات وقد التففن حول السرير. ثم سمع صوتاً عالي النبرة يقول له: "أأنت هنا يا دون؟"

انهمرت الدموع على خدي دون وهو يجلس الى جانب بوبي: "أهلا بك بيننا من جديد."

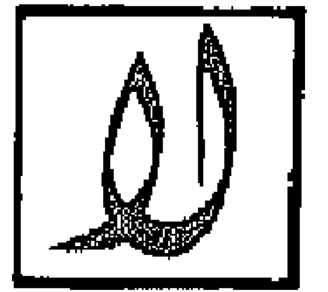
في ٢ سبتمبر (أيلول) ١٩٨١ غادر بوبي الفريتز المستشفى بعدما أمضى فيه ٥٢ يوماً. وبعد عشرة أيام بدأ برنامجاً دراسياً خاصاً في مدرسة واشنطن الثانوية في تاكوما حيث يتخرج في يوليو (تموز) ١٩٨٤.

وعن الخبرة التي مر بها يقول بوبي: "هنالك قوة عجيبة تمكننا من الصمود في وجه كل المصاعب. جزء من هذه القوة ينبع من داخلنا، أما الجزء الأكبر فنستمده من حب الآخرين لنا وثقتهم بنا. أنا هنا لأنني لم أستسلم، لكن السبب الأهم هو أن كثيرين لم يتخلوا عني."

■ **هاربيت وتيري كينغ**

تبقى لوسيل بول إحدى أشهر نجوم أمريكا وأحبهم الى الجمهور

لوسي



لا احد يعرفها باسم لوسيل بول. انها "لوسي" بالنسبة الى كل الناس. جميع سكان لوس انجلس (كاليفورنيا) يعرفون اين يقع منزلها، فاذا اعطيت عنوانها اي سائق اجرة، كان جوابه حتماً: "انه منزل لوسي."

تعيش لوسي في دار بيضاء كبيرة. هناك يقف المعجبون لالتقاط الصور التذكارية. وقد جاء في مجلة "تي في غايد" ان الجماهير في العالم اجمع شاهدت وجه لوسي اكثر مما شاهدت اي وجه آخر. ان لها ملايين المعجبين.



حين يدخل المرء منزل لوسي يجد نفسه في غرفة جلوس كبيرة، يغلب عليها اللونان الاخضر والبرتقالي وتملأها النباتات. الواجهة الزجاجية الواسعة تطل على حديقة كبيرة، فالسيدة ترعى نباتاتها بنفسها.

تدخل لوسي البيت آتية من الحديقة يتبعها كلبها الأبيض، مرتدية كنزة قطنية فوق سروال فضفاض وعلى عينيها

نظارة شمسية زرقاء كبيرة. شعرها احمر زهري وعيناها زرقاوان. تجلس ثم تمد الي يدها للمصافحة.

لوسي الآن في الثانية والسبعين، وهي من برج الاسد. وتقول في اصحاب هذا البرج انهم فخورون وشجعان وذوو نفوس أبية، لكنهم مغرضون للحوادث. وتمد ساقها المكسورة وتقول لي: "أرأيت؟ المسيها."

وتحسست ساقها برفق، فصرخت بي لوسيل بول: "ليس بهذه الطريقة." وأمسكت بيدي ووضعتها على ربلة ساقها، فشعرت انها صلبة حقاً، وقالت: "قبل سنوات كانت ساقي هذه ضعيفة جداً. وقيل لي انني لن أتمكن من المشي." كان عمرها ١٧ سنة عندما أصيبت بالتهاب المفاصل فأقعدها المرض ثلاث سنوات.

وتتابع لوسي الحديث: "قبل سنوات كانت نيويورك محط انظار الناس. ولكن يجب ان تفهمي انني لست من نيويورك نفسها بل من احدى ضواحيها، وهذا امر مهم." وتلوح لوسي بيدها في الهواء وهي تحمل شطيرة وتقول: "كان المسرح يبهرني. كنت منذ طفولتي اغني وأرقص وأمثل طوال الوقت. لكني كنت اتطلع دائماً الى ان اكون فنانة حقيقية.

وبعد طول انتظار قررت والدتي ارسالي الى مدرسة للتمثيل في مدينة نيويورك. وبعد فصل دراسي واحد كتب اليها المسؤولون ينصحونها بعدم اهدار اموالها سدى، وهذا سلبني الثقة بالنفس لمدة طويلة. ولم يتبدل شعوري الا بعدما اصبحت عارضة أزياء."

وتضيف: "قلما استعملت كلمة حظ، لكن الحظ حالفني حقاً عام ١٩٣٣ عندما عملت مع شركة "مترو غولدن ماير" السينمائية. فقد كنت اسير في الشارع حين استوقفتني وكيلة كنت قابلتها اثناء عملي كعارضة، وسألتني هل أريد الذهاب الى كاليفورنيا. قالت لي ان ثمة حاجة الى عارضات في فيلم "الفضائح الرومانية" الذي ستنتجه الشركة. عند ذلك ذهبت الى هوليوود ولم اعد." هكذا اخبرتني لوسي والابتسامة تعلو وجهها.

دقاق الطبل ـ تنقلت لوسي من شركة "غولدن ماير" الى شركة "كولومبيا" ثم الى "آر كي أو" وأصبحت تحمل لقب "ملكة أفلام الدرجة الثانية". وعملت الممثلة الشابة مع مشاهير الكوميديا ومنهم الاخوة ماركس في فيلم "الخدمة في الغرف".

ولاقت أفلام لوسيل بول الأولى نجاحاً واسعاً، على رغم انها تنفي ذلك. ومن هذه الأفلام "باب المسرح" (١٩٣٧) و"الشارع الكبير" (١٩٤٢) وفيلم كول بورتر الموسيقي "دوباري كانت سيدة" (١٩٤٣) الذي جعل مجلة "لايف" تطلق عليها اسم "تيسي الملونة". وقررت شركة "مترو غولدن ماير" صبغ شعر لوسي ـ البني اصلا ـ باللون الاحمر التوتي لاعطاء هذه النجمة الجديدة الواعدة مظهراً جديداً. وعندما نظر اليها مصمم

الشعر ورأى شعرها ـ البلاتيني حينذاك ـ قال: "قد يكون شعرها اشقر، لكن داخلها ناراً مشتعلة، لذلك سنصبغه باللون الاحمر." وتقول لوسيل بول: "ان هذا لمضحك، كل ما في الأمر ان اللون الاحمر يوحي بالفرح ويناسب آلات التصوير."

هناك قصص اخرى عن لوسي، منها قصة الحب من النظرة الأولى، اي قصة حبها ديزي آرناز: "عندما التقيته وجدت فيه الحب الحقيقي، وكنت اعمل في فيلم "فتيات كثيرات" وقد اتى ديزي الى كاليفورنيا ليكون نجماً فيه." وبعد ستة اشهر تزوجت لوسيل بول المغني الكوبي الشاب.

ومما تقوله لوسي في زواجهما: "كان زواجاً صعباً، كنا في شهر العسل عندما اضطر الى السفر الى شيكاغو لينهي احد اعماله المسرحية، ثم بدأت الحرب وكان من بين المجندين فيها، بعد ذلك، ولمدة خمس سنوات، راح يجول مع فرقته الموسيقية، ليس من الممكن ان يتم الزواج وانجاب الأطفال عبر الهاتف، وبعد مرور تسع سنوات على زواجنا، امضينا منها ستة اشهر فقط سوية، قررنا ان نعيش معاً."

في هذه الفترة (١٩٤٨ ـ ١٩٥١) عملت لوسيل بول في برنامج اذاعي اسمه "زوجي المفضل" أدت فيه دور "ليز" المغفلة زوجة المصرفي الرزين، وأرادت شبكة "سي، بي، اس" ان تصور هذا العمل للتلفزيون، فوافقت لوسي مشترطة ان يمثل ديزي دور الزوج، لكن الاستوديو عارض بحجة انه لاتيني لا تفهم لكنته وأنه غير معروف فنياً، وتقول لوسي شاكية: "لقد ظنوا انه لا يجيد سوى الدق على الطبل."

برنامج ناجح ـ اسس الزوجان شركة لهما باسم "ديزيلو" ومثلا سوية في عمل جوال استجاب له الجمهور بحماسة مما جعل احد المسؤولين في شبكة "سي،بي،اس" يقول: "لا يصدق من يراكما انكما زوجان، لكننا سنمنح عرضكما فرصة للظهور."

تقول لوسيل بول وقد بدت مضحكة كثيراً: "أنا لست مضحكة، الذين ألفوا لي كانوا مضحكين، أو ان الظروف كانت مضحكة." وبينما أنا أفكر في أنها على خطأ تتابع لوسي: "الحقيقة انني شجاعة، وكنا مبدعين، وعندما قال لنا الناس اننا ننتحر مهنياً لم اكن اسمع، وحين سألنا المسؤولون في "سي،بي،اس،" عن الدور الذي نفضل اداءه قلت: لا اريد ان يكون دوري دور امرأة جذابة، او ان ارتدي الثياب الجميلة، اريد ان اكون ربة منزل عادية، ولكن حشرية، رغبتها دخول عالم التمثيل، كما اريد ان يحبني زوجي."

رفض الزوجان الاستجابة لرغبة شركة "سي،بي،اس،" في تصوير البرنامج في مانهاتن: "كل ما في الأمر اننا قررنا البقاء في دارنا لنمثل وننجب الأطفال." وهكذا استدانت شركتهما "ديزيلو" خمسة آلاف دولار لانتاج عرضهما الخاص "انا احب لوسي."

اثار هذا العرض اهتمام

"سي·بي·اس·" خصوصاً بعد اشتراك كارل فروند المصور المعروف فيه· فقد ابدع فروند حينذاك اسلوباً جديداً في التصوير، حيث تعمل ثلاث آلات تصوير بدلا من واحدة في تصوير المشهد نفسه، ثم يختار المخرج افضل المشاهد ويجمعها· هكذا اصبح "انا احب لوسي" من اول البرامج التلفزيونية المصورة امام الجمهور، ولم يعد هناك من حاجة الى قطع الفيلم لادخال الضحكات·

كان العرض الاول لبرنامج "انا احب لوسي" على التلفزيون الامريكي في ١٥ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١· وكان ابطاله ريكي ولوسي ريكاردو (قائد فرقة موسيقية وزوجته المغفلة) وصديقيهما الحميمين فريد (وليم فراولي) وايثل (فيفيان فانس)· ارادت لوسي وايثل قضاء السهرة في احد المنتديات الليلية· اما ريكي وفريد فكان مشروعهما الذهاب لمشاهدة مباراة في الملاكمة· وعمت الفوضى اثر هذا الاختلاف في الرأي، ورفضت لوسي وايثل الذهاب الى المباراة· فقرر الزوجان الانتقام واللجوء الى مصاحبة نساء جديدات· اما لوسي وايثل اللتان رفضتا الهزيمة فتنكرتا في زي فتاتين من الريف لتمثلا دور الفتاتين اللتين سيتعرف عليها ريكي وفريد·

لاقت هذه الحلقة اعجاب الجمهور والنقاد· واعتبر برنامج "انا احب لوسي" بعد موسم عرضه الثاني من أنجح البرامج في تاريخ التلفزيون، اذ قدر عدد مشاهديه اسبوعياً بـ١١ مليوناً و٥٥ الف عائلة امريكية من اصل ١٥ مليون عائلة تملك اجهزة تلفزيون·

وأصبح للوسي دمى واغان وكتب هزلية باسمها، كما طبعت صورتها على مآزر المطبخ·

حنين الى لوسي – كل شيء كان على ما يرام بالنسبة الى لوسيل بول، واصبحت لها عائلتها الصغيرة المكونة من صبي وبنت اسمهما ديزي ولوسي (وهما نجحا ايضا في مجال التمثيل)· ولد ديزي الابن في اليوم نفسه الذي أنجبت لوسي ريكاردو طفلها ريكي الصغير على شاشة التلفزيون· وقدر عدد المشاهدين في ذلك اليوم بـ٤٤ مليون مشاهد، وهو العدد نفسه لمشاهدي حلقة "من اطلق النار على جي آر" من برنامج "دالاس"· عن هذه الايام تقول لوسي حالمة: "كانت اياما رائعة·"

اما زوجها ديزي آرناز فلم يكن يشبه ريكي ريكاردو الممثل· تقول لوسيل: "كنت آمل دائماً ان يتغير ديزي، لكنه بقي على عاداته في السكر والخيانة·"

طلبت لوسيل بول الطلاق عام ١٩٦٠، واستمر آرناز في ادارة شركة "ديزيلو" التي بلغ رأس مالها ملايين الدولارات· واشترتها لوسيل عام ١٩٦٢ بثلاثة ملايين دولار، ثم باعتها لشركة "غالف آند وسترن اندستريز" في العام ١٩٧٦ بمبلغ ١٧ مليون دولار، وانشأت شركة جديدة باسم "لوسيل بول للانتاج·" واصبح زوجها الثاني غاري مورتن رئيساً لهذه الشركة يدير شؤونها المالية، وحل برنامج "ها هي لوسي" محل "انا

احب لوسي" فحصدت منه الشركة الجديدة ربحاً راوح بين ٣٠ و٤٠ مليون دولار خلال مدة امتدت بين خمس سنوات وعشر سنين٠

الآن ترفض لوسيل بول ان تلتقط لها اي صورة، فقد اجهدتها ثلاثون سنة من العمل الشاق٠ تقول: "لقد عرفني الناس كلوسي، ولا أريد لهذه الشخصية ان تتغير٠" وترتسم على وجهها امارات الحزن عندما تتكلم: "كان في وسعي ان استمر في التمثيل٠ فقبل اعتزالي عام ١٩٧٤ كانت نسبة مشاهدي برنامجي "ها هي لوسي" عالية وطلب مني ان أوقع عقداً لخمس سنوات اخرى٠ لكنها سخرية٠ لقد كبرت لوسي ولم يعد من الممكن ان تستمر٠٠٠ اما الآن فاني افتقد هذا الدور كما افتقد النهوض باكراً لأذهب الى العمل٠"

وتقفز لوسي من مقعدها قائلة: "هذا كله مضيعة للوقت٠" وتدور في انحاء الغرفة بحثاً عن شيء ما٠ انها وضعت لحياتها مخططاً واعادت الى نفسها طمأنينتها٠ وافكر انا، قد لا تكون لوسيل بول هي لوسي، لكن لوسي ستبقى دائماً فخورة بصاحبتها٠

■ لين هيرشبرغ



رائد فنان

اعتزل رائد الفضاء الامريكي آلان بين، أحد ملاحي "أبولو - ١٢" ورابع انسان يطأ سطح القمر، مهنته الاولى في وكالة الطيران والفضاء الامريكية ليصبح رساماً للمناظر الفضائية٠ وهو يقول في ذلك: "أنا الوحيد بين رسامي المناظر القمرية الذي شاهد القمر بأم عينه٠ وذات مرة نظرت الى الارض من عل وقلت: "يا الله، كم هي جميلة٠" ومنذ ذلك الحين قررت استخدام مواهبي الفنية٠"

صحيفة "الناس"

مصالح مشتركة

كان كاتب برنامج تلفزيوني شهير يستعد" لحفلة زفاف ابنه٠ ووجد صدوعاً في سقف غرفة الاستقبال، فخابر احدى الشركات المختصة راجياً الاسراع في العمل٠ وسأله موظف الشركة: "ألست انت مؤلف "لص" في داري" الذي يعرض حالياً على شاشة التلفزيون؟"٠

- أجل، انا هو٠

"اذا اخبرتني بمصير البطل، أرسلت فنيي الشركة فوراً لتلبية طلبك٠"

وكان ان وفى كل بوعده٠

ب٠م٠د٠

وان غداً لناظره قريب

فيما الوالد الشاب يغادر المستشفى ومعه زوجته وطفلهما الأول، سأل الطبيب: "أي ساعة يحسن ان نوقظه صباحاً؟"

ا٠هـ٠



الضحك خير دواء

متشردان

قبض على رجلين بتهمة التشرد، وسئل أحدهما: "أين تعيش؟" فقال: "ان عنواني هو كل مكان: السهول، الغابات، الجبال، الشاطىء..." واستدار القاضي نحو الآخر وسأله: "وأنت، أين تقيم؟"
فأجاب: "أنا جاره."

مجلة "العالم الضاحك"

"حسنات" التدخين

قالت امرأة لصديقها: "لقد أقلع صهري عن التدخين وباشر نظام حمية عن الطعام وخسر بعض وزنه الزائد." وظنا منها أن التخلي عن عادة سيئة لا يتم إلا باكتساب عادة اخرى سيئة، سألت الصديقة: "وماذا فعل عوض ذلك؟"
ـ حسنا... إن اختي حبلى الآن.

م.ن.

عاطفة على الرف

دخل زوجان من ذوي الدخل المحدود محلا للتبضع. وإذ كان عيد ميلاد الزوج وشيكا، تناولت الزوجة بطاقة تهنئة ووضعتها في السلة. ولما رأى الزوج ذلك أخذ البطاقة وفتحها وقرأ ما عليها، وشكر زوجته لعاطفتها نحوه ثم أعاد البطاقة الى مكانها على الرف.

ت.ا.

زواج زراعي

خطب مزارع فتاة من بيئة. ولما سئل عن موعد الزواج أجاب: "سيقرر لاحقا في وقت يقع بين موسم القمح وموسم الفول."

ب.غ.

أسرار ألاسكا

في ولاية ألاسكا الامريكية مناطق واسعة لم تبلغها خطوط الهاتف بعد. ويستطيع سكان تلك القفار تبلغ المخابرات وإرسالها عبر الراديو، وهي تقوم مقام الرسائل الشخصية العادية.
وذات مساء أذيعت الرسالة الآتية من صاحب متجر في المدينة الى مواطن: "عزيزي السيد جون سميث: لقد اشتريت من محلنا قفلا سريا ونسينا أن نعطيك الرقم الذي يمكن فتحه عليه انه ٠٥٤١٧"

م.د.ك.

مضيعة وقت

بعد اسبوعها الاول في المدرسة، قالت الفتاة الصغيرة لأمها: "اني اضيع وقتي هناك. فأنا لم أتعلم القراءة ولا الكتابة، ولا هم يدعونني أتكلم."

و.م.ف.

"انه مهرجان نيميغن،
أربعون كيلومتراً كل يوم
انه مهرجان نيميغن،
ونكمل المسيرة الى النهاية"

اغنية مهرجان نيميغن السيار

أولمبياد المشاة



قبل ساعة من انبلاج الفجر ينطلق حشد ضخم من الناس في موكب سيار يخرج من المدينة الجامعية الهولندية في نيميغن ماراً عبر الجسر الحديد الممتد فوق نهر فال. يحتشد هواة المشي من ٣٢ بلداً وبينهم مظليون ايطاليون ورجال أعمال يابانيون وطلاب بولونيون وكتبة مصارف قبارصة، فيمرون أمام الموظفين المختصين الذين يثقبون بطاقاتهم. وبعد ثلاث ساعات ينطلق آخر المشتركين الذين يبلغ عددهم ٣٢ ألفاً و٧٨٣ في الـ"فيرداغسي" أي مسيرة الايام الاربعة الدولية، في اختبار لقوة الاحتمال هو أضخم مهرجان مشي في أوروبا.

كل صيف، في الثلثاء الثالث من شهر يوليو/تموز (١) وطوال الايام الثلاثة التالية ينطلق هؤلاء بالتناوب شمالا وغرباً وشرقاً وجنوباً. ويشق طريقه المتلوية عبر مروج هولندا المخضلة. في الرابعة والربع صباحاً تبدأ الطليعة سيرها، وبحلول الخامسة مساء مع انتهاء هجير كل يوم تقفل فلول الحشد المتشرذم عائدة الى منطلقها. وتكرر المراسم المرهقة

---

(١) سيجرى مهرجان هذه السنة بين ١٧ و٢٠ يوليو. (تموز).

يومياً: ٥٠ كيلومتراً للرجال بين التاسعة عشرة والتاسعة والاربعين من العمر، و٤٠ كيلومتراً للنساء بين السادسة عشرة والرابعة والخمسين وللصبيان بين السادسة عشرة والثامنة عشرة وللرجال بين الخمسين والرابعة والستين وللجنود الذين يحملون على ظهورهم حقائب يبلغ وزنها عشرة كيلوغرامات، و٣٠ كيلومترا للنساء اللواتي تجاوزن الخامسة والخمسين وللرجال الذين تجاوزوا الخامسة والستين وللاولاد دون الخامسة عشرة. ويقول العقيد طوني فان دونغن منظم المهرجان: "انه ليس سباقاً، بل هو مباراة بينك وبين نفسك."

أضحى المهرجان الآن في عامه الخامس والسبعين (٢). وخلال أسبوعه يتضخم عدد سكان نيميغن الـ١٥٠ ألفاً الى مليون نسمة بسبب تدفق الزوار من كل حدب وصوب لمشاهدة العروض والاحتفالات التي تقام في الشوارع. أما الغرف الـ١٠٠ في الفنادق فتحتجز قبل أشهر كما تزدحم مواقع المخيمات القريبة وتحول الابنية العامة مهاجع موقتة. ويستضيف نحو ٨٠٠ من السكان المحليين أعداداً من الوافدين في بيوتهم. كل هذا في سبيل مباراة لن يكون فيها فائز فرد.

تنظم الرابطة الملكية الهولندية للتربية البدنية هذا المهرجان وتقدم هدية من البرونز المذهب الى كل شخص يكمل برنامج الايام الاربعة في الوقت المحدد. في العام ١٩٨٣ تجشم ٢٢،٧٨٣ شخصاً مشاق السير وما يسببه من تقرح الاقدام وآلام العضلات واستنزاف سوائل الجسم والانهاك لخوض هذه المباراة. ولم يخفق في نيل الجائزة المنشودة سوى ١٧٤٧ مشتركاً.

أقيم المهرجان الاول من هذا النوع عام ١٩٠٩، وكانت الفكرة الاساسية اختبار قدرة الجنود المشاة على الاحتمال. وبقي طوال سنوات تسيارا عسكرياً. ولكن في العام ١٩٢٥ اكتشف الهولنديون ان مهرجان نيميغن هو حلم هواة المشي. ويقول العقيد فان دونغن: "ضمن دائرة شعاعها ٣٠ كيلومتراً توجد هضاب وغابات وثلاثة انهر وقنوات وبرار مترامية الاطراف."

أصبح هذا المهرجان حدثاً رياضياً وطنياً. وحين أقيمت الالعاب الاولمبية في أمستردام عام ١٩٢٨ شارك فيه عدد من الاجانب كاف لتحويله حدثاً رياضياً دولياً. والآن في امكان أي هاوي مشي قادر على السير أن يكمل مسيرة الايام الاربعة مرة واحدة على الاقل في حياته.

اليوم الأول – بعدما عزمت على الاشتراك في مهرجان ١٩٨٣ ذهبت أستطلع آراء الخبراء. فالرابطة الملكية تحض جميع المشتركين على اجراء فحص طبي شامل والامتناع عن المشاركة من دون تمرين كاف. وقد سار رجل اعمال بلجيكي، استعداداً للمباراة، مسافة ٤٠٠ كيلومتر من بلدته قرب بروكسل (بلجيكا) الى نيميغن. ولكي احظى بالكلمة الفصل

(٢) لم تجر مباريات في العامين ١٩١٤و١٩١٥ وبين ١٩٤٠و١٩٤٥.

في الاجراءات، تحدثت مع البطلة ميز كلافر البالغة من العمر ٧٦ سنة والتي شاركت في ٤٨ مسيرة وتحتفظ بالرقم القياسي في أقدمية المشاركة في مهرجان الايام الاربعة.

قالت لي السيدة كلافر التي تقدر أنها قطعت مسافة تناهز ضعفي محيط الكرة الارضية: "امش بخفة. يجب ان يكون خطوك خفيفاً كمشي النمر. عندما أرى المشاركين يخبطون الارض أجزم أن أقدامهم ستتقرح وعضلاتهم ستتشنج." عندما تحدد السيدة كلافر نمط خطوها تلتزمه بعد ذلك وتتوقف كل ساعتين في استراحات قصيرة.

وأضافت: "الحمية أيضاً مهمة." ففي كل يوم من أيام السير تتناول السيدة كلافر فطوراً مؤلفاً من الخبز والجبن وبيضة مسلوقة. وتتزود للطريق ببيضة مسلوقة وليمونة مقطعة أربعة اجزاء وشرائح من الخيار والبندورة (الطماطم). قالت لي: "الطعام الوحيد الذي اتناوله على الطريق عندما يكون الطقس بارداً هو قطعتان من السكر."

تسلحت بهذه النصائح وانضممت الى المشاركين الوافدين من أماكن قصية مثل فنلندا والمغرب وجامايكا واليابان. كانت فرقة سويسرية تعزف لحناً عندما انطلقنا في رتل عرضه عشرة أشخاص. وسرنا في وقع منتظم عبر مدينة بيمل الصغيرة ميممين شمالا شطر مدينة آرنهيم. كانت الساعة القائمة فوق برج كنيسة سان دوناتوس في الساحة العامة دقت السادسة والنصف تماماً. لكن سكان المدينة كانوا خرجوا لمشاهدة المشاركين. وتبعثر المشاة لتناول وجبة سريعة من السمك المملح او المدخن أو شطائر متنوعة في المطاعم النقالة.

وكان الخبراء أنذروني بأن هذا اليوم الاول يصفي أولئك الذين ما كان يجدر بهم أن يشتركوا أصلا. وانهم لعلى حق. فبعد مسيرة ٢٠ كيلومترا حين أخذنا نطرق الضفة الجنوبية لنهر الراين كان فريقنا يسير بسرعة نشيطة تبلغ ٧ كيلومترات في الساعة، وكان هذا مرهقاً جداً لغير المدربين. وأخذت الاحذية تنهش الاقدام والالم يعض الكواحل، وبدأ المتبارون يتخلفون عن الموكب واحداً بعد آخر على جانبي الطريق. ولم نكن وصلنا بعد الى منتصف الطريق في أيلست حين تخلى عن السير معظم الـ٣٤٢١ مشاركاً الذين لم يكن لهم أن يكملوا مسيرة اليوم الاول.

التلال السبع — بعض سحر هذا المهرجان يكمن في طريقة تخطيطه. ففي بداءة كل يوم ينطلق الناس في نيميغن جنباً الى جنب، صغاراً وكهولا، رجالا ونساء، مدنيين وعسكريين. وبعد مسافة قصيرة يتفرقون في ثلاثة سبل مختلفة محددة المسافة. وفي النهاية يلتقي الجميع لاكمال الرحلة الاخيرة المتعبة نحو نقطة الانطلاق. قال أحد المشاركين الاسكوتلنديين وهو يرتدي التنورة التقليدية ويحمل المزامير الاسكوتلندية ذات الجراب: "عندما تنشتت الجيوش وتذهب النساء في

طريقهن تشعر بالألم. ثم يأخذك العجب في ما أنت صانع هنا. وفجأة يتلاقى الجميع ويبدو لك أن الامر كله يستحق هذا العناء."

ما ان نعبر خط النهاية حتى يحين وقت الكشف على ما أصبت به من أضرار خلال اليوم. فواحد من كل عشرة أشخاص يحتاج الى معالجة قدم متقرحة. قال لي طبيب هولندي شاب ملحق بعيادة الرابطة الملكية في نيميغن: "يأتوننا مصابين بالقروح من أعقاب أقدامهم حتى رؤوس أصابعها. فنعالجهم، بيد أننا نعرف أن العديد من تلك الاقدام لن تتحمل ٤٠ كيلومتراً أخرى."

وعلى رغم قروح الاقدام فان مسيرة الايام الاربعة تتيح لك حقاً أن تمتع نفسك. فالاحتفالات وفيرة جداً. في نهاية اليوم الاول تحلق طائرات مزدوجة الاجنحة في دورات متداخلة فوق رؤوس الجماهير ويهبط الغطاسون من الجو على المواقع المحددة في نهر فال. وتتفجر الاسهم النارية في دفق من كل لون. وفي يومي الثاني أقيم احتفال كبير. وحين كنا نسير في شوارع فيغن المرصوفة بالحجار في الساعة التاسعة صباحاً كانت الفرق الموسيقية تعزف والبالونات الملونة تطير فوق سطوح المنازل والفتيات الجميلات يحيين الجنود العابرين. كذلك تتوافر كميات من المرطبات في الخيام التي تقام في مروج القرى.

قال توموكازو كانيكو بحماسة وهو يقود ٣٤ مشتركاً من الفريق الياباني في منظرهم البهيج ببزاتهم الرياضية الزرقاء وقبعاتهم البيضاء: "هذا المهرجان فريد في بابه. كل امرىء يشعر بالالم، لكن ثمة سعادة في كل مكان." وكانيكو هو ناشر في التاسعة والستين من العمر شارك في مسيرة الايام الاربعة قبل سبع سنوات ودأب منذ ذلك الوقت على القيام بمسيرات أيام ثلاثة شبيهة بها في اليابان. وهو يقول: "ان المشي رياضة يمكن كل فرد تقريباً ان يمارسها. وهذا أولمبياد لهواة المشي."

ولكن لم يكن جميع المشاركين مثله مبتهجين. واضطر ٧٩٠ منهم الى التخلف في اليوم الثاني، معظمهم قهرتهم قروح الاقدام.

وفي نيميغن تكون الاحتفالات بدأت. ثمة فرق موسيقية تعزف الروك والجاز وتتسابق لتجد فسحة في الساحات والشوارع الضيقة. وتغرق المطاعم والمقاصف في طوفان من الحياة الصاخبة. ولكن قرابة الحادية عشرة ليلا يكون الجميع عادوا يسحبون أقدامهم المتعبة الى مهاجعهم طلباً للراحة واستعداداً للاختبار النهائي في المهرجان وهو طريق التلال السبع.

في اليوم الثالث تخفق الاعلام فوق المطاحن الهوائية العتيقة في غروسبيك حين نهبط الى المدينة استعداداً للخروج منها وتسلق أولى التلال. كانت الحرارة ٢٨ درجة مئوية في شمس الهاجرة وكان تلاميذ المدارس يوزعون حواجب شمسية من البلاستيك لوقاية العيون.

في منتصف الطريق فوق التلة بدأ عناء التسلق يعض عضلات السيقان،

فتجاوزني آد هنسنغ وهو هولندي مرح في عقده الخامس. وكان يظن انه لن يحتمل أبداً مشقة هذه المسيرة. فهو كفيف البصر منذ الولادة ويرافقه ابن اخيه اليافع.

من الغريب ان لهذه التلال السبع تأثيراً منشطاً. قالت أنيليز باخ - لاورسن وهي دنماركية جميلة في الثلاثينات ومشاركة قديمة في المسيرة: "انها لا شك أشق، لكن الانتقال من الارض المنبسطة يدفعك الى الامام بسرعة أكبر." وهي على حق. فقبل أن تبلغ التلال كان وسط موكبنا يمشي بسرعة خمسة كيلومترات في الساعة، اما الآن فيبدو كأننا نستجمع سرعة متزايدة كالعجلة المنزلقة تدفعنا صعداً في السفح التالي. ومع ذلك أسقطت التلال ٣٧٤ مشاركاً آخرين.

فرحة الانتصار - ٣١ ألفاً و٢٧٧ متبارياً انطلقوا في مسيرة اليوم الأخير، وكانت المسألة هي الاستمرار حتى النهاية مهما كلف الامر. المرحلة العظيمة جنوباً حملت الموكب الضخم عبر نهر ماس قرب نيديراسيلت ومن ثم شرقاً نحو بلدة كيويك قبل الاياب الى نيميغن.

بلدة كيويك هي أعلى نقطة تلوح في الافق ويحدد برجا كنيستها خط الانكفاء في طريق الاياب. في ذلك الوقت لم يكن للبلدة جسر فوق نهر ماس فعمد الجيش الهولندي في الليلة السابقة الى انشاء جسر عائم يمتد ١٥٠ متراً عبر النهر. ومنذ السابعة والربع صباحاً وطوال خمس ساعات ونصف ساعة تدفقت الجموع اللاهثة في رتل غير منقطع عرضه عشرة اشخاص.

ما ان أصبح خط النهاية ضمن مرمى النظر حتى تملكت الفيلق المتقدم موجة عارمة من النشاط. واغرقت الموسيقى المدوية من مختلف انواع الآلات حداء الزاحفين الأجش وهم يجدون السير على ضفة نهر ماس. وكان أسطول صغير من الزوارق والقوارب والاطواف فوق مياه النهر يطلق الصفارات لتختلط بهذه المعزوفة المدهشة.

كل قرية في طريقنا أخرجت لنا ترحاباً خاصاً. وخصتنا بلدة موك، وهي الواحة الاخيرة قبل وصولنا الى نيميغن، بمفاجأة مميزة. كان في وسط الشارع الضيق نافورة ماء رشاشة متصلة بأنبوب لري احدى الحدائق، فأغدقت علينا ترحاباً بارداً بلل جميع المتبارين، لكن أياً منهم لم يأبه لذلك أو يتأخر خطوة واحدة.

وعلى مدى الكيلومترات الخمسة الاخيرة عبر الضواحي الجنوبية وحتى خط النهاية في ساحة كايزر كاريل في نيميغن احتشد أكثر من ربع مليون شخص لمشاهدة العرض. كانت أزهار ندية أرسلت من أنحاء هولندا لتقديم باقة لكل متبار يعبر حدود المدينة. ووسط تصفيق الجماهير دخلت سريتان من الشبان اللندنيين في لباسهم الازرق الرسمي وقبعاتهم المقببة التي اعتمروها طوال المسير. وكانت الفرقة اليابانية ترتدي سترات لازوردية فوق بزات رياضية وقد انحنى افرادها احتراماً أمام المنصة

الملكية. ومر أربعة من الالمان قفزاً أمام سرداق العرض كما قطع دنماركي وحيد الامتار الخمسين الاخيرة سائراً على راحتيه.

لدى انتهاء المسيرة في الخامسة مساء سجل رقم قياسي جديد بعبور ٤١ ألفاً و٣٦ مشاركاً خط النهاية واستحقوا جميعاً الهدايا البرونزية المذهبة. واحتفل الجميع بانتصارهم في الشارع العام. وحين هبط الظلام أقيمت عشرات الحفلات الخاصة المرتجلة بينما حاصر المطاعم والمقاهي وحوانيت الارصفة بحر طام من المحتفلين الجائعين الظامئين.

لكن أجمل تعبير عن الرضا نطق به اكبر المتبارين سناً وهو رجل في الثامنة والثمانين يدعى جان رويب فقال: "سأعود في السنة المقبلة وسأواصل المشاركة في هذه المسيرة ما دامت ساقاي تحملانني."

وأنا أقدر تماماً حقيقة شعوره.

■ بول مارتن



امتحان الفلسفة

في صف فلسفة جامعي جاء الامتحان الاول يطلب الاجابة عن ستة اسئلة تتناول تطبيق المبادىء الفلسفية على مواقف الحياة اليومية. وانتهى الوقت المحدد من غير أن يتمكن عدد كبير من الطلاب من الاجابة. فطلب منهم الاستاذ اضافة جملة اخيرة هي التي تقرر علامة كل منهم.

وعلى رغم ان أحد الطلاب لم يكمل سوى مقدار النصف من امتحانه، فان جملته الاخيرة رفعت علامته على نحو ملحوظ، وهي الآتية: "إياك أن تدفع فيلسوفاً على العجلة."

ا.س.

دواء لتكسير الصحون

قالت المرأة لطبيبها وهي تبكي بمرارة ان زواجها يكاد ينهار. وأضافت: "لقد كان مجنوناً بي في الفترة الاولى من زواجنا. فكان يحملني من خصري ويرقص بي في أرجاء المنزل ثم يلقيني على الطاولة ويقبلني. أما اليوم فلم يبق لنا شيء من هذا."

فاعرب لها الطبيب عن اسفه لحالها، وأعطاها حبوباً وقال: "ضعيها لزوجك في قهوة الصباح، وهي كفيلة بحل مشاكلك. ثم أخبريني ما يحصل."

وبعد اسبوع اكتشف الطبيب، لهوله، أنه أعطى المرأة حبوباً لزيادة النشاط ثلاثة أضعاف. لكن رعبه زال سريعاً لدى رؤيتها تدخل عيادته وهي طافحة بشراً وتقول: "انه دواء رائع! لقد أعاد الينا عهدنا الاول من الحماسة والمغازلة والرقص من زاوية الى أخرى وتكسير صحون... انه حقاً عظيم."

وسر الطبيب لما سمع، لكنه شعر بمسؤوليته تجاه الاواني المطبخية، فسأل المرأة: "أتسمحين لي بأن اعوض عليك ثمن الصحون؟"

ـ كلا! كلا... فأنا متأكدة من انهم لن يسمحوا لنا بدخول ذلك المطعم مرة اخرى.

ا.م.غ.

حب الحياة



سألني احدهم يوماً: "لو ملكت ان تعيشي حياتك ثانية، فهل كنت تغيرين شيئاً فيها؟"

وللحال اجبت بالنفي الجازم. لكني بدأت افكر...

لو قدر لي ان اعيش حياتي ثانية لتكلمت اقل واصغيت اكثر.

لدعوت اصدقائي الى العشاء حتى وان تكن السجادة بالية والاريكة قديمة وقد بهت لونها.

لأكلت المقبلات في حجرة الجلوس ولم اكترث للغبار والاوساخ كلما اوقد احدهم النار في المدفأة.

لاصغيت الى جدي وهو يستعيد ذكريات شبابه.

لما اصررت على اغلاق نوافذ السيارة في يوم صيف لمجرد ان شعري مصفف.

لأضأت الشمعة الوردية وتركتها تذوي حتى النهاية، عوضاً عن تركها تذوب ضجراً في الخزانة.

لجلست واولادي في الحقول على بساط الطبيعة من دون ان اخشى اتساخ ثوبي.

لبكيت وضحكت اقل امام التلفزيون... واكثر امام الواقع الحياتي.

لشاركت زوجي اكثر في المسؤوليات الحياتية.

لرقدت في الفراش حال شعوري بالمرض، عوضاً عن الادعاء ان العالم سيتوقف اذا تغيبت يوماً واحداً.

وبدلا من ان اتمنى انقضاء اشهر الحمل التسعة لاعتززت بكل دقيقة منها وادركت ان الشيء الرائع الذي ينمو في احشائي هو فرصتي الوحيدة في الحياة لمشاركة الله في تحقيق معجزة.

ومتى قبلني ابني بحنان لما زجرته قائلة: "دعك من هذا الآن. اذهب واغتسل قبل العشاء".

لارتسمت على شفتي كلمات مثل "احبك" و"آسفة" مرات ومرات اكثر. ولكن قبل اي امر آخر، اذا ما اعطيت فرصة اعادة النظر في حياتي وعيشها على نحو آخر، لالتقطت كل لحظة... وتأملتها ورأيتها فعلا... وعشتها حقاً... ولم اتراجع عنها ابداً.

■ ارما بومبيك

يسخر صغار العالم الفقراء في أعمال خطرة ويباعون في سوق النخاسة، فهل من أمل في انقاذ هؤلاء الاطفال العمال؟

أطفال في سُوق الرقيق



يدان عاملتان في اندونيسيا

Patrick Frilet / Sipa Black Star

● رامبي فتاة في الرابعة عشرة اجبرتها والدتها في مقابل ٢٠٠٠ باهت (مئة دولار) على العمل سنة واحدة في مصنع خيطان في بانكوك. امضت المراهقة ايامها سجينة غرفة مظلمة حارة مع ثلاث عشرة فتاة مراهقة مثلها. وكان عليها ان تعمل عشر ساعات يومياً ستة ايام في الاسبوع.

كانت تركل او تضرب بالعصا عندما تتكاسل. واخيراً هربت رامبي. وهي تتذكر ايامها القاسية تلك "لم يكن لدينا طعام كاف، وكنا ننام على الارض القاسية. واحتملت تلك الحياة، لكنني لم احتمل الضرب الجسدي."

● كان على الصغير بانياك العمل

من دون مقابل فترة ثلاثة اشهر في مصنع بالقرب من مدينة دلهي في الهند ليحصل على عمل ذي مدخول كبير وطعام ومأوى في العراق. وامتدت فترة التجربة من ثلاثة اشهر الى اربع سنوات من العمل القاسي المضني مع غذاء قليل ومن دون اجر. وذات يوم سحقت آلة في المصنع ساق بانياك اليمنى فعاد الى بيته كسيحاً هزيلا. ويبلغ بانياك الرابعة عشرة من عمره ويعرف انه عبء ثقيل على عائلته ويقول: "ليتني مت جوعاً."

تسمع صرخات الاطفال الكادحين في جميع انحاء العالم. وتقدر منظمة العمل الدولية ان نحو ٧٥ مليون طفل بين الثامنة والخامسة عشرة ينتمون الى القوى العاملة في العالم النامي. والارقام العالمية هي اكثر من ذلك. ويعمل الاطفال عادة في ظروف تنطوي على اخطار جمة، فيلمسون مواد كيميائية سامة ويتنشقون ابخرة سامة وينقلون الاثقال المفرطة. هم مرهقون ومجهدون، كما انهم سيئو التغذية وقليلو الاجر، هذا اذا تقاضوا اجراً. ويخاطر العديد منهم بسلامته الجسدية والعقلية.

ومع ان بلداناً عدة سنت قوانين تمنع استخدام الاولاد واساءة معاملتهم، فان منظمة العمل الدولية تصرح ان "لا مجال للتفاؤل" بأن ازمة الاطفال ستحل في المستقبل القريب. وهذه الخلاصة تنبع من حقيقة واحدة لا يمكن تجاهلها: ان عائلات معظم الاطفال العاملين تتكل على عملهم لتأمين معيشتهم. اما في المجتمعات الزراعية فينتظر من الاطفال ان يرافقوا اباءهم وامهاتهم الى الحقول حالما يتمكنون من المشي. كذلك في المجتمعات الصناعية حيث الاحوال غالباً تتساوى في الكلاحة. ويقول لويز باسكول مارا من المؤسسة الوطنية البرازيلية لرعاية الطفل: "منذ بدء النهضة الصناعية شهدنا هجرة هائلة من المناطق الريفية. لكن المدن لا تزال غير قادرة على استيعاب تلك الهجرة. فكانت النتيجة تزايد الفقر واضطرار العائلات الى الاعتماد على جهود جميع افرادها."

ولان عمل الاولاد يعني عملا رخيصاً، فان الاولاد غالباً ما يكونون الاولى بالاستخدام في الانظمة الاقتصادية المتدهورة. ولقد اعترف مدير مصنع نسيج في اسطنبول من دون تردد او ندم بان ٧٠ في المئة من مستخدميه هم من الاولاد الذين تراوح اعمارهم بين ١٥ و١٧ سنة ويقول: "انهم يؤمنون انتاجاً مساوياً لانتاج البالغين ويتقاضون جزءاً ضئيلا من الاجر."

اطفال في العبودية – يمضي اطفال هاييتي معظم ساعات النهار في جلب الماء، ويكسبون الاجر الزهيد عن يوم العمل. ويتقاضى اطفال المكسيك نحو ٥٠ سنتاً في اليوم عن اعمال مختلفة، مع ان متوسط الاجر اليومي القانوني يزيد على ثلاثة دولارات. ويتقاضى اكثر من ٤٠ الف طفل هندي يعملون في توضيب المفرقعات وتغليفها نحو ٧٠ سنتاً كأجر يومي، بينما يربح ارباب العمل ٣٢ مليون دولار في السنة.

حتى الدول المتقدمة كالمانيا الغربية وايطاليا ليستا محصنتين ضد عمل الاطفال. والارقام الرسمية تكشف اللثام عن اكثر من ٣٠٠ مخالفة لقوانين عمل الاطفال منذ ١٩٨٠ في بافاريا وحدها. لكن الارقام غير الرسمية هي اكبر بكثير. وفي ايطاليا نحو ١٠ في المئة من مجموع الاولاد بين السن ١٠ و١٥ يعملون بعض الوقت.

والاولاد، بالطبع، لا يمكنهم التجمع او الاحتجاج لدى السلطات الرسمية عندما يرهقون بالعمل او يتقاضون الاجور الزهيدة. قلة منهم يعرفون حقوقهم القانونية ويستفهمون عن كسبهم الضئيل او حالات عملهم الرهيبة والاليمة. معظمهم شاكرون لانهم يعملون.

وفي آسيا وجزر الباسيفيك يعمل الاولاد لساعات عدة. ينامون على بلاط المصنع ويقتاتون بالغذاء القليل. يقول مدير رابطة الاسكان وتنمية البيئة في تايلند ميكاي فيرافاديا: "كأننا نجاور العبودية عندما نحبس الاطفال من دون انارة كافية او تغذية وافية، وليس هناك من يهتم بحالهم الصحية." واحياناً يدمغ العمال الهنود الصغار بقضيب حديد حام اذا اخلوا بالتعليمات. كذلك يصب الحامض الخارق (الاسيد) في تاي على وجوه بنات الهوى المراهقات لتأديبهن. ولا يوجد معين لالوف الاطفال العمال من امريكا الجنوبية وجزر الكاريبي وافريقيا الذين يعملون كخدم في المنازل، عندما يرهقون بالعمل او يضربون او يغتصبون وتنتهك اعراضهم. ويقول مسؤول في جمعية رعاية الطفل في كينيا: "لن نفعل الا القليل لحماية الاطفال المعذبين ان لم نعرف بهم نحن او تعرف بهم الشرطة."

وقد تكون ظروف العمل خطرة على رغم عدل رب العمل.

يحصد اطفال امريكا الوسطى محاصيل الحقول المرشوشة بمبيدات الحشرات او الجرذان او الطحالب. ويحشر اطفال كولومبيا في اضيق مهاوي مناجم الفحم الحجري، ويكدح اطفال تاي في مصانع من دون تهوئة وهم يعملون في صناعة الزجاج حيث تبلغ الحرارة ١٥٠٠ درجة مئوية. ويتنشق الوف من اطفال الهند كميات كبيرة من كلورات البوتاسيوم والكبريت. ويتنشق عمال الزجاج الصغار في البرازيل السيليكون السام وابخرة الزرنيخ مما يسبب لديهم امراضاً تنفسية.

واحياناً يكون العطب الجسدي دائماً. اما البرازيليون والكولومبيون والمصريون الذين يعملون في ورشات القرميد فغالباً ما يعانون عطباً في العمود الفقري من جراء رفع الاحمال الثقيلة. والاطفال الذين يعملون ساعات طويلة في المصانع في انحاء العالم غالباً ما يبلغون سن المراهقة وهم مصابون بعاهات دائمة في الاطراف. والالوف منهم لا يعيشون ليبلغوا سن المراهقة. وان سلامة احوال العمل في بعض مصانع الهند مهملة الى حد ان العديد من الاطفال العمال ماتوا من حرائق التيار الكهربائي والانفجارات الكيميائية.



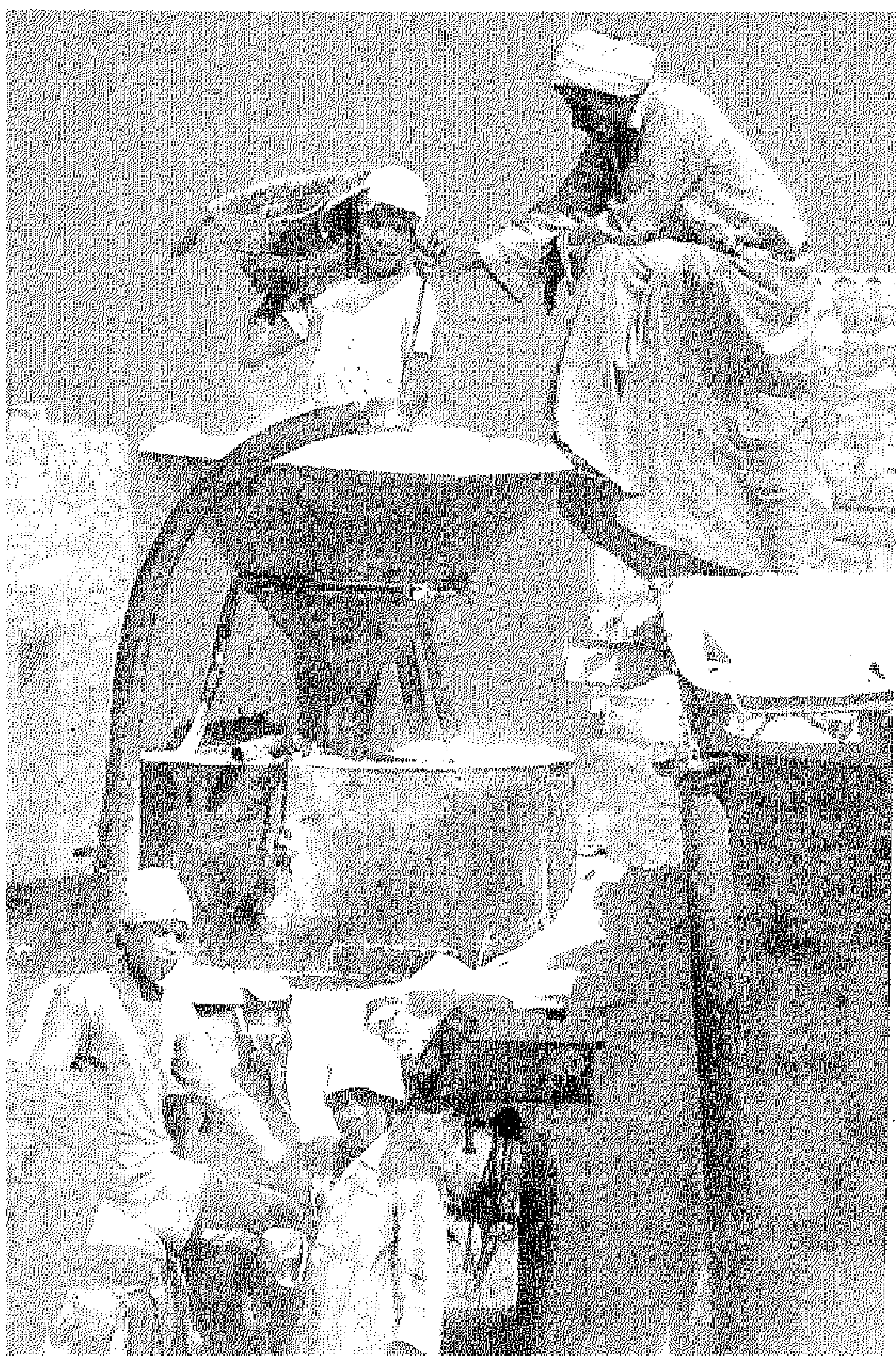
وقد سنت قوانين لحماية الطفولة من الاخطار الناجمة عن بعض المهن، لكنها نادراً ما تطبق. وفي القطاع الزراعي حيث يستخدم العدد الاكبر من الاطفال في البلدان النامية والصناعية، هناك صعوبات خاصة في المراقبة، ويتعذر على المراقبين ان يفعلوا الا القليل لتلطيف اعباء العمل التي يرزح تحتها الاطفال في المزارع الكبيرة او الصغيرة.

أطفال للبيع - يعمل افراد عائلة سانتوس الاثنا عشر جميعهم، من سفارينو (٥٠ سنة) الى ماريا (٨ سنوات). ينهضون في الثالثة صباحاً ويتوجهون فوراً الى العمل. جميعهم يتحملون مسؤوليات معينة. بعضهم يخلط الصلصال (الطين) بالماء وبعضهم يحضر القرميد ويخبزه ويفرغه. ويرتكز مدخول العائلة في البرازيل على مجموعة عدد القرميدات المنتجة، لذلك يتحتم على ماريا ان تعمل اذا رغبت العائلة في دخل شهري يساوي ١١٠ دولارات، على رغم ان القانون البرازيلي يمنع تشغيل الاطفال الذين هم في عمرها، لكن سافارينو لا يرى اي ضيم في عمل اطفاله، ويقول: "انهم يتعلمون





كثيراً ما يشغّل الاطفال كالدواب.
هنا أطفال يحملون حجار
القرميد ويكدسونها في كولومبيا.



مقلع حجار كلس
في مصر. استغلال غير مشروط.

John Launois/ Black Star

صنعة تؤهلهم لكسب قوتهم في المستقبل، كما انهم منهمكون بدلا من التسكع في الجوار من دون عمل."

ويبدو غالباً ان الاهالي هم اقسى المراقبين في العمل. ولا يزال الآباء الهنود احياناً يسددون دينهم ببيع اولادهم رقيقاً في سوق العمل. ويشوه بعض الآباء الباكستانيين اولادهم ليجعلوا منهم شحاذين. وتقول ماريا نوغيرا كوتشو الباحثة الاجتماعية البرازيلية: "من غير المعقول ان تعترض العائلة على استغلال اطفالها هكذا وهذا هو الاسوأ."

والجروح الجسدية ليست العذاب الوحيد الذي يعانيه الاطفال العمال. وقد انذر الدكتور هالوك يافوتزر من تركيا، وهو عالم نفساني للاطفال، قائلا: "ان الاطفال العمال ينمون عاهات نفسانية، ويعانون القلق والحصر النفسي والاجهاد. ولقد برزت هذه الفكرة قبل سنوات (١٩٧٦) في مدينة آلتامورا جنوب ايطاليا، عندما انتحر ولد صغير باعه والداه في السوق في مقابل بعض المال والطعام. وقد حفز انتحاره المسؤولين في المنطقة على حظر تلك العادة المتبعة، لكن السلطات القضائية الايطالية والاتحادات العمالية تصر على استمرار بيع الاطفال سراً.

بعض أمل – تؤكد منظمة العمل الدولية ان الاطفال يتألمون كثيراً عندما يجبرون على القيام بدور "الكبار – الصغار". ويقول تقرير صادر عن المنظمة: "ان طاقة الطفل الابداعية ومقدرته على السمو فوق الحقيقة تتبلدان، وجميع قواه العقلية تسلب. ويتعلم العامل الصغير في البرازيل خصائص العمل في المزرعة في سن مبكرة. ويقول جيرالدو مولر استاذ الاقتصاد في جامعة "بونتيفيكال في سان باولو: "لا يعرف الصغير كيف يلعب، لانه يعمل عشر ساعات في اليوم ويدخن ولا يملك ما يكفي لطعامه. لذلك يتناول شراب الرم المسكر ليتمكن من المضي في عمله."

وفي اتفاقية لمنظمة العمل الدولية عام ١٩٧٣ دعي الى ان تكون الخامسة عشرة السن الدنيا للعمل. وبعد عشر سنين هناك ٤٧ دولة من اصل ١٥٠ صدقت الاتفاقية. وتحدد دول عدة سن العمل الدنيا بين ١٢ و١٦ سنة. لكن منظمة العمل الدولية تنبه الى ان قلة من الدول تمنع ما يمكن ان يعتبر اعمالا خطرة للاولاد الصغار. بضع دول فقط وضعت قوانين رادعة لحماية الطفولة من الاخطار المعنوية والاخلاقية. واضافة الى ذلك فالمسؤولون في البلدان ذات القوانين المتحجرة يغمضون اعينهم عن افظع المساوىء والمظالم. ففي الهند كان الدستور يمنع بوضوح استخدام الاطفال دون الرابعة عشرة في اي مصنع او منجم او في اعمال تنطوي على اخطار. ومع ذلك فان ١٦،٥ مليون طفل بين الخامسة والرابعة عشرة هم بين القوى العاملة في البلاد. فمن الواضح ان القوانين التشريعية ليست حلا.

ويقترح العديد من الخبراء ان التعليم الالزامي هو الحل لضبط عمل

الاطفال. لكن القوانين التربوية تبرهن عادة انه من السهل التهرب منها. فمع ان دولة ايطاليا تجبر الاولاد دون الخامسة عشرة على الذهاب الى المدرسة، فان ١١ في المئة من اولاد مدينة نابولي هم خارج المدرسة. ويؤمن دستور كولومبيا حق العلم المجاني، ومع ذلك فهناك مدارس رسمية تتقاضى اجوراً غير شرعية. كما ان ٤٠ في المئة من الاولاد لا يكملون تعليمهم الابتدائي.

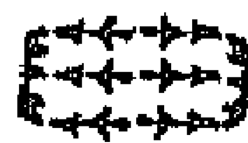
ومع ان فئة قليلة لا توافق على ان اليسير من العلم ضروري للاطفال العاملين اذا كانوا يرغبون في مستقبل افضل، فالسائد في المجتمعات الفقيرة ان الكسب المادي افضل من العلم. ومن النادر الآن ان نجد والداً مثل علي محمد علي ابو طالب، وهو شيخ امي يعمل في تنظيف المنازل في القاهرة ويرفض ان يسخر اولاده للكسب ويقول: "انا اخجل من نفسي لاني لا اعرف القراءة ولا الكتابة. ويثلج صدري ان اعرف ان اولادي يذهبون الى المدرسة وسيتخرجون ويحملون الشهادات مما يؤهلهم للجلوس بجانب رئيس الوزارة."

وتوافق وكالات الاغاثة على ان الغاء عمل الاطفال هدف لا يتحقق. ولكن هل هناك امل في تحسين حياة الاطفال العمال؟

يقترح جايمس غرانت المدير التنفيذي في منظمة الامم المتحدة للاطفال (اليونيسف) ان ابتكار برامج جديدة للعمل، كما هي الحال الآن في البرازيل، يقدم بعض الامل. يقول: "يعمل الاطفال بعض الوقت ويتناولون وجبة طعام مغذية ويذهبون بعض الوقت الى المدرسة. هذه البرامج تنقص عدد الاطفال المشردين في الشوارع وتسمح لهم بالانتقال من مرحلة الطفولة الى مرحلة الشباب المسؤول."

لكن هذه البرامج، ويا للاسف، تحظى بموازنات ضئيلة في الوقت الحاضر وتساعد عدداً قليلا من الاطفال. اما الملايين الذين يناضلون يومياً من اجل البقاء فالمستقبل يبشرهم بامل ضعيف. ومع ذلك فان قلة من الاطفال العاملين يتساءلون عن مصير حياتهم، ولا يعلمون انهم مخولون لما هو افضل.


■ جيل سمولوي



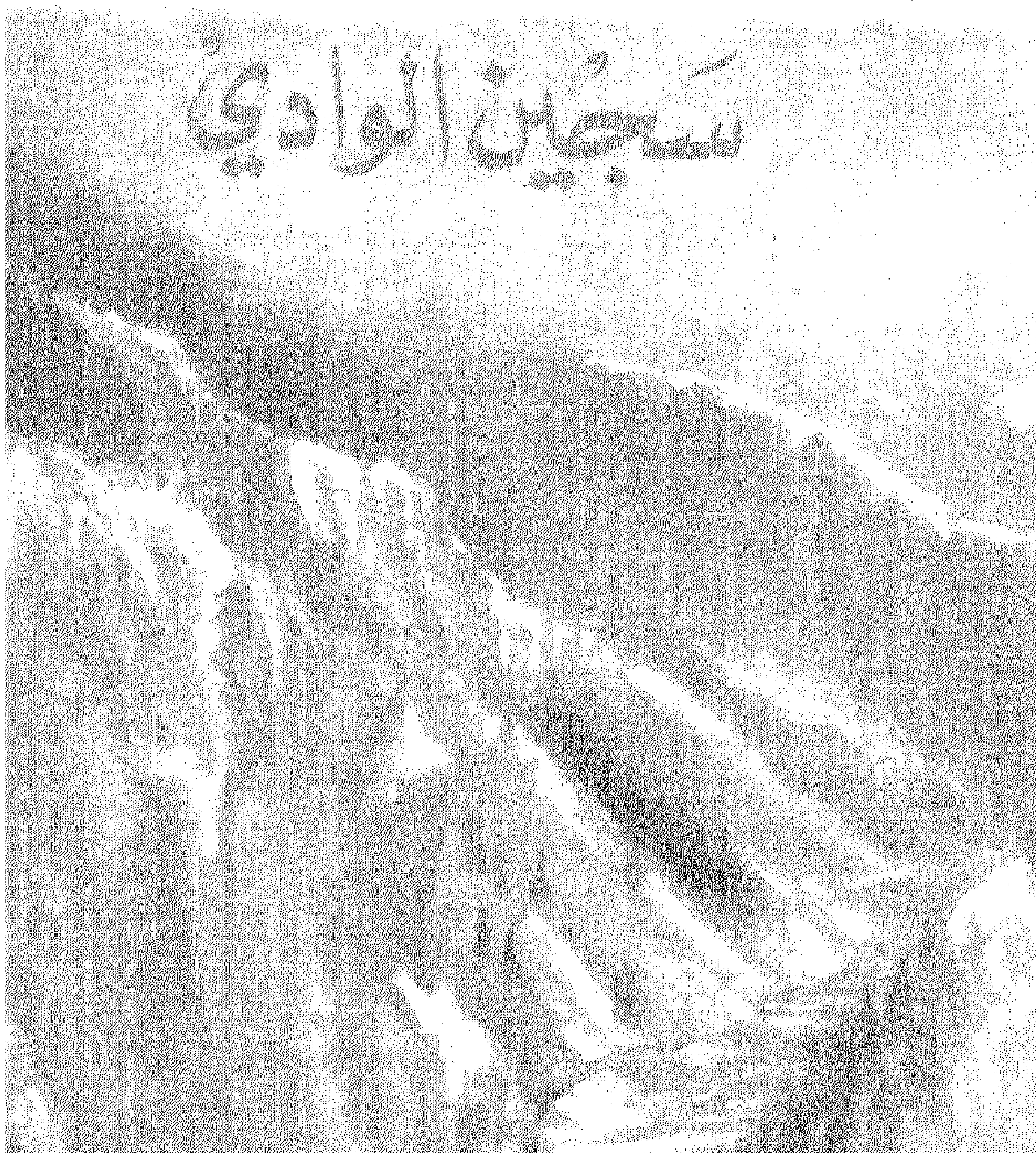
أحلام كوغلان

في العام ١٩٨١ قرر بطل الركض الايرلندي ايمون كوغلان كسر الرقم القياسي لسباق الـ١٦٠٠ متر الذي سجله في مباراة سابقة. ونشرت صحيفة محلية مقالا حول ذلك بعنوان: "من أحلام كوغلان". غير ان الاحلام تتحقق احياناً. وفي مارس (آذار) ١٩٨٣ تمكن كوغلان من تسجيل رقم قياسي جديد. وحين سئل عن شعوره في مرحلة السباق الأخيرة قال: "خلال الأمتار القليلة الباقية ارتسمت في ذهني صورتان: صورة مدربي وصورة والدي، وكلاهما توفيا. وقطعت تلك المسافة وانا اقول: هذا لذكراكما ايها الصديقان."

مجلة "نيوزويك"



صمد الشاب الجريح
أربعين يوماً
في الوادي المنعزل
لا يقتات الا
بالطحالب والنمال




زحف العريف كارل بل الى ظل صخرة اتقاء لحر العصر، وأحست ألماً شديداً في كاحله الايمن وفي ذراعيه اللتين اخترق الشوك قروحهما.

كان ذلك في اليوم الثلاثين من شروده وسط واد ضيق، وهو لما يجد بعد منفذاً بين المرتفعات الصخرية. ومع كل محاولة يزداد وهنه حتى بات شبه عاجز عن الحراك.

وضرب نملة سوداء كبيرة على ذراعه، ثم وضعها في فمه. ومضغها على مهل ثم بصق قشرتها الرقيقة. وكان طعمها مراً، لكنه لا يثير الاشمئزاز. وبعد ذلك ضرب واحدة من نملات كثيرة على سرواله. ولم تمض دقائق حتى أكل عشرين نملة على الاقل.

وأحس بل وهو قابع وسط الأوساخ والأوراق المتساقطة أنه عبر الخط الفاصل بين الحياة والعيش المحض. وقال لنفسه: "افعل ما تشاء وما ينبغي فعله، فأنت صغير جداً على الموت."

ولم يشك بل في أن الباحثين عنه فقدوا الأمل، خصوصاً بعد عثورهم على شاحنته والقطيرة المتصلة بها على بعد ١٥ متراً من خزان نهر بير وهما تحملان اسم وحدته العسكرية. وربما ظنوا أنه قضى غرقاً.

بدأ كل شيء صباح الثلثاء ١٤ يونيو (حزيران) ١٩٨٣ خلال إجازة أخذها بل خارج ثكنة بندلتون بالقرب من سان دييغو (ولاية كاليفورنيا). وأنطلق من السد ومشى حوالي كيلومترين في اتجاه مجرى النهر على قمة عالية توازي نهر بير. ومع أنه كان في جبال سييرا الكاليفورنية، فقد ذكرته رائحة الصنوبر وذوبان ما بقي من ثلج الشتاء بمسقط رأسه ميشيغان.

وأفضت به القمة الى منحدر انزلق عنه الى أسفل. وانكسر عقب حذائه وتابع الانزلاق على غير هدى. وفي محاولته اتقاء السقوط جرح الصوان الناتىء يده اليمنى. وبرزت صخرة في طريقه، فثبت قدمه فيها علّه يقف مكانه. لكنها رضت كاحله وبعثت الألم في جسمه. ومال الى جانبه وتابع سقوطه وهو رافع ذراعيه حتى استقر على جرف صخري اجتمعت فوقه الاوساخ.

وحاول بل الوقوف وقد اهتزت أوصاله. إلا أن الألم في قدمه اليمنى منعه من ذلك. وغدا لون كاحله بلون الدم وانتفخ حتى ضعفي حجمه الطبيعي.

لا مخرج – وجد بل نفسه في واد ربما بلغ الكيلومترات الستة طولا والامتار الاربعمئة عرضاً، مع نهر يجري بقوة في أسفله وقد تخللته الصخور هنا وهناك.

وبينما هو يتأمل في ما حوله برّد كاحله المكسور في الماء. ثمّ مزق قطعة من قميصه الداخلي الاخضر وعصب بها يده الجريحة.

وطوال الايام الثلاثة التالية بقي بل حيث سقط وهو يدرس احتمالات النجاة والانقاذ. لكنه، إذا حاول الصراخ، لن يستطيع رفع صوته فوق صوت النهر المتدفق على الصخور.

وكان متوقعاً أن يعود بل الى ثكنته يوم الأحد. وإذ لم يصل ذلك اليوم توقع أن يباشر المسؤولون التفتيش عنه وأن يهتدوا بشاحنته التي أوقفها عند السد.

وبلغت الحرارة نهاراً ٣٢ درجة مئوية مما جعل الوادي أشبه بالفرن. واستقر بل على ضفة النهر حيث الحرارة أقلّ. ولم يمكنه طول جسمه البالغ ١٨٥ سنتيمتراً ووزنه البالغ ٩٥ كيلوغراماً من الوقوف على كاحله المعطوب. ومما حبب الضفة إليه فكرة اجتياز النهر الى ناحيته الشمالية. وحمل عصا للاتكاء عليها ونزل الى القناة التي يبلغ عمق مائها خمسة أمتار. وسرعان ما شدّه التيار نحو الصخور التي ارتطمت بها رجله اليمنى.

وعاد الى الضفة الجنوبية حيث استراح يومين، قابعاً تحت أجمة مثل حيوان جريح. وخُيل إليه غير مرّة أنه يسمع أصواتاً بشرية. لكن ذلك لم يتعدّ حفيف الاوراق بفعل الريح. ولم يجد شيئاً صالحاً للأكل، ولا هو عثر على بقايا نار أوقدها إنسان مرّ في ذلك المكان قبله. ولفته الوحشة البغيضة من كلّ جانب.

ورأى ممراً طبيعياً بين الصخور الى يساره وراح يعرج نحوه وهو يرجو أن يفضي به الى القمة الصخرية. وإذ انقضى الأحد وجاء الاثنين وضع أمله في رفقائه وبحثهم عنه. ولكن من الخير له أن يبلغ القمة ليسهل عليهم رؤيته.

وظلّ يوماً بأكمله يمشي بمشقة حتى اعترضت طريقه صخرة عمودية. ونام نوماً عميقاً على أمل ادّخار جهده لاستكشاف المكان في الصباح الباكر والعصر الذي يسبق الغروب، حين يكون الجوّ أقلّ حرّاً.

قطعة حبل – في اليوم العاشر سمع بل أزيز طائرة مروحية، فانتصب على قدميه وراح يزعق بأعلى صوته قرب النهر. وكانت الطائرة ذات لون برتقالي فاتح وقد كتبت على جانبها عبارة "طائرة إنقاذ". وهي اخترقت الوادي من الشمال وباتت تحلق على علو منخفض عند وسطه. وشعر بل بفرح غامر، وقال: "أشكر الله، لقد نجوت."

غير أنه لم يصدّق عينيه وهو يرى الطائرة تعبر فوق رأسه وتغادر الوادي. لقد عجز الطيار عن رؤيته.

وطوال الايام التالية أصاخ بل السمع علّ طائرة الانقاذ تأتي من جديد. وجعل مكانه في جوف الوادي. ومن هناك كان ينطلق صعوداً في ممرّات منحرفة أفضت كلها الى صخور أو أدغال. وللمرّة الاولى أتاح لنفسه التفكير في أنّ أحداً لن يأتي لنجدته.

واستقرت عيناه على اخدود غير عميق يقطع جدار الوادي الجنوبي مثل إسفين، وفي طرفه الضيق صخر كبير. وعلى مسافة ١٥ متراً من الصخر انحرف الاخدود يساراً حتى اختفى وراء صخور اخرى.

وارتقى بل ذلك الجلمود وأكد لنفسه أن لا طريق تتفرّع منه. وانحنى فوق ظلّ هناك ليرى مصدره. ولكم كان فرحه كبيراً حين رأى لفة

حبل، الأمر الذي عنى له أن متسلقي الجبال طرقوا المكان قبله. وأرخى الحبل، فاذا به يبلغ الامتار العشرة طولا. وربط أحد طرفيه بحجر وحاول التسلق، لكنه ظل ينزلق. وإذ أضعفه الاجهاد، عاد أدراجه الى أسفل. وبعد عشرين يوماً من الصوم، هزل بل كثيراً وبدت ثيابه واسعة على وركيه وكتفيه.

وكان لابدّ من الاكل لئلا يموت. ولم يجد أمامه سوى العشب الذي راح يغسله في الماء ويقضمه. وصوّر لنفسه مطعماً فخماً من مطاعم ميشيغان حيث يؤتى إليه بأفخر الاسماك واللحوم.

لقد أحبّ بل عمله في البحرية. لكنه أحب بيته وعائلته أكثر. ولم يغب ذلك الواقع عن بال جدّته التي ربته مع شقيقيه وشقيقته بعد وفاة امه وترك أبيه البيت وهو في الخامسة. وآلمه أن يكون اختفاؤه الآن سبباً لحزن جدته.

وبانعامه النظر الى الجلمود في الايام القليلة التالية، شاهد صدعاً يبعد ستة أمتار عن يمينه وينتهي الى حدبة لا تلبث أن تنحدر يساراً. وإذا استطاع ارتقاء الحدبة بواسطة الحبل، فربما بلغ الناحية الاخرى.

وبعد ثلاث ساعات من العمل الشاق وصل الى الصدع. غير أنه لم يستطع تثبيت الحبل، إذ لم يجد مكاناً في الصخر لاقحام حجر أو قضيب. وظلّ يومين يحاول وقد سال عرقه ونزّت قروح ذراعيه وتشققت شفتاه. وما برح يأكل العشب والطحلب الصخري ليحافظ على أنفاسه. وفي النهاية سلم بالهزيمة، فانحدر واستسلم لنوم عميق.

وفي الصباح أفاق على صوت جديد. ونظر الى النهر ليرى مياهه انحسرت. وفي ساعة كان عبر النهر ليدرس إمكان اختراق الاجمة في أسفل مجراه. لكنه وجد ذلك مستحيلا.

وأمضى ليلته فوق حيد صخري، وراح في الصباح يجرّ جسده الهزيل ليعود من حيث أتى. وأحس الألم في كاحله من جديد. وأخذ يصلي الى الله عله يفتح أمامه طريق الخلاص. وكلما استراح كان ينهض بمشقة أكبر. وثبط الجوع عزمه، وغدا النمل طعامه بعدما وجد فيه عدوّاً.

الهرب — في اليوم التالي كان بل يمشي فوق تلة منخفضة حين أوقفه شيء في مكانه. وكان ذلك الشيء رزّة صدئة ذات خرم يولج فيه حبلا. ولم يكن طرف الرزّة مستدقاً بما فيه الكفاية، **أما خرمها فكان ممتازاً.** وقال بل لنفسه: "ثمة من يعينني." وأهمية الرزّة التي وجدها كبيرة، إذ يمكنه دقها في الصخور وربط الحبل من ناحية الخرم للتسلق.

ولكن ما أن سار في الاتجاه المعاكس ليقطع النهر من جديد ويأتي بالحبل حتى تجمدت أوصاله. فقد ارتفعت المياه مرة اخرى واشتد التيار. وانتابه اليأس، غير أنه لم يفكر قط في الاستسلام. فهو عقد العزم على النجاة. ولا بدّ من أن ينحسر النهر مرّة اخرى بعد ذوبان ما بقي من ثلج.

وانتظر على الضفة ودلى كاحله الى الماء ليخفف من انتفاخه·وكان النمل الاسود كثيراً حوله، فراح يلتهمه بالعشرات· وبعد أيام عاد الماء الى الانحسار، واستطاع بل أن يعود الى الضفة التي أتى منها·

وفي ضوء النهار وصل الحبل بالرزة وراح يرتقي الصدع مستخدماً يديه وقدميه وغير مكترث للألم·

ولما بلغ الجلمود تخير شقاً أقحم الرزّة فيه· وإذ تأكد من ثباتها، أخذ يتسلق حتى بلغ الرابية الصغيرة التي كان يسعى إليها· وأمضى الليل هناك، وفي الصباح واجه أدغالا كتلك التي خذلته سابقاً· لكنه انبطح هذه المرّة وهو يزحف تحت الاشجار· ومع الغروب كان قطع مسافة مئة متر·

وحين طلع النور أحس ألماً شديداً في صدره· واستلقى على ظهره وهو يخشى أن يكون ذلك الألمبادرة نوبة قلبية· وفجأة سمع أصواتاً، وكانت حقيقية هذه المرّة·

وصرخ: "النجدة! النجدة!"

وظهر أمامه شابان، سأله أحدهما: "كم من الوقت انقضى على وجودك هنا؟"

– منذ الرابع عشر·

"هذا ليس سيئاً··· لا تخف·"

– أعني الرابع عشر من يونيو (حزيران)·

وصاح الشاب: "يا إلهي!"

وكان ذلك يوم الأحد الواقع فيه الرابع والعشرون من يوليو (تموز)· وهذا يعني أن كارل بل أمضى أربعين يوماً في ذلك الوادي·

ونقلته طائرة مروحية الى مستشفى في كاليفورنيا، حيث وجد الاطباء أنه يعاني كسراً في كاحله وسوء تغذية واجتفافاً (استنزاف سوائل الجسم) جعل وزنه ٦١ كيلوغراماً· أما الالم في صدره فكان آتياً من جيب هوائي وعلاجه الراحة·

في ذلك المساء تلقى بل مخابرة هاتفية من جدّته: "لقد أخبروني أنك مفقود، لكني لم أقطع الأمل·"

وأغمض بل عينيه وقال: "يا جدّتي، إني أحبّك·"

■ بيتر ميتشلمور



اراد رجل ان يلقن ابنه حقائق الحياة· فقاطعه الصبي ليسأل: "ما عدد هذه الحقائق؟"

ك·م·

تبادل ثقافي

ذات صباح حمل جماعة من الصينيين أكلا صينياً الى حديقة هايد بارك الشهيرة في لندن· ووضعوا الطعام على حصير وانطلقوا لممارسة لعبة البادمنتون· ولما عادوا لتناول الطعام وجدوا أن أكلهم الصينيّ اختفى من مكانه ليحلّ محله بعض سندويشات اوروبية، اضافة الى الشراب والشوكولاته وورقة تحمل الآتي: "اعذرونا على ما فعلنا، وادعوه، ان شئتم، تبادلا ثقافياً بين الشرق والغرب·"

ف·و·ل·

طعم طبيعي لايقاوم



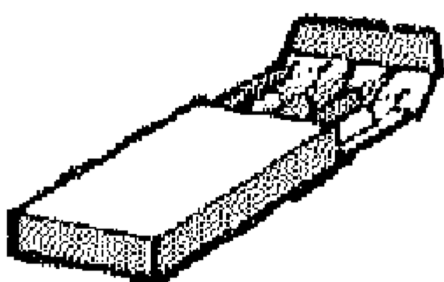
كريم يسعد الآلاف

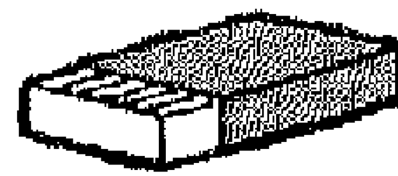
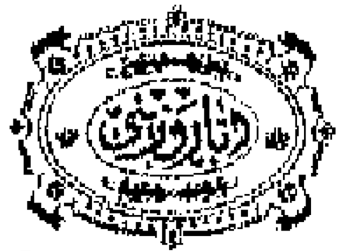
ترقبوا كريم وهداياه تقدمة
فرانس ليه

يسعد فرانس ليه أن تعرفكم على كريم.
انتظروا قدوم كريم إلى المملكة العربية السعودية
ومتى شاهدتموه تحصلون منه على هديتكم،
إذ أنه سوف يقدم آلاف الهدايا للكبار والصغار
لاتنسوا هدية الصحة في حليب فرانس ليه.

الملايين تنعم مع
فرانس ليه

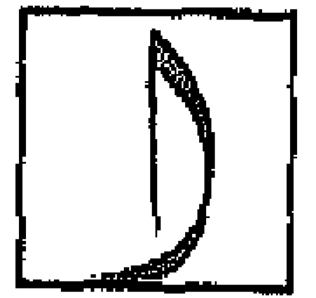


في غمرة يأسي أتتني رسالة جدتي عبر السنين: "لقد أحببتك آنذاك، واني أحبك اليوم"

تركة جَدّتي

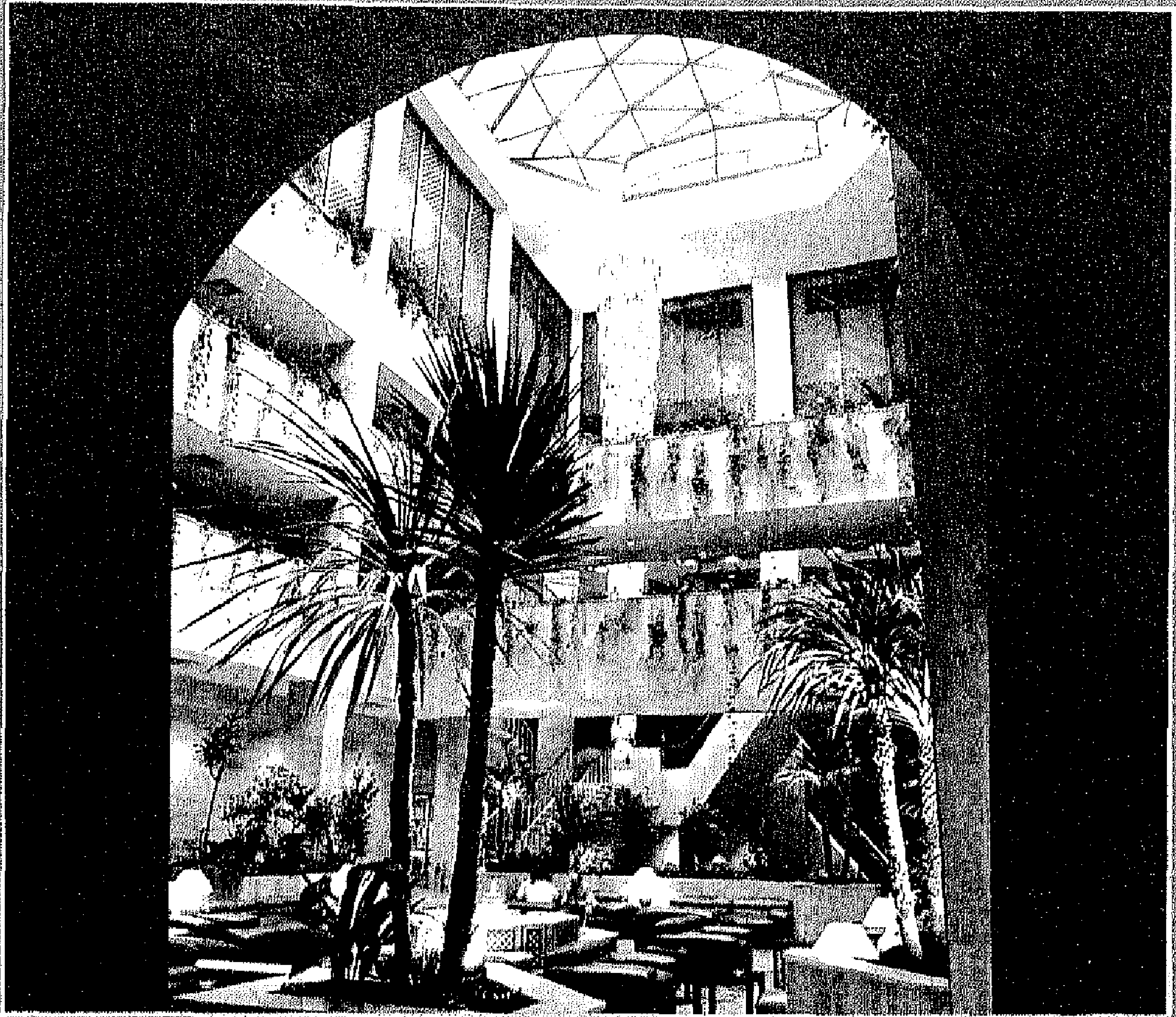


إنها رسوم فوتوغرافية باتت صفراء على مرّ الزمن، وقد حملت تاريخ العشرين من مايو (ايار) ١٩٢٦. وفي احدها امرأة ذات شعر اسود، تبتسم للطفل الذي تحمله بين ذراعيها وهي واقفة بالقرب من جنبة ليلك في حديقة منزل خلفية. اما الطفل، وهو فتاة، فينظر الى المرأة كمن يُدهش لاكتشافه جديداً.

هذه أولى الرسوم التي أخذت لي، وهي الرسوم الأخيرة التي أخذت لوالدة أمي، ايلا فروست. وقد توفيت جدّتي ايلا وهي تقاوم الموت، وكنت أنا في سن لا تساعدني على تذكرها. وهي كانت في الثالثة والخمسين آنذاك.

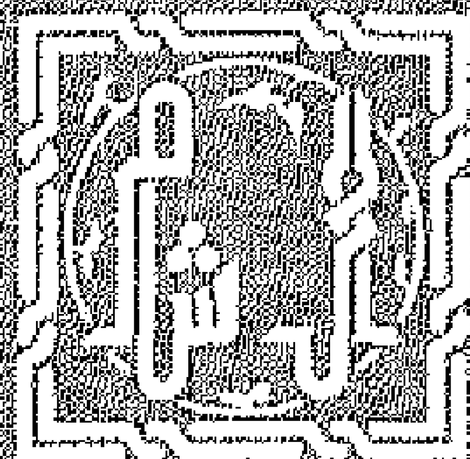
وكانت روايات والدي عن ايلا تبدو لي أوهاماً ضبابية آتية من مكان لا يعني لي شيئاً. وقد عشنا سنوات في

فندق الشام



أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة، بل إنه مدينة قائمة بذاتها .. صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت تستريح في غرفتك، أو كنت منهمكاً في عملك .. فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالإضافة الى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية .. ولا تنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار فنية تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لا زلنا نفاخر بها ونحافظ عليها.



للحجز: فندق الشام ـ ص.ب ٧٥١٠
تلكس ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف ٣٣٢٣٠٠ (١٠ خطوط)
تلكس الرئاسي ٤١١٨٠١ (٤ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد

منزل ورثناه عنها. وكان يكفي أن نذهب إليه لنتذكرها في كل شيء أمامنا: أعمالها اليدوية المتقنة والاطباق والآنية القديمة وبعض قطع الاثاث الاثرية.

غير أني لم أفهم خبرة والديّ على حقيقتها إلا بعدما قضيا ونقلتُ أعز مقتنياتهما من منزلهما الى منزلي. ولم أتخل عن شيء مما كان لجدتي. وطالما رفعت أمام الشمس فانوساً قاتم الزرقة لأرى لون زجاجه البديع. وأدركت أن ايلا كانت تفعل ذلك أيضاً وتستمد منه البهجة. وانتابتني غصة آنذاك لأن الوقت الذي أمضيناه معاً كان قصيراً جداً. ولم يدُر في خلَدي أنّ يوماً سيأتي وتعود جدّتي الى حياتي.

حساب قديم – ربيع ١٩٧٢ انفصلت عن زوجي استعداداً للطلاق. وكنت ربة منزل في السادسة والاربعين، وليس لديّ مهنة خارج البيت. ولم يتجاوز دخلي ذلك الحين عشرين دولاراً في الاسبوع جاءتني من صحيفة محلية صغيرة كنت أنشر فيها مقالات قصيرة. وكانت مواردي الاخرى غير منتظمة، وقرّرت أن أبذل جهدي لأعيش على ثلاثة آلاف دولار كانت في حسابي المصرفي. غير أني وجدت حاجة الى مجال للتنفس والعمل والخبرة.

ولم ألبث أن تفرغت للصحيفة التي كنت أنشر فيها زاويتي الاسبوعية. وسرعان ما وجدتُني عاجزة عن تنفيذ ما عُهد إلي فيه. وأظهر رئيس التحرير تبرّمه بعملي.

واعترفت لأولادي بصعوبة الموقف. وعبرت لهم عن رغبتي في العودة الى منوالي القديم في الكتابة الحرّة من غير تقيد بأوقات دوام. ولكن أيمكننا العيش هكذا؟

في تلك الأثناء بلغتني رسالة في البريد المسجل من عمي. ووجدت مع الرسالة صفحة من صحيفة "الاتحاد" التي تصدر في بلدة سبرينغفيلد من أعمال ولاية مساتشوستس، حيث كان أبي مراسلا ومحرّراً خلال سني طفولتي. وكتب عمي على صفحة الجريدة بخطه: "أتمنى أن يكون المبلغ مئة ألف دولار." ومدّ خطاً من هناك الى أسفل الصفحة، انتهى عند سهم مقابل اسمي ضمن قائمة طويلة من الاسماء.

ولم أفهم أول الامر شيئاً. غير أني قرأت الخبر الذي يقول ان حكومة ولاية مساتشوستس أخذت على عاتقها الحسابات المصرفية المهملة التي أتى عليها الزمن، وان على أصحاب العلاقة الواردة أسماؤهم أن يراجعوا محكمة تحقيق الوصايا في سبرينغفيلد.

وانفتحت عيناي على وسعهما! أتراني صرت غنية؟

لقد تركنا سبرينغفيلد عام ١٩٣٥ وأنا في التاسعة. وكان عمر الازمة الاقتصادية كعمري. ولا بدّ من أن يكون هذا المبلغ حصيلة ما ادّخره أهلي لتغطية النفقات المدرسية، أي نحو خمسة سنتات في الاسبوع، بدءاً من السنة الابتدائية الاولى حتى الرابعة. وأسرعت في الكتابة الى المحكمة المختصة، شارحة نظريتي العفوية.

وصدقت المحكمة طلبي، وإن تكن بينت خطأ نظريتي. وحقيقة الامر أن إيلا فتحت حساباً باسمي في الرابع من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٨. وتعهدت المحكمة أن تسملني المبلغ مع فوائده المتراكمة طوال ٤٤ عاماً.

أصحيح أن ايلا فعلت هذا وهي في نهاية أيامها وليس لديها ما يكفي من المال؟ وعج رأسي بالذكريات، ذكريات جدّتي وذكرياتي. وخُيل إليّ أن رسالة أتتني من الظلال عبر السنين، وفيها كلام جدّتي: "لقد أحببتُك آنذاك، واني احبك اليوم." وامتلأت عيناي دمعاً.

حاولت أن أتذكر كل ما أعرفه عن إيلا وأنا أنتظر موعدي في المحكمة. لقد هاجرت عائلتها من المانيا الى سبرينغفيلد، حيث أسست محلّ سمانة صغيراً. وكانت ايلا في التاسعة عشرة عندما تزوجت بيل هيكلي، وهو شاب وسيم إيرلندي الاصل. وبعد مرور أسابيع قليلة على عيد ميلاد امي الأول، قضى والدها بداء السل وهو في الثالثةوالعشرين. وقطعت ايلا عهداً على نفسها بألا تجعل من ذاتها أو من طفلتها موضوع شفقة. وكانت جدّتي آنذاك في الحادية والعشرين.

وفي الامسيات راحت تلقن نفسها مبادىء الخياطة الانيقة. وربت طفلتها طوال ست سنوات بكل طيبة خاطر. ثم تزوجت هاري فروست واشتريا منزلا صغيراً غرب سبرينغفيلد. وكانت ايلا تؤدي جميع الأعمال المنزلية، بما في ذلك كسو السطح بألواح الخشب الجديدة وتصليح الجدران وصبغها وغرس الزهر والورد في الحديقة. كما كانت تحوك الشراشف وأغطية الطاولات وتركب قشاً جديداً للكراسي مكان القش المعطوب. واعتادت والدتي أن تقول على مسمعي: "كان في استطاعة امي أن تفعل أي شيء."

وأنجبت ايلا ولداً ذكراً كامل الصحة أطلقت عليه اسم نيل، لكنه قضى في حادث سيارة عندما كان في التاسعة، وذرفت ايلا دمعاً كثيراً عليه. ولاذت مرّة اخرى بالحياكة والتطريز حتى وقت متقدم من الليل، علها تنسى المصاب. وحين فقد والداي مولودهما الاول، استمدا تعزية كبيرة من ايلا. ولما وُلِدت نظرت الى عينيي وابتسمت.

كانت جدّتي آنذاك على وشك الموت. وسرعان ما غرقت في عذاب طويل. ترى لماذا لم تتكلم عن ذلك الحساب المصرفي الذي فتحته باسمي؟ ان جوابي الشخصي عن هذا السؤال هو الآتي: لقد رفضت ايلا فكرة الموت حتى النهاية.

ماذا الآن؟ — لم أزر سبرينغفيلد منذ طفولتي، مع أنها لا تبعد أكثر من ٨٠ كيلومتراً عنا. وفي اليوم الذي حدّدته المحكمة انطلقت في سيارتي وسط جو عاصف وماطر. وما أن انعطفت نحو البلدة حتى دلتني فتاة صغيرة على الطريق. ولم ألبث أن تذكرت الشوارع وموقع بيتنا القديم. ومررت أمام المنزل حيث أبصرت النور، ثم عبرت الجسر الى المدينة... لا، لم أنس شيئاً.

ودخلت قاعة المحكمة التي كانت رحبة وغاصة بالناس. وجاء اسمي في المقام الاول. وانحنى القاضي ابرهام سميث قليلا نحوي، وقال على نحو محبب: "أنت، إذاً، الفتاة التي ظنت أنها ستحصل على مدخرات الدراسة؟"

وضحكت وقلت: "أجل، أنا هي تلك الفتاة يا سعادة القاضي."

وابتسم وأعطاني حوالة. وقرأت عليها قيمتها، وهي ٢٠١٧ دولاراً.

وبينما كنت أقود سيارتي في طريق العودة شكرت الله على ازدحام السير الذي أعطاني فرصة للتفكير كنت في حاجة حقيقية إليها.

وبدا لي أنّ المبلغ الذي جاءني من حيث لا أدري كان مقصوداً على نحو ملغز. وكنت، قبل حين، تمنيت لو كان لديّ ألفا دولار زيادة كيما أتمكن من الكتابة الحرّة من غير أن يراودني الخوف على نفاد مدخراتي.

وعلى ضآلة هذا المبلغ، إلا أنه يكفي طريقة حياتي المتواضعة. ألم تؤمن جدتي حياة غنية لها ولمن حولها بالقليل القليل من المال؟ وقرّرت أن أكلم رئيس التحرير حول الامر، متمنية استئناف الكتابة الحرّة.

وهكذا كان. وبعد أربعة أسابيع أعدتُ آلتي الكاتبة الى غرفة الجلوس. ولم أسحب شيئاً البتة من المبلغ الذي تركته إيلا لي. والواقع أني اقتصدتُ جداً في صرف المال. لكن اكتشافي أن في إمكاني الصمود بوسائلي الخاصة أعطاني الكثير من الاكتفاء والفخر.

وأعظم ما أخذته عن ايلا ليس ذلك الارث المادي المحدود، ولكن قدوتها الشخصية الرائعة. وأنا اليوم أستمد القوة من التفكير فيها، وقد زاد تقديري لأولادي وعملي وصداقاتي ووجدت في الحياة خيراً عظيماً إذا كان القلب مستعداً لاستقباله.

وبعد ثلاث سنوات أجدني أتساءل: "وماذا الآن؟"

المغامرة الاولى — لقد تمثلت في حياتي أمثولات كثيرة، بعضها سلبي والبعض إيجابي، أهلتني كي أطوع نفسي كمستشارة في عيادة محلية للطب العقلي والنفسي. وكان بين معلميّ شخص ذو سمعة عالمية قرّر أن يأخذ معاونيه الرئيسيين معه الى لندن ذلك الربيع للاشتراك في بعض المؤتمرات وحلقات العمل.

وقال لي: "ستكتسبين الكثير من هذه الرحلة. وأتمنى أن تستعدّي لها."

ووافقت على الفور، ولم أصدق أني أنا ذلك الشخص عينه الذي شعر بالاخطار تحيق به من كل جانب قبل وقت غير طويل. وملأتني الغبطة من فكرة التحليق فوق الارض وزيارة مدينة سيطر تاريخها وأدبها على ذهني طويلا. أليست تلك أفضل طريقة للاحتفال بتغلبي على المصاعب؟ وقرّرتُ أن أبقى بعد انتهاء العمل وأجعل من تلك الزيارة أولى مغامرات حياتي.

لندن! يا لها من امنية.

وهكذا صرفت تركة إيلا باعتزاز.

ولكم هو جميل أن تتحقق الأحلام في غير وقتها. ولم أكن اشتريت

بطاقة سفر جوّي قبل ذلك الحين. وعندما أخذت جواز سفري، لم أستطع قراءته لأن دموع الفرح سدلت غشاوة على عيني.

وجاءت مغامرتي أروع مما توقعت. وذات يوم كنت أسير بالقرب من قصر باكنغهام الملكي حين سمعت أصواتاً جعلتني أنظر ورائي. وشاهدت عربتين يوشحهما اللونان الذهبي والقرمزي تجتازان الطريق الملكية. وكانت الاولى تحمل الملكة اليزابيت الثانية والاخرى تحمل زوجها الامير فيليب، ومع كل منهما ضيف رسمي.

ووقفت صاحبة الجلالة تلوح بيدها. وفيما أنا أنظر مشدوهة تلاقت عيناي بعينيها. وهززت رأسي وقد لفتني سعادة لا توصف آتية من كوني زرت لندن بمفردي ورأيت الملكة وجهاً لوجه.

لقد كانت لحظة رائعة، كرّستُها على اسم ايلا.

■ جوان ميلز

فأل حسن

في حفلة تخرج جامعية وقف طلاب الهندسة يهتفون: "لقد وجدنا عملا! لقد وجدنا عملا." فأجابهم خريجو الادارة والتجارة: "أجل، لقد وجدتم عملا لدينا."

س.م.

بخل مناسب

قالت فتاة لصديقتها: "دعاني سليم الى الغداء، فتناولنا صحن سلطة. ودعاني مرة اخرى بعد العمل، فاقتسمنا علبة لبن بالفاكهة. وهو الآن يدعوني الى منزله لتناول كوب عصير."

ـ اذا كنت لا تحبينه، فلماذا لا تخبرينه؟

"ان نمط حياته يعينني على التخلص من السمنة."

ك.غ.

أحكام غيابية

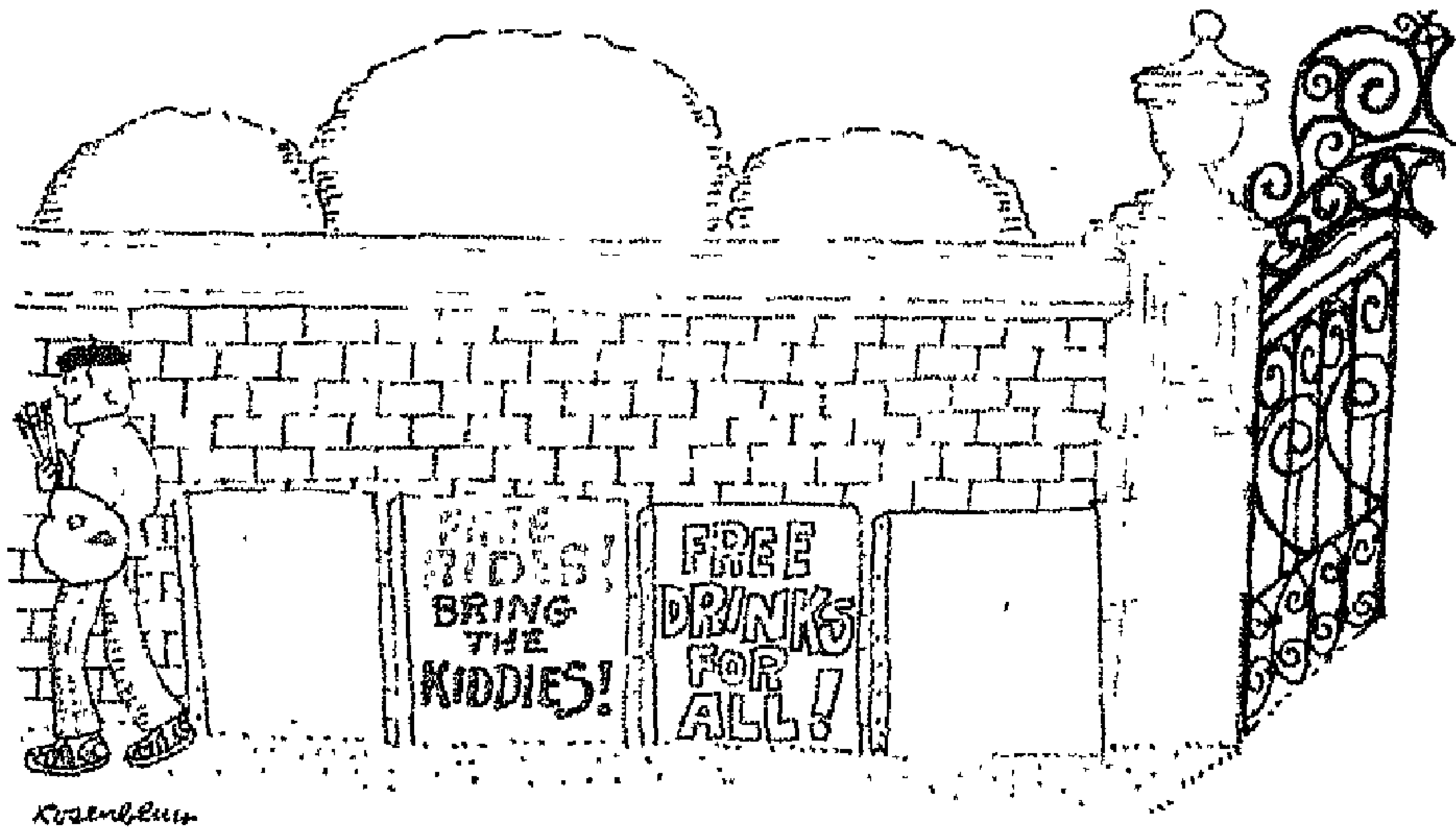
فيما كانت حافلة تنقل مجموعة من السياح عبر شوارع العاصمة الامريكية واشنطن، أشار الدليل الى مبنى البنتاغون الذي يؤوي وزارة الدفاع قائلا انه كلف دافعي الضرائب ملايين الدولارات واستغرق بناؤه سنة ونصف سنة. وأطلّ الركاب من النوافذ يتأملون المبنى. لكن امرأة بينهم قطعت الصمت قائلة: "لو حصل هذا في بلادنا، لكلف أقلّ وأنجز في وقت أقصر."

وأمام وزارة العدل قال الدليل ان المبنى كلف الملايين وشيد خلال سنتين. وقدمت المرأة تعليقها الاول نفسه.

ولما مرت الحافلة أمام نصب واشنطن بقي الدليل صامتاً، فصاحت فيه المرأة: "قل لنا ما هذه البناية البيضاء العالية هناك؟"

ـ المعذرة يا سيدتي! انها لم تكن هناك البارحة.

و.ف.١٠



وألصقوا اللوح على السقف فوق المكان الذي يحاضر منه "با" ونشروا بعض الجص على أرض الغرفة.

في اليوم التالي رأى الاستاذ الخراب، فنظر الى السقف وقفز الى السلم صارخاً: "لقد فعلتموها أخيراً! ستدفعون جميعكم تكاليف الاصلاح." وتوجه الى مكتبه صافقاً الباب وراءه بعنف.

كلف هيو اثنين من أصدقائه الوقوف قرب مكتب "با" لمراقبته عند خروجه، وأسرع مع بقية فريقه لانزال السقف المزيف وتنظيف الغرفة. وصل "با" برفقة المسؤول عن المبنى لتخمين الاضرار. فوجد أن غرفة المحاضرات لا تزال في حال ممتازة. عند ذلك وقف مشدوها يحدق الى السقف وقد عجز عن الكلام.

أذن فان غوغ - تميز مزاح هيو بطابع جديد مختلف له علامته الفارقة. كان مزاحه أكثر حذقاً وذكاء، ولم يكن ليؤذي أحداً. هيو ذو الشخصية الفوارة كانت له عين ثاقبة تلتقط الامور المضحكة، كما كان يملك تقديراً فطرياً نادراً للمواقف المضحكة.

انتقل هيو الى مدينة نيويورك بعد تخرجه لكي يبدأ عمله كرسام. وعندما أقام "متحف الفن الحديث" عام ١٩٣٥ معرضه لأعمال فنسنت فان غوغ تشوق هيو الى حضوره. لكن الزحام كان خانقاً فلم يتمكن أحد من تأمل اللوحات جيداً. وكان هيو يظن أن المتفرجين تجذبهم الاساطير التي تروى عن حياة فان غوغ الشخصية أكثر مما يجذبهم فنه، خصوصاً تلك الرواية التي تحكي كيف قص قطعة من أذنه وبعث بها الى عشيقته. ففكر في طريقة يمتحن بها نظريته هذه.

نحت هيو "أذناً" من قطعة لحم

مجفف ووضعها في علبة شفافة مكعبة فوق قماش من المخمل مع اشارة بجانبها تقول: "هذه هي الاذن التي قطعها فان غوغ وأرسلها الى عشيقته في ٢٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٨٨٨" وأدخل العلبة سراً الى المتحف وعلّقها، وسرعان ما اجتمع الحشد ذلك اليوم حول "الأذن" مما أتاح للفنان الشاب الاستمتاع بأعمال فان غوغ.

أرغن الجامعة – لمناسبة اجتماع خريجي جامعة كورنيل حضّر هيو مزحة كلاسيكية. فعندما طلب رئيس الاجتماع تأدية أغنية الجامعة، حاول عازف الارغن الضرب على الأوتار. لكن الموسيقى لم تسمع وكانت النتيجة صوتاً غريباً: "سكرييتش". وبعد محاولات خائبة أخرى علت الصرخة: "أما من أحد هنا يمكنه اصلاح هذه الآلة؟"

عند ذلك صعد هيو رئيس الورشة الى المسرح مع مساعديه وهم يرتدون ثياب العمل ويحملون السلالم وأدوات العدة التي تكفي لاصلاح جسر بروكلين. ووضع هيو أذنه فوق أحد مزامير الأرغن وأمر العازف أن يحاول مرة أخرى... "سكرييتش..." لم تتغير النتيجة.

ثم قال هيو واثقاً: "هذا المزمار هو سبب المشكلة، لذلك علينا اقتلاعه من مكانه واصلاحه." وكسر مساعدو هيو الاربطة التي تصل المزمار العملاق بالأرغن. "كراش!" ووقع المزمار المزيف الذي كان هيو صنعه وجعله مطابقاً للمزامير الأخرى.

وهتف هيو: "هنا تكمن المشكلة!" ثم تناول المزمار بفخر ومدّ يده داخله ليخرج منه بطة حية حلّقت فوق الجمع المرتبك.

مهرجان خيري – أقامت امرأة غنية كانت تظن نفسها مسؤولة عن الفن مهرجاناً خيرياً في دارتها في لونغ آيلاند، نيويورك. واقتصرت الدعوات على وجهاء المجتمع، لكن هيو وزملاءه من الرسامين استدعوا لتقديم خدماتهم مجاناً. وخاطبتهم صاحبة الدعوة بنبرة آمرة: "على كل منكم رسم صورة للمزاد، وستجدون ركائز الرسم واللوحات على الشرفة. ابدأوا العمل حالا، فالمهرجان سيبدأ بعد ساعتين."

سألها أحد الرسامين: "هل سنحضر المهرجان؟"

فأجابته وهي تغادر المكان: "لا. والآن كفى أسئلة فأنا مشغولة جداً."

اختار هيو أربع لوحات كبيرة أنهى رسمها في وقت قصير وعرضها على بوابة المدخل قرب الشارع الرئيسي. كتب على اللوحات: "أهلا بكم في المهرجان!" "العاب مجانية! أحضروا اطفالكم!" "المشروب مجاني!" "ما أحب الأكل في الطبيعة!"

مزاح طروادي – تعرّف هيو في مجال عمله على الفكاهي البريطاني ستيفن بوتر الذي كان يحطّ من قدر الآخرين في كتابيه "ألاعيب" و"تعادل الأهداف" وسواهما. وعندما جاء بوتر الى الولايات المتحدة في جولة لالقاء المحاضرات أقام هيو حفلة استقبال

السياسية تزول بينما أنا باق في مكاني لأن هذه الارض هي أرضي." ولعل هذا الاقتناع بحق الامتلاك هو الذي يحدد طبيعة الهندي المعاصر.

وهناك تحديدات أخرى ثبت خطأها. فنحن لسنا من أصل عرقي واحد. الآريون في الشمال يختلفون عن الدرافيديين في الجنوب، وكلاهما يختلف عن المغول في شمال شرق البلاد حتى في اللغة. ويبلغ عدد اللغات المعترف بها في الدستور الهندي خمس عشرة. أما اللهجات فيزيد عددها على أربعمئة.

مظاهر الايمان – ويعد اختلاف الاديان أبرز العناصر التي ساهمت في اضفاء الغنى والتنوع على الحضارة الهندية. فالهند حافلة بالمعابد. ويتسع بعض المساجد لمئة ألف مؤمن يؤدون الصلاة راكعين على الحصر. وهناك أيضاً معابد للبوذيين تعلوها القبب. وترتفع التماثيل الضخمة التي ترمز الى العقيدة اليانية فوق الروابي والهياكل عبر البلاد. ويقيم الزرادشتيون هياكل للنار وأبراجاً للسكون. أما السيخ فلهم معابد من الرخام تعلوها قبب من ذهب. ومما يسترعي الانتباه ان المزارات التي تشيّد لتخليد ذكرى رجال الهند الصالحين لا يحصى عددها وهو يفوق عدد الصروح التي تقام فيها الصلوات.

ان الهندوسية هي أكثر الديانات شيوعاً في الهند. الا ان عبارة "أكثر شيوعاً" هنا فقدت معناها التقليدي لأن في الهند ٧٦ مليون مسلم أي ما يكاد يوازي عدد المسلمين في الشرق الاوسط. اما المسيحيون فعددهم كبير. وتمتد جذورهم في الهند الى نحو ألفي سنة. والشائع هو أن توما تلميذ السيد المسيح عيسى عليه السلام كان أول مبشر وطىء أرض الهند.

الواقع انه لا مناص من الدين في الهند. فكل نهر أو بحيرة أو جبل ينطوي على مظهر من الايمان ويعكس احدى الاساطير الالهية. بل ان الغابات أيضاً ملأى بالمقامات الدينية. فكثيراً ما نشاهد في جذع احدى الاشجار صورة صغيرة لبار" ذي جبين قرمزي يرمز الى الورع وقد غطيت قدماه بزهر ندي".

من أحب الامكنة إلي مزار في بومباي المزدحمة يمثل مظاهر من ديانات ثلاث. ففي ناحية منه صليب من الجص الابيض عليه صورة المسيح، وفي ناحية ثانية حجر حفرت عليه صورة غانش الاله الهندوسي، وفي ناحية ثالثة محراب يضع فيه المتعبدون القرآن عندما يؤدون الصلاة.

الساري العصري – تشبه حضارة الهند اسفنجة ضخمة تمتص كل شيء، في حين يهز الصفائيون رؤوسهم يائسين. لقد تطلعت أمم أخرى الى طرد المؤثرات الشريرة الغريبة من حضاراتها، غير ان الهند رحبت بهذه الشرور الغريبة وجعلتها جزءاً من حضارتها. فعندما أرى اليوم على جدران بيوت شيدت في القرن السادس عشر لوحات تمثل كريشنا يعزف مزماره وهو جالس على المقعد الخلفي في سيارة "رولز رويس" لا

في حقل من الزهر، يمكنني الجزم ان الحضارة الهندية ما زالت قائمة. فسوف يتابع كريشنا عزفه على المزمار سواء أكان جالساً في عربته أم في سيارة "رولز رويس" أم على صخرة.

وتختلف الهند عن الصين أو اليابان في كونها أبقت أبوابها مشرعة مما أعطاها قدرة خاصة على الاحتمال. فالمأثور عن اليابان انها ذات حضارة لا يمكن اختراقها، ولكن أين اختفت أثواب "الكيمونو"؟ اننا لا نزال في الهند نرتدي "الساري" وسواه من الالبسة الهندية التقليدية.

ان حائكي "الساري" الشطّار يراعون أذواق الناس في البضاعة التي يقدمونها متجاهلين لعنات التقليديين. مثال ذلك انهم أبدلوا رسوم الطواويس وأصداف المحار وثمار المانغو التي تميز "الساري" التقليدي برسوم الطائرات وأجهزة التلفزيون.

وأنا أشارك هؤلاء الحائكين في أملهم ان تبقى الهند محتفظة بهذا الزي في الوقت الذي تتطلع شعوب العالم الاخرى الى الخروج عن تقاليدها. لكن الشكوك تنتابني احياناً في ما اذا كنا سنغدو نسخاً عن سكان المدن الامريكية.

تأمل وموسيقى — ذات يوم كنت في مبنى اذاعة الهند ذي القرميد الأحمر والاعمدة البيضاء، فأخطأت الاستديو الذي ينبغي ان اذهب اليه ودخلت استديو آخر حيث اكتشفت نهاية الحضارة الهندية. ففي حجرة صغيرة عازلة للصوت شاهدت امرأة حسناء تغني أمام المذياع لا أمام الجمهور، وبدا واضحاً أنها تتقن أصول الغناء والتأليف والدلال. وكانت تعتمر قبعة مطرزة وعلى احدى كتفيها تدلت ضفيرة معقوصة زُين طرفها بحلية من الفضة والذهب. وأثناء الغناء كان يتمايل على شعرها قرطان طويلان من المينا والذهب. ولو كانت هذه المرأة تغني أمام الجمهور لملأ الصخب الغرفة وانتاب الناس مزيج من الشعور بالتقدير والرغبة وباتوا عاجزين عن تمالك أنفسهم وعمدوا الى اغراقها بالمال وأطروا عليها أيما إطراء. غير ان ما شاهدته لم يكن سوى تشويه لغناء لا يكون الا بالحوار.

والحوار مظهر رئيسي من مظاهر الحضارة الهندية. فالفن في الغناء لا يتحقق، بالنسبة الينا، الا بانصهار المغني والجمهور والموضوع والانضباط بحيث تؤدي هذه العناصر الى نتاج يفوق مجموع الأجزاء المكونة له.

ان فن الهند يكمن في التأمل وليس في التعبير عن الذات. وفي هذا الشأن يروي أحد أعظم عازفي "السيتار" ان استاذه (الغورو) كان علمه ان يعزف أحد الاناشيد الدينية، وهو قطعة موسيقية تبعث على التأمل يبدأ عزفها قبل الفجر ويستمر حتى شروق الشمس. ويضيف أنه كان هو وزملاؤه في سن المراهقة وكانوا يعيشون مع استاذهم. وكان عليهم ان يستيقظوا في الثالثة والنصف صباحاً ويوافوا استاذهم في الرابعة

والنصف الى فناء المنزل حيث يجلس كل منهم في مكانه. وبعد ذلك يطلب منهم الاستاذ أن يعزفوا منفردين النغمة الاولى في النشيد ثم يجعلهم يكررون عزفها.

ويستمر تدريبهم على عزف هذه النغمة وحدها ثلاث ساعات كل صباح لمدة شهر كامل، ويعلمهم الاستاذ أداء النشيد بأكمله في صوت موسيقي واحد. ويجيز الاستاذ لهؤلاء الطلاب اضافة نغمة موسيقية جديدة كل شهر حتى يعرفوا أنه كان يعلمهم التأمل وليس الموسيقى. ولم يكن يسمح لهم ان يعزفوا القطعة كلها قبل مضي ثمانية أشهر. ويذكر عازف "السيتار" الشهير ان استاذه ذاك لم يسمح له بعزف النشيد بأسلوبه الخاص الا بعد سنتين. وعندما عزف هذا النشيد أخيراً بدا ان كل نغمة تحمل في تضاعيفها مجموعة موسيقية يمكن نقلها الى السامع أو شعوراً دينياً يمكن ان يتعلمه الجمهور.

امتيازات الحرية ـ من المفيد ان نتذكر ان الناس أفراد وليسوا أرقاماً فقط. لقد عاش العالم طويلا وهو يخشى انفجاراً سكانياً حتى ان الشعب الهندي بات رديفاً للاكتظاظ السكاني. لكن الهند أثبتت أن المتكهنين بهلاكها كانوا أقرب الى الخطأ منهم الى الصواب.

ان الهند هي في عداد الدول الصناعية العشر الاولى في العالم ولديها اكتفاء ذاتي في الطعام. وهي الى ذلك متفوقة على معظم الدول الاوروبية في مجال الفضاء. ويبلغ عدد خريجي جامعاتها قرابة مليون سنوياً. غير ان التطور الصناعي فيها لم يؤد الى زيادة الدخل الفردي. واكتفاؤها الذاتي في الغذاء لا يعني ان الطعام يصل الى جميع الافواه الجائعة. واطلاق عربات الفضاء لا يغطي النقص في الري وفي نشر الطاقة الكهربائية. والزيادة الضخمة في عدد المتعلمين وخريجي الجامعات لم تقابله زيادة مماثلة في الوظائف التي يمكن ان تستوعب هؤلاء.

ولا يفوت حتى زائر الهند العابر ان يلاحظ هذه الحقيقة على الاقل: ان التنوع في ماضي الهند قد خالط تعقيدات حاضرها الكثيرة جداً. وعلى حد تعبير المهاتما غاندي فان أي حل لمشكلات الهند لا يمكن ان يفي بالغرض لأكثر من عشر سنين.

لقد عشنا ٣٧ سنة دولة مستقلة ولا نزال نتمتع بامتيازات الحرية، اذ لدينا قضاء مستقل وصحافة حرة واقتراع سري. كذلك فنحن لم نتنكر لماضينا لاقتناعنا بكذب الشعار القائل ان المستقبل لا يبنى الا بهدم الماضي. كما اننا لم نتبن فكرة بناء مؤسساتنا على القمع الجماعي لأن القول باعتماد الوحشية في معاملة الأجيال الحاضرة لتأمين عيشة مثالية للاجيال المقبلة هو قول خادع أيضاً. فالهند تتطور ضمن حقائق متناقضة ليس لها مثيل.

هل نحن شعب محظوظ؟ هل نحن شعب عظيم؟ لا أحد يدري. والهنود يهزون أكتافهم قائلين: "هذه هي الهند."

■ **غيتا مهتا**

قال لي زوجي: "هذا أجمل ما في بيتنا، وسنحتفظ به على الدوام."

تحف من رقع

ان المهمة المشتركة التي تجمع النسوة لخياطة الملاحف تلهمن ايضاً للسمر وتبادل القصص. وثمة عدد كبير من خياطات الملاحف في ولايتي تكساس ونيومكسيكو الامريكيتين، بعضهن كنّ من اوائل سكان تلك المناطق بينما جاءت الاخريات في طفولتهن مع آبائهن الذين وفدوا للاستيطان في العالم الجديد في الربع الاخير من القرن التاسع عشر. وهن ما زلن حتى اليوم يعملن في خياطة قطع قماش صغيرة مبرقشة يخرجنها من اكياس حشتها اماتهن وجداتهن بالخرق القديمة. وغدت حرفة صنع الملاحف من الخرق المبرقشة جزءاً من نمط عيشهن تراه يبرز في حياتهن الاجتماعية والعائلية وفي ما يختلج في سرائرهن.

ولكي نلم بخبرات اولئك النسوة قابلنا عشرات منهم ووجدنا في ما يروينه من تاريخهن سجفاً مبرقشاً فذاً من صور الحياة الامريكية.

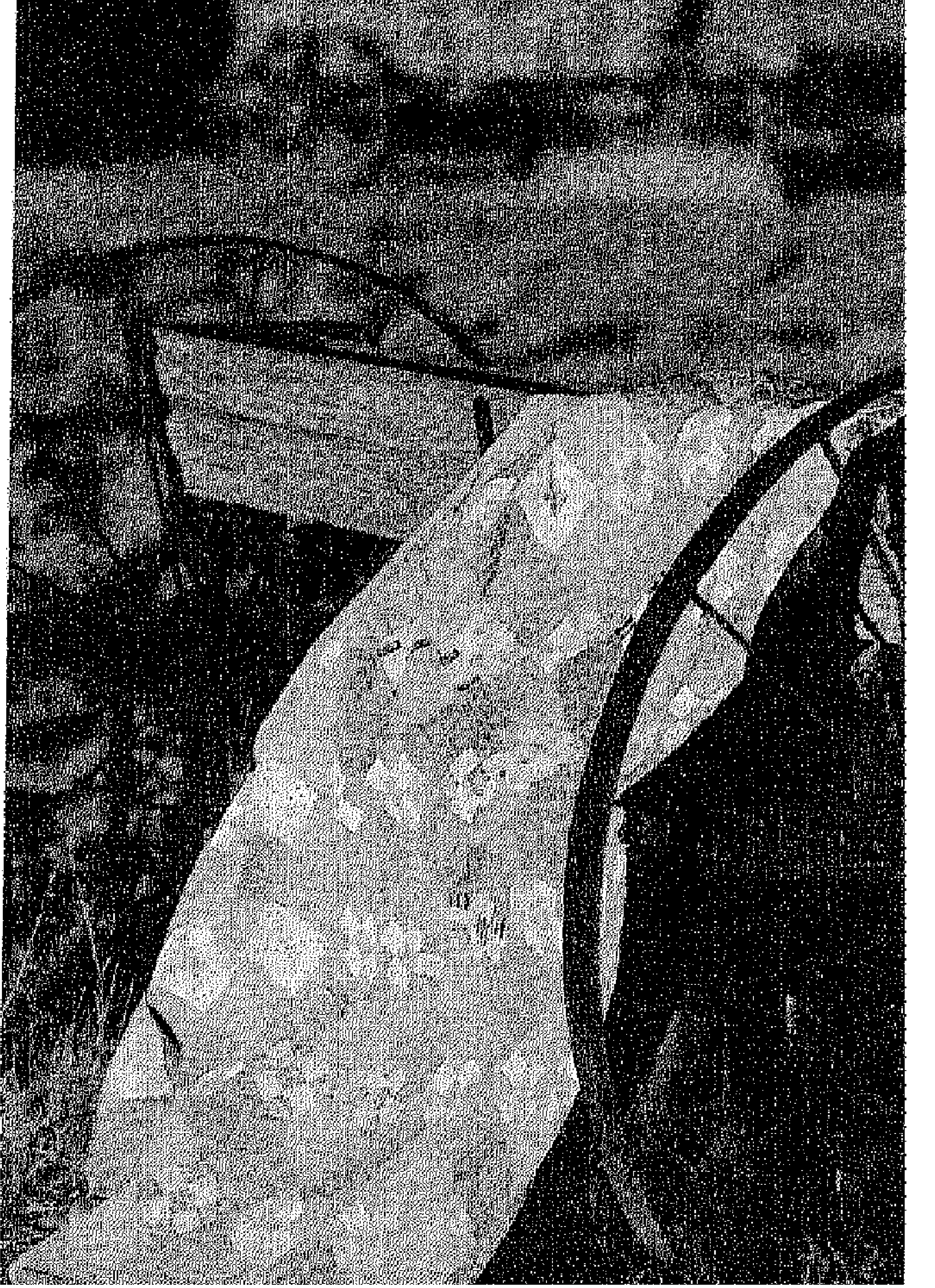
قالت احداهن: "جاء اهلي من مدينة سبرينغفيلد في ولاية ميسوري الى غرب تكساس عام ١٨٩٠. وحملت امي معها كيس الخرق طوال الرحلة وكانت تصنع هذه الملحفة التي دعتها "النجم الوحيد" والتي لا أزال احتفظ بها هنا. وكثيراً ما حدثتني عن الوحشة التي احستها عندما قدمت وعائلتها الى هذا البيت. كان الخلاء يلفهم من كل ناحية الى حدود مرمى البصر. كيف يقوى الانسان على تحمل مثل هذا الفراغ؟

"ومرة تُركت امي وحيدة لمدة اسبوع، وهبت عاصفة هوجاء من الغبار. ظلت الريح تعصف ثلاثة ايام بلياليها وعبق الهواء بالغبار. وكانت امي تضطر الى شدّ حبل حول خصرها كلما خرجت لعلف البقرة وحلبها. وهكذا عكفت على خياطة الملاحف طوال ساعات اليوم. كانت تقول: لو لم انصرف الى رفء تلك الرقع في ملاحف، فلست ادري ماذا كان في وسعي ان افعل."





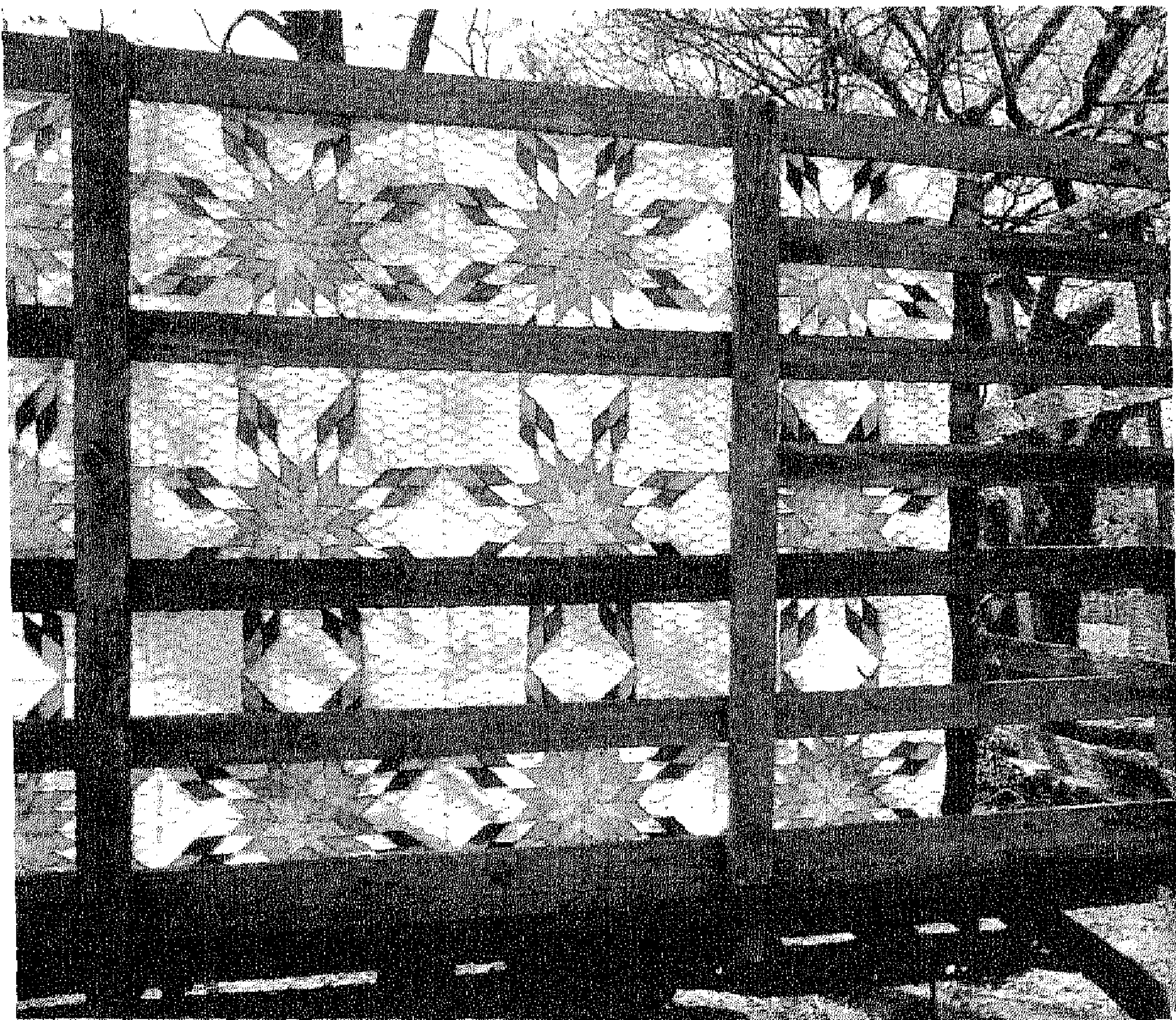
"بنى ابي بيتنا بيديه، كان جذوع الشجر، وقد عُني بوضع كل في مكانها الصحيح، وكلما صنعت عليه نقشة كوخ خشبي، تعود بي اليه."



"ما زلت اذكر تلك الرقعة، كانت الثوب الذي ارتدته جدتي يوم عرسها، ولقد احببت ذلك الثوب كثيراً."

وقالت اخرى: "حين كنت في الرابعة من عمري مات طفل جيراننا الرضيع، واستدعيت جميع النساء للمساعدة، وللحال اخرجت امي من صندوقها نسيجاً من الحرير الازرق، ولما وصلنا الى بيت الجيران وجدنا النسوة منهمكات في الطهو والرجال يصنعون تابوتاً من الخشب، وأخذت امي وثلاث نساء اخريات الاطار وعكفن على صنع ملحفة، حضرن اولا بطانة للتابوت ثم نجدن من الحرير الازرق لحافاً صغيراً للطفل الميت."

"اني الآن في الثالثة والثمانين من عمري، وقد صنعت يا فتاتي كثيراً من الملاحف المبرقشة، لكنني اتذكر، كأنما كان ذلك يوم امس، ملحفتي الاولى، كانت امي ماهرة في رفء الملاحف، وهي صنعت إجمل القطع



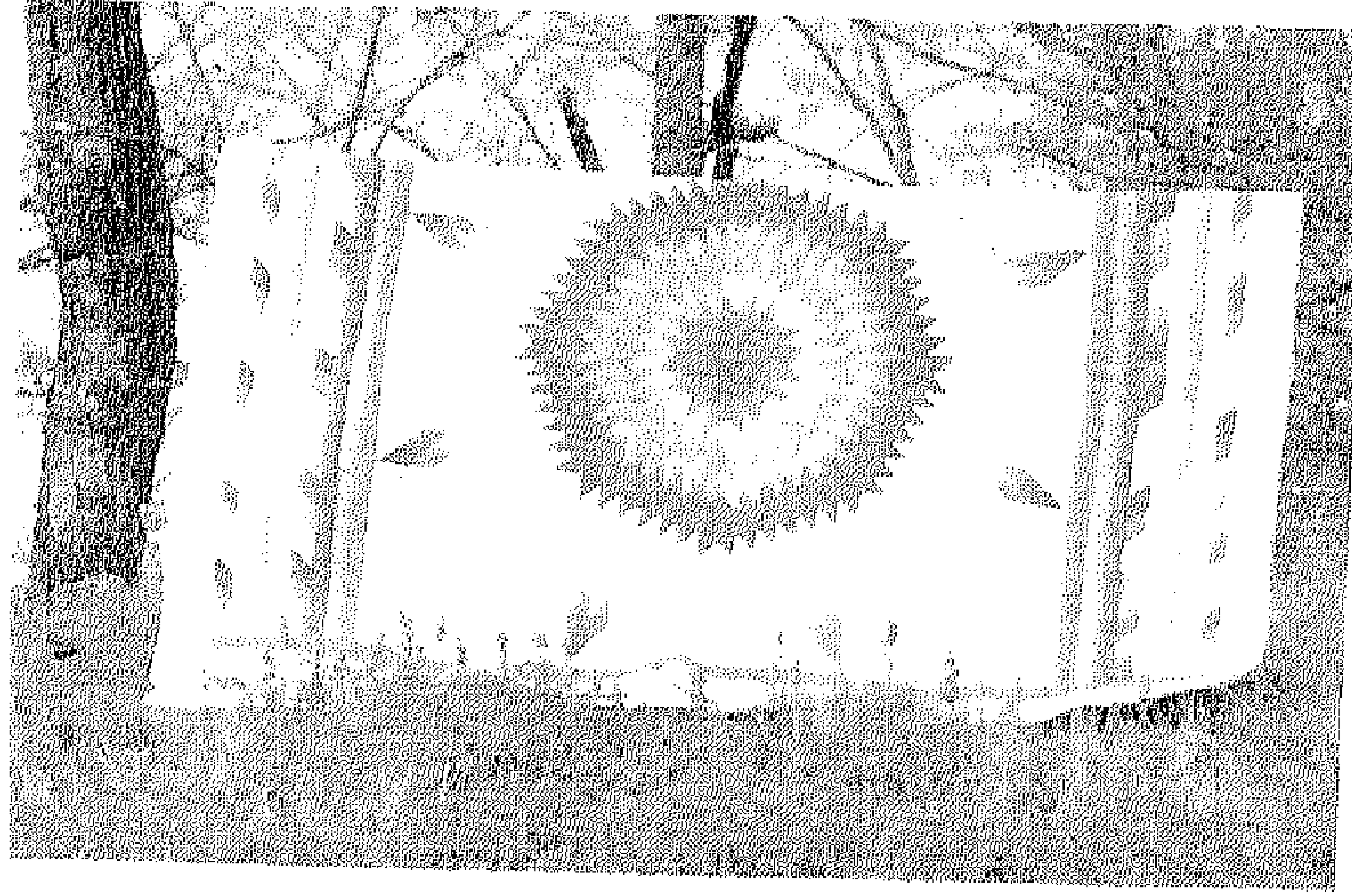
"كانت امي تصنع الملاحف من خرق الثياب مستعينة بقليل من القماش الذي يحضره لها ابي كلما استطاع شراء بضع اذرع."

التي اخرجتها هذه البلاد. كنت اتوق دوماً الى العمل معها، ولا أزال اذكر ذلك اليوم حين قالت لي: تعالي يا سارة واعملي معي الآن اذا شئت. فأخذت ابرة وخيطاً ووقفت بجانبها. غرزت الابرة في القماش واخرجتها منه ثم غرزتها ثانية، وكانت قطبي تبلغ ثمانية سنتيمترات طولا.

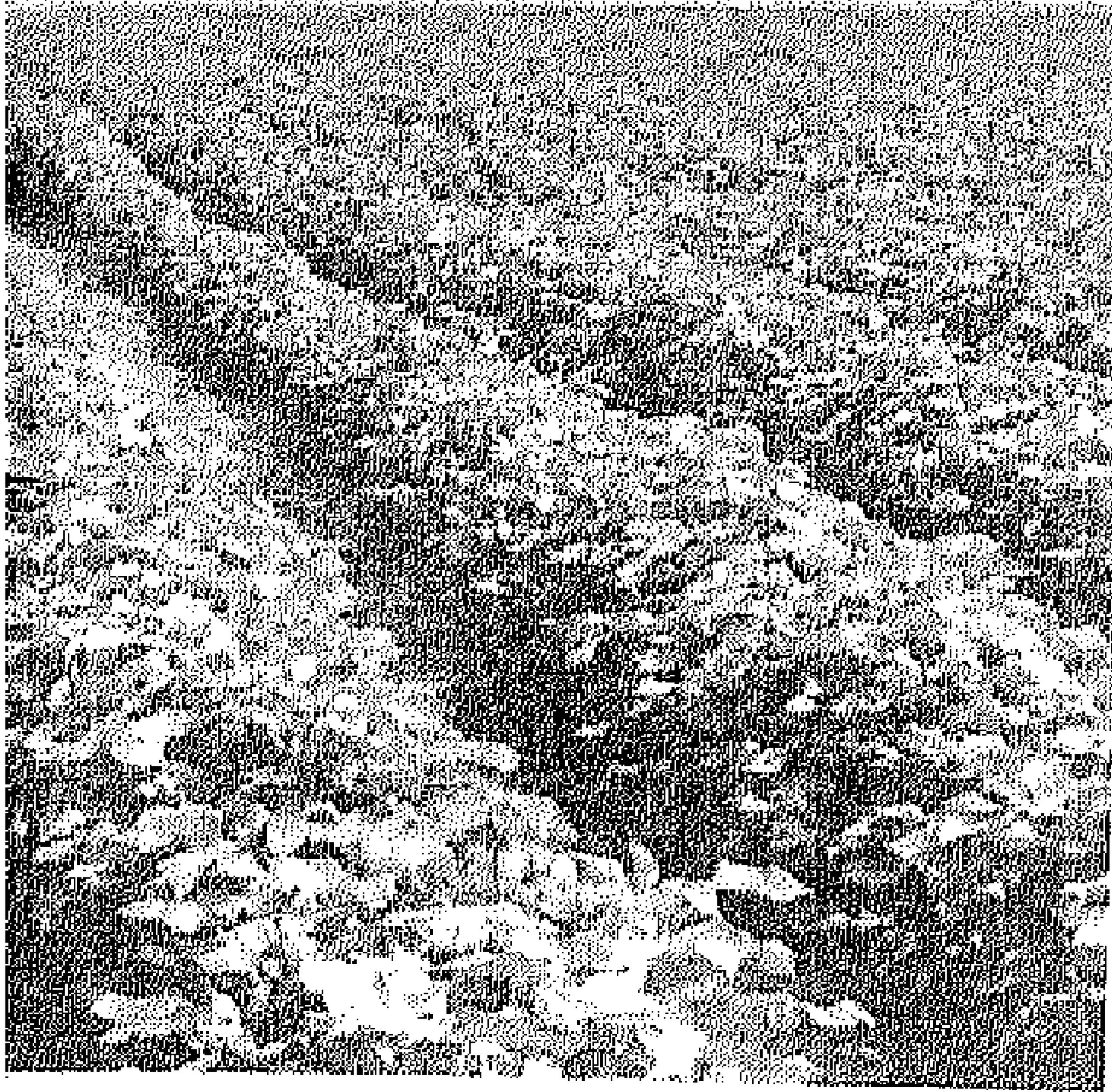
"دخل ابي في ذلك الوقت وصاح: يا فلورانس، ستتلف هذه الطفلة ملحفتك وسيتعين عليك ان تفتقي كل ما خاطته الليلة.

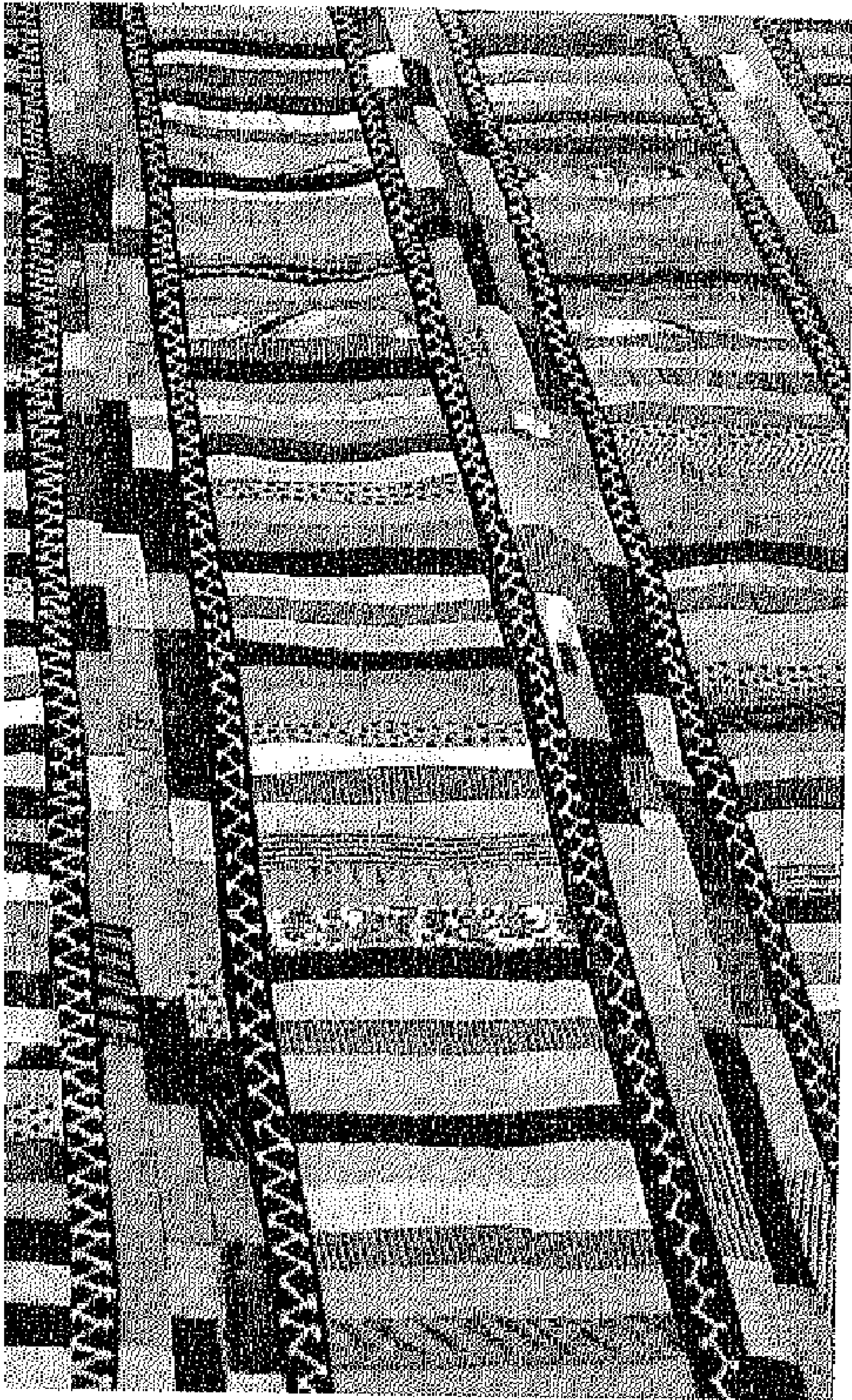
"وابتسمت امي لي وهي تقول: انها ترفأ اول ملحفة لها. وهذه القطب ستبقى في تلك الملحفة حتى تبلى."

"لن تصدقي اذا نظرت الي الآن، لكني حقاً تزوجت اوسم شاب في



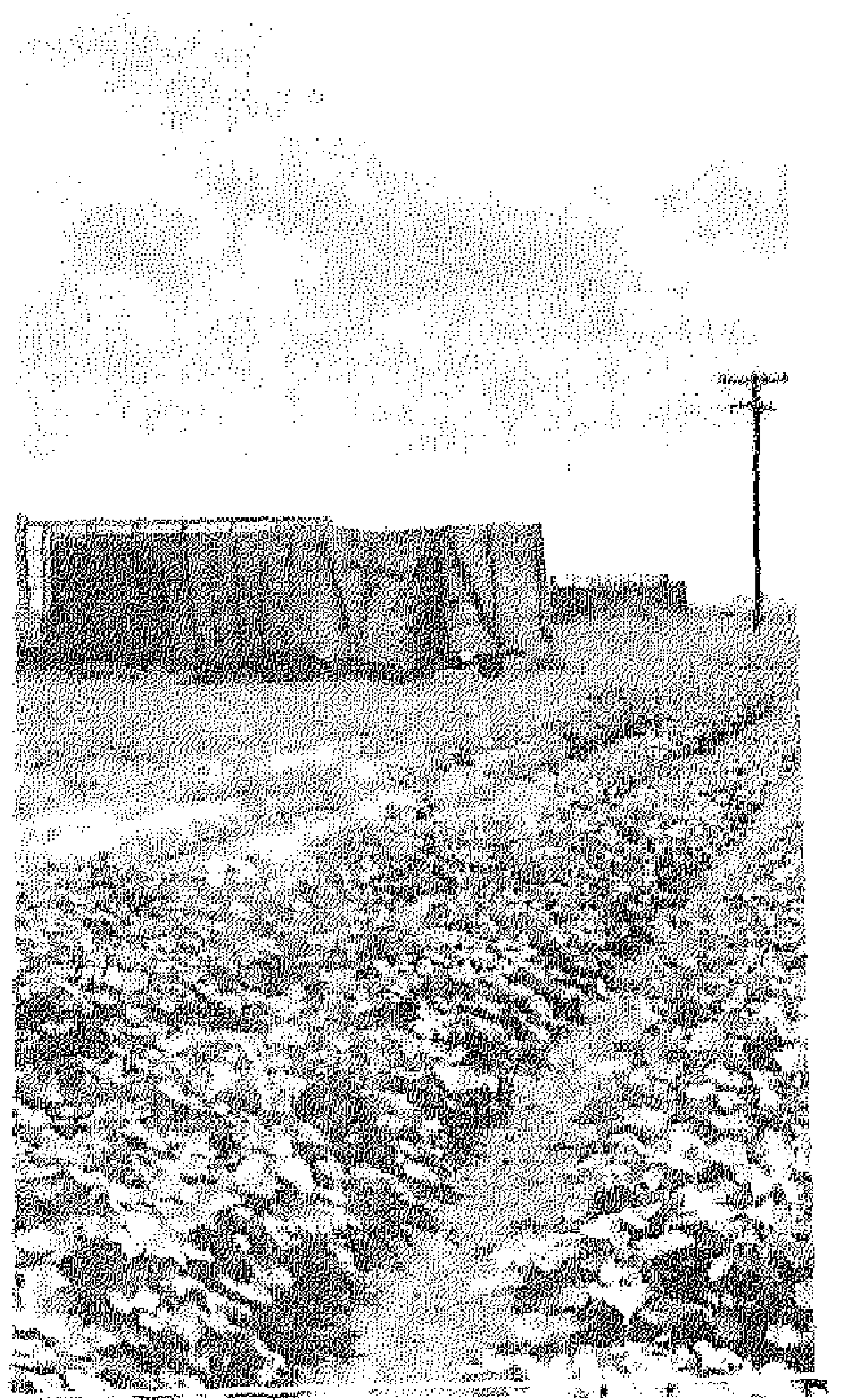
"حين كانت الفتاة تفكر في الزواج كان عليها ان تبدأ
برفء الرقع لتصنع منها ملاحف،
وقد اعطتني امي ملحفة جميلة حقاً
هي "النجم الوحيد" الذي كانت صنعته لنفسها،"



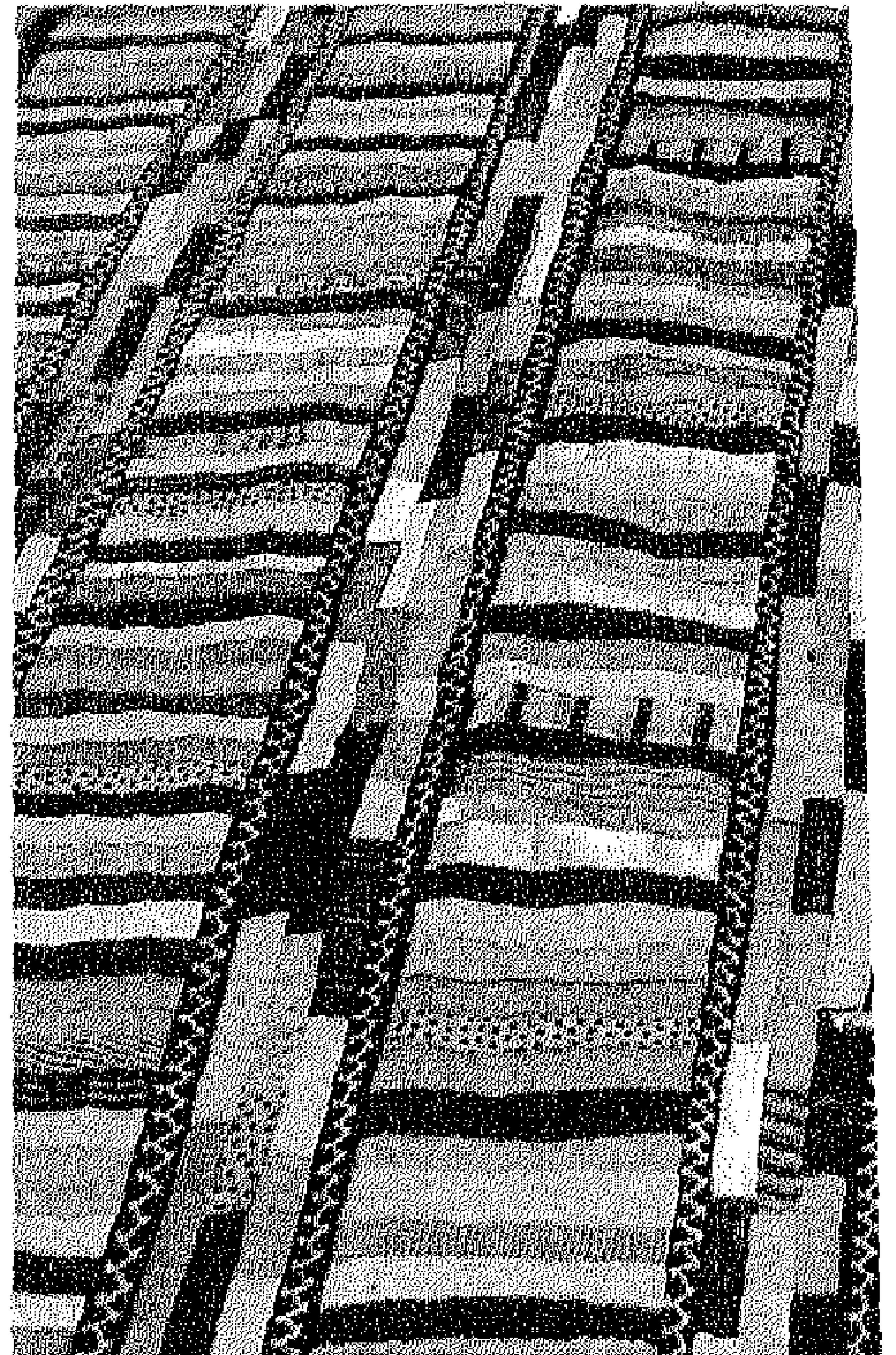


"جميع الناس كانوا يعملون
في رفء الرقع وصنع الملاحف
في فصل الشتاء،
وكان ابنائي يعملون جنباً الى جنب مع بناتي،
كان ذلك عملا ينبغي انجازه،"





"اثناء الازمة الاقتصادية في الثلاثينات غالباً ما كان لناس يسددون ديونهم بما لديهم من ملاحف مبرقشة، واحياناً يتبرعون بها للعائلات المستورة."



المقاطعات الثلاث المحيطة بنا عندما ناهزت الثامنة عشرة من عمري. لم اتعرف عليه في حفلة راقصة، كل ما فعلته هو اني كنت اجلس بيتنا وانصرف الى رفء ملحفة. وبعد ظهر ذات يوم من ايام الربيع، بينما انا احلم مع كل قطبة وأفكر في من يمكن ان يشاركني في الالتحاق بتلك الملحفة يوماً، جاءني صوت جميل يقول: عفوك يا آنستي، لكني اراك هنا كل يوم منذ اسابيع، وقد استجمعت جرأتي لأخاطبك وأرى ماذا تصنعين بهذه العناية.

"تبارك الله يا فتاتي. لقد

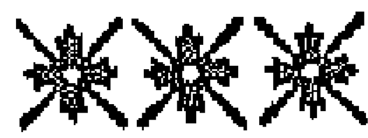
تزوجته، وكان خطابه ذلك اطول حديث فاه به دفعة واحدة حتى اليوم."

"يتحدث زوجي عن الوقت الذي اصيب بداء الحصبة. كان في السادسة من عمره. وجعلته امه يرفأ قطعاً من القماش ليصنع منها ملحفة. وكان عليه ان يرفأ بين كل قطعتين قطعة منمقة ببقع حمراء. ولقد سماها ملحفة الحصبة. وفي كثير من ليالي الشتاء الباردة، حين كنت أجلس امام اطار الملاحف بجانب الموقد، كان هو يجر مقعده الكبير الى الجانب الآخر ويأخذ في قص القطع لي. يا له من منظر! ذلك الرجل الكبير الهرم ذو الساقين الطويلتين جالس ومقدما حذائه معقوفان الى فوق ليحضنا القطع التي يقصها لي.

"وكان عندنا ثلاثة كلاب صخابة تنبح حين يقترب احدهم من طريق بيتنا. وصدّقيني، كان ابي يلقي ما بين يديه وينفر اسرع من بعوضة عندما تبدأ تلك الكلاب النباح. وكم كان ذلك يضحكني منه."

"حين كانت امي في ايامها الاخيرة في المستشفى قالت لي انها قلقة لأنها لم تنجز ملحفة لأختي الصغيرة. قلت لها: لا تهتمي يا اماه، سأنهيها أنا الآن. وقد فعلت. ذهبت الى بيتها حيث كان الاطار منصوباً وعملت طوال ذلك الليل وصباح اليوم التالي. فرغت من العمل قبيل الظهر وعدت لاخبر امي، فقالت انها سترقد راضية بعد ذلك. وكان ذلك آخر ما فعلته من أجلها."

■ باتريشا كوبر ونورما برادلي آلن



موهبة القيادة

أمضى مدرب للشرطة طوال قبل الظهر يتكلم عن موهبة القيادة أمام صفّ من المتطوعين. ونادى أحدهم الى المنصة وسلمه ورقة كتب عليها: "هذا المكان في عهدتك الآن. وعليك اخراج الجميع من هنا من غير أن تحدث ذعراً أو ارتباكاً بينهم."

وحار المتطوع في ما يقول، وعاد الى مكانه. واستُدعي آخر، فوقف قائلا: "اخرجوا كلكم من هنا." لكن أحداً لم يتحرك.

وجاء ثالث، فابتسم وهو يقول: "حسناً يا اخوة. لقد حان وقت الغداء." وهكذا غادر كلّ من في الغرفة بسرعة.

هـ.د.

حب غير مقصود

بينما كان بطل الهوكي وين غريتسكي مع أصدقاء له في احد مطاعم مدينة تورنتو الكندية، طلبت منه امرأة رسماً ممهوراً بامضائه. وبعدما سألها عن اسمها اهدى اليها الصورة مع "الحب والقبلات." فاخذتها وشكرته وخرجت مسرعة. لكنها عادت بعد ثلاث دقائق وهي تحتج على ما كتب، قائلة انه لا يمكن ان يحبها وهو لا يعرفها. وأعادت اليه الصورة وانصرفت.

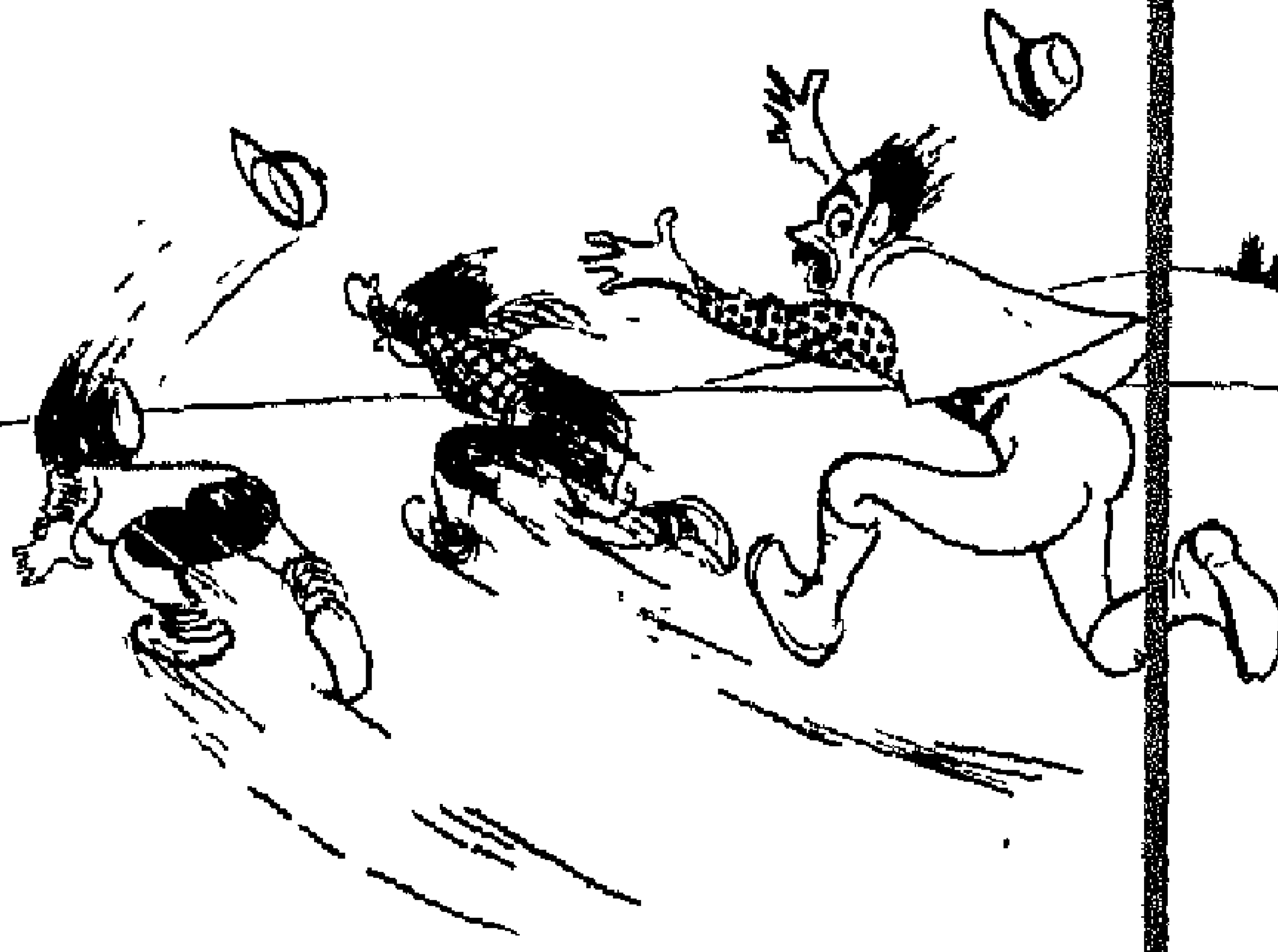
مجلة "الرياضة المصورة"

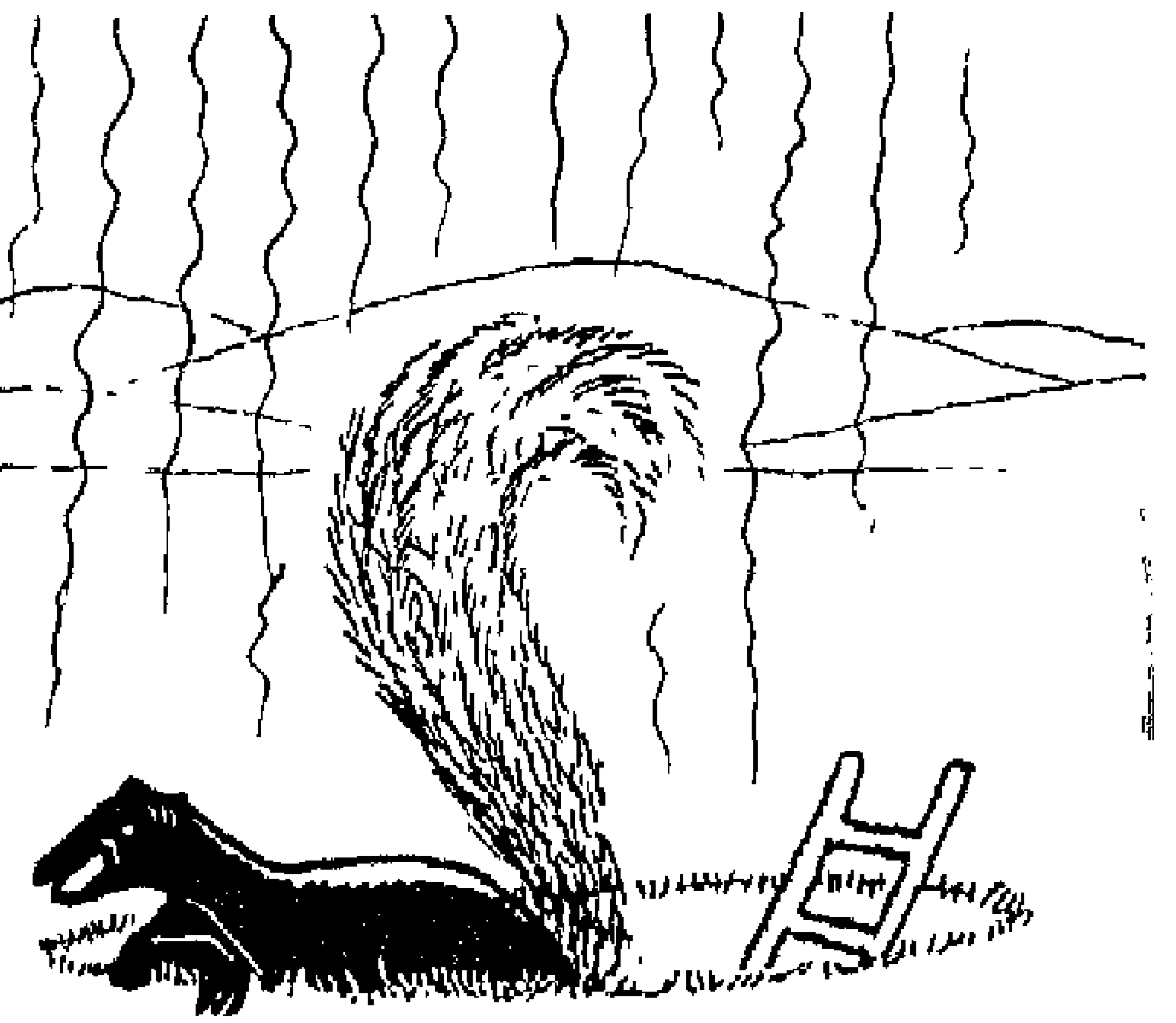
سُلّمُ الظربَان



جلست وصديقي المجنون ايدي ملدون على سياج حظيرة البقر بعد ظهر ذات يوم ونحن نحاول التفكير في عمل ما . كان هذا بعد مضي وقت قصير على سقوط الطائرة التي صنعناها في اول اقلاع لها عن سطح مخزن الغلال في مزرعة آل ملدون وبعد تعطل الغواصة التي اخترعناها كذلك وغرقها في البركة وأنا داخلها .

وفيما نحن جالسان مر بنا ملدون الاب وهو يقود جراره الزراعي، وتوقف برهة ليرمقنا بنظرة ارتياب وقال: "ماذا تخططان الآن؟"





لو نترك الأمر لنا لخرجنا من ورطتنا بـ"رائحة طيبة"

قال ايدي: "لا شيء يا أبي، اننا نحاول أن نفكر في عمل ما ."

ارتعد السيد ملدون وقال: "حسناً، عندما تجدان ما تفعلانه أعلماني به قبل ان تباشرا تنفيذه. هل تسمعان ما أقول؟"

فأجاب أيدي: "نعم يا أبي، أظن أن كل ما سنفعله هو نبش حفرة في التراب."

قال السيد ملدون وهو يحول ناقل

السرعة في جراره: "حسناً، ولكن حذار..."

سألت ايدي: "اي نوع من الحفر سنجري؟"

فحدق لحظة الى الفضاء البعيد وقال: "حفرة كبيرة، حفرة كبيرة حقاً." شغلنا الحفر معظم أيام الاسبوع. وأخيراً غدت الحفرة بعمق حال دون قذف التراب من فوق حافاتها بالرفش. عندئذ قرر ايدي أن المهمة أنجزت.

رائحة مألوفة – كانت الحفرة انجازاً حقاً. كما كانت في الحقيقة رائعة الى حد أن ايدي لم يعد يكتفي باعتبارها عملا جمالياً بل أخذ يحاول التفكير في جدوى منها.

قال لي: "هل تدري ماذا يمكننا أن نفعل بهذه الحفرة؟ يمكننا أن نتخذها شركاً للحيوانات البرية، فنغطي فوهتها بالاغصان وأوراق الشجر والاعشاب ثم تأتي الحيوانات البرية وتسقط فيها. بعد ذلك نخرجها منها وندجنها ونعلمها أن تؤدي حركات وألعاباً. آه! أراهن أننا سنصطاد بها غزالا أو وعلا أو دباً أو أسداً..."

فقاطعته: "أو احدى أبقار ابيك."

خبا وهج الحماسة في وجه ايدي وقال: "أجل، من الافضل لنا أن نردم الحفرة غداً."

توجهت أنا وأيدي باكراً صباح اليوم التالي الى الحفرة العميقة ونحن على أتم أهبة لردمها. وما ان اقتربنا منها حتى زكمت مناخرنا رائحة مألوفة.

قال أيدي: "لا بد أن ثمة ظرباناً في مكان قريب."

قلت: "ربما كان في الحفرة."

وتبين أن الظربان كان حقاً في الحفرة. ومن الغريب أننا لم نلاحظ عليه أي خوف منا، بل الاغرب من ذلك أنه حفر مغارة واسعة تحت أحد جوانب حفرتنا في محاولة لفتح نفق يفر منه.

قلت: "لا يمكننا ان نردم الحفرة والظربان فيها. فكيف نخرجه منها؟"

أجاب أيدي: "يهبط أحدنا الى قعر الحفرة ويقبض على الظربان قبل أن يرشه برذاذه الكريه ثم يلقيه خارجاً. أنا سأقف هنا وأصرخ بأعلى صوتي كي لا ينتبه الظربان لك حين تقفز الى قعر الحفرة وتقبض عليه و..."

قاطعته: "لا تعجبني هذه الفكرة بتاتاً. فكر في سواها."

فهتف أيدي: "وجدت الحل. نذهب الى مشغل أبي ونصنع سلماً."

كنت وايدي منهمكين في صنع السلم حين دخل أبوه المشغل وقال مزمجراً: "أظنني أهبت بكما ألا تصنعا شيئاً فما هذا الذي تصنعان الآن؟"

أجاب أيدي: "انه سلم للظربان."

قال الأب: "آه، حسناً، لا تصنعا شيئاً آخر قبل ان تخبراني بذلك."

صيد آخر – عدت مع أيدي الى الحفرة وأنزلنا السلم فلم يبد الظربان رغبة في تسلقه للخروج. عندئذ سمعنا صوت والد ايدي يصيح بنا: "ماذا عنيتما بسلم الظربان؟" وكان يقترب منا بخطوات واسعة عبر المرعى.

سارعنا بالتقاط باب قديم وألقيناه على فوهة الحفرة فأخفيناها تماماً عن النظر. وقبل ان يتاح لنا التفكير في تعليل معقول لوجود كومة ضخمة من التراب في احدى زوايا ذلك المرعى دهمنا السيد ملدون صائحاً: "والآن، من أين جاءت هذه الكومة؟" قال هذا وانحنى ليمسك حافة الباب الذي يغطي الحفرة.

صاح ايدي وهو يهرع نحو أبيه: "كلا، لا تفعل ذلك يا أبي..."

لكن السيد ملدون قلب الباب عن الحفرة ثم وقف وقال: "انها رائحة ظر..." ولم يكمل الجملة اذ اختفى في تلك اللحظة عن أنظارنا تاركاً قبعة القش التي كان يعتمرها معلقة في الهواء (استنتجت في ما بعد أن السيد ملدون ربما وقف على الحافة التي نقب تحتها الظربان مغارته فانهارت به). وارتفعت غيمة من الغبار داخل الحفرة حين اصطدم السيد ملدون بقعرها. وللحال أخذ يزعق بسيل من الشتائم الممتزجة بكلمة "ظربان". ثم سمعنا جلبة وصوت انهيال تراب وبدا أن السيد ملدون يحاول تسلق حافة الحفرة. لكن التراب ظل ينهال عليه فيسقط داخلها ويعود الى الصراخ.

وكان أيدي واقفاً قرب رأس السلم حين اندفع الظربان متسلقاً اياها وبرز من خلال غيمة الغبار الكثيفة. أجفل ايدي، وفي محاولة لمنع الظربان من رشه برذاذه القذر أمسك برأس الحيوان. وأخذ الظربان يخدشه ويعضه مما اضطر ايدي الى القائه ثانية داخل الحفرة. ولحظة وصوله الى القعر تعالى صراخ وحشي من السيد ملدون الذي سارع هذه المرة بتسلق السلم.

تلك كانت اشارة لنا بالانطلاق جرياً. وهذا ما فعلناه. وواصلنا الجري حتى لم نعد نسمع وقع قدمي السيد ملدون الجاد في أثرنا. وأخيراً ابتعدنا حتى لم تعد تصل الينا رائحته التي تمزق الانوف.

وعاد أيدي الى البيت أخيراً ووضع نفسه في حماية أمه حتى هدأ غضب السيد ملدون ولم يبق من أثره سوى تغضن خفيف غريب الشكل في بشرة وجهه رافقه بقية حياته.

وللمناسبة أذكر أن ايدي أصيب في وجهه ببعض رشاش الظربان أثناء العراك الذي حدث عند قمة السلم. ومع أن هذا أقلق والديه اول الامر، فانهما اقتنعا أخيراً بأنه لن يترك آثاراً سيئة دائمة في دماغ ابنهما. وفي أي حال، وبعد عشرين سنة من ذلك الحادث، نال أيدي شهادة دكتوراه.

■ باتريك ماكمانوس



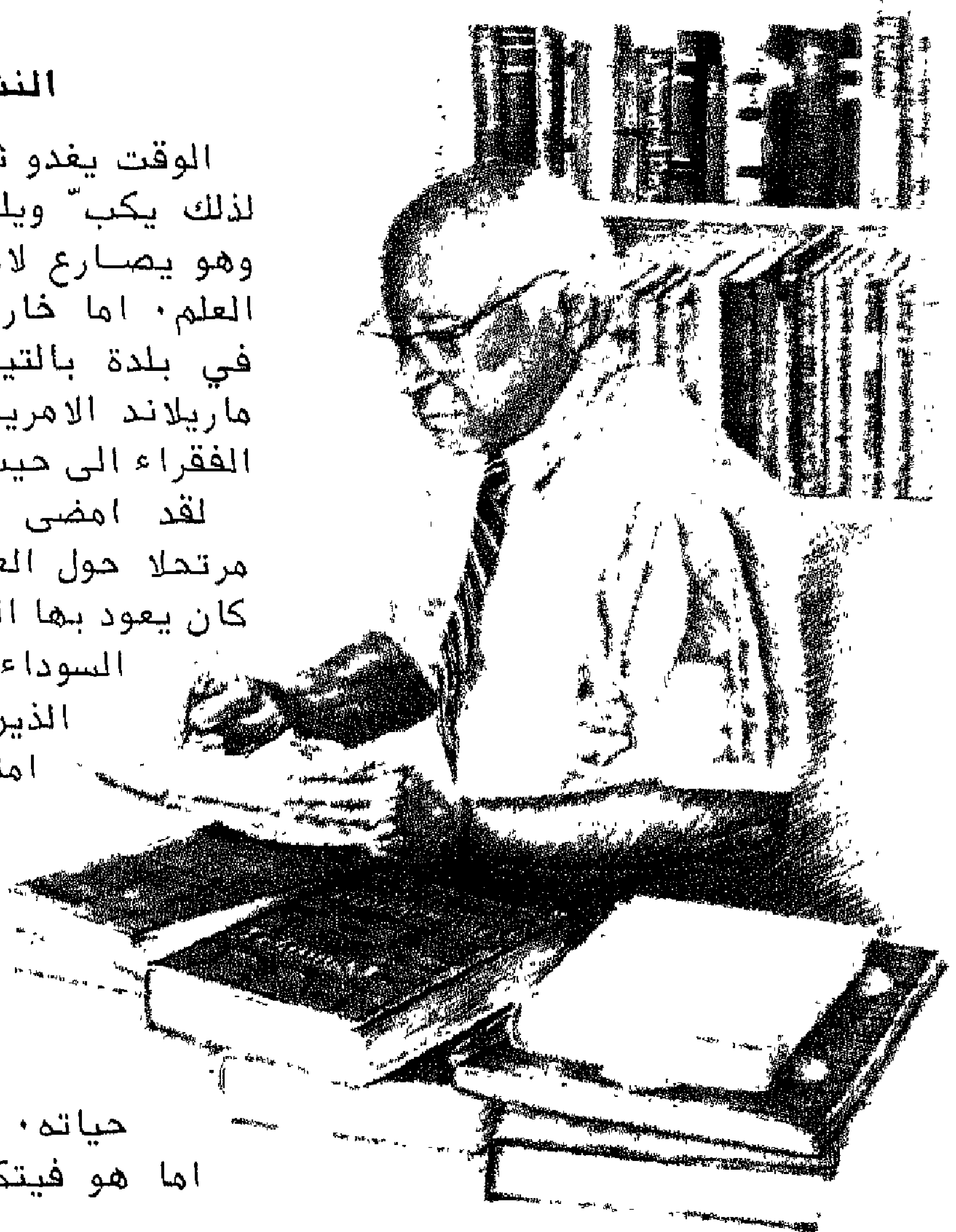
تواضع عمة

عمتي امرأة تقية. ومرة كانت تعاني ضيقاً، فحاولت التخفيف عنها بقولي ان مكانها في الجنة اكيد. لكنها أجابت: "لا أدري. فربما كانت صفاتي تتجاوز الحد المطلوب."

٠١٠أ

حياة بعض الناس قد تكون ملحمة تدخل نسيجها خيوط شتى. وهنا سيرة ملحمية في خمسة أناشيد

ملحمة الحياة



النشيد الاول

الوقت يغدو ثميناً جداً اذ يتضاءل. لذلك يكبّ ويلك بيترز على طاولته وهو يصارع لاكتساب المزيد من العلم. اما خارج باب منزله الموصد في بلدة بالتيمور من اعمال ولاية ماريلاند الامريكية فيعبر المراهقون الفقراء الى حيث لا يعرفون.

لقد امضى بيترز العجوز حياته مرتحلا حول العالم طلباً للحكمة التي كان يعود بها الى طلابه في الجامعات السوداء. الا ان المراهقين الذين يعبرون امام منزله امتلأت اذهانهم بالآراء وخلت من الحكمة. وكل ما يعرفونه عن بيترز انه رجل مسن، مستنفَد، في الطور الاخير من حياته.

اما هو فيتكىء على طاولته وفي

يده كتاب يحوي قواعد اللغة الايطالية • ويقرأ سطراً ويضيع مكانه ، ثم يعيد قراءته بعناد ويدون بعض الملاحظات •

غير انه لا يحتاج الى ملاحظات ليتذكر طفولته والحلم الذي راوده طويلا واخرجه من دائرة الفقر والجهل والتمييز العنصري •

بدأ ذلك الحلم في مقاطعة ترينيتي في ولاية تكساس ، حيث عمدت عصابة من المزارعين البيض الفقراء الى طرد والده جون من المزرعة التي كان يملكها يوماً • وولد ويلك بيترز عام ١٩٠٠ في كوخ مزارع محاصص اذ تحول ابوه مزارعاً اجيراً يستثمر الأرض التي يعمل عليها لمصلحة مالكها ، في مقابل حصة من محصولها • وكانت امه مرتا تحمله معها الى الحقول • وما لبثت ان انجبت طفلا ثانياً فثالثاً •

وفي الثامنة من عمره بات ويلك عبداً امريكياً رقيقاً يعمل وراء ثور فلاحة • لكنه ، منذ ذلك الحين ، ادرك ان العالم يمتد خلف افق تكساس • وفي المدرسة تعلم ان الارض تؤوي اقواماًكثيرة • ولمس والداه الذكاء الذي يتمتع به ، وتمنى له والده ان يصبح طبيباً • والطبيب ، في خبرة جون المحدودة ، اكثر الناس ثقافة •

اجل ، سوف يغدو ويلك طبيباً •

علقت تلك الكلمة السحرية في ذهن الفتى واعطت حياته اتجاهاً • فالطبيب يمثل العلم ، والعلم نقيض الجهل • وهو عقد العزم على محاربة الجهل بكل كيانه • وبينما امضى اترابه اوقاتهم ينسجون احلام اليقظة على مقاعد المدرسة ، حاول ويلك اتقان الانشاء والحساب • وتعلم ان وراء المحيط بلداً اسمه فرنسا ، وبلداً آخر مليئاً بالجبال اسمه سويسرا • وسمع باسبانيا ومصارعي الثيران فيها ، كذلك بالبندقية وغندولاتها •

في تلك الفترة العائلية السعيدة المتميز بالضحك والامل البريء والفقر الذي يسهل احتماله ، كان من العسير التمييز بين الحلم والحقيقة ، اذاً لا بد من ان يغدو طبيباً ••• ولمَ لا ؟

ثم كان ان انهار ابوه ومات عام ١٩١٣ • ووقف ويلك بلا حراك امام الضريح الذي لا يحمل اسماً ، وادرك ان الفقر سيسحق العائلة في غياب قوة ابيه ومعرفته •

ولما بدأت السنة الدراسية ذلك العام ، بقي ويلك في البيت ليأخذ مكان ابيه في المزرعة • ووجد عالمه المباشر مطبقاً عليه ، ولم يَبْقَ له سوى الحلم •

النشيد الثاني

عمل ويلك بجهد • الا ان العمل الشاق لم يردّ الجفاف عن الارض والحشرات عن الزروع • وبعد موسمين اعجفين لم يبقَ له ما يبيعه الا الثيران •

وما لبث الواعظ ايفا جونسون ان دخل حياة العائلة وهو يحمل وظيفة وعيناً على مرتا • ومقته ويلك من النظرة الاولى ، غير انه لم يستطع ان يمنع زواجه بأمه •

وانتقلت العائلة الى منزل ريفي وسط غابة صنوبر ، حيث يتم استخراج زيت التربنتينة من الصمغ ، وكان

جونسون يعمل هناك. وما لبثت مخاوف ويلك ان تحققت، اذ ارغم هو واخوته على العمل، فيما اخذ جونسون يخرج لصيد الأسماك والطيور. وكان العمل شاقاً ووضيعاً ويستغرق الوقت كله من الفجر حتى الغروب. وتبدلت نظرة ويلك الى نفسه وبات على وشك ان يفقد الحلم.

وكان الفتى في الثامنة عشرة من عمره عندما قرر الواعظ الانتقال الى مخيم عمل آخر. إلا ان ويلك رفض على نحو بات الانضمام الى العائلة.

وبلغه ان مناشر الخشب في بلدة ديبول في حاجة الى عمال. فتوجه لتوّه، سيراً على القدمين، الى تلك البلدة ذات البيوت الخشبية الخضراء التي تؤوي ثلاثة آلاف نسمة، والتي تحوي مخزناً كبيراً تملكه شركة الخشب. وبدت تلك البلدة، في عيني المزارع اليافع، عالماً مسحوراً بسياراته وانواره الكهربائية ووجوه سكانه المشرقة. وما هي الا ايام حتى باشر ويلك عمله في جرّ الواح الخشب نحو احدى المناشر.

وكان اهل ديبول يتقنون القراءة والكتابة. ومعظمهم زار، في وقت او آخر، مدينة تايلر التي تبعد ١٦٠ كيلومتراً. وتايلر هذه مرتع احلام، اذ تضم كلية تكساس الجامعية ومدرسة للتلاميذ السود.

وسمع ويلك اهالي ديبول يقولون ان الشخص الذي يجهل القراءة والكتابة لن يتعلمهما البتة بعد سن البلوغ. فنمو الذهن يكون اكتمل بحيث يغدو التلقين مستحيلا. وما ان سمع تلك الفكرة حتى ارتعدت فرائصه. غير انه رفض تصديقها، وظل مصمماً على دخول الجامعة.

لكنه في الوقت نفسه ما فتىء يعمل في المنشرة يوماً بعد يوم. وكان يستعير الكتب المدرسية الابتدائية ويقرأها مساء، مراجعاً الحساب وقواعد اللغة. ووقع بين يديه كتاب رياضيات. وعلى رغم انه لم يفهم شيئاً من رموزه فانه رفض ان يضعه جانباً.

وكان كلما اخذ راتبه يومياً جعله ثلاثة اقسام: واحداً لحاجات اخواته وامه وواحداً لحاجاته المتواضعة. اما القسم الثالث، وهو الأصغر والأثمن، فقد ادّخره على اسم الحلم.

وانقضت سنوات اربع من العمل والدرس. ورويداً رويداً اخذت صعوبات الرياضيات تتذلل امام عناده. وصادف ذات احد ان زار الدكتور و.ر. بانكس رئيس كلية تكساس بلدة ديبول محاضراً. وأصغى ويلك مشدوهاً الى ذلك الرجل الطويل القامة الواسع المعرفة الذي تأتيه الافكار طيعة كما لو كانت مفاتيح موسيقية. وبعد المحاضرة ذهب اليه واعترف بان مستواه المدرسي يقف عند الصف الابتدائي السادس وهو في الثانية والعشرين. لكنه اضاف انه ادّخر مقداراً من المال وانه مستعد للعمل الدراسي الشاق.

وتأمل رئيس الكلية في وضع الفتى المتحمس. ودلته تجربته على انه تجاوز سن الدراسة، الا انه لم يَقْوَ على البوح له برأيه، بل حاول المواربة بقوله ان لا شيء يستحيل على ذوي الارادة.

وفي خريف تلك السنة جهز ويلك متاعة وتوجه الى تايلر.

النشيد الثالث

في كلية تكساس هزّ المسؤولون الاداريون رؤوسهم بأسى. فمعلومات الفتى الذي اتاح له الرئيس الدخول هزيلة، ولغته اقرب الى اللغو. ثم من يجرؤ على القول له انه تجاوز سن الدراسة؟ الافضل ان يُتْرَك ليكتشف ذلك بنفسه.

وأُعطي حجرة صغيرة للنوم واوكل اليه اذكاء الفحم في موقد المهاجع. وقيل له ان طريق المعرفة تبدأ في المدرسة الابتدائية. وهكذا وجد ويلك نفسه، في الثالثة والعشرين، يطوي رجليه بجهد تحت طاولة صغيرة، وقد احاط به اولاد في السنة الابتدائية السادسة.

غير ان ويلك نظر الى الامر كفرصة سانحة، لا كاهانة. واذا استطاع اجتياز ذلك الصف، فهو سيدخل المدرسة الثانوية التي خصصتها الكلية لاعداد المعلمين.

ولكن ما ان اجتاز الامتحان النهائي وغادر لعطلة الصيف حتى ظن المسؤولون انه لن يعود البتة. ولشدّ ما كانت دهشتهم حين رجع مع الخريف وباشر دروسه الثانوية.

في تلك السنة اكتشف المكتبة. وكانت مكاناً مهيباً وصامتاً مثل معبد. اما القائمة على المكتبة فكانت السيدة غلوفينيا بانكس زوجة الرئيس. وقدّرت الشاب ويلك ايما تقدير وهو يمشي في الأروقة ويمسك المجلدات باجلال.

واستمد ويلك شجاعة فائقة من الكتب. وكلما وقع على قول قيم كان يحفظه عن ظهر قلب. وفي مجلد خاص بالأقوال المأثورة وقع على الشعار الآتي: "ثابر على المثابرة." ولم يَنْسَ تلك الكلمات طوال حياته.

ومن معلماته شابة اسمها جنيفا كراوتش، وهي من أجمل النساء اللواتي شاهدَهنّ حتى ذلك الحين. لكنه لم يَبُح لها البتة باعجابه، لأن هذا الامر كان ينافي مبادىء العلاقة بين التلاميذ والمدرّسين.

وفي ربيع ١٩٢٨ انهى ويلك دراسته الثانوية. وكان في الثامنة والعشرين حين دخل كلية تكساس الجامعية طالباً في السنة الاولى. وباشر دروساً في اللغة الفرنسية بعدما درس اللاتينية في السنوات السابقة. وصارع علم الجبر وجعله طوع امره. واخذ دروساً في الرياضيات المتطورة والكيمياء والتاريخ.

واخذت الكلية تتقلص بعدما تركها الدكتور بانكس ليغدو رئيساً لكلية براري فيو الزراعية على بعد ٣٠٠ كيلومتر. ولما ذهبت جنيفا الى هناك ايضاً، قدّم ويلك طلباً الى تلك الكلية وقُبل.

هناك ركز انظاره على الرياضيات، وكان الوضع الاقتصادي شهد ازمة قوية عام ١٩٢٩، وايقن ويلك انه لن يستطيع الالتحاق بكلية الطب فوراً. وهكذا عقد العزم على تدريس الرياضيات في المرحلة الثانوية. وأرسل طلبات عدة الى المدارس

الخاصة بالسود في ولاية تكساس، لكنها رفضت طلبه.

النشيد الرابع

بعد التخرج، بقي ويلك في الكلية ينتظر رسالة قبول من احدى تلك المدارس. الا انه لم يحصل على شيء. وعرض وضعه على غلوفينيا بانكس التي تذكرت مثابرته على المطالعة في مكتبة كلية تكساس. وسألته هل فكر على الاطلاق في ان يصبح مدير مكتبة.

وحدّق ويلك اليها ملياً وقد راقته الفكرة. وتذكر ان "الدكتور" في رأي ابيه كان يعني الانسان المثقف. وهذا ليس بالضرورة الطبيب. وما معنى مدير المكتبة سوى حارس المعرفة الامين؟

وبعدما اتخذ قراره، طلب منحة دراسية لمتابعة دورة في علم المكتبات في معهد هامبتون في فرجينيا. وقبل طلبه. ثم عرض فكرة الزواج على جنيفا كراوتش. فقبلت طلبه هي الاخرى.

وفي خريف تلك السنة ودّع ويلك عروسه وذهب الى فرجينيا بحماسة شديدة لاكتساب المزيد من المعارف. وايقن ان السفر من وسائل القضاء على الجهل، فعقد العزم على الرحلة.

واشترى سيارة عام ١٩٣٥ واصطحب زوجته الى مدينة نيويورك لتمضية الصيف في جامعة كولومبيا. وبعد ذلك ذهبا الى مقاطعة كيبيك الكندية حيث الناس ينطقون لغة اخرى. الا ان ويلك كان يعرف تلك اللغة.

ولما عاد الى بيته جلس يفكر في هذا العالم الكبير الذي تتوزعه اقوام كثيرة تتكلم لغات مختلفة. ووجد ان معلوماته اللغوية، التي تضم الفرنسية وبعض الالمانية الى لغته الام، لا تكفي لتجعل منه مواطناً للعالم. وصمم على ان يفعل شيئاً لجبه ذلك الواقع.

وفي العام ١٩٤٤ دُعي ويلك الى العمل في مكتبة كليفلاند العمومية في اوهايو، وهي احدى اكبر المكتبات من نوعها في الولايات المتحدة. وانضم الى الفريق المسؤول عن تقويم الكتب الجديدة الواردة. وفي اواسط الاربعينات كان موضوع الكثير من الكتب يدور على روسيا.

وتمنى ويلك ان يتكلم الروسية. ولكن لم لا؟ وهكذا غدت الروسية لغته الاجنبية الثالثة.

وانتقل ويلك عام ١٩٤٨ الى مكتبة معهد تاسكغي في ولاية آلاباما. وفضلا عن شغفه باللغات تولد لديه شغف بالمحركات الصغيرة. وعلم نفسه اصلاح جزازات العشب المعطلة، بدءاً بالآلة التي يملكها هو. ولما تسنى له ذلك، راح يعرض خدماته على جيرانه.

وبلغ ويلك الخمسين وهو في آلاباما. وكان يجلس في المكتبة، يفهرس الكتب ويساعد الطلاب. لكنه اراد الذهاب الى المانيا واوستراليا، والى امكنة كثيرة اخرى، بل الى كل مكان.

وفي تلك الاثناء تلقى رسالة من صديق في كلية مورغان في بالتيمور، يقول له ان الكلية في حاجة الى استاذ

في علم المكتبات ويسأله ان كان الأمر يهمه.

وللمرة الاولى في حياته وقف ويلك متردداً حيال امر جديد. وفكر في نظام التقاعد الذي اعتمده معهد تاسكغي والذي يتفوق على نظام كلية مورغان.

وتلقى رسالة اخرى من صديقه في بالتيمور، اشار فيها الى ان اساتذة مورغان يعملون تسعة اشهر في السنة، وان عطلتهم الصيفية تمتد ثلاثة اشهر. واذا قبل ويلك تلك الوظيفة، فسيكون لديه ما يكفي من الوقت لتحري كل ما يشاء.

وتأمل ويلك في الرسالة، متوقفاً عند الاقتراح الاخير حول قدرته على ان يفعل ما يشاء خلال العطلة، مما يعني ايضاً ان يذهب الى اي مكان يختاره.

وفي كلية مورغان، غدا ويلك بيترز مثال المعلم الصديق الذي لا يكره شيئاً سوى الجهل كما عُرف بولعه بدراسة اللغات وباختفائه طوال العطلة الصيفية.

وكان يسافر بنفقات متواضعة، ولا يقيم الا في بيوت الطلبة او مع العائلات، مراقباً طرائق العيش ومتعلماً اللغات. وكانت جنيفا ترافقه في بعض اسفاره، واحيانا تفضل المكوث في البيت. ودرس ويلك الاسبانية في جامعة برشلونة والحضارة الفرنسية في جامعة السوربون الباريسية. وكان كل خريف يؤوب الى مورغان بمكاسب ذهنية جديدة.

وانقضت السنون الى ان حان وقت التقاعد عام ١٩٦٦. وأفرغ ويلك محتويات مكتبه وعاد بها الى البيت وهو سعيد كمراهق في اليوم الأول من عطلة الصيف.

النشيد الخامس

بعد انعتاق ويلك من واجبات الوظيفة بات في امكانه ان يسافر في الشتاء ايضاً. وصار في استطاعته ان يخلد الى النوم ويستيقظ ساعة يشاء.

وفي صباح اليوم الاول الذي تلا تقاعده، نهض في السابعة وباشر العمل على طاولته. وعقد العزم على تحسين لغته الاسبانية قبل زيارة امريكا اللاتينية.

وامضى فصل الشتاء متابعاً الاسبانية في جامعة مدريد (اسبانيا) ثم في بورتوريكو والبيرو. وتنقل في امريكا الجنوبية واوروبا.

وشعر ويلك بالرضا التام. وسنة بعد سنة، كان ينظر الى سحب الجهل تنقشع من حياته. واذا كان خارج السفر او الدرس او العناية بالحديقة، او اذا كانت جز"ازات العشب لدى جيرانه تعمل على خير وجه، فهو كان يبحث عن عمل تطوعي يؤديه.

ولدى بلوغه السبعين تسلم رسالة من مركز ابحاث تابع لمستشفيات بالتيمور. وكان العلماء هناك يبحثون عن متطوعين يكونون موضوعاً لدراسة حول الشيخوخة. وسمح لهم ويلك ان يقضوا اياماً في دراسته.

وسأله طبيب نفسي اين امضى سني حياته. فأجاب انه زار ٥٦ بلداً، لكنه لا يتذكر اسماء"ها جميعاً. وحين سُئل ان كانت ذاكرته سليمة، قال

انه ينسى بعض الامور، بما فيها بعض الأقوال المأثورة التي حفظها من دروسه الروسية.

وجاء تقدير فريق العلماء ايجابياً في حاله. غير ان مجرد اهتمامهم به يعني انه في مرحلة الشيخوخة.

لكن هذا غير صحيح بالنسبة اليه. وهو يعرف ان عقله ما زال يعمل بوعي ويقظة. الا ان الشيخوخة امر حتمي، وهكذا الـ...

كلا... انه يكره كلمة "الموت"، ويفضل "الفـراق". غيـر انه، فـي السبعين، يعرف ان الذي امامه اقصر كثيراً مما هو وراءه.

الا ان تلك الفكرة لم تؤثر في تحريه المـزيـد مـن الالـمـانـيـة والاسبانية، ثم مباشرة الايطالية. وكان في الثانية والثمانين عندما باتت اللغة الايطالية حبه الجديد. والايطالـية تعني له ربـيع العمـر.

وذات يوم بلغته رسالة من كلية براري فيو تسأله ان يكون خطيب حفلة التخرج للعام ١٩٨٢. ووجد ويلك شرفاً كبيراً في ذلك. ووضع كتب اللغة الايطالية جانباً واكب على خطابه. ولم يكن ذلك بالأمر السهل. وعلى رغم معرفته الكثير من اللغات فان الوقت حان لكي يتكلم القلب من الأعماق.

ترى ماذا يستطيع ان يقوله للطلاب الشبان الذين لم يمشوا البتة خلف الثيران؟ وتـذكر المراهقيـن الذيـن كانوا يعبرون امام منزله وهم لا يدركون مدى جهلهم. ووجد، وهو يسعى الى العبارات الصادقة، غضباً حبيساً في ذاته، غضباً حيال التذمر الذي يسمعه حوله على الدوام.

واخيراً وقف امام الجمهور، وروى سيرته، ثم اراد ان يدعمها بعظة، فقص حكاية تدور على زوجين من السود. لقد فقد الزوجان كل ما يملكانه من جراء الافراط في الشراب وسوء الادارة. لكنهما ما برحا يلقيان تبعة تلك المحـنة علـى "الـرجل الابيض".

اجل، التميـيـز العنـصـري واقع محســـــوس. إلا ان الشجاعة واقع محسوس ايضاً. لذلك، قال للجمهور، "يجب ان نثابر على المثابرة."

ونزل عن المنصة.

وما ان عاد الى البيت حتى استأنف دروسه الايطالية بحماسة. وبعد شهر طار الى روما.

وها هـو بـيـتـرز العجوز وزوجته يحلمان برحلة الى الصين.

وبعد ذلك؟

يجب ان نثابر...

■ جون فرانكلين

برهان النجاح

بعد سنوات من اتباعها نظام حمية غير مجد،استطاعت اختي اخيـراً التخلـص مـن بعض سمنتها بناء على تعليمات طبيب. وبدت ملابسها واسعة، فنصحتها زميلة في العمل باعادة تفصيلها لتلائم جسمها. الا أن اختي اعترضت على النصيحة قائلة: "ليس الآن، اذ أحب الابتهاج قليلا بالانجاز الذي حققته."

ر.د.

فجأة، في ذلك الصباح الباكر،
تغير شيء ما في هواء الغرفة وفي جو المنزل كله

ساعة لله



كان عيد ميلادي صباح ذلك اليوم من شهر فبراير (شباط) ١٩٧٨، غير اني أحسست قوة تدفعني الى الخارج وانا أحمل حقيبتي وأتوجه الى فطور عمل. لقد عاملتني الحياة معاملة حسنة على وجه العموم. وكان زوجي واولادي في خير حال، وشركة الاعلانات الصغيرة التي أسستها اصابت نجاحاً. لكن شيئاً بدا ناقصاً، شيئاً لم يكن له أسم، شعرت به كبعض فراغ داخلي.

وحين دخلت المطعم وجدت دون كامبل ينتظرني، وهو شخص طويل القامة، ذو فكين مستطيلين هزيلين وخدين غائرين، في الستينات من عمره. وكان مستشاراً ناجحاً في شؤون التسويق وقريباً الى قلوب الناس. وطالما قدرت فيه الهدوء والسلام.

وفيما نحن نتناول البيض المسلوق رحنا نتحادث حول مشروع اعلاني. ولما فرغنا من الحديث المهني شكوت له امري ووصفت له ذلك الشعور المزعج بالفراغ.

وسألني دون: "أتريدين ملء الفراغ؟"

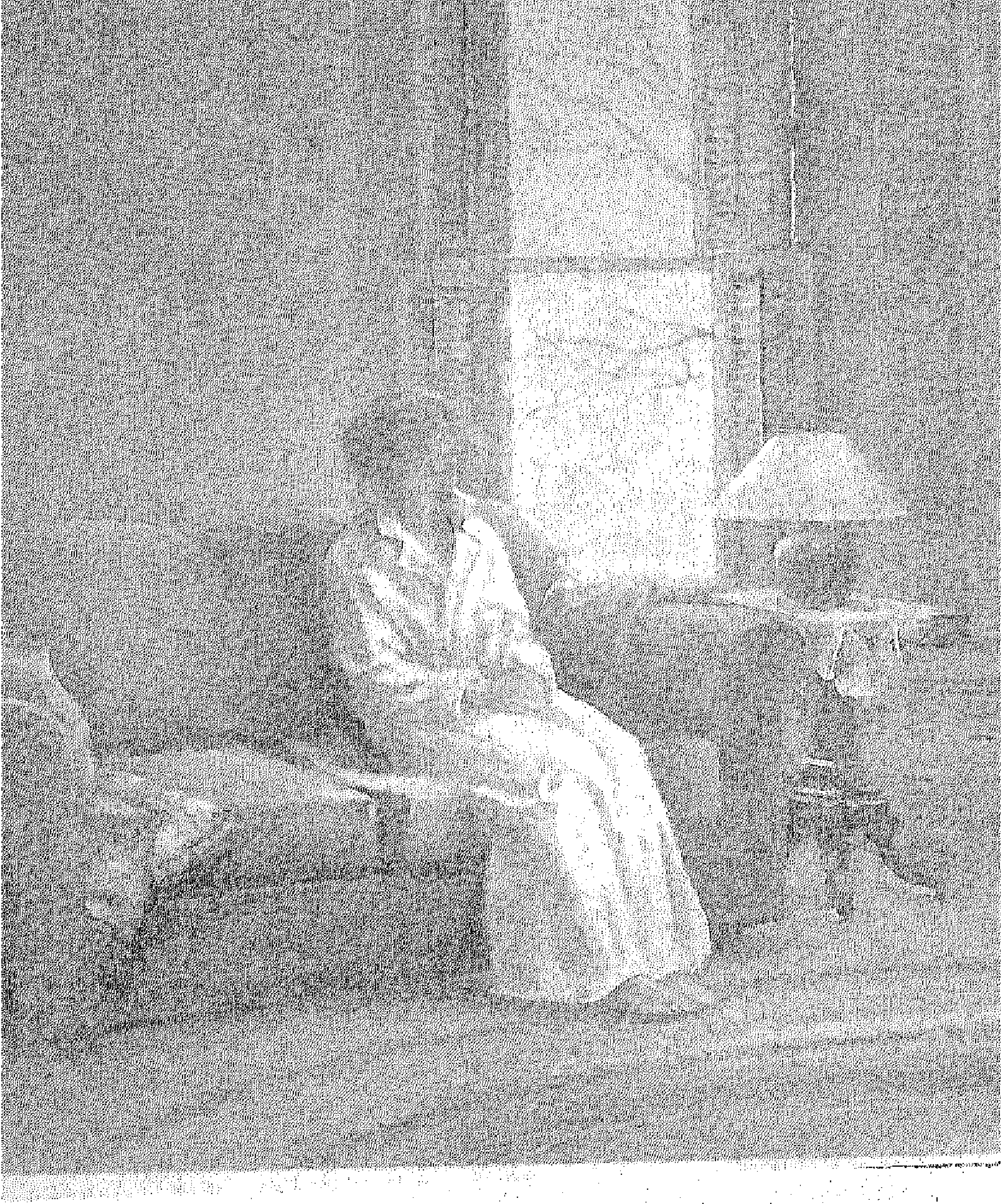
- أجل، وكيف لا؟

"اذاً، باشري نهارك بساعة صلاة."

- ليس لدي وقت لذلك!

"هذا ما قلته تماماً قبل عشرين سنة. وكنت رئيساً لشركة اعلان في شيكاغو، وكان وقتي مليئاً بالواجبات. وعلى رغم ايماني بجدوى الصلاة اليومية فاني لم أجد وقتاً لها. وراودني شعور ان حياتي تفلت من قبضتي. ثم اخبرني صديق أني أفعل اموري على عكس ما ينبغي. وأضاف: "انت تحاول ان تدخل الله حياتك، ولا تدري ان الصحيح هو العكس: فأنت تحتاج الى الدوران في فلك الله. وعليك ان تكرس لذلك الامر ساعة كل يوم، اذ هكذا يكون الالتزام". والهدف ان يقتطع المرء جزءاً مهماً من حياته ويعطيه لله."

ورفت عينا دون وتابع: "ظننت ان صديقي فقد صوابه. ومن أجل تكريس ساعة لله، علي تعويضها بالنهوض من النوم ساعة أبكر من المعتاد. وهذا



يعني خسارة ساعة من الراحة قد تؤدي الى مضاعفات صحية. لكني أقول لك اني لم أعرف المرض طوال عشرين عاماً".

غادرت المطعم باضطراب. ساعة صلاة؟ هذا غير معقول! الا اني لم أستطع نزع فكرة دون من ذهني.

ومن غير ان أقول شيئاً لزوجي او لاولادنا الثلاثة المراهقين - ضبطت منبه الساعة على الخامسة صباحاً، علماً اننا نعيش في القطاع الغربي الاوسط من الولايات المتحدة، حيث الطقس بارد والجو قاتم في الخامسة صباحاً خلال شهر فبراير (شباط). وشدني دافع الى البقاء في السرير، غير أني استجمعت قواي ونهضت.

ولفني الظلام من كل جانب، ومشيت على رؤوس اصابعي الى غرفة الجلوس غير آبهة لكلب الصيد "بورت" الذي نملكه، وجلست على

الاريكة. ووجدت من الغريب بادئ الامر ان أكون وحدي مع الله، من غير طقوس دينية. وحدي، نعم، مع الله، ولمدة ساعة.

ونظرت الى ساعة يدي وقلت: "حسناً يا الهي، اني هنا... وماذا بعد؟".

وكنت اود القول ان الله اجابني الحال. ولكن لم يكن هناك سوى الهدوء. وحاولت ان اصلي فيما انا انظر الى شروق الشمس. لكني، عوض الصلاة، رحت أفكر في ابني آندي والمشادة التي حصلت بيننا اليوم السابق. وفكرت ايضاً في زبون واجه مأزقاً تجارياً. كما فكرت في جملة أمور تافهة.

غير ان تلك الافكار تلاشت تدريجاً. ورحت اتنفس ببطء الى ان أحسست هدوءاً داخلياً. وبت أسمع أخف الاصوات، كصوت البراد وذيل الكلب وهو يضرب الارض واصطدام الاغصان المتجمدة بالنافذة. وبعد ذلك شعرت دفء المحبة التي لا أعرف كيف أصفها. وبدا لي ان هواء الغرفة بات مختلفاً، كذلك المقعد الذي أجلس عليه وجو المنزل كله.

وبعد خمسين دقيقة من الجلوس هناك باشرت صلاتي. ووجدتني لا ألجأ الى العبارات المعهودة والمحفوظة غيباً، ولا الى سلسلة الطلبات: "اعطني يا الله هذا الشيء او ذاك."

لقد قيل لي، طوال حياتي، ان الله يحبني. غير اني، صبيحة ذلك اليوم البارد من فبراير (شباط)، أحسست محبته التي غمرت كياني وجعلتني أبقى ربع ساعة مسبحة اياه تعالى.

ثم رن جرس ساعة آندي ونبح بورت، ايذاناً ببدء النهار. لكن حرارة تلك المحبة سرت في كياني بقية ذلك اليوم.

وفي الصباح التالي بدا المنزل أشد عتماً وبرداً. غير ان ذلك لم يثنني عن النهوض. وقلت لنفسي: "ها أنا أنجح، هذا اليوم ايضاً، في تخصيص ساعة لله." والكلام نفسه قلته صباح اليوم الثالث.

ويوماً بعد يوم، انقضت ست سنوات على هذا المنوال.

وشهدت تلك السنوات ازمات كثيرةفي اوضاعي العائلية والمهنية. وكنت اخرج من كل أزمة منتصرة بفضل تلك الساعة الصباحية مع الله التي أتاحت لي وضع كل شيء في سياقه واكتشاف الله تعالى في كل مكان. وكلما وجدته بدا حل جميع المسائل ممكناً.

وفي بعض الصباحات أجدني امتلأت سريعاً بحضور الله ومجده. لكني في صباحات اخرى، لا أشعر شيئاً. واذ ذاك أتذكر امراً آخر قاله لي دون كامبل: "ثمة أوقات لا يأتي الله الى هيكلك. وهذا يعني أنك تقضين الوقت في غرفة الانتظار الالهية. غير أنك هناك، والله يقدر وجودك حيث أنت. والمهم في الامر هو الالتزام، اي تسليم ذواتنا لله."

وأشهد ان حياتي باتت أفضل كثيراً بفعل هذا الالتزام. والحق ان استهلال النهار بساعة صلاة ملأ فراغ حياتي حتى الفيض.

■ **بربارة بارتوتشي**

كتاب الشهر

المنقذ

تقرير خاص

بقلم روبرت كولينز

المنقذ

لأكثر من ثلاث سنوات ظلّ الميجور الدكتور بن ويلر يدوّن يومياته خلسة عن أعين سجانيه اليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية. وكان الطبيب الكندي الشاب على علم بالعقوبة الوحشية الملازمة لعمله، غير ان ذلك لم يثنه عن متابعته. وسرعان ما وجد في تلك اليوميات، التي جعل منها خطابا موجها الى زوجته، ما يستحق البقاء من أجله. وأمده ذلك بالسَّند المعنوي والجسدي الذي جعله يقدّم افضل عناية طبية وانسانية ممكنة لزملائه الأسرى، ويشدّد عزائمهم.

١٣

يناير (كانون الثاني) ١٩٤٣.

الوقت يمرّ على نحو او اخر بأيامه السريعة. غير ان اسابيعه تبدو اشهرا وأشهُره سنوات. ومن الصعب ألا تتثبّط عزيمة المرء. والواقع ان عملي عسير جدا بلا ادوية. ويوما بعد يوم تزداد الاصابات الناجمة عن نقص الفيتامين الغذائي.

ولقد اشتد الصقيع بعد سقوط الثلوج على القمم. لكن العديد من الرجال يعملون بسراويل قصيرة. وفي الأكواخ لا يسمح لهم بالاسترخاء او باستخدام الأغطية. واذا عصوا الأوامر عوقبوا بالضرب العنيف، بغض النظر عن حالهم الصحية. وكل يوم يفقد واحد او اثنان او ثلاثة منهم الوعي بفعل الهزال والتعرُّض لأحوال الطبيعة. وفي الايام العشرة الاخيرة أنقصت كمية الرز الى النصف او اقل. ولا يسعنا المضي على هذا المنوال طويلا.

يا الهي، متى تحين نهاية هذا العذاب؟ وكيف تراها تأتي؟ الا انه في امكاننا ان نعيش من يوم الى يوم من غير ان نفقد الشجاعة او الامل.

في كوخ حقير من الخيزران على جزيرة فورموزا (تايوان اليوم) التي يسيطر عليها اليابانيون، حرص الميجور بن ويلر حرصا شديدا على اليوميات التي كان يدوّنها خلسة، وحفظها بعيدا عن اعين سَجّانيه. وكانت تلك الايام اكثر ايام الحرب العالمية الثانية قتاما. فالمانيا ما زالت تستولي على معظم اوروبا واليابان على شرق اسيا.

وفي ذلك المخيم المخصص لأسرى الحرب في تايهوكو خارج البر الصيني، جعل الطبيب الكندي الشاب من مفكرته حبل سلامة ورجاء.

ولم تكن زوجته نل في بلدة ادغرتون الكندية عرفت شيئا عنه ولا هو تسلم رسالة منها منذ وقوعه اسيرا في سنغافورة قبل احد عشر شهرا. وما لبث العالم الخارجي ان حُجب عنه فترة طويلة. غير انه، من حيث الظاهر، لم يدع مجالا الا للرجاء، وان يكن في اعماقه خشي الا يرى زوجته وبلده البتة.

وظل، ليلة بعد اخرى، يخاطب زوجته نل على اوراق مفكرته، معبرا عن حبه وألمه وتطلّعاته وأحداث يومه، وقد استخدم ريشة وحبرا عصره من الأماليد والاوراق والطين. والعقوبة الملازمة لكتابة المذكرات لم تكن اقل من الضرب المبرّح. لذلك خبأ ويلر مفكرته بين اوراقه الطبية التي سمح بها السجانون. وأعانته المفكرة وحبه لزوجته على البقاء، كما اعاناه على خدمة مئات الأسرى الذين وُضعوا في رعايته الطبية.

تلك الليلة من العام ١٩٤٣ كان بن ويلر في الثانية والثلاثين، وهو رقيق الكلام وذو عينين رماديتين حادقتي النظر وشعر بني مائل قليلا الى الوراء. وكان طوله ١٧٩ سنتيمترا ووزنه الطبيعي ٧٢ كيلوغراما قبل ان يصيبه الهزال على غرار زملائه في ذلك السجن القاسي.

وكان ويلر الكندي الوحيد في تايهوكو بين مئات الانكليز والايرلنديين والاسكوتلنديين والهنود والاوستراليين. وفي العام ١٩٣٦ حملته الأزمة الاقتصادية الى انكلترا مع

زوجته الحبلى. وكان تخرّج لتوّه في جامعة البرتا، وليس لديه اي مبلغ من المال ليفتح عيادة طبية. وهناك وُظف في اللجنة الطبية التابعة للهند. وفي لندن راح يدرس ١٨ ساعة يوميا لانهاء دورة قصيرة مكثفة في الطب الاستوائي، ذهب بعدها الى الهند في بداية العام ١٩٣٧.

وتبعته نل مع بكرهما هاري المولود حديثا. وكانت شقراء ناحلة ذات عينين زرقاوين وطبع مَرِح، الأمر الذي بعث الحبور في نفوس مواطنيهم هناك. والى حين، بدت الحياة طيبة في مجمّع الموظفين الأجانب بالقرب من المستشفى العسكري الهندي في كراتشي. وولد لآل ويلر ابنان اخران سمياهما كينيث وألان. وأسوة بسائر الضباط في ايام الامبراطورية البريطانية الاخيرة، أعطي آل ويلر منزلا مليئا بالأثاث والخدم. ومع اندلاع الحرب الثانية عام ١٩٣٩ بدا غريبا ان يكون المرء في ذلك المكان القصيّ.

وشهد العام ١٩٤١ نهاية الحياة الهانئة. وفي مارس (آذار) من ذلك العام أبحر ويلر مع فرقة عسكرية بريطانية الى كوالمبور (ماليزيا) فيما استعدت نل للعودة الى كندا مع اطفالها الثلاثة. وفي ٧ ديسمبر (كانون الاول) اعلن اليابانيون الحرب على الحلفاء، وبدأوها بهجوم على قاعدة بيرل هاربور الامريكية في هاواي. وتابع العدو زحفه طوال الشتاء والربيع حتى استولى على الفيليبين والملايو وهونغ كونغ وجزيرتي ويك وغوام. وظن البريطانيون ان سنغافورة، بمدافعها القوية الموجهة الى البحر استعدادا لصد اي هجوم، غير قابلة للاختراق. غير ان اليابانيين تسللوا من الوراء وسحقوا اعداءهم في ايام. وكان ذلك بعد اسبوعين من وصول ويلر الى هناك.

١٣ فبراير (شباط) ١٩٤٢.

اليابانيون يطبقون علينا على هيئة نصف دائرة حول المرفأ الرئيسي، وهم يطلقون النار في كل اتجاه، خصوصا في الليل. وفي النهار ترتفع حجب الدخان الكثيفة من القاعدة البحرية المحترقة، وما تلبث ان تخيم على الجزيرة.

حاول ويلر مع صديقين الهرب بواسطة قارب مسروق. وقبل ان يبلغا الماء قُتل احد الصديقين وأُصيب الآخر في ذراعه، لكن ذلك لم يثنه عن النزول الى الماء. وحاول مع ويلر الانطلاق باحد القوارب، الا ان حركة الريح والماء عاكستهما. وزحفا باكتئاب الى الشاطىء استعدادا للاستسلام.

كان الخوف يملأ المكان، والغـزاة ينطلقون من قرية الى اخرى ويقطعون رؤوس المسؤولين الصينيين الكبار ويعلقونها على أعمدة في الساحات العامة لتكون أمثولة للناجين. وفي سنغافورة اقتحمت القوات اليابانية مستشفى وطعنت بالحراب نحو مئتي مريض وموظف، وادّعت بعد ذلك انها كانت تدافع عن نفسها على اثر التعرض للنار من ذلك المبنى.

١٦ فبراير (شباط) ١٩٤٢.

الاضطراب يجرّ الاضطراب. ويظهر

امامنا اليابانيون، للمرة الاولى، بأجسامهم الصغيرة القذرة وسيقانهم القصيرة، وقد حمل كل ضابط منهم سيفا بطوله. ومن العسير ان يتصور المرء كيف امكنهم ان يغلبونا بهذه الجدارة والرشاقة.

احيانا كان بن يهيجه الشوق الى نل، فينظر عبر القناة الضيقة الى البر وهو يفكر في امكان عبورها ليلا. وبدت السباحة الى الضفة الاخرى ممكنة، لكن أدغالا واسعة كانت تقوم وراء الضفة على امتداد الفي كيلومتر. وتخلى بن عن تلك الفكرة، عاقدا العزم على اقصاء نل قليلا عن خياله.

٢٠ أبريل (نيسان) ١٩٤٢.

ماذا سيحل ببعضنا قبل نهاية هذه المأساة. اني، من ناحيتي، اتوقع اسوأ العواقب. ولكن لا جدوى من البكاء على ذلك... ترى ما الذي تفعله نل الآن؟

منذ ذلك الحين كثر ذكر نل في تلك المفكرة. وما لبث بن ان انتقل الى مخاطبتها على نحو مباشر. وغالبا ما كان يراها في احلامه. وفي يونيو (حزيران) سُمح لكل اسير بأن يرسل بطاقة بريدية واحدة الى بلده. وكتب بن: «يا نل الحبيبة! انهم يعاملونني كأسير حرب. لكني في صحة ممتازة وغير مصاب بجروح. بلّغي العائلة اطيب تحياتي، ولكِ ولاولادنا الثلاثة قبلاتي. مع حبي كله الى الأبد. بن.»

وتوقع ان تبلغها البطاقة مع عيد الميلاد. غير ان وصولها استغرق سنة كاملة.

رحلة في مركب قطيع

كان بن ويلر ونل بوزي في الثانية عشرة عندما تم لقاؤهما الاول في ادغرتون التي تبعد ٢٤٦ كيلومترا عن ادمونتون. وكانت هي من عائلة كبيرة وسعيدة وغنية، تعمل في الزراعة. اما ابوه الذي اعتاد التنقل من مكان الى آخر، فكان يبدّل عمله كلما بدّل اقامته. لكن والدته كانت معلمة وغرست لديه حب العلم. وادرك بن منذ حداثته انه يريد ان يصبح طبيبا.

وقد صادفته نل خلال زيارتها ابن عمها المقعد فيليب الذي كان على وشك الوفاة من علة في القلب. وقال لها فيليب وهو يقدّم بن: «ان لديّ صديقا مخلصا حقا، هو هذا الذي ترينه امامكِ.» ونظرت نل، فرأت بن في الخارج امام النافذة ومعه جواد فيليب الذي كان يعتني به وقد حمله اليه كي يراه.

ومنذ ذلك الحين نشأت صداقة بين بن ونل، وظل قريبا منها ما استطاع الى ذلك سبيلا. وكان، خلال فرص الصيف في مرحلة دراسته الثانوية، يعمل في مزرعة ذويها. وعندما احتاج الى المال لدخول الجامعة اقنعت عما لها باعطائه قرضا.

وفي العام ١٩٣٢ وجد بن ونل، وقد بلغا الحادية والعشرين، انه لم يعد في استطاعتهما الانتظار. وفي يوم ماطر من يوليو (تموز) استعارا سيارة وذهبا بها مسافة ٩٥ كيلومترا شمالا الى لويدمنستر حيث تزوجا سرا. وعاشا منفصلين طوال السنوات الثلاث اللاحقة، ولم يجتمعا الا في نهاية كل اسبوع.

وبعد تخرجه في الطب تدرّب في

مستشفى جامعة البرتا. وبعد ذلك تبعا الطريق التي قادته الى فورموزا.

٢٧ سبتمبر (ايلول) ١٩٤٢.

اليوم عيد ميلاد حبيبتي الـ ٣٢. آهٍ لو كان لي ان اكون معها... ولكن كيف لي الا انتف شعري والعن الاقدار حين افكر في هذا الوقت المهدر من حياتنا، وهو افضل الاوقات؟ اني محظوظ حقا بطبيعتي السهلة. ولكن ليس من السهل ان يبقى المرء هكذا، وهو ينظر الى الشهر ينقضي بعد الشهر ولا نهاية في الافق.

البارحة نظفت صور حبيبتي واولادي من الغبار اكراما لعيد نل.

ترى كم من الوقت سننتظر بعد؟

طويلا وسيئا سوف يكون الانتظار.

وفي شهر اكتوبر (تشرين الاول) من تلك السنة اقتيد يلر مع ١١٠٠ جندي بريطاني تابعين للفرقة الهندية الحادية عشرة الى مركب لنقل الماشية، حيث حُشروا في عنابره البالية التي تتصاعد منها روائح الرَّوث. ولم يكن المكان كافيا لكل منهم كي يستلقي على الارض. وظل المطر ينهمر يوما بعد يوم وبليت ملابسهم من الماء. وصادر اليابانيون احزمة النجاة منهم وحظروا الموسيقى والغناء، ولم يسمحوا لهم سوى مرات قليلة بالصعود الى سطح المركب. وكان طعامهم اربعة ليترات من الحساء ودلوا من الرز مرتين في اليوم لعشرين رجلا.

ولبثوا ثلاثة اسابيع في العنابر وسط حرّ شديد. وكان يقضي منهم واحد كل يوم او اثنين بفعل داء الديزنطاريا الذي يصيب الأمعاء. واستشرى الاسهال بينهم. ولم يكن في العنابر مراحيض او اوعية من اي نوع. واضطر بعضهم الى الصعود عشرين مرة يوميا لتفريغ محتويات امعائه. وحاول ويلر ان يساعدهم ما استطاع.

١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٢.

انه يوم جمعة. وغدا ننزل الى اليابسة. البارحة مات زميلنا الذي اصابته حمى التيفوئيد، ودفناه في البحر. وهناك واحد فقط قد لا يصمد حتى الصباح. وانا احاول انقاذه بشتى الوسائل. وهذا يمنحني اسوأ شعور يمكن ان يختبره انسان... آه يا نل الحبيبة، اني اتساءل، للمرة الاولى، هل سأراكِ؟

أنزل القارب مراسيه في فورموزا تحت المطر الغزير. وبعد مسيرة خمسة كيلومترات الى مخيم تايهوكو راح اليابانيون ينخسون الأسرى ويصرخون فيهم ليخلعوا ثيابهم وسط الريح الباردة. ثم رشوهم بعقاقير ضد الالتهاب واعطوهم ملابسهم المبللة من جديد، مع قباقيب من خشب. وواظب ويلر على لبس قبقابه طوال السنوات الثلاث التالية. وأمكنه ان يخبىء مفكرته ويضيف اليها.

وكانت اكواخ السجن، التي يؤوي الواحد منها ثمانين رجلا، مبنية بالطين والخيزران، وهي غير مستورة عند قواعدها وزواياها، وقد جُعلت لها ابواب ونوافذ ملبَّسة بالقَصَب. وكانت الريح تقتحمها من

غير شفقة. وأُعطي كل رجل اربع ملاءات رقيقة، مع منصّة للنوم طولها ١٨٠ سنتيمترا وعرضها ٦٠ سنتيمترا.

وفرض على المخيم نظام صارم. وكلما قابل الأسير حارسا تعين عليه الانحناء له. وكل انحناءة غير متقنة كانت تستوجب الضرب واللكم على الفور. وكلما بُدل الحراس كل ثلاثة اسابيع رافقت ذلك موجة جديدة من الضرب حتى تبين ان تبديل الحراس لا يحمل جديدا. وامضى احد الحراس معظم الصباح وهو يضرب الاسرى الذين لم يرقه انحناؤهم. وخلع سنّ احدهم نتيجة ذلك.

٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٢.

حراب برّاقة وحرّاس يصرخون ورجال يسامون الضرب والهوان... ولكن لماذا؟

اني منهمك جدا. فنصف الاسرى اصابه الاسهال والتهاب الحلق. لكن العمل يبعد الافكار المقلقة. وهذا وصف لأحد الأرقام:

٦،٣٠ صباحا: الدعوة بالبوق. تسوية الاسرة. غسل الوجوه.

٧،٠٠ صباحا: عَد الرؤوس خلال نصف ساعة. تحية الضابط الآمر مرتين، ثم تحية القصر الامبراطوري.

٧،٣٠ صباحا: الفطور: الرز المسلوق والشعير والاوراق الخضراء المغلية والخضر.

٨،٠٠ صباحا: الخروج الى العمل. انا شخصيا اذهب الى المستشفى لمعاينة المرضى حتى الظهر.

١٢،٣٠ بعد الظهر: الغداء مثل الفطور.

١،٣٠ بعد الظهر: العودة الى المستشفى وعيادة المرضى في الثكنات.

٦،٠٠ مساء: العشاء مثل الفطور.

٦،٣٠ مساء: عَدّ الرؤوس. الوقوف بين نصف ساعة وساعة مع الانحناء. الذهاب بعد ذلك الى المستشفى.

٨،٣٠ ليلا: إطفاء انوار المخيم.

الحراس يتدفقون الى المخيم طوال الليل. وفي الخارج تبقى الانوار مضاءة. ولكن من الصعب ان ينام المرء بملء اجفانه، خصوصا فوق فراش من قصب. اما الضرب فهو من القوة بحيث نجونا من كسر الاطراف حتى الآن بنعمة الله. والحق اني امقت الانحناء اكثر من اي شيء آخر.

لا بد من ان تكون ادغرتون الصغيرة جميلة جدا اليوم. ولكم يعلمنا الأسر ان الحرية هي اكبر نعمة واكبر معنى للوجود.

لم يكن المستشفى سوى كوخ خالٍ من الادويةِ والتجهيزات. وكان نحو عشرين رجلا يحملون اليه يوميا فيما ينتظر نحو مئة خارجا. وقد أخذ بعضهم يفقد الحس في يديه وقدميه، وهذا من اعراض داء «البري بري» الناجم عن نقص الفيتامين «ب» من الطعام. وأصيب بعضهم بالتهاب في مشط القدم، وهو مرض عظمي يحرق القدم.

وأصيب معظم الرجال باسهال قوي. واستشرى التهاب الحلق في المخيَّم. ولم يكن ثمة دواء مضاد للتسمم. غير ان ويلر ومعاونيه مسحوا حلوق جميع زملائهم الأسرى باليود. ولم يقض سوى خمسة مرضى من اصل ثلاثين. وأصيب عشرات

الرجال بالاستسقاء الناجم عن الجوع الشديد والمتجلي في انتفاخ الاطراف والبطن. وتمكن ويلر من شفاء بعضهم بسحب السائل الفائض بابرة، وهي عملية موجعة جدا. ومات معظم مرضى الاستسقاء.

وفي غياب طبيب اسنان، اضطر ويلر من وقت الى آخر الى قلع الأضراس. وكانت عدته كلابا وقد استخدم الماء المقطر مكان البنج. وبعد عشر دقائق من حقن اللثة بالماء كان ويلر يسأل المريض: «أتحس شيئا؟» وغالبا ما كان المريض يقول: «كلا.» فيتابع عمله.

٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٢.

أتساءل عن سني الحقيقية. والواقع اني كبرت كثيرا من الناحية الذهنية... آهٍ يا نل، سيأتي يوم لقائنا. انتِ دائما في افكاري، واني محظوظ إذ احيا على امل العودة اليكِ. صلي الى الله لئلا افقد عقلي وسط هذه الظروف. لا، لن افقد عقلي. وهذا امر لا اطيقه.

لم تفقد نل الرجاء والصبر. وبعد سنين تذكرت تلك الايام قائلة: «لقد كان زواجنا قويا جدا.» لكن الواقع كان قاسيا عليها.

وفي أدغرتون كان ابوها اشترى لها المنزل الذي ملكته عائلة بن يوما. ولم تَخْلُ اي زاوية في كندا من آثار الحرب. فالشباب يجندون بالمئات وحفلات الوداع تنفطر لها الاكباد. وبدا للنساء انهن يلدن الاطفال لبريطانيا او اوروبا، وليس لهنّ.

غير ان الرجال الذين ذهبوا الى الشرق الاقصى باتوا طيّ النسيان، الا في افكار عائلاتهم. ونظر معظم الكنديين الى الحرب كما لو كانت حرب الولايات المتحدة. وشقّ على نل ان تتصور اين يمكن ان يكون بن، وهل هو حي.

وكانت تأتيها اعاشة شهرية ضئيلة من الحكومة البريطانية. ثم أجّرت غرفة في منزلها للمدرّسة اديث ماكروبيرتس التي غدت مثل فرد من العائلة. وباتت كل منهما تذهب الى مكتب البريد لتسلّم الرسائل. الا ان معظم الرسائل الواردة من آسيا كانت رسائل نل الى زوجها وقد أعيدت غير مفضوضة. واحيانا كانت اديث تذرف الدمع لمحنة صديقتها. لكن نل لم تيأس البتة.

كم أحبكِ!

كان افضل الا تعرف نل شيئا عن عذاب بن. وما لبث الحراس يعاملون الأسرى اسوأ معاملة، ولا يُظهرون لهم العطف إلا لماما. وفي مطلع ديسمبر (كانون الاول) سمحوا لهم بارسال بطاقة بريدية اخرى الى عائلاتهم. ويوم عيد الميلاد وزّعوا عليهم السجائر واتاحوا للعاملين بينهم ان يستريحوا فترة بعد الظهر. كانوا يعملون في اقامة الطرق واشغال البناء الاخرى تسعة ايام من أصل عشرة.

وكان الفطور والغداء يوم الميلاد كمية الرز والخضر العادية. غير ان العشاء كان متميزا جدا بحسب مقاييس تايهوكو، اذ أعطي كل رجل قطعة لحم. وفكر ويلر

طويلا في بيته، وتصور اولاده يفتحون الهدايا، ووعد نل ان يكون معها في عيد الميلاد التالي.

وفجأة عاد سجن تايهوكو الى سابق عهده. ووُضع عشرون مريضا في غرفة معَدَّة لستة. وكان ويلر يتفقدهم بالزحف بين الأسرَّة. ومنعت كل تسلية في المخيم. وأرغم المرضى الذين لم تستوجب احوالهم العلاج الفوري في المستشفى، على التمرين اليومي والعمل.

وكانت الاوامر على الدوام تُعطي بنبرة قوية، ويلازمها الصفع والضرب. وادرك ويلر آسفا دوافع سلوك اليابانيين. فهم كانوا ينظرون الى الاسرى البريطانيين على انهم من مرتبة دون البشر. ذلك انهم، بدلا من المحاربة حتى الموت او بقر بطونهم تخلصا من عار السجن، اتاحوا لليابانيين ان يقبضوا عليهم. غير ان ادراك ويلر حقيقة الامر لم يخفف المه او آلام زملائه. وكل ما فعله انه قوّى عزيمته وزاد قدرته على التحمل.

٢٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٣.

مهما فعلوا، فهم لن يعطلوا تفكيري في وطني وفي حبيبتي التي اقطع آلاف الكيلومترات لكي اصل اليها... آه يا نل، كم أُحبكِ! لا تصدّقي انه يمكن ان نبقى منفصلين هكذا.

بعدما وضعت الحرب اوزارها قال السجين ماكنزي في زميله ويلر: «كان بن متيَّما بحب زوجته، الامر الذي منحه القدرة على الاحتمال. وكان لديه ايمان قوي، واستطاع ان ينقله الى الآخرين. واذا كان احد رفقاء الأسر يعاني الضيق، فيكفي ان يمكث بن معه بضع ساعات ويحدثه حتى يزول كَرْبه. وكان يعالج المرضى ولا دواء في حوزته، واستطاع شفاء الكثير منهم، لكنه بذل نفسه من اجل ذلك.»

ونقص وزن ويلر كثيرا حتى اصبح ٥٤ كيلوغراما. واصابه مرض العظم الذي يحدث حريقا في القدمين، كما عانى نقص الفيتامين «ب» كالآخرين. واحيانا كان يحاول الاستسلام للنوم، ولكن من غير طائل، وارغمه الاسهال على الذهاب الى المرحاض ست مرات نهارا ومرتين على الاقل ليلا. لكنه نادرا ما انقطع يوما عن عيادة مرضاه. وكان قد مرّ عام على اسْره.

١٥ فبراير (شباط) ١٩٤٣.

انها الذكرى الاولى لأسرنا... وقانا الله مجيء الذكرى الثانية ونحن هنا. اني افكر فيكِ اليوم اكثر من اي وقت مضى. يا نل العزيزة، آه لو كان لي ان احصل على سطر واحد منكِ.

الحرية... لكم كانت خارج الفكر عندما كانت لنا. اما اليوم فهي في افكارنا على الدوام. الحرية؟ ان تذهب حيثما شئت وتقول ما تريد وتخرج من غير ان تنحني أو تُصْفَع وتذهب الى النوم كما تشاء وتتناول طعاما كافيا وصالحا.

الا ان سنة كاملة من فقدان الحرية مرت على حياتي وانا لا ازال جسدا واحدا وعقلا واحدا. واظن ان نصف وقت اسْرنا

انقضى. لكنها كانت اسوأ سنة واطولها في حياتي.

الحق ان المدة التي امضاها ويلر اسيرا كانت اقل من نصف المدة الاجمالية. غير ان الحراس، في اواخر شتاء ١٩٤٣، هجروا على نحو مفاجىء وشبه تام اللجوء الى الضرب. ايعقل ان تكون اليابان عانت خسائر في الحرب؟

اجل، لقد حصل هذا الامر. ففي شهر فبراير (شباط) سقطت غوادالقنال في جزر سليمان في ايدي الجنود الامريكيين بعد ستة اشهر من الحرب وسط الادغال.

ولكن كيف لاسرى تايهوكو ان يعرفوا ذلك؟ فالصحف الوحيدة التي كانت تقع بين ايديهم احيانا هي صحف اليابان الصادرة بالانكليزية والتي تملأها الدعايات بحيث لا يستطيع المرء ان يقرأ بين السطور.

غير ان الحياة باتت اكثر احتمالا حين لجأ جورج هاريسون، فنان المخيم ومعاون ويلر الطبي، الى صنع ضروب الحبر الملوّن، مستخدما الطين والفحم والحشرات والعشب والزهر، فبات يستعمله الأسرى لكتابة رسائلهم الى ذويهم.

اول مارس (آذار) ١٩٤٣.

اسمعي يا نل! حين أعود الى الحرية لن تعرفي كيف تملأين الوقت كي ترضيني. إن أضحك شيء، ولكن اكثره اسعادا، في هذا المخيم هو أن المرء لا يعاف اكل الرز. واني متأكد من ان هناك اطعمة يستطيع المرء الاقتصار عليها. غير اني مشتاق الى بعض الطعام الحقيقي: الى اللحم والدهن والحليب والخبز. لكننا، منذ رأس السنة، لم نذق طعم اللحم.

لقد فقست بيوض البط في المخيم. لكن ٢٨ فرخا نفقت من اصل مئة فرخ. ربما كان البط لا يستطيع العيش على الرز.

حين تسلم ويلر حصته الاولى من معونة الصليب الاحمر سجل محتوياتها بالتفصيل: علبتان صغيرتان من السكر، علبة جبن صغيرة، ١١٠ غرامات من الشوكولاته، ٢٢٥ غراما من الزبدة النباتية، علبة حليب مجفف، علبة عصير، ٢٢٥ غراما من اللحم المعلّب، خضر ولحوم معلّبة، ٢٢٥ غراما من شرائح البيكون، علبة بندورة (طماطم)، علبة رز محلّى. وارتأى ويلر الاقتصاد في استهلاكها، لكنه لم يستطع لجم شهيته عن الشوكولاتة التي تناولها دفعة واحدة فانقلبت امعاؤه.

٢٢ مارس (آذار) ١٩٤٣.

يمكن ان يكون حدث الكثير في الايام الخمسة والاربعين الاخيرة. لكن النهاية لا تزال غامضة، وقد بات التفاؤل والابتسام اصعب من قبل... اني اريد العودة الى البيت، الى حبيبتي نل.

باشرت نل العزف على البيانو مع فرقة موسيقية اربع امسيات اسبوعيا تخفيفا لوحشتها وطلبا للمال. وكانت، اذ تنظر الى الراقصين والراقصات في القاعدة الفسيحة، تحاول الا تحسدهم على سعادتهم.

واستمدت نل قوّتها من ابنائها الثلاثة. وما برحت تحدثهم عن ابيهم كل يوم وتبقي سيرته حية في اذهانهم. واخيرا، في فبراير (شباط) ١٩٤٣، بلغتها رسالة من لندن عبر وزارة الدفاع جاء فيها: «ثبت ان الميجور بن ويلر، الذي يحمل الرقم م ز / ١٥٩٤١، سقط اسيرا في ايدي اليابانيين.»

وبعد ذلك وصلت بطاقة بن الاولى، وذلك في ٧ يونيو (حزيران). وكشفت لغتها المتكلفة انها كتبت على مرأى من العدو. لكن التوقيع كان واضحاً تماماً. ولم تعرف نل عن عنوانه اكثر من كونه «مخيم الملايو». وراحت ترسل اليه الرزَم البريدية التي ضاعت كلها في مكان مجهول.

الطعام، الطعام، الطعام،

في تايهوكو مرّت الايام على وتيرة واحدة. وأطلقت على الحراس اسماء مستعارة كشفت عن شخصياتهم: «وجه القمر»، مثلا، كان لطيفا على العموم، في حين كان «تروتسكي» رديئاً. ومرة ارتأى احد الآمرين ان يوثق ايدي مرضى الديزنطاريا علامة على مرضهم. ولدى نقله الى مخيم آخر القى خطبة وداع في الأسرى الستمئة، ثم قدّم اليهم بطتين علامة على كرم الامبراطور.

عقب ذلك سمح الحراس للأسرى بان يعزفوا على الآلات الموسيقية ساعتين كل مساء، كما اتاحوا لهم إحياء حفلة موسيقية يوم الفصح. وبعد يومين وضعوا ثمانية اسرى في السجن الانفرادي عقابا على مخالفات تافهة، وحظّروا التدخين في المخيم طوال الايام الاربعة التالية.

٦ مايو (ايار) ١٩٤٣.

كان طابور المرضى اليوم اطول من المعتاد. لكن امراضهم كانت حقيقية، والبعض منهم عانى كثيراً. وتقدم مني وكيل العريف المسؤول عنهم وصرخ فيّ وقد ابيض وجهه غضباً، كما لو كنت سبباً لمحنتهم. ثم اوقفهم في صف طويل وراح يزعق باليابانية ويضربهم واحداً واحداً. واختار احد الذين بلاهم المرض الشديد، وهو يعاني آلاما في جهازه الهضمي، وانهال عليه ضرباً حتى انهار. وابقي الأسرى في شمس الظهيرة من غير قبعات.

هرع الرجال بعضهم الى بعض وقد استمد احدهم قوّته من الآخر واكتشف لديه بأساً لم يختبره من قبل. وفي ايام العطل كانوا يحلقون ذقونهم بموسى جماعية صممت اصلا لسلخ جلود الحيوانات.

وكان اليابانيون ينقصون طعام المرضى بمقدار الثلث، بحجة ان المريض لا يستحق كمية طعام كاملة لأنه لا يعمل. لكن الأسرى الآخرين كانوا يهرّبون الطعام خلسة الى زملائهم المرضى.

ويتذكر جاك ادواردز، وهو رقيب في فرقة الرموز من مقاطعة ويلز البريطانية اصلا، تلك الايام بالآتي: «كنا نشترك في كل شيء - الدواء والغذاء وحتى القبور... انه المجتمع الاشتراكي المثالي اذا شئت ان تدعوه هكذا. ولم يكن هناك اي كلام عن النساء او حاجة اليهنّ. فالدافع الجنسي ذوى قبل وقت طويل. والمهم لدينا بات الطعام، ثم الطعام، ثم الطعام، والامل في البقاء.»

٥ يوليو (تموز) ١٩٤٣.

هل تفكرين معي يوم ذهبنا الى لويدمنستر قبل احدى عشرة سنة؟ هل تتذكرين الامطار والوحول والهموم؟، لا، لم يكن يوما مثاليا لحفلة زفاف. ولكن لا يمكن ان تجدي زوجين اسعد منا اذا تسنى لنا ان نكون معا. لقد بتّ احبكِ اكثر، وصرتِ تملأين حياتي على مر الايام، حتى في هذا المكان النائي. واني لا افكر في الحرية والحياة ولا في اي شيء آخر الا من خلالكِ.

تسرّب المزيد من الانباء الى المخيم. ومنها ان ديكتاتور ايطاليا، بنيتو موسوليني، أرغم على مغادرة قصره (صحيح)، وان هتلر قُتل (خطأ)، وان روسيا دخلت معركة ضد اليابان (خطأ)، وان الولايات المتحدة استعادت الجزر الأليوشية (صحيح)، وان ضابطا بحريا يابانيا رفيع المستوى قُتل (صحيح) وهو الاميرال ايزوروكو ياماموتو آمر الأسطول الياباني المشترك الذي اطلقت الطائرات الامريكية المحاربة النار على طائرة كانت تنقله.

غير ان الأسرى لم يستطيعوا تمييز الحق من الباطل. ولم يتأكد ويلر إلا من امر واحد، وهو نقله فجأة مع ١٢٠ سجينا الى مخيم آخر في فورموزا، اسمه كيناكازيكي.

المبضَع المسنون

١٠ اغسطس (آب) ١٩٤٣.

اوقظنا في الرابعة فجرا واوقفنا في الطابور، مع صراخ كثير، في السادسة صباحا. وأعطيت امتعة تزن ١٨ كيلوغراما لحملها. وبعدما ودعنا الزملاء الذين بقوا هناك، قطعنا مسافة خمسة كيلومترات على الأقدام، ثم ركبنا قطارا اوصلنا الى المحطة المقصودة ظهرا. وبعد ذلك تسلقنا مسافة عشرة كيلومترات وعرة. ولن انسى ابدا تلك الرحلة التي لم نسترح خلالها اكثر من خمس دقائق والتي رحت اتعثر في مرحلتها الاخيرة.

ولئن يكن سجن تايهوكو سيئا، فالسجن الآخر كان كابوسا. وهو يقوم على جانب تلة صخرية، وقد تلاصقت اكواخه الخشبية بعضها ببعض واحاطها سياج من آجر. وكان الأسرى ينامون على الواح عارية بعرض ٤٥ سنتيمترا. وتسرّب القمل الى ثياب معظمهم.

وطوال اشهر المطر الاربعة او الخمسة كانت ملابسهم مبللة على الدوام. وغدا سَدّ الثغرات في الأكواخ ضربا من الفن. وابتكر احد الأسرى، وهو الكابتن مايك براون، طريقة دقيقة لتصريف الماء، مستخدما انابيب من خيزران. لكن الجرذان كانت تقضمها ليلا، فيعود المطر الى الداخل كما كان. وقد سرحت الجرذان في كل ناحية واتت على كل شيء، بما في ذلك الصابون وفلين القوارير والثياب الملطخة بالدم.

ومع هزال الوافدين الى كينكازيكي، فقد لوّحتهم الشمس التي تعرّضوا لها من جراء اشغالهم الشاقة في تايهوكو. وبدا مرضاهم اشبه بالموتى السائرين فوق الأرض. اما قاتلهم الفعلي فكان منجم النحاس الذي أجبر القادرون بينهم على العمل اليومي فيه. وكان بلوغ قاع المنجم

يعني النزول ١٧٣٠ درجة منحرفة، ثم تسلقها بعد نهاية العمل. ولدى وصولهم الى تحت كانوا يحملون مصابيح الكربيد التي تخفت بسبب قلة الاوكسيجين. واحيانا كان بعضهم يهوي عشرة امتار ويصطدم بصخرة. وكثيرا ما حُملت الاجساد المكسورة على ملاءات لعدم توافر الحمّالات.

والذين لم تصبهم الجروح أُصيبوا بالتهابات في الشعَب الصدرية وتبقعت جلودهم بفعل كبريتات النحاس الناجمة عن تفاعل الماء بالمعدن الخام. وكلما انحدر المنجم عسر نقل النحاس الى فوق. ولكن لم يكن للأسرى مهرب من تأمين العمل اليومي وإلا ضُربوا بالمطارق. وأُصيبت اقدامهم بآلام لم تبرأ بعد ذلك الحين.

وكان الكابتن بيتر سيد، وهو طبيب ايضا، نقُل من قبل الى كينكازيكي. ولما رأى ويلر رحب به كثيرا واعترف بتفوُّقه عليه في الجراحة. ولدى وصول بن صادر الحراس اوراقه الطبية جميعا، بما فيها يومياته. ومن حسن حظه انه ضمّن اليوميات ملاحظات طبية مستفيضة بحيث لم يستطع الحراس - وجلهم يجهل الانكليزية - قراءتها. واخيراً اعادوها كلها اليه.

وعلى عادته في تايهوكو، لم يتوقف ويلر عن كتابة رسائل احتجاج مهذّبة الى آمر السجن، واصفا فيها الأحوال السيئة التي يعمل فيها، وليس له شيء من العقاقير والمعدّات الطبية اللازمة. واغاظت تلك الرسائل المسؤولين في السجن وقال احدهم انه سيقطع رأس ذلك الطبيب الوقح.

وكان مفتش طبي ياباني يرتاد السجن من حين الى آخر لمراقبة عمل الأطباء الاسرى. واضطر ويلر وزميله سيد الى العمل بشروط المفتشين الجهلاء الذين اتخذوا من الجروح مقياسا وحيدا للمرض. وهكذا اضطر الطبيبان الأسيران الى جرح بعض المرضى لئلا يؤخَذوا عنوة الى العمل.

واخيرا اقنع ويلر اسياده باعطائه سبعين بطاقة بيضاء، على عدد المرضى الذين ينبغي اعفاؤهم من العمل، وخمس بطاقات حمراء، على عدد الذين يجب ادخالهم المستشفى. وهذا يعني تسليم اليابانيين بأن مئة اسير يمكن ان يمرضوا في وقت واحد. ولدى اصابة عدد اكبر بالمرض، كان ويلر وسيد يعمدان الى اخلاء المرضى السابقين الذين تحسنت حالهم قليلا من اجل ادخال المرضى الجدد. وكان المصابون بالاسهال والحمى يُخْرَجون بعد يوم او اثنين من معالجتهم. اما الجرحى فلم يكن هناك وقت لابرائهم نهائيا.

ومن اجل البقاء على صلة بالعالم الخارجي، ابتكر ادواردز خدمة صحافية طوّع لها عددا من العاملين في المنجم. وكانوا خلال النهار يختلسون قصاصات الصحف اليابانية ويعودون بها ليلا الى المخيم، حيث كانوا يفكون رموزها بمساعدة قاموس ياباني - انكليزي استولوا عليه. وكانوا احيانا يضيفون الى ترجماتهم خرائط تُظهر تقدم القوات الحليفة في المحيط الهادىء والبحر الابيض المتوسط.

ويقول ادواردز: «لقد رفع ذلك العمل معنوياتي. ولا بد للمرء من الصراع للبقاء. هكذا فعل الميجور بن ويلر الذي ضمن

استمراره من يوم الى يوم عبر محاولته شفاء امراضنا. اما انا فلجأت الى نشر الأنباء.»
واحيانا كانت اخبار ادواردز مفتقرة الى الدقة او قديمة جداً، لكنها ساعدت الأسرى في الصمود.

٢٣ اغسطس (آب) ١٩٤٣.
توفي زميل آخر ـ سميث، الذي قضى عليه البري بري والارهاق النفسي. لقد استسلم للموت، ولا يمكن لومه. وبدا، وهو في السابعة والثلاثين، كأنه في السابعة والستين بعدما استنفدت طاقته وابيض شعره.

ومما قاله سيد في زميله ويلر بعد الحرب: «لم يقل بن عن اي مشكلة انها مستحيلة. وكان يصر على وجود جواب عن كل سؤال، ويظل قلقا حتى يجد ذلك الجواب.»

وأصيب احدهم بالقروح في انحاء جسمه. وغطاها ويلر بنبات الأشنة الذي جمعه بالقرب من المخيم وهو يقول: «لا بد من ان ينطوي هذا النبات على بعض اليود والحديد.» وزالت القروح فعلا. وظهر الحزاز على ارجل كثيرين، حاملا معه خطر التضخم واستئصال الساق. لكن ويلر اسرع الى معالجة المصابين عبر سفع سيقانهم بقضيب محمى. وشفى العديد منهم.

واسفرت ذات الرئة لدى اسير عن تجمّع القيح في تجويفه الصدري. وفتح ويلر حزا صغيرا في صدره. مستخدما شفرة ولكن من غير بنج، ثم صفى القيح خارجا عبر انبوب صنعه من عجلة دراجة قديمة. وبرىء المريض.

وجيء بأسير آخر سقط على صخرة، واسمه دوهيرتي ـ وقد شُلَّ نصفه الأسفل. ووضعه ويلر فوق سرير رملي اقامه بعض الأسرى البارعين. وبعد ذلك طلب من بعض المرضى تدليك رجلي دوهيرتي يوميا لابقاء عضلاته حيّة.

ويتذكر احدهم: «جلسنا هناك ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم ندلّك رجلي ذلك الرجل، حتى جاء يوم تحرّكت اصبع في قدمه. ووجدت نفسي على وشك البكاء من الفرح.»

وابتكر ويلر دراجة للتمارين الرياضية، صنعها من هيكل خشبي مع مقعد وجعل لها لوحا عن كل جانب مكان الدواستين. وراح دوهيرتي يحرّك «الدوّاستين» يوميا الى ان تمكن من الوقوف على قدميه والمشي.

١٣ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٣.
الحادثان الاخيران حملا اليّ رجلين كسرت جمجمة كل منهما. وكان كسر احداهما اكبر من كسر الاخرى. وتعين علينا ازاحة العظم ٣٨ مليمترا للوصول الى الدماغ. وعلى رغم بدائية اساليبنا فقد زال الخطر عن المريض بعد يومين.

والواقع ان الجرّاح يخشى معالجة هذه الحالات حتى في ظروف عادية. ولكن يبدو ان الضيق منحنا الشدة. ولا اخاف القول انه بات من الصعب ان يخيفني شيء بعد الآن.

الادوات الوحيدة التي استخدمها ويلر آنذاك كانت شفرة حلاقة وكلاّب اسنان. وكالعادة، أجرى الجراحة من غير بنج.

وكان كل يوم جديد يحمل المزيد من المرضى الذين اتى عليهم الضرب والقذارة الجسدية الى باب المستشفى، وهم يأملون في الحصول على بطاقة بيضاء او حمراء. وتذكر ويلر دوره في ما بعد على النحو الآتي: «كان عليّ ان اتصرّف كما لو كنتُ معصوما عن الخطأ، الأمر الذي امقته كثيرا.»

وتكرر مشهد الذهاب الى المقبرة كل اسبوعين وقد لُفّت الجثة بملاءة. واكراما للميت، حافظ اليابانيون على عاداتهم في الدفن، فكانوا يحملون الى المقبرة هدايا من الفاكهة والرز المحلي. ومعظم الوفيات كانت تحصل في المنجم. وخلال الدفن كان الاسرى الأحياء يقاسمون موتاهم الفاكهة. وكان الدفن يحصل سريعا قبل انحلال الجثث تحت حَرّ الشمس. واذ لم تكن المدافن عميقة تحت الارض الصخرية، كان المطر يعيد الجثث الى سطح الارض، فيضطر الأسرى الى اعادة حفر المقابر لمواراة موتاهم الثرى.

وذات يوم قال إدواردز بعد وفاة اسير: «ما سبب موته يا عزيزي الميجور؟»

ـ قد قضت عليه الديزنطاريا وسوء التغذية والاستسقاء الناشىء عن المجاعة. لكن السبب الأهم هو داء انعدام الرغبة.

«لم اسمع بهذا المرض البتة.»

ـ اسمع، اذا: انه الرغبة عن الحياة وحب الموت. وهو اهم الامراض في هذا المخيم.

كوخ الموت

بحلول عيد الميلاد للعام ١٩٤٣ استعاد الأسرى بعض ارادتهم في الحياة. واتاح لهم اليابانيون انشاد الترانيم الخاصة بالعيد واحياء حفلة موسيقية. ووزعوا عليهم ثمار الموز واللحوم والحلوى والشاي المحليّ.

لا عجب اني، طوالِ ذلك اليوم، رحت اتصوُّر البيت. واخرجتُ صورتك، يا نل، وصور الاولاد، ووضعتُها امامي. وقد تسربت الرطوبة الى احدى زوايا صورتك، لكنها بقيت سليمة. لكني ما ان اضعها امامي حتى اعيدها الى السر، اذ لا اريد ان يعرف هؤلاء الحيوانات اسراري.

يؤسفني الّا يكون هذا اليوم سعيدا لمعظمنا. فهذا العيد يهيج الذكريات الحبيبة، وهي تحمل معها الرثاء لأنفسنا ونحن على هذه الحال.

اني اسأل الله، يا حبيبتي، ان تكوني على احسن حال هذا اليوم، انتِ واولادنا والعائلة كلها. آهٍ كم كنت اودّ مساعدتكِ وانتِ تملأين سلال الميلاد بالهدايا لأطفالنا الثلاثة. ولكن يحسن ان انزع هذه الافكار من رأسي واعود الى حالي الحيوانية، اي العيش من يوم الى يوم على بعض الطعام والماء... تصبحين على خير يا حبيبتي.

سرت اشاعة بين الأسرى حول سعي المانيا الى السلام. والحقّ انها كانت محض امنية، اذ ان الالمان ما زالوا يحتلون اوروبا، واستعادتها على ايدي الحلفاء لم تحصل الا بعد اشهر. وضيّق اليابانيون الخناق على الأسرى، اذ كانوا يعدّون الرؤوس اربع مرات يوميا خوفا من الهرب. وفقد اثنان منهم، ولكن سرعان ما أُعيدا مربوطَين مثل كلبين. ثم نفذ فيهما الاعدام. ولكن هبْ

ان احدا استطاع الخروج من فورموزا التي يملأها الجواسيس، فماذا يفعل بعد ذلك، والبرّ الصيني يعجّ باليابانيين ايضا؟

ووجد الأسرى انفسهم يلوذون بالميجور ويلر اكثر فاكثر، حتى غدا صخرتهم الامينة وسط ذلك البحر الجامح. وتذكر الأسير ماكنزي لاحقا: «في امكان ويلر ان ينفذ الى داخلك ويمنحك الرجاء. ولقد كان الرجاء موضوع كلامه الدائم. وهو لم يفقده قط.»

٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٤.

رأس السنة جاء وولى. وانا لم اتمنَّ شيئا لهذا العام. وهل ثمة مجال لأمنية؟ أوَليس افضل ان نعيش من يوم الى يوم على خير وجه ممكن لقد باتت حياة الأسر حقيقية وطبيعية بالنسبة الينا. وكل ما عداها يبدو بعيدا جدا، كما لو كان عالما آخر او حلما... صحيح ان المرء يفكر في وطنه وبيته وكل من له، لكن هذه الافكار لم تعد واضحة كما كانت، بل غشّاها الضباب.

وصلت دفعة بريدية الى المخيم في شهر يناير (كانون الثاني)، ولكن لم يكن ضمنها اي رسالة الى الميجور بن ويلر. وفي الشهر التالي سمح اليابانيون للأسرى، للمرة الاولى، باستخدام ورقتين لكتابة رسائل الى عائلاتهم. ولكن ما عساهم يقولون؟ اليس الافضل ان تأتي الرسائل من الطرف الآخر؟

واخيرا وصلت الرسائل، بعد انتظار سنتين تقريبا.

١٨ فبراير (شباط) ١٩٤٤.

أحبائي! هذا اسعد يوم منذ وقوعي اسيرا. لقد بلغتني ثلاث رسائل منكم وواحدة من امي. اشكر الله على انكم جميعا بخير، وان الامور كلها كما يُرام. امي تقول انكِ تبدين اصغر واجمل. آه لو كان لي ان اراكِ وآخذكِ بين ذراعيّ وأُقبّلكِ، ثم نلعب ونلهو معا، يا حبيبتي، كما تقولين. لقد اشتاقت حاسة الذوق لديّ الى غير الرز.

قرأتُ الرسائل مرّتين حتى الآن، واريد اعادة قراءتها بتأنٍ مرار. وها هي مع صوركم، وهي الكنز الذي أملكه في هذا المكان.

كُتبت تلك الرسائل في اواسط العام ١٩٤٣. وبعد شهر تسلم ويلر دفعة اخرى كُتبت عام ١٩٤٢. وعرف اين تعيش نل. وتخيل الساحة والحقول المحيطة بالمنزل، ونل في غرفة النوم على فراش وثير، كيف له مثله وهو ينام على الواح الخشب؟

الا ان خيالات البيت بثت فيه الحماسة والحيوية. وما زال عشرات الرجال يعانون مرض الديزنطاريا الأليم. ووصف لهم ويلر شرب الماء الذي غُلي فيه الرزّ. فهو مُغذٍّ وجيد للأمعاء الملتهبة. وحين برىء المرضى واصبح في استطاعتهم قبول الطعام وصف لهم الفحم المسحوق لتخفيف امكان الاسهال. وراح هو ومعاونوه يسحقون القضبان المحروقة ليجعلوا منها دقيقا أسود.

وقال احدهم لاحقا: «انه عبقري حقا.»

وابتُلي نحو نصف الأسرى بالديدان المعوية السلكية التي كانت تخرج عبر القيء او البراز. وقضى ١٣ رجلا في شهر واحد،

حتى أُطلق على المستشفى اسم «كوخ الموت.» وحين مرض ادواردز وحُمل الى هناك رَجا ويلر قائلا: «ارجوك يا سيدي ان تخرجني من هذا المكان.»

واجابه ويلر: «سأبذل ما في وسعي.» وذات مساء أخرج دودة طفيلية كبيرة من امعاء ادواردز بواسطة خيط وقد عاونه العريف ديفيد دونيلي.

. وقال ادواردز لاحقا: «عندما كنت في كوخ الموت اعتاد الميجور ان يأتي كل مساء ويتحدث الينا جميعا.»

وكان لكلمات ويلر فعل السحر لأنها فاضت من اعماقه. ولم يتورع عن كتابة الرسائل الى المسؤولين اليابانيين طلبا للدواء والادوات الطبية. واخيرا قابله طبيب ياباني زائر واقتنع بصدق كلامه.

١٢ ابريل (نيسان) ١٩٤٤.

جاءنا طبيب زائر آخر البارحة. وكان مهذّبا وبدا منطقيا وذكيا، وقال انه سيحاول ارسال بعض العقاقير التي نحتاج اليها.

ربما ادرك اليابانيون، على غرار اسراهم، ان ويلر لا يمكن ان يستسلم. وهو تلقى الضرب واللكم والصفع كالآخرين، وكان عليه ان ينحني مثلهم لتحية السجانين. غير انه لم يفقد سيطرته على نفسه ولا كرامته.

وذات يوم كان هو والعريف المعاون في فرقة الرموز، جوش طومسون، يفحصان مصابا بالبري بري انتفخت خصيتاه. وصادف مرور حارس ارعن رفس المريض في اربيّة فخذه وكاد ان يُفقده وعيه. ونهض طومسون غاضبا لكن ويلر اوقفه قائلا: «قف مكانك يا جوش.» وتجمد طومسون مكانه، وربما انقذ حياته بذلك. وقال لاحقا: «يبدو ان لا شيء كان يزعج الميجور. وهو كان يتصرّف بكل رباطة جأش كما لو لم يكن اليابانيون هناك. ولم يكترث لهم، بل وضع اهتمامه كله في رفقائه الأسرى.»

مقامرة لا تُصدَّق

٥ يوليو (تموز) ١٩٤٤.

لقد مضى على زواجنا اثنتا عشرة سنة يا حبيبتي. ويؤسفني اننا قضينا معظم هذا الوقت منفصلَين. ولكن صلي الى الله لكي نكون معا في عيد زواجنا المقبل وفي كل عيد بعده.

اشاعة جيدة: لقد بدأ الحلفاء اجتياح فرنسا. صحتي جيدة، لكن السأم ينهشني والانتظار بات اعسر مما كان. ولكن ها هي الأمور الكبيرة بدأت... فهل نخرج من هنا قريبا؟

والواقع ان اجتياح فرنسا بدأ قبل شهر. وعلى الجبهة الشرقية كان السوفييت يحاولون اخراج الألمان. اما القوات الاوسترالية والامريكية فكانت تحاول استعادة غينيا الجديدة جنوب غرب المحيط الهادىء. ولكن ايستطيع اسرى كينكازيكي الانتظار طويلا؟

وشعروا ان نهاية الحرب وشيكة. وفرضت سلطات السجن تعتيمه ليلا. ولجأت الى اطلاق صفّارات الانذار احيانا خلال النهار. وباتت كميات الطعام المسموح بها اقل.

وكان الاسرى احيانا يسرقون القمامة في الحديقة الخلفية للسجن ويأكلونها.

وفي شهر اكتوبر (تشرين الاول) أرسل الأسرى الذين يعانون امراضا قوية، وعددهم مئة، الى مخيم آخر ربما كان احسن حالا من سابقه.

٢٥ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٤.

لا أريد ان ارى مشهدا كهذا بعد الآن. انهم اناس اتت الكسور والحروق على الاجزاء العليا من اجسادهم.

ليمنحنا الله نعمة النسيان.

في الوطن كانت عناوين الصحف تُشيع التفاءل في النفوس: «ماك آرثر يصرّح ان اسطول جاب حمّل العدو هزيمة ساحقة»... «النازيون يتراجعون عشرة كيلومترات»... «القوات السوفييتية عبرت الحدود الى النروج.»

أما في كينكازيكي فقد شاهد الأسرى عيد ميلاد آخر خلال شهر هطل فيه ٢٢٥ سنتيمترا من المطر. ووجد ويلر وقتا لتسجيل نسبة الامطار. وتلقى من رفقائه بطاقات صنعوها بأيديهم ودوّنوا عليها تحياتهم وتمنياتهم لمناسبة العيد. الا انه عمل طوال ذلك اليوم ونسي ان يدوّن مذكراته.

٢٩ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٤.

عيد الميلاد حل ورحل، كما يحل اي يوم ويرحل. وحاولت تصوُّر شجرة الميلاد التي لا بدّ من ان تكون نل هيّأتها للأولاد، كما تصوّرت الهدايا التي كنت احب ان اقدمها اليهم. ولا شك في اني سأفعل ذلك في العام المقبل. ومرّت في خيالي مائدة العيد، ونحن هنا نعيش على الرز والخضر المسلوقة يوما بعد يوم. لكنهم أضافوا اليها قطعة لحم واربع برتقالات للمناسبة.

لقد مات اخيرا ثلاثة رجال بالديزنطاريا. وهناك اثنان لن يصمدا أكثر من يوم وثلاثة يأتيهم المرض ثم يختفي ليعاودهم. وجميع المرضى مصابون بالاستسقاء من جرّاء المجاعة، كذلك بالاسهال الشديد. وهم لا يستطيعون هَضم الطعام ولا يتحملون البرد، مع ان الحرارة لا تنزل عن الدرجات العشر المئوية. ومراقبتهم وهم يتعذبون تفطر القلب.

ولدينا ١٤٠ حراما لاتقاء البرد، لكنها مبللة بالمطر على الدوام، ومن شبه العسير عَصْرُها. وليس هناك من صابون او فرشاة او ماء ساخن. وقد بلغت نسبة المطر في الايام التسعة الاخيرة ٦٦ سنتيمترا. والأسرى يموتون بأعداد كبيرة. والعديد منهم يرفض الطعام، ربما لانه اصيب بمس من جنون وسط هذه الظروف المأسوية. فهم يتوقعون النهاية التي لم تَحِنْ بعد.

وباتوا يسمعون اصوات القنابل من البعيد. ولكن كيف لهم ان يعرفوا ان الطائرات التابعة للاسطول الامريكي الثالث حطمت ما يزيد على مئة طائرة في مورموزا وحولها خلال شهر يناير (كانون الثاني)؟ وشن الاتحاد السوفييتي هجوما جديدا على طول الجبهة الشرقية. وفي اوروبا مال الميزان الى انتصار الحلفاء

المحتوم. وفي مطلع مارس (آذار) صبت ٢٧٩ طائرة امريكية القنابل الحارقة فوق طوكيو فقتلت أكثر من ثمانين الفا في ليلة واحدة.

أما في كينكازيكي فقد تساءل ويلر: هل ثمة عالم خارجي؟ والرسالة الأخيرة التي تلقاها من الوطن يعود تاريخها الى عام مضى. وحتى منتصف فبراير (شباط) كان قد رأى ١٨ رجلا يموتون في ستة اسابيع. وأصيب احد المرضى بالجنون وراح يغني ويصرخ طوال النهار والليل في كوخ يضم ٤٥ مريضا. وادّخر ويلر قارورة صغيرة من الأفيون الذي كان يعطي نقاطا قليلة منه للمنازعين كيما يخفف عنهم عذاب الساعات الاخيرة.

واصيب الطبيب الآخر، بيتر سيد، بمرض قويّ افقده ١٨ كيلوغراما من وزنه خلال اربعة اشهر. ترى ايمكن ابقاؤه حيا؟

وفي تلك الاثناء قلع طبيب الاسنان، الكابتن جون بادجيت، ضرسا لأحد الحراس، وكوفىء بقطعة لحم شهية. وقال بادجيت لاحقا: «فكّرت في بيتر الذي كان يعاني نقصا شديدا في البروتيين، وحملت شريحة اللحم اليه. غير اني تذوّقتها ـ واخجلاه ـ وأنا في الطريق اليه.»

وفي مارس (آذار) كان سيد على وشك الموت، الأمر الذي حدا ويلر على لعب رقته الاخيرة تجاهه بنقل الدم اليه. وهو مر غير مضمون، لكنه المخرج الوحيد في تلك الظروف. ولم يكن لدى ويلر من معدات لنقل الدم سوى حقنة. وبقي، على مدى اسبوعين، يسحب كل يومين مقدار مئة مليليتر دما من احد الاسرى المتطوعين ويحقنها في شرايين سيد بعد اضافة محلول السيترات اليها منعا للتخثر. وهكذا انقذ حياة زميله.

وبعد اسبوعين نُقل الطبيبان والمرضى الستة والثمانون في سفينة الى مخيم آخر على الجزيرة. وقبل ويلر الأمر على مضض، لكن رفقاءه شجعوه.

الانتظار الممض

كان مخيم شيراكاوا ارحب من سابقه وقد ملأت باحاته الأشجار والعشب. ووجد ويلر في مستشفى المخيم سبعة اطباء آخرين، مما خفف عنه اعباء كثيرة.

هنا كانوا يتناولون وجبتين من الطعام يوميا، هو طعام اسوأ مما عرفوه في كينكازيكي. وغدا ويلر برما بسلوك بعض زملائه الضباط الذين ظنّ انهم ينبغي ان يكونوا قدوة للآخرين.

والحق ان السجن يُظهر اسوأ خصال الناس وافضلها. وكان ويلر في ما مضى، كلما وصلت دفعة جديدة من الحليب المجفف النادر حاول اقناع الاصحاء بتوزيعها على المرضى. لكن ذلك لم يكن يحصل الا بعد مناوشات طويلة. وعندما حصل على بعض حبوب الفيتامين «ب» رفض بعض الضباط المشاركة في دفع ثمنها.

٢٣ ابريل (نيسان) ١٩٤٥.

لاحظت اليوم اني اعيش مع اناس يحاولون الحصول على كل ما يمكن من سواهم بشتى الوسائل. انها قسوة الفؤاد التي

لم تفلح القشرة الخارجية الرقيقة في سَتْرها. واذا امضوا اشهرا او سنوات اخرى على هذه الحال، فانّ غالبيّتهم ستهبط الى مستوى الحيوانات.

جاء النصر الاوروبي في الثامن من مايو (ايار). لكن الاسرى لم يسمعوا به الا بعد انقضاء شهر. وتساءلوا عن نهاية حربهم وطريقة تصرف اليابانيين حيالهم. وكانت اقلية منهم - وبينها ويلر - على علم بقرار اتخذته القيادة اليابانية العليا حول تصفية جميع الاسرى في حال انتصار الحلفاء. وتأكدَ هذا الظن خلال المحاكمات التي تلت الحرب.

ولو عرف الاسرى عن ذلك القرار، لدفعهم يأسهم الى عدم الاكتراث له ذلك الصيف. واجبرتهم المجاعة على قتل كل كلب يدنو من المخيّم وطهوه وأكله.

٩ يوليو (تموز) ١٩٤٥.

مرة اخرى، ماذا اقول، والأيام تمضي وخلفها الاسابيع والاشهر؟ لقد بت لا استطيع الكلام عن السنين. واصابتني حمى الملاريا للمرة الاولى، وارتفعت حرارتي الى ٤١،٤ درجة مئوية.

لقد اخرجتُ صورتكِ، يا حبيبتي، وصور الاولاد ووضعتها امامي على الطاولة واطلقت العنان لأفكاري. ولكن يبدو ان الوقت توقّف. وكلما فكرتُ في اقتراب النهاية بدت ابعد.

لا شك في ان أذيّة ما اصابت اليابان. وفُرض نظام صارم على المخيم، حرّم على الاسرى الظهور في الباحات. وراح الحراس ينهالون على الرجال ضَرْبا بلا سبب. وأنقص مقدار الطعام اليومي حتى باتَ ٣٠٠ غرام رز مع القليل من الخضَر المسلوقة، يضاف اليها شيء من البطاطا الحلوة للرجال الذين يعملون خارجا. وزادت نسبة الوفيات.

٤ اغسطس (آب) ١٩٤٥.

ان وجودنا هنا دخل مرحلته الاخيرة. ولكن لا ندري ان كانت ستبقى اسابيع ام أشْهُرا، وما إذا كنا سنقوى على الصمود. وليس من الممكن ان يتحمل المرء هذا الشحّ في الغذاء طويلا.

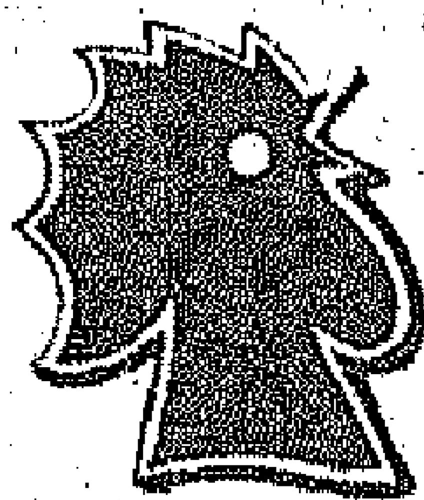
بعد يومين، اي في السادس من ذلك الشهر، القت الولايات المتحدة قنبلتها الذرية الاولى التي اتت على ثلثي هيروشيما. وبعد ايام ثلاثة ألقيت قنبلة اخرى على ناغازاكي. وفي ١٥ اغسطس (آب) استسلمت اليابان.

١٩ اغسطس (آب) ١٩٤٥.

هل انتهت الحرب؟ لقد سرت اشاعات قوية جدا في اليومين الاخيرين. لكن التجارب التي عانيناها جعلتنا نشكك في كل شيء.

كانت تلك الكلمات آخر ما دوّنه ويلر. وفي ذلك اليوم كان وزنه ٤٥ كيلوغراما، اي ٢٧ كيلوغراما اقل من المعدّل الطبيعي. وبعد ثلاثة ايام اصدر آمر المخيم بيانا رسميا

نحوّل همسك صراخاً...



النهار العربي والدولي

إنطلاقاً من قناعتها بأنها مجلة القارئ أولاً، تفتح النهار العربي والدولي صدر صفحاتها منبراً تستطيع أن تعرض آراءك من خلاله بحرية كاملة فتصبح، وأنت في موقعك، واحداً من محرريها.
عالج أي موضوع تشاء - في السياسة أو الاجتماع أو العلم أو الأدب أو الفن أو شؤون المرأة وارسل مقالاتك (في ٣ أو ٤ صفحات بالآلة الكاتبة)، وأرفقها بصورتك إلى العنوان التالي:

صندوق البريد ١١٦٨٨ بيروت-لبنان P.O.BOX 11688 BEIRUT-LEBANON

جاء فيه: «لقد انتهت الحرب، واصبحنا اصدقاء بعدما كنا اعداء.»

وما هي الا ايام حتى حلقت طائرات على علو منخفض جدا فوق المخيم والقت صناديق تحمل مواد غذائية. لكن احدها صدم المستشفى، فقتل ثلاثة اشخاص وجُرح واحد وعشرون. وراح احد الناجين يصرخ باهتياج وقد شاهد بعض رفقائه يقضي على ايدي الأصدقاء بعدما تحمل الكثير من الاعداء.

واقتسم الأسرى الهدايا، وبينها الشوكولاتة والسجائر والطعام المعلّب. وتولى الميجور كروسلي والضباط الآخرون تجريد اليابانيين من السلاح، ثم اعادوا اليهم بنادقهم لتحية الأمريكيين حين يأتون.

وفي تلك الليلة احسّ كروسلي هدوءا منقطع النظير. وكان رجاله، قبل يوم واحد، تعهدوا تمزيق سجّانيهم إرَبا فور تبدُّل السلطة. فأين الحراس الآن؟ ووجدهم كروسلي هنا وهناك مع الاسرى يشاركونهم في الحديث كما في السجائر والحلوى.

وكان بن ويلر جالسا مع بعض الاصدقاء. ولم يصدّقوا تماما ان السلام تحقق. واخيرا قال احدهم: «اما وقد صرنا احرارا، فدعونا نغني اناشيدنا الوطنية.»

لا عودة البتّة

طوال تلك السنوات لم تعرف نل مكان زوجها الحقيقي ولا هي تلقت اكثر من خمس بطاقات كتبها اليها. والآن بلغتها برقية تقول انه حيّ. وتبعتها رسائل. ووقف ويلر على ظهر سفينة راسية في فورموزا يراقب اخلاء رجاله. وحُدّد موعد وصول سفينته الى قاعدة فيكتوريا البحرية الكندية في شهر نوفمبر (تشرين الثاني). وذهبت نل والاولاد الى منزل والدي بن في ليدي سميث على بعد ٨٧ كيلومترا من فيكتوريا.

وقرّرت ان تنتظر السفينة على رصيف الميناء. لكن الزكام اصابها في اللحظة الاخيرة واضطرّها الى ملازمة الفراش. وذات عصر توقفت شاحنة محمّلة جنودا امام بوابة المنزل الرئيسية. وترجّل بن وودّع الرجال الذين تعرّف عليهم خلال الرحلة. ثم تقدم بجسمه الهزيل وطوّق نل، على نحو خجول، للمرة الاولى في خمس سنوات.

وما برحت تتساءل، في الآونة الاخيرة، هل اولادها سيستقبلون اباهم كما يليق به. وكان ألان في الخامسة وكين في السابعة وهاري في التاسعة وقد تعوّد ان يكون «رَجُل البيت». وهرعوا كلهم نحو ابيهم كما لو كانوا يعرفونه جيدا. وبعد استراحة في منزل ذويه، عاد ويلر وعائلته الى منزلهم في ادغرتون لاستئناف حياتهم.

وبما ان ويلر لم يخدم في القوات العسكرية الكندية ولا هو قبل دعوة المؤسسة الهندية للعمل معها من جديد، فهو لم يقبض اي راتب. والتعويض الاخير الذي تلقاه من بريطانيا بلغ ١٤٦ جنيها استرلينيا. وسُجّل اسمه في عداد قدامى المحاربين البريطانيين. اما حكومة بلاده فمنحته حق الاستشفاء المجاني طوال عام من الامراض

التي الحقتها به سنوات العبودية الطويلة.

الا ان المكافأة الحقيقية التي حصل عليها أتت عن غير طريق. فبعيد إطلاق الأسرى من اليابان عام ١٩٤٥ كتب ثلاثة منهم رسالة الى صحيفة كندية حول بن ويلر الذي دعوه «الرجل المرسَل من الله.» وجاء فيها كيف انه انقذ حياة كثيرين وملأ قلوب العديد منهم رجاءً بقوته الصامتة وأفعاله الطبية الخارقة التي ما زالت بارزة في الكثيرين من الذين كتبت لهم الحياة والذين يجلونه أيما إجلال.

ويقول فريد داون، وقد سكن مقاطعة ايسيكس البريطانية بعد تقاعده: «انظر الى الوراء واتساءل عما اذا كنتُ عرفتُ شخصا صالحا مثله.» ويقول جورج هاريسون، وهو اليوم تاجر فني يعيش في مقاطعة ساسكس البريطانية: «كنت على استعداد للذهاب معه حيثما شاء ولتنفيذ كل ما يطلبه مني.»

وظل بن ويلر وقتا طويلا بعد عودته ينهض خلال النوم وهو يصرّ اسنانه من البرد ويضطرّ الى الاستحمام لتعديل حرارة جسده. وظلّ يراجع المستشفى في شأن حريق قدميه الذي أرّقه وكثيرين سواه في فورموزا.

وفي البداية لم يكثر الكلام الى امه حول ايام الأسر. وكانت نل تصغي الى حديثه وهي في المطبخ. وحين لاحظت ان الكلام عن السجن يثير لديه الغضب دائما، تجنبت اثارة هذا الموضوع معه. ومرة قال لها: «مذكّراتي هناك لتقرأيها. وهي كُتبت من أجلك في أي حال.» لكنها لم تَقْوَ على ذلك، إذ ان تلك الاوراق انطوت على مآسٍ كثيرة وحرّكت اعمق المشاعر.

وفي العام ١٩٤٦ تلقى دعوة للادلاء بشهادته عن جرائم الحرب التي اقترفها اليابانيون. وذات مساء خرج افراد عائلته من المنزل قصدا وتركوه وحيدا عله يحزم امره. وعادوا ليجدوه على طاولته وقد بدا عليه الاضطراب الشديد وهو يرسم الوجوه وحوله اوراق الاسر مبعثرة.

ومكث صهره الدكتور هافيلوك ماكلينان لديه بعضا من ذلك المساء وهو يصغي الى اخباره. ولما انتهى ويلر كان ماكلينان غارقا في البكاء.

وفي تلك الليلة اتخذ ويلر قراره، وهو أنه لن يترك عائلته البتة. وبعد ذلك لم يتحدث عن عذاب الأسر إلا في ما نَدَر.

السنوات الذهبية

أخبر ويلر زميلا له ذات مرة ان السنة التي تلت عودته من الأسر كانت من أصعب سني حياته. فقد تدنت معلوماته الطبية بعدما شهد الطب قفزة كبيرة، كما كانت حال بعض العلوم الاخرى، خلال تلك السنوات. ومن الأمثلة على ذلك ان ويلر لم يعرف شيئا عن البنسيلين الا بعد عودته.

لكنه كان في الخامسة والثلاثين، وليس لديه استعداد كي يضحي بالوقت او المال لمتابعة بعض الدروس الجامعية. وانتقل مع عائلته الى ادمونتون، وانضم الى ماكلينان وزملائه في عيادة بيكر وراح يدرس في الليالي استعدادا لاجتياز امتحان تخصص

بالطب الداخلي. وطالما حثّته نل في نهاية بعض الأسابيع، وقد اشتد ارهاقه، على هجر تلك السبيل. الا انه ظل مثابرا حتى النهاية. ومرة قال زميل الأسر جاك ادواردز ان الناس يغادرون السجن كالخشب الذي يلفظه البحر وقد تلف خارجه، لكن لبّه ظلّ كما هو. وهكذا حال ويلر الذي لم يعرف مستحيلا.

وكان في الثامنة والثلاثين عندما ذهب الى شرق كندا لمتابعة دورة طبية مكثّفة. واجتاز الامتحانات الشفوية بعد الخطية وغدا عضو في الكلية الكندية للأطباء والجرّاحين. وفي المساء خابر نل وزفّ اليها البشرى: «لقد اصبحتُ طبيبا اختصاصيا.»

وفي ٢٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٤٦ وُلدت لهما ابنة سمّياها آن. وابتهج بن الذي احبّ كثيرا ان تكون له ابنة وان يرافق نمو احد اطفاله منذ البداية. وطوال طفولتها لم تعرف آن شيئا عن دور ابيها في الحرب العالمية الثانية. فالأمر لم يبحث البتة في حضوره، ولم يتكلم عنه احد بالتفصيل.

إلا انّ الشواهد كانت حولها. ففي دهليز المنزل صندوق كبير يحوي بزة عسكرية وسيف وعملة يابانية وحقيبة طبية سوداء اتى عليها الزمن، وفيها كلّاب اسنان وعلبة تحوي اوراقا ودفاتر، فضلا عن قبقاب من خشب. ومرة ضيّع احد اشقاء آن فردة من ذلك القبقاب، الامر الذي احزن بن كثيرا وجعله يرسل جميع افراد العائلة في أثر تلك الفردة التي بقيت مفقودة.

وكانت البطاقات تنصبّ على منزل آل ويلر كل عيد ميلاد، ومصدرها بريطانيا، وفيها كلمات كالآتية: «اني مدين لكَ بحياتي.» واخذت آن ترتاد المكتبات بحثا عن كتب حول مخيمات التعذيب علّها تعرف شيئا عن خبرة ابيها. وسبّبت لها تلك التحرّيات احلاما مزعجة.

اما بالنسبة الى بن ويلر، فالسنوات التي أعقبت رجوعه كانت العهد الذهبي في حياته. فهو حصل على كل ما تمناه في السجن: نل والأولاد والسلام والعمل. وغدا عضوا مؤسسا في جمعية ألبرتا لاختصاصيي الطب الداخلي ورئيس اكاديمية ادمونتون الطبية واستاذ الطب العيادي ورئيس الاطباء في مستشفى الكسندرا الملكي في ادمونتون.

وكان ذلك الطبيب الذي يسعى اليه الجميع، وذلك بفضل مثابرته وصدقه. وكان يعمل طوال النهار في عيادة بيكر ويعود المرضى في منازلهم بعد العشاء واحيانا خلال الليل ويتفقد المستشفيات صباح كل سبت وأحد.

اما عصر الأحد فقد خصصه لعائلته. وغالبا ما كانوا يخرجون في السيارة للتنزه. واحيانا كان يأخذ ابنته الشقراء الى صيد السمك. وتقول آن: «كنا نجلس طوال النهار وقد القى السنانير في الماء. ونادرا ما كان ينطق بكلمة. لكن علاقتنا كانت أقوى من الكلام.»

وكانت في الثانية عشرة عندما اهدى اليها والدها فرسا. وذات ليلة ولدت الفرس مهرا. ولما رآه ابوها قال وهو يبتسم: «يا له من مهر جميل!»

وطوال تلك السنوات السعيدة ما برح

بن يذكر نل بالآتي: «يجب ان نستغل هذه الايام الى اقصى حدّ ممكن. فأسرى الحرب يقضون في سنّ مبكرة.»

والواقع انه مات في الثالثة والخمسين على اثر نوبة قلبية يعود بعض سببها الى القهر الذي عاناه ايام الأسر. وحصلت وفاته وهو يطبب مريضا في عيادته. وجاءت بعد يوم واحد من عيد ميلاد آن السابع عشر.

وبعد سنواتٍ اكبّت آن على مذكّرات والدها التي صفرها الزمن، وأيقنت انه كان بطلا حقا. واتخذت قرارا بالتعويل على تلك المذكرات لتروي سيرته على الملأ. ووجدت الوسيلة عبر المجلس الوطني للسينما في ادمونتون. ومن ضمن عملها في الانتاج والاخراج والكتابة انجزت في العام ١٩٨٠ شريطا حول عذاب بن ويلر نالت عليه الجائزة لأفضل فيلم وثائقي. ويدوم عرضه ٨٢ دقيقة.

وأرسلت الشريط الى الممثل الكندي دونالد ساذرلاند في هوليوود الذي لم تكن قابلته قطّ، وسألته هل يوافق على تسجيل صوته لقراءة المذكّرات.

وبعد اسبوع رنّ الهاتف في مكتب آن. وجاء صوت ساذرلاند عبر الخط ليقول انه يقبل العرض بكل سرور. وبعدما جاء صوته غاضبا في القراءة الاولى، عدّله قليلا في القراءة اللاحقة.

اما نل فقد تزوجت بعد ترملها واصبح اسمها اليوم نل ويلر هومر. وهي لم تستطع قراءة المذكرات كلها. فكلمات زوجها، حتى بعد مرور اربعين سنة على كتابتها، لا تزال تثير نشيجها.

وأما آن فلا تستطيع نسيان حادث جرى وهي مع والدها. ففي طريق عودتهما الى البيت ذات احد قالت له: «اتعرف يا أبي ان الانسان يذهب الى الجحيم ما لم تغفر خطاياه؟»

وأجاب بن ويلر برفق: «لقد ذهبتُ الى الجحيم يا حبيبتي.»

■ روبرت كولينز

اياك ان تطري احداً كما لو كنت تريد شيئاً في المقابل.

ب.ب.

عالم بلا ترقب

هل يمكن ان نتصور عالماً اختفت قصص الجرائم من صحفه وبات جميع اهله كليي القدرة بحيث غابت حرائق المنازل وحوادث السيارات والطائرات والخيانات، ولم يعد أي ملك يتخلى عن عرشه لارواء نزواته، وصار الجميع يحفظون العهود، ويضع كل لنفسه صورة وهو في العاشرة لما يريد ان يكون، ويحافظ عليها حتى النهاية؟...

ان عالماً كهذا تملأه الرتابة والملل وتختفي منه بهجة الترقب، وبموت الخطيئة والضعف البشري، يموت الادب ويذوي العمران وتنطفىء جذوة الحماسة في النفوس.

لين يوتانغ، فقيه صيني

خيرات الطبيعة على مائدتك

Swiss Maggi Soup

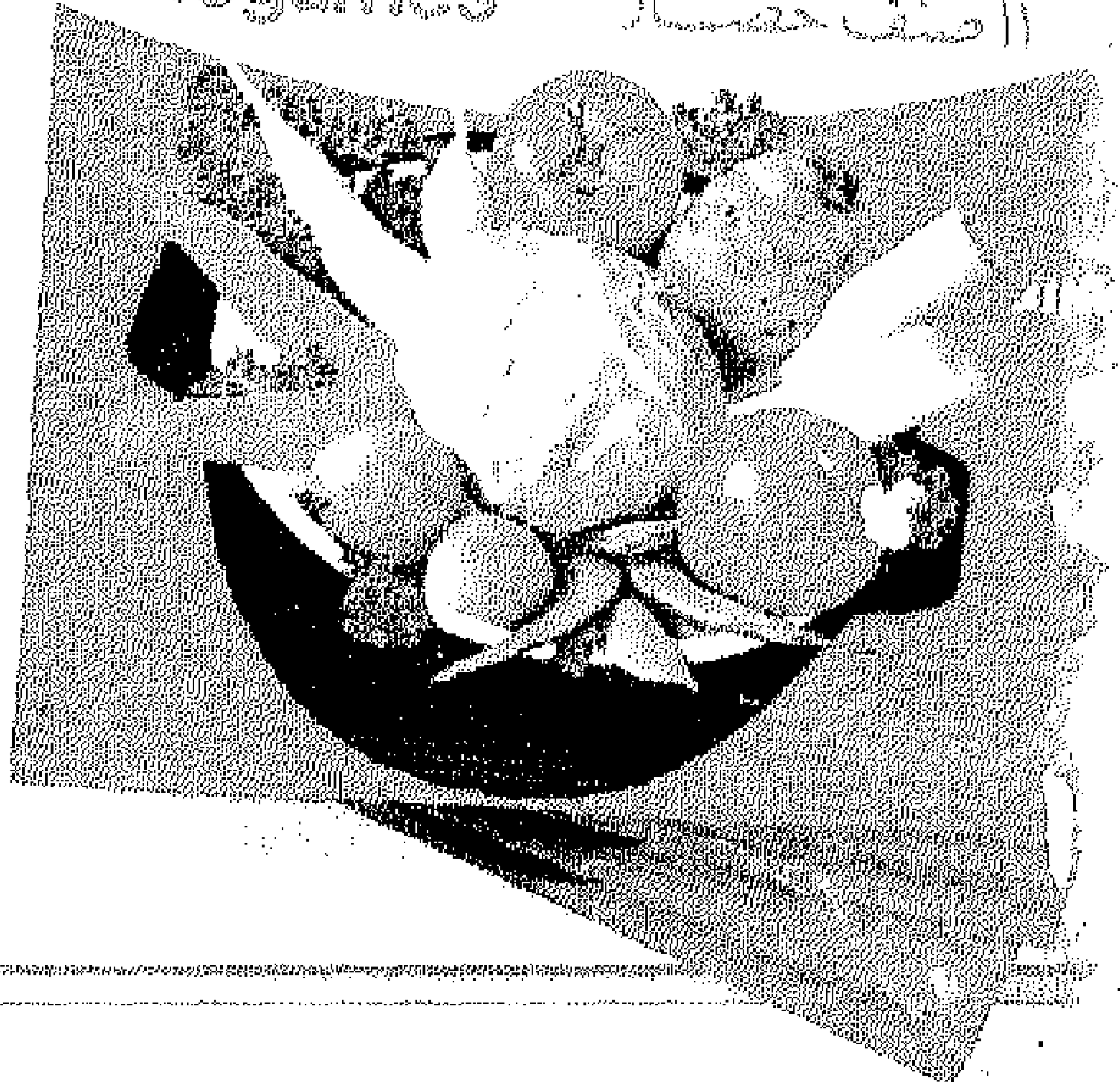
11 vegetables

11 légumes

ماجي

شوربة

١١ صنف خضار



لتحضير الحساء بالخضار، تختار ماجي أجود أصناف الخضار وتستخلص منها العناصر الغذائية وتعلّبها على أحدث الطرق الحديثة، في عبوات لا تمسّها الأيدي ولا ينفذ إليها التلوث.

طبق كله عافية **ماجي**

